تفسير

معاني القرآن

لأبي جعفر النحاس

معاني القرآن

لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ)

تحقيق

د. يحيى مراد

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

مُقدِّمة

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي المعروف بالنحاس قال: «الحمد لله الذي من علينا بهدايته، واستنقذنا من الضلالة بشريعته وأرشدنا إلى سبيل النجاة بنبيه ﷺ، ووفقنا لانتهاج سبيله المرتضى، وعلمنا ما لم نكن نعلم، من كتابه الذي جعله فَرقًا بين الحق والباطل، وأذَل به الجاحدين عند عجزهم عن الإتيان بسورة مثله، وجعله الشفَاء والحُجة على خلْقِهِ، بما بين فيه، فقال ﷻ: **﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾** [الشعراء: ١٩٥] وقال: **﴿قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾** [الزمر: ٢٨]، وقال: **﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾** [الأحقاف: ١٢].

فدل على أن معانيه إنما وردت من اللغة العربية. وقال ﷺ: «**أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه**»[(١)]. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «**الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره، كالأعرابي يهذ الشعر هذا**».

فقصدت في هذا الكتاب تفسير المعاني، والغريب، وأحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ عن المتقدمين من الأئمة، وأذكر من قول الجِلة[(٢)] من العلماء باللغة، وأهل النظر ما حضرني، وأُبين من تصريف الكلمة واشتقاقها -إن علمت ذلك- وآتي من القراءات بما يحتاج إلى تفسير معناه، وما احتاج إليه المعنى من الإعراب، وبما احتج به العلماء في مسائل سأل عنها المجادلون، وأبين ما فيه حذف، أو اختصار، أو إطالةٌ لإفهامه، وما كان فيه تقديم أو تأخير، وأشرح ذلك حتى يتبينه المتعلم، وينتفع به كما ينتفع العالم بتوفيق الله وتسديده.

فأول ذلك:

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة، وهو ضعيف، قال العراقي: سنده ضعيف، وقال الهيثمي فيه متروك. وقال الحاكم: صححه جماعة، ورد هذا القول الذهبي وقال: مجمع على ضعفه، وانظر فيض القدير للمناوي ٥٥٨/١.

(٢) الجِلة: العلماء الأجلاء، والجلةُ: جمع جليل، مثل صبي، والجليلُ: العظيم، ومشيخةٌ جِلةٌ أي مسان، وجلال الله: عظمته، راجع الصحاح ١٦٥٨/٤، والمصباح المنير مادة جلل.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، الملك الحق المبين، أنزل الكتاب المبين؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، خاتم النبيين، الذي كان خلقه القرآن، فاللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن أهم ما أعملت فيه القرائح كتاب الله عز وجل، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو عصمة ووقاية لمن اعتصم به وتمسك بهديه، وهو منبع كل علم، وأصل كل حكمة. ومن هنا تأتي أهمية نشر مثل هذا الكتاب القيم من كتب معاني القرآن، التي تركها لنا علماء السلف -رحمهم الله أجمعين-، فإن خير ما بذِلت فيه الجهود، وكلّت من أجله القرائح والعقول كتاب الله العزيز.

وهذا الكتاب من الكتب الجامعة في بابها، فلا هو بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل، سهل العبارة، مشرق الديباجة، حسن الترتيب.

وقد رتب المؤلف أبو جعفر النحاس -رحمه الله- كتابه هذا حسب ترتيب سور المصحف الشريف، ليتتبع ألفاظ السور التي هي بحاجة إلى الشرح والتفسير، وبيان وجوه القراءات، واعتمد المؤلف في شرح معاني الألفاظ على تفسير من سبقوه من أئمة التفسير والبيان واللغة، كابن عباس، والحسن البصري، وغيرهم، فجاء كتابه حاوياً لآراء السلف الصالح في معاني القرآن، وعرض النحاس أقوال العلماء والمفسرين، عرضا دقيقًا شاملاً، على منهج اللغة العربية، فتراه يحكي في تفسيره أقوال بعض أئمة التفسير، ويوجه منها السديد الصائب، و يفنّد الضعيف الذي لا تعضده لغة العرب، وحجته في ذلك أن القرآن، نـزل بأفصح لسان وأوضح بيان، على أسلوب العرب في تخاطبهم وكلامهم، فيجب فهمه على منهاج اللسان العربي الفصيح.

معاني القرآن (المصطلح والمفهوم):

كان هذا التركيب يعني به ما يشكل في القرآن ويحتاج إلى بعض العناء في فهمه، وكان هذا بإزاء (معاني الآثار) و(معاني الشعر) أو(أبيات المعاني)، يقول الطحاوي في مقدمة كتاب (معاني الآثار): "إنه سأله بعض أصحابه تأليفًا في الآثار المأثورة عن رسول الله ﷺ في الأحكام التي يتوهم فيها أهل الإلحاد والزندقة أن بعضها ينقض بعضها لقلّة علمهم بناسخها ومنسوخها".

وقد كتب في (معاني الشعر) ثعلب، وأبو الحسن الأخفش سعيد بن مسعدة، والأشناندانى، وكذا ابن قتيبة في كتاب (المعاني الكبير)، وكتب فيها أيضا أبو عبيد القاسم ابن سلام، ومن قبيل (معاني القرآن) (مجاز القرآن) لأبي عبيدة.

وقد كتب في معاني القرآن كثير من العلماء الفحول، يقول الخطيب في تاريخ بغداد في صدد الحديث عن معاني القرآن لأبي عبيد، وأنه احتذَى فيه من سبقه: "وكذلك كتابه في معاني القرآن، وذلك أن أول من صنف في ذلك - أي في معاني القرآن - من أهل اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى، ثم قُطْرب بن المستنير، ثم الأخفش، وصنف الكوفيين الكسائي، ثم الفراء، فجمع أبو عبيد من كتبهم، وجاء فيه بالآثار وأسانيدها، وتفاسير الصحابة والتابعين والفقهاء.

نسخ المخطوطة:

ليس لهذه المخطوطة سوى نسختين فريدتين، واحدة منها في دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٥ تفسير، وتنتهي عند سورة مريم، ونسخة أخرى في معهد المخطوطات العربية مصورة عن نسخة مكتبة أورخان غازي بتركيا والتي تبدأ من من أول سورة الحج وتنتهي آخر سورة الفتح. وعلى هذا تكون كلتا النسختين مكملتين لبعضهما، ولم نعثر على أي نسخ أخرى لهذا الكتاب.

طريقة العمل في الكتاب:

كان للعمل في هذا الكتاب قصة عجيبة، فبعد الحصول على نسخ الكتاب المخطوطة، ونسخها والبدء في تحقيقها ظهرت لنا نسخة مطبوعة من تحقيق الشيخ الفاصل محمد على الصابوني، فلم نشأ أن مل العمل الذي قمنا به، خاصة وأن العمل في المخطوطة كان قد أوشكت على الانتهاء، فآثرنا أن نستفيد من النسخة المطبوعة في توثيق بعض الهوامش، وتحقيق بعض الألفاظ التي غمضت علينا، وهذا إحقاقًا للحق وإسداء الفضل لأصحابه، لكننا قد أضفنا في هذه الطبع الكثير من التراجم والتعليقات التي فاتت المحقق في تلك الطبعة، ولا ندعي أننا قد أضفنا الكثير لكننا لم نشأ أن نفوت الفرصة على الجهد الذي بذلناه في إخراج هذا الكتاب.

وقد حرصنا في هذا الكتاب على تخريج الآيات والأحاديث والآثار، وتوجيه القراءات القرآنية من مصادرها، وشرح غريب الألفاظ، والأشعار، وعمل التراجم الوافية للأعلام الواردة في الكتاب، وضبط الألفاظ المُشكلة، والله نسأل أن يوفقنا إلى كل خير.

وكتبه

يحيى **مراد**

ترجمة المـؤلف

نسبه ولقبه:

هو أبو جعفر أحمد بن محمد، بن إسماعيل، بن يونس، المرادي المفسر المصري النحوي، المعروف بالنحاس أو بابن النحاس، ويعرف أيضا بالصفار، ولكن لقب «النحاس» هو الأشهر الذي عرف به، وهو الذي طار في الآفاق، حتى صار علَماً له. و«النحاس» نسبة إلى من يصنع الأواني النحاسية، كالقدور، والأواني، وغَير ذلك، ويظهر أن أجداده كانوا يشتغلون بهذه الصنعة، وأما أبو جعفر فقد طلب العلم منذ حداثة سنه، ولم ينقل عنه أنه اشتغل بهذه الحِرفة، صنعةً أو بيعا، و سمي بالصفار أيضا إلى «الصفْر» وهو النحاس أيضا.

قال الذهبي في السير: العلامة إمام العربية أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل، المصري النحوي، صاحب التصانيف. ارتحل إلى بغداد، وأخذ عن الزجاج، وكان ينظر في زمانه بابن الأنباري، وبنفطويه للمصريين.

حدث عن: محمد بن جعفر بن أعين، وبكر بن سهل الدمياطي، والحسن بن غليب، والحافظ أبي عبد الرحمن النسائي، وجعفر الفريابي، ومحمد بن الحسن بن سماعة، وعمر بن أبي غيلان، وطبقتهم. ووهم ابن النجار في قوله: إنه سمع من المبرد، فما أدركه.

روى عنه: أبو بكر محمد بن علي الأدفوي تواليفه، ووصفه أبو سعيد بن يونس بمعرفة النحو.

ومن كتبه "إعراب القرآن"، "اشتقاق الأسماء الحسنى"، "تفسير أبيات سيبويه"، كتاب "المعاني"، "الكافي" في النحو، "الناسخ والمنسوخ".

وروى كثيرا عن علي بن سلمان الصغير. وكان من أذكياء العالم.

وقيل كان مقترا على نفسه؛ يهبونه العمامة، فيقطعها ثلاث عمائم.

ويقال: إنه جلس على درج المقياس، يقطع عروض شعر، فسمعه جاهل، فقال: هذا يسحر النيل حتى ينقص. فرفسه، ألقاه في النيل، فغرق في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة.

وقال السمعاني في الأنساب: «النحاس بفتح النون وتشديد الحاء، نسبة إلى عمل النحاس. وأهلُ مصر يقولون لمن يعمل الأواني الصفرية ويبيعها النحاس، وقد اشتهر بهذا

الاسم جماعة، منهم: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس»[1].

مولده:

- ولد الإمام أبو جعفر النحاس في مصر، وعاش فيها ردحا من الزمن، ولا يعرف على وجه الضبط سنة ميلاده، فالمراجع التي بين أيدينا كلها لا تذكر سنة مولده، ولا أطوار نشأته الأولى، ولكنها متفقة على أنه ولد في مصر وتوفيّ فيها، وإن كان يغلب على الظن أن ولادته كانت سنة ٢٦٠ هـ كما ذكر بعض العلماء.

شيوخه:

تلقى النحاس علومه على يد العديد من علماء عصره الأعلام، الـذين أثـروا في كيانه العلمي وثقافته الدينية، ومن أبرز هؤلاء العلماء:

١- الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، صاحب «معاني القرآن» المتوفى سنة ٣١١ هـ أحد تلامذة الإمام المبرد، أخذ عنه النحاس، وقرأ عليه كتاب سيبويه، كما ذكر النحاس ذلك صراحةً في كتابه «إعراب القرآن» حيث قال: هكذا قرأت على أبي إسحاق الزجاج في كتاب سيبويه.

٢- أبو بكر بن الأنباري صاحب كتاب «المشكل في معاني القرآن» وهو من أصحاب ثعلب.

٣- ابن كيسان أبو الحسن محمد بن أحمد، أخذ عن ثعلب والمبرد، وكان نحويا بارعا، قال عنه النحاس في كتابه إعراب القرآن: «قال ابن كيسان، وهو النحوي، فكلما قلنا قال ابن كيسان، فإياه نعني، يجوز غِشوة وغُشوة فإن جمعت غَشاوة تحذف الهاء فتقول غَشاوٍ».

٤- نِفْطويه إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي وكان أديبا متفننا في الأدب، يحفظ لجرير، والفرزدق، وشعر ذي الرمة وغيرهم من الشعراء، وكان يروي الحديث، وهو من النحويين الكوفيين، ومن أصحاب ثعلب.

٥- الأخفش الصغير أبو الحسن علي بن سليمان ابن الفضل، تلقى عن ثعلب والمبرد.

٦- محمد بن الوليد بن ولاد المصري التميمي النحوي.

٧- أبو بكر أحمد بن شقير البغدادي.

---

(١) انظر كتاب الأنساب للسمعاني ٤٤/١٣ واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري ٣٠٠/٣.

٨- ابن رستم أحمد بن محمد الطبري.
٩- الإمام النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ابن علي بن سنان، صاحب السنن.

تلاميذه:

- كان للنحاس تلاميذ كثيرون تلقوا عنه العلم نذكر منهم:

١- أبو بكر بن إسحاق بن منذر المتوفى سنة ٣٦٧ هـ.
٢- أبو عبد الله محمد بن خراسان النحوي المتوفى سنة ٣٨٦ هـ.
٣- سليمان بن محمد الزهراوي، ذكره في بغية الوعاة ١/ ٦٠٢.
٤- عبد السلام بن السمح بن نابل المتوفى سنة ٣٨٧ هـ.
٥- عمر بن محمد بن عراك الحضرمي المصري المتوفى سنة ٣٨٨ هـ.
٦- فضل بن سعيد الكُزني من أهل قرطبة المتوفى سنة ٣٣٥ هـ.
٧- محمد بن مفرج بن عبد الله المعافري المتوفى سنة ٣٧١ هـ.
٨- محمد بن يحيى الأزدي القرطبي النحوي المتوفى سنة ٣٥٨ هـ.
٩- محمد بن علي الأدفوي المصري المتوفى سنة ٣٨٨ هـ.
١٠- منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ.

مؤلفاته:

- ترك أبو جعفر النحاس مؤلفات عديدة، في مختلف الفنون والعلوم، بلغ عددها أكثر من خمسين مؤلفًا نذكر أهمها فيما يلي:

١- كتاب أخبار الشعراء.
٢- كتاب اختلاف الكوفيين والبصريين، سماه "المقنع".
٣- كتاب الاشتقاق.
٤- كتاب الاشتقاق لأسماء الله ﷻ.
٥- كتاب أدب الكُتاب.
٦- كتاب أدب الملوك.
٧- كتاب إعراب القرآن.
٨- كتاب الأنوار.
٩- كتاب التفاحة في النحو.

١٠- كتاب شرح السبع الطوال.
١١- كتاب شرح أبيات سيبويه.
١٢- كتاب صناعة الكُتاب.
١٣- كتاب معاني القرآن الكريم.
١٤- كتاب معاني الشعر.
١٥- كتاب الناسخ والمنسوخ.
١٦- كتاب الكافي في النحو.

وفاته:

توفي النحاس غريقًا في نيل مصر، إثر حادث تعرض له سنة ٣٣٨هـ ثمان وثلاثين وثلاثمائة للهجرة.

تفسير سورة الفاتحة

مكية وآياتها سبع باتفاق

تفسير سورة البقرة
مدنية وآياتها ٢٨٧ آية

تفسير سورة آل عمران
مدنية وآياتها مائتا آية

تفسير سورة النساء
مدنية وآياتها ١٧٦ آية

تفسير سورة المائدة
مدنية وآياتها ١٢٠ آية

تفسير سورة الأنـعام
مكية وآياتها ١٦٥ آية

تفسير سورة الأعراف
مكية وآياتها ٢٠٦ آية

تفسير سورة الأنفال
مدنية وآياتها ٧٥ آية

تفسير سورة التوبة
مدنية وآياتها ١٢٩ آية

تَفْسِيرُ سُورَةَ يُونُس

مكية وآياتها ١٠٩ آية

تَفْسِيرُ سُورَةِ هُودٍ

مكية وآياتها ١٢٣ آية

تفسِيرُ سُورَةَ يُوسُف

مكية وآياتها ١١١ آيَة

تفْسِير سُورَةِ الرعدِ
مَدَنية وآياتها ٤٣ آيَة

تفسير سورة إبْرَاهِيمَ
مَكيَّة وآياتـها ٥٢ آيَة

تفسير سُورة الحجْر
مكية وآياتها ٩٩ آيَة

تفسيرُ سُورة النحل
مكية وآياتها ١٢٨ آيَة

تفسِيرُ سُورة الإسراء
مكية وآياتها ١١١ آيَة

تفسيرُ سُورة الكـهف
مكيـة وآيَاتـها ١١٠ آيـة

تفسير سورة مريـم
مكية وآياتـها ٩٨ آية

تفسيرُ سُورة الحج
مدنية وآياتها ٧٨ آية

تفسيرُ سُورة المؤمِنونَ
مَكية وآياتها ١١٨ آية

تفسيُر سُورَة النّور
مَدنية وآياتها ٦٤ آيَة

تفسيُـر سُـورَة الفـرقـــان
مَكـية وآيـاتـهــا ٧٧ آية

تفسيُــر سُــورَة الشعــرَاء
مكية وآياتهـا ٢٢٧ آية

تفسيــرُ سُــورَة النمـــل
مَكية وآياتها ٩٣ آيـة

تفسيــرُ سُــورة القصـــص
مكيـة وآيـاتـها ٨٨ آيَـة

تفسيــر سُــورة العنْكبُــوت
مَكية وآياتها ٦٩ آيَة

تفسِيُــر سُــورة الـــرّوم
مكية وآياتـها ٦٠ آية

تفسيــرُ سُــورة لقمَــانْ

مكية وآياتها ٣٤ آية

تفسيــرُ سُــورَة السجْــدة
مكية وآياتها ٣٠ آية

تفِسيــرُ سُــورة الأحـــزاب
مدنية وآياتها ٧٣ آية

تفِســير سُــورة سَــــبَأ
مكية وآياتها ٥٤ آيَة

تفسيُــر سُــورة فَـــاطِـــر

مَكية وآياتـهَا ٤٥ آيَة

تفِسيــرُ سُــورة يــس
مكية وآياتـها ٨٣ آية

تفِســير سُورَة الصّـافــات
مَكية وآياتها ١٨٢ آية

تفســيرُ سُــورَة ص

مَكية وآياتها ٨٨ آية

تفســير ســورة الـزمـــر

مكية وآياتها ٧٥ آيَة

تفســيرُ سُــورة غَــافــر
مكية وآياتها ٨٥ آية

تفسيــرُ سُــورة فصّلــت
مكيّة وآيَاتـهَا ٥٤ آيَة

تفســير ســورة الشــورى
مَكية وآياتها ٥٣ آية

تفِسيــرُ سُــورة الــزخــرف

مَكية وآيَاتـها ٨٩ آيَة

تفسيــرُ سُــورة الـدّخَــان

مَكية وآيَاتـها ٥٩ آية

تفسيــرُ سُــورة الجـاثيَـــة
مَكية وآيَاتـها ٣٧ آيَة

تفِســيرُ سُــورة الأحْقــاف
مَكية وآياتـها ٣٥ آيَة

تفسيــرُ سُــورَة محمَّــد

مَدنيّة وآياتها ٣٨ آيَة

تفسيـــرُ ســورَة الفَــتح
مدنية وآياتها ٢٩ آية

معاني القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الحمد

وهي مكية على قول ابن عباس.

وقال مجاهد: هي مدنية.

اعلم أن لها أربعة أسماء هي: (سورة الحمد) و«فاتحةُ الكتاب» و«أم القرآن» وهذا روي عن النبي ﷺ من حديث عمر، وعلي، وابن عباس[(١)].

وروى ابن أبي ذئب عن المقبري، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**فاتحة الكتاب هي السبع المثاني**»[(٢)].

والاسم الرابع أنه يقال لها: «السبع من المثاني» روى ذلك سفيانُ عن السدي، عن عبد خيرٍ عن علي رضي الله عنه.

وروى إسماعيلُ بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قرأ عليه: «أُبي بن كعبٍ» فاتحة الكتاب، فقال: «**والذي نفسي بيده، ما أُنزل** في **التوراة، ولا** في **الإنجيل، ولا** في **الزبور، ولا** في **الفرقان مثلُها، إنها السبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أُعطيته**»[(٣)].

وقيل لها: فاتحةُ الكتاب، لأنه يفتتح بها المصحف، ويفتتح بها القرآن (وتقرأ) في كل ركعة.

وقيل لها: «أم القرآن»؛ لأن أم الشيء ابتداؤه وأصلُه، فسميت بذلك لابتدائهم لها في أول القرآن فكأنها أصلٌ وابتداء، ومكة «أم القرى»؛ لأن الأرض دحِيت من تحتها.

وقال العجاج: «ما فيهم من الكتاب أُم» أي: أصلٌ من الكتاب.

---

(١) الحديث أخرجه الدارقطني والبيهقي في السنن مرفوعا بلفظ «إذا قرأتم الحمد فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم، إنها أُم القرآن، وأُم الكتاب، والسبع المثاني..» وأخرجه أبو داود في الصلاة رقم ٤٥٧ والترمذي في التفسير برقم ٣١٢٣ بلفظ "الحمد لله رب العالمين أُم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني» وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٤٨/٢وابن مردويه، ولفظه أنه ﷺ قال عن أم القرآن: «هي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم».

(٣) الحديث رواه أحمد في المسند ٣٥٧/٢ وأخرجه الترمذي برقم ٢٨٧٨ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وروى: إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قرأ عليه أُبي فاتحة الكتاب فقال: «والذي نفسي بيده، ما أُنـزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها، إنها السبع من المثاني، والقرآن العظيم الذي أُعطيته».

وقيل لها: السبع المثاني لأ ا سبع آيات، تثْنى في كل ركعة، من تثنيته إذا رددته.

وفي هذا قولٌ آخر غريب، وله إسناد حسن قوي، عن جعفر بن محمد الفاريابي، عن مزاحِم بن سعيدٍ قال: حدثنا ابن المبارك، قال: حدثنا ابن جريج، قال: أخبرني أبي أن سعيد بن جبير أخبره، قال: قلت لابن عباس: ما المثاني؟ قال: هي أم القُرآن، استثناها الله تعالى لأمةِ محمد ﷺ في أُم الكتاب، فادخرها لأمة محمد ﷺ حتى أخرجها لهم، ولم يعطها أحدا قبل أمة محمد ﷺ.

وقيل: إن من قال: السبع من المثاني، ذهب إلى أن مِن زائدة للتوكيد، وأجود من هذا القول أن يكون المعنى أ ا السبع من القرآن الذي هو مثانٍ.

تفسير البسملة

ومما قصدنا له قوله ﷻ: **بسم الله الرحمن الرحيم**

قال أكثر البصريين: المعنى: أولُ ما أفتِتح بـ «بسم اللهِ» وأولُ كلامـي «بسم الله».

قال سيبويه[1]: معنى الباء: الإلصاق.

(١) إمام النحو، حجة العرب, أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، الفارسي، ثم البصري. وقد طلـب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وألف فيها كتابه الكبير الـذي لا يدرك شأوه فيه. استملى على حماد بن سلمة، وأخذ النحو عن عيسى بن عمر، ويونس بـن حبيب، والخليل، وأبي الخطاب الأخفش الكبير. وقد جمع يحيى البرمكي ببغداد بينه وبين الكسائي للمناظرة، بحضور سعيد الأخفش، والفراء، وجرت مسألة الزنبور، وهي كذب: أظن الزنبور أشد لسعا من النحلة فإذا هو إياها. فقال سيبويه: ليس المثل كذا، بل: فإذا هو هي. وتشاجرا طـويلا، وتعصبوا للكسائي دونه، ثم وصله يحيى بعشرة آلاف، فسار إلى بلاد فارس، فاتفق موته بشـيراز فيما قيل. وكان قد قصد الأمير طلحة بن طاهر الخزاعي. وقيل: كان فيه مع فرط ذكائه حبسـة في عبارته، وانطلاق في قلمه. قال إبراهيم الحربي: سمي سيبويه، لأن وجنتيه كانتا كالتفـاحتين، بديع الحسن. قال أبو زيد الأنصاري: كان سيبويه يأتي مجلسي، وله ذؤابتان، فإذا قال: حدثني من أثق به فإنما يعنيني. وقال العيشي: كنا نجلس مع سيبويه في المسجد، وكان شابا جميلا نظيفا، قـد تعلق من كل علم بسبب، وضرب بسهم في كل أدب مع حداثة سنه. وقيل: عاش اثنتين وثلاثين =

قال الفراء[(١)]: موضع الباء نصب، والمعنى: بدأت باسم الله، وأبدأ باسم الله.
وفي اشتقاق «اسم» قولان:
أحدهما: من السمو، وهو العلُو، والارتفاع، فقيل: اسم؛ لأن صاحبه بمنـزلة المرتفع به.
وقيل: وهو من وسمت، فقيل: اسم لأنه لصاحبه بمنـزلة السِّمةِ، أي يعرف به.
والقول الثاني خطأ، لأن الساقط منه لامه، فصح أنه من سما يسمو.
قال أحمد بن يحيى[(٢)]: يقال: سِم، وسم، ويقال: اِسم بكسر الألف، ويقال: بضمّها.
فمن ضم الألف أخذه من سموت أسمو.
ومن كسر أخذه من سميت أسمي.

=
سنة، وقيل: نحو الأربعين. قيل: مات سنة ثمانين ومائة وهو أصح، وقيل: سنة ثمان وثمانين ومائة.

(١) الفراء: هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، إمام الكوفة في النحو واللغة، صـاحب كتـاب «معاني القرآن» المتوفى سنة ٢٠٧ هـ.

(٢) العلامة المحدث، إمام النحو، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، مولاهم البغـدادي، صاحب "الفصيح" والتصانيف. ولد سنة مائتين وكان يقول: ابتدأت بالنظر وأنا ابن ثمـاني عشرة سنة، ولما بلغت خمسا وعشرين سنة ما بقي علي مسألة للفراء، وسمعت من القواريري مائة ألف حديث. قلت: وسمع من إبراهيم بن المنذر ومحمد بن سلام الجمحي وابن الأعرابي، وعلي بن المغيرة، وسلمة بن عاصم، والزبير بن بكار. وعنه نفطويه، ومحمـد بـن العبـاس اليزيدي، والأخفش الصغير، وابن الأنباري، وأبو عمر الزاهد، وأحمد بن كامل، وابن مقسم الذي روى عنه أماليه. قال الخطيب: ثقة حجة، دين صالح، مشهور بالحفظ. وقيل: كان لا يتفاصح في خطابه. قال المبرد: أعلم الكوفيين ثعلب. فذُكر له الفراء، فقال: لا يعشره. وكان يزري على نفسه، ولا يعد نفسه. قال ابن مجاهد: فرأيت النبي ﷺ في المنام، فقال لي: أقرئ أبا العباس السلام، وقل له: إنك صاحب العلم المستطيل. قال القفطي: كان يكرر علي كتـب الكسائي والفراء، ولا يدري مذهب البصريين، ولا كان مستخرجا للقياس. وقال الدينوري: كان المبرد أعلم بكتاب سيبويه من ثعلب. وقيل: كان ثعلب يبخل، وخلف ستة آلاف دينار. وكان صحب محمد بن عبد الله بن طاهر، وعلم ولده طاهرا، فرتب له ألفا في الشـهر.ولـه كتاب: "اختلاف النحويين"، وكتاب "القراءات"، وكتاب "معاني القرآن" وأشياء. وعمـر، وأصم، صدمته دابة، فوقع في حفرة، ومات منها في جمادى الأولى سنة إحـدى وتسـعين ومائتين.

قال الكسائي والفراءُ: معنى «بسم الله» باسم الإله، وتركوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى في الثانية، فصارت لاما مشددة، كما قال ﷻ: **لكِنَّا هو اللهُ ربي** [الكهف: ٣٨] ومعناه: «لَكِن أنا هو الله ربي» كذلك قرأها الحسن(١).

ولسيبويه في هذا قولان:

أحدهما: أن الأصل إله، ثم جيء بالألف واللام عوضا من الهمزة، وكذلك الناس عنده الأصلُ فيه أناس.

والقول الآخر: هو أيضا قول أصحابه، أن الأصل لاه، ثم دخلت عليه الألف واللام وأنشدوا:

لاهِ ابن عمك لا أفضلْتَ في **حسبٍ** عني **ولا أنت دياني فتخزوني**(٢)

ويسأل عن التكرير في قوله ﷻ: **الرحمن الرحيم** .

فروي عن ابن عباس أنه قال: **الرحمن الرحيم** اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر، فالرحمن الرقيق، والرحيم العاطف على خلقه بالرزق(٣).

قال محمد بن كعب القُرظي: «الرحمنُ» بخلقه «الرحيم» بعباده فيما ابتدأهم به، من كرامته، وحجته.

وقال عطاء الخراساني: كان الرحمن، فلما اختزل الرحمن من أسمائه صار «الرحمن الرحيم».

وقال العرزمي(٤)**:** «الرحمن» بجميع الخلق «الرحيم» بالمؤمنين.

---

(١) هذه قراءة أُبي بن كعب والحسن، وهي من القراءات الشاذة، انظر المحتسب لابن جني ٢٩/٢.

(٢) البيت لذي الإصبع العدواني من قصيدة مطلعها:

يا من لِقلْبٍ شديد الهم محزون أمسى تذكر «ريا» أم هارون

وهو من شواهد المغني ٤٣٠/١ وفي الأغاني ٩٩/٣ وخزانة الأدب ١٧٣/٧ وابن عقيل ٢٤٢/١ والأمالي ٩٣/١ وابن الشجري ٣٦٣/١.

(٣) الأثر أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس، وذكره ابن جرير في جامع البيان ٥٧/١ ورجح أن «الرحمن» و«الرحيم» ليسا بمعنى واحد، فالرحمن فيه زيادة معنى على قوله «الرحيم» في اللغة، فالرحمن الموصوف بعموم الرحمة لجميع خلقه، والرحيم الموصوف بالرحمة لعباده المؤمنين، وذكر القرطبي عن ابن عباس ١٠٥/١.

(٤) العرزمي: هو عبد الملك بن أبي سليمان ميسرة العرزمي، صدوق من الطبقة الخامسة توفي سنة =

وقال أبو عبيدة: هما من الرحمة. كقولهم: ندمان ونديم.

وقال قطرب[1]**:** يجوز أن يكون جمع بينهما للتوكيد . وهذا قولٌ حسن، وفي التوكيد أعظم الفائدة، وهو كثير في كلام العرب، يستغني عن الاستشهاد.

والفائدة في ذلك ما قاله محمد بن يزيد[2]: إنه تفضلٌ بعد تفضلٍ، وإنعام بعد إنعام، وتقويةٌ لمطامع الداعين، ووعد لا يخيب آمله.

وقول العرزمي أيضا حسن، لأن «فعلان» فيه معنى المبالغة، فكأنه -والله أعلم- الرحمن بجميع خلقه، ولهذا لم يقع إلا لله تعالى، لأن معناه: الذي وسعت رحمته كل شيء.

ولهذا قُدم قبل «الرحيم».

وصار «الرحيم» أولى من الراحم، لأن «الرحيم» ألزم في المدح، لأنه يدل على أن الرحمة لازمة له، غيرُ مفارقةٍ، والراحم يقع لمن رحم مرة واحدة.

وقال أحمد بن يحيى**:** «الرحيم» عربي، و«الرحمن» عبراني، فلهذا جمع بينهما.

وهذا القولُ مرغوب عنه.

وروى مطرٌ عن قتادة في قوله: **بسم الله الرحمن الرحيم** قال: مدح نفسه. وهذا قول حسن.

قال أبو العباس: النعت قد يقع للمدح، كما تقول: قال جرير الشاعر.

=

١٤٥، انظر تقريب التهذيب ٥١٩/١.

(١) قُطرب: هو محمد بن المستنير البصري «أبو علي» المعروف بقطرب المتوفى سنة ٢٠٦ هـ ـ وهـو لغوي نحوي أخذ النحو عن سيبويه انظر وفيات الأعيان ٦٢٥/١ ومعجم المؤلفين ١٥/١٢.

(٢) إمام النحو أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي, البصري، النحـوي, الأخبـاري، صاحب "الكامل". أخذ عن: أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني. وعنه: أبو بكر الخرائطي، ونفطويه، وأبو سهل القطان، وإسماعيل الصفار، والصولي، وأحمد بن مروان الدينوري، وعِـدة. وكان إماما، علامة، جميلا، وسيما، فصيحا، مفوها، موثقا، صاحب نوادر وطرف. قال ابن حماد النحوي: كان ثعلب أعلم باللغة وبنفس النحو من المبرد، وكان المبرد أكثر تفننا في جميع العلـوم من ثعلب، قلت: له تصانيف كثيرة، يقال: إن المازني أعجبه جوابه، فقال له: قم فأنت المبرد، أي: المثبت للحق، ثم غلب عليه: بفتح الراء. وكان آية في النحو. كان إسماعيل القاضي يقول: ما رأى المبرد مثل نفسه. مات المبرد في أول سنة ست وثمانين ومائتين.

تفسير سورة الفاتحة

١- **وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾** الفرق بين الحمد والشكر: أن الحمد أعم لأنه يقع على الثناء، وعلى التحميد، وعلى الشكر والجزاء.

والشكر مخصوص بما يكون مكافأةً لمن أولاك معروفًا، فصار الحمد أثبت في الآية، لأنه يزيد على الشكر.

ويقال: الحمد خبر، وسبيلُ الخبر أن يفيد، فما الفائدة في هذا؟

والجواب عن هذا: أن سيبويه قال: إذا قال الرجل: الحمد لله بالرفع، ففيه من المعنى مثلُ ما في قوله: حمدت الله حمدا، إلا أن الذي يرفع الحمد، يخبر أن الحمد منه، ومن جميع الخلق لله تعالى، والذي ينصب الحمد، يخبر أن الحمد منه وحده لله تعالى(١).

قال ابن كيسان(٢): وهذا كلام حسن جدا، لأن قولك: الحمد لله مخرجه في الإعراب، مخرج قولك: المالُ لزيدٍ، ومعناه: أنك أخبرت به، وأنت تعتمد أن تكون حامدا، لا مخبرا بشيء، ففي إخبار المخبر بهذا، إقرار منه بأن الله تعالى مستوجبه على خلقه، فهو أحمد من يحمده، إذا أقر بأن الحمد له، فقد آل المعنى المرفوع إلى مثل معنى المنصوب، وزاد عليها بأن جعل الحمد الذي يكون عن فعله، وفعل غيره لله تعالى.

وقال غير سيبويه: إنما يتكلم بهذا تعرضا لعفو الله تعالى ومغفرته وتعظيما له وتمجيدا، فهو خلاف معنى الخبر، وفيه معنى السؤال.

وفي الحديث: «**من شغل بذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**»(٣).

---

(١) قراءة الجمهور ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بالرفع، وعلى ذلك القُراء السبعة، وأما قراءة النصب ﴿الْحَمْدَ لِلَّهِ﴾ فهي قراءة ابن عيينة، ورؤبة بن العجاج، وهي من الشواذ كما ذكره ابن خالويه في شواذ القرآن، وانظر المحتسب لابن جني ٣٧/١.

(٢) ابن كيسان هو أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بابن كيسان المتوفى سنة ٢٩٩ هـ عالم بالعربية لغة ونحوا، أخذ عن المبرد وثعلب، من كتبه المهذب في النحو، وغريب الحديث، ومعاني القرآن، وانظر ترجمته في الأعلام ١٩٧/٦ وشذرات الذهب ٢٣٢/٢.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في سننه في فضائل القرآن بلفظ: «يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضلُ كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه» وقال: حديث حسن غريب.

وقيل: إن مدحه نفسه ﷻ وثناءه عليه، ليعلم ذلك عباده، فالمعنى على هذا: قولوا: الحمد لله. وإنما عيب مدح الآدمي نفسه لأنه ناقص، وإن قال: أنا جواد فثم بخل، وإن قال: أنا شجاع فثم جبن، والله تعالى منـزه من ذلك، فإن الآدمي إنما يمدح نفسه ليجتلب منفعة، ويدفع مضرة، والله تعالى: غني عن هذا.

٢- **وقوله ﷻ: ﴿رب الْعالَمِين﴾.**

قال أهلُ اللغة: الرب: المالك وأنشدوا:

وهو الرب والشهيد على يو ... مِ الحيارين والبـلاءُ بـلاءُ[1]

وأصلُ هذا أنه يقال: ربه، يربه، رباً، وهو راب، ورب: إذا قام بصلاحه.

ويقال على التكثير: رباه وربه، وربته.

وروى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿**رب العا**لمين﴾ قال: الجن والإنس. وروى الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: الجن عالم، والإنس عالم، وسوى ذلك، للأرض أربع زوايا في كل زاوية ألف وخمس مائة عالم خلقهم الله لعبادته.

وقال أبو عبيدة: ﴿**رب العا**لمين﴾ أي: المخلوقين.

وأنشد العجاج: «فَخندفٌ هامة هذا العالم».

والقول الأول: أجل هذه الأقوال، وأعرفها في اللغة؛ لأن هذا الجمع إنما هو جمع ما يعقل خاصة. و«عالمٌ» مشتق من العلامة.

وقال الخليل: العلم، والعلامةُ، والمعلم، ما دل على الشيء، فالعالم دالّ على أن له خالقًا ومدبرا.

٣- **وقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يومِ الدين﴾** ويقرأ ﴿**مالِكِ يومِ الدين**﴾[2]

واختار أبو حاتم[3] (مالِكِ)، قال: وهو أجمع من (مِلِكِ)، لأنك تقول: إن الله مالك

---

(١) البيت للحارث بن حلزة، أطلق فيه لفظ الرب على الملك، والحياران: موضع غزا فيه أهله المنـذر ابن ماء السماء، وهو في الصحاح للجوهري ١٣٠/١ وجامع الأحكام للقرطبي ١٣٦/١.

(٢) قرأ عاصم والكسائي (مالِكِ يوم الدين) بألفٍ، وقرأ الباقون "مِلِكِ" وكلاهما من القراءات السبع المتواترة وانظر السبعة لابن مجاهد ص١٤٠.

(٣) الإمام العلامة أبو حاتم، سهل بن محمد بن عثمان، السجستاني ثم البصري، المقرئ النحوي اللغوي =

الناس، ومالك الطير، ومالك الريح، ومالك كل شيء من الأشياء، ونوع من الأنواع، ولا يقال: الله مِلك الطير، ولا مِلك الريح، ونحو ذلك وإنما يحسن "مِلك" الناس وحدهم.

وخالفه في ذلك جِلّةُ أهل اللغة، منهم «أبو عبيد»[(١)] وأبو العباس «محمد بن يزيد»[(٢)] واحتجوا بقوله تعالى: **لمن الْملْك الْيوم** [غافر: ١٦]؟ والمُلْك: مصدر المِلِك، ومصدر المالك «مِلْك» بالكسر، وهذا احتجاج حسن.

وأيضا فإن حجة «أبي حاتم» لا تلزم، لأنه إنما لم يستعمل مِلك الطير، والرياح، لأنه ليس فيه معنى مدح.

وحدثنا محمد بن جعفر بن محمد عن أبي داود بن الأنباري قال: حدثنا محمد ابن إسماعيل قال: حدثنا عمرو عن أسباط عند السدي -وهو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي مالك- عن أبي مالك، وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ قال: «**مالِك يومِ الدين**» «يوم الدين»: هو يوم الحساب.

وقال مجاهد: **الدين** الجزاءُ، والمعنيان واحد؛ لأن يوم القيامة يوم الحساب، ويوم الجزاء. والدين في غير هذه الطاعة، والدين أيضا العادةُ، كما قال:

=

صاحب التصانيف. أخذ عن: يزيد بن هارون، ووهب بن جرير، وأبي عبيدة بن المثنى، وأبي زيد الأنصاري، وأبي عامر العقدي، والأصمعي، ويعقوب الحضرمي، وقرأ عليه القرآن، وتصدر للإقراء والحديث والعربية. حدث عنه: أبو داود، والنسائي في كتابيهما، وأبو بكر البزار في "مسـنده"، ومحمد بن هارون الروياني، وابن صاعد، وأبو بكر بن دريد، وأبو روق الهزاني، وعـدد كـثير. وتخرج به أئمة، منهم أبو العباس المبرد، وكان جماعة للكتب يتجر فيها. وله باع طويل في اللغات والشعر، والعروض، واستخراج المُعمى. وقيل: لم يكن باهرا بالنحو. وله كتاب "إعراب القرآن"، وكتاب "ما يلْحن فيه العامة"، وكتاب "المقصور والممدود"، وكتاب "المقاطع والمبادئ"، وكتاب "القراءات"، وكتاب "الفصاحة"، وكتاب "الوحوش"، وكتاب "اختلاف المصاحف"، وغير ذلك. وكان يقول: قرأت "كتاب" سِيبويه على الأخفش مرتين. قلت: عاش ثلاثا وثمانين سنة، ومات في آخر سنة خمس وخمسين ومائتين. وقيل: مات سنة خمسين.

(١) أبو عبيد: هو القاسم بن سلام الهروي الخزاعي المتوفى سنة ٢٢٤ هـ من كبار علماء الحـديث والأدب وله كتاب «غريب القرآن».

(٢) يعني: المبرد.

«أهذا دينه أبدا وديني»(١)؟

والمعاني متقاربة؛ لأنه إذا أطاع فقد دان.

والعادة تجري مجرى الدين، وفلانٌ في دين فلانٍ: أي في سلطانِهِ وطاعتِهِ.

فإن قيل: لم خصت القيامة بهذا؟

فالجواب: أن يوم القيامة يضطر فيه الخلائق إلى أن يعرفوا أن الأمر كله لله تعالى.

وقيل: خصه لأن في الدنيا ملوكًا وجبارين، ويوم القيامة إنما يرجع الأمر كله إلى الله تعالى.

٤- وقوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾. ولم يقل «نعبدك» لأن هذا أوكد.

قال سيبويه: كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم إليهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم.

والعبادة في اللغة: الطاعة مع تذلل وخضوع، يقال: طريق معبد: إذا كان قد ذُلل بالوطْء، وبعير معبد: إذا طُلي بالقطران، أي امتهن كما يمتهن العبد، قال طرفة:

إلى أن تحامتني العشيرة كُلها وأفردت إفراد البعير المعبد(٢)

ويقال: عبد من كذا، أي أنف منه، كما قال الشاعر:

«وأعبد أن تهجى تميمٌ بدارم»(٣)

٥- ثم قال تعالى: ﴿وإياك نستعين﴾.

فأعاد «إياك» توكيدا، ولم يقل «ونستعين» كما يقال: المالُ بين زيد وبين عمرو،

---

(١) هذا شطر بيت للمثقب العبدي يذكر فيه ناقته ويتحدث بلسانها، وتمامه كما في الصحاح للجوهري ١١٨/٥:

تقول إذا درأت لها وضيني أهذا دينه أبدا وديني

وذكره في جامع الأحكام للقرطبي ١٤٤/١، ومعاني القرآن للزجاج ١٠/١.

(٢) البيت لطرفة بن العبد كما في ديوانه ص ٣١، وذكره ابن منظور في لسان العرب مادة عبد.

(٣) هذا عجز بيت للفرزدق، وتمامه كما في لسان العرب:

أولئك قوم إن هجوني هجوتهم وأعبد أن أهجو كُليبًا بدارمِ

وذكره الجوهري في الصحاح، وابن جني في المحتسب ٢٥٨/٢ والبيت غير موجود في ديوانه.

فتعاد «بين» توكيدا، وقال: ﴿إياك﴾ ولم يقل: إياه، لأن المعنى: قل يا محمد «إياك نعبد». على أن العرب ترجع من الغيبة إلى الخطاب، كما قال الأعشى:

عِنده الحزْم والتقى وأسى الصر ع وحـمـلٌ لمضلِـع الأثقـال[(١)]

ثم قال: ورجع من الغيبة إلى الخطاب:

ووفاءٌ إذا أجرت فما غُر ت حبـالٌ وصلتها بحبـال[(٢)]

وقال تعالى: ﴿**وسقاهم ربهم شرابا طهورا**﴾ [الإنسان: ٢١].

ثم **قال:** ﴿**إن هذا كانَ لكُم جزاء**﴾

وعكس هذا أن العرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة، كما **قال تعالى:** ﴿**حتى إذا كُنتم في الفُلْكِ وجرين بهم بريح طيبةٍ**﴾ [يونس: ٢٢].

وفي الكلام حذف والمعنى: وإياك نستعين على ذلك.

٦- ثم **قال تعالى:** ﴿**اهدِنا الصراطَ المستقِيم**﴾.

وهم على الهدى، أي ثبتنا، كما تقولُ للقائم: قُم حتى أعود إليك، أي: اثبت قائما.

ومعنى ﴿**اهدِنا**﴾: أرشِدنا، وأصل هدى أرشد، ومنه: ﴿**واهدِنا إلى سواءِ الصراطِ**﴾ [ص: ٢٢]. ويكون هدى بمعنى: بين، كما قال تعالى: ﴿**وأما ثمود فهديناهم**﴾ [فصلت: ١٧]، ويكون هدى بمعنى ألْهم، كما قال تعالى: ﴿**الذِي أعطَى كُل شيءٍ خلْقَه ثُم هدى**﴾ [طه: ٥٠] أي: ألهمه مصلحته.

وقيل: إتيانُ الأنثى.

ويكون هدى بمعنى دعا، كما قال: ﴿**ولكُل قومٍ هادٍ**﴾ [الرعد: ٧] أي: نبي يدعوهم.

وأصلُ هذا كله: أرشد، والمعنى: أرشدنا إلى الصراط المستقيم.

حدثنا محمد بن جعفر الأنباري، قال: حدثني هاشم بن القاسم الحراني، قال: حدثنا أبو إسحاق النحوي عن حمزة بن حبيبٍ عن حمران بن أعين، عن أبي منصور بن أخي الحارث عن الحارث عن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الصراطُ المستقيم**»: كتاب الله[(٣)].

---

(١) البيت للأعشى الكبير، وهو في ديوانه ص ٩.

(٢) البيت للأعشى الكبير، وهو في ديوانه ص ٩.

(٣) هذا جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه ١٤٩/٢ عن «الحارث بن عبد الله» عن علـي =

وروى مسعر[1] عن منصور عن أبي وائلٍ عن عبد الله في قوله تعالى: **اهدِنا الصراطَ المستقِيم** قال: كتاب الله.

وروى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال: هو الإسلام.

والصراطُ في اللغة: الطريق الواضح، وكتاب الله بمنـزلةِ الريق الواضح، وكذلك الإسلام، وقال جرير:

أمير المؤمنين على صراطٍ إذا اعوج الموارد مستقيم

أمير المؤمنين جمعت دينا وحِلما فاضلاً لذوي الحُلُومِ[2]

٧- ثم **قال تعالى: صِراطَ الذِين أنعمت عليهم** .

روى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس "الذين أنعم عليهم": النبيون.

وقال غيره: يعني الأنبياء والمؤمنين.

وقيل: هم جميع الناس.

ثم **قال تعالى: غَيرِ المغضوبِ عليهم ولاَ الضالين** .

وروي عن عمر أنه قرأ: «صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين»[3].

وحدثنا محمد بن جعفر بن محمد الأنباري، قال: حدثنا محمد ابن إدريس المكي قال: أخبرنا محمد بن سعيد، قال: أخبرنا عمرو عن سماك عن عباد عن عدي بن حاتم عن رسول الله ﷺ قال: «اليهودُ» مغضوب عليهم، و«النصارى» ضالون، قال: قلت: فإني حنيف مسلم، قال: فرأيت وجهه تبسم فرحا ﷺ".

=

رضي الله عنه.

(١) «مسعر بن كدام» هو أبو سلمة الكوفي أحد الأعلام، ثقة ثبت في الحديث توفي في سنة ٥٥ هـ قال عنه ابن المبارك: من كان ملتمسا جليسا صالحًا فليأت حلْقَةَ «مِسعر بن كِدام» وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ١١٣/١٠.

(٢) البيتان لجرير وهما في ديوانه ص ٤١١.

(٣) هذه القراءة ليست من القراءات السبع، بل هي شاذة، وذكرها القرطبي وغيره، والإجماع على أنها سبع آيات.

وروى بديلٌ العقيلي عن عبد الله بن شقيق -وبعضهم يقول عمن سمع النبي ﷺ- وبعضهم يقول «**إن النبي ﷺ قال وهو بوادي القرى وهو على فرسه، وسأله رجلٌ من بني القَين، فقال يا رسول الله: من هؤلاء المغضوب عليهم؟ فأشار إلى اليهود، قال: فمن هؤلاء الضالون؟ قال: هؤلاء الضالون، يعني النصارى**»[1].

فعلى هذا يكونً عاما يراد به الخاص، وذلك كثير في كلام العرب، مستغنٍ عن الشواهد لشهرته.

انتهت سورة الفاتحة

۞ ۞ ۞

(١) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري ٨٣/١ والدر المنثور للسيوطي ١٦/١، وابن كثير ٤٦/١.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة البقرة

سورة البقرة، وهي مدنية، من ذلك:

١ - قوله تعالى: الم .

اختلف أهلُ التفسير، وأهلُ اللغةِ في معني **الم** وما أشبهها. قال: فحدثنا عبد الله ابن إبراهيم البغدادي بالرملة[(١)] قال: حدثنا حفص بن عمر بن الصباح الرقي أبو عمرو[(٢)]، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا شريك عن عطاءٍ، عن أبي الضحى، عن ابن عباس في قوله تعالى: **الم** قال: أنا الله أعلم **الم** أنا اللهُ، أرى **المص** أنا الله، أفْصِلُ.

وروى أبو اليقظان عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، مثلُه.

وشرح هذا القول: إن الألف تؤدي عن معنى «أنا» واللام تؤدي عن اسم الله ﷻ، والميم تؤدي عن معنى «أعلم».

ورأيت أبا إسحاق[(٣)] يميل على هذا القول، ويقول: أَذْهب إلى أن كل حرف منها يؤدي عن معنى.

وحدثنا بكر بن سهل قال: حدثنا أبو صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: **المص** و **كهيعص** و **طه** و **طس** و **طسم** و **يس**

(١) الرملةُ: بلدة على شاطئ دجلة مقابل الكرخ ببغداد، انظر معجم البلدان ٦٩/٣.

(٢) الرقّي: نسبة إلى الرقة، وهي مدينة على طرف الرقة، وانظر اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري ٣٤/٢.

(٣) الإمام، نحوي زمانه, أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، مصنف كتاب: " معاني القرآن "، وله تآليف جمة. لزم المبرد، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهما، فنصحه وعلمه. ثم أدب القاسم بن عبيد الله الوزير، فكان سبب غناه، ثم كان من ندماء المعتضد. مات سنة إحدى عشرة وثلاث مائة وقيل: مات في تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشرة. وله كتاب: "الإنسان وأعضائه"، وكتاب: "الفرس"، وكتاب: "العروض"، وكتاب: "الاشتقاق"، وكتاب: "النوادر"، وكتاب: "فعلت وأفعلت". وكان عزيزا على المعتضد، له رزق في الفقهاء، ورزق في العلماء، ورزق في الندماء، نحو ثلاث مائة دينار. ويقال: توفي سنة ست عشرة. أخذ عنه العربية أبو علي الفارسي، وجماعة.

و **ص** و **حم عسق** و **ق** و **ن والقلم** وأشباه هذا، هو قسم أقسم الله به وهن من أسماء الله تعالى.

وروى ابن علية عن خالد الحذاء، عن عكرمة قال: **الم** قسم.

وحدثنا أحمد بن محمد بن نافع قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا عبد الرازق قال: أخبرنا معمر عن قتادة، في قول الله تعالى: **آلم**، قال: اسم من أسماء القرآن.

وروي عن مجاهد قولان:

قال أبو عبيد: حدثنا أبو مهدي عن سفيان عن خصيف أو غيره- هكذا قال عن مجاهد- قال: في كله، هي فواتح السور.

والقول الآخر: حدثنا به محمد بن جعفر الأنباري قال: حدثني محمد بن بحر، قال: حدثنا موسى عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: **الم** اسم من أسماء القرآن.

قال أبو العباس- وهو اختياره- روي عن بعض أهل السلف أنه قال: هي تنبيه.

وقال أبو عبيدة الأخفش: هي افتتاح كلام.

وقطربٌ[1] يذهب إلى أ ا جيء با لأ م كانوا ينفرون عند استماع القرآن، فلما سمعوا **آلم** و **آلمص** استنكروا هذا اللفظ، فلما أنصتوا له ﷺ أقبل عليهم بالقرآن المؤلف ليثبت في أسماعهم وآذا م، ويقيم الحجة عليهم.

وقال الفراء: المعنى هذه الحروف يا محمد ذلك الكتاب.

وقال أبو إسحاق[2]: ولو كان كما قال: لوجب أن يكون بعده أبدا ذلك الكتاب أو ما أشبهه.

وهذه الأقوال يقْرب بعضها من بعض، لأنه يجوز أن تكون أسماء للسورة، وفيها معنى التنبيه. فأما القسم فلا يجوز، لعلةٍ أوجبت ذلك من العربية.

وأبين هذه الأقوال:

قولُ مجاهد الأول: إ ا فواتح السور، وكذلك قول من قال: هي تنبيه، وقول من قال: هي افتتاح كلامٍ، ولم يشرحوا ذلك بأكثر من هذا، لأنه ليس من مذهب الأوائل.

---

(١) محمد بن المستنير، من علماء الأدب واللغة، لقبه أستاذه سيبويه بقطرب فلزمه توفى سـنة ٢٠٦ هـ. من كتبه «معاني القرآن».

(٢) يعني: الزجاج.

وإنما باقي الكلام عنهم مجملاً، ثم يتأوله أهل النظر، على ما يوجبه المعنى.

ومعنى افتتاح كلام وتنبيه: أ ا بمنـزلة «ها» في التنبيه و «يا» في النداء، والله تعالى أعلم بما أراد.

وقد توقف بعض العلماء عن الكلام فيها وأشكالها، حتى قال الشعبي: لله تعالى في كل كتابٍ سِر، وسِره في القرآن فواتح السور.

وقال أبو حاتم[1]**:** لم نجد الحروف المقطعة في القرآن، إلا في أوائل السور، ولا ندري ما أراد الله تعالى با؟

٢- ثم **قال** ﷻ**:** **ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ** [آية: ٢].

روى خالد الحذاءُ عن عِكْرِمة قال: **ذَٰلِكَ الْكِتَابُ** هذا الكتاب، وكذا قول أبي عبيدة، وأنكره أبو العباس قال: لأن «ذلك» لما بعد، و «ذا» لما قرب، فإن دخل واحد منهما على الآخر، انقلب المعنى، قال: ولكن المعنى: هذا القرآنُ، ذلك الكتاب الذي كنتم تستفتحون به على الذين كفروا.

وقال الكسائي: كأن الإشارة (إلى القرآن الذي في السماء) والقول من السماء، والكتاب، والرسول في الأرض، فقال: ذلك الكتاب يا محمد.

قال ابن كيسان[2]**:** وهذا حسن.

قال الفراء: يكون كقولك للرجل وهو يحدثُك: ذلك والله الحق، فهو في اللفظ بمنـزلة الغائب، وليس بغائب.

والمعنى عنده: ذلك الكتاب الذي سمعت به.

وقيل كتاب لما جمِع فيه، يقال: كتبت الشيء أي جمعته، والكتب: الخرز، وكتبت البغلة منه أيضا، والكتيبةُ: الفِرقة ا تمع بعضها إلى بعض.

٣- ثم **قال تعالى:** **لَا رَيْبَ فِيهِ** . قال قتادة: لا شك فيه.

وكذا هو عند أهل اللغة .

قال أبو العباس: يقال: رابني الشيءُ إذا تبينت فيه الريبة، وأرابني إذا لم أتبينها منه.

---

(١) يعني: السجستاني وقد تقدمت ترجمته.

(٢) أبو الحسن محمد بن أحمد، ت سنة ٢٩٩ هـ، وقد تقدمت ترجمته.

وقال غيره: أراب في نفسه، وراب غيره، كما قال الشاعر:

وقـد رابني قولُهـا يا هناه، ويحك ألحقْت شرا بشرّ(١)

ومنه: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»(٢) ومنه: **ريب المنون** [الطور: ٣٠] أي حوادث الدهر، وما يستراب به.

وأخبر تعالى أنه **لا ريب فيه**، ثم قال بعد: **وإن كنتم في ريبٍ مما نـزلنا على عبدنا** [البقرة: ٢٣].

فالقولُ في هذا أن المعنى: وإن كنتم في قولكم في ريب، وعلى زعمكم وإن كنا قد أتيناكم بما لا ريب فيه، لأنهم قالوا كما قال الذين من قبلهم **وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريبٍ** [إبراهيم: ٩].

٤- ثم قال تعالى: هدى للمتقين [آية: ٢].

والهُدى: البيان والبصيرة.

ثم **قال تعالى: للمتقين** أي: الذين يتقون ما نهوا عنه. والتقوى: أصلُها من التوقي، وهو التستر من أن يصيبه ما يهلك به.

٥- ثم قال تعالى: الذين يؤمنونَ بالغيب... [آية: ٣]

أصلُ الإيمان التصديق، ومنه قوله تعالى: **وما أنت بمؤمنٍ لنا** [يوسف: ١٧].

يقال: آمنت بكذا أي صدقت به.

فإذا قلت مؤمن، فمعناه مصدق بالله تعالى لا غير.

ويجوز أن يكون مأخوذًا من الأمان، أي: يؤمن نفسه بتصديقه وعمله. والله المؤمن: أي يؤمن مطيعه من عذابه.

وروى شيبان عن قتادة **الذين يؤمنونَ بالغيبِ** أي: آمنوا بالبعث، والحساب، والجنة، والنار، فصدقوا بموعود الله تعالى(٣).

قال أبو رزين في قوله تعالى: **وما هو على الغيبِ بضنينٍ** [التكوير: ٢٤] يعني: القرآن.

---

(١) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ص ١٦١.

(٢) الحديث أخرجه النسائي في سننه ١٧٩/٨، والترمذي في سننه برقم ٢٥٢٠، وأحمـد في المسـند ١٥٣/٣.

(٣) انظر الطبري ١٠١/١ وزاد المسير ٢٤/١، والدر المنثور ٢٥/١.

قال ابن كيسان: وقيل **يؤمنونَ بِالْغيبِ** أي: بالقدر.

والغيب في **اللغة:** ما اطمأن من الأرض، ونـزل عما حوله يستتر فيه من دخله.

وقيل: كل شيء مستتر غيب، وكذلك المصدر.

٦- ثم **قال تعالى: ويقيمونَ الصلاةَ** [آية: ٣].

أي: يؤدون الصلاة المفروضة، تقول العرب: قامت السوق وأقمتها، أي أدمتها ولم أعطلها، وفلانٌ يقوم بعمله، منه.

ومعنى إقامة الصلاة: إدامتها في أوقا ا وترك التفريط في أداء ما فيها من الركوع والسجود.

وقيل: الصلاة مشتقة من الصلوين، وهما عرقان في الردف ينحيان في الصلاة.

وقيل: الصلاةُ: الدعاءُ فيها، وذلك معروف، قال الأعشى:

تقـولُ بِـنتي وقـد قربـت مـرتحلا يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثلُ الذي صـليت فاغتمضـي نوما فإن لجنب المرء مضطجعا(١)

والصلاة من الله تعالى الرحمة، ومن الملائكة الدعاء، ومن الناس تكون الدعاء، والصلاة المعروفة.

٧- ثم **قال الله تعالى: ومِما رزقْناهم ينفِقُونَ** [آية: ٣].

أي: يتصدقون ويزكون، كما قال تعالى: **وأنفِقُوا مِن ما رزقْناكُم من قَبل أن يأتِي أحدكُم الْموت فَيقُولَ رب لَولاَ أخرتنِي إِلَى أجلٍ قَرِيبٍ فَأَصدق وأَكُن من الصالِحِين** [المنافقون: ١٠]!!

قال الضحاك: كانت النفقة قربانا يتقربون ا إلى الله تعالى: على قدر جد م، حتى نزلت فرائض الصدقات والناسخات في براءة.

٨- ثم **قال تعالى: والذِين يؤمِنونَ بِما أُنـزِلَ إِلَيك وما أُنـزِلَ مِن قَبلِك...** [آية: ٤].

أي: لا يؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض، كما فعله اليهود والنصارى.

٩- ثم **قال تعالى: وبِالآخِرةِ هم يوقِنونَ** [آية: ٤].

سميت آخرة لأ ا بعد أولى، وقيل: لتأخرها من الناس، وجمعها أواخر.

---

(١) البيتان للأعشى وهما في ديوانه ص ١٠١.

١٠- ثم **قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾** [آية: ٥].

روى إبراهيم بن سعيد عن محمد بن إسحاق، قال: على نورٍ من ربهم، واستقامة على ما جاءهم من عند الله.

١١- ثم **قال تعالى: ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [آية: ٥].

قال ابن إسحاق: أي الذين أدركوا ما طلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا.

وأصلُ الفلاح في اللغة: البقاءُ، وقيل للمؤمن: «مفْلِح» لبقائه في الجنة.

وقال عبيد: أفلح بما شِئْتَ فقد يدرك بالضعف وقد يخدع الأريب[(١)].

أي: ابق بما شئت من كيس وحمق، ثم اتسِع في ذلك، حتى قيل لكل من نال شيئًا من الخير: مفْلح.

١٢- ثم **قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾** [آية: ٦].

هم الكفار الذين ثبت في علم الله تعالى أ م كفار، وهو لفظ عام يراد به الخاص، كما قال تعالى: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾..** [الكافرون: ١، ٢]. ثم قال ﷻ: **﴿وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾** [الكافرون: ٤، ٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

١٣- ثم **قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾** [آية: ٧].

أي: طبع الله على قلوبم وعلى أسماعهم وغطى عليها على جهة الجزاء بكفرهم وصدهم الناس عن دين الله.

وهؤلاء الكفار هم الذين سبق في علمه من أ م لا يؤمنون، ويكون مثل قولهم: أهلكه المالُ وذهب المال بعقله، أي: هلك فيه؛ وبسببه، فهو كقوله: **﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى﴾** [الليل: ١٤، ١٥] فإن ذ لك من الله عن فعلهم في أمره.

١٤- ثم **قال تعالى: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾** [آية: ٧].

قال سيبويه: «غشاوةٌ»: أي غطاء.

١٥- ثم **قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾** [آية: ٨].

روى إسماعيل السدي عن ابن عباس قال: هم المنافقون.

---

(١) البيت لعبيد بن الأبرص وهما في ديوانه ص ٧.

قال أهل اللغة: النفاق مأخوذٌ من نافقاء اليربوع، وهو جحر يخرج منه اليربوع إذا أُخذ عليه الجُحر الذي يدخل فيه.

فقيل «منافق»؛ لأنه يدخل في الإسلام باللفظ، ويخرج منه بالعقد.

١٦- ثم **قال تعالى: وما هم بمؤمنين** [آية: ٨].

فنفى عنهم الإيمان لأ م لا اعتقاد لهم ولا عمل.

١٧- ثم **قال تعالى: يخادِعونَ اللهَ والذين آمنوا..** [آية: ٩].

المخادعةُ في **اللغة:** إظهار خلاف الاعتقاد، وتسمى التقيةُ خِداعا، وهو يكون من واحد.

قال ابن كيسان[1]**:** لأن فيه معنى راوغْت، كأنه قابل شيئًا بشيء.

١٨- ثم **قال تعالى: وما يخدعونَ إلا أنفُسهم..** [آية: ٩].

أي: إن عقوبة ذلك ترجع عليهم.

وفرق أهلُ اللغة بين «خادع» و«خدع» فقالوا: خادع أي قصد الخدع، وإن لم يكن خدع، وخدع معناه: بلغ مراده.

والاختيار عندهم «يخادِعون» في الأولى؛ لأنه غير واقع، والاختيار في الثاني «يخْدعون»؛ لأنه أخبر تعالى أنه واقع بم، لما يطلع عليه من أخبارهم، فعاد ما ستروه وأظهروا غيره وبالاً عليهم.

وقال محمد بن يزيد[2]**:** يجوز الثاني «وما يخادعون» أي: بتلك المخادعة بعينها، إنما يخادعون أنفسهم با، لأن وبالها يرجع عليهم.

١٩- ثم **قال تعالى: وما يشعرونَ** [آية: ٩].

أي: وما يشعرون بذلك.

والمعنى: ما تحل عاقبة الخدع إلا بم.

٢٠- ثم **قال تعالى: في قُلوبِهم مرضٌ فَزادهم اللهُ مرضا..** [آية: ١٠].

روى السدّي عن أبي مالك، وأبي صالح عن ابن عباس قال يقول: في قلوبم شك.

وقال غيره: المرض: النفاق والرياء، والمرض في الجسد، كما أن العمى في القلب، ويقال: مرض فلانٌ: أصابته عِلةٌ في بدنه.

---

(١) محمد بن إبراهيم بن كيسان نحوي لغوي توفي سنة ٢٩٩ هـ.

(٢) يعني: المبرد.

فإن قيل: بم أصابهم المرض؟ قيل: فُعل هذا بهم عقوبة.

وقيل: بإنزال القرآن أصابهم المرض، كما قال تعالى: **وإذا ما أنزلت سورةٌ فمنهم من يقولُ أيكُم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرونَ * وأما الذين في قلوبهم مرضٌ فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرونَ** [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

٢١- ثم **قال تعالى: ولهم عذابٌ أليمٌ** [آية: ١٠].

يقال: آلم إذا أوجع، وهو مؤلم وأليم، والألمُ: الوجع، وجمع «أليم» آلام كأشراف، والأليم: الشديد الوجع.

٢٢- ثم **قال تعالى: بما كانوا يكذبونَ** [آية: ١٠].

قال أبو حاتم: أي بتكذيبهم الرسل، وردهم على الله، وتكذيبهم بآياته، قال: ومن خفف فالمعنى عنده: بكذبهم وقولهم آمنا ولم يؤمنوا، فذلك كذب.

٢٣- ثم **قال تعالى: وإذا قيلَ لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحونَ** [آية: ١١].

فيه قولان:

أحدهما: أنهم قالوا: إنما نحن مصلحون فليس من عادتنا الإفساد.

والآخر: أنهم قالوا: هذا الذي تسمونه فسادا هو عندنا صلاح.

٢٤- **وقوله تعالى: ألا إنهم هم المفسدونَ ولكن لا يشعرونَ** [آية: ١٢].

معنى «ألا» التنبيه، كما قال الشاعر:

ألا إن هذا الدهر يومٌ وليلةٌ وليس على شيء قويمٍ بمستمرّ

٢٥- **وقوله تعالى: ولكن لا يشعرونَ** [آية: ١٢].

قال ابن كيسان: يقال: ما (على من) لم يعلم أنه مفسد من الذم، إنما يذم إذا علم أنه مفسد ثم أفسد على علمٍ!.

قال ففيه جوابان:

أحدهما: أنهم كانوا يعملون الفساد، ويظهرون الصلاح، وهم لا يشعرون أن أمرهم يظهر عند النبي ﷺ.

والوجه الثاني: أن يكون فسادهم عندهم صلاحا، وهم لا يشعرون أن ذلك فساد، وقد عصوا الله ورسوله في تركهم تبيين الحق واتباعه.

٢٦- ثم قال تعالى: وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء [آية: ١٣].

قال ابن عباس: الناس هاهنا أصحاب محمد ﷺ.

قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء.. ؟ [آية: ١٣].

قال أبو إسحاق: أصلُ السفه في اللغة: رقة الحلم، يقال: ثوب سفيه. أي: بالٍ رقيق.

٢٧- ثم قال تعالى: ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون [آية: ١٣].

أي: لا يعلمون أن وبال ذلك يرجع عليهم.

ويقال: إذا وصفوا بالسفه، فلم لا يكون ذلك عذْرا لهم؟

فالجواب: إنه إنما لحقهم ذلك إذ عابوا الحق، فأنـزلوا أنفسهم تلك المنـزلة، كما قال تعالى: **إنْ هم إلا كالأنعام** [الفرقان: ٤٤] لصدهم وإعراضهم، إذ بعده **بلْ هم أضل سبيلاً** [الفرقان: ٤٤]؛ لأن الأنعام قد يصرفها راعيها كيف شاء، وهؤلاء لا يهتدون بالإنذار والعظة.

وأيضا فإذا سفهوا المؤمنين، فهم في تلك الحال مستحقون لهذا الاسم.

٢٨- وقوله تعالى: ولكن لا يعلمون [آية: ١٣].

الجواب عنه كالجواب عن **ولكن لا يشعرون** [آية: ١٢].

٢٩- ثم قال ﷻ: وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم [آية: ١٤].

روى أسباط عن السدي: أما شياطينهم فهم رؤساؤهم في الكفر.

ويبين ما قال، قوله ﷻ: شياطين الإنس والجن [الأنعام: ١١٢].

و«شيطان» مشتق من الشطَن وهو الحَبلُ.

أي: هو ممدود في الشر، ومنه بئر شطونٌ.

٣٠- ثم قال ﷻ: قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون [آية: ١٤].

فأخبر سبحانه بما يكتمون.

٣١- ثم قال ﷻ: اللهُ يستهزئ بهم .. [آية: ١٥].

فيه أجوبة:

أصحها أن معناه: يجازيهم على استهزائهم، فسمى جزاء الذنب باسمه، لازدواج الكلام، وليعلم أنه عقاب عليه، وجزاءٌ به، كما قال ﷻ: **وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثْلُها** [الشورى: ٤٠].

وقيل: هو ما روي في الحديث أن المؤمنين يعطون نورا، فيحال بينهم وبينه.

وقيل: هو أن الله أظهر لهم من أحكامه، خلاف ما لهم في الآخرة، كما أظهروا للمسلمين خلاف ما أسروا.

واستشهد صاحب هذا القول بأن بعده **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** [آية: ١٥].

وقيل: هو مثلُ **سنستدرجهم من حيثُ لا يعلمونَ** [الأعراف: ١٨٢]

وهذه الأقوال ترجع إلى الأول لأ ا مجازاة أيضا.

ومن أحسن ما قيل فيه، ما بينه أن معنى «يستهزئ بم» يصيبهم، كما قال تعالى: **وقد نـزلَ عليكُم في الكِتابِ أنْ إذَا سمِعتم آياتِ اللهِ يكْفَر بِها ويستهزأ بِها فَلاَ تقْعدوا معهم** [النساء: ١٤٠].

٣٢- ثم **قال** ﷻ: **ويمدهم في طُغيانِهم يعمهونَ** [آية: ١٥].

أي: يمدهم في تجاوزهم متحيرين، قال تعالى **إنا لَما طَغى الْماءُ حملْناكُم فِي الْجارِيةِ** [الحاقة: ١١].

وقال مجاهد: «يعمهون»: يترددون.

والمعنى على قوله: يترددون في ضلالتهم.

وحكى أهلُ اللغة: عمه، يعمه، عموها، وعمها، وعمهانا فهو عمه، وعامه: إذا حار.

٣٣- ثم **قال** ﷻ: **أولئِك الذِين اشتروا الضلالَةَ بِالْهدى..** [آية: ١٦].

قال مجاهد: آمنوا ثم كفروا.

ويقال: كيف قال: «اشتروا» وإنما يقال: اشتريت كذا بكذا، إذا دفعت شيئًا وأخذت غيره؟

والجواب عن قول مجاهد: أ م كفروا بعد الإيمان، فصار الكفر لهم بدلاً من الإيمان، وصاروا بمنـزلة من باع شيئًا بشيء.

وقيل: لمّا أعطوا بألسنتهم الإيمان، وأبوه بقلوبم، فباعوا هذا الذي ظهر بألسنتهم، بالذي في قلوبم، والذي في قلوبم هو الحاصل لهم، فهو بمنـزلة العوض، أُخرج من أيديهم.

وقيل: لمّا سمعوا التذكرة والهُدى، ردوها واختاروا الضلالة، فكانوا بمنـزلة من دفع إليه شيءٌ فاشترى به غيره.

قال ابن كيسان: قيل: هو مثل قوله تعالى: **وما خلقْت الْجِن والإِنس إلا**

لِيعبدون [الذاريات: ٥٦] فلما كان خلْقُهم للعبادة، صار ما خالفها مبدلاً عنها، بصدهم عما خلقوا له.

وأصلُ الضلالة: الحيرة، وسمي النسيانُ ضلالةً لما فيه من الحيرة، كما قال ﷻ **قَالَ فَعلْتها إِذًا وأنا مِن الضالين** [الشعراء: ٢٠] أي: الناسين.

ويسمى الهلاك ضلالة، كما قال ﷻ: **وقَالُوا أَءِذَا ضلَلْنا فِي الأَرض أَءِنا لَفِي خلْقٍ جدِيدٍ** [السجدة: ١٠]؟

٣٤- ثم **قال** ﷻ: **فَما ربِحت تجارتهم وما كَانوا مهتدِين** [آية: ١٦].

فأنـزلوا منـزله من أتجر، لأن الربح والخسران إنما يكونان في التجارة، **والمعنى:** فما ربحوا في تجارتهم، ومثلُه قولُ العرب: خسِر بيعه، لأنه قد عرِف المعنى.

٣٥- ثم **قال** ﷻ: **وما كَانوا مهتدِين** .

أي: بفعلهم الذي فعلوه من إيثار الضلالة على الهدى.

ويجوز: وما كانوا مهتدين في عِلم الله ﷻ.

٣٦- ثم **قال** ﷻ: **مثَلُهم كَمثَلِ الَّذِي استوقَد نارا...** [آية: ١٧].

قال ابن كيسان: استوقد بمعنى أوقد، ويجوز أن يكون استوقدها من غيره، أي: طلَبها من غيره.

قال الأخفش - هو سعيد - **الذي** في معنى جمع.

قال ابن كيسان: لو كان كذلك لأعاد عليه ضمير الجمع، كما قال الشاعر:

وإن الذي حانت بفلجٍ دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد(١)

قال: ولكنه واحد شبه به جماعة؛ لأن القصد كان إلى الفعل، ولم يكن إلى تشبيه العين بالعين، فصار مثل قوله تعالى: **ما خلْقُكُم ولاَ بعثُكُم إِلا كَنفْسٍ واحِدةٍ** [لقمان: ٢٨] فالمعنى: إلا كبعث نفس واحدة..

وكإيقاد الذي استوقد نارا.

٣٧- ثم **قال** ﷻ: **فَلَما أَضاءَت ما حولَه ذَهب اللَّه بِنورِهِم** [آية: ١٧].

ويجوز أن يكون «ما» بمعنى «الذي» وأن تكون زائدة، وأن تكون نكرة.

---

(١) البيت للأشهب بن رميلة، انظر لسان العرب، والطبري في جامع البيان ١٤١/١ وابن عطيـة في المحرر ١٨٥/١ والقرطبي في جامع لأحكام القرآن ٢١٢/١.

والمعنى: أضاءت له فأبصر الذي حوله.

٣٨- وقوله ﷻ: يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج [آية: ١٨٩].

سبب نـزول هذه الآية أن بعض المسلمين، سأل النبي ﷺ: لمَ خلقت هذه الأهلة؟ فأنـزل الله ﷻ: **قل هي مواقيت للناس والحج..** .

فجعلها اللهُ ﷻ مواقيت لحج المسلمين، وإفطارهم، وصومهم، ومناسكهم، ولعدة نسائهم، ومحل دينهم، والله أعلم بما يصلح خلقه.

قال أبو إسحاق: هلالٌ مشتق من استهل الصبي: إذا بكى، وأهل القوم بحجةٍ وعمرةٍ: أي رفعوا أصواتهم بالتلبية، فقيل له: هلالٌ؛ لأنه حين يرى يهل الناس بذكره.

وأُهِل، واستهل - ولا يقال: أهل، ويقال: أهللنا أي: رأينا الهلال، وأهللنا شهر كذا وكذا - إذا دخلنا فيه.

وسمي شهرا لشهرته وبيانه.

قال الأصمعي: ولا يسمى هِلالاً حتى يحجر، وتحجيره أن يستدير بخطـة دقيقـة.

وقيل: لليلتين وثلاثٍ.

وقيل: حتى يغلب ضوءه، وهذا في السابعة.

قال أبو إسحاق: والأجود عندي أن يسمى هلالاً لليلتين؛ لأنـه في الثالثة يتبين ضوءه.

٣٩- وقوله ﷻ: وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها [آية: ١٨٩].

روى شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب يقولُ: نـزلت فينا هذه الآية، كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا، لم يدخلوا البيوت من أبوابها، ولكن من ظهورها، فجاء رجلٌ من الأنصار فدخل من قِبل بابه، فنـزلت هذه الآية **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها..** [1] الآية.

٤٠- وقوله ﷻ: وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا [آية: ١٩٠].

قيل: أي ولا تقاتلوا من عاهدتم وعاقدتم.

وقيل: لا تقاتلوا من لم يقاتلكم.

قال ابن زيد: ثم نسخ ذلك ﷻ: **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** [آية: ١٩١]. أي:

(١) الحديث أخرجه البخاري في العمرة ٩/٣ ومسلم في التفسير ٢/ ٦٠٩.

وجدتموهم **وأخرجوهم من حيثُ أخرجوكُم** [آية: ١٩١] يعني: مكة.

٤١- ثم **قال** ﷻ: **والفِتنةُ أشد مِن القَتل** [آية: ١٩١].

قال مجاهد: ارتداد المؤمن أشد عليه من أن يقتل(١).

والفتنةُ في **الأصل:** الاختبار، فتأويل الكلام: الاختبار الخبيثُ الذي يؤدي إلى الكفر، أشد من القتل، وفتنته فُلانةٌ: أي صارت له كالمختبرة، أي اختبر بجمالها، وفتنت الذهب في النار: أي اختبرته لأعلم خالص هو، أم مشوب؟.

وقيل لهذا السبب لكل ما أحميته في النار: فتنته؛ لأنه بذلك كالمختبر.

وقيل في **قوله** ﷻ: **يوم هم على النار يفْتنونَ** [الذاريات: ١٣] هو من هذا أي يشوون.

قال أبو العباس: والقول عندي - واللهُ أعلم - إنما هو يحرقون بفتنتهم، أي يعذبون بكفرهم، من فُتِن الكافر.

وقيل: يختبرون، فيقال: (ما سلككُم في سقر)؟ وأفْتنه العذاب أي جزاه بفتنته، كقولك كرب، وأكربته، والعلم لله تعالى.

يقال: فتن الرجلُ، وفتن، وأفتنته، أي: جعلت فيه فتنةً كقولك: دهشته، وكحلته، هذا قول الخليل، وأفتنته: جعلته فاتنا، وهذا خضِر فِتن.

وقال الأخفش في قوله ﷻ: **بِأيكُم المفْتونُ** [القلم: ٦] قال: يعني الفتنة، كقولك: «خذ ميسوره، ودع معسوره».

وكان سيبويه يأبى أن يكون المصدر على مفعول، ويقول: المعتمد خذْ ما يسر لك منه.

٤٢- **وقوله** ﷻ: **ولاَ تقَاتِلُوهم عِند المسجِدِ الحرامِ حتى يقَاتِلُوكُم فِيهِ** [آية: ١٩١].

قال قتادة: ثم نسخ ذلك بعد فقال: **وقَاتِلُوهم حتى لا تكُونَ فِتنةٌ** .

قال ابن عباس: أي شرك، قال: **ويكُونَ الدين لِلهِ** ويخْلُص التوحيد لله.

ثم **قال: فَإِن انتهوا فَلاَ عدوانَ إِلا على الظَالِمِين** [آية: ١٩٣].

قال قتادة: والظالمُ الذي أبى أن يقول «لا إله إلا الله».

٤٣- ثم **قال** ﷻ: **الشهر الْحرامِ بِالشهرِ الْحرامِ والْحرمات قِصاصٌ** [آية: ١٩٤].

أي: قتالُ الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام.

قال مجاهد: صدت قريش رسول الله ﷺ عن البيت الحرام «ذي القعدة» فأقصه الله

(١) قال أبو عبيدة: أي الكفر أشد من القتل في الأشهر الحرم، انظر مجاز القرآن ٦٨/١.

منهم من قابل، فدخل البيت الحرام في الشهر الحرام، ذي القعدة وقضى عمرةً.

وقال غيره: قال عز وجل: **والْحرمات قِصاصٌ** [آية: ١٩٤] فجمع، لأنه جل ثناؤه أراد الشهر الحرام، والبلد الحرام، وحرمة الإحرام.

٤٤- ثم قال: ﷻ: **فَمن اعتدى عليْكُم** [آية: ١٩٤].

قال مجاهد: أي: من قاتلكم فيه، فاعتدوا عليه فقاتلوه فيه،

سمي الثاني اعتداءً، لأنه جزاء الأول.

٤٥- وقوله ﷻ: **وأنفِقُوا فِي سبِيل اللهِ ولاَ تلْقُوا بِأيْدِيكُم إلى التهلُكَةِ** [آية: ١٩٥].

أصح ما قيل في هذا: أن سعيد بن جبير روي عن ابن عباس «لا تمسِكوا النفقة في سبيل الله فتهلكوا».

وحدثنا محمد بن جعفر الأنباري قال: حدثنا عبد الله بن يحيى قال: حدثنا عاصم قال: حدثنا قيس بن الربيع عن الأعمش عن شقيق قال: قال حذيفة: التهلكة: ترك النفقة[(١)].

وقال البراء والنعمان بن بشير: هو الرجل يذنب الذنب، فيلقي بيده، ثم يقول: لا يغفر لي.

وقال عبيدة: هو الرجلُ يعملُ الذنوب والكبائر ثم يقول: ليس لي توبة نوبةٌ، فيلقي بيديه إلى التهلكة .

قال أبو قلابة: هو الرجل يصيب الذنب فيقول: ليس لي توبة فينهمك في الذنوب.

قال أبو جعفر: والقولُ الأول أولى؛ لأن أبا أيوب الأنصاري يروي قال: نزلت فينا معاشر الأنصار، لما أعز اللهُ دينه، قلنا - سِرا من رسول الله ﷺ- إن أموالنا قد ضاعت، فلو أقمنا فيها وأصلحنا منها ما ضاع، فأنزل الله في كتابه، يرد علينا ما هممنا به: **وأنفِقُوا فِي سبِيل اللهِ ولاَ تلْقُوا بِأيْدِيكُم إلى التهلُكَةِ**

فكانت التهلكة في الإقامة، التي أردنا أن نقيم في أموالنا ونصلحها، فأُمرنا بالغزو.

قال أبو جعفر: فدل على وجوب الجهاد على المسلمين.

وقيل أيضا: معنى **وأحسِنوا** : وأنفقوا.

قال أبو إسحاق: وأحسنوا في أداء الفرائض.

وقال عكرمة: أي: أحسنوا الظن بالله.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٣٣/٦.

وقال ابن زيد: عودوا على من ليس في يده شيء.

والمعنى في قوله: **ولاَ تلْقُوا بِأَيدِيكُم إِلَى التهلُكَةِ** .

على ما تقدم، أي: إن امتنعتم من النفقة في سبيل الله، عصيتم الله فهلكتم، ويجوز أن يكون المعنى: قويتم عدوكم، فهلكتم.

٤٦- وقوله ﷻ: **وأَتِموا الْحج والْعمرةَ لِلهِ...** [آية: ١٩٦].

يروى عن عمر أن إتمامهما ترك الفسخ؛ لأن الفسخ كان جائزا في أول الإسلام.

وقال عبد الله بن سلمة سألت عليا عن قوله تعالى: **وأَتِموا الْحج والْعمرةَ لِلهِ** ما إتمامهما؟ قال: أن تحرم بهما من دويرة أهلك.

قال أبو جعفر: وذهب إلى هذا جماعةٌ من الكوفيين، وقال: وجعِل الميقات حتى لا يتجاوز، فأما الأفضل فما قال علي.

وروى علقمة عن عبد الله قال: لا يجاوز بهما البيت.

وقال مجاهد وإبراهيم: إتمامهما أن يفْعل ما أمر به فيهما.

وهذا كأنه إجماع؛ لأن عليه أن يأتي المشاعر، وما أُمر به، وبذلك يتم حجه.

فأما الإحرام من بلده، فلو كان من الإتمام لفعله رسول الله ﷺ.

وقد قال الحسن: أحرم عِمران بن الحصين من البلد الذي كان فيه، فأنكر ذلك عمر عليه، وقال أيحرم رجلٌ من أصحاب رسول الله من داره؟.

وقيل: «إتمامهما» أن تكون النفقة حلالاً.

وقال سفيان: «إتمامهما» أن يحرم لهما قاصدا، لا لتجارة.

وقرأ الشعبي: (والعمرة لله) بالرفع، وقال: العمرة تطوع. والناس جميعا يقرءو ا بالنصب، وفي المعنى قولان:

قال ابن عمر، والحسن، وسعيد بن جبير، وطاووس، وعطاء، وابن سيرين: هي فريضة.

وقال جابر بن عبد الله، والشعبي: هي تطوع.

وليس يجب في قراءة من قرأ بالنصب أ ا فرض؛ لأنه ينبغي لمن دخل في عملٍ هو لله أن يتمه.

قيل: معنى الحج مأخوذ من قولهم: حججت كذا أي تعرفت كذا فالحاج يأتي مواضع يتعرفها.

قال الشاعر:

يحج مأمومة فــي قعرها لجّفٌ   فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

٤٧- وقوله ﷻ: **﴿فَإِنْ أُحصِرتم..﴾** [آية: ١٩٦] يعني منعتم عن إتمامها.

وفي **الإحصار قولان:**

أحدهما: قاله: ابن عمر، وهو مذهب أهل المدينة، قال: لا يكون إلا من عدو.

قال أبو جعفر: والقول الآخر قاله ابن مسعود، وهو قول أهل الكوفة، أنه من العدو، ومن المرض، وأن من أصابه من ذينك شيءٌ بعث بدي، فإذا نحِر حل.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله.

وروى طاووس عن ابن عباس مثل الأول، قال: وتلا (فإذا أمنتم) قال فهل الأمن إلا من خوف.

فقد صار في الآية إشكال؛ لأن الإحصار عند جميع أهل اللغة إنما هو من المرض، الذي يحبِس عن الشيء.

فأما من العدو، فلا يقال فيه إلا: «حصِر».

يقال: حصِر، حصرا، وفي الأول: أُحصِر، إحصارا.

والقول في **الآية** على مذهب ابن عمر أنه يقال «أقْتلْت الرجل» أي: عرضته للقتل، و«أقبره» جعل له قبرا، وأحصرته- على هذا- عرضته للحصر، كما يقال: أحبسته أي: عرضته للحبس، وأُحصر أي: أصيب بما كان مسببا للحصر، وهو فوت الحج.

وقد روي عن عكرمة عن الحجاج بن عمرو الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من عرج، أو كسر، فقد حل وعليه حجةٌ أخرى**»(1).

قال: فحدثت بذا ابن عباس، وأبا هريرة، فقالا: صدق.

وإنما روي هذا عن عكرمة حجاج الصواف.

وروى الجِلةُ خلاف هذا.

روى سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس وابن طاووس عن أبيه عن ابن

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي برقم ٩٤٠ وحسنه، وأبو داود في المناسك برقم ١٨٦٢ والنســائي في الحج ٥/ ١٩٨ وفي سنده يحيى بن أبي كثير وهو ثقة، لكنه يدلس ويرسل كما قال الحافظ في التقريب، ولكن له شاهد ولذلك حسنه الترمذي. وانظــر الطــبري ٢٢٧/٢ والقــرطبي ٣٧٦/٢.

عباس «لا حصر إلا من عدو».

وروى أبو نجيح عن عكرمة أنّ المحصر يبعث بالهدى، فإذا بلغ الهدى محِله حل، وعليه الحج من قابل.

٤٨- ثم **قال تعالى: فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ** [البقرة: ١٩٦].

قال ابن عمر وابن الزبير وعائشة: من الإبل والبقر خاصة شيءٌ دون شيءٍ.

وروى جعفر عن أبيه عن علي ﷺ: (فما استيسر من الهدي) شاةٌ.

وقال ابن عباس: يكون من الغنم، ويكون شِركًا في دم، وهو مذهب سعد.

٤٩- ثم **قال تعالى: وَلاَ تَحْلِقُوا رُؤوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ** [آية: ١٩٦].

قال مجاهد: يعني يوم النحر.

وقال خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد: حتى ينحر.

وقال أكثر الكوفيين: ينحر عنه الهدي في أي يومٍ شاء في الحرم.

وقال الكسائي في قوله: **مَحِلَّه** : إنما كُسِرت الحاء؛ لأنه من حل يحِل، حيث يحل أمره، ولو أراد حيث يحل لكان محله، وإنما هو على الحلال.

٥٠- ثم **قال تعالى: فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ** [آية: ١٩٦].

روى مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة أنه لما كان مع رسول الله ﷺ، فآذاه القملُ في رأسه، فأمره رسول الله ﷺ أن يحلق رأسه، وقال: «**صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، لكل مسكين مدان، أو انسك بشاةٍ**».

قال أبو جعفر: أي ذلك فعلت أجزأ عنك.

وقال عطاء: هذا لمن كان به قملٌ، أو صداع، أو ما أشبههما.

قال أبو جعفر: وفي الكلام حذف، و المعنى: فحلق، أو اكتحل، أو تداوى بشيءٍ فيه طيب، فعليه فديةٌ.

٥١- ثم **قال تعالى: فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ..** [آية: ١٩٦].

قال الربيع بن أنس: «إذا أمن من خوفه، وبرأ من مرضه» أي: من خوف العدو، والمرض.

وقال علقمة: إذا برأ من مرضه.

٥٢- ثم **قال تعالى: فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ..** [آية: ١٩٦].

التمتع عند الفقهاء المدنيين والكوفيين: أن يعتمر الذي ليس أهلُه «حاضري المسجد الحرام» في أشهر الحج، ويحل من عمرته، ثم يحج في تلك السنة، ولم يرجع إلى أهله بين العمرة والحج، فقد تمتع من العمرة إلى الحج، أي انتفع بما ينتفع به الحلال.

والمتعة، والمتاع في اللغة: الانتفاع، ومنه قوله تعالى: **ومتعوهن** [آية: ٢٣٦].

وقال أهل المدينة: وكذلك إذا اعتمر قبل أشهر الحج، ثم دخلت عليه أشهر الحج ولم يحل، فحل في أشهر الحج، ثم حج بعد فهو متمتع.

وقال الكوفيون: إن كان طاف أكثر طواف العمرة، قبل دخول أشهر الحج، فليس بمتمتع، وإن كان قد بقي عليه الأكثر فهو متمتع.

وقال طاووس: من اعتمر في السنة كلها، في المحرم فما سواه من الشهور، فأقام حتى يحج فهم متمتع.

وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس **فَمن تمتع بِالْعمرة إِلَى الْحج** [آية: ١٩٦].

يقول: من أحرم بالعمرة في أشهر الحج.

وروى عنه عطاء: العمرة لمن أُحصر، ولمن خليت سبيلُه، أصابتهما هذه الآية.

وروى عنه سعيد بن جبير: على من أُحصر الحج في العام القابل، فإن حج فاعتمر في أشهر الحج، فإن عليه الفدية.

فهذه الأقوال عن ابن عباس متفقة، وأصحها ما رواه سعيد بن جبير؛ لأن اتساق الكلام على مخاطبة من أحصر، وإن كان ممن لم يحصر فتمتع، فحكمه هذا الحكم.

فعلى هذا يصح ما رواه عطاءٌ عنه، وكذلك ما رواه علي بن أبي طلحة، غير أن نص التأويل على المخاطبة لمن أحصر.

وقال عبد الله بن الزبير: ليس التمتع الذي يصنعه الناس اليوم، يتمتع بالعمرة قبل الحج، ولكن الحاج إذا فاته الحج، أو ضلت راحلته، أو كُسر حتى يفوته الحج، فإنه يجعله عمرة، وعليه الحج من قابل، وعليه ما استيسر من الهدي.

فتأويل ابن الزبير: أنه لا يكون لمن فاته الحج، لأنه تعالى قال: **فَإِذَا أَمِنتم فَمن تمتع بِالْعمرة إِلَى الْحج** [آية: ١٩٦] فوقع الخطاب لمن فاته الحج بالحصر.

وخالفه في هذا الأئمة، منهم «عمر بن الخطاب» و«علي بن أبي طالب» «سعد» فقالوا: هذا للمحصرين وغيرهم.

ويدلك على أن حكم غير المُحصر في هذا كحكم المحصر، قوله تعالى: **فَمن كَانَ**

مِنكُم مريضا أَو بِهِ أَذًى من رأْسِهِ فَفِديةٌ من صِيامٍ أَو صدقَةٍ أَو نسكٍ [البقرة: ١٩٦] فهذا للمحصر وغيره سواء، وكذلك التمتع.

٥٣- وقوله ﷻ: **فَمن لم يجِد فَصِيام ثَلاثَةِ أَيامٍ فِي الْحج وسبعةٍ إِذَا رجعتم..** [آية: ١٩٦].

قالت عائشة وابن عمر: الصيام لمن تمتع بالعمرة إلى الحج، ممن لم يجد هديا، ما بين أن يهل بالحج إلى يوم عرفة، ومن لم يصم صام أيام منى.

وكان ابن عمر يستحب أن يصوم قبل يوم التروية يوما، ويوم التروية، ويوم عرفة.

وقال الشعبي، وعطاءٌ، وطاووس، وإبراهيم: **فَصِيام ثَلاثَةِ أَيامٍ فِي الْحج** قبل يوم التروية يوما، ويوم التروية، ويوم عرفة.

٥٤- ثم **قال** ﷻ: **وسبعةٍ إِذَا رجعتم..** [آية: ١٩٦].

روى شعبة عن محمد بن أبى النوار عن حيان السلمي قال: سألت ابن عمر عن قوله تعالى: **وسبعةٍ إِذَا رجعتم** قال: إذا رجعتم إلى أهليكم.

وروى: سفيانُ عن منصور عن مجاهد قال: إن شاء صامها في الطريق، إنما هي رخصةٌ. وكذا قال عكرمة والحسن.

والتقدير عند بعض أهل اللغة: إذا رجعتم من الحج أي إذا رجعتم ما كنتم عليه قبل الإحرام من الحل.

وقال عطاء: إذا رجعتم إلى أهليكم، وهذا كأنه إجماع.

٥٥- ثم **قال** ﷻ: **تِلْك عشرةٌ كَامِلَةٌ..** [آية: ١٩٦].

وقد علم أ ا عشرة، وأحسن ما قيل في هذا أنه لو لم يقل: (تلك عشرة كاملة) جاز أن يتوهم السامع أنه إنما عليه أن يصوم ثلاثة في الحج، أو سبعةً إذا رجع، لأنه لم يقل: وسبعةً أخرى.

كما يقول: أنا آخذ منك في سفرك درهمًا، وإذا قدمت اثنين، أي لا آخذ إذا قدمت إلا اثنين.

وقال محمد بن يزيد: لو لم يقل: **تِلْك عشرةٌ** جاز أن يتوهم السامع أن بعدها شيئًا آخر، فقولُه: **تِلْك عشرةٌ** بمنـزلة قولك في العدد: فذلك كذا، وكذا.

وأما معنى (كاملة) فروى هشيم فيه عن عباد بن راشد، عن الحسن قال: (كاملة) من الهدي، أي قد كملت في المعنى الذي جعلت له، فلم يجعل معها غيرها، وهي كاملةُ

الأجر ككمال الهَدي.

٥٦- ثم **قال تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾..** [آية: ١٩٦].

قال مجاهد: أهل الحرم.

وقال الحسن وإبراهيم والأعرج ونافع: هم أهل مكة خاصة.

وقال عطاءٌ مكحول: هم أهل المواقيت ومن بعدهم إلى مكة.

قال أبو جعفر: وقولُ الحسن ومن معه أولى، لأن الحاضر للشيء هو الذي معه، وليس كذا أهلُ المواقيت، وأهل منى، وكلام العرب لأهل مكة أن يقولوا: هم أهلُ المسجد الحرام.

قال أبو جعفر: فتبين أن معنى (حاضري المسجد) لأهل مكة، ومن يليهم، ممن بينه وبين مكة مالا تقصر فيه الصلاة؛ لأن الحاضر للشيء هو الشاهد له ولنفسه، وإنما يكون المسافر مسافرا لشخوصِهِ إلى ما يقصر فيه، وإن لم يكن كذلك لم يستحق اسم غائبٍ.

٥٧- وقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾.. [آية: ١٩٧].

حدثنا محمد بن جعفر الأنباري قال: حدثنا عبد الله بن يحيى، قال: أخبرنا حجاج ابن محمد، قال ابن جريج: قلت لنافع مولى ابن عمر: أسمعت ابن عمر سمى أشهر الحج؟

قال: نعم كان سمى شوالاً، وذا القعدة، وذا الحجة.

وقال ابن عباس: شوالٌ، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة.

وقال أبو جعفر: والقولان يرجعان إلى شيء واحد؛ لأن ابن عمر إنما سمى ذا الحجة لأن فيه الحج، وهو شهر حج.

٥٨- ثم **قال تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾..** [آية: ١٩٧].

قال ابن مسعود وابن عمر: (فرض): لبى.

وعن ابن عباس: أحرم، وقيل: معنى أحرم أوجب على نفسه الإحرام بالعزم وإن لم يلب.

قال أبو جعفر، وحقيقته في اللغة أن (فرض): أوجب.

والمعنى: أوجب فيهم الحج بالتلبية أو بالنية. واحتمل أن يكون معناه من أوجب على نفسه الحج بالتلبية فيهن، فتكون التلبيةُ والحج جميعا فيهن.

واحتمل أن يكون المعنى: من أوجب على نفسه الحج فيهن بالتلبية في غيرهن.

إلا أن محمد بن جعفر الأنباري حدثنا قال: حدثنا عبد الله بن يحيى، قال: أخبرنا حجاج بن محمد قال ابن جريج: أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس قال: «لا

ينبغي لأحد أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج، من أجل قول الله تعالى: **الْحج أشهرٌ معلُوماتٌ فَمن فَرض فِيهن الْحج** فلا ينبغي لأحد أن يلبي بالحج ثم يقيم بأرض».

٥٩- ثم **قال تعالى: فَلا رفَثُ ولا فُسوقٌ ولا جِدالَ فِي الْحج** [آية: ١٩٧].

روى سفيانُ بن حصيف عن مقسم عن ابن عباس قال: الرفثُ: الجماع، والفسوق: السباب. والجدال أن تماري صاحبك حتى تغضبه.

وكذا قال ابن عمر.

وروى طاووس عن ابن عباس وابن الزبير: الرفثُ: التعريض، أي يقول: لو كنا حلالين لكان كذا وكذا.

وقال عطاء وقتادة: الرفثُ: الجماع، والفسوق: المعاصي، والجدالُ: أن يماري بعضهم بعضا حتى يغضِبه.

وروى أبو يحيى عن مجاهد في الجدال كما قال عطاء.

وروى عنه ابن أبي نجيح: لا جدال ولا شك فيه وهو مذهب أبي عمرو بن العلاء[1].

(١) أبو عمرو بن العلاء اسمه زيان المازني ابن عمار, بن العريان التميمي, ثم المازني البصري شيخ القراء, والعربية وأمه من بني حنيفة. اختلف في اسمه على أقوال: أشهرها زبان, وقيل العريان. استوفينا من أخباره في "طبقات القراء". مولده في نحو سنة سبعين. حدث باليسير عن أنس بن مالك, ويحيى بن يعمر, ومجاهد, وأبي صالح السمان, وأبي رجاء العطاردي, ونافع العمري, وعطاء بن أبي رباح, وابن شهاب. وقرأ القرآن على سعيد بن جبير. ومجاهد, ويحيى بن يعمر, وعكرمة, وابن كثير, وطائفة. وورد أنه تلا على أبي العالية الرياحي. وقد كان معه بالبصرة. برز في الحروف, وفي النحو, وتصدر للإفادة مدة. واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم. تلا عليه يحيى اليزيدي, والعباس بن الفضل, وعبد الوارث بن سعيد, وشجاع البلخي, وحسين الجعفي, ومعاذ بن معاذ, ويونس بن حبيب النحوي, وسهل بن يوسف, وأبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس, وسلام الطويل وعدة. وحدث عنه: شعبة, وحماد بن زيد, وأبو أسامة, والأصمعي, وشبابة بن سوار, ويعلى بن عبيد, وأبو عبيدة اللغوي, وآخرون. وانتصب للإقراء في أيام الحسن البصري. قال أبو عبيدة. كان أعلم الناس بالقراءات والعربية, والشعر, وأيام العرب. وكانت دفاتره مِلْءُ بيت إلى السقف, ثم تنسك فأحرقها. وكان من أشراف العرب, مدحه الفرزدق وغيره. قال يحيى بن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: ليس به بأس. وقال أبو عمرو الشيباني: ما رأيت مثل أبي عمرو. قال الأصمعي: كنت إذا سمعت أبا عمرو بن العلاء يتكلم, ظننته لا يعرف شيئًا, كان يتكلم كلاما سهلا. قال اليزيدي: سمعت أبا عمرو يقول: سمع سعيد بن جبير قراءتي فقال: الزم قراءتك هذه. قال الأصمعي: كان لأبي عمرو كل يوم يشترى كوز وريحان بفلسين فإذا أمسى تصدق بالكوز, وقال للجارية: جففي الريحان ودقيه في الأشنان. قال أبو عبيد: حدثني عدة: أن =

وعلى ذلك قرأ برفع «رفثٌ وفسوقٌ» وفتح «جدال».

وهذه الأقوال متقاربة؛ لأن التعريض بالنكاح من سببه، والرفثُ أصله: الإفحاش، ثم يكني به عن الجماع، ويبين لك أنه يقع للجماع قوله تعالى: **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ** [آية: ١٨٧].

والفسوق في اللغة: الخروج عن الشيء.

فسِباب المسلم خروج عن طاعة الله.

وقد روى ابن مسعود عن النبي ﷺ: «**سِباب المسلم فِسقٌ، وقتاله كفرٌ**»[1].

وقيل: قول عطاء وقتادة: الفُسوق: المعاصي، حسن جدا.

على أنه قد روى عبد الله بن وهب، عن يونس بن يزيد، عن نافع عن ابن عمر قال: الفُسوق: إتيان معاصي الله في الحرم، أي من صيد وغيره.

فهذا قول جامع؛ لأن سِباب المسلم داخلٌ في المعاصي، وكذلك الأشياء التي مِنع منها المحرم وحده، والتي منع منها المحرم والحلال.

ومعنى قول مجاهد: «لا شك فيه» أنه في ذي الحجة.

أن النسأة كانوا ربما جعلوا الحج في غير ذي الحجة، ويقف بعضهم بجمعٍ، وبعضهم بعرفة ويتمارون في الصواب من ذلك. وقال النبي ﷺ: «**إن الزمان قد استدار كهيئتِه يوم خلق الله السموات والأرض، وأن الحج** في **ذي الحجة**»[2].

وقال أبو زيد[3]**:** قال أبو عمرو: أراد فلا يكونن رفثٌ، ولا فسوق في شيء يخرج

=

أبا عمرو قرأ على مجاهد. وزاد بعضهم: وعلى سعيد بن جبير. وروينا أن أبا عمرو وأباه هربا من الحجاج ومن عسفه. وحديثه قليل. ذكر غير واحد أن وفاته كانت في سنة أربع وخمسين ومائة. قال الأصمعي: عاش أبو عمرو ستا وثمانين سنة. وقال خليفة بن خياط وحده: مات أبو عمرو وأبو سفيان ابنا العلاء سنة سبع وخمسين ومائة. وقراءة الرفع فَلاَ رَفَثٌ ولاَ فُسوق هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وهي من القراءات السبع، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ١٨٠.

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٣٩/١ ورواه البخاري ١٨/٨ في الأدب بلفـظ «سـباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ومسلم في الإيمان ١/ ٨١ برقم ١١٦ عن ابن مسعود مرفوعا.

(٢) الحديث أخرجه البخاري ٦/١٠ ومسلم رقم (١٦٧٩) وأحمد في مسنده ٣٧/٥، وهو جزء من حديث طويل وليس فيه«والحج في ذي الحجة».

(٣) هو الإمام العلامة، حجة العرب، أبو زيد، سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن صاحب رسـول =

من الحج[(١)].

ثم **ابتدأ النفي** فقال: **ولاَ جِدالَ فِي الْحج** .

فأخبر أن الأول ي.

٦٠- ثم قال تعالى: وتزودوا فَإِن خير الزادِ التقْوى [آية: ١٩٧].

روى سفيان عن عمرو عن عكرمة قال: «كان أناس يقدمون مكة في الحج بغير زادٍ، فأُمروا بالزاد».

وقال مجاهد: كان أهلُ اليمن يقولون لا تتزودوا فتتوصلُون من الناس، فأُمروا أن

=

الله ﷺ أبي زيد الأنصاري، البصري، النحوي، صاحب التصانيف. ولد سنة نيف وعشرين ومائة. وحدث عن: سليمان التيمي، وعوف الأعرابي، وابن عون، ومحمد بن عمرو بن علقمة، ورؤبة بن العجاج، وأبي عمرو بن العلاء، وسعيد بن أبي عروبة، وعمرو بن عبيد القدري، وعدة.
حدث عنه: خلف بن هشام البزار، وتلا عليه، وأبو عبيد القاسم، وأبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي، وأبو حاتم السجستاني، وأبو عثمان المازني، وعمر بن شبة، وأبو حاتم الرازي، والعباس الرياشي، وأبو العيناء، والكديمي، وأبو مسلم الكجي، ومحمد بن يحيى بن المنذر القزاز، وخلق كثير. قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يجمل القول فيه، ويرفع شأنه، ويقول: هو صدوق. وقال صالح جزرة: ثقة. قلت: جده الأعلى أبو زيد، هو أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ واسمه ثابت بن زيد بن قيس الخزرجي. وعن أبي عثمان المازني قال: كنا عند أبي زيد، فجاء الأصمعي، فأكب على رأسه، وجلس، وقال: هذا عالمنا ومعلمنا منذ ثلاثين سنة، فبينا نحن كذلك، إذ جاء خلف الأحمر، فأكب على رأسه، وقال: هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشرين سنة. المازني: سمعت أبا زيد يقول: وقفت على قصاب، فقلت: بكم البطنان؟ فقال: بمصفعان يا مضرطان، فغطيت رأسي، وفررت. وحكى السيرافي: أن أبا زيد كان يقول: كل ما قال سيبويه: أخبرني الثقة، فأنا أخبرته، وقد مات أبو زيد بعد سيبويه بنيف وثلاثين سنة. قال: ويقال: إن الأصمعي كان يحفظ ثلث اللغة، وكان أبو زيد يحفظ ثلثي اللغة، وكان الخليل يحفظ نصف اللغة، وكان عمرو بن كركرة الأعرابي، يحفظ اللغة كلها. قلت: عمرو هذا ليس بمشهور. قال المبرد: الأصمعي، وأبو عبيدة، وأبو زيد، أعلم الثلاثة بالنحو أبو زيد، وكانت له حلقة بالبصرة. وعن أبي زيد قال: قلت لابن أخ لي: اكتر لنا، فصاح: معشر الملاحون. قلت: ويحك ما تقول؟ قال: أنا أحب النصب. قال أبو موسى الزمن وغيره: مات أبو زيد سنة خمس عشرة ومائتين. وقال أبو حاتم: عاش ثلاثا وتسعين سنة.

(١) هذا على قراءة أبي عمرو فَلاَ رفَثَ ولاَ فُسوق أي: لا يكونن رفثٌ أو فسوق ولاَ جِدالَ فِي الْحج تكون على النفي وهي بالفتح عند الجميع.

يتزودوا.

وقال قتادة نحوا منه.

٦١- ثم **قال تعالى: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾** [آية: ١٩٧].

أي: فمن التقوى، أنْ لا يتعرض الرجلُ لما يحرم عليه من المسألة.

٦٢- ثم **قال تعالى: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾** [آية: ١٩٧].

أي العقول، ولب كل شيء خالصه.

٦٣- ثم **قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ..﴾** [آية: ١٩٨].

حدثنا محمد بن جعفر الأنباري قال: حدثنا الرمادي قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا سفيان عن عمر بن دينار، قال: قال ابن عباس: كان ذُو ا ـاز، وعكاظُ، متجرا للناس في الجاهلية، فلما كان الإسلام كرهوا ذلك، حتى نـزلت: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾** في مواسم الحج.

٦٤- ثم **قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾** [آية: ١٩٨] أي: اندفعتم.

ويقال: فاض الإناء، إذا امتلأ ينصب من نواحيه.

ورجل فياض: أي يتدفق بالعطاء.

قال زهير:

وأبيض فياض يداه غمامةٌ ... على معتفيه ما تغب نوافله

وحديثٌ مستفيض: أي متتابع.

وروى أبو الطفيل عن ابن عباس قال: «إنما سميت عرفات؛ لأن جبريل كان يقول لإبراهيم - عليهما السلام-: هذا موضع كذا. فيقول: عرفت، وقد عرفت، فلذلك سميت عرفات»[(١)].

وقال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء ونعيم بن أبي هند: نحوا منه.

وقال ابن المسيب: قال علي بن أبي طالب ﷺ: بعث الله جبريل إلى إبراهيم -صلى الله عليهما- حتى إذا أتى عرفات قال: قد عرفت. وكان قد أتاها من قبل ذلك، ولذلك سميت عرفة.

٦٥- ثم **قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ..﴾** [آية: ١٩٨].

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس.

قال ابن عباس وسعيد بن جبير: ما بين الجبلين مشعر.

قال قتادة: هي جمع، قال: وإنما سميت جمعا؛ لأنه يجمع فيها بين صلاة «المغرب والعشاء».

قال أبو إسحاق: المعنى: واذكروه بتوحيده، و المعنى الثناء عليه (وإن كُنتم من قبِله) أي: من قبل هدايته.

٦٦- وقوله تعالى: ثُم أَفِيضوا مِن حيثُ أَفَاض الناس [آية: ١٩٩].

قالت عائشة وابن عباس: «كانت العرب تقف بعرفاتٍ، فتتعظم قريش أن تقف معها، فتقف قريش بالمزدلفة، فأمرهم الله أن يفيضوا من عرفات مع الناس».

وقال الضحاك: الناس إبراهيم ﷺ.

قال أبو جعفر: والأول أولى.

روى ابن عيينة عن عمرو بن دينار، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: «خرجت في طلب بعيرٍ لي بعرفة، فرأيت رسول الله ﷺ قائما بعرفة مع الناس، قبل أن يبعث، فقلت: والله إن هذا من الحُمس، فما شأنه واقفًا هاهنا»(1)؟

قال أبو جعفر: الحُمس: الذين شدوا في دينهم، والحماسةُ الشدةُ ويقال «ثُم» في اللغة تدل على الثاني بعد الأول، وبينهما مهلة.. وقد قال الله تعالى بعد **فَاذْكُروا اللهَ عِند الْمشعرِ الْحرامِ** [آية: ١٩٨].

ثُم أَفِيضوا مِن حيثُ أَفَاض الناس .

وإنما الإفاضة من عرفات، قبل ا يء إلى المشعر الحرام؟

وفي هذا جوابان:

أحدهما: أن (ثُم) بمعنى الواو.

والجواب الثاني: وهو المختار أن (ثم) على با ا، والمعنى ثم أُمِرتم بالإفاضة من عرفات من حيث أفاض الناس.

وفي هذا معنى التوكيد لأ م أُمِروا بالذكر عند المشعر الحرام، وأفاضوا من عرفات

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الحج ١٩٩/٢ ولفظه: «أضللت بعيرا لي فذهبت أطلبـه يـوم عرفة، فرأيت رسول الله ﷺ واقفًا مع الناس بعرفة..» الحديث، ورواه مسلم والنسائي، وانظر الدر المنثور ٢٢٧/١.

ثم وكدت عليهم الإفاضة من حيث أفاض الناس، لا من حيث كانت قريش تفيض.

وقال الله تعالى: ﴿ثُم آتينا موسى الْكِتابِ﴾ [الأنعام: ١٥٤]، ويقال فلان كريم، ثم إنه يتفقدنا، وفلان يقاتل الناس ثم إنه رديء في نفسه، أي ثم أزيدك في خبره.

وفي الآية قول آخر حسن على قول الضحاك ﴿**الناس**﴾: إبراهيم عليه السلام، فيكون المعنى من حيث أفاض إبراهيم الخليل وهو المشعر الحرام.

ويكون هذا مثل (الذين قال لهم الناس) وذلك «نعيم بن مسعودٍ الأشجعي».

وقد روي: عنه أنه قال: ﴿**ثُم أَفِيضوا مِن حيثُ أَفَاض الناسِي**﴾ يعني: آدم، وهذه قراءة شاذة[(١)].

٦٧- ثم **قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضيتم مناسِكَكُم..﴾** [آية: ٢٠٠].

قال مجاهد: إراقة الدماء.

٦٨- ثم **قال تعالى: ﴿فَاذْكُروا اللهَ كَذِكْرِكُم آباءَكُم أَو أَشد ذِكْرا..﴾** [آية: ٢٠٠].

روى أبو مالك وأبو صالح عن ابن عباس: «كانت العرب إذا قضت مناسكها وأقاموا بمنى، فيقوم الرجل فيسأل الله فيقول: اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة، عظيم القُبة، كثير المال، فأعطني مثل ما أعطيته»[(٢)].

أي: ليس يذكر الله تعالى، إنما يذكُر أباه، ثم يسألُ أن يعطى في الدنيا.

٦٩- وقوله عز وجل: ﴿فَمِن الناسِ من يقُولُ ربنا آَتِنا فِي الدنيا وما لَه فِي الآَخِرةِ مِن خلاَقٍ﴾ [آية: ٢٠٠].

قال ابن عباس: (الخلاق) النصيب، والمؤمنون يقولون: ﴿**ربنا آتنا** في **الدنيا حسنةً**﴾ قال: المالُ ﴿**وفي الآخرة حسنة**﴾ قال: الجنة.

---

(١) قراءة الجمهور: ﴿ثُم أَفِيضوا مِن حيثُ أَفَاض الناس﴾ أي: انصرفوا من حيث نزل المؤمنون من عرفات، لا من المزدلفة، أما على القراءة الثانية: ﴿مِن حيثُ أَفَاض الناسي﴾ فالمراد به آدم -عليه السلام-، وهي قراءة شاذة كما نبه المصنف، قال ابن جني في المحتسب في شواذ القراءات ١١٩/١: «من حيث أفاض الناسي» يعني آدم -عليه السلام- لقوله تعالى ﴿فَنسِي ولَم نجِد لَه عزما﴾.

(٢) الأثر رواه ابن جرير عن السدي ٢/ ٢٩٨ بلفظه، وأخرج ابن كثير عن سعيد عن ابن عباس قال: «كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول الرجل منهم: كان أبي يطعم الطعام، و يحمل الحمالات- يعني الديات عن الناس- ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم، فأنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿فَاذْكُروا اللهَ كَذِكْرِكُم آباءَكُم أَو أَشد ذِكْرا﴾ انظر تفسير ابن كثير ٣٥٥/١.

وقال هشام عن الحسن: (آتنا في الدنيا حسنة) قال: العلم والعبادةُ، (وفي الآخرة حسنة) قال: الجنةُ.

وروى معمر عن قتادة قال: في الدنيا عافية، وفي الآخرة عافية.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد، إلى أن الحسنة والنعمة من الله.

ثم **قال تعالى:** **وقنا** أي: اصرف عنا.

يقال منه: وقيته كذا: أقيه، وقايةً، ووقاية، ووقاءً. وقد يقال: وقاك اللهُ وقيا.

٧٠- ثم **قال تعالى:** **واللهُ سريع الحِساب** [آية: ٢٠٢].

أي: قد علم ما للمحاسب وما عليه، قبل توفيقه على حسابه، وهو يحاسبه بغير تذكرٍ، ولا روية، وليس الآدمي كذلك.

٧١- ثم قال تعالى: **واذكُروا اللهَ في أيامٍ معدوداتٍ** [آية: ٢٠٣].

أي بالتوحيد والتعظيم **في أيامٍ معدوداتٍ** أي: محصيات.

أمِروا بالتكبير أدبار الصلوات، وعند الرمي مع كل حصاة من حصى الجمار.

وروى سفيانُ عن بكير بن عطاءٍ، عن عبد الرحمن الديلي قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيام** منى **ثلاثةُ أيام "أيام التشريق" فمن تعجل** في **يومين فلا إثم عليه**»[1].

وروى نافع عن ابن عمر: الأيام المعلومات والمعدودات جميعهن أربعةُ أيامٍ، فالأيام المعلومات: يوم النحر، ويومان بعده، والمعدودات: ثلاثة أيام بعد يوم النحر[2] **واذكُروا اللهَ في أيامٍ معدوداتٍ فَمن تعجلَ في يومين فَلا إثْم عليهِ** .

وروي عن عبد الله بن مسعود، وابن عمر، وابن عباس (فلا إثم عليه) مغفور له.

وقال عطاءٌ، وإبراهيم، ومجاهد، وقتادة **فَمن تعجلَ في يومين فَلا إثْم عليهِ** في تعجيله، **ومن تأخر فَلا إثْم عليهِ** في تأخيره.

٧٢- ثم **قال تعالى:** **لِمن اتقَى** [آية: ٢٠٣].

قال عبد الله بن عمر: أُبيح ذا التعجيل من اتقى.

(١) أيام التشريق هي: اليوم الثاني، والثالث، والرابع من أيام عيد الأضحى، أما اليوم الأول فهـو يوم النحر، وسميت أيام التشريق؛ لأن الناس يشرحون لحوم الأضاحي شرائح يجففو ا.

(٢) الحديث ذكره ابن جرير عن مجاهد بلفظ (في أيام معدودات) قال: هي أيام التشريق بمنى وأخرجه مسلم عن نبيشة الهُذلي قال: قال رسول الله (أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكـر لله) صـحيح مسلم ٢/٨٠٠.

فالتقدير على هذا: الإباحةُ لمن اتقى.

وقال ابن مسعود: إ ا مغفرة للذنوب لمن اتقى في حجه.

قال أبو جعفر: وهذا القول مثله قوله الأول، وأما قول إبراهيم[1]: **ومن تأخر فلا إثم عليه** في تأخيره، فتأويلٌ بعيد؛ لأن المتأخر قد بلغ الغاية، ولا يقال: لا حرج عليه!!

وقد قيل: يجوز أن يقال: لا حرج عليه؛ لأن رخص الله يحسن الأخذ با، فأعلم اللهُ تبارك وتعالى أنه لا إثم عليه في تركه الأخذ بالرخص.

ويدل على صحة قول ابن مسعود حديث شعبة عن منصور عن أبي حازم عن أبي

---

(١) يعني إبراهيم النخعي الإمام، الحافظ، فقيه العراق, أبو عمران، إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسـود ابن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن النخع النخعي، اليماني ثم الكوفي، أحد الأعـلام، وهو ابن مليكة أخت الأسود بن يزيد. روى عن خاله، ومسروق، وعلقمة بـن قـيس، وعبيـدة السلماني، وأبي زرعة البجلي، وخيثمة بن عبد الرحمن، والربيع بن خثَيم، وأبي الشـعثاء المحـاربي، وسهم بن منجاب، وسويد بن غفلة، والقاضي شريح، وشريح بن أرطاة، وأبي معمر عبـد الله بـن سخبرة، وعبيد بن نضيلة، وعمارة بن عمير، وأبي عبيدة بن عبد الله، وأبي عبد الـرحمن السـلمي، وخاله عبد الرحمن بن يزيد، وهمام بن الحارث، وخلق سواهم من كبار التابعين. ولم نجد له سماعـا من الصحابة المتأخرين الذين كانوا معه بالكوفة كالبراء وأبي جحيفة وعمرو بن حريث. وقد دخـل على أم المؤمنين عائشة وهو صبي، ولم يثبت له منها سماع؛ على أن روايته عنها في كتـب أبي داود والنسائي والقزويني، فأهل الصنعة يعدون ذلك غير متصل مع عدهم كلهم لإبـراهيم في التـابعين، ولكنه ليس من كبارهم، وكان بصيرا بعلم ابن مسعود، واسع الرواية، فقيه النفس، كـبير الشـأن، كثير المحاسن، رحمه الله تعالى. روى عنه الحكم بن عتيبة، وعمرو بن مرة، وحماد بـن أبي سـليمان تلميذه، وسماك بن حرب، ومغيرة بن مِقْسم تلميذه، وأبو معشر بن زياد بن كليب، وأبـو حصـين عثمان بن عاصم، ومنصور بن المعتمر، وعبيدة بن معتب، وإبراهيم بن مهاجر، والحارث العكْلـي، وسليمان الأعمش، وابن عون، وشباك الضبي، وشعيب بن الحبحاب، وعبيدة بن معتب، وعطاء بن السائب، وعبد الرحمن بن أبي الشعثاء المحاربي، وعبد الله بن شبرمة، وعلي بن مدرك، وفضيل بـن عمرو الفقيمي، وهشام بن عائذ الأسدي، وواصل بن حيان الأحدب، وزبيد اليامي، ومحمـد بـن خالد الضبي، ومحمد بن سوقة، ويزيد بن أبي زياد، وأبو حمزة الأعور ميمون، وخلق سواهم. قـال أحمد بن عبد الله العجلي: لم يحدث عن أحد من أصحاب النبي ﷺ وقد أدرك منهم جماعـة، ورأى عائشة. وكان مفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زما ما، وكان رجلا صالحا، فقيها، متوقيا، قليـل التكلف وهو مختفٍ من الحجاج. مات وله سبع وخمسون سنة أو نحوه. وقال سليم بـن أخضـر: حدثنا ابن عون، قال: مات إبراهيم وهو ما بين الخمسين إلى الستين. سنة ١٩٦ هـ.

هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه**»(١).

والمعنى على هذا: من حج فاتقى في حجه ما ينقصه فلا إثم عليه من الذنوب الخالية.

أي: قد كفّر الحج عنه.

والتقدير: تكفير الإثم لمن اتقى.

حدثنا محمد بن جعفر الأنباري قال: حدثنا حاجب بن سليمان قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا سفيان الثوري عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة**»(٢).

قال أبو جعفر: وقول أبي العالية: (لا إثم عليه) ذهب إثمه كله إن اتقى الله فيما بقي أي: من عمره.

٧٣- وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آية:٢٠٤].

قال ابن عباس: علانيته (ويشهد الله) في الخصومة أن ما يريد الحق، ولا يطلب الظلم (وهو ألد الخصام) ظالم.

وقال محمد بن كعب: هم المنافقون.

وقرأ ابن محيصن: (ويشهد الله) بفتح الياء والهاء والرفع(٣) - ومعناه: ويعلم اللهُ.

٧٤- ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [آية: ٢٠٤].

قال مجاهد: أي ظالمٌ لا يستقيم.

وقال قتادة: شديد جدلٍ بالباطل.

والألد في اللغة: الشديد الخصومة، مشتق من اللديدين وهما صفحتا العنق.

أي: في أي جانبٍ أخذ من الخصومة غلب، كما قال الشاعر:

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ١٤/٣ ومسلم ٩٨٣/٢ ولفظ البخاري «من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه».

(٢) الحديث أخرجه البخاري ٢/٣ ومسلم برقم ١٣٤٩ والترمذي برقم ٩٣٣ في الحج، ومالك في الموطأ ٣٤٦/١ ولفظُ الشيخين «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

(٣) هذه ليست من القراءات السبع، ذكرها الطبري في جامع البيان ٣١٥/٢ وابن كثير ٣٥٩/١ والشوكاني ٢٠٧/١.

إن تحت الأحجار حزما وجودا وخصيمـًا ألـد ذا مِعـلاق[1]

ويروى «معلاق» ويقال: هو من لديديْ الوادي، أي جانبيه.

فصاحب هذه الصفة، يأخذُ من جانب ويدع الاستقامة، واللدود في أحد الشقين.

وقال أبو إسحاق[2]**:** الخِصام جمع خصمٍ.

٧٥- ثم **قال تعالى: وإذا تولى سعى فِي الأرض لِيفْسِد فِيها ويهلِك الْحرثَ والنسل** [آية: ٢٠٥].

أي: إذا فارقك أسرع في فساد الحرث والنسل.

وروى أبو مالك عن ابن عباس: نـزلت في الأخنس بن شريق، خرج من عند النبي ﷺ، فمر بزرع لقومٍ من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع، وعقر الحمر.

وروى أبو إسحاق عن التميمي عن ابن عباس قال: الحرثُ حرثُ الناس، والنسلُ نسلُ كل دابة.

قال قتادة: الحرثُ الزرع: والنسلُ: نسلُ كل شيءٍ.

وحدثنا محمد بن شعيب قال: أخبرني أحمد بن سعيد قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا أبي عن علي بن الحكم عن الضحاك: أما قوله: (ويهلك الحرث والنسل) فالناس وكل دابة، وأما الحرثُ فهي: الجِنانُ، والأصلُ النابت.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال متقاربةُ المعاني، والمعنى: يحرّق ويخربُ ويقتل.

٧٦- ثم **قال تعالى: وإذا قِيلَ له اتق اللهَ أخذَته الْعِزةُ بِالإثْم** [آية: ٢٠٦].

حدثنا محمد بن جعفر الأنباري قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار. قال: حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب قال: قال عبد الله «كفى بالرجل إثمًا أن يقول له أخوه: اتق الله فيقول: عليك نفسك، أأنت تأمرني»[3]؟

٧٧- وقوله تعالى: ومِن الناس من يشري نفْسه ابتِغاءَ مرضاتِ اللهِ.. [آية: ٢٠٧].

---

(١) البيت للمهلهل بن ربيعة.

(٢) يعني الزجاج، وعبارته كما في كتابه معاني القرآن: «ومعنى خصم ألد: الشديد الخصومة والجدل، يقال: رجلٌ ألد، وامرأة لداء و«خصام» جمع خصم، لأن فعلاً يجمع إذا كان صفةً على فعالٍ، نحـو صعب، وصِعاب» ٢٦٧/١.

(٣) الأثر أخرجه الطبراني والبيهقي عن ابن مسعود، وذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٩/٣.

أي: يبيع، ومعنى يبيع نفسه: يبذُلُها في الله.

قال سعيد بن المسيب: أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي ﷺ فاتبعه نفر من قريش من المشركين، فنـزل عن راحلته، فانتثر ما في كنانته، وأخذ قوسه، ثم قال: يا معشر قريش: لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً، وايم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بما في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم، فقالوا: دلنا على بيتك ومالك بمكة، ونخلي عنك!!

وعاهدوه ففعل، فلما قدم على النبي ﷺ قال: أبا يحيى ربح البيع ربح البيع.

فأنـزل اللهُ: **ومِن الناسِ من يشري نفْسه ابتِغاءَ مرضاتِ اللهِ** [آية: ٢٠٧].

وقال قتادة: هم المهاجرون والأنصار.

٧٨- وقوله تعالى: يا أيها الذِين آمنوا ادخلُوا فِي السلْمِ كافةً.. [آية: ٢٠٨].

قال مجاهد: يعني الإسلام.

وروى أبو مالك عن ابن عباس قال: يقول في الإسلام جميعا.

قال أبو جعفر: وأصل السِّلْمِ: الصلح والمسالمة، فيجوز أن يكون المعنى اثبتوا على الإسلام، ويجوز أن يكون المعنى لمن آمن بلسانه.

وقد روي أن قوما من اليهود أسلموا وأقاموا على تحريم السبت، فأمرهم الله أن يدخلوا في جميع شرائع الإسلام.

٧٩- ثم **قال تعالى: ولا تتبِعوا خطُواتِ الشيطاَنِ** [آية: ٢٠٨].

قال الضحاك: هي الخطايا التي يأمر بها.

قال أبو إسحاق: أي لا تقْفُوا آثاره؛ لأن ترككم شيئًا من شرائع الإسلام اتباع للشيطان.

٨٠- ثم **قال تعالى: فَإِن زلَلْتم من بعدِ ما جاءَتكُم الْبينات** [آية: ٢٠٩].

أي: تنحيتم عن القصد.

فَاعلَموا أن اللهَ عزيزٌ لا تعجزونه ولا يعجزه شيء **حكيمٌ** فيما فطركم عليه وشرع لكم من دينه.

٨١- ثم **قال تعالى: هلْ ينظُرونَ إلا أن يأْتِيهم اللهُ فِي ظُللٍ من الْغمامِ** [آية: ٢١٠].

قال مجاهد: إن الله يأتي يوم القيامة في ظُللٍ من الغمام.

وقيل: هلْ ينظُرونَ إلا أن يأْتِيهم اللهُ بما وعدهم من الحسنات والعذاب.

(فأتاهم اللهُ من حيث لم يحتسبوا) أي: بخذلانه إياهم. وهذا قول أبي إسحاق.

وقال الأخفش سعيد: **أن يأتيهم اللهُ** يعني: أمره.

لأن الله تعالى لا يزولُ، كما تقول: خشينا أن تأتينا بنو أمية، وإنما تعني حكمهم.

وقُضِي الأمر أي: فُرغ لهم ما كانوا يوعدون.

٨٢- ثم **قال تعالى: وإلى اللهِ ترجع الأمور** [آية: ٢١٠].

وهي راجعة إليه في كل وقت.

قال قطرب(١)**:** المعنى إن المسألة عن الأعمال، والثواب فيها والعقاب يرجع إليه يوم القيامة، لأ م اليوم غير مسئولين عنها.

وقال غيره: وقد كانت في الدنيا أمور إلى قوم يجورون فيها فيأخذون ما ليس لهم، فيرجع ذلك كله إلى الله، يحكم فيه بالحق.

وبعده: (وقضي الأمر) أي: فُصل القضاء بالعدل بين الخلق.

٨٣ - ثم **قال تعالى: سلْ بني إسرائيلَ كم آتيناهم من آيةٍ بينةٍ...** [آية: ٢١١].

أي: في تصحيح أمر النبي ﷺ.

وقال مجاهد: ما ذُكر منها من القرآن، وما لم يذكر، قال: وهم يهود.

٨٤- ثم **قال تعالى: ومن يبدلْ نعمةَ اللهِ من بعدِ ما جاءَته** [آية: ٢١١].

قال مجاهد: أي يكفُر با، وقيل لهم هذا لأ م بدلوا ما في كتبهم.

٨٥- ثم **قال تعالى: زين للذين كفَروا الْحياةُ الدنيا** [آية: ٢١٢].

قال أبو إسحاق: أي زينها لهم إبليس؛ لأن الله قد زهد فيها، وأعلم أنها متاع الغرور.

وقيل: معناه إن الله خلق الأشياء المُعجمة، فنظر إليها الذين كفروا بأكثر من مقدارها.

٨٦- ثم **قال** ﷻ**: ويسخرونَ من الذين آمنوا** [آية: ٢١٢].

قال: أي في ذات اليد.

قال ابن جريج: يسخرون منهم في طلب الآخرة.

قال قتادة: (فوقهم) أي: في الجنة.

٨٧- ثم **قال تعالى: واللهُ يرزق من يشاءُ بغير حِسابٍ** [آية: ٢١٢].

---

(١) هو أبو علي محمد بن المستنير، البصري المتوفى سنة ٢٠٦ هـ. أخذ النحو عن سيبويه وله كتـاب في معاني القرآن، انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٦٢٥/١.

ليس يرزق المؤمن على قدر إيمانه، ولا يرزق الكافر على قدر كفره.

أي: ليس يحاسب في الرزق في الدنيا على قدر العمل.

وقال قطرب: المعنى - والله أعلم - أنه يعطي العباد من الشيء المقسوم لا من عدد أكثر منه أخذه منه، كالمعطي من الآدميين الألف من الألفين.

قال: ووجه آخر من أن من أنفق شيئًا لا يؤاخذ به، كان ذلك بغير حساب.

٨٨- وقوله تعالى: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً... [آية: ٢١٣].

قال مجاهد: آدم أُمةٌ واحدة.

وروى سعيد بن جبير عن قتادة قال يقول: قال يقول: "كانوا على شريعة من الحق كلهم".

ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم يعمل بطاعة الله على الهدى، وعلى شريعة الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحا.

قال أبو جعفر: (أُمة) من قولهم: أممت كذا أي: قصدته.

فمعنى (أُمة) أن مقْصدهم واحد، ويقال للمنفرد "أمة" أي: مقصده غير مقصد الناس.

والأمة القامة، كأ ا مقصد سائر البدن، والإمة- بالكسر- النعمة؛ لأن الناس يقصدون قصدها، وقيل: إمام؛ لأن الناس يقصدون قصد ما يفعل.

٨٩- ثم **قال تعالى: وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ** [آية: ٢١٣].

أي: يفصل الكتاب بالحكم.

وقرأ الجحدري: (ليحكم) بضم الياء وفتح الكاف.

وقال الفرزدق:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المُنـزلُ[1]

٩٠- ثم **قال تعالى: وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ** [آية: ٢١٣].

أي: وما اختلف في الكتاب إلا الذين أُعطُوه.

قال أبو إسحاق: أي: وما اختلف في حقيقة أمر النبي ﷺ إلا الذين أعطوا علم حقيقته ﷺ.

بغيا بينهم أي للبغي، أي: لم يوقعوا الاختلاف إلا للبغي..

(١) البيت في ديوانه ١٥٥/٢.

٩١- وقوله ﷻ: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾.. [آية: ٢١٣].

وروى أبو مالك عن ابن عباس: اختلف الكفار فيه، فهدى الله الذين آمنوا للحق من ذلك.

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهدانا اللهُ لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا اللهُ له فالناس لنا فيه تبعٌ، فغدا لليهود، وبعد غدٍ للنصارى**»[1].

وفي بعض الحديث: «**هدانا الله ليوم الجمعة**»[2].

وقال زيد بن أسلم: اختلفوا، فاتخذت اليهود السبت، والنصارى الأحد، فهدى اللهُ أمة محمدٍ للجمعة.

واختلفوا في القبلة، واختلفوا في الصلاة، والصيام، فمنهم من يصوم عن بعض الطعام، ومنهم من يصوم بعض النهار.

واختلفوا في «إبراهيم» فهدى الله أمة محمدٍ للحق من ذلك.

قال أبو زيد: واختلفوا في عيسى، فجعلته اليهود لفرية[3]، وجعلته النصارى رباً، فهدى الله المؤمنين.

قال أبو إسحاق: (بإذنه) أي: بعلمه.

٩٢- ثم قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [آية: ٢١٤].

(أم) هاهنا للخروج من حديث إلى حديث.

٩٣- ثم قال تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [آية: ٢١٤].

حكى النضر بن شميل أن "مثل" يكون بمعنى "صفة".

ويجوز أن يكون المعنى: ولما يصبكم مِثْل الذي أصاب الذين من قبلكم. و(خلوا) أي: مضوا.

﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾ أي: الفقر والمرض.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ٢/٢ ومسلم في الجمعة ٥٨٥/٢ ورواه النسائي في سننه ٨٧/٣.

(٢) هذه رواية مسلم.

(٣) يعني: أنه ابن زنى.

وزلزلوا خوفوا وحركوا بما يؤذي.

قال أبو إسحاق: أصل الزلزلة من زل الشيء عن مكانه، فإذا قلت: زلزلته فمعناه: كررت زلزلته من مكانه.

٩٤- ثم **قال تعالى:** **حتى يقُولَ الرسولُ والذِين آمنوا معه متى نصر اللهِ** ؟ [آية: ٢١٤]. أي: بلغ الجهد بهم حتى استبطأوا النصر.

وقال الله تعالى: **ألا إن نصر اللهِ قريبٌ** [آية: ٢١٤] أي: هو ناصر أوليائِهِ لا محالة.

٩٥- ثم **قال تعالى:** **يسألُونك ماذَا ينفِقُونَ** ؟ [آية: ٢١٥]. أي: يتصدقون ويعطون.

قُلْ ما أنفَقْتم من خيرٍ فَلِلْوالِدين والأقْربين واليتامى والمساكِين وابن السبِيل.. [آية: ٢١٥].

قيل: كانوا سألوا على من ينبغي أن يفْضِلوا؟

فقيل: أولى من أفْضِلَ عليه هؤلاء.

٩٦- ثم **قال تعالى:** **وما تفْعلُوا مِن خيرٍ فإن اللهَ بِهِ علِيمٌ** [آية: ٢١٥].

أي: يحصيه، وإذا أحصاه جازى عليه.

٩٧- ثم **قال تعالى:** **كُتِب عليْكُم القِتالُ وهو كُرهٌ لكُم** [آية: ٢١٦].

أكثر أهل التفسير على أن الجهاد فرض، وأن المعنى: فُرض عليكم القتال، إلا أن بعضهم يكفي من بعض.

قال الله تعالى: **وقَاتِلُوا فِي سبِيل اللهِ** [آية: ١٩٠].

قال أبو طلحة في قوله تعالى: **انفِروا خِفَافًا وثِقَالاً** [التوبة: ٤١] ما سمعت اللهُ عذر أحدا. إلا أن سفيان الثوري قال: الجهاد تطوع، ومعنى **كُتِب عليْكُم القِتالُ** على تفضيله.

ثم **قال:** **وهو كُرهٌ لكُم** .

قال أبو إسحاق: التأويل وهو ذو كره لكم، وكرهت الشيء كُرها، وكَرها، وكراهة، وكراهيةً.

وقال الكسائي: كأن الكُره من نفسك، والكَره- بالفتح- ما أُكْرهت عليه.

وعسى أن تكْرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكُم [آية: ٢١٦].

أي: إن قُتِلَ كان شهيدا، وإن قتل أُثيب وغنم، وهدم أمر الكفر، واستدعى بالقتال دخول من يقاتله في الإسلام.

وعسى أن تحِبوا شيئًا القعود عن القتال.

٩٨- وقوله تعالى: يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير... [آية: ٢١٧].

روى سعيد عن قتادة قال: فكان القتالُ فيه كبيرا- كما قال تعالى - ثم نسخ في براءة: **وقاتلوا المشركين كافةً كما يقاتلونكم كافةً** [التوبة: ٣٦].

روى أبو السيار عن جندب بن عبد الله أن النبي ﷺ بعث رهطًا، وبعث عليهم أبا عبيدة بن الحارث - أو عبيدة بن الحارث - فلما ذهب لينطلق بكى صبابةً إلى رسول الله ﷺ، فبعث «عبد الله بن جحش» وكتب له كتابا، وأمره لا يقرأ حتى يبلغ مكان كذا وكذا، وقال: لا تكرهن أصحابك على المسير، فلما بلغ المكان قرأ الكتاب فاسترجع، وقال: سمعا وطاعةً لله ورسوله، قال: فرجع رجلان، ومضى بقيتهم، فلقُوا ابن الحضرمي فقتلوه، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب، فقال المشركون: قتلتم في الشهر الحرام!! فأنزل الله تعالى: **يسألونك عن الشهر الحرام** [1] الآية.

وقيل: إن لم يكونوا أصابوا وزرا، فليس لهم أجر، فأنزل الله تعالى: **إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله** [البقرة: ٢١٨] إلى آخر الآية.

قال مجاهد: قل قتالٌ فيه كبيرٌ أي: عظيم.

وتم الكلام. ثم ابتدأ فقال: **وصد عن سبيل الله وكفرٌ به** [آية: ٢١٧]. أي: بالله (والمسجد الحرام) أي: وصد عن المسجد الحرام. (وإخراج أهله منه) يعني: المسجد الحرام (أكبر عند الله) من القتل في الشهر الحرام. **والفتنةُ أكبر من القتل** .

قال الشعبي: أي: الكفر، والمعنى: أفعالكم هذه كفر. والكفر أكبر من القتل في الشهر الحرام.

٩٩- ثم قال تعالى: ولاَ يزالونَ يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا [آية: ٢١٧].

قال مجاهد: يعني كفار قريش.

وقوله تعالى: أولئك يرجونَ رحمت الله [آية: ٢١٨].

ومعنى (يرجون رحمة الله) وقد مدحهم؟! أنهم لا يدرون ما يختم لهم به.

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم، والطبراني، والبيهقي، بسند صحيح، ورواه ابن جرير، و ابن المنذر، وهو في جامع البيان ٢/ ٣٥٠ وابن كثير ٣٦٨/١.

١٠٠- وقوله تعالى: يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس [آية: ٢١٩].

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس** ثم أنزل: **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون..** [النساء: ٤٣] فكانوا يدعو ا فإذا صلوا العشاء شربوها، فلا يصبحون حتى يذهب عنهم السكر، فإذا صلوا الغداة شربوها، فما يأتي الظهر حتى يذهب عنهم السكر، ثم إن ناسا شربوها، فقاتل بعضهم بعضا، وتكلموا بما لا يرضي الله، فأنزل اللهُ تعالى: **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه** [المائدة: ٩٠].

فحرم الله الخمر و ى عنها، وأمر باجتنابها، كما أمر باجتناب الأوثان.

وروى أبو توبة[1] عن ابن عمر: أُنزلت (إنما الخَمر) إلى قوله (فهل أنتم منتهون) فقال رسول الله ﷺ: حرمت.

وقال عمرو بن شرحبيل: فقال عمر: انتهينا، فإ ا تذهب المال، والعقل.

وأهلُ التفسير يذهبون إلى أن المُحرم لها هذا.

وقال بعض الفقهاء: المُحرم لها آيتان:

إحداهما: قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم [الأعراف: ٣٣].

قال أبو إسحاق: الخمر هذه ا مع عليها، وقياس كل ما تحمل عملها أن يقال له خمر، وأن يكون بمنزلتها في التحريم؛ لأن إجماع العلماء أن القمار كله حرام. وإنما ذكر الميسر من بينه، فجعل كله قياسا على الميسر، والميسر إنما يكون قمارا في الجُزر[2] خاصة، وكذلك كل ما كان كالخمر فهو بمنزلتها.

وتأويل الخمر في اللغة: أنه ما ستر على العقل، يقال لكل ما ستر الإنسان من شجر وغيره: خمر، وما ستره من شجر خاصة الضرا مقصور.

ودخل في «خمار الناس» أي: في الكثير الذي يستتر فيه.

---

(١) أبو توبة: الربيع بن نافع الحلبي سكن طرطوس، قال أبو حاتم: ثقةٌ صدوق، توفي سنة ٢٤١ هـ ـ انظر ذيب التهذيب ٢٥١/٣.

(٢) الجُزر: جمع جزور وهو الناقة أو الجمل.

وخمار المرأة قناعها، لأنه يغطّي الرأس والخمرة التي يسجد عليها، لأ ا تستر الوجه عن الأرض، وكل مسكر خمر؛ لأنه يخالط العقل ويغطيه، فلان مخمور من كل مسكرٍ.

قال سعيد بن جبير ومجاهد: الميسر القمار كله.

فأما الإثم الذي في الخمر فالعداوة والبغضاءُ، وتحولُ بين الإنسان وبين عقله الذي يميز به، ويعرف به ما يجب لخالقه.

والقمار يورث العداوة؛ لأن مال الإنسان يصير إلى غيره بغير جزاء يأخذه عليه.

والمنافع: لذةُ الخمر، والربح فيها، ومصير الشيء إلى الإنسان في القمار بغير كد.

وقال الضحاك: منافعهما قبل التحريم، وإثمُهما بعد التحريم.

١٠١- وقوله تعالى: ﴿ويسألُونك ماذَا ينفِقُونَ قُل الْعفْو﴾ [آية: ٢١٩].

قال طاووس: اليسير من كل شيء.

وقال خالد بن أبي عمران: سألت القاسم وسالمًا فقالا: فضلُ المال: ما يصدق به عن ظهر غنى.

وقال قتادة: هو الفضلُ.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال ترجع إلى شيءٍ واحد؛ لأن العفو في اللغة: ما سهلَ.

يقال: خذ العفو ما عفا لك: أي ما سهل لك.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**أفضلُ الصدقة ما تصدق به عن ظهر غنى**»[1].

فعلى هذا تأويل قول القاسم وسالم. وفي المعنى قول آخر.

قال مجاهد: هي الصدقة المفروضة، والظاهر يدل على القول الأول.

١٠٢- ثم **قال تعالى: ﴿كذَلِك يبين اللهُ لَكُم الآياتِ لَعلكُم تتفَكرونَ فِي الدنيا والآخِرةِ﴾** [آية: ٢١٩، ٢٢٠].

قال أبو جعفر: حدثنا أحمد بن محمد بن نافع قال: حدثنا سلمةُ بن شبيب قال: حدثنا عبد الرازق قال: أخبرنا معمر عن قتادة في قوله تعالى: **﴿لَعلكُم تتفَكرونَ فِي الدنيا**

(١) الحديث أخرجه البخاري ٢٣٤/٣ في الزكاة ولفظُه (خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول). والنسائي بلفظ: (أفضل الصدقة ما ترك غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، تقول المرأة: إما أن تطعمني وإما أن تطلقني..). سنن النسائي ٦٢/٥.

والآخِرةِ .

قال: يقول: لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فتعرفون فضل الآخرة على الدنيا.

قال أبو جعفر: والتقدير على قول قتادة لعلكم تتفكرون في أمر الدنيا والآخرة.

وقيل: هو على التقديم والتأخير، أي: كذلك يبين الله لكم الآيات في أمر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون!!

١٠٣- ثم **قال تعالى: ويسألُونك عن الْيتامى قُلْ إِصلاحٌ لهم خيرٌ** [آية: ٢٢٠].

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نــزلت: **إن الذِين يأكُلُونَ أموالَ الْيتامى ظُلْما..** [النساء: ١٠] إلى آخرها، قالوا:هذه موجبة، فاعتزلوهم وتركوا خلطتهم، فشق ذلك عليهم، فقالوا للنبي ﷺ: إن الغنم قد بقيت ليس لها راعٍ، والطعام ليس له من يصنعه، فنــزلت: **ويسألُونك عن الْيتامى قُلْ إِصلاحٌ لهم خيرٌ** (١) [آية: ٢٢٠] إلى آخرها.

١٠٤- وقوله تعالى: واللهُ يعلَم الْمفْسِد مِن الْمصلِح.. [آية: ٢٢٠].

أي: يعلم من يخالطهم للخيانة، ومن لا يريد الخيانة.

١٠٥- ثم **قال تعالى: ولَو شاءَ اللهُ لأعنتكُم...** [آية: ٢٢٠].

قال مجاهد: أي لو شاء لم يطلِق لكم مخالطتهم، في الأُدم والمرعى.

وروى الحكم عن مقسم عن ابن عباس (ولو شاء الله لأعنتكم) قال: لو شاء لجعل ما أحببتم من أموال اليتامى موبقًا.

وقال أبو عبيدة: لأعنتكُم لأهلككُم.

قال أبو إسحاق: حقيقته لكلفكم ما يشتد عليكم فتعنتون.

قال: وأصلُ العنت في اللغة: من قولهم "عنت البعير عنتا" إذا حدث في رجله كسر بعد جبر، لا يمكنه معه تصريفها.

(إن الله عزيز) أي: يفعل بعزته ما يحب، لا يدفعه عنه أحد.

(حكيم) ذو حكمة فيما أمركم به، من أمر اليتامى وغيره.

١٠٦- وقولُه تعالى: ولا تنكِحوا الْمشركَاتِ حتى يؤمِن [آية: ٢٢١].

أكثر أهل العلم على أن هذه الآية منسوخة، نسخها: **الْيوم أحِل لَكُم الطيبات** إلى قوله: **والْمحصنات مِن الذِين أوتوا الْكِتاب مِن قَبلِكُم** [المائدة: ٥].

---

(١) أخرجه ابن المنذر عن سعيد بن جبير، كما في الدر المنثور للسيوطي ٢٥٥/١.

هذا قول ابن عباس ومكحول، وهو مذهب الفقهاء"مالك وسفيان والأوزاعي"(١).

وروى سفيان عن حماد قال: سألت سعيد بن جبير عن نكاح اليهودية والنصرانية فقال: لا بأس به، قال: قلت فإن الله يقول: **ولا تنكِحوا الْمشركَاتِ حتى يؤمِن** [آية: ٢٢١] فقال: أهل الأوثان والمجوس.

وروى معمر عن قتادة: **ولا تنكِحوا الْمشركَاتِ** قال: المشركات ممن ليس من أهل الكتاب، وقد تزوج حذيفة يهودية أو نصرانية.

فأما **والْمحصنات مِن الذِين أوتوا الْكِتاب مِن قَبلِكُم** [المائدة: ٥] فقيل: هن العفائف، والإماءُ.

١٠٧- ثم **قال تعالى: ولا تنكِحوا الْمشرِكِين حتى يؤمِنوا** [آية: ٢٢١].

أي: لا تزوجوهم بمسلمات **ولَو أعجبكُم** أي: وإن أعجبكم أمره في الدنيا، فمصيره إلى النار.

أولَئك يدعونَ إلَى النارِ.

أي: يعملون بأعمال أهلها، فيكونُ نسلكُم يتربى مع من هذه حالُه.

واللهُ يدعو إلَى الْجنةِ والْمغفِرةِ بِإِذْنِهِ [آية: ٢٢١].

أي يدعوكم إلى أعمال أهل الجنة.

والْمغفِرةِ بِإِذْنِهِ.

قيل: أي بعلمه، أي ما دعاكم إليه وصلةٌ إليهما.

وقيل: بما أمركم به **ويبين آياتِهِ** أي: علاماته.

لَعلهم يتذَكَّرونَ ليكونوا على رجاء التذكر.

١٠٨- ثم **قال تعالى: ويسأَلُونك عن الْمحِيضِ قُلْ هو أَذًى..** [آية: ٢٢٢].

قال قتادة: أي قذر.

وروى ثابت عن أنس (أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة أخرجوها من البيت، فلم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجامعوها في بيتٍ، فسئل النبي ﷺ عن ذلك، فأنـزل اللهُ ﷻ: **ويسأَلُونك عن الْمحِيضِ قُلْ هو أَذًى فَاعتزِلُوا النساءَ فِي الْمحِيضِ** الآية، فقال

---

(١) وهو الذي رجحه ابن جرير، وابن كثير، والقرطبي وغيرهم.

رسول الله ﷺ: «**جامعوهن** في **البيوت، واصنعوا كل شيء إلا النكاح**»[١].

فتبين بهذا الحديث معنى: **فَاعتزلُوا النساءَ فِي الْمحِيض** أن معناه: فاعتزلوهن في الجماع فقط.

١٠٩- ثم قال تعالى: ولاَ تقْربوهن حتى يطْهرنَ.. [آية: ٢٢٢].

أي: حتى ينقطع الدم عنهن.

وقرأ أهل الكوفة: يطهرنَ أي: يغتسلن[٢].

وكذا معنى **يتطَهرنَ** ، قرأ به ابن مسعودٍ، وأُبي.

وقد عاب[٣] قوم **يطْهرنَ** - بالتخفيف- قالوا: لأنه لا يحل المسيس حتى يغتسلن.

قال أبو جعفر: وهذا لا يلزم، فيجوز أن يكون معناه كمعنى **يطهرنَ** ، ويجوز أن يكون معناه حتى يحل لهن أن يتطهرن، كما يقال للمطلقة إذا انقضت عد ا: قد حلت للرجال، وقد بين ذلك بقوله: **فَإِذَا تطَهرنَ** [آية: ٢٢٢].

١١٠- ثم قال تعالى: فَأتوهن مِن حيثُ أمركُم اللهُ.. [آية: ٢٢٢].

قال مجاهد: من حيث نهوا عنه في محيضهن.

وقال إبراهيم: في الفرج.

وقال ابن الحنفية: من قِبل التزويج، من قِبل الحلال.

وقال أبو رزين: من قِبل الطهر.

قال أبو العالية: ويحِب الْمتطَهرِين من الذنوب.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٢٤٦/١ ولفظه: عن أنس ﷺ "أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي فأنزل فيه ويسألُونك عنِ الْمحِيضِ قُلْ هو أَذًى الآية فقال رسول الله ﷺ: (اصنعوا كل شيء إلا النكاح) فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه". وأحمد في المسند ١٣٢/٣.

(٢) قراءة التخفيف والتشديد كلاهما من القراءات السبع، قرأ الجمهور يطْهرنَ بالتخفيف، وقرأ حمزة والكسائي بالتشديد، انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٢٧.

(٣) وفي هذا الرأي نظر، فلا يقال عن قراءة صحيحة متواترة عن النبي ﷺ: إ ا معيبة؛ لأن ما ورد عن رسول ﷺ بطريق التلقي، وثبت عنه بوجه صحيح متواتر، فعلى الرأس والعين، ولا يقال عنه: إن هذا معيب أو خطأ.

وقال عطاءٌ: بالماء.

قال أبو جعفر: وقول عطاءٍ أولى، للحديث، أن النبي ﷺ قال- لأهل مسجد قباء-: «**إن الله قد أثنى عليكم** في **الطهور خيرا، أفلا** تخبروني؟ **قالوا: يا رسول الله** نجده **مكتوبا علينا** في **التوراة: الاستنجاءُ بالماء**»[1].

وهذا لما نـزل: **﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾** [التوبة: ١٠٨].

١١١- وقوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ [آية: ٢٢٣].

أي: موضع حرثٍ لكم[2]، كما تقول: هذه الدار منفعة لك، أي: مكانُ نفعٍ لك، فالمعنى: أنكم تحرثون منهن الولد.

١١٢- ثم **قال تعالى: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾** [آية: ٢٢٣].

أصح ما روي في هذا أن مالك بن أنس، وسفيان، وشعبة، رووا عن محمد بن المنكدر، عن جابر، أن اليهود قالوا: من أتى امرأة في فرجها من دبرها، خرج ولدها أحول، فأنـزل الله: **﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾**.

وكذلك قال مجاهدٌ: «قائمة، وقاعدة، ومقبلة، ومدبرة، في الفرج»[3].

وروى أبو إسحاق عن زايدة عن عميرة قال: "سألت ابن عباس عن العزل فقال: **﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾** إن شِئت فاعزل، وإن شئت فلا تعزل".

قال أبو جعفر: وقال الضحاك: **﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾** متى شئتم.

ومعناه من أين شئتم، أي: من أي الجهات شئتم.

قال أبو جعفر: وأصل الحرث ما يخرج مما يزرع، والله تعالى يخلق من النطفة الولد.

وقوله تعالى: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** فدل على العظة في أن لا يجاوزوا هذا.

١١٣- ثم **قال تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾** [آية: ٢٢٣].

أي: الطاعة. وقيل: في طلب الولد.

١١٤- وقولـه تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آية: ٢٢٤].

---

(١) الحديث أخرجه أحمد ٦/٦ عن شهر بن حوشب بذا اللفظ بدون واو.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٣٦/٦.

(٣) أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن مجاهد ٢٦٣/١ وعزاه إلى أبي داود، وابن جرير، والطبراني.

قال سعيد بن جبير ومجاهد: وهذا لفظُ سعيدٍ - هو الرجل يحلف أن لا يبر، ولا يصلي، ولا يصلح، فيقالُ له: بر فيقول: قد حلفت.

والتقدير في العربية: كراهة أن تبروا.

١١٥- وقوله تعالى: لا يؤاخِذُكُم اللهُ بِاللغوِ فِي أيمانِكُم.. [آية: ٢٢٥]

فيه أقوال:

قال أبو هريرة، وابن عباس، وهذا لفظ أبي هريرة: لغو اليمين: حلف الإنسان على الشيء، يظن أنه كما حلف عليه،فإذا هو غير ذلك.

وقال الحسن بهذا القول، ومجاهد، ومنصور، ومالك.

وروى مالكٌ، وشعبةُ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: «لغو اليمين قولُ الإنسان: لا والله، وبلى والله»[1] وقال بهذا الشعبي.

وقال سعيد بن جبير: هو الرجل يحلف في الأمر الحلال يحرّمه.

وقال زيد بن أسلم قولاً رابعا قال: وهو قول الرجل: أعمى اللهُ بصري إن لم أفعل كذا أخرجني الله من مالي إن لم آتك غدا، فلو آخذه بهذا لم يترك له شيئًا.

ولكِن يؤاخِذُكُم بِما كَسبت قُلُوبكُم [آية: ٢٢٥].

قال: نحو قول الرجل: هو كافر، هو مشرك، لا يؤاخذه حتى يكون ذلك من قِبلِه.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال قولُ عائشة، لأن يحيى القطان قال: حدثنا هشام ابن عروة قال أخبرني أبي عن عائشة، في قوله: **لا يؤاخِذُكُم اللهُ بِاللغوِ فِي أيمانِكُم** قالت: نزلت في قول الرجل: لا والله، وبلى والله.

فهذا إخبار منها عن علمها بحقيقة ما نزلت فيه هذه الآية.

واللغو: في اللغة: ما يلْغى، فيقول الرجل عند الغضب والعجلة: لا والله، وبلى والله، مما لم يعقده عليه قلبه.

وقول أبي هريرة وابن عباس غير خارجٍ من ذا أيضا؛ لأن الحالف إذا حلف على الشيء، يظن أنه الذي حلف عليه فلم يقصده إلى غير ما حلف عليه، فيحلف على ضده، واليمينان لغو، واللهُ أعلم.

فأما قول سعيد بن جبير فبعيد؛ لأن ترك ما حلف عليه من حلال يحرمه، إذا كفر

(١) الحديث أخرجه البخاري عن عائشة ٦٦/٦، ومالك في الموطأ، والبيهقي في سننه.

فليس مذنبا معفوا عنه، بل مثابا قابلاً أمر الله.

وقول زيد بن أسلم محالٌ؛ لأن قول الرجل: أعمى الله بصري دعاءٌ وليس بيمين.

وقيل: اللغو قد أُلغي إثمه.

١١٦- ثم قال تعالى: والله غفورٌ حليمٌ [آية: ٢٢٥].

أي: غفر لكم يمين اللغو، فلم يأمركم فيها بكفارة، ولا ألزمكم عقوبةً. **حليمٌ** في تركِهِ المعاجلة بالعقوبة لمن حلف كاذبا، والله أعلم.

١١٧- وقوله تعالى: ولكِن يؤاخِذُكُم بِما كسبت قُلُوبكُم .

قال ابن جريج: قلت لعطاءٍ: قلت لشيء أعمده: والله لا أفعله، ولم أعقده، قال: وذلك أيضا مما كسبت قلوبكم، وتلا: **ولكِن يؤاخِذُكُم بِما كسبت قُلُوبكُم** . قال عطاء: والتعقيد «والله الذي لا إله إلا هو».

ففسر عطاءٌ أن قوله «والله لا أفعل» مما اكتسبه القلب، وفيه الكفارة، وأن تعقيد اليمين «والله الذي لا إله إلا هو».

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد: **بما كسبت قُلُوبكُم** قال: بما عقدتم عليه.

١١٨- وقوله تعالى: للذِين يؤلُونَ مِن نسائِهم تربص أربعةِ أشهرٍ... [آية: ٢٢٦].

قال أبو جعفر: والتقدير في العربية: للذين يؤلون من اعتزال نسائهم، أي: أن يعتزلوا نساءهم.

روى عطاءٌ عن ابن عباس قال: «كان إيلاءُ أهل الجاهلية، السنة والسنين، وأكثر من ذلك، فوقت الله لهم أربعة أشهر، فمن كان إيلاؤه منهم أقل من أربعة أشهر، فليس بإيلاء». **وفي حديث** ابن عباس أ م كانوا يفعلون ذلك، إذا لم يريدوا المرأة، وكرهوا أن يتزوجها غيرهم، آلوا أي حلفوا أن لا يقربوها.

فجعل الله الأجل يعلِم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر، وإذا تمت ولم يفِئ - أي لم يرجع إلى وطْء امرأته- فقد طلُقت في قول ابن مسعود وابن عباس.

وقرأ أُبي بن كعبٍ: **فإنْ فاءوا فِيهن** [1].

وقال قومٌ: لا يكون موليا حتى يحلف على أكثر من أربعة أشهر، فإذا تمت له

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، وقد ذكرها ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز ٢٦٩/٢ وأبو حيان في البحر المحيط ١٨٢/٢.

أربعةٌ، ولم يجامع فيحنث في يمينه، أُخِذَ بالجماع أو الطلاق.

وروي هذا عن عمر وعلي وأبي الدرداء. رواه مالك عن نافع عن ابن عمر.

وقال مسروق والشعبي: الفيءُ: الجماع.

قال أبو جعفر: والفيءُ في اللغة: الرجوع، فهو على هذا الرجوع إلى مجامعتها، والطلاق مأخوذٌ من قولهم: أطلقت الناقة فطلقت إذا أرسلتها من عقالٍ أو قيدٍ، وكأن ذات الزوجة موثقةٌ عند زوجها، فإذا فارقها أطلقها من وثاق.

ويدل على هذا: أُملك فلانٌ، معناه: صير يملك المرأة، إلا أن المستعمل: أُطلقت الناقة فطلَقت، وطُلقت المرأة فطلُقت، وطلقت.

١١٩- وقوله تعالى: والْمطلَقات يتربصن بِأَنفُسِهِن ثَلاَثَةَ قُروءٍ... [آية: ٢٢٨].

وقال عمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى: ثلاث حيض.

وقالت عائشة وزيد بن ثابت وابن عمر: ثلاثة أطهار.

ويحتج للقول الأول بأن عدة الأمة حيضتان، وإنما عليها نصف ما على الحُرة، وقد قال عمر: «لو قدرت أن أجعلها حيضة ونصف - حيضة - لفعلت».

والقُرءُ عند أهل اللغة: الوقت، فهو يقع لهما جميعا.

قال الأصمعي: ويقال: أقرأت الريح، إذا هبت لوقتها.

وحدثني أحمد بن محمد بن سلمة، قال: حدثنا محمود بن حسان النحوي، قال: حدثنا عبد الملك بن هشام، عن أبي زيد النحوي، عن أبي عمرو بن العلاء قال: من العرب من يسمي الحيض قُرءًا، ومنهم من يسمي الطهر قُرءًا، ومنهم من يجمعهما جميعا فيسمى الحيض مع الطهر قُرءًا.

١٢٠- وقوله تعالى: ولاَ يحِل لَهن أَنْ يكْتمن ما خلَق اللَّه فِي أَرحامِهِن.. [آية ٢٢٨].

قال ابن عمر، وابن عباس: يعني الحبل، والحيض.

وقال قتادة: عِلم أن منهن كواتم، يكتمن ويذْهبن بالولد إلى غيره، فنهاهن اللهُ عن ذلك.

١٢١- ثم **قال تعالى: إِن كُن يؤمِن بِاللَّهِ والْيومِ الآخِرِ** [آية: ٢٢٨].

فليس هذا على أنه أبيح لمن لا يؤمن أن يكتم، وإنما هذا كقولك: إن كنت مؤمنا فاجتنب الإثم، أي فينبغي أن يحجزك الإيمان عنه لأنه ليس من فعل أهل الإيمان.

١٢٢- ثم **قال تعالى: وبعولَتهن أَحق بِردهِن فِي ذَلِك** [آية: ٢٢٨]. وقال

إبراهيم وقتادة: في الأقراء الثلاثة، والتقدير في العربية: الأجل

١٢٣- ثم قال تعالى: ﴿إِنْ أرادوا إِصلاحا﴾ [آية: ٢٢٨].

أي: إن أراد الأزواج بردهن الإصلاح، لا الإضرار.

وروى يزيد النحوي عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿**إِنْ أرادوا إِصلاحا**﴾، وذلك أن الرجل كان إذا طلق امرأته فهو أحق برجعتها وإن طلقها ثلاثًا، فنسخ ذلك فقال: ﴿**الطلاق مرتان فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ**﴾ [آية: ٢٢٩].

١٢٤- وقوله تعالى: ﴿ولهن مِثْلُ الذي عليهن بالمعروف﴾.. [آية: ٢٢٨].

روى عكرمة عن ابن عباس، في قوله عز وجل: ﴿**ولهن مِثْلُ الذي عليهن بالمعروف**﴾، قال: إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أُحب أن تتزين لي.

وقال ابن زيد: يتقُون الله فيهن، كما عليهن أنْ يتقين الله فيهم.

١٢٥- ثم قال تعالى: ﴿وللرجال عليهن درجةٌ﴾.. [آية: ٢٢٨].

قال مجاهد: هو ما فضله الله به عليها من الجهاد، وفضل ميراثه على ميراثها، وكل ما فُضل به عليها.

وقال أبو مالك: له أن يطلقها، وليس لها من الأمر شيءٌ.

١٢٦- وقوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان﴾.. [آية: ٢٢٩].

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿**الطلاق مرتان**﴾ قال: إذا طلق الرجلُ امرأته تطليقتين، فليتق الله في التطليقة الثالثة، فإما يمسكها بمعروف، فيحسن صحابتها، وإما يسرحها بإحسان، فلا يظلمها من حقها شيئًا.

وقال عروة بن الزبير: كان الرجل يطلق امرأته ويرتجعها قبل أن تنقضي عدتها، وكان ذلك له، ولو فعله ألف مرة، ففعل ذلك رجلٌ مرارا، فأنـزل الله تعالى: ﴿**الطلاق مرتان**﴾ فاستقبل الناس الطلاق جديدا من يومئذ، من كان منهم طلق، أو لم يطلق.

والتقدير في العربية: الطلاق لا يملك مع أكثر منه الرجعة مرتان.

ويروى أن رجلاً قال للنبي ﷺ: فأين الثالثة؟ فقال: التسريح بإحسان[1].

١٢٧- ثم قال تعالى: ﴿فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ﴾.. [آية: ٢٢٩].

أي: فالواجب عليكم إمساك بما يعرف أنه الحق. ﴿**أو تسريحٌ بإحسانٍ**﴾.

---

(١) الحديث أخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، والبيهقي عن أبي رزين الأسدي.

أي: يسهل أمرها بأن يطلقها الثالثة.

والسرح في كلام العرب: السهلُ.

١٢٨- وقوله تعالى: ولا يحِل لكُم أن تأخذُوا مِما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافَا ألا يقِيما حدود اللهِ فَإِنْ خِفْتم ألا يقِيما حدود اللهِ [آية: ٢٢٩].

هذا في الخلع الذي بين الزوجين.

قال أبو عبيدة: الخوف هاهنا: بمعنى اليقين.

قال أبو إسحاق: حقيقته عندي أن يكون الغالب عليهما الخوف من المعاندة.

قال ابن جريج: كان طاووس يقول: يحل الفداء، قال الله تعالى: **إلا أن يخافَا ألا يقِيما حدود اللهِ** ولم يكن يقول قول السفهاء: لا تحل حتى تقول: لا أغتسل من جنابة، ولكنه كان يقول: **إلا أن يخافَا ألا يقِيما حدود اللهِ** فيما افترض لكل واحد منهما على صاحبه، في العِشرة، والصحبة.

والمعنى على هذه القراءة: إلا أن يخاف الزوج والمرأة[(١)]

وقرأ الأعمش، وأبو جعفر، وابن وثاب، والأعرج، وحمزة: **إلا أن يخافَا** بضم الياء.

وفي قراءة عبد الله[(٢)]: **إلا أن تخافُوا** بالتاء.

وقيل: المعنى على هاتين القراءتين: إلا أن يخاف السلطان، ويكون الخلع إلى السلطان[(٣)].

وقد قال ذا الحسن، قال شعبة: قلت لقتادة: عن من أخذ الحسن قوله: لا يكون الخلع دون السلطان؟ فقال: أخذه عن زيادٍ، وكان واليا لعمر وعلي رضى الله عنهما.

قال أبو جعفر: وأكثر العلماء على أن ذلك إلى الزوجين.

١٢٩- ثم **قال تعالى: فَلا جناح عليهما فِيما افْتدت بِهِ** [آية: ٢٢٩]، وقد قال في موضع آخر: **فَلا تأخذُوا مِنه شيئًا أتأخذُونه بهتانا وإثْما مبِينا** [النساء: ٢٠]؟

وروى معمر عن الزهري قال: لا يحل لرجل أن تختلع امرأته، إلا أن يؤتى ذلك منها، فأما أن يكون يؤتى ذلك منه، يضارها حتى تختلع منه، فإن ذلك لا يصلح.

وقال أهل الكوفة: حظر عليه ما كان ساقُه إلى المرأة من الصداق في قوله تعالى

---

(١) هذا على قراءة الجمهور إلا أن يخافَا .

(٢) يعني ابن مسعود ﷺ، وهذه القراءة ليست من القراءات السبع.

(٣) راجع القرطبي ١٣٨/٣، وزاد المسير لابن الجوزي ٢٦٥/١.

ولاَ يحِل لَكُم أن تأخذُوا مِما آتيتموهن شيئًا [آية: ٢٢٩]. ثم أطلقه **﴿إلا أن يخافَا ألا يقِيما حدود اللهِ﴾** فلا يحل له أن يأخذ أكثر مما ساقه إليها.

وليس في الآية ما يدل على أنه لا يحل له أكثر مما أعطاها.

وقولُ الزهري بين، ويكون قوله: **﴿إلا أن يخافَا ألا يقِيما حدود اللهِ﴾** يبين قوله: **ولاَ يحِل لَكُم أن تأخذُوا مِما آتيتموهن شيئًا** [آية: ٢٢٩].

أي: لا تأخذوا منهن شيئًا غصبا.

ومعنى ﴿حدود اللهِ﴾ ما منع منه، والحد مانع من الاجتراء على الفواحش، وأحدت المرأة امتنعت من الزينة، ورجل محدود ممنوع من الخير، والبواب حداد أي: مانع.

ومعنى ﴿فَلا تعتدوها﴾ فلا تتجاوزوها.

١٣٠- ثم **قال تعالى: ﴿فَإِنْ طَلقَها فَلا تحِل لَه مِن بعد حتى تنكِح زوجا غَيره﴾** [آية: ٢٣٠]. المعنى: فإن طلقها الثالثة.

وأهل العلم على أن النكاح هاهنا الجماع، لأنه قال: **﴿زوجا غَيره﴾** فقد تقدمت الزوجية، فصار النكاح الجماع.

إلا سعيد بن جبير فإنه قال: النكاح هاهنا التزويج الصحيح، إذا لم يرد إحلالها.

قال أبو جعفر: ويقوي القول الأول حديثُ النبي ﷺ: «**لا تحل له حتى تذوق العسيلةَ**»[1].

وعن علي: حتى يهزها به.

١٣١- ثم **قال تعالى: ﴿فَإِن طَلقَها فَلاَ جناح علَيهما أن يتراجعا﴾** [آية: ٢٣٠].

روى منذر الثوري عن محمد بن علي، عن علي-رضي الله عنه-.

قال: ما أشكل علي شيءٌ ما أشكلت هذه الآية في كتاب الله: **﴿فَإِن طَلقَها فَلاَ جناح علَيهما أن يتراجعا﴾**، فما زلت أدرس كتاب الله حتى فهمت، فعرفت أن الرجل الآخر إذا طلقها، رجعت إلى زوجها الأول، إن شاء.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي عن عائشة -رضي الله عنـها- قالـت: «جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني كنت عند رفاعة، فطلقني فبـت طلاقي، فتزوجني عبد الرحمن بن الزبير، وما معه إلا مثلُ هدبة الثوب -تعني ما يقدر علـى معاشرة النساء- فتبسم النبي ﷺ، فقال: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعـة؟ لا، حـتى تـذوقي عسيلته، ويذوق عسيلتك».

١٣٢- ثم **قال تعالى: ﴿إن ظنا أن يقيما حدود الله..﴾** [آية: ٢٣٠].

قال طاووس: «إن ظنا» أن كل واحد منهما يحسن عِشرة صاحبه.

وقال مجاهد: إن عِلما أن نكاحهما على غير دلْسةٍ.

١٣٣- ثم **قال تعالى: ﴿وتلْك حدود الله يبينها لقوم يعلمونَ﴾** [آية: ٢٣٠].

أي: يعلمون أن أمر الله حق لا ينبغي أن يتجاوز.

١٣٤- ثم **قال تعالى: ﴿وإذا طلقْتم النساءَ فبلغن أجلهن فأمسكُوهن بمعروفٍ أو سرحوهن بمعروفٍ﴾** [آية: ٢٣١].

«**أجلهن**»: وقت انقضاء العدة.

ومعنى ﴿فبلغن أجلهن﴾ على قرب البلوغ، كما تقول: إذا بلغت مكة، فاغتسل قبل أن تدخلها.

١٣٥- ثم **قال تعالى: ﴿ولا تمسِكُوهن ضِرارا لتعتدوا﴾** [آية: ٢٣١].

روى أبو الضحاك عن مسروق: **﴿ولا تمسِكُوهن ضِرارا لتعتدوا﴾**.

قال: يطلّقها، حتى إذا كادت تنقضي عد ا، راجعها أيضا ولا يريد إمساكها، ويحبسها، فذلك الذي يضار، ويتخذ آيات الله هزوا.

وقال مجاهد وقتادة نحوه.

١٣٦- ثم **قال تعالى: ﴿ومن يفْعلْ ذَلك فقد ظلَم نفْسه..﴾** [آية: ٢٣١].

أي: عرضها لعذاب الله.

١٣٧- ثم **قال تعالى: ﴿ولا تتخِذُوا آياتِ اللهِ هزوا..﴾** [آية: ٢٣١].

يروى عن الحسن: أن الرجل كان يطلق، ثم يقول: إنما كنت لاعبا، فنـزل هذا(١).

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «**ثلاثٌ جدهن جِد، وهزلُهن جِد: الطلاق، والعتاق، والرجعةُ**»(٢).

وقيل: من طلق امرأته فوق ثلاثة فقد اتخذ آيات الله هزوا.

---

(١) الأثر أورده الطبري عن الحسن ٤٨٠/٢ وابن عطية ٢٨٨/٢.

(٢) الحديث رواه أبو داود في الطلاق رقم ٢١٩٤، والترمذي برقم ١١٩٥، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه ابن ماجة في سننه برقم ٢٠٣٩.

وروى عن عائشة أن الرجل كان يطّلّق امرأته ثم يقول: «والله لا أُورّثُكِ ولا أدعك، قالت: وكيف ذاك؟ قال: إذا كِدتِ تقضين عِدتك راجعتكِ» فنـزلت: **ولا تتخِذُوا آياتِ اللهِ هزوا** [آية: ٢٣١].

قال أبو جعفر: وهذا من أجود هذه الأقوال يئها بالعلة التي أُنـزلت من أجلها الآية. والأقوال كلها داخلةٌ في معنى الآية؛ لأنه يقال لمن سخِر من آيات الله: اتخذها هزًوا، ويقال ذلك لمن كفر با، ويقال ذلك: لمن اطرحها ولم يأخذ با وعمل بغيرها، فعلى هذا تدخل هذه الأقوال في الآية.

وآيات الله دلائلُه, وأمره، و ْيه.

١٣٨- وقوله تعالى: وإذَا طَلقْتم النساءَ فَبلغن أجلهن فَلا تعضلُوهن أن ينكِحن أزواجهن [آية: ٢٣٢].

روى سماك بن حرب عن ابن أخي معقل عن "معقل بن سنان" أو يسار، وقال لي الطحاوي: وهو «معقل بن سنان» أن أخته كانت عند رجل فطلقها، ثم أراد أن يراجعها فأبى عليه معقل، فنـزلت هذه الآية: **فَلا تعضلُوهن أن ينكِحن أزواجهن إِذَا تراضوا بينهم بِالمعروفِ** [آية: ٢٣٢].

قال أبو جعفر: ومعنى **لا تعضلُوهن** في اللغة: لا تحبسوهن.

وحكى الخليل: دجاجةٌ معضلٌ: أي قد احتبس بيضها.

وقد قيل في معنى هذه الآية: أن النهي للأزواج؛ لأن المخاطبة لهم، مثلُ قوله: **ولا تمسِكُوهن ضِرارا** .

وقد يجوز أن يكون للأولياء، وخوطبوا بذا لأ م ممن يقع لهم هذا، وقد تقدم أيضا ي الأزواج.

والأجود أن يكون لهما جميعا، ويكون الخطاب عاماً، أي: يا أيها الناس إذا طلقتم النساء فلا تعضلوهن.

قال أبو جعفر: وحقيقةُ **فَلا تعضلُوهن** . فلا تضيقوا عليهن، بمنعكم إياهن- أيها الأولياء- في مراجعة أزواجهن.

تقول: عضل يعضلُ، وعضِل يعضل،ومنه الداءُ العضال الذي لا يطاق علاجه، لضيقه عن العلاج.

ومعنى **والله يعلم** أي: ما لكم فيه الصلاح.

١٣٩- وقوله تعالى: والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين [آية: ٢٣٣].

لفظُه لفظُ الخبر، ومعناه معنى الأمر، لما فيه من الإلزام.

وروى ابن أبي ذئبٍ عن يزيد بن عبد الله بن قُسيط، عن بعجة الجُهني قال: "تزوج رجلٌ امرأةً، فولدت لستة أشهر، فأتى عثمان بن عفان، فذكر ذلك له، فأمر برجمها، فأتاه علي رضي الله عنه وقال: إن الله يقول: **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** [الأحقاف: ١٥] وقال: **وفصاله في عامين** [لقمان: ١٤]!!

وقال ابن عباس: فإذا ذهبت رضاعته، فإنما الحملُ في ستة أشهر.

والفائدةُ في **كاملين** أن المعنى كاملين للرضاعة.

كما **قال تعالى: تلك عشرةٌ كاملةٌ** [آية: ١٩٦] أي: من الهدي، وقال تعالى: **فتم ميقات ربه أربعين ليلةً** [الأعراف: ١٤٢]؛ لأنه قد كان يجوز أن يأتي بعد هذا شيء آخر، أو تكون العشرةُ ساعاتٍ.

١٤٠- ثم **قال تعالى: لمن أراد أن يتم الرضاعةَ** [آية: ٢٣٣].

أي: ذلك وقت لتمام الرضاعة، وليس بعد تمام الرضاعة رضاع.

١٤١- ثم **قال تعالى: وعلى المولود له** [آية: ٢٣٣] أي: على الأب الذي ولد له **رزقهن وكسوتهن** أي: رزق الأمهات **وكسوتهن بالمعروف** أي: لا تقصير في النفقة، والكسوة، ولا شطط.

١٤٢- ثم **قال تعالى: لا تضار والدةٌ بولدها** على النهي.

وقرأ أبانُ عن عاصم: **لا تضارر والدةٌ** بكسر الراءِ الأولى[1].

وقيل: المعنى لا تدع رضاع ولدها لتضربه غيظًا على أبيه.

وقرأ أبو عمرو وابن كثيرٍ: **لا تضار والدةٌ** بالرفع على الخبر الذي فيه معنى الإلزام.

وروى يونس عن الحسن قال: يقول: «لا تضار زوجها، فتقول: لا أُرضعه، ولا يضارها فينزعه منها، وهي تقولُ: أنا أرضعه».

١٤٣- ثم **قال تعالى: وعلى الوارث مثلُ ذلك** [آية: ٢٣٣].

روى مجاهد عن ابن عباس قال: «وعلى الوارث أن لا يضار».

---

(١) هذه من القراءات الشاذة، ذكرها القرطبي في جامع الأحكام ١٦٧/٣.

وكذلك روي عن الشعبي والضحاك.

وروي عن عمر، والحسين بن صالح، وابن شبرمة: **وعلى الوارث مثل ذلك** أي: الكسوةُ والرضاع.

وروي عن الضحاك: الوارثُ: الصبي، فإن لم يكن له مالٌ فعلى عصبيته، وإلا أُجبرت المرأة على رضاعه.

قال أبو جعفر: وزعم محمد بن جرير الطبري أن أولى الأقوال بالصواب قولُ قبيصة بن ذؤيب ومن قال بقوله: إنه يراد بالوارث المولود، وأن يكون **مثلُ ذلك** معنى مثل الذي كان على والده، من رزق والدته، وكسو ا بالمعروف، إن كانت من أهل الحاجة، وهي ذات زمانه، ولا احتراف لها، ولا زوج، وإن كانت من أهل الغنى والصحة، فمثل الذي كان على والده لها، من أجر الرضاعة، ولا يكون غير هذا إلا بحجةٍ واضحة؛ لأن الظاهر كذا.

قال أبو جعفر والقولُ الأولُ أبين؛ لأن الأب هو المذكور بالنفقة في المواضع، كما قال: **وإنْ كُن أولاتِ حملٍ فأنفقوا عليهن** [الطلاق: ٦]، وكذا تجب عليه النفقة على ولده ما دام صغيرا، كما تجب عليه ما دام رضيعا.

ثم قال أبو حنيفة وأصحابه: **وعلى الوارث مثلُ ذلك** أي: الرضاع، والكسوةُ، والرزق، إذا كان ذا رحِم محرمِة.

وليس ذلك في القرآن.

١٤٤ - ثم **قال تعالى: فإنْ أرادا فصالاً عن تراضٍ منهما وتشاورٍ..** [آية: ٢٣٣].

قال مجاهدٌ وقتادةُ: أي فطاما دون الحولين.

قال أبو جعفر: وأصلُ الفصال في اللغة التفريق، والمعنى **عن تراض** من الأبوين ومشاورةٍ، ليكون ذلك عن غير إضرارٍ منهما بالولد.

ثم **قال: فلا جناح عليهما** [آية: ٢٣٣] أي: فلا إثم.

١٤٥ - ثم **قال تعالى: وإنْ أردتم أن تسترضعوا أولادكُم** [آية: ٢٣٣].

أي: تسترضِعوهم قوما.

قال أبو إسحاق: أي لأولادكم غير الوالدة.

فلا جناح عليكُم إذا سلمتم ما آتيتم [آية: ٢٣٣] أي: سلمتم ما أعطيتم من ترك الإضرار.

وقال مجاهدٌ: إذا سلمتم حساب ما أُرضِع به الصبي.

١٤٦- ثم قال تعالى: ﴿والذين يتوفونَ منكُم ويذَرونَ أزواجا﴾ [آية: ٢٣٤].

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ:

﴿والذين يتوفونَ منكُم﴾ [1]، بفتح الياء فيهما جميعا، ومعناه يتوفون أعمارهم، أي: يستوفونها، واللهُ أعلم.

١٤٧- ثم قال تعالى: ﴿يتربصن بأنفُسِهن أربعةَ أشهرٍ وعشرا..﴾ [آية: ٢٣٤].

العشر عدد الليالي، إلا أنه قد علم أن مع كل ليلة يومها.

قال محمد بن يزيد[2]: المعنى وعشر مددٍ، وتلك المدةُ يوم وليلةٌ.

وقيل: إنما جعلت العدة للمتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا؛ لأنه يتبين حملها إن كانت حاملاً.

قال الأصمعي: ويقال إن ولد كل حاملٍ يرتكض في نصف حملها، فهي مركض.

وقال غيره: أركضت فهي مركضةٌ، وأنشد:

ومركِضةٌ صريحيٌ أبوها ... تهانُ له الغلامةُ والغلام[3]

١٤٨- ثم قال تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ [آية: ٢٣٤].

قال الضحاك: ﴿أجلهن﴾ انقضاءُ العدة. وروى ابن أبي نجيحٍ عن مجاهد **﴿فيما فعلن في أنفُسِهن بالمعروفِ﴾** [آية: ٢٣٤] قال: النكاح الحلالُ الطيب.

١٤٩- وقوله تعالى: ﴿ولاَ جناح عليكُم فيما عرضتم به من خِطبةِ النساءِ﴾ [آية: ٢٣٥].

روى مجاهد عن ابن عباس قال: هو أن يقول: أُريد أن أتزوج، وكره أن يقول: «لا تسبقيني بنفسك» في العدة.

وقال القاسم بن محمد: هو أن يقول الرجل للمرأة، وهي في عدتها من وفاة زوجها: إنك علي لكريمةٌ، وإني فيك لراغب، وإن الله لسائق إليك خيرا ورزقًا، ونحو هذا من القول.

وقالت سكينةُ بنت حنظلة: -وكانت تحت ابن عم لها فتوفي - فدخل علي «أبو جعفر محمد بن علي» وأنا في عدتي، فسلم ثم قال: كيف أصبحت؟ فقلت: بخير، جعلك

(١) هذه القراءة عدها ابن جني من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ١٢٥/١.

(٢) يعني المبرد.

(٣) البيت لأوس بن غلفاء الهُجيمي، انظر لسان العرب ١٨/٩، وتهذيب اللغة ٣٨/١.

اللهُ بخير، فقال: «أنا من قد علمت قرابته من رسول الله ﷺ وقرابته من علي، وحقي في الإسلام، وشرفي في العرب»!!

قالت: فقلت له: «غفر اللهُ لك يا أبا جعفر، أنت رجلٌ يؤخذُ منك، ويروى عنك، تخطبني في عدتي؟!.. قال: ما فعلت، إنما أخبرتك بمنـزلتي من رسول الله ﷺ» ثم قال: «دخل رسولُ الله ﷺ على أم سلمة بنت أبي أُمية بن المغيرة المخزومية، وتأيمت من أبي سلمة بن عبد الأسد- وهو ابن عمها- فلم يزل يذكر منـزلته من الله، حتى أثر الحصير في يده، من شدة ما يعتمد عليه بيده، فما كانت تلك خِطْبَةٌ».

١٥٠- ثم **قال تعالى:** **أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ..** [آية: ٢٣٥].

قيل: من أمر النكاح.

١٥١- ثم **قال تعالى:** **عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ..** [آية: ٢٣٥].

قال الحسن: أي في الخطبة.

وقال مجاهدٌ: أي في نفسه.

١٥٢- ثم **قال تعالى:** **وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا..** [آية: ٢٣٥].

قال سعيد بن جبير: السر أن يعاقدها على أن لا تتزوج غيره.

وقال مجاهدٌ: هو أن يقول: لا تفوتيني بنفسك.

وقال أبو مجلزٍ وإبراهيم والحسن: هو الزنا.

وقال أبو عبيدة: هو الإفصاح بالنكاح.

قال محمد بن يزيد: قوم يجعلون السر زنا، وقوم يجعلونه الغِشيان، وكلا القولين خطأٌ، إنما هو الغشيانُ من غير وجهه، قال الله تعالى: **وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا** [آية: ٢٣٥] فليس هذا موضع الزنا.

قال أبو جعفر: الذي قال محمد بن يزيد مِن أن السر الغشيان من غير وجهه، عند أهل اللغة كما قال، إلا أن الأشبه في الآية ما قال سعيد بن جبير أن المعنى: لا تواعدوهن نكاحا، فسمى النكاح سرا؛ لأن الغشيان يكون فيه، وزعم محمد بن جرير أن أولى الأقوال بالصواب: أن السر الزنا، ولا يصح قولُ من قال: السر أن يقول لها «لا تسبقيني بنفسك»؛ لأنه قول علانيةٍ، فإن أراد أنه يقال سرا، قيل له: فهو إذًا مطلق علانية وهذا لا يقوله أحد، ولا يكون السر النكاح الصحيح، لأنه لا يكون، إلا بولي وشاهدين، وهذا

علانيةٌ.

ومعنى (**ستذْكُرونهن**) ستذكرون خِطْبتهن **ولَكِن لا تواعِدوهن سِرا** يقول لها: قد ذكرتك في نفسي وقد صرت زوجتي فيغرها بذلك حتى يصل إلى جماعها زنا.

١٥٣- ثم **قال تعالى: إلا أن تقُولُوا قَولا معروفًا..** [آية: ٢٣٥].

قال مجاهدٌ: هو التعريض.

وقال سعيد بن جبير: أن يقول لها لأرجو أن نجتمع، وإني إليك لمائلٌ.

وروى عطاءٌ الخراساني عن ابن عباس **ولا تعزموا عقْدةَ النكاَح حتى يبلُغَ الكِتاب أجلَه** حتى تنقضي العدةُ.

والتقدير في **اللغة:** حتى يبلغ فرض الكتاب، ويجوز أن يكون الكتاب بمعنى الفرض تمثيلاً.

١٥٤- ثم **قال تعالى: واعلَموا أن اللهَ يعلَم ما في أنفُسِكُم فَاحذَروه..** [آية: ٢٣٥].

أي: يعلم ما تحتالون به.

١٥٥- وقوله ﷻ**: لا جناح عليكُم إن طَلقْتم النساءَ ما لَم تمسوهن..** [آية: ٢٣٦].

قال ابن عباسٍ: الجماع.

أو تفْرضوا لَهن فَريضةً الفريضةُ هاهنا: المهر.

قال أبو جعفر: وأصلُ الفرض الواجب، كما قال:

«كانت فريضةُ ما تقولُ قطيعتي».

ومنه: فرض السلطانُ لفلان.

١٥٦- ثم **قال تعالى: ومتعوهن علَى الْموسِعِ قَدره** وهو الغني **وعلَى الْمقْتِر قَدره** وهو الفقير.

قال سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك: وهذا معنى قولهم في المُطلقة قبل الدخول بها، ولم يفرض لها صداق، لها المتعة واجبة.

وقال شريحٌ: لا يقْضى عليه؛ لأنه قال: **حقا علَى الْمحسِنِين** .

١٥٧- ثم **قال تعالى: وإِن طَلقْتموهن مِن قَبلِ أَن تمسوهن وقَد فَرضتم لَهن فَريضةً فَنِصف ما فَرضتم..** [آية: ٢٣٧].

فقال قومٌ: لها المتعةُ مع ذلك، كما روي عن علي بن أبي طالبٍ -رضي الله عنه- والحسن وسعيد بن جبير: لكل مطلقةٍ متعةٌ.

وقال آخرون: لا متعة لها.

روي ذلك عن عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وعطاء والشعبي.

١٥٨- ثم **قال تعالى: ﴿إلا أن يعفُونَ﴾** [آية: ٢٣٧].

قال الزهري والضحاك: المرأة إذا طلقت تدع النصف الذي جعل لها.

١٥٩- ثم **قال تعالى: ﴿أو يعفُو الذِي بِيدِهِ عقْدةُ النكَاحِ..﴾** [آية: ٢٣٧].

حدثنا محمد بن إدريس بن أسود قال: حدثنا إبراهيم بن مرزوق قال: حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد قال: حدثنا جرير وهو ابن حازم قال: حدثنا عيسى بن عاصم عن شريح قال: سألني علي بن أبي طالب عن ﴿الذِي بِيدِهِ عقْدةُ النكَاحِ﴾.

قال: قلت: هو الولي. قال: لا، بل الزوج.

وكذلك قال جبير بن مطعم، وسعيد بن جبير، ورواه قتادة عن سعيد بن المسيب.

وقال ابن عباس: وعلقمة وإبراهيم: هو الولي، يعنون الأب خاصةً.

قال أبو جعفر: حديثُ علي إنما رواه عن شريح «عيسى بن عاصم» ورواه الجلةُ عن شريح من قوله، منهم الشعبي، وابن سيرين، والنخعي.

وأصح ما روي فيه عن صحابي قولُ ابن عباس.

قُرئ على عبد الله بن أحمد بن عبد السلام عن أبي الأزهر أحمد بن الأزهر، قال: حدثنا روح بن عبادة قال: حدثنا ابن جريح، قال: أخبرني عمرو بن دينار، قال: سمعت عكرمة يقول: قال ابن عباس: إن الله رضي العفو، وأمر به، فإنْ عفت فذلك، وإن عفا وليها «الذي بيده عقدةُ النكاح» وضنت، جاز، وإنْ أبت.

قال أبو جعفر: والذي يدل عليه سياق الكلام، واللغةُ أنه الولي، وهو الذي يجوز أن يعقد النكاح على المرأة بغير أمرها، كما قال: ﴿ولاَ تعزموا عقْدةَ النكَاحِ﴾ [آية: ٢٣٥]، وإنما بيد الزوج أن يطلق.

فإن قيل: «بيده عقدة نكاح نفسه» فذا لا يناسب الكلام الأول، وقد جرى ذِكْر الزوج في قوله: ﴿وقَد فَرضتم لَهن فَرِيضةً﴾ [آية: ٢٣٧] فلو كان للزوج لقيل: أو تعفوا، وهذا أشبه بسياق الكلام.

وإن كان يجوز تحويل المخاطبة إلى الإخبار عن غائب.

فأما اللغة فتوجب إذا أُعطي الصداق كاملاً أن لا يقال له: عافٍ، ولكن يقال له: واهب؛ لأن العفو إنما هو ترك الشيء وإذهابه. ومنه: عفت الديار، والعافية دروس البلاء وذهابه، ومنه: عفا اللهُ عنك.

١٦٠- ثم قال ﷻ: وأنْ تعفُوا أقْربُ للتقْوى.. [آية: ٢٣٧].

قيل: يعني به الأزواج، وقيل: يعني به الذي بيده عقدة النكاح، والنساء جميعا.

هذا قولُ ابن عباس، وهو حسن؛ لأنه لم يقل: (وأن تعفون) فيكون للنساء، (وأن يعفُو) فيكون للذي بيده عقدة النكاح.

١٦١- وقوله ﷻ: حافِظُوا على الصلواتِ.. [آية: ٢٣٨].

قال مسروق: على وقتها.

والصلاةِ الْوسطى.. [آية: ٢٣٨].

روى جابر بن زيد، ومجاهد، وأبو رجاءٍ عن ابن عباس قال: هي صلاة الصبح.

وكذا روى عنه عكرمةُ، إلا أنه زاد عنه: يصلي بين سواد الليل وبياض النهار.

وقيل: لأ ا بين صلاتين من صلاة الليل، وصلاتين من صلاة النهار.

وروى قتادةُ عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن زيد بن ثابت قال: هـي الظهر.

وفيها قولٌ ثالثٌ هو أولاها: حدثنا محمدٌ بن جعفر الأنباري قال: حدثنا حاجب بن سليمان قال: حدثنا محمد بن مصعب، قال: حدثنا أبو جزءٍ عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ، في قول الله ﷻ: «**حافِظُوا على الصلواتِ والصلاةِ الْوسطى**: هي صلاة العصر»(١).

وروى عبيدةُ ويحيى بن الجزار وزر عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قاتلنا الأحزاب، فشغلونا عن العصر، حتى كربت الشمس أن تغيب، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم املأ قلوب الذين شغلونا عن الصلاة الوسطى نارا، واملأ بيو م نارا، واملأ قبورهم نارا**»(٢).

قال زِر: قال علي: كُنا نرى أ ا صلاةُ الفجر.

وقيل لها: الوسطى لأ ا بين صلاتين من صلاة الليل وصلاتين من صلاة النهار.

١٦٢- ثم قال تعالى: وقُوموا لِلهِ قانِتِين .

قال ابن عباس والشعبي (القنوت): الطاعة.

---

(١) الحديث رواه الترمذي وصححه، وأحمد في المسند، والطبراني، والبيهقي، عـن سمـرة بـن جندب.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٤٣٨/١ من حديث علي ﷺ.

وقال مجاهدٌ: القنوت السكوت.

قال أبو جعفر: وهذا القولان يرجعان إلى شيءٍ واحدٍ، لأن السكوت في الصلاة طاعةٌ.

وحدثنا محمد بن جعفر الأنباري قال: حدثنا عبد الله بن يحيى، قال: حدثنا يحيى أخبرنا يعلي هو ابن عتبة قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالدٍ عن الحارث بن شبيل عن أبي عمرو الشيباني هن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة، فيكلم أحدنا صاحبه فيما بينه وبينه حتى نـزلت هذه الآية: **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** فأمرنا بالسكوت(١).

وقيل: هو القنوت في الصبح، وهو طول القيام.

وروى الجعفي عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد - يعني الخدري - عن النبي ﷺ قال: «**كل حرفٍ** في **القرآن من القنوت، فهو الطاعة**»(٢).

١٦٣- ثم قال تعالى: فإنْ خِفْتم فرجالاً أو ركْباناً.. [آية: ٢٣٩].

روى أبو مالك عن ابن عباس: أما **رجالاً** فعلى أرجلكم إذا قاتلتم، يصلي الرجل يومي برأسه أينما توجه.

قال مجاهدٌ: وكيف قدر.

١٦٤- وقوله ﷻ: والذين يتوفونَ منكُم ويذَرونَ أزواجا وصيةً لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراجٍ [آية: ٢٤٠].

روى حبيب بن الشهيد، عن ابن أبي مليكة، عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان: «الآية التي في البقرة: **والذين يتوفونَ منكُم ويذَرونَ أزواجا وصيةً لأزواجهم** لم أثبتها؟ وقد نسختها الآية الأخرى؟ قال: يا ابن أخي لا أُغير شيئًا عن مكانه»(٣).

وروى حميد عن نافع عن زينب بنت أم سلمة: كانت المرأة إذا توفي زوجها دخلت حفشا، ولبست شر ثيابا، ولم تمس طيبا، حتى تمر سنةٌ، ثم تعطى بعرة فترمي با،

(١) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٥٩/٣ ومسلم برقم ٥٣٩.

(٤) الأثر أخرجه أخرجه أحمد في المسند ٧٥/٣ بلفظ «فهو الطاعة» وابن جرير مـن حـديث أبي سعيد مرفوعا ٥٦٩/٢: «كل حرفٍ من القرآن فيه القنوت، فإنما هو الطاعة».

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٣٦/٦ من حديث ابن أبي مليكة عـن ابـن الـزبير والبيهقي في سننه.

فأنـزل الله ﷻ: **والذين يتوفونَ منكُم ويذَرونَ أزواجا وصيةً لأزواجِهم متاعا إلى الحول** يعني لنسائهم، وكان للمرأة أن تسكن في بيت زوجها سنةً، وإن شاءت خرجت فاعتدت في بيت أهلها، أو سكنت في وصيتها إلى الحول، ثم نسخ بأربعة أشهرٍ وعشرٍ.

وروى يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس، في قوله: **والذين يتوفونَ منكُم ويذَرونَ أزواجا وصيةً لأزواجِهم متاعا إلى الحول** فنسخ ذلك بآية الميراث، بما فرض الله من الربع والثمن، ونسخ أجل الحول بأن جعل أجلها أربعة أشهرٍ وعشرا.

وفي حديث «الفُريعة»[1] فقال النبي ﷺ: «**امكثي في منـزلك حتى يبلغ الكتاب أجله**»[2].

١٦٥- ثم قال تعالى: كذَلك يبين اللهُ لكُم آياتِه لعلكُم تعقِلُونَ [آية: ٢٤٢].

أي: لعلكم تجتنبون ما ليس بمستقيم، كأن العاقل الذي يعقل نفسه عما ليس بمستقيم.

١٦٦- ثم قال تعالى: ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارِهم وهم أُلوفٌ حذَر الموتِ [آية: ٢٤٣].

قال ابن عباس: كانوا أربعة آلافٍ، خرجوا فرارا من الطاعون، وقالوا: نأتي أرضا ليس بها موت، فأماتهم الله، فمر بهم نبي، ودعا الله فأحياهم.

وقيل: إنهم ماتوا ثمانية أيامٍ.

قال الحسن: أماتهم الله قبل آجالهم عقوبةً، ثم بعثهم إلى بقية آجالهم.

وقال الضحاك: خرجوا فرارا من الجهاد، فأماتهم الله، ثم أحياهم، ثم أمرهم أن

---

(١) فُريعة بنت مالك بن سنان الخُدرية، أخت «أبي سعيد الخدري» وأمها «حبيبة بنت عبد الله بن أبي. انظر الإصابة ٧٣/٨.

(٢) الحديث أخرجه مالك في الموطأ، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وقال الترمذي: حسـن صحيح، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٣٩/١ وتمامه: «أن الفُريعة بنت مالـك بـن سنان، جاءت إلى رسول الله ﷺ تسأله أن ترجع إلى أهلها، في بني خدرة، فإن زوجها خرج في طلب أعبد -أي عبيد- له أبقوا، حتى إذا كانوا بطرف القدوم -مكان قريب من المدينة- لحقهم فقتلوه، قالت: فسألت رسول الله ﷺ أن أرجع إلى أهلي في بني خدرة، فإن زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة، فقال رسول الله ﷺ: نعم، فقال: فانصرفت، حتى إذا كنت في الحُجرة، ناداني رسول الله، فقال: كيف قلت؟ فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي، فقال: امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله، قالت: فاعتددت فيه أربعـة أشـهر وعشرا، فلما كان عثمان بن عفان أرسل إلي، فسألني عن ذلك فأخبرته، فاتبعه وقضى به».

يرجعوا إلى الجهاد.

١٦٧- وذلك قوله تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميعٌ عليمٌ﴾ [آية: ٢٤٤].

قال أبو جعفر: وفي رواية ابن جريج: ﴿وهم ألوفٌ﴾ أ م أربعون ألفًا، وهذا أشبه؛ لأن أُلوفًا للكثير، وآلافًا للقليل، وإن كان يجوز في كل واحدٍ منهما ما جاز في الآخر.

وأما قول ابن زيد: ﴿ألوفٌ﴾ مؤتلفةٌ قلوبهم، فليس بمعروفٍ.

والقياس في جمع ألفٍ: آلُف، كأفلسٍ، إلا أ م يشبهون فعلاً بفعلٍ، فيما كان في أولِه ألف أو واو، نحو وقتٍ وأوقاتٍ.

وكذلك الياء، نحو يومٍ وأيامٍ، وقد قيل: آلُف.

١٦٧- ثم قال ﷻ: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا..﴾ [آية: ٢٤٥].

أصلُ القرضِ ما يفعلُ ليجازي عليه، كما قال:

وإذا أُجزيت قرضا فاجزِه ... إنما يجزي الفتى غير الجَمَلْ[1]

١٦٨- ثم قال تعالى: ﴿والله يقبض ويبسطُ﴾ [آية: ٢٤٥].

أي: يقتر، ويوسع.

وقيل: يسلُب قوما ما أنعم به عليهم، ويوسع على آخرين.

وقيل: يقبض الصدقات ويخلِفها بالثواب، أو في الدنيا.

١٦٩- وقوله ﷻ: ﴿ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيلَ من بعدِ موسى..﴾ [آية: ٢٤٦].

قال مجاهد: هم الذين قال الله فيهم: **﴿ألم تر إلى الذين قيلَ لهم كُفوا أيديكُم﴾** [النساء: ٧٧].

قال الضحاك: وأما قوله: **﴿ابعثْ لنا ملِكًا نقاتلْ في سبيل الله﴾** [آية: ٢٤٦] فذلك حين رفعت التوراةُ، واستخرج الإيمانُ، وسلط على بني إسرائيل عدوهم، فبعث طالوت ملكًا، **﴿قالوا أنى يكُونُ له الملْك علينا﴾** [آية: ٢٤٧]؟ لأن المُلْك كان في سبطٍ بعينه، لا يكون في غيره، ولم يكن طالوت منه، فلذلك وقع الإنكار.

١٧٠- وقوله ﷻ: ﴿أن يأتيكُم التابوت فيهِ سكِينةٌ من ربكُم﴾ [آية: ٢٤٨].

حدثنا أحمد بن محمد بن نافع قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا الثوري عن

(١) البيت للبيد بن ربيعة، وهو في ديوانه، ص١٧٩.

سلمة بن كُهيلٍ عن أبي الأحوص عن علي قال: السكينةُ: لها وجه كوجهِ الإنسان، وهي بعد ريح هفافةٌ.

وروى خالد بن عرعرة، عن علي قال: أرسل الله السكينة إلى إبراهيم، وهي ريح خجوج لها رأس.

وروى الضحاك عن ابن عباس قال: السكينةُ دابةٌ قدر الهر، لها عينان، لهما شعاع، فإذا التقى الجمعان خرجت يدها، ونظرت إليهم فينهزم الجيش من ذلك الرعب.

وقال الضحاك: السكينةُ: الرحمة، والبقيةُ: القتال.

وروي عن ابن عباسٍ: السكينة طست من ذهبٍ من الجنة، كانت تغسلُ فيها قلوب الأنبياء.

وروى إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالحٍ: **وبقيةٌ مما ترك آلُ موسى وآلُ هارونَ** [آية: ٢٤٨] قال: عصا موسى، وثياب هارون، ولوحان من التوراة.

وقال أبو مالك: السكينة: طست من ذهب ألقى فيها موسى الألواح والتوراة وعصاه، والبقية: رضاضةُ الألواح التي كتب فيها التوراة.

وقُرئ على عبد الله بن أحمد بن عبد السلام عن أبي الأزهر عن روح بن عبادة قال: حدثنا محمد بن عبد الملك عن أبيه قال: قال مجاهد: أما السكينةُ فما تعرفون من الآيات التي تسكُنون إليها، قال: والبقيةُ العلم والتوراة.

قال أبو جعفر: وهذا القولُ من أحسنها وأجمعها؛ لأن السكينة في اللغة فَعِيلةٌ من السكون، أي: آيةً يسكون إليها.

وبين معنى **تحمِلُه الملائكةُ** أنه روي أن جالوت وأصحابه كان التابوت عندهم، فابتلاهم الله بالناسور، فعلموا أنه من أجل التابوت، فحملوه على ثور، فساقته الملائكة، فهذا مثل قولهم:

حملت متاعي إلى موضع كذا.

١٧١- ثم **قال تعالى: إن في ذَلك لآيةً لكُم إن كُنتم مؤمِنين** [آية: ٢٤٨].

أي: إن في ردّ التابوت بعد أن أخذه عدوكم، لآية لكُم إنْ كُنتم مصدقين.

١٧٢- وقولُه ﷻ: **إن اللهَ مبتليكُم بِنهرٍ..** [آية: ٢٤٩].

معناه: مختبركم، والفائدةُ في ذلك، أن يعلم من يقاتل، ممن لا يقاتل..

قال عكرمة وقتادة: هو ْر بين الأردن وفلسطين.

وقال قتادة: كان الكفار يشربون فلا يروونَ وكان المسلمون يغترفون غرفةً فيجزِئهم ذلك.

قال أبو جعفرٍ: الغرفةُ في اللغةِ: ملءُ الكفّ أو المِغرفةُ. والغرفةُ الفعلةُ الواحِدةُ.

ومعنى ﴿فإنه مِني﴾ فإنه من أصحابي.

وحكى سيبويه: أنت مني فرسخين.

١٧٣ - ثم **قال تعالى: ﴿فشربوا مِنه إلا قليلاً منهم..﴾** [آية: ٢٤٩].

روى أبو إسحاق عن البراء: «كنا نتحدث أن أصحاب النبي ﷺ يوم بدرٍ كانوا ثلاث مائةٍ وبضعة عشر، على عدة أصحاب طالوت، مِمن جاز معه النهر يوم جالوت، و ما جاز معه إلا مؤمن».

﴿فلما جاوزه﴾ يعني: النهر، ورأوا كثرة أصحاب جالوت وقلتهم **﴿قالوا لا طاقةَ لنا اليوم بِجالوت وجنودِهِ قالَ الذِين يظنونَ أنهم ملاقوا اللهِ﴾** [آية: ٢٤٩] أي: يوقنون.

وقيل: يتوهمون أ م يقْتلُون في هذه الوقعة لِقلتهم.

والفئةُ: الفرقةُ ، من فأوت رأسه، وفأيته.

﴿فهزموهم﴾ أي: كسروهم وردوهم، يقالُ: سقاءٌ مهزم، إذا كان منثَنيا جافاً.

١٧٤ - **وقوله ﷻ: ﴿ولولا دفْع اللهِ الناس بعضهم بِبعضٍ لفسدتِ الأرض﴾** [آية: ٢٥١].

روى ابن أبي نجيحٍ عن مجاهدٍ قال: يقول: لولا دفْع الله بالمؤمنين الفجار، ودفْعِهِ بتقية أخلاق الناس بعضهم ببعض، لفسدت الأرض بلاك أهلها.

قال أبو جعفر: وهذا الذي عليه أكثر أهل التفسير. أي: لولا أن الله يدفع بمن يصلي عن من لا يصلي، وبمن يتقي عن من لا يتقي، لأهلك الناس بذنوبهم.

وقيل: «لولا أن الله أمر بحرب الكُفار، لعم الكُفر،فأهلك جميع الناس».

وذا راجع إلى الأول.

وقيل: لولا أن الله أمر بحرب الكفار، لكان إفسادهم على المسلمين أكثر.

ويقرأ: ﴿ولولا دفَاع اللهِ﴾[1].

حكى أبو حاتم[1] أن العرب تقول: أحسن اللهُ عنك الدفاع والمُدافعة. مثل: ناولتك

---

(١) هذه قراءة نافع، وقرأ عاصم، وابن عمر، وحمزة، والكسائي ﴿ولولاَ دفْع اللهِ الناس﴾ بغير ألــف، وانظر السبعة لابن مجاهد (١٨٧) والنشر لابن الجزري ٢٣٢/١.

الشيء.

١٧٥- ثم **قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرسلُ فَضلْنا بعضهم على بعضٍ منهم من كَلم اللهُ..﴾** [آية: ٢٥٣].

قال مجاهد: يقول: كلّم موسى.

١٧٦- ثم **قال** ﷻ: **﴿ورفَعَ بعضهم درجاتٍ..﴾** [آية: ٢٥٣].

قال مجاهد: أرسل محمدا ﷺ إلى الناس كافة.

١٧٧- ثم **قال تعالى: ﴿وآتينا عِيسى ابن مريم البيناتِ..﴾** [آية: ٢٥٣].

أي: الحُجج الواضحة.

﴿وأيدناه﴾ أي قويناه **﴿بِروح القُدس﴾**.

قال الضحاك: جبريل ﷺ.

١٧٨- ثم **قال تعالى: ﴿ولَو شاءَ اللهُ ما اقْتتلَ الذِين مِن بعدِهِم من بعدِ ما جاءَتهم البينات..﴾** [آية: ٢٥٣].

فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى لو شاء اللهُ ما أمرنا بالقتال بعد وضوح الحُجة، وإظهار البراهين.

وقيل: لو شاء الله أن يضطرهم إلى الإيمان لفعل، كما قال: **﴿ولَو شاءَ اللهُ لجمعهم على الهدى﴾** [الأنعام: ٣٥].

١٧٩- وقوله ﷻ: **﴿يا أيها الذِين آمنوا أنفِقُوا مِما رزقْناكُم من قَبل أن يأتِي يومٌ لا بيعٌ فِيهِ ولاَ خلةٌ..﴾** [آية: ٢٥٤].

قوله **﴿أنفِقُوا﴾** تصدقوا، والخُلة: الصداقة.

١٨٠- وقوله ﷻ: **﴿اللهُ لاَ إِله إِلا هو﴾** [آية: ٢٥٥].

أي: لا إله للخلق إلا هو.

﴿الحي القَيوم﴾ أي: القائم بخلقه، المُدبر لهم.

وروي عن ابن عباس: **﴿القَيوم﴾** الذي لا يزول.

=

(١) يعني: السجِستاني.

وقرأ عمر بن الخطاب -رحمة الله عليه-: **الْقَيام** [(١)].

وقرأ علقمة: الحَي القيم.

قال ابن كيسان: القيوم «فيعولٌ» من القيام، وليس بفعولٍ، لأنه ليس في الكلام فعولٌ من ذوات الواو.

ولو كان ذلك لقيل: قووم.

والقيام «فَيعالٌ» أصله القَيوام.

وأصل القَيوم القيووم. وأصل القيم في قول البصريين القيوم.

وقال الكوفيون: الأصلُ القويم.

قال ابن كيسان: ولو كان كذا في الأصل، لم يجز فيه التغيير، كما لا يجوز في «طويل» و«سويق».

١٨١- وقوله ﷻ: لاَ تأخذُه سِنةٌ ولاَ نومٌ.. [آية: ٢٥٥].

قال الحسن وقتادة: نعسةٌ. وأنشد أهلُ اللغة:

وسنانُ أقْصده النعاس فرنقت ... فـي عينـه سِنةٌ وليس بنائم[(٢)]

والمعنى: لا يفضل عن تدبير أمر الخلق.

ثم **قال تعالى: من ذَا الذِي يشفَع عِنده إلا بإذْنِه..** [آية: ٢٥٥].

لَمّا قالوا: الأصنام شفعاؤنا عند الله.

فأعلم اللهُ أن المؤمنين إنما يصلون على الأنبياء، ويدعون للمؤمنين، كما أُمِروا وأُذن لهم.

١٨٢- ثم **قال تعالى: يعلَم ما بين أيديهم** [آية: ٢٥٥] أي: ما تقدمهم من الغيب **وما خلْفَهم** ما يكون بعدهم.

ولاَ يحِيطُونَ بشيءٍ من عِلْمِهِ إلا بما شاءَ [آية: ٢٥٥].

لا يعلمون من ذلك شيئًا لا ما أراد أن يطلعهم عليه، أو يبلغه أنبياؤه تثبيتا لنبو م.

١٨٣- ثم **قال تعالى: وسِع كُرسِيه السماواتِ والأرض..** [آية: ٢٥٥].

وحكى يعقوب الحضرمي: وسْع كُرسيه السماوات والأرض، ابتداءٌ وخبر.

---

(١) البخاري ٦٢/٩، وابن الجزري ٣٠٢/١، وابن كثير ٤٥٥/١، وعدهما ابن جـني في المحتسـب ١٥١/١ من القراءات الشاذة.

(٢) البيت لعدي بن الرقاع، انظر الطبري ٦/٣.

وروى سفيان وهشيم عن مطرفٍ عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبيرٍ عن ابن عباس في قوله: **وسِع كُرسِيه السماواتِ والأرض..** .

قال: علمه، ألا ترى إلى قوله **ولا يؤوده حِفْظُهما** [آية: ٢٥٥]؟!

وقد استشهد لهذا القول ببيت لا يعرف، وهو: «ولا يكْرسئُ عِلْم الله مخلُوق»[1].

أي: لا يعلم علم الله مخلوق، وهو أيضا لحْن؛ لأن الكرسي غير مهموزٍ.

وقيل: **كُرسِيه** قدرته التي يمسك بها السماوات والأرض، كما تقول: اجعل لهذا الحائط كُرسيا، أي: ما **يعمِده**. وهذا قريب من قول ابن عباس.

وقال أبو هريرة: الكرسي بين يدي العرش.

وفي الحديث: «**ما السماوات والأرض** في **جوف الكرسي إلا كحلقةٍ** في **أرض فلاة**»[2].

والله ﷻ أعلم بما أراد، غير أن الكرسي في اللغة الشيء الذي يعتمد عليه، وقد ثبت ولزم بعضه بعضا، ومنه الكُراسةُ، والكِرس: ما تلبد بعضه على بعضٍ.

وقال الحسن: الكرسي: هو العرش.

ومال محمد بن جرير إلى قول ابن عباس، وزعم أنه يدل على صحته ظاهر القرآن، وذلك قوله ﷻ: **ولا يؤوده حِفْظُهما** .

وقال ﷻ **إخبارا:** **ربنا وسِعت كُل شيءٍ رحمةً وعِلْما** [غافر: ٧].

فأخبر أن علمه وسع كل شيء، وكذا وسع كرسيه السماوات والأرض!!

والضمير الذي في **حِفْظُهما** للسماوات والأرض.

١٨٤ - ثم **قال تعالى:** **ولا يؤوده حِفْظُهما..** [آية: ٢٥٥].

قال الحسن وقتادة: لا يُثْقُل عليه.

قال أبو إسحاق: فجائز أن تكون الهاءُ لله ﷻ، وجائز أن يكون للكرسي، وإذا كانت للكرسي، هو من أمر الله.

١٨٥ - **وقوله تعالى:** **لا إِكْراه فِي الدين..** [آية: ٢٥٦].

حدثنا أحمد بن محمد بن سلمة يعني الطحاوي قال: حدثنا إبراهيم بن مرزوق قال:

---

(١) هذا شطر بيت لا يعرف قائله، ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٢٨٠/٢.

(٢) الحديث أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٠/٣، والبيهقي في الأسماء والصفات. وانظر ابن كثير ٤٥٨/١ والشوكاني ٢٧٣/١.

حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، في قوله: **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ، قال: كانت المرأةُ من الأنصار لا يكاد يعيش لها ولد، فتحلف لئن عاش ولد لتهودنه، فلما أُجليت «بنو النضير» إذا فيهم ناس من أبناء الأنصار، فقالت الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا، فأنـزل الله: **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** .

قال سعيد بن جبير: فمن شاء لحق بم، ومن شاء دخل الإسلام.

قال أبو جعفر: أي: وأقام.

وقال الشعبي: هي في أهل الكتاب خاصة، لا يكْرهون إذا أدوا الجزية.

وقال سليمان بن موسى: نسخها **جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ** [التوبة: ٧٣] وتأولها عمر على أنه لا يكره المملوك على الإسلام.

وقيل: لا يقال لمن أسلم من أهل الحرب: أسلمت. مكْرها؛ لأنه إذا ثبت على الإسلام، فليس بمكره.

١٨٦- وقوله ﷻ: **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ** [آية: ٢٥٦].

روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: الطاغوت: الشيطانُ، والجبت: السحر.

وقال الشعبي، وعكرمةُ، والضحاك: الطاغُوت: الشيطان.

وقال الحسن: الطاغوت: الشياطين.

وحدثنا سعيد بن موسى بقرقيسيا قال: حدثنا محمد بن مالك عن يزيد عن محمد ابن سلمة عن خصيف قال: الجِبت: الكاهن، والطاغوت: الشيطان.

وقال الشعبي وعكرمة والضحاك: الطاغوت: الشيطان.

وقال مجاهد في **قوله تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ** [النساء: ٦٠]: هو «كعب بن الأشرف».

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال متقاربة، وأصل الطاغوت في اللغة مأخوذ من الطغيان، يؤدي عن معناه من غير اشتقاق، كما قيل: اللآلُ من اللؤلؤ.

قال سيبويه: وأما الطاغوت فهو اسم واحد مؤنثٌ، يقع على الجمع.

فعلى قول سيبويه إذا جمع فعله ذهب به إلى الشياطين، وإذا وحد ذُهب به إلى الشيطان.

قال أبو جعفر: ومن حسن ما قيل في الطاغوت: انه من طغى على الله، وأصله «طغووت» مثلُ جبروت. من طغى، إذا تجاوز حده، ثم تقلب اللام فتجعل عيناً وتقلب العين فتجعلُ لاما، كجبذ، وجذب، ثم تقلب الواو ألفًا لتحركها وتحركِ ما قبلها، فتقول: طاغوت.

والمعنى: فمن يجحد ربوبية كل معبودٍ من دون الله، ويصدق بالله.

وأصلُ الجِبتِ في اللغة: الذي لا خير فيه.

وقال قطرب: أصله الجبس، وهو الثقيلُ الذي لا خير فيه.

وقال أبو عبيدة: الجبت والطاغوت كل ما عُبِد من دون الله.

قال أبو جعفر: وهذا غير خارج مما قلنا، وخالف «محمد بن يزيد» سيبويه في قوله: هو اسم واحد، فقال: الصواب عندي أنه جماعةٌ.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد: **فَقَدِ استمسك بِالْعروةِ الْوثْقَى** [آية: ٢٥٦] أي: الإيمان.

قال سعيد بن جبير: عن ابن عباس: **بِالْعروةِ الْوثْقَى** لا إله إلا الله.

١٨٧ - ثم **قال تعالى: لاَ انفِصام لَها** [آية: ٢٥٦].

قال مجاهد: أي: «لا يغير اللهُ ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم» أي: لا يزيل عنهم اسم الإيمان حتى يكفروا.

يقال: فصمت الشيء. أي: قطعته.

١٨٨ - ثم **قال تعالى: اللهُ ولي الذِين آمنوا يخرِجهم من الظلُماتِ إِلَى النورِ..** [آية: ٢٥٧].

قال الضحاك: الظلمات: الكفر، والنور: الإيمان، ومثل الكفر بالظلمات، والإيمانُ بالنور.

قُرِئَ على أحمد بن شعيبٍ، عن محمد بن هلال بن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر قال: سمعت منصورا يحدث عن رجل عن عبدة ابن أبي لبابة، في هذه الآية: **اللهُ ولي الذِين آمنوا يخرِجهم من الظلُماتِ إِلَى النورِ..** إلى قوله: **هم فِيها خالِدونَ** [آية: ٢٥٧]، قال: هم أناس كانوا آمنوا بعيسى، فلما جاء محمد كفروا به. قال: وكان ناس قد كفروا بعيسى، فلما جاء محمد آمنوا به، فنـزلت هذه الآية فيهم.

قال أبو عبد الرحمن: رواه جرير، عن منصورٍ، عن مجاهد.

فإن قيل: ما معنى **يخرِجونهم من النورِ إِلَى الظلُماتِ** ؟ ولم يكونوا في نورٍ قط؟

فالجواب: أنه يقال: رأيت فلانا خارج الدار، وإن لم يكن خرج منها، وأخرجته من الدار، جعلته في خارجها، وكذا أخرجه من النور، جعله خارجا منه، وإن لم يكن كان فيه.

وقيل: هذا تمثيلٌ لما صرفوا عنه، كانوا بمنـزلة من أُخرج منه كما يقال: لِم أخرجتني من مِلتِك.

وقيل: لما ولدوا على الفطرة، وهي أخذ الميثاق، وما فُطروا عليه من معرفة الله ﷻ، ثم كفروا، كانوا قد أُخرجوا من النور.

قال الأخفش: ﴿اللهُ ولي الذِين آمنوا يخرجهم من الظلُماتِ إلى النورِ﴾ يحكم بأ م كذلك، تقول: «قد أخرجكم الله من هذا الأمر». ولم تكونوا فيه قط.

قال أبو إسحاق: ليس هذا بشيء، إنما هو يزيدهم بإيما م هدى وهو وليهم في حجاجهم وهدايتهم، وفي نصرهم على عدوهم، ويتولى ثوابم.

١٨٩- وقوله ﷻ: ﴿ألم ترَ إلى الذِي حاج إبراهِيم في ربهِ..﴾ [آية: ٢٥٨].

وهذه ألف التوقيف، وفي الكلام معنى التعجب، أي: أعجبوا له.

قال ابن عباس ومجاهد: هو نمروذُ بن كنعان.

قال سفيان: فدعا برجلين، فقتل أحدهما، واستحيا الآخر.

قال سفيان: ﴿فَبهت الذِي كفَر﴾ فسكت فلم يجبه بشيء.

وقرئ: ﴿فَبهت الذِي كفَر﴾[1].

أي: فَبهت إبراهيم الذي كفر.

١٩٠- وقوله ﷻ: ﴿أو كالذِي مر على قَريةٍ وهِي خاوِيةٌ على عروشِها..﴾ [آية: ٢٥٩].

روى علي بن الحكم عن الضحاك قال: يقال: هو عزير، والقريةُ بيت المقدس.

﴿فَأماته الله مِائَةَ عامٍ﴾ فكان أولُ شيء حيي منه رأسه، فجعل ينظر إلى كل ما يخلق منه، وإلى حماره.

قال سعيد عن قتادة: وذُكِر لنا أنه عزير أتى على بيت المقدس بعدما خربه بختنصر[2] قال: فقال: أنى تعمر هذه بعد خرابا؟

ثم قال تعالى: **﴿فَأماته اللهُ مِائَةَ عامٍ﴾**

ذكر لنا أنه مات ضحى، وبعِثَ قبل غيبوبة الشمس بعد مائة عامٍ فقال: لبثت يوما أو بعض يوم!!

وقال كعبٌ: هو عزير.

قال مجاهد: هو رجلٌ من بني إسرائيل.

---

(١) هذه قراءة «ابن السميفَع» وهي من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ١/ ١٣٤.

(٢) هو بختنصر البابلي، وكان واليا على العراق، انظر قصته في الطبري ٣/٣٣.

قال عبد الله بن عبيد بن عمير: هو أرمِيا، وكان نبيا.
والخاويةُ: الخاليةُ.
قال الكسائي: يقال خوت خوياً، وخواء، وخوايةً.
والعروش: السقوف، أي: ساقطةٌ على سقوفها.
قال أبو عبيدة: ويقال: خوت عروشها: بيوتها.
والعروش الخيام، وهي بيوت الأعراب.
قال الكسائي والفراء: الكاف في قوله: **أو كَالَّذِي** عطف على معنى الكلام، أي: رأيت كالذي حاج إبراهيم، أو كالذي مر على قريةٍ.
وقيل: هي زائدة، كما قال: **لَيس كَمِثْلِهِ شيءٌ** .
١٩١- وقوله تعالى: لَم يتسنه.. [آية: ٢٥٩].
قال عكرمة وقتادة: لم يتغير.
وقال مجاهد: لم ينتن.
قال بعض أهل اللغة: لم يتسن من قولهم: آسن الماءُ إذا أنتن.
وقال أبو عمرو الشيباني: لَم يتسنه : لم يتغير.
من قوله تعالى: **من حمإٍ مسنونٍ** [الحجر: ٢٨]، ثم أبدل من إحدى النونين ياءً، كما قيل: تقصيت وتظنيت، وقصيت أظفاري.
قال أبو جعفر: والقولان خطأ، لو كان من قولهم: أسِن الماءُ إذا أنتن، لكان يتأسن.
قال أبو إسحاق: وليس من مسنونٍ؛ لأن مسنونا مصبوب على سنة الأرض.
قال أبو جعفر: والصحيح أنه من السنة، أي: لم تغيره السنونَ.
١٩٢- ثم **قال تعالى: ولنجعلك آيةً للناس..** [آية: ٢٥٩].
قال سفيانُ عن الأعمش قال: رجع إلى بنيه شيوخا، وهو شاب.
قال الكسائي: لا يكون الكلام إلا بإضمارِ فعل.
والمعنى عنده: فعلنا هذا لنجعلك دليلاً للناس، وعلما على قدرتنا، ومثلُه **وحِفْظاً** .
١٩٣- ثم **قال** ﷻ: **وانظُر إلى العِظَامِ كيف ننشِزها..** [آية: ٢٥٩].

أي: نحييها **وننشِزها** بالزاي معجمةً[(١)] أي: نركب بعض العظام على بعض، ونرفع بعضها إلى بعض.

والنشز، والنشز: ما ارتفع من الأرض.

ومن قرأ: قَالَ أعلَم أن اللهَ على كُل شيءٍ قَدِيرٌ [آية: ٢٥٩].

فقال قتادة: في قراءته أنه جعل ينظُر، كيف يوصلُ بعض عظامه إلى بعضٍ؛ لأن أول ما خِلِق منه رأسه، وقيل: انظُر، فقال عن ذلك هذا.

وروى طاووس عن ابن عباس: **قَالَ أعلَم** على الأمر، وإنما قيل له ذلك.

قال هارون في قراءة عبد الله: **قيل اعلَم** على وجه الأمر[(٢)].

وقد يجوز أن يكون خاطب نفْسه بذا.

١٩٤- وقوله ﷻ: وإذْ قَالَ إبراهِيم رب أرِني كَيف تحيِي الْموتى قَالَ أو لَم تؤمِن قَالَ بلى ولَكِن ليطْمِئن قَلْبِي.. [آية: ٢٦٠].

فيه قولان:

أحدهما: إن المعنى ليطمئن قلبي للمشاهدة، كأن نفسه طالبته برؤية ذلك، فإذا رآه اطمأن، والإنسان قد يعلم الشيء من جهةٍ، ثم يطلب أن يعلمه من غيرها.

وهذا القولُ مذهب الجلةِ من العلماء، وهو مذهب ابن عباس، والحسن.

قال الحسن: ولا يكون الخبر عند ابن آدم كالعيان.

والقول الآخر: إن المعنى **ولَكِن ليطْمئِن قَلْبِي** بأني سألتك أجبتني.

كما روى سفيان عن قيس بن مسلمٍ عن سعيد بن جبير قال: **أو لَم تؤمِن** بالخُلةِ، قال: توقن بالخلة.

وروى أبو الهيثم عن سعيد بن جبير: **ولَكِن ليطْمئِن قَلْبِي** : ليزداد.

١٩٥- ثم **قال تعالى: قَالَ فَخذْ أربعةً من الطير** [آية: ٢٦٠].

حدثنا عبد الباقي بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الأموي قال: حدثنا أبي قال:

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ننشِرها بالراء وبضم النون، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمـزة، والكسائي ننشِزها بالزاي، انظر السبعة لابن مجاهد ص ١٨٩.

(٢) قرأ حمزة والكسائي (اعلَم) على الأمر، وقرأ الباقون (أعلم) بقطع الألف وكلاهما من القـراءات السبع، انظر النشر لابن الجزري ٢٣/١.

حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكَيرٍ، حدثنا عبد الله بن لهيعة، عن عبيد الله بن هبيرة السبيني عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن عباس، في قول الله ﷻ: **فَخذْ أربعةً من الطير فَصرهن إليك** ، قال: هو الحمام والطاووس والكُركي، والديك.

وروى الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: «أخذ الديك، والطاووس، والغراب، والحمامة».

قال مجاهد: فَصرهن انتِفْهن بريشهن ولُحومِهن.

قال أبو عبيدة: صِرت: قطعت، وصرت: جمعت.

وحكى أبو عبيدة: صرت عنقه: أصورها، وصر ا أصيرها أملْتها، وقد صور.

يقرأ بالضم والكسر، و أكثر القراء على الضم.

قال الكسائي: من ضمها جعلها من صرت الشيء أملْته وضممته إلي، قال: وصر وجهك إلي أي: أقْبِلْ به.

والمعنى على هذه القراءة: فضمهن إليك وقطّعهن، ثم حذِف "وقطعهن" لأنه قد دل عليه **ثُم اجعلْ على كُل جبلٍ منهن جزءًا** .

ومن قرأ: فَصِرهن بالكسر ففيه قولان:

أحدهما: أنه بمعنى الأول.

والآخر: أن أبا مالك والضحاك قالا: فقطعهن .

قال أبو حاتم: هو من صار، إذا قطع. قال: ويكون حينئذٍ على التقديم والتأخير، كأنه قال: فخذْ أربعة من الطير إليك فصرهن.

قال غيره: ومنه قيل للقطيع من بقر الوحش: صِوار وصوار، أي: انقطعت فانفردت، ولذلك قيل لقَطع المسك: أُصورةٌ، كما قال:

إذا تقُوم يضوع المسك أصورةً[1]

قال أبو جعفر: وأولى ما قيل في معنى «فصِرهن» وصرهن: أ هما بمعنى واحدٍ، بمعنى القطع، على التقديم والتأخير، أي: فخذ إليك أربعة من الطير فصِرهن.

ولم يوجد التفريق صحيحا عن أحد من المتقدمين.

ثُم ادعهن .

(١) هذا صدر بيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ١٤٥.

قال ابن عباس: تعالين بإذن الله، فطار لحم ذا إلى لحم ذا، **سعيا** أي: عدوا على أرجلهن، ولا يقال للطائر إذا طار: سعى.

واعلم أن الله عزيزٌ أي: لا يمتنع عليه ما يريد.

حكِيمٌ فيما يدبر.

فلما قص ما فيه البراهين حث على الجهاد، وأعلَم أن من جاهد بعد هذا البرهان، الذي لا يأتي به إلا نبي، فله في جهاده الثواب العظيم.

١٩٦- فقال تعالى: مثَلُ الذِين ينفِقُونَ أموالَهم ِفي سِبِيل اللهِ إلى قوله: **واسعٌ عليمٌ** [آية: ٢٦١].

أي: جواد، لا ينقصه ما يتفضلُ به من السعةِ **عِلِيمٌ** أين يضعه.

١٩٧- ثم **قال تعالى: يا أيها الذِين آمنوا لا تبطِلُوا صدقَاِتكُم ِبالْمن والأذَى** [آية: ٢٦٤].

أي: لا تمتنوا بما أعطيتم، وتعتدوا به، وكأنكم تقصدون ذلك.

والأذى: أن يوبخ المُعطى.

فأعلم أن هذين يبطلان الصدقة، كما تبطُلُ صدقةُ المنافق الذي يعطي رياء، ليوهِم أنه مؤمن.

١٩٨- ثم **قال تعالى: فَمثَلُه** أي: فمثَلُ نفقِتِه **كمثل صفْوانٍ** وهو الحجر الأملس، والوابلُ: المطر العظيم القطر.

فَتركَه صلْدا [آية: ٢٦٤].

قال قتادة: ليس عليه شيءٌ.

والمعنى: لم يقدروا على كسبهم وقت حاجتهم ومحق فأُذهِب، كما أَذْهب المطر التراب على الصفا ولم يوافق في الصفا مثبتا.

١٩٩- ثم **قال: ومثَلُ الذِين ينفِقُونَ أموالَهم ابِتغاءَ مرضاتِ اللهِ وتثْبِيتا من أنفُسِهم..** [آية: ٢٦٥].

أي: وينفقو ا مقرين ثابتين، أ ا مما يثيب الله عليه.

قال الحسن: إذا أراد أن ينفق تثبت، فإن كان الله أمضى، وإلا أمسك.

وقال قتادة: تثْبِيتا أي: احتسابا.

وقال مجاهد: يتثبتون أين يضعون أموالهم؟ أي: زكوا م.

وقال الشعبي: تصديقًا ويقينا.

قال أبو جعفر: ولو كان كما قال مجاهد لكان و«تثبتا» من تثَبت كتَكرمت تكرما.

وقول قتادة: «واحتسابا» لا يعرف، إلا أنْ يراد به أن أنفسهم تثَبتهم محتسِبةً، وهذا بعيد.

وقولُ الشعبي حسنٌ، أي: تثْبيتا من أنفسهم لهم على إنفاق ذلك في طاعة الله ﷻ، يقالُ: ثبت فلانا في هذا الأمر، أي: صححت عزمه وقويت فيه رأيه، أُثبته تثْبيتا، أي: أنفُسهم موقنةٌ مصدقةٌ بوعد الله، على تثبيتهم في ذلك.

٢٠٠- ثم **قال تعالى:** ﴿**كَمَثَل جنةٍ بِربوةٍ..**﴾ [آية: ٢٦٥].

قال مجاهد: هي الأرض المرتفعةُ المستويةُ أضعفت في ثمرها.

قال قتادة: ﴿**بِربوةٍ**﴾، يقول: بِنشزٍ من الأرض، قال: وهذا مثلٌ ضربه الله لعمل المؤمن، يقول: ليس لخيره خلْف، كما أنه ليس لخير هذه الجنة خلْف على أي حالٍ كان إنْ أصابا «وابلٌ» وهو المطر الشديد، وإن أصابا «طل».

قال مجاهد: هو الندى.

وقيل: مطر صغير في القدرِ يدوم.

قال محمد بن يزيد: أي: فالطل يكفيها.

٢٠١- ثم **قال** ﷻ: ﴿**أيود أحدكُم أن تكُونَ له جنةٌ من نخِيلٍ وأعنابٍ تجري مِن تحتِها الأنهار له فِيها مِن كُل الثمراتِ وأصابه الكِبر وله ذُريةٌ ضعفَاءُ فَأصابها إِعصارٌ فِيهِ نارٌ فَاحترقَت**﴾ [آية: ٢٦٦].

قال ابن أبي مليكة: عن عبيدِ بن عميرٍ: سألهم عمر عن هذه الآية، وذَكَرها، فقالوا: الله أعلم، فغضب عمر وقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، قال: فقال ابن عباس: «**إن** في **نفسي منها شيئًا، فقال: قلْ ولا** تحقِر **نفسك. قال: ضرب مثلاً للعمل، قال: أي العمل؟ قال:** فقال **عمر: هذا رجلٌ كان يعمل بطاعة الله،** فبعثَ **إليه الشيطانُ،** فعمل **بالمعاصي، فأحرق الأعمال**»[1].

وروي عن ابن عباس بغير هذا الإسناد: هذا مثلٌ ضربه الله للمرائين بالأعمال، يبطلها اللهُ يوم القيامة أحوج ما كانوا إليها، كمثل رجلٍ كانت له جنةٌ، وكبر، وله أطفالٌ، لا ينفعونه، فأصاب الجنةَ إعصار، ريح عاصف فيها سموم شديدة، فاحترقت

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٣٩/٦.

ففقدها أحوج ما كان إليها.

وروي عن ابن عباس أنه قال: الإعصار: الريح الشديدةُ.

قال أبو جعفر: والإعصار هي التي يسميها الناس الزوبعة.

٢٠٢- ثم **قال تعالى: يا أيها الذِين آمنوا أَنفِقُوا مِن طَيباتِ ما كَسبتم..** [آية: ٢٦٧].

أي: تصدقُوا بالجيدِ.

وحدثنا أحمد بن محمد بن سلامة قال: حدثنا بكار قال: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان، عن السدي، عن أبي مالكٍ،عن البراء، قال: "كانوا يجيئون في الصدقات بأردإِ تمرهم، وأردإِ طعامهم، فنـزلت: **يا أيها الذِين آمنوا أَنفِقُوا مِن طَيباتِ ما كَسبتم ومِما أخرجنا لَكُم من الأرض ولا تيمموا الْخبِيثَ مِنه تنفِقُونَ ولَستم بِآخِذِيهِ إلا أن تغمِضوا فِيهِ** [آية: ٢٦٧].

قال: لو كان لكم فأعطاكم لم تأخذوه، إلا وأنتم ترون أنه قد نقصكم من حقكم.

قال أبو إسحاق[1] في قوله تعالى **واعلَموا أن اللهَ غَنِي حمِيدٌ** [آية: ٢٦٧]. أي: لم يأمركم أنْ تصدقوا من عوز، ولكنه بلا أخباركم، فهو حميد على ذلك وعلى جميع نعمِه.

٢٠٣- ثم **قال تعالى: الشيطَانُ يعِدكُم الْفقْر..** [آية: ٢٦٨].

أي: بالفقر، يخوفُكُم حتى تخرجوا الردئ في الزكاة **ويأمركُم بِالْفَحشاءِ** بأن لا تتصدقوا، فتعصوا، وتتقاطعوا.

واللهُ يعِدكُم مغفِرةً منه وفَضلاً [آية: ٢٦٨].

أي: بأن يجازيكم على صدقاتكم بالمغفرة، والخُلفِ.

واللهُ واسِعٌ علِيمٌ .

يعطي من سعة، ويعلم حيث يضع ذلك، ويعلم الغيب والشهادة.

٢٠٤- ثم **قال تعالى: يؤتِي الْحِكْمةَ من يشاءُ ومن يؤت الْحِكْمةَ فَقَد أُوتي خيرا كَثِيرا..** [آية: ٢٦٩].

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس **ومن يؤت الْحِكْمةَ فَقَد أُوتي خيرا كَثِيرا** قال: المعرفةُ بالقرآن، ناسخه، ومنسوخِهِ، ومحكَمِه، ومتشابِهه، ومقدمِهِ، ومؤخرِهِ، وحلاله، وحرامِهِ، وأمثالِهِ.

---

(١) يعني: الزجاج.

قال مجاهد: العقلُ والعفةُ، والإصابةُ في القولِ.

وقال زيد بن أسلم: الحكمةُ: العقلُ في دين الله.

وقال الضحاك: الحكمةُ: القرآن.

وقال قتادة: الفَهم.

قلت: وهذه الأقوالُ متفقةٌ، وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفهِ، فقيل للعِلْمِ حكْمةٌ لأنه به يمتنع، وبه يعلَم الامتناع من السفهِ، وهو كل فعلٍ قبيح، وكذا القرآن، والعقلُ، والفهم.

وقال إبراهيم النخعي: الفهم في القرآن.

٢٠٥- ثم **قال تعالى:** **وما يذكر إلا أولوا الألباب** [آل عمران: ٧].

أي: وما يفَكر فِكْرا، يذكر به ما قص من الآيات، إلا ذَوو العقول، ومن فَهم عن الله ﷻ، أمره ونهيه.

٢٠٦- ثم **قال** ﷻ: **وما أنفَقْتم من نفَقَةٍ..** [آية: ٢٧٠].

قال أبو إسحاق: أي في فرضٍ، لأنه ذكر صدقة الزكاة.

أو نذَرتم من نذْرٍ.

كل ما نوى الإنسان أن يتطوع به فهو نذْر.

وقيل: المعنى ما أنفقتم من نفقةٍ من غير نذْرٍ، أو نذرتم ثم عقدتم على أنفسكم إنفاقه **فإن اللهَ يعلَمه** أي: لا يخفي عليه، فهو يجازى به.

قال مجاهد: **يعلَمه** أي: يحصيه.

٢٠٧- ثم **قال تعالى:** **إن تبدوا الصدقَاتِ..** [آية: ٢٧١]. أي: تظْهرها.

وفي الحديث: «**صدقةُ السر تطفئُ غضب الرب**»[1].

وقيل: كان هذا في عهد رسول الله ﷺ فأما اليوم فالناس يسيئُون الظن.

قال الحسن: إظهار الزكاة أحسن، وإخفاء التطوع أفضلُ، لأنه أدل على أنه يراد اللهُ ﷻ به وحده.

وقال الضحاك: كان هذا يعمل به **الذِين ينفِقُونَ أموالَهم بالليل والنهار سِرا**

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الزكاة ٣/٣٢٩، والطبراني عن معاوية بن حيدة بلفـظ: «إن صدقة السر تطفئ غضب الرب».

وعلانيةً [آية: ٢٧٤] فلما نـزلت «براءة» بفريضة الصدقة وتفصيلها، انتهت الصدقةُ إليه.

٢٠٨- وقوله ﷻ: **ليس عليك هداهم..** [آية: ٢٧٢].

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: كانوا يكرهون أن يتصدقوا على أقربائهم من المشركين، فرخص لهم في ذلك، فنـزلت: **ليس عليك هداهم** إلى آخر الآية.

٢٠٩- وقوله ﷻ: **لِلْفُقَرَاءِ الذِين أحصِروا فِي سبِيل اللهِ..** [آية: ٢٧٣].

قال مجاهدٌ: يعني مهاجري قريش الذين كانوا بالمدينة.

وقال غيره: معنى: **أحصِروا فِي سبِيل اللهِ** منعهم فرض الجهاد من التصرف.

وقيل: شغلهم عدوهم بالقتال عن التصرف.

قال أبو جعفر: واللغةُ توجب أن **أحصِروا** من المرض، إلا أنه يجوز أن يكون المعنى: صودفوا على هذه الحال.

٢١٠- ثم **قال تعالى: لا يستطِيعونَ ضربا فِي الأرض** [آية: ٢٧٣].

قيل: قد ألزموا أنفسهم الجهاد، كما يقال: لا أستطيع أن أعصيك، أي: قد ألزمت نفسي طاعتك.

٢١١- ثم **قال تعالى: يحسبهم الجاهِلُ أغْنِياءَ مِن التعففِ..** [آية: ٢٧٣].

ليس الجهلُ هاهنا ضِد العقل، وإنما هو ضد الخِبرة.

٢١٢- ثم **قال تعالى: تعرِفُهم بِسِيماهم لا يسألُونَ الناس إلْحافًا** [آية:٢٧٣].

يقال: ألْحف في المسألة، وأخفى، وألح، بمعنى واحدٍ.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**من سأل وله أربعون درهمًا فقد ألحف**»[1].

قال أبو إسحاق: معناه فقد شمل بالمسألة ومنه اشتق اللحاف، قال: ومعنى: **لا يسألُونَ الناس إلْحافًا** لا يكون منهم سؤال، فيكون إلحاف، كما قال الشاعر:

على لا حب لا يهتدى بمنـاره إذا ساقَه العود النباطي جرجرا[2]

أي: ليس به منار فيهتدى به.

٢١٣- وقوله ﷻ: **الذِين ينفِقُونَ أموالهم بِالليل والنهار..** [آية: ٢٧٤].

---

(١) الحديث رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي بلفظ: (من سأل وله أوقية أو عِدلها، فقـد سـأل إلحافًا)، أما هذا اللفظ فلم يروه أحد من أهل الحديث.

(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٧٢.

حدثنا أحمد بن محمد بن نافع، قال: حدثنا سلمةُ قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: **الذِين ينفِقُونَ أموالَهم بِالليل والنهار سِرا وعلانِيةً**، قال: «نـزلت في علي بن أبي طالب ﷺ، كانت معه أربعة دراهم، فأنفق بالليل درهمًا، وبالنهار درهمًا، وسراً درهمًا، وعلانية درهمًا».

٢١٤- وقوله ﷻ: الذِين يأكُلُونَ الربا لا يقُومونَ إلا كما يقُوم الذِي يتخبطُه الشيطَانُ مِن المس [آية: ٢٧٥].

المعنى: **الذِين يأكُلُونَ الربا** في الدنيا **لا يقُومونَ** في الآخرة **إلا كما يقُوم الذِي يتخبطُه الشيطَانُ مِن المس**.

قال قتادة: أي: الجنون.

وقال غيره: هذا علامةٌ لهم يوم القيامة، يخرج الناس من قبورهم مسرعين، كما قال تعالى: **يخرجونَ مِن الأجداثِ سِراعا** [المعارج: ٤٣]. إلا أكلة الربا، فإ م يقومون ويسقُطُون، أربى اللهُ الربا في بطو م يوم القيامة، حتى ثقلهم، فهم ينهضون ويسقطون، ويريدون الإسراع فلا يقدرون.

٢١٥- ثم **قال تعالى: فَمن جاءَه موعِظَةٌ من ربهِ فَانتهى..** [آية: ٢٧٥].

قال سفيان: يعني: القرآن.

ومعنى: فَلَه ما سلَف مغفور له.

٢١٦- ثم **قال تعالى: وأَمره إِلَى اللهِ**.

قال أبو إسحاق: أي: اللهُ جل وعز وليه.

قال غيره: وأَمره إِلَى اللهِ في عصمته وتوفيقه، إن شاء عصمه عن أكله، وإن شاء خذله عن ذلك.

وقال بعض أهل التفسير: وأَمره إِلَى اللهِ في المستقبل.

وهذا قولٌ حسن بين، أي: وأمره إلى الله في المستقبل، إن شاء ثبته على التحريم، وإن شاء أباحه.

٢١٧- ثم **قال تعالى: ومن عاد فَأولَئِك أَصحاب النارِ هم فِيها خالِدونَ** [آية: ٢٧٥].

قال سفيان: من عاد فعمل بالربا حتى يموت.

وقال غيره: من عاد فقال إنما البيع مثل الربا فقد كفر.

٢١٨- وقوله ﷻ: يا أيها الذِين آمنوا اتقُوا اللهَ وذَروا ما بقِي مِن الربا.. [آية: ٢٧٨].

قال مجاهد: كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين فيقول: لك كذا وكذا وتؤخر عني، فيؤخر عنه ويزيده.

٢١٩- وقوله ﷻ: فَإن لم تفْعلُوا فَأذَنوا بِحربٍ من اللهِ ورسولِهِ.. [آية: ٢٧٩].

أي: فأيقِنوا، يقال: أَذِنت بالشيء، فأنا أذين به، كما قال:

فإني أذينٌ إنْ رجعت مملكًا[1]

ومعنى «فآذِنوا»[2]: فأعلِموا غيركم أنكم على حربهم.

٢٢٠- ثم **قال تعالى: وإنْ تبتم فَلكُم رؤوس أموالِكُم لا تظْلِمونَ ولا تظْلَمونَ** [آية: ٢٧٩].

ثم **قال الضحاك:** كانوا في الجاهلية يتبايعون بالربا، فجاء الإسلام وقد بقيت لهم أموال، فأُمروا أن يأخذوا رؤوس أموالهم، ولا يأخذوا الربا الذي كانوا أربوا به، وأمروا أن يتصدقوا على من كان معسرا.

٢٢١- ثم **قال** ﷻ: **وإن كانَ ذُو عسرةٍ فَنظِرةٌ إلى ميسرةٍ..** [آية: ٢٨٠].

قال إبراهيم: نـزلت في الربا.

قال الربيع بن خيثم: هي لكل معسرٍ ينظر.

قال أبو جعفر: وهذا القولُ حسن؛ لأن القراءة بالرفع بمعنى: وإن وقع ذو عسرة من الناس أجمعين، إن كان فيمن تطالبون، أو تبايعون ذو عسرةٍ.

ولو كان في الربا خاصة، لكان النصب الوجه، بمعنى: وإن كان الذي عليه الربا ذا عسرة.

على أن المعتمر قد روى عن حجاج الوراق قال: في مصحف عثمان «وإن كان ذا عسرة» والمعنى: فعليكم النظرة. أي: التأخير إلى أن يوسِر.

وروي عن عطاء أنه قرأ **فَناظِرةٌ إلى ميسرةٍ** على جهة الأمر[3].

٢٢٢- ثم **قال تعالى: وأنْ تصدقُوا خيرٌ لكُم إن كُنتم تعلَمونَ** [آية: ٢٨٠].

---

(١) هذا صدر بيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٧٣.

(٢) هذه قراءة حمزة، انظر السبعة لابن مجاهد ص ١٩٢، وقرأ الباقون بفتحها ووصل الهمزة (فأْذَنوا).

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١/١٤٣.

قال إبراهيم: أي: برأس المال.

قال الضحاك: وأن تصدقوا من رأس المال، خير من النظرة.

وروى علي بن الحكم عن الضحاك قال: «زعم ابن عباس أن آخر آية نـزلت من القرآن: **واتقُوا يوما ترجعونَ فِيهِ إلى اللهِ..** [آية: ٢٨١].

قرئ على أحمد بن شعيب عن محمد بن عقيل، عن علي بن الحُسين. قال حدثني أبي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: **واتقُوا يوما ترجعونَ فِيهِ إلى اللهِ..** الآية أ ا آخر آيةٍ أنـزلت على رسول الله ﷺ.

٢٢٣- وقوله ﷻ: يا أيها الذِين آمنوا إذَا تداينتم بِدينٍ إلى أجلٍ مسمى فَاكْتبوه.. [آية: ٢٨٢].

في **معناها أقوال:**

١- منها أن هذا على الندب، وليس بحتم.

٢- ومنها أن أبا نضرة، روى عن أبي سعيد الخدري، أنه تلا هذه الآية **يا أيها الذِين آمنوا إذَا تداينتم بِدينٍ..** [آية: ٢٨٢]. حتى بلغ **فَإنْ أَمِن بعضكُم بعضا فَلْيؤد الذِي اؤتمِن أمانته** [آية: ٢٨٣] قال: نسخت هذه الآية ما قبلها.

٣- وقيل: إن هذا واجب في الأجل، والإشهاد في العاجل، وإنما الرخصةُ في الرهن.

ويقال: داينت الرجل: إذا أقرضته واستقرضت منه، وكذلك تداين القوم.

وأدنت الرجل: بعته بدينٍ، ودنت، وأدنت أي: أخذت بدين، وأنا دائن، ومدانٌ.

والمُدين: المَلِك، إذا دان الناس له، أي: سمعوا وأطاعوا.

ومما يسأل عنه أن يقال: ما وجه «بِدينٍ» وقد دل «تداينتم» على الدين، فهل تكون مداينةٌ بغير دين؟.

فالجواب أن العرب تقول: «تداينا» أي: تجازينا و«تعاطينا» الأخذ والإعطاء، فجاء «بِدينٍ» مبينا للمعنى المقصود.

٢٢٤- وقوله ﷻ: وليكْتب بينكُم كَاتِبٌ بِالعدل.. [آية: ٢٨٢].

قال السدي: بالحق، أي: لا يكتب لصاحب الحق أكثر فما له، ولا أقل.

٢٢٥- ثم **قال تعالى: ولا يأب كَاتِبٌ أنْ يكْتب كَما علمه اللهُ..** [آية:٢٨٢].

قيل: كما علمه اللهُ من الكتابة بالعدل.

وقيل: كما فضله اللهُ بعلم الكتابة.

٢٢٦- ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ [آية: ٢٨٢].

قال ابن وهب: أخبرني يونس أنه سأل ربيعة: ما صفة السفيه؟ فقال: الذي لا يثمر ماله في بيعه ولا ابتياعه، ولا يمنع نفسه لذةً، يسقط في المال سقوط من لا يعد المال شيئًا، الذي لا يرى له عقلٌ في مال.

وروي عن ابن عباس أنه قال: السفيه: الجاهلُ بالإملاء، والضعيف: الأخرق.

وقال أبو إسحاق: السفيه: الخفيف العقل، ومن هذا تسفهت الريح الشيء إذا حركته واستخفته، ومنه:

مشين كما اهتزت رماحٌ تسفهت أعاليهـا مـرّ الريـاح النواسم(١)

وحكى غيره أن السفه: كل ما يقبح فعلُه أي: هو فعلٌ ليس بمحكم، من قولهم: ثوب سفيه إذا كان متخلخلاً.

فأما الضعيف فهو - واللهُ أعلم - الذي فيه ضعف، من خرس، أو هرم، أو جنون.

٢٢٧- ثم قال تعالى: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ [آية: ٢٨٢].

في معنى هذا قولان:

روى سفيانُ عن يونس عن الحسن **﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾**.

قال الضحاك: ولي السفيه الذي يجوز عليه أمره، فهو وليه، أي: يقوم بأمره (بالعدل) هو الذي يملي الحق.

والقول الآخر عن ابن عباس أن المعنى: فلْيملِلْ ولي الذي هو عليه.

واحتج بذا القول من ذهب إلى نفي الحجر عن الأحرار، البالغين العقلاء، وهو مذهب محمد بن سيرين، وإبراهيم النخعي.

٢٢٨- ثم قال ﷻ: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [آية: ٢٨٢].

قيل: من أهل ملتكم.

٢٢٩- ثم قال تعالى: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [آية: ٢٨٢].

---

(١) البيت لذي الرمة، وهو في ديوانه، ص ٦١٦.

أي: ممن ترضون مذهبه.

قال إبراهيم: ممن لم تظهر له ريبةٌ.

٢٣٠- ثم قال تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾.. [آية: ٢٨٣].

أي: أن تنسى إحداهما فتذكرها الأخرى.

وروي عن الجحدري (أنْ تضل) أي: تنسى، كما يقال: أُنسيت كذا.

فأما ما روي عن ابن عيينة من أنه قال: تصير شهادتهما بمنـزلة شهادة الذكر، فلا يعرفه أهل اللغة، وهو أيضا خطأ، لأنه لو كان إنما معناه: تجعلها بمنـزلة الذكر، لم يحتج إلى «أن تضل» لأنها كانت تجعلها بمنـزلة الذكر، ضلت أو لم تضل.

ولا يجوز أن تصيرها بمنـزلة الذكر وقد نسيت شهادتها.

وأما فتح «أنْ» فنذكره في الإعراب إن شاء الله.

٢٣١- ثم قال ﷻ: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾.. [آية: ٢٨٢].

روى ابن نجيح عن مجاهد قال: إذا دعي ليشهد وقد كان أُشهد.

وقال الحسن: وإذا ما دعوا ابتداءً للشهادة، ولا يأبوا إذا دعوا لإقامتها.

قال أبو جعفر: قيل: قول الحسن أشبه؛ لأنه لو كان ذلك لهم لتوريت الحقوق، ولأن بعده ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ أي: لا تملوا أن تكتبوا الحق، كان كثيرا أو قليلاً، كما يقال: لأعطينك حقك، صغر أو كبر.

وقال الأخفش: ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ فأضمر الشاهد، قال: وقال: ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ أي: إلى الأجل الذي تجوز فيه شهادته، والله أعلم.

هذا في كلام الأخفش نصا.

قال أبو جعفر: واختار محمد بن جريرٍ قول مجاهد، أن المعنى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ أن ذلك، إذا كانت عندك شهادةٌ فدعيت، وهو قولُ سعيد بن جبير، وعطاء، وعكرمة، والشعبي، والنخعي.

قال محمد بن جرير: «لأن الله قد ألزمهم اسم الشهداء، وإنما يلزمهم اسم الشهداء إذا شهدوا على شيءٍ قبل ذلك، وغير جائزٍ أن يقال لهم «شهداء» ولم يشهدوا.

ولو كان ذلك لكان الناس كلهم شهداء، بمعنى: أنهم يشهدون، فصار المعنى: إذا ما دعوا ليؤدوا الشهادة، وأيضا فدخول الألف واللام يدل على أن المعني بالنهي شخص معلوم»..

٢٣٢- ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾.. [آية: ٢٨٢].

قال سفيان: معناه أعدلُ، ثم قال: **وأقْوم لِلشهادةِ** أي: أثبت؛ لأن الكتاب يذكر الشاهد ما شهد عليه.

٢٣٣- ثم **قال تعالى: وأدنى ألا ترتابوا..** [آية: ٢٨٢:].

أي: لا تشكوا.

ثم **رخص** في ترك الكتابة فيما يجري بين الناس كثيرا، فقال تعالى: **إلا أن تكُونَ تِجارةً حاضِرةً تدِيرونها بينكُم** [آية: ٢٨٢].

٢٣٤- وقوله ﷻ: **ولا يضار كاتِبٌ ولا شهيدٌ..** [آية: ٢٨٢].

فيه أقوال:

١- منها أن المعنى - على قول عطاء - لا يمتنعا إذا دعيا.

كما روى ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عِكْرمة قال: كان عمر يقرأ **ولا يضارر كاتِبٌ ولا شهيدٌ** .

وقال طاووس: لا يضارِر كاتب فيكتب ما لم يملّلْ عليه.

وقال الحسن: ولا يضارر الشهيد أن يزيد في شهادته.

٢- وروي عن ابن عباس ومجاهد **ولا يضار كاتِبٌ ولا شهيدٌ** قالا: نهي أن يجاء على الشاهد والكاتب، فَيدعيا إلى الكتابة والشهادة، وهما مشغولان، فيضارا، فيقال: قد أمركما الله ألا تمتنعا، وهو مستغنٍ عنهما.

والتقدير على هذا القول: «ولا يضارر» وكذا قرأ ابن مسعود.

فنهى اللهُ ﷻ عن هذا، لأنه لو أطلقه لكان فيه شغلٌ عن أمر دينهما، ومعاشهما.

٢٣٥- ثم **قال** ﷻ: **وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم** .

قال سفيان: فإنه فسوق بكم قال: معصيةٌ.

٢٣٦- ثم **قال تعالى: وإن كُنتم على سفَرٍ ولَم تجِدوا كاتِبا فَرِهانٌ مقْبوضةٌ..** [آية: ٢٨٣].

وقرأ ابن عباس «كتابا»[1].

وقال: قد يوجد الكاتب ولا توجد الصحيفة.

وكذا قرأ أبو العالية، وعكرمة، والضحاك، ومجاهد.

---

(١) هذه القراءة ليست من القراءات السبع، انظر المحرر الوجيز ٥٢٢/٢، والقرطبي ٤٠٨/٣.

وقيل: إن كتابا جمع كاتب، كما يقال: قايم، وقيام.

وقيل: هما بمنـزلة اثنين.

٢٣٧- ثم قال تعالى: ﴿فَرِهانٌ مقْبوضةٌ..﴾.

قرئ «فَرهن مقْبوضةٌ»(١) رهن جمع رهانٍ، ويجوز أن يكون جمع رهنٍ، مثل سقْفٍ، وسقُفٍ.

٢٣٨- وقوله ﷻ: ﴿وإِن تبدوا ما فِي أَنفُسِكُم أَو تخفُوه يحاسِبكُم بِهِ اللّهُ..﴾ [آية: ٢٨٤].

فيها أقوال:

روي عن ابن مسعود، وأبي هريرة، وابن عباس أنها منسوخة بقوله تعالى: **﴿لاَ يكَلف اللّهُ نفْسا إِلا وسعها﴾** [آية: ٢٨٦].

إلا أن علي بن أبي طلحة روى عن ابن عباس أنه قال: لم تنسخ، ولكن إذا جمع اللهُ الخلائق يقول: إني أخبركم بما أكننتم في أنفسكم، فأما المؤمنون فيخبرهم، ثُم يغفر لهم.

وأما أهلُ الشك والريب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب، فذلك قولُه ﷻ: **﴿يحاسِبكُم بِهِ اللّهُ فَيغفِر لِمن يشاءُ﴾** [آية: ٢٨٤].

وهو قوله ﷻ: **﴿ولَكِن يؤاخِذُكُم بِما كَسبت قُلُوبكُم﴾** [آية: ٢٢٥]. من الشك والنفاق.

وحدثنا أحمد بن شعيب، قال: أخبرنا محمود بن غيلان، قال حدثنا وكيع، قال حدثنا سفيانُ، عن آدم بن سليمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «لما نـزلت هذه الآية **﴿وإِن تبدوا ما فِي أَنفُسِكُم أَو تخفُوه يحاسِبكُم بِهِ اللّهُ﴾** [آية: ٢٨٤] دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من قبلُ، فقال النبي ﷺ: «**قولوا: سمعنا وأطعنا، وسلمنا!!** **فألقى اللهُ الإيمان** في **قلوبهم، فأنزل** الله ﷻ: **﴿آمن الرسولُ بِما أُنـزِلَ إِلَيهِ مِن ربهِ..﴾** [آية: ٢٨٥] الآية. وأنـزل **﴿لاَ يكَلف اللّهُ نفْسا إِلا وسعها لَها ما كَسبت وعلَيها ما اكْتسبت ربنا لاَ تؤاخِذْنا إِن نسِينا أَو أَخطَأْنا﴾ قال: قد فعلت ﴿ربنا ولاَ تحمِلْ علَينا إِصرا كَما حملْته علَى الَّذِين مِن قَبلِنا﴾** [آية: ٢٨٦].

قال: قد فعلت ﴿ربنا ولاَ تحملْنا ما لاَ طَاقَةَ لَنا بِهِ واعف عنا واغْفِر لَنا وارحمنا

---

(١) قرأ الجمهور (فَرِهان مقبوضة)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (فَرهن مقبوضة) وكلاهما من القراءات السبع، انظر السبعة لابن مجاهد ص١٩٤.

أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين [آية: ٢٨٦] قال: قد فعلت»[١].

وروى إسماعيلُ بن أبي خالد عن الشعبي قال: «نسختها الآية التي بعدها **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها..** .

وروى مقسم عن ابن عباس: نـزلت في الشهادة، أي: في إظهارها وكتمانها.

وقال مجاهد: هذا في الشك واليقين.

وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد، عن أُمية أنها سألت عائشة عن هذه الآية **وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله** وسألتها عن هذا الآية: **من يعملْ سوءًا يجز به** [النساء: ١٢٣]. فقالت عائشة: ما سألني عنهما أحد منذُ سألت عنهما رسول الله ﷺ فقال: يا عائشة: هذه معاتبةُ الله العبد بما يصيبه من الحُمى، والنكبة، والشوكة، حتى البضاعة يضعها في كمه فيفقدها، فيفزع لها، فيجدها في ضبنه، حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه، كما يخرج التبر الأحمر من الكير»[٢].

وقال الضحاك: «يعلِمه اللهُ يوم القيامة بما كان يسره، ليعلم أنه لم يخْف عليه».

وقيل: لا يكون في هذا نسخ لأنه خبر، ولكن يبينه **إن تجتنبوا كبائر ما تنهونَ عنه نكفر عنكم سيئاتكم** [النساء: ٣١].

فالمعنى: -واللهُ أعلم- وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه من الكبائر، والذي رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباسٍ حسن، والله أعلم بما أراد.

فأما ما روي عن ابن عباس من النسخ، فمما يجب أن يوقف على تأويله، إذْ كانت الأخبار لا يقع فيها ناسخ ولا منسوخ.

فإن صح فتأويله أن الثاني مثلُ الأول، كما تقول: نسخت هذا من هذا.

وقيل: فيه قولٌ آخر، يكون معناه: فأزيلُ ما خالط قلوبهم من ذلك وبين.

٢٣٩- وقوله ﷻ: **كُل آمن بالله وملائكته وكُتبه ورسله..** [آية: ٢٨٥].

أي: كلهم آمن بالله.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم ١/١١٥، وأحمد في المسند ١/٢٣٣، والترمذي في سـننه ٨/٣٣٨، وقال: حسن صحيح.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي، وقال: حسن غريب، انظر تحفة الأحوذي ٨/٣٣٦.

وقرأ ابن عباس (وكتابه)[1] وقال: كتاب أكثر من كُتب، يذهب إلى أنه اسم للجنس.

٢٤٠- وقوله ﷻ: **لا نفَرق بين أحدٍ من رسلِهِ..** [آية: ٢٨٥].

روي عن ابن مسعود، وابن عباس، ويحيى بن يعمر، أ م قرءوا (لا يفَرق)[2] بمعنى: كل لا يفرق، أي: لا يفرق الرسولُ والمؤمنون، بين أحدٍ من رسله.

ومن قرأ بالنون فالمعنى عنده: قالوا: لا نفرق بين أحدٍ من رسله، أي: لا نؤمن ببعضٍ، ونكفُر ببعضٍ. ويدل على النون «ربنا».

٢٤١- ثم قال تعالى: وقَالُوا سمِعنا وأطَعنا غُفْرانك ربنا وإليك الْمصِير [آية: ٢٨٥].

ومعنى «غُفْرانك» اغفْر لنا غفرانا.

٢٤٢- وقوله ﷻ: **لا يكَلف اللهُ نفْسا إِلا وسعها لَها ما كَسبت وعلَيها ما اكْتسبت** [آية: ٢٨٦].

«وسعها» أي: طاقتها، أي: لا يكلفها فرضا من الفروض لا تطيقه.

لَها ما كَسبت وعلَيها ما اكْتسبت ..

قال محمد بن كعب: لها ما كسبت من الخير، وعليها ما اكتسبت من الشر.

وقال غيره: معناه لا يؤاخذُ أحد بذنبِ أحد.

٢٤٣- وقوله ﷻ: **ربنا لا تؤاخِذْنا إِن نسِينا أو أخطَأنا..** [آية: ٢٨٦].

قال قطرب: النسيانُ هاهنا: الترك، كقول الرجل للرجل: لا تنسني من عطيتك أي: لا تتركني منها.

قال: «أو أخطأنا» أي: خطِئْنا وأذنبنا، ليس على الخطأ.

قال أبو جعفر: الذي قال قُطرب في «نسينا» معروف في اللغة، قال اللهُ ﷻ: **نسوا اللهَ فَنسِيهم** [التوبة: ٦٧].

---

(١) هذه قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الجمهور (وكُتبِه) بالجمع، انظر السبعة لابن مجاهد ص١٩٥.

(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر المحيط ٣٦٥/٢، والطبري في جامع البيـان ١٥٢/٣، وابـن عطية في المحرر ٥٣٨/٢، وليست من القراءات السبع، قال ابن جرير: والقراءة الـتي لا نسـتجيز غيرها بالنون (لا نفرق) وهو خبر عن المؤمنين أ م يقولون ذلك، ففي الكلام متروك لدلالة الكلام عليه، وتأويل الآية: والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله يقولون: لا نفرق بين أحد من رسله .. وترك ذكر «يقولون» لدلالة الكلام عليه، كما ترك ذكره في قوله تعـالى: والملائكـة يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم أي: يقولون سلام عليكم.

وقد يجوز أن يكون من النسيان؛ لأن النسيان قد يكون سببه الإقبالُ عل ما لا يحل، حتى يقع النسيانُ.

والذي قال في (أخطأنا): لا يعرفه أهلُ اللغة، لأنه إنما يقال: «خطِينا» أي: تعمدنا الذنب، و«أخطأنا»: إذا لم نتعمده، فلا يكون بمعنى الآخر، ولا يكون معنى «أخطأنا»: دخلنا في الخطيئة، كما يقال: أظلمنا، وأصبحنا، وأنجدنا!

٢٤٤- وقوله ﷻ: ربنا ولا تحمِلْ علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا [آية: ٢٨٦].

قال مجاهد: الإِصر: العهد.

قال سعيد بن جبير: الإصر: شدة العمل، وما غُلظ على بني إسرائيل، من البول ونحوه.

وروي عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها، ما** لم **تعمل به، أو تكلم به**»(١).

قال الضحاك: كانوا يحملون أمورا شدادا.

قال مالك: الإِصر: الأمر الغليظُ.

قال أبو عبيدة: الإِصر: الثِّقلُ.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد.

أي: لا تأخذ عهدنا بما لا نقوم به إلا بثقل، أي: لا تحمل علينا إثم العهد، كما قال تعالى: **وأخذتم على ذلكم إصري** [آل عمران: ٨١]. وما أُمروا به فهو بمنـزلة ما أُخذ عهدهم به، ومعنى «ما تأصِرني على فلان آصرة» أي: ما يعطفني عليه عهد ولا قرابة.

٢٤٥- وقوله ﷺ: ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به [آية: ٢٨٦].

معنى **ما لا طاقة لنا به**: ما يثقُل، نحو **لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة** [الزخرف: ٣٣] كما يقال: لا أطيق مجالسة فلان: أي: ذلك يثقُل علي.

والإصر: ثقلُ العهد، والفرض، و«ما لا طاقة لنا به»: ما يثقل بالإضافة، وقد يجوز أن يخف على غيرنا.

---

(١) الحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان ١/١١٦، وابن ماجه في سننه ١/٣٧٧، وأحمد في المسند ٢/٢٥٥.

٢٤٦- ثم قال ﷻ: **واعف عنا واغْفِر لَنا وارحمنا أنت مولانا فَانصرنا علَى الْقَومِ الْكَافِرِين** [آية: ٢٨٦].

واعف عنا أي: امح عنا ذنوبنا، والعافي: الدارس الممحي، والعافيةُ: دروس البلاء.

واغْفِر لَنا أي: غط على عقوبتنا واسترها.

وقيل: أي امح عنا ذنوبنا.

أنت مولانا أي: ولينا وناصرنا، وقال لبيد:

فَغدت كلا الفرجين تحْسِب أنه مولى المخــافة خلْفُها وأمامها(١)

انتهت سورة البقرة

۞ ۞ ۞

---

(١) البيت في ديوانه ص٤٣٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة آل عمران

قال ابن عباس: نزلت بالمدينة.

١- من ذلك قوله ﷻ: **الم اللهُ لاَ إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** [آية: ١، ٢].

رُوي عن ابن عباس: **الحي** الذي لا يموت، و **القيومُ** الذي لا يزول.

قال مجاهد: القيومُ القائم على كل شيءٍ، أي: القائم على تدبير كل شيءٍ، من رزقٍ، وحياةٍ، وموتٍ. وقد شرحناه بأكثر من هذا، ومعنى (**آلم**) في سورة البقرة.

حدثنا أحمد بن شعيبٍ، قال: أخبرني عمرانُ بن بكار، قال: حدثنا إبراهيم بن العلاء، قال: حدثنا شعيب بن إسحاق، قال: حدثنا هارونُ عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى ابن عبد الرحمن عن أبيه عن عمر بن الخطاب أنه صلى صلاة العشاء، فاستفتح آل عمران فقرأ **الم اللهُ لاَ إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** فقرأ في ركعة بمائة آية، وفي الثانية بالمائة الباقية. وسنذكر الأصل في الإعراب إن شاء الله.

٢- ثم **قال تعالى: نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ..** [آية: ٣].

قال ابن كيسان: فيه وجهان: أي: ألزمك ذلك باستحقاقه إياه عليك، وعلى خلقه.

قال: ويكون **بِالْحَقِّ** أي: بما حق في كتبه من إنزاله عليك.

وكأن هذا الوجه أوضح، لقوله **مُصَدِّقًا** أي: في حال تصديقه لما قبله من الكتب، وما عبد اللهُ به خلقه من طاعته.

قال مجاهد: لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ لما قبله من كتابٍ، أو رسول[1].

٣- ثم **قال تعالى: وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ..** [آية: ٣ ، ٤].

أي: من قبل القرآن. **والتوراة** من ورى، ووريت، فقيل: توراةٌ أي: ضياءٌ ونور.

قال البصريون: توراةٌ أصلُها «فوعلة» مثل حوقلة، ومصدر فَوعلْت فوعلة، والأصل عندهم «وورية» فقلبت الواو الأولى تاءً، كما قلبت في تولج، وهو فوعلٌ من ولجْت.

وفي قولهم: تالله، وقلبت الياءُ الأخيرةُ ألفًا، لتحركها وانفتاح ما قبلها.

---

(١) أخرجه الفريابي وابن جرير عن مجاهد كما في الدر المنثور ٣/٢.

وقال الكوفيون: (توراةٌ) يصلح أن تكون تفْعلة وتفْعِلَة، قُلبت إلى تفْعلَة، ولا يجوز عند البصريين في توقية توقَوة، ولا يكاد يوجد في الكلام تفْعلة إلا شاذًا.

و«إنجيل» من نجلْت الشيءَ أي: أخرجته، فإنجيل خرج به دارس من الحق، ومنه قيل لواحد الرجل: نجلُه كما قال:

إلى معشر لم يُورث اللؤم جدهُم أصاغِرهُم وكُل فحلٍ له نجْلُ[(١)]

قال ابن كيسان: إنجيل إفعيل من النجل، ويقال: نجَله أبوه أي: جاء به، ويقال: نجلت الكلأ بالمنجل، وعين نجلاُء: واسعة، وكذا طعنةٌ نجلاُء، وجمع الإنجيل أناجيل، وجمع التوراة توارٍ.

٤- ثم **قال تعالى:** **وأنـزلَ الْفُرقَانَ** [آية: ٤] أي: الفارق بين الحق والباطل.

كما قال بعض المفسرين: «كل كتابٍ للهِ فُرقانٌ».

واللهُ عزِيزٌ أي: ذل له كل شيءٍ، بأثر صنعته فيه.

ذُو انِتقَامٍ أي: ممن كفر به.

٥- ثم **قال تعالى:** **هُو الذِي يُصورُكُم فِي الأرحامِ كَيف يشاءُ** [آية: ٦].

أي: من حسنٍ وقبح، وتمامٍ ونقصان، وله في كل ذلك حِكمةٌ.

٦- وقوله ﷻ: **هُو الذِي أنـزلَ عليك الكِتاب مِنهُ آياتٌ محكَماتٌ هُن أم الكِتابِ وأُخرُ مُتشابِهاتٌ** [آية: ٧].

رُوي عن ابن عباس: المحكمات: الثلاثُ الآيات **قُلْ تعالوا أتلُ ما حرم ربكُم** [الأنعام: ١٥١] إلى ثلاث آيات، والتي في بني إسرائيل **وقَضى ربك ألا تعبُدُوا إلا إياهُ** [الإسراء: ٢٣].

قال: والمتشابه: ما تشابه عليهم نحو «الم» و «المر».

وقال يحيى **بن يعمر:** المحكمات: الفرائض، والأمر، والنهي، هن عِماد الدين، وعِماد كل شيءٍ أمه.

وقال مجاهد **وعكرمة** نحوًا من هذا، قالا: ما فيه من الحلال والحرام، وما سِوى ذلك فهو متشابه، يصدق بعضه بعضًا.

وقال قتادة نحوه، قال: المحكم ما يعملُ به.

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه، ص١٠٠.

وقال الضحاك: المحكمات: الناسخات، والمتشابات: المنسوخات.

وقال ابن عباس: **كُل من عِندِ ربنا** [آية: ٧] يعني ما نسخ وما لم ينسخ.

قال ابنُ كيسان: إحكامها: بيانها وإيضاحها، وقد يكون إيجابها وإلزامها، وقد يكون أ ا لا تحتمل إلا معاني ألفاظها، ولا يضل أحد في تأويلها.

ويجمع ذلك أن كل محكمٍ تام الصنعة، وقد يكون الإحكام هاهنا المنع من احتمال التأويلات، ومنه سميت حكمةُ الدابة لمنعها إياها.

قال: «ومتشابات» يحتمل أن يشبه اللفظُ ويختلف المعنى، أو يشتبه المعنيان، ويختلف اللفظ، أو يشتبه الفعلُ من الأمر والنهي، فيكون هذا نحو الناسخ والمنسوخ.

وقيل: المتشابات ما كان نحو قوله تعالى: (**ثَلاَثَةَ قُرُوء**).

وأجمع هذه الأقوال أن المحكم: ما كان قائمًا بنفسه، لا يحتاج إلى استدلال، والمتشابه: ما لم يقم بنفسه، واحتاج إلى استدلال.

٧- وقال الله ﷻ: **مِنهُ آياتٌ محكَماتٌ** [آية: ٧]، وقد قال: **كِتابٌ أحكِمت آيأتُهُ** [هود: ١]، وقال: **وأُخرُ مُتشابِهاتٌ** [آية: ٧]، وقد قال: **كِتابا متشابِها** [الزمر: ٢٣] **فالجواب:** أن المعنى **أحكِمت آيأتُهُ** جعلت كلها محكمة، ثم فصلت فكان بعضها أم الكتاب، وليس قوله **مِنهُ آياتٌ محكَماتٌ** بمزيل الحكمة عن المتشابات، كذا **كِتابا متشابِها** وليس قوله **وأُخرُ مُتشابِهاتٌ** بمزيل عن المحكمات أن تكون متشابات في باب الحكمة، بل جملته إذ كان محكمًا لاحقة لجميع ما فُصل منه، **وكِتابا متشابِها** أي: متشابًا في الحكمة، لا يختلف بعضه مع بعض، كما قال تعالى: **ولَو كَانَ مِن عِندِ غَيرِ اللهِ لَوجدُوا فِيهِ اختِلافًا كَثِيرا** [النساء: ٨٢].

وقد بينا معنى **مِنهُ آياتٌ محكَماتٌ** بأقاويل العلماء فيه.

وهذا معنى قول ابن عباس أنها: ما أوجب الله على عباده من أحكامه اللازمة، التي لم يلحقها تغيير ولا تبديلٌ.

وقد يكون المحكم ما كان خبرًا، لأنه لا يلحقُه نسخ، والمتشابه: الناسخ والمنسوخ، لأ م لا يعلمون منتهى ما يصيرون إليه منه. وفي كل ذلك حكمة، وبعضه يشبه بعضًا في الحكمة.

وقال تعالى: **هُن أم الكِتابِ** ولم يقل: أُمهات .. **قال الأخفش:** هذا حكاية.

وقال الفراء: **هُن أم الكِتابِ** لأن معناهن شيءٌ واحد.

قال ابن كيسان: وأحسب الأخفش أراد هذا، أي: هن الشيء الذي يقال: هو أم

الكتاب، أي: كل واحدةٍ منهن يقال لها: أُم الكتاب، كما تقول: أصحابك علي أسد ضارٍ، أي: كل واحد كأسدٍ ضارٍ، لأ م جروا مجرى شيء واحد في الفعل.

ومنه **وجعلنا ابن مريم وأمهُ آيةً** [المؤمنين: ٥٠]؛ لأن شأ ما واحد، في أ ا جاءت به من غير ذكرٍ، وأنه لا أب له، فلم تكن الآية لها إلا به، ولا له إلا با، ولم يرد أن يفصله منها فيقول: آيتين.

وكذلك (هن أُم الكتاب) إنما جعلهن شيئًا واحدًا، في الحكمة والبيان، فذلك الشيء هو أُم الكتاب.

٨- ثم **قال تعالى: فَأما الذِين ِفي قُلُوبِهم زيغٌ فَيتبِعُونَ ما تشابه ِمنهُ** [آية: ٧].

روى أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة عن النبي ﷺ: **فَأما الذِين ِفي قُلُوبِهم زيغٌ فَيتبِعُونَ ما تشابه ِمنهُ** قال: «**فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم أولئك فاحذروهم**»[1].

قال ابن عباس: هم الخوارج[2].

وقال أبو غالب: قال أبو أمامة الباهلي- ورأى رؤوسًا من رؤوس الخوارج - فقرأ **فَأما الذِين ِفي قُلُوبِهم زيغٌ فَيتبِعُونَ ما تشابه ِمنهُ** [آية: ٧]، ثم قال: هم هؤلاء، فقلت: يا أبا أمامة أشيئًا سمعته من رسول الله ﷺ أم شيئًا قلته من رأيك؟ فقال: إني إذًا لجرئ- يقولها ثلاثًا- بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة، ولا مرتين، ولا ثلاث.

قال مجاهد: الزيغ: الشك وابتغاء الفتنةِ: الشبهات.

وقيل: إفساد ذاتِ البينِ. وقد ذكرنا تصرف الفتنة.

والتأويل: من قولهم: آل الأمر إلى كذا.

أي: صار إليه، وأولته تأويلاً صيرته إليه.

قيل: الفرق بين التأويل والتفسير، أن التفسير نحو قول العلماء: الريب: الشك، والتأويلُ نحو قول ابن عباس: الجد أب، وتأملَ قول الله (يا بني آدم).

٩- ثم **قال تعالى: وما يعلمُ تأويلهُ ِإلا اللهُ والراسِخُونَ ِفي الْعِلْمِ يقُولُونَ آمنا ِبهِ** [آية: ٧]. في هذه الآية اختلاف كثير.

---

(١) الحديث رواه البخاري في التفسير ٤٢/٦، ومسلم في العلـم ٥٦/٨ وأبـو داود في سـننه ١٩٨/٤، وأحمد في المسند ٤٨/٦.

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٦٢/٥ عن أبي أمامة مرفوعًا إلى النبي ﷺ.

منه: أن التمام عند قوله (إلا اللهُ) وهذا قول الكسائي، والأخفش، والفراء، وأبي عبيد، وأبي حاتم[١].

ويحتج في ذلك بما روى طاووس عن ابن عباس أنه قرأ: **وما يعلمُ تأويلهُ إلا اللهُ ويقُولُ الراسِخُونَ فِي الْعِلْمِ آمنا بِهِ**[٢].

وقال عمر بن عبد العزيز: انتهى علم الراسخين في العلم إلى أن قالوا: آمنا به.

قال ابن كيسان: التأويل في كلام العرب: ما يؤول إليه معنى الكلام، فتأويله ما يرجع إليه معناه، وما يستقر عليه الأمر في ذلك المتشبه، هل ينجح أم لا؟ فالكلام عندي منقطع على هذا.

والمعنى: والثابتون في العلم، المنتهون إلى ما يحاط به منه، مما أباح الله خلْقَه بلوغه، يقولون آمنا به على التسليم، والتصديق به وإن لم ينتهوا إلى علم ما يؤول إليه أمره.

ودل على هذا **كُل من عِندِ ربنا** [آية: ٧] أي: المحكم والمتشابه، فلو كان كله عندهم سواء، لكان كله محكمًا، ولم ينسب شيءٌ منه إلى المتشابه.

قال أبو جعفر: وهذا قول حسن، ولكنه على قول من قال: المحكم الذي لا ينسخ نحو «الأخبار» ودعاء العباد إلى التوحيد، والمتشابه ما يحتمل النسخ من الفرائض، لم يكن إلى العباد علم تأويله، وما يثبت عليه.

ومن جعل «تأْوِيلَه» بمعنى التفسير، لأنه ما يؤول إليه معنى الكلام، فالراسخون في العلم عنده يعلمون تأويله.

كما روى ابن نجيح عن مجاهد: الراسخون في العلم يعلمون تأويله يقولون آمنا به.

قال مجاهد: قال ابن عباس: أنا ممن يعلم تأويلَه.

قال أبو جعفر: والقولُ الأولُ وإن كان حسنًا، فهذا أبين منه؛ لأن واو العطف الأولى بـا أن تدخل الثاني، فيما دخل فيه الأولُ، حتى يقع دليلٌ بخلافِهِ.

وقد مدح اللهُ ﷻ الراسخين، بثبا م في العلم، فدل على أ م يعلمون تأويله.

وقد قال ﷻ: **أَفَلَا يتدبرُونَ الْقُرآنَ** ؟[النساء: ٨٢].

---

(١) يعني: السجستاني.

(٢) هذه القراءة ليست من القراءات السبع المتواترة، ذكرها السيوطي في الدر المنثـور ٦/٢، و ابـن الجوزي في زاد المسير ٣٥٤/١.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه دعا لابن عباس فقال: «**اللهم فقهُ** في **الدين، وعلمهُ التأويلَ**»[١].

وقال أبو إسحاق[٢]: معنى «ابتغائهم تأويله» أ م طلبوا تأويل بعثهم، وإحيائهم، فأعلَم اللهُ ﷻ أن تأويل ذلك، ووقته لا يعلمه إلا اللهُ.

قال: والدليلُ على ذلك قوله: **﴿هلْ ينظُرُونَ إلا تأويلَهُ يوم يأتي تأويلُهُ﴾** [الأعراف: ٥٣] أي: يوم يرون ما وعِدوا به من البعث والنشور والعذاب **﴿يقُولُ الذِين نسُوهُ﴾** [الأعراف: ٥٣] أي: تركوه **﴿قد جاءَت رُسُلُ ربنا بالْحق﴾** [الأعراف: ٥٣] أي: قد رأينا تأويل ما أنبأتنا به الرسلُ.

قال: والوقف التام **﴿وما يعلمُ تأويلهُ إلا اللهُ﴾** [آل عمران: ٧] أي: لا يعلم أحد متى البعث «غير الله».

١٠- وقوله ﷻ: ﴿ربنا لا تُزِغْ قُلُوبنا بعد إذْ هديتنا..﴾ [آية: ٨].

أي: لا تبتلينا بما نـزيغُ به، أي: يقولون هذا، ويجوز أن يكون المعنى: قل يا محمد.

ويقال: إزاغةُ القلب فساد عن الدين وميلٌ عن الدين، أو كانوا يخافون -وقد هدوا- أن ينقلهم اللهُ إلى الفساد؟

فالجواب: أن يكونوا سألوا إذْ هداهم الله، أن لا يبتليهم بما يثقل عليهم من الأعمال، فيعجزوا عنه، نحو **﴿ولَو أنا كَتبنا عليهم أن اقتُلوا أنفُسكُم﴾** [النساء: ٦٦].

قال ابن كيسان: سألوا أن لا يزيغوا، فيزيغ اللهُ قلوبهم، نحو **﴿فَلما زاغُوا أزاغَ اللهُ قُلُوبهُم﴾** [الصف: ٥] أي: ثبتنا على هدايتك إذ هديتنا، أن لا نـزيغ فنستحق أن تزيغ قلوبنا.

قال وفيها جواب آخر: أنه ﷻ الذي من عليهم بالهداية، وعرفهم ذلك، فسألوه أن يدوموا علي ما هم عليه، وأن يمدهم منه بالمعونة، وأن لا يلجئهم إلى أنفسهم، وقد ابتدأهم بفضله، فتزيغ قلوبم، وذلك مضاف إليه ﷻ، لأنه إذا تركهم ولم يتول هدايتهم ضلّوا، فكان سبب ذلك تخليته إياهم.

قال: وقولٌ جامع أن القلوب للهِ ﷻ يصرفها كيف يشاء.

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٦٦/١ بذا اللفظ، والبخاري بلفظ: «اللهم علمه الكتـاب» ومسلم برقم ٢٤٧٧ في مناقب عبد الله بن عباس، والترمذي في السنن بلفظ: «ضمني رسول الله ﷺ وقال: اللهم علمه الحكمة».

(٢) يعني: الزجاج.

وفي الحديث عن النبي ﷺ «**يا مقلبَ القُلوب ثبت قلبي على دينك**»[(١)].

١١- وقوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آية: ٩].

قال ابن كيسان: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: دليله قائم في أنفس العباد، وإن جحدوا به، لإقرارهم بالحياة الأولى: ولم يكونوا قبلها شيئًا، فإذا عرفوا الإعادة فهي لهم لازمةٌ بأن يقروا بها، وأن لا يشكوا فيها، لأن إنشاءَ ما لم يكن، مبين بأن المنشئ على الإعادة قادر.

ومن حسن ما قيل فيه: أن يوم القيامة لا ريب فيه، لأنهم إذا شاهدوه، وعاينوا ما وعدوا فيه، لم يجز أن يداخلهم ريب فيه.

١٢- ثم قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [آية: ١٠].

وذلك أن قومًا قالوا: «شغلتنا أموالُنا وأهلونا»

١٣- ثم قال تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آية: ١٠].

أي: هم بمنـزلة الحطب في النار.

١٤- ثم قال تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [آية: ١١].

قال الضحاكُ: كفعل آل فرعون.

قال أبو جعفر: وكذلك هو في اللغة، ويقال: دأب يدأب: إذا اجتهد في فعله، فيجوز أن تكون الكاف معلقةٌ بقوله: **﴿وَقُودُ النَّارِ﴾** أي: عذبوا تعذيبًا كما عذب آل فرعون.

وتجوز أن تكون معلقة بقوله: **﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾**.

ويجوز أن تكون معلقة بقوله: **﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾**.

قال ابن كيسان: ويحتمل - على بعدٍ - أن تكون معلقة (بكذبوا) ويكون في (كذبوا) ضمير الكافرين، لا ضمير آل فرعون.

قال أبو إسحاق: المعنى: اجتهادهم في كفرهم، وهو كاجتهاد آل فرعون، والكاف في موضع رفع.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الدعاء ٣٤٢/٢، عن أنس، والترمذي في القـدر، بـرقم ٢١٤١.

أي: دأبهم مثل دأب آل فرعون.

١٥- ثم **قال** ﷻ: **قُلْ للذِين كَفَرُوا سَتُغلبُونَ وَتُحشرُونَ إلى جهنم وبِئس المِهادُ** [آية: ١٢].

قال ابن كيسان: ستُغلبُونَ أي: قل لهم هذا، وبالياء لأنهم في وقت الخطاب غيب.

ويحتمل أن يكون الذين أمره أن يبلغهم غير المغلوبين.

وقد قيل: إنه أُمِر أن يقول لليهود: سيغلَب المشركون.

١٦- ثم **قال** ﷻ: **قَد كَانَ لَكُم آيةٌ فِي فِئَتين التقَتا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سبِيل اللهِ وأخرى كَافِرةٌ يرونهُم مثْلَيهم رأي العين..** [آية: ١٣].

والمعنى: قد كان لكم علامةً من أعلام النبي ﷺ، لأنه أنبأهم بما لم يكن.

والفئةَ: الفِرقةُ، من قولهم: فأوت رأسه بالسيف، وفأيته أي فلقته.

قرأ أبو عبد الرحمن[1]: **تُرونهُم مثْلَيهم** بضم التاء.

وروى علي بن أبي طلحة **يُرونهُم** بضم الياء.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﷻ: **قَد كَانَ لَكُم آيةٌ فِي فِئَتين التقَتا**.

قال: محمد ﷺ وأصحابه، ومشركو بدر.

وأنكر أبو عمرو أن يقرأ (**تُرونهُم**) بالتاء، قال: ولو كان كذلك لكان (**مِثْلَيكُم**).

---

(١) هو مقرئ الكوفة، الإمام العلَم، عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي ﷺ. قرأ القرآن، وجوده، ومهر فيه، وعرض على عثمان فما بلغنا، وعلى علي، وابن مسعود. وحدث عن عمر، وعثمان، وطائفة. قال أبو عمرو الداني: أخذ القراءة عرضا عن عثمان، وعلي، وزيد، وأبي، وابن مسعود. أخذ عنه القرآن: عاصم بن أبي النجود، ويحيى بن وثاب، وعطاء بن السائب وعبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، ومحمد بن أبي أيوب، والشعبي، وإسماعيل بن أبي خالد، وعرض عليه الحسن والحسين رضي الله عنهما. وحدث عنه: عاصم، وأبو إسحاق، وعلقمة بن مرثد، وعطاء بن السائب، وعدد كثير. روى حسين الجعفي عن محمد بن أبان، عن علقمة بن مرثد، أن أبا عبد الرحمن السلمي تعلم القرآن من عثمان، وعرض على علي. محمد ليس بحجة. قال أبو إسحاق: كان أبو عبد الرحمن السلمي يقرئ الناس في المسجد الأعظم أربعين سنة. وقال سعد بن عبيدة: أقرأ أبو عبد الرحمن في خلافه عثمان، وإلى أن توفي في زمن الحجاج. توفي سنة أربع وسبعين. وقيل: مات في إمرة بشر بن مروان على العراق. وقيل: مات سنة ثلاث وسبعين. وقيل: مات قبل سنة ثمانين. وقيل: مات في أوائل ولاية الحجاج على العراق. وغلط ابن قانع حيث قال في وفاته إنها سنة خمس ومائة.

قال أبو جعفر: وذا لا يلزم، ولكن يجوز أن يكون مثلي أصحابكم.

قال ابن كيسان: الهاءُ والميم في «ترونهم» عائدةٌ إلى **وأخرى كَافِرةٌ** والهاءُ والميم في «**مِثْلَيهم**» عائدة إلى **فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سبِيلِ اللهِ** وهذا من الإضمار الذي يدل عليه سياق الكلام، وهو قولُه: (واللهُ يؤيد بِنصرِه من يشاءُ) فدل على أن الكافرين كانوا مثلي المسلمين في رأي العين، وكانوا ثلاثة أمثالهم في العدد.

قال: والرؤيةُ هاهنا لليهود.

قال ومن قال «**يُرونَهُم**» بالياء جعل الرؤية للمسلمين، يرون المشركين مثليهم، وكان المسلمون يوم بدر ثلثمائة وأربعة عشر، والمشركين تسع مائة وخمسين، فأُرِي المسلمون المشركين ضعفهم، وقد وعدهم أن الرجل منهم يغلب الرجلين من المشركين فكانت تلك آية، أن يروا الشيء على خلاف صورته، كما قال تعالى: **وإِذْ يُرِيكُمُوهُم إِذِ الْتقَيْتُم فِي أعْيُنِكُم قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُم فِي أعْيُنِهِم لِيقْضِي اللهُ أمرا كَانَ مفْعُولاً..** [الأنفال: ٤٤].

قال ابن إسحاق: ليؤلف بينهم على الحرب، للنّقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه، من أهل ولايته.

قال الفراء: يحتمل «مِثْلَيهم» ثلاثة أمثالهم.

قال أبو إسحاق: وهذا باب الغلطُ فيه غلط «بين» في جميع المقاييس، لأنا إنما نعقلُ مثل الشيء مساويًا له، ونعقل مثليه ما يساويه مرتين.

قال ابن كيسان الأزدي: كيف يقع المثلان موقع ثلاثة أمثال؟ إلا أني أحسبه جعل **ترونَهُم** راجعة إلى الكل، ثم جعل المثلين مضافًا إلى نصفهم، على معادلة الكافرين المؤمنين، أي: يرون الكل مثليهم، لو كان الفريقان معتدلين.

قال: والراءون هاهنا: اليهود، وقد بين الفراء قوله بأن قال: كما تقول: وعندك عبد، أحتاج إلى مِثْلَيه، فأنت محتاج إلى ثلاثة.

وكذلك عنده إذا قلت: معي درهم، وأحتاج إلى مثليه، فأنت تحتاج إلى ثلاثة، مثْليه والدرهم، لأنك لا تريد أن يذهب الدرهم.

والمعنى يدل على خلاف ما قال، وكذلك اللغةُ.

فإ م إذا رأوهم على هيأ م،فليس في هذه آية، واللغةُ على خلاف هذا؛ لأنه قد عرف بالتمييز معنى المِثْل.

والذي أوقع الفراء في هذا، أن المشركين كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين يوم بدر،

فتوههم أنه لا يجوز أن يكونوا يرو م إلا على عاد م، فتأول أنك إذا قلت: عندي درهم، وأحتاج إلى مثله، والدرهم بحاله، فقد صرت تحتاج إلى درهمين، وهذا بين، وليس المعنى عليه، وإنما أراهم الله إياهم على غير عد م، لجهتين:

إحداهما: أنه رأى الصلاح في ذلك؛ لأن المؤمنين تقْوى قلوبم بذلك.

والأخرى: أنه آيةٌ للنبي ﷺ.

١٧- وقوله ﷻ: زُين ِللناس حُب الشهواتِ ِمن النساءِ والْبِنين والْقَناطِيرِ الْمُقَنطَرةِ ِمن الذهبِ والْفِضةِ.. [آية: ١٤].

قيل: لما كانت معجِبةً، كانت كأنها قد زينت.

وقيل: زينها الشيطانُ.

والْقَناطِيرِ الْمُقَنطَرةِ القنطار في كلام العرب: الشيءُ الكثير، مأخوذٌ من عقد الشيء وإحكامه، والقنطرةُ من ذلك، و«مقَنطَرةٌ» أي: مكملة، كما تقول: آلاف مؤلفة.

١٨- ثم **قال جل وعز: والْخيل الْمُسومةِ والأنعامِ والْحرثِ..** [آية: ١٤].

«الخيل المُسومة» **قال مجاهد:** الحسنة.

وقال سعيد بنُ جُبيرٍ: الراعية.

وقال أبو عُبيدة والكسائي: قد تكون المسومة: المُعلَمةُ.

قال أبو جعفر: قولُ مجاهد حسن، من قولهم: رجلٌ وسيم.

وقولُ سعيد بن جبير لا يمتنع، من قولهم: سامت تسوم، وأسمتها وسومتها أي: رعيتها، وقد تكون راعية، حسانًا، معلمةً، لتعرف من غيرها.

وقال أبو زيد[1]: أصلُ ذلك أن تجعل عليها صوفة، أو علامة تخالف سائر جسدها، لتبين من غيرها في المرعى.

والأنعام: الإبلُ، والبقر، والغنم، والحرثُ: الزرع.

وقوله تعالى: **واللهُ عِندهُ حُسنُ الْمآبِ** أي: المرجع.

١٩- ثم **قال ﷻ: ِللذِين اتقَوا عِند ربهم جناتٌ تجري ِمن تحتِها الأنهارُ خالِدِين ِفيها وأزواجٌ مطَهرةٌ..** [آية: ١٥].

---

(١) أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري سبقت ترجمته.

وأزواجٌ مطهرةٌ أي: من الأدناس والحيض.

٢٠- ثم **قال تعالى: الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار..** [آية: ١٧].

قيل «الصابرون»: الصائمون، ويقال في شهر رمضان: شهر الصبر.

والصحيحُ: أن الصابر هو الذي يصبر عن المعاصي.

و«القانتون لله»: المُصلون، و«المُنفِقُون»: المتصدقون.

٢١- ثم **قال** ﷻ: **شهد اللهُ أنهُ لا إلهَ إلا هُو والملائكةُ وأولُو العِلْمِ..** [آية: ١٨].

قال أبو عُبيدةَ: شهد: معناه قضى، أي: أعلم.

قال أبو جعفر: قال أبو إسحاق: وحقيقةُ هذا أن الشاهد هو الذي يعلم الشيء ويبينه، فقد دلنا اللهُ ﷻ بما خلق وبين على وحدانيته.

وقرأ الكسائي بفتح «أن» في قوله: **أنهُ لا إلهَ إلا هُو** وفي قوله سبحانه: **أن الدين عِند اللهِ الإسلامُ** [آية: ١٩][1].

قال أبو العباس «محمد بن يزيد»[2]: التقدير على هذه القراءة: أن الدين عند الله الإسلام، بأنه لا إله إلا هو، ثم حذفت الباءُ وأنشد سيبويه:

أمرتُك الخير فافْعلْ ما أُمِرت به ... فقد تركتُك ذا مال وذا نشب[3]

المعنى: أي: أمرتك بالخير.

قال الكسائي: انصبهما جميعًا، بمعنى شهد الله أنه كذا، وأن الدين عند الله الإسلام. ويكون أيضًا بمعنى شهد الله أنه لا إله إلا هو أن الدين عند الله الإسلام.

قال ابن كيسان: «أن» الثانية بدل من الأولى؛ لأن الإسلام تفسير المعنى الذي هو التوحيد:

وقرأ ابن عباس فيما حكى الكسائي: (شهد اللهُ إنه لا إله إلا هو).

وقرأ: (أن الدين عِند الله الإسلام) والتقدير على هذه القراءة: شهد الله أن الدين الإسلام، ثم ابتدأ فقال: إنه لا إله إلا هو.

---

(١) هذه من القراءات السبع، انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٣٨/٢، والسبعة في القراءات لابن مجاهد ٢٠٢.

(٢) انظر في توجيه هذه القراءة: معاني القرآن للزجاج ٣٨٨/١.

(٣) البيت لعمرو بن معد يكرب كما في شواهد المغني ٧٢٧/٢.

ورُوي عن محارب بن دثار، عن عمه أبي المهلب، أنه قرأ- وكان قارئًا - **شُهداءَ لله** [النساء: ١٣٥](١).

وقوله تعالى: (قائمًا بالقسطِ) يعني: بالعدل.

٢٢- ثم قال ﷻ: **إن الدين عِند اللهِ الإسلامُ** [آية: ١٩].

الإسلام في اللغة: الخضوع والانقياد، ومنه استسلم الرجلُ.

فمعنى أسلم: خضع، وقبل ما جاء به محمد ﷺ.

وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أنْ لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وحج البيت، وصوم شهر رمضان**»(٢).

٢٣- وقوله ﷻ: **ومن يكْفُرْ بِآياتِ اللهِ فإن اللهَ سريعُ الحِساب** [آية: ١٩].

في **الآية قولان:**

أحدهما: أن المعنى إن الحساب قريب، كما قال الله تعالى: **وما أمرُ الساعةِ إلا كلمح البصر أو هُو أقربُ** [النحل: ٧٧].

والقول الآخر: إن محاسبته سريعة، لأنه عالمٌ بما عمِل عباده، لا يحتاج أن يفكر في شيءٍ منه.

٢٤- وقوله ﷻ: **فإنْ حاجوك فَقُلْ أسلمتُ وجهي للهِ ومن اتبعن** [آية: ٢٠].

أمره اللهُ أن يحتج عليهم بأنه متبع أمر من هم مقرون به، لأ م مقرون بأن الله ﷻ خالقهم، فأُمروا أن يعبدوا من خلقهم وحده.

ومعنى **أسلمتُ وجهي للهِ** : أسلمت نفسي لله، كما قال تعالى: **ويبقى وجهُ ربك** [الرحمن: ٢٧]. أي: ويبقى ربك.

٢٥- وقوله ﷻ: **وقُل للذِين أوتُوا الكِتاب والأميين** [آية: ٢٠].

الذين أوتوا الكتاب «اليهود» و«النصارى» والأميون: مشركو العرب، كأ م نسبوا إلى الأم؛ لأ م بمنـزلة المولود في أ م لا يكتبون.

وقيل: هم منسوبون إلى أم القرى وهي مكة.

---

(١) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب لابن جني ١٥٥/١، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥٣/٣.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الإيمان ٤٧/١، ومسلم في بـاب أركـان الإسـلام ١٦/١، والترمذي برقم ٢٧٢٦، والنسائي ١٠٧/٨.

٢٦- وقوله ﷻ: أأسلمتم . قيل معناه: أسلموا، وحقيقته أنه على التهديد، كما تقول للرجل: أأقْلت مني ؟

٢٧- ثم قال تعالى: فإنْ أسلموا فقد اهتدوا وإنْ تولوا فإنما عليك البلاغُ [آية: ٢٠].

ونسخ هذا بالأمر بالقتال.

ثم **قال تعالى: والله بصيرٌ بالعباد** [آية: ٢٠] أي: بصير بما يقطع عذرهم.

٢٨- وقوله ﷻ: إن الذين يكفُرونَ بآياتِ اللهِ ويقتُلونَ النبيين بغير حق ويقتُلونَ الذين يأمُرونَ بالقِسطِ من الناس فبشرهُم بعذابٍ أليمٍ [آية: ٢١].

قال معقِلُ بنُ أبي مِسكين: كانت الأنبياء -صلوات الله عليهم- تجيء إلى بني إسرائيل بغير كتاب فيقتلو م فيقوم قوم ممن اتبعهم، فيأمرون بالقسط - أي: بالعدل - فيقتلون.

فإن قال قائل: الذين وعِظُوا بذا لم يقتلوا نبيًا؟

فالجوابُ عن هذا: أ م رضوا فعل من قتل فكانوا بمنـزلته، وأيضًا فإ م قاتلوا النبي ﷺ وأصحابه وهموا بقتلهم، كما قال الله ﷻ **وإذْ يمكُرُ بك الذين كفَرُوا ليُثبِتُوك أو يقتُلُوك** [الأنفال: ٣٠].

٢٩- ثم قال الله ﷻ: ألم تر إلى الذين أوتُوا نصيبا من الكِتاب [آية: ٢٣].

أي: حظًا وافرًا **يُدعونَ إلى كِتابِ اللهِ ليحكُم بينهُم** [آية: ٢٣].

وقرأ أبو جعفر «يزيد بن القَعقَاع» **ليُحكَم بينهُم** [1] والقراءةُ الأولى أحسن، كقوله **هذَا كِتابُنا ينطِقُ عليكُم بالحق** [الجاثية: ٢٩].

٣٠- وقوله ﷻ: ذَلك بأنهُم قالُوا لن تمسنا النارُ إلا أياما معدُوداتٍ [آية: ٢٤].

روي أ م قالوا: إنما نعذب أربعين يومًا، وهي الأيام التي عبد فيها آباؤنا العِجل، فأخبر الله ﷻ أن هذا افتراءٌ منهم وكذب، فقال تعالى: **وغرَّهُم في دِينِهم ما كانُوا يفْترُونَ** [آية: ٢٤].

أي: ما كانوا يخْتلقون من الكذب، كأ م يسوون ما لم يكن، من فريت الشيء، قال زهير:

---

(١) انظر: ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر ٢٢٧/٢، وتفسير ابن عطية ٦٣/٣.

ولأنت تفْـري مـا خلقْت وبعضُ القومِ يخلُقُ ثم لا يفْري[(١)]

٣١- وقوله ﷻ: فَكَيفَ إِذَا جمعناهُم لِيومٍ لا ريب فِيهِ [آية: ٢٥].

في الكلام حذف.

والمعنى: فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم «ليوم لا ريب فيه» أي: لا شك فيه أنه كائن؟

٣٢- وقوله ﷻ: قُلِ اللهُم مالِك المُلْكِ تُؤتي المُلْك من تشاءُ وتنـزعُ المُلْك مِمن تشاءُ [آية: ٢٦].

قيل: الملك هاهنا النبوة.

وقيل: هو المالُ والعبيد.

وقيل: هو الغلبةُ.

وقال قتادة: بلغني أن النبي ﷺ سأل الله ﷻ أن يعطي أمته ملك فارس، فأنـزل اللهُ ﷻ هذه الآية[(٢)].

ومعنى: **تُؤتي المُلْك من تشاءُ** أي: من تشاء أن تؤتيه، **وتنـزعُ المُلْك مِمن تشاءُ** أي: من تشاء أن تنـزعه منه، ثم حذف هذا، وأنشد سيبويه:

ألاهلْ لِهذا الدهـر مـن مُتعلل على الناس مهما شاء بالناس يفْعل[(٣)]

قال أبو إسحاق المعنى: مهما شاء أن يفعل بالناس يفعل.

٣٣- وقوله ﷻ: وتُعِز من تشاءُ وتُذِل من تشاءُ.. [آية: ٢٦].

يُقال: عز إذا غلب، وذل يذِل ذُلاً: إذا غُلِب وقُهر، قال طَرَفَة:

بطيءٍ على الجُلى سريعٍ إلى الخَنا ذليلٍ بإجماع الرجال مُلهد[(٤)]

٣٤- وقوله ﷻ: تُولِجُ الليلَ في النهارِ وتُولِجُ النهار في الليل.. [آية: ٢٧].

قال عبد الله بن مسعود: هو قِصره في الشتاء، والصيف، فالمعنى على هذا: تنقِص من الليل وتدخِل النقصانَ في النهار، وتنقِص من النهار وتدخل النقصان في الليل.

---

(١) البيت في ديوانه ص ٩٤.

(٢) رواه ابن جرير عن قتادة ٢٢٢/٣.

(٣) البيت للأسود بن يعفُر النهشلي، وهو أمالي ابن الشجري.

(٤) البيت لطَرَفَة بن العبد، من معلقته، انظر المعلقات السبع للزوزني ص١٢٣، وشرح المعلقات السبع لابن الأنباري، ص٢٢٤.

يقال: ولَج، يلِج ولُوجًا، ولِجةً: إذا دخل، قال الراجز:

مُتخِذًا في **ضعواتٍ تولَجا**

٣٥- وقوله ﷻ: **وتُخرِجُ الحي مِن الميتِ وتُخرِجُ الميت مِن الحي..** [آية: ٢٧].

قال سلمان: أي: تخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن.

وقال عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك وهذا معنى قولهم: تخرج النطفة وهي ميتةٌ، من الرجل وهو حي، وتخرِج الرجل وهو حي، من النطفة وهي ميتةٌ.

٣٦- ثم **قال تعالى: وترزُقُ من تشاءُ بغير حِسابٍ** [آية: ٢٧].

أي: بغير تضييق ولا تقتير، كما تقول: فلانٌ يعطي بغير حساب، كأنه لا يحسِب ما يعطي.

٣٧- وقوله ﷻ: **لا يتخِذِ المُؤمِنُونَ الكافِرين أولياءَ مِن دُون المُؤمِنين..** [آية: ٢٨].

أي: لا يتولوهم في الدنيا؛ لأن المنافقين أظهروا الإيمان، وعاضدوا الكفار فقال الله ﷻ: **ومن يتولَّهم منكُم فإنهُ مِنهُم** [المائدة: ٥١].

وقال: ومن يفْعلْ ذَلِك فليس مِن اللهِ في شيءٍ إلا أنْ تتقُوا مِنهُم تُقَاةً.. [آية: ٢٨].

قال ابن عباس: هو أن يتكلم بلسانه، ولا يقتل، ولا يأتي إثمًا، ويكون قلبه مطمئنًا بالإيمان.

وقرأ جابر بن زيد ومجاهد وحميد والضحاك (إلا أنْ تتقُوا منهم تقية)[1].

وقال الضحاك: التقيةُ باللسان، والمعنى عند أكثر أهل اللغة واحد.

وروى عوف عن الحسن قال: التقيةُ جائزةٌ للمسلم إلى يوم القيامة، غير أنه لا يجعلُ في القتل تقية. ومعنى **فليس مِن اللهِ في شيءٍ..** فليس من حزب الله.

وحكى سيبويه: هو مني فرسخين أي: من أصحابي.

ومعنى **مِن دُون المُؤمِنين** من مكان دون مكان المؤمنين وهو مكان الكافرين.

٣٨- ويُحذِّرُكُمُ اللهُ نفْسهُ واللهُ رؤُوفٌ بِالعِبادِ [آية: ٣٠]. أي: يحذركم إياه.

٣٩- وقوله تعالى: قُلْ إن كُنتُم تُحِبونَ اللهَ فاتبِعُوني يُحبِبكُمُ اللهُ.. [آية:٣١].

المحبة في كلام العرب على ضروب: منها المحبة في الذات، والمحبة من الله لعباده: المغفرةُ، والرحمة، والثناء عليهم، والمحبة من عبادة له: القصد لطاعته، والرضا لشرائعه.

٤٠- وقوله تعالى: قُلْ أطِيعُوا اللهَ والرسُولَ فإنْ تولوا فإن اللهَ لا يُحِب الكافِرين

---

(١) هي قراءة يعقوب، ذكرها ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٢/٢٣٩.

[آية: ٣٢].

المعنى: لا يحبهم، ثم أعاد الذكر، وكذلك «فإن الله» ولم يقل: فإنه. والعرب إذا عظمت الشيء أعادت ذكره، و أنشد سيبويه:

لا أرى الموت يسبقُ الموت شيءٌ نغص الموتُ ذا الغِنى والفقيرا(١)

٤١- وقوله ﷻ: إن الله اصطفى آدم ونوحا وآلَ إبراهيم وآلَ عِمرانَ على العالمين [آية: ٣٣].

قال أهل التفسير: المعنى على عالم أهل زما م، ومعنى (اصطفى) اختار، وهذا تمثيلٌ؛ لأن الشيء الصافي هو النقي من الكدر، فصفوةُ الله ﷻ هم: الأنقياءُ من الدنس، ذوو الخير والفضل.

٤٢- وقوله ﷻ: إذْ قالتِ امرأة عِمرانَ رب إني نذرتُ لك ما في بطني محررا [آية: ٣٥].

روى خصيف عن مجاهدٍ وعكرمة، أن المحرر: الخالص لله ﷻ، لا يشوبه شيءٌ من أمر الدنيا. وهذا معروف في اللغة، أن يقال لكل ما خلُص: حر. ومحرر، قال ذو الرمة:

والقُرطُ في حُرةِ الذفْرى مُعلقهُ تباعد الحبلُ منْه فهو يضطربُ(٢)

٤٣- وقوله ﷻ: فلما وضعتها قالت رب إني وضعتُها أنثى.. [آية: ٣٦]

قال ابن عباس: إنما قالت هذا لأنه لم يكن يقْبل في النذر إلا الذكور، فقبل اللهُ مريم.

٤٤- ثم **قال تعالى: واللهُ أعلمُ بما وضعت وليس الذكرُ كالأنثى..** [آية:٣٦].

في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: قالت ربي إني وضعتها أنثى، وليس الذكر كالأنثى، فقال الله ﷻ: **واللهُ أعلمُ بما وضعت** .

وقرأ أبو رجاءٍ، وإبراهيم النخعي، وعاصم **واللهُ أعلمُ بما وضعت** .

فعلى هذه القراءة، ليس في الكلام تقديم ولا تأخير.

٤٥- وقولُه تعالى: وكفلها زكريا [آية: ٣٧].

قال قتادة: كانت مريم بنت عِمران - إمامِهم وسيدهم - فقارعوا عليها سِهامهم، فخرج سهم «زكريا» فكفلها. أي: ضمها إليه.

(١) البيت لعدي بن زيد، وهو في ديوانه ص ٦٥.

(٢) البيت في ديوانه،ص١٠.

وفي الحديث «كَافِلُ اليتيم له كذا»[١].

وقال الحسن: قَبِلَها وتحملها.

وقال أبو عبيدة: معنى «كَفِلَها» ضمها، أو ضمِن القيام با.

٤٦- وقوله تعالى: ﴿كُلما دخلَ عليها زكَريا الْمِحراب وجد عِندها رِزقًا..﴾ [آية: ٣٧].

المحراب في اللغة: المكانُ العالي، ويستعمل لأشرف المواضع، وإن لم يكن عاليًا، إلا أنه روي أن زكريا كان يصعد إليها بسلم.

ومعنى ﴿وجد عِندها رِزقًا﴾ على قول مجاهد: وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء.

٤٧- وقوله تعالى: ﴿قالَ يا مريمُ أنى لكِ هذَا﴾؟[آية: ٣٧].

قال أبو عبيدة: المعنى من أين لكِ؟

وهذا القولُ فيه تساهلٌ؛ لأن «أين» سؤال عن المواضع و«أنى» سؤال عن المذاهبِ والجهات، والمعنى: من أي المذاهب ومن أي الجهات لك هذا؟ وقد فرق الكُميت بينهما فقال:

«أنى» ومِن «أين» آبك الطربُ ... مِن حيثُ لا صبوةٌ ولا رِيبُ[٢]

﴿قالت هُو مِن عِندِ اللهِ﴾ من قِبلَ الله.

﴿إن اللهَ يرزُقُ من يشاءُ بِغير حِسابٍ﴾ أي: بغير تقتير.

٤٨- وقوله تعالى: ﴿فَنادتْهُ الْملائكةُ..﴾ [آية: ٣٩].

روي أن جبريل عليه السلام هو الذي ناداه وحده.

وهذا لا يمتنع في اللغة، كما تقول: ركب فلانٌ السفن، وإنما ركب سفينة واحدة، أي: ركب هذا الجنس.

٤٩- وقوله تعالى: ﴿مُصدقًا بِكَلِمةٍ من اللهِ﴾ [آية: ٣٩].

قال ابن عباس: صدق بعيسى.

---

(١) الحديث رواه أحمد في المسند ٣٣٣/٥ ولفظه: «أنا وكافلُ اليتيم كهاتين في الجنة - وأشار بالسبابة والوسطى-»، والبخاري في الأدب المفرد، ومسلم في الزهد.

(٢) انظر الهاشميات ص ٤٤.

وقال الضحاك: بشر بعيسى.

ومعنى «بشرته» أظهرت في بشرته السرور.

فإن قيل: فما معنى تسمية «عيسى» بالكلمة، ففي هذا أقوال:

أحدهما: أنه لما قال اللهُ ﷻ «كُن» فكان سماه بالكلمة، فالمعنى على هذا: ذو كلمةِ اللهِ كما قال تعالى: **واسأل الْقَرية** [يوسف: ٨٢].

وقيل: سمي بذا كما يقال: عبد الله، وألقاها على اللفظ.

وقيل: لما كانت الأنبياء قد بشرت به، وأعلمت أنه يكون من غير فحلٍ، وبشر الله مريم به كما قال: **إنما أنا رسُولُ ربكِ لأهب لَكِ غُلَامًا زكِيا** [مريم: ١٩]. فلما ولدته على الصفة التي وصِف بها قال الله ﷻ: هذه كلمتي، كما تخبر الرجل بالشيء، أو تِعِده به، فإذا كان، قلت: هذا مولى، وهذا كلامي.

والعرب تسمى الكلام الكثير، والكلمة والواحدة كلمةً، كما روى أن الحُويدرة ذُكر لحسان فقال: «لعن اللهُ كلمته تلك» يعني: قصيدته.

وقيل: سمي كلمةً؛ لأن الناس يهتدون به، كما يهتدون بالكلمة.

٥٠- وقوله تعالى: وسيدا وحصُورا ونِبيا من الصالِحِين [آية: ٣٩].

قال سعيد بن جُبير والضحاكُ: السيد: الحليم.

وقيل: الرئيس.

وروى يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب أنه قرأ: **وسيدا وحصُورا** فأخذ من الأرض شيئًا، ثم قال: الحصور: الذي لا يأتي النساء.

يقال: حصِر إذا مِنع، فـ «حصور» بمعنى: محصور، كأنه مِنع مما يكونُ في الرجال.

و«فَعولٌ» بمعنى: «مفْعول» كثير في كلام العرب، من ذلك «حلُوب» بمعنى: محلوبةٌ، قال الشاعر:

فيها اثْنتان وأربعـون حلُـوبةً سُودا كخافية الغُراب الأسحم[1]

ويقال: حصرت الرجل: إذا حبسته، وأحصره المرض: إذا منعه من السير، والحصير من هذا سمي؛ لأن بعضه حِبس على بعض.

(١) البيت لعنترة بن شداد من معلقته، وهو في ديوانه ص ١٤٤.

وقيل: هو الحابس نفسه عن معاصي الله ﷻ.

وقال ابن عباس: الذي لا ينـزلُ.

٥١- وقوله تعالى: ﴿قَالَ رب أنى يكُونُ لِي غُلامٌ وقَد بلَغنِي الْكِبرُ وامرأَتِي عاقِرٌ﴾ [آية: ٤٠].

يقال: كيف استنكر هذا وهو نبي، يعلم أن الله يفعل ما يريد؟

ففي هذا جوابان:

أحدهما: أن المعنى: بأي منـزلةٍ استوجبت هذا؟ على التواضع لله.

وكذلك قيل في قول مريم: ﴿**أنى يكُونُ لِي ولَدٌ ولَم يمسسنِي بشَرٌ**﴾ [آية: ٤٧].

والجوابُ الآخر: أن زكريا أراد أن يعلم هل يرد شأبًا؟ وهل ترد امرأته؟ وهل يرزقهما اللهُ ولدًا من غير رد؟ أو من غيرها؟

فأعلمهم اللهُ ﷻ أنه يرزقهما ولدًا من غير رد، فقال ﷻ: ﴿**كَذَلِك يفْعلُ اللهُ ما يشاءُ**﴾.

وُيقال: عقُرتِ المرأة: إذا لم تحمل، وعقُر الرجلُ: إذا لم يولد له، والذكُر والأنثى عاقر.

٥٢- وقوله تعالى: ﴿قَالَ رب اجعل لي آيةً﴾ [آية: ٤١]. أي: علامة.

﴿قَالَ آيتُك ألا تُكَلم الناس ثَلاثَةَ أيامٍ إلا رمزا﴾ [آية: ٤١].

قال قتادة: إنما عوقب بذا؛ لأنه طلب الآية بعد مشافهة الملائكة إياه بالبشارة.

وقال مجاهد: الرمز: تحرك الشفَتين.

وقال الضحاك: الرمز: تحريك اليدين والرأس.

والرمزُ في **اللغة:** الإشارة كانت بيدٍ، أو رأسٍ، أو حاجبٍ، أو فم، يقال: رمز أي: أشار، ومنه سميت الفاجرة: رامزة، ورمازة، لأ ا تومئُ ولا تعلِن.

٥٣- ثم قال تعالى: ﴿واذْكُر ربك كَثِيرا وسبح بِالْعشِي والإِبكَارِ﴾ [آية: ٤١].

وقُرئ «والأبكارِ»[(١)] وهو جمع بكَر، ويقال: بكَر، وبكر، وابتكر، وأبكر إذا جاء في أول الوقت، ومنه سميت «الباكورة».

وُيقال: أبكَر إذا خرج من بين مطلع الفجر، إلى وقت الضحى.

والعشي: من حين نـزول الشمس إلى أن تغيب، وهو معنى قول مجاهد.

٥٤- وقوله تعالى: ﴿وإِذْ قَالَتِ الْملائِكَةُ يا مريمُ إِن اللهَ اصطَفَاكِ﴾ [آية: ٤٢].

---

(١) هذه القراءة شاذة، وقراءة الجمهور (والإبكار) بكسر الهمزة.

أي: اختارك **وطهرك** من الأدناس، وقيل: من الحَيض **واصطفاكِ على نساءِ العالمين** .

فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى على أهل زما ا.

والقول الآخر: على جميع النساء بعيسى.

فليس مولود ولد من غير ذكر إلا عيسى عليه السلام.

٥٥- وقوله تعالى: يا مريمُ اقْنُتِي لِربكِ [آية: ٤٣].

قيل: القنوت هاهنا القيام، وروي أن النبي ﷺ سئل «**ما أفْضلُ الصلاةِ؟ فقال: طولُ القنوتِ**»[١]. أي: طول القيام، وسمي الدعاء قنوتًا؛ لأنه يدعى به في القيام.

وروى عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهَيثم، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**كل حرفٍ ذكره الله في القرآن من القنوت، فهو الطاعة**»[٢].

٥٦- ثم **قال تعالى: واسجُدِي واركَعِي مع الراكِعِين** [آية: ٤٣].

فبدأ بالسجود قبل الركوع، وفي هذا جوابان:

أحدهما: أن في شريعتهم السجود قبلَ الركوع.

والقول الآخر: أن الواو تدل على الاجتماع، فإذا قلت: قام زيد وعمر، جاز أن يكون عمرو قبل زيد، فعلى هذا يكون المعنى: واركعي واسجدي، ولهذا أجاز النحويون قام وزيد عمرو وأنشدوا:

ألا يا نخلةً من ذات عِرقٍ عليك - ورحمةُ الله - السلامُ[٣]

٥٧- وقوله تعالى: ذَلِك مِن أنباءِ الغيبِ نُوحِيهِ إليك [آية: ٤٤].

أي: من أخبار ما غاب عنك.

ثم **قال تعالى: وما كُنت لَديهم إذْ يُلقُونَ أقْلامهُم** [آية: ٤٤].

لَديهم معناه: عندهم، قيل: الأقلام: السهام يتقارعون با، وسمي السهم قلمًا

---

(١) الحديث رواه مسلم في صلاة المسافرين برقم ٧٥٦ والترمذي في الصلاة برقم ٣٨٧ ولفظـه: «قيل يا رسول الله أي الصلاة أفضل؟ فقال: طول القنوت».

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٧٥/٣، وابن حبان، وابن أبي حاتم.

(٣) البيت للأحوص الأنصاري، وهو في ديوانه ص١٩٠.

لأنه يقلم. أي: يبرى.

٥٨- ثم **قال تعالى: ﴿أيهم يكفل مريم﴾** [آية: ٤٤] أي: لينظروا أيهم تجب له كفالةُ مريم؟

وفي الكلام حذف، أي: إذْ يختصمون فيها أيهم أحق بها؟

٥٩- وقوله تعالى: ﴿وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ [آية: ٤٥].

الوجيه: الذي له القدر، والمنـزلة الرفيعة، يقال: لفلانٍ جاه، وجاهةٌ، وقد وجه، يوجه، وجاهةً.

٦٠- وقوله تعالى: ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين﴾ [آية:٤٦].

يُقال: اكتهل النبت: إذا تم، والكهلُ: ابن الأربعين، أو ما قاربها.

وقال يزيد بن أبي حبيب: الكهلُ: منتهى الحُلُم.

والفائدةُ في قوله تعالى: **﴿وكهلاً﴾** أنه خبرها أنه يعيش إلى أن يصير كهلاً.

٦١- وقوله تعالى: ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾ [آية: ٤٨].

قيل: يعني إلهامًا.

٦٢- وقوله تعالى: ﴿وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله﴾ [آية: ٤٩].

الأكمه: قال مجاهد: هو الذي يبصِر بالنهار، ولا يبصر بالليل، فهو يتكمه.

قال الكسائي: يقالُ: كَمِه، يكْمه، كَمهاً.

وقال الضحاك: هو الأعمى.

قال أبو عبيدة: هو الذي يولد أعمى، وأنشد لرؤبة:

«**هرجتُ فارتد ارتداد الأكْمهِ**»(١)

قال أبو عبيدة: في قولـه تعالى: **﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾** [آية: ٥٠].

يجوز أن يكون بمعنى الكل، وأنشد للبيد:

تـراكُ أمكنةٍ إذا لـم أرضهـا ... أو يرتبطْ بعض النفوس حِمامُها(٢)

وهذا القول غلطٌ عند أهل النظر من أهل اللغة؛ لأن البعض والجزء لا يكونان بمعنى الكل.

وقال أبو العباس: معنى «أو يرتبط بعض النفوس» أو يرتبط نفسي، كما يقول:

(١) هذا شطر بيت لرؤبة، وهو في ديوانه ص ١٦٦.

(٢) البيت في ديوانه ص ٣١٣.

«بعضنا يعرفُه» أي: أنا أعرفه، ومعنى الآية على البعض؛ لأن عيسى ﷺ إنما أحل لهم أشياء مما حرمها عليهم موسى، من أكل الشحوم وغيرها، ولم يحل لهم القتل، ولا السرقة ولا الفاحشة.

والدليلُ على هذا أنه روي عن قتادة أنه قال: «جاءهم عيسى بألْين مما جاء به موسى - صلى الله عليهما -، لأن موسى جاءهم بتحريم الإبل، وأشياء من الشحوم، فجاءهم عيسى بتحليل بعضها.

٦٣- وقوله تعالى: فَاعْبُدُوهُ هذَا صِراطٌ مستقِيمٌ [آية: ٥١] أي: هذا طريق واضح.

٦٤- وقوله تعالى: فلما أحس عِيسى مِنهُمُ الْكُفْر [آية: ٥٢].

قال أبو عبيدة: أحس بمعنى عرف **قَالَ من أنصارِي إلى اللهِ** .

قال سفيان: أي: مع الله، وقد قال هذا بعض أهل اللغة، وذهبوا إلى أن حروف الخفض يبدل بعضها من بعض، واحتجوا بقوله تعالى: **ولأُصلبنكُم فِي جُذُوعِ النخل** [طه: ٧١] قالوا معنى «في» معنى «على».

وهذا القولُ عند أهل النظر لا يصح؛ لأن لكل حرفٍ معناه، وإنما يتفق الحرفان لتقارب المعنى، فقوله تعالى: **ولأُصلبنكُم فِي جُذُوعِ النخل** .

كان الجذع مشتملاً على من صلب، ولهذا دخلت «في» لأنه قد صار بمنـزلة الظرف.

ومعنى: **من أنصارِي إلى اللهِ** ؟ من يضم نصرته إياي، إلى نصرة الله ﷻ؟!

٦٥- ثم **قال تعالى: قَالَ الْحوارِيونَ نحنُ أنصارُ اللهِ** [آية: ٥٢].

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه إنما سموا «حواريين» لبياض ثيابهم، وكانوا صيادين.

وقال ابن أرطاة: إنما كانوا غسالين - يحورون الثياب، أي: يغسلونها.

وقال أهل اللغة: الحواريون: صفوة الأنبياء وهم المخلصون.

وروى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «**الزبيرُ ابن عمتي وحواريّ من أمتي**»[1]. أي: صفوتي، ومنه قيل: عين حوراءُ إذا اشتد بياضها وسوادها، وامرأة حوراء إذا خلُص بياضها مع حور العين.

ومنه قيل لنساء الأنصار: حواريات لنظافتهن، وقال أبو حِلْدةَ اليشكُري:

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم مطولاً في فضائل الصحابة، البخاري ٤٦/٧ ومسلم بـرقم ٢٤١٥، والترمذي في المناقب رقم ٣٧٤٥ ولفظه: «إن لكل نبي حواريًا، وإن حواري الـزبير بن العوام»، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

فقُلْ للْحواريات يبكِين غَيرنا ولا تبكِنا إلا الكلابُ النوابحُ[(١)]

ومنه الحواري.

٦٦- وقوله تعالى: فَاكْتُبنا مع الشاهِدِين [آية: ٥٣].

أي: مع الشاهدين لرسولك بالتصديق.

وروى إسرائيل، عن سِماكِ بن عكرمة، عن ابن عباس **فَاكْتُبنا مع الشاهِدِين** .

قال: محمد ﷺ وأمته، شهدوا له أنه قد بلغ، وشهدوا للرسل أ م قد بلغوا.

٦٧- وقوله ﷻ: ومكَرُوا ومكَر اللهُ واللهُ خيرُ الْماكِرِين [آية: ٥٤].

هذا راجع إلى قوله تعالى: **فَلَما أَحس عِيسى مِنهُمُ الْكُفْر** [آية: ٥٢]

والمكر من الخلائق خِب، ومن الله مجازاةٌ، كما قال تعالى: **وجزاءُ سيئَةٍ سيئَةٌ مثْلُها** [الشورى: ٤٠].

٦٨- وقوله ﷻ: إِذْ قَالَ اللهُ يا عِيسى إِني مُتوفيك ورافِعُك إِلَي ومُطَهرُك مِن الذِين كَفَرُوا.. [آية: ٥٥].

في **الآية قولان:**

أحدهما: أن المعنى: إني رافعك إلى، ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك.

وهذا جائز في الواو؛ لأنه قد عرِف المعنى، وأنه لم يمت بعد.

والقول الآخر: أن يكون معنى «متوفيك»: قابضك من غير موت، مثل توفيت مالي من فلان أي: قبضته، كما قال ﷻ: **اللهُ يتوفى الأَنفُس حِين موتِها والَتِي لَم تمُت فِي منامِها** [الزمر: ٤٠].

وقال الربيعُ بن أنس: يعني وفاة المنام، رفعه الله ﷻ في منامه.

وقال مطَرٌ الوراقُ: مُتوفيك ورافِعُك واحدة ولم يمت بعد.

وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس (متوفيك) أي: مميتك.

ثم قال و هب: توفاه ثلاث ساعات من النهار.

و«محمد بن جرير» يميلُ إلى قول من قال إني قابضك من الأرض بغير موت، ورافعك إلى، لما صح عن النبي ﷺ: «**ليهبطن عيسى بن مريم إلى الأرض**»[(٢)].

---

(١) انظر جامع البيان ٢٨٧/٣، والبحر المحيط ٤٧٠/٢.

(٢) الحديث رواه البخاري ومسلم بلفظ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينـزل فيكم ابن مريم، =

٦٩- ثم قال تعالى: وجاعِلُ الذِين اتبعُوك فَوق الذِين كفَرُوا إلى يوم القِيامةِ [آية: ٥٥].

قال قتادة: يعني المسلمين، لأ م اتبعوه، فلا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة.

وقال غيره: الذين اتبعوه محمد ﷺ والمسلمون؛ لأن دينهم التوحيد، كما كان التوحيد دين عيسى ﷺ.

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أنا أولى الناس بابن مريم**»[1].

وروى يونس بن ميسرةَ بن حلْبسٍ عن معاوية عن النبي ﷺ أنه قال: «**لن تبرح طائفة من أمتي، يقاتلون على الحق، حتى يأتي أمرُ الله وهم على ذلك**». ونـزع[2] بذه الآية **يا عِيسى إني مُتوفيك ورافِعُك إلي ومُطهرُك مِن الذِين كفَرُوا وجاعِلُ الذِين اتبعُوك** [آية: ٥٥] يا محمد **فَوق الذِين كفَرُوا إلى يوم القِيامةِ** [آية: ٥٥].

٧٠- ثم قال تعالى: إلي مرجِعُكُم فَأحكُمُ بينكُم فِيما كُنتُم فِيهِ تختلِفُونَ [آية: ٥٥].

أي: فأفصلُ بينكم، وتقع الـازاة عليه؛ لأنه قد بين لهم في الدنيا.

٧١- ثم قال تعالى: فَأما الذِين كفَرُوا فَأعذِّبُهُم عذَابا شدِيدا فِي الدنيا والآخِرةِ [آية: ٥٦]. عذابهم في الدنيا: القتلُ، والأسر، وأخذُ الجزية.

وفي الآخرة: النار وما لهم من ناصرين؛ لأن المسلمين عالون عليهم ظاهرون.

٧٢- وقوله تعالى: ذَلِك نتلُوهُ عليك مِن الآياتِ والذكْرِ الْحكِيمِ [آية: ٥٨].

أي: من العلامات، التي لا تعرف إلا بوحي، أو بقراءة كتاب، ومعنى «الحكيم» ذو الحكمة.

٧٣- وقوله تعالى: الْحق مِن ربك فَلا تكُن من الْمُمترين [آية: ٦٠]

الممترون: الشاكون. فإن قيل: كيف خوطب النبي ﷺ بذا؟

فعلى هذا جوابان:

=

حكَمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنـزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبلـه أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها».

(١) الحديث رواه البخاري في الأنبياء ٦/٣٥٣، ومسلم في الفضائل برقم ٢٣٦٥، وأبـو داود في السنن برقم ٤٦٧٥.

(٢) أي: استشهد بذه الآية ليؤيد ا رأيه.

أحدهما: أن المعنى: يا محمد قلْ للشاك: هذا الحق من ربك فلا تكن من الممترين.

والقولُ الآخر: أن الخطاب للنبي ﷺ خطاب لجميع الناس فالمعنى على هذا: فلا تكونوا من الممترين، ويقوي هذا قوله ﷻ: **يا أيها النبي إذا طلقتمُ النساءَ** [الطلاق: ١].

٧٤- وقوله تعالى: فمن حاجك فيه من بعدِ ما جاءَك من العِلمِ فقُلْ تعالَوا ندعُ أبناءَنا وأبناءَكُم ونساءَنا ونساءَكُم وأنفُسنا وأنفُسكُم ثُم نبتهلْ فنجعل لعنت اللهِ على الكاذبين [آية: ٦١].

قيل: يعني بالأنفس هاهنا أهل دينهم، كما قال تعالى: **فسلمُوا على أنفُسِكُم** [النور: ٦١].

وقال تعالى: **فاقتُلوا أنفُسكُم** [البقرة: ٥٤] وأصلُ الابتهال في اللغةِ: الاجتهاد، ومنه قول لبيد:

في **كُهُولٍ سادةٍ من قومِهِ نظر الدهرُ إليهم فابتهلْ**(١)

أي: اجتهد في هلاكهم، فمعنى الآية: ثم نجتهد في الدعاء باللعنة.

ورُوي أن قومًا من النصارى من أهل نجران أتوا النبي ﷺ فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: قد كنا مسلمين مثلك، فقال: «**كذبتم، يمنعكم من الإسلام ثلاث: قولُكُم اتخذ ولدا، وأكلكُم لحم الخنـزير، وسجُودُكم للصليب، فقالوا: من أبو عيسى؟ فأنـزل الله** ﷻ: **إن مثلَ عيسى عند اللهِ كمثَلِ آدم خلقهُ من تُرابٍ** [آية: ٥٩] إلى قوله: **فنجعل لعنت اللهِ على الكاذبين** [آية: ٦١] **فدعاهم رسول الله** إلى **الالتعان، فقال بعضهم لبعض: إن فعلتم اضطرم الوادي عليكم نارا**»(٢).

فقالوا: أما تعرض علينا سوى هذا؟ فقال: الإسلام أو الجزية أو الحرب، فأقروا بالجزية.

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: «لو خرجوا للابتهال لرجعوا لا يرون أهلاً ولا ولدًا»(٣).

٧٥- وقوله تعالى: إن هذا لَهُو القَصصُ الحق [آية: ٦٢].

---

(١) ديوان لبيد ص ١٧.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم في الدلائل عن جابر، وابن إسـحاق في السيرة ٥٨٣/١، وابن كثير في التفسير ٤١/٢.

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٤٨/١.

أي: إن هذا الذي أوحينا إليك لهو القصص الحق **وما مِن إِلَهٍ إلا اللهُ** [آية:٦٢].

«مِن» زائدة للتوكيد، والمعنى: وما إله إلا اللهُ العزيز الحكيم، و معنى «العزيز» الذي لا يغلب، و«الحكيم» ذو الحكمة.

٧٦- ثم **قال تعالى: فَإِن تولوا فَإِن اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِين** [آية: ٦٣].

أي: عليم بمن يفسد عباده، وإذا علم ذلك جازى عليه.

٧٧- وقوله تعالى: **قُلْ يا أهلَ الكِتابِ تعالَوا إلى كَلِمةٍ سواءٍ بيننا وبينكُم..** [آية: ٦٤].

معنى «كلمةٍ» قصةٌ فيها شرح، ثم بين الكلمة بقوله **ألا نعُبدَ إلا اللهَ ولاَ نُشرِكَ بِهِ شيئًا ولاَ يتخِذَ بعضُنا بعضا أربابا من دُون اللهِ** [آية: ٦٤].

السواءُ: النصفَةُ، قال زهير:

أرُونِـي خُطة لا ضيم فيهـا يُسوي بيننا فيها السواءُ[1]

٧٨- **وقولُه تعالى: يا أهلَ الكِتابِ لِم تُحاجونَ فِي إِبراهِيم وما أنـزلَتِ التوراةُ والإِنجِيلُ إلا مِن بعدِهِ** [آية: ٦٥].

لأن اليهود قالوا: كان إبراهيم منا، وقالت النصاري كان منا، فأعلم اللهُ أن اليهودية والنصرانية كانتا بعد إبراهيم -عليه السلام-، وأن دين إبراهيم الإسلام، لأن الإسلام هو التوحيد، فهو دين جميع الأنبياء.

٧٩- ثم **قال تعالى: ولَكِن كانَ حَنِيفًا مسلِما** [آية: ٦٧].

والحَنف في اللغة: إقبالُ صدرِ القدم على الأخرى، إذا كان ذلك خِلْقَةً.

فمعنى الحنيف المائل إلى الإسلام على حقيقته.

٨٠- **وقولُه عز وجل: إن أولَى الناسِ بِإبراهِيم لَلذِين اتبعُوهُ وهذَا النبِي والذِين آمنُوا واللهُ ولِي المُؤمِنين** [آية: ٦٨].

والمعنى: والنبي والذين آمنوا أولى بإبراهيم، ويعني بالنبي: محمد ﷺ.

ومعنى **واللهُ ولِي المُؤمِنين** ناصرهم.

٨١- ثم **قال تعالى: ودت طائِفَةٌ من أهل الكِتابِ لَو يُضِلونكُم** [آية: ٦٩].

وكُلُّهم كذا، وإنما «من» هاهنا لبيان الجنس، وقد قيل: إن «طائفة» بعضهم.

---

(١) البيت في ديوانه، ص ١١ بلفظ:

أرونا سُنة لا عيب فيها

٨٢- وقوله تعالى: يا أَهلَ الكِتابِ لِم تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللهِ وأنتُم تشهدُونَ [آية: ٧٠]. أي: وأنتم تشهدون بأ ا حق، لأنكم كنتم تبشرون بالنبي ﷺ قبل أن يبعث؟

٨٣- ثم قال تعالى: يا أَهلَ الكِتابِ لِم تَلبِسُونَ الحق بِالباطِل.. [آية: ٧١].

أي: لم تغطون؟

٨٤- وقوله تعالى: وقَالَت طَائِفَةٌ من أَهل الكِتابِ آمِنُوا بِالذِي أنـزلَ على الذِين آمَنُوا وجه النهارِ واكْفُرُوا آخِرهُ لعلهُم يرجِعُونَ [آية: ٧٢].

الطائفة: الفُرقةُ، ووجه النهارِ: أولُه، قال الشاعر:

وتُضيءُ في وجه النهارِ مُنيرةً كَجُمانةِ البحري سُل نظامُها[1]

قال قتادة: قال بعض اليهود: أظهروا لمحمد الرضا بما جاء به أول النهار، ثم أنكُروا ذاك في آخره، فإنه أجدر أن يتوهم أنكم إنما فعلتم ذلك لشيء ظهر لكم تنكرونه، وأجدر أن يرجع أصحابه.

٨٥- وقولُه تعالى: ولاَ تُؤمِنُوا إلا لِمن تَبِع دِينكُم قُلْ إن الهُدى هُدى اللهِ أن يُؤتى أحدٌ مثْلَ ما أوتِيتُم أو يُحاجوكُم عِند ربكُم قُلْ إن الفَضلَ بِيدِ اللهِ يُؤتيهِ من يشاءُ [آية: ٧٣].

قال محمد بن يزيد: في الكلام تقديم أو تأخير، والمعنى: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، أو يحاجوكم عند ربكم، قل إن الهدى هدى الله.

وقيل المعنى: ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم، إلا من تبع دينكم، واللأم زائدة.

والمعنى: ولا تصدقوا أن يؤتى أحد من علم رسالة النبي مثل ما أوتيتم.

وقيل المعنى: قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، أي: إن الهدى هدى الله وهو بعيد من الكفار.

وقرأ ابن عباس ومجاهد وعيسى: **أأن يُؤتى أحدٌ مثْلَ ما أوتيتُم** والمعنى: ألأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم.

وقرأ الأعمش: إن يُؤتى أحدٌ مثْلَ ما أوتِيتُم [2] ومعنى: «إن» معنى «ما» كما قال تعالى: **إِن الكَافِرُونَ إلا فِي غُرُورٍ** [الملك: ٢٠].

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة، وهو في ديوانه ص ٣٠٩.

(٢) قراءة الجمهور: «أن يؤتى» بفتح الهمزة، انظر البحر المحيط ٤٩٧/٢.

وقد زعم بعض النحويين إن هذا لحن؛ لأن قوله تعالى: **يحاجوكم** بغير نون، وكان يجب أن يكون «يحاجونكم» ولا عامل لها، وهذا القول ليس بشيء؛ لأن «أو» تضمر بعدها «أنْ» إذا كانت في معنى حتى، و «إلا أنْ» كما قال الشاعر:

فقلْتُ له لا تبكِ عيْنك إنما ... نُحاولُ مُلْكًا أو نمُوت فنُعذرا[1]

وقيل: إن معنى **أن يُؤتى أحدٌ مثْلَ ما أُوتيتُم** لا تصدقوا أن النبوة تكون إلا منكم، واستشهد صاحب هذا القول، بأن مجاهدًا قال في قوله ﷻ بعد هذا **يختص برحمتِهِ من يشاءُ** [البقرة: ١٠٥] أنه يعني النبوة.

٨٦- وقوله تعالى: وَمِن أهل الكِتابِ من إن تأمنهُ بِقنطَارٍ يُؤدهِ إليك [آية: ٧٥].

اختلف: في معنى القنطار، فروي عن ابن عباس والحسن أ ما قالا: القنطار: ألف مِثْقالٍ.

وقال أبو صالح وقتادة: القنطار مائة رطل.

وروى ابن أبي نجيح وليث عن مجاهد قال: القنطار سبعون ألف دينار.

وروى طلحةُ ابن عمرٍو، عن عطاء بن أبي رباح المكي قال: القنطار سبعة آلاف دينار. واللهُ أعلم بما أراده.

ومعنى «المقنطرة» في اللغة: المكملةُ، كما تقولُ ألف مؤلفةٌ.

٨٧- وقوله تعالى: وَمِنهُم من إن تأمنهُ بِدِينارٍ لا يُؤدهِ إليك إلا ما دُمت عليهِ قَائِما [آية: ٧٥].

أي: مواظبًا غير مقصر، كما تقول: فلانٌ قائم بعمله.

قال سيبويه: دام بمعنى ثبت.

قال أبو جعفر: وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه « ى عن البول في الماء الدائم»[2] أي: الساكن الثابت.

ذَلِك بِأنهُم قَالُوا ليس علينا فِي الأُميين سبِيلٌ [آية: ٧٥].

قيل: إن اليهود، كانوا إذا بايعوا المسلمين، يقولون: ليس علينا في ظلمهم حرج، لأ م مخالفون لنا، ويعنون بالأميين العرب.

---

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٧٢.

(٢) الحديث رواه البخاري في الوضوء ٦٩/١، ومسلم في الطهارة رقـم ٢٨٢، وأبـو داود في الطهارة برقم ٧٩، والنسائي في سننه برقم ٤٩٣١، والترمذي برقم ٦٨.

نسبوا إلى ما عليه الأُمةُ من قبل أن يتعلموا الكتابة.

وقيل: نسبوا إلى الأم، من قبل أن يتعلموا الكتابة.

وقيل: نسبوا إلى الأم، ومنه «النبي الأمي» وقيل: هو منسوب إلى أم القرى وهي مكة.

٨٨- وقوله تعالى: ﴿بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين﴾ [آية: ٧٦].

بلى رد لقولهم ﴿ليس علينا في الأميين سبيل﴾.

٨٩- ثم قال تعالى: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾ [آية: ٧٧].

الخلاق: النصيب.

وروى عبد الله بن مسعود والأشعث بن قيس عن النبي ﷺ أنه قال ﷺ: «**من حلف على يمين فاجرة، ليقتطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان**»[1] ثم تلا رسول الله ﷺ: **﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله﴾** [آية: ٧٧]. إلى آخر الآية.

وفي قوله **﴿ولا يكلمهم الله﴾** قولان:

أحدهما: أنه روي أن الله يسمع أولياءه كلامه.

والقولُ الآخر: أنه يغضب عليهم، كما تقول: فلانٌ لا يكلم فلاناً.

ومعنى **﴿ولا يزكيهم﴾** ولا يثني عليهم ولا يطهرهم **﴿ولهم عذابٌ أليمٌ﴾** أي: مؤلم.

يقال: أَلِم إذا أوجع، فهو مؤلمٌ، و«أليم» على التكثير.

٩٠- وقوله تعالى: ﴿وإن منهم لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾ [آية: ٧٨].

قال الشعبي: يلْوون: يحرفون.

وقال أهل اللغة: لويت الشيء إذا عدلْته عن قصده، وحملته على غير تأويله.

٩١- وقوله ﷻ: ﴿ولكن كونوا ربانيين﴾ [آية: ٧٩].

قال سعيد بن جبير والضحاك: الرباني: الفقيه العالم.

وقال أبو رزين: هو العالم الحليم[2].

(١) الحديث رواه البخاري في الأيمان ٤٨٥/١١، ومسلم برقم ١٣٩، وأبو داود برقم ٣٢٤٥ والترمذي في التفسير برقم ٢٩٩٩، وأحمد في المسند ٢١١/٥.

(٢) انظر الطبري ٣٢٦/٣، وفتح القدير ٣٥٦/١.

والألف والنونُ يأتي بهما العرب للمبالغة، نحو قولهم:

جماني للعظيم الجُمة، وكذلك سكْران، أي: ممتلي سكْرًا.

فمعنى الرباني: العالمُ بدين الرب، الذي يعمل بعلمه، لأنه إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم.

وروي عن ابن الحنفية أنه قال لما مات ابن عباس: «مات رباني هذه الأمة».

ومعنى (**ولكِن كُونُوا ربانِيين**) ولكن يقول: كونوا ربانيين، ثم حذِف لعلم السامع.

وقال ابن زيد: الربانيون: الولاةُ، والأحبار: العلماءُ.

وقال مجاهد: الربانيون فوق الأحبار.

قال أبو جعفر: وهذا القول حسن؛ لأن الأحبار هم العلماء، والرباني الذي يجمع إلى العلم البصر للسياسة، مأخوذٌ من قول العرب: رب أمر الناس يربه: إذا أصلحه وقام به، فهو راب، ورباني على التكثير.

ثم قال تعالى: **ولاَ يأمُركُم أن تتخِذُوا الْملاَئِكةَ والنِبِيين أربابا..** [آية: ٨٠].

ومن قرأ ولاَ يأمُركُم بالنصب[1]، فمعناه عنده: ولا يأمركم البشر، لأنه معطوف على ما قبله.

ومن قرأ ولاَ يأمُرُكُم بالرفع[2]، فمعناه عنده: ولا يأمركم اللهُ، كذا قال سيبويه.

٩٢- وقولُه تعالى: وإِذْ أخذَ اللهُ مِيثَاق النبِيين لَما آتيتُكُم من كِتابٍ وحِكْمةٍ.. [آية: ٨١].

قال طاووس: أخذ الله ميثاق الأول من الأنبياء، أن يؤمن بما جاء الآخر.

٩٣- ثم قال ﷻ: ثُم جاءَكُم رسُولٌ مصدقٌ لما معكُم لَتُؤمِنُن بِهِ ولَتنصُرُنهُ.. [آية: ٨١].

قال: فهذه الآية لأهل الكتاب، أخذ الله ميثاقهم بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويصدقوه.

وقرأ ابن مسعود: وإِذْ أخذَ اللهُ مِيثَاق الذِين أُوتُوا الْكِتاب [آية: ١٨٧].

وقال ابن عباس: إنما أخذ ميثاق النبيين على قومهم.

وقال الكسائي: يجوز أن تكون وإذ أخذ الله ميثاق النبيين بمعنى: وإذ أخذ الله ميثاق الذين مع النبيين.

---

(١) انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢١٣.

(٢) انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢١٣.

وقال البصريون: إذا أخذ الله ميثاق النبيين، فقد أخذ ميثاق الذين معهم، لأ م قد اتبعوهم وصدقوهم.

و«ما» بمعنى الذي، ويجوز أن تكون للشرط ويقرأ «لما» بكسر اللام[1]، فتكون «ما» أيضًا بمعنى الذي وتكون متعلقة بأخذ.

وقرأ سعيد بن جبير: «لَما» بالتشديد[2].

٩٤- وقوله تعالى: وأخذتم على ذلكم إصري [آية: ٨١].

قال مجاهد: أي: عهدي، والإصر في اللغة: الثقلُ، فسمي العهد إصرًا؛ لأنه منع وتشديد.

٩٥- ثم **قال تعالى: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** [آية: ٨١].

أي: فبينوا؛ لأن الشاهد هو الذي يبين حقيقة الشيء.

٩٦- وقوله تعالى: أفغير دين الله يبغونَ.. [آية: ٨٣].

أي: تطلبون، فالمعنى قل لهم يا محمد: أفغير دين الله تبغون؟.

ومن قرأ: **يبغونَ** [3] بالياء، فالكلام عنده متناسق؛ لأن قبله **فمن تولى بعد ذلك فأولئك هُمُ الفاسقونَ** [آية: ٨٢].

فالمعنى: أفغير دين الله يبغي هؤلاء؟.

٩٧- وقوله تعالى: وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها [آية: ٨٣].

معنى: **وله أسلم** : خضع، ثم قال: **طوعا وكرها** .

قيل: لما كانت السنة فيمن خالف أن يقاتل، سمي إسلامه كرهًا، وإن كان طوعًا؛ لأن سببه القتالُ.

٩٨- وقوله تعالى: كيف يهدي اللهُ قوما كفروا بعد إيمانهم [آية: ٨٦].

روى داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رجلاً من الأنصار ارتد.

قال مجاهد: هو «الحارثُ بن سويد بن الصامت الأنصاري» فلحق أهل الشرك ثم

---

(١) قرأ حمزة بكسر اللام «لِما آتيتكم»، وقرأ الباقون بفتحها، انظر النشر في القراءات العشـر لابـن الجزري ٢٤١/٢.

(٢) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب لابن جني ١٦٤/١.

(٣) قرأ أبو عمرو وحده «يبغون» بالياء «وإليه ترجعون» بالتاء المضمومة، وقرأهما الباقون «تبغون» و«إليه ترجعون» بالتاء فيهما جميعًا، انظر النشر في القراءات العشر ٢٤١/٢.

ندم، فأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله ﷺ، هل لي من توبة ؟ فأنـزل اللهُ ﷻ: **كَيفَ يَهدِي اللهُ قَوما كَفَرُوا بعدَ إِيمانِهِم** إلى قوله: إلا **الذِين تابُوا مِن بعدِ ذَلك وأَصلحُوا فَإِن اللهَ غَفُورٌ رحِيمٌ** (١)

قال ابن عباس: فأسلم.

وقال الحسن: نـزلت في اليهود؛ لأنهم كانوا يبشرون بالنبي ﷺ ويستفتحون على الذين كفروا، فلما بعث عاندوا وكفروا.

٩٩- قال الله ﷻ: أُولَئِك جزاؤُهُم أن علَيهِم لَعنةَ اللهِ والملائِكَةِ والناسِ أَجمعِين [آية: ٨٧].

فإن قيل: فهل يلعنهم أهل دينهم؟ ففي هذا أجوبة:

أحدهما: أن بعضهم يلعن بعضًا يوم القيامة.

وجواب آخر: هو أنه يعني بالناس المسلمين.

وقيل: - وهو أحسنها - إن الناس جميعًا يلعنونهم؛ لأنهم يقولون: لعن اللهُ الظالمين، كما قال تعالى: **أَلا لَعنةُ اللهِ علَى الظالِمِين** [هود: ١٨].

ثم **قال تعالى: خالِدِين فِيها** أي: في اللعنة، والمعنى: في عذاب اللعنة.

١٠٠- وقوله ﷻ: إِن الذِين كَفَرُوا بعدَ إِيمانِهِم ثُم ازدادُوا كُفْرا لَن تُقْبلَ توبتُهُم [آية: ٩٠].

قال أبو العالية: هؤلاء قوم أظهروا التوبة ولم يحققوا.

وقال غيره: نـزلت في قوم ارتدوا ولحقوا بالمشركين، ثم قالوا: سنرجع ونسلم.

فالمعنى: أنهم أظهروا التوبة أيضًا وأضمروا خلاف ذلك، والدليلُ على ذلك قولُه ﷻ: **وأُولَئِك هُمُ الضالونَ** [آية: ٩٠] ولو حققوا التوبة لما قيل لهم «ضالون»!!

ويجوز في اللغة أن يكون المعنى: لن تقبل توبتهم، فيما تابوا منه من الذنوب، وهم مقيمون على الكفر، هذا يروى عن أبي العالية.

ويجوز أن يكون المعنى: لن تقبل توبتهم إذا تابوا إلى كفرٍ آخر، وإنما تقبل توبتهم إذا تابوا إلى الإسلام.

١٠١- ثم **قال تعالى: إِن الذِين كَفَرُوا وماتُوا وهُم كُفارٌ فَلَن يُقْبلَ مِن أَحدِهِم**

---

(١) الحديث أخرجه النسائي ١٠٧/٧، باب توبة المرتد.

ملءُ الأرض ذَهبا ولَو افْتدى بِهِ أُولَئِك لَهُم عذَابٌ أَلِيمٌ وما لَهُم من ناصِرِين [آية: ٩١].

روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «**يُجاء بالكافر يوم القيامة، فيقال له: أرأيت لو كان لك ملءُ الأرض ذهبا أكنت مفتديا به؟**

فيقول: نعم، فيقال له: كذبت، قد سُئلت أقل من هذا، ثم **تلا رسول الله** ﷺ: **إِن الذِين كَفَرُوا وماتُوا وهُم كُفارٌ فَلَن يُقْبلَ مِن أَحدِهِم ملءُ الأَرضِ ذَهبا ولَو افْتدى بِهِ أُولَئِك لَهُم عذَابٌ أَلِيمٌ وما لَهُم من ناصِرِين** إلى آخر الآية»[1].

وقال بعض أهل اللغة: الواو مقحمة، والمعنى: فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا لو افتدى به.

وقال أهل النظر من النحويين: لا يجوز أن تكون الواو مقحمةً؛ لأ ا تدل على معنى.

ومعنى الآية: فلن يقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهبًا تبرعًا ولو افتدى به.

والمِلْءُ: مقدار ما يملأ الشيء، والمَلأُ بالفتح: المصدر.

١٠٢- وقوله تعالى: لَن تنالُوا الْبِر حتى تُنفِقُوا مِما تُحِبون [آية: ٩٢].

قال ابن مسعودٍ، وعمرو بن ميمونٍ: البر: الجنة، يكون التقدير على ذا: لن تنالوا ثواب البِر.

وقال غيرهما: البِر: العملُ الصالح، وفي الحديث «**عليكُم بالصدق، فإنه يدعو إلى البِر، والبِر يدعو إلى الجنة، وإياكم والكذب فإنه يدعو إلى الفجور، والفجور يدعو إلى النار**»[2].

وروى أنس بن مالك أنه لما نـزلت هذه الآية، قال أبو طلحة: «أنا أتصدق بأرضي، فأمره النبي ﷺ أن يتصدق بها على أقربائه، فقسمها بين أُبي وحسان».

وروى أن عمر كتب إلى أبي موسى الأشعري أن يشتري له جارية - حين فتحت مدائن كسرى - فاشتراها ووجه بها إليه، فلما رآها أُعجِب بها، ثم أعتقها، وقرأ: **لَن تنالُوا الْبِر حتى تُنفِقُوا مِما تُحِبونَ**[3].

وقال مجاهد: وهو مثلُ قوله تعالى: **وَيُطْعِمُونَ الطعام على حُبِهِ** [الإنسان: ٨].

ومعنى: حتى تُنفِقُوا حتى تتصدقوا.

---

(١) الحديث رواه البخاري في الرقاق ١٣٧/٨، ومسلم في المنافقين برقم ٢٨٠٥.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في الأدب برقم ٤٩٨٩، والترمذي في البر بـرقم ١٩٧٢، ومالـك في الموطأ ٩٨٩/٢، والبخاري ٤٢٣/١، ومسلم برقم ٢٦٠٦ بلفظ: «إن الصدق يهدي إلى البر..» .

(٣) انظر الطبري في جامع البيان ٣٤٧/٣.

١٠٣- ثم قال الله تعالى: ﴿وما تُنفِقُوا مِن شيءٍ فَإن الله بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٩٢].

أي: وإذا عَلِمه جازى عليه.

١٠٤- وقوله ﷻ: ﴿كُل الطعامِ كَانَ حِلاًّ لبني إسرائيلَ إلا ما حرم إسرائيلُ على نفْسِهِ مِن قَبل أن تُنَـزلَ التوراةُ﴾ [آية: ٩٣].

قال ابن عباس: كان اشتكى عِرق النسا، كذا روي عنه، فكان له زقاءٌ - يعني صياح - فآلى لئن برأ من ذلك لا أكل عِرقًا.

وقال مجاهد: الذي حرم على نفسه الأنعام.

قال عطاء: حرم لحوم الإبل وألبانها.

وهذا كله صحيح مما كان حرمه، واليهود تحرمه إلى هذا الوقت، كما كان عليه أوائلها، وفيه حديث مسند.

وقال الضحاك: قال اليهود للنبي ﷺ: حرم علينا هذا في التوراة، فأكذبهم الله، وأخبر أن إسرائيل حرمه على نفسه من قبل أن تنـزل التوراة ودعاهم إلى إحضارها فقال: **﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتوراةِ فَاتلُوها إن كُنتُم صادِقين﴾** [آية: ٩٣].

١٠٥- وقوله ﷻ: ﴿إن أولَ بيتٍ وُضِع للناس لَلذِي بِبكةَ مُباركًا﴾.. [آية:٩٦].

قال أبو ذر: «**سألت النبي ﷺ: أي مسجدٍ وضع في الأرض أول؟ فقال: المسجدُ الحرام، قلتُ: ثم أي؟ قال: ثم بيت المقدس، قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم حيثما أدركتك الصلاة فصل فإنه مسجد**»[1].

وروى إسرائيل عن سماك بن حرب، عن خالد بن عرعرة، قال: «سأل رجلٌ عليًا عن أول بيتٍ وضِع للناس للذي ببكة، أهو أول بيتٍ في الأرض؟ قال: لا، ولكنه أولُ بيتٍ وضِعت فيه البركة، والهُدى، ومقام إبراهيم، **﴿ومن دخلَهُ كان آمِنا﴾**، وإن الله أوحى إلى إبراهيم - صلوات الله عليه - أن ابنِ لي بيتًا- وضاق به ذرعًا- فأرسل إلى الله السكينة وهي ريح خجوج لها رأس فنظرت موضع البيت.

قال أبو الحسن: قال أبو بكر: الخَجوج التي تخج في هبوبها أي: تلتوي. يقال: خجت تخج، ولو ضوعفت لقيل: خجخجت، والخَجخجةُ توصف بها السرعةُ.

وقال عطية: «بكةُ» موضع البيت، و«مكةُ» ما حوالَيه.

---

(١) الحديث رواه مسلم في كتاب المساجد ٦٣/٢، وأحمد في المسند ١٥٠/٥.

وقال عكرمة: «بكةُ» ما ولي البيت، و«مكةُ» ما وراء ذلك.

والذي عليه أكثر أهل اللغة أن «بكة» و«مكة» واحد، وأنه يجوز أن تكون الميم مبدلةً من الباء، يقال: لازب ولازم، وسبد شعره وسمده: إذا استأصله.

وقال سعيد بن جبير: سميت بكة؛ لأن الناس يتباكون فيها، أي: يتزاحمون فيها.

وقال غيره: سميت «بكة» لأ ا تبك الجبابرة، والميم على هذا بدل من الباء.

ويجوز أن يكون من قولهم: امتك الفصيلُ الناقة: إذا اشتد مصه إياها.

والأولُ أحسن.

١٠٦- وقوله ﷻ: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آية: ٩٧].

وقرأ ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وأهل مكة: **﴿فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ﴾**[1].

وفسر ذلك مجاهد فقال: **﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾** الحَرم كله، فذهب إلى أن من آياته «الصفَا» و«المروةُ» و«الركن» و«المقام».

ومن قرأ **﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾** فقراءته أبين؛ لأن الصفا والمروة من الآيات، ومنها أن الطائر لا يعلو البيت صحيحًا.

ومنها أن الجارح يتبع الصيد، فإذا دخل الحرم تركه، ومنها أن الغيث إذا كان ناحية الركن اليماني الخصب باليمن، وإذا كان ناحية الشامي كان الخصب بالشام، وإذا عم البيت كان الخصب في جميع البلدان.

ومنها أن الجِمار على ما يزاد عليها ترى على قدرٍ واحد.

والمَقَام من قولهم: قُمت مقامًا، فأما قول زهير:

وفيهم مقاماتٌ حِسانٌ وُجُوهُها ... وأندِيةٌ ينتابُها القـولُ والفعلُ[2]

فمعناه: فيهم أهلُ مقاماتٍ.

١٠٧- وقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾.. [آية: ٩٧].

قال قتادة: ذلك من آيات الحرم أيضًا.

وذا قولٌ حسن؛ لأن الناس كانوا يتخطفون من حواليه، ولا يصلُ إليه جبار، وقد

(١) انظر المحرر الوجيز ٢٢٣/٣، والطبري ١١/٤، وهذه القراءة ليست من القراءات السبع.

(٢) انظر ديوانه ص ١١٣.

وصل إلى بيت المقدس وخرب ولم يوصل إلى الحرم، قال اللهُ ﷻ: **ألم تر كَيف فَعلَ ربك بِأَصحابِ الْفِيلِ** [الفيل: ١].

وروى الثوري عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس قال: (من أصاب حداً في الحرم أقيم عليه، وإن أصاب خارج الحرم، ثم دخل الحرم، لم يكلم، ولم يجالس، ولم يبايع، حتى يخرج من الحرم، فيقام الحد عليه). **وقال أكثر الكوفيين:** ذلك في كل حد على النفس. **وقال قومٌ:** الأمان هاهنا للصيد.

وأولاها القول الأولُ، ويكون على العموم، ولو كان للصيد لكان «وما دخله» ولم يكن **ومن دخلهُ** .

قال قتادةُ: وإنما هو ومن دخله في الجاهلية كان آمنًا

١٠٨- وقوله تعالى: ولِلهِ علَى الناسِ حِج الْبيتِ من استطَاع إِلَيهِ سبِيلاً [آية: ٩٧].

قال ابن الزبير: من وجد قُوةً وما يتحمل به.

وقال سعيد بن جبير: الزاد، و الراحلةُ(١).

وروى حماد بن سلمة عن حميد وقتادة عن الحسن أن رجلاً قال: يا رسول الله ما السبيل إليه؟ قال: الزاد والراحلة.

السبيلُ أصله: الوصولُ، ومنه قيل للطريق: سبيل، فالمعنى عند أهل اللغة: من استطاع إلى البيت وصولاً، كما قال إخبارًا: **هلْ إِلَى مرد من سبِيلٍ** ؟[الشورى: ٤٤].

١٠٩- ثم **قال تعالى: ومن كَفَر فَإِن اللهَ غَنِي عن الْعالَمِين** [آية: ٩٧].

أكثر أهل التفسير على أن المعنى: من قال إن الحج ليس بواجبٍ فقد كفر.

وروى وكيع عن فطرٍ(٢)، عن نفيعٍ أبي داود، أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن هذه الآية: **ومن كَفَر فَإِن اللهَ غَنِي عن الْعالَمِين** [آية: ٩٧] فقال رسول الله ﷺ: «**من حج لا يرجو ثوابه، وجلس لا يخاف عقابه، فقد كفر به**»(٣).

---

(١) الحديث رواه الترمذي في الحج برقم ٨١٣، وابن ماجة في المناسك ٢٨٧٩، والدارقطني والحاكم والبيهقي.

(٢) فِطْر: هو فطر بن خليفة القرشي المخزومي، روى عنه ابن المبارك، ووكيع والقطان، قال عنه النسائي: ثقة حافظ كيس، وقال ابن سعد: كان ثقة، ومن الناس من يستضعفه، انظر التهذيب ٣٠٠/٨.

(٣) أخرجه عبد بن حميد عن أبي داود نفيع، كما في الدر المنثور ٥٧/٢، والطبري عنه في جامع =

وقال الشعبي: السبيلُ ما يسره اللهُ ﷻ:

وهذا من حسن ما قيل فيه، أي: على قدر الطاقة، والسبيلُ في كلام العرب: الطريق، فمن كان واجدًا طريقًا إلى الحج بغير مانعٍ، من زمانةٍ، أو عجزٍ، أو عدوٍ، أو تعذر ماءٍ في طريقه، فعليه الحج، ومن مِنع بشيء من هذه المعاني، فلم يجد طريقًا؛ لأن الاستطاعة القدرة على الشيء. فمن عجز بسبب فهو غير مطيق عليه، ولا مستطيع إليه السبيل.

وأولى الأقوال في معنى: **ومن كفَر** ومن جحد فرض الله؛ لأنه عقيب فرض الحج.

١١٠- وقوله تعالى: يا أيها الذِين آمنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا من الذِين أُوتُوا الكِتاب يرُدوكُم بعد إِيمانِكُم كافِرين [آية: ١٠٠].

قال قتادة: حذركموهم اللهُ لأ م غيروا كتا بم.

وفي الحديث: «**لا تُصدقوا أهل الكتاب فيما لا تعرفون، ولا تُكذبوهم، فإ م لن يهدوكم وقد أضلوا أنفُسهم**»(١).

١١١- وقوله تعالى: وكَيف تكْفُرُونَ وأَنتُم تُتلى علَيكُم آياتُ اللهِ وفِيكُم رسُولُه.. [آية: ١٠١].

قال الأخفش «سعيد بن مسعدة»: معنى «كيف» على أي حال؟

وقال غيره: معنى وفِيكُم رسُولُه أي: يبين لكم.

ويجوز أن تكون هذه المخاطبة، يدخل فيها من لم ير النبي ﷺ: لأن آثاره وسنته بمنـزلة مشاهدته.

١١٢- ثم **قال** ﷻ: **ومن يعتصِم بِاللهِ فَقَد هُدِي إِلى صِراطٍ مستقِيمٍ** [آية: ١٠١].

معنى «يعتصِم»: يمتنع.

١١٣- وقوله ﷻ: **يا أيها الذِين آمنُوا اتقُوا اللهَ حق تُقَاتِه** [آية: ١٠٢].

قال عبد الله بن مسعود «**حق تُقَاتِه**»: «أن يشكر فلا يكفر، وأن يطاع فلا يعصى، وأن يذْكر فلا ينسى».

ورُوِي هذا عن النبي ﷺ.

=

البيان ٤/٢٠.

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤/١٣٦ وأبو داود في كتاب العلم ٣/٣١٩.

وقال قتادة: نسخ هذه الآية قولُه تعالى: **فاتقُوا الله ما استطعتُم** .

قال أبو جعفر: لا يجوز أن يقع في هذا ناسخ ولا منسوخ؛ لأن الله تعالى لا يكلف الناس إلا ما يستطيعون.

وقولُه **فاتقُوا الله ما استطعتُم** مبين لقوله: **اتقُوا الله حق تُقَاتِهِ** ، وهو على ما فسره ابن مسعود، أن يذكر الله عندما يجب عليه فلا ينساه.

١١٤- وقوله ﷻ: ولا تمُوتُن إلا وأنتُم مسلِمُونَ [آية: ١٠٢].

المعنى: كونوا على الإسلام حتى يأتيكم الموت وأنتم مسلمون؛ لأنه قد عِلم أنه لا ينهاهم عما لا يملكون.

وحكى سيبويه: لا أرينك هاهنا، فهو لم ينه نفسه، وإنما المعنى: لا تكن هاهنا فإنه من يكن هاهنا أره.

١١٥- وقولُه ﷻ: واعتصِمُوا بِحبل اللهِ جمِيعا ولا تفَرقُوا.. [آية: ١٠٣].

قال عبد الله بن مسعود: حبلُ اللهِ: القرآن.

وقال ابن عباس: الحبلُ: العهد.

وقال الأعشى:

وإذا تُجـوِّزهـا حِبالُ قَبِيلةٍ أخذت من الأخرى إليك حِبالُها[1]

وأصلُ الحبل في اللغة: السبب، ومنه سمي حبل البئر، لأنه السبب الذي يوصل به إلى ما بها. ومنه قيل: «فلان يحطُب في» حبل فلانٍ" أي: يميلُ إليه وإلى أسبابه، وأصلُ هذا: أن الحاطب يقطع أغصان الشجر، فيجعلُها في حبلِهِ، فإذا قطع غيره وجعل في حبله، قيل: هو يحطُب في حبله.

ومنه قولهم: «حبلُك على غاربك» أي: قد خليتك من سببي وأمري و ي.

وأصلُ هذا: أن الإبل إذا أُهملت للرعي أُلقيت حبالُها على غواربها، لئلا تتعلق بشوكٍ أو غيره، فيشغلها عن الرعي.

ومعنى: **ولا تفَرقُوا** : ولا تتفرقوا، ثم حذفت إحدى التاءين، وقيل لهم هذا؛ لأن اليهود والنصارى تفرقوا، وكفر بعضهم بعضًا.

---

(١) البيت في ديوانه ص ٢٧.

١١٦- ثم قال ﷻ: وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا. [آية: ١٠٣].

قال عكرمة: هذا في الأنصار، كانت بينهم شرور فألف الله بينهم بالإسلام.

وقيل: هو عام لقريش؛ لأن بعضهم كان يغير على بعض، فلما دخلوا في الإسلام حرمت عليهم الدماءُ، فأصبحوا إخوانًا أي: يقصد بعضهم مقصد بعضٍ.

١١٧- ثم قال تعالى: وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا. [آية: ١٠٣].

وهذا تمثيلٌ، و«الشفا» الحرف، ومنه أشفى فلانٌ على كذا: إذا أشرف عليه.

١١٨- وقوله ﷻ: وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ. [آية: ١٠٤].

قال أبو عُبيدة: الأمةُ: الجماعةُ، و «من» هاهنا ليست «للتبعيض»، وإنما هي «لبيان الجنس» كما قال تعالى: **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ** [الحج: ٣٠].

لم يأمرهم باجتناب بعض الأوثان، وإنما المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثانُ.

١١٩- وقوله ﷻ: يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ. [آية: ١٠٦].

ابيضاضها: إشراقُها، كما قال تعالى: **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ** [عبس: ٣٨].

١٢٠- ثم قال تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ [آية: ١٠٦].

في **الكلام** محذوف، والمعنى: فأما الذين اسودت وجوههم، فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم؟

وأجمع أهلُ العربية على أنه لابد من الفاء في جواب «أما» لأن المعنى في قولك: «أما زيد فمنطلق»: مهما يكن من شيء فزيد منطلق.

قال مجاهد: في قوله تعالى: **أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** بعد أخذ الميثاق.

وبدل على هذا قوله جل وعلا: **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ..** [الأعراف: ١٧٢]. الآية.

وقيل: هم اليهود، بشروا بالنبي ﷺ ثم كفروا به من بعد مبعثه، فقيل لهم: أكفرتم بعد إيمانكم؟

وقيل: هو عام، أي: أكفرتم بعد أن كنتم صغارًا، تجري عليكم أحكام المؤمنين؟

١٢١- وقوله ﷻ: وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [آية: ١٠٧]. معنى: **فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** : ففي ثواب رحمة الله.

١٢٢- وقوله ﷻ: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.. [آية: ١١٠].

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**نحن نُكملُ سبعين أمةً، نحن آخرُها وأكرمُها على الله**»[١].

وقال أبو هريرة: «نحن خير الناس للناس، نسوقُهم بالسلاسل إلى الإسلام»[٢].

وقال ابن عباس: نزلت فيمن هاجر مع النبي ﷺ من مكة إلى المدينة.

وقيل: معنى **كُنتُم خير أمةٍ أخرجت للناس**: كنتم في اللوح المحفوظ.

وقيل: كنتم منذُ آمنتم.

وروى بن أبي نجيح عن مجاهد **كُنتُم خير أمةٍ أخرجت للناس** قال: على هذا الشرط، على أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر، ثم بينه.

وقال عطية: شهدتم للنبيين - صلى الله عليهم أجمعين - بالبلاغ، الذين كفر بم قومهم.

١٢٣- ثم **بين الخيرية** التي هي فيهم فقال: **تأمُرُونَ بالمعرُوفِ وتنهونَ عن المُنكرِ وتُؤمِنُونَ باللهِ** [آية: ١١٠].

ثم بين أن الإيمان بالله لا يقبل، إلا بالإيمان بالنبي ﷺ وما جاء به، فقال ﷻ: **ولو آمن أهلُ الكِتابِ لكانَ خيرا لهُم منهُمُ المُؤمِنُونَ وأكثرُهُمُ الفَاسِقُونَ** [آية: ١١٠].

والفاسق: الخارج عن الحق.

١٢٤- وقوله ﷻ: لن يضُروكُم إلا أذًى وإن يُقاتِلُوكُم يُولوكُمُ الأدبار [آية: ١١١].

أخبر الله تعالى: أن اليهود لن يضروا المسلمين إلا بتحريفٍ أو بتٍ، فأما الغلبة فلا تكون لهم.

١٢٥- ثم أخبر تعالى أ م أذلاء فقال: **ضُربت عليهمُ الذلةُ أينما ثُقِفُوا إلا بِحبلٍ من اللهِ وحبلٍ من الناس** [آية: ١١٢].

قال ابن عباس: الحبلُ: العهد.

قال أبو جعفر: هذا استثناءٌ ليس من الأول، والمعنى: ضربت عليهم الذلةُ أينما ثُقفوا، إلا أ م يعتصمون بحبل من الله، وحبل من الناس، يعني الذمة التي لهم.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، وابن ماجة في الزهد برقم ٤٢٨٨، وأحمد في المسند ٢٥٥/٥، وقال الحافظ في الفتح ١٦٩/٨: هو حديث حسن صحيح، وله شاهد مرسل عن قتادة.

(٢) الحديث رواه البخاري عنه في التفسير ٤٧/٦، وهو موقوف على أبي هريرة، ولفظه: عن أبي هريرة في قوله تعالى: كنتم خير أمة أخرجت للناس قال: «خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام».

١٢٦- ثم قال تعالى: ﴿وباءُوا بِغضبٍ من اللهِ..﴾ [آية: ١١٢].

أي: رجعوا، وقيل: احتملوا.

وحقيقته في اللغة أنه لزمهم ذلك، وتبوأ فلانٌ الدار، من هذا، أي: لزمها.

١٢٧- ثم خبر تعالى لم فعل بهم ذلك؟ فقال: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾** [آية: ١١٢].

والاعتداءُ: التجاوز.

١٢٨- ثم **خبر** ﷻ أنهم ليسوا مستوين، وأن منهم من قد آمن فقال سبحانه: **﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾**. أي: ليس يستوي منهم من آمن، ومن كفر!؟

١٢٩- ثم قال ﷻ: ﴿مِن أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ..﴾ [آية: ١١٣].

﴿قائمة﴾ قال مجاهد: أي: عادلة. **﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾** [آية: ١١٣] قال الحسن والضحاك: ساعاته. والواحد إني، ويقال: إنو، ويقال: إنىً.

١٣٠- وقوله ﷻ: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ..﴾ [آية: ١١٤].

الأمر بالمعروف هاهنا: الأمر باتباع النبي ﷺ.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ أي: ينهون عن مخالفته ﷺ.

١٣١- ثم قال ﷻ: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ١١٥].

من قرأ: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ فهو عنده لهؤلاء المذكورين، ويكون من فعل الخير بمنـزلتهم.

ومن قرأ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن تُكْفَرُوهُ﴾ بالتاء فهو عام.

١٣٢- وقوله ﷻ: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آية: ١١٧].

قال ابن عباس: الصر: البرد.

ومعنى صر في اللغة: أن الصر شدة البرد، وفي الحديث: «**أنه نهى عن الجراد الذي قتله الصر**»[1].

(١) انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢٣/٣، وقد ذكره الهروي في غريب الحديث ٤٧٢/٤

ومعنى الآية: أنه شبه ما ينفقونه على قتال النبي ﷺ وأصحابه في بطلانه بريح **أصابت حرثَ قومٍ ظلمُوا أنفُسهُم فأهلكتْهُ** [آية: ١١٧].

أي: زرع قومٍ عاقبهم اللهُ بذلك ، فهلك زرعهم ، فكذلك أعمالُ هؤلاء ، لا يرجعون منها إلى شيء.

١٣٣- وقوله ﷻ: يا أيها الذِين آمنُوا لا تتخِذُوا بِطانةً من دُونكُم لا يألُونكُم خبالاً.. [آية: ١١٨].

البطانةُ: خاصةُ الرجل الذين يطلعهم على الباطن من أمره.

والمعنى: لا تتخِذوا بطانة من دون أهل دينكم.

ونظير هذا: **فَاقتُلُوا أنفُسكُم** .

وكذلك: **فَسلمُوا على أنفُسِكُم** [النور: ٦١] أي: على أهل دينكم، ومن يقوم مقامكم.

ومعنى قوله تعالى: لاَ يألُونكُم خبالاً أي: لا يقصرون في السوء.

وأصلُ الخَبال في اللغة: من الخبل، والخَبلُ: ذهاب الشيء وإفساده.

١٣٤- وقولُه تعالى: ودوا ما عِنتم [آية: ١١٨].

أي: ما شق عليكم واشتد.

وأصلُ هذا أنه يقال: عِنت العظم يعنت عنَتًا: إذا انكسر بعد جبرٍ.

ومن هذا قوله تعالى: ذَلِك لِمن خشِي الْعنت مِنكُم [النساء: ٢٥] أي: المشقة.

١٣٥- وقولُه ﷻ: ها أنتُم أُولاءِ تُحِبونهُم ولا يُحِبونكُم وتُؤمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِهِ.. [آية: ١١٩]. أي: تحِبون المنافقين ولا يحبونكم.

والدليلُ على أنه يعني المنافقين قولُه ﷻ: **وإِذَا لقُوكُم قالُوا آمنا وإِذَا خلوا عضوا عليكُمُ الأنامِلَ مِن الْغيظ** [آية: ١١٩].

قال عبد الله بن مسعود: يعضون أطراف الأنامل من الغيظ.

١٣٦- وقوله ﷻ: إِن تمسسكُم حسنةٌ تسُؤهُم وإِن تُصِبكُم سيئَةٌ يفْرحُوا بِها.. [آية: ١٢٠].

أي: إن غنمتم أو ظفرتم ساءهم ذلك، وإن أصابكم ضد ذلك فرحوا به.

=

من قول عطاء، وليس له ذكر في كتب السنة.

ثم خبر أ م إن صبروا على ذلك لم يضرهم شيئًا فقال: **وإن تصبِرُوا وتتقُوا لاَ يضُركُم كيدُهُم شيئًا إن اللهَ بِما يعملُونَ مُحِيطٌ** [آية: ١٢٠].

١٣٧- وقوله ﷻ: وإذْ غدوت مِن أهلِك تُبوئُ المُؤمِنين مقَاعِد لِلْقِتال.. [آية: ١٢١].

تُبوئُ تلزم، وباء بكذا إذا لَزِمه.

وروي أن النبي ﷺ رأى أنه في درع حصينة، فأول ذلك المدينة، فأمر أصحابه أن يقيموا با إلى أن يوافي المشركون فيقاتلوهم.

١٣٨- وقوله ﷻ: إذْ همت طائِفَتان مِنكُم أن تفْشلاَ واللهُ وليهُما.. [آية: ١٢٢].

قال جابر بن عبد الله: نحن هم «بني سلمة» و«بني حارثة» من الأوس، وما يسرنا أ ا لم تكن نــزلت لقوله تعالى: **واللهُ وليهُما** .

والفشلُ في **اللغة:** الجبن، والولي: الناصر.

«بنو سلمة» من الخزرج، و«بنو حارثة» من الأوس .

١٣٩- وقوله ﷻ: ولَقَد نصركُمُ اللهُ بِبدرٍ وأنْتُم أذِلةٌ.. [آية: ١٢٣].

قيل: يعني بأذلة: أ م كانوا قليلي العدد.

وقال البراء بن عازب: «كنا نتحدث أن عِدة أصحاب بدر، كعدة أصحاب طالوت، وهم ثلاثمائة وبضعة عشر»[١].

من قرأ «بثلاثة آلاف من الملائكة منــزلين»[٢].

١٤٠- وقوله ﷻ: بلى إن تصبِرُوا وتتقُوا ويأتوكُم من فَورِهِم هذَا.. [آية: ١٢٥].

قال الضحاك وعكرمة: من وجههم هذا.

١٤١- وقوله تعالى: يُمدِدكُم ربكُم بِخمسةِ آلاَفٍ من المَلاَئكَةِ مُسومِين [آية: ١٢٥].

لا نعلم اختلافًا أن معنى «**مُسومِين**»: من السومة، إلا عن الأخفش فإنه قال: «مسوّمين»: مرسلين.

قال أبو زيد[١]**:** السومةُ أن يعلِم الفارس نفْسه في الحرب ليظهر شجاعته.

---

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي ٦٩/٢.

(٢) انظر المحتسب ١٦٥/١.

قال عُروة بن الزبير: كانت الملائكةُ يوم بدر على خيلٍ بلْقٍ، وعليها عمائم صفر.

قال أبو إسحاق: كانت سيماهم عمائم بيضًا.

وقال الحسن: علموا على أذناب خيلهم ونواصيها بصوفٍ أبيض.

وقال عكرمة: عليهم سيماءُ القتال.

وقال مجاهد: الصوف في أذناب الخيل.

وقُرئ: مُسومِين [٢] واحتج صاحب هذه القراءة بأنه روي أن النبي ﷺ قال لهم يوم بدرٍ: «**سوموا فإني رأيتُ الملائكة قد سومت**»[٣].

أي: قد سومت خيلها، أو أنفُسها.

١٤٢- وقوله ﷻ: وما جعلهُ اللهُ إلا بُشرى لكُم [آية: ١٢٦] يعني: المدد، أو الوعد.

١٤٣- وقوله ﷻ: لِيقْطَع طرفًا من الذِين كفرُوا أو يكْبِتهُم فَينقلِبُوا خائِبِين [آية: ١٢٧].

قال قتادة: «**يكْبِتهُم**» يحزِنهم.

ورُوي أن النبي ﷺ: «**جاء إلى أبي طلحة، فرأى ابنه مكْبُوتا فقال: ما شأنه؟ فقيل: مات نُغيرُه**»[٤]. فالمكبوت هاهنا: المحزونُ.

وقال أبو عبيدة: يقال كبته لوجهه: أي: صرعه لوجهه.

ومعروف في اللغة أن يقال: كبته إذا أذله وأقمأه.

قال بعض أهل اللغة: كبته بمعنى كبده، ثم أُبدلت من الدال تاء؛ لأن مخرجهما من موضع واحد. والخائب في اللغة: الذي لم ينل ما أمل، وهو ضد المفلح.

=

(١) سبقت ترجمته.

(٢) هذه قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «مسومين» مفتوحة، انظر السبعة لابن مجاهد ص٢١٦، والنشر لابن الجزري ٢٤٢/٢.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في التفسير ٨٢/٤ عن عمير ابن إسحاق مرفوعًا.

(٤) الحديث رواه البخاري في الأدب ٤٣٦/١٠، ومسلم في الأدب كذلك برقم ٢١٥٠، وأبو داود برقم ٤٩٦٩ عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يدخل علينا، ولي أخ صغير يكنى أبا عمير، وكان له نغر -أي طير- يلعب به، فمات، فدخل النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزينًا، فقال: ما شأنه؟ قالوا: مات نغره، فقال: يا أبا عمير ما فعل النغير؟».

١٤٤- وقوله ﷻ: ﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأمرِ شيءٌ أو يَتوبَ عليهم أو يُعذبَهُم فإنَّهُم ظالِمُونَ﴾ [آية: ١٢٨].

روى الزهري عن سالم عن أبيه قال: «رأيت رسول الله ﷺ في الركعة الثانية من الفجر، يدعو على قومٍ من المنافقين، فأنـزل اللهُ ﷻ: ﴿**لَيسَ لَكَ مِنَ الأمرِ شيءٌ**﴾»[1] إلى آخر الآية.

وقال أنس بنُ مالك: «كُسِرت رباعية النبي ﷺ يوم أحد، فأخذ الدم بيده وجعل يقول: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم؟ فأنـزل الله ﷻ: ﴿**لَيسَ لَكَ مِنَ الأمرِ شيءٌ أو يَتوبَ عليهم أو يُعذبَهُم فإنَّهُم ظالِمُونَ**﴾»[2].

وقيل: استأذن في أن يدعو باستئصالهم، فنـزل هذا؛ لأنه عَلِم أن منهم من سيسلِم، وأكد ذلك الآية بعدها.

فمن قال إنه معطوف بـ «أو» على قوله تعالى: ﴿**ليقطعَ طرفًا**﴾ فالمعنى عنده: ليقتل طائفة منهم، أو يخزيهم بالهزيمة، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم.

وقد تكون «أو» ههنا بمعنى «حتى» و «إلا أنْ» والأول أولى، لأنه لا أمر إلى أحدٍ من الخلق، قال امرؤ القيس:

فَقُلْتُ لَهُ لا تبكِ عينُكَ إنما ... نُحاوِلُ مُلكاً أو نمُوتَ فنُعذَرا

١٤٥- وقول ﷻ: ﴿يا أيها الذِين آمَنُوا لا تأكُلُوا الربا أضعافًا مضاعفةً﴾ [آية: ١٣٠].

قال مجاهد: كانوا يبيعون البيع إلى أجلٍ، فإذا حل الأجلُ زادوا في الثمن على أن يؤخروا، فأنـزل الله ﷻ: ﴿**لا تأكُلُوا الربا أضعافًا مضاعفةً**﴾.

١٤٦- ثم قال تعالى: ﴿واتقُوا اللهَ لعلكُم تُفلِحُونَ﴾ [آية: ١٣٠].

أي: لتكونوا على رجاء من الفلاح.

وقال سيبويه في قوله تعالى: ﴿**اذْهبا إلى فِرعونَ إنهُ طغى فقُولا لَهُ قَولاً لينا لعلهُ**

---

(١) الحديث أخرجه النسائي في القنوت ٢٠٣/٢، والبخاري في المغازي بنحو قريب من رواية النسائي ٢٨١/٧، والترمذي في التفسير برقم ٣٠٠٧.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي عن أنس بلفظ: «شج ﷺ في وجهه، وكُسرت رباعيته، ورمي رمية على كتفه، فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهـو يدعوهم إلى الله؟ فأنـزل الله: ﴿ليس لكَ مِن الأمرِ شيءٌ..﴾ الآية» تحفة الأحوذي ٣٥٥/٨.

يتذكرُ أو يخشى [طه: ٤٣،٤٤]: إذهبا على رجائكما وطمعكما ومبلغكما، والعلم من وراء ذلك، وليس لهما أكثر من ذلك.

والفلاح في اللغة: أن يظفر الإنسان بما يؤمل.

١٤٧- وقوله ﷻ: وسارِعُوا إلى مغفرةٍ من ربكُم وجنةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ أعِدت للمُتقِين [آية: ١٣٣].

روي عن أنس بن مالك أنه قال: يعني: «التكبيرة الأولى».

١٤٨- ثم **قال تعالى: وجنةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ..** [آية: ١٣٣].

في هذا قولان:

أحدهما: أنه العرض بعينه.

وروى طارق بن شهاب أن اليهود قالت لعمر بن الخطاب تقولون: جنةٌ عرضها السماوات والأرض، فأين تكونُ النار؟ فقال لهم عمر: أر أيتم إذ جاء النهار، فأين يكون الليلُ، وإذا جاء الليلُ فأين يكونُ النهار؟

فقالوا: لقد نـزعت بما في التوراة[1].

والقول الآخر: أن العرض هاهنا: السعةُ، وذلك معروف في اللغة.

وفي **الحديث:** «**أن النبي ﷺ قال للمنهزمين يوم أحد: لقد ذهبتم فيها عريضة**»[2] يعني: واسعة، وأنشد أهل اللغة:

كأن بـلاد الله وهـي عريضةٌ على الخائِفِ المطلُوب كِفةُ حابل[3]

١٤٩- وقوله ﷻ: والكاظِمين الغيظَ والعافِين عن الناس واللهُ يُحِب المُحسِنين [آية: ١٣٤].

الكظمُ في **اللغة:** أن يحبس الغيظَ.

ويُقال: كظم البعير على جِرته: إذا ردها في حلْقِهِ.

ويقال للممتلئ حزنًا وغماً: كظيم، ومكظوم، كما قال تعالى: **إذْ نادى وهُو**

---

(١) هذا الحديث أخرجه أحمد في المسند مرفوعًا، ورواه موقوفًا على عمر: الطبري ٩٢/٤، وابن كثير ٩٩/٢، وابن عطية ٣٢٤/٣.

(٢) انظر المحرر الوجيز ٣٢٥/٣.

(٣) انظر البحر المحيط ٥٧/٣، القرطبي ٢٠٥/٤.

مكْظُومٌ [القلم: ٤٨].

١٥٠- وقوله ﷻ: والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم.. [آية: ١٣٥].

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني اللهُ منه بما شاء أن ينفعني، فإذا حدثني رجلٌ من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، وحدثني أبو بكر رضي الله عنه - وصدق أبو بكر-.

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجلٍ يذنب ذنبا وينام** ثم **يقوم، فيتطهرُ فيحسنُ الطهور،** ثم **يستغفرُ** الله، **إلا غفر له**»(١). ثم تلا الآية **والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفِرُ الذُنوب إلا اللهُ ولم يُصِروا على ما فعلوا وهُم يعلمُونَ** [آية: ١٣٥].

وقال مجاهد: معنى **ولم يُصِروا على ما فَعلُوا وهُم يعلمُونَ** : ولم يمضوا.

والإصرارُ في **اللغة:** اعتقاد الشيء، ومنه قيل: صرةٌ، ومنه قيل للبرد: «صِر» كأنه البرد الذي يصلُ إلى القلب، ومنه قيل للذي لم يحج: صررة، وصارورة، كأنه يحبس ما يجب أن ينفقه.

وقال معبدُ بن صُبيحة(٢)**:** «صليت خلف عثمان، وعلي إلى جنبي، فأقبل علينا فقال: صليت على غير وضوء **ولم يُصِروا على ما فَعلُوا وهُم يعلمُونَ** ثم ذهب فتوضأ وصلى».

وروي عن أبي بكر عن النبي ﷺ قال: «**ما أصر من استغفر الله ولو عاد** في **اليوم سبعين مرة**»(٣).

وقال عبد الله بن عبيد بن عمير **وهُم يعلمُونَ** أي: وهم يعلمون أ م إن تابوا تاب اللهُ عليهم.

---

(١) الحديث رواه أحمد في المسند ٢/١، وابن ماجة في كتاب الصلاة برقم ١٣٩٥، والترمذي في التفسير برقم ٣٠٠٦.

(٢) معبد بن صبيحة القرشي، تابعي من رهط طلحة بن عبيد الله، روى عن عثمان وعلي، انظر الجرح والتعديل للرازي ٢٧٩/٨.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في الاستغفار ٨٤/٢، وقال الألباني في الجامع الصغير: ... الحـديث في مرتبة الحسن.

١٥١- وقوله ﷻ: قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين [آية: ١٣٧].

قال أبو عبيدة: السنن: الأعلام، والمعنى على هذا: إنكم إذا سافرتم رأيتم آثار قومٍ هلكوا، فلعلكم تتعظون!؟

١٥٢- وقوله ﷻ: هذا بيانٌ للناس وهُدى وموعظةٌ للمتقين [آية: ١٣٨].

قال الشعبي: هذا بيانٌ من العمى، وهدىً من الضلال، وموعظةٌ من الجهل.

١٥٣- وقوله ﷻ: ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتمُ الأعلونَ إنْ كنتم مؤمنين [آية: ١٣٩].

قال أبو عبيدة: معناه: لا تضعفوا.

قال أبو جعفر: من الوهن.

١٥٤- وقوله ﷻ: إن يمسسكم قرحٌ فقد مس القوم قرحٌ مثلُهُ [آية: ١٤٠].

يقرأ «قُرح» ويقرأ «قَرح»[1] وبفتح القاف والراء.

فالقَرح مصدر قَرح يقْرح.

قال الكسائي: القَرح والقُرح واحد.

وقال الفراء: كأن القَرح الجراحات، وكأن القُرح الألمُ.

١٥٥- ثم **قال ﷻ: وتلك الأيامُ نُداولُها بين الناس** [آية: ١٤٠].

أي: تكون مرة للمؤمنين ليعزهم اللهُ ﷻ وتكون مرة للكافرين إذا عصى المؤمنون، فأما إذا لم يعصوا فإن حزب الله هم الغالبون.

١٥٦- ثم **قال ﷻ: وليعلم اللهُ الذين آمنُوا ويتخذَ منكم شُهداءَ واللهُ لا يُحب الظالمين** [آية: ١٤٠].

أي: ليعلم الله صبر المؤمنين، إذا كانت الغلبةُ عليهم، وكيف صبرهم؟

وقد كان سبحانه علم هذا غيبًا، إلا أن علم الغيب لا تقع عليه المجازاة.

فالمعنى: ليعلَمه واقعًا عِلْم الشهادة.

وقال الضحاك: قال المسلمون الذين لم يحضروا بدرًا: ليتنا لقينا العدو حتى نبلي

---

(١) انظر النشر ٢٤٢/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٢١٦.

فيهم ونقاتلهم فلقي المسلمون يوم أحدٍ، فاتخذ الله منهم شهداء، وهم الذين ذكرهم الله ﷿ فقال: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾.

و«الظالمون» هنا: الكافرون أي: لم يتخذوا هذه المحبة لهم.

١٥٧- وقوله ﷿: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آية: ١٤١].

قال مجاهد: «يمحص» يبتلي.

قال أبو جعفر: قال أبو إسحاق: قرأت على أبي العباس «محمد بن يزيد» عن الخليل أن التمحيص: التخليص، يقال: محصه، يمحصه، محصًا: إذا خلصه.

فالمعنى على هذا: ليبتلي المؤمنين ليثيبهم، ويخلصهم من ذنوبهم، ويستأصل الكافرين.

١٥٨- وقوله ﷿: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آية: ١٤٢].

«لما» بمعنى «لمْ» إلا أن «لما» عند سيبويه جواب لمن قال قد فعل، و«لم» جواب لمن قال فعل.

ومعنى الآية: ولما يعلم اللهُ ذلك واقعًا منهم؛ لأنه قد علمه غيبًا.

وقيل: المعنى لم يكن جهاد فيعلمه اللهُ.

١٥٩- وقوله ﷿: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آية: ١٤٣].

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: «كان قوم من المسلمين قالوا بعد بدرٍ، ليت أنه يكون قتالٌ حتى نبلي ونقاتل!! فلما كان يوم أُحدٍ انهزم بعضهم فعاتبهم الله على ذلك فقال: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾.

والتقدير في العربية: ولقد كنتم تمنون سبب الموت، ثم حذِف، وسبب الموت القتالُ.

١٦٠- ثم **قال تعالى: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾** [آية: ١٤٣].

وقال بعض أهل اللغة: وأنتم تنظرون محمدًا.

وقال سعيد الأخفش[1]**: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾** توكيد.

---

(١) إمام النحو أبو الحسن، سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري، مولى بني مجاشع. أخذ عن الخليل بن أحمد، ولزم سيبويه حتى برع، وكان من أسنان سيبويه، بل أكبر. قال أبو حاتم السجستاني: كان الأخفش قدريا رجل سوء، كتابه في المعاني صويلح، وفيه أشياء في القدر. وقال أبو عثمان المازني: =

قال أبو جعفر: وحقيقةُ هذا القول: فقد رأيتموه حقيقةً، وأنتم بصراءُ متيقنون.

١٦١- وقوله ﷺ: وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبلِهِ الرسُلُ.. [آية: ١٤٤].

معنى «خلت»: مضت.

١٦٢- ثم **قال تعالى: أفإن مات أو قُتِلَ انقلبْتُم على أعقابِكُم..** [آية: ١٤٤].

قال قتادة:

أفإنْ مات نبيكم، أو قُتِل، رجعتم كفارًا ؟

وهذا القول حسن في اللغة، وشبهه بمن رجع يمشي إلى خلفه بعد أن كان يمشي إلى أمامه.

وسيجزي اللهُ الشاكِرين [آية: ١٤٤].

أي: على أن هداهم وأنعم عليهم.

ويُقال: «انقَلب على عقبيه» إذا رجع عما كان عليه.

وأصلُ هذا من العاقبة، والعقْبى، وهما ما يتلو الشيء ويجب أن يتبعه، وقال تعالى: **والعاقِبةُ لِلمُتقِين** [الأعراف: ١٢٨]، ومنه عِقب الرجل، ومنه يقال: جئت في عقْب الشهر: إذا جئت بعد ما مضى، وجئت في عِقِبه، وعقْبِه: إذا جئت وقد بقيت منه بقيةٌ، ومنه قوله تعالى: **لَهُ مُعقباتٌ من بين يديه ومن خلْفِه** [الرعد: ١١].

١٦٣- وقولُه ﷺ: ومن يُرد ثَواب الدنيا نُؤتِهِ منها ومن يُرد ثَواب الآخِرةِ نُؤتِهِ مِنها.. [آية: ١٤٥].

المعنى: ومن يرد ثواب الآخرة بالعمل الصالح.

=

كان الأخفش أعلم الناس بالكلام، وأحذقهم بالجدل. قلت: أخذ عنه المازني، وأبو حاتم، وسلمة، وطائفة. وعنه قال: جاءنا الكسائي إلى البصرة، فسألني أن أقرأ عليه كتاب سيبويه، ففعلت، فوجه إلي بخمسين دينارا. وكان الأخفش يعلم ولد الكسائي. وكان ثعلب يفضل الأخفش، يقول: كان أوسع الناس علما. وله كتب كثيرة في النحو والعروض ومعاني القرآن. وجاء عنه قال: أتيت بغداد، فأتيت مسجد الكسائي، فإذا بين يديه الفراء والأحمر وابن سعدان، فسألته عن مائة مسألة، فأجاب، فخطأته في جميعها، فهموا بي، فمنعهم، وقال: بالله، أنت أبو الحسن؟ قلت: نعم، فقام وعانقني، وأجلسني إلى جنبه، وقال: أحب أن يتأدب أولادي بك، فأجبته. مات الأخفش سنة نيف عشرة ومائتين وقيل: سنة عشر. قال ابن النجار: كان أجلع -وهو الذي لا تنطبق شفتاه على أسنانه. وقد روى عن هشام بن عروة، والكلبي، وعمرو بن عبيد. وصنف كتبا في النحو لم يتمها. قال الرياشي: سمعته يقول: كنت أجالس سيبويه، وكان أعلم مني، وأنا اليوم أعلم منه.

وهذا كلام مفهوم معروف معناه، كما يقال: فلانٌ يريد الجنة، إذا كان يعمل عمل أهلها، ولا يقال ذلك للفاسق.

١٦٤- وقوله ﷻ: وكأين من نبي قاتلَ معهُ ربيونَ كثيرٌ [آية: ١٤٦].

ويقرأ «قاتل»[(١)] فمن قرأ «قُتِلَ معه» ففيه عنده قولان:

أحدهما: روي عن عكرمة وهو أن المعنى: وكأين من نبي قُتِل، على أنه قد تم الكلام، ثم قال: **معهُ ربيونَ كثيرٌ** بمعنى: ومعه ربيون كثير.

وهذا قول حسن على مذهب النحويين؛ لأنهم أجازوا «رأيت زيدًا السماء تمطر عليه» بمعنى والسماءُ تمطُر عليه.

والقولُ الآخرُ: أن يكون المعنى: قُتِل معه بعض الربيين، وهذا معروف في اللغة أن يقال: جاءني بنو فلان وإنما جاءك بعضهم، فيكون المعنى على هذا: قُتِل معه بعض الربيين.

١٦٥- وقولـه تعالى: فما وهنُوا لما أصابهُم في سبيل اللهِ وما ضعُفُوا وما استكانُوا.. [آية: ١٤٦].

أي: فما ضعف من بقي منهم، كما قرئ: **ولا تقاتلوهُم عند المسجدِ الحرامِ حتى يقاتلوكُم فيهِ فإن قاتلوكُم فاقتلوهُم** [البقرة: ١٩١] بمعنى فإن قتلوا بعضكم.

والقولُ الأول على أن يكون التمام عند قوله: «قُتِلَ» وهو أحسن[(٢)]، والحديثُ يدل عليه.

قال الزهري: صاح الشيطان يوم أحدٍ قُتِل محمد، فانهزم جماعة من المسلمين.

قال كعب بن مالك: «كنت أول من عرف رسول الله ﷺ رأيت عينيه من تحت المِغفَر، فناديت بأعلى صوتي: هذا رسولُ الله ﷺ، فأومأ إلى أن اسكت، فأنـزل الله ﷻ **وكأين من نبي قاتلَ معهُ ربيونَ كثيرٌ** .

وقال عبد الله بن مسعود: الربيون: الألوف الكثيرة.

وقال مجاهد وعكرمة والضحاك: الربيون: الجماعات.

---

(١) قرأ ابن كثير، ونافع وأبو عمرو «قُتل معه» وقرأ عاصم وابن عامر، وحمزة، والكسائي «قاتل معـه» بألف، انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢١٧، و النشر ٤٢٤/٢.

(٢) هذا على قراءة حمزة والكسائي: «ولا تقتلوهم.. فإن قتلوكم»، وقرأ الجمهور: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام فإن قاتلوكم كلها بالألف، انظر السبعة لابن مجاهد ص ١٧٩.

وقال ابن زيد: الربيون: الأتباع.

ومعروف أن الربة الجماعة، فهم منسوبون إلى الربة، ويقال للخِرقة التي يجمع فيها القِداح: رِبةٌ وربةٌ، والرباب: قبائلُ تجمعت.

وقال أبان بن تغلب: الربي: عشرة آلاف.

وقال الحسن - رحمة الله عليه -: هم العلماء الصبر، كأنه أُخِذ من النسبة إلى الرب تبارك وتعالى.

١٦٦- ثم **قال تعالى: ﴿فَما وهَنُوا لِما أصابهُم في سبِيل اللهِ﴾** [آية: ١٤٦].

أي: فما ضعفوا. والوهن في اللغة: أشد الضعف.

﴿وما استكَانُوا﴾ أي: وما ذَلّوا، فعاتب الله ﷻ المسلمين بذا؛ لأنهم كانوا يتمنونَ القتالَ.

وقرأ مجاهد فيما رُوي عنه: ﴿ولَقَد كُنتُم تمنونَ الْموت مِن قَبل أن تلْقَوهُ﴾ [آية: ١٤٣] وهي قراءةٌ حسنةٌ، والمعنى: ولقد كنتم تمنون الموت أن تلقوه من قبلُ، أي: من قبل أن تلقوه[1].

١٦٧- وقولُه ﷻ: ﴿وما كَانَ قَولَهُم إلا أن قَالُوا ربنا اغْفِر لَنا ذُنوبنا وإسرافَنا في أمرِنا..﴾ [آية: ١٤٧].

قال مجاهد: يعني الخطايا الكبار.

١٦٨- ثم **قال تعالى: ﴿وثَبت أقْدامنا﴾** [آية: ١٤٧].

أي: ثبتنا على دينك، وإذا ثبتهم على دينه ثبتوا في الحرب، كما قال: **﴿فَتزِل قَدَمٌ بعد ثُبوتِها﴾** [النحل: ٩٤].

١٦٩- وقال تعالى: ﴿فَآتاهُمُ اللهُ ثَواب الدنيا وحُسن ثَوابِ الآخِرةِ﴾ [آية: ١٤٨].

قال قتادة: أُعطوا النصر في الدنيا، والنعيم في الآخرة.

١٧٠- ثمّ **قال ﷻ: ﴿بل اللهُ مولاكُم وهُو خيرُ الناصِرين﴾** [آية: ١٥٠].

المولى: الناصر، فإذا كان ناصرهم لم يغلبوا.

١٧١- وقوله ﷻ: ﴿سنُلْقِي في قُلُوبِ الذِين كَفَرُوا الرعب بِما أشركُوا بِاللهِ ما لَم يُنـزِلْ بِهِ سُلْطَانا﴾ [آية: ١٥١].

قال النبي ﷺ: **«نُصِرتُ بالرعب»**[2].

---

(١) هذه قراءة مجاهد (مِن قَبلُ)، وهي ليست من القراءات السبع، ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٦٧/٣.
(٢) هذا طرف حديث طويل رواه البخاري ٣٦٩/١، ومسلم برقم ٥٢١.

والسلطان: الحجة، ومنه **هلك عني سُلْطَانِيه** [الحاقة: ٢٩] أي: حجتيه.

١٧٢- وقوله تعالى: ولَقَد صدقَكُمُ اللهُ وعدهُ إِذْ تحُسونهُم بِإِذْنِهِ [آية: ١٥٢].

قال قتادة: تحُسونهُم تقتلونهم.

١٧٣- ثم **قال تعالى: حتى إِذَا فَشِلْتُم وتنازعْتُم فِي الأمر وعصيتُم من بعدِ ما أراكُم ما تُحِبونَ** [آية: ١٥٢].

أي: من هزيمة القوم، و **فَشِلْتُم** جبنتم.

قال عبد الله بن مسعود: أمر النبي ﷺ الرماة أنْ يثْبتوا مكانهم، فكانت للنبي ﷺ في أول شيء، فقال بعضهم: نلحق الغنائم، وقال بعضهم: نثبت، فعاقبهم الله بأن قُتِلَ بعضهم.

قال: وما علمنا أنّ أحدًا منا يريد الحياة الدنيا حتى نـزلت: **مِنكُم من يُرِيدُ الدنيا ومِنكُم من يُرِيدُ الآخِرةَ ثُم صرفَكُم عنهُم لِيبتلِيكُم** [آية: ١٥٢].

قال: معنى **لِيبتلِيكُم** ليختبركم، وقيل معناه: ليبتليكم بالبلاء.

١٧٤- وقوله ﷻ: إِذْ تُصعِدُونَ ولاَ تلْوُونَ على أحدٍ [آية: ١٥٣].

ويُقْرأ: «تصعدون» بفتح التاء[1]، فمن ضمها فهو عنده من أصعد، إذا ابتدأ السير، ومن فتحها فهو عنده من صعد الجبل وما أشبهه.

ومعنى تلْوُونَ: تُعرجون.

١٧٥- ثم **قال ﷻ: والرسُولُ يدعُوكُم فِي أخراكُم..** [آية: ١٥٣].

قال أبو عُبيدة: معناه: في آخركم.

١٧٦- وقوله ﷻ: فَأَثَابكُم غَما بِغم.. [آية: ١٥٣].

في هذا قولان:

أحدهما: أنّ مجاهدًا قال: الغم الأول القتلُ والجراح، والغم الثاني أنه صاح صائح: قُتِل محمد، فأنساهم الغم الآخر الغم الأول.

والقول الآخر: أنهم غموا النبي ﷺ في مخالفتهم إياه؛ لأنه أمرهم أن يثبتوا فخالفوا أمره، فأثابهم اللهُ بذلك الغم غمهم بالنبي ﷺ.

ومعنى **فَأَثَابهم** أي: فأنزل بهم ما يقوم مقام الثواب، كما قال تعالى: **فَبشرهُم**

(١) هذه قراءة الحسن ومجاهد، و هي ليست من القراءات السبع، أما قراءة الجمهور: تصعدون من الإصعاد: وهو الذهاب والإبعاد في الأرض.

بِعذَابٍ أَلِيمٍ [التوبة: ٣٤] أي: الذي يقوم لهم مقام البشارة عذاب أليم، وأنشد سيبويه:

تُرادُ على دِمن الحياض فإنْ تعف ... فـإن المُندى رحلـةٌ فركُوبُ[1]

أي: الذي يقوم مقام التندية: الرحلةُ والركوب.

١٧٧- وقوله تعالى: لكَيلا تحزَنوا على ما فَاتكُم ولا ما أصابكُم.. [آية: ١٥٣].

والمعنى: «**لكَيلا تحزَنوا على ما فَاتكُم**» أ م طلبوا الغنيمة «**ولا ما أصابكُم**» في أنفسكم من القتل والجراحات.

١٧٨- وقوله ﷻ: ثُم أنـزلَ عليكُم من بعدِ الغم أمنةً نعاسا.. [آية: ١٥٤].

الأمنةُ، والأمن واحد، وهو اسم للمصدر.

وروي عن أبي طلحة أنه قال: «نظرت يوم أُحدٍ فلم أر إلا ناعسًا تحت ترسِهِ».

١٧٩- ثم قال تعالى: يغشى طَائِفَةً منكُم وطَائِفَةٌ قَد أهمتهُم أنفُسُهُم.. [آية: ١٥٤].

يغشى طَائِفَةً منكُم يعني: بذه الطائفة المؤمنين، **وطَائِفَةٌ قَد أهمتهُم أنفُسُهُم** يعني: بذه الطائفة المنافقين.

١٨٠- وقوله تعالى: يظُنونَ بِاللهِ غَير الحق ظَن الجاهِلِيةِ.. [آية: ١٥٤].

أي: يظنون أن أمر النبي ﷺ قد اضمحل.

ثم قال تعالى: **ظَن الجاهِلِيةِ** أي: هم في ظنهم بمنـزلة الجاهلية.

يقُولُونَ هل لنا مِن الأمرِ مِن شيءٍ قُلْ إِن الأمر كُلهُ للهِ [آية: ١٥٤].

أي: ينصر من يشاء، ويخذل من يشاء.

١٨١- وقولـه ﷻ: لو كُنتُم فِي بُيوتكُم لبرز الذِين كُتِب عليهِمُ القَتلُ إِلى مضاجِعِهم [آية: ١٥٤]. أي: لصاروا إلى براز من الأرض.

١٨٢- وقوله ﷻ: إِن الذِين تولوا مِنكُم يوم التقَى الجمعان إِنما استزلَهُمُ الشيطَانُ بِبعض ما كَسبُوا ولقَد عفَا اللهُ عنهُم [آية: ١٥٥].

معنى «**استزلَهُمُ**»: استدعى أن يزلّوا، كما يقال: استعجلته، أي: استدعيت أن يعجل، ومعنى **استزلَهُمُ الشيطَانُ بِبعض ما كَسبُوا** : أنه روي أن الشيطان ذكرهم خطاياهم، فكرهوا القتل قبل التوبة ولم يكرهوا القتل معاندةً ولا نفاقًا، فعفا الله عنهم.

١٨٣- وقوله ﷻ: وقَالُوا لإِخوانِهم إِذَا ضربُوا فِي الأَرض أو كَانُوا غُزى لو

(١) البيت لعلقمة الفحل وهو في ديوانه، ص ١٣٢.

كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا.. [آية: ١٥٦].

روى عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: هذا قول المنافق عبد الله بن أبي[1].

١٨٤- وقوله ﷻ: فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك.. [آية: ١٥٩].

الفظ في اللغة: الغليظُ الجانب، السيئُ الخُلُق، يقال: فظِظْت تفظ فظاظةً، ومعنى **لانفضوا من حولك** لتفرقوا، هذا قول أبي عبيدة.

وكأنه التفرق من غير جهة واحدة. ويقال: فلان يفض الغطاء، أي: يفرّقه وفضضت الكتاب، من هذا.

١٨٥- وقول ﷻ: فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر.. [آية: ١٥٩].

المشاورة في اللغة: أن تظهر ما عندك، وما عند صاحبك من الرأي، والشوار: متاع البيت المرئي. وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: أن الله أمر النبي ﷺ، أن يشاورهم فيما لم يأت فيه وحي؛ لأنه قد يكون عند بعضهم فيما يشاور فيه علم وقد يعرف الناس من أمور الدنيا ما لا يعرفه الأنبياء، فإذا كان وحي لم يشاورهم.

والقول الآخر: أن الله ﷻ أمره بهذا ليستميل به قلوبهم، وليكون ذلك سنةً لمن بعده.

حدثني أحمد بن عاصم، قال: حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي مريم قال: حدثنا أبي قال: حدثنا ابن عيينةَ، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس **وشاورهم في الأمر**.

قال: أبو بكر وعمر ﵄.

وقال الحسن: أمر بذلك ﷺ لتستن به أمته.

١٨٦- وقوله ﷻ: إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده.. [آية: ١٦٠].

الخذلانُ في اللغة: الترك، ومنه يقال: تخاذل القوم، إذا انماز بعضهم من بعض، ويقال: ظبيةٌ خاذلةٌ، إذا انفردت عن القطيع، قال زهير:

بجيد مُغـزلةٍ أدمـاء خـاذلةٍ ... من الظباءِ تُراعي شادنا خرقـا[2]

---

(١) انظر الطبري ١٤٦/٤.

(٢) البيت في ديوانه ص ٣٥.

١٨٧ - وقوله ﷻ: وما كَانَ لِنِبِي أنْ يغُل.. [آية: ١٦١].

وتقرأ (يغل)[١]، ومعنى **يغُل** : يخون، وروى أبو صخر، عن محمد بن كعب في معنى **وما كَانَ لِنِبِي أنْ يغُل** قال: يقول: ما كان لنبي أن يكتم شيئًا من كتاب الله ﷻ.

و«يغل» يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يلْفى غالاً، أي: خائنًا، كما تقول: أحمدت الرجل: إذا أصبته محمودًا، وأحمقته: إذا أصبته أحمق.

قالوا: ويقوي هذا القول، أنه روي عن الضحاك أنه قال: «يغل» يبادر الغنائم لئلا تؤخذ.

والمعنى الآخر، أن يكون (يغل) بمعنى: يغل منه، أي: يخان منه.

وروى عن قتادة أن معنى (يغل): يخانُ.

وقد قيل فيه قولٌ ثالث لا يصح، وهو أن معنى (يغل): يخونُ، ولو كان كذلك لكان يغلل.

١٨٨ - ثم **قال** ﷻ: **ومن يغلُلْ يأتِ بِما غَل يوم الْقِيامةِ..** [آية: ١٦١].

وروي: عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا أعرفنّ أحدكم يأ**تي **يوم القيامة، ومعه شاةٌ لها ثُغاءٌ، فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملِكُ لك من الله شيئًا**»[٢].

والغلولُ في اللغة: أن يأخذ من المغنم شيئًا، يستره عن أصحابه، ومنه يقال للماء الذي يجري بين الشجر غللٌ، كما قال الشاعر:

لَعِب السُيولُ به فأصبح ماؤُهُ غللاً يُقطعُ في **أصُول الخروع**[٣]

ومنه الغِلالة، ومنه يقال: تغلغل فلان في الأمر، والأصل: تغلل.

ومنه: في صدره علي غل: أي: حقد، ومنه: غللت لحيتي وغليتها.

١٨٩ - وقولُه ﷻ: أفَمن اتبع رِضوانَ اللهِ كَمن باءَ بِسخطٍ من اللهِ.. [آية: ١٦٢].

قال الضحاك «أفمن اتبع رضوان الله» من لم يغلّ **كَمن باءَ بِسخطٍ من اللهِ** كمن

---

(١) انظر الطبري ١٥٦/٤.

(٢) هذا الحديث رواه البخاري في الجهاد. ومسلم في الإمارة ١٠/٦، وأحمد في المسند ٤٢/٢ بلفظ: «لألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء ..» الحديث، أما هذا اللفظ فلم أجده في كتب السنة.

(٣) البيت للحويدرة، انظر الجامع في أحكام القرآن للقرطبي ٢٥٦/٤.

غل؟ **ومعنى** «باء»: احتمل.

١٩٠- ثم قال ﷻ: هُم درجاتٌ عِند اللهِ واللهُ بصِيرٌ بِما يعملُونَ [آية: ١٦٣].

قال مجاهد: المعنى لهم درجات عند الله، والتقدير في العربية: هم ذوو درجاتٍ، ثم حذف، والمعنى: بعضهم أرفع درجةً من بعض.

وقيل: «هم» لمن اتبع رضوان الله، ولمن باء بسخطه، أي: لكل واحدٍ منهم جزاء عمله بقدرٍ.

١٩١- وقوله ﷻ: لَقَد من اللهُ على الْمُؤمِنِين إِذْ بعثَ فِيهِم رسُولاً من أنفُسِهِم.. [آية: ١٦٤].

أي: ممن يعرفونه بالصدق والأمانة، وجاءهم بالبراهين، ولم يعرفوا منه كذبًا قط.

١٩٢- وقوله ﷻ: أو لما أصابتكُم مصِيبةٌ قَد أصبتُم مثْلَيها [آية: ١٦٥].

قال الضحاك: قُتِل من المسلمين يوم أحد سبعون رجلاً، وقُتل من المشركين يوم بدر سبعون، وأسر سبعون، فذلك قوله تعالى: **قَد أصبتُم مثْلَيها** يوم بدر ويوم أحد.

ومعنى قُلْ هُو مِن عِندِ أنفُسِكُم [آية: ١٦٥] بذنبكم، وبما كسبت أيديكم؛ لأن الرماة خالفوا النبي ﷺ ولم يثبتوا كما أمرهم.

ومعنى (أو ادفعوا) أي: كثروا وإن لم تقاتلوا، ومعنى **فادرءُوا**: فادفعوا.

١٩٣- وقوله ﷻ: **ولاَ تحسبن الذِين قُتِلُوا فِي سبِيل اللهِ أمواتا بلْ أحياءٌ عِند ربهِم يُرزقُونَ** [آية: ١٦٩].

رُوي أن أرواح «الشهداء» تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقةٍ عند العرش[1].

١٩٤- وقوله ﷻ: فَرِحِين بِما آتاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ ويستبشِرُونَ بِالذِين لَم يلْحقُوا بِهِم من خلْفِهِم ألا خوفٌ عليهِم ولا هُم يحزنُونَ [آية: ١٧٠]

---

(١) الحديث رواه مسلم ١٥٠/٣، بلفظ: «إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر، لها قناديل معلقـة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربـهم اطّلاعـة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعـل بـهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب: نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا».

المعنى: لم يلحقوا بهم في الفضل، وإنْ كان لهم فضل.

١٩٥- وقوله ﷻ: يستبشِرُونَ بِنعمةٍ من اللهِ وفَضلٍ وأن اللهَ لا يُضِيعُ أجر المُؤمِنين [آية: ١٧١].

والمعنى: ويستبشرون بأن الله لا يضيع أجر المؤمنين.

ويُقرأ: وإن الله بكسر الألف[1] **لا يُضِيعُ أجر المُؤمِنين** على أنه مقطوع من الأول.

والمعنى: وهو سبحانه لا يضيع أجر المؤمنين، ثم جيء بإنّ توكيدًا.

١٩٦- وقوله ﷻ: الذِين استجابُوا لِلهِ والرسُول مِن بعدِ ما أصابهُمُ القَرحُ.. [آية: ١٧٢].

روى عكرمة عن ابن عباس «أن المشركين يوم أحد، لما انصرفوا فبلغوا إلى الروحاء، حرض بعضهم بعضًا على الرجوع لمقاتلة المسلمين، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فندب أصحابه للخروج، فانتدبوا حتى وافوا يعني «حمراء الأسد» وهي على ثمانية أميال من المدينة، فأنـزل الله ﷻ: **الذِين استجابُوا لِلهِ والرسُول مِن بعدِ ما أصابهُمُ القَرحُ** [آية: ١٧٢].

١٩٧- وقولـه ﷻ: الذِين قَالَ لَهُمُ الناسُ إن الناس قَد جمعُوا لَكُم فَاخشوهُم.. [آية: ١٧٣].

قيل: إنه يعني بالناس «نعيم بن مسعود» وجهه أبو سفيان يثبطُ أصحاب النبي ﷺ، ومجازه في اللغة أن يراد به نعيم وأصحابه.

وقال ابن إسحاق: (الذين قال لهُم الناس) هم: نفر من عبد القيس.

قالوا: إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم.

ثم قيل تعالى: **فَزادهُم إيمانا** أي: فزادهم التخويف إيمانًا وقالوا: **وقَالُوا حسبُنا اللهُ ونعم الوكِيلُ** [آية: ١٧٣] أي: كافينا الله، يقال: أحسبه: إذا كفاه.

١٩٨- وقوله ﷻ: فَانقَلَبُوا بِنعمةٍ من اللهِ وفَضلٍ لم يمسسهُم سُوءٌ [آية: ١٧٤].

قال عكرمة عن ابن عباس: لما وافوا بدرًا وكان أبو سفيان قد قال لهم: موعدكم بدرًا موضع قتلتم أصحابنا، فوافق النبي ﷺ وأصحابه بدرًا، واشترى المسلمون بها أشياء

---

(١) هذه قراءة الكسائي، وقرأ الباقون وأن الله ، انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢١٩.

ربحوا فيها.

فالمعنى على هذا **فَانقَلَبُوا بِنِعمةٍ من اللهِ وفَضلٍ** من انصراف عدوهم، وفضلٍ في تجار م.

١٩٩- وقوله ﷻ: إنما ذَلِكُمُ الشيطَانُ يُخوفُ أولياءَهُ.. [آية: ١٧٥].

يقال: كيف يخوف من تولاه؟. فروي عن إبراهيم النخعي: يخوّفكم أولياءه، قيل: هذا حسن في العربية، كما تقول: فلانٌ يعطي الدنانير، أي: يعطي الناس الدنانير، والتقدير على هذا: يخوف المؤمنين بأوليائه، ثم حذفت الباءُ وأحد المفعولين، ونظيره قوله ﷻ: **لِيُنذِر بأسا شدِيدا** [الكهف: ٢] المعنى: لينذركم ببأسٍ شديد، وأنشد سيبويه فيما حذفت منه الباء:

أمرتُك الخير فافعلْ ما أُمِرت به ... فقد تركتُك ذا مالٍ وذا نشب(١)

وأولياؤه هاهنا الشياطين، وقد قيل: إن معنى **يُخوفُ أولياءَهُ**: يخوف المنافقين الفقر حتى لا ينفقوا لأ م أشد خوفًا.

٢٠٠- وقوله ﷻ: ولاَ يحسبن الذِين كفَرُوا أنما نُملِي لَهُم خيرٌ لأنفُسِهِم إنما نُملِي لَهُم لِيزدادُوا إِثْما.. [آية: ١٧٨].

في **معناه قولان:**

أحدهما: ما رواه الأسود عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الموت خير للمؤمن والكافر، ثم تلا **وما عِند اللهِ خيرٌ للأبرارِ** [آية: ١٩٨] و **إِنما نُملِي لَهُم لِيزدادُوا إِثْما**.

والقول الآخر: أن هذه الآية مخصوصة أريد با قوم بأعيا م لا يسلمون، كما قال ﷻ: **ولاَ أَنتُم عابِدُونَ ما أَعبُدُ** [الكافرون: ٣].

٢٠١- وقوله ﷻ: ما كَانَ اللهُ لِيذَر المُؤمِنين علَى ما أَنتُم علَيهِ حتى يمِيز الخبِيثَ مِن الطّيبِ [آية: ١٧٩].

قال قتادة: حتى يميز الكافر من المؤمن.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: حتى يميز المؤمن من المنافق، وكان هذا يوم أحد، بين فيه المؤمن من المنافق، حتى قُتل من المسلمين من قُتِلَ.

---

(١) البيت لعمرو بن معد يكرب، انظر شواهد المغني ٧٢٧/٢.

ثم قال تعالى: **وما كانَ اللهُ لِيُطلِعَكُم على الغيبِ** [آية: ١٧٩].

أي: ليس يخبركم من يسلم، ومن يموت على الكفر.

ولكِن اللهَ يجتبِي مِن رسُلِهِ من يشاءُ قال مجاهد: أي يخلصهم لنفسه.

٢٠٢- وقوله ﷻ: ولا يحسبن الذِين يبخلُونَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ هُو خيرا لهُم بلْ هُو شر لهُم سيُطوقُونَ ما بخِلُوا بِهِ يوم القِيامةِ [آية: ١٨٠].

في **الآية قولان:**

أحدهما: أنه يراد به اليهود؛ لأ م بخلوا أن يخبروا بصفة النبي ﷺ، فهي على هذا للتمثيل أي: سيطوقون الإثم.

والقولُ الآخر: وهو الذي عليه أهل الحديث، أنه روى أبو وائل عن عبد الله ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**ما من رجل له مالٌ** ثم بخل **بالحق** في **ماله، إلا طُوق يوم القيامة شُجاعا أقرع،** ثم **تلا مصداق ذلك: ولا يحسبن الذِين يبخلُونَ بِما آتاهُمُ اللهُ مِن فَضلِهِ** إلى **قوله: سيُطوقُونَ ما بخِلُوا بِهِ يوم القِيامةِ**»[1].

٢٠٣- ثم **قال ﷻ: ولِلهِ مِيراثُ السماواتِ والأرض واللهُ بِما تعملُونَ خبِيرٌ** [آية: ١٨٠].

العرب تسمي كل ما صار إلى الإنسان، مما قد كان في يد غيره: ميراثًا، فخوطبوا على ما يعرفون؛ لأن الله يغني الخلق وهو خير الوارثين.

٢٠٤- وقوله ﷻ: لقَد سمِع اللهُ قَولَ الذِين قَالُوا إِن اللهَ فَقِيرٌ ونحنُ أغْنِياءُ [آية: ١٨١].

قال الحسن: لما نـزلت **من ذَا الذِي يُقرِضُ الله قَرضا حسنا فيُضاعِفَهُ لَهُ أضعافًا كَثِيرةً** [البقرة: ٢٤٥].

قالت اليهود: أو هو فقير يستقرض؟ يموهون بذلك على ضعفائهم، فأنـزل الله

(١) الحديث أخرجه البخاري ٢٧٣/٨، بلفظ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مثل له ماله شـجاعًا أقرع - أي: ثعبانًا ذكرًا تساقط شعره من كبره - له زبيبتان، يطوقُه يوم القيامة، فيأخذ بلهزمتيه - يعني: بشدقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنـزك، ثم تلا هذه الآية: ولا يحسبن الذِين يبخلُونَ بِما آتاهم اللهُ مِن فَضلِهِ هو خيرًا لهم بلْ هو شر لهم سيطوقُونَ ما بخِلُوا بِهِ يوم القِيامةِ الآيـة. والنسائي في الزكاة ١١/٥، وبنحوه أحمد في المسند ٣٧٧/١، والحاكم في المستدرك ٢٩٨/٢.

ﷻ: **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء** .

المعنى: إنه على قول محمد فقير؛ لأنه اقترض منا !! فكفروا بذا القول لأ م أرادوا تكذيب النبي ﷺ به، وتشكيكًا للمؤمنين في الإسلام.

٢٠٥- ثم **قال تعالى: سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق** [آية: ١٨١] أي: سنحصيه، ويجوز سيكْتب[1] ما قالوا، أي: سيكتب الله ما قالوا.

٢٠٦- ثم **قال تعالى: ونقول ذوقوا عذاب الحريق** [آية: ١٨١] أي: عذاب النار؛ لأن من العذاب ما لا يحرق.

٢٠٧- وقوله ﷻ: **فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير** [آية: ١٨٤].

الزبر: جمع زبور، وهو الكتاب، و يقال: زبرت إذا كتبت

٢٠٨- ثم **قال تعالى: كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة** [آية: ١٨٥].

وهذا تمثيلٌ، والمعنى: كل نفسٍ ميتةٌ، وأنشد أهل اللغة:

من لم يمُت عبطةً يمت هرما للموتِ كأسٌ فالمرءُ ذائقُها[2]

٢٠٩- ثم **قال** ﷻ: **فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز..** [آية ١٨٥].

زُحزح : نحي، و **فاز** : إذا نجا واغتبط بما هو فيه، فأما قولهم: مفازة، فإنما هو على التفاؤل، كما يقال للأعمى: بصير، وقد قيل: إن مفازةً من قولهم: فوز الرجل: إذا مات، وهذا القول ليس بشيء؛ لأن قولهم: فوز الرجل، إنما هو على التفاؤل أيضًا.

٢١٠- وقوله ﷻ: **لتبلون في أموالكم وأنفسكم..** [آية: ١٨٦].

قيل معناه: لتختبرن، وقيل معناه: لتصابن. والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد.

٢١١- ثم **قال تعالى: ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا** [آية: ١٨٦] روي أن أبا بكر - رحمةُ الله عليه - سمع رجلاً من اليهود يقول: أو هو فقير يستقرض؟ فلطمه، فشكاه اليهودي إلى النبي ﷺ فأنـزل اللهُ ﷻ:

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٥.

(٢) البيت لأمية بن أبي الصلت وهو في ديوانه ٤٢١.

ولَتسمعُن مِن الذِين أوتُوا الْكِتاب مِن قَبلِكُم ومِن الذِين أشركُوا أذى كَثِيرا .

وأذىً: مصدر أذى يأذى، إذا تأوى.

٢١٢- وقوله ﷻ: **وإذْ أخذَ اللهُ مِيثَاق الذِين أوتُوا الْكِتاب لَتبيُنُنهُ لِلناس ولاَ تكْتُمُونهُ..** [آية: ١٨٧].

قال سعيد بن جبير: يعني النبي ﷺ. والمعنى على هذا: لتبينن أمر النبي ﷺ ولا تكتمونه.

وقال قتادة: «هذا ميثاق أخذه الله ﷻ على أهل العلم، فمن علم شيئًا فلْيعلمه، وإياكم وكتمان العلم».

٢١٣- ثم **قال تعالى: فَنبذُوهُ وراءَ ظُهُورِهِم واشتروا بِهِ ثَمنا قَلِيلاً..** [آية: ١٨٧].

فَنبذُوهُ وراءَ ظُهُورِهِم أي: تركوه، ثم بين لم فعلوا ذلك فقال: **واشتروا بِهِ ثَمنا قَلِيلاً** أي: أخذوا الرشا، وكرهوا أنْ يتبعوا الرسول ﷺ فتبطل رياستهم.

٢١٤- وقوله ﷻ: **لاَ تحسبن الذِين يفْرحُونَ بِما أتوا ويُحِبونَ أن يُحمدُوا بِما لَم يفْعلُوا..** [آية: ١٨٨].

روي عن مروان[1] أنه وجه إلى ابن عباس يقول: أكل من فرح بما أتى، وأحب أن يحمد بما لم يفعل يعذب؟ فقال ابن عباس: هذا في اليهود؛ لأن النبي ﷺ سألهم عن شيء، فلم يخبروه به وأخبروه بغيره وأحبوا أن يحمدوا بذلك، وفرحوا بما أتوا من كتما م النبي ﷺ، فأنزل اللهُ ﷻ: **لاَ تحسبن الذِين يفْرحُونَ بِما أتوا ويُحِبونَ أن يُحمدُوا بِما لَم يفْعلُوا..** الآية.

وروى سعيد بن جبير أنه قرأ: **لاَ تحسبن**[2] **الذِين يفْرحُونَ بِما أتوا** قال: اليهود، فرحوا بما أوتي آل إبراهيم من الكتاب، والحكم، والنبوة.

ثم قال سعيد بن جبير: **ويُحِبونَ أن يُحمدُوا بِما لَم يفْعلُوا** هو قولهم: نحن على دين إبراهيم.

٢١٥- ثم **قال** ﷻ: **فَلاَ تحسبنهُم بِمفَازةٍ من الْعذَابِ** [آية: ١٨٨].

أي: بمنجاةٍ **ولَهُم عذَابٌ أَلِيمٌ** أي: مؤلم.

---

(١) هو مروان بن الحكم، انظر فتح الباري ١٧٦/٨.

(٢) قرأ نافع، وابن عمر، وابن كثير «لا يحسبن» بالياء، وقرأ الكوفيون ويعقوب لا تحسبن، والجمهور بفتح السين في «يحسبن»، والكسائي بكسر السين، انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٢٠ والنشر لابن الجزري ٢٤٦/٢.

٢١٦- ثم **قال** ﷻ: **ولِلهِ مُلْكُ السماواتِ والأرض واللهُ على كُل شيءٍ قَدِيرٌ** [آية: ١٨٩]. أي: هو خالقهما، و خالق ما فيهما.

وهذا تكذيب للذين قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء.

٢١٧- ثم **قال** ﷻ: **إن فِي خلْق السماواتِ والأرض واخِتلافِ الليل والنهارِ لآياتٍ لأُولي الألْبابِ** [آية: ١٩٠].

أي: لعلامات دالةً عليه، والألباب: العقولُ.

٢١٨- وقولُه ﷻ: **الذِين يذْكُرُونَ اللهَ قِياما وقُعودا وعلى جُنُوبِهم..** [آية: ١٩١].

في معنى الآية قولان:

أحدهما: روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «من لم يستطع أن يصلي قائمًا صلى قاعدًا، وإلا مضطجعًا».

والقول الآخر: أ م الذين يوحدون الله ﷻ على كل حال، ويذكرونه. والقولُ الأولُ ليس بصحيح الإسناد.

وأيضًا فإن الله تعالى إنما وصف أولي الألباب بالذكر له، على كل الأحوال التي يكون الناس عليها.

ويبين لك هذا حديثُ ابن عباس، حين بات عند النبي ﷺ قال: «**فاستوى على فراشِهِ قاعدا** ثم **رفع رأسه** إلى **السماءِ** ثم **قال: "سُبحان الملك القدوس" ثلاث مرات- وقرأ إن** في **خلْق السماواتِ والأرض..** حتى **ختم السورة**»[1].

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير ٥١/٦، ومسلم في كتاب الصلاة ٥٢٦/١ ولفظه كما في البخاري (عن ابن عباس ﵄ قال: «بت عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة، ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر، قعد فنظر إلى السماء فقال: «إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب» ثم قام فتوضأ واستن، فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى الصبح».

وفي رواية أخرى في البخاري ٥٢/٦ «ثم قرأ الآيات العشر الأواخر من آل عمران حتى ختم، ثم أتى شناً معلقًا، فأخذه فتوضأ، ثم قام يصلي، فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني بيده اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح».

٢١٩- ثم قال ﷻ: **﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾** [آية: ١٩١].

أي: ليكون ذلك أزيد في بصيرتهم.

٢٢٠- ثم قال ﷻ: **﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً..﴾** [آية: ١٩١].

أي: يقولون ربنا ما خلقت هذا باطلاً، فحذف يقولون.

٢٢١- ثم قال ﷻ: **﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** [آية: ١٩١].

روي عن طلحة بن عبيد الله أنه قال: سألت النبي ﷺ عن "سبحان" فقال: «**تنزيهُ الله عن السوءِ**»[1].

وأصلُ التنـزيه في اللغة: البعد، أي: تنـزيه الله ﷻ عن الأنداد والأولاد.

٢٢٢- وقوله ﷻ: **﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ..﴾** [آية: ١٩٢].

حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد السلام، قال: حدثنا أبو الأزهر إملاءً قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل، قال حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس في قوله ﷻ: **﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾** قال: من خُلّد في النار فقد أخزيته[2].

قال أبو الأزهر: وحدثنا روح قال حدثنا حماد بن زيد عن جويبر عن الضحاك أنه تلا حديث الشفاعة فقال له رجل: **﴿إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾** قال: ذلك لهم خزي[3].

فمن أُدخل النار فقد أُخزي، وإن أُخرج منها؛ لأن الخزي إنما هو هتك ستر المُخزى وفضيحته، ويقال: خزي يخزى: إذا ذل، وأخزيته: إذا أذللته إذلالاً يتبين عليه.

٢٢٣- وقوله ﷻ: **﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ..﴾** [آية: ١٩٣].

قال محمد بن كعب: هو القرآنُ، وليس كلهم سمع النبي ﷺ.

٢٢٤- وقوله ﷻ: **﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ..﴾** [آية: ١٩٤].

لأنه وعد من وحده وآمن الجنة.

---

(١) ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٢٧٦/١.

(٢) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن أنس قال: من تخلد في النار، وعن سعيد بن المسيب قـال: هذه خاصة لمن لا يخرج من النار، انظر جامع البيان ٢١١/٤.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢١١/٤ والسيوطي في الدر بنحوه ١١١/٢.

٢٢٥- وقوله ﷻ: فَاستجاب لَهُم ربهُم أني لاَ أُضِيعُ عملَ عامِلٍ منكُم من ذَكَرٍ أو أنثَى [آية: ١٩٥].

ويقرأ «إني لا أُضِيع عمل عاملٍ منكم»(١) على معنى فقال: إني، والفتح بمعنى بأني لا أضيع عمل عاملٍ منكم من ذكرٍ أو أنثى.

وروي أن أم سلمة قالت يا رسول الله: «ما سمعت الله ذكر النساء في الهجرة»!!

فأنـزل الله ﷻ: **فَاستجاب لَهُم ربهُم أني لاَ أُضِيعُ عملَ عامِلٍ منكُم من ذَكَرٍ أو أنثَى بعضُكُم من بعضٍ..** (٢) [آية: ١٩٥].

٢٢٦- وقوله ﷻ: ثَوابا من عِندِ اللهِ واللهُ عِندهُ حُسنُ الثوابِ [آية: ١٩٥].

أي: جزاءً، وأصله من ثاب يثوب إذا رجع، والتثويب في النداء ترجيع الصوت.

٢٢٧- وقوله ﷻ: لاَ يغُرنك تقَلبُ الذِين كفَرُوا فِي الْبِلاَدِ [آية: ١٩٦].

أي: لا يغرنك تصرفهم وسلامتهم، فإن آخر مصيرهم إلى النار، فمن كان آخر مصيره إلى النار لم يغبط.

٢٢٨- وقوله ﷻ: وإن مِن أهل الْكِتابِ لَمن يؤمِنُ بِاللهِ وما أنـزلَ إلَيكُم وما أنـزلَ إلَيهِم.. [آية: ١٩٩].

«**روي أن النبي ﷺ صلى على النجاشي، وترحم عليه، فقال قومٌ من المنافقين: صلى عليه وليس من أهل دينه!!**»(٣) فأنـزل الله ﷻ: **وإن مِن أهل الْكِتابِ لَمن يؤمِنُ بِاللهِ وما أنـزلَ إلَيكُم وما أنـزلَ إلَيهِم خاشِعِين للهِ..** [آية: ١٩٩] أي: متواضعين، ومنه قول الشاعر:

وإذا افْتقَرت فلا تكُن مُتخشعا و تجمل

٢٢٩- ثم **قال ﷻ: لاَ يشترُونَ بِآياتِ اللهِ ثَمنا قَلِيلاً..** [آية: ١٩٩].

لأنه قد خبر أن منهم من ثبت على دينه، لأخذ الرشا، ولئلا تبطل رياسته.

---

(١) هي قراءة عيسى بن عمر، كما في البحر المحيط ١٤٣/٣.

(٢) الحديث رواه الترمذي في التفسير برقم ٣٠٢٦، والحاكم في المستدرك ٣٠٠/٢.

(٣) أخرجه ابن المنذر عن ابن جريج كما في الدر المنثور ١١٣/٢.

٢٣٠- وقوله ﷻ: يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا.. [آية: ٢٠٠].

أي: اصبروا على دينكم **وصابروا** قال قتادة: أي: صابروا المشركين.

ورابطوا قال قتادة: أي: جاهدوا.

وأصلُ الرباط والمرابطة عند أهل اللغة، أن العدو يربطون خيولهم، ويربط المسلمون خيولهم تحرزًا، ثم كثر استعمالهم لها حتى قيل لكل من أقام بالثغر: مرابطٌ.

حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد السلام قال: حدثنا الدارمي، قال: حدثنا يحيى ابن أبي بكير، قال: حدثنا جسر عن الحسن **يا أيها الذين آمنوا اصبروا** قال: على المصائب **وصابروا** قال: على الصلوات الخمس **ورابطوا** أعداء الله في سبيل الله[1].

٢٣١- ثم **قال ﷻ: واتقوا الله** أي: لم تؤمروا بالجهاد فقط، فاتقوا الله ﷻ فيما أمركم به، و اكم عنه.

٢٣٢- ثم **قال ﷻ: لعلكم تفلحون** [آية: ٢٠٠].

أي: لتكونوا على رجاءٍ من الفلاح.

وأصلُ الفلاح: البقاءُ والخلود، وقد بيناه فيما تقدم.

انتهت سورة آل عمران

۞ ۞ ۞

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ٢٢١/٤.

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

سورة النساء وهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ: **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها** [آية: ١].

قال مجاهد: خلقت حواء من قُصيرى آدم.

وفي الحديث: «**خلقت المرأة من ضلع عوجاء**»[1].

وقيل: **منها** من جنسها.

٢- ثم **قال تعالى**: **وبث منهما رجالاً كثيرا ونساءً..** [آية: ١].

يقال: بَثْثت الشيءَ وأبثَثْته، إذا نشرته. ومنه: **كالفراش المبثوث**.

٣- وقوله ﷻ: **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا** [آية: ١].

قال عكرمة: المعنى واتقُوا الأرحام أن تقْطعوها.

وقال إبراهيم: هو من قولهم: أسألك باللهِ والرحِم.

قال أبو جعفر: وهذا على قراءة من قرأ بالخفض.

٤- وقوله ﷻ: **وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** [آية: ٢]

قال الضحاك: لا تعطوهم زيوفًا بجِيادٍ.

وقال غيره: لا تتبدلوا الحرام بالحلال.

٥- ثم **قال تعالى**: **ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم..** [آية: ٢].

قيل: المعنى مع أموالكم. والأجود أن تكون إلى في موضعها ويكون المعنى ولا تضموا أموالهم إلى أموالكم.

٦- ثم **قال** ﷻ: **إنه كان حوبا كبيرا** [آية: ٢]. قال قتادة: الحُوب: الإثْم.

وروي أن أبا أيوب طلق امرأته، أو عزم على أن يطلقها، فقال النبي ﷺ: «**إن طلاق**

---

(١) الحديث رواه البخاري ٣٣/٧، بلفظ: «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء» هذا لفظ البخاري، وفي مسلم ١٠٩١/٢ بنحوه.

أم أيوب لحُوبٌ»[١].

٧- وقوله ﷻ: **﴿وإنْ خِفْتم ألا تقْسِطُوا فِي الْيتامى﴾** [آية: ٣].

يقال: أقْسط الرجلُ: إذا عدل، وقسط: إذا جار.

فكأن «أقْسط» أزال القُسوطَ.

فأما معنى: ﴿وإنْ خِفْتم ألا تقْسِطُوا فِي الْيتامى فَانكِحوا ما طَاب لَكُم من النساءِ﴾ [آية: ٣].

ففيه قولان:

أحدهما: أن ابن عباس قال فيما روي عنه: قُصِر الرجلُ على أربع من أجل اليتامى.

وروي عن جماعة من التابعين شرح هذا القول.

وروي عن مجاهد والضحاك وقتادة، وهذا معنى قولهم:

إن المسلمين كانوا يسألون عن أمر اليتامى لـما شدد في ذلك، **فقال** ﷻ: **﴿وإنْ خِفْتم ألا تقْسِطُوا فِي الْيتامى﴾**.

أي فكما تخافون في أمر اليتامى، فخافوا في أمر النساء إذا اجتمعن، أن تعجزوا عن العدل بينهن.

والقول الآخر: رواه الزهري عن عروة عن عائشة قال: سألت عائشة عن قول الله ﷻ: **﴿وإنْ خِفْتم ألا تقْسِطُوا فِي الْيتامى فَانكِحوا ما طَاب لَكُم من النساءِ﴾** فقالت: يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حِجر وليها، فيعجبه مالُها وجمالُها، فيريد تزوجها بغير أن يقْسِطَ في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره[٢].

فنهوا أن ينكحوا اليتامى إذا خافوا هذا، وأُبيح لهم من النساء أربع، قالت عائشة: ثم إن الناس استفْتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنـزل الله ﷻ: **﴿ويستفْتونك فِي النساءِ قُل الله يفْتِيكُم فِيهن﴾** إلى قوله تعالى: **﴿وترغَبونَ أنْ تنكِحوهن﴾** [آية: ١٢٧]. قالت: والذي ذكر الله أنه يتلى عليكم في الكتاب الآية الأولى التي فيها **﴿فَانكِحوا ما**

---

(١) الحديث رواه الحاكم في المستدرك عن أنس قال: «أراد أبو طلحة أن يطلق أم سليم فقال له النـبي ﷺ: «يا أبا أيوب إن طلاق أم سليم لحوب، فكف».

(٢) الحديث رواه البخاري بتمامه في كتاب التفسير ٥٣/٦، عن عروة بن الزبير، ومسلم في صحيحه ٢٣١٣/٤، وأبو داود في النكاح برقم ٢٠٦٨ والنسائي في النكاح أيضا ١١٦/٦.

طَابَ لَكُم من النساءِ قالت: وقوله: **وترغَبونَ أنْ تنكِحوهن** رغبةُ أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره، حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها، من يتامى النساء إلا بالقسط، من أجل رغبتهن.

وأهلُ النظر على هذا القول.

قال «**أبو العباس**» محمد بن يزيد: التقدير: وإن خفتم ألا تقسطوا في نكاح اليتامى، ثم حذِف هذا، ودل عليه **فَانكِحوا** .

وقد قال بالقول الأول جماعة من أهل اللغة، منهم «الفرأء» و«ابن قتيبة».

والقول الثاني أعلى إسنادا، وأجود عند أهل النظر.

وأما من قال معنى مثْنى وثُلاثَ ورباع ِتسع، فلا يلْتفت إلى قوله ولا يصح في اللغة، لأن معنى (مثنى) عند أهل العربية: اثنين، اثنتين، وليس معناه اثنتين فقط.

وأيضًا فإن من كلام العرب الاختصار، ولا يجوز أن يكون معناه تسعا، لأنه لو كان معناه تسعا لم يكن اختصارا أن يقال: انكحوا اثنتين، وثلاثًا، وأربعا، لأن تسعا أخصر من هذا.

وأيضا فلو كان على هذا القول: لما حل لأحد أن يتزوج إلا تسعا أو واحدةً، فقد تبين بطلان هذا.

٨- وقوله ﷻ: **ذَلك أدنى ألا تعولُوا** [آية: ٣].

أدنى بمعنى أقرب.

وروى عمر بن محمد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي ﷺ، في **قوله** ﷻ: **ذَلك أدنى ألا تعولُوا** قال: «أن لا تجوروا».

وقال ابن عباس والحسن وأبو مالك ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك معنى **أنْ لا تعولُوا** أن لا تميلوا.

وقال أبو العباس-في قول من قال: **أن لا تعولوا** من العيال-: هذا باطلٌ وخطأٌ، لأنه قد أحل له مما ملكت اليمين، ما كان من العدد، وهن مما يعالُ.

وأيضا فإنه إنما ذكر النساء وما يحِل منهن، والعدل بينهن والجَور، فليس لـ «أن لا تعولُوا» من العيال هاهنا معنى، وهو على قول أهل التفسير: أن لا تميلوا ولا تجوروا. ومنه: عالتِ الفريضةُ، إذا زادت السهام فنقص من له الفرض، ومنه: معولتي على فلان، أي أنا أميل إليه وأتجاوز في ذلك، ومنه: «عالني الشيء» إذا تجاوز المقدار، ومنه: فلانٌ يعول،

والعويلُ: إنما هو ا اوزة.

وأيضا فإنه إنما يقال: أعال الرجلُ يِعيلُ: إذا كَثُر عِيالُه.

٩- وقوله ﷻ: **وآتوا النساءَ صدقاتِهن نِحلةً..** [آية: ٤].

قيل: يعنى به الأزواج.

ويروى أن الولي كان يأخذُ الصدقَةَ لنفسِهِ، فأمر الله ﷻ أن يدفع إلى النساء، هذا قول أبي صالح.

وقال أبو العباس: معنى نِحلَةً أنه كان يجوز أن لا يعطين من ذلك شيئًا، فنحلهن الله ﷻ إياه.

وقيل: معنى (نِحلَةً) دينا، من قولهم: فلانٌ ينتحِلُ كذا، أي تعبدا من الله ﷻ.

وقيل: فَرضا، والمعنى واحد، لأن الفرض متعبد به.

وقيل: لا يكون (نِحلَةً) إلا ما طابت به النفْس، فأما ما أُكْرِه عليه فلا يكون (نِحلَةً).

١٠- وقوله ﷻ: **فَإِن طِبن لَكُم عن شيءٍ منه نفْسا فَكُلُوه هنيئًا مريئًا** [آية: ٤].

يعني: الصداق. أي لا كَدر فيه.

يقالُ: أمرأني الشيءُ: بالألِفِ، فإذا قلت: هنأني ومرأني -هذا مذهب أكثر أهل اللغة- قالوا للإتباع.

وأما أبو العباس فقال: لا يقال في الخير إلا أمرأني، ليفَرق بينه وبين الدعاء.

والمروءةُ من هذا، لأن صاحبها يتجشم أمورا يستمريءُ عاقبَتها.

١١- وقولُه ﷻ: **ولاَ تؤتوا السفَهاءَ أموالَكُم الَتِي جعلَ الله لكُم قِياما** [آية: ٥].

قال عبد الله بن عمرَ، وجماعةٌ من التابعين السفَهاءُ: النساءُ، والصبيانُ.

وإنما قالوا هذا لأن السفَه في هؤلاء أكثر.

والسفه: الجهلُ، وأصلُه: الخِفةُ، يقال: ثوب سفِيه إذا كان خفيفًا، قيل للفاسق: سفيه، لأنه لا قَدر له عند المؤمنين، وهو خفيف في أعينهم، هين عليهم.

والمعنى: ولا تؤتوا السفهاء فوق ما يحتاجون إليه فيفْسِدوه.

والدليلُ على هذا قوله بعد: **وارزقُوهم فِيها واكْسوهم وقُولُوا لَهم قَولاً معروفًا** [آية: ٥] أي علموهم أمر دِينهم.

١٢- وقولُه ﷻ: **وابتلُوا اليتامى حتى إذَا بلَغوا النكَاح..** [آية: ٦].

قال الحسن: أي اختبروهم.

١٣- وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ آنستم منهم رشدا..﴾ [آية: ٦].

«أنستم» بمعنى: عَلِمتم وأحسستم، ومنه قول الشاعر:

آنست نبأةً وأفْزعها القَنا ... ص عصرا وقد دنا الإمساءُ[1]

والرشد: الطريقةُ المستقيمةُ.

قال مجاهد: العقلُ.

وقال سفيان: العقلُ، والحفظُ للمال.

قال أبو جعفر: وهذا من أحسن ما قيل فيه، لأنه أجمع أهلُ العلم على أنه إذا كان عاقلاً، مصلحا، لم يكن ممن يستحق الحَجر عليه في ماله.

١٤- ثم قال تعالى: ﴿فَادفَعوا إِليهم أموالَهم ولا تأكُلُوها إِسرافًا وبِدارا أن يكْبروا..﴾ [آية: ٦].

أي مبادرةً أن يكبروا فيأخذوها منكم.

١٥- وقوله ﷻ: ﴿ومن كَانَ غَنِيا فَلْيستعفِف ومن كَانَ فَقِيرا فَلْيأكُلْ بِالْمعروفِ..﴾ [آية: ٦].

في **هذه الآية أقوالٌ**:

أجودها أن لولي اليتيم ما للولي أن يأخذَ منه إن كان فقيرا بمقدار ما يقوم به.

وكذلك روي عن عمر أنه قال: أنا في هذا المال بمنـزلة ولي اليتيم، يأخذ منه ما يصلحه إذا احتاج.

وروى القاسم بن محمد أن أعرابيا سأل ابن عباس ما يحل لي من مال يتيمي؟ فَرخص له أن يأخذ منه، إذا كان يخدمه ما لم يسرف.

وقال عَبِيدةُ، والشعبي، وأبو العالية: ليس أن يأخذ شيئًا إلا قرضا.

وحدثنا عمر بن إسماعيل بن أبي غيلان قال: حدثنا داود الضبي قال: حدثنا عبد الله بن المبارك عن عاصم عن أبي العالية: ﴿**ومن كَانَ فَقِيرا فَلْيأكُلْ بِالْمعروفِ**﴾ قال: قرضا، ثم تلا هذه الآية: ﴿**فَإِذَا دفَعتم إِليهم أموالَهم فَأَشهدوا عليهم**﴾.

وقال أبو يحيى **عن مجاهد**: ليس له أن يأخذ قرضا ولا غير ذلك.

---

(١) البيت للحارث بن حِلزة من معلقته، انظر شرح القصائد العشر للتبريزي ٣٧٤.

وقال بهذا القول من الفقهاء أبو يوسف، وذهب إلى أن الآية منسوخةٌ، نسخها قولُه تعالى: ﴿**لا تأكلُوا أموالكُم بينكُم بِالْباطِلِ إِلا أن تكُونَ تِجارةً**﴾ وليس بتجارة.

١٦- وقوله ﷻ: ﴿**لِلرجال نصِيبٌ مما ترك الْوالِدانِ والأقْربونَ وللنساءِ نصِيبٌ مما ترك الْوالِدانِ والأقْربونَ**﴾ [آية: ٧].

يروى أنهم كانوا لا يورثون النساء، وقالوا: لا يرثُ إلا من طاعن بالرمح، وقاتل بالسيف، فأنـزل الله ﴿**وللنساءِ نصِيبٌ مما ترك الْوالِدانِ والأقْربونَ مِما قَلَ مِنه أو كَثُر نصِيبا مفْروضا**﴾.

١٧- وقوله ﷻ: ﴿**وإِذَا حضر الْقِسمةَ أولُو الْقُربى والْيتامى والْمساكِين**﴾ [آية: ٨].

في **هذه الآية أقوالٌ**:

أحدها: أنها منسوخة.

قال سعيد بن المسيب: نسختها الِميراثُ والْوصِيةُ.

والإجماع من أكثر العلماء في هذا الوقت أنه لا يجب إعطاؤهم، وإنما هذا على جهة الندبِ إلى الخير.

أي إذا حضروا فأعطوهم كما كان المتوفى.. يؤمر بإعطائهم.

وقال عبيدة والشعبي والزهري والحسن: هي محكَمةٌ.

قال ابن أبي نجيح: يجب أن يعطوا ما طابت به الأنفس.

قال أبو جعفر: وأن يكون ذلك شكرا على ما رزقهم الله دونه.

١٨- ثم **قال تعالى**: ﴿**وقُولُوا لَهم قَولاً معروفًا**﴾ [آية: ٨].

قال سعيد بن جبير: يقال لهم: خذُوا بورك لكُم.

١٩- وقوله ﷻ: ﴿**ولْيخش الذِين لَو تركُوا مِن خلْفِهم ذُريةً ضِعافًا خافُوا عليهم..**﴾ [آية: ٩].

قال سعيد بن جبير ومجاهد: في الرجل يحضر عند المريض فيقول له: قدم خيرا أو تصدق على أقربائك، فأُمِروا أن يشفقوا على ورثةِ المريض، كما يشفقون على ورثتهم.

وقال مِقْسمٌ: يقول له من حضرةُ: اتق الله، وأمسِك عليك مالك، فليس أحد بمالك من ولدك- ولو كانوا ذوي قرابةٍ من الذي أوصى- لأحبوا أن يوصِي لأولادهم.

وقولُ سعيدِ بن جبيرٍ أشبه بمعنى الآية، واللهُ أعلم.

لأن المعنى خافوا عليهم الفقر، فالخوف واقع على ذريةِ الموتى.

٢٠- وقوله ﷻ **﴿إن الذِين يأكُلُونَ أموالَ الْيتامى ظُلْما..﴾** [آية: ١٠].

اليتيم في اللغة: المنفرد، فقيل لمن مات أبوه من بني آدم: يتيم، وهو في البهائم الذي ماتت أمه.

٢١- وقوله تعالى: ﴿إنما يأكُلُونَ فِي بطُونِهم نارا وسيصلَونَ سعِيرا﴾ [آية: ١٠].

هذا مجاز في اللفظ، وحقيقته في اللغة: أنه لما كان ما يأكلون يؤديهم إلى النار، كانوا بمنـزلة من يأكل النار، وإن كانوا يأكلون الطيبات.

٢٢- وقوله ﷻ: **﴿يوصِيكُم الله فِي أولاَدِكُم..﴾** [آية: ١١].

أي يفْرِض عليكم، كما قال: **﴿ولاَ تقْتلُوا النفْس التِي حرم الله إلا بالْحق ذَلِكُم وصاكُم بِهِ﴾** [الأنعام: ١٥١].

٢٣- ثم **قال تعالى ﴿للذكَرِ مِثْلُ حظ الأُنثَيين..﴾** [آية: ١١].

خلافًا على أهل الجاهلية، لأنم كانوا لا يورثُون الإناث.

٢٤- وقوله ﷻ: **﴿فَإِن كُن نِساءً فَوق اثْنتين فَلَهن ثُلُثَا ما ترك﴾** [آية: ١١].

ولم يسم **للاثنتين شيئًا**، ففي هذا أقوال:

أ - منها أنه قيل: إن فوقًا هاهنا زائدةٌ، وأن المعنى: فإنْ كُن نساءً اثنتين، كما قال: **﴿فَاضرِبوا فَوق الأعناق﴾** [الأنفال: ١٢].

ب- وقيل: أُعطِي الاثنتان الثلثين، بدليل لا بنصٍ، لأن الله ﷻ جعل هذه الأشياء يدل بعضها على بعض، ليتفقه لها المسلمون.

والدليلُ: أنه جعل فَرض الأخوات والأخوة للأم، إذا كُن اثنتين أو أكثر واحدا، **فقال** ﷻ: **﴿وإِن كَانَ رجلٌ يورثُ كَلالَةً أَو امرأَةٌ ولَه أَخٌ أَو أُختٌ فَلِكُلِّ واحِدٍ منهما السدس فَإِن كَانوا أَكْثَر مِن ذَلِك فَهم شركَاءُ فِي الثلُثِ﴾** [آية: ١٢]

ج- ودليلٌ آخر: أنه جعل فرض الأُختِ كفرضِ البنت، فلذلك يجب أن يكون فرض البنتين كفرض الأختين.

قال الله ﷻ: **﴿يستفْتونك قُل الله يفْتِيكُم فِي الْكَلالَةِ إِن امرؤٌ هلَك لَيس لَه ولَدٌ ولَه أُختٌ فَلَها نِصف ما ترك..﴾** [آية: ١٧٦].

وقال أبو العباس «محمد بن يزيد»: في الآية نفسِها دليلٌ على أن للبنتين الثلثين، لأنه قال: **﴿لِلذكَرِ مِثْلُ حظ الأُنثَيين﴾** وأقل العددِ ذَكَر وأُنثَى، فإذا كان للواحدة الثلُثُ، دل

ذلك على أن للاثْنتين الثلثين، فهذه أقاويل أهل اللغة.

وقد قيل: ليس للبنات إلا النصف، والثلثان، فلما وجب أن لا يكون للابنتين، وجب أن يكون لهما الثلثان.

على أن ابن عباس قال: لهما النصف.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه أعطى البنتين الثلثين.

وروى جابر بن عبد الله أن امرأة «سعد بن الربيع» أتت النبي ﷺ، فقالت يا رسول الله: إن زوجي قُتِل معك، وإنما يتزوج النساءُ للمال، وقد خلفَني وخلف ابنتين وأخا، وأخذ الأخ المال، فَدعاه رسول الله ﷺ فقال: «**ادفَع إليها الثمن، وإلى البنتين الثلثين، ولك ما بقي**»(١).

٢٥- وقوله ﷻ: **فَإِن كَانَ لَه إِخوةٌ فَلأمِهِ السدس..** [آية: ١١] أجمعت الفقهاء أن الإخوة اثنان فصاعدا، إلا ابن عباس فإنه قال: لا يكون الإخوةُ أقل من ثلاثة.

والدليلُ على أن الاثنين يقال لهما إخوةٌ: قولُه: **وإن كانوا إِخوةً رجالاً ونساءً..** [آية: ١٧٦] فلا اختلاف بين أهل العلم أن هذا يكون للاثنين فصاعدا، والاثنان جماعةٌ لأنه واحد جمعته إلى آخر.

وقال: **وأطْراف النهار** [طه: ١٣٠] يعني طرفيه، والله أعلم. وصلاة الإثنين جماعةٌ.

٢٦- وقوله ﷻ: **مِن بعدِ وصِيةٍ يوصِي بِها أو دين..** [آية: ١١].

روي عن علي بن أبي طالب ؓ أنه قال: إنكم تقرؤون **مِن بعدِ وصِيةٍ يوصِي بِها أو دين** وإن رسول الله ﷺ قضى بالدين قبل الوصية(٢).

قال أبو جعفر: كأن هذا على التقديم والتأخير، وليست «أو» هاهنا بمعنى الواو، وإنما هي للإباحة.

والفرق بينها وبين الواو أنه لو قال: «من بعدِ وصيةٍ يوصِي ا ودين» جاز أن يتوهم السامع بأن هذا إذا اجتمعا، فلما جاء بأو جاز أن يجتمعا، وأن يكون واحد منهما.

٢٧- وقوله ﷻ: **آباؤكُم وأبناؤكُم لاَ تدرونَ أيهم أقْرب لَكُم نفْعا** [آية: ١١].

قال ابن عباس: في الدنيا.

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٥٢/٣، والترمذي في سننه، وابن ماجه ٩٠٨/٢، وأبو داود ٢١/٣.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الفرائض، وابن ماجه ٩١٥/٢، وأحمد في المسند ١٤٤/١.

وقال غيره: إذا كان الابن أرفع درجةً من الأب سأل الله أن يلحقه به، وكذلك، الأب إذا كان أرفع درجةً منه.

٢٨- ثم قال تعالى: فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا [آية: ١١].

أي عليم بما فرض، حكيم به.

ومعنى كان هاهنا فيه أقوال:

أحدهما: أن معناه: لم يزل، كأن القوم عاينوا حكمةً وعلما، فأعلمهم الله ﷻ، أنه لم يزل كذلك.

وقيل: الإخبار من الله في الماضي، والمستقبل، واحد لأنه عنده معلوم.

٢٩- وقوله تعالى: وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ.. [آية: ١٢].

في الكلالة أقوال:

قال البصريون: الكلالةُ: الميت الذي لا ولد له، ولا والد.

واحتجوا بأنه روي عن أبي بكر باختلافٍ، وعن علي، وزيد ابن ثابتٍ، وابن مسعود، وابن عباس، وجابر بن زيد، أنهم قالوا: الكلالةُ من لا ولد له، ولا والد.

وقال البصريون: هذا مثلُ قولك: «رجلٌ عقيم» إذا لم يولد له، وهو مشتق من الإكليل، فكأن الورثة قد أحاطوا به وليس له ولد ولا والد، فيجوز المال.

وقال أهل المدينة وأهل الكوفة: الكلالةُ: الورثةُ الذين لا والد فيهم ولا ولد.

وروي عن عمر قولان:

أحدهما: أن الكلالة من لا ولد له، ولا والد.

والآخر: أنا من لا ولد له.

قال أبو جعفر: روي عن عطاء قولٌ شاذ، قال: الكلالُة: المالُ.

وقال ابن زيدٍ: الكلالة الميت الذي لا والد له ولا ولد.

والحي كلهم كلالةٌ، هذا يرث بالكلالة، وهذا يورث بالكلالة.

وقال محمد بن جرير: الصواب أن الكلالة الذين يرثون الميت، من عدا ولده ولده، لصحة خبر جابر -يعني ابن عبد الله- أنه قال: قلت يا رسول الله إنما يرثني كلالةٌ، فكيف بالميراث ؟ فنـزلت.

٣٠- ثم قال تعالى: وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ [آية: ١٢].

وإنما يعني هاهنا الإخوة والأخوات للأم؟.

وكذلك روي عن سعد بن أبي وقاص أنه قرأ: **وله أخٌ أو أختٌ «من أمِه» فلِكُل واحِدٍ منهما السدس**[1].

وقرأ الحسن وأبو رجاءٍ: **يورثُ كلالةً** .

وقال هارون القارئ: قرأ بعض أهل الكوفة: (يورث كلالة).

فعلى هاتين القراءتين لا تكون الكلالةُ إلا الورثة، أو المال.

٣١- وقوله ﷻ: **مِن بعدِ وصِيةٍ يوصى بِها أو دينٍ غَير مضار..** [آية: ١٢].

وروي عن الحسن أنه قرأ: **غَير مضارٍ وصِيةٍ من الله**[2]، مضاف. وقد زعم بعض أهل اللغة أن هذا لحْن، لأن اسم الفاعل لا يضاف إلى المصدر.

والقراءةُ حسنةٌ على حذفٍ، والمعنى غير مضار ذي وصيةٍ، أي غير مضار ا ورثته في ميراثهم[3].

٣٢- وقوله ﷻ: **تِلْك حدود الله** [آية: ١٣].

أي ما منع أن يجاوز.. وحددت: منعت.

٣٣- ثم **قال تعالى**: **ومن يطِع الله ورسوله يدخِلْه جناتٍ تجري مِن تحتِها الأنهار** [آية: ١٣]. أي من يطعه فيما فرض وحد.

٣٤- ثم **قال تعالى**: **ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخِلْه نارا..** [آية: ١٤]. معنى «يتعدى» يتجاوز، أي يتجاوز ما حد له.

٣٥- وقوله ﷻ: **واللاتِي يأتِين الفَاحِشةَ مِن نسائِكُم فَاستشهدوا علَيهن أربعةً منكُم فَإِن شهدوا فَأمسِكُوهن في البيوتِ..** [آية: ١٥]. هذه الآية منسوخةٌ.

قال ابن عباس: كان الأمر كذا حتى نـزلت الآيةُ: **الزانِيةُ والزانِي فَاجلِدوا كُل واحِدٍ منهما مِائَةَ جلْدةٍ** [النور: ٢].

فأما معنى الآية المنسوخة، فإن سفْيان، والسدي قالا: «كان الثيب إذا زنا حبِس حتى يموت، وكان البكر إذا زنا سب بالقول».

إلا أن الفائدة في الآية أنه كان لا يقبل في الزنا إلا أربعةٌ.

---

(١) هذه القراءة ليست من القراءات السبع المتواترة، انظر تفسير ابن عطية ٥٢٣/٣.

(٢) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب لابن جني ١٨٣/١.

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٥٢٤/٣.

وزعم مجاهد أن قولَه: **﴿واللاتي يأتين الفَاحِشةَ مِن نسائكُم﴾** أنا كانت خاصةً على النساء دون الرجال، والتي بعدها على الرجال خاصةً، وهي **﴿واللذَانَ يأتيانِها مِنكُم فَآذُوهما﴾** [آية ١٦] بالسب، ثم نسِختا بالحد المفروض، هذا معنى قوله.

قال أبو جعفر: وهذا الصحيح في اللغة الذي هو حقيقةٌ، فلا يغلب المذَكر على المؤنث إلا بدليلٍ.

فأما معنى ﴿أو يجعلَ الله لَهن سبِيلاً﴾ [آية: ١٥] فإن عبادة بن الصامتِ روى أن النبي ﷺ قال: «**خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البِكْر بالبِكْر جلْد مِائةٍ وتغريب عامٍ، والثيب بالثيبِ جلْد مائةٍ والرجم**»(١).

قيل: هذا الحديثُ منسوخ، وهو أن الثيب لا جلْد عليه وإنما عليه الرجم، ونسخ هذا الحديثَ حديثُ الزهري عن عبيدِ الله بن عبد الله عن أبي هريرة و زيد بن خالدٍ «أنْ رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: «**يا رسول الله إن ابني كان عسِيفًا لهذا، وإنه فَسق بامرأتِه، فافتديت منه،** ثم **خبرت أن على ابني جلْد مائةٍ وتغريب عامٍ، وعلى امرأته الرجم، فقضى رسول الله ﷺ أن يرد عليه ما أُخذ منه، وأن يجلد ابنه مِائَةً ويغرب عاما، ويرجم المرأةُ، ولم يأمر بجلدها**»(٢).

ويقال: «أن حديث عبادة كان في الابتداء، وإن التغريب لا يجب، إلا أن يراه السلطانُ، لأنه يجوز أن يكون التغريب منه ﷺ لشيء علمه من ا لمود.

وقولُ على بن أبي طالب ﷺ إن على الثيب الجلْد والرجم، هو قولُ أهلِ النظر، لأنه لم يتبين نسخ الجَلْدِ مع الرجم، فالجَلْد ثابت وعليه غير دليلٍ.

٣٦- وقولُه ﷻ: ﴿إنما التوبةُ على اللهِ لِلذِين يعملُونَ السوءَ بِجهالَةٍ﴾ [آية: ١٧].

قال قتادة: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فَرأوا أن كل من عصى الله ﷻ فهو جاهلٌ.

٣٧- وقولُه ﷻ: ﴿ثُم يتوبونَ مِن قَريبٍ﴾ [آية: ١٧].

روي عن الضحاك أنه قال: كل ما كان دون الموتِ فهو قريب.

---

(١) الحديث رواه مسلم في الحدود برقم ١٦٩٠، والترمذي برقم ١٤٣٤، وأبو داود برقم ٤٤١٥.

(٢) الحديث رواه البخاري، ومسلم في الحدود برقم ١٦٩٧، والترمذي في السنن برقم ١٤٣٣، وأبو داود برقم ٤٤٤٥، ومالك في الموطأ ٨٢٢/٢.

٣٨- وقوله ﷻ: ﴿وليستِ التوبةُ للذِين يعملُونَ السيئاتِ حتى إذَا حضر أحدهم الموت قالَ إني تبت الآنَ﴾ [آية: ١٨].

روي عن عبد الله بن عمر أنه قال: ما حضور الموتِ إلا السوق، يعني أنه إذا عاين تبين له الحق، ولا تنفعه التوبةُ عند ذلك، كما قال ﷻ عن فرعون: ﴿**آمنت**﴾.

٣٩- وقولُه ﷻ: ﴿يا أيها الذِين آمنوا لا يحِل لكُم أن ترِثُوا النساءَ كَرها..﴾ [آية: ١٩].

قال الزهري وأبو مِجلز[1]: كان هذا في حي من الأنصار، كان الرجلُ إذا توفي وخلف امرأةً، القى عليها وليه رداءً فلا تقدر أنْ تتزوج، هذا معنى كلامهما، وزاد غيرهما: ويتزوجها بغير مهر، وربما ضارها، ولا تقدر أن تتزوج حتى تفتدي منه، فأنزل الله ﷻ: ﴿**يا أيها الذِين آمنوا لا يحِل لكُم أن ترِثُوا النساءَ كَرها..**﴾ الآية.

فيكون المعنى: لا يحل لكم أن ترثوهن من أزواجهن لهن.

ويجوز أن يكون المعنى: لا تتزوجوهن لترثوهن كَرها، فيكون الميراث وقع منهن، بالكراهة منهن للعقدِ الموجبِ للميراث.

ويقرأ ﴿كُرها﴾[2].

والفراءُ يذهب إلى أن معنى ﴿**كَرها**﴾ أن تكره على الشيء، والكُره يذهب إلى أنه بمعنى المشقة.

قال الكسائي: الكَره والكُره واحد.

وهو عند البصريين كما قال الكسائي، وهما لغتان.

٤٠- وقوله ﷻ: ﴿ولاَ تعضلُوهن لِتذْهبوا بِبعض ما آتيتموهن..﴾ [آية: ١٩].

قال مجاهد: هو مِثلُ الذي في البقرة. يذهب إلى أن معناه ولا تحبسوهن.

ويروى أن الرجل كان يتزوج المرأة فلا تعجبه، فيحبسها ويضارها حتى تفتدي منه.

٤١- ثم قال ﷻ: ﴿إلا أن يأتِين بِفَاحِشةٍ مبينةٍ﴾ [آية: ١٩].

قال الحسن والشعبي: يعني الزنا.

---

(١) لاحق بن حميد بن سعيد البصري، ثقة من كبار الثالثة، توفي سنة ١٠٦ هـ، انظر تقريب التهذيب ٣٤٠/٢.

(٢) هذه قراءة حمزة والكسائي «كُرها»، وقرأ عاصم وابن كثير ونافع بفتح الكاف «كَرها» وكلا القراءتين من السبع المتواترة، انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٢٩، والنشر لابن الجزري ٢٤٨/٢.

قال الشعبي: فإن فعلت ذلك صلُح الخلْع وكان له أن يطالبها به.

وقال مِقْسمٌ: هذا إذا عصتك وآذتك.

وقال عطاء الخراساني: كان الرجل إذا تزوج المرأة فأتت بفاحشة كان له أن يأخذ منها كلما ساقه إليها. فنسِخ ذلك بالحدود.

٤٢- وقوله ﷻ: **وعاشِروهن بِالْمعروفِ..** [آية: ١٩].

أي في المبيت، والنفقةِ، والكلامِ.

٤٣- وقولُه ﷻ: **وإنْ أردتم اسِتبدالَ زوجٍ مكَانَ زوجٍ..** [آية: ٢٠].

أي تطليقًا وتزوجاً.

ثم قال: **وآتيتم إِحداهن قِنطَارا** القنطار المالُ الكثير. وقد ذكرناه في سورة آل عمران.

٤٤- وقوله ﷻ: **أتأخذُونه بهتانا وإِثْما مبِينا** ؟ [آية: ٢٠].

والبهتانُ في اللغةِ: الباطلُ الذي يتحير من بطلانِهِ، ومنه بهت الرجلُ إذا تحير.

٤٥- وقوله ﷻ: **وكَيف تأخذُونه وقَد أفْضى بعضكُم إِلى بعضٍ** ؟[آية: ٢١].

قال ابن عباس: الإفضاءُ الغِشيانُ.

وأصلُ الإفضاء في اللغةِ: المخالطةُ، ويقالُ للشيء المختلط: فَضاً.

قال الشاعر:

فَقُلْت لها يا عمتا لكِ ناقَتي ... وتمرٌ فَضاً في عيبِتي وزبِيب[1]

ويقال: القوم فَوضى فضا، أي مختلطون، لا أمِير عليهم.

٤٦- وقوله ﷻ: **وأخذْنَ مِنكُم ميثَاقًا غَلِيظًا** [آية: ٢١].

قال ابن عباسٍ والحسن: هو قوله: **فَأمسِكُوهن بِمعروفٍ أو سرحوهن بِمعروفٍ** [البقرة: ٢٣١]. وجعله بمنـزلة الميثاق المغلظ، أي اليمين، مجازا.

وقال مجاهد وعكرمة: استحللْتموهن بأمانة الله وملَكْتموهن بكلمة الله ﷻ.

٤٧- وقوله ﷻ: **ولاَ تنكِحوا ما نكَح آباؤكُم من النساءِ إِلا ما قَد سلَف** [آية: ٢٢].

يقال: كيف استثني **ما قَد سلَف** مما لم يكن بعد؟

---

(١) البيت في لسان العرب ١٥٨/١٥ بلفظ: «يا خالتي»، ولم أعثر على قائله.

فالجواب: أن هذا استثناء ليس من الأول، والعرب تقول: ما زاد إلا ما نقص.

وسيبويه يجعل «إلا» بمعنى «لكن» المعنى لكن ما قد سلف فإنه مغفور، أو قَدَعوه.

٤٨- ثم قال ﷻ: **إنه كانَ فَاحِشةً ومقْتا وساءَ سبِيلاً** [آية: ٢٢].

يقال: لِم جيء بـ (كان) وهو بكل حالٍ فاحشةٌ؟

ففي هذا جوابان:

قال أبو إسحاق: قال أبو العباس محمد بن يزيد: «كان» هاهنا زائدةٌ، والمعنى: إنه فاحشةٌ، وأنشد:

فكيف إذا رأيـت دِيـار قَـومٍ وجِيرانٍ لنـا كـانوا كِـرامِ[١]

قال أبو جعفر: قال أبو إسحاق: وهذا عندي خطأ، لأن «كان» لو كانت زائدة، وجب أن يكون «إنه كان فاحشةٌ ومقْت».

والجواب: أن هذا كان مستقبحا عندهم في الجاهلية، يسمونه فاحشةً ومقتا.

والمقْت أشد البغض، ويسمون المولود منه المقْتي، فأعلَم الله ﷻ أن هذا الذي حرمه كان قبيحا في الجاهلية ممقوتا.

٤٩- **وقوله ﷻ: حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأختِ وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعةِ وأمهات نِسائِكُم** [آية: ٢٣].

هذه المحرمات تسمى المُبهمات، لأنا لا تحِل بِوجهٍ، ولا سبب، إلا قولُه: **وأمهات نِسائِكم** فإن أكثر الفقهاء يجعله من الأول.

وقال بعضهم: إذا تزوجها ولم يدخل ا لم تحرم عليه أُمها.

وهذا القول على مذهب أهل اللغة بعيد، لأن الشرط لمن يقع عليه، ولأن قولَه: **من نسائِكُم اللاتي دخلْتم بِهن** . متعلق بقوله: **وربائِبكُم اللاتي في حجوركُم** ، ولا يجوز أن يكون قوله (اللاتي)من نعتِهما جمِيعا، لأن الخَبرين مختلفان، ولكنه يجوز على معنى أعِني. وأنشد الخليلُ وسِيبويهِ:

إن بـهـا أكْتـلَ أورزامـا خـويربين ينقُفَـان الهامـا[٢]

---

(١) البيت للفرزدق، وهو في ديوانه ٢٩٠/٢، بلفظ: «ديار قومي».

(٢) هذا البيت لرجل من بني أسد غير معروف، انظر شواهد سيبويه ص ١٤٠.

خويربين بمعنى أعني.

والربيبةُ: بنت امرأةِ الرجل، وسميت «ربيبةً» لأن زوج أمها يربيها، ويجوز أن تسمى ربيبةً، وإن لم يربها، لأنا ممن يربيها، كما يقال: أُضحِيةٌ، من قبل أن يضحى ا، وكذلك حلُوبةٌ أي يحلب، قال الشاعر:

فيها اثنتــان وأربعــونَ حلُوبــةً　　　سودا كخافِية الغرابِ الأسحمِ(١)

٥٠- وقوله ﷻ: وحلائلُ أبنائكُم الذين مِن أصلابِكُم.. [آية: ٢٣].

حِليلَةُ الرجل: امرأته، والرجلُ حليلٌ، لأن كل واحد منهما يحِل على صاحبه.

وقيل: حِليلَةٌ بمعنى محلةٍ، من الحلال والحرام، قال الشاعر:

وحلِيل غَانيةٍ تركْــت مجــدلاً　　　تمكو فَريصته كشِدق الأعلــمِ(٢)

فأما الفائدة في **قوله: مِن أصلابِكُم** فهي على إخراج الحليلات بناتِ الأدعياء المُتبنين من هذا، غير أن (في حجوركم) يدل على التربية.

٥١- وقَوله ﷻ: وأنْ تجمعوا بين الأختين إلا ما قَد سلف.. [آية: ٢٣].

فهذا استثناء ليس من الأول، والمعنى لكن ما قد سلف فإنه مغفُور.

٥٢- وقوله ﷻ: والمحصنات مِن النساءِ [آية: ٢٤].

قال علي وابن عباس وأبو سعيد الخُدري: هن ذوات الأزواج لا تحِل واحدةٌ منهن إلا أنْ تسبى.

قال عبد الله بن عباس: نكاح ذوات الأزواج زِنا إلا أنْ تسبى، وقد كان لها زوج فتحِل بِمِلْكِ اليمين.

وقولٌ آخر: أنن الإماءُ ذوات الأزواج، إذا استؤنف عليهن المِلْك، كان فاسخا لنكاحهن.

روي هذا عن ابن مسعودٍ، وأُبي بن كَعبٍ، وجابرٍ، وأنس.

وقول ثالثٌ: قال أبو عبيدة: **إلا ما ملكْت أيمانكُم** . الأربع.

وأحسنها الأولُ، لحديث أبي سعيد الخدري: «أصبنا سبياً يوم أوطاس، ولهن أزواج،

---

(١) البيت لعنترة بن شداد، وهو في ديوانه ص ١٤٤.

(٢) البيت لعنترة بن شداد، وهو في ديوانه ص ١٤٩.

فكرهنا أن نقع عليهن، فسألنا رسول الله، فنـزلت هذه الآية، فاستحللناهن»[١].

٥٣- وقوله ﷻ: كتاب الله عليكم.. [آية: ٢٤].

أي فرض الله عليكم.

وقرئ: كتب الله عليكم [٢] أي فرض الله تحريم هؤلاء:

ولم يقُلْ: إنه لا يحرم عليكم سواهن.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تنكح المرأةُ على عمتها، ولا على خالتها**»[٣].

وصح عنه ﷺ أنه قال: «**يحرم من الرضاعةِ ما يحرم من النسب**»[٤].

٥٤- وقوله ﷻ: أن تبتغوا بأموالكم محصنين.. [آية: ٢٤].

محصنين أي ناكحين.

غير مسافحين.

قال مجاهد: أي غير زانين.

وأصلُه من سفَح، إذا صب، كما قال الشاعر:

وإن شفائي عبرةٌ إنْ سفحتها ... فهل عند رسمٍ دارسٍ من معول[٥]

فسمي الزنا «سِفاحاً» لأنه بمنـزلة الماء المصبوب.

٥٥- وقوله ﷻ: فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضةً.. [آية: ٢٤].

في معنى **هذه الآية قولان**:

أحدهما: أنا منسوخة.

وروي عن سعيد بن المسيب ذلك. **وروى** عكرمةُ بن عمار عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**أن الله ﷻ حرم أو أهدر المُتعةَ بالطلاق، والنكاح،**

---

(١) الحديث رواه مسلم في كتاب الرضاع ١٧٠/٤، والترمذي في التفسير ٣٧١/٨، وأبـو داود في النكاح ٢٤٧/٢، والنسائي ٩/٦، وأحمد في المسند ٨٤/٣ من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) هذه قراءة بن السميفَع ، وهي من القراءات الشاذة، انظر المحتسب لابن جني ١٨٥/١.

(٣) الحديث أخرجه النسائي ٨٠/٦ ، والبخاري في النكاح ١٣٨/٩، ومسلم برقم ١٤٨ في النكـاح أيضا بلفظ: «نهى رسول الله ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها، والمرأة على خالتها».

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في الرضاع برقم ١١٤٦ وقال: هذا حديث صحيح، وأخرجه البخاري ومسلم بلفظ: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة».

(٥) البيت لامرئ القيس من معلقته، انظر شرح القصائد السبع لابن الأنباري ص ٢٥.

والعِدةِ، والميراثِ»[(١)].

وروى مالك عن الزهري أن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب - رحمة الله عليهم- والحسن بن محمد بن علي، أخبراه أن أباهما أخبرهما أنه سمِع علي بن أبي طالبٍ ﷺ يقول لابن عباس: «إنك رجلٌ تائِه، إن رسول الله ﷺ نهى عن المتعة»[(٢)].

وقالت عائشة: حرم الله المتعة بقوله: **والذِين هم لِفُروجِهم حافِظُونَ إلا على أزواجِهم أو ما ملكت أيمانهم** [المؤمنون: ٥، ٦].

والدليل على أن «المُستمتع بها» غير زوجةً، أنا لو كانت زوجة لَلحِقَها الطلاق، وكان عليها عِدةُ الوفاةِ، ولَحِق ولدها بأبيه، ولتوارثا.

ومعنى **فَآتوهن أجورهن** المَهر.

والدليلُ على ذلك أن بعده **فَانكِحوهن بِإذْن أهلِهن وآتوهن أجورهن** [آية: ٢٥].

فهذا بإجماعٍ: المَهر.

وروي عن أبي بن كعب وابن عباسٍ أنما قَرَءَا: **فَما استمتعتم بِهِ مِنهن إلى أجلٍ مسمى**[(٣)].

والقولُ الأخر: أن هذا ليس من المُتعةِ.

وقال الحسن ومجاهدٌ: هو من النكاح.

فالمعنى **فَما استمتعتم بِهِ مِنهن** من النكاح.

أي إن دخلتم بها فَلَها المَهر، ومن لَم يدخل كان علَيهِ نصف المَهر.

والدليلُ على أن هذا هو القول الصحيح قوله: **ولاَ جناح علَيكُم فِيما تراضيتم بِهِ مِن بعدِ الفَرِيضةِ** [آية: ٢٤].

---

(١) هذا الحديث أخرجه ابن المنذر، والبيهقي موقوف على ابن مسعود، وقال: «المتعة منسوخة نسخها الطلاق، والصدقةٌ والعدة، والميراث»، وانظر صحيح مسلم باب نكاح المتعة ١٠٢٢/٢.

(٢) روى البخاري في صحيحه ١٦/٧، ومسلم ١٣٤/٤ عن علي بن أبي طالب أن رسول اللــه ﷺ «نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحمر الإنسية».

(٣) هذه القراءة ليست من القراءات السبع، قال ابن جرير الطبري ١٣/٥: «وقد دللنا أن المتعة علــى غير «النكاح الصحيح» حرام في غير هذا الموضع من كتبنا، وأما ما روي عن أبي بن كعب وابــن عباس من قراءتهما فَما استمتعتم بِهِ مِنهن إلى أجلٍ مسمى فقراءةٌ بخلاف ما جاءت به مصاحف المسلمين، وغير جائز لأحد أن يلحق بكتاب الله شيئًا لم يأت به الخبر القاطع. اهـ.

أي إن وهب لها النصف الآخر فلا جناح وإنْ وهبت له النصف فلا جناح.

٥٦- ثم قال ﷻ: **إن الله كانَ عليما حكيما** [آية: ٢٤].

أي هو عليم بما فرض عليكم في النكاح.

٥٧- وقوله ﷻ: **ومن لم يستطِع منكم طَولاً** [آية: ٢٥].

أي قُدرةً على المهر.

والطولُ في اللغةِ: الفَضلُ، ومنه تطَولَ الله علينا.

والطولُ في القامةِ فَضلٌ، والطولُ: الحَبلُ، ويقال: لا أُكلّمه طوالَ الدهر.

٥٨- وفي قوله ﷻ: **أن ينكِح المحصناتِ** قَولان:

أحدهما: أنهن العفَائف.

والآخر: أنهن الحَرائر.

والأشبه أنْ يكُن الحرائر لقوله: **فَمِن ما ملكَت أيمانكُم من فَتياتِكُم المؤمناتِ** يعني المملوكات.

والعرب تقول للملوك فَتى، وللمملوكةِ فتاة.

٥٩- ثم قال ﷻ: **بعضكُم من بعض** [آية: ٢٥].

في معنى هذا قولان:

أحدهما: بنو آدم.

والقولُ الآخر: إنكم مؤمنون فأنتم إخوةٌ.

وإنما قيل لهم هذا فيما روي لأنهم في الجاهلية كانوا يعيرونَ بالهجنةِ، ويسمون ابن الأمةَ هجِيناً، فقال ﷻ: **بعضكُم من بعض**.

٦٠- وقوله ﷻ: **آتوهن أجورهن بالمعروف محصناتٍ** [آية: ٢٥]. أي متزوجاتٍ **غَير مسافِحاتٍ**.

أي غير زانياتٍ **ولا متخِذَاتِ أخدانٍ** [آية: ٢٥].

الخِدنُ: الصديق، أي غَير زانياتٍ بواحِدٍ، ولا مبذُولاتٍ.

٦١- ثم قال ﷻ: **فَإذَا أحصِن..** [آية: ٢٥].

قال الشعبي: معناه فإذا أسلَمن(١).

(١) قال الطبري ٢١/٥: قرأه بعضهم بالفتح «فإذا أحصن» بمعنى: أسلمن فصرنَ ممنوعات الفرج هـ.ن

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الإحصان: الإسلام. ويقرأ «فإذا أُحصن»[(١)]

قال ابن عباس: تزوجن، إذا كانت غير متزوجة.

وقال الزهري: معناه: فإذا تزوجن، قال الزهري: تحد الأمةُ إذا زنت وهي متزوجةٌ بالكتاب، وتحد إذا زنت ولم تتزوج بالسنة.

والاختيار عند أهل النظر «فَإِذَا أُحصِن» بالضم، لأنه قد تقدم ذكر إسلامهن في **قوله** ﷻ: **ومن لم يستطِع مِنكُم طَولاً أن ينكِح المحصناتِ المؤمِناتِ** [آية: ٢٥].

فَدل ذلك على أن الإحصان الثاني غير الإسلام، فالاختيار على هذا **أحصِن** بالضم، أي تزوجن.

وقيل: **أحصِن** تزوجن[(٢)]، وذَا أولَى لأنه قال: **من فَتيَاتِكُم المؤمِناتِ**، فَيبعد أن يقول: فإذا أسلَمن.

٦٢- ثم **قال** ﷻ: **فَعليهن نِصف ما على المحصناتِ مِن العذَابِ** [آية: ٢٥].

يعني نِصف الحد، ويعني بالمحصنات هاهنا الأبكار الحراير لأن الثيب عليها الرجم ولا يتبعض.

قيل: وإنما قيل لِلبِكر محصنةٌ، وإن لم تكن متزوجة، لأن الإحصان يكون لها، كما يقال: أُضحيةٌ قبل أن يضحى ا، وكما يقال للبقرة: مُثِيرةٌ قبل أن تثير.

وقيل: «المحصنات» المتزوجات لأن عليهن الضرب والرجم في الحديث، والرجم لا يتبعض، فصار عليهن نصف الضربِ.

٦٣- ثم **قال** ﷻ: **ذَلِك لِمن خشِي العنت مِنكُم..** [آية: ٢٥].

قال الشعبي: يعني الزنا.

والعنت في اللغةِ: المشقةُ، يقال: أكَمةٌ عنوت، إذا كانت شاقةً.

٦٤- ثم **قال** ﷻ: **وأنْ تصبِروا خيرٌ لكُم..** [آية: ٢٥].

أي وأن تصبروا عن نكاح الإماء خير لكم، وإنما شدد في الإماء، لأن ولَد الرجل

=

الحرام بالإسلام. اهـ.

(١) هذه قراءة ابن كثير، ونافع، وابن عامر، والجمهور «أُحصِن»، انظر النشر في القراءات العشر ٢٤٩/٢.

(٢) قال الطبري ٢١/٥ بعد ذكر القراءتين: «والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في أمصار الإسلام، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب في قراءته الصواب».

منها يكون مملوكًا، وهي تمتهن في الخدمة، وهذا شاق على الزوج.

٦٥- وقوله ﷻ: **ويهديكم سنن الذين من قبلكم..** [آية: ٢٦].

أي طُرق الأنبياء والصالحين قبلكم لتتبعوها.

٦٦- وقوله ﷻ: **والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعونَ الشهواتِ أن تميلوا ميلاً عظيما** [آية: ٢٧].

أي يريد ون أنْ تعدِلوا عن القصدِ والحق.

٦٧- وقوله ﷻ: **يريد الله أن يخفف عنكم وخلِق الإنسانُ ضعيفًا** [آية: ٢٨].

قال طاووس: خلِق ضعيفًا في أمر النساء خاصة.

وروي عن ابن عباس أنه قرأ: وخلق الإنسانُ ضعيفًا أي خلَق الله الإنسان ضعيفًا.

٦٨- وقوله ﷻ: **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطِل..** [آية: ٢٩].

أي لا يحِل لكم إلا على ما تقدم، من هِبةٍ، أو مهرٍ، أو صدقةٍ، أو بيعٍ، أو شراءٍ، وما أشبه ذلك.

٦٩- وقوله ﷻ: **ولا تقْتلوا أنفسكم إن الله كانَ بكم رحِيما** [آية: ٢٩].

قال عطاءٌ: أي لا يقتلْ بعضكم بعضا.

وذلك معروف في اللغة، لأن المُؤمن من المؤمن بمنـزلة نفْسِهِ.

وقرأ الحَسن: ولا تقَتلوا أنفُسكم [1] على التكثير.

٧٠- ثم **قال** ﷻ: **ومن يفْعلْ ذَلك عدوانا وظُلْما فسوف نصلِيهِ نارا** [آية: ٣٠].

العدوانُ في **اللغةِ:** المُجاوزةُ للْحق.

والظلْم: وضع الشيء في غير موضِعِهِ.

٧١- ثم **قال** ﷻ: **وكانَ ذَلك على الله يسِيرا** [آية: ٣٠].

أي سهلاً، يقال: يسر الشيء فهو يسِير، إذا سهلَ.

٧٢- وقوله ﷻ: **إن تجتنبوا كبائر ما تنهونَ عنه..** [آية: ٣١].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه**:** الكبائر، الشرك باللهِ، والسحر، وقَذْف المُحصنةِ، وأكْلُ الربا، وأكْلُ مال اليتيمِ والفِرار من الزحفِ، وعقُوق الوالدين.

---

(١) هذه القراءة ليست من القراءات السبع، انظر المحرر الوجيز ٢٨/٤، والقرطبي ١٥٦/٥.

وقال عبد الله بن مسعودٍ: الكبائر: الشرك بالله، والقُنوطُ من رحمة الله، واليأس من روح الله، وأمن مكْرِ الله.

وقال طاووس: قيل لابن عباس: الكبائر سبع؟

قال: هي إلى السبعين أقْرب.

وحقيقةُ الكبيرة في اللغةِ: أنها ما كَبر وعظُم مما وعد الله ﷻ عليه النار، أو أمر بعقوبةٍ فيه، فما كان على غير هذين جاز أن يكون كبيرةً وأن يكون صغيرةً.

٧٣- ثم **قال تعالى**: **نكفر عنكم سيئاتكم** [آية: ٣١].

قال أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ «**ما من مسلمٍ يصيبه هم، أو نصبٌ، إلا كُفر عنه به**»[(١)].

٧٤-ثم **قال** ﷻ: **وندخلكم مدخلاً كريما** [آية: ٣١].

قيل: يعني به الجنة، واللهُ أعلم.

٧٥- وقوله ﷻ: **ولا تتمنوا ما فضلَ الله به بعضكم على بعض** [آية: ٣٢].

روي أن أُم سلَمةَ قالت: يا رسول الله فضل الله الرجال على النساء بالغزو، وفي الميراث، فأنــزل الله: **ولا تتمنوا ما فضلَ الله به بعضكم على بعض**[(٢)].

وقيل: إنما نهي عن الحَسدِ.

والحسد عند أهل اللغة أنْ يتمنى الإنسانُ ما لغيرِه بأنْ يزول عنه، فإنْ تمنى ما لغيره، ولم يرد أن يزول عنه سمي ذلك غِبطَةً.

المعنى: ولا تتمنوا «تلف» ما، ثم حذِف.

وقال قتادة: كان «أهل» الجاهلية لا يورثُونَ النساء، ولا الصبيان فلما ورثُوا، وجعِلَ للذكر مثلُ حظ الأنثيين، تمنى النساءُ أنْ لو جعل أنصباؤهن كأنصباء الرجال، وقال الرجال: إنا لنرجوا أن نفْضلَ على النساء بحسناتِنا في الآخرة، كما فَضلْنا عليهن في الميراثِ، فنــزلت: **ولا تتمنوا ما فضلَ الله به بعضكم على بعض للرجال نصيبٌ مما اكْتسبوا وللنساءِ نصِيبٌ مما اكْتسبن** [آية: ٣٢]. أي المرأةُ تجزى بحسنتها عشر

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم بلفظ: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصــب، ولا هــم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله ا من خطاياه».

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٢٢/٦.

أمثالها، كما يجزى الرجالُ.

وقال سعيد بن جبير: **واسألوا الله مِن فَضلِهِ** .

العبادة، ليس من أمر الدنيا.

وقيل: سلوه التوفيق للعمل لما يرضيه.

٧٦- وقوله ﷻ: **ولكُل جعلْنا موالِي مِما ترك الْوالِدان والأقْربونَ..** [آية: ٣٣].

قال مجاهد: هم بنو العم.

وقال قتادة: هم الأقرباء، منهم الأب، والأخ.

وقال الضحاك: يعني الأقرباء.

وهذا قولُ أكثر أهل اللغة.

٧٧- وقولُه ﷻ: **والذِين عقَدت أيمانكُم فَآتوهم نصِيبهم..** [آية: ٣٣].

هذه الآية منسوخة.

قال ابن عباس: كانوا في الجاهلية يجيء الرجل إلى الرجل فيقول له: أَرِثُك وترِثُني، فيكون ذلك بينهما حِلْفًا، فَنسخ الله ذلك بقوله: **وأُولُو الأرحامِ بعضهم أولَى بِبعض فِي كِتابِ الله** [الأنفال: ٧٥].

وكذلك روي عن الحسن وعكرمة وقتادة أن الآية منسوخة.

وقال سعيد بن المسيب: كان الرجل يتبنى الرجل فيتوارثان على ذلك فنسخه الله ﷻ.

٧٨- وقوله ﷻ: **الرجالُ قَوامونَ علَى النساءِ..** [آية: ٣٤].

قيل: لأن منهم الحُكام والأمراءَ ومن يغزو.

٧٩- ثم **قال** ﷻ: **بِما فَضلَ الله بعضهم علَى بعض وبما أنفَقُوا مِن أموالِهم** [آية: ٣٤].

أي من المهور .

٨٠- ثم **قال** ﷻ: **فَالصالِحات قَانِتاتٌ** [آية: ٣٤].

قال قتادة: أي مطِيعات.

وقال غيره: أي قيمات لأزواجهن بما يجب مِن حقهن.

٨١- ثم **قال** ﷻ: **حافِظَاتٌ للْغيبِ** [آية: ٣٤].

قال قتادة: أي لغيبِ أزواجهن.

بِما حفِظَ الله . أي بما حفظهن الله به في مهورهن والإنفاق عليهن.

وقرأ أبو جعفر المدني: ﴿بِما حفِظَ اللهَ﴾.

ومعناه بأنْ حفِظْن الله في الطاعة، وتقديره بحِفْظِ الله.

٨٢- وقولُه ﷻ: **﴿واللاتي تخافُونَ نشوزهن فَعِظُوهن..﴾** [آية: ٣٤].

قال أهل التفسير: النشوز: العداوةُ.

والنشوز في اللغة: الارتفاع، ويقال لما ارتفع من الأرض: نشز، ونشز.

والعداوةُ: هي ارتفاع عما يجب، وزوالٌ عنه.

قال سفيان: معنى **﴿فَعِظُوهن﴾** أي فعِظُوهن بالله.

﴿واهجروهن في المضاجِعِ﴾.

قال سفيان: مِن غَير تركِ الْجِماع.

﴿واضربوهن﴾.

قال عطاء: ضربا غير مبرح.

٨٣- ثم قال ﷻ: **﴿فإنْ أطَعنكُم فَلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾** [آية: ٣٤].

قال ابن جريج: أي لا تطلبوا عليهن طريق عنتٍ.

٨٤- ثم قال ﷻ: **﴿إن الله كانَ عِليا كَبِيرا﴾** [آية: ٣٤].

أي هو متعالٍ عن أن يكلف إلا الحق مقدار الطاقة.

٨٥- وقولُه ﷻ: **﴿وإنْ خِفْتم شِقَاق بينهما..﴾** [آية: ٣٥].

قال أبو عبيدة: معنى **﴿خِفْتم﴾** أيقنتم.

قال أبو جعفر: قال أبو إسحاق: هذا عندي خطأٌ، لأنا لو أيقنا لم يحتج إلى الحَكَمين، و«خِفْتم» هاهنا على بابها.

والشقاق: العداوةُ، وحقيقته أن كل واحدٍ من المعادِيين في شِق خلاف شِق صاحِبِهِ.

٨٦- ثم قال ﷻ: **﴿إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما﴾**.

قال مجاهد: يعني الحَكَمين.

قال أبو جعفر: وهذا قولٌ حسن، لأنهما إذا اجتمعت كلِمتهما قُبِل منهما، على أن في ذلك اختلافًا.

روي عن سعيد بن جبير أنه قال: للحكَمين أن يطَلقَا على الرجل إذا اجتمعا على ذلك، وهذا قولُ مالكٍ.

وفيه قولٌ آخر: وهو أنهما لا يطَلقَان عليه حتى يرضى بحكمهما.

وروى هذا القول أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن عَبيدةَ عن علي رحمه الله أنه قال للحكَمين: «لكما أن تجمعا وان تفَرِّقا فقال الزوج: أما التفرقةُ فلا، قال علي: والله لترضين بكتاب الله».

٨٧- ثم **قال** ﷻ: **إن الله كانَ عليما خبيرا** [آية: ٣٥].

أي هو عليم بما فيه الصلاح، خبير بذلك.

٨٨- **وقوله** ﷻ: **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا..** [آية: ٣٦].

أي لا تعبدوا معه غيره، فتبطلَ عبادتكم.

٨٩- ثم **قال** ﷻ: **وبالوالدين إحسانا..** [آية: ٣٦].

أي وصاكم بهذا، والتقدير: وأحسِنوا بالوالدين إحسانا.

٩٠- **وقوله** ﷻ: **والجارِ ذي القُربى..** [آية: ٣٦].

هو الذي بينك وبينه قرابةٌ.

٩١- ثم **قال** ﷻ: **والجارِ الجنبِ..** [آية: ٣٦].

قال ابن عباس: هو الغريب، وكذلك هو في اللغة ومنه فلانٌ أجنبي، وكذلك الجَنابةُ: البعد. وأنشد أهل اللغة:

فَلا تحرمني نائلاً عن جنابة فإني امرؤٌ وسطَ القِبابِ غَريب(1)

٩٢- ثم **قال** ﷻ: **والصاحِبِ بالجَنبِ..** [آية: ٣٦].

روي عن علي وعبد الله بن مسعود وابن أبي ليلى أنهم قالوا: الصاحِب بالجَنبِ: المرأةُ.

وقال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك: الصاحب بالجَنبِ: الرفيق في السفَر.

٩٣- ثم **قال** ﷻ: **وابنِ السبيل** [آية: ٣٦].

قال قتادة ومجاهد والضحاك: هو الضيف.

والسبيلُ في اللغة: الطريق، فَنسِب إليها لأنه إليها يأوي.

٩٤- **وقوله** ﷻ: **إن الله لا يحِب من كانَ مختالاً فَخورا** [آية: ٣٦].

المختالُ في اللغةِ: ذو الخُيلاءِ.

فإن قيل: فكيف ذكر المختالَ هاهنا، وكيف يشبه هذا الكلام الأولَ؟

فالجواب أن من الناس من تكبر على أقربائِهِ إذا كانوا فقراءَ، فأَعلَم الله ﷻ أنه لا

(1) البيت لعلقمة بن عبدة، انظر تفسير القرطبي ١٨٣/٥.

يجب من كان كذا.

٩٥- وقوله ﷻ: **الذين يبخلونَ ويأمرونَ الناس بالبخل ويكتمونَ ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا** [آية: ٣٧].

قال إبراهيم ومجاهد وقتادة: نـزل هذا في اليهود.

وهو قولٌ حسن عند أهل اللغة، لأن اليهود بخلُوا أنْ يخبروا بصفة النبي ﷺ، وهي عندهم في التوراة، و كتموا ما آتاهم الله من فضله، أي ما أعطاهم.

والدليل على هذا قولُه: **وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا**.

٩٦- ثم **قال** ﷻ: **والذين ينفقونَ أموالهم رئاءَ الناس..** [آية: ٣٨].

قال إبراهيم: يعني به اليهود أيضا.

وقال غيره: يعني به المنافقين.

٩٧- ثم **قال** ﷻ: **ولا يؤمنونَ بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطانُ له قرينا فساءَ قرينا** [آية: ٣٨].

أي من يقْبل ما سولَ له الشيطانُ، فساء عملاً عملُه.

٩٨- وقوله ﷻ: **إن الله لا يظلم مثقالَ ذرة..** [آية: ٤٠].

أي وزنَ ذَرة. يقال: هذا مثقال هذا، أي وزنُ هذا.

ومِثْقَالٌ: مِفْعالٌ، من الثقْل.

والذرةُ: النملةُ الصغيرةٌ.

وروى عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من كان** في **قلبه مثقالُ ذرة من إيمان**». ثم قال أبو سعيد: إنْ شككْتم فاقْرؤوا: **إن الله لا يظلم مثقالَ ذرة** [(١)].

٩٩- ثم **قال** ﷻ: **وإن تك حسنةً يضاعفْها ويؤت من لدنه أجرا عظيما** [آية: ٤٠].

قال سعيد بن جبير: يعني الجنة.

ومعنى **يضاعفْها** يجعلها أضعافًا.

(١) الحديث أخرجه الشيخان في الصحيحين في حديث الشفاعة، انظر البخـاري ١٥٩/٩و مسـلم ١٧٠/١.

وقرأ أبو رجاء العطاردي: يضعِفْها [١].

ومعنى **مِن لَدنه** من قِبَلِه.

١٠٠- وقوله ﷻ: فَكَيفَ إِذَا جِئْنا مِن كُل أُمةٍ بِشهِيدٍ وجِئْنا بِك علَى هؤلاءِ شهيدا [آية: ٤١].

في الكلام حذف لعلْمِ السامِع، والمعنى: فكيف تكون حالُهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد؟ وفي الكلام معنى التوبيخ.

قال عبد الله بن مسعود: قال لي النبي ﷺ: «**اقْرأ علَي**» **فقلت: آقرأ عليك وعليك أُنزل؟ فقال:** «نعم» **فقرأت عليه من أول النساء حتى بلغت إلى قوله: فَكَيفَ إِذَا جِئْنا مِن كُل أُمةٍ بِشهِيدٍ وجِئْنا بِك علَى هؤلاءِ شهيدا فَرأيت عينيهِ تذْرِفَان**» [٢].

وقال: (شهيدا علَيهم ما دمت فِيهِم فَلَما توفيتني كُنت أَنت الرقِيب علَيهم).

١٠١- وقولُه ﷻ: يومئِذٍ يود الَّذِين كَفَروا وعصوا الرسولَ لَو تسوى بِهِم الأَرض [آية: ٤٢].

وقرأ مجاهد وأبو عمرو: لَو تسوى بِهِم الأَرض [٣].

فمن قرأ: تسوى فمعناه على ما روي عن قتادة: لو تخرقَت بهم الأرض فَساخوا فيها[٤].

وقيل- وهو أَبين-: إن المعنى أنهم تمنوا أن يكونوا ترابا كالأرض، فَيستوون هم وهِي، ويدل على هذا **يا لَيتِني كُنت ترابا** [النبأ: ٤٠].

---

(١) هذه قراءة ابن عامر، وابن كثير، وهي من القراءات السبع، انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٣٣، والنشر في القراءات العشر ٢٤٩/٢، وأما قراءة الجمهور فهي بالألف «يضاعفها» قال الطبري ٩١/٥: يضاعِفْها بالألف، ولم يقل «يضعفها» لأنه أريد في قول بعض أهل العربية- يضاعفها أضعافًا كثيرة، ولو قال: يضعفها لكان المراد ضعفين.

(٢) الحديث رواه البخاري في فضائل القرآن ٢٤١/٦، ومسلم في فضل استماع القرآن ١٩٥/٢.

(٣) قال ابن مجاهد في كتابه «السبعة في القراءات» ص ٢٣٤: اختلفوا في فتح التاء وضمها، والتشديد والتخفيف في قوله تعالى: لو تسوى فقرأ ابن كثير، أبو عمرو، وعاصم: "لو تسوى» مضمومة التاء مفتوحة السين، وقرأ نافع وابن عامر «لو تسوى» مفتوحة التاء والواو، مشددة السين، وقرأ حمزة والكسائي «لو تسوى» خفيفة السين.

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٩٣/٥ والبحر المحيط لأبي حيان ٢٥٣/٣.

وكذلك «تسوى» لو سواهم الله ﷻ، فصاروا ترابا مثلها.

والقراءةُ الأولى موافقةٌ لقولهم «كُنت» ولم يقولوا: كُونت.

وروي عن الحسن في قوله **تسوى بهم الأرض** قال: تتنشق فتسوى عليهم.

يذهب إلى أن معنى «بهم» عليهم، فتكون «الباء» بمعنى «على»[1] كما تكون «في» بمعنى «على» في قوله ﷻ: **ولأصلبنكم في جذوع النخل** [طه: ٧١].

١٠٢- ثم قال ﷻ: **ولا يكْتمونَ الله حدِيثًا** [آية: ٤٢].

فَيقَالُ: أليس قد قالوا: **واللهِ ربنا ما كُنا مشركِين** [الأنعام: ٢٣].

ففي هذا أجوبةٌ:

منها: أن يكون داخلاً في التمني، فيكون المعنى: أنهم يتمنونَ ألا يكتموا الله حديثًا، فيكون مثل قولك: ليتني ألقى فلانا وأُكَلّمه.

وقال قتادة: هي مواطن في القيامة، يقع هذا في بعضها.

وقال بعض أهل اللغة: هم لا يقدرون على أن يكتموا، لأن الله عالمٌ بما يسِرونَ.

وقيل قولُهم: **واللهِ ربنا ما كُنا مشركِين** عندهم أنهم قد صدقوا في هذا، فيكون على هذا **ولا يكْتمونَ الله حدِيثًا** مستأنفًا.

١٠٣- وقوله ﷻ: **يا أيها الذِين آمنوا لا تقْربوا الصلاةَ وأنتم سكَارى حتى تعلَموا ما تقُولُونَ..** [آية: ٤٣].

قال الضحاك: أي سكَارى من النومِ.

وقال عكرمة وقتادة: هذا منسوخ.

وقال قتادة: نسخه تحريم الخمر.

يذهب إلى أن معنى سكَارى من الشراب.

والدليلُ على أن هذا القول هو الصحيح أن عمر بن الخطاب رحمه الله قال: أُقيمت الصلاةُ فنادى منادِي رسول الله: «**لا يقْربن الصلاةَ سكْران**».

---

(١) جاء في حاشية الجمل على الجلالين ٣٨٣/١ ما نصه: "قرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والتخفيف «تسوى» نافع وابن عامر بالتثقيل، فأما القراءة الأولى فمعناها أنهم يودون أن الله يسوي بهم الأرض، إما على أن الأرض تنشق وتبتلعهم، وتكون «الباء» بمعنى «على» وإما على معنى أنهم يودون أن لو صاروا ترابا كالبهائم، والأصل يودون أن الله يسويهم بالأرض، وإما على معنى أنهم يودون لو يدفنون فيها".

وروي أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ صلى بقومٍ فقرأ: **﴿قُلْ يا أيها الْكَافِرونَ﴾** [الكافرون: ١]، فَخلطَ فيها فنــزلت: **﴿يا أيها الذِين آمنوا لاَ تقْربوا الصلاةَ وأنتم سكَارى﴾**(١).

ثم نسِخ هذا بتحريم الخمر.

١٠٤- ثم **قال** ﷻ: **﴿ولاَ جنبا إلا عابِرِي سبِيلٍ حتى تغتسِلُوا..﴾** [آية: ٤٣].

قال عبد الله بن عباس وأنس: إلا أن تمر، ولا تجلس.

وروي عن ابن عباس: هو المُسافِر يمر بالمسجد مجتازا.

وروي عن عائشة رحمها الله أنا حاضت وهي محرِمةٌ فقال لها النبي ﷺ: **«افْعلِي ما يفْعلُ الحاج غير أن لا تطُوفي بالبيتِ»**(٢).

١٠٥- ثم **قال** ﷻ: **﴿وإنْ كُنتم مرضى أو علَى سفَرٍ أو جاءَ أحدٌ منكُم من الْغائِطِ..﴾** [آية: ٤٣].

قال بعض الفقهاء: المعنى وجاء أحد منكم من الغائط.

وهذا لا يجوز عن أهل النظر من النحويين، لأن لـ «أو» معناها، وللواو معناها، وهذا عندهم على الحذف.

والمعنى: وإن كنتم مرضى مرضا لا تقدرون فيه على مس الماء.، أو على سفرٍ ولم تجدوا ماءً، واحتجتم إلى الماء.

١٠٦- ثم **قال** ﷻ: **﴿أو لامستم النساءَ﴾** [آية: ٤٣].

قال ابن عباس: **﴿لامستم﴾** جامعتم.

ويقْرأ: **﴿أو لَمِستم﴾**(٣).

---

(١) روى الترمذي عن علي بن أبي طالب قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما، فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدموني، فقرأت: «قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ونحن نعبد ما تعبدون»، فأنــزل الله ﴿يا أيها الذِين آمنوا لاَ تقْربوا الصــلاَةَ وأنــتم سكَارى حتى تعلَموا ما تقُولُونَ﴾.

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب الحيض ٨٤/١، باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطــواف بالبيت، ومسلم برقم ١٢١١، ومالك في الموطأ ٤١٠/١، وأبو داود في المناسك بــرقم ١٧٧٨، والنسائي في سننه ١٤٧/١.

(٣) القراءتان من القراءات السبع، انظر السبعة في القراءات ص ٢٣٤.

قال محمد بن يزيد: من ذَهب إلى أنه الجماع فالأحسن أنْ يقول: (لَمستم) مثل: غَشِيتم، وهذا الفِعلُ إما نسِب إلى الرجل، ومن ذهب إلى أنه دون الجماع فالأحسن أن يقول: (لامستم).

١٠٧- ثم **قال** ﷻ: **فَتيمموا صعِيدا طَيبا** [آية: ٤٣].

معنى (تيمموا) تعمدوا واقصدوا. يقال: تيممت كذا وتأممته: إذا قصدته.

والصعِيد في اللغة: وجه الأرض كان عليه تراب أو لم يكن.

والدليلُ على هذا قولُه ﷻ: **فَتصبِح صعِيدا زلَقًا** [الكهف: ٤٠].

وإنما سمي صعيدا لأنه نايةُ ما يصعد إليه من الأرض.

والطيب: النظيف.

ثم **قال تعالى:** **إن الله كَانَ عفُوا غَفُورا** [آية: ٤٣].

لأنه قد عفا ﷻ، وسهلَ في التيممِ.

١٠٨- وقوله ﷻ: **أَلم تر إلى الذِين أُوتوا نصِيبا من الْكِتابِ..** [آية: ٤٤].

قال أهل التفسير: يعني به اليهود، لأن عندهم صفة النبي ﷺ.

ومعنى **يشترونَ الضلالَةَ** يلزمونها، وقد صاروا بمنـزلة المشتري لها، والعرب تقول لكل من رغِب في شيء: قد اشتراه.

ومعنى **ويرِيدونَ أَن تضِلوا السبِيلَ** [آية: ٤٤].

أي يريدون أن تضلوا طريق الحق.

١٠٩- ثم **قال** ﷻ: **واللهُ أَعلَم بِأَعدائِكُم..** [آية: ٤٥].

أي فهو يكْفِيكُموهم.

١١٠- ثم **قال** ﷻ: **وكَفَى بِاللهِ وليا وكَفَى بِاللهِ نصِيرا** [آية: ٤٥].

قال أبو إسحاق: إنما دخلت الباء في **وكَفَى بِاللهِ** لأن في الكلام معنى الأمر، والمعنى: اكتفُوا بالله وليا، واكتفوا بالله نصيرا.

١١١- ثم **قال** ﷻ: **مِن الذِين هادوا يحرفُونَ الْكَلِم عن مواضِعِهِ** [آية: ٤٦].

يجوز أن يكون المعنى: ألمْ تر إلى الذين أُوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا. وهو الأولى بالصواب، لأن الخبرين والمعنيين من صفة نوعٍ واحد من الناس وهم اليهود، و ذا جاء التفسير.

ويجوز أن يكون المعنى وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا.

ويجوز أن يكون المعنى على مذهب سِيبويهِ مِن الذين هادوا يحرفُون الكَلِم عن مواضِعِهِ، ثم حذِف. وأنشد النحويون:

لو قُلْت ما في **قَومِها لَم تِيثَمِ** **يفْضلُها** في **حسب وميسِم**[(١)]

قالوا: المعنى: لو قلت ما في قومها أحد يفْضلُها. ثم حذف.

ومعنى يحرفُونَ يغيرونَ، ومنه: تحرفْت عن فُلانٍ أي عدلْت عنه. فمعنى **يحرفُونَ** يعدِلُونَ عن الحق.

١١٢- وقوله ﷻ: **ويقُولُونَ سمِعنا وعصينا واسمع غَير مسمعٍ..** [آية: ٤٦].

روى عن ابن عباس أنه قال: أي يقولون: اسمع لا سمِعت.

وقال الحسن: أي اسمع غَير مسمعٍ منك، أي غير مقبول منك.

ولو كان كذا لكان «غير مسموع»!

وقوله ﷻ: **وراعِنا** .

نهي المسلمون أن يقولوها، وأمروا أن يخاطبوا النبي ﷺ بالإجلال والإعظام.

وقرأ الحَسن: **وراعِنا** ، منوناً، جعلَه من الرعونة[(٢)].

وقد استقصينا شرحه في سورة البقرة.

١١٣- ثم قال ﷻ: **لَيا بِألْسِنتِهم وطَعنا فِي الدين..** [آية: ٤٦].

أي يلْوون ألْسِنتهم ويعدِلُون عن الحق.

١١٤- ثم قال ﷻ: **ولَو أنهم قَالُوا سمِعنا وأطَعنا واسمع وانظُرنا لَكَانَ خيرا لهم وأقْوم..** [آية: ٤٦].

ومعنى **انظُرنا** انتظرنا.

ومعنى **سمِعنا** قَبِلْنا.

لَكَانَ خيرا لهم أي عند الله ﷻ.

وأقْوم أي وأصوب في الرأي، والاستقامةُ منه.

١١٥- ثم قال ﷻ: **ولَكِن لعنهم الله بِكُفْرِهِم فَلاَ يؤمِنونَ إلا قَلِيلاً** [آية: ٤٦].

ويجوز أن يكون المعنى: فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلاً لا يستحقون اسم الإيمان.

---

(١) البيت لحكيم بن معية كما في الخزانة ٣١١/٢.

(٢) هذه القراءة شاذة ذكرها أبو حيان في البحر المحيط عن الحسن ٣٣٨/١.

ويجوز أن يكون المعنى: فلا يؤمنون إلا قليلاً منهم.

١١٦- وقوله ﷻ: **﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نـزلنا مصدقًا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها..﴾** [آية: ٤٧].

روي عن أبي بن كعب أنه قال: من أن نضلكم إضلالاً لا تهتدون بعده.

يذهب إلى أنه تمثيلٌ، وأنه إن لم يؤمنوا فُعِلَ هذا بهم عقوبةً.

وقال مجاهد: في الضلالة.

وقال قتادة: معناه من قبل أن نجعل الوجوه أقفاءً.

ومعنى ﴿**من قبل أن نطمس وجوها**﴾ عند أهل اللغة: نذْهب بالأنفِ، والشفَاهِ، والأعين، والحَواجِبِ ﴿**فنردها على أدبارها**﴾ نجعلها أقفاءً.

فإن قيل: فَلِم لم يفعل بهم هذا؟ **ففي هذا جوابان:**

أحدهما: أنه إنما خوطب بهذا رؤساؤهم، وهم ممن آمن. روي هذا القول عن ابن عباس.

والقولُ الآخر: أنهم حذروا أن يفعل هذا بهم في القيامة.

وقال محمد بن جرير: ولم يكن هذا، لأنه قد آمن منهم جماعة.

١١٧- ثم **قال** ﷻ: **﴿أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت..﴾** [آية: ٤٧].

قال قتادة: أو نمسخهم قردةً وخنازير.

١١٨- وقوله ﷻ: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به..﴾** [آية: ٤٨].

وقد قال: **﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾** [الزمر: ٥٣] فهذا معروف.

والمعنى أن يقال: أنا أغفر لك كُل ذنبٍ، ولا يستثْنى ما يعلَم أنك لا تغفِر.

وقد روي أن النبي ﷺ تلا: **﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾** فقال له رجلٌ: يا رسول الله، والشرك؟ فنـزلت: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دونَ ذَلِكَ لِمن يشاءُ﴾** [آية: ٤٨].

قال بعض أهل اللغة: معناه إلا الكبائر.

وقيل: معناه بعد التوبة.

١١٩- وقوله ﷻ: **﴿ألم تر إلى الذين يزكونَ أنفُسهم بل الله يزكي من يشاءُ..﴾** [آية: ٤٩].

أصلُ الزكاء: النماءُ في الصلاح.

قال قتادة: يعني اليهود، لأنهم زكوا أنفسهم، فقالوا: نحن أبناءُ الله وأحباؤه.

وكذلك قال الضحاك.

١٢٠- ثم قال ﷻ: **ولا يظلمونَ فَتِيلاً** [آية: ٤٩].

قال ابن عباس: الفَتِيلُ: ما فَتلْته بأصبعيك.

وقال غيره: الفَتِيل: ما في بطن النواة.

والنقِير النقرةُ التي فيها والتي تنبت منها النخلةُ.

والقطمير: القشرة الملفوفة عليها من خارجٍ.

والمعنى: لا يظلمون مقْدار هذا.

١٢١- ثم قال ﷻ: **انظُر كيف يفْترونَ على الله الكَذِب..** [آية: ٥٠].

معنى **يفْترونَ** : يختلقون، ويكذبون.

١٢٢- وقوله ﷻ: **ألم ترِ إلى الذِين أوتوا نصِيبا من الكِتابِ يؤمِنونَ بالجِبتِ والطاغُوتِ..** [آية: ٥١].

روي عن عمر رحمه الله أنه قال: الجِبت: السحر، والطاغُوت: الشيطانُ.

وكذلك روي عن الشعبي.

وقال قتادة: الجبت: الشيطانُ، والطاغوت: الكاهن.

وروي عن ابن عباس: أن الجِبت، والطاغوت: رجلان من اليهود، وهما «كعب بن الأشرف» و«حيي بن أخطَب».

والجِبت والطاغُوت عند أهل اللغة كل ما عِبِد من دون الله، أو أُطيع طاعةً فيها معصية، أو خضِع له.

فهذه الأقوال متقاربة، لأنهم إذا أطاعوهما في معصية الله، والكفر بأنبيائه، كانوا بمنزلة من عبدهما، كما قال ﷻ: **اتخذُوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** [التوبة: ٣١].

حدثني من أثق به عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن مالك قال: الطاغوت: ما عِبِد من دون الله. ومنه **والذِين اجتنبوا الطاغُوت أن يعبدوها** [الزمر: ١٧].

فقلت لمالكٍ: ما الجبت؟ فقال: سمعت من يقول: هو الشيطان.

ويدل على هذا ما حدثَناه أحمد بن محمد الأزدي قال: حدثنا ابن أبي داود قال حدثنا الحِماني قال: حدثنا مروان بن معاوية وابن المبارك عن عوفٍ عن حيان بن قَطَن عن قبيصة

ابن مخارقٍ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**العِيافَةُ، والطِّيرةُ، والطرق، من الجِبتِ**»[1].

١٢٣- ثم قال ﷻ: **ويقُولُونَ لِلذِين كفَرُوا هؤلاءِ أهدى مِن الذِين آمنوا سبِيلاً** [آية: ٥١].

قال قتادة: هم اليهود.

وقال غيره: يبين بهذا أنهم عاندوا، لأنهم قالوا لمن عبد الأصنام ولم يقر بكتابٍ: هؤلاء أهدى من المؤمنين الذين صدقُوا بالكتب.

١٢٤- وقوله ﷻ: **أولئِك الذِين لعنهم الله..** [آية: ٥٢].

اللعنةُ: الإبعاد، أي باعدهم من توفيقه ورحمته.

١٢٥- وقوله ﷻ: **أم لَهم نصِيبٌ من المُلْكِ..** [آية: ٥٣].

قيل: إنهم كانوا أصحاب بساتين ومالٍ، وكانوا مع ذلك بخلاء.

وقيل: إنهم لو ملكوا لبخلوا.

١٢٦- وقوله ﷻ: **أم يحسدونَ الناس على ما آتاهم الله مِن فَضلِهِ فقَد آتينا آلَ إبراهِيم الكِتاب والحِكْمةَ** [آية: ٥٤].

قال الضحاك: قالت اليهود: يزعم محمد أنه قد أُحِل له من النساء ما شاء فأنـزل الله ﷻ: **أم يحسدونَ الناس على ما آتاهم الله مِن فَضلِهِ** فالمعنى: بل يحسدون النبي ﷺ على ما أُحِل له من النساء.

قال السدي: وقد كانت لداود ﷺ مائةُ امرأةٍ، ولسليمان أكثر من ذلك.

وقال قتادة: أولئك اليهود حسدوا هذا الحَي من العرب حين بعث فيهم نبي، فيكون الفضل هاهنا النبوة. وقد شرف بالنبي ﷺ العرب، أي فكيف لا يحسدون إبراهيم ﷺ، وغيره من الأنبياء، وقد أوتيَ سليمانُ الملك؟

١٢٧- ثم قال ﷻ: **وآتيناهم ملكًا عظِيما..** [آية: ٥٤].

قال مجاهد: يعني النبوة.

وقال همام بن الحارث: أُيدوا بالملائكة والجنود.

١٢٨- ثم قال ﷻ: **فَمِنهم من آمن بِهِ ومِنهم من صد عنه..** [آية: ٥٥].

قال مجاهد: يعني بالقرآن.

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٦٠/٥ وأبو داود في سننه ١٦/٤.

وقيل: بالنبي ﷺ.

ويجوز أن يكون المعنى **فمنهم من آمن** بهذا الخبر.

ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا [آية: ٥٥] والسعير: شدةُ توقدِ النارِ.

١٢٩- وقوله ﷻ: **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا..** [آية: ٥٦].

المعنى: نلقيهم فيها، يقال: أصليته إصلاءً، إذا لقيته في النارِ إلقاءً، كأنك تريد الإحراق.

وصليت اللحم، إذ شويته، أصليهِ صلْياً.

وصليت بالأمرِ أصلى، إذا قاسيت شدته.

وفي الحديث: أن يهوديةً أهدت إلى النبي ﷺ شاةٍ مصليةً أي مشويةً.

١٣٠- ثم **قال** ﷻ: **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها..** [آية: ٥٦].

في **هذا قولان**:

أحدهما: أن الألم إنما يقع على النفوس، والجلود وإنْ بدلت فالألم يقع على الإنسان.

والقولُ الآخر: أنْ يكون الجلد الأول أُعِيد جديدا، كما تقول: صغت الخاتم.

١٣١- ثم **قال** ﷻ: **ليذوقوا العذاب..** [آية: ٥٦]

أي ليناله ألمُ العذاب.

ثم **قال تعالى**: **إن الله كانَ عزيزا حكيما** [آية: ٥٦].

أي هو حكيم فيما عاقب به من العذاب.

١٣٢- وقوله ﷻ: **والذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ سندخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار..** [آية: ٥٧].

أي ماءُ الأنهار.

١٣٣- ثم **قال** ﷻ: **خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواجٌ مطهرةٌ..** [آية: ٥٧].

أي من الأدناسِ والحَيضِ.

ثم قال تعالى **وندخلهم ظِلاًّ ظليلاً** [آية: ٥٧].

أي يظل من الحَر، والبردِ، وليس كذا كل ظلٍ.

١٣٤- وقوله ﷻ: **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأماناتِ إلى أهلها** [آية: ٥٨].

قيل عن ابن عباس: هذا عام.

وروي عن شريح أنه قال لأحدِ خصمين: أعطِهِ حقه، فإن الله ﷻ يقول: **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأماناتِ إلى أهلها**.

ثم قال شريح: **وإن كانَ ذُو عسرةٍ فَنظِرةٌ إلى ميسرةٍ** [البقرة: ٢٨٠].

وقيل: إنه نـزلت **إن الله يأمركُم أن تؤدوا الأماناتِ إلى أهلِها** لما أُخِذَت مفاتِح البيت من «شيبة بن عثمان».

وقال ابن زيد: هم الولاة.

واستحسِن هذا القولُ، أن يكون خطابا لولاة أمور الناس، أمروا بأداء الأمانة إلى من ولوا أمره فيهم، وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم، وبالعدل منهم، فأُوصوا بالرعيةِ.

ثم أوصى الرعيةَ بالطاعة فقال ﷻ بعده: **يا أيها الذِين آمنوا أطِيعوا الله وأطِيعوا الرسولَ وأولي الأمرِ مِنكُم** [آية: ٥٩].

إلا أن عباس قال: **وأولو الأمرِ مِنكُم** وأولوا الفقهِ والدين.

وقال مجاهد: أصحاب محمد.

وقال أبو هريرة: هم الأمراء.

وهذا من أحسنها، إلا أنه في ما وافق الحق، كما صح عن النبي ﷺ، فَمن أمر بمعصِيةٍ فلا طاعة.

١٣٥- وقوله ﷻ: **يا أيها الذِين آمنوا أطِيعوا الله وأطِيعوا الرسولَ وأولي الأمرِ مِنكُم..** .

قال جابر بن عبد الله: أولوا الأمر أولوا الفقه والعلم.

وقال ـذا القول من التابعين الحَسن، ومجاهد، وعطاءٌ.

وقال أبو هريرة: يعني به أمراء السرايا.

وقال ـذا القول السدي.

ويقويه أن أبا هريرة روى عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني**»(١).

وقال عكرمة: أولوا الأمر: أبو بكر، وعمر.

وهذه الأقوال كلها ترجع إلى شيء واحد، لأن أمراء السرايا من العلماء، لأنه كان

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب الأحكام ٧٧/٩، ومسلم في كتاب الإمارة ١٤٦٦/٣، وابن ماجه في المقدمة ٤/١، وفي كتاب الجهاد ٩٥٤/٢، وأحمد في المسند ٩٣/٢.

لا يولى إلا من يعلَم.

وكذلك أبو بكر وعمر مِن العلماء.

١٣٦- ثم قال ﷻ: **فَإِن تنازعتم في شيءٍ فَردوه إلى الله والرسول..** [آية: ٥٩].

اشتقاق المنازعة: أن كل واحدٍ من الخصمين ينتزع الحُجةَ لنفْسِه.

١٣٧- وفي قوله ﷻ: **فَردوه إلى الله والرسول** قولان.

أحدهما: قاله مجاهد وقتادة: فَردوه إلى كتاب الله وسنةِ رسوله وكذلك قال عمرو بن ميمونٍ: فَردوه إلى كتاب الله ورسوله فإذا مات رسولُ الله ﷺ فَردوه إلى سنته.

والقولُ الآخر: فقولوا: الله ورسوله أعلم.

وهذا تغليظ في الاختلاف لقوله: **إن كُنتم تؤمِنونَ بِاللهِ والْيومِ الآخِرِ ذَلِك خيرٌ وأحسن تأوِيلاً** [آية: ٥٩].

قال قتادة: **وأحسن تأوِيلاً** وأحسن عاقبةً.

وهذا أحسن في اللغةِ، ويكون من آل إلى كذا.

ويجوز أن يكون المعنى: وأحسن من تأويلكم.

١٣٨- وقوله ﷻ: **ألم تر إلى الذِين يزعمونَ أنهم آمنوا بِما أنزِلَ إليك وما أنزِلَ مِن قَبلِك يريدونَ أن يتحاكموا إلى الطاغُوتِ..** [آية: ٦٠].

قال الضحاك: نزل هذا في رجلين اختصما، أحدهما يهودي والآخر منافق، فقال اليهودي: بيني وبينك «محمد»، وقال المنافق: بيني وبينك «كعب بن الأشرف».

١٣٩- وقوله ﷻ: **وإذَا قِيلَ لَهم تعالَوا إلى ما أنزلَ الله وإلى الرسول رأيت الْمنافِقين يصدونَ عنك صدودا** [آية: ٦١].

أي: يصدون عن حكمك.

١٤٠- وقوله ﷻ: **فَكَيف إذَا أَصابتهم مصِيبةٌ بِما قَدمت أَيدِيهم..** [آية: ٦٢].

المعنى **فَكَيف** حالهم **إذَا أَصابتهم مصِيبةٌ بِما قَدمت أَيدِيهم ثُم جاءُوك يحلِفُونَ بِاللهِ إنْ أَردنا إلا إحسانا وتوفِيقًا** [آية: ٦٢].

يروى أن عمر قَتلَ المنافق الذي قال لليهودي: امضِ بنا إلى "كَعبِ بنِ الأشرفِ" يقض بيننا، فجاء أصحابه إلى النبي ﷺ، يحلفون بالله إن أردنا بطلب الدم إلا إحسانا، وموافقَةً للحق.

وقيل: المعنى إذا نـزلت بهم عقوبة لم تردعهم، وحلفوا كاذبين أنهم ما أرادوا باحتكامهم إليه، إلا الإحسانَ من بعضهم إلى بعض، والصوابَ فيه.

١٤١- ثم قال ﷻ: **أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم..** [آية: ٦٣].

وهو عالم بكل شيء، والفائدةُ أنه قد علِم أنهم منافقون، فأعلِموا ذلك.

١٤٢- ثم قال ﷻ: **فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغا** [آية: ٦٣].

أي قل لهم: من خالف حكم النبي ﷺ، وكفر به، وجب عليه القتلُ.

١٤٣- وقوله ﷻ: **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله..** [آية: ٦٤].

(مِن) زائدة للتوكيد، ويدل على معنى الجنس.

ومعنى إلا بإذن الله إلا بأنه أَذِنَ الله.

وقيل: يجوز أن يكون معناه إلا بعلم الله.

١٤٤- وقوله ﷻ: **فلا وربك لا يؤمنونَ حتى يحكموك فيما شجر بينهم..** [آية: ٦٥].

أي فيما اختلفوا فيه، ومنه تشاجر القوم.

وأصلُ هذا من الشجرِ، لاختلاف أغصانه، ومنه شجره بالرمح، أي جعله فيه بمنـزلة الغصن في الشجرة، ومنه اشتجر القوم، قال زهير:

متى يشتجِر قومٌ يقُلْ سرواتهم ... هم بيننا فُهمٌ رضى، وهم عدلُ[1]

١٤٥- وقوله ﷻ: **ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت..** [آية: ٦٥].

أي شكاً وضيقًا.

وأصلُ الحَرجِ: الضيق.

١٤٦- ثم قال ﷻ: **ويسلموا تسليما** [آية: ٦٥].

أي ويسلموا لأمرك، وقولُه «تسليما» مؤكد.

١٤٧- وقولُه ﷻ: **ومن يطع الله والرسولَ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم..** [آية: ٦٩].

يروى أن قوما من أصحاب النبي ﷺ قالوا يا رسول الله: أنت معنا في الدنيا، وترفع

(١) انظر ديوانه ص ١٠٨.

يوم القيامة لفضلك، فأنـزل الله ﷻ: **ومن يطع الله والرسولَ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداءِ والصالحين وحسن أولئك رفيقًا** [آية: ٦٩].

فعرفهم أن الأعلَين ينحدرون إلى من هو أسفل منهم، فيجتمعون ليذكروا ما أنعم الله عليهم به[1].

١٤٨- وقوله ﷻ: يا أيها الذين آمنوا خذُوا حِذْركُم فانفِروا ثُباتٍ أو انفِروا جميعا [آية: ٧١].

قال قتادة: الثبات: الفِرق.

وقال الضحاك: الثبات: العصب، والجميع: ا تمعون.

وقال أهل اللغة: الثبات: الجماعات في تفرقة.

والمعنى: انفروا جماعةً بعد جماعة، أو انفروا بأجمعكم.

وواحد الثبات: ثُبةٌ، وهي مشتقة من قولهم: ثبيت الرجلُ إذا أثنيت عليه في حياته، لأنك كأنك جمعت محاسنه.

١٤٩- وقوله ﷻ: وإن مِنكُم لمن ليبطئَن فإنْ أصابتكُم مصِيبةٌ قالَ قد أنعم الله علي.. [آية: ٧٢].

أي يبطئ عن القتال، و"يبطئُ" على التكثير، يعني به المنافقون.

فإنْ أصابتكُم مصِيبةٌ أي هزيمة.

ولئن أصابكُم فَضلٌ مِن الله أي غنيمة.

ليقُولَن كأن لم تكُن بينكُم وبينه مودةٌ لله.

وقرأ الحسن: «**ليقُولُن**» بضم اللام[2]، وهو محمولٌ على المعنى، لأن «من» لجماعة، فهذا معترض.

والمعنى هو: قد أنعم الله علي إذْ لم أكن معهم شهيدا **كأن لم تكُن بينكُم وبينه مودةٌ** أي كأن لم يعاقدكم على الجهاد.

ويجوز أن يكون المعنى: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما، كأن لم يكن بينكم

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٦٤/٥، وابن كثير في تفسيره ٣١٠/٢، والسـيوطي في الـدر المنثور ١٨٢/٢.

(٢) قراءة الحسن عدها ابن جني في المحتسب ١٩٢/١ من القراءات الشاذة.

وبينه مودة.

١٥٠- وقوله ﷻ: **فَلْيقَاتِلْ فِي سبِيل الله الذِين يشرونَ الْحياةَ الدنيا بِالآخِرة..** [آية: ٧٤].

معنى «يشرون»: يبيعون، يقال: شريت الشيء: إذا بعته، وإذا اشتريته.

١٥١- ثم **قال جل وعز: ومن يقَاتِلْ فِي سبِيل الله فَيقْتَلْ أو يغلِب فَسوف نؤتيهِ أجرا عظِيما** [آية: ٧٤].

وقرأ محمد بن اليماني: «**فَيقْتلُ أو يغلِب**»[1].

١٥٢- وقوله ﷻ: **وما لكُم لا تقَاتِلُونَ فِي سبِيل الله والْمستضعفِين مِن الرجال والنساءِ والْولْدان..** [آية: ٧٥].

قال الزهري: المعنى في سبيل الله، وفي سبيل المستضعفين.

قال أبو جعفر: قال أبو العباس: يجوز أن يكون المعنى: وفي المستضعفين.

ويجوز أن يكون المعنى: وفي سبيل المستضعفين.

وقال الضحاك: هؤلاء قوم أسلموا، ولم يقدروا على الهجرة، وأقاموا بمكة، فعذَرهم الله ﷻ.

١٥٣- ثم **قال** ﷻ: **الذِين يقُولُونَ ربنا أخرِجنا مِن هذِهِ الْقَريةِ الظالِمِ أهلُها..** [آية: ٧٦].

يعني مكة.

١٥٤- وقوله ﷻ: **أينما تكُونوا يدرككم الْموت ولَو كُنتم فِي بروجٍ مشيدةٍ..** [آية: ٧٨].

قال قتادة: البروج: القصور المحصنةُ، ومعروف في اللغة أن البروج الحصونَ، والمشيدة تحتمل معنيين:

١- أن تكون مطولة.

٢- والآخر أن تكون مشيدة بالشيد وهو الجِص، وكذلك قال عكرمة.

وقال السدي: هي قصور بيض في السماء الدنيا مبنية.

وقيل: المشيدة: المطولة، والمَشِيدةُ مخففة: المعمولة بالشيد.

---

(١) هذه قراءة محارب بن دِثار، كما ذكر أبو حيان في البحر المحيط ٢٩٥/٣.

وقيل: المشيدة على التكثير، يقع للجمع.

١٥٥- وقوله ﷻ: **﴿وإن تصبهم حسنةٌ يقُولُوا هذِهِ مِن عِندِ الله وإن تصبهم سيئَةٌ يقُولُوا هذِهِ مِن عِندِك﴾** [آية: ٧٨].

الحسنة هاهنا: الخِصب، والسيئةُ: الجَدب.

١٥٦- وقوله ﷻ: **﴿ما أصابك مِن حسنةٍ فَمِن الله وما أصابك مِن سيئَةٍ فَمِن نفْسِك..﴾** [آية: ٧٩].

﴿مِن حسنةٍ﴾ أي خصب، وقيل: هذا للنبي ﷺ لأن المخاطبة له بمنـزلة المخاطبة لجميع الناس.

والمعنى: **﴿ما أصابك مِن حسنةٍ فَمِن الله﴾** أي من خصبٍ ورخاء.

﴿وما أصابك مِن سيئَةٍ﴾ أي من جدبٍ وشدة.

﴿فَمِن نفْسِك﴾ أي فبذنبك عقوبة، قاله قتادة.

ويروى أن اليهود قالوا لما قَدِم المسلمون إلى المدينة: أصابنا الْجدب، وقَل الْخِصب. فأعلم الله ﷻ أن ذلك بذنوبهم.

وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس أنه قرأ: **﴿وما أصابك مِن سيئَةٍ فَمِن نفْسِك﴾** وأنا كتبتها عليك[1].

وقيل: القَولُ محذوف، أي يقولون هذا.

١٥٧- وقوله ﷻ: **﴿ويقُولُونَ طَاعةٌ..﴾** [آية: ٨١].

والمعنى: ويقولون: أمرنا طاعةٌ، ومنا طاعةٌ.

وفي الكلام حذْف، والمعنى: ويقولون إذا كانوا عندك طاعةٌ.

ودل على هذا قوله تعالى ﴿فَإِذَا برزوا مِن عِندِك بيت طَائِفَةٌ منهم غَير الذِي تقُولُ﴾ [النساء: ٨١].

معنى (بيت) عند أهل اللغة: أحكَم الأمر بلَيلٍ، وفَكّر فيه.

أي أظهر المعصية في بيته، والعرب تقول: أمر بيت بِلَيلٍ، إذا أُحكِم. وإنما خص الليلُ بذلك لأنه وقت يتفَرغُ فيه.

قال الشاعر:

---

(١) هذه قراءة شاذة، وليست من القراءات السبع.

أجمعوا أمرهم بليلٍ فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاءُ[١]

ومن هذا: بيت الصيام.

وقال أبو رزين: معنى بيت ألف.

وليس هذا بخارجٍ عن قول أهل اللغة، لأنه يجوز أن يكون التأليف بالليل.

وقيل: معنى بيت بدلَ.

ولا يصح هذا.

١٥٨- ثم **قال** ﷻ: **والله يكتب ما يبيتونَ..** [آية: ٨١].

يحتمِلُ معنيين:

أحدهما: أنه ينـزلُه في كتابه ويخبِر به.

وفي ذلك أعظم الآيات للنبي ﷺ، لأنه يخبر بما يسِرونه.

ويحتمل أن يكون المعنى: والله يعلَم ويحصِي ما يبيتونَ.

١٥٩- ثم **قال** ﷻ: **فأعرض عنهم وتوكلْ على الله وكفَى بالله وكِيلاً** [آية: ٨١].

قال الضحاك: يعني به المنافقون.

والمعنى لا تخبِر بأسمائهم.

١٦٠- وقوله ﷻ: **أفَلا يتدبرونَ القُرآنَ..** ؟[آية: ٨٢].

معنى تدبرت الشيءَ في عاقبته، ويقال: أدبر القَوم، إذا تولى أمرهم إلى آخره. وفي الحديث: «**لا تدابروا**»[٢] أي لا تعادوا، أي لا يولي أحدكم صاحبه دبره من العداوة.

١٦١- ثم **قال** ﷻ: **ولو كانَ من عِندِ غَير الله لوجدوا فيه اختِلافًا كثيرا** [آية: ٨٢]. أي لو كان ما يخبرونَ به- مما يسرونه- من عند غير الله لاختلف.

ومذهب قتادةَ وابن زيدٍ أن المعنى: لو كان القرآن من عند غير الله لوجدوا فيه تفاوتا وتناقضا لأن كلام الناس يختلف ويتناقض.

١٦٢- وقوله ﷻ: **وإذَا جاءَهم أمرٌ من الأمن أو الخوفِ أذَاعوا به** [آية: ٨٣].

قال الضحاك: أفْشوه وسعوا به، وهم المنافقون.

---

(١) البيت للحارث بن حِلزة، وهو في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٤٥٢.

(٢) هذا طرف من حديث رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب ٢٣/٨، ومسلم في البر برقم ٢٥٥٩، وأبو داود برقم ٤٩١٠، والترمذي برقم ١٩٣٦.

وقال غيره: هم ضعفَةُ المسلمين، كانوا إذا سمِعوا المنافقين يفْشونَ أخبار النبي ﷺ، توهموا أنه ليس عليهم في ذلك شيءٌ، فَأَفْشوه، فعاتبهم الله على ذلك، فقال: **ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم** أي أولي العِلْمِ **لعلمه الذين يستنبطونه منهم** أي يستخرجونه.

يقال: نبطْت البِئْر، إذا أخرجت منها النبطَ، وهو ما يخرج منها، ومن هذا سمي النبطُ، لأنهم يخرِجونَ ماءً في الأرض.

فالمعنى: لعلموا ما ينبغي أن يفْشى، وما ينبغي أن يكْتم.

١٦٣- وقوله ﷻ: ولولاَ فَضلُ الله عليكُم ورحمته لاتبعتم الشيطانَ إلا قليلاً [آية: ٨٣].

في هذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن المعنى: ولولا ما تفضل الله به، مما بين وأمر لاتبعتم الشيطانَ إلا قليلاً.

والقولُ الآخر: أن المعنى أذاعوا به إلا قليلاً.

وهذا القولُ للْكِسائي، وهو صحيح، عن ابن عباس.

والقول الآخر: قولُ قتادةَ، وابن جريج، وهو الذي كان يختاره أبو إسحاق، أن المعنى: لَعلِمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً.

ولولا فَضلُ الله عليكُم ورحمته لاتبعتم الشيطانَ

قيل: هو استثناءٌ من **لاتبعتم الشيطانَ**.

يعني به قوم لم يكونوا هموا بما هم به الآخرون، من اتباع الشيطان، كما قال الضحاك: هم أصحاب النبي ﷺ (إلا قَلِيلاً) إلا طائفةً منهم.

وقيل: معنى (إلا قَلِيلاً) كُلّكُم.

قال أبو جعفر: وهذا غير معروف في اللغة.

ومن أحسن هذه الأقوال، قولُ من قال: أذاعوا به إلا قليلاً، لأنه يبعد أن يكون المعنى يعلمونه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً، لأنه إذا بين استوى الكل في علمه، فَبعد استثناءُ المستنبطين منه.

١٦٤- ثم **قال** ﷻ: **فقاتلْ في سبيل الله لا تكلف إلا نفْسك..** [آية: ٨٤].

وهذا متصل بقوله: **وما لكُم لا تقاتلونَ في سبيل الله** [آية: ٧٥] فأمره الله

ﷻ بالقتال، ولو كان وحده، لأنه قد وعده النصر.

١٦٥- ثم قال ﷻ: **عسى الله أن يكُف بأس الذِين كفَرُوا..** [آية: ٨٤].

والبأس: الشدةُ.

و **عسى** من الله واجبةٌ، لأنا لِلترجي، فإذا أمر أن يترجى شيءٌ كان.

١٦٦- وقوله ﷻ: **من يشفَع شفَاعةً حسنةً يكُن له نصِيبٌ منها..** [آية:٨٥].

قال الحسن: من شفع أُثيب وإن لم يشفع، لأنه قال ﷻ: **من يشفَع** ولم يقل: من يشفْع.

وقال أبو موسى الأشعري رحمه الله: كُنا عند النبي ﷺ، فجاء سائل، فقال النبي ﷺ: «**اشفَعوا تؤجروا، ويقضي الله على لِسان نبيِه ما شاء**»(١).

١٦٧- ثم قال ﷻ: **ومن يشفَع شفَاعةً سيئةً يكُن له كِفْلٌ منها..** [آية: ٨٥].

روي عن أبي موسى أنه قال: الكِفْلُ: النصيب، أو قال: الحظ، كذا في الحديث.

وقال قتادة: الكِفْلُ: الإثمُ.

والمعروف عند أهل اللغة أن الكفلَ النصيب، ويقالُ: اكْتفَلْت البعير، إذا جعلت على موضع منه كِساءً أو غيره لِتركبه.

وهذا مأخوذٌ من ذاك، لأنك إنما تجعله على نصيب مثله.

١٦٨- وقوله ﷻ: **وكانَ الله على كُل شيءٍ مقِيتا** [آية: ٨٥].

في **معناه قولان:**

روى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: **مقِيتا** .

يقول: حفيظًا.

وبإسنادِه **مقِيتا** يقول: قديرا.

وحكى الكسائي أنه قال: أقات يقيت، إذا قَدر.

وقال الشاعر:

وذِي ضِغنٍ كَفَفْت النفْس عنـه وكُنت على مسـاءِتِه مقِيتـا(٢)

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب ١٥/٨، ومسلم في البر رقـم ٢٦٢٧، وأبـو داود في الشفاعة، برقم ٥١٣١، والترمذي في العلم برقم ٢٦٧٤، والنسائي في الزكاة ٧٨/٥.

(٢) البيت منسوب للزبير بن عبد المطلب، وهو في اللسان مادة «قوت»، والجمهرة ٣٦/٢.

والقولُ: أن المقيت: الحفيظُ.

قال أبو إسحاق: وهذا القول عندي أصح من ذاك، لأنه مأخوذٌ من القُوتِ، والقوت مقدار ما يحفظ الإنسان.

وقال الشاعر:

أَلِي الفَضـلُ أم علـي إذا حـو سِبت إني على الحِسابِ مقِيت[1]

وفي الحديث: «**كفَى بالمرءِ إثْما يضيع من يقِيت**»[2].

أي يحفَظُ. ويروى «**يقُوت**».

١٦٩- وقوله ﷻ: **وإذَا حييتم بِتحِيةٍ فَحيوا بِأحسن مِنها أو ردوها** [آية: ٨٦].

قيل: هذا في السلام، إذا قال: سلاَم عليك رد علَيه: وعلَيك السلام ورحمةُ الله. وإذا قال: السلام عليك ورحمة الله.

قيل: وعليك السلام ورحمةُ الله وبركاته.

قال الشيخ أبو بكر: وجدت في غير نسختِي وإذا قال: سلام عليكم ورحمةُ الله وبركاته رد عليه: وعليك.

يروى هذا عن النبي ﷺ.

وروي عن الحسن أنه قال: السلام سنةُ، ورده فَرِيضةٌ.

١٧٠- ثم **قال** ﷻ: **إن الله كَانَ علَى كُل شيءٍ حسِيبا** [آية: ٨٦].

قال مجاهد: أي حفيظًا.

والْحسِيب عند بعض أهل اللغة البصريين: الكافي.

يقال: أحسبه، إذا كفاه ومنه: **عطَاءً حِسابا** .

ومنه: حسبك.

وهذا عندي غَلَطٌ، لأنه لا يقال في هذا أَحسب على الشيء فهو حسِيب عليه، إنما يقال بغير على.

---

(١) البيت منسوب للسموأل بن عاديا اليهودي، وهو في اللسان مادة «قوت»، وفي جامع البيان للطبري ١٨٨/٥.

(٢) الحديث رواه مسلم في كتاب الزكاة ٦٩٢/٢، بلفظ: «كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته».

والقولُ أنه من الحِسابِ، يقال حاسب فلانا على كذا، وهو محاسِبه عليه، وحسيُبه أي صاحِب حِسابِه.

١٧١ - وقولُه ﷻ: الله لا إله إلا هو ليجمعنكُم إلى يومِ القِيامةِ لا ريب فِيهِ.. [آية: ٨٧].

قيل: إنما سميت القِيامةُ لأن الناس يقومون لِرب العالمين، أي يوم القِيام، ثم زِيدتِ الهاءُ للمبالغةِ.

وقيل: إنما ذلك لأن الناس يقومون من قبورهم، كما قال ﷻ: **يخرجونَ مِن الأجداثِ سِراعا** [المعارج: ٤٣] والأجداثُ: القُبور.

١٧٢ - وقولُه ﷻ: فَما لكُم فِي المنافِقِين فِئتين.. [آية: ٨٨].

أي فرقتين مختلفتين.

قال زيد بن ثابت: تخلف قوم عن النبي ﷺ يوم أُحدٍ، فصار أصحاب رسول الله ﷺ فرقتين، فقال بعضهم: اقْتلْهم، وقال بعضهم: اعف عنهم[1]، فأنـزل الله ﷻ: **فَما لكُم فِي المنافِقِين فِئتين**.

قال مجاهد: هم قوم أسلموا ثم استأذنوا النبي ﷺ أن يخرجوا إلى مكة فيأخذوا بضائع لهم، فصار أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين: قوم يقولون: هم منافقون، وقوم يقولون: هم مؤمنون، حتى نتبين أمرهم أنم منافقون، فانـزل الله ﷻ: **فَما لكُم فِي المنافِقِين فِئتين واللهُ أركسهم بِما كسبوا** [آية: ٨٨].

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ: (ركسهم)[2]، بغير ألف، يقال: أركسهم، وركسهم: إذا ردهم.

والمعنى: ردهم إلى حكم الكفار.

---

(١) الحديث رواه البخاري في تفسير سورة النساء ٥٩/٦، ومسلم في كتاب المنافقين ١٢١/٨، بلفظ قريب، وأحمد في المسند ١٨٤/٥ ولفظه: عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ خـرج إلى أحـد، فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين: فرقة تقول: نقتلهم، وفرقـة تقول: لا، فأنـزل الله فما لكم في المنافقين فئتين.. الآية فقال رسول الله ﷺ: «إنا طيبة، وإنا تنفي الخبث، كما تنفي النار خبثَ الفضة».

(٢) هذه القراءةُ عدها ابن جني في المحتسب ١٩٤/١ من القراءات الشاذة، فهي ليست من القـراءات السبع، وذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٣١٣/٣.

١٧٣ - ثم **قال** ﷻ: **أتريدونَ أن تهدوا من أضل الله** [آية: ٨٨].

أي إنم قد ضلوا.

ومن يضلِل الله فلن تجِد له سبِيلاً [آية: ٨٨].

أي طريقًا مستقيما.

١٧٤ - وقوله ﷻ: **إلا الذِين يصِلُونَ إلى قوم بينكُم وبينهم ميثاقٌ** [آية:٩٠].

قال مجاهد: صاروا إلى «هلال بن عويمِر» وكان بينه وبين النبي حِلف.

وقال غيره: كان قوم يوادِعون النبي ﷺ ولا يقَاتِلُونه، فَأُمِر المسلمون أن لا يقاتلوا من صار إليهم، واتصلَ م، ووادع كما وادعوا.

وقال أبو عبيدة: معنى **يصِلُونَ** ينتسِبون.

وهذا خطأٌ لأن النبي ﷺ قَاتلَ قُريشا وهم أنسِباءُ المهاجرين الأولين.

١٧٥ - ثم **قال** ﷻ: **أو جاءُوكُم حصِرت صدورهم..** [آية: ٩٠].

أي أو يصِلُونَ إلى قوم جاؤوكم حصرت صدورهم.

قال الكسائي: معنى (حصِرت) ضاقت.

قال مجاهد: وهو «هِلالُ بن عويمِر» الذي حصِر أن يقاتل المسلمين أو يقاتل قومه فَدفَع عنهم.

قال أبو العباس محمد بن يزيد: المعنى على الدعاء، أي أحصر الله صدورهم.

وقال أبو إسحاق: يجوز أن يكون خبرا بعد خبر، فالمعنى **أو جاؤوكُم**، ثم خبر بعد فقال: **حصِرت صدورهم**، كما قال ﷻ: **إن مثَلَ عِيسى عِند الله كمثَل آدم خلَقه مِن ترابٍ** [آية: ٥٩].

وقيل: المعنى: أو جاؤوكم قد حصرت صدورهم، ثم حذف قد.

وقد قرأ الحَسن: **حصِرةً صدورهم** [1].

وروي عن أُبي بن كعب أنه قرأ: **إلا الذِين يصِلُونَ إلى قوم بينكُم وبينهم ميثاقٌ أو جاءُوكُم حصِرت صدورهم]** فالمعنى على هذه القراءة **إلا الذِين يصِلُونَ إلى قوم بينكُم وبينهم ميثاقٌ أو جاءُوكُم حصِرت صدورهم** [آية: ٩٠] [2].

---

(١) هذه من القراءات العشر كما في كتاب النشر لابن الجزري ٢٥١/٢.

(٢) قال أبو حيان: «وقرأ الجمهور (حصرت صدورهم) وقرأ الحسن ويعقوب (حصـرةً صـدورهم)

أي قومٍ حصِرةٍ صدورهم، أي ضيقةٍ.

١٧٦- وقوله ﷻ: **فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم..** [آية: ٩٠].

أي كفوا عن قتالكم.

وألقوا إليكم السلم [آية: ٩٠].

أي الانقياد.

فما جعلَ الله لكم عليهم سبيلاً [آية: ٩٠].

قال قتادة: هذه الآية منسوخةٌ، نسخها: **فاقتلوا المشركين حيثُ وجدتموهم** [التوبة: ٥] في براءة.

١٧٧- وقوله ﷻ: **ستجدونَ آخرين يريدونَ أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنةِ أركسوا فيها..** [آية: ٩١].

قال مجاهد: هؤلاء قوم أهل مكة، كانوا يأتون النبي ﷺ فيسلِمونَ، ثم يرجعون إلى الكفار فيرتكِسون في الأوثان.

١٧٨- ثم **قال** ﷻ: **فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيثُ ثقفتموهم..** [آية: ٩١].

ومعنى ثقفتموهم و«وجدتموهم» واحِد.

وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا [آية: ٩١].

أي حجةً بينةً بأنهم غَدرةٌ، لا يوفونَ بعهدٍ ولا هدنةٍ.

١٧٩- وقوله ﷻ: **وما كانَ لمؤمنٍ أن يقتلَ مؤمنا إلا خطأً..** [آية: ٩٢].

فهذا استثناءٌ ليس من الأول.

قال أبو إسحاق: المعنى ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا

=

وقُرئ حصِرات، وحاصرات، ثم قال: وهي جملة اسمية في موضع الحال، فأما على قراءة الجمهور، فالفعل في موضع الحال، فمن شرط دخول «قد» على الماضي إذا وقع حالاً، أنها مقدرة، ومن لم ير ذلك لم يحتج إلى تقديرها، فقد جاء منه ما لا يحصى كثرةً بغير «قد» ويؤيد كونه في موضع الحال قراءة من قرأ «حصِرةً صدورهم» ورد الفارسي على المبرد في أن الآية دعاء عليهم، بأنا أمرنا أن نقول: «اللهم أوقع بين الكفار العداوة، فيكون (أو يقاتلوا قومهم)نفي ما اقتضاه دعاء المسلمين عليهم». البحر المحيط ٣١٧/٣.

ألبتةَ، ثم قال: ﴿إلا خطأً﴾ أي لكن إنْ قَتَلَه خطأً.

ومن قال: إن ﴿إلا﴾ بمعنى الواو فَقَولُه خطأٌ من جهتين:

إحداهما: لأنه لا يعرف أن تكون (إلا) بمعنى حرفٍ عاطفٍ.

والجهة الأخرى: أن الخطأ لا يحصر، لأنه ليس بشيء يقْصد، ولو كان يقْصد لكان عمداً.

وذكر سيبويه أن (إلا) تأتي بمعنى (لكن) كثير، وأنشد:

من كان أسرع في **تفـرق فـالجٍ** **فلبونه جربـت معـاً وأغـدتِ**

إلا كنا شِـرةً الـذي ضـيعتم **كالغصن** في **غلوائـه المتنبِّـتِ**[(١)]

وكان سبب نـزول هذه الآية فيما روى ابن أبي نجيح عن مجاهد أن «عياش بن ربيعة» أخا أبي جهلٍ لأمه، قتل رجلاً مؤمنا كان يعذِّبه مع أبي جهل في اتباع النبي ﷺ، فحسِب أنه كافر كما هو فقتله.

١٨٠- وقوله ﷻ: ﴿**ومن قَتلَ مؤمنا خطأً فَتحرير رقَبةٍ مؤمنةٍ ودِيةٌ مسلمةٌ إلى أهلِه إلا أن يصدقُوا**..﴾ [آية: ٩٢].

وإنما غُلظَ في قتل الخطأ ليتحرز من القتل.

والمعنى إلا أن يتصدقوا عليكم بالدية.

وروي عن أُبي بن كعب أنه قرأ: ﴿**إلا أن يصدقُوا**﴾.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: ﴿**إلا أن تصدقُوا**﴾.

والمعنى: إلا أن تتصدقوا، ثم أدغم التاء في الصاد.

ويجوز على هذه القراءة: إلا أن تصدقُوا، بحذف إحدى التاءَين

١٨١- وقوله ﷻ: ﴿**فَإن كانَ مِن قَومٍ عدو لكُم وهو مؤمِنٌ فَتحرير رقَبةٍ مؤمنةٍ**..﴾ [آية: ٩٢].

معنى ﴿**عدو**﴾ كمعنى أعداءٍ.

وروى عكرمة عن ابن عباس أن المعنى: وإن كان مؤمنا وقومه كفار، فلا تدفعوا إليهم الدية، وعليكم عتق رقبة.

---

(١) البيتان نسبهما سيبويه إلى «عِتر بن دجاجة»، انظر شرح أبيات سيبويه للسيرافي ١٧١/٢، والمخصص ٢٣١/١٥، واللسان ١٧٣/٣.

فمعنى هذا إذا قُتِلَ مسلم خطأً، وليس له قوم مسلمون، فلا دِيةَ على قاتله، كان قتله في دار المسلمين أو في دار الحرب.

وروى عطاءُ بن السائب، عن أبي عياض: قال: كان الرجلُ يجيءُ يسلِم، ثم يأتي قومه، وهم مشركون، فيقيم معهم، فَيغزونَ، فيقْتلُ فيمن يقتل، فنـزلت: **فَإِن كَانَ مِن قَومٍ عدو لكُم وهو مؤمِنٌ فَتحرير رقَبةٍ مؤمِنةٍ** . قال: وليس له ديةٌ".

فمعنى هذا أن يقتل في دار الحرب خاصةً.

وقال قوم: وإن قُتِل في دار الإسلام فَحكْمه حكْم المسلمين.

١٨٢ - ثم **قال** ﷻ: **وإِن كَانَ مِن قَومٍ بينكُم وبينهم ميثَاقٌ فَدِيةٌ مسلمةٌ إِلَى أَهلِهِ وتحرير رقَبةٍ مؤمِنةٍ** [آية: ٩٢].

قال الزهري: الميثاق: العهد.

فالمعنى: إن كان المقتول من قوم بينكم وبينهم عهد، فادفعوا إليهم الدية، لئلاْ توغِروا صدورهم.

١٨٣ - ثم **قال** ﷻ: **فَمن لم يجِد فَصِيام شهرين متتابِعين** [آية: ٩٢].

أي فمن لم يجد الديةَ عِتق رقبةٍ فعليه هذا.

توبةً مِن الله .

أي فعل هذا ليتوبوا توبةً.

١٨٤ - **وقوله** ﷻ: **ومن يقْتلْ مؤمِنا متعمدا فَجزاؤه جهنم خالِدا فِيها..** [آية: ٩٣].

روى شعبة عن منصور عن سعيد بن جبير قال: «أمرني ابن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هذه الآية **ومن يقْتلْ مؤمِنا** فَسألْته فقال: ما نسخها شيءٌ».

وروي عن زيد بن ثابت: نـزلت الشديدة بعد الهَينةِ لستةِ أشهرٍ **ومن يقْتلْ مؤمِنا متعمدا فَجزاؤه جهنم** بعد التي في الفرقان **والذِين لاَ يدعونَ مع الله إِلَها آخر** [الفرقان: ٦٨]. إلى قوله ﷻ: **إِلا من تاب** [الفرقان: ٧٠].

وذهب قومٌ إلى أن هذا على المُجازاةِ، إن جازاه بذلك، وأن العفْو مرجو له مع التوبة.

وهذا لا يحتاج أنْ يقال فيه: إن جازاه، ولكن القول فيه عند العلماء -أهل النظر- أنه محكم، وأنه يجازيه إذا لم يتب، فإن تاب فقد بين أمره لقوله ﷻ: **وإِني لَغفارٌ لمن تاب** [طه: ٨٢]. فهذا لا يخرج عنه شيء.

١٨٥- وقوله ﷻ: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا..﴾** [آية: ٩٤].

وتقرأ: **﴿فتثبتوا﴾** [(١)].

قال أبو عبيد: وإحداهما قريبةٌ من الأخرى.

وقال غيره: قد يتثبت ولا يتبين، فالاختيار «فتبينوا».

ومعنى **﴿ضربتم﴾** سافرتم.

١٨٦- ثم **قال** ﷻ: **﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا﴾** [آية: ٩٤].

وقرأ ابن عباس: **﴿لمن ألقى إليكم السلم﴾** [(٢)].

فمن قرأ: **﴿السلم﴾** فمعناه عنده الانقياد والاستسلام.

ومن قرأ: **﴿السلام﴾** فتحتمل قراءته معنيين:

أحدهما: أن يكون بمعنى السلم.

والآخر: أن يكون من التسليم.

وروى عطاء وعكرمة عن ابن عباس «أن قوما من أصحاب رسول الله ﷺ، مروا براعٍ، فقال: السلام عليكم، فقالوا: إنما تعوذ، فقتلوه، وأتوا بغنمه إلى النبي ﷺ، فأنزل الله ﷻ: **﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾** [آية: ٩٤][(٣)].

قال ابن عباس: يعني الغنيمة.

وروى عن أبي جعفر أنه قرأ: **﴿مؤمنا﴾** [(٤)] بفتح الميم الثانية، من أمنته إذا أجرته، فهو مؤمن.

---

(١) هذه قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقون (فتبينوا) بالباء، انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٣٦.

(٢) قراءة «السلم» هي قراء نافع وحمزة، وقراءة «السلام» هي قراءة ابن كثير، وعاصم، والكسائي، وأبي عمرو، وكلاهما من القراءات السبع المشهورة، انظر النشر لابن الجوزي ٢٥١/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٢٣٦.

(٣) الحديث رواه أحمد في المسند ٢٢٩/١، والترمذي في تفسير سورة النساء، والحاكم في المستدرك ٢٣٥/٢.

(٤) هذه القراءة ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٣٢٩/٣، وابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٢٥١/٢.

١٨٧- وقوله ﷻ: **كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ..** [آية: ٩٤].

قال سعيد بن جبير: أي (كَذَٰلِكَ كُنتُم) تخفون إيمانكم (**فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ**) أي فَمن الله عليكم بالغزو، وإظْهارِ الدين.

واختار أبو عبيد «القاسِم بن سلام» **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ** [آية: ٩٤].

وخالفه أهل النظَر فقالوا: (السلَم) هاهنا أشبه، لأنه بمعنى الانقياد والتسلِمِ، كما قال ﷻ: **فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ** [النحل: ٢٨].

١٨٨- وقوله تعالى: **لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..** [آية: ٩٥].

قال ابن عباس: لا يستوي القاعدون عن بدرٍ، والخارجون إليها.

١٨٩- ثم **قال** ﷻ: **غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ** [آية: ٩٥].

الضرر: الزمانة.

وتقْرأ (غَير) رفعا ونصبا[1].

قال أبو إسحاق: ويجوز الخفض.

فمن رفَع فالمعنى (لا يستوِي القاعِدونَ غَير أُولي الضررِ).

أي لا يستوي القاعدون الذين هم غير أُولي الضرر.

والمعنى: لا يستوي القاعدون الأصحاءُ.

ومن قرأ (غَير) نصبا فهو يحتمل معنيين:

أحدهما: الاستثناء، ويكون المعنى: إلا أُولي الضرر، فإنهم يستوون مع المجاهدين.

والمعنى الآخر: أن يكون (غير) في موضع الحال، أي لا يستوي القاعدون أصحاء.

والمعنى على النصب، لأنه روى زيد بن ثابت والبراء بن عازب أنه لما نـزل على النبي ﷺ: **لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** قام ابن أُم مكتومٍ فقال: يا رسول الله أنا ضرير، فنـزلت **غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ** فألحَقت بها، هذا معنى الحديث.

ومن قرأ بالخفض، فالمعنى عنده: من المؤمنين الذين هم غير أُولي الضرر، أي من المؤمنين الأصحاء.

---

(١) قرأ نافع والكسائي وابن عامر غَيرَ أُولِي الضررِ نصبا وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة (غَير) برفع الراء، وكلاهما من القراءات السبع، انظر السبعة ٢٣٧/٥.

١٩٠- وقوله ﷻ: **وكُلًّا وعد الله الْحسنى..** [آية: ٩٥].

ا اهدين، وأُولي الضرر، وعد الله الحُسنى.

قال أهل التفسير: يعني بالحُسنى الجَنة.

١٩١- ثم **قال** ﷻ: **وفَضلَ الله الْمجاهِدِين على الْقَاعِدِين** [آية: ٩٥].

الذين ليس لهم ضرر **أجرا عظِيما. درجاتٍ منه** [آية: ٩٥- ٩٦].

وروي عن ابن محيريز[1] أنه قال: «تلك سبعون درجة، ما بين الدرجتين حضر الفرس، الجوادِ المُضمرِ سبعين سنة».

١٩٢- وقوله ﷻ: **إِن الذِين توفاهم الْملائِكةُ ظالِمِي أنفُسِهم..** [آية: ٩٧].

وقرأ عيسى وهو ابن عمر **إِن الذِين يتوفاهم الْملائِكةُ** [2].

هذا على تذكير الجمع.

ومن قرأ توفاهم فهو يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكن فعلاً ماضيا، ويكون على تذكير الجمع أيضا.

والآخر: أن يكون مستقبلاً، ويكون على تأنيث الجماعة.

والمعنى: تتوفاهم، ثم حذف إحدى التاءَين.

قال عكرمةُ والضحاك: هؤلاء قوم أظهروا الإسلام، ثم لم يهاجروا إلى بدر مع المشركين فقُتلوا، فأنـزل الله ﷻ فيهم: **إِن الذِين توفاهم الْملائِكةُ ظالِمِي أنفُسِهم قَالُوا فِيم كُنتم** أكُنتم في أصحاب النبي ﷺ، أم كنتم مشركين؟ هذا سؤال توبيخ.

١٩٣- ثم **قال** ﷻ: **إِلا الْمستضعفِين مِن الرجال والنساءِ والْولْدان..** [آية: ٩٨].

قال مجاهد: هؤلاء قوم أسلموا وثبتوا على الإسلام، ولم تكن لهم حيلةٌ في الهجرة، فعذرهم الله فقال: **فَأُولئِك عسى الله أن يعفُو عنهم** [آية: ٩٩].

وعسى ترج، وإذا أمر الله ﷻ أن يترجى شيءٌ فهو واجب، كذلك الظن به.

---

(١) ابن محيريز هو عبد الله بن محيريز بن جنادة، قال العجلي: تابعي ثقة من خيار المسلمين، مـات سنة ٩٩ هـ، انظر التهذيب ٣٢/٦.

(٢) هذه القراءة ليست من القراءات السبع، وتأنيث الملائكة مجازي، فلذلك وردت القراءة بالتاء والياء «يتوفاهم» و«تتوفاهم».

١٩٤- وقوله ﷻ: ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعةً..﴾ [آية: ١٠٠].

المُراغَم عند أهل اللغةِ والمُهاجر واحِد، يقال: راغَمت فُلانا إذا هجرته وعاديته، كأنك لا تباليه، وإنْ لَصِق أنفُه بالرغَام، وهو التراب.

وقيل: إنما سمي مهاجرا ومراغما لأن الرجلَ كان إذا أسلَم، عادى قَومه وهجرهم، فَسمي خروجه مراغَما، وسمي مصِيره إلى النبي ﷺ هجرةً.

وروى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿مراغَما﴾ يقول: متحولاً من أرض إلى أرض. قال: ﴿وسعةً﴾ يقول: في الرزق.

وقال قتادة: من الضلالة على الهدى، أي سعةً مِن تضييق ما كان فيه، من أنه لا يقدر على إظهار دينه.

واللفظَةُ تحتملُ المعنيين، لأنه لا خصوص فيها.

١٩٥- وقوله ﷻ: ﴿ومن يخرج مِن بيتِهِ مهاجِرا إلى الله ورسولِهِ ثُم يدركْه الْموت فَقَد وقَع أجره على الله﴾ [آية:١٠٠].

قال سعيد بن جبير: نزلت في رجل يقال له «ضمرة» من خزاعة، كان مصابا ببصره، فقال: أخرجوني، فلما صاروا به إلى التنعيم مات فنزلت هذه الآية فيه.

١٩٦- وقوله ﷻ: ﴿وإذَا ضربتم في الأرض فَليس عليكُم جناحٌ أن تقْصروا مِن الصلاةِ..﴾ [آية: ١٠١].

قال يعلى بن أُميةَ: سألت عمر بن الخطاب ﷺ: إنما كان هذا وقْت الخوف، وقد زال اليوم!! فقال: عجِبت مما عجِبت منه، فسألت رسول الله ﷺ فقال: «**صدقَةٌ تصدق الله بها عليكُم، فاقْبلوا صدقَته**»[1].

ومعنى ﴿**ضربتم في الأرض**﴾ سافرتم، كما قال: ﴿**وآخرونَ يضربونَ في الأرض يبتغونَ مِن فَضل الله**﴾ [المزمل: ٢٠].

وفي معنى قولِهِ ﷻ: ﴿فَليس عليكُم جناحٌ أن تقْصروا مِن الصلاةِ﴾ [آية: ١٠١] قولان.

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٥/١ ومسلم في صحيحه ١٤٣/٢ وأبو داود ١٤٣/٢ والنسائي ١٣٦/٣.

أحدهما: أنه إباحةٌ، لا حتم، كما قال: **فَلا جناح عليهما أن يتراجعا** [البقرة: ٢٣٠].

والقول الآخر: أن هذا فرض المسافر، كما روت عائشةُ «فُرِضت الصلاةُ ركْعتين، فأُقِرت في السفرِ، وزيد في صلاة الحَضرِ»[1]. ويكون مثل قوله: **فَلا جناح عليهِ أن يطوف بهما** [البقرة: ١٥٨]، والطواف حتم.

وروي عن أُبي بن كعبٍ أنه قرأ: **فَليس عليكُم جناحٌ أن تقْصروا من الصلاةِ إنْ خِفْتم أن يفْتِنكُم الذِين كفَروا** [آية: ١٠١] وليس فيه **إنْ خِفْتم**.

فالمعنى على قِراءتِهِ: كَراهَة أن يفتنكم الذين كفروا، ثم حذَف، مِثْلَ (واسأَلِ القَريةَ).

يقَالُ: قَصر الصلاة، وقَصرها، وأقْصرها.

١٩٧ - ثم **قال** ﷻ: **إن الكَافِرين كانوا لكُم عدوا مبينا** [آية: ١٠١].

عدو هاهنا بمعنى أعداءٍ.

١٩٨ - وقوله ﷻ: **وإذَا كُنت فِيهم فَأَقَمت لَهم الصلاةَ..** [آية: ١٠٢].

روى سفيان عن منصور عن مجاهد عن أبي عياشٍ الزرقي قال: «**صلى رسول الله** ﷺ **بعسفان، والمشركون بينه وبين القتال، فيهم أو عليهم خالد بن الوليد، فقال المشركون: لقد كانوا** في **صلاةٍ، لو أصبنا منهم لكانت الغنيمة، فقال المشركون: إنا ستجيءُ صلاةٌ هي أحب إليهم من آبائهم، وأبنائهم، قال: ونزل جبريل بالآيات فيما بين الظهر والعصر**»[2] وذكر الحديث.

وسنذكر حديث «صالح بن خواتٍ»[3] الذي يذهب أهل المدينة إليه، وكرهنا الإطالة في ذلك.

وحديث صالح فيه قضاء كل طائفة صلاتها، قبل انصرافها من القبلة، وليس كذا غيره.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ٩٩/١ ومسلم في السفر ١٤٢/٢ وأبو داود ٣/٢ ومالك في الموطأ ١٤٦/١ وابن ماجه ٣٣٩/١ والترمذي ٩٢/٤ وقال حديث حسن صحيح، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣٤٧/٢.

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٥٩/٤ وأبو داود في باب صلاة الخوف ١١/٢ والنسائي في السنن، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٤٦/٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢١١/٢.

(٣) صالح بن خوات بتشديد الواو وفتح الخاء هو ابن جبير بن النعمان الأنصاري المدني، قال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، قليل الحديث، انظر ترجمته في التهذيب ٣٨٧/٤.

والمعنى: وإذا كُنت فِيهم وثَم خوف.

١٩٩- ثم **قال** ﷻ: **فَلْتقُم طَائِفَةٌ منهم معك ولْيأخذُوا أسلِحتهم..** [آية: ١٠٢].

والمعنى وليأخذِ الباقُون أسلِحتهم.

٢٠٠- ثم **قال** ﷻ: **فَإِذَا سجدوا فَلْيكُونوا مِن ورائِكُم** [آية: ١٠٢].

وأهل المدينة يذهبون في صلاة الخوف إلى حديث يحيى بن سعيد الأنصاري، عن القاسم بن محمد، عن صالح بن خواتٍ الأنصاري أن سهل بن أبي حثمة حدثه أن صلاة الخوف أن يقوم الإمام مستقبلَ القبلِة، ومعه طائفة من أصحابه، وطائفةٌ مواجهةُ العدو، فَيركَع الإمام ركْعةً ويسجد بالذين معه، ثم يقوم، فإذا استوى قائما ثَبت وأتموا لأنفسهم الركعة الثانية، ثم سلموا وانصرفوا والإمام قائم، فيكونون وِجاه العدو، ثم يقْبِلُ الآخرون الذين لم يصلوا فَيكَبرونَ مع الإمام، فيركع بهم ركعةً، ويسجد ثم يسلم، فيقومون فيركعون لأنفسهم الركعة الباقية ثم يسلمونَ.

٢٠١- **وقوله** ﷻ: **ولْيأخذُوا حِذْرهم وأسلِحتهم..** [آية: ١٠٢].

يجوز أن يكون هذا للجميع، لأنه وإن كان الذين في الصلاة لا يحاربون، فإنهم إذا كان معهم السلاح، كان ذلك أهيب للعدو.

ويجوز أن يكون الذين أُمِروا بأخذِ السلاحِ الذين لَيسوا في الصلاة، لأن المُصلّي لا يحارِب.

٢٠٢- **وقولُه** ﷻ: **فَإِذَا قَضيتم الصلاةَ فَاذْكُروا الله قِياما وقُعودا وعلى جنوبكُم..** [آية: ١٠٣].

أي فاذكروه بالشكر، والتسبيح، وما يقرب منه.

٢٠٣- ثم **قال** ﷻ: **فَإِذَا اطْمأننتم..** [آية: ١٠٣].

قال مجاهد: فإذا صرتم في الأهل والدورِ

والمعروف في **اللغة** أنه يقال: اطمأن: إذا سكَن، فيكون المعنى: فإذا سكَن عنكم الخوف، وصرتم إلى منازلكم **فَأَقِيموا الصلاةَ** ز

قال مجاهد: أي فأتموها.

٢٠٤- ثم **قال** ﷻ: **إِن الصلاةَ كَانت على الْمؤمِنين كِتابا موقُوتا** [آية: ١٠٣].

وروى ليثٌ عن مجاهدٍ أن الموقوت المفروض.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: (موقُوتا) واجبا.

وقال زيد بن اسلم: (موقوتا) منجما، أي تؤدونا في أنجمها.

والمعنى عند أهل اللغة: مفروض لوقْتٍ بعينه. يقال: [وقته فهو موقوت] ووقته فهو موقت. وهذا قول زيد بن أسلم بعينِهِ.

٢٠٥- وقوله ﷻ: **ولا تهنوا فِي ابِتغاءِ الْقَومِ..** [آية: ١٠٤].

أي لا تضعفُوا، يقال: وهن يهن وهنا ووهونا.

٢٠٦- ثم **قال** ﷻ: **إِن تكُونوا تألمونَ فَإِنهم يألمونَ كما تألمونَ..** [آية: ١٠٤].

قال الضحاك: أي تشكُونَ.

وترجونَ مِن الله ما لا يرجونَ [آية: ١٠٤].

قال الضحاك: أي في جراحاتكم، يعني من الأجر.

وقال غيره: ترجون من النصر والعافية ما لا يرجون.

وقيل: **ترجونَ** تخافون.

٢٠٧- وقوله ﷻ: **إِنا أنــزلنا إِلَيك الْكِتاب بِالْحق لِتحكُم بين الناس بِما أراك الله ولا تكُن للْخائِنين خصِيما** [آية: ١٠٥].

قال مجاهد: كان رجل من الأنصار يقال له «ابن أبيرِق» واسمه «طُعمةُ» سرق دِرعا، فلما فُطِن به استودعها عند رجل من اليهود، وادعى أن اليهودي أخذها، فجاء قومه يسألون النبي ﷺ أن يعذُره، فأنــزل الله ﷻ: **إِنا أنــزلنا إِلَيك الْكِتاب بِالْحق** على قوله: **ولا تجادِلْ عن الذِين يختانونَ أنفُسهم** [آية: ١٠٧].

والجدالُ في اللغة: أشد الخصومة، ويقال: رجل أجدلُ، إذا كان شديدا، ويقال للصقْر: أجدل، لأنه من أقوى الطير.

٢٠٨- ثم **قال** ﷻ: **يستخفُونَ مِن الناس ولا يستخفُونَ مِن الله وهو معهم إِذْ يبيتونَ ما لا يرضى مِن الْقَول** [آية: ١٠٨].

أي يحكِمونه ليلاً.

٢٠٩- وقوله ﷻ: **ها أنتم هؤلاءِ جادلْتم عنهم فِي الْحياةِ الدنيا فَمن يجادِلُ الله عنهم يوم الْقِيامةِ** ؟[آية: ١٠٩].

أي يوم تظهر الحقائق، وإنما يحكم في الدنيا بما يظهر.

قال أبو جعفر: قال أبو إسحاق(١): المعنى «ها أنتم الذِين».

يذْهب إلى أن «هؤلاء» بمعنى «الذين».

٢١٠- ثم قال ﷻ: **ومن يعملْ سوءً أو يظْلِم نفْسه ثُم يستغفِر الله يجِدِ الله غفُورا رحِيما** [آية: ١١٠].

أي استغفار غير عائد، لأنه إذا عزم على العودة فليس بتائب.

٢١١- ثم قال ﷻ: **ومن يكْسِب إِثْما فإِنما يكْسِبه على نفْسِهِ..** [آية:١١١].

أي عقابه يرجع عليه.

ومن يكْسِب خطِيئةً أو إِثْما ثُم يرمِ بِهِ برِيئًا.. [آية: ١١٢].

قال سعيد بن جبير: نـزلت في ابن أُبيرق لما رمى اليهودي بالدرع التي سرقها.

ثم **قال** ﷻ: **فقدِ احتملَ بهتانا وإِثْما مبِينا** [آية: ١١٢].

البهتانُ: الكذب الذي يتحير من عِظَمِهِ.

٢١٢- ثم قال ﷻ: **ولولا فضلُ الله عليك ورحمته** [آية: ١١٣].

أي بأنه أُوحِي إليك ما فَعلَه ابن أُبيرق.

لهمت طائِفةٌ منهم أن يضِلوك [آية: ١١٣].

أي يخطئُوك في الحُكْمِ.

وما يضِلونَ إِلا أنفُسهم وما يضرونك مِن شيءٍ [آية: ١١٣].

أي لأنك معصوم.

٢١٣- ثم قال ﷻ: **وأنـزلَ الله عليك الكِتاب والحِكْمةَ..** [آية: ١١٣].

أي أنـزل عليك الكتاب بالحكمة في أمر ابن أبيرق.

٢١٤- وقوله ﷻ: **لا خير فِي كثِيرٍ من نجواهم..** [آية: ١١٤].

النجوى: كل كلامٍ ينفرد به جماعةٌ، سِراً كان أو جهرا.

٢١٥- ثم قال ﷻ: **إِلا من أمر بِصدقةٍ** [آية: ١١٤].

يجوز أن يكون المعنى إلا نجوى من أمر بصدقةٍ، ثم حذِف.

ويجوز أن يكون استثناءً ليس من الأول، ويكون المعنى: لكن من أمر بصدقة في نجواه خيرا.

---

(١) يعني: الزجاج.

٢١٦- وقوله ﷻ: **ومن يشاقق الرسولَ** [آية: ١١٥].

أي يخالف، كأنه يصير في شق خلاف شِقة، أي في ناحيةٍ.

قال سعيد بن جبير لما اطلع الله النبي على أمر «ابن أبيرق» هرب إلى المشركين، فارتد، فأنـزل الله: **ومن يشاقق الرسولَ من بعدِ ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولهِ ما تولى** [آية: ١١٥].

قال مجاهد: أي نتركُه وما يعبد.

وكذلك هو في اللغة، يقال: وليته ما تولى: إذا تركته في اختياره.

قال سعيد بن جبير: لما صار على مكة، نقَب بيتا بمكة، فَلَحِقَه المشركون فقتلوه، فأنـزل الله: **إن الله لا يغفِر أن يشرك بِهِ** ..... إلى قوله تعالى: **فقد ضل ضلالاً بعيدا** [آية: ١١٦].

٢١٧- وقوله ﷻ: **إن يدعونَ من دونهِ إلا إناثًا..** [آية: ١١٧].

قال مجاهد: يعني الأوثان.

وعن أُبيّ: مع كل صنمٍ جِنيةٌ.

وقال أهل اللغة: إنما سميت إناثًا لأنم سموها «اللأت، والعزى، ومناة» وهذا عندهم إناثٌ.

وقال الحسن: أي ما يعبدون إلا حجارةً وخشبا.

قال: وكان لكل حي صنم يعبدونه، فيقال: أنثى بني فلان، فأنـزل الله هذا.

وهذا قولٌ حسن في اللغة، لأن هذه الأشياء يخبر عنها بالتأنيث.

يقال: الحجارة يعجبنه، لا يقال: يعجبونه.

وروي عن ابن عباس أنه قرأ: **إن يدعونَ من دونهِ إلا أُثُناً** [(1)]. وهذا جمع إناثٍ الجمع، كأنه جمع وثنا على وثان، كم تقول: مثال ومثل، ثم أبدل من الواو همزة لما انضمت، كما قال ﷻ (**وإذا الرسلُ أقتت**) من الوقت.

وقرئ: (**إن يدعونَ من دونهِ إلا أُنثًا**)، وهو جمع إناث.

٢١٨- ثم **قال** ﷻ: **وإن يدعونَ إلا شيطانا مريدا * لعنه الله** [آية: ١١٧- ١١٨].

---

(١) هذه القراءة «أُنثًا» والقراءة الثانية «أُثُناً» كما ذكرهما النحاس، كلاهما من القراءات الشاذة كمـا في المحتسب لابن جني ١٩٨/١.

فالمَرِيد: الخارج من الخير، المتجرد منه، و«أمرد» مِن هذا.
وقيل: المَرِيد: الممتد في الشر، من قولهم: بيت ممرد، أي مطَول.
ومعنى (لعنه) باعده من رحمته.
٢١٩- ثم قال ﷻ: **وقَالَ لأتخِذَن مِن عِبادِك نصِيبا مفْروضا** [آية: ١١٨].
أي موقتا، وهو من فَرضت، أي قطعت.
٢٢٠- ثم قال ﷻ: **ولأضِلنهم ولأمنينهم..** [آية: ١١٩].
أي ولأوهِمنهم أم لهم حظًا في المخالفة.
٢٢١- ثم قال ﷻ: **ولأمرنهم فَليبتكُن آذَانَ الأنعامِ..** [آية: ١١٩].
يقال: بتك، إذا قَطَع.
قال قتادة: يعني البحِيرة.
والبحِيرة: الناقةُ إذا أنتجت خمسة أبطنٍ، وكان آخرها ذكرا شقوا آذانها، ولم ينتفعوا ا.
والتقدير في العربية: ولأمرنهم بتبتيك آذان الأنعام(١).
٢٢٢- ثم قال ﷻ: **ولأمرنهم فَليغيرن خلْق الله** [آية: ١١٩]
عن ابن عباسٍ: دِين الله.
وعنه أيضا: الخصاء.
وكذلك روي عن أنس.
وقال سعيد بن جبير ومجاهد وإبراهيم والضحاك وقتادة: يعني دِين الله.
وزاد مجاهدٌ: يعني الفِطْرةَ. أي أنم وِلدوا على الإسلام، وأمرهم الشيطان بتغييرِه.
وروي عن عكرمة قولان:
أحدهما: أنه الخِصاءُ.
والآخر: أنه دين الله.
وهذه الأقوال ليست بمتناقضةٍ، لأنا ترجع إلى الأفعال.
فأما قوله تعالى: **لا تبدِيلَ لِخلْق الله** [الروم: ٣٠]، وقال هاهنا: **فَليغيرن خلْق الله** [آية: ١١٩]. فإن التبديل هو بطلان عينِ الشيء، فهو هاهنا مخالف للتغيير.

(١) انظر الطبري ٢٨٤/٥، وابن كثير ٣٦٨/٢.

وقال محمد بن جرير: أولاها أنه دين الله. وإذا كان ذلك معناه دخلَ فيه فعل كل ما نهى الله عنه، من خِصاءٍ ووشمٍ وغير ذلك من المعاصي، لأن الشيطان يدعو إلى جميع المعاصي، أي فَلَيُغيرن ما خلَق الله من دِينِهِ.

٢٢٣- وقوله ﷻ: **أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا** [آية:١٢١].

المَحِيص في اللغة: المَعدِلُ والملْجأُ.

يقال: حِصت، وحِضت، وعدلْت، بمعنى واحدٍ.

٢٢٤- وقوله ﷻ: **لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ..** [آية: ١٢٣].

المعنى: ليس الثواب بأمانيكم.

ودل على أن هذا هو المعنى قولُه ﷻ: **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** [آية: ١٢٢].

٢٢٥- وقوله ﷻ: **مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ..** [آية:١٢٣].

روى عن أبي هريرة أنه قال: «لما نـزلت **مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** بكينا وحزنا وقُلْنا: يا رسول الله: ما أبقَت هذه الآية من شيء!! قال: أما والذي نفسي بيده إنها لَكَما أنـزلت، ولكن أبشِروا، وقاربوا، وسددوا، فإنه لا تصيب أحدا منكم مصيبة إلا كفر الله عنه بها خطيئةً، حتى الشوكة يشاكُها أحدكم في قدمِهِ»[1].

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس **مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**.

يقول: «من يشرك به- وهو السوء- إلا أن يتوب قبل موتِهِ فيتوب الله عليه».

حدثنا عبد السلام بن سهل السكري قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد، قال: حدثنا عاصم عن الحسن **مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ** قال ذلك: لمن أراد الله ﷻ هوانه فأما من أراد كرامته فلا، قد ذكر الله قوما وقال: **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ**

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٥٧٤، والترمذي في سننه ٢٤٧/٥، وأحمد في المسند، ولفظ مسلم: لما نـزلت من يعملْ سوءًا يجز بِهِ بلغت من المسلمين مبلغا شديدا، فقال رسول الله ﷺ: قاربوا وسددوا.. الحديث.

الذي كانوا يوعدون [الأحقاف: ١٦].

والحديث عن النبي ﷺ يدل على أنه عام.

روى عنه أبو هريرة أنه قال -لما نزلت هذه الآية «كل ما يصاب به العبد كفارة»[١].

ولفظُ الآية عام لكل من عمِلَ سوءًا، من مؤمنٍ وكافرٍ، كان الذنب صغيرا أو كبيرا، وهذا موافق لـ «نكفر»، لأن معنى «نكفر» نغطي عليها في القيامة، فلا نفضحكم ا.

٢٢٦- وقوله ﷻ: **ولا يظْلَمونَ نقِيرا** [١٢٤].

المعنى: لا يظلمون مقدار نقير، والنقير: النقطة التي تكن في النواةِ، يقال: إن النخلة تنبت منها.

٢٢٧- وقوله ﷻ: **واتخذَ الله إبراهيم خلِيلاً** [آية: ١٢٥].

الخليلُ في اللغة: يكون بمعانٍ:

أحدها: الفقير، كأنه به الاختلال، كما قال زهير:

وإنْ أتاه خليلٌ يوم مسألــةٍ يقُو لُ لا غائبٌ مالي **ولا حرم**[٢]

والخليلُ: المحب.

وقيل في **قول الله** ﷻ: **واتخذَ الله إبراهِيم خلِيلاً** أي محتاجا فقيرا إليه.

والقولُ الآخر: هو الذي عليه أصحاب الحديث: أنه المحب المُنقَطِع إلى الله، الذي ليس في انقطاعِهِ اختلالٌ.

والقولُ الثالث: أنه يقال: فلانٌ خليلُ فلانٍ، أي هو يختصه.

ومنه الحديثُ: «**لو كنت متخذًا خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً**»[٣].

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال: لما نــزلت من يعملْ سـوءً يجزِبهِ شق ذلك على المسلمين، فشكوا إلى رسول الله ﷺ فقال: سددوا وقاربوا، فإن في كـل ما أصاب المسلم كفارة، حتى الشوكة، يشاكها، والنكبة ينكبها..«الحديث، وقد تقدم، ويؤيد هذا القول ما رواه الشيخان عن النبي ﷺ: أنه قال: «ما يصيب المؤمن من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله من خطاياه».

(٢) البيت في ديوانه ص ١٥٣.

(٣) هذا طرف من حديث رواه البخاري ١٠/٧، ومسلم في فضائل الصحابة برقم ٢٣٨٢ عـن أبي سعيد الخدري قال: «خطب النبي ﷺ فقال: «إن الله ﷻ خير عبدا بين الدنيا، وبين مـا عنـده، فاختار ذلك العبد ما عنده، فبكى أبو بكر، فعجنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خـير،

فَدل بهذا على أنه ﷺ لا يختص أحدا بشيء من العلم دون غَيرِه.

٢٢٨- وقولُه ﷻ: ﴿ويستفْتونك فِي النساءِ قُلِ الله يفْتِيكُم فِيهن وما يتلَى عليكُم فِي الْكِتابِ﴾ [آية: ١٢٧].

و(ما) في موضِعِ رفْعٍ، والمعنى: قل الله يفتيكم فيهن، والقرآن يفتيكم فيهن.

والذي يفتيكم من القرآن في النساء قولُه ﷻ: **﴿فَانكِحوا ما طَاب لَكُم من النساءِ مثْنى وثُلاثَ ورباع﴾** [آية: ٤].

٢٢٩- ثم قال ﷻ: ﴿فِي يتامى النساءِ اللاتِي لاَ تؤتونهن ما كُتِب لَهن وترغَبونَ أَنْ تنكِحوهن..﴾ [آية: ١٢٧].

قالت عائشة رحمها الله: «هذا في اليتيمه، تكونُ عند الرجل **﴿وترغَبونَ أَنْ تنكِحوهن﴾** [آية: ١٢٧] رغبةَ أحدِكُم عن يتيمتِهِ التي تكون في حِجرِه، حين تكون قليلة المال والجمال، فَنهوا أنْ ينكحُِوا من رغبوا في مالها وجمالها، من يتامى النساء إلا بالقِسط»[(١)].

وفي **بعض الروايات عنها**: هذا في اليتيمة، لعلها تكون شريكته في المال، ولا يريد أن ينكحها، لا يحب أن تتزوج غيره، لئلا يأخذ مالها، قال الله جل اسمه: (وترغبونَ أنْ تنكِحوهن).

قال سعيد بن جبير ومجاهد: ويرغب في نكاحها إذا كانت كثيرة المال.

ولأهل اللغة في هذا تقديران:

أحدهما: أن المعنى وترغبون عن أن تنكحوهن، ثم حذِفَت عن.

وحديث عائشة يقَوي هذا القول.

والقولُ الآخر: وترغبون في أن تنكحوهن، ثم حذِفَت «في».

وإذا تدبرت قول «سعيد بن جبير» تبينت أنه قد جاء بالمعنيين.

=

فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر هو أعلمنا، وقال رسول الله ﷺ: إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بك».

(١) الحديث أخرجه البخاري ٢٩٥/٢ ومسلم برقم ٣٠١٨ في التفسير، وأبو داود رقم ٢٠٦٨ في النكاح.

٢٣٠- ثم **قال** ﷻ: **والمستضعفين من الولدان** [آية: ١٢٧].

قال سعيد بن جبير: كانوا لا يورثُونَ الصغير، فنـزلت: **يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** [آية: ١١].

فعلى قول سعيد بن جبير أفتاهم في المستضعفين قولُه: **يوصيكم الله في أولادكم** .

٢٣١- ثم **قال** ﷻ: **وأنْ تقوموا لليتامى بالقسط..** [آية: ١٢٧].

والقِسطُ العدلُ، وأفتاهم في اليتامى قولُه ﷻ: **ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم** [آية: ٢].

٢٣٢- **وقوله** ﷻ: **وإن امرأةٌ خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا..** [آية: ١٢٨].

النشوز من الزوج: أنْ يسيء عشرتها، ويمنعها نفْسه ونفقته.

٢٣٣- ثم **قال** ﷻ: **فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا..** (١) [آية: ١٢٨].

قرأ أكثر الكوفيين: **أن يصلِحا** (٢).

وقرأ الجحدري وعثمان البتي: **أن يصلِحا** (٣).

والمعنى: يصطلحا ثم أدغم.

فأما تفسير الآية فروى سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة عن علي بن أبي طالب ﵁ قال: «هي المرأة تكون عند الرجل، وهي دميمةٌ أو عجوز، تكره مفارقته، فيصطلحا على أن يجيئها كل ثلاثة أيام، أو أربعة»(٤).

وقالت عائشة: هو الرجل تكون عنده المرأة، لعله لا يكون له منها ولد ولا يحِبها فيريد تخليتها، فتصالحه فتقول: لا تطلقْني وأنت في حلّ من شأني.

---

(١) هذه قراءة ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو يصالحا بفتح الياء والتشديد، كما في السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٢٣٨.

(٢) هذه قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي بضم الياء والتخفيف وكسر اللام يصلِحا وهي من القراءات السبع، كما في النشر لابن الجزري ٢٥٢/٢ والسبعة لابن مجاهد ٢٣٨.

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب في شواذ القراءات لابن جني ٢٠٠/١.

(٤) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم من حديث خالد بن عرعرة عن علي.

وروى الزهري عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار أن هذه الآية نـزلت في «رافع بن خديج» طلّق امرأته تطليقةً وتزوج شابةً، فلما قاربت انقضاء العِدة، قالت له: أنا أصالحُك على بعض الأيام، فراجعها، ثم لم تصبره، فطلقها أُخرى، ثم سألته ذلك، فراجعها، فنـزلت هذه الآية[1].

وفي **حديث هشام** بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن سودة وهبت يومها لعائشة، وكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومَها، ويوم سودة، ابتغت سودةُ بذلك رضى رسول الله ﷺ.

٢٣٤- ثم قال ﷻ: والصلْح خيرٌ [آية: ١٢٨].

والمعنى: والصلح خير من الفُرقة، ثم حذف هذا لعلم السامع.

وقيل في معنى «الله أكْبر»: الله أكْبر من كل شيءٍ.

٢٣٥- ثم قال ﷻ: وأُحضِرتِ الأنفُس الشح.. [آية: ١٢٨].

قال عطاءٌ: يعني الشح في الأيام والنفقة.

ومعنى هذا أن المرأة تشح بالنفقة على ضرايرها وإيثارهن.

وقال سعيد بن جبير: هذا في المرأة تشح بالمال والنفْسِ.

٢٣٦- وقوله ﷻ: ولن تستطِيعوا أن تعدِلُوا بين النساءِ ولو حرصتم.. [آية: ١٢٩].

قال عبيدةُ[2]: في الحُب والجِماع.

٢٣٧- ثم قال ﷻ: فَلا تمِيلُوا كُل الميل.. [آية: ١٢٩].

قال عبيدةُ: يعني بالأنفسِ.

وقال مجاهد: لا تتعمدوا الإساءة.

والمعنى اقْسِموا بينهن بالسوية.

---

(١) الحديث أخرجه مالك في الموطأ ٥٤٨/٢ عن ابن شهاب عن رافع بن خديج.

(٢) عبِيدة بن عمرو السلْماني من كبار التابعين من الفقهاء والمفسرين، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ولم يره، وكان من أصحاب علي، وابن مسعود، وهو من أكابر علماء الكوفة قال عنه ابن معين: ثقة لا يسأل عن مثله، توفي سنة ٧٢هـ، انظر ترجمته في تهـذيب التهـذيب ٨٤/٧، والجـرح والتعديل للرازي ٩١/٦.

وروي عن عائشة رحمها الله أنها قالت: «كان رسولُ الله ﷺ يقْسِم بين نسائِهِ بالعدل ثم يقول: اللهم هذا ما أملِك، فلا تؤاخذْني بما تملِكُه ولا أملِكُه»(١).

٢٣٨- ثم قال ﷻ: **فَتذَروها كالمعلقةِ..** [آية: ١٢٩].

قال الحسن: هي التي ليس لها زوج ولا هي مطلقةٌ.

وقال قتادة: كالمحبوسة وكالمسجونة.

٢٣٩- وقولُه ﷻ: **من كانَ يريد ثَواب الدنيا فَعِند الله ثَواب الدنيا والآخِرةِ** [آية: ١٣٤].

روي أن أكثر المشركين كانوا لا يؤمنون بالقيامة، وإنما يتقربون إلى الله، ليوسع عليهم في الدنيا، ويدفع عنهم مكروهها، فأنـزل الله: **من كانَ يريد ثَواب الدنيا فَعِند الله ثَواب الدنيا والآخِرةِ** .

٢٤٠- وقوله ﷻ: **يا أيها الذِين آمنوا كُونوا قَوامِين بالقِسطِ..** [آية: ١٣٥].

القِسطُ والإقْساطُ: العدل، يقالُ: أقْسط يقْسِطُ إقساطًا، إذا عدلَ، وقَسطَ يقْسِطُ، إذا جار.

٢٤١- ثم قال ﷻ: **شهداءَ للهِ ولَو على أنفُسِكُم أَو الْوالِدين والأقْربين إن يكُن غَنِيا أو فَقِيرا فَالله أولى بِهما..** [آية: ١٣٥].

المعنى: إن يكن المشهود له غنيا، فلا يمنعكُم ذلك من أنْ تشهدوا، وإن يكن المشهود عليه فقيرا، فلا يمنعكُم ذلك من أن تشهدوا عليه.

فإن قيل: كيف يقوم بالشهادة على نفْسِه؟ وهل يشهد على نفسه.

قيل: يكونُ عليه حق لغيره فيقر له به: فذلك قيامه بالشهادة على نفْسِهِ.

أدب الله ﷻ بهذا المؤمنين، كما قال ابن عباس رحِمه الله: أُمِروا أن يقولوا الحق ولو على أنفُسِهم.

٢٤٢- ثم قال ﷻ: **فَلا تتبِعوا الْهوى أن تعدِلُوا..** [آية: ١٣٥].

المعنى: فلا تتبعوا الهوى لأن تعدلوا، وأدوا ما عندكم من الشهادة.

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه ٢٤٢/٢ عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يقسـم بـين نسائه فيعدل ثم يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» يعني القلب.، والنسائي ٦١/٧، وابن ماجه ٦٣٤/١.

فهذا قولُ أكثر أهل اللغة.

ويجوز أن يكون المعنى فلا تتبعوا الهوى كَراهة أن تعدلوا، لأنه إذا خالف الحق، فكأنه كَرِه العدل.

٢٤٣- ثم قال تعالى: وإن تلْووا أو تعرضوا.. [آية: ١٣٥].

روى قابوس بن أبي ظِّبيانٍ، عن أبيه، عن ابن عباس قال: «هو في الخصمين، يتقدمان إلى القاضي، فيكونُ لَيه لأحدِهما، وإعراضه عن الآخر».

وقال مجاهد: وإن تلْووا أي تبدلُوا **أو تعرضوا** تتركُوا.

فمذهب ابن عباسٍ أنّ الّلي من الحاكم، ومذْهب مجاهدٍ، أنه من الشاهِدِ.

وكذلك قال الضحاك: هو أن يلْوي لسانه عن الحق في الشهادة، أو يعرض فيكتمها.

وأصل لوى في اللغة: مطل.

وأنشد سيبويه:

قد كُنت داينت با حسانا مخافــة الإفلاس والليانــا[1]

وقُرئ: وإن تلُووا أو تعرضوا[2]. وفيه قولان:

أحدهما للكسائي، قال: والمعنى من الولاية، وإن تلوا شيئًا أو تدعوه.

وقال أبو إسحاق: من قرأ: (وإنْ تلُوا) فالمعنى على قراءته وإن تلْووا، ثم همز الواو الأولى فصارت تلْؤوا. كما قال: يقال: أدؤر في جمع دارٍ، ثم ألْقى حركة الهمزة على اللام، وحذف الهمزة فصارت تلُوا، كما يقال: آدر في جمع دار.

٢٤٤- وقوله ﷻ: يا أيها الذِين آمنوا آمِنوا بِاللهِ ورسولِهِ.. [آية: ١٣٦].

في **معنى هذا قولان:**

أحدهما: اثبتوا على الإيمان، كما يقال للقائم: قِف حتى أجيء.

أي اثْبت قائما.

---

(١) البيت لرؤبة بن العجاج، وهو في ديوانه ص ١٧٨.

(٢) هذه قراءة حمزة وابن عامر وإن تلوا بواو واحدة واللام مضمومة، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، الكسائي وإن تلووا بواوين الأولى مضمومة، وانظر السـبعة لابـن مجاهـد ص ٢٣٩ والنشر ٢٥٢/٢.

والقولُ الآخر: أنه خطاب للمنافقين، فالمعنى على هذا: يا أيها الذين آمنوا في الظاهر، أخلصوا لله.

هذا: يا أيها الذين آمنوا في الظاهر، أخلصوا لله.

٢٤٥- وقوله ﷻ: **إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً** [آية: ١٣٧].

قال مجاهد: يعني به المنافقون.

قال: ومعنى (**كفروا ثم ازدادوا كفرا**).

ماتوا على ذلك.

وهذا القول ليس يبعد في اللغة، لأنهم إذا ماتوا على الكفر فقد هلكوا فهم بمنـزلة من ازداد.

وقال أبو العالية: **إن الذين آمنوا ثم كفروا** اليهود والنصارى كفروا **ثم ازدادوا كفرا** بذنوب عملوها.

وقال قتادة: **الذين آمنوا ثم كفروا** اليهود والنصارى، آمنت اليهود بالتوراة ثم كفرت يعني بالإنجيل، ثم آمنوا بعزير، ثم كفروا بعيسى، ثم ازدادوا كفرا، بكفرهم بمحمدٍ ﷺ.

وآمنت النصارى بالإنجيل ثم كفرت، وكُفْرهم به تركُهم إياه ثم ازدادوا كفرا بالقرآن وبمحمدٍ عليه السلام.

٢٤٦- وقوله ﷻ: **بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما** [آية: ١٣٨].

[المعنى] اجعل ما يقوم لهم مقام البشارة العذاب.

وأنشد سيبويه:

وخيلٍ قد دلفْت لها بخيلٍ تحيةُ بينهم ضربٌ وجيع[1]

أي الذي يقوم مقام التحية ضرب وجيع.

٢٤٧- وقوله ﷻ: **أيبتغونَ عندهم العزةَ** [آية: ١٣٩].

أيبتغي المنافقون عند الكافرين العزة؟ أي المنعةَ.

قال الأصمعي: يقال: أرض عزاز، بالفتح والكسر، وإذا كانت صلْبةً شديدة: وقولُهم: يعز علي، أي يشتد علي.

(١) البيت لـ عمرو بن معديكرب، انظر الخصائص ٣٥/٤، والكتاب سيبويه ٤٦٥/١.

ومنه قوله تعالى: وعزني في الخطاب [ص: ٢٣] أي قهرني لأنه أعز مني.

ومنه قولهم: "من عز بز" أي من غلب استلب. ومنه قوله " "فعزته يداه وكاهلُه".

٢٤٨- وقوله ﷻ: قالوا ألم نستحوذْ عليكم.. [آية: ١٤١].

يقال: استحوذ [عليه] إذا استولى عليه.

فالمعنى: قال المنافقون للكافرين: ألم نغلِب عليكم بموالاتنا إياكم، ونمْنعكُم من المؤمنين، أي أخبرناكم بأخبارهم لتحذروا ما يكون منهم.

٢٤٩- وقولُه ﷻ: ولن يجعلَ الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً [آية:١٤١].

روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: ذلك في الآخرة.

وقال ابن عباس: ذاك يوم القيامة.

وقال السدي: السبيل الحُجةُ.

وقيل: إن المعنى إن الله ناصر المؤمنين بالحُجة والغلبةِ، ليظْهر دِينهم على الدين كُلِهِ.

٢٥٠- وقوله ﷻ: إن المنافقين يخادِعونَ الله وهو خادِعهم.. [آية: ١٤٢].

قال أهل اللغة: سمي الثاني خداعا، لأنه مجازاةٌ للأول فسمي خِداعا على الازدواج، كما قال ﷻ: **وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثْلُها** [الشورى: ٤٠].

وقال الحسن: إذا كان يوم القيامة أعطى المؤمنون والمنافقون نورا، فإذا انتهوا إلى الصراط، طُفئ نور المنافقين، فيشفِق المؤمنون فيقولون: **ربنا أتمِم لنا نورنا** [التحريم:٨]. فيمضي المؤمنون بنورهم، فينادونهم: **انظُرونا نقْتبِس مِن نورِكُم** [الحديد: ١٣] الآية.

قال الحسن: فتلك خديعةُ الله إياهم.

وهذا القول ليس بخارج من قول أهل اللغة، لأنه قد سماه خِداعا، لأنه مجازاةٌ لهُم.

٢٥١- ثم **قال** ﷻ: **وإذَا قاموا إلى الصلاةِ قاموا كُسالى يراءُونَ الناس ولا يذْكُرونَ الله إلا قَلِيلاً** [آية: ١٤٢].

قال الحسن: إنما قل لأنه لغير الله.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «ما قل عملٌ مع تقى، وكيف يقل ما يتقبلُ».

٢٥٢- ثم **قال** ﷻ: **مذَبذَبين بين ذَلك لا إلى هؤلاءِ ولا إلى هؤلاءِ** [آية: ١٤٣].

قال قتادة: ولا يكونون مخلصين بالإيمان، ولا مصرحين بالكفر.

وروى عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**مثلُ المنافق كمثل الشاة العائرةَ** بين **غنمين، إذا جاءت** إلى **هذه نطحتها، وإذا جاءت إلى هذه نطحتها فلا نتبع هذه ولا هذه**»[1].

وأصلُ التذبذب في اللغة التحرك والاضطراب، كما قال:

ألمْ تر أن الله أعطاك سورة ترى كُل ملْكٍ دونا يتذبذب[2]

فالمعنى: إن المنافقين متحيرون في دينهم، لا يرجعون إلى اعتقاد شيءٍ على صحةٍ، ليسوا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع المشركين على جهالة، فهم حيارى بين ذلك.

والنفاق مأخوذ من النافقاء، وهو أحد جحور اليربوع، إذا أخِذت عليه المواضع، خرج منه ولا يفطن إليه.

وكذلك المنافق يظهر الإسلام، ويخرج منه سراً.

وفي الحديث: «**للمنافق ثلاثُ علاماتٍ: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائْتمِن خان**»[3].

٢٥٣- وقوله ﷻ: **أتريدونَ أن تجعلُوا للهِ عليْكُم سلْطَانا مبينا** ؟ [آية:١٤٤].

قال قتادة: السلطانُ: الحُجةُ. وكذلك هو عند أهل اللغة.

٢٥٤- وقوله ﷻ: **إن المنافِقين في الدركِ الأسفَل من النار..** [آية: ١٤٥].

قال عبد الله بن مسعود: «يجعلون في توابيت من حديدٍ تغلق عليهم» وفي بعض الحديث: من نارٍ، ثم تطبق عليهم. والأدراك في اللغة: المنازلُ والطبقات.

٢٥٥– وقوله ﷻ: **ما يفْعلُ الله بعذَابكُم إن شكَرتم وآمنتم وكانَ الله شاكِرا علِيما لا يحِب الله الْجهر بالسوءِ من القَول إلا من ظُلِم..** [آية: ١٤٧- ١٤٨].

وقرأ زيد بن أسلم وابن أبي إسحاق: **إلا من ظَلَم** [4].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب المنافقين ٢١٤٦/٤، وأحمد في المسند ٤٧/٢.

(٢) البيت للنابغة يمدح به النعمان بن المنذر، وهو في ديوانه ص ١٧٥.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في الإيمان ٨٣/١ ومسلم برقم٥٩ ولفظه: «آية المنافق ثلاث، وإن صـام وصلى وزعم أنه مسلم: «إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائْتمِن خان».

(٤) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٠٣/١ قال أبو الفتح: ظلم، ظُلم، جميعـا على الاستثناء المنقطع، أي لكن من ظلم فإن الله لا يخفي عليه أمره، ودل على ذلك قوله تعـالى: وكان الله سميعا عليما .

وعلى هذه القراءة فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

قال الضحاك: المعنى: ما يفعلُ الله بعذابكم إلا من ظَلَم.

وقيل: المعنى: لا يجهر أحد بالسوء، إلا من ظلم فإنه يجهر به اعتداءً.

وقال أبو إسحاق الزجاج: يجوز أن يكون المعنى إلا من ظلم فقال سوءً فإنه ينبغي أن تأخذوا على يديه، ويكون استثناءً ليس من الأول.

وعلى الجوابين الأولين يكون استثناءً ليس من الأول أيضا.

ومن قرأ: **﴿إلا من ظُلِم﴾**[1] ففيه أقوالٌ:

أحدها: روي عن مجاهد أنه قال: (نـزلت هذه الآية في رجلٍ ضاف قوما فلم يحسِنوا إليه، فذكرهم بما فعلوا، فعابوه بذلك، فنـزلت: **﴿لا يحِب الله الْجهر بِالسوءِ مِن الْقَولِ إلا من ظُلِم﴾**.

فالمعنى على هذا: لكنْ من ظُلِم فله أنْ يذكر ما فُعِل به.

قال الحسن: «هذا في الرجل يظْلم فلا ينبغي أنْ يدعو على من ظلمه، ولكن ليقُل: اللهم أعني عليه، واستخرج لي حقّي منه، ونحو ذلك».

وقال قطرب: **﴿إلا من ظُلِم﴾** إنما يريد المُكْره، لأنه مظلوم، وذلك موضوع عنه وإنْ كفر.

قال: ويجوز أن يكون المعنى **﴿إلا من ظُلِم﴾** على البدل، كأنه لا يحب الله إلا من ظُلِم، أي لا يحب الظالم، وكأنه يقول يحب من ظُلِم. أي يأجر من ظُلم.

والتقدير على هذا القول: لا يحب الله ذا الجهر بالسوء إلا من ظُلِم، على البدل.

٢٥٦- وقوله ﷻ: **﴿إن الذِين يكْفُرونَ بِاللهِ ورسلِهِ ويرِيدونَ أن يفَرقُوا بين الله ورسلِهِ ويقُولُونَ نؤمِن بِبعض..﴾** [آية: ١٥٠].

قال قتادة: هم اليهود والنصارى، آمنت اليهود بموسى والتوراة والإنجيل، وكفرت بعيسى والإنجيل، وآمنت النصارى بعيسى والإنجيل، وكفرت بمحمد والقرآن.

٢٥٧- ثم **قال** ﷻ: **﴿ويرِيدونَ أن يتخِذُوا بين ذَلِك سبِيلاً﴾** [آية: ١٥٠].

قال قتادة: اتخذوا اليهودية والنصرانية وابتدعوها، وتركوا دين الله الإسلام، الذي

---

(١) هذه قراءة الجمهور بالبناء للمجهول، وهي القراءة التي اتفق عليها القراء، والقراءة الأولى شـاذة كما أسلفنا.

لم يرسلْ نبي إلا به.

٢٥٨- وقوله ﷻ: **قد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرةً..** [آية: ١٥٣].

قال قتادة: أي عيانا.

وقال أبو عبيدة: هو من صفة القول، والمعنى: فقالوا جهرة أرنا الله.

والقولُ عند أهل النظر قول قتادة.

والمعنى: فقالوا أرنا الله رؤية منكشفةً، لأن من عرف الله فقد رآه عِلْما.

٢٥٩- وقولُه ﷻ: **ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم..** [آية: ١٥٤].

الطور: الجبل.

٢٦٠- ثم **قال** ﷻ: **وقُلْنا لهم ادخلُوا الباب سجدا..** [آية: ١٥٤].

قال قتادة: كنا نحدثُ أنه باب من أبواب بيت المقدس.

٢٦١- ثم **قال** ﷻ: **وقُلْنا لهم لا تعدوا في السبتِ..** [آية: ١٥٤].

قال قتادة: نهوا عن صيدِ الحيتان في يوم السبت.

ويقال: عدا، يعدو، عدواً، وعدوانا، وعداءً وعدواً: إذا جاوز الحق.

ويقْرأُ: **تعدوا** بمعنى تعتدوا[1].

٢٦٢- وقوله ﷻ: **فبما نقْضِهم ميثاقَهم..** [آية: ١٥٥].

(ما) زايدة للتوكيد، يؤدي عن معنى قولك حقًا.

وفي معناه ثلاثة أقوال: **أحدها:** أن قتادة قال: المعنى: فبنقْضِهم ميثاقهم لعناهم فعلى قول قتادة حذِف هذا لِعلْم السامع.

وقال الكسائي: هو متعلق بما قبله والمعنى فأخذ م الصاعقة بظلمهم، ثم عطف على ذلك إلى قوله: **فبما نقْضِهم ميثاقَهم** .

فزعم أنه فسر «ظُلْمهم» الذي أخذ م الصاعقة من أجله بما بعده، من نقضهم ميثاقهم، وقتلهم الأنبياء، وسائر ما بين من أمورهم التي ظلموا فيها أنفسهم.

وهذا خطأٌ وغلطٌ، لأن الذين أخذ م الصاعقة كانوا على عهد موسى، والذين

---

(١) هذه قراءة ورش بفتح العين وتشديد الدال تعدوا وقرأ الباقون تعدوا وانظر السبعة لابـن مجاهد ص٢٤٠.

قتلوا الأنبياء، ورموا مريم بالبهتان، كانوا بعد موسى عليه السلام بدهرٍ طويل، فليس الذين أخذ م الصاعقة أخذ م برميهم مريم بالبهتان.

وقولُ قتادة أولاها بالصواب.

قال أبو جعفر: قال أبو إسحاق: المعنى فبما نقْضِهم ميثاقُهم حرمنا عليهم طيباتٍ أُحلت لُهم، ونقضهم الميثاق أنه أُخِذَ عليهم أن يبينوا صفة النبي ﷺ فنقضوا ذلك وكتموها.

٢٦٣- وقوله ﷻ: **وقَولِهم قُلُوبنا غُلْفٌ بلْ طَبع الله عليها بِكُفْرِهِم** [آية: ١٥٥].

قال قتادة: **غُلْفٌ** أي لا تفهم.

ومعنى **بلْ طَبع الله عليها** ختمها مجازاةً على كُفرهم.

وهو تمثيلٌ يقال: طَبع السيف يطْبع طبعا: إذا غطاه الصدأُ.

٢٦٤- وقوله ﷻ: **وما قَتلُوه وما صلبُوه ولكِن شبه لَهم..** [آية: ١٥٧].

قال مجاهد: قتلوا رجلاً توهموا أنه عيسى ﷺ، ورفع الله عيسى حيا.

وقال قتادة: قال عيسى: أيكم يقْذَف عليه شبهي فيقْتل ويدخل الجنة؟ فقال رجل منهم: أنا، فَقُتِلَ.

وقال غيره: يعذبون على أنم قتلوا نبيا، لأن تلك نيا م.

٢٦٥- ثم **قال** ﷻ: **وإن الذِين اختلفُوا فِيهِ لَفِي شك منه..** [آية: ١٥٧].

لأن مقالتهم فيه مختلفةٌ وهم في شك منه.

٢٦٦- وقوله ﷻ: **وما قَتلُوه يقِينا..** [آية: ١٥٧].

المعنى عند أهل اللغة: وما قتلوا العلم يقينا.

كما يقول: قتلته علما، وقتلته يقينا: إذا علمته علما تاما.

قال أبو عبيد: ولو كان المعنى: وما قتلوا عيسى يقينا لقال: «وما قتلوه» فقط.

٢٦٧- وقوله ﷻ: **وإن من أهل الكِتابِ إلا لَيؤمِنن بِهِ قَبلَ موتِهِ..** [آية: ١٥٩]. في معنى هذه الآية ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنه روى الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَينـزلَن ابن مريم حكما عدلا، فليقْتلَن الدجال، وليقتلن الخِنـزير، وليكْسرن الصليب، وتكون السجدةُ واحدةً لله رب العالمين**»[1].

---

(١) هذه الرواية أخرجها ابن مردويه كما في الدر المنثور ٢٤٢/٢، وابن كـثير ٤٠٧/٢، والحـديث =

ثم قال أبو هريرة: واقرؤوا إنْ شئتم: **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته**، قال أبو هريرة: قبل موت عيسى، يعيدها ثلاث مرات.

وقال قتادة: **قبل موته** قبل موت عيسى.

ب- وقال ابن عباس: **قبل موته** قبل موت الذي من أهل الكتاب.

وقال بهذا القول: الحَسن، وعكرمةُ.

وهذا القول رواه عن ابن عباسٍ عكرمةُ.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن معنى **قبل موته** قبل موت عيسى ﷺ.

جـ- وقال غيره هؤلاء: أن المعنى وإنْ من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موته.

وهذه الأقوال غير متناقضة، لأنه يتبين عند موته الحق، فيؤمن حين لا ينفعه الإيمانُ.

قال محمد بن جرير: أولى الأقوال بالصواب والصحة قولُ من قال: تأويلُ ذلك، إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وأن ذلك في خاص من أهل الكتاب، ومعني به أهل زمان منهم، دون أهل كل الأزمنة التي كانت بعد عيسى، وإن ذلك عند نـزوله، ولم يجرِ لمحمد في الآيات التي قبل ذلك ذِكْر، فيجوز صرف الهاء التي في (ليؤمنن به) إلى أنها مِن ذِكْره، وإنما **ليؤمنن به** في سياق ذِكْرِ عيسى وأمه واليهود.

٢٦٨- وقوله ﷻ: **فبظلمٍ من الذين هادوا حرمنا عليهم طيباتٍ أحلت لهم..** [آية: ١٦٠].

يبين هذا قوله ﷻ: **وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر..** [الأنعام: ١٤٦] إلى آخر الآية.

=

رواه الشيخان بلفظ آخر، ففي البخاري ٢٠٥/٤ في كتاب الأنبياء من رواية أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينـزل فيكم ابن مريم، حكمـا عـدلاً، فيكسـر الصليب، ويقتل الخنـزير، ويضع الجزية- أي لا يقبلها- ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حـتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم وإن مـن أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ورواه مسلم في كتـاب الإيمان ٩٣/١.

٢٦٩- وقوله ﷻ: لَكِنِ الراسِخونَ فِي الْعِلْمِ مِنهم والْمؤمِنونَ يؤمِنونَ بِما أُنزِلَ إِليك وما أُنزِلَ مِن قَبلِك.. [آية: ١٦٢].

الراسخ: الثابت، و«منهم» يعني أهل الكتاب.

٢٧٠- ثم قال ﷻ: والْمقِيمِين الصلاةَ.. [آية: ١٦٢].

وفيه معنى المدح. أي واذكروا المقيمين الصلاة.

٢٧١- وقوله ﷻ: إِنا أَوحينا إِليك كَما أَوحينا إِلى نوحٍ والنبِيين مِن بعدِهِ.. [آية: ١٦٣].

هذا متصِلٌ بقوله: **يسأَلُك أَهلُ الْكِتابِ أَن تنزلَ عليهم كِتابا من السماءِ** [آية: ١٥٣].

فأعلَم الله أن أمره كأمر النبيين الذين قبله، يوحى إليه كما يوحى إليهم.

٢٧٢- وقوله ﷻ: وآتينا داود زبورا [آية: ١٦٣].

ويقْرأُ: **زبورا** (١)، بضم الزاي

قال الكسائي: من قرأ: زبورا فهو عنده واحد مثل التوراة والإنجيل.

وقال غيره: هو فَعولٌ بمعنى مفْعولٍ، كما يقال: حلُوب، بمعنى محلُوبٍ، يقالُ: زبرته فهو مزبور، أي كتبته، و«زبور» بمعنى مزبور.

ومن قرأ «**زبورا**» فهو عنده جمع زبر.

٢٧٣- وقوله ﷻ: وكَلم الله موسى تكْلِيما [آية: ١٦٤].

مؤكد، يدل على معنى الكلام المعروف، لأنك إذا قلت: كلمت فلانا، جاز أن يكون أوصلت إليه كلامك، وإذا قلت كلمته تكليما، لم تكن إلا من الكلام الذي يعرف.

فأخبر الله بِخصيصاء الأنبياء، ثم أخبر بما خص به موسى ﷺ.

٢٧٤- وقوله ﷻ: لَكِنِ الله يشهد بِما أَنزلَ إِليك أَنزلَه بِعِلْمِهِ.. [آية: ١٦٦].

قال القُتبي: و«لَكِن» لا تكون إلا بعد نفي، قال: فهي محمولةٌ على المعنى، لأنهم لما كذبوا فقد نفَوا، فقال ﷻ **لَكِنِ الله يشهد بِما أَنزلَ إِليك** .

---

(١) هذه القراءة زبورا من القراءات السبع، قرأ بها حمزة وحده، وقرأ بقية السبعة زبورا بفتح الزاي، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٠.

قال أبو جعفر: وهذا غلطٌ، لأن «لكن» عند النحويين إذا كانت بعدها جملةٌ، وقعت بعد النفي، والإيجاب، وبعدها هاهنا جملة، وإنما يقول النحويون: لا تكونُ إلا بعد نفي، إذا كان بعدها مفرد.

وقوله: «أنـزله بعلْمِهِ» أي أنـزله وفيه عِلْمه، كما تقول: جاء فلانٌ بالسيف أي وهو معه، وكما قال ﷻ **تنبت بالدهن** [المؤمنون: ٢٠].

٢٧٥- وقوله ﷻ: **لَن يستنكِف الْمسِيح أَن يكُونَ عبدا للهِ ولاَ الْملاَئِكَةُ الْمقَرَّبونَ..** [آية: ١٧٢].

قال قتادة: «لن يستنكف»: لن يحتشم.

والاستنكاف عند أهل اللغة: الأنفةُ، وهو من نكَف ينكِف إذا نحى الدمعة عن خده بيده.

٢٧٦- وقوله ﷻ: **يا أَيها الناس قَد جاءَكُم برهانٌ من ربكُم..** [آية: ١٧٤].

قال مجاهد: حجةَ.

وقال سفيان: يعني بالبرهان النبي ﷺ

٢٧٧- ثم **قال** ﷻ: **وأَنـزلْنا إِلَيكُم نورا مبِينا** [آية: ١٧٤].

قال قتادة: هو القرآن.

وهو عند أهل اللغة «تمثيلٌ» لأن أصل النور، هو الذي يبين الأشياء، فمثل ما يعلم بالقلب بما يرى عيانا.

٢٧٨- وقولُه ﷻ: **يستفْتونك قُل الله يفْتِيكُم فِي الْكَلاَلَةِ..** [آية: ١٧٦].

الكلالةُ: من لا والد له وله ولد، وقد شرحنا معناه في أول السورة.

قال البراء بن عازب: آخر آية نـزلت **يستفْتونك قُل الله يفْتِيكُم فِي الْكَلاَلَةِ** .

٢٧٩- وقوله ﷻ: **يبين الله لَكُم أَن تضِلوا واللهُ بِكُل شيءٍ علِيمٌ** [آية: ١٧٦].

قال الكسائي: المعنى: يبين الله لكم لئلا تضلوا.

قال أبو عبيد: فحدثت الكسائي بحديث رواه ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يدعون أحدكم على ولده، أن يوافق من الله إجابةً**»(١) فاستحسنه.

---

(١) الحديث رواه مسلم برقم ٣٠٠٦، ورواه أبو داود برقم ١٥٣٢، وابن حبان في صحيحه برقم ٢٤١١.

والمعنى عند أبي عبيد: لئلا يوافق من الله إجابة.

وهذا القولُ عند البصريين خطأ، لا يجيزون إضمار «لا».

والمعنى عندهم: يبين الله لكم كراهة أن تضلوا، ثم حذِف.

كما قال تعالى: **واسأل القَرية** [يوسف: ٨٢] وكذا معنى حديث النبي ﷺ أي كراهة أن يوافق من الله إجابةً.

وقولٌ ثالث أن المعنى: يبين الله لكم الضلالة، لأن معنى «أن تفعلوا» فِعلكم، كما تقول: يعجبني أن تقوم أي قيامك.

انتهت سورة النساء

۞ ۞ ۞

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورة المائدة وهي مدنية

روي عن علْقَمة أنه قال: «كل ما كان في القرآن **يا أيها الذين آمنوا** فنـزل بالمدينة، وكل ما كان في القرآن **يا أيها الناس** فنـزل بمكة.

١- من ذلك قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود [آية: ١].

قال مجاهد: العقود: العهود.

وذلك معروف في اللغة، يقال: عهدت إليه إذا أمرته بأمرٍ، وعقدت عليه، وعاقدته: إذا أمرته واستوثقت منه.

وقيل: يراد بالعقود هاهنا الفرائض.

٢- ثم **قال** ﷻ: **أحلت لكم بهيمةُ الأنعامِ إلا ما يتلى عليكم** [آية: ١].

قال الحسن: الأنعام: الإبلُ، والبقر، والغنم.

وروى عوف عن الحسن **بيمة الأنعام** : الشاةُ: والبعير، والبقرةُ.

وروى زهير بن معاوية عن قابوس بن أبي ظبيان قال: «ذبحنا بقرةً، فأخذ الغلمان من بطنها ولدا ضخما، قد أشعر، فشووه ثم أتوا به أبا ظبيان، فقال: حدثنا عبد الله بن عباس أن هذا يمة الأنعام».

قال أبو جعفر: الأولُ أولى لأن بعده (إلا ما يتلى عليكم) وليس في الجنة ما يستثنى. وقيل لها « يمة النعام» لأ ا أُ مت عن التمييز.

٣- ثم **قال** ﷻ: **غير محلي الصيدِ وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد** [آية: ١].

واحد الحُرم حرام، وحرام بمعنى محرم، قيل له محرم وحرام لما حرم عليه من النكاح وغيره.

يقال: أحرم إذا دخل في الحرام، كما يقال: أشتى إذا دخل في الشتاء، وأشهر: إذا دخل في الشهر.

٤- وقوله ﷻ: **يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله** [آية: ٢].

قال أبو عبيدة: الشعائر: الهدايا، الواحدة شعِيرة.

وقال غيره: شعيرة بمعنى مشعرة.

وقال الأصمعي: أشعرتها: أعلمتها.

وروى الأسود بن يزيد عن عائشة قالت: إنما أُشعِرت ليعلم أ ا بدنة.

وقال مجاهد: «شعائر الله» الصفا، والمروة، والحرم.

والمعنى على هذا القول: لا تحلوا الصيد في الحرم، والتقدير: لا تحلوا لأنفسكم شعائر الله.

ومن قال بأنها البدنُ، فالآية عنده منسوخة.

قال الشعبي: ليس في المائدة آية منسوخة إلا ﴿يا **أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله**﴾ وكذلك قال قتادة.

وقال نسختها ﴿**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِين حيثُ وجدتموهم**﴾ [التوبة: ٥] وكانوا قبل قد مُنِعوا من قتالهم في الشهر، إذا كانوا آمين البيت الحرام.

٥- ثم **قال** ﷻ: ﴿**ولاَ الشهر الْحرام**﴾ [آية: ٢] وهو رجب.

٦- ثم **قال** ﷻ: ﴿**ولاَ الْهدي**﴾ واحد الهَدي هديةٌ.

٧- ثم **قال** ﷻ: ﴿**ولاَ الْقَلاَئِد**﴾.

قال الضحاك وعطاء: كانوا يأخذون من شجر الحرم، فلا يقْربون إذا رئي عليهم.

٨- ثم **قال** ﷻ: ﴿**ولاَ آمين الْبيت الْحرام**﴾ الأم: القصد، أي لا تستحلوا منع القاصدين البيت الحرام.

ويجوز أن يكون المعنى لا تحلوا قصد الآمين ثم حذف.

٩- ثم **قال** ﷻ: ﴿**يبتغونَ فَضلاً من ربهم ورِضوانا**﴾ [آية: ٢].

قال ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: يبتغون الأجر، والتجارة.

١٠- ثم **قال** ﷻ: ﴿**وإِذَا حلَلْتم فَاصطَادوا**﴾ [آية: ٢].

وهذا إباحةٌ بعد حظر، وليس بحتم.

١١- ثم **قال تعالى**: ﴿**ولاَ يجرِمنكُم شنآنُ قَومٍ أن صدوكُم عن الْمسجِدِ الْحرامِ أَن تعتدوا**﴾ [آية: ٢].

قال أبو عبيدة: ﴿**ولاَ يجرِمنكُم**﴾ لا يكسبنكم، وأنشد:

ولقد طَعنت أبا عيينــة طَعنةً ... جرمت فَزارةُ بعدها أنْ يغضبوا[1]

---

(١) البيت لأبي أسماء بن الضريبة كما في الخزانة ٣١٠/٤، قد استشهد به صاحب اللسان، وهو في الطبري ٦٣/٦ والقرطبي ٤/٦ والمحرر الوجيز لابن عطية ٣٢٩/٤ ومجــاز القــرآن لأبي عبيــدة ١٤٧/١ ومراده أن هذه الطعنة أكسبت فزارة الغضب، وحملتها على الغضب لأنها كانت ضــربة =

وقال الأخفش: ولا يحقنكم.

وقال الفراء: ولا يحملنكم.

وهذه المعاني متقاربة لأن من حمل رجلاً على إبغاض رجل فقد أكسبه إبغاضه، فإذا كان الأمر كذلك، فالذي هو أحسن أن يقال ما قاله ابن عباس وقتادة، قالا: أي لا يحملنكم شنآنُ قومٍ على العدوان.

وقرأ الأعمش: **ولا يجرمنكُم** بضم الياء[1].

قال الكسائي: جرم يجرِم، وأجرم يجرِم، بمعنى واحد، الفتح في هذا أكثر، والضم في الجناية أكثر.

والشنآنُ: الإبغاض، ويقرأ «شنئانُ» بإسكان النون[2] وليس بالحسن، لأن المصادر لا تكاد تكون على «فَعلان».

وقرأ أبو عمرو (إنْ صدوكُم) بكسر الهمزة بمعنى الشرط.

وروي عن الأعمش أنه قرأ (إنْ يصدوكُم)[3].

وهو لحن عند النحويين لأن «إن» إذا جزمت لم يتقدم جوا ا. والمعنى على قراءة من فَتح **ولا يجرمنكُم شنآنُ قومٍ** لأن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا.

ومن كسر فالمعنى عنده إن فعلوا هذا.

والمعنى على الفتح لأنه يروى (أن النبي ﷺ لما فتح مكة، قتل رجل من أصحابه رجلاً من أهل مكة، كان يقتل حلفاء النبي ﷺ، فنـزلت هذه الآية).

١٢- وقوله ﷻ: حرمت عليكُم الميتةُ والدم ولحم الخِنـزير [آية: ٣].

يقال: ميتةٌ وميتةٌ بمعنى واحد، هذا قول من يوثق به من أهلُ اللغة.

وقيل: الميَتةٌ ما لم تمت بعد، والمْيتة التي قد ماتت.

وروي أ م كانوا يجعلون الدم في المباعر ثم يشوو ا ويأكلو ا، فحرم الله ﷻ: الدم

=

قاسية.

(١) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب لابن جني ٢٠٦/١.

(٢) هذه قراءة عاصم برواية أبي بكر عنه، وروى عنه حفص (شنآنُ) بفتح النون، وهي قراءة الجمهور ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وأبي عمرو، انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٢، والنشر ٢٥٣/٢.

(٣) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب ٢٠٦/١.

المسفوح، وهو المصبوب.

١٣- ثم **قال** ﷻ: **وما أُهِلَ لغير الله به** [آية: ٣].

أي ذبح لغير الله، وذكر عليه غير اسمه.

وأصلُ الإهلال: الصوت ومنه سمي الإهلالُ بالحج، وهو الصوت بالتلبية، وإيجاب الحج، ومنه استهلالُ المولود، ومنه أهل الهلالُ، لأن الناس إذا رأوه أومأوا إليه بأصوا م.

١٤- ثم **قال** ﷻ: **والْمنخنِقَةُ** [آية: ٣].

قال قتادة: هي التي تموت في خناقها.

١٥- ثم **قال** ﷻ: **والْموقُوذَةُ** [آية: ٣].

قال الضحاك: كانوا يأخذون الشاه أو غيرها من البهائم فيضربو ا عند آلهتم حتى تموت ثم يأكلو ا.

ويقال: وقَذَه، وأقَذَه، فهو موقَوذ وموقَذ، إذا ضربه حتى يشفى على الهلاك، ومنه قيل: فلانٌ وقيذ.

١٦- ثم **قال** ﷻ: **والْمترديةُ** [آية: ٣].

قال الضحاك: المترديةُ: أن تتردى في ركيةٍ أو من جبل، ويقال: تردى إذا سقط، ومنه **وما يغني عنه مالُه إذا تردى** [الليل: ١١]؟

والنطيحةُ: المنطوحةُ.

١٧- ثم **قال** ﷻ: **وما أَكلَ السبع** [آية: ٣].

أي ما افترسه فأكل بعضه.

وقرأ الحسن: السبع وهو مسكن استثقالاً للضمة.

١٨- ثم **قال** ﷻ: **إلا ما ذَكيتم** [آية: ٣].

والتذكية: أن تشخب الأوداج دما، ويضطرب اضطراب المذبوح.

وأصلُ التذكية في اللغة: التمام، وقال زهير:

يفضلُه إذا اجتهدا عليه تمام **السن منه والذكاءُ**[1]

ومنه لفلان ذكاء أي هو تام الفهم، وذكيت النار: أي أتممت إيقادها.

---

(١) البيت في ديوانه ص٦٩.

وذكيت الذبيحة: أتممت ذبحها على ما يجب.

١٩- ثم **قال** ﷻ: **وما ذُبِح على النصبِ** [آية: ٣].

وقرأ طلحةُ (على النصبِ).

قال مجاهد: هي حجارة كانت حوالي مكة يذبحون عليها، وربما استبدلوا منها.

ويجوز أن يكون جمع نصاب.

٢٠- ثم **قال** ﷻ: **وأنْ تستقْسِموا بِالأزلامِ** [آية: ٣].

قال قتادة: كان أحدهم إذا أراد أن يخرج، كتب على قدح يعني السهم «تأمرني بالخروج «وعلى الآخر لا تأمرني بالخروج» وجعل بينهما سهما منيحا لم يكتب عليه شيئًا، فيجيلُها فإن خرج الذي عليه تأمرني بالخروج خرج، وإن خرج الذي عليه لا تأمرني بالخروج لم يخرج، وإن خرج المنيح رجع فأجالها.

وإنما قيل لهذا الفعل استقسام، لأ م كانوا يستقسمون به الرزق وما يريدون، كما يقال الاستسقاء في الاستدعاء للسقي.

ونظير هذا الذي حرمه الله قول المنجم: لا تخرج من أجل نجم كذا، أو اخرج من أجل نجم كذا.

وقال ﷻ: **وما تدري نفْس ماذَا تكْسِب غَدا وما تدري نفْس بِأي أرض تموت** [لقمان: ٣٤].

قال أبو جعفر: وذكر محمد بن جرير أن ابن وكيع حدثهم عن أبيه عن شريك عن أبي حصين عن سعيد بن جبير أن الأزلام حصى بيض كانوا يضربون ا.

قال محمد بن جرير: قال لنا سفيان بن وكيع هي الشطرنج.

٢١- ثم **قال** ﷻ: **ذَلكُم فِسق** [آية: ٣].

والفسق: الخروج، أي الخروج من الحلال إلى الحرام.

وقوله ﷻ: **الْيوم يئِس الذِين كفَروا مِن دِينِكُم** [آية: ٣].

قال ابن عباس: **يئِس الذِين كفَروا مِن دِينِكُم** .

المعنى: يئس الذين كفروا أن تعود الجاهلية.

وقال ورقاء: المعنى: الآن يئس الذين كفروا من دينكم.

وهذا معروف عند أهل اللغة كما تقول: أنا اليوم كبرت عن هذا.

٢٢- وقوله ﷻ: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾** [آية: ٣].

روي أن أناسا من اليهود قالوا: لو نـزلت هذه الآية علينا، لأتخذنا ذلك اليوم عيدا، فقال عمر ﷺ: نـزلت في يوم جمعة، يوم عرفة[1].

وروي عن علي ﷻ أنه قال: «نـزلت يوم عرفة أو عشية عرفة».

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: الآن أكملت لكم دينكم، بأن أهلكتُ عدوكم، وأظهرت دينكم على الدين كله، كما تقول: قد تم لنا ما نريد، إذا كفيت عدوك.

ويجوز أن يكون المعنى: اليوم أكملت لكم دينكم فوق ما تحتاجون إليه من الحلال والحرام في أمر دينكم.

وروى إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة أنه قال: في المائدة ثماني عشر فريضة ليست في غيرها «تحريم الميتة، والدم، ولحم الخنـزير، وما أُهِل لغير الله به، والمنخنقة، والموقوذةُ، والمترديةُ، والنطيحةُ وما أُكل السبع، وما ذبح على النصب، والاستقسام بالأزلام، وتحليلُ طعام الذين أوتوا الكتاب، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب، والجوارح مكلبين، وتمام الطهور ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [آية: ٦] وقوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [آية: ٣٨] وقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ﴾ [آية: ١٠٣].

ويروى أ ا آخر سورة أنـزلت.

٢٣- وقوله ﷻ: **﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾** [آية: ٣].

المخمصةُ: ضمور البطن من الجوع.

٢٤- ثم **قال** ﷻ: **﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾** [آية ٣].

---

(١) الحديث رواه البخاري ٢٠٣/٨، ومسلم ٢٣١٢/٤، وأحمد في المسند ٢٣٧/١، وفي سنن الترمذي ٩٦/٤، والنسائي ١١٤/٨، من حديث طارق بن شهاب قال: «جاء رجل من اليهود إلى عمر ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين إنكم تقرءون آية من كتابكم، لو علينا معشر اليهود نـزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا !! قال: وأي آية هي؟ قال قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي﴾ فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نـزلت فيه على رسول الله ﷺ، والساعة التي نـزلت فيها، والمكان الذي نـزلت فيه، نـزلت على رسول الله وهو قائم بعرفة، في يوم جمعة».

قال قتادة: الإثم: هاهنا أن تأكل منها فوق الشبع.

٢٥- ثم قال ﷻ: ﴿**فإن الله غفور رحيم**﴾ [آية: ٣].

أي رحِمكم فأباح لكم هذه الأشياء عند الضرورة.

٢٦- وقوله ﷻ: ﴿**يسألونك ماذا أحِل لهم قُلْ أحِل لكُم الطيبات وما علمتم من الْجوارِح مكلِبين**﴾ [آية: ٤].

وقرأ عبد الله بن مسعود والحسن وأبو رزين ﴿**مكْلِبين**﴾[1].

ومعنى مكلبين: أصحاب كلاب، يقال كلب فهو مكلب، وكلاب، ويقال: أكْلب فهو مكْلب إذا كثرت عنده الكلاب، كما يقال: أمشى فهو ممش، إذا كثرت ماشيته.

وأنشد الأصمعي:

وكل فتى **وإنْ أمشى فأثْرى** **ستخلِجه عن الدنيـا منونُ**[2]

وروى عن أبي رافع أنه قال: لما أمر النبي ﷺ بقتل الكلاب، سألوه ما يحل من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنـزلت ﴿**يسألونك ماذا أحِل لهم**﴾؟ وقرأ إلى آخر الآية[3].

والجوارح في اللغة: الكواسب، يقال ما لفلانة جارح أي كاسب.

وقال مجاهد في **قول الله** ﷻ: ﴿**ويعلم ما جرحتم بالنهار**﴾ [آية: ٦٠]. قال ما كسبتم.

وقال مجاهد في معنى (الجوارح): إ ا الكلاب، والطير.

وقال طاووس: يحل صيد الطير، لقوله تعالى: ﴿**مكلِبين**﴾.

وليس في الآية دليلٌ على تحريم صيد سوى الكلاب، لأن معنى «مكلبين» محرشون والإجماع يقوي قول طاووسٍ على تحليل صيد الطير.

٢٧- وقوله ﷻ: ﴿**فكُلُوا مِما أمسكْن عليكُم**﴾ [آية: ٤].

قال سعد بن أبي وقاص وسلمان وعبد الله بن عمر وأبو هريرة: «إذا أمسك عليك فكل، وإن أكل» وهذا قولُ أهل المدينة.

وروي عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ أنه قال: إن امسك عليك ولم يأكلْ فكُلْ،

(١) وهي قراءة شاذة، انظر المحتسب ٢٠٨/١.

(٢) البيت للنابغة الذبياني، كما في لسان العرب لابن منظور، والصحاح للجوهري ٢٤٩٣/٦.

(٣) الحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٥٩/٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وابن المنذر، والطـبراني والبيهقي عن أبي رافع.

وهذا قول أهل الكوفة.

٢٨- وقوله ﷻ: **وطَعام الذِين أوتوا الْكِتاب حِل لكُم** [آية: ٥].

قال مجاهد وإبراهيم: يعني الذبائح.

٢٩- وقوله ﷻ: **والْمحصنات مِن الْمؤمِناتِ والْمحصنات مِن الذِين أوتوا الْكِتاب مِن قَبلِكُم** [آية: ٥].

روى عن ابن عباس أنه قال: المحصنات: العفيفات العاقلات.

وقال الشعبي: هو أن تحصن فرجها فلا تزني، وتغتسل من الجنابة.

والقراءة على قول الشعبي (والمُحصِنات) بكسر الصاد، وبه قرأ الكسائي.

والمحصنةُ تكون العفيفة، والمتزوجة، والحرة، فالحرة هاهنا أولى، ولو أريد العفيفة لما جاز أن تتزوج امرأة حتى يوقف على عِفتها.

وقال مجاهد: المحصنات: الحرائر.

قال أبو عبيد: نذهب إلى أنه لا يحل نكاح إماء أهل الكتاب لقوله ﷻ: **فَمِن ما ملكَت أيمانكُم من فَتياتِكُم الْمؤمِناتِ** [النساء: ٢٥].

وهذا القول الذي عليه جلةُ العلماء.

ويدل على أ ن الحرائر قوله جل ثناه: **ومن لم يستطِع مِنكُم طَولاً أن ينكِح الْمحصناتِ الْمؤمِناتِ فَمِن ما ملكَت أيمانكُم من فَتياتِكُم الْمؤمِناتِ** [النساء: ٢٥].

قال الحسن والزهري ويحيى بن سعيد وإبراهيم ومكحول وقتادة:

لا يحل نكاح إماءُ أهل الكتاب لقوله تعالى: **من فَتياتِكُم الْمؤمِناتِ** .

٣٠- وقوله ﷻ: **ومن يكْفُر بِالإِيمان فَقَد حبِطَ عملُه** [آية: ٥].

قال مجاهد وعطاء: أي ومن يكفر بالله.

٣١- وقوله ﷻ: **يا أيها الذِين آمنوا إِذَا قُمتم إِلى الصلاةِ** [المائدة: ٦].

المعنى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وفي الكلام دليل على هذا.

ومثلُه **فَإِذَا قَرأت الْقُرآنَ فَاستعِذْ بِاللهِ مِن الشيطَان الرجِيم** [النحل: ٩٨].

المعنى: وإذا أردت أن تقرأ.

وفي قوله تعالى: **يا أيها الذِين آمنوا إِذَا قُمتم إِلى الصلاةِ** .

أقوال:

أحدها: إذا توضأ من حدث ثم دخل عليه وقت الصلاة وهو على طهارة فليس

عليه التوضؤ، وهذا الذي عليه أكثر الناس، وقد صح أن النبي ﷺ صلى خمس صلواتٍ بوضوءٍ واحد.

وقال زيد بن أسلم: أي إذا قمتم من المضاجع.

والقول الثاني: إن الوضوء قد كان واجبا ـذه الآية على كل مريد للقيام إلى الصلاة، ثم نسخ ذلك سنةُ رسول الله ﷺ..

والقول الثالث: إن على كل قائم إلى الصلاة مكتوبة الوضوء، كما روى شعبة عن مسعود بن علي قال: كان علي ﷺ يتوضأ لكل صلاة ويتلو ﴿**إِذَا قُمتم إِلَى الصلاةِ فاغْسِلُوا وجوهكُم وأَيدِيكُم إِلى الْمرافِق**﴾ [آية: ٦].

٣٢- ثم قال ﷻ: ﴿**فاغْسِلُوا وجوهكُم وأَيدِيكُم إِلى الْمرافِق**﴾ [آية: ٦]

قال بعض أهل اللغة: المعنى مع المرافق، كما قال تعالى: ﴿**من أَنصارِي إِلَى الله**﴾ [الصف: ١٤].

أي مع الله.

وهذا القولُ خطأٌ، لأن اليد عند العرب من الأصابع إلى الكتف، وإنما فُرِض غسلُ بعضها، فلو كانت «إلى» بمعنى «مع» لوجب غسل اليد كلها، ولم يحتج إلى ذكر المرافق.

والمِرفَق، ويقال مرفِق: ما بعد الأيدي مما يرتفق عليه أي يتكأ.

ومعنى «إلى» هاهنا الغاية، هي على بابها، إلا أن أبا العباس قال: إذا كان الثاني من الأول فما بعد «إلى» داخلٌ فيما قبله، نحو قوله تعالى: (إلى المرافِقِ).

فالمرافق داخلةٌ في الغسل، وإذا كان ما بعدها ليس من الأول فليس بداخل فيه نحو (ثُم أتموا الصيام إلى الليْل).

وقال غيره: ما بعد «إلى» ليس بداخل فيما قبلها، إلا أن المرافق غُسلت إ تباعا.

٣٣- ثم قال ﷻ: ﴿**وامسحوا بِرؤوسِكُم وأَرجلِكُم إِلَى الْكَعبين**﴾ [المائدة: ٦].

والمعنى: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم على التقديم والتأخير.

ومن قرأ (**وأرجلكُم**)(١) ففي قراءته أقوال:

أحدها: إن المسح والغسل واحد، قال ذلك أبو زيد.

---

(١) قرأ ابن كثير، وحمزة، وأبو عمرو (وأرجِلِكُم) بالجر على المجاورة، وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، والكسائي وأرجلَكُم إلى الكعبين، بالنصب، انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٢.

ومنه قولهم: تمسحت للصلاة، والتقدير وأرجِلكُم غسلاً.

ودل على هذا قوله (إلى الكعبين)فحددها كما قال في اليدين (إلى المَرافِقِ).

ودل عليه حديث النبي ﷺ «**ويل للأعقاب من النار**»[١].

فلو كان المسح كافيا لجاز المسح على البعض.

وروي عن الشعبي أنه قال: (نـزل جبريل عليه السلام بالمسح، والغسلُ) سنةٌ.

والقول الثالث: روي عن علي رضي الله عنه عنه أنه أجاز المسح.

قال أبو جعفر: إلا أن عاصم بن كُلَيب[٢] روى عن ابن عبد الرحمن. قال: قرأ الحسن والحسين رحمة الله عليهما وعلى علي (**وأرجلكُم**) فسمع علي ذلك، وكان يقضي بين الناس، فقال **وأرجلكُم** هذا من المقدم والمؤخر من الكلام.

وروى أبو إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال: اغسلوا الأقدام أي الكعبين، وكذا روي عن ابن مسعود، وابن عباس رحمهما الله أ نهما قرأ **وأرجلكُم** بالنصب.

والكعب: العظم الناتئُ في آخر الساق عند القدم، وكل مفصل عند العرب كعب، إلا أنه لم يحتج أن يقال: الكعب الذي من قصته هذا لأنه ظاهر بين.

٣٤- وقوله ﷻ: أو جاءَ أحد منكُم من الغائِطِ [آية: ٦].كنايةٌ.

والغائط في الأصل: ما انخفض من الأرض.

٣٥- ثم **قال ﷻ: أو لامستم النساءَ** [آية: ٦].

في **معناه قولان**:

أحدهما: رواه عبيدة عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «القُبلَة من المس، وكل ما دون الجماع لمس» وكذلك قال ابن عمر.

ومحمد بن يزيد يميل إلى هذا القول، قال: لأنه قد ذكر في أول هذه السورة ما يجب على من جامع في قوله تعالى: **وإن كُنتم جنبا فَاطهروا** .

وقال عبد الله بن عباس: اللمس، والمس، والغشيانُ: الجماع، ولكنه ﷻ كنى.

---

(١) الحديث رواه البخاري في الوضوء ٥٢١/١، ومسلم في الطهـارة ١٤٨/١، وأحمـد في المسـند ٢٠٥/٢ عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ، أنه رأى قوما توضؤا ولم يتموا الوضوء، فقال: «ويلٌ للأعقاب من النار».

(٢) عاصم بن كُليب بن شهاب الجَرمي الكوفي، صدوق، رمي بالإرجاء من الخامسة، مات سنة مائة وبضع وثلاثين. انظر تقريب التهذيب ٣٨٥/١، والجرح والتعديل ٣٤٩/٦.

وقال مجاهد في **قول الله** ﷻ: **وإذا مروا باللغو مروا كراما** [الفرقان: ٧٢].
قال: إذا ذكروا النكاح كنوا عنه.

٣٦- وقوله ﷻ: **فتيمموا صعيدا طيبا** [آية: ٦]. أي فاقصدوا.
والصعيد: وجه الأرض.
قال ابن عباس: أطيب الصعيد الحرثُ.

٣٧- وقوله ﷻ: **ما يريد الله ليجعلَ عليكم من حرج..** [آية: ٦].
قال مجاهد: أي من ضيق.

٣٨- ثم **قال** ﷻ: **ولكن يريد ليطهركم** [آية: ٦].
وقرأ سعيد بن المسيب **ليطْهركم** (1) والمعنى واحد، كما يقال: نجاه وأنجاه.

٣٩- وقوله ﷻ: **واذكروا نعمةَ الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به** [آية: ٧].
مذهب ابن عباس أنه قال: الميثاق الذي واثق به المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ على: السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا.
قال مجاهد: الميثاق الذي أخذه على بني آدم يعني قوله تعالى **وإذْ أخذَ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم** [آية: ١٧٢].

٤٠- وقوله ﷻ: **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداءَ بالقسط** [آية: ٨].
القسطُ: العدلُ.

٤١- ثم **قال** ﷻ: **ولا يجرمنكم شنآنُ قوم** [آية: ٨].
أي لا يحملنكم، وقد بيناه فيما تقدم.
وقرئ **ولا يُجرمنكم** (2).
قال الكسائي: هما لغتان.
قال أبو جعفر: قال أبو إسحاق: معنى **لا يجرمنكم** لا يدخلنكم في الجرم، كما تقول: آثمني أي أدخلني في الإثم.
والشنآنُ: البغض.

٤٢- وقوله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذْ هم قوم**

(1) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر المحيط ٤٣٩/٣ وليست من القراءات السبع.
(2) هذه قراءة ابن مسعود، وهي من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢٠٦/١.

أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم [آية: ١١].

قال مجاهد: «هذا في اليهود جاءهم النبي ﷺ يستعينهم في دية، فهموا بقتله، فوقاه الله ﷻ منهم».

وروي عن الحسن أنه قال: نـزل هذا في رجل من أعداء النبي ﷺ في بعض غزواته، فاستقبل القبلة ليصلي صلاة الخوف فجاء هذا ليقتله، فمنعه الله منه.

٤٣- وقوله ﷻ: وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا [آية: ١٢].

النقيب في اللغة: الأمين الذي يعرف مداخل القوم، كأنه يعرف ما ينقب عليه من أمرهم.

وروى سعيد عن قتادة قال: **وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا** من كل سبط رجلاً شاهدا على سبطه **وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة** [آية: ١٢] إلى آخر القصة.

٤٤- وقوله ﷻ: وآمنتم برسلي وعزرتموهم [آية: ١٢].

قال أبو عبيد عزرتموهم عظمتموهم.

وقال يونس(١): أثنيتم عليها.

وأحسن من هذين القولين قولُ ابن أبي نجيح عن مجاهد أن معنى **عزرتموهم** نصرتموهم، و التعظيم، داخل في النصرة.

والدليل على هذا قوله تعالى: **وتعزروه وتوقروه** [الفتح: ٩].

وأصلُ التعزير في اللغة: المنع ومنه عزرت فلانا أي أنـزلت به ما يمتنع من أجله من المعاودة كما تقول: نكلت به أي أنـزلت به ما ينكلُ به عن العودة.

وروى عن سعد(٢) أنه قال: «لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ مالنا طعام إلا الحُبلة والسمر، ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام أي تؤدبني».

وهو يرجع إلى ما تقدم أي يمنعونني عما أنا عليه.

---

(١) إمام النحو هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي، مولاهم البصري. أخذ عن أبي عمرو بـن العلاء، وحماد بن سلمة. وعنه: الكسائي، وسيبويه، والفراء، وآخرون. وعاش ثلاثا وثمانين سنة. أرخ خليفة بن خياط موته في سنة ثلاث وثمانين ومائة وقد لقي عبد الله بن أبي إسحاق، فسـأله عن لفظة، وكان ليونس حلقة ينتا ا الطلبة والأدباء، وفصحاء الأعراب. وذكره ثعلب، فقـال: جاوز المائة. وقيل: إنه لم يتزوج، ولا تسرى. وله تواليف في القرآن واللغات.

(٢) هو سعد بن مالك بن أبي وقاص، أحد العشرة المبشرين بالجنة، انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٣٦٦/٢.

٤٥- وقوله ﷻ: فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسيةً.. [آية: ١٣].

وتقرأ «قسيةً»[1].

والقاسية كما تقول: عليةٌ، وعاليةٌ، وعلي، و عالٍ بمعنى واحدٍ.

والقولُ الآخر: معنى «قسية» ليست بخالصة الإيمان، أي فيها نفاق.

قال أبو جعفر: وهذا قولٌ حسن لأنه يقال: درهم قسي إذا كان مغشوشا بنحاس أو غيره.

قال أبو جعفر: وأولى ما فيه أن تكون «قسية» بمعنى قاسية، مثل زكية وزاكية، إلا أن فعلية أبلغ من فاعلة، فالمعنى: جعلنا قلوبهم غليظةً، نابية عن الإيمان، والتوفيق لطاعتي، لأن القوم لم يوصفوا بشيء من الإيمان فتكون قلوبهم موصوفة، فإن إيمانا خالطه كفر، كالدراهم القسية التي خالطها غش.

٤٧- ثم قال ﷻ: يحرفُونَ الْكَلِم عن مواضِعِهِ [آية: ١٣].

يجوز أن يكون معناه: يبدلون حروفه.

ويجوز أن يكون معناه: يتناولونه على غير معناه.

٤٨- وقوله ﷻ: ولاَ تزالُ تطلِع على خائِنةٍ منهم [آية: ١٣].

فيه قولان:

أحدهما: قاله قتادةُ: قال: على خيانة.

وهذا جائز في اللغة، ويكون مثل قولهم: «قائلة» بمعنى قيلولة.

والقولُ الآخر: قاله ابن أبي نجيح عن مجاهد، وهو أن يراد به اليهود الذين هموا بقتل النبي ﷺ، فيكون التقدير على هذا القول: على فرقةٍ خائنةٍ، ثم أقام الصفة مقام الموصوف.

٤٩- وقوله ﷻ: فنسوا حظًّا مما ذُكروا بِهِ [آية: ١٤].

أي تركوا، ومنه **نسوا الله فنسِيهم** أي تركهم.

٥٠- ثم قال ﷻ: فأغْرينا بينهم العداوةَ والبغضاءَ إلى يومِ القِيامةِ [آية:١٤].

ومعنى «**أغْرينا**» في اللغة: ألصقنا، ومنه قيل: الغِراءُ للذي يغرى به.

قال ابن أبي نجيح: يعني اليهود والنصارى.

وقال الربيع بن أنس: يعني به النصارى خاصة، أغْريت بينهم العداوة والبغضاء، أي

---

(١) هذه قراءة حمزة والكسائي، و هي من القراءات السبع، انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٣.

مجازاة على كفرهم، فافترقوا فِرقًا: منهم النسطورية، واليعقوبية، والملكية، وكل فرقة تعادي الأخرى.

٥١- وقوله ﷻ: يا أهلَ الكِتابِ قَد جاءَكُم رسولُنا يبين لَكُم كَثِيرا مما كُنتم تخفُونَ مِن الكِتابِ [آية: ١٥].

روي عن ابن عباس أنه قال: «زنى رجل من اليهود، فجاءوا يستفتون النبي ﷺ، ليدرءوا عنه الرجم، والرجم عندهم في التوراة، فأُطلع النبي ﷺ على ذلك».

٥٢- ثم **قال** ﷻ: **قَد جاءَكُم من الله نور** [آية ١٥].

قيل: «نور» يعني به النبي ﷺ. وهو تمثيلٌ لأن النور هو الذي تتبين به الأشياءُ.

٥٣- ثم **قال** ﷻ: **يهدِي بِهِ الله من اتبع رِضوانه سبلَ السلامِ** [آية: ١٦].

السبلُ: الطرق، والسلام: يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون السلام بمعنى السلامة، كما يقال: اللذاذُ واللذاذةُ.

والمعنى الآخر: أن السلام اسم من أسماء الله ﷻ.

فالمعنى على هذا: يهدِي به الله سبله أي من اتبعها نجاه.

٥٤- وقوله ﷻ: **يا أهلَ الكِتابِ قَد جاءَكُم رسولُنا يبين لَكُم على فَترةٍ من الرسل** [آية: ١٩].

قال قتادة: يعني محمدا ﷺ.

قال: وبلغنا أن الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد ﷺ، ست مائة عام.

والمعنى عند أهل اللغة: على انقطاع من الرسل، لأن الرسل كانوا متواترين بين موسى وعيسى ﷺ، ثم انقطع ذلك إلى أن بعث النبي ﷺ.

٥٥- ثم **قال** ﷻ: **أن تقُولُوا ما جاءَنا مِن بشِيرٍ ولاَ نذِيرٍ** [آية: ١٩].

قال الكوفيون: المعنى أن لا تقولوا، ثم حذفت «لا» كما قال ﷻ: **يبين الله لَكُم أن تضِلوا** [النساء: ١٧٦]. ولا يجوز حذف «لا» عند البصريين، لأ ا تدل على النفي. والمعنى عندهم: كراهة أن تقولوا.

٥٦- وقوله ﷻ: **وإذْ قَالَ موسى لِقَومِهِ يا قَومِ اذكُروا نِعمةَ الله علَيكُم إذْ جعلَ فِيكُم أنبِياءَ وجعلكُم ملُوكًا** [آية: ٢٠].

روي عن ابن عباس أنه قال: يعني الخادم، والمنـزل.

قال قتادة: لم يملك أحد قبلهم خادما.

وقال الحكم بن عتيبة ومجاهد وعكرمة: **وجعلكم ملوكًا** المنـزل والخادم والزوجة.

وكذلك قال زيد بن اسلم، ألا أنه قال: فيما يعلم عن النبي ﷺ: «من كان له بيت، أو قال منـزل يأوي إليه وزوجةٌ، وخادم يخدمه، فهو ملِك».

٥٧- ثم **قال** ﷻ: **وآتاكم ما لم يؤتِ أحدا من العالمين** [آية: ٢٠].

قال مجاهد: يعني المن، والسلْوى، وانفراق البحر، وانفجار الحجر، والتظليل بالغمام.

٥٨- ثم **قال** ﷻ: **يا قومِ ادخلوا الأرض المقَدسةَ التي كتب الله لكُم** [آية: ٢١].

قال قتادة: يعني الشام.

والمقدسة في اللغة: المطهرة، ومنه سمي بيت المقدس، أي الموضع الذي يتطهر فيه من الذنوب.

٥٩- ثم **قال** ﷻ: **قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين** [آية: ٢٢].

الجبار عند أهل اللغة: المتعظم، الذي يمتنع من الذل والقهر.

٦٠- وقوله ﷻ: **قالَ رجلان من الذين يخافونَ أنعم الله عليهما** [آية: ٢٣].

روي عن مجاهد أنه قال: الرجلان من الإثني عشر نقيبا الذين بعثوا، وهمًا «يوسع بن نونٍ» و«كلاب بن قاينا» ويقال: يوقَنا.

وقال الضحاك: هما رجلان مؤمنان كانا في مدينة الجبارين.

والدليلُ على هذا أ ما قالا **ادخلوا عليهم الباب فإذَا دخلتموه فإنكُم غالبونَ** [آية: ٢٣] وقد علمنا أ م إذا دخلوا من الباب كان لهم الغلب.

وقرأ سعيد بن جبير: **من الذين يخافُونَ** بضم الياء[1].

يذهب إلى أ ما كانا من الجبارين، وأنعم الله عليهما بالإسلام.

٦١- ثم **قال** ﷻ: **قالُوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها** [آية: ٢٤].

أي ليس نقبل مشورة. فأعلم الله النبي ﷺ أن أهل الكتاب لم يزالوا يعصون الأنبياء، وأن له في ذلك أسوة.

قال أبو عبيدة: معنى **فاذْهب أنت وربك فقاتلا** [آية: ٢٤]. أي اذهب فقاتل، وليعنك ربك.

---

(١) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب ٢٠٨/١.

٦٢- ثم **قال** ﷻ: **قَالَ رب إِني لا أَملِك إِلا نفْسِي وأَخِي** [آية: ٢٥].
ويجوز أن يكون المعنى: وأخي لا يملك إلا نفسه.
ويجوز أن يكون المعنى: وأملك أخي، لأنه إذا كان يطيعه فهو مالك في الطاعة.
٦٣- ثم **قال** ﷻ: **فَافْرق بيننا وبين الْقَومِ الْفَاسِقِين** [آية: ٢٥].
قال الضحاك: المعنى فاقض بيننا وبين القوم الفاسقين.
٦٤- وقوله ﷻ: **قَالَ فَإِنها محرمةٌ عليهم** [آية: ٢٦].
أي هم ممنوعون من دخولها.
ويروي أنه حرم عليهم دخولها أبدا.
فالتمام على هذا عند هذا قوله تعالى: **علَيهِم** ثم قال تعالى: **أَربعِين سنةً يتِيهونَ فِي الأَرض** [آية: ٢٦].
ثم ابتدأ فقال: **يتِيهونَ فِي الأَرض** .
٦٥- ثم **قال** ﷻ: **فَلا تأْس علَى الْقَومِ الْفَاسِقِين** [آية: ٢٦].
يجوز أن يكون هذا خطابا للنبي ﷺ، أي فلا تأس على قومٍ هذه صفتهم.
ويجوز أن يكون الخطاب لموسى ﷺ.
يقال: أسي، يأسى، أسى: إذا حزن، ويقال: أسى الشيءُ يأسو، أسوا، إذا أصلحته، والمعنى: أنه أزال ما يقع الغم من أجله.
ولك في فلانٍ إسوة، وأُسوةٌ، أي إذا رأيته مثلك نفض عنك الغم.
٦٦- وقوله ﷻ: **واتلُ علَيهِم نبأَ ابني آدم بِالْحق** [آية: ٢٧].
قال مجاهد: هما ابنا آدم لصلبه، «هابيلُ» و«قابيل»، وكان من علامة قربا م إذا تقُبل أن يسجد أحدهم، ثم تنـزل نار من السماء فتأكل القُربان.
والقربانُ عند أهل اللغة: فُعلانٌ مما يتقرب به إلى الله ﷻ.
وقال الحسن: هما من بني إسرائيل لأن القربان كان فيهم.
٦٧- ثم **قال** ﷻ: **قَالَ لأَقْتلَنك قَالَ إِنما يتقَبلُ الله مِن الْمتقِين** [آية: ٢٧].
المعنى: قال الذي لم يتقبلْ منه للذي تقبل منه **لأَقْتلَنك** ثم حذف هذا لعلم السامع.
ويروى أن القتل كان ممنوعا في ذلك الوقت، كما كان ممنوعا حين كان النبي ﷺ بمكة، ووقت عيسى عليه السلام، فلذلك قال: **ما أَنا بِباسِطٍ يدِي إِليك لأَقْتلَك إِني أَخاف الله رب الْعالَمِين** [آية: ٢٨].

٦٨- وقوله ﷻ: **﴿إني أُريد أن تبوءَ بإثْمي وإثْمِك فَتكُونَ مِن أصحابِ النار﴾** [آية: ٢٩].

قال الكسائي: يقالُ: باء بالشيء، يبوءُ به، بوءً، وبواءً: إذا انصرف به.

قال البصريون: يقال باء بالشيء: إذا أقر به، واحتمله، ولزمه.

ومنه تبوأ فلانٌ الدار، أي لزمها وأقام بها.

يقال: البواءُ التكافُؤ، والقتلُ بواءٌ، وأنشد:

فإن تكن القتلى بَـواءً، فإنكُم ... فَتى ما قتلْتم آل عوف بن عامِر[1]

قال «أبو العباس» محمد بن يزيد في قوله تعالى: **﴿إني أُريد أن تبوءَ بإثْمِي وإثْمِك﴾** وهو مؤمن، لما كان المؤمن يريد الثواب، ولا يبسط يده إليه بالقتل، كان بمنـزلة من يريد هذا.

وسئل أبو الحسن بن كيسان: كيف يريد المؤمن أن يأْثم أخوه، وأن يدخل النار؟

فقال: إنما وقعت الإرادة بعدما بسط يده بالقتل.

فالمعنى: لئن بسطت إلى يدك لتقتلني، لأمتنعن من ذلك مريدا الثواب.

فقيل له: فكيف قال «بإثمي وإثمك» وأي إثِمٍ له إذا قُتِل؟ فقال: فيه ثلاثة أوجه:

أحدهما: أن تبوء بإثم قتلي وإثم ذنبك، الذي من أجله لم يتقبل من أجله قربانك، ويروى هذا الوجه عن مجاهد.

والوجه الآخر: أن تبوء بإثم قتلي وإثم اعتدائك علي، لأنه قد يأثم في الاعتداء، وإنْ لم يقتل.

والوجه الثالث: أنه لو بسط يده إليه أثم، فرأى أنه إذا أمسك عن ذلك، فإنه يرجع على صاحبه، وصار هذا مثل قولك: المالُ بينه وبين زيد أي المال بينهما.

فالمعنى: أن تبوء بإثمنا.

قال أبو جعفر: ومن أجل ما روي فيه عن ابن مسعود وابن عباس أن المعنى: بإثم قتلي، وإثمك فيما تقدم من معاصيك.

فإن قيل: أفليس القتل معصية وكيف يريده؟ قيل: لم يقل أن تبوء بقتلي، فإنما المعنى بإثم قتلي إن قتلتني، فإنما أراد الحق.

---

(١) البيت منسوب لليلى الأخيلية، انظر الصحاح للجوهري ٣٧/١.

٦٩- ثم **قال** ﷻ: **وذَلك جزاءُ الظالِمين** [آية: ٢٩].

يجوز أن يكون هذا إخبارا من الله عن ابن آدم أنه قال هذا.

ويجوز أن يكون منقطعا مما قبله.

٧٠- وقول ﷻ: **فَطَوعت له نفْسه قَتلَ أخِيهِ فقَتلَه** [آية: ٣٠].

قال قتادة: أي زينت.

وقال مجاهد: أي شجعته، يريد أ ا ساعدته على ذلك.

وقال أبو العباس[1]: طوعت فعلت من الطوع والطواعية وهي الإجابة إلى الشيء

٧١- ثم **قال** ﷻ: **فَأصبح مِن الْخاسِرين** [آية: ٣٠].

أي ممن خسر حسناتِه، والخسران: النقْصانُ.

٧٢- ثم **قال** ﷻ: **فَبعثَ الله غُرابا يبحثُ فِي الأَرض لِيريه كَيف يواري سوءَةَ أخِيهِ** [آية: ٣١].

قال مجاهد: بعث الله ﷻ غرابين، فاقتتلا حتى قتل أحدهما صاحبه، ثم حفر فدفنه، وكان ابن آدم أولَ من قَتل.

ويروى «أنه لا يقتل مؤمن إلى يوم القيامة، إلا كان عليه كفلٌ من ذنب من قتله».

٧٣- وقوله ﷻ: **مِن أجل ذَلك كَتبنا على بنِي إسرائيلَ أنه من قَتلَ نفْسا بِغير نفْسٍ أو فَسادٍ فِي الأَرض فَكأَنما قَتلَ الناس جمِيعا** [آية: ٣٢].

وقرأ الحسن: أو فَسادًا فِي الأَرض فَكأَنما قَتلَ الناس جمِيعا [2].

والمعنى على قراءته: أو عمِلَ فسادا.

وقال ابن عباس في **قوله** ﷻ: **فَكأَنما قَتلَ الناس جمِيعا** أوبق نفسه، فصار بمنــزلة من قتل الناس جميعا، أي في استحقاقه العذاب.

ويستحق المقتولُ النصر، وطلب الثأر من القاتل، على المؤمنين جميعا.

قال ابن عباس: إحياؤها: ألا يقتل نفسا حرمها الله ﷻ.

وقال قتادة: عظّم الله أمره، فألحقه من الإثم هذا وقيل: هو تمثيل، أي الناس جميعا له خصماء.

---

(١) يعني المبرد، انظر الطبري ١٩٥/٦.

(٢) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب ٢١٠/١.

ومعنى **أو فَسادٍ فِي الأَرضِ** وفساده: الحرب، وإخافةُ السبيل.

وفي حديث حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن أبي أمامة بن سهب بن حنيف قال: سمعت عثمان بن عفان رحمه الله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل دم امرئٍ إلا بإحدى ثلاث: زنىً بعد إحصان، أو كفر بعد إيمان، أو قتل نفس بغير نفس**»(١).

ومعنى **فَكأنما أحيا الناس جمِيعا** على قول قتادة: أنه يعطى من الثواب على قدر ذلك.

وقيل: وجب شكره على الناس جميعا، فكأنما من عليهم جميعا، يروى هذا عن مكحول.

وقولُ ابن عباس أولاها وأصحها.

٧٤- وقوله ﷻ: **إِنما جزاءُ الذِين يحارِبونَ الله ورسولَه ويسعونَ فِي الأَرض فَسادا أن يقَتلُوا أو يصلبوا أو تقَطع أيدِيهم وأرجلُهم من خِلافٍ..** إلى آخر الآية [آية: ٣٣].

قال الحسن: السلطان مخير أي هذه الأشياء شاء فَعل، وكذلك روى ابن أبي نجيح عن عطاء، وهو قول مجاهد وإبراهيم والضحاك، وهو حسن في اللغة لأن «أو» تقع للتخيير كثيرا.

وقال أبو ملجز: الآية على الترتيب، فمن حارب فَقَتل وأخذ المال صلِب، ومن قَتل قُتِل، ومن أخذ المال ولم يقْتل، قُطِعت يده ورجله من خلاف، ومن لم يقتل ولم يأخذ المال نفي.

وروى هذا القول حجاج بن أرطاة عن عطية عن ابن عباس مثله، أنه قال في أوله، فمن حارب وقتل وأخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف، ثم صلِب، وليس في قول أبي مجلز قبل الصلب ذكر شيءٍ.

واحتجً أصحاب هذا القول بحديثٍ رواه عثمانُ، وعائشةُ وابن مسعود عن النبي ﷺ

---

(١) الحديث رواه البخاري ٢٠١/١٢ من كتاب الديات، ومسلم رقم ١٦٧٦ من كتاب القسـامة، وأبو داود رقم ٤٣٥٢ في الحدود والنسائي ٩٠/٧.

أنه قال: «**لا يحل دم امرئٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث..**»(١) وذكر الحديث، قالوا: فقد امتنع قتلُه إلا أن يقتل، فوجب أن تكون الآية على المراتب.

وقال الزهري في قوله تعالى: **أو ينفَوا مِن الأرض** [آية: ٣٣].

كلما علم أنه في موضع قُوتل حتى يخرج منه.

وقال أهل الكوفة: النفي هاهنا الحبس.

وروي هذا عن ابن عباس بإسناد ضعيف.

وقال سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز: ينفى من بلدته إلى بلدةٍ أخرى غيرها.

٧٥- وقوله ﷻ: **ذَلك لَهم خِزي فِي الدنيا ولَهم فِي الآخِرةِ عذَاب عظِيم** [آية: ٣٣].

يقال: خزى يخزى خِزيا: إذا افتضح وتحير، وخزِي يخزى خِزايةً: إذا استحيا، كأنه تحير كراهة أن يفعل القبيح.

٧٦- وقوله ﷻ: **يا أيها الذِين آمنوا اتقُوا الله وابتغوا إليهِ الْوسِيلةَ** [آية: ٣٥].

قال ابن عباس: يعني القربة، وكذلك قال الحسن.

وروى موسى بن وردان عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «**الوسيلةُ: درجةٌ عند الله** ﷻ، **وليس فوقها درجة**»(٢).

٧٧- وقوله ﷻ: **يريدونَ أن يخرجوا مِن النارِ وما هم بِخارِجِين مِنها** [آية: ٣٧].

قال يزيد الفقير(٣): قيل لجابر بن عبد الله: أنتم يا أصحاب محمد تقولون: إن قوما يخرجون من النار، والله يقول **وما هم بِخارِجِين مِنها** ؟ فقال جابر: إنكم تجعلون العام خاصا، والخاص عاما، إنما هذا في الكفار خاصة، فقرأت الآية من أولها إلى آخرها، فإذا

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الحديث أخرجه ابن مردويه بلفظ «إن الوسيلة درجة في الجنة، ليس ينالها إلا رجل واحد، وأرجو أن أكونه»، ومسلم ٤/٢ بلفظ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاةً صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه»، وأخرجه البخاري بنحوه ١٥٩/١.

(٣) يزيد بن صهيب المعروف بالفقير من التابعين، ذكره ابن حبان في الثقات، ووثقه ابن معين وأبو زرعة والنسائي، انظر تهذيب التهذيب ٣٣٨/١١.

هي في الكفار خاصة.

٧٨- وقوله ﷻ: **والسارق والسارقةُ فاقطعوا أيديهما** [آية: ٣٨].

قال سيبويه: المعنى فيما فُرض عليكم السارق والسارقة.

٧٩- ثم **قال** ﷻ: **جزاءً بما كسبا نكالاً من الله** [آية: ٣٨].

يقال: نكلْت به، إذا فعلت به ما يجب أن ينكُلَ به عن ذلك الفعل.

٨٠- وقوله ﷻ: **فمن تاب من بعدِ ظلمِهِ وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفُور رحِيم** [آية: ٣٩].

المعنى: غفور له، وجعل الله توبة الكافرين تدرأ عنهم الحدود، لأن ذلك أدعى إلى الإسلام، وجعل توبة المسلمين عن السرقة والزنا، لا تدرأ عنهم الحدود، لأن ذلك أعظم لأجورهم في الآخرة، وأمنع لمن هم أن يفعل مثل فعلهم.

وقال مجاهد والشعبي: قرأ عبد الله بن مسعود: **والسارق والسارقةُ فاقطعوا أيمانهما** [1].

٨١- وقوله ﷻ: **يا أيها الرسولُ لا يحزنك الذين يسارعونَ في الكُفْر** [آية: ٤١]. أي لا يحزنك مسارعتهم إلى الكفر، لأن الله ﷻ قد وعدك بالنصر.

٨٢- ثم **قال** ﷻ: **من الذين قالُوا آمنا بأفواهِهِم ولم تؤمن قُلُوبهم** [آية ٤١].

قال مجاهد يعني المنافقين.

٨٣- ثم **قال** ﷻ: **ومن الذين هادوا سماعونَ للكَذِبِ** [آية: ٤١].

قال مجاهد: يعني اليهود.

فأما معنى (**سماعونَ للكَذِبِ**) والإنسانُ يسمع الخير والشر، ففيه قولان:

أحدهما: أن المعنى قابلون للكذب، وهذا معروف في اللغة أن يقال: لا تسمع من فلانٍ أي لا تقبلْ منه، ومنه «سمع الله لمن حمِده» معناه قَبِلَ، لأن الله ﷻ: سامع لكل شيء.

والقولُ الآخر: أ م سماعون من أجل الكذب، كما تقول: أنا أكرم فلانا لك أي من أجلك.

٨٤- ثم **قال** ﷻ: **سماعونَ لقومٍ آخرين لم يأتوك** [آية: ٤١].

---

(١) هذه القراءة ذكرها الطبري ٢٢٨/٦، وأبو حيان في البحر المحيط ٤٧٦/٣، وهي ليست من القراءات السبع.

أي هم عيون لقوم آخرين لم يأتوك.

٨٥- ثم **قال** ﷻ: **يحرفُونَ الْكلِم مِن بعدِ مواضِعِهِ** [آية: ٤١]

أي من بعد أن وضعه الله مواضعه، فأحل حلاله، وحرم حرامه.

٨٦- ثم **قال** ﷻ: **يقُولُونَ إِنْ أُوتيتم هذَا فَخذُوه وإِن لم تؤتوه فَاحذَروا** [آية: ٤١].

أي تقول اليهود: إن أُوتيتم هذا الحكم المحرف فخذوه، وإن لم تؤتوه فاحذروا أن تعملوا به.

ومعنى هذا أن رجلاً منهم زنى وهو محصن، وقد كُتِب الرجم على من زنى وهو محصن في التوراة، فقال بعضهم: ائتوا محمدا لعله يفتيكم بخلاف الرجم، فأتوا النبي ﷺ فأمر بالرجم، بعد أن أحضرت التوراة، ووجِد فيها فرض الرجم، وكانوا قد أنكروا ذلك[١].

٨٧- ثم **قال** ﷻ: **ومن يرِدِ الله فِتنته فَلَن تملِك له مِن الله شيئًا** [آية: ٤١].

قيل: معنى الفتنة هاهنا الاختبار.

وقيل: معناها العذاب.

٨٨- ثم **قال** ﷻ: **أُولَئِك الذِين لم يرِدِ الله أن يطَهر قُلُوبهم لَهم فِي الدنيا خِزي** [آية: ٤١].

أي فضيحةٌ وذلٌ، حين أُحضرتِ التوراةُ، فتبين كذبهم.

وقيل: خزيهم في الدنيا: أخذُ الجزية، والذل.

٨٩- ثم **قال** ﷻ: **سماعونَ لِلْكَذِبِ أكالُونَ لِلسحتِ** [آية: ٤٢].

روى زر عن عبد الله بن مسعود أنه قال: السحت: الرشوة.

(١) روى البخاري ٢٥١/٤ ومسلم ١٢٢/٥ عن عبد الله بن عمر أنه قال: «إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبد الله بن سلام: كذبتم، إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم!! فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة».

وقال مسروق: سألت عبد الله عن الجَور في الحكم، قال: ذلك الكفر، قلت: فما السحت؟ قال أن يقضي الرجلُ لأخيه حاجة، فيهدي إليه هدية فيقبلها.

والسحت في كلام العرب على ضروب، يجمعها أنه ما يسحِت دين الإنسان.

يقال: سحته وأسحته: إذا استأصله، ومنه:

وعض زمانٍ يا ابن مروان لمْ يدع مِن المال إلا مسحتــًا أو مجلف(١)

٩٠- وقوله ﷻ: **فَإِن جاءُوك فَاحكُم بينهم أو أعرِض..** [آية: ٤٢].

في هذا قولان:

أحدهما: روي عن ابن عباس أنه قال:هي منسوخة، نسخها **وأن احكُم بينهم بِما أنـزلَ الله** [آية: ٤٩] وكذا قال مجاهد وعكرمة.

قال الشعبي: إن شاء حكم، وإن شاء لم يحكم، وكذلك قال إبراهيم.

وقال الحسن: ليس في المائدة شيءٌ منسوخ.

والاختيار عند أهل النظر القول الأول، لأنه قول ابن عباس، ولا يخلو قولُه ﷻ **وأن احكُم بينهم بِما أنـزلَ الله** من أن يكون ناسخا لهذه الآية.

أو يكون معناه وأن احكم بينهم بما انـزل الله، إن حكمت، فقد صار مصيبا أن حكَم بينهم بإجماع.

وفي الحديث عن النبي ﷺ ما يقويه.

روى عن عبد الله بن مرة عن البراء بن عازب (أن يهوديا مر به على النبي ﷺ، وقد حمم وجهه، فسأل عن شأنه، فقيل: زنى وهو محصن..) وذكر الحديث، وقال في آخره: فقال النبي ﷺ «**أنا أول من أحيا ما أماتوا من أمر الله، فأمر به فرجِم**»(٢).

ويبين لك أن القول هذا، قولُه ﷻ: **يا أيها الذِين آمنوا كُونوا قَوامِين للهِ شهداءَ بِالْقِسطِ** [المائدة: ٨].

٩١- وقوله ﷻ: **فَاحكُم بينهم بِالْقِسطِ** [آية: ٤٢]. أي بالعدل.

وقوله ﷻ: **إِنا أنـزلنا التوراةَ فِيها هدى ونور** [آية: ٤٤].

أي فيها بيانُ أمر النبي ﷺ، وما جاءوا يستفتون فيه.

---

(١) البيت للفرزدق وهو في ديوانه ٢٦/٢.

(٢) الحديث رواه مسلم ١٢٢/٥، وأحمد في المسند ٢٨٦/٤.

٩٣- ثم **قال** ﷻ: **يحكُم بِها النبيونَ الذِين أسلموا للذِين هادوا** [آية: ٤٤].

يجوز أن يكون المعنى: فيها هدى ونور للذين هادوا، يحكم ا النبيون.

ويجوز أن يكون المعنى: يحكم ا النبيون الذين أسلموا للذين هادوا وعليهم، ثم حذف.

وقد قيل: إن «لهم» بمعنى «عليهم» وتأول حديث النبي ﷺ في أمر بريرة، حين قال «**اشترطي لهم الولاء**»(١) أن معناه «عليهم» لأنه ﷺ لا يأمرها بشيء لا يجب، وقال الله ﷻ:لا يأمرها بشيء لا يجب، وقال الله ﷻ: **وإنْ أسأتم فلَها** [الإسراء: ٧].

و«الذين أسلموا» هاهنا نعت فيه معنى المدح، مثل «بسم الله الرحمن الرحيم».

٩٤- ثم **قال** ﷻ: **والربانِيونَ والأحبار..** [آية: ٤٤].

قال أبو رزين: الربانيون: العلماءُ، الحكماء.

والرباني عند أهل اللغة: معناه رب العلم أي صاحب العلم، وجيء بالألف والنون للمبالغة.

ويقوي هذا أنه يروى أن ابن الحنفية -رحمةُ الله عليه- قال لما مات ابن عباس: «مات رباني العلم».

وقال مجاهد: الربانيون فوق الأحبار، والأحبار: العلماءُ، لأ م يحبرون لشيء، وهو في صدورهم محبر.

وقال ابن عباس: سمي الحِبر الذي يكتب به حِبرا، لأنه يحبر به أي يحقق به.

وقال الثوري: سألت الفراء لم سمي الحَبر حبرا؟ فقال: يقال للعالم حبرٌ، وحِبر، والمعنى: مداد حبِر، ثم حذف كما قال تعالى: **واسأل القرية** . فسألت الأصمعي فقال ليس هذا بشيء، إنما سمي حبرا لتأثيره، يقال: على أسنانه حبرةٌ أي صفرة، أو سواد.

٩٥- ثم **قال** ﷻ: **بِما استحفِظُوا مِن كِتابِ الله** [آية: ٤٤].

أي استودعوا.

٩٦- **وقوله** ﷻ: **ومن لم يحكُم بِما أنـزلَ الله فَأولئِك هم الكَافِرونَ** [آية: ٤٤].

---

(١) حديث بريرة أخرجه البخاري في العتق مطولاً ١٣٧/٥، ومسلم بـرقم ١٥٠٤، والترمـذي في الوصايا برقم ٢١٢٥، والنسائي في البيوع ٣٠٥/٧.

قال ابن عباس: هو به كافر، لا كفرا بالله، وملائكته، وكتبه.

وقال الشعبي: الأولى في المسلمين، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى.

وقال غيره: من رد حكما من أحكام الله فقد كفر.

قلت: وقد أجمعت الفقهاء على أنه من قال لا يجب الرجم على من زنى وهو محصن أنه كافر، لأنه رد حكما الله ﷻ.

ويروي أن حذيفة سئل عن هذه الآيات، أهي في بني إسرائيل؟ فقال: نعم، هي فيهم، ولتسلكن سبيلهم حذْو النعل بالنعل.

وقال الحسن: أخذ الله ﷻ على الحُكام ثلاثة أشياء:

أن لا يتبعوا الهوى، وأن لا يخشوا الناس ويخْشوه، وأن لا يشتروا بآياته ثمنا قليلاً.

وأحسن ما قيل في هذا ما رواه الأعمش عن عبد الله بن مرة، عن البراء قال: هي في الكفار كلها يعني **فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** **فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** **فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** . والتقدير على هذا القول: والذين لم يحكموا بما انزل الله، فأولئك هم الكافرون.

٩٧- وقوله ﷻ: **فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ** [آية: ٤٥].

قال ابن عباس: فهو كفارةٌ للجارح، وكذلك قال عكرمة.

والمعنى: فمن تصدق بحقه.

وقال عبد الله بن عمرو: فهو كفارةٌ للمجروح أي يكفر عنه ذنوبه مثل ذلك، وكذلك قال ابن مسعود وجابر بن زيد رحمهما الله.

٩٨- وقوله ﷻ: **وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** [آية: ٤٨].

قال ابن عباس: أي مؤتمنا عليه.

وقال سعيد بن جبير: القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب.

وقال قتادة: أي شاهد.

وقال أبو العباس: محمد بن يزيد: الأصل مؤيمن عليه أي أمين، فأبدل من الهمزة هاءً، كما يقال: هرمت الماء، وأرمت الماء.

وقال أبو عبيد: يقال: هيمن على الشيء، يهيمن، إذا كان له حافظًا.

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعاني، لأنه إذا كان حافظًا للشيء، فهو مؤتمن عليه، وشاهد.

وقرأ مجاهد وابن محيصن **ومهيمنا عليه** بفتح الميم[1].

وقال مجاهد: أي محمد ﷺ مؤتمن على القرآن.

٩٩- وقوله ﷻ: **لِكُلٍّ جعلنا منكم شِرعةً ومنهاجا** [آية: ٤٨].

قال ابن عباس: سبيلاً، وسنةً.

وقال قتادة: الدين كله واحد، والشرائع مختلفة.

وشِرعةٌ، وشريعة عند أهل اللغة بمعنى واحد، وهو ما بان ووضح.

ومنه: طريق «للشارع»، أي ظاهر بين، ومنه «هما في الأمر شرع» أي ظهورهما فيه واحد.

والمنهاج في اللغة: الطريق البين.

وقال أبو العباس «محمد بن يزيد»: الشريعةُ: ابتداءُ الطريق، والمنهاج: الطريق المستمر.

١٠٠- وقوله ﷻ: **ولو شاءَ الله لجعلكُم أمةً واحِدةً** [آية: ٤٨].

قال ابن عباس: على دينٍ واحد.

١٠١- ثم **قال** ﷻ: **ولكِن ليبلُوكُم فِي ما آتاكُم** [آية: ٤٨]. أي ليختبركم.

١٠٢- وقوله ﷻ: **أفَحكْم الْجاهِلِيةِ يبغونَ** [آية: ٥٠].

روي عن الحسن، وقتادة، والأعرج، والأعمش أنهم قرءوا **أفَحكْم الْجاهِلِيةِ يبغونَ**؟[2]

الحكم والحاكم في **اللغة واحد،** وكأنهم يريدون الكاهن وما أشبهه، من حكام الجاهلية، هذا في قراءة من قرأ «أفَحكَم» ومعنى **يبغون** يطلبون.

وقال مجاهد: يراد بهذا اليهود، يعني في أمر الزانيين حين جاءوا بهما إلى النبي ﷺ، يتوهمون أنه يحكم عليهما بخلاف الرجم.

١٠٣- ثم **قال** ﷻ: **ومن أحسن مِن الله حكْما لقَومٍ يوقِنونَ** [آية: ٥٠].

أي من أيقن تبين أن حكم الله ﷻ هو الحق.

١٠٤- وقوله ﷻ: **يا أيها الذِين آمنوا لا تتخِذُوا الْيهود والنصارى أولياءَ** [آية: ٥١].

---

(١) انظر إتحاف فضلاء البشر ص١٢١، والمحرر الوجيز٤/٤٦٧، وهذه القراءة ليست من القـراءات السبع.

(٢) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب ٢١٢/١.

هذا في المنافقين، لأ م كانوا يمالئون المشركين ويخبرو م بأسرار المؤمنين.

١٠٥- وقوله ﷻ: **فترى الذين في قلوبهم مرض** [آية ٥١].

أي نفاق **يسارعون فيهم** .

المعنى: يسارعون في معاونتهم، ثم حذف، كما قال ﷻ (واسأل القرية).

١٠٦- ثم قال ﷻ: **يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة** [آية: ٥٢].

في معناه قولان:

أحدهما: روي عن ابن عباس قال: يقولون نخشى أن لا يدوم الأمر لمحمد.

والقولُ الآخر: نخشى أن يصيبنا قحطٌ فلا يفْضِلوا علينا

والقولُ الأول أشبه بالمعنى، كأنه من دارت تدور، أي نخشى أن يدور أمر.

ويدل عليه ﷻ: **فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده** [آية: ٥٢] لأن الفتح: النصر.

قال ابن عباس: فأتى الله بالفتح، فقُتِلت مقاتلةُ بني قريظة، وسبيت ذراريهم، وأُجلي بنو النضير.

وقيل معنى **أو أمر من عنده** أي بأمر النبي ﷺ أن يخبر بأسماء المنافقين، **فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين** [آية: ٥٢].

١٠٧- ثم قال ﷻ: **ويقولُ الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقْسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم** [آية: ٥٣].

أي هؤلاء الذين اجتهدوا في الأيمان، أ م لا يوالون المشركين؟

ثم **قال تعالى:** **حبطت أعمالُهم** وهذا مثل قوله تعالى: **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم** [محمد: ١].

١٠٨- وقوله ﷻ: **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** [آية: ٥٤].

في **معنى هذا قولان:**

قال الحسن: هو والله أبو بكر ﷺ وأصحابه.

حدثنا أبو جعفر قال: نا الحسن بن عمر بن أبي الأحوص الكوفي، قال: نا أحمد بن يونس السري يعني ابن يحيى قال: قرأ الحسن هذه الآية: **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** حتى قرأ الآية فقال الحسن:

فولاها الله واللهِ أبا بكر وأصحابه.

وروى شعبةُ عن سِماك بن حربٍ، عن عياض الأشعري قال: لما نـزلت: **فَسوف يأتي الله بقَومٍ يحبهم ويحبونه** أومأ النبي ﷺ إلى أبي موسى الأشعري رحمه الله فقال: هم قوم هذا.

١٠٩- ثم **قال** ﷻ: **أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين** [آية: ٥٤].

قال أبو جعفر: سمعت أبا إسحاق وسئل عن معنى هذا فقال: ليس يريد «أذِلة» من الهوان، وإنما يريد أن جانبهم لين للمؤمنين وخشن على الكافرين.

١١٠- ثم **قال** ﷻ: **ذَلك فَضلُ الله يؤتيه من يشاءُ** [آية: ٥٤].

أي ذلك اللين للمؤمنين، والتشديد على الكافرين، تفضلٌ من الله ﷻ، منحهم إياه.

١١١- وقوله تبارك اسمه: إنما وليكُم الله ورسولُه والذِين آمنوا [آية: ٥٥].

قال أبو عبيد: أخبرنا هشيم ويزيد عن عبد الملك بن سليمان عن أبي جعفر محمد بن علي في قوله ﷻ: **إنما وليكُم الله ورسولُه والذِين آمنوا** قال: يعني المؤمنين، فقلت له بلغنا أ ا نـزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: علي من المؤمنين.

قال أبو عبيد: وهذا يبين لك قول النبي ﷺ: «**من كنت مولاه، فعلي مولاه**»(١) فالمولى والولي واحد، والدليل على هذا قوله ﷻ: **الله ولي الذِين آمنوا يخرجهم من الظلُماتِ إلى النور** [البقرة: ٢٥٧].

ثم قال في موضع آخر **ذَلك بأن الله مولى الذِين آمنوا وأن الكافِرين لا مولى لَهم** [محمد: ١١].

فمعنى حديث النبي ﷺ في ولاية الدين، وهي أجل الولايات.

وقال غير أبي عبيد: من كنت ناصره فعلي ناصره.

١١٢- وقوله ﷻ: يا أيها الذِين آمنوا لا تتخِذُوا الذِين اتخذُوا دِينكُم هزوا

---

(١) الحديث رواه الترمذي برقم ٣٧١٤، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه ٤٥/١، وأحمد في المسند ٣٦٨/٤.

ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياءَ [آية: ٥٧].

وقرأ الكسائي: (**والكفارِ أولياءَ**)[1].

والمعنى: من الذين أوتوا الكتاب، ومن الكفار.

قال الكسائي: في حرف «أُبي» رحمه الله: ومن الكفار[2].

وروي عن ابن عباس رحمه الله، أن قوما من اليهود والمشركين، ضحكوا من المسلمين وقت سجودهم، فأنـزل الله تعالى: **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا** .

١١٣- وقوله ﷻ: **قُلْ هلْ أنبئُكُم بشر من ذَلك مثُوبةً عند الله** [آية: ٦٠].

وفي هذا قولان:

روي عن ابن عباس أنه قال: قالت اليهود في أمة محمد ﷺ: هم أقل الناس حظًا في الدنيا والآخرة، فأنـزل الله ﷻ: **قُلْ هلْ أنبئُكُم بشر من ذَلك..** الآية.

والقول الآخر: وهو المعروف الصحيح، أن المعنى،: قل هل أنبئكم بشر من نقومكم علينا ثوابا؟ لأن قبله **هلْ تنقِمونَ منا إلا أنْ آمنا بالله** [آية: ٥٩] قال الكسائي: يقال نقمت على الرجل أنقم، نقوما، ونقمة.

وقد حكى نقمت وأنقم: إذا كرهت الشيء أشد الكراهية

١١٤- ثم قال ﷻ: **من لعنه الله وغَضِب عليه وجعلَ منهم القِردةَ والخنازير** [آية: ٦٠].

قال مجاهد: يعني اليهود، مسخ منهم[3].

١١٥- ثم قال ﷻ: **وعبد الطاغُوت** وهذه قراءة أهل المدينة، وأبي عمرو والكسائي.

وقرأ أبو جعفر (وعبِد) مثل ضرِب، ولا وجه لهذا.

---

(١) هذه قراءة أبي عمرو والكسائي، وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمـزة «والكفـار» نصبا، وكلاهما من القراءات السبع، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٥.

(٢) ذكر هذه القراءة ابن جرير في تفسيره ٦/٢٩٠ قال: وكذلك هي في قراءة أُبي بن كعب فيما بلغنا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفار .

(٣) انظر الطبري ٦/٢٩٣.

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ: **وعبدوا الطاغُوت** .

وروي عن أُبي بن كعب وعن ابن مسعود من طريق آخر أنهما قرءا **وعبدتِ الطاغُوت** .

وقرأ بن عباس: **وعبد الطاغُوتِ** .

روي عن عكرمة عن ابن عباس لأنه يجوز «وعابِد الطاغوت» وروي عن الأعمش ويحيى بن وثاب **وعبد الطاغُوتٍ** .

وقرأ أبو واقد الأعرابي: **وعباد الطاغُوتِ** .

وقرأ حمزة: **وعبد الطاغُوتِ** [1].

فمن قرأ: **وعبد الطاغُوت** فالمعنى عنده: من لَعنه الله، ومن عبد الطاغوت.

وحمل الفعل على لفظ «من».

ومن قرأ: **وعبدوا الطاغُوت** فهو عنده بذلك المعنى، إلا أنه حمله على معنى «من» كما قال ﷻ: **ومِنهم من يستمِعونَ إِليك** [يونس: ٤٢].

ومن قرأ: **وعبدتِ الطاغُوت** حمله على تأنيث الجماعة كما قال ﷻ: **قالَتِ الأعراب** [الحجرات: ١٤].

ومن قرأ: **وعبد الطاغُوتِ** فهو عنده جمع عابد كما يقال: شاهد وشهد، وغائب وغُيب.

ومن قرأ: **وعابِد** فهو عنده واحد يؤدي عن جماعة.

ومن قرأ: (وعبد) فهو عنده جمع عباد أو عبد أو عبيد كما يقال مثال ومُثُلُ، ورغيف و رغف.

وقال بعض النحويين: هو جمع عبدٍ كما يقال رهن ورهن وسقْف وسقُف.

ومن قرأ: (وعباد) فهو جمع عابد كما يقال عامل وعمال.

ومن قرأ: (وعبد الطاغُوتِ) فأكثر أهل اللغة يذهب إلى انه لحن، وهي تجوز على حيلة، وذلك أن يجعل «عبد» واحدا يدل على جماعة، كما يقال: رجلٌ حذُر، وفطُن، وندس، فيكون المعنى: وخادِم الطاغوت، وعلى هذا تتأول هذه القراءة.

---

(١) قراءة الجمهور بفتح العين والباء وعبد الطاغُوت ، وقرأ حمزة وحده وعبد الطاغُوتِ بضـم الباء من «عبد» وكسر التاء من «الطاغوت».

يقال: عبده، يعبده، إذ ذل له أشد الذل، ومنه بعير معبد أي مذلل بالقطران، ومنه طريق معبد، ومنه يقال: عبِدت أعبد: إذا أنفت، كما قال:

وأعبد أن تهجى تميم بدارم(١)

والمعنى: على هذا: وخادم الطاغوت.

وقد قيل: الفَرِد بمعنى الفَرِد، وينشد النابغة:

من وحش وجرةَ موشِي أكارعه طاوي المَصِير، كسيفِ الصيقل الفَرِدِ(٢)

ويروى الفَرِد.

وقيل: الطاغوت هاهنا: يعنى به الشيطانُ، وكذا روي عن بريدة الأسلمِي أنه قرأ **وعابِدِ الشيطان** .

وأجاز: بعض العلماء **وعبد الطاغُوتِ** بالخفض على معنى: عبدةٍ مثل: كاتِبٍ، وكَتبةٍ، والهاءُ تحذف من مثل هذا في الإضافة.

١١٦- وقوله ﷻ: وإذا جاءُوكُم قالُوا آمنا وقد دخلُوا بِالْكُفْر وهم قد خرجوا بِهِ [آية: ٦١].

أي لم ينتفعوا بشيء مما سمعوا، فخرجوا بكفرهم.

١١٧- وقوله ﷻ: لولاَ ينهاهم الربانِيونَ والأحبار [آية: ٦٣].

وقرأ أبو الجراح: **لولاَ ينهاهم الربانِيونَ** [آية:٦٣].

قال مجاهد: (الربانيونَ والأحبار): العلماءُ، والفقهاءُ، والربانِيون فوق الأحبار.

قال أبو جعفر: والربيونَ: الجماعات، وهو مأخوذٌ من الربة، والربةُ: الجماعة فنسب إليها، فقيل: رِبي، ثم جمع فقيل: ربيون.

قال أبو جعفر: والمعنى: بئس الصنع ما يصنع هؤلاء الربانيون والأحبار، في تركهم ي هؤلاء.

قال الضحاك: ما في القرآن آيةٌ أخوف عندي منها، أننا لا ننهى.

وفي هذه الآية حكم في أمر العلماء في النهي عن المنكر.

---

(١) هذا عجز بيت منسوب للفرزدق، وهو بتمامه في الصحاح واللسان:

أولئك قوم إن هجوني هجو م وأعبد أن أهجـو كُليبا بدارِم

(٢) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص١٧.

١١٨- وقوله ﷻ: وَقَالَتِ الْيهود يد الله مغلُولَةٌ غُلت أيدِيهم [آية: ٦٤].

في هذه الآية ثلاثة أقوال:

أحسنها ما روي عن ابن عباس أنه قال: قالت اليهود إن الله ﷻ بخيل.

والمعنى عند أهل اللغة على التمثيل: أي قالوا هو ممسك عنا لم يوسع علينا حين أجدبوا، كما قال تعالى: **ولاَ تجعلْ يدك مغلُولةً إِلى عنقِك** [الإسراء: ٢٩]. فهذا نظير ذاك، والله أعلم.

وقيل: اليد هاهنا النعمةُ.

وقيل: هذا القول غلط لقوله **بلْ يداه مبسوطَتان** [آية: ٦٤] فنعم الله ﷻ أكثر من أن تحصى، فكيف يكون بل نعمتاه مبسوطتان؟ .

فقال من احتج لمن قال: إ ما نعمتان، بأن المعنى النعمة الظاهرة، والباطنة.

والقول الثالث: أن المعنى أنه لا يعذبنا، أي مغلولةٌ عن عذابنا.

١١٩- وقوله ﷻ: وألْقَينا بينهم الْعداوةَ والْبغضاءَ إِلى يومِ الْقِيامةِ [آية: ٦٤].

أي جعل بأسهم بينهم، فهم متباغضون غير متفقين، فهم أبغض خلق الله إلى الناس.

وقال مجاهد: هم اليهود والنصارى.

والذي قال حسن، ويكون راجعا إلى **لا تتخِذُوا الْيهود والنصارى أولياءَ** [آية: ٥١].

١٢٠- ثم **قال ﷻ: كُلما أوقَدوا نارا للْحربِ أطْفَأها الله** [آية: ٦٤].

هذا تمثيل: أي كلما تجمعوا شتت الله أمرهم.

وقال قتادة: أذلهم الله ﷻ بمعاصيهم، فلقد بعث النبي ﷺ وهم تحت أيدي ا وس.

١٢١- ثم **قال ﷻ: ويسعونَ فِي الأرض فَسادا** [آية: ٦٤].

أي يسعون في إبطال الإسلام.

١٢٢- وقولُه ﷻ: ولَو أنهم أقَاموا التوراةَ والإِنجِيلَ [آية: ٦٦].

أي لو أظهروا ما فيها من صفة النبي ﷺ.

وما أن ـزلَ إِلَيهم من ربهم [آية: ٦٦] يعني به القرآن، واللهُ أعلم.

١٢٣- ثم **قال ﷻ: لأكَلُوا مِن فَوقِهم ومِن تحتِ أرجلِهم** [آية: ٦٦].

فهذا يدل على أ م كانوا في جدب. **مِن فَوقِهم** على قول ابن عباس ومجاهد والسدي يعني: المطر، **ومِن تحتِ أرجلِهم** يعني: النبات.

وقيل: يجوز أن يكون تمثيلاً: أي لوسعنا عليهم كما يقال: فلان في خير من قرنه

إلى قدمه، أي قد شمله الخير. والأولُ قول أهل التأويل.

١٢٤- وقوله ﷻ: **يا أيها الرسولُ بلغْ ما أنـزلَ إليك من ربك وإن لم تفْعلْ فَما بلغت رسالته** [1] [آية: ٦٧].

في معناه قولان:

أحدهما: بلغْ كل ما أنـزل إليك، ويقوي هذا أن مسروقًا روى عن عائشة أ ا قالت: «من حدثَك أن محمدا ﷺ كتم شيئًا من الوحي فقد كَذَب، واللهُ يقول: **يا أيها الرسولُ بلغْ ما أنـزلَ إليك من ربك وإن لم تفْعلْ فَما بلغت رسالته** [2]

والقول الآخر: وعليه أكثر أهل اللغة إن المعنى: أظْهر ما أُنـزل إليك من ربك، أي بلغه ظاهرا.

ودل على هذا قوله تعالى: **واللهُ يعصمك من الناس** [آية: ٦٧] أي يمنعك منهم أن ينالوك بسوء. مشتق من عصام القِربة، وهو ما تشد به.

وقوله ﷻ: **وليزيدن كثِيرا منهم ما أنـزلَ إليك من ربك طُغيانا وكُفْرا** [آية: ٦٨].

أي يكفرون به فيزدادون كفرا على كفرهم.

١٢٥- ثم قال ﷻ: **فَلا تأس على الْقَومِ الْكافِرين** [آية: ٦٨].

أي فلا تحزن عليهم.

١٢٦ وقوله ﷻ: **إن الذِين آمنوا والذِين هادوا والصابِئُونَ والنصارى** [آية: ٦٩].

في هذا قولان:

أحدهما: أنه يعني بالذين آمنوا هاهنا «المنافقون».

والتقدير: إن الذين آمنوا بألسنتهم، ودل على هذا قولُه تعالى: **لا يحزنك الذِين يسارِعونَ فِي الْكُفْرِ من الذِين قَالُوا آمنا بِأَفْواهِهِم ولَم تؤمِن قُلُوبهم** [آية: ٤١].

١٢٧- ثم قال ﷻ: **من آمن بِاللهِ** [آية: ٦٩].

---

(١) قرأ نافع «رسالاته» بالجمع، وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي «رسالته»، وانظر السبعة لابن مجاهد ص٢٤٦.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٦٦/٦ وفي كتاب التوحيد ١٩٠/٩ ومسلم في كتاب الإيمان ١١٠/١ عن عائشة أ ا قالت: لو كان محمد ﷺ كاتمًا من القرآن شيئًا، لكتم هذه الآية وتخفي في نفسك ما الله مبديه، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه .

فالمعنى على هذا القول: من حقق الإيمان بقلبه.

والقول الآخر: عن معنى «**من آمن بالله**» من ثبت على إيمانه كما قال تعالى: **يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله** [النساء: ١٣٦].

١٢٨- وقوله ﷻ: **كلما جاءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم فريقًا كذبوا وفريقًا يقتلون** [آية: ٧٠].

قال: اليهود والنصارى يشتركون في التكذيب، واليهود تنفرد بالقتل خاصة.

وكانت الرسلُ منها من يأتي بالشرائع، والكتب، والأحكام، نحو محمد ﷺ، وموسى، وعيسى، وهؤلاء معصومون.

ومنهم من يأتي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتمسك بالدين، نحو يحيى، وزكريا -عليهما السلام-.

١٢٩- وقوله ﷻ: **وحسبوا ألا تكونَ فتنةٌ فعموا وصموا** [آية: ٧١].

قال الحسن: يعني بالفتنة: البلاء

وقال غيره: معنى **فعموا وصموا** تمثيل أي لم يعملوا بما سمعوا ولا انتفعوا بما رأوا، فهم بمنـزلة العمى الصم.

١٣٠- ثم قال ﷻ: **ثم تاب الله عليهم** [آية: ٧١]

أي بعثَ محمدا ﷺ يخبرهم بأن الله ﷻ يتوب عليهم إن تركوا الكفر.

ثم عموا وصموا أي بعد وضوح الحجة.

١٣١- وقوله ﷻ: **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم** [آية: ٧٢].

قال إبراهيم النخعي: المسيحُ: الصِديق.

قال أبو جعفر: ووجدنا للعلماء في تفسير معناه ستة أقوال سوى هذا:

روي عن ابن عباس: سمي مسيحا لأنه كان أمسح الرجل، لا أخمص له.

وروى غيره عنه: إنما سمي مسيحا لأنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برأ، ولا يضع يده على شيء إلا أعطى فيه مراده.

وقال ثعلب: لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها.

وقيل: لسياحته في الأرض.

وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن.

وقال أبو عبيد: أحسب أصله بالعبرانية مشيحا.

قال: وأما قولهم «المسيح الدجالُ» فإنما سمي مسيحا لأنه ممسوح إحدى العينين، فهو مسيح بمعنى ممسوح، كما يقال: قتيلٌ بمعنى مقتول.

١٣٢- وقوله ﷻ: وأمه صِديقةٌ كانا يأكُلان الطعام [آية: ٧٥].

من الصدق، و«فِعيلٌ» في كلام العرب للتكثير، كما يقال: سِكيت.

وقال ﷻ: وصدقَت بِكلِماتِ ربها وكُتبِهِ [التحريم: ١٢].

ومن هذا قيل لأبي بكر ﵁: صِديق.

ويروى أنه إنما قيل له: صِديق، لأنه لما أُخبر أن النبي ﷺ أسري به إلى بيت المقدس، فقال: إن كان قال فقد صدق.

١٣٣- وقولُه ﷻ: كانا يأكُلان الطعام [آية: ٧٥]. في **معناه قولان**:

أحدهما: كناية عن إتيان الحاجة، كما يكنى عن الجماع بالغشيان وما أشبهه.

وقيل: كانا يتغذيان كما يتغذى سائر الناس، فكيف يكون إلهًا من لا يعيش إلا بأكل الطعام؟

١٣٤- ثم **قال ﷻ: انظُر كيف نبين لَهم الآياتِ ثُم انظُر أنى يؤفَكُونَ** [آية: ٧٥].

أي: قد بينا لهم العلامات، وأوضحنا الأمر، فمن أين يصرفون؟

يقال: أفَكه، يأفِكُه: إذا صرفه.

١٣٥- وقوله ﷻ: يا أَهلَ الكِتابِ لا تغلُوا فِي دِينكُم غَير الْحق [آية:٧٧].

الغلو: التجاوز.

قال أبو عبيد: كما فعلت الخوارج، أخرجهم الغلو إلى أن كفروا أهل الذنوب.

قال: ويبين لك هذا قولُ النبي ﷺ فيهم: «**يمرقُون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[1]. والمروق هو الغلو بعينه، لأن السهم يتجاوز الرمية.

(١) الحديث رواه البخاري ٨٦/٩ في فضائل القرآن، ومسلم رقم ١٠٦٦ في الزكاة باب التحـريض على قتال الخوارج، وأبو داود في السنن برقم ٤٧٦٧، والنسائي ١١٩/٧ بلفظ: «سيخرج قوم في آخر الزمان، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يقرءون القرآن لا يجاوز إيما م حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فـإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة».

١٣٦- ثم قال ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [آية: ٧٧].

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: يعني اليهود.

وقال غيره: لأنهم اتبعوا شهواتهم، وطلبوا دوام رياستهم، وآثروا ذلك على الحق.

والهوى في القرآن مذموم، والعرب لا تستعمله إلا في الشر، فأما في الخير فيستعملون الشهوة، والنية، والمحبة.

١٣٧- ثم قال ﷻ: ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾.

قال ابن أبي نجيح: يعني المنافقين.

وقال غيره: ضلوا باتباعهم إياهم.

١٣٨- ثم قال ﷻ: ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾. أي قصده.

١٣٩- وقوله ﷻ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [آية: ٧٨].

قال أبو مالك: الذين لعنوا على لسان داود مسخوا قردةً والذين لُعنوا على لسان عيسى ﷺ مسخوا خنازير.

وروي عن ابن عباس أنه قال: الذين لعنوا على لسان داود أصحاب السبت، والذين لعنوا على لسان عيسى الذين كفروا بعد نزول المائدة.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أول ما وقع النقص** في بني **إسرائيل أن أحدهم كان يرى أخاه على المعصية فينهاه،** ثم **لا** يمنعه **ذلك من الغد أن يكون أكيله، وشريبه، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، وأنزل فيهم القرآن: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾**».

ثم قال ﷺ: «**كلا والذي نفسي بيده، حتى تأخذوا على يدي الظالم، فتأطروه على الحق أطرًا**»[1].

(١) الحديث أخرجه أبو داود في الملاحم برقم ٤٣٣٦ ولفظه «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول له: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله، وشريبه، وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض..» الحديث. ورواه الترمذي بلفظ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب =

١٤٠- وقوله ﷻ: ﴿ترى كثيرا منهم يتولونَ الذين كفروا﴾ [آية: ٨٠].

قال مجاهد: يعني المنافقين.

١٤١- وقوله ﷻ: ﴿لتجدن أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ [آية: ٨٢].

قال سعيد بن جبير: هم سبعون رجلاً وجههم النجاشي، وكانوا أجل من عنده، فقها وسِناً، فقرأ عليهم النبي ﷺ «يسن» فبكوا، وقالوا: ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين.

وأنزل الله فيهم أيضا: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنونَ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**أولئك يؤتونَ أجرهم مرتين**﴾ [القصص: ٥٢- ٥٤]. إلى آخر الآية.

وروي عن ابن عباس أنه قال: هم قوم من الحبشة جاءوا إلى النبي ﷺ وكان معهم رهبان من رهبان الشام فآمنوا ولم يرجعوا.

١٤٢- وقوله ﷻ: ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ [آية: ٨٣].

روى إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: يعني أمةَ محمد ﷺ، ويبين لك صحة هذا القول قوله ﷻ: ﴿**وكذلك جعلناكم أمةً وسطًا لتكونوا شهداءَ على الناس**﴾ [آية: ١٤٣].

١٤٣- وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيباتِ ما أحل الله لكُم﴾ [آية: ٨٧].

قال الضحاك: هؤلاء قوم من المسلمين قالوا: نقطع مذَاكيرنا، ونلْبس المُسوح.

وقال قتادة: نزلت في جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون قالوا نخصي أنفسنا ونترهب .

وقال مجاهد: نزلت في عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهما.

قالوا: نترهب ونلبس المسوح.

=

بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئًا فقال: لا -أي لا تنجون من العذاب- والذي نفسي بيده، حتى تأطروهم على الحق أطرا».

١٤٤- وقوله ﷻ: **ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** [آية: ٨٧].

الاعتداءُ في اللغة: تجاوز ما له إلى ما ليس له.

قال الحسن: معناه: ألا تأتوا ما نهيتم عنه.

١٤٥- وقوله ﷻ: **لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم** [آية: ٨٩].

فيه قولان:

أحدهما: أنه قول الرجل: لا والله، وبلى والله، وروي هذا القول عن عائشة.

قال الشافعي: وذلك عند اللجاج، والغضب، والعجلة والقول الآخر: أن يحلف الرجل على الشيء هو عنده على ما حلف، ثم يكون على خلاف ذلك، يروى هذا القول عن ابن عباس وأبي هريرة.

واللغو في اللغة: المُطّرح، فقيل لما لا حقيقة له من الأيمان: لغو.

قال الكسائي: يقال: لغا، يلْغو، لغوا، أو لغي، يلْغى، لغا.

١٤٦- وقوله ﷻ: **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمانَ** [آية: ٨٩].

قال الكسائي: معنى **عقدتم** أوجبتم.

قال ابن جريج: قلت لعطاء: ما معنى **عقدتم** ؟ قال: واللهَ الذي لا إله إلا هو.

وقرأ أبو عمرو: **عقدتم** قال معناه: وكدتم.

وروى نافع أن ابن عمر كان إذا حنث من غير أن يؤكد اليمين أطعم عشرة مساكين، لكل مسكين، فإذا وكد اليمين أعتق رقبة.

قيل لنافع: ما معنى وكد اليمين؟ قال: أن يحلف على الشيء مرارا.

١٤٧- وقوله ﷻ: **فكفارته إطعام عشرة مساكين** [آية: ٨٩].

المعنى: فكفارة إثمه أي الذي يغطي على إثمه.

قال أبو جعفر: والهاء التي في **فكفارته** عائدة على (ما) التي في (**بما عقدتم الأيمانَ**).

وهذا مذهب الحسن والشعبي، لأن المعنى عندهما: فكفارة ما عقدتم منها.

وقيل: الهاء عائدة على اللغة، والأول أولى.

١٤٨- ثم **قال** ﷻ: **من أوسط ما تطعمونَ أهليكم** [آية: ٨٩].

قال عبد الله بن عمر: **من أوسط ما تطعمونَ أهليكم** الخبز والتمر، والخبز والزيت.

وأفضلُ ما تطعمو م: الخبز واللّحم.

وقال الأسود: أوسط ما تطعمون أهليكم: الخبز والتمر.

وقال أبو إسحاق: يحتمل هذا ثلاثة معان في اللغة:

يجوز أن يكون معنى: **﴿مِن أوسطِ ما تطعِمونَ أهلِيكُم﴾** من أعدل ما تطعمو م.

قال ﷻ: **﴿وكَذَلِك جعلْناكُم أمةً وسطًا﴾** [البقرة: ١٤٣] أي عدلاً.

ويحتمل أن يكون في القيمة. ويحتمل أن يكون في الشبع.

وقرأ سعيد بن جبير: ﴿مِن أوسطِ ما تطعِمونَ أهلِيكُم أو كإِسوتهم﴾[1] أي كإسوة أهليكم.

وروي أن رجلاً قرأ على مجاهد: **﴿أو كإِسوتهم﴾** فقال له: لا تقرأْ إلا **﴿أو كِسوتهم﴾**، وقال: أرى ذلك ثوبا.

وفي قراءة: عبد الله بن أبي كعب: **﴿فَمن لم يجِد فَصِيام ثَلاثَةِ أيامٍ متتابِعاتٍ﴾**[2].

١٤٩- ثم **قال** ﷻ: **﴿ذَلِك كَفارةُ أيمانِكُم إِذَا حلَفْتم﴾** [آية: ٨٩].

أي ذلك كفارة إثم أيمانكم إذا حلفتم وحنثتم، ثم حذف.

قال أبو جعفر: وكان «محمد بن جرير» يختار في «أوسطِ» أن تكون بمعنى أعدل في القلة والكثرة، قال: فأعدلُ أقواتِ الموسِع مدان، وذلك أعلاه، وأعدلُ أقواتِ المقتر مد، وذلك ربع صاعٍ، و«ما» مصدر. فأما الكسوةُ:

فقال الحسن وطاووس وعطاءٌ: ثوب، ثوب.

وقال سعيد بن المسيب: عباءةٌ، وعِمامة.

وقال مجاهد: كل ما كسا فهو مجزئ.

وهذا أشبه باللغة أن يكون كل ما وقع اسم كسوة، مما يكون ثوبا فصاعدا، لأن ما دون الثوب لا خلاف في أنه لا يجوز.

١٥٠- وقوله ﷻ: ﴿يا أيها الذِين آمنوا إِنما الْخمر والْميسِر والأنصاب والأزلاَم رِجس من عمل الشيطَان﴾ [آية: ٩٠].

روى موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال: الميسر: القمار.

وقال عبيد الله بن عمر: سئل القاسم بن محمد عن الشطرنج: أهي ميسر؟ وعن

(١) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب ٢١٨/١.

(٢) هذه قراءة شاذة لابن مسعود، كما في الطبري ٢٨٣/٦، والبحر المحيط ١٢/٤.

النرد أهو ميسر؟ فقال: كل ما صد عن ذكر الله، وعن الصلاة، فهو ميسر.

قال أبو عبيد الله: تأول قول الله ﷻ: **ويصدكُم عن ذِكْرِ الله وعن الصلاةِ** [آية: ٩١].

وزعم الأصمعي أن الميسر كان في الجزور خاصة، كانوا يقتسمو ا على ثمانية وعشرين سهما.

وقال أبو عمرو الشيباني: كانوا يقتسمو ا على عشرة أسهم، ثم يلقون القداح ويتقامرون على مقاديرهم، وهذا القول ليس بناقص لما تقدم، لأن الميسر إذا كان في الجزور خاصة فهو قمار. ثم قيل ما كان مثله من القمار ميسر، كما أن الخمر لشيءٍ بعينه، ثم قيل لكل مسكر: خمر، لأنه بمنـزلتها.

وقد ذكرنا في أول السورة «الأنصاب، والأزلام». والرجس: النتن.

١٥١- ثم **قال** ﷻ: **فَاجتنِبوه لَعلكُم تفْلِحونَ** [آية: ٩٠].

أي كونوا في جانب غير جانبه.

ويروى أن عمر ﷺ لم يزل يقول «اللهم بين لنا في الخمر» حتى نـزلت **فَهلْ أَنتم منتهونَ** ؟ فقال: قد انتهينا[1].

١٥٢- وقوله ﷻ: ليس على الذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ جناح فِيما طعِموا إِذَا ما اتقَوا وآمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ [آية: ٩٣].

قال ابن عباس والبراء: لما حرمت الخمر، قال المسلمون: يا رسول الله. فكيف لإخواننا المؤمنين الذين ماتوا وهم يشربو ا؟ فأنـزل الله ﷻ: **ليس على الذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ جناح فِيما طعِموا** [2] إلى آخر الآية

وروى الزهري عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر لما أراد حد «قُدامة بن

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه أحمد رقم ٣٧٨، وأبو داود رقم ٣٦٧٠، والترمذي رقـم ٣٠٥٣ وصححه، والنسائي ٢٨٦/٨ ولفظه «لما نـزل تحريم الخمر قال عمر بن الخطاب» اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، فنـزلت آية البقرة لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فكان منادى رسول الله إذا أقام الصلاة نادى ألا لا يقربن الصلاة سكران، فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ فهل أنـتم منتهون قال عمر: انتهينا ربنا انتهينا.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير وصححه برقم ٣٠٥٤، وأبو داود ١٨/٢، وابن حبان بـرقم ١٧٤٠.

مظعون» قال قُدامة: ما كان لكم أن تجلدوني ؟ قال الله ﷻ: **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** الآية، فقال، لعمر: أخطأت التأويل، إنك إذا أيقنت اجتنبت ما حرم الله عليك، ثم أمر به فجلد.

قيل: هذا أحسن من الأول لأن فيها **إذا ما اتقوا وآمنوا** [آية: ٩٣] «إذا» لا تكون للماضي، فالمعنى على هذا- والله أعلم- للمؤمنين قبلُ وبعد، على العموم.

وقد روي هذا أيضا عن ابن عباس.

قال أبو جعفر: قيل **ثم اتقوا وآمنوا** الشرك **وآمنوا** وصدقوا **إذا ما اتقوا وآمنوا** ازدادوا إيمانا **ثم اتقوا** الصغائر حذرا **وأحسنوا** تنفلُوا.

وقال محمد بن جرير: الاتقاء الأول هو الاتقاء بتلقي أمر الله بالقبول والتصديق، والدينونة به، والعمل. والاتقَاء الثاني: الاتقاءُ بالثبات على التصديق.

والثالث: الاتقاءُ بالإحسان والتقرب بالنوافل.

١٥٣- وقوله ﷻ: يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد [آية: ٩٤].

المعنى: ليختبرن طاعتكم من معصيتكم.

١٥٤- ثم **قال** ﷻ: **تناله أيديكم ورماحكم** [آية: ٩٤].

قال مجاهد: الذي «تناله أيديكم» البيض والفراخ، والذي تناله الرماح ما كان كبيرا.

١٥٥- وقوله ﷻ: لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم [آية: ٩٥].

روى شريك عن سالم عن سعيد بن جبير: **يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم** . قال: قتلُه حرام في هذه الآية.

قال بعض العلماء: أي إنه لما حرم قتلُ الصيد على المحرم كان قتلُه إياه تذكية.

١٥٦- وقوله ﷻ: ومن قتله منكم متعمدا [آية: ٩٥].

أكثر الفقهاء على أن عليه الجزاء، سواء كان متعمدا أو مخطئًا.

وذهبوا إلى قوله تعالى: **ومن قتله منكم متعمدا** مردود إلى قوله ﷻ: **ومن عاد فينتقم الله منه** [آية: ٩٥].

واحتجوا في ذلك أن النبي ﷺ **«سئل عن الضبع فقال: هي صيد، وجعل فيها إذا أصابها المحرم كبشا**[1]**، ولم يقل: عمدا ولا خطأ»**.

(١) الحديث أخرجه أبو داود ٤٨٥/٣ وابن ماجه ١٠٣٠/٢ والبيهقي ١٨٣/٥ والحاكم ٤٥٢/١ وصححه.

قال الزهري: هو في الخطأ سنةٌ[١].

وقال بعض أهل العلم: إنما عليه الجزاء إذا قتله متعمدا، واحتجوا بظاهر الآية.

حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد السلام نا محمد بن يحيى نا أبو الوليد نا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله ﷻ **ومن قتله منكم متعمدا** قال: ليس عليه في الخطأ شيء، إنما هو في العمد، يعني الصيد[٢].

١٥٧- قولُه ﷻ: فَجزاءٌ مثْلُ ما قَتلَ مِن النعمِ [آية: ٩٥].

قيل: النعم في اللغة «الإبلُ، والبقر، والغنم» وإن انفردت الإبل قيل لها نعم، وإن انفردت «البقر والغنم» لم يقل لها: نعم.

وقرأ الأعمش: فَجزاؤه مثْلُ ما والمعنى: فعليه جزاؤه، ثم أبدل «مثْلاً».من جزائه[٣].

١٥٨- وقوله ﷻ: أو كفّارةٌ طَعام مساكِين [آية: ٩٥].

«أو» هنا للتخيير.

وفي معناه أقوال:

وقيل: الحاكم مخير.

وقيل: أنه يعمل بالأول فالأول.

والقولُ الأول أحسن، لأن قاتل الصيد هو المخاطب، ولأن المعروف أن «أو» للتخيير.

وقرأ طلحة والجحدري أو عدلُ ذَلك صِياما [آية: ٩٥] وأنكره جماعة من أهل اللغة وقالوا: العِدلُ: الحِملُ.

وقال الكسائي: العدلُ، والعِدلُ لغتان بمعنى واحد[٤].

وقال الفراء: عدلُ الشيء: مثله من غير جنسه، وعدلُه: مثلُه من جنسه.

---

(١) أخرجه ابن جرير عن الزهري ٤٢/٧ ولفظه: «قال نزل القرآن بالعمد، وجرت السنة في الخطأ، يعني في المحرم يصيب الصيد» ومعناه: ألحقت السنة المخطئ بالمتعمد في وجوب الجزاء.

(٢) أخرجه ابن المنذر عن سعيد بن جبير، ورواه ابن أبي شيبة بنحوه عن ابن عباس.

(٣) هذه ليست من القراءات السبع، وفي الآية قراءتان سبعيتان: الأولى قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي فَجزاءٌ مثلُ بالتنوين ورفع مثل، والثانية قراءة ابن كثير ونافع فَجزاءُ مثلِ بالإضافة، انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٧.

(٤) لم ترد هذه القراءة في القراءات السبع، وهي من حيث اللغةُ صحيحة.

وأنكر البصريون هذا التفريق وقالوا: العدلُ والعِدل: المثلُ، كان من الجنس، أو من غير الجنس لا يختلف، كما أن المِثْلَ لا يختلف.

وفي الحديث: «لا يقبلُ الله منه صرفًا ولا عدلاً»[(1)].

فالصرف: التوبةُ، والعدلُ: الفِديةُ.

روي عن النبي ﷺ.

قال أبو حاتم: ولا يعرف قولُ من قال إ ما «الفريضةُ والنافلة» والذي أنكره أبو حاتم قاله المازري.

١٥٩- ثم **قال** ﷻ: **ليذُوق وبالَ أمرِه** [آية: ٩٥].

أي شدته، ومنه طعام وبيلٌ، إذا كان ثقيلاً، ومنه قوله:

عقيلةُ شيخٍ كالوبيل يلندَدِ[(2)]

١٦٠- ثم **قال** ﷻ: **عفَا الله عما سلَف ومن عاد فَينتقِم الله مِنه** [آية: ٩٥].

قال عطاء: عفا الله عما سلف في الجاهلية.

وقال شريح وسعيد بن جبير: يحكم عليه في أول مرة، فإذا عاد لم يحكم عليه، **وقيل له**: اذهب ينتقم الله منك، أي ذنبك أعظم من أن يكفر.

كما أن اليمين الفاجرة لا كفارة لها عند أكثر أهل العلم لِعظَم إثمها.

قلت: قول عطاء في هذا أشبه، والمعنى: ومن عاد بعد الذي سلف في الجاهلية، فينتقم الله منه بأشياء تصيبه من العقوبة، أو يكون مثل قوله تعالى: **ليذُوق وبالَ أمرِه** [آية: ٩٥].

١٦١- **وقوله** ﷻ: **أُحِل لكُم صيد البحرِ وطَعامه متاعا لكُم وللسيارة** [آية: ٩٦].

روى عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن عمر قال: «صيد البحر ما صيد منه، وطعامه ما قذف».

وكذلك روى سعيد بن جبير عن ابن عباس:

وقيل: طعامه: ما زرع لأنه به ينبت.

---

(١) الحديث رواه البخاري في الفرائض ١٩٢/٨، وابن ماجه في سننه ١١٧/٢ بلفظ: «من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله و الملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل».

(٢) هذا عجز بيت لطرفة العبد، وهو في ديوانه ص ٤٤.

وقال سعيد بن جبير: طعامه: المليح منه، وصيده: ما كان طرياً.

البين أن صيده أن تصيدوا، وطعامه أن تأكلوا الصيد.

قال مجاهد: لكم لأهل القرى وللسيارة لأهل الأمصار.

وقيل: السيار ة: المسافرون، وهذا أولى.

١٦٢- وقوله ﷻ: جعلَ الله الْكَعبةَ الْبيت الْحرام ِقياما للناس [آية: ٩٧].

فيه قولان:

أحدهما: وهو أشبه بالمعنى، أ م يقومون ا ويأمنون.

قال سعيد بن جبير: شدة للدين.

والقول الأخر: أ م يقومون بشرائعها.

فأما قوله ﷻ بعد هذا: ذَلك ِلتعلَموا أن الله يعلَم ما ِفي السماواتِ وما ِفي الأرض [آية: ٩٧] ومجانسةُ هذا الأول، فقال أبو العباس محمد بن يزيد: كانوا في الجاهلية يعظمون البيت الحرام، والأشهر الحُرم، حتى إ م كانوا يسمون رجبا- وهو من الأشهر الحُرم- الأصم، لأنه لا يسمع فيه وقع السلاح، فعلم الله ﷻ ما يكون منهم من إغارة بعضهم على بعض، فألهمهم أن لا يقاتلوا في الأشهر الحُرم، ولا عند البيت الحرام، ولا من كان معه القلائد، فالذي ألهمهم هذا، يعلم ما في السماوات وما في الأرض.

وقال أبو إسحاق: وقد أخبر الله ﷻ النبي ﷺ في هذه السورة بأشياء، ِمما يسره المنافقون، واليهود، فقال ﷻ: **سماعونَ ِللْكَذِبِ سماعونَ ِلقَومٍ آخرِين لَم يأتوك** [المائدة: ٤١].

وما كان من أمر الزانيين، وقوله ﷻ عن ذلك **ِلتعلَموا أن الله يعلَم ما ِفي السماواتِ وما ِفي الأرض** [آية: ٩٧] متعلق ذه الأشياء، أي الذي أخبركم ا، يعلم ما في السماوات وما في الأرض.

والدليل على صحة هذا القول قوله تعالى: **ما علَى الرسول ِإلا الْبلاغُ واللهُ يعلَم ما تبدونَ وما تكْتمونَ** [آية: ٩٩].

١٦٣- وقوله ﷻ: يا أَيها الَّذِين آمنوا لا تسألُوا عن أَشياءَ ِإن تبد لَكُم تسؤكُم [آية: ١٠١].

معنى **ِإن تبد لَكُم**: إن تظهر.

قال شعبة: أخبرني موسى بن أنس عن أنس بن مالك أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا رسول الله من أبي؟ فقال: أبوك فلانٌ، فأنـزل الله ﷻ **يا أَيها الَّذِين آمنوا لا تسألُوا**

عن أشياءَ إن تبد لكُم تسؤكُم [(١)].

روى إبراهيم الهجري عن أبي عياض عن أبي هريرة أن رجلاً قال: قال: يا رسول الله: أفرض الحج في كل سنة؟ فقال لو قلتها لوجبت، ولو وجبت فتركتموها لكفرتم[(٢)].

وروى أبو صالح عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: لا يسألني إنسانٌ في مجلسي هذا عن شيء إلا أنبأته به، فقال رجل يا رسول الله: من أبي؟ فأخبره، ونـزلت **لا تسألوا عن أشياءَ إن تبد لكُم تسؤكُم** . وأن لا يكلفهم طلب حقائق الأشياء من عنده ﷻ.

وقيل: إنما ينهى عن هذا لأن الله ﷻ أحب الستر على عباده، رحمةً منه لهم، وأحب أن لا يقترحوا المسائل.

وقال النبي ﷺ: «**اتركوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم لكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم**»[(٣)].

وروى عبد الكريم عن سعيد بن جبير قال: نـزلت (لا تسألوا عن أشياء إنْ تبد لكُم تسؤكُم) في الذين سألوا عن البحيرة، والسائبة، والوصيلة.

ألا ترى أن بعده (ما جعل الله من بحيرةٍ، ولا سائبةٍ، ولا وصيلةٍ ولا حامٍ).

قلت: أحسن هذه الأقوال الثاني، وأن الله ﷻ أحب الستر على عباده، و رد أحكامهم إلى الظاهر، الذي يقدرون عليه.

١٦٣- ودل على أن هذا الصحيح قوله ﷻ: قَد سألَها قَوم من قَبلِكُم ثُم أصبحوا بِها كَافِرين [آية: ١٠٢].

قال مقسم: فيما سألت الأمم أنبياءهم ﷺ من الآيات أي فأروهم، ثم كفر قومهم

---

(١) الحديث رواه البخاري في التفسير ٦٨/٦، عن أنس قال: خطب رسول الله ﷺ خطبـة مـا سمعت مثلها قط، قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كـثيرا» قـال: فغطـى أصحاب رسول الله ﷺ وجوهم لهم خنين- أي صوت بالبكاء من الأنف -فقال رجل مـن أبي؟ قال: فلا، فـ لت هذه الآية لا تسألُوا عن أشياءَ إن تبد لكُم تسؤكُم .

(٢) الحديث رواه الترمذي برقم ٣٠٥٧، وابن ماجه رقم ٢٨٨٤ ولفظه: لما نـزلت هذه الآية ولله على الناس حج البيت قالوا يا رسول الله: أفي كل عام؟ فسكت، فقالوا: أفي كل عام؟ فسكت، ثم قالوا: أفي كل عام؟ فقال: لا، ولو قلت نعم لوجبت، فأنـزل الله يا أيها الـذين آمنـوا لا تسألوا عن أشياء.. الآية.

(٣) الحديث رواه مسلم في صحيحه ٩١/٧، والنسائي ١١٠/٥، وابن ماجه ٣/١، وأحمد في المسـند ٢٤٧/٢.

ا بعد. واختلف أهل التفسير في «البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام».

قال أبو جعفر: ونذكر من قولهم ما وافقه قولُ أهل اللغة.

وهو معنى قول ابن عباس والضحاك: البحيرةُ: الناقةُ إذ نتجت خمسة أبطن فكان آخرها ذكرا، شقوا أذ ا وخلوها، لا تمنع من مرعى، ولا يركبها أحد.

وفي رواية ابن عباس: وعمدوا إلى الخامس فنحروه، وكان لحمه للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى استحيوها وتركوها ترعى مع أمها، بعد شقهم أذن الأم، وتركهم الانتفاع ا، وإن كانت ميتةً اشترك فيها الرجالُ والنساءُ.

وفي اشتقاقه قولا.

أحدهما: أن يقال: بحرةُ إذا شقه.

والقولُ الآخر: إنه من الاتساع في الشيء، مشبه بالبحر.

والسائبةُ: أن ينذر أحدهم إن برأ من مرضه ليسيبن ناقةً، أو ما أشبه ذلك، وإذا اعتق عبدا فقال: هو سائبةٌ، لم يكن عليه ولاءٌ.

وفي الحديث عن النبي ﷺ «**رأيت عمرو بن لُحيي يجر قُصبه في النار، وهو أولُ من سيب السوائب**»(١).

والوصيلةُ في الغنم خاصة، إذا ولدت الشاة سبعة أبطن، فإن كان السابع ذكرا ذبحوه، وكان لحمه للرجال دون النساء، وإذا ولدت أنثى لم يذبحوها، وقالوا وصلت أخاها.

وفي الرواية عن ابن عباس: قالوا وصلت أخاها، ولم يشرب من لبنها إلا الذكور خاصة، وإن كانت ميتة أكلها الرجال والنساء، وتلا ابن عباس **وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا** [الأنعام: ١٣٩] الآية.

والحامي: البعير إذا ولد له من صلبه عشرة أولاد، قالوا: قد حمى ظهره، فلم يركب، وخلي، وكان بمنـزلة البحيرة.

وفي الرواية عن ابن عباس: «إنه البعير إذا ركب أولاد أولاده، قالوا: قد حمى ظهره».

فأعلم الله أن هذا افتراءٌ منهم. فقال: **وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** [آية: ١٠٣].

---

(١) الحديث رواه البخاري ٢٨٣/٨، ومسلم ٢١٩٤/٤، وأحمد في المسند ٤٤٦/١.

قال الشعبي: «الذين لا يعقِلُون» الأتباع، والذين افتروا فعقلوا أ م افتروا.

١٦٤- وقوله ﷻ: **يا أيها الذِين آمنوا عليْكُم أنفُسكُم** [آية: ١٠٥].

أي ألزموا أنفسكم، فأصلحوها وخلصوها من العقاب.

١٦٥- ثم **قال** ﷻ: **لاَ يضركُم من ضل إِذَا اهتديتم** [آية: ١٠٥].

ليس في هذا دليلٌ على الرخصة، في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واللهُ ﷻ قد أمر بذلك، وإنما المعنى: لا تؤاخذون بكفر من كفر، وقد بين هذا في الحديث.

قال قيس بن أبي حازم: سمعت أبا بكر الصديق ﷺ على المنبر يقول: إنكم تأولُون **يا أيها الذِين آمنوا عليْكُم أنفُسكُم لا يضركُم من ضل إِذَا اهتديتم** فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا عمِل فيهم بالمعاصي،** ثم لم **يغيروا، أوشك الله** ﷻ **أن يعمهم بعقابه**»[1].

وقال ابن مسعود في هذه الآية: «قولوها ما قُبِلت منكم، فإذا ردت عليكم، فعليكم أنفسكم».

وقال سعيد بن جبير: هي في أهل الكتاب.

وقال مجاهد: هي في اليهود والنصارى ومن كان مثلهم.

يذهبان إلى أن المعنى: لا يضركم كفر أهل الكتاب إذا أدوا الجزية.

وهذا تفسير حديث أبي بكر.

فأما حديث ابن مسعود فعلى أن تأويل الآية على وقتين: ففي أوقات من آخر الزمان يعمل ا، كما قال أبو أمية الشعباني: قلت لأبي ثعلبة الخُشني: كيف أصنع ذه الآية: **يا أيها الذِين آمنوا عليْكُم أنفُسكُم لا يضركُم من ضل إِذَا اهتديتم** ؟

فقال: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال «**ائتمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعا، وهوى متبعا ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي ر أي برأيه ورأيت الأمر لا يدي لك به، أو لا يدلك به فعليك بنفسك، ودع العوام**»[2].

---

(١) الحديث رواه الترمذي وصححه برقم ٥٠٥٠، وأبو داود برقم ٤٣٣٨، وابن ماجه برقم ٤٠٠٥ في الفتن، وأحمد في المسند ٢/١.

(٢) الحديث رواه الترمذي برقم ٥٠٥١.

١٦٦- وقوله ﷻ: يا أيها الذين آمنوا شهادةُ بينكم إذا حضر أحدكم الموت [آية: ١٠٦].

وقرأ الأعرج: (شهادةٌ بينكُم)[1].

وقرأ عبد الرحمن: (شهادة بينكُم).

فمن قرأ (شهادةُ بينكُم) و(شهادةٌ بينكُم) فالمعنى عنده شهادة اثنين، ثم حذف شهادة وأقام اثنين مقامها في الإعراب.

ويجوز أن يكون المعنى: ليكن أن يشهد اثنان.

ومن قرأ: (شهادة بينكم) فهو عنده بغير حذف، والمعنى أن يشهد اثنان.

١٦٧- فأما قوله تعالى: اثنان ذوا عدلٍ منكُم أو آخران مِن غَيركُم [آية: ١٠٦].

ففي هذا اختلاف كبير.

قال أبو موسى الأشعري وابن عباس: **ذَوا عدلٍ منكُم** من أهل دينكم.

أو آخران مِن غَيركُم من أهل الكتاب.

وقال بهذا القول من التابعين: عَبيدةُ[2]، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وشريح، وابن سيرين، والشعبي.

وقال الحسن والزهري: (ذوا عدلٍ منكُم) من أقربائكم، لأنهم أعلم بأموركم من غيرهم (أو آخرانِ مِن غَيركُم) من غير أقربائكم من المسلمين.

وقال من احتج لهذا القول: قد أجمع المسلمون على أن شهادة أهل الكتاب لا تجوز على المسلمين في غير الوصية، وإجماعهم يقضي على اختلافهم.

وقال ﷻ: مِمن ترضونَ مِن الشهداءِ [البقرة: ٢٨٢].فدل هذا على أن أحدا منهم ممن لا يرضى، فالكافر يجب أن لا يرضى به أيضا فإنه قال ﷻ: **تحبِسونهما مِن بعدِ الصلاةِ** [آية: ١٠٦].

وقال إبراهيم النخعي: الآية منسوخة، نسخها (وأشهدوا ذَوي عدلٍ مِنكُم).

---

(١) قراءة الجمهور (شهادةُ بينِكم)، وأما قراءة الأعرج والسلمي فقد ذكرهما ابن عطيـة في المحـرر الوجيز ٨٣/٥ وأبو حيان في البحر المحيط ٣٨/٤ وقد عدهما ابن جني في المحتسب ٢٢٠/١ مـن القراءات الشاذة.

(٢) عَبيدة السلْماني تابعي كبير ثقة، سبقت ترجمته.

وقال زيد بن أسلم: كان ذلك والأرض حرب، والناس يتوارثون بالوصية. وتوفي رجل وليس عنده أحد من أهل الإسلام، فنزلت هذه الآية ثم نسخت الوصية، وفرضت الفرائض.

ومعنى **تحبسونهما من بعد الصلاة** من بعد صلاة العصر.

ومعنى **لا نشتري به ثمنا** [آية: ١٠٦] بما شهدنا عليه.

١٦٨- ثم **قال** ﷻ: **ولو كان ذا قربى** [آية: ١٠٦].

معناه: وإن كان ذا قربى، كما قال سبحانه **ولو افتدى به** [آل عمران: ٩١].

١٦٩- ثم **قال** ﷻ: **ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين** [آية: ١٠٦].

وقرأ عبد الله بن مسلم **ولا نكتم شهادةً الله** [١]، وهو يحتمل معنيين:

أحدهما: أن المعنى: ولا نكتم الله شهادة.

والمعنى الآخر: ولا نكتم شهادةً والله، ثم حذف الواو ونصب.

وقرأ الشعبي: **ولا نكتم شهادهِ الله** [٢] هذا عند أكثر أهل العربية لحن، وإن كان سيبويه قد أجاز حذف القسم والخفض.

وقرأ أبو عبد الرحمن: **ولا نكتم شهادةِ الله** على الاستفهام[٣].

١٧٠- وقوله ﷻ: **فإن عثر على أنهما استحقا إثما** [آية: ١٠٧].

قال إبراهيم النخعي: المعنى: فإن اطلع.

١٧١- ثم **قال** ﷻ: **فآخران يقومانُ مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان** [آية: ١٠٧].

إن اطلع عليهما بخيانة، فأمر اثنان من أولياء الميت، فحلفا واستحقا.

وقال أبو إسحاق: وهذا موضع مشكلٌ من الإعراب والمعنى.

وقد قيل فيه أقوال منها:

أن المعنى: من الذين استحق فيهم الأوليان، فقامت (على) مقام (في) كما قامت (في) مقام (على) في قوله تعالى **ولأصلبنكم في جذوع النخل** [طه: ٧١].

وقيل المعنى: من الذين استحق منهم الأوليان، وقامت (على) مقام (في) كما قال

(١) هذه من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢٢١/١.
(٢) انظر المحتسب ١/ ٢٢١.
(٣) انظر المحتسب ١/ ٢٢١.

تعالى ﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾ [المطففين: ٢] أي من الناس.

قال: والقول المختار أن المعنى عندي ليقم الأولى بالميت.

فالأوليان بدلٌ من الألف في (يقُومان) والمعنى: من الذين استحق عليهم الإيصاءُ.

وأنكر ابن عباس هذه القراءة، وقرأ (من الذين استحق عليهم الأولِين)، وقال: أرأيت إن كان الأوليان صغيرين؟

١٧٢ - وقوله ﷻ: ﴿يوم يجمع الله الرسلَ فَيقُولُ ماذَا أُجِبتم﴾ [آية: ١٠٩].

هذا السؤال على جهة التوبيخ لمن كذ م.

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: أ م لما سِئلُوا فَزِعوا، فزال وهمُهم، فقالوا: لا علم لنا.

قال مجاهد: لما قيل لهم: ماذا أُجبتم؟ فَزِعوا، فقالوا: لا علم لنا، فلما ثابت عقولهم خبروا بما علموا.

والقول الآخر: أن المعنى: لا علم لنا بما غاب عنا.

وقيل: يدل على صحة هذا القول ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ [آية: ١٠٩].وهذا مذهب ابن جريح.

وروى حجاج عن ابن جريح في قوله ﷻ: ﴿**يوم يجمع الله الرسلَ فَيقُولُ ماذَا أُجِبتم قَالُوا لاَ عِلْم لَنا**﴾ قال: وقيل: لهم: ما علمتم من الأمم بعدكم؟

قالوا: لا علم لنا.

قال أبو عبيد: ويشبه هذا حديث النبي ﷺ أنه قال: «**يرد الحوض أقوام فيختلجون، فأقولُ: أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثُوا بعدك**»[1].

١٧٣ - وقوله ﷻ: ﴿إذْ قَالَ الله يا عِيسى ابن مريم اذْكُر نعمتِي عليك وعلى والِدتك﴾ [آية: ١١٠].

نعمته على مريم: أنه ﷻ اصطفاها وطهرها.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الرقاق ١١/ ٤٦٤، ومسلم في الفضائل برقم ٢٢٩٧، بلفظ: «ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني، حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا دوني، فلأقـولن: أي رب أُصيحابي، أُصيحابي، فليقالن لي: حتى إنك لا تدري ما أحدثوا بعـدك» ومعـنى: اختلجـوا أي اختطفوا مني وأخذوا بسرعة. وفي بعض الروايات زيادة «فأقول سحقًا، لمن بدل بعدي».

وقال ﷻ: **كُلما دخلَ عليها زكريا المِحراب وجد عِندها رِزقًا** [آل عمران: ٣٧].

١٧٤- وقوله ﷻ: **إذْ أيدتك بِروح القُدس** [آية: ١١٠].

أيدتك: قويتك، وروح القُدس: جبريلُ ﷺ.

قيل: قواه به حين هموا بقتله، وقواه به في الحُجةِ.

١٧٥- وقوله ﷻ: **وإذْ أوحيت إلى الحواريين أنْ آمِنوا بِي وبرسولي** [آية: ١١١].

قيل: معنى «أوحيت» هاهنا: ألهمت، كما قال تعالى **وأوحى ربك إلى النحل** [آية: ٦٨].

وقيل: معناه أمرت كما قال الشاعر:

وحى لها القرار فاستقَرتِ[1]

وقيل: معنى أوحيت هاهنا: بينت، ودللت بالآيات والبراهين.

١٧٦ – وقوله ﷻ: **إذْ قَالَ الْحواريونَ يا عِيسى ابن مريم هلْ يستطِيع ربك أن ينـزلَ علينا مائِدةً من السماءِ** ؟ [آية: ١١٢].

روى شيبةُ بن نصاح المقري[2]، عن القاسم بن محمد، وعن عائشة أ ا قالت:

كان الحواريون أعرف بالله من أن يقولوا **هلْ يستطِيع ربك** ولكن قالوا: هل تستطيع ربك؟

وقرأ علي بن أبي طالب ﷺ، ومعاذ وابن عباس **هلْ تستطِيع ربك**[3] وكذلك قرأ سعيد بن جبير.

وقال سعيد: إنما هو هل تستطيع أن تسأل ربك، والتقدير عند أهل العربية على هذه القراءة: هل تستطيع سؤال ربك؟ ثم حذف، كما قال **واسأل القَرية**

و **هلْ يستطِيع ربك** حسن بغير حذف، معروف في كلام العرب أن يقال: هل

---

(١) البيت منسوب للعجاج وتمامه كما في اللسان:

وحى لها القرار فاستقَرتِ وشدها بالراسيات الثُبتِ

(٢) شيبة بن نصاح بن سرجس، مقرئ المدينة وقاضيها، إمام ثقة، مولى أم سلمة، توفي سنة ١٣٠ هـ ـ وانظر طبقات القراء ٣٣٠/١، والجرح والتعديل ٣٣٥/٤.

(٣) هذه قراءة الكسائي، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٩، فقد قرأها بالنصب هـلْ تسـتطِيع ربك على معنى: هل تستطيع أن تسأل ربك؟ وقراءة الجمهور بالضم هلْ يسـتطِيع ربـك بالضم.

يستطيع أن يقوم؟ بمعنى هل يستطيع أن يفعل ذلك بمسألتي؟ وأنت تعرف أنه يستطيعه.

وفي سؤال الحواريين تنـزيل المائدة قولان:

أحدهما: أ م سألوا ذلك ليتبينوا، كما قال إبراهيم عليه السلام: **رب أرني كيف تحيي الموتى** [البقرة: ٢٦٠].

والقول الآخر: أن يكون سؤالهم هذا، من قبل أن يعلموا أن عيسى يبرئ الأكمه والأبرص.

فأما قول عيسى لهم: **اتقوا الله إن كنتم مؤمنين** [المائة: ٥٨] فيعني: أن لا تقترحوا الآيات، ولا تسألوا ما لم يسأل غيركم من الأمم.

قال أبو عبيدة: «مائدةٌ» من الطعام، وهي فاعلة بمعنى مفعولة، كما قال ﷻ: **في عيشةٍ راضيةٍ** [الحاقة: ٢١].

وقال أبو إسحاق: «مائدة» عندي من ماد يميد: إذا تحرك.

وقرأ عاصم الجحدري: **تكونُ لنا عِيدا لأولنا وأخرانا** (١) [آية: ١١٤].

وقرا الأعمش: (تكُن لنا عِيداً).

وقيل: إ ا أنـزلت، وقيل: إ ا لم تنـزل.

والصواب أن يقال: إ ا أنـزلت، لقوله ﷻ: **قالَ الله إني منـزلها عليكم** [آية: ١١٥].

وروى قتادة عن خلاس بن عمرو عن عمار بن ياسر، وبعضهم يرفعه قال: «أنـزلت المائدة خبزا ولحما، وأُمروا أن لا يخزنوا، ولا يدخِروا لغدٍ، فخانوا، وادخروا، ورفعوا، فمسِخوا خنازير».

حدثنا القاسم بن زكريا المطرز نا الحسين بن قرعة قال نا ابن حبيب عن سعيد بن قتادة عن خلاس بن عمرو عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ «**أنـزلت المائدة خبزا ولحما، فأمروا أن لا يدخروا، ولا يرفعوا، فادخروا ورفعوا، فمسخوا قردة وخنازير**»(٢).

---

(١) قراءة الجحدري والأعمش ليستا من القراءات السبع.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب التفسير رقم ٥٠٥٤، عن عمار بن ياسر مرفوعا إلى النبي ﷺ وقال: هذا حديث غريب، روي عن عمار موقوفًا، ولا نعرفه مرفوعا إلا من حديث الحسن بـن

ويروى أن هذه محنة أمر الله ﷻ امتحا م ا.

قال عبد الله بن مسعود: أشد الناس عذابا أصحاب المائدة، وآل فرعون، والمنافقون.

وقال الحسن: لما أُوعدوا بالعذاب إن هم عصوا، قالوا: لا حاجة لنا ا، فلم تنـزل.

وقال مجاهد: لما قيل لهم: **فمن يكفُر بعد منكُم فإِني أعذبه عذَابا لا أعذبه أحدا من الْعالمِين** [آية: ١٥] امتنعوا من نـزولها فلم تنـزل.

وقيل: إن هذا العذاب في الآخرة.

١٧٧- وقوله ﷻ: وإِذْ قَالَ الله يا عِيسى ابن مريم أأنت قُلْت للناس اتخِذُوني وأمي إِلَهين من دون الله قَالَ سبحانك [آية: ١١٦].

في معنى هذا قولان:

أحدهما: أن هذا يقال له في الآخرة.

قال قتادة: يقال له هذا يوم القيامة، قال ألا ترى أنه قال: **هذَا يوم ينفَع الصادِقِين صِدقُهم** [آية: ١١٩]!! لا يكون إلا يوم القيامة.

وقال السدي: إنه قال هذا حين رفعه، لأنه قال ﷻ: **إِن تعذبهم فَإِنهم عِبادك وإِن تغفِر لَهم فَإِنك أنت الْعزِيز الْحكِيم** [آية: ١١٨].

فإنما دل هذا على أ م في الدنيا، أي أن تغفر لهم بعد التوبة.

واحتج لصاحب هذا القول بأن (إذْ) في كلام العرب لما مضى.

والقولُ الأول عليه أكثر أهل التفسير.

فأما حجةُ صاحب هذا القول الثاني، بأن (إذْ) لما مضى، فلا تجب، لأن إخبار الله ﷻ عما يكون بمنـزلة ما كان، فعلى هذا يصح انه للمستقبل، وسنذكر قولهم في **إِن تعذبهم فَإِنهم عِبادك** .

١٧٨- وقوله ﷻ: تعلَم ما فِي نفْسِي ولاَ أعلَم ما فِي نفْسِك [آية: ١٦].

قال أبو إسحاق: النفس عند أهل اللغة على معنيين:

=

قزعة، ثم قال: ولا نعلم للحديث المرفوع أصلاً.

أحدهما: أن يراد ا بعض الشيء.

والآخر: أن يراد ا الشيءُ كله، نحو قولك: قَتل فلانٌ نفسه.

فقوله ﷻ: **تعلم ما فِي نفْسِي ولاَ أعلَم ما فِي نفْسِك** معناه: تعلم حقيقتي وما عندي. والدليلُ على هذا قوله **إِنك أَنت علاَّم الْغيوبِ** [آية: ١١٦].

وقال غيره: المعنى: تعلم غيبي، ولا أعلم غيبك.

١٧٩- وقوله ﷻ: **فَلَما توفيتنِي كُنت أَنت الرقيب علَيهم** [آية: ١١٧].

قال قتادة: الرقي: الحافظ، وكذلك هو عند أهل اللغة.

١٨٠- وقوله ﷻ: **تعذبهم فَإِنهم عِبادك وإِن تغفِر لَهم فَإِنك أَنت الْعزِيز الْحكِيم** [آية: ١١٨]. في **هذا أقوال:**

فمن أحسنها أن هذا على التسليم لله ﷻ، وقد علم أنه لا يغفر لكافر، ولا يدر ى أكفروا بعد أم آمنوا؟

ومن الدليل على صحة هذا القول أن سعيد بن جبير روى عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**يحشر الناس يوم القيامة عراة، حفَاةً عزلاً، وقرأ** ﷺ **كَما بدأْكُم تعودونَ فيؤمر بأمتي ذات اليمين وذات الشمال، فأقول أصحابي فيقال: إنم لم يزالوا مرتدين على أعقابم بعدك، فأقولُ كما قال العبد الصالح: وكُنت علَيهِم شهِيدا ما دمت فِيهِم وقرأ إلى قوله وإِن تغفِر لَهم فَإِنك أَنت الْعزِيز الْحكِيم**»[1].

وروى أبو ذر أن النبي ﷺ قام ليلة يردد **إِن تعذبهم فَإِنهم عِبادك وإِن تغفِر لَهم فَإِنك أَنت الْعزِيز الْحكِيم**[2].

---

(١) الحديث رواه البخاري ٦٩/٦ في التفسير، وفي كتاب الأنبياء ٢٠٤/٤ ورواه مسـلم في الحشـر ١٥٧/٨ وأخرجه الترمذي ١٠٧/٧ وأحمد في المسند ٢٣٥/١ ولفظه عن ابن عباس قال: قام فينا يا رسول الله ﷺ بموعظة، فقال: يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة، عراة، غُرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي، فيؤخذ م ذات الشمال، فأقول يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا مـا دمـت فيهم فيقال لي إ م لم يزالوا مرتدين على أعقا م منذ فارقتهم.

(٢) الحديث رواه أحمد ١٤٩/٥، بلفظ: «صلى رسول الله ﷺ ليلة، فقرأ بآية حتى أصبح، يركع ـا ويسجد ا، وروى أبو ذر أن النبي ﷺ قال ليلة يردد إن تعذبهم فإنهم عِبادك...ُ الآية وفيـه: إني سألت ربي ﷻ الشفاعة لأمتي فأعطانيها».

وقيل: إنه معطوف على قوله ﷻ: **ما قُلْت لَهم إلا ما أمرتِني بِهِ** [آية: ١١٧].

والمعنى على هذا القول: ما قُلت في الدنيا إلا هذا.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد: لا يراد ـذا مغفرة الكفر، وإنما المعنى: ولأن تغفر لهم كذ ـم علي، وحكايتهم عني ما لم أقل.

وقال أبو إسحاق: قد علم عيسى ﷺ أن منهم من آمن، فالمعنى عندي- والله أعلم- إن تعذ ـم على فريتهم وكفرهم، فقد استحقوا ذلك، وإن تغفر لمن تاب منهم بعد الافتراء العظيم والكفر، وقد كان لك أن لا تقبل توبته بعد اجترائه عليك، فإنك أنت العزيز الحكيم.

وأما قول من قال: إن عيسى ﷺ لم يعلم أن الكافر لا يغفر له، فقولٌ مجترءٌ على كتاب الله ﷻ، لأن الإخبار من الله ﷻ لا ينسخ.

وقيل: كان عند عيسى ﷺ، ا ـم أحدثوا معاصي وعملوا بعده بما لم يأمرهم به، إلا أ ـم على عمود دينه، فقال ﷻ **وإن تغفِر لَهم** ما أحدثوا بعدي من المعاصي.

وقوله ﷻ: هذَا يوم ينفَع الصادِقين صِدقُهم [آية: ١١٩].

سئل بعض أهل النظر عن معنى هذا فقيل له: لو صدق الكافر، وقال: أسأت لم ينفعه ذلك؟

والجواب عن هذا: أن يوم القيامة يوم مجازاة وليس بيوم عمل فإنما المعنى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم في الدنيا، وتركهم الافتراء على الله جل اسمه، وعلى رسله.

وقيل: ينفعهم صدقهم في العمل، والله اعلم بما أراد.

«انتهت سورة المائدة بعونه تعالى»

❁ ❁ ❁

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

سُورة الأنعام وَهىَ مكيّة

قال: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى، حدثنا «أبو حاتم» روح بن الفرج، مولى الحضارمة قال: حدثنا أحمد بن محمد «أبو بكر العمري» قال: حدثنا ابن أبي فُديك، قال: حدثني عمر بن طلحة بن علقمة بن وقاص، عن نافع أبي سهيل بن مالك، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين، لهم زجل بالتسبيح، والأرض لهم ترتج، ورسول الله يقول: «**سبحان ربي العظيم**» ثلاث مرات[1].

١- قوله ﷻ: الْحمد للهِ الذِي خلَق السماواتِ والأرض وجعلَ الظلُماتِ والنور [آية: ١].

قال قتادة: خلق الله السماء قبل الأرض، والليل قبل النهار، والجنة قبل النار[2].

فأما قوله ﷻ: والأرض بعد ذَلِك دحاها [النازعات: ٣٠] فمعناه: بسطها.

٢- وقوله ﷻ: ثُم الذِين كفَروا بِربهم يعدِلُونَ [آية: ١].

قال مجاهد: أي يشركون.

قال الكسائي: يقال: عدلت الشيء بالشيء عدولاً: إذا ساويته به[3].

وهذا القول يرجع إلى قول مجاهد؛ لأ م إذا عبدوا مع الله غيره، فقد ساووه به وأشركوا.

٣- وقوله ﷻ: هو الذِي خلَقَكُم من طِينٍ ثُم قَضى أجلاً وأجلٌ مسمى عِنده [آية: ٢].

قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة وخصيف، وقتادة، وهذا لفظ الحسن-: قضى أجل الدنيا من يوم خلقك إلى أن تموت، **وأجلٌ مسمى عِنده** يعنى الآخرة.

---

(١) الحديث أخرجه ابن مردويه، والبيهقي في دلائل النبوة، ورواه ابن كثير في التفسير ٢٣٣/٣.

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن قتادة ٤/٣، وابن جرير في جامع البيان ١٤٣/٧.

(٣) يعدلون: يسوون به غيره، ويجعلون لـه عدلاً وشريكاً.

ثُم أنتم تمترونَ [آية: ٢] أي: تشكون، وتعبدون معه غيره.

٤- وقوله ﷻ: وهو الله فِي السماواتِ وفِي الأرض [آية: ٣].

قيل: المعنى: وهو إله في السموات، وفي الأرض.

والألف واللام في أحد قولي سيبويه: مبدلة من همزة، والأصل عنده: إله.

فالمعنى على هذا: هو المعبود في السموات وفي الأرض.

ويجوز أن يكون المعنى: وهو الله المنفرد بالتأليه في السموات والأرض، كما تقول: هو في حاجات الناس، وفي الصلاة.

ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر، ويكون المعنى: وهو الله في السموات، وهو الله في الأرض.

٥- وقوله ﷻ: ألم يروا كم أهلكْنا مِن قَبلِهم من قَرنٍ [آية: ٦].

قيل: القَرن: ستون عاماً، وقيل: سبعون، فيكون التقدير على هذا: من أهل القرن.

وأصح من هذا القول: القرن: كل عالمٍ في عصر لأنه مأخوذ من الاقتران، أي: عالم مقترنٌ بعضهم إلى بعض.

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «**خير الناس القَرنُ الذي أنا فيه** -يعني **أصحابه**- ثم **الذين يلو م**، ثم **الذين يلو م**»(١).

وأكثر أصحاب الحديث على أن القَرن: مائة سنةٍ، واحتجوا بأن النبي قال لعبد الله بن بسر: «**تعيش قَرناً**»، فعاش مائة سنة.

٦- وقوله ﷻ: وأرسلْنا السماءَ عليْهم مدرارا [آية: ٦].

أي تدر عليهم، ومدرار على التكثير، كما يقال امرأة مذكار، إذا كثرت ولادتا للذكور، ومئنات.

٧- وقوله ﷻ: ولَو نزلْنا عليْك كِتابا فِي قِرطاسٍ فَلَمسوه بِأيدِيهم لَقَالَ الذِين كَفَروا إِنْ هذَا إِلا سِحر مبِين [آية: ٧].

أي: قد جعلوا في أنفسهم الكفر والعناد، فإذا رأوا آيةً قالوا: سحر، كما أ م سألوا انشقاق القمر، فلما انشق قالوا: «**هذَا سِحر مستمِر**» كذلك أيضًا: لو نزل الله عليهم كتاباً من السماء، لقالوا: إن هذا إلا سحر مبين.

---

(١) الحديث رواه البخاري في الشهادات ١٩٠/٥، ومسلم في فضائل الصحابة بـرقم ٢٥٣٥، والترمذي في الفتن برقم ٢٢٢٢.

٨- وقوله ﷻ: وقالوا لولا أنزلَ عليهِ ملك ولو أنزلنا ملكًا لقُضِي الأمر [آية: ٨].

قال ابن أبي نجيح: عن مجاهد أي لقامت القيامة.

والمعنى عند أهل اللغة: لحتم لاكهم، وهو يرجع إلى ذلك القول.

٩- وقوله ﷻ: ولو جعلْناه ملكًا لجعلْناه رجلاً [آية: ٩].

قال قتادة: أي في صورة بني آدم.

١٠- ثم قال تعالى: وللبسنا عليهم ما يلْبِسونَ [آية: ٩].

قال الضحاك: يعني أهل الكتاب؛ لأ م غيروا صفة النبي ﷺ في كتا م وعصوا ما أمروا به.

قال الكسائي: يقال: لبست عليهم الأمر: ألبسه لبساً، إذا خلطته أي أشكلته.

١١- وقوله ﷻ: فَحاق بالذِين سخِروا مِنهم ما كانوا بِهِ يستهزئُونَ [آية: ١٠].

الحيق في اللغة: ما يعود على الإنسان من مكروه فعله، ومنه: **ولاَ يحِيق المكْر السيئُ إلا بأهلِهِ** [فاطر: ٤٣].

١٢- وقوله ﷻ: قُل لمن ما فِي السماواتِ والأرض قُل للهِ [آية: ١٢].

هذا احتجاج عليهم؛ لأ م مقرون أن ما في السموات والأرض لله، فأمر الله النبي ﷺ أن يحتج عليهم بأن الذي خلق ما في السموات والأرض، قادر على أن يحييهم بعد الموت.

١٣- ثم قال ﷻ: كَتب على نفْسِهِ الرحمةَ [آية: ١٢].

لأنه أمهلهم إلى يوم القيامة.

ويجوز أن يكون هذا تمام الكلام.

ويجوز أن تكون (ما) هذه تبييناً؛ لأن قوله تعالى: **ليجمعنكُم إلى يوم الْقِيامةِ لا ريب فِيهِ** معناه يمهلكم، فهذا من رحمته ﷻ.

١٤- وقوله ﷻ: ولَه ما سكَن فِي الليل والنهار [آية: ١٣].

أي: ثبت، وهذا احتجاج عليهم أيضًا.

١٥- وقوله ﷻ: وهو يطْعِم ولا يطْعم [آية: ١٤].

كما تقول: هو يرزق ولا يرزق، ويعول ولا يعال.

وروي عن الأعمش أنه قرأ: وهو «يطعم ولا يطْعم» وهي قراءة حسنة. أي: ولا يأكُل.

١٦- وقوله ﷻ: من يصرف عنه يومئِذٍ فَقَد رحِمه [آية: ١٦].

المعنى: من يصرف عنه العذاب، ثم حذف لعلم السامع، وكذلك معنى «من يصرف».

١٧- وقوله ﷻ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [آية: ١٩].

المعنى: ومن بلغه القرآن، ثم حذفت الهاء لطول الاسم.

وقال مجاهد: ومن أسلم من فصيحٍ وأعجم.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**بلغوا القرآن عن الله ﷻ، ومن بلغته آية من كتاب الله، فقد بلغه أمر الله**»(١).

وقيل: المعنى: ومن بلغ الحلم، كما يقال: قد بلغ فلان.

١٨- وقوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾ [آية: ٢٠].

ويجوز أن يكون المعنى القرآن.

والحديث يدل أن المعنى: يعرفون النبي ﷺ.

وروي أن عمر قال لعبد الله بن سلام: «أتعرف محمداً ﷺ كما تعرف ابنك؟ فقال: نعم وأكثر، بعث الله أمينه في سمائه، إلى أمينه في أرضه، بنعته فعرفته، وابني لا أدري ما كان من أمه»(٢).

١٩- **وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾** [آية: ٢٣].

قال أبو إسحاق(٣): تأويل هذه الآية لطيف جداً، أخبر الله ﷻ بقصص المشركين وافتتانهم بشركهم، ثم أخبر أن فتنتهم لم تكن حين رأوا الحقائق إلا أن انتفوا من الشرك، ونظير هذا في اللغة أن ترى إنساناً يحب غاوياً، فإذا وقع في هلكةٍ تبرأ منه، فيقول له: ما كانت محبتك إياه إلا أن تبرأت منه.

فأما معنى قولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [آية: ٢٣] وقال في موضع آخر: **﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾** [النساء: ٤٢] معطوف على ما قبله، والمعنى: وودوا أن لا يكتموا الله حديثاً. والدليل على صحة هذا القول أنه:

روي عن سعيد بن جبير في قوله: **﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾** قال: اعتذروا

---

(١) أخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة مرفوعاً، وابن جرير في جامع البيان ٧/١٦٢، وابن كثير في التفسير ٣/٢٤٠.

(٢) عبد الله بن سلام، كان من أكابر أحبار اليهود، ثم أسلم، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣].

(٣) يعني: الزجاج، وقد تقدمت ترجمته.

وحلفوا، وكذلك قال ابن أبي نجيح وقتادة.

وروي عن مجاهد أنه قال: لما رأوا الذنوب تغفر إلا الشرك، والناس يخرجون من النار إلا المشركين، قالوا: **والله ربنا ما كُنا مشركين**.

وقول بعض أهل اللغة: إنما قالوا هذا على أ م صادقون عند أنفسهم، ولم يكونوا ليكذبوا وقد عاينوا ما عاينوا، وقطرب يذهب إلى هذا القول، وهو قول مردود؛ لأنه قال: لم يكونوا ليكذبوا، وبعدها **انظُر كَيف كَذَبوا على أنفُسِهم** [آية: ٢٤]. ويبين لك الغلط في هذا القول قوله ﷻ: **يوم يبعثُهم الله جميعا فَيحلِفُونَ لَه** [ا ادلة: ١٨] الآية.

قال مجاهد: كذ م الله.

وقيل: معنى **ولاَ يكْتمونَ الله حدِيثًا** [النساء: ٤٢]: أنه ظاهر عنده.

٢٠- وقوله ﷻ: **ومنهم من يستمِع إليك وجعلْنا على قُلُوبهم أكِنةً أن يفْقَهوه وفي آذَانِهم وقْرا** [آية: ٢٥].

قيل: فعل م هذا مجازاةً على كفرهم، وليس المعنى أ م لا يسمعون ولا يفقهون، ولكن لما كانوا لا ينتفعون بما يسمعون ولا ينقادون إلى الحق كانوا بمنـزلة من لا يسمع ولا يفهم.

ثم خبر بعنادهم فقال: **وإن يروا كُل آيةٍ لا يؤمِنوا بِها** [آية: ٢٥]؛ لأ م لما رأوا القمر منشقاً قالوا: سحر، فأخبر الله ﷻ بردهم الآيات بغير حجة، وقال: **حتى إذَا جاءُوك يجادِلُونك يقُولُ الذِين كفَروا إنْ هذَا إلا أساطِير الأولين** [آية: ٢٥] فخبر أن هذا مقدار احتجاجهم.

٢١- وقوله ﷻ: **وهم ينهونَ عنه وينأونَ عنه** [آية: ٢٦].

أكثر أهل التفسير يذهب إلى أن المعنى للكفار أي: ينهون عن اتباع النبي ﷺ، ويبعدون عنه.

قال مجاهد: يعني به قريش.

وكذلك قال قتادة والضحاك: يعني به الكفار.

وروى سفيان عن حبيب بن أبي ثابت قال: أخبرني من سمع ابن عباس يقول: نزلت في «أبي طالب» كان ينهي عن أذى النبي ﷺ، ويتباعد عنه.

والقول الأول أشبه، لأنه متصل بأخبار الكفار وقولهم.

٢٢- وقوله ﷻ: **إن يهلكُونَ إلا أنفُسهم** [آية: ٢٦].

أي: وبال ذلك يرجع عليهم؛ لأن الله ﷻ يبدد جموعهم، وينصره عليهم.

٢٣- ثم **قال** ﷻ: **وما يشعرونَ** [آية: ٢٦].
أي: وما يشعرون أن وبال ذلك يرجع عليهم.
٢٤- وقوله ﷻ: **ولو ترى إذْ وقفُوا على النارِ** [آية: ٢٧].
في معناه ثلاثة أقوال:
١- منها أن معنى **وقفُوا على النارِ** [آية: ٢٧] أدخلوها، كما يقال: وقفت على ما عند فلان، أي: عرفت حقيقته.
٢- وقيل: معناه رأوها.
٣- **وقيل:** جازوا عليها وهي من تحتهم.
٢٥- ثم **قال** ﷻ: **فقَالُوا يا ليتنا نرد ولا نكَذب بآياتِ ربنا ونكُونَ مِن المؤمِنين** [آية: ٢٧].
المعنى: ونحن لا نكذب بآيات ربنا، رددنا أو لم نرد.
قال سيبويه: ومثله: دعني ولا أعود، أي ولا أعود تركتني أو لم تتركني.
ومن قرأ: ولا نكَذب بآياتِ ربنا ونكُونَ مِن المؤمِنين [آية: ٢٧]. فمعناه عنده: ياليتنا وقع لنا الرد وأن لا نكذب.
قال أبو إسحاق: وفيه معنى: إن رددنا لم نكذب.
وقرأ ابن عامر: يا ليتنا نرد ولا نكَذب بآياتِ ربنا ونكُونَ مِن المؤمِنين [آية: ٢٧] بالنصب.
وقرأ عبد الله بن مسعود: ولا نكَذب بآياتِ ربنا ونكُونَ مِن المؤمِنين [آية: ٢٧].
وقرأ أبي بن كعب: ولا نكذب بآياتِ ربنا أبداً[1].
٢٦- وقال ﷻ: **بلْ بدا لهم ما كَانوا يخفُونَ مِن قَبلُ** [آية: ٢٨].
المعنى: بل ظهر للذين اتبعوا الغواةَ، ما كان الغواةَ يخفون عنهم من أمر البعث والقيامة، لأن بعده: **وقَالُوا إنْ هِي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين** [آية: ٢٩].
وقال بعض أهل اللغة: ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، فيه شيء محذوف، والمعنى: ولو ردوا قبل أن يعاينوا العذاب؛ لأ م لا يكفرون بعدما عاينوا.
وهذا القول مردود؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر عنهم أ م يقولون هذا يوم القيامة،

---
(١) هذه من شواذ القراءات.

وقد خبر ﷻ عن إبليس أنه كفر بعدما رأى، وعنهم أ م كفروا عناداً وإيثاراً للرئاسة.

٢٧- وقوله ﷻ: جاءَتهم الساعةُ بغتةً [آية: ٣١].

البغتة: الفجاءة.

يقال: بغتهم الأمر يبغتهم بغتاً وبغتةً(١).

٢٨- ثم **قال ﷻ: قَالُوا يا حسرتنا على ما فَرطْنا فِيها** [آية: ٣١].

الفائدة في نداء الحسرة وما كان مثلها مما لا يجيب أن العرب إذا أرادت تعظيم الشيء، والتنبيه عليه، نادته، ومنه قولهم: يا عجباه.

قال سيبويه: إذا قلت: يا عجباه فمعناه أحضر وتعال يا عجب، فإن هذا من أزمانك، فهذا أبلغ من قولك: تعجبت، ومنه قول الشاعر:

فيا عجباً مِن رحلِها المُتحمـل(٢)

٢٩- وقوله ﷻ: وهم يحمِلُونَ أَوزارهم على ظُهورِهم [آية: ٣١].

واحد الأوزار: وزر، والفعل منه وزر يزر، يراد به الإثم، وهو تمثيلٌ، وأصله الوزر، وهو الجَبل. ومنه الحديث في النساء اللواتي خرجن في جنازة، فقال لهم: «**ارجعن موزوراتٍ غير مأجورات**»(٣).

قال أبو عبيد: والعامة تقول: «مأزوراتٍ» كأنه لا وجه لـه عنده؛ لأنه من الوزر، ومنه قيل: وزير، كأنه يحمل الثقل عن صاحبه.

٣٠- وقوله ﷻ: فَإِنهم لا يكَذبونك [آية: ٣٣].

هكذا روي عن علي بن أبي طالب -رضوان الله عليه- أنه قرأ، وهو اختيار أبي عبيد، واحتج بأنه روي أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكنا نكذب ما جئت به، فأنزل الله ﷻ **فَإِنهم لا يكَذبونك** .

---

(١) البغت: أن يفجأك الشيء، تقول: بغته أي فاجأه، ولقيته بغتةً أي فجأة، والمباغتةُ: المفاجـأة، ويقال: ليست آمن من بغتات العدو أي فجآته، وقال الشاعر:

ولكنهم ماتوا -ولم أدر- بغتةً   وأفظع شيءٍ حين يفْجؤك البغت

انظر الصحاح ٢٤٣/١.

(٢) هذا عجز بيت من معلقة امرئ القيس، وهو في ديوانه صـ ١٢٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه عن علي رضي الله عنه، وأبو يعلى في مسنده.

وقد خولف أبو عبيد في هذا، وروي: «لا نكذبك» فأنزل الله ﷻ **﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾**، ويقوي هذا أنه روي أن رجلاً قرأ على ابن عباس **﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾**، فقال لـه ابن عباس: **﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾**؛ لأ م كانوا يسمون النبي ﷺ الأمين[1].

ومعنى (يكذبونك) عند أهل اللغة: ينسبونك إلى الكذب، ويروون عليك ما قلت.

ومعنى (لا يكذبونك): لا يجدونك كاذباً، كما تقول: أحمدته، إذا وجدته محموداً.

ويجوز أن يكون معنى المخففة: لا يبينون عليك أنك كاذب؛ لأنه يقال: أكذبته، إذا احتججت عليه وبينت أنه كاذب.

حدثنا محمد بن جعفر الأنباري حدثنا شعيب بن أيوب الواسطي عن معاوية بن هشام عن سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب عن علي قال: قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به، فأنزل الله ﷻ **﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾** [آية: ٣٣].

والقول في هذا مذهب أبي عبيد، واحتجاجه لازم؛ لأن عليا -رحمة الله عليه- هو الذي روى الحديث، وقد صح عنه أنه قرأ بالتخفيف.

وحكى الكسائي عن العرب: أكذبت الرجل، أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه، وكذبته: أخبرت أنه كاذب.

٣١- وقوله ﷻ: ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾ [آية: ٣٥].

قال قتادة: النفق: الشرب في الأرض، والسلم: الدرج.

وكذلك هو في اللغة، ومنه النافقاء: أحد حجر اليربوع[2].

قال أبو إسحاق: والسلم: مشتق من السلامة، كأنه يسلمك إلى الموضع الذي تريد.

والمعنى: إن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية فافعل.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن، وروى نحوه عن ابن عباس.

(٢) النفق: السرب في داخل الأرض الذي يتوارى فيه، والنافقاءُ ممدود وهو أحد مخارج حجـر اليربوع، والسلم: المصعد قال السدي، وقال قتادة: الدرج. وقال الجوهري النفق: سـرب في الأرض لـه مخلص إلى مكان، وفي المثل «ضل دريص نَفَقَه» أي جحره، والنافقـاءُ: إحـدى جِحَرةِ اليربوع. انظر الصحاح ١٥٦٠/٤.

ثم حذف هذا لعلم السامع، أي ليس لك من الأمر شيء.

٣٢- ثم قال ﷻ: **ولو شاءَ الله لجمعهم على الهدى** [آية: ٣٥]

أي: لأراهم آيةً تضطرهم إلى الإيمان، ولكنه أراد ﷻ أن يثبت من آمن منهم ومن أحسن.

ويجوز أن يكون المعنى لطبعهم على الإيمان.

٣٣- ثم قال ﷻ: **إنما يستجيب الذين يسمعونَ** [آية: ٣٦].

قال الحسن ومجاهد: يراد به المؤمنون، والمعنى: الذين يسمعون سماع قبول.

٣٤- ثم قال ﷻ: **والموتى يبعثُهم الله** [آية: ٣٦].

قال الحسن ومجاهد: يراد به الكفار.

وقال غيرهما: يراد به كل ميتٍ.

٣٥- وقوله جلّ جلاله: وما مِن دابةٍ في الأرض ولا طائرٍ يطير بجناحيه إلا أمم أمثالُكُم [آية: ٣٨].

وأكثر أهل التفسير يذهب إلى أن المعنى: أ م يخلقون كما يخلقون، ويبعثون كما يبعثون.

وكذلك قال أبوة هريرة: يحشر الله ﷻ يوم القيامة، الطير، والبهائم، فيبلغ من عدله أن يأخذ من القَرناء للجماء، ثم يقول: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: **يا ليتني كُنت ترابا** [النبأ: ٤٠][1].

وقال مجاهد في قوله ﷻ: **إلا أمم أمثالُكُم** [آية: ٣٨] قال: أصناف، لهن أسماء تعرف ا كما تعرفون.

ومعنى **يطير بجناحيه** [آية: ٣٨] على التوكيد؛ لأنك قد تقول: طرت في حاجتي.

٣٦- وقوله ﷻ: **قُلْ أرأيتكُم إنْ أتاكُم عذاَب الله أو أتتكُم الساعةُ** [آية: ٤٠].

والمعنى: أو أتتكم الساعة التي تبعثون فيها.

٣٧- ثم قال ﷻ: **أغَير الله تدعونَ إن كُنتم صادِقين** [آية: ٤٠].

في هذا أعظم الاحتجاج عليهم؛ لأ م كانوا يعبدون الأصنام، فإذا وقعوا في شدة دعوا الله.

---

(١) الحديث أخرجه عبد الرازق، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وهو موقـوف علـى أبي هريرة، ورواه الطبري في جامع البيان ١٨٨/٧ وابن كثير في التفسير ٢٤٩/٣.

٣٨- وقال ﷻ: بلْ إياه تدعونَ فَيكْشِف ما تدعونَ إليه إنْ شاءَ [آية: ٤١].
هذا مجاز، والمعنى: فيكشف الضر الذي من أجله دعوتموه، وهو مثل: **واسأل القَرية** [يوسف: ٨٢] في المجاز.
٣٩- وقوله ﷻ: ولقَد أرسلْنا إلى أممٍ من قَبلِك فَأخذْناهم بالبأساءِ والضراءِ [آية: ٤٢].
قيل: البأساء: الجوع والفقر، والضراء: نقص الأموال، والأنفس بالمرض، والثمرات.
٤٠- ثم **قال ﷻ: لَعلهم يتضرعونَ** [آية: ٤٢].
أي ليكون العباد على رجاءٍ من التضرع.
٤١- ثم **قال تعالى: فَلولاَ إذْ جاءَهم بأسنا تضرعوا** [آية: ٤٣].
أي: فهلا؟.
وأعلم الله النبي أنه قد أرسل قبله رسولاً إلى قوم، بلغ من قسوتم أن أخذوا بالبأساء والضراء فلم يتضرعوا.
٤٢- وقوله ﷻ: فَلما نسوا ما ذُكروا به فَتحنا عليهم أبواب كُل شيءٍ [آية: ٤٤].
قال مجاهد: من رخاء الدنيا ويسرها.
والتقدير عند أهل اللغة: فتحنا عليهم أبواب كل شيءٍ كان مغلقاً عنهم.
٤٣- وقوله ﷻ: فَإذَا هم مبلِسونَ [آية: ٤٤].
قال أبو عبيدة: المبلس: الحزين النادم.
قال الفراء: المبلس: المنقطع الحجة.
٤٤- وقوله ﷻ: فَقُطِع دابِر القَومِ الذِين ظَلَموا [آية: ٤٥].
الدابر في اللغة: الآخر، يقال: دبرهم يدبرهم، إذا جاء آخرهم.
وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود: «**من الناس من لا يأتي الصلاة إلا دبرياً**» أي في آخر الوقت.
٤٥- وقوله ﷻ: قُلْ أرأيتم إنْ أخذَ الله سمعكُم وأبصاركُم وختم على قُلوبكُم من إله غَير الله يأتيكُم به ؟ [آية: ٤٦].
المعنى: من إله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم؟ والهاء كناية عن المصدر، فلذلك وحدت.

ويجوز أن يكون تعود على السمع مثل **والله ورسوله أحق أن يرضوه** [التوبة: ٦٢].

٤٦- ثم **قال تعالى: انظر كيف نصرف الآياتِ ثم هم يصدِفُونَ** [آية: ٤٦].

قال قتادة: أي يصدفون عنها.

٤٧- وقوله ﷻ: **قُلْ أرأيتكم إنْ أتاكُم عذاب الله بغتةً أو جهرةً** [آية: ٤٧].

قال مجاهد: البغتة: أن يأتيهم فجاءة آمنين، والجهرة: أن يأتيهم وهم ينظرون.

٤٨- ثم **قال** ﷻ: **هلْ يهلك إلا القوم الظالمونَ** [آية: ٤٧] أي هل يهلك إلا أنتم؛ لأ م كفروا وعاندوا.

٤٩- وقوله جلّ ثناؤه: وما نرسِلُ المرسلين إلا مبشرين ومنذِرين [آية: ٤٨].

أي لم نرسلهم ليأتوا بالآيات المقترحات، وإنما يأتون من الآيات بما تظهر معه براهينهم، وإنما مذهبهم التبشير والإنذار.

٥٠- وقوله ﷻ: **قُل لا أقُولُ لكُم عِندِي خزائن الله ولا أعلَم الغيب** [آية: ٥٠].

هذا متصل بقوله ﷻ: **لولا نزلَ عليهِ آيةٌ من ربهِ** [آية: ٣٧] أي لا أقول لكم عندي خزائن الله، التي يرزق منها ويعطي، ولا أعلم الغيب فأخبركم بما غاب عنكم إلا بوحي **ولا أقُولُ لكُم إني ملك** [آية: ٥٠]؛ لأن الملك يشاهد من أمر الله جلّ وعلا ما لا يشاهد البشر.

٥١- وقوله ﷻ: **قُلْ هلْ يستوي الأعمى والبصير** [آية: ٥٠].

قال مجاهد: يعني المسلم، والكافر.

٥٢- وقوله ﷻ: **وأنذِر بِهِ الذِين يخافُونَ أن يحشروا إلى ربهم** [آية: ٥١].

أي بالقرآن، وخص من يخاف الحشر؛ لأن الحجة عليهم أوكد، فإن كان مسلماً أنذر ليترك المعاصي، وإن كان من أهل الكتاب أنذر ليتبع الحق.

٥٣- ثم **قال** ﷻ: **ليس لهم من دونِهِ ولي ولا شفِيع** [آية: ٥١].

لأن اليهود والنصارى قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه.

٥٤- وقوله ﷻ: **ولا تطرُدِ الذِين يدعونَ ربهم بالغداةِ والعشِي يريدونَ وجهه** [آية: ٥٢].

قال سعد[1]: نزلت في ستة: أنا وعبد الله بن مسعود وأربعة، قال المشركون للنبي

---

(١) روى مسلم في صحيحه في فضائل الصحابة (حديث رقم ٢٤١٣) عن سعد بن أبي وقـاص =

ﷺ: «**أنا نستحيي أن نكون تبعاً لهؤلاء**، فأنزل الله ﷻ: **ولا تطْردِ الذِين يدعونَ ربهم بِالْغداةِ والْعشِي يريدونَ وجهه** إلى قوله تعالى: **أليس الله بِأعلم بِالشاكِرِين** [(1)]».

وقال مجاهد: نزلت في بلال، وعبد الله بن مسعود.

وقال غيره: إنما أراد المشركون بهذا أن يحتجوا على النبـي ﷺ؛ لأن أتباع الأنبياء الفقراء، فطلبوا أن يطردهم فيحتجوا عليه بذلك، فعصمه الله مما أرادوا منه.

٥٥- وقوله ﷻ: وما مِن حِسابِك عليهم من شيءٍ فَتطْردهم فَتكُونَ مِن الظالِمِين [آية: ٥٢].

المعنى: ولا تطرد الذين يدعون ربهم فتكون من الظالمين، وما من حسابك من شيء فتطردهم، على التقديم والتأخير.

٥٦- ثم **قال ﷻ: وكَذلِك فَتنا بعضهم بِبعض** [آية: ٥٣].

أي اختبرنا وابتلينا؛ لأن الفقراء صبروا على الجهد مع فقرهم، فكان ذلك أوكد على الأغنياء في الحجة.

٥٧- ثم **قال ﷻ: ليقُولوا أهؤلاءِ من الله عليهم من بيننا** [آية: ٥٣].

أي: ليقول الأغنياء.

٥٨- وقوله ﷻ: فَقُلْ سلام عليكُم كَتب ربكُم على نفْسِهِ الرحمةَ [آية: ٥٤].

السلام والسلامة بمعنى واحد، ومعنى «سلام عليكم» سلمكم الله في دينكم وأنفسكم، والسلام اسم من أسماء الله ﷻ، معناه ذو السلامة.

وقرأ الحسن وعاصم وعيسى: **كَتب ربكُم على نفْسِهِ الرحمةَ أنه من عمِلَ مِنكُم سوءاً بِجهالَةٍ ثُم تاب مِن بعدِهِ وأصلح فَأنه غَفُور رحِيم** بفتحهما جميعاً فالأولى

=

رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء عنك لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان، لسـت أسميهمـا، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجـل ولاَ تطْردِ الذِين يدعونَ ربهم بِالْغداةِ والْعشِي يريدونَ وجهه ، وابن ماجه بنحوه رقم ٤١٢٨.

(١) روى أحمد عن ابن مسعود قال: «مر الملأ من قريش على النبي ﷺ وعنده: صهيب، وعمـار، وبلال، وخباب، ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا يا محمد: أرضيت بهؤلاء من قومـك؟ أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ أنحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم عنك، فلعلك إن طردتم أن نتبعك!! فأنزل الله ولاَ تطْردِ.... الآية.

بدل من الرحمة، والثانية مؤكدة مكررة لطول الكلام.

هذا مذهب سيبويه.

وقرأ أبو عمرو، والكسائي، والأعمش، وابن كثير، وشبل بكسرهما جميعاً.

والمعنى في الأولى: قال إنه، وكسر الثانية؛ لأ ا مبتدأة بعد الفاء.

وقرأ أهل المدينة بفتح الأولى؛ لأ ا تبيين للرحمة، وكسروا الثانية لما تقدم.

٥٩- وقوله ﷻ: قُلْ إني على بينةٍ من ربي وكذبتم بهِ ما عِندِي ما تستعجِلُونَ بِهِ [آية: ٥٧].

المعنى على هذه القراءة: ولتستبين يا محمد سبيل ا رمين.

فإن قيل: فقد كان ﷺ يستبينها؟

فالجواب عند الزجاج: أن الخطاب للنبي ﷺ خطاب لأمته، فالمعنى: ولتستبينوا سبيل ا رمين.

فإن قيل: فلم لم تذكر سبيل المؤمنين؟.

ففي هذا جوابان:

أحدهما: أنه إذا استبينت سبيل ا رمين فقد استبينت سبيل المؤمنين.

والجواب الآخر: أن يكون مثل قوله: **سرابِيلَ تقِيكُم الحر** [النحل: ٨١].

فالمعنى: وتقيكم البرد ثم حذف، وكذلك هذا يكون المعنى، ولتستبين سبيل المؤمنين، ثم حذف.

٦٠- وقوله ﷻ: قُلْ إني على بينةٍ من ربي وكذبتم بهِ ما عِندِي ما تستعجِلُونَ بِهِ [آية: ٥٧].

أي ما تستعجلون من اقتراح الآيات، ويجوز أن يكون المعنى: ما تستعجلون به من العذاب.

٦١- ثم **قال** ﷻ: **إن الْحكْم إلا للهِ يقُص الْحق** [آية: ٥٧].

كذلك قرأ علي بن أبي طالب ؓ وأبو عبد الرحمن السلمي وسعيد بن المسيب.

واحتج بعض من قرأ هذه القراءة بأن بعده **وهو خير الْفَاصِلِين** [آية: ٥٧] والفصل لا يكون إلا في القضاء والحكم.

وقرأ ابن عباس، ومجاهد، والأعرج (يقص الحق).

قال ابن عباس: كما قال ﷻ **نحن نقُص عليك أحسن الْقَصص** [يوسف: ٣].

واحتج بعض من قرأ هذه القراءة، بأنه في السواد بلا ياء.

قال: ولو كانت يقضي لكانت بالحق.

وهذا الاحتجاج لا يلزم؛ لأن مثل هذه الياء تحذف كثيراً.

وأما قوله: لو كانت يقضي لكانت بالحق، فلا يلزم أيضاً؛ لأن معنى يقضي يأتي ويصنع، فالمعنى: يأتي الحق.

ويجوز أن يكون المعنى يقضي القضاء الحق.

٦٢- وقوله ﷻ: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [آية: ٥٩].

جمع مفتح مفاتح، وجمع مفتاح مفاتيح.

أي الوصلة إلى علم الغيب.

حدثنا محمد بن الحسن -يعرف بابن بدينا- قال: حدثنا أبو مصعب الزهري قال: حدثنا صالح بن قدامة الجمحي، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «**مفاتح الغيب** خمسة، **لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما** في **غد إلا الله، ولا يعلم** متى **يأ**تي **المطر إلا الله، ولا تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض** تموت، **ولا يعلم** متى **تقوم الساعة إلا الله** ﷻ»[(١)].

٦٣- وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا﴾ [آية: ٥٩].

المعنى: أنه يعلمها سقطت أو لم تسقط، كما تقول ما يجيئك أحد إلا وأنا أعرفه، فليس أنك لا تعرفه إلا في حال مجيئه.

و(من) للتوكيد، والدليل على أنها للتوكيد أن الحسن قرأ **﴿وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾** أي إلا يعلمه علماً يقيناً.

ويجوز أن يكون المعنى: إلا قد كتبه قبل أن يخلقه. والله أعلم بما أراد.

فإن قيل: ما الفائدة على هذا الجواب في كتبه، وهو يعلمه؟

فالجواب عن هذا أنه لتعظيم الأمر، أي اعلموا أن هذا الذي ليس فيه ثواب ولا عقاب مكتوب، فكيف بما فيه ثواب وعقاب.

٦٤- وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [آية: ٦٠].

أي ينيمكم، فيتوفى الأنفس التي تميزون بها، كما قال الله ﷻ: **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ**

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير ٣٧٥/٨ من فتح الباري بلفظ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» ورواه أحمد في المسند ٧/٧.

حِين موتها والِتي لَم تمت ِفي منامِها [الزمر: ٤٢].

٦٥- ثم **قال** ﷻ: **ويعلَم ما جرحتم ِبالنهاِر** [آية: ٦٠].

قال ابن أبي نجيح: أي كسبتم.

ومعروف في اللغة أنه يقال: جرح إذا كسب، ومنه **وما علمتم من الْجوارِح مكَلِّبِين** [المائدة: ٤].

٦٦- ثم **قال** ﷻ: **ثُم يبعثُكُم ِفيِه** [آية: ٦٠].

قال ابن أبي نجيح: أي في النهار.

٦٧- ثم **قال** ﷻ: **ِليقْضى أجلٌ مسمى** [آية: ٦٠].

أي لتستوفوا أجلكم.

٦٨- **وقوله** ﷻ: **حتى ِإذَا جاَء أحدكُم الْموت توفته رسلُنا** [آية: ٦١].

قال إبراهيم النخعي: يعني أعوان ملك الموت، يتوفون الأرواح، ويدفعو ا إلى ملك الموت، أو يرفعو ا. كذا في الحديث.

٦٩- ثم **قال** ﷻ: **وهم لا يفَرطُونَ** [آية: ٦١].

قال أبو عبيدة: لا يتوانون.

وقال غيره: معنى فرطت: قدمت العجز.

٧٠- **وقوله** ﷻ: **قُلْ من ينجيكُم من ظُلُماتِ الْبر والْبحِر** [آية: ٦٣].

الظلمات هاهنا: الشدائد، والعرب تقول: يوم مظلم إذا كان شديداً، فإذا عظمت ذلك، قالت: يوم ذو كواكب، وأنشد سيبويه:

ِبنـي أسٍد ﮪـل تعلمـونَ بلاءَنـا   إذَا كَانَ يوم ذُو كَواِكب أشـنعا[1]

٧١- ثم **قال** ﷻ: **تدعونه تضرعا وخفْيةً** [آية: ٦٣].

أي تظهرون التضرع، وهو أشد الفقر إلى الشيء والحاجة إليه. **وخفْيةً** أي وتبطنون مثل ذلك.

فأمر الله النبي ﷺ أن يوبخهم، إذ كانوا يدعون الله تبارك وتعالى في الشدائد، ثم

---

(١) البيت منسوب لعمرو بن شأس، انظر شواهد سيبويه ص ١١٠.

يدعون معه في غير الشدائد الأصنام، وهي لا تضر ولا تنفع.

٧٢- وقوله ﷻ: **قُلْ هو القَادِر على أن يبعثَ عليكُم عذَابا من فَوقِكُم أو مِن تحتِ أرجلِكُم** [آية: ٦٥].

قال عامر بن عبد الله كان ابن عباس يقول: أما العذاب **من فَوقِكُم** فأئمة السوء، وأما العذاب **مِن تحتِ أرجلِكُم** فخدم السوء.

وقال الضحاك: من فَوقِكُم من كباركم **أو مِن تحتِ أرجلِكُم** من سفلتكم.

قال أبو العباس : **من فَوقِكُم** يعني الرجم **أو مِن تحتِ أرجلِكُم** يعني الخسف.

٧٣- ثم **قال** ﷻ: **أو يلْبِسكُم شِيعا** [آية: ٦٥].

الشيع: الفرق.

والمعنى: شيعاً متفرقة، مختلفة لا متفقة، ولبست: خلطت، ويبينه قوله ﷻ: **ويذِيق بعضكُم بأس بعض** .

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: يعني الفتن والاختلاف.

٧٤- وقوله ﷻ: **وكَذب بِهِ قَومك وهو الْحق قُل لست علَيكُم بِوكِيل** [آية: ٦٦].

هذا من قبل أن يؤمر بالحرب، أي لست أحاربكم حتى تؤمنوا، أي لست بمنـزلة الموكل بكم حتى تؤمنوا.

٧٥- ثم **قال** ﷻ: **لِكُل نبأٍ مستقَر وسوف تعلَمونَ** [آية: ٦٧].

وهذا تديد، إما بعذاب يوم القيامة، وإما بالأمر بالحرب.

٧٦- وقوله ﷻ: **وإذَا رأَيت الَذِين يخوضونَ فِي آياتِنا فَأَعرِض عنهم حتى يخوضوا فِي حدِيثٍ غَيرِهِ** [آية: ٦٨].

روى شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: هم الذين يستهزئون بكتاب الله، اه الله أن يجلس معهم إلا أن ينسى، فإذا ذكر قام، قال تعالى: **فَلا تقْعد بعد الذكْرى مع الْقَومِ الظَالِمِين** [آية: ٦٨].

وروى ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: هم الذين يقولون في القرآن غير الحق.

٧٧- ثم **قال** ﷻ: **وما علَى الَذِين يتقُونَ مِن حِسابِهِم من شيءٍ** [آية: ٦٩].

قال مجاهد: أي لو جلسوا، ولكن لا يجلسوا.

أي لأن الله قد اهم.

٧٩- وقوله ﷻ: وذَرِ الذِين اتخذُوا دِينهم لَعِبا ولَهوا وغَرتهم الْحياةُ الدنيا [آية: ٧٠].

قال قتادة: هذا منسوخ، نسخه قوله تعالى: **فَاقْتلُوا الْمشرِكِين حيثُ وجدتموهم** [التوبة: ٥].

٨٠- ثم **قال ﷻ: وذَكر بِهِ أَن تبسلَ نفْس بِما كَسبت** [آية: ٧٠].

قال مجاهد: تسلم.

وقال الكسائي والأخفش: أي تجزى.

وقال الفراء: أي ترتن.

وهذه المعاني متقاربة، وقول مجاهد حسن أي تسلم بعملها، لا تقدر على التخلص؛ لأنه يقال: استبسل فلان للموت، أي رأى مالا يقدر على دفعه، وينشد:

وإبسالي بني بغير جرم بعوناه ولا بدم مراق(١)

قال أبو جعفر: بعوناه: أي جنيناه.

٨١- وقوله ﷻ: وإِن تعدِلْ كُل عدلٍ لا يؤخذْ مِنها [آية: ٧٠].

قال قتادة: العدل: الفدية، وقد بيناه فيما تقدم.

٨٢- وقوله ﷻ: قُلْ أَندعو مِن دون الله ما لا ينفَعنا ولا يضرنا [آية: ٧١].

قال مجاهد: يعني الأوثان.

٨٣- ثم **قال ﷻ: ونرد على أَعقَابِنا بعد إِذْ هدانا الله** [آية: ٧١].

أي إلى الكفر.

قال أبو عبيدة: يقال لمن رد عن حاجته ولم يظفر ا: قد رد على عقبيه.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد: معناه يعقب بالشر بعد الخير، وأصله من العاقبة والعقبى، وهما ما كان تالياً للشيء راجياً أن يتبعه، ومنه **الْعاقِبةُ لِلْمتقِين** [الأعراف: ١٢٨] ومنه عقب الرجل، ومنه العقوبة؛ لأ ا تالية للذنب، وعنه تكون.

٨٤- وقوله ﷻ: كَالذِي استهوته الشياطِين فِي الأَرض حيرانَ [آية: ٧١].

معنى استهوته: زينت لـه هواه.

---

(١) البيت منسوب لعوف بن الأحوص الكلابي، انظر نوادر أبي زيد ١٥١، والصحاح ٦٣٤/٤.

٨٥- ثم قال ﷻ: **﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾** [آية: ٧١].

٨٦- وقوله ﷻ: **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** [آية: ٧٣].

والمعنى: اتقوا يوم يقول كن فيكون. ويجوز أن يكون معطوفاً على قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾**.

فإن قيل: ما معنى وخلق يوم يقول كن فيكون؟

فالجواب: أن ما أخبر الله ﷻ أنه كائن، فهو بمنـزلة ما قد كان، ويجوز أن يكون المعنى واذكروا، وهذا أحسن الأجوبة، لأن بعده **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾** [آية: ٧٤].

وقيل: المعنى ويوم يقول كن فيكون للصور.

وقيل: المعنى فيكون ما أراد من موت الخلائق وبعثهم.

والتمام على هذين الجوابين عند قوله: **﴿فَيَكُونُ﴾**.

وقيل: المعنى فيكون قوله أي فيكون يأمر به، ويكون التمام على هذا **﴿فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾** [آية: ٧٣].

قال أبو عبيدة: الصور جمع **صورة**، وهذا القول مما رد عليه؛ لأن عبد الله بن مسعود قال: الصور: قَرن.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «لم **يزل صاحب الصور ملتقمه منذ خلقه الله، ينتظر** متى **يؤمر بالنفخ فيه**»(١).

وقال عمرو بن عبيد: قرأ عياض: **﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّوَرِ﴾** [آية: ٧٣]، وهذا يعني به الخلق، والله أعلم.

٨٧- وقوله ﷻ: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾** [آية: ٧٤].

فقرأ الحسن: «آزرُ» بالرفع.

وفي حرف أُبي: يا آزر.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في صفة القيامة برقم ٢٤٣٣، والحاكم والبيهقي من حـديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القـرن، وحـنى الجبهة، وأصغى بالأذن، متى يؤمر فينفخ، قالوا: فما نقول يا رسول الله؟! قال قالوا: حسـبنا الله ونعم الوكيل».

قال الحسن: هو اسم أبيه، وذهب الحسن إلى أنه نداء.

وقال سليمان التيمي: معنى آزر: يا أعوج.

وقيل: كان لأبيه اسمان، كان يقال لـه: تارح، وآزر.

وقيل: آزر اسم صنم، والمعنى على هذا القول: أتتخذ آزر أي أتتخذ أصناماً؟!

٨٨- وقوله ﷻ: **وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض** [آية: ٧٥].

ملكوت في اللغة: بمعنى ملك، إلا أن فيه معنى المبالغة.

وروى سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: يعني الآيات.

وروى ابن جريج عن القاسم عن إبراهيم النخعي قال: فرجت لـه السموات السبع، فنظر إليهن حتى انتهى إلى العرش وفرجت لـه الأرضون، فنظر إليهن.

٨٩- وقوله ﷻ: **فلما جن عليه الليلُ** [آية: ٧٦].

جن عليه وأجنة: إذا ستره بظلمته.

٩٠- ثم **قال** ﷻ: **رأى كوكبا** [آية: ٧٦].

قال قتادة: كنا نحدث أنه الزهرة.

قال السدي: هو المشتري.

٩١- ثم **قال** ﷻ: **هذا ربي** [آية: ٧٦].

في هذا أجوبة:

قال قطرب: يجوز أن يكون على الاستفهام.

وهذا خطأ؛ لأن الاستفهام لا يكون إلا بحرف، أو يكون في الكلام (أم).

وقال بعض أهل النظر: إنما قال لهم هذا من قبل أن يوحى إليه. واستشهد صاحب هذا القول بقوله تعالى: **لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين** [آية: ٧٧].

قال أبو إسحاق: هذا الجواب عندي خطأ وغلط ممن قاله.

وقد أخبر الله ﷻ عن إبراهيم أنه قال: **واجنبني وبني أن نعبد الأصنام** [إبراهيم: ٣٥].

وقال ﷻ: **بقلب سليم** [الشعراء: ٨٩] أي لم يشرك قط.

قال: والجواب عندي أنه قال: هذا ربي على قولكم؛ لأ م كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر، ونظير هذا قول الله ﷻ **أين شركائي** [القصص: ٦٢] وهو ﷻ لا

شريك لـه، والمعنى: أين شركائي على قولكم؟

ويجوز أن يكون المعنى فلما جن عليه الليل رأى كوكباً: يقولون هذا ربي، ثم حذف القول كما قال ﷻ: **والملائكةُ يدخلُونَ عليهم من كُل بابٍ سلام عليكُم** [الرعد: ٢٣، ٢٤] فحذف القول.

٩٢- وقوله ﷻ: فلما أفَلَ [آية: ٧٦].

قال قتادة: أي ذهب.

قال الكسائي: يقال: أفل النجم أفولاً إذا غاب.

٩٣- وقوله ﷻ: **فلما رأى القَمر بازِغًا** [آية: ٧٧].

يقال: بزغ القمر: إذا ابتدأ في الطلوع.

٩٤- وقوله ﷻ: إني وجهت وجهي لِلذِي فَطَر السماواتِ والأرض حنِيفًا [آية: ٧٩].

فطر: خلق، والحنيف: المائل إلى الإسلام كل الميل.

٩٥- وقوله ﷻ: **وحاجه قَومه** [آية: ٨٠].

المعنى: وحاجة قومه أي في توحيد الله.

٩٦- وقوله ﷻ: ولا أخاف ما تشركُونَ بِهِ إلا أن يشاءَ ربي شيئًا [آية: ٨٠].

المعنى: إلا أن يشاء ربي أن يلحقني شيئاً بذنبٍ عملته، وهذا استثناء ليس من الأول.

٩٧- وقوله ﷻ: فَأي الفَريقَين أحق بِالأمن ؟ [آية: ٨١].

المعنى: المؤمن أحق بالأمن أم المشرك؟.

٩٨- وقوله ﷻ: الذِين آمنوا ولَم يلْبِسوا إيمانهم بِظُلْمٍ [آية: ٨٢].

يجوز: أن يكون هذا إخباراً عن إبراهيم ﷺ أنه قاله.

ويجوز أن يكون مستأنفاً من قول الله ﷻ.

وفي **بعض الروايات** عن مجاهد ما يدل أنه إخبار عن إبراهيم

وروي عن مجاهد أنه قال في قول الله ﷻ **وتلْك حجتنا آتيناها إبراهِيم على قَومِهِ** [آية: ٨٣] قال: هو قوله: **فَأي الفَريقَين أحق بِالأمن إن كُنتم تعلَمونَ الذِين آمنوا ولَم يلْبِسوا إيمانهم بِظُلْمٍ** [آية: ٨١، ٨٢].

قال أبو بكر وعلي -رضي الله عنهما- وسلمان وحذيفة في قوله تعالى: **ولَم يلْبِسوا إيمانهم بِظُلْمٍ** [آية: ٨٢] أي بشركٍ.

وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود لما نزلت **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لا يظلم؟! فقال رسول ﷺ: ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان: **إن الشرك لظلم عظيم** [لقمان: ١٣].

٩٩- وقوله ﷻ: ومن ذريته داود وسليمان [آية: ٨٤].

ويجوز أن يكون المعنى: وهدينا داود وسليمان، ويكون معطوفاً على (كل).

ويجوز أن يكون المعنى: ووهبنا لـه داود وسليمان.

١٠١- وقوله ﷻ: واجتبيناهم [آية: ٨٧].

قال مجاهد: أخلصناهم.

وهو عند أهل اللغة بمعنى اخترناهم

١٠٢- وقوله تعالى: فإن يكفر بها هؤلاء [آية: ٨٩].

قال مجاهد: يعني أهل مكة.

وقال قتادة: يعني قوم محمد ﷺ.

١٠٣- وقوله ﷻ: فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين .

قال مجاهد: يعني أهل المدينة.

وقال قتادة: يعني النبيين الذين قص الله ﷻ.

وهذا القول أشبه بالمعنى؛ لأنه قال بعد: **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** [آية: ٩٠].

وحدثني محمد بن إدريس قال حدثنا إبراهيم حدثنا عثمان المؤذن عن عوف عن أبي رجاء في قول الله ﷻ: **فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين** [آية: ٨٩] قال: هم الملائكة.

١٠٤- وقوله ﷻ: وما قدروا الله حق قدره [آية: ٩١].

قال أبو عبيدة: أي ما عرفوا الله حق معرفته.

هذا قول حسن؛ لأن معنى قدرت الشيء، وقدرته: عرفت مقداره.

ويدل عليه قوله جلّ وعلا: **إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء** [آية: ٩١] أي لم يعرفوه حق معرفته، إذ أنكروا أن يرسل رسولاً.

وقال غير أبي **عبيدة:** المعنى وما عظموا الله حق عظمته. ومن هذا: لفلانٍ قدر.

والمعنيان متقاربان.

ويروى أن هذا نزل في بعض اليهود، ممن كان يظهر العبادة، ويتنعم في السر، فقيل لـه: إن في الكتاب أن الله لا يحب الحبر السمين، فقال: «**ما أنزل الله على بشرٍ من شيءٍ**».

١٠٥- وقوله ﷻ: ﴿ولتنذِر أم القُرى ومن حولها﴾ [آية: ٩٢].

المعنى: ولتنذر أهل أم القرى.

قال قتادة: كنا نتحدث أ ا مكة؛ لأن الأرض منها دحيت.

وقيل: إنما سميت أم القرى؛ لأ ا تقصد من كل قرية.

١٠٦- وقوله ﷻ: ﴿ومن أظلَم مِمن افْترى على الله كَذِبا أو قَالَ أوحِي إلَي ولَم يوح إليهِ شيءٌ ومن قَالَ سأُنزِلُ مِثْلَ ما أنزلَ الله﴾ [آية: ٩٣].

قال قتادة: بلغنا أن هذا أنزل في مسيلمة.

قال أبو إسحاق: وهذا جواب لقولهم: **﴿لَو نشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذَا﴾** [الأنفال: ٣١].

وروي عن ابن عباس: الذي افترى على الله كذباً «مسيلمة»، والذي قال: **﴿سأُنزِلُ مِثْلَ ما أُنزلَ الله﴾** «عبد الله ابن سعد بن أبي سرحٍ».

وروى حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان[1] عن عكرمة: أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث؛ لأنه عارض القرآن، فقال: «والطاحنات طحناً، والعاجنات عجناً، فالخابزات خبزاً، فاللاقمات لقماً».

١٠٧- ثم قال ﷻ: ﴿ولَو ترى إذِ الظالِمونَ فِي غَمراتِ الْموتِ﴾ أي شدائده **﴿والْملائكَةُ باسِطُو أيدِيهِم﴾** [آية: ٩٣].

أي باسطوا أيديهم بالعذاب.

١٠٨- وقوله ﷻ: ﴿لَقَد تقَطع بينكُم﴾ [آية: ٩٤].

قال مجاهد: أي تواصلكم.

ومن قرأ: (بينكم) فالمعنى: لقد تقطع الأمر بينكم.

١٠٩- وقوله ﷻ: ﴿إن الله فَالِق الْحب والنوى﴾ [آية: ٩٥].

قال مجاهد: يعني الشق فيها.

---

(١) الحكم بن أبان العدني أبو عيسى، عابد صدوق، ولـه أوهام، من الطبقة السادسة مات سنة ١٥٤هـ وكان مولده سنة ثمانين. انظر تقريب التهذيب ١/١٩٠.

وقال الضحاك: فالق: خالق.

١١٠- وقوله ﷻ: فَالِق الإِصباح [آية: ٩٦]

ويقرأ (الإصباح) وقرأ به الحسن وعيسى، وهو جمع صبح، والإصباح كما تقول الإمساء.

وقرأ النخعي فَالِق الإِصباح [آية: ٩٦].

١١١- ثم **قال** ﷻ: **وجعلَ الليلَ سكَنا والشمس والقَمر حسبانا** [آية: ٩٦].

والحسبان والحساب واحد، أي ذوي حساب، يعني دوار ما.

وقال ابن عباس في قوله ﷻ **الشمس والقَمر بِحسبانٍ** [الرحمن: ٥]: أي بحساب.

١١٢- وقوله ﷻ: وهو الذِي أنشأكُم من نفْسٍ واحِدةٍ فَمستقَر ومستودع [آية: ٩٨].

قال عطاء ومجاهد وقتادة والضحاك -وألفاظهم متقاربة- فمستقر في الرحم، ومستودع في الصلب.

وقرأ جماعة: بالفتح.

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: المستقر: الرحم، والمستودع: الأرض التي تموت ا.

والفتح على معنى: ولكم في الأرحام مستقر، وفي الأصلاب مستودع.

والكسر بمعنى فمنكم مستقر.

وقال سعيد بن جبير: قال ابن عباس: هل تزوجت؟ فقلت: لا،.

فقال: إن الله ﷻ يستخرج من ظهرك ما استودعه فيه.

وقرأ ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما **فَمستقِر** بالكسر، **ومستودع** .

وقال إبراهيم النخعي: المعنى فمستقر في الرحم، ومستودع في الصلب.

وقال الحسن: فمستقر في القبر، ومستودع في الدنيا، يوشك أن يلحق بصاحبه.

حدثني محمد بن إدريس قال: حدثنا إبراهيم بن مرزوق

قال: حدثنا أبو داود عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﷻ: **فَمستقَر ومستودع** قال: المستقر: ما كان في الرحم، والمستودع: الصلب.

١١٣- ثم **قال** ﷻ: **قَد فَصلْنا الآياتِ لِقَومٍ يفْقَهونَ** [آية: ٩٨].

قال قتادة: فصلنا بمعنى بينا.

١١٤- وقوله ﷻ: وهو الذِي أنزلَ مِن السماءِ ماءً فَأخرجنا بِهِ نبات كُل

شيءٍ فأخرجنا منه خضِرا [آية: ٩٩]. **خضِرا** بمعنى: أخضر.

١١٥- وقوله ﷻ: **ومِن النخل مِن طلْعِها قِنوانٌ دانِيةٌ** [آية: ٩٩].

قال قتادة: القنوان: العذوق، وكذلك هو عند أكثر أهل اللغة.

يقال: عِذْق، وقِنو بمعنى واحد، فأما العِذق فالنخلةُ.

وقيل: القِنوانُ: الجُمار.

وقال البراء بن عازب: دانيةٌ: قريبةٌ

والمعنى: ومنها قنوان بعيدة كما قال تعالى: **سرابِيلَ تقِيكُم الْحر** [النحل: ٨١].

١١٦- وقوله ﷻ: **والزيتونَ والرمانَ مشتبِها وغَير متشابِهٍ** [آية: ٩٩].

أي مشتبهاً في المنظر، وغير متشابه في الطعم.

١١٧- ثم **قال** ﷻ: **انظُروا إلى ثَمرِه إذَا أثْمر ويَنعِهِ** [آية: ٩٩].

أي ونضجه.

يقال: ينع وينع، وأينع وينع: إذا نضج وأدرك.

وقال الحجاج في خطبته: «أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها».

١١٨- وقوله ﷻ: **وجعلُوا للهِ شركَاءَ الْجِن** [آية: ١٠٠].

قيل: معناه إ م أطاعوهم كطاعة الله.

وقيل: معناه نسبوا إليهم الأفاعيل التي لا تكون إلا لله ﷻ، أي فكيف يكون الشريك لله المحدث الذي لم يكن ثم كان؟

١١٩- وقوله ﷻ: **وخلَقَهم** [آية: ١٠٠].

يجوز أن يكون المعنى: وخلق الشركاء، ويجوز أن يكون المعنى: وخلق الذين جعلوا.

وقرأ يحيى **بن يعمر**: (وخلقهم) بإسكان اللام، قال: ومعناه: وجعلوا خلقهم لله شركاء.

وسئل الحسن عن معنى (وخرقُوا لَه بنِين وبناتٍ) بالتشديد، فقال: إنما هو **خرقُوا** بالتخفيف، كلمة عربية، كان الرجل إذا كذب في النادي قيل: خرقها ورب الكعبة.

وقال أهل اللغة: معنى «خرقوا» اختلقوا وافتعلوا، «خرقوا» على التكثير.

١٢٠- وقوله ﷻ: **أنى يكُونُ لَه ولَد ولَم تكُن له صاحِبةٌ** [آية: ١٠١].

أي من أين يكون لـه ولد، والولد لا يكون لـه إلا من صاحبة؟

وخلَق كُل شيءٍ أي فليس شيء مثله، فكيف يكون لـه ولد؟

١٢١- وقوله ﷻ: **لا تدركُه الأبصار** [آية: ١٠٣].

قيل: معناه في الدنيا.

وقال الزجاج: أي لا يبلغ كُنه حقيقته، كما تقول: أدركت كذا وكذا؛ لأنه قد صح عن النبي ﷺ الأحاديث في الرؤية يوم القيامة.

١٢٢- وقوله ﷻ: قَد جاءَكُم بصائِر مِن ربكُم فَمن أبصر فَلِنفْسِهِ [آية: ١٠٤].

المعنى: فلنفسه نفع ذلك.

ومن عمِيَ فَعليها أي فعليها ضرر ذلك.

١٢٣- وقوله ﷻ: وكَذَلِك نصرف الآياتِ وليقُولُوا درست [آية: ١٠٥].

هذه قراءة أهل المدينة، وأهل الكوفة، وابن الزبير، ومعناها: تلَوت، وقرأْت.

وقرأ علي بن أبي طالب **دارست** وهو الصحيح من قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وأبي عمرو، وأهل مكة.

قال ابن عباس: معنى دارست: تالَيت.

قال سعيد بن جبير: أي دارست أهل الكتاب.

وقرأ قتادة: **درست** أي قُرِئَت.

وقرأ الحسن **درست** أي امحت وقدمت.

وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه قرأ **دارست**.

وكان أبو حاتم[1] يذهب إلى أن هذه القراءة لا تجوز، قال: لأن الآيات لا تدارس.

وقال غيره: القراءة ﺑﻬذا تجوز، وليس المعنى على ما ذهب إليه أبو حاتم، ولكن معناه: دارست أمتك أي دارستك أمتك، فإن كان لم يتقدم لها ذكر، فإنه يكون مثل قوله تعالى: **حتى توارت بِالْحِجابِ** [ص: ٣٢].

وحكى الأخفش: (ولِيقُولُوا درست)، وهو بمعنى درست، إلا أنه أبلغ.

وحكى أبو العباس أنه يقرأ (ولْيقُولُوا درست) بإسكان اللام على الأمر، وفيه معنى التهديد، أي فليقولوا ما شاءوا، فإن الحق بين كما قال ﷻ: **فَلْيضحكُوا قَلِيلاً ولْيبكُوا كَثِيرا** [التوبة: ٨٢]. فأما من كسر اللام فإﻧﻬا عنده لام «كَي».

قال أبو إسحاق: وأهل اللغة يسموﻧﻬا لام الصيرورة، أي صار إلى هذا، كما قال

(١) يعني: السجستاني.

ﷻ: **ربنا ليضلوا عن سبيلك** [يونس: ٨٨] وكما تقول: كتب فلان هذا الكتاب لحتفه، أي فصار أمره إلى ذلك.

وهذه القراءات كلها يرجع اشتقاقها إلى شيء واحد إلى التليين والتذليل.

ودرست: قرأت وذللت، ودرست الدار: ذلت وامحقت، ودرس الحنطة: أي داسها.

١٢٤- وقوله ﷻ: ولو شاءَ الله ما أشركُوا [آية: ١٠٧].

قيل: معناه لو شاء الله لاستأصلهم، والله أعلم بما أراد.

١٢٥- ثم **قال ﷻ: وما جعلْناك عليْهم حفِيظًا وما أنت عليْهم بِوكِيلٍ** [آية: ١٠٧].

وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.

١٢٦- وقوله ﷻ: ولاَ تسبوا الذِين يدعونَ مِن دون الله فَيسبوا الله عدوا بِغير عِلْمٍ [آية: ١٠٨].

قال قتادة: كان المسلمون يسبون الأصنام، فيسب المشركون الله عدواً بغير علم.

وروي أن في قراءة أهل مكة (عدواً بغير عِلْمٍ)، والقراءة حسنة ومعنى «عدواً» بمعنى أعداء، كما قال تعالى: **إن الكافِرين كانوا لكُم عدوا مبِينا** [النساء: ١٠١].

وتقرأ (عدواً)، يقال إذا تجاوز في الظلم: عدا يعدو، عدواً، وعدواً، وعدواناً، وعداءً.

١٢٧- ثم **قال ﷻ: كَذَلِك زينا لِكُل أمةٍ عملَهم** [آية: ١٠٨].

قيل: معناه مجازاة على كفرهم.

وقيل: أعمالهم يعني الأعمال التي يجب أن يعملوا ا وهي الإيمان والطاعة، والله أعلم بحقيقة ذلك.

١٢٨- وقوله ﷻ: وأقْسموا بِاللهِ جهد أيمانِهم [آية: ١٠٩].

أي اجتهدوا في الحلف **لَئِن جاءَتهم آيةٌ ليؤمِنن بِها** [آية: ١٠٩].

يعنون آيةً مما يقترحون.

١٢٩- وقوله ﷻ: وما يشعِركُم أنها إِذَا جاءَت لا يؤمِنونَ [آية: ١٠٩].

قال مجاهد: معناه: وما يدريكم؟ قال: ثم ابتدأ فقال: **أنها إِذَا جاءَت لا يؤمِنونَ** .

وقرأ أهل المدينة: أنها إِذَا جاءَت .

قال الكسائي: (لا) هاهنا زائدة، والمعنى وما يشعركم أ ا إذا جاءت يؤمنون!!

وشبهه بقوله ﷻ: **قَالَ ما منعك ألا تسجد إِذْ أمرتك** [الأعراف: ١٢]؟

وهذا عند البصريين غلط؛ لأن (لا) لا تكون زائدةً في موضع تكون فيه نافيه.

قال الخليل: المعنى لعلها، وشبهه بقول العرب: إيت السوق أنك تشتري لنا شيئاً، بمعنى لعلك.

وروي أ ا في قراءة أُبي **وما يشعِركُم أنها إذَا جاءَت لا يؤمِنونَ** [آية: ١٠٩]؟!

وأنشد أهل اللغة في (أن) بمعنى (لعل):

أريني جواداً مات هزلاً لأنني أرى ما ترين أو بخيلاً مخلدا

وقيل: في الكلام حذف، والمعنى: وما يشعركم أ ا إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون؟ ثم حذِف هذا لعلم السامع.

ويروى أن المشركين قالوا: ادع الله أن ينـزل علينا الآية التي قال فيها: **إن نشأ ننزلْ عليهم من السماءِ آيةً فَظَلت أعناقُهم لها خاضِعِين** [الشعراء: ٤] ونحن -والله- نؤمن!! فقال المسلمون: يا رسول الله ادع الله ينـزلها!. فأنزل الله ﷻ **وما يشعِركُم أنها إذَا جاءَت لا يؤمِنونَ** [آية: ١٠٩].

١٣٠- ثم **قال** ﷻ: **ونقَلب أفْئِدتهم وأبصارهم** [آية: ١١٠].

و«أفئدة» جمع فؤاد.

١٣١- وقوله ﷻ: **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكةَ وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كُل شيءٍ قُبلاً ما كانوا ليؤمِنوا إلا أن يشاءَ الله** [آية: ١١١].

ويروى أ م سألوا هذه الأشياء فنـزل هذا.

قال مجاهد: **قُبلاً** أفواجاً أي قبيلاً قبيلاً.

يذهب إلى أنه جمع قبيل، وهو الفرقة.

وقيل: هو جمع قبيل، «وقبيلٌ» بمعنى كفيل، أي لو كفَل لهم الملائكة وغيرهم بصحة هذا لم يؤمنوا، كما قال تعالى: **أو تأتي بالله والملائكةِ قَبِيلاً** [الإسراء: ٩٢].

ويجوز أن يكون معنى **قُبلاً** كمعنى مقابلة، كما قال تعالى: **إنْ كانَ قَميصه قُد مِن قُبلٍ** [يوسف: ٢٦]. ومن قرأ (قِبلاً) فمعناه عنده معاينةً.

١٣٢- وقوله ﷻ: **وكَذَلك جعلْنا لكُل نبي عدوا** [آية: ١١٢].

أي كما جعلنا لك ولأمتك أعداء وعدو بمعنى أعداء.

١٣٣- ثم **قال** ﷻ: **شياطِين الإنس والجِن** [آية: ١١٢]

وقرأ الأعمش **شياطين الإنس والجن** والمعنى واحد.

١٣٤- ثم **قال تعالى**: **يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا** [آية: ١١٢].

قال مجاهد: أي يزينون لهم ذاك، أي يزينون لهم العمل القبيح.

وكذلك الزخرف في اللغة هو التزيين، ومنه قيل للذهب: زخرف.

١٣٥- ثم **قال** ﷻ: **ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون** [آية: ١١٢]..

أي لو شاء لمنعهم من وسوستهم الإنس، ولكنه يبتلي بما شاء، ليجزل الثواب.

١٣٦- وقوله ﷻ: **ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة** [آية: ١١٣].

يقال: صغى يصغى، وصغا يصغو، وأصغى يصغِي إذا مال، كما قال الشاعر:

تصغي إذا شدها بالرحل جانحـةً حتى إذا ما استوى في غرزها تثب(١)

١٣٧- ثم **قال** ﷻ: **وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون** [آية: ١١٣].

أي: وليكتسبوا، ويقال: قرفت الجلد إذا قلعته.

ويقرأ (ولْيقْترفُوا) وفيه معنى التهديد.

قال قتادة: صِدقاً فيما وعد، وعدلاً فيما حكم.

١٣٨- وقوله ﷻ: **إن يتبعون إلا الظن** [آية: ١١٦].

أعلم ﷻ أ م ليسوا على بصائر ولا يقين، وأ م لا يتبعون الحق.

ويقرأ **إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله** [آية: ١١٧].

وهذا على حذف المفعول، وفتح الياء أحسن؛ لأن بعده: **وهو أعلم بالمهتدين** [آية: ١١٧].

١٣٩- وقوله ﷻ: **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه** [آية: ١١٨].

أي مما أخلص لله، وتحريم الميتة داخل في هذا.

١٤٠- ثم **قال** ﷻ: **وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه** [آية: ١١٩].

وروى عكرمة عن ابن عباس أن المشركين قالوا للمسلمين: لم تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله لكم؟ فأنزل الله ﷻ: **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم**

(١) البيت لذي الرمة وهو في ديوانه ٤٨/١.

لِيجادِلُوكُم [آية : ١٢١].

١٤١- وقوله ﷻ: وقَد فَصلَ لَكُم ما حرم علَيكُم إِلا ما اضطُررتم إِلَيهِ [آية: ١١٩].

قال قتادة: فصل: بين.

وقرأ عطية العوفي (وقَد فَصلَ لَكُم) خفيفة.

ومعناه: أبان، وظهر، كما قرئ **الر كِتاب أُحكِمت آياته ثُم فُصلَت** [هود: ١] أي استبانت.

١٤٢- وقوله ﷻ: وذَروا ظَاهِر الإِثْمِ وباطِنه [آية: ١٢٠].

قال قتادة: أي علانيته، وسره.

وقال غيره: ظاهر الإثم: «الزنا»، وباطنه: «اتخاذ الأخدان».

والأشبه باللغة قول قتادة.

١٤٣- ثم **قال ﷻ: إِن الَّذِين يكْسِبونَ الإِثْم سيجزونَ بِما كَانوا يقْترِفُونَ** [آية: ١٢٠].

أي يكسبون ويعملون، ويقال: قرفت الجلد، أي قلعته.

قال أبو جعفر: اختلف أهل العلم في معنى **ولا تأْكُلُوا مِما لَم يذْكَرِ اسم الله علَيهِ** [آية: ١٢١] فكان مذهب ابن عباس أن هذا جواب للمشركين حين سألوا النبي ﷺ وتخاصموا، فقالوا: كيف لا نأكل مما قتل ربك، ونأكل مما قتلنا؟ فأنزل الله ﷻ: **ولاَ تأْكُلُوا مِما لَم يذْكَرِ اسم الله علَيهِ** .

ورواه عنه سعيد بن جبير وعكرمة، فالمعنى على هذا: ولا تأكلوا من الميتة.

وقال الشعبي ومحمد بن سيرين: لا يؤكل من الذبائح التي لم يسم الله ﷻ عليها كان ذلك عمداً أو نسياناً.

وقال سعيد بن جبير وعطاء: إذا ترك التسمية عمداً لم يؤكل، وإذا نسي أكل، وهذا حسن، لأنه لا يسمى فاسقاً إذا كان ناسياً.

١٤٤- ومعنى: ولاَ تأْكُلُوا مِما لَم يذْكَرِ اسم الله علَيهِ [آية: ١٢١].

مما لم يخلص لله.

وإِنه لَفِسق أي خروج من الطاعة، ويقال: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها.

١٤٥- ثم قال ﷻ: وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم [آية: ١٢١].
أي يوسوسون إليهم.
وقد ذكرت معنى ليجادلوكم.
١٤٦- ثم قال ﷻ: وإنْ أطعتموهم إنكم لمشركون [آية: ١٢١].
وقال أهل النظر: في هذا دليل على أنه من أحل ما حرم الله، أو حرم ما أحل الله فقد أشرك.
وقيل لــه: مشرك؛ لأنه اتبع غير الله، فأشرك به غيره ﷻ.
١٤٧- وقوله ﷻ: أو من كانَ ميتا فأحييناه [آية: ١٢٢].
قال مجاهد: المعنى أو من كان ضالاً فهديناه **وجعلنا له نورا يمشي به في الناس** أي هدًى **كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها** ؟
قال مجاهد: أي في الضلالة.
قال السدي: هذا نزل في «عمر بن الخطاب» -رحمة الله عليه- وأبي جهل.
والذي يوجب المعنى أن يكون عاماً إلا أن تصح فيه رواية.
١٤٨- وقوله جلّ عزّ: وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها [آية: ١٢٣].
قال مجاهد: أي عظماءهم.
وقال غيره: وخص العظماء والرؤساء؛ لأ م أقدر على الفساد.
١٤٩- ثم قال تعالى: وما يمكرونَ إلا بأنفسهم [آية: ١٢٣].
أي إن وبالَ ذلك يرجع عليهم.
١٥٠- وقوله ﷻ: سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله [آية: ١٢٤].
وإن كانوا أعزاء في الدنيا، فستلحقهم الذلة يوم القيامة.
وفي الآية ثلاثة أقوال:
أحدهما: أن المعنى: سيصيب الذين أجرموا عند الله صغار، على التقديم والتأخير.
والقول الثاني: أن المعنى: سيصيب الذين أجرموا صغار ثابت عند الله.
وهذا أحسن الأقوال؛ لأن (عند) في موضعها.
والقول الثالث: ذكره الفراء أنه يجوز أن يكون المعنى: سيصيب الذين أجرموا صغار من عند الله.
وهذا خطأ عند البصريين؛ لأن (مِن) لا تحذف في مثل هذا.

١٥١- وقوله ﷻ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [آية: ١٢٥].

روي أن عبد الله بن مسعود قال: يا رسول الله هل ينشرح الصدر؟! فقال: نعم، يدخل القلب نور، فقال وهل لذلك من علامة؟ فقال ﷺ: «**التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل الموت**»[1].

١٥٢- ثم قال ﷻ: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [آية: ١٢٥].

أي شديد الضيق.

وقرأ عمر وابن عباس (ضيقاً حرجاً).

وروي أن عمر أحضر أعرابياً من كنانة من بني مدلج، فقال له: ما الحَرجة؟ فقال: شجرة لا تصل إليها وحشية ولا راعية.. فقال: كذلك قلب الكافر، لا يصل إليه شيء من الإيمان والخير.

١٥٣- ثم قال ﷻ: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [آية: ١٢٥].

وقرأ ابن محيصن وابن كثير وشبل: **﴿كأنما يصعد في السماء﴾**.

وقرأ ابن عبد الرحمن المقرئ وإبراهيم النخعي: **﴿كأنما يصاعد﴾**

وروي عن عبد الله بن مسعود أن كان يقرأ: **(كأنما يتصعد).**

ومعنى هذه القراءة وقراءة من قرأ يصعد ويصاعد واحد.

والمعنى فيها أن الكافر من ضيق صدره، كأنه يريد أن يصعد إلى السماء، وهو لا يقدر على ذلك، كأنه يستدعي ذلك.

ومن قرأ «يصعد» فمعناه أنه من ضيق صدره كأنه في حال صعود قد كُلِفَه.

قال أبو عبيد: من هذا قول عمر: «ما تصعدتني خطبة، ما تصعدتني خطبة النكاح».

وقد أنكر هذا على أبي عبيد، وقيل: إنما هذا من الصعود، وهي العقبة الشاقة، قال الله ﷻ: **﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾** [المدثر: ١٧].

١٥٤- ثم قال ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٢٥].

قال مجاهد: الرجس: ما لا خير فيه.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد، وعبد الرزاق، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات، وابن جرير ٢٧/٨، وابن كثير ٣٢٧/٣ بروايات متعددة.

وكذلك الرجس عند أهل اللغة هو النتن. فمعنى الآية -والله أعلم- ويجعل اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون.

١٥٥- وقوله ﷻ: قَد فَصلْنا الآياتِ لِقَومٍ يذكرونَ [آية: ١٢٦].

أي بينا.

١٥٦- ثم **قال ﷻ: لَهم دار السلامِ عِند ربهم** [آية: ١٢٧].

ويجوز أن يكون المعنى: دار السلامة، أي التي يسلم فيها من الآفات.

ويجوز أن يكون المعنى دار الله ﷻ، وهو السلام.

١٥٧- وقوله ﷻ: ويوم يحشرهم جمِيعا يا معشر الْجِن قَدِ استكْثَرتم من الإِنس [آية: ١٢٨].

المعنى فيما يقال لهم: يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس، أي كثر من أغويتم.

١٥٨- ثم **قال ﷻ: وقَالَ أَولياؤهم من الإِنس ربنا استمتع بعضنا بِبعض** [آية: ١٢٨]. ففي هذا قولان:

أحدهما: إن الجن أغوت الإنس، وقبلت الإنس منهم.

والقول الآخر: أن الرجل كان إذا سافر في الجاهلية فخاف، قال: أعوذ بصاحب هذا الوادي من شر ما أحذر، فهذا استمتاع الإنس بالجن.

واستمتاع الجن بالإنس أ م يعترفون أن الجن يقدرون أن يدفعوا عنهم ما يجدون.

والقول الأول أحسن، ويدل عليه **يا معشر الْجِن قَدِ استكْثَرتم من الإِنس** [آية: ١٢٨].

١٥٩- وقوله ﷻ: قَالَ النار مثْواكُم [آية: ١٢٨]. المثوى: المقام.

١٦٠- ثم **قال ﷻ: خالِدِين فِيها إِلا ما شاءَ الله** [آية: ١٢٨].

في **هذا قولان:**

أحدهما: أنه استثناء ليس من الأول، والمعنى على هذا إلا ما شاء الله من الزيادة في عذا م.

وسيبويه يمثل هذا بمعنى (لكن).

والفراء يمثله بمعنى (سوى) كما تقول: لأسكننك هذه الدار حولاً، إلا ما شئت، أي سوى ما شئت من الزيادة، ومثله **خالِدِين فِيها ما دامتِ السماوات والأَرض إِلا ما شاءَ ربك** [هود: ١٠٧] أي سوى ما شاء ربك من الزيادة.

قال أبو جعفر: وقال أبو إسحاق: معنى الاستثناء عندي هاهنا -والله أعلم- إنما هو

من يوم القيامة، أي إلا ما شاء ربك من مقدار محشرهم ومحاسبتهم.

ويدل على الجواب: **ويوم يحشرهم جميعا** [سبأ: ٤٠]؛ لأن هذا يراد به يوم القيامة، ويجوز أن يكون معنى ما شاء الله ﷻ أن يعذ م من أصناف العذاب.

١٦١- وقوله ﷻ: **يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسلٌ منكم** [آية: ١٣٠] والرسل من الإنس؟ ففي هذا جوابان:

أحدهما أنه روي عن ابن عباس أنه قال: رسل الجن الذين لقوا قومهم فبلغوهم[(١)].

يعني ابن عباس الذين قالوا: **إنا سمعنا قرآنا عجبا** [الجن: ١] وهو بم لة الرسل إلى قومهم لأ م قد بلغوهم.

وكذلك قال مجاهد: الرسل في الإنس، والنذارة في الجن[(٢)].

والقول الآخر: أنه لما كانت الإنس والجن، ممن يخاطب ويعقل قيل: ألم يأتكم رسل منكم، وإن كانت الرسل من الإنس خاصة[(٣)].

١٦٢- وقوله ﷻ: **كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين** [آية: ١٣٣].

الإنشاء: ابتداء الخلق.

١٦٣- وقوله ﷻ: **قلْ يا قوم اعملوا على مكانتكم** [آية: ١٣٥].

فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى على تمكنكم.

والقول الآخر: أنه كما تقول: اثبت مكانك، أي اثبت على ما أنت عليه.

فإن قيل: كيف يجوز أن يؤمروا بالثبات على ما هم عليه وهم كفار؟

فالجواب: أن هذا تدد، كما قال ﷻ: **فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيرا** [التوبة: ٨٢].

ودل عليه قوله: **فسوف تعلمونَ من تكونُ له عاقبةُ الدار** [آية: ١٣٥].

والمعنى على هذا: اثبتوا على ما أنتم عليه إن رضيتم بالنار.

١٦٤- وقوله ﷻ: **وجعلوا لله مما ذرأ من الحرثِ والأنعامِ نصيبا** [آية: ١٣٦].

---

(١) انظر جامع البيان ٣٦/٨ وزاد المسير لابن الجوزي ١٢٥/٣ والبحر المحيط ٢٢٢/٤ وتفسـير ابن كثير ٣٣٢/٣.

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي ١٢٥/٣ وجامع الأحكام للقرطبي ٨٦/٧.

(٣) انظر معاني الزجاج ٣٢١/٢.

في الكلام حذف، والمعنى: وجعلوا لأصنامهم نصيباً ودل عليه **فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا** .

قال مجاهد: كانوا يجعلون لله جزءً ولشركائهم جزءً، فإذا ذهب ما لشركائهم عوضوا منه مما لله، وإذا ذهب ما لله لم يعوضوا منه شيئاً.

قال: الأنعام: البحيرة، والسائبة التي سيبت أي تركت فلم تحلب ولم تركب.

وقال قتادة: كانوا يجعلون لله نصيباً ولشركائهم نصيباً، فإذا هلك بعير مما لشركائهم، أخذوا مما لله فجعلوه لشركائهم، وإذا هلك بعير مما لله، ﷻ تركوه، وقالوا: الله مستغنٍ عن هذا، وإذا أصابتهم سنة أخذوا ما لله ﷻ فنحروه وأكلوه.

١٦٥- وقال الله ﷻ: ساءَ ما يحكُمونَ [آية: ١٣٦].

فذم الله ذلك من فعلهم.

ويقال: ذرأ، يذْرأُ، ذَرءً: أي خلق.

١٦٦- وقوله ﷻ: وكذَلك زين لكثيرٍ من المشركين قتلَ أولادِهِم شركاؤهم [آية: ١٣٧].

يعني: الموءودة.

قال مجاهد: زين لهم الشياطين قتل البنات، وخوفوهم العيلةَ.

قال غير مجاهد: «شركاؤهم» ههنا: الذين يخدمون الأصنام.

١٦٧- وقوله ﷻ: وقالُوا هذِهِ أنعام وحرثٌ حِجر [آية: ١٣٨].

قال قتادة: الحِجر: الحرام.

وقيل: هذه أشياء كانوا يجعلو ا لأصنامهم، لا يأكل منها إلا من يشاؤهم خدم الأصنام.

والحرثُ: هو الذي يجعلونه لنفقة أوثا م، ويحرمو ا على الناس إلا خدمها.

١٦٨- ثم قال ﷻ: وأنعام حرمت ظُهورها [آية: ١٣٨].

قال قتادة: يعني السائبة والوصيلة.

١٦٩- وقوله ﷻ: وأنعام لا يذْكُرونَ اسم الله عليها [آية: ١٣٨].

أي يذبحو ا لآلهتهم، ولا يذكرون عليها اسم الله، فأعلم الله ﷻ أنه لم يأمرهم ذا، ولا جاءهم به نبـ ـي، فقال تعالى: **افْتِراءً عليهِ سيجزيهم بما كانوا يفْترونَ**

[المائدة: ١٠٣].

وقيل: معنى **وأنعام حرمت ظهورها**.

هو الحامي الذي ذكره الله ﷻ في قوله: **ولا وصيلةٍ ولا حامٍ** [المائدة: ١٠٣].

وقيل معنى **وأنعام لا يذكُرونَ اسم الله عليها** السائبة؛ لأ ا لا تركب، فيذكر اسم الله عليها.

وقيل: يذبحو ا لأصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها.

والمحرمة ظهورها «السائبة، والحامي، والبحيرة» وأصحها ما بدأنا به.

١٦٩- وقوله ﷻ: **وقَالُوا ما فِي بطُون هذِهِ الأنعامِ خالِصةٌ لذكُورنا** [آية: ١٣٩].

قال مجاهد: يعني البحيرة والسائبة.

قال غيره: كانوا إذا جعلوا لأصنامهم شيئاً مما في بطون الأنعام، فولدت مولوداً حيا ذكراً، كان للذكران دون الإناث، وإذا ولدت ميتاً ذكراً اشترك فيه الذكران والإناث، فذلك قوله تعالى: **وإن يكُن ميتةً فَهم فِيهِ شركَاءُ** [آية: ١٣٩].

وقال قطرب: إذا أتأمت عشراً، فما ولدت بعد ذلك فهو للذكور، إلا أن يموت، فيشترك فيه أكله الذكر والأنثى.

وقرأ الأعمش: **وقَالُوا ما فِي بطُون هذِهِ الأنعامِ خالِصةٌ لذُكُورنا** [آية: ١٣٩].

قال الكسائي: معنى خالص، وخالصة واحد، إلا أن الهاء للمبالغة، كما يقال: رجل داهية، وعلامة.

وقال الفراء: الخاء لتأنيث الأنعام؛ لأن ما في بطون الأنعام مثلها.

وقرئ **خالِصةٌ لذُكُورنا**.

والمعنى على هذه القراءة: ما خلص منه حيا لذكورنا.

ومحرم على أزواجِنا أي الإناث.

قال مجاهد: معنى **سيجزيهم وصفَهم** أي سيجزيهم كذ م.

والتقدير عند النحويين: سيجزيهم جزاء وصفهم الذي هو كذب.

١٧١- وقوله ﷻ: **قَد خسِر الذِين قَتلُوا أولادهم سفَها بِغير عِلْمٍ** [آية: ١٤٠].

يعني: قتلهم البنات جهلاً.

١٧٢- ثم قال ﷻ: **وحرموا ما رزقَهم الله افْتِراءً على الله قَد ضلوا وما**

كانوا مهتدين [آية: ١٤٠].

قال أبو رزين: ولم يكونوا مهتدين قبل ذلك.

١٧٣- وقوله ﷻ: **وهو الذي أنشأ جناتٍ معروشاتٍ وغير معروشاتٍ** [آية: ١٤١].

أنشأ: خلق وابتدع. والجنات: البساتين.

وقيل: المعروشات الكروم.

والنخلَ والزرع مختلفًا أُكُله أي ثمره؛ لأنه مما يؤكل.

والزيتونَ والرمانَ متشابها وغير متشابه .

قيل: مشتبه في المنظر، ومختلف في المطعم، فيه حلو، وحامض.

وقيل: يشبه بعضه بعضاً في الطعم، ومنه ما لا يشبه بعضه بعضاً في الطعم.

١٧٤- ثم **قال** ﷻ: **كُلُوا مِن ثَمرِه إذَا أثْمر وآتوا حقه يوم حصادِه ولاَ تسرِفُوا إنه لا يحِب الْمسرِفين** [آية: ١٤١].

في هذه الآية ثلاثة أقوال:

فمذهب ابن عمر، وأبي الدرداء، وسعيد بن جبير، وأبي العالية، وعطاء: أن عليه أن يصدق منه سوى الزكاة المفروضة.

والقول الثاني: أن الآية منسوخة.

قال إبراهيم النخعي: نسخها العشر، ونصف العشر.

وروى عن الحسن قولان:

روى سفيان، عن يونس، عن الحسن، قال: نسختها الزكاة المفروضة.

والقول الآخر -وهو القول الثالث في الآية- رواه شعبة عن أبي الرجاء قال: سألت الحسن عن قوله ﷻ: **وآتوا حقه يوم حصادِه** فقال: الزكاة المفروضة.

وكذلك قال ابن عباس، وأنس بن مالك، وابن الحنفية، وجابر بن زيدٍ، وسعيد ابن المسيب وطاووس وقتادة والضحاك.

ورواه ابن وهب عن مالك قال: هي الصدقة المفروضة.

والقول الأول أولاها؛ لأنه يبعد أن يعني به الزكاة المفروضة؛ لأن الأنعام مكية، والزكاة إنما فرضت بعد مقدم النبي ﷺ إلى المدينة.

ويقوي القول الأول حديث النبي ﷺ أنه ى عن جذاذ الليل[١].

قال سفيان: كي يحضر المساكين.

قال سعيد بن المسيب: ومعنى **ولا تسرفوا** ولا تمتنعوا من الصدقة فتهلكوا.

وقال غيره: معنى **ولا تسرفوا** لا تدفعوا كل ما لكم إلى الغرباء، وتتركوا عيالكم، كما روي «أبدأ بمن تعول».

السرف في اللغة: ا اوزة إلى ما لا يحل، وهو اسم ذم، أي لا تنفقوا في الوجوه المحرمة، حتى لا يجد السائل شيئاً.

وقيل: معنى **ولا تسرفوا** لا تنفقوا أموالكم فيما لا يحل؛ لأنه قد أخبر عنهم أ م قالوا: **وهذا لشركائنا** [آية: ١٣٦].

١٧٥- وقوله ﷻ: **ومن الأنعام حمولةً وفرشا** [آية: ١٤٢].

وروى أبو الأحوص عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «الحمولة: ما أطاق الحمل من الإبل، والفَرش: ما لم يطق الحملَ، وكان صغيراً».

قال أبو جعفر: وهذا المعروف عند أكثر أهل اللغة.

وقال الضحاك: الحَمولةُ: من الإبل، والبقر، والفرش: الغنم.

واستشهد لصاحب هذا القول بقوله: **ثمانية أزواج** قال: فثمانية بدل من قوله: **حمولةً وفرشا** .

قال الحسن: الحمولة: الإبل، والفَرش: الغنم.

١٧٦- ثم **قال** ﷻ: **كلوا مما رزقكم الله** [آية: ١٤٢].

وهو أمر على الإباحة.

١٧٧- ثم **قال تعالى: ولا تتبعوا خطوات الشيطان** [آية: ١٤٢].

يعني: طرقه، أي طريقه الذي يحسنه لكم.

وقيل: تخطيه الحلال إلى الحرام.

وقيل: يعني آثاره.

١٧٨- وقوله ﷻ: **ثمانية أزواج** [آية: ١٤٣].

---

(١) رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمد، عن علي بن أبي طالب أن رسـول اللـه ﷺ «فهي عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل»، وانظر ابن كثير ٤٢/٣.

كل فردٍ يحتاج إلى آخر عند العرب: زوج.

١٧٩- ثم **قال تعالى: من الضأن اثْنين** [آية: ١٤٣].

وهو جمع ضائن، كما يقال: راكب وركب.

١٨٠- ثم **قال** ﷻ: **ومن الْمعز اثْنين** [آية: ١٤٣].

وهذا احتجاج عليهم، أي إن كان حرم الذكور، فكل ذكرٍ حرام، وإن كان حرم الإناث، فكل أنثى حرام، واحتج عليهم بهذا لأنهم أحلوا ما ولد حيا –ذكراً- للذكور، وحرموه على الإناث إن كان أنثى.

قال قتادة: أمره الله ﷻ أن يقول لهم: **آلذكرين حرم أمِ الأنثيين أما اشتملت عليْهِ أرحام الأُنثيين** [آية: ١٤٣] إن كان ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين حراماً، فكل مولود منها حرام، وكلها مولود، فكلها إذاً حرام، وإن كان التحريم من جهة الذكور من الضأن والمعز فكل ذكرٍ حرام عليكم، وإن كان من جهة الإناث فكل أنثى حرام عليكم، وكانوا يحرمون الوصيلة وأخاها على الرجال والنساء.

١٨١- ثم **قال** ﷻ: **نبئُوني بِعلْمٍ إن كُنتم صادِقين** [آية: ١٤٣].

أي ليس عندكم علم لأنهم لا يؤمنون بكتاب.

١٨٢- ثم **قال** ﷻ: **أم كُنتم شهداءَ إِذْ وصاكُم الله بِهذَا** [آية: ١٤٤].

أي لستم تؤمنون بكتاب، فهل شهدتم الله ﷻ حرم هذا؟.

١٨٣- ثم **بين ظلمهم فقال** ﷻ: **فَمن أَظْلَم مِمن افْترى على الله كَذِبا** [آية: ١٤٤].

ثم بين أنه لا يحرم الله شيئاً إلا بوحي فقال: **قُل لا أَجِد فِي ما أُوحِي إِلَي محرما على طَاعِمٍ يطْعمه** [آية: ١٤٥].

روي عن عائشة -رحمة الله عليها- (على طَاعِمٍ طَعِمه).

وعن أبي جعفر محمد بن علي **طَاعِمٍ يطْعمه** .

١٨٤- ثم **قال** ﷻ: **إِلا أن يكُونَ ميتةً أو دما مسفُوحا** [آية: ١٤٥].

قال قتادة: المسفوح: المصبوب، فحرم ما كان مصبوباً خاصة، فأما ما كان مختلطاً باللحم فهو حلال.

١٨٥- ثم **قال** ﷻ: **فَإنه رِجس أو فِسقًا أُهِل لِغير الله بِهِ** [آية: ١٤٥].

أي ذبح لغير الله، وذكر عليه غير اسم الله، وسماه «فسقاً» لأنه خارج عن الدين.

والمعنى: أو دماً مسفوحاً، أو لحم خنـزير، أو فسقاً أهل لغير الله به، فإنه رجس.

والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، داخلة في هذه الآية عند قوم، لأ ا أصناف الميتة.

فأما ما لم يدخل في هذه الآية عند قوم ففيه قولان:

أحدهما: أنه روي عن عائشة وابن عباس أن الآية جامعة لجميع ما حرم من الحيوان خاصةً، وأنه ليس في الحيوان محرم إلا ما ذكر فيها.

والقول الآخر: أن هذه الآية محكمة جامعة للحيوان وغيره.

وثم أشياء قد حرمها الله سوى هذه، وقد صح عن النبي ﷺ أنه (ى عن لحوم الحمر الأهلية، وعن كل ذي نابٍ من السباع، وذي مخلبٍ من الطير).

فقيل: هذا قول قوي في اللغة؛ لأن «ما» مبهمة، فقوله ﷻ: **قُل لا أجِد فِي ما أوحِي إلي محرما** يجب أن يكون عاماً، للحيوان وغيره، والله أعلم بما أراد.

١٨٦- ثم **قال** ﷻ: **فَمن اضطُر غَير باغٍ ولاَ عادٍ** [آية: ١٤٥].

أحسن ما قيل في **الباغي**: الذي يأكل مضطراً لامتلذذاً.

والعادي: الذي يجاوز ما يقيم رمقه.

١٨٧- وقوله ﷻ: **وعلَى الذِين هادوا حرمنا كُل ذِي ظُفُرٍ** [آية: ١٤٦].

قال مجاهد وقتادة والضحاك: **كُل ذِي ظُفُرٍ** الإبل والنعام.

قال قتادة: وهو من الطير ما لم يكن مشقوق الظفر، نحو البط وما أشبهه، وهو عند أهل اللغة من الطير ما كان ذا مخلب، ودخل في ذا ما يصطاد بظفره من الطير، وجميع أنواع السباع، والكلاب، والسنانير.

١٨٨- ثم **قال** ﷻ: **ومِن الْبقَرِ والْغنمِ حرمنا علَيهِم شحومهما إِلا ما حملَت ظُهورهما** [آية: ١٤٦].

قال قتادة: هي شحوم الثروب خاصةً.

ومذهب ابن جريج: أنه كل شحمٍ لم يكن مختلطاً بعظم، ولا على عظم.

وهذا أولى لعموم الآية، وللحديث المسند: «**قاتل الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم، فجملوها فباعوها، وأكلوا أثما ا**»[1].

(١) الحديث رواه البخاري في البيوع ٣٢٩/٥، ومسلم في المساقاة رقم ١٥٨١، والترمـذي في البيوع باب بيع جلود الميتة برقم ١٢٩٧، وأبو داود في الإجارة برقم ٣٤٨٦، وابن ماجه في التجارة رقم ٢١٦٧ من حديث جابر بن عبد الله قال: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول عام =

﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ [آية: ١٤٦] أي إلا شحوم الجَنب، وما علق بالظهر، فإنها لم تحرم عليهم.

﴿أو الحوايا﴾.

قال مجاهد وقتادة: الحوايا: المباعر[1].

قال أبو عبيدة: هي عندي ما تحوى من البطن أي استدار.

قال الكسائي: واحدها حاوية وحوية.

وحكى سيبويه: حاوياء، قيل: المعنى حرمنا عليهم شحومهما، ثم استثنى فقال: ﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ ثم عطف على الاستثناء فقال: ﴿أو الحوايا أو ما اختلط بعظم﴾ أي إلا هذه الأشياء فإنها حلال.

وقيل: المعنى: حرمنا عليهم شحومهما، أو الحوايا، أو ما اختلط بعظم، إلا ما حملت ظهورهما، فيكون ما بعد (إلا) استثناء على هذا القول، داخلاً في التحريم، ويكون مثل قوله تعالى: ﴿ولا تطع منهم آثما أو كفورا﴾ [الإنسان: ٢٤] و(أو) هاهنا بخلاف معنى الواو، أي لا تطع هذا الضرب.

وقال الكسائي: ﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ (ما) في موضع نصب على الاستناء، والحوايا في موضع رفع، بمعنى: وما حملت الحوايا، فعطف الحوايا على الظهور.

١٨٩- ثم قال ﷻ: ﴿أو ما اختلط بعظم﴾ [آية: ١٤٦].

قال: فعطفه على المستثنى، وهذا أحد قولي الفراء، وهذا أصح هذه الأقوال. والله أعلم.

١٩٠- ثم قال ﷻ: ﴿ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾ [آية: ١٤٦].

قال قتادة: حرمت عليهم هذه الأشياء، عقوبةً لهم على بغيهم.

١٩١- وقوله ﷻ: ﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ [آية: ١٤٧].

قال مجاهد: يعني اليهود.

١٩٢- وقوله ﷻ: ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا

=

الفتح بمكة: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر، والميتة، والخنـزير، والأصنام، فقيل يا رسـول الله: أرأيت شحوم الميتة؟ فإنها تطلى بها السفن، وتدهن بها الجلود، فقال: لا، هو حـرام، ثم قال: قاتل الله اليهود..» وذكر الحديث ومعنى قوله «جملوه» أي أذابوا الشحم وباعوه.

(١) المباعر: جمع مبعر، سمي بذلك لاجتماع البعر فيه، والمراد بها الأمعاء.

ولا حرمنا مِن شيءٍ [آية: ١٤٨].

قال مجاهد: يعني كفار قريش، أي لو شاء الله ما حرمنا البحيرة، ولا السائبة.

وقال غيره: فأنكر الله ﷻ عليهم هذا القول، وقال: **كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم** لأنه ليس لهم أن يحتجوا بأنه من كان على معصية قد شاء الله أن تكون فهو لـه عذر؛ لأنه لو كان هكذا، لكان لمن خالفهم في دينهم عذر؛ لأن الله لو شاء أن يهديه هداه.

١٩٣- ثم قال ﷻ: **قُلْ فَلِلهِ الحجةُ البالِغةُ** [آية: ١٤٩].

أي بإرساله الرسل، وإظهاره البينات.

١٩٤- وقوله ﷻ: **قُلْ هلُم شهداءَكُم الذِين يشهدونَ أن الله حرم هذَا** [آية: ١٥٠].

والأصل عند الخليل: (ها) ضمت إليها (لُم)، ثم حذفت الألف لكثرة الاستعمال.

وقال غيره: الأصل (هلْ) زيدت عليها (لُم).

وقيل: هي على لفظها تدل على معنى (هاتِ).

وأهل الحجاز يقولون للواحد والاثنين والجماعة: هلم، وأهلُ نجدٍ يأتون بالعلامة كما تكون في سائر الأفعال.

١٩٥- وقوله ﷻ: **وهم بِربهم يعدِلُونَ** [آية: ١٥٠].

أي يجعلون لـه عِدلاً فيعبدون غيره ﷻ.

١٩٦- وقوله ﷻ: **قُلْ تعالَوا أتلُ ما حرم ربكُم عليكُم ألا تشركُوا بِهِ شيئًا** [آية: ١٥١].

قيل: الذي تلاه عليهم: **قُل لا أجِد فِي ما أوحِي إلَي محرما على طَاعِمٍ يطْعمه** [آية: ١٤٥] إلى آخر الآية.

ويكون معنى **أن تقُولُوا إنما أنزِلَ الكِتاب على طَائِفَتين مِن قَبلِنا** [آية: ١٥٦] كذا هذا أن تقولوا. وبعض النحويين يقول المعنى: لئلا تقولوا.

ولا يجوز عند البصريين حذف (لا).

وقيل: المعنى: وصاكم أن لا تشركوا.

وقيل: المعنى قال تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أنه بين ما حرم فقال ألا تشركوا به شيئًا.

١٩٧- ثم قال ﷻ: وبالوالدين إحسانا [آية: ١٥١].

أي وأحسنوا بالوالدين إحساناً.

قال ابن عباس: الآيات المحكمات **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** إلى آخر ثلاث آيات.

١٩٨- وقوله ﷻ: ولا تقتلوا أولادكم من إملاق [آية: ١٥١].

قال قتادة: الإملاق: الفاقة[1].

وقال الضحاك: «كان أحدهم إذا ولدت لـه ابنة، دفنها حية مخافة الفقر».

١٩٩- وقوله ﷻ: ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن [آية: ١٥١].

قال قتادة: يعني سرها وعلانيتها. قال: وكانوا يسرون الزنا بالحرة، ويظهرونه بالأمة.

قال مجاهد: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن [آية: ١٥٢] التجارة فيه. ولا تشتر منه شيئاً، ولا تستقرض.

٢٠٠- وقوله ﷻ: وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه [آية: ١٥٣].

وقرأ ابن أبي إسحاق ويعقوب: **وأن هذا صراطي مستقيما** بتخفيف (أن). وتقرأ (إن) بكسر الهمزة.

فمن قرأ (وأن هذا) فهو عنده بمعنى: واتل عليهم أن هذا.

ويجوز أن يكون المعنى: ووصاكم بأن هذا.

ومن قرأ بتخفيف (أنْ) فيجوز أن يكون معناه على هذا، ويجوز أن تكون (أنْ) زائدة للتوكيد كما قال ﷻ: **فلما أن جاء البشير** [يوسف: ٩٦].

ومن قرأ: (وإن هذا) قطعه مما قبله.

وروي عن عبد الله بن مسعود -رحمه الله- أنه خط خطا في الأرض فقال: هكذا الصراط المستقيم، والسبل حواليه مع كل سبيلٍ شيطان.

قال مجاهد: السبل: البدع والشبهات.

٢٠١- وقوله ﷻ: ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن [آية: ١٥٤].

قال مجاهد: المعنى: على المؤمن المحسن.

---

(١) الإملاق: الفقر وعدم المال، يقال: أملَق الرجلُ إذا افتقر، وحكى النقاش: الإملاق: الجـوع بلغة لخم.

وقال الحسن: كان فيهم محسن، وغير محسن، وأنزل الكتاب تماماً على الذي أحسن.

والدليل على صحة هذا القول أن ابن مسعود قرأ: **تماماً على الذين أحسنوا** .

وقيل: المعنى **تماما على الذي أحسن** موسى، من طاعة الله، واتباع أمره.

وقرأ ابن يعمر وابن أبي إسحاق **على الذي أحسن** .

والمعنى: على الذي هو أحسن الأشياء.

فأما معنى (ثُم) وهي تدل على أن الثاني بعد الأول.

وقصة موسى ﷺ وإيتائه الكتاب قبل هذا؟

فإن القول أنه إخبار من الله ﷻ. والمعنى: قل تعالوا أتلُ ما حرم ربكم عليكم، ثم اتلُ ما آتينا موسى.

٢٠٢- وقوله ﷻ: **أن تقُولُوا إنما أنزلَ الكِتاب على طَائفَتين مِن قَبلنا** [آية: ١٥٦].

أحسن ما قيل في هذا: كراهة أن تقولوا.

قال أبو جعفر: قد بينا ما قيل فيه.

قال قتادة: يعني بالطائفتين: اليهود، والنصارى.

وقال: يعني بالدراسة: التلاوة.

٢٠٣- ثم **قل** ﷻ: **أو تقُولُوا لَو أنا أُنزلَ علينا الكِتاب لَكُنا أهدى مِنهم** [آية: ١٥٧].

أهدى مِنهم أفهم منهم، لأ م يحفظون أشعارهم وأخبارهم، وهم أميون.

٢٠٤- وقوله ﷻ: **فَمن أظْلَم مِمن كَذب بِآياتِ الله وصدف عنها..** [آية: ١٥٧].

قال قتادة في قوله ﷻ: **وصدف عنها** : أي أعرض.

٢٠٥- وقوله ﷻ: **هلْ ينظُرونَ إلا أن تأتِيهم الْملائِكَةُ** [آية: ١٥٨].

قال قتادة: أي بالموت.

أو يأتِي ربك قال قتادة: يعني يوم القيامة.

وقال غيره: المعنى: إهلاك ربك إياهم.

٢٠٦- ثم **قال** ﷻ: **أو يأتِي بعض آياتِ ربك يوم يأتِي بعض آياتِ ربك لاَ ينفَع نفْسا إيمانها لَم تكُن آمنت مِن قَبلُ أو كَسبت فِي إيمانها خيرا..** [آية: ١٥٨].

روى وكيع عن ابن أبي ليلى عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قول

الله ﷻ ﴿ **يوم يأتي بعض آيات ربك** ﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها[1].

﴿**لم تكن آمنت من قبل أو كسبت** في **إيمانها خيراً..**﴾[2].

وروى ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو قال: «الآية التي لا ينفع نفساً إيمانها عندها: إذا طلعت الشمس من مغربها مع القمر في وقت واحد».

٢٠٧- وقوله ﷻ: ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء.. ﴾ [آية: ١٥٩].

الشيع: الفِرق، ومعنى شايعت في اللغة: تابعت.

ومعنى ﴿ **وكانوا شيعاً** ﴾: وكانوا فرقاً، كل فرقةٍ يتبع بعضها بعضاً، إلا أن الشيع كلها متفقة.

٢٠٨- ثم **قال** ﷻ: ﴿ **لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله** ﴾ [آية: ١٥٩].

قيل: هذا قبل الأمر بالقتال.

وروى أبو غالب عن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **فرقوا دينهم وكانوا شيعاً** ﴾ قال: هم الخوارج.

وقيل: إن الآية تدل على أن من ابتدع من خارجي وغيره، فليس النبي ﷺ منهم في شيء، لأنهم إذا ابتدعوا تخاصموا وتفرقوا، وكانوا شيعاً.

٢٠٩- وقوله ﷻ: ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها.. ﴾ [آية: ١٦٠].

روى الأعمش عن أبي صالح قال: «الحسنة: لا إله إلا الله، والسيئة: الشرك».

والمعنى: إن ما كان عنده هو النهاية في المجازاة، أعطى عشرة أمثاله.

٢١٠- وقوله ﷻ: ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيمٍ ﴾ [آية: ١٦١].

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣١/٣، والترمذي ١٣/٢ وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف.

(٢) الحديث رواه الترمذي ٥١٩/٩، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة في كتاب الفتن باب طلوع الشمس من مغربها ١٣٥٣/٢ ولفظه: «إن الله فتح باباً قبل المغرب، عرضه سبعون عاماً للتوبة، لا يغلق حتى تطلع الشمس منه».

الصراط: الطريق، والمعنى: عرفني الدين الذي هو الحق.

٢١١- ثم قال ﷻ: ﴿دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آية: ١٦١].

والقيم: المستقيم، ومن قرأ «قِيماً» فهو مصدر مثل الصغر، والكبر.

٢١٢- وقوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ١٦٢].

النسك: جمع النسيكة وهي الذبيحة، وأصل هذا من التقرب لله ﷻ، ومنه قيل: رجل ناسك.

وإنما قيل هذا، لأ م كانوا يذبحون لغير الله ﷻ.

٢١٣- وقوله ﷻ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ..﴾ [آية: ١٦٤].

معنى «أبغي»: أريد وأطلب.

٢١٤- وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ..﴾ [آية: ١٦٥].

يعني أمة محمد ﷺ.

وقيل: لأ م آخر الأمم، فقد خلفوا من كان قبلهم.

وقيل: لأن بعضهم يخلف بعضاً، حتى تقوم الساعة عليهم، والحديث يقوي هذا القول.

٢١٥- ثم قال ﷻ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ..﴾ [آية: ١٦٥].

أي فضل بعضكم على بعضٍ في الرزق.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أي ليختبركم فيما أعطاكم، فينظر كيف شكركم؟ وقد علم ما يكون علم غيبٍ، وإنما تقع ا ازاة على الشهادة.

٢١٦- ثم قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آية: ١٦٥].

فعقابه ﷻ، وإن كان أكثره يوم القيامة، فإن كل آتٍ قريب.

وروي عن ابن عباس أنه قال: نزلت سورة الأنعام بمكة جملةً واحدة، إلا ثلاث آيات منها، فإ ن أنزلن بالمدينة، وهو قوله ﷻ: **﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا..﴾** إلى آخر الآيات.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الأنعام»

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

سورة الأعراف وهي مكيّة

١- قوله ﷻ: المص [آية: ١].

قال أبو جعفر: قد بينا معنى فواتح السور، في أول سورة البقرة، فمن قال معنى **الم**: أنا الله أعلم، قال: معنى: **المص**: أنا الله أفْصِلُ.

وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير.

٢- وقوله ﷻ: كِتاب أُنـزلَ إليك.. [آية: ٢].

المعنى هذا كتاب أُنـزل إليك.

٣- ثم **قال ﷻ: فَلا يكُن في صدرك حرج منه..** [آية: ٢].

قال مجاهد وقتادة: الحَرج: الشك.

والمعنى على هذا القول: فلا تشكوا فيه، لأن الخطاب للنبي ﷺ خطاب لأمته.

والحرج في اللغة: الضيق، فيجوز أن يكون سمي ضِيقًا، لأن الشاك لا يعرف حقيقة الشيء، فصدره يضيق به.

ويجوز أن يكون المعنى: فلا يكن في صدرك ضِيق من أنْ تبلغه، لأنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إني أخاف أن يثلغوا رأسي**»(١).

وفي الكلام تقديم وتأخير، المعنى: كتاب أُنـزل إليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين، فلا يكن في صدرك حرج منه.

٤- وقوله ﷻ: اتبِعوا ما أُنـزلَ إليكم من ربكُم [آية: ٣].

قيل: هو القرآنُ والسنةُ، **لقوله ﷻ: وما آتاكُم الرسولُ فَخذُوه وما نهاكُم عنه فَانتهوا** [الحشر: ٧].

٥- ثم **قال ﷻ: ولاَ تتبِعوا من دونِهِ أولياءَ قَليلاً ما تذكَرونَ** [آية: ٣].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجنة ٢١٩٧/٤، وأحمد في المسند ١٦٢/٤ من حديث عياض بن حمار المجاشعي في خطبة خطبها ﷺ، وفيه: «وإن الله أمرني أن أحرق قريشا، فقلت: رب إذاً يثلغوا رأسي فيدعوه، خبزة..» الحديث ومعنى «يثلغوا رأسي» أي يشدخوه ويشجوه كما يكسـر الخبـز ويقطع».

أي لا تتخذوا من عدل عن دين الحق وليا، وكل من رضي مذهبا فأهلُ ذلك المذهب أولياؤه.

وروي عن مالك بن دينار رحمه الله أنه قرأ (ولا تبتغوا من دونه أولياء)[1] أي لا تطلبوا.

٦- وقوله ﷻ: وكم من قريةٍ أهلكْناها فجاءَها بأسنا بياتا أو هم قائِلونَ [آية: ٤].

المعنى: فجاءهم العذاب على غَفْلَةٍ بالليل وهم نائمون، أو نصف النهار وهم قائلون.

ومعنى (أو) هاهنا: التصرف مرةً كذا، ومرةً كذا، وهي بمنـزلة (أو) التي تكون للإباحة في الأمر.

٧- وقوله ﷻ: فما كانَ دعواهم إذْ جاءَهم بأسنا.. [آية: ٥].

الدعوى هاهنا بمنـزلة الدعاء والدعوى تكونُ بمنـزلة الإدعاء، وتكون بمنـزلة الدعاء، وأجاز النحويون «اللهم أشركنا في صالح دعوى من دعاك».

والمعنى: إنهم لم يحصلوا عند الهلاك، إلا على الإقرار بأنهم كانوا ظالمين.

٨- وقوله ﷻ: فلنسألن الذِين أرسِلَ إليهم ولنسألن المرسلِين [آية: ٦].

وهذا سؤالٌ توبيخ وتقرير.

فأما قولُه تعالى: **فيومئذٍ لا يسألُ عن ذنبِه إنس ولا جان** [الرحمن: ٣٩] فمعناه أنه لا يسأل سؤال استعلام، والله أعلم..

٩- وقوله ﷻ: والْوزنُ يومئذٍ الْحق فمن ثقُلَت موازينه فأولئك هم المفلِحونَ [آية: ٨].

قال عبيد بن عمير: «يؤتى يوم القيامة بالرجل، العظيم الطويل، الأكول الشروب، فلا يزن جناح بعوضة».

قال عمرو بن دينار: إن الميزان له كفتان.

١٠- وقوله ﷻ: ولقد مكناكُم في الأرض.. [آية: ١٠].

أي ملكْناكم.

وجعلْنا لكُم فِيها معايِش [آية: ١٠]. أي ما تعيشون به.

---

(١) هذه القراءة ليست من القراءات المتواترة، انظر البحر ٢٦٧/٤، والمحرر ٤٢٥/٥.

ويجوز أن يكون المعنى: ما تتوصلون به إلى المعيشة.

١١- وقوله ﷻ: **ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** [آية: ١١]. في هذه الآية أقوال:

قال الأخفش- وهو أحد قولي قطرب- (ثم) هاهنا بمعنى الواو.

وهذا القولُ خطأ على مذهب أهل النظر من النحويين، ولا يجوز أن تكون (ثُم) بمعنى الواو، لاختلاف معنييهما.

وقيل: (ثُم) للإخبار.

وقيل: ولقد خلقناكم يعني في ظهر آدم ﷺ، **ثم صورناكم** أي في الأرحام، هذا صحيح عن ابن عباس.

ولقد خلقناكم يعني ابن آدم، وقد علم ﷻ أنه يخلق ذريته، فهو بمنـزلة ما خلق.

وقال مجاهد: رواه عنه ابن جريج وابن أبي نجيح: معنى **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** في ظهر آدم.

قال أبو جعفر: وهذا أحسن الأقوال، يذهب مجاهد إلى أنه خلقهم في ظهر آدم، ثم صورهم حين أخذ عليهم الميثاق، ثم كان السجود لآدم بعد.

ويقوي هذا **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم** [آية: ١٧٢].

والحديثُ: «**أنه أخرجهم أمثال الذر، فأخذ عليهم الميثاق**»[1].

قال الزجاج: المعنى خلقنا آدم من تراب، ثم صورناه، قال: ويدل عليه **خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** [آل عمران: ٥٩] فالتقدير: خلقنا أصلكم.

وقيل: المعنى خلقناكم نطفاً، ثم ثم صورناكم.

١٢- ثم **قال** ﷻ: **فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين** [آية: ١١].

قيل: استثنى إبليس من الملائكة، وليس منهم، لأنه أُمِر بالسجود معهم، قال ﷻ: **ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك** ؟ [آية: ١٢].

وقيل: أنه كان منهم.

---

(١) روى الترمذي في التفسير برقم (٣٠٧٧) عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى خلـق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون..» الحديث، وانظر مالك في الموطأ ٨٩٨/٢، وأبو داود في السنن برقم (٤٧٠٣)، وأحمد في المسند برقم (٣١١).

قال أبو جعفر: وقد استقصينا هذا ففي سورة البقرة.

١٣- وقوله ﷻ: قَالَ ما منعك ألا تسجد إذْ أمرتك .

هذا سؤال توبيخ وتقرير، ولأنه قد علم ﷻ ذلك.

و(لا) زائدة للتوكيد، كما قال:

فَما ألوم البِيض أنْ لا تسخرا لَما رأين الشمــطَ القَفَندرا(١)

فجاء بجوابٍ لغير ما سئل عنه، فقال: **أنا خير منه** ولم يقل: منعني كذا، وإنما هو جواب من قيل له: أيكما خير؟ ولكنه محمولٌ على المعنى، كأنه قال: منعني فضلي عليه.

١٤- وقولُه ﷻ: قَالَ أنظِرني إلى يومِ يبعثُونَ [آية: ١٤].

أي أخرني، فلم يجب إلى هذا بعينه، فأُجِيب إلى النظْرةِ إلى يومِ الوقت المعلوم.

١٥- وقوله ﷻ: قَالَ فَبِما أغْويتِني لأقْعدن لهم صِراطَك الْمستقِيم [آية: ١٦].

قيل: معناه: فبما أضللتني.

وقيل: معناه خيبتني.

وقيل: أي فبما دعوتني إلى شيءٍ ضللت من أجله، والله أعلم بالمراد.

قال مجاهد: معنى **لأقْعدن لهم صِراطَك الْمستقِيم** : لأقعدن لهم على الحق.

والصراط في **اللغة**: الطريق، والمعنى: على صِراطِك، ثم حذف (على) فتعدى الفعلُ.

١٦- وقوله ﷻ: ثُم لآتِينهم من بين أيدِيهم ومِن خلْفِهم وعن أيمانِهم وعن شمائِلِهم [آية: ١٧].

روى سفيانُ: عن منصور عن الحَكَمِ بن عتيبة قال:

من بين أيدِيهم من دنياهم، **ومِن خلْفِهم** من آخرتم، **وعن أيمانِهم** يعني حسناتم **وعن شمائِلِهم** يعني سيئاتِهم.

وهذا قول حسن وشرحُه: أن معنى **ولآتِينهم من بين أيدِيهم** من دنياهم، حتى يكذبوا بما فيها من الآيات، وأخبارِ الأممِ السالفة.

ومِن خلْفِهم من آخرتم حتى يكذبوا ا.

وعن أيمانِهم من حسناتم، وأمور دينهم.

ويدل على هذا قوله تعالى: **إنكُم كُنتم تأتوننا عن الْيمِينِ** [الصافات: ٢٨].

(١) هذا البيت لأبي النجم، ذكره ابن منظور في اللسان ١١٢/٥.

وعن شمائِلِهم يعني سيئاتِهم أي يتبعون الشهوات، لأنه يزينها لهم.

وقيل: ثم **لآتينهم من بين أيدِيهم** من آخرتهم.

روى علي بن أبي طلحةَ عن ابن عباس ثم **لآتينهم من بين أيدِيهم ومِن خلْفِهم وعن أيمانِهم وعن شمائِلِهم** .

أما قوله تعالى: من بين أيدِيهم فيقول: أشككهم في آخرتهم، **ومِن خلْفِهم** أُرغبهم في دنياهم **وعن أيمانِهم** أُشبه عليهم أمر دينهم، **وعن شمائِلِهم** أُشهي لهم المعاصي، **ولاَ تجِد أكْثَرهم شاكِرِين** [آية: ١٧] يقولُ: موحدين.

و ذا الإسناد **من بين أيدِيهم** يعني من الدنيا **ومِن خلْفِهم** من الآخرة **وعن أيمانِهم** ِقبل حسناتهم، **وعن شمائِلِهم** من قبل سيئاتهم.

قال أبو جعفر: وذلك القول لا يمتنع لأن الآخرة لم تأت بعد، فهي بين أيدينا، وهي تكون بعد موتنا، فمن هذه الجهة يقال: هي خلفنا.

وقيل: معنى **ومِن خلْفِهم** : يخوفهم على تركاتهم، ومن يخلفُون بعدهم.

وقيل: معنى **وعن أيمانِهم وعن شمائِلِهم** : من كل جهة يعملون منها، ويكونُ تمثيلاً، لأن أكثر التصرف باليدين، قال الله ﷻ: **ذَلِك بِما قَدمت يداك** [الحج: ١٠].

وقال مجاهد: من بين أيدِيهم وعن أيمانِهم من الحسنات، **ومِن خلْفِهم وعن شمائِلِهم** من السيئات.

١٧- وقوله ﷻ: قَالَ اخرج مِنها مذْؤوما مدحورا [آية: ١٨].

يقال: ذأمته، وذِمته، وذَممته، بمعنى واحد.

وقرأ الأعمش: مذُوما (١) والمعنى واحد، إلا أنه خفف الهمزة.

وقال مجاهد: المذؤم: المنفي. والمعنيان متقاربان.

والمدحور: المطرود المبعد، يقال: «اللهم ادحر عنا الشيطانَ».

١٨-وقوله ﷻ: ولاَ تقْربا هذِهِ الشجرةَ [آية: ١٩].

روي عن ابن عباس أ ا: السنبلة.

١٩- وقوله ﷻ: لِيبدِي لَهما ما ووري عنهما مِن سوءَاتِهما [آية: ٢٠].

---

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢٤٢/١.

أي ليظهر لهما ما ستر عنهما من فروجهما، ومن هذا تواريت من فلانٍ.

وقرأ الضحاكُ ويحيى بن أبي كثير **ما أوري عنهما** [(١)].

٢٠- وقوله ﷻ: **إلا أن تكُونا ملكَين أو تكُونا مِن الْخالِدِين** [آية: ٢٠].

وأكثر الناس على فتح اللام، وقال من احتج بكسر اللام، قوله ﷻ: **وملْكٍ لا يبلَى** [طه: ١٢٠] يدل على القراءة «مِلكَين» لأن ملْكًا من ملك.

وأنكر أبو عمرو بن العلاء كسر اللام، وقال: لم يكن قبل آدم ﷺ مِلك، فيصيرا مِلكَين.

٢١- ثم **قال** ﷻ: **وقَاسمهما إني لَكُما لَمِن الناصِحِين** [آية: ٢١].

أقسم لهما، مثلُ طارقت النعلَ.

وقيل: حلَفا أن لا يقبلا منه، إلا أن يحلف، فحلَف لهما.

٢٢- وقوله ﷻ: **فَدلاهما بِغرورٍ** [آية: ٢٢].

المعنى: فدلاهما في المعصية.

٢٣- ثم **قال** ﷻ: **فَلَما ذَاقَا الشجرةَ** [آية: ٢٢].

وهذا يدل على أ ما لم يمعنا في الأكل.

٢٤- وقوله ﷻ: **وطَفِقَا يخصِفَان علَيهما مِن ورق الْجنةِ** [آية: ٢٢].

أي أخذا يلزقان، ومنه خصفت النعلَ: أي رقَعتها.

قال ابن عباس: وهو ورق التين، أخذاه فجعلاه على سوءاتما.

والفرق بين معصية آدم، ومعصية إبليس، أن إبليس أقام على الذنبِ، وتاب آدم ورجع، قال الله ﷻ: **قَالا ربنا ظَلَمنا أَنفُسنا وإِن لم تغفِر لَنا وترحمنا لَنكُونن مِن الْخاسِرِين** [آية: ٢٣].

٢٥- وقوله ﷻ: **يا بنِي آدم قَد أَنزلْنا علَيكُم لِباسا يوارِي سوءَاتِكُم** [آية: ٢٦].

قال مجاهد: كان قوم من العرب، يطوفون بالبيت عراةً، فأنـزل الله ﷻ: **يا بنِي آدم قَد أنـزلْنا علَيكُم لِباسا يوارِي سوءَاتِكُم ورِيشا** .

قال مجاهد: الريش: المالُ.

---

(١) هذه ليست من القراءات السبع، انظر القرطبي ١٨٧/٧.

وقال الكسائي: الريش: اللباس.

وقال أبو عبيدة: الريش، والرياش: ما ظَهر من اللباس والشارة.

والريش عند أكثر أهل اللغة: ما ستر من لباسٍ أو معيشة.

وأنشد سيبويه:

فَريشِي مِنكُم وهواي معكُم ... وإنْ كانت زِيارتكم لِماما(1)

وحكى أبو حاتم **عن** أبي **عبيدة**: وهبت له دابةً بريشها: أي بكسوتها وما عليها من اللباس.

قال الفراء: يكن الرياش جمعا للريش، ومعناه أيضا، مِثلُ لِبسٍ، ولِباسٍ.

٢٦- ثم **قال** ﷻ: **﴿ولباس التقْوى ذَلِك خير﴾** [آية: ٢٦].

أي لباس التقْوى خير من الثياب، لأن الفاجر وإن لبس الثياب فهو دِنس.

وروى قاسم بن مالك عن عوف عن معبدٍ الجُهني قال: **﴿لِباس التقْوى﴾** الحياءُ.

وقرأ الأعمش: **﴿ولباس التقْوى خير﴾** ولم يقرأ **﴿ذلك﴾**.

٢٧- وقوله ﷻ: **﴿إنه يراكُم هو وقَبِيلُه مِن حيثُ لا ترونهم﴾** [آية: ٢٧].

قبيلُه: جنوده.

قال مجاهد: يعني الجن والشياطين.

٢٨- وقوله ﷻ: **﴿وإذَا فَعلُوا فَاحِشةً قَالُوا وجدنا علَيها آباءَنا﴾** [آية: ٢٨].

قال مجاهد: كانت النساءُ تطوف بالبيتِ عراةً، عليهن الرهاطُ.

وقال: الرهاط: جمع رهطٍ، خرقةٌ من صوفٍ أو سيور، كذا قال الفراء.

فهذه الفاحشة الذي قالوا **﴿وجدنا علَيها آباءَنا﴾**.

وقال غيره: «كان الرجال يطوفون نهارا عراةً، والنساءُ بالليل، ويقولون: لا نطوف في ثيابٍ عصينا الله فيها».

٢٩- وقوله ﷻ: **﴿قُلْ أمر ربي بِالْقِسطِ﴾** [آية: ٢٩].

أي بالعدل.

﴿وأَقِيموا وجوهكُم عِند كُل مسجِدٍ﴾ [آية: ٢٩].

---

(١) البيت منسوب للراعي النميري، انظر شواهد سيبويه ص ١٣٩، ومعاني القرآن للزجاج ٣٦٢/٢.

قال مجاهد: أي استقبلوا القبلة أينما كنتم، ولو كنتم في كنيسة.

وقال غيره: معناه إذا أدركتكم الصلاةُ في مسجد فصلوا، ولا يقل أحدكم: لا أُصلي إلا في مسجدي.

٣٠- ثم **قال** ﷻ: **كما بدأكُم تعودونَ** [آية: ٢٩].

قال مجاهد: من بدئ سعيدا عاد سعيدا، ومن بدئ شقيا عاد شقياً.

وقال محمد بن كعب: يختم للمرء بما بدئ به، ألا ترى أن السحرة كانوا كفارا، ثم ختم لهم بالسعادة؟ وأن إبليس كان مع الملائكة مؤمنا ثم عاد على ما بدئ به.

٣١- **وقوله** ﷻ: **يا بني آدم خذُوا زينتكُم عِند كُل مسجِدٍ** [آية: ٣١].

قال عطاء: وطاووس، والضحاك: يعني اللباس، لأن قوما من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة، وهو مذهب مجاهد.

وروى شعبة عن سلمة بن كُهيل قال: سمعت مسلم البطِين يحدث عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال «كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، فنـزلت **خذُوا زينتكُم عِند كُل مسجِدٍ**»[1] [آية: ٣١].

قال الزهري: كانت العرب تطوف بالبيت عراة، إلا الحُمس- قريشا وأحلافها- فقال الله ﷻ: **خذُوا زينتكُم عِند كُل مسجِدٍ**

٣٢- ثم **قال** ﷻ **موبخا لهم**: **قُلْ من حرم زينةَ الله الِتي أخرج لِعبادِهِ والْطيباتِ مِن الرزق** [آية: ٣٢]. هو عام.

وقيل: أي من حرم لبس الثياب في الطواف؟ ومن حرم ما حرموا من البحيرة وغيرها؟

قال الفراء: إن قبائل من العرب، كانوا لا يأكلون اللحم أيام حجهم، ويطوفون عراة، فأنـزل الله ﷻ هذا.

٣٣- ثم **قال** ﷻ: **قُلْ هِي لِلذِين آمنوا فِي الْحياةِ الدنيا خالِصةً يوم الْقِيامةِ** [آية: ٣٢].

قال الضحاك: يشترك فيها المسلمون والمشركون، في الدنيا، وتخلُص للمسلمين يوم القيامة.

---

(١) الحديث رواه مسلم في التفسير ٢٤٣/٨، والنسائي في الحج ٢٣٣/٥.

وقيل: **﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** في الصلة، أي آمنوا في ذا الوقت، خالصةً من الغم والتنغيص.

٣٤- وقوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ..﴾ [آية: ٣٣].

روى روح بن عبادة، عن زكريا بن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: **﴿وَمَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾**: نكاح الأمهات في الجاهلية **﴿وَمَا بَطَنَ﴾** الزنا.

وقال قتادة: شرها، وعلانيتها.

٣٥- ثم **قال** ﷻ: **﴿وَالإِثْمَ﴾** [آية: ٣٣].

وقال في **موضع آخر**: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾** [البقرة: ٢١٩].

فدل [الآ]تين على أن الخمر، والميسر، حرام.

٣٦- وقوله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ..﴾ [آية: ٣٤].

أي وقت مؤقت.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ [آية: ٣٤].

المعنى: لا يستأخرون ساعة ولا أقل من ساعة، إلا أن الساعة خصت بالذكر، لأ[نها] أقل أسماء الأوقات.

٣٧- وقوله ﷻ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ [آية: ٣٧].

المعنى: أي ظلم أشنع من الافتراء على الله، والتكذيب بآياته؟

٣٨- ثم **قال** ﷻ: **﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾** [آية: ٣٧].

روى جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال: «ما قُدر لهم من خيرٍ وشر».

وروى شريك عن سالم عن سعيد بن جبير: **﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾** قال: من الشقوة، والسعادة.

وروى سفيان عن منصور عن مجاهد قال: ما وعدوا فيه من خيرٍ وشر.

ومعنى هذا القول: أ[نه]م ينالهم نصيبهم من العذاب، على قدر كفرهم، نحو قوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾** [النساء: ٤٨].

و**﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾** [النساء: ١٤٥].

وقال ﷻ **يسلكه عذابا صعدا** [الجن: ١٧].

وكذلك قال الضحاك: معناه: ينالُهم نصيبهم من العذاب.

٣٩- ثم **قال** ﷻ: **حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم** [آية: ٣٧].

قيل: أعوانُ ملك الموت، لما جاءوهم أقروا أ م كانوا كافرين.

وقيل: ملائكة العذاب.

ومعنى **يتوفونهم** على هذا: يتوفو م عذابا، كما تقول قتلته بالعذاب.

ويجوز: أن يكون من استيفاء العدد.

٤٠- **وقوله** ﷻ: **قالَ ادخلوا في أممٍ قد خلت من قبلكم** [آية: ٣٨].

قيل معنى: «في» «مع» وهذا لا يمتنع، لأن قولك: زيد في القوم، معناه: مع القوم، وتجوز أن تكون «في» على با ا.

وقال الأصمعي في قول امرئ القيس:

وهلْ ينعمن من كان آخِر عهدِه ثلاثين **شهرا** في **ثلاثـةِ أحوال**[1]

معنى (في) معنى (مع).

٤١- **وقوله** ﷻ: **حتى إذا اداركوا فيها** [آية: ٣٨].

أي تتابعوا واجتمعوا.

قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاءِ أضلونا [آية: ٣٨].

المعنى: قالت أخراهم يا ربنا هؤلاء أضلونا **لأولاهم** أي يعني أولاهم.

٤٢- **وقوله** ﷻ: **قالَ لكُلٍ ضِعف ولكِن لا تعلمونَ** [آية: ٣٨].

يجوز أن يكون المعنى: ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا، مقدار ما هم فيه من العذاب.

ويجوز أن يكون المعنى: لا تعلمون أيها المخاطبون.

ومن قرأ **ولكِن لا يعلمونَ**[2] فمعناه عنده: ولكن لا يعلم كل فريقٍ، مقدار عذاب الفريق الآخر.

٤٣- **وقوله** ﷻ: **وقالت أولاهم لأخراهم فما كانَ لكُم علينا مِن فضلٍ**

---

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٢٧.

(٢) هذه قراءة عاصم، انظر السبعة لابن مجاهد ص٢٨٠.

[آية: ٣٩].

قال مجاهد: أي من تخفيف العذاب.

وقال السدي: قد ضللتم كما ضللنا.

٤٤- وقوله ﷻ: **لا تفتح لهم أبواب السماء** [آية: ٤٠].

قيل: يعني أبواب الجنة لأن الجنة في السماء.

وأحسن ما قيل في هذا، ما رواه سفيانُ، عن منصور، عن مجاهد، قال: «لا تفتح أبواب السماء لكلامهم، ولا لعملهم» ويدل على صحة هذا القول قوله ﷻ: **إليه يصعد الكلم الطيب والعملُ الصالح يرفعه** [فاطر: ١٠].

وفي هذا حديث مسند، رواه المنهالُ، عن زاذان، عن البراء عن النبي ﷺ «**إن العبد الكافر أو المنافق، إذا خرجت نفْسه، أخذ الملائكة حتى تنتهي إلى سماء الدنيا، يفوح منها كأنتن ريح جيفة كانت على وجه الأرض فيستفتح له فلا يفتح** ثم **تلا رسول الله** ﷺ **لا تفتح لهم أبواب السماء فيقول الله: اجعلوا كتابه** في **سجين وأعيدوه** إلى **الأرض، فتطرح طرحا،** ثم **قرأ** ؑ: **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء** »[1].

٤٥- ثم **قال** ﷻ: **ولا يدخلونَ الجنةَ حتى يلج الجملُ في سم الخياط** [آية: ٤٠].

والمعنى: لا يدخلون الجنة ألبتة، والعرب تستعمل أمثال هذا كثيرا.

وسئل عبد الله بن مسعود عن الجمل؟ فقال: هو زوج الناقة.

كأنه استجهل من سأله عما يعرفه الناس جميعا.

ويروى عن ابن عباس أنه قرأ: **حتى يلج الجملُ** [2] بضم الجيم وتشديد الميم، وقال: هو القَلْس من حبال السفن.

وقال أحمد بن يحيى[3]: هي الحِبالُ المجموعة، جمع جملةٍ.

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٨٧/٤، وابن ماجه في كتاب الزهد برقم (٤٢٦٢).

(٢) هذه القراءة ذكرها ابن جني في المحتسب في شواذ القراءات ٢٤٩/١.

(٣) العلامة المحدث، إمام النحو، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، مولاهم البغدادي، صاحب "الفصيح" والتصانيف. ولد سنة مائتين وكان يقول: ابتدأت بالنظر وأنا ابن ثماني عشرة سنة، ولما بلغت خمسا وعشرين سنة ما بقي علي مسألة للفراء، وسمعت من القواريري مائة ألف حديث. قلت: وسمع من إبراهيم بن المنذر ومحمد بن سلام الجمحي وابن الأعرابي، وعلي بن المغيرة، وسلمة بن عاصم، والزبير بن بكار. وعنه نفطويه، ومحمد بن العباس اليزيدي، والأخفش =

وروى عن سعيد بن جبير أنه قرأ: **حتى يلج الجُمل** بضم الجيم وتخفيف الميم[1].

قيل: هو القَلْس أيضا.

والسم: ثقب الإبرة، وقرأ ابن سيرين بضم السين.

والخياط، والمخيط: الإبرة، ونظيره قناع، ومقنع.

٤٦- ثم قال ﷻ: **وكذلك نجزي المجرمين** [آية: ٤٠].

يعني الكافرين، لأنه قد تقدم ذكرهم.

٤٧- ثم قال ﷻ: **لهم من جهنم مهاد** [آية: ٤١].

أي فراش.

ومن فوقهم غواش أي غاشيةٌ فوق غاشية من العذاب.

وكذلك نجزي الظالمين .قيل: يعني الكفار، والله اعلم.

٤٨- وقوله ﷻ: **ونزعنا ما في صدورهم من غل** [آية: ٤٣].

الغِل في اللغة: الحقد، المعنى: إن بعضهم لا يحقد على بعض، بما كان بينه وبينه في الدنيا.

ويجوز أن يكون المعنى: أنه لا يحسد بعضهم على علو المرتبة.

ويدل على أن القول هو الأول، أنه روي عن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه أنه قال: أرجو أن أكون أنا وعثمان، وطلحة، والزبير، من الذين قال الله فيهم **ونزعنا ما في صدورهم من غل..** .

=

الصغير، وابن الأنباري، وأبو عمر الزاهد، وأحمد بن كامل، وابن مقسم الذي روى عنه أماليه. قال الخطيب: ثقة حجة، دين صالح، مشهور بالحفظ. وقيل: كان لا يتفاصح في خطابه. قال المبرد: أعلم الكوفيين ثعلب. فذُكر له الفراء، فقال: لا يعشره. وكان يزري على نفسه، ولا يعد نفسه. قال ابن مجاهد: فرأيت النبي ﷺ في المنام، فقال لي: أقرئ أبا العباس السلام، وقل له: إنك صاحب العلم المستطيل. قال القفطي: كان يكرر علي كتب الكسائي والفراء، ولا يدري مذهب البصريين، ولا كان مستخرجا للقياس. وقال الدينوري: كان المبرد أعلم بكتاب سيبويه من ثعلب. وقيل: كان ثعلب يبخل، وخلف ستة آلاف دينار. وكان صحب محمد بن عبد الله بن طاهر، وعلم ولده طاهرا، فرتب له ألفا في الشهر. وله كتاب: "اختلاف النحويين"، وكتاب "القراءات"، وكتاب "معاني القرآن" وأشياء. وعمر، وأصم، صدمته دابة، فوقع في حفرة، ومات منها في جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين ومائتين.

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢٤٩/١.

٤٩- وقوله ﷻ: وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا [آية: ٤٣].

أي لما صيرنا إلى هذا.

٥٠- وقوله ﷻ: وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [آية: ٤٣].

ويجوز أن يكون المعنى بأنه تلكم الجنة.

ويجوز أن تكون «أنْ» مفسرة للنداء.

والبصريون يعتبرو ا بـ «أي» والكوفيون يعتبرو ا بالقول، والمعنى واحد. كأنه «ونودوا» قيل لهم تلكم الجنة، أي هذه تلكم الجنة التي وعدتموها في الدنيا.

ويجوز أن يكون لما رأوها قيل لهم قبل أن يدخلوها **تِلْكُمُ الْجَنَّةُ**.

والقول في معنى: **أَنْ قَدْ وَجَدْنَا** و **أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** على ما قلنا في **أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ**.

٥١- وقوله ﷻ: يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ [آية: ٤٦].

قال قتادة: يعرف أهلُ الجنة ببياض وجوههم، وأهل النار بسواد وجوههم.

٥٢- ثم **قال** ﷻ: **لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ** [آية: ٤٦].

قال أكثر أهل التفسير: يعني أصحاب الأعراف.

٥٣- وقوله ﷻ: وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ [آية: ٤٨].

قال حذيفة: «أصحاب الأعراف» قوم استوت حسناتهم، وسيئاتهم، فهم بين الجنة والنار، ثم إن الله اطلع عليهم فرحمهم، فقالوا **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ** [آية: ٤٩].

وروى عبيد الله بن أبي يزيد، عن ابن عباس، أنه قال: الأعراف: الشيءُ المُشرِف.

وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: الأعراف سور له عرف كعرف الديك.

والأعراف في اللغة: المكانُ المُشرِف، جمع عرفٍ.

وقال أبو مجلز(١): هم من الملائكة:

قال: «والذين صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار» أهل الجنة.

حدثنا أبو جعفر، قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار الصوفي، قال: حدثنا داود الضبي،

---

(١) لاحق بن حميد تابعي ثقة توفي سنة ١٠٠ هـ، انظر التهذيب ١٧١/١١.

قال: حدثنا مسلم بن خالد، قال: عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في أصحاب الأعراف، قال: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، وهم على سور بين الجنة والنار، وهم على طَمعٍ في دخول الجنة، وهم داخلون.

وقيل: إن أصحاب الأعراف ملائكة بين الجنة والنار.

قال أبو جعفر: والقولُ الأولُ أشهر وأعرف.

قال ابن عباس: فقال الله ﷻ لهم **ادخلُوا الْجنةَ لا خوف عليْكُم ولاَ أنتم تحزنونَ** .

قال عبد الله بن الحارث: وهم يدعون مساكين أهل الجنة.

٥٤- وقوله ﷻ: **فَالْيوم ننساهم كَما نسوا لِقَاءَ يومِهِم هذَا** [آية: ٥١].

قال مجاهد: أي نتركهم في النار، كما تركوا لقاء يومهم هذا.

والمعنى: فاليوم نتركهم في العذاب، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا.

وما كَانوا بِآياتِنا يجحدونَ [آية: ٥١] أي بجحودهم لآياتنا.

٥٤- وقوله ﷻ: **هلْ ينظُرونَ إلا تأْوِيلَه** [آية: ٥٣].

قال مجاهد: أي جزاءه.

وقال قتادة: أي عاقبته.

وهذا قولٌ حسن، ومعناه ما وعدوا فيه أنه كائن.

٥٥- ثم **قال** ﷻ: **يوم يأْتِي تأْوِيلُه** [آية: ٥٣].

يعني يوم القيامة.

يقُولُ الذِين نسوه مِن قَبلُ [آية: ٥٣].

قال مجاهد: أي اعرضوا عنه.

٥٦- وقوله ﷻ: **إِن ربكُم الله الذِي خلَق السماواتِ والأَرض فِي سِتةِ أيامٍ ثُم استوى علَى الْعرش يغشِي الليلَ النهار** [آية: ٥٤].

المعنى: يغشى الليل النهار، ويغشِي النهار الليلَ، ثم حذِف لعلمِ السامع.

أي يدخِلُ هذا في هذا، وهذا في هذا.

٥٧- وقوله ﷻ: **ألاَ لَه الْخلْق والأمر** [آية: ٥٤].

ففرق بين الشيء المخلوق، وبين الأمر، وهو كلامه، فدل على أن كلامه غير مخلوق، وهو قوله «كُن».

وقيل: هو مثل قوله جل ثناؤه: **فِيهما فَاكِهةٌ ونخلٌ ورمانٌ** [الرحمن: ٦٨].

وقيل المعنى: وتصرف الأمر، ثم حذف.

٥٨- وقوله ﷻ: ادعوا ربكم تضرعا [آية: ٥٥].

أي مستكينين متعبدين **وخفْيةً** أي وأخفوا العبادة لأن الدعاء عبادة.

٥٩- ثم **قال تعالى: إنه لا يحب المعتدين** [آية: ٥٥].

قال قتادة: فدل هذا على أن من الدعاء ما فيه اعتداء، أي فلا تعتدوا في الدعاء.

٦٠- وقوله ﷻ: وادعوه خوفًا وطمعا [آية: ٥٦].

والمعنى: خوفًا منه، ورجاءً لما عنده.

٦١- وقوله تعالى: وهو الذي يرسلُ الرياح بشرى بين يدي رحمته [آية:٥٧].

نشر: جمع نشور، يقال: ريح نشور، إذا أتت من هاهنا وهاهنا، وقيل: نشر مصدر.

ومن قرأ نشرا بضم النون وإسكان الشين[1]، فإلى هذا المعنى يذهب عند البصريين.

وأما الفراء فزعم أ ا لغة بمعنى النشر، كما يقَالُ: خسف وخسف

ومن قرأ نشرا فإنه يذهب إلى أن المعنى تنشر نشرا.

ومن قرأ بشرا [2] فهو جمع بشير عنده مخففة، وقد تكون جمع بشرة، وقد يكون مصدرا مثل العمر. وتقرأ **بشرا** وبشرا مصدر بشره يبشره بمعنى بشره.

ومعنى: بين يدي رحمته بين يدي المطر، الذي هو من رحمته تعالى.

٦٢- ثم **قال ﷻ: حتى إذَا أقَلت سحابا ثقَالا سقْناه لبلدٍ ميتٍ فَأنـزلْنا به الْماءَ..** [آية: ٥٧].

حتى إذَا أقَلت سحابا ثقَالا أي حتى إذا حملت الريح سحابا ثقالاً بالماء **سقْناه** يعني السحاب **لبلدٍ ميتٍ فَأنـزلْنا به الْماءَ** .

يجوز أن يكون المعنى: فأنـزلنا بالبلد الماء.

ويجوز أن يكون المعنى: فأنـزلنا بالسحاب الماء **فَأخرجنا به من كُل الثمرات** [آية: ٥٧]. **ويجوز** أن يكون المعنى بالبلد.

٦٣- وقوله تعالى: كَذَلك نخرج الْموتى [آية: ٥٧].

قال مجاهد: يبعث الله مطرا فيمطر، فينبت الناس كما ينبت الزرع

---

(١) هذه قراءة ابن عامر، انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٨٣.

(٢) هذه قراءة عاصم، أي تبشر بنـزول المطر، انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٨٣.

٦٤- ثم **قال** ﷻ: **لعلكُم تذكرونَ** [آية: ٥٧].

أي لتكونوا على رجاء من الاتعاظ، بما تذكرون وتخبرون به.

٦٥- وقوله ﷻ: **والبلد الطيب يخرج نباته بإذْن ربه والذِي خبثَ لاَ يخرج إلا نكِدا** [آية: ٥٨].

النكِد في اللغة: النــزر القليل. وهذا تمثيل.

قال مجاهد: يعني إن في بني آدم الطيب، والخبيثَ.

٦٦- وقوله ﷻ: **قَالَ الملأُ..** [آية: ٦٠].

الرؤساءُ والأشراف، أي المليئون بما يفَوض إليهم.

٦٧- وقوله ﷻ: **إنهم كانوا قوما عمِين** [آية: ٦٤].

قال قتادة: أي عن الحق.

٦٨- وقوله ﷻ: **قَالَ الملأُ الذِين كفَروا من قَومِه إنا لنراك في سفَاهةٍ** [آية: ٦٦].

السفَاهةُ: رقةُ الحُلُم، والطيش، يقالَ: ثوب سفيه: إذا كانَ خفيفًا.

٦٩- ثم **قال** ﷻ: جوابا لهم: **قَالَ يا قَومِ ليس بي سفَاهةٌ** [آية: ٦٧].

وهذا أدب في الاحتمال.

٧٠- وقوله ﷻ: **وإلى ثَمود أخاهم صالِحا..** [آية: ٧٣].

قيل: إنما قال ﷻ **أخاهم** لأنه بشرا مثلهم، من بني آدم يفهمون عنه، فهو أوكد عليهم في الحجة.

وقيل: إنما قال **أخاهم** لأنه من عشيرتم.

٧١- وقوله ﷻ: **قَد جاءَتكُم بينةٌ من ربكُم هذِه ناقَةُ الله لَكُم آيةً** [آية:٧٣].

يروى أ ا خرجت من صخرةٍ صماء.

٧٢- وقوله ﷻ: **وبوأكُم في الأرض** [آية: ٧٤].

أي أنــزلكم، وقال الشاعر:

وبوئَت في **صمِيم معشرها** **فتم** في **قومهــا مبوؤها**[1]

وقيل: إنما كانوا ينحتون من الجبال بيوتا لطول أعمارهم، لأن السقف والحيطان،

---

(١) البيت منسوب إلى إبراهيم بن هرمة، انظر اللسان «بوأ»، وشواهد المغني ٨٢٦/٢.

كانت تنهدم قبل فناء أعمارهم.

٧٣- ثم **قال** ﷻ: **فَاذْكُرُوا آلاَءَ الله** [آية: ٧٤].

قال قتادة: الآلاءُ: النعم.

وحكى أبو عبيدة: واحدها «أليً» و«إلىً».

وزاد غيره: إلْي.

٧٤- **وقوله** ﷻ: **وعتوا عن أمر ربهم** [آية: ٧٧].

أي تجاوزوا في الكفر.

٧٥- **وقوله** ﷻ: **فَأَخذَتهم الرجفَةُ** [آية: ٧٨].

الرجفة في اللغة: الزلْزلَةُ الشدِيدةُ.

٧٦- ثم **قال تعالى**: **فَأَصبحوا فِي دارِهِم جاثِمِين** [آية: ٧٨].

أي ساقطين على ركبهم ووجوههم.

وأصلُ الجُثومِ للأرانبِ وما أشبهها، والمَوضِع مجثَم، قال الشاعر:

بِها العِين والأرام يمشين خِلْفةً ... وأطْلاؤها ينهضن مِن كُل مجثَمِ[1]

وروى معمر عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أنه قال: لما مر النبي ﷺ بالحِجر، قال: «**لا تسألوا الآيات، فقد سألها قوم صالح، فكانت ترد من هذا الفج، فَعتوا عن أمر ربهم فعقروها، فأخذتهم الصيحةُ، فأهمد الله من تحْت السماءِ منهم، إلا رجلاً واحدا كان** في **حرم الله، فلما خرج من الحرم، أصابه ما أصاب قومه**»[2].

٧٧- **وقوله** ﷻ: **ولُوطًا إِذْ قَالَ لِقَومِهِ أَتأتونَ الْفَاحِشةَ ما سبقَكُم بِها مِن أحدٍ من الْعالَمِين** [آية: ٨٠].

دل هذا على أنه لم يتقدمهم أحد في اللواط، ومعنى **إنهم أناس يتطَهرونَ** [الأعراف: ٨٢] أي يتطهرون عن الفاحشة.

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلْمى وهو في ديوانه ص ٥.

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند ٢٩٦/٣ وصححه الحاكم، وأخرجه ابن جرير في جـامع البيـان ٢٣٠/٨، وله ما يؤيده في الصحيحين، ولفظه كما في البخاري «لما مر النبي ﷺ بالحِجر، قـال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، أن يصيبكم ما أصابهم..» الحديث.

٧٨- وقوله ﷻ: فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين [آية: ٨٣].

قال قتادة: الباقين.

والغابر عند أهل اللغة، من الأضداد، يقال لما بقى: غابر، ولما ذَهب وغاب: غابر.

وقد قيل: في الآية: إن معناها **من الغابرين** عن النجاة.

وقيل: من الباقين مع قوم لوط، في الموضع الذي عذبوا فيه.

وأبو عبيدة يذهب إلى أن المعنى: من المعمرين، أي أ ا قد هرمت.

وقال حذيفة: رفع جبريلُ ﷺ مدينتهم ثم قلبها، فسمعتِ امرأته الوجبة، فالتفتت فأُهلكت معهم.

والأكثر في اللغة أن يكون الغابر: الباقي، قال الراجز:

فما ونى محمد مذْ أنْ غَفَر له الإله ما مضى وما غَبر(١)

أي وما بقى.

٧٩- وقوله ﷻ: ولا تبخسوا الناس أشياءَهم [آية: ٨٥].

البخسُ: النقْصانُ.

٨٠- ثم **قال تعالى: ولا تفْسِدوا في الأرض بعد إصلاحِها** [آية: ٨٥].

أي بعد أن أصلحها الله، بالأمر بالعدل، وإرسال الرسل.

٨١- وقوله ﷻ: ولا تقْعدوا بكُل صِراطٍ توعِدونَ [آية: ٨٦].

قال قتادة: أي توعدون من أتى شعيبا وغَشِيه، وأراد الإسلام بالأذى.

ويقال: وعدته خيرا أو شرا، فإذا قلت: وعدته لم يكن إلا للخير، وإذا قلت أوعدته لم يكن إلا للشر.

٨٢- ثم **قال** ﷻ: **وتصدونَ عن سبِيل الله من آمن بِهِ وتبغونها عِوجا** [آية: ٨٦].

قال قتادة: أي وتبغون السبيل عوجا عن الحق.

والسبيلُ: الطريق والمذهب.

٨٣- ثم **قال** ﷻ: **واذْكُروا إذْ كُنتم قَلِيلاً فكَثركُم** [آية: ٨٦].

١- **يجوز** أن يكونوا قليلي العدد.

٢- **ويجوز** أن يكونوا فقراء، فكثرهم بالغنى.

---

(١) البيت للعجاج، وهو في ديوانه ص١٥.

٣- **ويجوز** أن يكونوا غير ذوي مقدرة.

والله أعلم بما أراد، إلا أنه ذكرهم نعمةً من نعم الله ﷻ كما قال تعالى **فَاذْكُرُوا آلاَءَ الله**.

٨٤- وقوله ﷻ: قَالَ الْمَلأُ الَّذِين اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يا شعيب والَّذِين آمنوا معك مِن قَرْيَتِنَا أَو لَتَعُودُن فِي مِلَّتِنَا [آية: ٨٨].

يقال: كيف قالوا هذا لشعيب ﷺ وهو نبي؟ فعلى هذا جوابان:

أحدهما: أن يكون معنى **لَتَعُودُن** لتصيرن، كما تقول: عاد علي من فلان مكروه.

والجواب الآخر: أ م لما خلطوا معه من آمن منهم، جاز أن يقولوا: **أَو لَتَعُودُن فِي مِلَّتِنَا** يعنون من آمن.

قَالَ أَوَلَو كُنَّا كَارِهِين؟ أي أنعود في ملتكم ولو كنا كارهين؟ وقولُه: **وما يكُونُ لَنا أَن نعود فِيها إِلا أَن يشاءَ الله ربنا**. على التسليم لله، كما قال تعالى: **وما توفِيقِي إِلا بِالله** [هود: ٨٨].

والدليل على هذا أن بعده **وسِع ربنا كُل شيءٍ عِلْما على الله توكلْنا ربنا افْتح بيننا وبين قَومِنا بِالْحق** [آية: ٨٩].

قال قتادة: أي اقْضِ بيننا وبين قومنا بالحق.

وروى إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله تعالى: **فَافْتح بيني وبينهم فَتحا** [الشعراء: ١١٨] قال: معناه: النصر.

٨٥- وقوله ﷻ: كَأَن لم يغنوا فِيها [آية: ٩٢].

قال قتادة: أي كأنْ لم يعيشوا، ولم يتنعموا.

قال الأصمعي: يقال غَنِينا بمكان كذا أي أقمنا فيه، والمنازلُ يقال: لها: المغاني.

ومعنى فَكَيف آسى؟ فكيف أحزن؟ والأسى: أشد الحزن.

٨٦- وقوله ﷻ: وما أَرسلْنا فِي قَريةٍ من نبِي إِلا أَخذْنا أَهلَها بِالْبأْساءِ والضراءِ [آية: ٩٤].

قال مرةُ عن ابن مسعود: البأساءُ: الفقر، والضراءُ: المرض.

وقيل: البأساءُ: المصائب في المال، يقال: بئِس الرجلُ يبأس بأسا وبأساء: إذا افتقر.

والضراءُ: ما لحق من الأمراض، والمصائب في البدن.

لَعلهم يضرعونَ [آية: ٩٤] أي يخضعون ويستكينون.

٨٧- وقوله تعالى: ثُم بدلْنا مكَانَ السيئَةِ الْحسنةَ [آية: ٩٥].

قال مجاهد: السيئةُ: الشر، والحسنةُ: الرخاءُ، والولد.

٨٨- ثم **قال** ﷻ: **حتى عفَوا** [آية: ٩٥].

قال مجاهد: أي كثرت أموالهم وأولادهم.

وذلك معروف في اللغة، ومنه الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**أعفُوا اللحي**»[1] أي كثروها.

٨٩- ثم **خبر** ﷻ **عنهم** أ م لم يعتبروا بما أصا م، وقالوا: إن العادة في الزمان الخير والشر، فقال تعالى: **وقَالُوا قَد مس آباءَنا الضراءُ والسراءُ فَأَخذْناهم بغتةً** [آية:٩٥]. أي فجأةً.

٩٠- وقوله ﷻ: **ولَو أَن أَهلَ الْقُرى آمنوا واتقَوا** [آية: ٩٦].

يقال للمدينة قرية، لاجتماع الناس فيها، من قريت الماء إذا جمعته.

والبركات التي تأتي من السماء: المطر، والتي تأتي من الأرض: النبات.

٩١- وقوله ﷻ: **أَفَأَمِن أَهلُ الْقُرى أَن يأْتِيهم بأْسنا بياتا وهم نائِمونَ** [آية: ٩٧].

أي أفأمن من كذب محمدا ﷺ، أن يأتيهم بأسنا **بياتا** أي ليلاً؟

٩٢- وقوله ﷻ: **أَو أَمِن أَهلُ الْقُرى أَن يأْتِيهم بأْسنا ضحى وهم يلْعبونَ** [آية: ٩٨].

ومعنى: **وهم يلْعبونَ** أي وهم فيما لا يجدي عليهم.

يقال لكل من كان فيما يضره، ولا يجدي عليه: لاعب.

٩٣- ثم **قال** ﷻ: **أَفَأَمِنوا مكْر الله** [آية: ٩٩].

أي عذابه إذا وقع م، ولم يعلموا أنه واقع م.

٩٤- وقوله ﷻ: **أَو لَم يهدِ لِلذِين يرِثُونَ الأَرض** [آية: ١٠٠].

قال مجاهد: أي أولَم يبين، ومعنى **يهدِ** بالياء: يتضِح ويبين.

٩٥- وقوله ﷻ: **فَما كَانوا لِيؤمِنوا بِما كَذبوا مِن قَبلُ** [آية: ١٠١].

قال مجاهد: هذا مثلُ قوله تعالى **ولَو ردوا لَعادوا لِما نهوا عنه** [آية: ٢٨].

---

(١) الحديث رواه البخاري في اللباس ٢٠٦/٧، ومسلم في الطهارة برقم ٢٥٩، ومالك في الموطأ ٩٤٧/٢، ولفظ البخاري «خالفوا المشركين، وفروا اللحى، وأحفُوا الشوارب» وكان ابن عمر إذا حج أو اعتمر، قبض على لحيته، فما فضل أخذه.

وقال غيره: هذا مخصوص به أقوام بأعيا م، خبر الله جل وعلا أ م لا يؤمنون.

وأما قولُ من قال: معنى **فَما كانوا لِيؤمِنوا** ليحكم لهم بالإيمان، فلا يصح في اللغة، ويدل على بطلانه أن بعده **كَذَلِكَ يطبع الله على قُلوبِ الكافِرين** [آية: ١٠١] فدل ذا على أنه قد طُبِع على قلو م. هذا قولُ أبي إسحاق،جزاءً بما عملوا.

٩٦- وقوله ﷻ: **وما وجدنا لأكْثَرِهِم من عهدٍ** [آية: ١٠٢].

«من» زائدةٌ، وهي تدل على معنى الجنس، ولولا «من» لجاز أن يتوهم أنه واحد في المعنى.

قال أبو عبيدة: المعنى: وما وجدنا لأكثرهم حفظًا ولا وفاءً.

٩٧- وقوله ﷻ: **فَظَلَموا بِها فانظُر كيف كانَ عاقِبةُ المفْسِدِين** [آية: ١٠٣].

وأصلُ الظلمِ: وضع الشيء في غير موضعه، فلما كفروا ا جعلوا موضع ما يجب من الإيمان الكفر، فقيل: **فَظَلَموا بِها** بمعنى: كَفَروا ا.

٩٨- وقوله ﷻ: **حقِيق على أن لا أقُولَ على الله إلا الحق** [آية: ١٠٥].

قال أبو عبيدة: أي حريص(١).

قال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله: وهي قراءة عبد الله(٢) **حقِيق أن لا أقُولَ** وهذا يدل على التخفيف، لأن حروف الجر تحذف مع «أنْ».

وقال الكسائي: هي قراءة عبد الله: **حقِيق بأن لا أقُولَ على الله إلا الحق**.

قال الفراء: معنى **على أنْ لا** و **بأنْ لا** واحد، كما يقال: جاء فلانٌ على حالٍ حسنة، وبحالٍ حسنة.

ومن قرأ **حقِيق عليَّ أن لا أقُولَ على الله إلا الحق** فإن معناه عنده واجب علي.

٩٩- وقوله ﷻ: **فألْقى عصاه فإذَا هِي ثُعبانٌ مبِين** [آية: ١٠٧].

الثعبانُ: الحية الذكر، ومعنى **ونـزع يده** أظهرها.

قال مجاهد: أخرجها من جيبه بيضاء من غير برصٍ.

ويروى أن موسى ﷺ كان آدم اللون، فلما أخرج يده بيضاء، كان ذلك آية.

---

(١) حقِيق علي أن لا أقُولَ هي قراءة نافع، أي حق علي أن لا أقول إلا الحق، ومن قرأها حقِيق على أن لا أقُولَ.

(٢) يعني أ ا قراءة عبد الله بن مسعود.

١٠٠- وقوله ﷻ: قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرعونَ إِن هذَا لَساحِر عَلِيم [آية:١٠٩].
الملأ عند أكثر أهل اللغة: الأشراف، وفي الحديث عن النبي ﷺ «**إن الله ﷻ قال: يا محمد: أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟**»(١).

وقال بعض أهل اللغة: الملأُ: الرهطُ، والنفَر: الرجالُ الذين لا نساء معهم.

١٠١- وقوله ﷻ: قَالُوا أَرجِه وأخاه [آية: ١١١].

قال قتادة: أي احبِسه.

والمعروف عند أهل اللغة، أن يقال: أرجأْت الأمر: إذا أخرته.

ومن قرأ: أرجِه وأخاه (٢) **ففي قراءته قولان:**

أصحهما أ ا لغة، وإن كانت ليست مشهورة.

والقولُ الآخر: حكي عن أبي العباس، قال: هو من رجا، يرجو، أي اتركْه يرجو.

١٠٢- وقوله ﷻ: واسترهبوهم [آية: ١١٦].

أي استدعوا منهم الرهبة.

١٠٣- وقوله ﷻ: فَإِذَا هِي تلْقَف ما يأْفِكُونَ [آية: ١١٧].

ومعنى تلْقَف تلتهم.

قال أبو حاتم(٣): وبلغني في بعض القراءات: **تلَقَّم** بالميم والتشديد(٤).

وقال خارجه: قرأ الحسن (تلقم) بفتح القاف(٥).

قال مجاهد: معنى **ما يأْفِكُونَ** [آية: ١١٧]: ما يكذبون، أي به، وكذِبهم أ م يجعلون الحِبال حياتٍ.

ويجوز أن يكون **فَماذَا تأْمرونَ** [آية: ١١٠]؟ جوابا من فرعون للملأ، حين

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٦٨/١ عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: (أتاني ربي ﷻ الليلة في أحسن صورة- أحسبه يعني في النوم- فقال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلـت: نعم، يختصمون في الكفارات والدرجات..) الحديث، ورواه الدارمي في كتاب الرؤيا ١٢٦/٢.

(٢) هذه قراءة نافع، وقرأ حمزة وعاصم أرجِه وأرخاه وقرأ ابن عامر أرجِئْـه وجميـع هـذه القراءات من السبع المتواترة، انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٨٧.

(٣) يعني: السجستاني.

(٤) هذه قراءة سعيد بن جبير، وهي ليست من القراءات السبع، انظر تفسير ابن عطية ٣٨/٦.

(٥) هذه من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢٥٦/١.

قالوا: **إن هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره** [الشعراء: ٣٤-٣٥] فقال فرعونُ **فماذا تأمرونَ** ؟

ويجوز أن يكون الملأ قالوا هذا لفرعون ومن يخصه.

قال مجاهد: معنى **فوقع الحق** فظهر.

ومعنى **أفرغْ علينا صبرا** [آية: ١٢٦] أنـزلْ علينا صبرا يشملنا.

١٠٤- وقوله ﷻ: ويذرَك وآلهتك [آية: ١٢٧].

وقرأ ابن عباس: **إلاهتك** وقال: معناه: وعبادتك، لأن فرعون كان يعبد، ولا يعبد.

وقال من احتج لهذه القراءة: الدليل على أنه كان يعبد، ولا يعبد أنه قال: **ما علمت لكم من إلهٍ غيري** [القصص: ٣٨].

ومن قرأ **وآلهتك** (١) فإنه يذهب إلى جهتين:

إحداهما: أنه يعني بالآلهة هاهنا من كان يطيعه فرعون، كما قيل في قول الله تعالى: **اتخذُوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله** [التوبة: ٣١] أ م ما عبدوهم، ولكن أطاعوهم، فصار تمثيلاً:

والجهة الأخرى: أن سليمان التيمي قال: بلغني أن فرعون كان يعبد البقر.

قال التيمي: فقلت للحسن: هل كان فرعون يعبد شيئًا؟ فقال: نعم، إن كان ليعبد شيئًا قد جعله الله في عنقه.

وقال إسماعيل قولُ فرعون **أنا ربكُم الأعلى** [النازعات: ٢٤] يدل على أ م كانوا يعبدون شيئًا غيره.

وقد يكون معنى **وآلهتك)** أ ا آلهة يأمرهم بعبادتا.

١٠٥- وقوله ﷻ: قالُوا أُوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعدِ ما جئتنا [آية: ١٢٩].

قال مجاهد: أي من قبل أن ترسل إلينا.

وقال غيره: الأذى الذي لحقهم من قبل أن يرسل إليهم قتلُ أبنائهم، والأذى الذي لحقهم بعد أن فرعون قال: **سنقتّلُ أبناءَهم ونستحيي نساءَهم** [آية: ١٢٧].

---

(١) هذه قراءة السبعة.

١٠٦- وقوله ﷻ: ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾ [آية: ١٣٠].

قال مجاهد: أي بالجوائح.

وهذا معروف في اللغة أن يقال: أصابتهم سنةٌ أي جدب.

وتقديره سنةُ جدبٍ، ثم حذف.

١٠٧- ثم قال ﷻ: ﴿ونقص من الثمرات﴾ [آية: ١٣٠].

قال مجاهد: أي دون ذلك.

١٠٨- ثم قال ﷻ: ﴿لعلهم يذكرون﴾ [آية: ١٣٠].

أي يعتبرون بما أصابهم.

١٠٩- ثم قال ﷻ: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه﴾ [آية: ١٣١].

قال مجاهد: الحسنةُ هاهنا: العافيةُ والرخاء. ﴿لنا هذه﴾ أي بحق أصابتنا.

وقال غير مجاهد: أي كذا العادةُ أن يصيبنا الخير.

١١٠- ثم قال ﷻ: ﴿وإن تصبهم سيئةٌ يطيروا بموسى ومن معه﴾ [آية:١٣١].

قال مجاهد: السيئة هاهنا: البلاءُ، ومعنى ﴿يطيروا﴾ يتشاءموا.

١١١- ثم قال ﷻ: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ [آية: ١٣١].

قال مجاهد: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ أي إنما الشؤم فيما يلحقهم يوم القيامة، مما وعدوا به من الشر.

١١٢- ثم قال ﷻ: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ [آية: ١٣١].

أي هم غافلون عن هذا.

١١٣- وقوله ﷻ: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ [آية: ١٣٣].

قال عطاء: الطوفانُ: الموت.

وقال مجاهد: هو الموت على كل حال.

وقال قتادة: سالَ عليهم الماءُ، حتى قاموا قياما، فسألوا موسى أن يدعو الله أن يكشفه، ففعل.

وقال الضحاك: جاءهم من المطر شيءٌ كثير، فسألوا موسى أن يدعو الله أن يكشفه عنهم، ويرسلوا معه بني إسرائيل، فدعا الله فكشفه عنهم، وأمرعت البلاد، وأخصبت، فعادوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فصب الله على زرعهم الجراد فأكله، فسألوا موسى فدعا الله، فكشف ذلك عنهم، ثم عادوا.

قال أبو جعفر: الطوفانُ في اللغة: ما كان مهلكًا، من موتٍ أو سيلٍ، أي ما يطيف م فيهلكهم.

قال مجاهد: أرسل الله عليهم الجراد، فأكل مسامير أرتجتهم، وثيابهم، وأرسل عليهم القُمل- وهو الدبي- فكان يدخل في ثيا م، وفُرشِهم.

وقال عكرمة: القُمل: الجنادب، بنات الجراد.

وقال حبيب بن أبي ثابت: القُمل: الجُعلانُ.

والقُملُ عند أهل اللغة: ضرب من القِردان.

قال أبو الحسن الأعرابي العدوي: القُملُ: دواب صغار من جنس القُردان، إلا أ ا أصغر منه، واحدتا قُملةٌ.

وليس هذا بناقضٍ لما قاله أهل التفسير، لأنه يجوز أن تكون هذه الأشياء كلها أرسلت عليهم، وهي كلها تجتمع في أ ا تؤذيهم.

قال مجاهد: كانوا يجدون الدم في ثيا م،وشرا م، وطعامهم.

ومعنى **آياتٍ مفَصلاتٍ** بعضها منفصل عن بعض بين كل واحدة منهم مدة.

يروى أنه بين الآية والآية، ثمانية أيام.

١١٤- وقوله ﷻ: **ولما وقَع عليهم الرجز** [آية: ١٣٤].

وقرأ سعيد بن جبير: ومجاهد: **الرجز** .

قال مجاهد: وهو العذاب.

قَالُوا يا موسى ادع لَنا ربك بِما عهِد عِندك [آية: ١٣٤].

قال أبو عبيدة: بما أوصاك وأعلَمك.

لَئِن كَشفْت عنا الرجز لَنؤمِنن لَك ولَنرسِلَن معك بنِي إِسرائِيلَ [آية: ١٣٤] **يروى** انهم كدوهم في العمل.

قال مجاهد: **إِلَى أجلٍ هم بالِغوه** إلى عِدةٍ مسماة من أيامهم.

فَأَغْرقْناهم فِي الْيم وهو البحر.

١١٥- وقوله ﷻ: **وأورثْنا الْقَوم الَّذِين كَانوا يستضعفُونَ مشارِق الأَرض ومغارِبها الَّتِي باركْنا فِيها** [آية: ١٣٧].

القوم هاهنا: بنو إسرائيل، وكان فيهم «داود» و«سليمان» -عليهما السلام-.

قال قتادة: التي بورك فيها: الشام.

وقيل: مِصر.

١١٦- ثم قال ﷻ: **وتمت كلِمت ربك الْحسنى علَى بني إِسرائِيلَ بِما صبروا** [آية: ١٣٧].

قيل: يعني بالكلمة: **عسى ربكُم أَن يهلِك عدوكُم ويستخلِفَكُم فِي الْأَرض** [آية: ١٣٧].

قال مجاهد في **قوله** ﷻ: **وما كَانوا يعرِشونَ** [آية: ١٣٧]

قال: يبنون البيوت، والمساكن.

ومعنى يعكُفُونَ يواظبون، ويلازمون، ومنه قيل: اعتكف فلانٌ.

ومعنى متبر مهلَك ومدمر، ويقال: تبرت الشيءَ إذا كَسرته، واسم ما انكسر منه التبر.

١١٧- وقوله ﷻ: **قَالَ أَغَير الله أَبغِيكُم إِلَها** [آية: ١٤٠].

معنى أبغي: أطلب، ومعنى **يسومونكُم** يولونكم.

١١٨- وقوله ﷻ: **وفِي ذَلِكُم بلاءٌ من ربكُم عظِيم** [آية: ١٤١].

يجوز أن يكون المعنى: وفي إنجائه بني إسرائيل نعمةٌ.

ويجوز أن يكون المعنى: في سومكم بني إسرائيل سوءَ العذابِ بليةٌ عظِيمةٌ.

١١٩- وقوله ﷻ: **وواعدنا موسى ثَلَاثِين لَيلَةً وأَتممناها بِعشرٍ..** [آية:١٤٢].

قال مجاهد: الثلاثون ذو القعدة، والعشر عشر من ذي الحجة.

والفائدة في قوله **فَتم مِيقَات ربهِ أَربعِين لَيلَةً** أنه قد دل على أن العشر ليالٍ، وأ ا ليست بساعاتٍ.

وقيل: هو توكيد.

وقيل: هو بمنـزلة فذلك، أي فليس بعدها شيءٌ يذْكَر.

١٢٠- وقوله ﷻ: **ولَما جاءَ موسى لِمِيقَاتِنا** [آية: ١٤٣].

أي للميقات الذي وقتناه له. **وكَلَّمه ربه** أي خصه بذلك.

١٢١- وقوله ﷻ: **فَلَما تجلَّى ربه لِلْجبلِ جعلَه دكًّا** [آية: ١٤٣].

قال قتادة: دك بعضه بعضا.

وقال عكرمة: إنما هو **جعله دكّاءَ** من الدكاوات، والتقدير على هذه القراءة[1]: جعله أرضا، دكاء، وهي الناتئة، ولا تبلغ أن تكون جبلاً.

قال عكرمة: لما نظر الله ﷻ إلى الجبل، صار صحراء ترابا.

١٢٢- ثم **قال** ﷻ: **وخر موسى صعِقًا** [آية: ١٤٣].

قيل: ميتا.

وقال سعيد بن عروبة عن قتادة : مغشياً عليه **فَلَما أفَاق قَالَ سبحانك تبت إِليك** .

قال مجاهد: أي تبت من أن أسألك الرؤيا **وأنا أولُ المؤمِنين** [آية: ١٤٣] أي أولُ من آمن، أنه لا يراك أحد في الدنيا إلا مات، لأن سؤاله كان في الدنيا.

قال قتادة: لما أخذ الألواح، فرأى فيها وصف أمِه محمدٍ ﷺ وتقريظهم، فقال: يا رب اجعلهم أمتي!! فقال: تلك أمة أحمد، فقال: فاجعلني منهم، قال: إنك لن تدركهم، وقال يا موسى **إِني اصطفَيتك على الناس بِرسالاتِي وبِكَلامِي** [آية: ١٤٤] فرضي موسى ﷺ.

١٢٣- **وقوله** ﷻ: **وكَتبنا له فِي الألْواحِ مِن كُل شيءٍ** [آية: ١٤٥].

قال سفيان: أي من الحلال، والحرام.

١٢٤- ثم **قال تعالى**: **موعِظَةً وتفْصِيلاً لكُل شيءٍ** [آية: ١٤٥].

قال سعيد بن جبير: أي تفصيلاً لما أُمروا به، ونهوا عنه.

١٢٥- ثم **قال** ﷻ: **فَخذْها بِقُوةٍ** [آية: ١٤٥].

أي بقوة في دينك وحجتك، وقيل: بجد وعزمٍ.

١٢٦- ثم **قال** ﷻ: **وأمر قَومك يأخذُوا بِأحسنِها** [آية: ١٤٥].

وكلها حسنة؟

فقيل: المعنى أنهم أُمِروا أن يأخذوا بما هو أحسن، مما هو مطلق لهم، وإن كانا جميعا مطْلقَين، نحو قوله تعالى: **ولَمن انتصر بعد ظُلْمِهِ فَأُولئِك ما عليهم من سبِيلٍ** [آية: ٤١] فهذا مباح، والعفو أحسن.

---

(١) قراءة حمزة والكسائي جعله دكاء ، وقرأ الجمهور جعله دكا بدون همز، انظر السبعة لابــن مجاهد ص ٢٩٣.

وقيل: **بأحسنها** بالأحسن منها.

وقيل: أُمِروا بشيء وخبروا بما لهم فيه، ونهوا عن شيء وخبروا بما عليهم فيه، فقيل لهم: خذُوا بأحسنها.

وقيل: بالناسخ.

١٢٧- ثم **قال تعالى:** **سأريكُم دار الفَاسِقين** [آية: ١٤٥].

قال الحسن: يعني جهنم.

و**قال مجاهد:** يعني مصيرهم في الآخرة.

وقرأ قَسامةُ بن زهير[(١)]: **سأورِثُكُم دار الفَاسِقين** [(٢)].

١٢٨- **وقوله** ﷻ: **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرونَ في الأرض بغير الحق** [آية: ١٤٦].

قال سفيان بن عيينة: أي أمنعهم من كتابي.

قال أبو إسحاق: المعنى سأجعلُ جزاءَهم على كفرهم، الإضلالَ عن هداية آياتي.

وقيل: سأصرفهم عن نفعها.

وقيل: عن عِزها.

ومعنى **يتكبرونَ**. يحقرون الناس، ويرونَ أن لهم فضلاً عليهم، ويتكبرون عن الإيمان، وإتباع النبي ﷺ.

١٢٩- **وقوله** ﷻ: **وإن يروا سبيلَ الرشدِ لا يتخِذُوه سبيلاً وإن يروا سبيلَ الغي يتخِذُوه سبيلاً** [آية: ١٤٦].

ويقرأ: **سبيلَ الرشَدِ** [(٣)].

وقرأ عبد الرحمن المقرئ **سبيلَ الرشادِ**.

قال أبو عمرو بن العلاء: الرشد: الصلاح، والرشد: في الدين

قال غيره: الغي: الضلالُ.

---

(١) قَسامة بن زهير تابعي، ثقة، توفي في ولاية الحجاج بعد سنة مائة وثمانين، روي عنه قتادة وغُنـيم وغيرهما، انظر التهذيب ٣٧٨/٨، والجرح والتعديل ١٤٧/٧.

(٢) هذه القراءة ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٣٨٩/٤ وابن عطية في المحرر ٧٦/٦.

(٣) هذه قراءة حمزة والكسائي كما في السبعة لابن مجاهد ص ٢٩٣، وقرأ الباقون سبيل الرشـدِ ، انظر النشر ٢٧٢/٢.

١٣٠- وقوله ﷻ: ذَلِكَ بِأَنهم كذبوا بِآياتنا وكانوا عنها غَافِلِين [آية: ١٤٦].

ويجوز أن يكونوا في تركهم الإيمان، وتدبر الحق، بمنـزلة الغافلين.

ويجوز أن يكون غافلين عما يجازون به، كما يقال: ما أغفل فلانا عما يراد به!؟

١٣١- وقوله ﷻ: واتخذَ قَوم موسى مِن بعدِهِ مِن حلِيهم عِجلاً جسدا له خوار.. [آية: ١٤٨].

أي من بعد ما جاء للميقات.

مِن حلِيهم يقال لما حسن من الذهب والفضةِ: حلْي، والجمع حلِي، وحِلِي، **عِجلاً جسدا** أي عِجلاً جثةً، أي لا يعقل ولا يميز.

وقيل: لم يكن له رأس إنما كان جسدا فقط **له خوار** أي صوت.

قال مجاهد: جمع الحُلِي فأخذ قبضةً من أثر فرس جبريل ﷺ فرماها عليه.

١٣٢- وقوله ﷻ: ولَما سقِطَ فِي أيدِيهم ورأَوا أنهم قَد ضلوا.. [آية:١٤٩].

يقال للنادم المتحير: سقِطَ في يديه، وأُسقِطَ.

ويقْرأ: **ولَما سقِطَ فِي أيدِيهم** (١) أي ولما سقَطَ الندم في أيديهم.

١٣٣- وقوله ﷻ: ولَما رجع موسى إِلَى قَومِهِ غَضبانَ أَسِفًا.. [آية: ١٥٠].

الأسِف: الشدِيد الغضبِ، المغيظُ،ويكون الحزين.

ومعنى أعجِلْتم أمر ربكُم ؟ أسبقتم ولم تنتظروا أمره، ونهيه.

١٣٤- ثم **قال ﷻ: وأَلقَى الألْواح وأَخذَ بِرأسِ أَخِيهِ يجره إِلَيهِ..** [آية:١٥٠].

قال مجاهد: كانت من زمردة خضراء.

قال مجاهد في **قوله: ولاَ تجعلْنِي مع القَومِ الظالِمِين** [آية: ١٥٠] يعني الذين عبدوا العجل.

١٣٥- وقوله ﷻ: قَالَ رب اغْفِر لِي ولأخِي.. [آية: ١٥١].

أي اغفر الغضب الذي ألقيت من أجله الألواح، واغفر لأخي ما كان من مساهلته في بني إسرائيل، إذا كان ذلك من خشية غضبِ موسى، حين قال: **إِني خشِيت أَن تقُولَ فَرقْت بين بنِي إِسرائِيلَ ولَم ترقُب قَولِي** [طه: ٩٤].

---

(١) هذه قراءة ابن السميفع، وأبي عمران الجوني قرأ ولما سقَط بفتح السين، انظر المحـرر الـوجيز ٨٣/٦.

وقيل: إنما استغفر لذنوبٍ كانت قبل هذا الوقت، لأن غضبه أيضا كان لله ﷻ، وهارونُ ؑ إنما أخر بني إسرائيل لئلا يتفرقُوا ويتحاربوا.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «لم يبق من الألواح إلا سدسها».

١٣٦- وقوله ﷻ: ﴿إن الذين اتخذُوا العِجلَ سينالُهم غَضب من ربهم..﴾ [آية: ١٥٢].

المعنى: إن الذين اتخذُوا العجل إلهًا،حذِف لعلم السامع.

وقيل: معنى ﴿**وذِلةٌ في الحياةِ الدنيا**﴾ إ ا الجِزيةُ.

وقيل: هو ما أُمِروا به من أن يقْتلَ بعضهم بعضا، وما رأوه من ضلالهم، قال الله ﷻ: ﴿**ورأَوا أنهم قَد ضلوا**﴾.

قال أبو جعفر: وهذا القول أصح من الأول، لأن الجزية لم تؤخذ منهم، وإنما أُخذت من ذريتهم.

١٣٧- وقوله ﷻ: ﴿ولَما سكَت عن موسى الغضب..﴾ [آية: ١٥٤].

معناه: سكَن.

قال أبو إسحاق: يقَال: سكَت، يسكُت، سكْتا: إذا سكَن، وسكَت، يسكُت، سكُوتا وسكْتا: إذا قطع الكلام.

ومعنى ﴿وفي نسخَتِها﴾ وفيما نسِخ منها أي فيها هدي ورحمة.

قال ابن كيسان: ﴿**وفي نسخَتِها**﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنها جددت له في لوحين.

وقيل: فيما انتسِخ منها، وكانت قد تكسرت، فذهب أكثرها، وانتسخ ما قدر عليه منها، وفي تلك النسخة ﴿**هدى**﴾ أي بيانٌ ﴿**ورحمةٌ**﴾ أي ما يدل على ما يوجب الرحمة ولهذا قال: ﴿**هدى ورحمةٌ للذِين هم لِربهم يرهبونَ**﴾ [آية: ١٥٤].

يجوز أن يكون معنى (اللام) معنى (من أجله كما تقول: أنا أكْرِم فلانا لك.

ويجوز أن يكون المعنى: رهبتهم لر ـم.

١٣٨-وقول ﷻ: ﴿واختار موسى قَومه سبعِين رجلاً لمِيقَاتِنا﴾ [آية: ١٥٥] أي ممن لم يعبدوا العجل، والمعنى: من قومه.

١٣٩- ثم **قال ﷻ: ﴿فَلَما أَخذَتهم الرجفَةُ..﴾** [آية: ١٥٥].

قال مجاهد: أُمِيتوا ثم أُحيوا.

والرجفةُ في **اللغة**: الزلزلة الشديدة، ويروى أ م زلزلوا حتى ماتوا.

قال ابن عباس: إنما أخذتم الرجفة، لأ م لم ينهوا من عبد العجل، ولم يرضوا عبادته.

رب لو شئت أهلكْتهم من قَبلُ وإياي أي أمتهم، كما قال تعالى **إن امرؤ هلك** [النساء: ١٧٦].

قال ابن كيسان: أي لو شئت **أهلكْتهم من قَبلُ** لأ م أذنبوا، بأ م لم ينهوا من عبد العجل.

وإياي بذنبي حين قتلت القبطي، فقد رحمتنا ولم تلكنا بذنوبنا نحن، أفتهلكنا بذنوب السفَهاء، الذين عبدوا العجل؟ وأنت متفضلٌ علينا بالعفو قبلَ هذا؟

قال أبو جعفر: حقيقة المعنى: لست تهلِكُنا، وألف الاستفهام تدل على هذا المعنى في كثيرٍ من المواضع كما تقول: ما أنا أفعلُ مثل هذا، أي لست أفعله.

إنْ هي إلا فتنتك تضِل بها أي بالفتنة **من تشاءُ** أن تبتليه، فتجعله عاصيا.

١٤٠- وقوله ﷻ: **واكْتب لنا في هذِهِ الدنيا حسنةً وفي الآخِرةِ إنا هدنا إليك..** [آية: ١٥٦].

قال مجاهد وأبو العالية وقتادة: في قوله تعالى **إنا هدنا إليك** قالوا: تبنا.

١٤١- ثم قال ﷻ: **قالَ عذابِي أصِيب بِهِ من أشاءُ ورحمتِي وسِعت كُل شيءٍ..** [آية: ١٥٦].

قال الحسن وقتادة: وسِعتِ البر والفاجر، في الدنيا، وهي للتقي خاصةً يوم القيامة.

١٤٢- وقوله ﷻ: **فَسأَكْتبها لِلذِين يتقُونَ ويؤتونَ الزكَاةَ..** [آية: ١٥٦].

روى حماد بن سلَمة، عن عطاء بن السائِب، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عباس قال: كَتبها الله ﷻ لهذه الأمة.

١٤٣- وقوله ﷻ: **الذِين يتبِعونَ الرسولَ النبِي الأمي..** [آية: ١٥٧].

الأمي: الذي لا يكتب.

وقيل: نسِب النبي ﷺ إلى أم القرى، وهي مكة.

الذِي يجِدونه مكْتوبا عِندهم فِي التوراةِ والإنجِيل فكان هذا من براهينه ﷺ، لأنه خبرهم بما في كتا م. **فيجوز** أن يكون **يأمرهم بِالمعروفِ وينهاهم عن المنكَر** بما هو مكتوب عندهم.

ويجوز أن يكون مستأنفًا.

ويحل لهم الطيبات .

يجوز أن يكون الحلال.

ويجوز أن يكون ما حرم عليهم من الطعامِ.

ويحرم عليهم الخبائث العرب تقول لكل حرامٍ: خبيثٌ.

ويضع عنهم إصرهم .

قال سعيد: بن جبير: الإصر: شدةُ العبادةِ.

وروي عن مجاهد فيه قولان:

روى عنه ابن أبي نجيح أنه قال: كانوا قد شدد عليهم في أشياءَ، فمن أسلم وآمن بالنبي ﷺ خفف عنه.

وروى موسى بن قيس عنه أنه قال: هي عهود كانت عليهم.

والقولان متقاربان أي ما يثقل عليهم.

وكذلك الأغلالُ التي كانت عليهم، إنما هو تمثيلٌ، أي أشياء قد كُلفُوها وضمنوها فهي بمنـزلة الأغلال.

ويروى أن أحدهم كان إذا أصاب جِلْده بولٌ، وجب عليه أن يقطعه، وإذا قتل رجلٌ رجلاً لم يكن بد من قتله، ولا تؤخذ منه دِيةٌ.

١٤٤- ثم **قال** ﷻ: **فَالذِين آمنوا بِهِ وعزروه ونصروه..** [آية: ١٥٧].

وقيل: معنى **وعزروه** وعظموه.

وقيل: ومنعوا منه أعداءه، والمعاني متقاربة.

واتبعوا النور الذِي أنـزلَ معه بمنـزلة النور في البيان.

ثم **قال**: **فَآمِنوا بِاللهِ ورسولِه النبِي الأمي الذِي يؤمِن بِاللهِ وكَلِماتِه..** [آية: ١٥٨].

قال مجاهد: معنى **يؤمِن بِاللهِ وكَلِمتِهِ** يؤمن بالله،وبعيسى.

وقال غيره: الكلمةُ والكلام هاهنا واحد.

١٤٥- **وقوله** ﷻ: **وقَطعناهم اثْنتي عشرةَ أسباطًا أمما..** [آية: ١٦٠].

الأسباطُ: الفِرق، والواحد: سِبطٌ، والأسباطُ في ولد إسحاق ﷺ بمنـزلة القبائل في ولد إسماعيل ﷺ.

والأسباطُ: مأخوذٌ من السبطِ وهو شجر تعلِفُه الإبِل.

ومعنى ﴿فَانبجست﴾: فانفجرت.

١٤٦- وقوله ﷻ: ﴿واسألهم عن القَريةِ التي كانت حاضِرةَ البحرِ..﴾ [آية: ١٦٣].

أمره أن يسألهم سؤال توبيخ، ليقررهم بما يعرفونه من عصيان آبائهم، ويخبرهم بما لا يعرف إلا من كتاب أو وحي.

حدثنا أبو جعفر، قال: نا محمد بن إدريس، قال: نا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، وكذا أخبرني حيوةُ عن عقَيلٍ، عن ابن شهاب، قال: القَريةُ التي كانت حاضرة البحر: طبرية، والقرية التي قال فيها: ﴿واضرب لهم مثَلاً أصحاب القَريةِ﴾ [يس: ١٣] إنطاكية.

وعن ابن عباس ﴿التي كانت حاضِرةَ البحرِ﴾: أيلةُ.

ومعنى ﴿يعدونَ﴾ يعتدون ويجاوزون الحق.

والشرع: الظاهِرةُ.

وقرأ الحسن ﴿يسبِتونَ﴾ أي يدخلون في السبت[1].

مثلُ «أهلَلْنا» ومن فتح الباءَ قال معناه: يعظمون السبت.

كما كانوا يعظمونه، هذا قولُ الكلبي وأبي عبيدة.

قال مجاهد: كانت الحيتان تأتيهم يوم السبت من غير أن يطلبوها، ابتلاءً من الله ﷻ لهم أي اختبارا.

١٤٧- وقوله ﷻ: ﴿وإذَا قَالَت أُمةٌ منهم لِم تعِظُونَ قَوما الله مهلِكُهم أو معذبهم عذَابا شدِيدا..﴾ [آية: ١٦٤].

معنى (أو) هاهنا لأحد الأمرين، أي قد ظهر منهم ما سيلحقهم من أجله أحد هذين.

﴿قَالُوا معذِرةٌ إلى ربكُم﴾[2] أي موعظتنا معذرةٌ، أي إنما يجب علينا أن نأمرهم بالمعروف، ولعلهم يرجعون بموعظتنا.

﴿فَلَما نسوا ما ذُكروا بِهِ﴾ أي تركُوا ﴿أنجَينا الذِين ينهونَ عنِ السوءِ وأخذْنا الذِين ظَلَموا بِعذَابٍ بِئيسٍ﴾.

قال ابن عباس: ما أدري ما فُعِل بالفِرقة التي لم تأمر ولم تنه؟

---

(١) هذه قراءة علي والحسن، كما في البحر المحيط ٤١١/٤، قال: وهي من أسبت دخل في السبت.

(٢) هذه قراءة ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بالرفع ﴿معذرةٌ﴾ وقرأ عاصم «معذرةً» بالنصب، وهما من القراءات السبع، وانظر السبعة لابن مجاهد ص٢٩٦.

وقال غيره: نجيت لأنها لم تشارك كالذين عصوا.

قال مجاهد: **بئيس** أليم شديد، وهذا معروف في اللغة: يقال: بؤس، فهو ييأس: إذا اشتد.

ومن قرأ ﴿بيس﴾ ففيه قولان:

قال الكسائي: الأصلُ فيه «بِئَس» خففت الهمزة، فالتقت ياءان، فحذفت إحداهما وكُسر أوله، كما يقال: رغِيف، وشهيد.

وقيل: أراد «بِئْسٍ» على «فِعلٍ»، فكُسِر أوله، وخففت الهمزةُ، وحذِفت الكسرة، كما يقال: رحِم ورحم.

قال أبو إسحاق: بئيس أي شديد، وقد بِئس إذا افتقر، وبؤس: إذا اشتد.

قال علي بن سليمان[1]: «بيس»: رديء وليس بجارٍ على الفعل، إنما هو كما يقال: ناقةٌ «نضو». والعرب تقول: «جاء ببناتٍ بيسٍ» أي ببنات شيء رديء.

قال أبو جعفر: وفيه قراءات سوى هاتين: سنذكرها في الإعراب إن شاء الله.

١٤٨ - وقوله ﷻ: ﴿وإذْ تأذنَ ربك ليبعثَن عليهم إلى يومِ القِيامةِ من يسومهم سوءَ العذَابِ..﴾ [آية:١٦٧].

قال أهل التفسير: معناه أعلَم ربك.

---

(١) العلامة النحوي أبو الحسن، علي بن سليمان بن الفضل البغدادي. والأخفش: هو الضعيف البصر مع صغر العين. لازم ثعلبا والمُبرد، وبرع في العربية وما أظنه صنف شيئًا، وهذا هو الأخفش الصغير. روى عنه: المعافى الجريري، والمرزباني، وغيرهما. وكان موثقًا. وكان بينه وبين ابن الرومي وحشة، فلابن الرومي فيه هجو في مواضع من ديوانه، وكان هو يعبث بابن الرومي، ويمر ببابه فيقول كلاما يتطير منه ابن الرومي، ولا يخرج يومئذ. وقد سار الأخفش إلى مصر سنة سبع وثمانين ومائتين، فأقام إلى سنة ست وثلاث مائة، وقدم إلى حلب، وغيره أوسع في الآداب منه. قال ثابت بن سنان: كان يواصل المقام عند ابن مقلة قبل الوزارة، فشفع له عند ابن عيسى الوزير في تقرير رزق، فانتهره الوزير انتهارا شديدا فتألم ابن مقلة، ثم آل الحال بالأخفش إلى أن أكل السلجم نيئًا. مات فجأة في شعبان لسنة خمس عشرة وثلاث مائة وقيل: سنة ست عشرة. وكان بدمشق - قبل الثلاث مائة- الأخفش المقرئ، صاحب ابن ذكوان. وكان في أيام المأمون الأخفش الأوسط، شيخ العربية، وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة، صاحب سيبويه. وكان الأخفش الكبير في دولة الرشيد، أخذ عنه: سيبويه، وأبو عبيدة، وهو أبو الخطاب، عبد الحميد بن عبد المجيد الهجري اللغوي.

وهذا قولٌ حسن، لأنه يقال: تعلم بمعنى أعلَم، وأنشد أبو إسحاق لزهير في مثل هذا:

فقلت تعلم إن للصيدِ غِرةً فإنْ لا تضيعها فإنك قاتِله[1]

وروي عن ابن عباس أنه قال في قوله ﷻ **ليبعثَن عليهم إلى يومِ القِيامةِ من يسومهم سوءَ العذَابِ** قال: يعني أخذ الجزية.

فإن قيل: فهم قد مسخوا، فكيف تؤخذ منهم الجزية؟

فالجواب: إنها تؤخذ من أبنائهم، وقد مسِخوا ولَحِق أولادهم الذُل، فهم أذل قومٍ وهم اليهود.

حدثنا أبو جعفر قال: نا أحمد بن محمد بن سلامة، قال: نا عيسى بن إسحاق الأنصاري، قال: نا يحيى بن عبد الحميد الحِماني، عن يعقوب القُمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد ابن جبير في قول الله تعالى: **وإذْ تأذنَ ربك ليبعثَن عليهم إلى يومِ القِيامةِ** قال: العرب **من يسومهم سوءَ العذَابِ** قال: الخراج.

وقيل: «عليهم» على اليهود، بين أنه كان أخبر بذلك.

١٤٦- ثم **قال** ﷻ: **وقطعناهم في الأرض أمما..** [آية: ١٦٨].

أي فرقناهم فِرقًا.

١٥٠- وقوله ﷻ: **وبلوناهم بالحسناتِ والسيئاتِ** [آية: ١٦٨].

أي واختبرناهم بالشدةِ والرخاءِ، والخِصبِ والجَدبِ.

١٥١- وقوله ﷻ: **فخلَف مِن بعدِهم خلْف ورِثُوا الكِتاب..** [آية: ١٦٩].

قال مجاهد: يعني النصارى.

وقال غيره: يعني أبناءهم.

قال أبو جعفر وهذا وهذا أولى القولين- والله أعلم- لأنه يقال لولد الرجل: خلْفُه، يقال للواحد، وللاثنين، والجمع، والمؤنث، على لفظٍ واحدٍ، والجَمع خلُوف.

وقيل: إنما يستعمل للرديء من الأبناء

فأما الخَلَف بتحريك اللامِ، فهو البدل من الشيء، من ولَدٍ أو غيره.

١٥٢- ثم **قال** ﷻ: **يأخذُونَ عرض هذا الأدنى ويقُولُونَ سيغفَر لنا..** [آية: ١٦٩].

قال ابن عباس رحمه الله: يستقبلون الدنيا فيأكلو ا، ويتأولون كتاب الله، هذا

---

(١) البيت في ديوانه ص ٦٧.

معنى قوله تعالى: **وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه** .

قال مجاهد: يأخذون في يومهم ما كان من حلال أو حرام؟، وإن وجدوا ذلك لغدٍ أخذوه.

وقال غيره: يأخذون الرشى في الحكم، ويقولون: سيغفر لنا، وهم لا يتوبون.

ودل على أ م لا يتوبون قوله تعالى **وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه** .

والعرض في اللغة: متاع الدنيا أجمع.

والعرض بتسكين الراء، ما كان من المال سوى الدنانير والدراهم، وما كان من الدنانير والدراهم قيل له: نقد وغيره.

ومعنى ودرسوا ما فيه أي قد قرأوه، وهم قريبو عهدٍ بقراءته.

١٥٣- ثم **قال تعالى: والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين** [آية: ١٧٠].

معنى **يمسكون بالكتاب** يتبعون ما فيه ويحكمون به.

إنا لا نضيع أجر المصلحين أي من أصلح منهم وآمن ولم يعاند.

١٥٤- وقوله ﷻ: **وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة..** [آية: ١٧١].يقال: نتقْت الشيءَ، أنتقُه، نتقًا، ونتوقًا: إذا زعزعته ورميت به أو قطعته، ومنه امرأةٌ ناتِق أي كثيرةُ الولد، كأ ا ترمي بالأولاد.

ويقال: نتقْت السقاءَ: إذا نقضته لتخرج ما فيه من الزبد.

قال قتادة: رفع الجبل على رؤوسهم، وقال لهم موسى ﷺ: إن قبلتم ما في الكتاب، وإلا سقط عليكم.

ومعنى بقوة بجد.

١٥٥- وقوله ﷻ: **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم..** [آية: ١٧٣].

أحسن ما قيل في هذا، ما تواترت به الأخبار عن النبي ﷺ «**إن الله** ﷻ**، مسح ظهر آدم، فأخرج منه ذُريته، أمثال الذر، فأخذ عليهم الميثاق**»[1] فكأنه يفهمهم ما أراد ﷻ،

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٤/١ والحاكم في المستدرك ٢٧/١ وقال: صحيح الإسـناد ولم يخرجاه، وأبو داود برقم (٤٧٠٣)، والترمذي برقم (٥٠٧١) وحسنه، ولفظه: «إن اللـه خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون..» الحديث وانظر تحفة الأحوذي ٤٥٣/٨ فقد قال فيه الترمذي: هذا حديث حسن =

كما قال تعالى: **قَالَت نملةٌ يا أيها النملُ ادخلُوا مساكِنكُم** [النمل: ١٨].

وفي الحديث: «**كُل مولود يولدٍ على الفطْرةِ**»[١].

أي على ابتداء أمره، حين أخذ عليهم العهد.

حدثنا أبو جعفر قال: نا عبد الله بن إبراهيم المقرئ البغدادي بالرملة قال: نا عباس الدوري قال: نا عبد الله بن موسى قال: نا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن أُبي بن كعب في هذه الآية: **وإذْ أخذَ ربك مِن بني آدم مِن ظُهورِهِم ذُريتهم** [٢] [آية: ١٧٢] إلى قوله: **المبطِلُونَ** قال: جمعهم فجعلهم أزواجا، ثم صورهم، ثم استنطَقهم فقال: **ألَست بِربكُم قَالُوا بلى شهدنا** [آية: ١٧٢] إنك ربنا وإلهنا، لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك، قال: «فأُرسلُ إليكم رسلي، وأُنزل عليكم كتبي، فلا تكذبوا رسلي، وصدقوا وعيدي، وإني سأنتقم ممن أشرك بي، ولم يؤمن بي، فأخذ عهدهم وميثاقهم» وذكر الحديث.

قال أبو جعفر: ونذكر حديث عمر عن النبي ﷺ في معنى هذه الآية في الإعراب، وغيره إن شاء الله[٣].

١٥٦- ثم **قال** ﷻ: **قَالُوا بلى** [آية: ١٧٢].

وهذا التمام، على قراءة من قرأ **أن تقُولُوا** بالتاء.

قال أبو حاتم: وهي مذهبنا لقوله تعالى **ألَست بِربكُم** . يخاطبهم، فقال على المخاطبة: **أن تقُولُوا** أي لأن لا تقولوا.

وقرأ ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما **أن يقُولُوا** [٤] بالياء، والمعنى على هذه

=

صحيح.

(١) الحديث رواه البخاري في الجنائز ١٧٦/٣ ومسلم في القدر رقم (٢٦٥٨) والترمذي في القدر برقم (٢٣١٩)، وأبو داود برقم (٤٧١٤)، ولفظ البخاري: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟». قال أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله.. الآية.

(٢) هذه قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن عامر ذُريتهم وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٩٨.

(٣) انظر مسند أحمد ١٥١/٤.

(٤) هذه قراءة أبي عمرو وحده، وقرا الباقون بالتاء «أن تقولوا» على المخاطبة، وانظر السبعة لابن =

القراءة: وأشهدهم على أنفسهم كراهة أن يقولوا.

١٥٧- وقوله ﷻ: واتلُ عليهم نبأ الذِي آتيناه آياِتنا فانسلخ ِمنها.. [آية: ١٧٥].

وروى شعبةُ، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله قال: هو «بلْعام».

وروى ابن أبي جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: هو «بلْعام بن باعِر» من بني إسرائيل.

قال سعيد بن جبير: «كان معه اسم الله الأعظم فسألوه أن يدعو الله على موسى عليه السلام وأصحابه، فقال: أخروني، وكان لا يدعو على أحد، حتى ذلك في نومه، فبات فنهي في نومِهِ، فعادوا إليه -وكان موسى ﷺ قد جاءهم في ثمانين ألفًا، خلف الفرات- فلماذًا سألوه أن يدعو عليه ما نهي، قال لهم أخرِجوا إلى أصحابه النساء ليفتتنوا، فتنتصروا عليهم، فانسلخ مما كان فيه، وكان قد أُمر في نومه أن يدعو له».

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رحمهما الله: «هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت».

وقال عكرمة: هو من كان من اليهود والنصارى، لم يصح إسلامه.

يذهب إلى أ م منافقوا أهل الكتاب.

وقال ابن عباس في قوله تعالى **فانسلخ ِمنها** هو ما ن ـزع منه من العلم.

١٥٨- ثم **قال** ﷻ: **فأتبعه الشيطانُ فكانَ ِمن الغاوين** [آية: ١٧٥].

يقال: أتبعه إذا أدركه، وتبِعه إذا سار في أثرِه، هذا الجيد.

وقيل: هما لغتان.

١٥٩- وقوله ﷻ: **ولو شِئْنا لرفَعناه ِبها..** [١٧٦].

قال مجاهد: أي لرفعناه عنه، ومعناه لعصمناه مما فعل.

١٦٠- ثم **قال** ﷻ: **ولِكنه أخلَد ِإلى الأرض..** [آية: ١٧٦].

قال مجاهد: أي سِكن، والتقدير: إلى نعيم الأرضِ ولذاتنا.

١٦١- وقوله ﷻ: فَمثَلُه كَمثَل الْكَلْبِ ِإن تحمِلْ عليِه يلْهثْ أو تتركْه

=

مجاهد ص ٢٩٨.

يلْهثْ.. [آية: ١٧٦].

قال مجاهد: أي إن تحمل عليه بدابتك أو رجلك يلهث،أو تتركه يلهث، وكذلك من يقرأ الكتاب ولا يعملُ بما فيه.

وقال غير مجاهد. هذا شر تمثيلٍ، في أنه قد غلب عليه هواه، حتى صار لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، بكلبٍ لاهثٍ أبدا، حمِلَ أو لم يحمل عليه، هو لا يملك ترك اللهثان.

١٦٢- وقوله ﷻ: ولَقَد ذَرأْنا لِجهنم كَثِيرا من الْجِن والإِنس.. [آية:١٧٩].

أي خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس.

يقال: ذَرأَ الله خلقه يذْرؤهم ذَرءًا أي خلقهم.

وقوله تعالى: أُولَئِك كَالأَنعامِ وصفَهم بأ م بمنـزلة من لا يعقلُ.

١٦٣- ثم قال ﷻ: بلْ هم أَضل [آية: ١٧٩].

لأن الأنعام إذا أبصرت مضارها، اجتنبتها أو أكثرها، ولا تكفر معاندةً.

١٦٤- وقوله ﷻ: ولِلهِ الأَسماءُ الْحسنى فَادعوه بِها.. [آية: ١٨٠].

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسما، مائةً غير واحدٍ، من أحصاها دخل الجنة**»[1].

وقال بعض أهل اللغة: يجب على هذا أن لا يدعى الله ﷻ، إلا بما وصف به نفسه، فيقال: يا جواد، ولا يقال: يا سخِي.

١٦٥- وقوله ﷻ: وذَروا الَّذِين يلْحِدونَ فِي أَسمائِهِ.. [آية: ١٨٠].

قال ابن جريج: اشتقوا العزى من العزيز، واللات من الله.

قال أبو جعفر: والإلحاد في اللغة: الجور والمَيلُ، ومنه لَحد القبر، لأنه ليس في الوسط، إنما هو مائلٌ في ناحيته.

قال أبو جعفر: وفَرق الكسائي بين أَلْحد، لَحد، فقال: ألحد عدل عن القصد، ولَحد ركَن إلى الشيء.

وعلى هذا قرأ في النحل **يلْحدونَ** بفتح الياء بمعنى الركون.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الـدعوات ١٠٩/٨، ومسـلم في كتـاب الـذكر ٦٣/٨، والترمذي في أبواب الدعوات ٤٨٢/٩، وزاد فيه ذكر الأسماء: هو الله الـذي لا إلـه إلا هـو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس.. إلخ، وأخرجه ابن ماجه في الدعاء ١٢٦٩/٢.

١٦٦- وقوله ﷻ: والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيثُ لا يعلمونَ [آية: ١٨٢].

يقال: استدرج فلانٌ فلانا، إذا أتى بأمرٍ يريد ليلقيه في هلكة.

ولا يكونُ الاستدراج إلا حالاً بعد حال، ومنه فلانٌ يدرج فلانا ومنه أدرجت الثوب.

١٦٧- وقوله ﷻ: وأملي لهم إن كيدي متين [آية: ١٨٣].

ومعنى «أملي»: أؤخر، والمَلاوةُ: القِطْعةُ من الدهر، ويقال: بالضم والكسر، ومنه تمل حبيبك. والمتين: الشديد.

١٦٨- وقوله ﷻ: أو لم ينظروا في ملكوتِ السماواتِ والأرض.. [آية: ١٨٥].

قال سفيان: يعني خلق السماوات والأرض.

١٦٩- وقوله ﷻ: يسألونك عن الساعةِ أيانَ مرساها.. [آية: ١٨٧].

قال قتادة: أي متى قيامها؟

وقال غيره: يقال رسى الشيءُ، يرسو، رسوا: إذا ثَبت، وأرسيته: أثْبته.

١٧٠- ثم قال ﷻ: قُلْ إنما عِلْمها عِند ربي [آية: ١٨٧].

أي لا يعلم متى قيامها إلا الله.

١٧١- ثم قال ﷻ: لا يجليها لوقْتها إلا هو.. [آية: ١٨٧].

يقال: جلى لي فلانٌ الخَبر: إذا أظهره وأوضحه.

١٧٢- ثم قال ﷻ: ثَقُلت في السماواتِ والأرض لا تأتيكُم إلا بغتةً.. [آية: ١٨٧]. أي خفى علمها، وإذا خفِي الشيءُ ثَقُل.

وقيل: أي ثَقُلت المسالةُ عنها، أي عظُمت.

١٧٣ ثم قال ﷻ: لا تأتيكُم إلا بغتةً . أي فجأة.

١٧٤- وقوله ﷻ: يسألونك كأنك حفِي عنها.. [آية: ١٨٧].

قال قتادة: قالت قريش للنبي ﷺ: نحن أقرباؤك فأسر إلينا متى الساعة!! فأنـزل الله ﷻ **يسألونك كأنك حفِي عنها** أي حفي م.

والمعنى على هذا : التقديم والتأخير ، أي يسألونك عنها كأنك حفي لهم أي فرح لسؤالهم. وهو معنى قول سعيد بن جبير أي يسألونك كأنك حفي لهم.

١٧٥- وقوله ﷻ: ولو كُنت أعلم الغيب لاستكْثَرت من الخير.. [آية: ١٨٨].

روي عن ابن عباس أنه قال: لو أني أعلم سنة القحط والجدب، لهيأت لها ما يكفيني.

وقيل: لو كنت أعلم أموت لاستكثرت من العبادة، فيكون الخير هاهنا العبادة.

وقيل إن النبي ﷺ كان يسأل عما في قلوب الناس، وما يسرونه، فقال: **لو كُنت أعلَم الْغيب** أي ما يسرونه، وما يقع بكم، حتى تحذروا مكروهه، لكان أحرى أن تجيبوني إلى ما أدعوكم **لاستكْثَرت مِن الْخير** أي من إجابتكم إلى ما أدعوكم **وما مسنِي السوءُ** منكم، بتكذيبٍ أو عداوةٍ، إذْ كنت عندكم كذلك.

ودل على هذا الجواب **إِنْ أنا إِلا نذِير** أي لست أعلم من الغيبِ، إلا ما علمني الله.

وقيل: **لو كُنت أعلَم الْغيب** أي كتب الله.

وقال الحسن: **لاستكْثَرت مِن الْخير** من الوحي.

١٧٦- وقوله ﷻ: **هو الذِي خلَقَكُم من نفْسٍ واحِدةٍ..** [آية: ١٨٩].

يعني آدم ﷺ **وجعلَ مِنها زوجها** يعني حواء **فَلَما تغشاها** كنايةٌ عن الجماع **حملَت حملاً خفِيفًا فَمرت بِهِ** .

قال الحسن: أي فاستمرت به، والمعنى: أ ا مرت به وجاءت لم يثْقِلها.

وقرأ ابن يعمر **فَمرت بِهِ** (١) خفيف، أي شكت في الحَمل.

روي عن ابن عباس رحمه الله: فاستمرت بِهِ.

قال أبو حاتم: أي استمر ا الحملُ، فقلب الكلام، كما يقال: أدخلت الخُف في رجلي.

فَلَما أَثْقَلَت أي استبانَ حملُها **دعوا الله ربهما لَئِن آتيتنا صالِحا** .

قال الحسن: أي غلاما.

وقال أبو البختري(٢): خافا أن يكون يمة.

١٧٧-ثم **قال** ﷻ: **فَلَما آتاهما صالِحا جعلا لَه شركَاءَ فِيما آتاهما** [آية: ١٩٠]

روى خصيف عن سعيدِ بن جبيرٍ، ومجاهد عن ابن عباس، قال: أتاهما إبليس فقال: أنا أخرجتكما من الجنة، فإن أطعتماني وإلا جعلت له قرنين فشق بطنك، أو أخرجته ميتا، فقضي أن يخرج ميتا، ثم حملت حملاً لآخر فقال لهما مثل ذلك فقُضِي أن يخرج ميتا، ثم

---

(١) أي بدون تشديد فَمرت بِهِ وهي من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢٦٩/١.

(٢) أبو البختري: هو سعد بن فيروز الطائي الكوفي، ابن أبي عمران، تابعي ثقة قال ابن معين ثقـة، وقال أبو حاتم: ثقة صدوق، مات سنة ١٨٣ هـ، انظر التهذيب ٧٣/٤.

حملت حملاً آخر، فقال لهما مثل ذلك فقالت له حواء: فيم تريد أن أُطِيعك؟ قال: سميه «عبد الحارث».فَسمته، فقال الله ﷻ **جعلا له شركاءَ فيما آتاهما** .

قال غيره: يعني في التسمية خاصةً، وكان اسم «إبليس» الحارث.

١٧٨- ثم قال تعالى: فتعالى الله عما يشركُونَ [آية: ١٩٠].

أي عما يشرك الكفار، ويدل على هذا **أيشركُونَ ما لا يخلُق شيئًا** ؟ «يعني الأصنام».

وروي عن عكرمة أنه قال: لم يخص بهذا آدم وحواء وحدهما، والتقدير على هذا: الجنسِ كله، أي خلق كل واحد منكم **من نفْسٍ واحِدةٍ وجعلَ مِنها** أي من جنسها **زوجها لِيسكُن إليها فلما تغشاها** على الجنس كله، وكذا **دعوا** يراد به الجنسان الكافران، ثم حمِلَ **فتعالى الله عما يشركُونَ** على معنى الجميع، فهذا أولى -والله أعلم- من أن ينسب إلى الأنبياء -عليهم السلام- مثل هذا.

وقال بعض أهل النظر: يراد به غير «آدم وحواء» وإنما ذُكِرا لأنهما أصلُ الناسِ.

١٧٩- وقوله ﷻ: إن الذِين تدعونَ مِن دون الله عِباد أمثَالُكُم [١٩٤].

أي الله ﷻ يهلكهم كما يهلككم.

وروي عن سعيد بن جبير أنه قرأ: **إن الذِين تدعونَ مِن دون الله عِباد أمثَالَكُم** و«إنْ»[1] هاهنا بمعنى «ما» والمعنى: ما الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم، أي هم الأصنام. والقراءة الأولى أكثر وأعرف، والسواد عليها.

١٨٠- وقوله ﷻ: إن وليي الله الذِي نـزلَ الكِتاب.. [آية: ١٩٦].

قال الأخفش: وقُرِئ **إن وليي الله الذِي نـزلَ الكِتاب** يعني جبريل ﷺ.

قال أبو جعفر: هي قراءة عاصم الجَحدري، والقراءةُ الأولَى أولى لقوله تعالى **وهو يتولى الصالِحِين** .

١٨١- وقوله ﷻ: وإن تدعوهم إلى الهُدى لا يسمعوا وتراهم ينظُرونَ إليك وهم لا يبصِرونَ [آية: ١٩٨].

يعني الأصنام.

قال الكسائي: يقال: داري تنظر إلى دار فلان، إذا كانت قريبةً منها.

---

(١) هذه القراءة ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٨٨٣/٦، وذكر أن أبا حاتم ضعفها، وعلى كل فهي شاذة.

١٨٢- وقوله ﷻ: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين [آية:١٩٩].

قال عطاء: العفو: الفَضلُ.

قال أبو جعفر: وكذلك هو في اللغة، ما كان فَضلاً ولم يكن بتكلف.

حدثنا أبو جعفر قال: نا احمد بن عبد الجبار الصوفي، قال: أنبأنا داود الضبي، قال: نا مسلم بن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ﷻ **خذ العفو** قال: خذ أخلاقهم وأعمالهم في غير تجسس.

قال الضحاك والسدي: هذا قبل أن تفرض الصدقة، وقد نسخته الزكاة.

وقال وهب بن كيسان: سمعت ابن الزبير رحمه الله يقول **خذ العفو** : والله وما أُمِر أن يؤخذ إلا من أخلاق الناس، والله لآخذنه منهم ما صحِبتهم[1].

١٨٣- ثم قال ﷻ: وأمر بالعرف.. .

والعْرف: المعروف.

١٨٤- وقوله ﷻ: وإما ينزغنك من الشيطان نزغٌ.. [آية: ٢٠٠].

النزغ: أدنى حركة.

١٨٥- وقوله ﷻ: إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا [آية: ٢٠١].

قال مجاهد: الطيف: الغضب.

قال الكسائي: الطيف: اللمم، والطائف: كل ما طاف حول الإنسان.

وقال أبو عمرو: الطيف: الوسوسة، وحقيقته في اللغة من طاف يطيف: إذا تخيل في القلب، أو رؤي في النوم، وهو طائف، وطيف بمعناه.

١٨٦- وقوله ﷻ: وإخوانهم يمدونهم في الغي... [آية: ٢٠٢].

أي يزيدونهم.

١٨٧- وقوله ﷻ: وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها.. [آية: ٢٠٣].

قال قتادة: أي جئت بها من عند نفسك.

وكذلك هو في اللغة، يقال: اجتبيت الشيء، وارتجلته، واخترعته واختلقته: إذا

---

(١) الحديث رواه البخاري في التفسير ٧٦/٦ قال: ما أنزل الله خذ العفو وأمر بالعرف إلا في أخلاق الناس. وفي رواية أخرى عنه: «أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس».

جئت به من عند نفسك.

١٨٨- وقوله ﷻ: ودونَ الجهرِ من القَولِ بالغدو والآصال.. [آية: ٢٠٥].

الأصالُ: العشايا، الواحد أُصل، وواحد أُصلٍ أَصِيلٌ.

١٨٩- وقوله ﷻ: وإذَا قُرِئ القُرآنُ فَاستمِعوا له وأنصِتوا.. [آية: ٢٠٤].

هذا عام يراد به الخاص.

وقال إبراهيم النخعي: وابن شهاب والحسن: هذا في الصلاة.

وقال عطاء: هذا في الصلاة والخُطبة.

قال أبو جعفر: القولُ الأولُ أولى، لأن الخطبة يجب السكوت فيها إذا قرئ القرآن، وإذا لم يقرأ.

والدليل على صحة ما رواه إبراهيم الهَجري[1]، عن أبي عياض، عن أبي هريرة قال: كانوا يتكلمون في الصلاة، فأنـزل الله ﷻ **وإذَا قُرِئ القُرآنُ..** إلى آخرها

قال أبو جعفر: ولم يختلف في معنى قوله تعالى: **واذْكُر ربكَ فِي نفْسِك** أنه في الدعاء.

وقال بعضهم في **قوله ﷻ: فَاستمِعوا له وأنصِتوا** كان هذا لرسول الله خاصةً، ليعيه عنه ﷺ أصحابه.

«تمت سورة الأعراف»

❁ ❁ ❁

(١) هو إبراهيم بن مسلم العبدي الكوفي، المعروف بالهَجري، ضعفه الترمذي وأبـو حـاتم، انظـر التهذيب ١٦٤/١

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سُورة الأنفال وَهى مدنية

١ - قوله ﷻ: يسألونك عن الأنفَال قُل الأنفَالُ لِلهِ والرسول [آية: ١].

قال ابن عباس: نزلت في يوم بدر.

وروى إسرائيل، عن سماك بن حربٍ، عن مصعب بن سعد، عن أبيه(١) قال: «أصبت سيفاً يوم بدر، فاستحسنته، فقلت يا رسول الله: هبه لي! فنـزلت **يسألُونك عن الأنفَال قُل الأنفَالُ لِلهِ والرسول**».

قال أبو جعفر: المعروف من قراءة سعد بن أبي وقاص **يسألُونك الأنفَال** بغير (عن) هكذا رواه شعبة، عن سماك، عن مصعب عن أبيه.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ في يوم بدر: «**من قتل قتيلاً فله كذا، ومن أسر أسيراً فله كذا**» فلما فتح لهم جاءوا يطلبون ذلك، فقام سعد والأشياخ فقالوا: يا رسول الله إنما قمنا هذا المقام ردءاً لكم لا جبنا، فنـزلت **يسألُونك عن الأنفَال** فسلموا الغنيمة لرسول الله ﷺ ثم نزلت بعد **واعلَموا أنما غَنِمتم من شيءٍ فَأن لِلهِ خمسه** (٢).

فبين الله ﷻ في هذا أن الأنفال صارت من الخمس، لا من الجملة.

قال مجاهد وعكرمة: هي منسوخة، نسخها **واعلَموا أنما غَنِمتم من شيءٍ فَأن لِلهِ خمسه** إلى آخر الآية.

قال مجاهد: والأنفال: الغنائم.

قال أبو جعفر: والأنفال في اللغة: ما يتطوع به الإمام، مما لا يجب عليه نحو قوله: «من جاء بأسير فله كذا» ومنه النافلة من الصلوات، ثم قيل للغنيمة: نفَلٌ، لأنه يروى «أن الغنائم لم تحل لأحدٍ إلا لأمة محمد ﷺ» فكأ م أعطوها نافلةً.

٢- وقوله ﷻ: فَاتقُوا الله وأصلِحوا ذَات بينِكُم [آية: ١].

الذات: الحقيقة، والبين: الوصل، ومنه **لَقَد تقَطع بينكُم** [الأنعام: ٩٤].

---

(١) سعد بن أبي وقاص ؓ، والد مصعب، والحديث رواه أحمد في المسند ١٨٠/١.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ٧٧/٣، والبيهقي في الدلائل ٢٩١/٦ والحاكم في المستدرك ١٣١/٢ وقال: حديث صحيح الإسناد.

٣- وقوله ﷻ: ﴿إنما المؤمنونَ الذين إذَا ذُكِر الله وجِلت قُلُوبهم﴾ [آية: ٢].

قال ابن أبي نجيح: أي فَرِقَت، وأنشد أهل اللغة:

لَعمركَ ما أدري وإنــي لأوجــلُ ... على أينــا تغدو المَنيــ ــةُ أولُ(١)

وروى سفيان عن السدي في قوله ﷻ ﴿**الذِين إذَا ذُكِر الله وجِلت قُلُوبهم**﴾ قال: إذا أراد أن يظلم مظلمةً قيل لــه: اتق الله، كف ووجِل قلْبه.

٤- ثم قال ﷻ: ﴿وإذَا تُلِيت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ [آية: ٢].

أي: صدقوا بما فازدادوا إيماناً.

قال الحسن: ﴿**الذِين يقيمونَ الصلاةَ**﴾ [آية: ٣] الخمس، بوضوئها، وركوعها، وسجودها، وخشوعها.

وقال مقاتل بن حيان: إقامتها أن تحافظ على مواقيتها، وإسباغ الطهور فيها، وتمام ركوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والتشهد، والصلاة على النبي ﷺ، وهذا إقامتها.

٥- وقوله ﷻ: ﴿كَما أخرجك ربك مِن بيتك بالحق﴾ [آية: ٥].

فيه أقوال:

(أ) **قال الكسائي:** المعنى: يجادلونك في الحق، مجادلتهم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق.

(ب) **قال أبو عبيدة:** (ما) بمعنى (الذي) أي: والذي أخرجك، هذا معنى كلامه.

(جـ) **وقول ثالث:** وهو أن المعنى: قل الأنفال لله والرسول، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، أي: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وهم كارهون، قل الأنفال لله والرسول، وإن كرهوا.

وقيل: «كما أخرجك ربك مِن بيتك» متعلق بقوله تعالى ﴿**لهم درجاتٌ عِند ربهم**﴾ [آية: ٤] أي: هذا الوعد لهم حق في الآخرة، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، فأنجز وعدك بالظفر.

٦- ثم قال ﷻ: ﴿يجادِلُونك فِي الحق بعدما تبين﴾ [آية: ٦].

فكما كان هذا حقّا، فكذلك كل ما وعدكم به حق، يجادلونك في الحق بعد ما تبين، وتبيينه أنه لما خبرهم بخبر بعد خبر من الغيوب، حقاً، وجب أن لا يشكوا في خبره.

---

(١) البيت لمعن بن أوس المزني، وهو في ديوانه ص ٣٩.

وأحسنها قول مجاهد أن المعنى: كما أخرجك ربك من بيتك، أي: من المدينة إلى بدر على كرهٍ، كذلك يجادلونك في الحق، لأن كلا الأمرين قد كان، مع قرب أحدهما من الآخر، فذلك أولى مما بعد عنه.

٧- وقوله ﷻ: ﴿وإذْ يعدكُم الله إحدى الطائِفَتين أنها لَكُم﴾ [آية: ٧].

قال قتادة: الطائفتان: «أبو سفيان» معه العير، و«أبو جهلٍ» معه نفير قريش، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يحبون أن يظفروا بالعير، وأراد الله ﷻ غير ذلك.

والشوكة: السلاح.

٨- ثم **قال** ﷻ: **﴿ويريد الله أن يحِق الحَق بِكَلِماتِهِ ويقْطَع دابِر الكَافِرين﴾** [آية: ٧].

أي: كان في ظهورهم على المشركين، وإمدادهم بالملائكة، ما أحق به الحق، وقطع دابر الكافرين.

٩- وقوله ﷻ: ﴿فاستجاب لَكُم أني مُمِدكُم بِألْفٍ من المَلائِكَةِ مردِفين﴾ [آية: ٩].

قال ابن عباس: أي: متتابعين.

وقال أبو جعفر: قال أهل اللغة: يقال: ردِفته، وأردفْته: إذا تبِعته.

قال مجاهد: مردفين: أي: ممدين.

١٠- وقوله ﷻ: ﴿وما جعلَه الله إلا بشرى﴾ [آية: ١٠].

يعني الإمداد، ويجوز أن يكون يعني الإرداف.

١١- وقوله ﷻ: ﴿إذْ يغشيكُم النعاس أمنةً منه﴾ [آية: ١١].

قال ابن أبي نجيح: كان المطر قبل النعاس.

ويقال: أمِن، يأمن، «أمنا»، وأمانا، وأمنةً، وأمنةً.

وروي عن ابن محيصن أنه قرأ «أمنةً» بإسكان الميم.

وقال عبد الله بن مسعود: النعاس في الصلاة من الشيطان، وفي الحرب أمنةٌ.

١٢- ثم **قال** ﷻ: **﴿وينزلُ عليكُم من السماءِ ماءً ليطَهركُم بِهِ﴾** [آية: ١١].

قال الضحاك: سبق المشركون المسلمين إلى الماء ببدر، فبقي المسلمون عطاشاً، محدثين مجنبين، لا يصلون إلى الماء، فوسوس إليهم الشيطان فقال: إنكم تزعمون أنكم على الحق، وأن فيكم النبــي، وعدوكم معه الماء، وأنتم لا تصلون إليه، فأنزل الله ﷻ المطر، فشربوا منه حتى رووا، واغتسلوا، وسقَوا دوا م.

قال ابن أبي نجيح: رووا من الماء، وسكن الغبار.

وقال غيره: كان ذلك من الآيات العظام، لأ م كانوا على سبخةٍ، لا تثبت فيها الأقدام، فلما جاء المطر ثبتت أقدامهم.

١٣- ثم قال ﷻ: ويذهب عنكم رجز الشيطان [آية: ١١].

قال ابن أبي نجيح: أي وساوسه.

قال الضحاك: وأما قوله ﷻ: **ويثبت به الأقدام** فإنه كانت به رميلة لا يقدر أحد أن يقف عليها، فلما جاء المطر ثبتت الأقدام عليها.

١٤- **وقوله ﷻ: إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا** [آية: ١٢].

يجوز أن يكون المعنى: ثبتوهم بشيء تلقونه في قلو م.

ويجوز أن يكون المعنى: ثبتوهم بالنصر، والقتال عنهم.

١٥- وقوله ﷻ: فاضربوا فوق الأعناق [آية: ١٢].

قيل: إن «فوق» هاهنا زائدة، وإنما أبيحوا أن يضربوهم على كل حال.

ويدل عليه **واضربوا منهم كل بنان** لأن البنان أطراف الأصابع، الواحدة: بنانة، مشتق من قولهم أبن بالمكان إذا أقام به.

١٦- ثم قال ﷻ: ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله [آية: ١٣].

أي خالفوا، كأ م صاروا في شق آخر.

١٧- وقوله ﷻ: يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا فلا تولوهم الأدبار [آية: ١٥].

أي: إذا واقفتموهم، يقال: زحفت لـ ه، إذا ثبت.

وقيل: التزاحف التداني والتقارب، أي: متزاحف بعضهم إلى بعض.

١٨- ثم قال ﷻ: ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفًا لقتالٍ أو متحيزا إلى فئةٍ فقد باء بغضبٍ من الله [آية: ١٦].

قال الحسن: كان هذا يوم بدر خاصة، وليس الفرار من الزحف من الكبائر.

وروى شعبة عن داود بن أبي هندٍ، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال:

نزلت في يوم بدر.. حدثنا أبو جعفر قال: نا ابن سماعه قال: نا أبو نعيمٍ قال: نا موسى بن محمد عن داود بن أبي هندٍ، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد **ومن يولهم يومئذٍ دبره** إلى قوله «وبئس المَصِير» قال: ذلك يوم بدر.

وقال عطاء: هي منسوخة إلى قوله ﷻ: **فَإِن يكُن منكُم مائَةٌ صابِرةٌ يغلِبوا مِائَتين** [آية: ٦٦] أهل بدر، لم يكن لهم إمام ينحازون إليه، إذ كان النبي ﷺ معهم، فلم يكن لهم أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه.

وفي حديث ابن عمر «**حصنا حيصة** في **جيشٍ فخفنا، فقلنا يا رسول الله:** نحن **الفرارون، فقال: أنا فئتكم**»(١). وكذا قال عمر يوم القادسية: أنا فئة كل مسلم.

وقيل: ذا عام، لأن ذلك حكم «من» إلا أن يقع دليل، فإن خاف رجل على نفسه وتيقن أنه لا طاقة لـه بالمشركين، فله الرجوع، لئلا يلقي بيده إلى التهلكة.

١٩- ثم **قال** ﷻ: **فَلَم تقْتلُوهم ولَكِن الله قَتلَهم** [آية: ١٧].

وقال ابن أبي نجيح: لما قال هذا قتلت، وهذا قتلت!

٢٠- ثم **قال** ﷻ: **وما رميت إِذْ رميت ولَكِن الله رمى** [آية: ١٧].

قال ابن أبي نجيح: هذا لما حصبهم رسول الله ﷺ.

قال أبو جعفر: وحقيقة هذا في اللغة، أ م خوطبوا على ما يعرفون، لأن عددهم كان قليلاً وأبلغوا من المشركين. ويروى أن رسول الله ﷺ حصبهم بكفه، فلم يبق أحد من المشركين إلا وقع في عينه، أي فلو كان إلى ما في يد رسول الله ﷺ لم يصل إلى ذلك الجيش العظيم، ولكن الله فعل م ذلك.

والتقدير -والله أعلم- وما رميت بالرعب في قلو م، إذ رميت بالحصباء في وجوههم، وقلت: شاهت الوجوه، ولكن الله رمى بالرعب في قلو م.

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه أحمد في المسند ٧٠/٢ ولفظه: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص النـاس حيصـة- أي ا زمـوا وفروا- وكنت فيمن حاص، فقلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف، وبؤنا بالغضـب؟ ثم قلنا: لو دخلنا المدينة فبتنا !! ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا؟ فأتيناه قبل صلاة الغداة- أي الظهر فخرج فقال: من القوم؟ فقلنا نحن الفرارون، فقال: لا، بل أنتم العكارون- أي الفارون إلى إمامهم- أنا فئتكم، وأنا فئة المسلمين، قـال: فأتيناه حتى قبلنا يده» ورواه أبو داود ٤٦/٣ والترمذي ٣٧٨/٥ وقال: حسن غريب.

وقيل: المعنى: وما رميت الرمي الذي كانت به الإماتة، ولكن الله رمى.

٢١- ثم قال ﷻ: **وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسنا..** [آية: ١٧].

والبلاء هاهنا النعمة.

٢٢- وقوله ﷻ: **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** [آية: ١٩].

قال مجاهد: أي إن تستنصروا.

وقال الضحاك: قال أبو جهل: «اللهم انصر أحب الفئتين إليك» فقال الله ﷻ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح**.

والمعنى عند أهل اللغة: إن تستدعوا الفتح، وهو النصر.

٢٣- وقوله ﷻ: **ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون** [آية: ٢١].

لأ م استمعوا استماع عداوة، ويبينه قوله ﷻ: **إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون** [آية: ٢٢].

أي: هم بمنـزلة الصم في أ م لا يسمعون سماع من يقبل الحق، وبمنـزلة البكم لأ م لا يتكلمون بخير، ولا يعقلونه.

٢٤- ثم قال ﷻ: **ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم..** [آية: ٢٣].

أي لأسمعهم جواب كل ما يسألون عنه.

٢٥- ثم قال ﷻ: **ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون** [آية: ٢٣].

أي لو أخبرهم بكل ما يسألون عنه، لأعرضوا وكفروا، معاندةً وحسداً.

٢٦- وقوله ﷻ: **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول** [آية: ٢٤].

أبو عبيدة يذهب إلى أن معنى «استجيبوا» أجيبوا، وأنشد:

وداعٍ دعا يا من يجيب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيـب(١)

٢٧- ثم قال ﷻ: **إذا دعاكم لما يحييكم..** [آية: ٢٤].

أي لما تصيرون به على الحياة الدائمة في الآخرة.

٢٨- ثم قال ﷻ: **واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه** [آية: ٢٤].

قال سعيد بن جبير: يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان.

---

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار، وهو في خزانة الأدب ٣٥٧/٤ ولسـان العرب ٢٨٣/١ وأمالي المرتضى ٦٠٤/١ ومعاني الزجاج ٢٤٢/١.

وقال الضحاك: يحول بين المؤمن والمعصية، وبين الكافر والطاعة.

قال أبو جعفر: وأول هذا القول بعض أهل اللغة، أن معناه: يحول بينهما وبين ذنبك بالموت.

وقيل: هو تمثيل، أي هو قريب كما قال ﷻ: **ونحن أقْرب إِليه مِن حبل الْورِيدِ** [ق: ١٦].

وقيل: كانوا ربما خافوا من عدوهم، فأعلمهم الله ﷻ، أنه يحول بين المرء وقلبه، فيبدلهم من الخوف أمنا، ويبدل عدوهم من الأمن خوفًا.

٢٩- وقوله ﷻ: واتقُوا فِتنةً لا تصِيبن الذِين ظلَموا مِنكُم خاصةً [آية: ٢٥].

قيل: إ ا تعم الظالم وغيره.

وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس **واتقُوا فِتنةً لاَ تصِيبن الذِين ظلَموا مِنكُم خاصةً** قال أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب.

وقال الضحاك: هي في أصحاب محمد ﷺ خاصة.

وروي عن الزبير أنه قال يوم الجمل لما لقي: ما توهمت أن هذه الآية نزلت فينا أصحاب محمد ﷺ إلا اليوم **واتقُوا فِتنةً لا تصِيبن الذِين ظلَموا مِنكُم خاصةً** .

وقول آخر، وهو قول أبي العباس محمد بن يزيد، أنه ي بعد أمر، ي الفتنة: والمعنى في النهي للظالمين، أي لا تقربن الظلم. وحكى سيبويه: لا أرينك هاهنا، أي لا تكن هاهنا، فإنه من كان هاهنا رأيته.

وأبو إسحاق: يذهب إلى أن معناه الخبر، وجاز دخول النون في الخبر لأن فيه قوة الجزاء.

قال أبو جعفر: ورأيت علي بن سليمان يذهب إلى أنه دعاء.

٣٠- وقوله ﷻ: واذْكُروا إِذْ أنتم قَلِيلٌ مستضعفُونَ فِي الأَرض تخافُونَ أن يتخطفَكُم الناس [آية: ٢٦].

قال وهب بن منبه: يعني بالناس فارس.

وقال عكرمة: كفار قريش.

قال السدي: فآواكم إلى المدينة.

٣١- وقوله ﷻ: يا أيها الذِين آمنوا إِن تتقُوا الله يجعل لكُم فُرقَانا.. [آية: ٢٩]. قال مجاهد وعطاء والضحاك: أي مخرجاً.

قال مجاهد: في قوله تعالى: **يوم الفُرقَان** [آية: ٤١] قال: يوم بدر، فرق الله فيه بين الحق والباطل.

قال أبو جعفر: والفرقان في اللغة: بمعنى الفرق، يقال: فرقت بين الشيئين فرقاً، وفرقاناً.

٣٢- وقوله ﷻ: وإذْ يمكُر بِك الذِين كَفَروا لِيثْبِتوك أو يقْتلُوك أو يخرِجوك.. [آية: ٣٠].

يقال: أثبته إذا حبسته.

قال مجاهد: أراد الكفار أن يفعلوا هذا بالنبي ﷺ قبل خروجه من مكة.

وقال غيره: اجتمعوا فقالوا: نحبسه في بيتٍ، ونطعمه ونسقيه فيه، أو نقتله جميعاً قتل رجلٍ واحد، أو نخرجه فتكون بليته على غيرنا، فعصمه الله ﷻ منهم.

وفي رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس **لِيثْبِتوك** هي ليوثقوك.

٣٣- وقوله ﷻ: وإذْ قَالُوا اللهم إِن كَانَ هذَا هو الْحق مِن عِندِك فَأمطِر علَينا حِجارةً من السماءِ أَو ائْتِنا بِعذَابٍ أَلِيمٍ [آية: ٣٢].

قال مجاهد: الذي قال هذا «النضر بن الحارث بن كلدة»

ويروى أن هذا قيل بمكة، ويدل على هذا قوله تعالى **وما كَانَ الله لِيعذبهم وأنت فِيهم** [آية: ٣٣].

قيل في هذه الآية أقوال:

روي عن ابن عباس أن «النضر بن الحارث» قال هذا يريد: أهلكنا ومحمداً ومن معه عامةً- فأنزل الله **وما كَانَ الله لِيعذبهم وأنت فِيهم** إلى **وهم يستغفِرونَ** أي ومنهم قوم يستغفرون، يعني المسلمين **وما لَهم ألا يعذبهم الله** خاصة، فعذ م بالسيف بعد خروج النبي ﷺ عنهم، وفي ذلك نزلت **سأَلَ سائِلٌ بِعذَابٍ واقِعٍ** [المعارج: ١].

وروى الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير أن المستفتح يوم بدر «أبو جهل» وأنه قال: «اللهم اخز أقطعنا للرحم» فهذا استفتاحه.

وقال عطية في قوله ﷻ: **وما كَانَ الله لِيعذبهم وأنت فِيهم** يعني المشركين حتى يخرجه عنهم **وما كَانَ الله معذبهم وهم يستغفِرونَ** يعني المؤمنين، قال ثم رجع إلى الكفار فقال تعالى: **وما لَهم ألا يعذبهم الله وهم يصدونَ عن الْمسجِدِ الْحرامِ** [آية: ٣٤]؟

قال أبو جعفر: وهذا قول حسن، ومعناه **وما كَانَ الله لِيعذبهم وأنت فِيهم** : وما كان الله معذ م وأنت بين أظهرهم، وكذلك سنته في الأمم.

٣٤- ثم قال ﷻ: **وما كانَ الله معذبهم وهم يستغفِرونَ** [آية: ٣٣].

وعاد الضمير على من آمن منهم.

٣٥- ثم قال ﷻ: **وما لهم ألا يعذبهم الله** ؟ [آية: ٣٤]

أي إذا خرجت من بين أظهرهم.

ويجوز أن يكون معناه: وما لهم ألا يعذ م الله في القيامة.

وقيل معناه: وما كان الله معذ م لو استغفروه على غير إيجاب لهم، كما تقول: لا أغضب عليك أبداً وأنت تطيعني، أي: لو أطعتني لم أغضب عليك، على غير إيجاب منك لطاعته.

وقال مجاهد: معناه: وما كان الله عذ م وهو مسلمون.

قال أو جعفر: ومعنى هذا وما كان الله معذ م ومنهم من يؤول أمره إلى الإسلام.

وروي عنه: وفي أصلا م من يستغفر.

٣٦- ثم قال ﷻ: **وما كانَ صلاتهم عِند البيتِ إلا مكَاءً وتصدِيةً** [آية: ٣٥].

روى عطية عن ابن عمر أنه قال: المكاءُ: الصفير، والتصديةُ: التصفيق.

قال ابن شهاب: يستهزءون بالمؤمنين.

وروى ابن أبي جريج وابن أبي نجيح أنه قال: المكاءُ: إدخالهم أصابعهم في أفواههم، والتصدية: الصفير، يريدون أن يشغلوا بذلك محمداً ﷺ عن الصلاة.

قال أبو جعفر: والمعروف في اللغة ما روي عن ابن عمر.

حكى أبو عبيد وغيره أنه يقال: مكا، يمكُو، ومكَاءً: إذا صفَر، وصدى يصدي تصدِيةً: إذا صفق.

قال أبو جعفر: ويبعد قول ابن زيد التصدية: صدهم عن دين الله، لأن الفعل من هذا صددت إلا أن تقلب إحدى داليه ياءً مثل: تظنيت من ظَننت، وكذا ما روي عن سعيد بن جبير: التصدية: صدهم عن بيت الله.

٣٧- وقوله ﷻ: **إن الذِين كفَروا ينفِقُونَ أموالَهم لِيصدوا عن سبِيل الله..** [آية: ٣٦].

قال مجاهد: يعني «أبا سفيان» وما أنفق على أصحابه يوم أحد.

٣٨- وقوله ﷻ: **ويجعلَ الْخبِيثَ بعضه على بعض فَيركُمه جمِيعا** [آية: ٣٧].

يقال: ركمت الشيء، إذا جعلت بعضه فوق بعض.

٣٩- وقوله ﷻ: ﴿فَيَجعلَهُ في جهنم﴾ [آية: ٣٧].

أي: الخبيث ليعذبوا به.

ويعني بالخبيث: الكفار، كذا قال ابن عباس: «ميز أهل السعادة من أهل الشقاء، أي بأن أسكن هؤلاء الجنة، وهؤلاء النار».

أي فيجعل الكفار بعضهم فوق بعض فيجعلهم ركاماً، أي يجمع بعضهم إلى بعض حتى يكثروا ﴿أولئك﴾ رده إلى الكافرين، ورد ﴿فَيَجعلَه﴾ إلى الخبيث على لفظه، ليعذبوا به، كما قال تعالى ﴿فَتُكْوى بها جِباهُهم وجنوبهم وظُهورهم﴾ [التوبة: ٣٥].

وقوله ﷻ: ﴿وإنْ يعودوا فَقَد مضت سنت الأولين﴾ [آية: ٣٨].

قال مجاهد: يوم بدر للأمم قبل ذلك، فقد فرق الله ﷻ بين الحق والباطل.

٤٠- وقوله ﷻ: ﴿وقَاتِلُوهم حتى لا تكُونَ فتنةٌ..﴾ [آية: ٣٩].

المعنى: حتى لا تكون فتنة كفرٍ، دل على هذا الحذف قوله تعالى: ﴿ويكُونَ الدين كُلُّه لله﴾.

٤١- ثم قال ﷻ: ﴿وإن تولوا فَاعلَموا أن الله مولاكُم نِعم المولَى ونِعم النصِير﴾ [آية: ٤٠].

أي وإن عادوا إلى الكفر وعداوتكم ﴿فَاعلَموا أن الله مولاكُم﴾ أي وليكم وناصركم، فلا تضركم عداوتهم.

٤٢- وقوله ﷻ: ﴿واعلَموا أنما غَنِمتم من شيءٍ فَأن لله خمسه وللرسول ولِذِي القُربى واليتامى والمساكِين وابن السبِيل..﴾ [آية: ٤١].

اختلف في معنى هذه الآية.

فقال قوم: يقسم الخمس على خمسة أجزاء: فأربعة منها لمدة شهر الحرب، وواحد منها مقسوم على خمسةٍ، فما كان منه للرسول صير فيما كان رسول الله ﷺ يصيره فيه.

ويروى أنه كان يصيره تقوية للمسلمين وأربعة لذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، وهذا مذهب الشافعي رحمه الله.

وقال بعضهم: يقسم هذا السهم على قلته أجزاء للفقراء، والمساكين، وابن السبيل لأن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث ما تركنا صدقة**»[1] وهذا مذهب أبي حنيفة.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الفرائض ١٨٥/٨ عن عائشة أن فاطمة والعباس أتيا أبا =

وقال بعضهم: إذا رأى الإمام أن يعطي هؤلاء المذكورين أعطاهم، وإن رأى أن غيرهم أحق منهم أعطاهم، قال: ولو كان ذكرهم بالسهمية يوجب أن لا يخرج عن جملتهم، لما جاز إذا ذكر جماعة أن يعطى بعضهم دون بعض، وقد قال الله ﷻ: **﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾** [التوبة: ٦٠] إلى آخر الآية، ولو جعلت في بعضهم دون بعض لجاز، ولكنهم ذكروا لأ م من أهم من يعطى.

وقال ﷻ: **﴿قُلْ ما أنفقتم من خيرٍ فللوالدين والأقربين﴾** [البقرة: ٢١٥].

ول ـ ه أن يعطي غير من سمي، وهذا مذهب مالك.

وأما معنى **﴿فإن لله﴾** فهو افتتاح كلام. قال: «قيس بن مسلم الجدلي»[1] سألت الحسن بن محمد **﴿واعلموا أنما غنمتم من شيءٍ فأن لله خمسه﴾** فقال: هو افتتاح كلام، ليس لله نصيب، لله الدنيا والآخرة.

حدثنا أبو جعفر قال: نا محمد بن الحسن بن سماعة، قال: نا أبو نعيم قال: نا أبو جعفر عن الربيع، عن أبي العالية **﴿واعلموا أنما غنمتم من شيءٍ فأن لله خمسه﴾**.

قال: يجاء بالغنيمة فتوضع، فيقسمها رسول الله ﷺ على خمسة أسهم، فيعزل سهماً منها، ويقسم الأربعة بين الناس، ثم يضرب بيده في جميع السهم الذي عزله، فما قبض عليه من شيء جعله للكعبة، فهو الذي سمي لله، ويقول: لا تجعلوا لله نصيباً، فإن لله الدنيا والآخرة قال ثم يقسم السهم الذي عزله على خمسة أسهم: سهم للنبي ﷺ، وسهم لذي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل.

وقيل: معنى **﴿فأن لله خمسه﴾** فأن لسبيل الله، مثل **﴿واسأل القرية﴾**.

٤٣- وقوله ﷻ: ﴿إن كنتم آمنتم بالله﴾ [آية: ٤١].

أي أن كنتم آمنتم بالله، فاقبلوا ما أمركم به.

وقيل: المعنى: فاعلموا أن الله مولاكم وناصركم إن كنتم آمنتم به.

=

بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ فقال لهما أبو بكر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال»، ورواه مس ـ لم ب ـ رقم ١٧٦٠ في الجهاد، ومالك في الموطأ ٩٣٣/٢، وأبو داود في كتاب الخراج برقم ٢٩٧٤.

(١) قيس بن مسلم الجدلي كوفي من قيس عيلان توفي سنة ١٢٠هـ ـ قال ابن معين وأبو حاتم ثقة، وقال العجلي: كوفي ثقة، انظر ذيب التهذيب ٤٠٣/٨.

٤٤- وقوله ﷻ: وما أنزلنا على عبدنا يوم الفُرقان يوم التقى الجمعان [آية: ٤١].

قال مجاهد: هو يوم بدر، فرق الله فيه بين الحق والباطل.

٤٥- وقوله ﷻ: إذْ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القُصوى [آية: ٤٢]

قال قتادة: العدوة: شفير الوادي، وكذلك هو في اللغة.

ومعنى «الدنيا»: التي تلي المدينة، ومعنى «القُصوى»: التي تلي مكة. ثم قال تعالى: **والركْب أسفلَ منكم** [آية: ٤٢].

قال قتادة: يعني العير التي كانت مع أبي سفيان.

٤٦- وقوله ﷻ: ليهلك من هلك عن بينةٍ ويحيى من حي عن بينةٍ.. [آية: ٤٢].

قال أبو جعفر: قال ابن أبي إسحاق: جعل المهتدي بمنـزلة الحي، وجعل الضال بمنـزلة الهالك، قال: أي ليكفر من كفر بعد الحجة بما رأى من الآية والعبرة، ويؤمن من آمن على مثل ذلك.

وقال غيره: ليهلك: ليموت من مات عن حجة لله ﷻ وعليه، قد قطعت عذره، وليعيش من عاش منهم على مثل ذلك **وإن الله لسميعٌ** لقولكم حين تركتموهم **عليمٌ** بما تضمره نفوسكم.

٤٧- وقوله ﷻ: إذْ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر [آية: ٤٣].

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: رآهم النبي ﷺ في النوم قليلاً، فقص الرؤيا على أصحابه، فثبتهم الله بذلك.

وروي عن الحسن أنه قال:

المعنى: إذ يريكهم الله بعينك التي تنام بها.

قال أبو جعفر: والمعنى على هذا في موضوع منامك.

والقول الأول أحسن لجهتين:

إحداهما: ما روي من أن النبي ﷺ رآهم في النوم.

والأخرى: في قوله تعالى: **وإذْ يريكموهم إذِ التقيتم في أعينكم** [آية: ٤٤]

فالرؤيا الأولى في النوم، والثانية عند الالتقاء.

ويجوز ما قال الحسن على بعدٍ، على أن يكون قوله **وإذْ يريكموهم** خطاباً للنبي ﷺ وأصحابه.

والمعنى: ويقللكم في أعينهم، أي لئلا يستعدوا لكم، لما أراد الله ﷻ من ظفر المسلمين م.

٤٨- وقوله ﷻ: ولا تنازعوا فتفشلوا.. [آية: ٤٦].

قال أبو إسحاق: يقال: فشل يفشل فشلاً، إذا هاب أن يتقدم جبنا.

٤٩- ثم قال ﷻ: وتذهب ريحكم.. [آية: ٤٦].

قال مجاهد: أي نصركم.

وقال معمر عن قتادة: أي ريح الحرب.

والمعروف في اللغة أنه يقال: ذهبت ريحهم: أي دولتهم.

٥٠- وقوله ﷻ: ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس [آية: ٤٧].

يعني أبا جهل وأصحابه يوم بدر.

٥١- وقوله ﷻ: زين لهم الشيطان أعمالهم [آية: ٤٨].

قال: المعنى: واذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم.

قال الضحاك: جاءهم يوم بدر برايته وجنوده، فألقى في قلو م أ م لن ينهزموا، وهم يقاتلون على دين آبائهم.

٥٢- وقوله ﷻ: فلما تراءت الفئتان.. [آية: ٤٨].

أي التقتا، حتى رأت كل واحدة منهما صاحبتها.

٥٣- ثم قال ﷻ: نكص على عقبيه [آية: ٤٨].

أي: رجع القهقري، ويقال: نكص على عقبيه، إذا رجع من حيث جاء.

وقال َ إني بريءٌ منكم إني أرى ما لا ترونَ .

قال الضحاك: رأى الملائكة **إني أخاف الله والله شديد العقاب** .

قيل: إنما خاف أن يكون الوقت الذي أُجل إليه قد حضر.

وقيل: بل كذب.

٥٤- وقوله ﷻ: كدأب آل فرعونَ والذين من قبلهم [آية: ٥٢].

قال مجاهد: أي كفعل، والدأب عند أهل اللغة: العادة، وحقيقته عندهم أنه من قولك فلان يدأب: أي يداوم على الشيء ويلزمه، وهذا معنى العادة.

٥٥- وقوله ﷻ: الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون [آية: ٥٦].

قال مجاهد: يعني بني قريظه.

٥٦- وقوله ﷻ: فإما تثقفنهم في الحرب [آية: ٥٧].

أي تصادفهم وتظفر م **فشرد بهم من خلفهم**.

قال سعيد بن جبير: أي أنذر م من خلفهم. وقال أبو عبيد: هي لغة قريش «شرد م» سمع م.

وقال الضحاك: أي نكل م.

والتشريد في اللغة: التبديد والتفريق.

٥٧- وقوله ﷻ: وإما تخافن من قوم خيانة [آية: ٥٨]. أي: غشاً ونقضاً للعهد **فانبذ إليهم على سواء** أي ألق إليهم نقض عهدهم، لتكون أنت وهم على سواء في العلم، يقال: نبذت إليه على سواءٍ: أي أعلمته أني قد عرفت منه ما أخفاه.

وروى عمر بن عنبة أن النبي ﷺ قال: «**من كان بينه وبين قوم عهد إلى مدةٍ، فلا يشد عقدةً، ولا يحلها، حتى ينقضي أمدها، أو ينبذ إليهم على سواء**»[1].

٥٨- وقوله ﷻ: ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا [آية: ٥٩].

قال أبو عبيدة: أي فاتوا، ثم قال ﷻ: **إنهم لا يعجزون** روي عن ابن محيصن أنه قرأ (لا يعجزونِ) بالتشديد وكسر النون.

قال أبو جعفر: هذا خطأ من جهتين:

إحداهما: أن معنى عجزه ضعفه، وضعف أمره.

والأخرى: أنه كان يجب أن يكون بنونين.

ومعنى أعجزه: سبقه وفاته حتى لم يقدر عليه.

٥٩- وقوله ﷻ: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم [آية: ٦٠].

قال عكرمة: القوة: ذكور الخيل: ورباط الخيل: إناثها.

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١١١/٤ وأبو داود في الجهاد ٨٣/٣ برقم ٢٧٥٩ والترمذي في السير برقم ١٦٢٩، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال غيره: القوةُ: السلاح. وروى عقبة بن عامرٍ أن رسول الله قال: « **وأعِدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ** **ألا إن القوة الرمي**»[1].

٦٠- ثم قال ﷻ: **وآخرين مِن دونهم لا تعلمونهم..** [آية: ٦٠].

أي وترهبون آخرين، أي تخيفونهم.

قال مجاهد: هم بنو قريظة. وقال ابن زيد: هم المنافقون وقيل: هم الجن. وقال السدي: أهل فاس.

٦١- وقوله ﷻ: **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها** [آية: ٦١].

جنحوا: مالوا. وقال أبو عمرو: والسلم: الصلح، والسلم: الإسلام.

وأبو عبيدة يذهب إلى أن السلْم، والسلْم، والسلّم: الصلح.

٦٢- وقوله ﷻ: **وإن يريدوا أن يخدعوك..** [آية: ٦٢].

أي بإظهار الصلح **فإن حسبك الله** أي: كافيك **هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين** أي: قواك وألف بين قلوبهم.

وهذه من الآيات العظام، لأن أحدهم كان يلطم اللطمة فيقاتل عنه حتى يستقيدها، وكانوا أشد خلق الله حميةً، فلما بعث النبي ﷺ، كان أحدهم يقاتل أخاه على الإسلام.

حدثنا أبو جعفر، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن محمد بالأنبار، قال نا نصر بن علي، قال حدثني أبي، قال: حدثنا شعبة، قال أخبرنا بشير ابن ثابت من آل النعمان بن بشير في قوله تعالى: **هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين** حتى بلغ **إنه عزيزٌ حكيمٌ** [آية: ٦٣] قال: نزلت في الأنصار.

٦٣- وقوله ﷻ: **يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين** [آية: ٦٤].

أي: الله يكفيك ويكفي من اتبعك.

وقيل: المعنى: ومن اتبعك ينصرك.

٦٤- وقوله ﷻ: **يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال** [آية: ٦٥].

التحريض: الحث الشديد وهو مأخوذ من الحرض، وهو المقاربة للهلاك. أي حثهم

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ١٥٢٢/٣ برقم ١٩١٧ وفيه: ألا إن القوة الرمي، وكررها ثلاثاً، وأخرجه أبو داود في الجهاد ١٤/٣ برقم ٢٥١٤ وابن ماجه ٩٤٠/٢ برقم ٢٨١٣ وأحمد في المسند ١٥٦/٤.

حتى يعلم من يخالف أنه قد قارب الهلاك.

٦٥ - ثم **قال** ﷻ: **إن يكن منكم عشرونَ صابرونَ يغلبوا مائتين** [آية: ٦٥].

قال ابن عباس: فُرض على الرجل أن يقاتل عشرة، ثم سهل عليهم، فقال: **الآنَ خفف الله عنكم** إلى قوله **واللهُ مع الصابرين** وكتب عليهم أن لا يفر مائة من مائتين.

قال ابن شبرمة: وأنا أرى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كذا.

وروى الأعمش، عن مرو بن مرةَ، عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال: «لما كان يوم بدرٍ، جيء بالأسرى فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترون** في **هؤلاء الأسرى؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله: قومك وأصلك، استبقهم، فلعل الله يتوب عليهم!! فقال عمر: يا رسول الله كذبوك، وأخرجوك، وقاتلوك، قدمهم فاضرب أعناقهم**». وذكر الحديث[1]، وقال فيه فأنزل الله:

٦٦ - **ما كانَ لنبي أن يكونَ له أسرى حتى يثْخِن في الأرض** [آية: ٦٧].

قال مجاهد: الإثخانُ: القتلُ.

وقيل **حتى يثْخِن في الأرض** حتى يبالغ في قتل أعدائه.

وقيل: حتى يتمكن في الأرض.

والإثخان في اللغة: القوة والشدة.

٦٧ - **وقوله** ﷻ: **لولا كتابٌ من الله سبق لمسكُم فيما أخذْتم عذَابٌ عظِيمٌ** [آية: ٦٨]. فيه أقوال:

قال مجاهد: سبق من الله أن أحل لهم الغنائم.

وقال أبو جعفر: ويقوي هذا أنه روى أبو صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أحلت الغنائم لقومٍ سود الرؤوس قبلنا، كانت تنـزل نار من السماء فتأكلها، فلما كان يوم بدر وقع الناس فيما وقعوا فيه، فأنزل الله** ﷻ **لولا كتابٌ من الله سبق** إلى **قوله تعالى: إن الله غَفُورٌ رحِيمٌ** »[2].

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٨٣/١ والترمذي في التفسير ٤٧٦/٨، وقـال الترمـذي: حديث حسن، ورواه الحاكم في المستدرك ٢١/٣ وقال: صحيح الإسناد.

(٢) الحديث أخرجه ذا اللفظ الطبري في جامع البيان ٤٥/١٠، وأصله في الصـحيحين بلفـظ «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلـت لي =

وقيل: سبق من الله ﷻ: أنه يغفر لأهل بدر، ما تقدم من ذنبهم وما تأخر، قال ذلك الحسن، رواه عنه أشعث.

وروى عنه سفيان بن حسين أنه قال: سبق من الله ﷻ أن لا يعذب قوماً إلا بعد تقدمةٍ، ولم يكن تقدم إليهم فيها. وروى سالم عن سعيد بن جبير **لولا كتابٌ من الله سبق** قال: لأهل بدرٍ من السعادة **لمسكم فيما أخذْتم** من الله عذاب عظيم.

وقيل: سبق من الله أنه يغفر الصغائر، لمن اجتنب الكبائر.

٦٨- وقوله ﷻ: يا أيها النبي قُل لمن في أيديكُم من الأسرى إن يعلمِ الله في قُلُوبكُم خيرا يؤتكُم خيرا مما أُخِذَ منكُم.. [آية: ٧٠].

قيل: في الآخرة. وقيل يعوضكم في الدنيا.

وروي عن العباس أنه قال: «أسرت يوم بدرٍ ومعي عشرون أوقية، فأخذت مني، فعوضني الله عشرين عبداً، ووعدني المغفرة».

٦٩- وقوله ﷻ: وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبلُ.. [آية: ٧١].

«خيانتك» أي نقض العهد.

٧٠- وقوله ﷻ: إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالِهم وأنفُسِهم في سبيل الله [آية: ٧٢].

قيل: إنه يقال: هاجر الرجل، إذا خرج من أرض إلى أرض.

وقيل: إنما قيل هجر، وهاجر فلان، لأن الرجل كان إذا أسلم هجره قومه وهجرهم، فإذا خاف الفتنة على نفسه رحل عنهم، فسمي مسيره هجرة.

وقيل: هاجر، لأنه كان على هجرته لقومه وهجر م لـه فهو مهاجر، هجر دار قومه ووطنه وارتحل إلى دار الإسلام، وهما هجرتان. فالمهاجر الأولون الذين هاجروا إلى أرض الحبشة والآخرون الذين هاجروا إلى المدينة إلى وقت الفتح.

وانقطعت الهجرة، لأن الدار كلها دار الإسلام، فلا هجرة، وهذا قول أهل الحديث ومن يوثق بعلمه.

=

الأرض مسجدا وطهورا وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي..» الحديث.

٧١- وقوله ﷻ: والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء.. [آية: ٧٢].

أي من نصر م ووراثتهم.

قال قتادة: كان الرجل يؤاخي الرجل، فيقول: ترثني وأرثك، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله** .

ومعنى «إن لا تفْعلُوه» إن لا تفعلوا النصر والموالاة.

وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس **إلا تفْعلُوه** قال: يقول إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به.

وقال ابن زيد: أي إلا تتركوهم يتوارثون على ما كانوا.

قال مجاهد: هذا منسوخ، نسخه **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض** .

وروي عن عبد الله بن الزبير أنه قال: هذا في العصبات، كان الرجل يعاقد الرجل على أن يتوارثا، فنسخ ذلك، وقيل نسخته الفرائض.

وأكثر الرواة على أن الناسخ له **وأولو الأرحام بعضهم** الآية.

وروى سفيان عن السدي عن أبي مالك قال: قال رجل: نورث أرحامنا المشركين فنـزلت **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض** . وروى يونس عن الحسن قال: «كان الأعرابي لا يرث مهاجراً حتى نزلت **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله** فقد تبين أن معنى الآية أن أهل الأرحام يتوارثون بأرحامهم، دون الذين حالفوهم، ونسخ ذلك ما كان قبله من التوارث بالمخالفة».

انتهت سورة الأنفال

❁ ❁ ❁

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سورة التوبة وهي مدنية

قال سعيد بن جبير: سألت ابن عباس عن سورة براءة فقال: تلك الفاضحة، ما زال ينـزل «ومنهم» و«ومنهم» حتى خفنا ألا تدع أحدا.

وقال يزيد الفارسي عن ابن عباس: سالت عثمان بن عفان- رحمة الله عليه- لم عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فجمعتم بينهما، ولم تفصلوا بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم، وجعلتموها مع السبع الطول؟ فقال مكث رسول الله زمانا، تنـزل عليه السورة ذات العدد- وفي بعض الروايات ذات الآيات- وربما سألته فيقول: «ألحقوها في موضع كذا» وهي تشبه قصة كذا، وكانت براءة من آخر ما نـزل، وذهب عني أن أسأله عنها، فوقّع بقلبي أ ا شبه سورة الأنفال، فجعلتها تليها، ولم أفصل بينهما بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»[1].

قال أبو جعفر: قال أبو إسحاق: حدثني بعض أصحابنا عن صاحبنا «محمد بن يزيد» أنه قال: لم يكتب في أول براءة «بسم الله الرحمن الرحيم» لأن بسم الله افتتاح خير، وبراءةُ أولها وعيد، ونقض للعهود، فلذلك لم يكتب في أولها «بسم الله».

١- قال أبو جعفر: ومعنى براءة: تبرؤ من الله ورسوله **إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر..** [آية: ١-٢].

أي: فيقال لهم: سيحوا في الأرض، أي اذهبوا وجيئو آمنين،، أربعة أشهر، ثم لا أمانَ لكم بعدها

قال مجاهد وقتادة: الأربعة الأشهر: عشرون من ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وشهر ربيع الأول، وعشر من شهر ربيع الآخر.

٢- ثم **قال** ﷻ: **واعلموا أنكم غير معجزي الله..** [آية: ٢].

أي: وإن أُجلتم هذا الأجل، سينصر المسلمون عليكم.

٣- وقوله ﷻ: **وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر..** [آية: ٣].

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٥٧/١ ورواه الترمذي برقم ٤٠٨١، وقال: حديث حسن، وأبو داود في كتاب الصلاة ٢٠٨/١ برقم ٧٨٦ والحاكم في المستدرك٣٣٠/٢ وقال: صحيح الإسناد.

الأذانُ: الإعلام.

روى شعبةُ عن الحَكَم، عن يحيى بن الجزار، قال: خرج علي بن أبي طالب ﷺ إلى العيد، راكبا على دابة، فلقيه رجلٌ، فقال له- وأخذ بلجامه- ما يوم «الحج الأكبر»؟ فقال هو يومك الذي أنت فيه، خل عنها.

وكذلك روي الحديث عن علي.

ورَوَى شعبةُ عن سليمان بن عبد الله بن سِنان قال: سمعت المغيرةَ بن شعبة يخطب على المنبر، وهو يقول: يوم «الحج الأكبر» يوم النحر.

وروى سفيان عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن شداد، قال «الحج الأكبر: يوم النحر والحج الأصغر: العمرة» وقال عبد الملك بن عمير سألت عبد الله بن أبي أوفى عن يوم الحج الأكبر فقال: «يوم تهرق فيه الدماءُ، ويحلق فيه الشعر».

وروى حماد بن يزيد عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: «يوم الحج الأكبر، يوم النحر» وكذلك قال ابن عمر.

ورَوَى غير سِماك، عن عِكْرمةَ، عن ابنِ عباس قال: هو يوم عرفة.

وروى ابن جريجٍ، عن ابن طاووس، عن أبيه قال: هو يوم عرفة.

وكذا قال مجاهد.

وقال ابن سِيرين: الحج الأكبر: العام الذي حج فيه النبي ﷺ اتفق فيه حج المِلَلَ.

قال أبو جعفر: وأولاها القولُ الأولُ لجِلةِ من قاله.

ويدلل على صحته، حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرةَ «بعثني أبو بكر ﷺ، فيمن أذن يوم النحر بمنى، ألا يحج بعد هذا العام مشرك».

وأيضا فإن عرفات قد يأتيها الناس ليلاً، وقولُ النبي ﷺ في حجة الوداع: أي يوم أحرم؟ قالوا: يوم الحج الأكبر، قال: «فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، عليكم حرام، كحرمةِ يومكم هذا».

فدل على أنه يوم النحر، لأن منى من الحرم، وليست عرفات منه، وقول ابن سيرين غَلَطٌ، لأن المسلمين والمشركين حجوا قبل ذلك بعامٍ، ونودي فيهم أن لا يحج بعد ذلك مشرك.

وقد يجوز أن يكون النداءُ كان بمنى، وعرفات، فيصح القولان.

٤- وقوله ﷻ: ﴿إلا الذِينَ عَاهَدتم منَ الْمشركِينَ ثُم لَمْ يَنقُصوكُم شَيئًا﴾.

[آية: ٤].

وقرأ عطاءُ بن يسارٍ «ثُم لم ينقُضوكم شيئًا»(١).

يقال: إن هذا مخصوص، يراد به «بنو ضمرة» خاصة، ثم قال: **فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم** أي وإن كانت أكثر من أربعة أشهر.

وقوله ﷻ: **وخذُوهم** أي أسروهم، ويقال للأسير: أخِيذٌ، **واحصروهم** أي احبسوهم.

٥- وقوله ﷻ: وإنْ أحَد منَ المشركِينَ استَجارَكَ فأجِره حتى يسمَعَ كلامَ الله.. [آية: ٦].

أي استجارك من القتل حتى يسمع كلام الله، فأجِره.

٦- وقوله ﷻ: فمَا استَقاموا لكُم فاستَقِيموا لهم.. [آية: ٧].

أي فما أقاموا على العهد ولم ينقضوه، فأوفوا لهم.

٧- وقوله ﷻ: كَيفَ وإن يَظهَروا عَليكُم.. [آية: ٨].

معناه: كيف يكون لهم عهد، وإن يظهروا عليكم، لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمةً؟

روى سفيان عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: ألإل: الله ﷻ **وروى** ابن جريج عن مجاهد، قال: الإل: العهد.

وقال أبو عبيدة: ألإل: العهد، والذمةُ: التذمم.

وقال قتادة: الحلف، والذمةُ: العهد.

وقال الضحاك: ألإل: القرابةُ، والذمةُ: العهد.

قال أبو جعفر: وهذا أحسنها، والأصلُ في هذا أنه يقال: أُذُنٌ مؤلّلةٌ أي محددة. والألةْ: الحَربةُ، فإذا قيل للعهد إلٌ: فمعناه أنه قد حدد، وإذا قيل للقرابة فمعناه إن أحدهما يحاد صاحبه ويقاربه، وأنشد أهلُ اللغة:

لَعَمرك إن إلكَ من قُرَيش كإل السقْبِ من رَأل النعَامِ(٢)

فأما ما روي عن أبي مِجلز، ومجاهد، أن الإل: الله ﷻ فغير معروفٍ، لأن أسماء

---

(١) هذه من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ١/ ٢٨٣.

(٢) البيت لحسان بن ثابت وهو في ديوانه ٣٩٤/١، والسقْب: ولد الناقة ساعة يولد، والرألُ: ولـد النعام.

الله ﷻ معروفةٌ، والذمةُ: العهد قولٌ معروف، ومنه أهل الذمة، إنما هم أهل العهد، وتذممت أن أفعل: استحييت، فصرت بمنـزلة من عليه عهد.

٨- وقوله ﷻ: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ..﴾ [آية: ١١].

أي فهم مثلكم، قد غفر لهم نقضهم العهد، وكفرهم.

٩- ثم **قال** ﷻ: **﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾** [آية: ١٢].

أي نقضوا وطعنوا في دينكم **﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾** أي رؤساءه.

وقيل: هذا يوجب القتلَ، على من طَعن في الإسلام، وإن كان له عهد، لأن ذلك ينقض عهده.

١٠- ثم **قال** ﷻ: **﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾** [آية: ١٢].

روي عن عمار بن ياسر أنه قال: أي لا عهد لهم. وقرأ الحسن لا إيمانَ لهم[1].

قال أبو جعفر: وقراءته تحتمل معنيين:

أحدهما: لا إسلام لهم على النفي، كما تقول لا علم له.

والمعنى الآخر: أي يكون مصدرا من قولك: آمنته إيمانا، أي لا تؤمنوهم ولكن اقتلوهم.

١١- وقوله ﷻ: **﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ..﴾** [آية: ١٣].

قال مجاهد: قاتلوا حلفاءَ رسول الله. ثم قال: **﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾** ؟ أي أتخشون عاقبتهم؟ **﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾** أي تخشوا عاقبته. ثم وعدهم النصر، وذلك من علامات النبوة، فقال: **﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾** فدل بذا على غيظهم كان قد اشتد.

قال مجاهد: يعني خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ.

١٢- ثم **قال** ﷻ: **﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ..﴾** [آية: ١٥].

وهذا منقطع مما قبله.

١٣- وقوله ﷻ: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا..﴾** [آية: ١٦].

وذلك ا م لما أُمروا بالقتال، تبين نفاق المنافقين.

١٤- ثم **قال** ﷻ: **﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ..﴾** [آية: ١٦].

(١) هذه قراءة ابن عامر، انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٣١٢.

وقد عِلم ذلك غيب، وإنما تقع ا ازاة على العِلْمِ المشاهد.

١٥- ثم قال ﷻ: ﴿وَلَم يَتخِذُوا مِن دون الله وَلا رَسولِهِ وَلا المؤمِنينَ وَليجَةً..﴾ [آية: ١٦].

الوليجةُ: البطانة، من ولَج، يلِج، ولُوجا: إذا دخل، فالمعنى: دخيلةَ مودةٍ، من دون الله ورسوله.

١٦- وقوله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلْمشركِينَ أن يَعمروا مَسَاجِدَ الله..﴾ [آية: ١٧].

هكذا قرأ ابن عباس وهو اختيار أبي عمرو[1]، واحتج بقوله تعالى: **﴿فَلا يَقْرَبوا الْمَسجِدَ الْحَرَامَ بَعدَ عَامِهِم هَذَا﴾** فتحتمل قراءته معنيين:

أحدهما: أن يكون لجميع المساجد.

والآخر: أن يراد به المسجد الحرام خاصة، وهذا جائز فيما كان من أسماء الجنس، كما يقال: قد صار فلانٌ يركب الخيل، وإن لم يركب إلا فرسا.

والقراءة «مساجد» أصوب لأنه يحتمل المعنيين، وقد أجمعوا على قراءة قوله **﴿إنمَا يَعمر مَسَاجِدَ الله﴾**. على الجمع.

١٧- وقوله ﷻ: ﴿أَجَعَلْتم سِقَايَةَ الْحَاج وَعِمَارَةَ الْمَسجِدِ الْحَرَامِ كَمَن آمَنَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ..﴾ [آية: ١٩].

والمعنى: أجعلتم أهلَ سقاية الحاج، كما قال: **﴿وَاسأَل الْقَريَةَ﴾**.

ومن قرأ **﴿أَجَعَلْتم سقاةَ الحَاجِّ[2] وعَمَرَةَ المَسجِد الحَرَامِ﴾** فهو عنده على غير حذف.

قال الشعبي: نـزلت في علي بن أبي طالب، والعباس.

وقال الحسن: نـزلت في علي، والعباس، وعثمانَ بن طَلْحةَ الحَجِبي، وشيبة.

وقال محمد بن سيرين: خرج علي بن أبي طالب رحمة الله عليه، من المدينة إلى مكة، فقال للعباس: يا عم ألا اجر؟ ألا تمضي إلى النبي ﷺ؟ فقال: أنا أعمر البيت، وأحجبه، فنزلت **﴿أَجَعَلْتم سِقَايَةَ الْحَاجِ..﴾** إلى آخر الآية.

١٨- وقوله ﷻ: ﴿أعظَم دَرَجَةً عِندَ الله..﴾ [آية: ٢٠].

---

(١) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وانظر السبعة لابن مجاهد ٣١٣/١، والنشر في القراءات العشـر لابن الجزري ٢٧٨/٢.

(٢) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٨٥/١.

أي من غيرهم، أي أرفع منـزلة، من سقَاةِ الحاج، وعمار المسجد الحرامِ، والجهاد **هم الْفَائِزونَ** بالجنة، الناجون من النار، والفايز: الذي ظفر بأمنيته.

١٩- ثم **قال** ﷻ: **يبَشرهم رَبهم بِرَحمَةٍ منه وَرِضوَانٍ..** [آية: ٢١].

أي يعلِمهم في الدنيا ولهم في الآخرة.

٢٠- وقوله ﷻ: **لقَد نَصَرَكُم الله فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ..** [آية: ٢٥].

أي في أماكن ومنه: استوطَن فلان المكان أي أقام به.

٢١- ثم **قال** ﷻ: **وَيَومَ حنَينٍ إِذْ أَعجَبَتكُم كَثْرَتكُم..** [آية: ٢٦].

أي ونصركم يوم حنين.

قال قتادة: حنين: اسم ماءٍ بين مكة، والطائف، قال: «وكان النبي ﷺ في اثني عشر ألفًا من المهاجرين والأنصار، وألفين من الطلقاء، فقال رجل: لن تغلبوا اليوم، فتفرق أكثرهم» ثم دعا النبي ﷺ فأُجِيب ونصِر، فأعلَمهم الله ﷻ أ م لم يغلِبوا من كثرةٍ، وإنما يغلبون بأن ينصرهم الله.

٢٢- وقوله ﷻ: **يَا أَيهَا الذِينَ آمَنوا إِنمَا الْمشرِكُونَ نَجَس..** [آية: ٢٨].

يقال لكل مستقْذِرٍ: نجس، فإذا قلت رِجس، نِجس، كشرت الراء، وأسكنت الجيم.

٢٣- وقوله ﷻ: **فَلا يَقْرَبوا الْمَسجِدَ الْحَرَامَ بَعدَ عَامِهِم هَذَا..** [آية: ٢٨].

روى ابن جريج عن عطاء، قال: يريد بالمسجد الحرام الحَرم كُله.

وروى ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر **إِنمَا الْمشرِكُونَ نَجَس فَلا يَقْرَبوا الْمَسجِدَ الْحَرَامَ** إلا أن يكون عبد أو أحد من أهل الجزية.

وهذا مذهب الكوفيين أن المشركين في الآية يراد بم: من ليس له عهد وأن ذلك في سائر المساجد.

ومذهب المدنيين أن الآية عامة لجميع الكفار، وأنه يحال بينهم وبين جميع المساجد.

ومذهب الشافعي: أن المشركين هاهنا عام أيضا، كقول مالك، إلا أنه قال: إنما ذلك في المسجد الحرام خاصة.

ومذهب المدنيين في هذا أحسن، لقول الله ﷻ: **فِي بيوتٍ أَذِنَ الله أَن ترفَعَ** [النور: ٣٦] أي تصان، فيجب على هذا أن ترفع عن دخولهم، لأ م لا يعظمو ا في دخولهم.

٢٤- وقوله ﷻ: **وَإِنْ خِفْتم عَيلَةً..** [آية: ٢٨].

والعيلةُ: الفقْر، يقال: عالَ، يعِيلُ، عيلةً، ومنه **﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾**.

وقال علقمة في مصحف عبد الله بن مسعود **﴿وَإِنْ خِفْتُم عَائِلَةً﴾** (١) ومعناه خصلة شاقةً، يقال: عالني الأمر يعولني: أي شق علي، واشتد.

٢٥- وقوله ﷻ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤمِنونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَومِ الآخِرِ..﴾ [آية: ٢٩].

المعنى: قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله إيمان الموحدين، لأن أهل الكتاب يؤمنون بالله، ويقولون: له ولد، تعالى عن ذلك.

ويؤمنون بالآخرة، ويقولن: لا أكل فيها ولا شراب، فهذا خلاف على ما أمر الله له ﷻ.

٢٦- ثم **قال** ﷻ: **﴿وَلاَ يَدِينونَ دِينَ الْحَق﴾** [آية: ٢٩].

قال أبو عبيدة: مجازةُ: ولا يطيعون طاعة الحق.

قال أبو جعفر: أي طاعةَ أهلِ الإسلام، وكل مطيعٍ مِلكًا، فهو دائن له، يقال: دانَ فلانٌ لفلانٍ.

قال زهير:

لِئن حَلَلْتَ بِجَوٍ في بنــي **أسدٍ** في **دين عَمرو، وحَالَت دونَنا فَدَكُ**(٢)

٢٧- ثم **قال** ﷻ: **﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتوا الْكِتَابَ..﴾** [آية: ٢٩].

وهم اليهود والنصارى، وسن رسولُ الله ﷺ في ا وس أن يجروا مجراهم.

٢٨- ثم **قال** ﷻ: **﴿حَتى يعطُوا الْجِزيَةَ عَن يَدٍ وَهم صَاغِرونَ﴾** [آية: ٢٩].

روى أبو صالح عن ابن عباس في قوله ﷻ: **﴿وَهم صَاغِرونَ﴾** قال: يمشون با ملبين.

وروى عطاء عن أبي البختري(٣) عن سلمان قال: مذمومين.

وروى محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة **﴿عَن يَدٍ﴾** قال: عن مهرٍ.

---

(١) هذه من القراءات الشاذة، ذكرها ابن جني في المحتسب ٢٨٧/١.

(٢) البيت في ديوانه ١٨٣، وفي جمهرة الأشعار، والطبري ١٠٩/١٠، والجمهرة ٣٦/٢، و«فدك» قرية في وادي القرى، و«جو» وادٍ من الأودية يقول: لئن حللت بحيث لا أدركك، ليصلن إليك هجوى، ولأدنسن به عرضك.

(٣) أبو البختري هو سعيد بن فيروز الطائي الكوفي، تابعي ثقة، قال أبو حاتم: ثقة صدوق توفي ســنة ١٨٣ هــ، انظر ذيب التهذيب ٧٣/٤.

وقيل: معنى ﴿يدٍ﴾ عن إنعام يدٍ، أي عن إنعام منكم عليهم، لأ م إذا أُخِذت منهم الجزية فقد أُنعم عليهم بذلك.

وقيل- وهو أصحها- يؤدو ا بأيديهم، ولا يوجهون با، كما يفعل الجَبارون.

وقال سعيد بن جبير: يدفعها وهو قائم، والذي يأخذُها منه جالس.

وأكثر أهل اللغة على أن المعنى عن قهرٍ وذلةٍ كما تقول: اليد في هذا لفلانٍ.ومذهب الشافعي في أن تؤخذْ الجزية منهم، وأحكام المسلمين جاريةً عليهم.

ثم قال تعالى: **وَهم صَاغِرونَ** .

قال أبو عبيدة: الصاغِر: الذليلُ الحقير.

وقال غيره: الذي يتلْتلُ، ويعنف به.

٢٩- ثم **قال** ﷻ: **ذَلكَ قَولُهم بِأفْوَاهِهم..** [آية: ٣٠].

يقال: قد علم أن القول بالفم، فما الفائدة في قوله تعالى **بِأفْوَاهِهم** ؟ والجواب عن هذا: أنه لا بيان عندهم، ولا برهان لهم، لأ م يقولون: اتخذ الله صاحبة، ويقولون: له ولد، وقولهم بلا حجة.

٣٠- ثم **قال** ﷻ: **يضَاهونَ قَولَ الذِينَ كَفَروا مِن قَبلُ** [آية: ٣٠].

أي يشابون ويقتفون ما قالوا.

ويقرأ **يضَاهِئُونَ** [(١)] والمعنى واحد، يقال: امرأةٌ ضهيا، مقصور، وضهياءُ: ممدود غير مصروف إذا كانت لا تحيض.

ويقال: هي التي لا ثدي لها.

والمعنى أ ا قد أشبهت الرجال في هذه الخصلة، فمن جعل الهمزة أصلاً، قال **يضَاهِئُونَ** ومن جعلها زائدة- وهو أجود- قال **يضَاهُونَ** .

٣١- ثم **قال تعالى**: **قَاتَلهم الله أنى يؤفَكُونَ** [آية: ٣٠].

فخوطبوا بما يعرفون، أي يجب أن يقال لهم هذا.

ثم قال **أنى يؤفَكُونَ** ؟ أي من أن يصرفون عن الحق بعد البيان؟

٣٢- ثم **قال** ﷻ: **اتخَذُوا أحبَارَهم وَرهبَانَهم أربَابا من دون الله..** [آية:٣١].

---

(١) قراءة يضاهئون بالهمز، هي قراءة عاصم وحده، و﴿يضاهون﴾ بغير همز هي قراءة بقية القـراء، انظر السبعة لابن مجاهد ص ٣١٤.

روى الأعمش، وسفيان عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي البختري، قال: سئِل حذَيفةُ عن قول الله ﷻ: **اتخَذُوا أحبَارَهم وَرهبَانَهم أربَابا من دون الله** هل عبدوهم؟ فقال: لا، ولكنهم أحلوا لهم الحرام فاستحلوه، وحرموا عليهم الحلال فحرموه.

حدثنا أبو جعفر قال: نا أبو القاسم «عبد الله بن محمد بن بنت أحمد بن منيع» قال: نا الحِماني، قال: نا عبد السلام بن حرب، عن غُضيف- وهو ابن أعين- عن مصعب بن سعدٍ عن عدي بن حاتم قال: أبصر النبي ﷺ في رقبتي صليبا من ذهب، فقال: اطرح هذا عنك!! قال: وسئل عن قوله تعالى: **اتخَذُوا أحبَارَهم وَرهبَانَهم أربَابا من دون الله** ؟ قال: أما إ م ما كانوا يعبدو م، ولكن كانوا يحلون لهم ما حرم الله عليهم، فيستحلونه، ويحرمون عليهم ما أحل الله لهم فيحرمونه[1].

٣٣- وقوله ﷻ: وَالذِينَ يَكْنـزونَ الذهَبَ وَالْفِضةَ وَلاَ ينفِقُونَهَا فِي سَبِيل الله [آية: ٣٤].

يجوز أن يكون المعنى: ولا ينفقون الكنوز، لأن الكنوز تشتمل على الذهب والفضة هاهنا.

ويجوز أن يكون لأحدهما، كما قال: **وَاللهُ وَرَسولُه أحَق أن يرضوه** [التوبة:٦٢].

وفي هذه الآية: أقوال:

رَوى عكرمة عن ابن عباس، وعطية ونافع عن ابن عمر أ ما قالا: «ما أُديت زكاته فليس بكنـز».

ويقوي ذلك أن **ابن جريج** روى عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا أديت زكاةَ مالك فقد أذْهَبتَ شره عنك**»[2].

وقيل: إن هذه الآية نـزلت في المشركين.

وقال أبو هريرة: «من خلف عشرة آلاف، جعِلَت صفائح، وعذب ا، حتى ينقضي الحساب».

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٥٠٩٣، وقال: هذا حديث حسن غريب، ولفظه عـن عدي بن حاتم قال: «أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال يا عدي: اطرح عنك هذا الوثن، وسمعته يقرأ في سورة براءة اتخذوا أحبارهم ورهبا م أربابا من دون اللـه ، وأخرجـه الطبري في جامع البيان ١١٤/١٠.

(٢) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة، وابن المنذر.

وقال أبو أمامة: «من خلف بيضاء، أو صفْراء، كُوِي بها، مغفورا له أو غير مغفور له، وإن حلية السيف من ذلك».

وروى موسى بن عبيدة، عن عمرانَ بن أبي أنس، عن مالك ابن أوس بن الحَدثان، عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «**من جَمَعَ دينارا،أو درهمًا، أو تبرا، أو فضةً، لا يعده لغريمٍ، ولا ينفقه** في **سبيل الله، فهو كنـز يكْوَى به يومَ القيامة**»[1].

وقال معاوية: نزلت في أهل الكتابِ، فرد عليه أبو ذر وقال: نـزلت فينا وفيهم.

وحديثُ ابن عمر في هذا حسن، على توقيه، وهو جيد الإسناد رواه مالك، وأيوب، وعبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر.

وقد روي أيضا عن عمر أنه قال: «ليس كنـزا ما أديت زكاته».

وكذلك قال سعيد بن المسيب، وعمر بن عبد العزيز، إلا أنه قال: أراها منسوخة، لقوله تعالى **خذْ مِن أموَالِهم صَدَقَةً تطَهرهم وَتزَكيهم بِهَا** وليس في الخبر ناسخ ولا منسوخ.

ورَوَى أبو الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال: «**ما من عبدٍ لا يؤدي زكاة ماله إلا أتى له** بماله، **فأُحمِيَ عليه** في **نار جهنم، فتكوي به جنباه، وجبهته، وظهره،** حتى يحكم **الله** بين **عباده..**»[2] وذكر الحديث.

٣٤- وقوله ﷻ: إن عِدةَ الشهورِ عِندَ الله اثْنَا عَشَرَ شَهرا فِي كِتَابِ الله يَومَ خَلقَ السمَاوَاتِ وَالأرضَ مِنهَا أربَعَةٌ حرم.. [آية: ٣٦].

الأربعة الحرم: «المحرم، ورجب، وذو القعدة، وذو الحجة».

ثم **قال ﷻ: ذَلكَ الدين الْقَيم** .

الدين هاهنا: الحساب، أي ذلك الحساب الصحيح، والعدد المستوفَى.

وعن ابن عباس ذَلكَ الدين الْقَيم قال: القَضاءُ القيّم.

وقال أبو عبيدة: أي القائم.

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه ابن أبي شيبة، وابن مردويه عن أبي ذر مرفوعا ولفظـه» في الإبـل صدقتها، وفي البقر صدقتها، وفي الغنم صدقتها. فمن ربع دينارا أو درهما..» الحديث.

(٢) الحديث أخرجه مسلم ٦٨٢/٢ بلفظ: «ما من صاحب كنـز لا يؤدي زكاته إلا أُحمي عليـه في نار جهنم، فيجعل صفائح، فيكوي بها جنباه وجبينه، حتى يحكم الله بن عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار».

فَلا تَظْلِموا فِيهن أنفُسَكُم [آية: ٣٦].

أكثر أهل التفسير على أن المعنى: فلا تظلموا في الأربعة أنفسكم، وخصها تعظيما كما قال: **فَلا رَفَثَ وَلا فُسوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَج** [البقرة: ١٩٧].

وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران.

عن ابن عباس **فَلا تَظْلِموا فِيهن أنفُسَكُم** في الاثني عشر.

وروى قيس بن مسلم، عن الحسن بن محمد بن الحنفية، قال: فيهن كلهن.

٣٥- وقوله ﷻ: إنمَا النسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْر.. [آية: ٣٧].

النسيء: التأخير، ومنه: نسأ الله في أجلك.

٣٦- ثم قال ﷻ: يضَل بِهِ الذِينَ كَفَروا.. [آية: ٣٧].

قال الزهري، وقتادة، والضحاك، وأبو وائل، والشعبي: كانوا ربما أخروا تحريم المحرم إلى صفر.

قال قتادة: وكانوا يسمو ا: الصفَرين.

وقال مجاهد: كان لهم حساب يحسبون، فربما قالوا لهم: الحج في هذه السنة في المحرم، فيقبلون منهم. ودل على هذا قوله تعالى: **وَلا جِدَالَ فِي الْحَج** أي إنه في ذي الحجة.

قال أبو جعفر: وأبين ما في هذا ما حدثناه بكر بن سهل، قال: نا أبو صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس **إنمَا النسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْر** قال: كان جنادةُ بن أُمية يوافي الموسم كل عام، وكان يكنى «أبا ثُمامة» فينادى: ألا إن أبا ثُمامة لا يخاب ولا يعاب، ألا وإن صفر العامِ الأول العام حلالٌ، فيحله للناس، ويحرم المحرم عاما، فذلك قول الله ﷻ **إنمَا النسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْر** الآية، قال: والنسيء تركهم المحرم عاما، وعاما يحرمونه.

وقرأ الحسن يضِل بِهِ الذِينَ كَفَروا (١) يعني بالذين كفروا الحُساب، الذين يقولون لهم هذا.

ويروى عن عبد الله بن مسعود **يضَل بِهِ الذِينَ كَفَروا** أي يضِل به الذين

(١) هذه قراءة يعقوب كما في النشر ٢٧٩/٢، يقول ابن الجزري: قرا حمزة، والكسـائي، وخلـف، وحفص يضل بِهِ بضمة الياء وفتح الضاد، وقرأ يعقوب يضِل بِهِ بضم الياء وكسر الضـاد، وقرأ الباقون يضِل بِهِ بفتح الياء وكسر الضاد. اهـ. وأما قراءة يضل بفتح الياء والضـاد فعدها ابن جني في المحتسب من الشواذ.

يقبلون من الحُساب.

ويحتج لمن قال بالقول الأول بقوله ﷻ **يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله..** أي ليوافقوا، فيحرموا أربعة، كما حرم الله ﷻ.

٣٧- وقوله ﷻ: يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض [آية: ٣٨].

قال مجاهد: في غزوة تبوك، أُمروا بالخروج في شدة الحر، وقد طابت الثمار، وقالوا إلى الظلال.

٣٨- ثم قال ﷻ: أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة.. [آية: ٣٨].

أي أرضيتم بنعيم الحياة الدنيا، من نعيم الآخرة!

فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليلٌ

والمتاع: المنفعة والنعيم.

٣٩- وقوله ﷻ: إلا تنصروه فقد نصره الله إذْ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذْ هما في الغار [آية: ٤٠].

قال الزهري: خرج هو وأبو بكر، ودخلا غارا في جبل ثور، فأقاما فيه ثلاثًا.

والمعنى: فقد نصره الله ثاني اثنين، أي نصره الله منفردا، إلا من أبي بكر رضي الله عنه.

٤٠- وقوله ﷻ: فأنزل الله سكينته عليه [آية: ٤٠].

يجوز أن تكون تعود على «أبي بكر» والأشبه -على قول أهل النظر- أن تكون تعود على أبي بكر، لأن النبي ﷺ قد كانت عليه السكينةُ، وهي السكونُ والطمأنينةُ، لأنه ﷻ أخبر عنه أنه قال **لا تحزنْ إن الله معنا** وسأذكر هذا في الإعراب على غاية الشرح.

٤١- وقوله ﷻ: انفروا خفافًا وثقالاً.. [آية: ٤١].

في معنى هذا أقوالٌ منها:

أن أنس بن مالك روى أن «أبا طلحة» تأولها: شبابا، وشيوخا.

وقال المقداد: لا أجدني ألا مخفّا أو مثقلاً.

وقال الحسن: في العسر واليسر.

وروى سفيان عن حصين بن عبد الرحمن عن أبي ملكٍ الغفاري قال: أول ما نزل من سورة براءة **انفروا خفافًا وثقالاً** وقال أبو الضحى: كذلك أيضا ثم نزل أولها وآخرها.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد **﴿انفِروا خِفَافًا وَثقَالاً﴾** قال: فيه الثقيلُ، وذو الحاجةِ، والضّيعةِ، والشغل، وأنــزل الله ﷻ **﴿انفِروا خِفَافًا وَثقَالاً﴾**.

وروى سفيان عن منصور في قوله **﴿انفِروا خِفَافًا وَثقَالاً﴾** قال: مشاغِيلَ، وغير مشاغِيلَ.

وقال قتادة: ومذهب الشافعي: ركبانا ومشاةً.

وقال قتادة: نشاطًا وغير نشاطٍ.

وقال زيد بن أسلم: المثقلُ: الذي له عيالٌ، والمخف: الذي لا عيال له.

وهذا حين كان أهل الإسلام قليلاً، ثم نــزل **﴿وَمَا كَانَ الْمؤمِنونَ لِيَنفِروا كَافةً﴾** [آية: ١٢٢].

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال متقاربة.

والمعنى: انفروا على كل الأحوال.

ومن أجمع هذه الأقوال قولُ الحسن.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن محمد الكناني بالأنبار، قال: نا نصر بن علي، قال: أخبرني أبي قال: نا شعبةُ عن منصور بن زاذان عن الحسن **﴿انفِروا خِفَافًا وَثقَالاً﴾** قال: في العسر واليسر.

وقولُ أبي طلحة حسن، لأن الشاب تخف عليه الحَرَكَةُ، والشيخ تثقل عليه.

٤٢- وقوله ﷻ: ﴿لَو كَانَ عَرَضا قَرِيبا وَسَفَرا قَاصِدا لاتَبَعوكَ..﴾ [آية: ٤٢].

العرض: ما يعرض من منافع الدنيا، أي لو كانت غنيمةً قريبة، وسفرا قاصدا أي سهلاً، لاتبعوك **﴿وَلَكِن بَعدَت عَلَيهم الشقةُ﴾** والشقة: الغايةُ التي يقصد إليها.

٤٣- وقوله ﷻ: ﴿عَفَا الله عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهم حَتى يَتَبَينَ لَكَ الذِينَ صَدَقُوا وَتَعلَمَ الكَاذِبِينَ﴾ [آية: ٤٣].

أي حتى يتبين من نافق، ومن لم ينافق.

قال مجاهد: هؤلاء قوم قالوا: نستأذِنُ في الجلوس، فإن أُذِنَ لنا جلَسنا، وإن لم يؤذَن لنا جلَسنا.

وقال قتادة: نسخ هذه الآية بقوله في سورة النور **﴿فَإِذَا استَأذَنوكَ لِبَعض شَأنِهم فَأذَن لِمَن شِئتَ مِنهم﴾** [النور: ٦٢].

ثم بين أن أمارة الكفر، الاستئذان في التخلفِ فقال تعالى: **﴿لا يَستَأذِنكَ الذِينَ**

يؤمنونَ بِاللهِ وَالْيومِ الآخِرِ أن يجَاهدوا بِأموَالِهم وَأنفُسِهم [آية: ٤٤].

٤٤- وقوله ﷻ: وَلو أرَادوا الخروجَ لأعَدوا له عدةً وَلَكِن كَرِهَ الله انبِعَاثَهم فَثَبطَهم.. [آية: ٤٦].

التثبيط: رد الإنسان عما يريد أن يفعله.

٤٥- وقوله ﷻ: لَو خَرَجوا فِيكُم ما زَادوكُم إلا خَبَالاً.. [آية: ٤٧].

الخبالُ: الفساد، وذهاب الشيء.

٤٦- ثم **قال ﷻ: ولأوضَعوا خِلالَكُم يَبغونَكُم الفِتنَةَ..** [آية: ٤٧].

الإيضاع: سرعةُ السير.

قال أبو إسحاق: معنى **خِلالَكُم** فيما يخِل بكم.

وقال غيره: بينكم.

وقيل: الفتنة هاهنا: الشرك.

٤٧- ثم **قال ﷻ: وَفِيكُم سَماعونَ لَهم..** [آية: ٤٧].

فيه قولان:

أحدهما: فيكم من يستمع ويخبرهم بما يريدون.

والقول الآخر: فيكم من يقبل منهم، مثل «سمِع الله لمن حمِده».

والقول الأول أولى، لأنه الأغلب من معنييه، أن معنى سماع: يسمّع الكلام، ومثله **سَماعونَ لِلكَذِبِ** .

والقول الثاني: لا يكاد يقال فيه إلا «سامع» مثل قائل.

٤٨- وقوله ﷻ: وَمِنهم من يَقُولُ ائْذَن لي وَلا تَفْتِني.. [آية: ٤٩].

فيه قولان:

قال الضحاك: ولا تكفرني، وكذلك قال قتادة: أي: ولا تؤثمني.

ومعناه: لا تؤثمْني بالخروج، وهو لا يتيسر لي، فإذا تخلفت أثمْت.

والقول الآخر: وهو قول مجاهد أنه قيل لهم: تغزون فتغنمون بنات الأصفر، فقال بعضهم: لا تفتني ببنات الأصفر.

قال أبو إسحاق: في «الجَد بن قيس» أحد بني سلمة وهو الذي قال هذا.

٤٩- وقوله ﷻ: إن تصِبكَ حَسَنةٌ تَسؤهم.. [آية: ٥٠].

أي إن تظفر وتغنم يسؤوهم ذلك **وَإن تصِبكَ مصِيبَةٌ** تهزم **يَقُولُوا قَد أَخَذْنَا أَمرَنَا مِن قَبلُ** أي قد أخذنا بالحزم، إذ لم نخرج كذلك.

وقال مجاهد: معناه: حَذِرنَا.

٥٠- وقوله ﷻ: قُل لن يصِيبَنَا إلا مَا كَتَبَ الله لَنَا.. [آية: ٥١].

في معناه قولان:

أحدهما: إلا ما قدر الله علينا.

والآخر: إلا ما أخبرنا به في كتابه، من انا نقْتل، فنكونُ شهداء، أو نقتلُكُم.

وكذلك معنى **قُلْ هَلْ تَرَبصونَ بِنَا إلا إحدَى الحسنَيين..** [آية: ٥٢].

٥١- وقولُه ﷻ: فَلاَ تعجِبكَ أَموَالُهم وَلاَ أولادهم إنمَا يريد الله لِيعَذبَهم بِهَا فِي الحَيَاةِ الدنيَا.. [آية: ٥٥]. فيه تقديم وتأخير.

المعنى: فلا تعجبك أموالُهم ولا أولادهم، في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم في الآخرة وهذا قول أكثر أهل العربية.

ويجوز أن يكون المعنى: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا، لأنهم منافقون، فهم ينفقون كارهين، فيعذبون بما ينفِقون.

ثم قال **وَتزهَقَ أنفُسهم** أي تخرج.

٥٢- وقولُه ﷻ: لو يَجِدونَ مَلْجَأً أو مَغَارَاتٍ أو مدخَلاً لَوَلوا إليهِ وَهم يَجمَحونَ [آية: ٥٧].

قال قتادة: الملجأُ: الحصونُ. والمغارات: الغِيرانُ.

والمدخلُ: الأسراب.

قال أبو جعفر: وهذا قول حسن عند أهل اللغة، لأنه يقال للحصن: ملجأ، ولَجأٌ، والمغارات من غَار يغور: إذا استتر.

وتقرأ **أو مدخلاً** بتشديد الدال والخاء، وتقرأ **أو مدخلاً** وتقرأ **أو مَدخلاً** [1].

ومعانيها متقاربة، إلا أن «مدخلاً» من دخل يدخلُ، و«مدخلاً» من أدخلَ يدخِلُ، أي لو يجدون قوما يدخِلُونهم في جملتهم، أو قوما يدخلُون معهم، أو مكانا يدخلونَ فيه **لَوَلوا**

---

(١) قرأ يعقوب «أو مدخلاً» بفتح الميم وإسكان الدال مخففة، وقرأ الباقون أو مدخلاً بضم الميم، وفتح الدال مشددة، انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٧٩/٢.

إليه أي لو وجدوا أحد هذه الأشياء «لَولوا إليه وهم يجمحون» أي يسرعون، لا يرد وجوههم شيءٌ.

ومنه: فَرس جموح.

٥٣- وقوله ﷻ: وَمِنهم من يَلْمِزكَ فِي الصدَقَاتِ فَإِنْ أُعطُوا مِنهَا رَضوا.. [آية: ٥٨].

قال مجاهد: أي يروزك، ويسألك.

وقال قتادة: أي يطعن عليك.

قال أبو جعفر: والقولُ عند أهل اللغة قولُ قتادة، يقال: لَمزه، يلْمِزه: إذا عابه. ومنه: فلانٌ همزةٌ لُمزةٌ: أي عياب للناس:

ويقال: اللمزة هو الذي يعيب في سر، وإن الهمزة هو الذي يشير بعينيه.

٥٤- وقوله ﷻ: إِنمَا الصدَقَات لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ [آية: ٦٠].

قال قتادة: الفقير: المحتاج الذي له زمانةٌ، والمسكين: الصحيح المحتاج.

وقال مجاهد والزهري: الفقير: الذي لا يسألُ، والمسكين: الذي يسألُ.

حدثنا محمد بن إدريس بن أسود، قال: نا يونس، قال: أنبانا ابن وهب: قال: أخبرني جرير بن حازم، عن علي بن الحكم بن الحَكَم، عن الضحاك، قال: «الفقراءُ: من المهاجرين، والمساكين: من الأعراب».

قال وكان ابن عباس يقول: الفقراءُ: من المسلمين، والمساكين، من أهل الذمة.

قال أبو جعفر الذي قاله الزهري ومجاهد حسن، لأن المسكين مأخوذ من السكون والخضوع، فالذين يسألون يظهر عليهم السكونُ والخضوع.

وإن كان الذي يسألُ، والذي لا يسألُ، يجتمعان في اسم الفقر، فإن الطي يظهر عليه مع الفقر ما ذكرنا.

وفقير في اللغة: إنما يعرف بأن يقال إلى كذا.

فالمعنى، والفقراء إلى الصدقة، ومسكين عليه ذلةٌ، لأنه قد يكون به فقر إليها، ولا ذلة عليه فيها.

وقال أهلُ اللغة: لا نعلم بينهم اختلافًا.

الفقير الذي له بلْغةٌ، والمسكين: الذي لا شيءَ له.

وأنشدوا:

أما الفقير الذي كانت حَلُوبته   وَفْقَ العِيَال فلم يترك له سَبَد[(١)]

وقال يونس: قلت لأعرابي: أفقير أنت؟ فقال: لا بل مسكين.

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «**ليسَ المسكِين بالطوافِ، الذي ترده اللقمةُ واللقْمَتان، والتمرةُ والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يَسأل، ولا يفْطَن له فيعطَى، ولا يجد غنى يغنيه**»[(٢)].

قال أبو جعفر: قال علي بن سليمان: الفقير: مشتق من قولهم: فَقَرت له فَقْرةً من مالي، أي أعطيته قطعةً، فالفقير على هذا الذي له قطعةٌ من المال. والمسكين: مأخوذٌ من السكون، كأنه بمنـزلة من لا حركةَ له.

وقال بعض الفقهاء: المسكين: الذي له شيء، واحتج بقول الله ﷻ: **﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾** [الكهف: ٧٩].

قال أبو جعفر: وهذا الاحتجاج لا يلزم، لأنك تقولُ: هذا التمر لهذه النخلة، وهذا البيت لهذه الدار، لا تريد المِلْك، فيجوز أن يكون قيل «لمساكين» لأنهم كانوا يعملون فيها.

وقد قيل: إنه إنما هو تمثيلٌ، كما قال النبي ﷺ لبعض النساء: «**يا مسكينةُ عليكِ السكِينةُ**»[(٣)].

٥٥- ثم **قال** ﷻ: **﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾** [آية: ٦٠].

وهم السعاة ومن كان مثلهم.

٥٦- ثم **قال تعالى**: **﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾** [آية: ٦٠].

قال الشعبي: هؤلاء كانوا في وقت النبي ﷺ يتألفُون، فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه زالَ هذا.

قال أبو جعفر: حديثُ الشعبي إنما رواه عنه جابر الجُعفي، وقد قال يونس: سألت الزهري قال: لا أعلم أنه نسخ من ذلك شيءٌ.

---

(١) البيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص٦٤، وفي شرح المفضليات لابن الأنباري ٢٣٥ والمخصص ٢٨٥/١٢،والسبد: الوبر والشعر، والعرب تقول: ماله سبد ولا لبد أي ما له ذو وبر ولا صوف، يكنون به عن الإبل والغنم.

(٢) الحديث متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الزكاة ١٥٤/٢، ومسلم ٩٥/٣، ومالك في الموطأ ٩٢٣/٢، وأبو داود في الزكاة برقم ١٦٣١، والنسائي في الزكاة ٨٥/٥.

(٣) الحديث رواه الطبراني، في باب الرضخ للنساء، ورجالُه ثقات، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤/٦.

فعلى هذا، الحُكْم فيهم ثابت، فإن كان أحد يحتاج إلى تألفِه، ويخاف أن يلحق المسلمين منه آفةٌ أو يرجى أن يحسن إسلامه بعد، دفع إليه.

٥٧- ثم قال ﷻ: وَفِي الرِّقَابِ [آية: ٦٠].

أي وفي فك الرقاب.

قيل: هم المُكاتِبونَ.

وقيل: تبتاع الرقاب فيكونُ الولاءُ للمسلمين.

٥٨- ثم قال ﷻ: وَالْغَارِمِينَ.. [آية: ٦٠].

قال مجاهد: «هم الذين أحرقت النار بيو م، وأذهب السيل مالهم فأدانوا لعيالهم».

وروي عن ابن أبي جعفر، ومجاهد، وقتادة، قالوا: الغارم: من استدان لغير معصية.

قال أبو جعفر: وهذا لا يكون غيره، لأنه إذا كان ذا دينٍ في معصيةٍ، فقُضي عنه، فقد أُعِين على المعصية.

والغرم في اللغة: الخُسران، فكأن المستدين لا يجد قضاء دينه، قد خسر ماله، ومنه: **إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا** [الفرقان: ٦٥] أي هلاكًا وخسرانا.

ثم قال تعالى: **وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ** أي في طاعة الله، أي للمجاهدين، والحُجاج **وَابْنِ السَّبِيلِ**.

روى جابر عن أبي جعفر أنه قال: هو ا تاز من أرضٍ إلى أرض.

قال أبو جعفر: والسبيلُ في اللغة: الطريق، فابن السبيل هو الذي قُطعت عليه الطريق، أو جاء من أرض العدو، وقد أُخِذَ مالُه.

قال الفقهاء: أبناء السبيل الغائبون عن أمولهم، الذين لا يصلون إليها، لبعد المسافة بينهم وبينها، حتى يحتاجوا إلى الصدقة، فهي إذْ ذاك لهم مباحةٌ، فقد صاروا إلى حكم من لا مالَ له.

روى المنهال بن عمرو، عن زر بن حبيش، عن حذيفة في قوله تعالى: **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ**.

قال: إنما ذكر الله هذه الصدقَات لتعرف، وأي صنفٍ أعطيت منها أجزاك.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** قال: في أيها وضعت أجزأ عنك.

٥٩- وقوله ﷻ: وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ.. [آية: ٦١].

قال مجاهد: هؤلاء قوم من المنافقين، ذكروا النبي ﷺ، فقالوا: نقول فيه، فإن بلَغه ذلك حلفنا له فَصدقَنا. وكذلك الأذنُ في اللغة: يقالُ: هو أُذُنٌ: إذا كان: يسمع ما يقالُ له ويقْبلُه. فالمعنى: إن كان الأمر على ما يقولون، أن يكون قريبا منكم يقبل اعتذاركم.

٦٠- ثم **قال** ﷻ: **قُلْ أُذُنُ خَيرٍ لكُم** [آية: ٦١].

أي إن كان كما قلتم. ثم أخبر أنه يؤمن بالله.

ومن قرأ **قُلْ أُذْنُ خَيرٍ لكُم** (١) ذَهب إلى أن معناه: قل هو مستمع خيرٍ لكم.

٦١- وقوله ﷻ: **وَاللهُ وَرَسولُه أَحَق أَن يرضوه..** [آية: ٦٢].

المعنى عند سيبويه: واللهُ أحق أن يرضوه، ورسولُه أحق أن يرضوه، ثم حذِف، كما قال الشاعر:

نَحن بِمَا عِندَنا وَأَنتَ بِمَا عِندَكَ رَاضٍ، والرأي مختَلِف(٢)

وقال أبو العباس: هو على غير حذفٍ، والمعنى: واللهُ أحق أن يرضوه ورسولُه.

وقال غيرهما: المعنى: ورسولُ الله أحق أن يرضوه، وقولُه ﷻ **واللهُ** افتتاح كلامٍ، كما تقول: هذا للهِ ولك.

٦٢- وقوله ﷻ: **أَلم يَعلَموا أنه مَن يحَادِدِ الله وَرَسولَه..** [آية: ٦٣].

معناه يعادي ويجانب، يقال: حاد فلانٌ، أي صار في حد غير حده.

٦٣- وقوله ﷻ: **يَحذَر المُنَافِقُونَ أَن تنـزلَ عَلَيهم سورَةٌ تُنَبئُهم بِمَا فِي قُلُوبِهم..** [آية: ٦٤].

قال مجاهد: هؤلاء قوم من المنافقين، ذكروا النبي ﷺ والمسلمين، وقالوا نرجو أن لا يفشي الله علينا.

٦٤- وقوله ﷻ: **وَلَئِن سَأَلتَهم لَيقُولُن إِنمَا كُنا نَخوض وَنَلعَب..** [آية: ٦٥].

فالمعنى: ولئن سألتهم عما قالوا.

قال قتادة: هؤلاء قوم من المنافقين قالوا في غزوة تبوك: أيطمع محمد أن يدخل بلاد الروم، ويخرب حصو نهم!! فأطلع الله النبي ﷺ على ما قالوا، فدعا بهم، فقال: أقلتم كذا وكذا؟ فقالوا: **إِنمَا كُنا نَخوض وَنَلعَب**.

(١) هذه قراءة نافع، وقرأ الباقون قل أُذُنُ خير لكم بضم الذال، انظر السبعة لابن مجاهد ص٣١٥.

(٢) منسوب لقيس بن الخَطِيم، وهو غير موجود في ديوانه، انظر شواهد سيبويه ص ١١٥.

وقال سعيد بن جبير قالوا: إن كان ما يقول محمد حقًا، فنحن حمير، فأطلعه الله ﷻ على ما قالوا، فسألهم، فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب.

٦٥- قال ﷻ: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتم تَستَهزِئُونَ لاَ تَعتَذِروا قَد كَفَرتم بَعدَ إِيمانِكُم..﴾ [آية: ٦٥- ٦٦].

أي قد ظَهر منكم الكفر، بعد ظُهور الإيمان.

٦٦- وقوله ﷻ: ﴿وَيَقْبِضونَ أَيدِيَهم..﴾ [آية: ٦٧].

قال مجاهد: أي لا يبسطُو ا في حق، ولا فيما يجب.

٦٧- ثم **قال ﷻ: ﴿نَسوا الله فَنَسِيَهم..﴾** [آية: ٦٧].

قال قتادة: أي نسيهم من الخير، فأما من الشر فلم ينسهم.

والمعنى عند أهل اللغة: تركوا أمر الله، فتركهم من رحمته وتوفيقه، يقال: نسِي الشيء إذا تركه.

٦٨- وقوله ﷻ: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسبهم..﴾ [آية: ٦٨].

أي هي كافيهم، أي هي على قدرِ أعمالهم، ويقال: أحسبني الشيء أي كفاني.

٦٩- وقوله ﷻ: ﴿فَاستَمتَعوا بِخَلاقِهم..﴾ [آية: ٦٩].

قال قتادة: أي بدينهم، والمعنى عند أهل اللغة فاستمتعوا بنصيبهم من الدنيا.

٧٠- وقوله ﷻ: ﴿وَالْمؤتَفِكَاتِ..﴾ [آية: ٧٠].

قال قتادة: هي مدائن قومِ لوطٍ.

وقال أهل اللغة: سميت مؤتفكات، لأ ا ائتفكت بم، أي انقلبت، وهو من الإفك، وهو الكذب لأنه مقلوب، ومصروف عن الصدق.

٧١- وقوله ﷻ: ﴿يَا أَيهَا النبِي جَاهِدِ الْكُفارَ وَالْمنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيهم..﴾ [آية: ٧٣].

قال الحسن: أي جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين بإقامة الحدود عليهم، وباللسان.

وقال قتادة: أي جاهد الكفار بالقتال، والمنافقين بالإغلاظ في القول.

٧٢- وقوله ﷻ: ﴿يَحلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَد قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَروا بَعدَ إِسلامِهم..﴾ [آية: ٧٤].

قال مجاهد: سمعهم رجل من المسلمين، وهم يقولون إن كان ما جاء به محمد حقًا فنحن حمير، فقال لهم: فنحن نقولَ ما جاء به حق، فهل نحن حمير؟ فَهم المنافق بقتله،

فلذلك قوله **وَهَموا بِمَا لَم يَنالُوا** [آية: ٧٤].

وقال غير مجاهد: هموا بقتل النبي ﷺ، فأطلعه الله على ذلك.

٧٣- ثم قال ﷻ: **وَمَا نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْنَاهم الله وَرَسولُه مِن فَضلِهِ..** [آية:٧٤].

أي ليس ينقمون شيئًا، كما قال النابغة:

ولا عَيبَ غَيرَ أن سيوفَهم بِهن فُلولٌ من قِراعِ الكَتَائِبِ(١)

٧٤- وقوله ﷻ: **وَمِنهم من عَاهَدَ الله لَئِن آتَانا مِن فَضلِهِ لَنصدقَن..** [آية: ٧٥].

قال قتادة: هذا رجل من الأنصار، قال: لئن رزقني الله شيئًا لأؤدين فيه حقه، ولأتصدقن، فلما آتاه الله ذلك، فعل ما نص عليكم، فاحذروا الكذب، فإنه يؤدي إلى الفجور.

وروى علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة الباهِلي، أن ثعلبةَ بن حاطِب الأنصاري جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً فقال: ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، قال: ثم رجع إليه فقال: يا رسول الله: ادع الله أن يرزقني مالا.

قال ويحك يا ثعلبة أما ترضى أن تكون مثلَ رسول الله، واللهِ لو سألت الله أن يسيل علي الجبال ذهبا وفضةً لسالت.

ثم رجع، فقال: يا رسول الله: ادع الله أن يرزقني مالاً، فوالله لئن أتاني الله مالاً لأوتين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم ارزق ثعلبةَ مالاً، اللهم ارزق ثعلبةَ مالاً**». فاتخذَ غنما، فَنمت حتى ضاقت عليها أزقةُ المدينة، فتنحى بها، فكان يشهد الصلواتِ مع رسول الله ﷺ، ثم نمت حتى تعذرت علَيها مراعي المدينة، فتنحى بها مكانا يشهد الجُمع مع رسول الله ﷺ ثم نمت فتباعد بها، فتحرك الجُمع والجماعات، فأنـزل الله على رسوله ﷺ **خذْ مِن أموَالِهم صَدَقَةً تطَهرهم وَتزَكيهم بِهَا** فخرج مصدقوا رسول الله ﷺ فمنعهم، وقال حتى ألقى رسول الله، فأنـزل الله ﷻ: **وَمِنهم من عَاهَدَ الله لَئِن آتَانا مِن فَضلِهِ..** إلى آخر الآية، القصةِ، فأُخبِر ثعلبة فأقبل واضعا على رأسه التراب، حتى أتى النبي ﷺ، فلم يقبل منه، ثم أتى أبا بكر فلم يقبل منه، ثم أتى عمر فأبى

(١) البيت في ديوانه ص ٤٤، وفي الكامل للمبرد ٣٢/١، ومغني اللبيب ١١٤.

أن يقبل منه، ثم أتى عثمان فلم يقبل منه، ومات في خلافته[١].

٧٥- ثم قال ﷻ: فَأَعقَبَهم نِفَاقًا في قُلُوبِهِم.. [آية: ٧٧].

يجوز أن يكون المعنى: فأعقبهم الله نفاقًا.

ويجوز أن يكون المعنى: فأعقبهم البخلُ لأن قوله تعالى: **بَخِلُوا** يدل على البخل.

٧٦- وقوله ﷻ: الذِينَ يَلْمِزونَ الْمطوعِينَ مِنَ الْمؤمِنينَ في الصدَقَاتِ.. [آية: ٧٩].

قال قتادة: أي يعيبون المؤمنين، قال: وذلك أن «عبد الرحمن بن عوف» تصدق بنصفِ مالِهِ، وكان مالُه ثمانية آلاف دينار، فتصدق منها بأربعة آلاف، فقال قوم: ما اعظم رياه! فأنزل الله ﷻ **الذِينَ يَلْمِزونَ الْمطوعِينَ مِنَ الْمؤمِنينَ فِي الصدَقَاتِ**، وجاء رجلٌ من الأنصار، بنصف صبرةٍ من تمر، فقالوا: ما أغنى الله عن هذا؟ فأنزل الله **وَالذِينَ لاَ يَجِدونَ إِلا جهدَهم**.

قرئ **جهدَهم** و**جَهدَهم** بالضم، والفتح.

قال أبو جعفر: وهما لغتان بمعنى واحدٍ عند البصريين.

وقال بعض الكوفيين: الجَهد: المشقة، والجُهد: الطاقة.

٧٧- ثم قال ﷻ: فَيسخَرونَ مِنهم سَخِرَ الله مِنهم وَلَهم عَذَاب أَلِيم [آية: ٧٩].

ومعنى «سخِر الله مِنهم» جازاهم الله على سخريتهم، فسمى الثاني باسم الأول على الازدواج.

٧٨- وقوله ﷻ: استَغفِر لَهم أَو لاَ تَستَغفِر لَهم إِن تَستَغفِر لَهم سَبعِينَ مَرةً فَلَن يغفِرَ الله لَهم.. [آية: ٨٠].

يروى أن النبي ﷺ قال: لأستغفرن لهم أكثر من سبعين مرة، فنزلت **سَوَاءٌ عَلَيهم أَستَغفَرتَ لَهم أَم لَم تَستَغفِر لَهم** فترك الاستغفار لهم.

٧٩- وقوله ﷻ: فَرِحَ الْمخَلَفُونَ بِمَقْعَدِهِم خِلاَفَ رَسول الله وَكَرِهوا أَن يجَاهِدوا بِأَموَالِهم وَأَنفُسِهِم في سَبِيل الله.. [آية: ٨١].

الخِلاَف: المُخالفةُ، والمعنى: من أجل مخالفة رسول الله ﷺ، كما تقول: جئتك ابتغاءَ العلم.

ومن قرأ **خَلْفَ رَسول الله** أراد التأخر عن الجهاد[٢].

---

(١) الحديث أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤/٧ وقال: رواه الطبراني وفيه «علي بن يزيد الألهاني» وهو متروك.

(٢) قال أبو حيان: إ ا قراءة ابن عباس، وأبي حيوة، وعمرو بن ميمون، انظر البحر ٧٩/٥، والطبري

٨٠- وقوله ﷻ: قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًا.. [آية: ٨١].
فيه معنى الوعيد والتهديد.

٨١- ثم قال ﷻ: فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [آية: ٨٢].

قال أبو رزين: يقول الله: أمر الدنيا قليلٌ، فليضحكوا فيها ما شاءوا، فإ م سيبكون في النار بكاءً لا ينقطع، فذلك الكثير.

وقال الحسن: فليضحكوا قليلاً في الدنيا، وليبكوا كثيرا في الآخرة في جهنم، جزاءً بما كانوا يكسبون.

٨٢- وقوله ﷻ: فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ [آية: ٨٣].
والخالِف: الذي يتخلف مع مال الرجل، وفي بيته.

٨٣- ثم قال ﷻ: وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا.. [آية: ٨٤].

روي عن أنس بن مالكٍ أن النبي ﷺ، تقدم ليصلي على «عبد الله بن أُبي» فأخذ جبريل بردائِهِ فقال: **وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ** .

ويروى أن النبي ﷺ، كان إذا صلى على واحدٍ منهم، وقَف على قَبرِهِ، فَدعا له.

٨٤- وقوله ﷻ: رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ [آية: ٨٧].

قال مجاهد وقتادة: الخوالف: النساء.

وقال غيرهما: الخوالف: أخِساء الناس وأردياؤهم، ويقال: فلانٌ خالِفَةُ أهلِهِ، إذا كان دو م.

قال أبو جعفر: وأصلُه من خلَف اللبن، يخلُف، خِلْفَةً: إذا حمض من طول مكثِهِ، وخلَف فم الصائم: إذا تغير ريحه.

ومنه فلانٌ خلْف سوءٍ.

فأما قول قتادة: **فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ** أي مع النساء، فليس بصواب، لأن المؤنث لا يجمع كذا، ولكن يكون المعنى: مع الخالفين للفساد، على ما تقدم.

=
١٠/٢٠٠، وزاد المسير ٤٧٨/٣.

ويجوز أن يكون المعنى مع مرضى الرجال، وأهل الزمانة.

٨٥- وقوله ﷻ: وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ.. [آية: ٩٠].

وقرأ ابن عباس **وَجَاءَ الْمُعْذِرُونَ**.

قال أبو جعفر: «المُعذرونَ» يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون المعنى الأصل: المعتذرون ثم أُدغمت التاء في الذال، ويكونون الذين لهم عذر. قال لبيد:

إلى الحَول ثم **اسم السلامِ عَليكُما وَمَن يَبكِ حَولاً كَامِلاً فَقَدِ اعتَذَر**[١]

وقد يعتذِر ولا عذْر.

والقول الآخر: أن يكون «المُعذرون» الذين لا عذْر لهم، كما يقال عذر فلانٌ.

وزعم أبو العباس أن المُعذر هو الذي لا عذْر له.

قال أبو جعفر: ولا يجوز أن يكون بمعنى المُعتذِر، لأنه إذا وقع الإشكالُ، لم يجز الإدغام، و«المُعذَرونَ» الذِين قد بالغوا في العذْر، ومنه «قد أعذَر من أنذَر» أي قد بالغ في العذْر من تقدم إليك فأنذَرك.

والمُعذرونَ: المُعتذِرونَ، للإتباعِ، والكسر على الأصل.

٨٦- وقوله ﷻ: عَلَى الذِينَ إِذَا مَا أتوكَ لِتحمِلَهم قُلتَ لا أجِد مَا أحمِلُكُم عَلَيهِ تَوَلوا وَأَعينهم تَفِيض مِنَ الدمعِ.. [آية: ٩٢].

قال الحسن وبكر بن عبد الله: نـزلت في «عبد الله بن المغفل» من مزينة، أتى النبي ﷺ يستحملُه.

٨٧- وقوله ﷻ: الأعرَاب أشَد كُفْرا وَنفَاقًا.. [آية: ٩٧].

قال قتادة: لأ م أبعد عن معرفة السنن[٢].

وقال غيره: لأ م أجفى وأقسى، وأبعد عن سماع التنـزيل[٣].

---

(١) البيت في ديوانه ص ٢١٤.

(٢) أخرجه ابن جرير ٤/١١.

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٣/١١، حيث قال: «وإنما وصفهم جل ثناؤه بذلك، لجفـائهم، وقسـوة قلوبم، وقلة مشاهد م لأهل الخير، فهم لذلك أقسى قلوبا، وأقل علما بحقوق الله تعالى». اهـ.

٨٨- ثم **قال** ﷻ: **وَأجدَر ألا يَعلموا حدودَ مَا أنزلَ الله عَلى رَسولِهِ** [آية: ٩٧]
أي وأخلَق بترك ما أنــزل الله على رسولِهِ.

٨٩- **وقوله** ﷻ: **وَمِنَ الأعرَابِ مَن يَتخِذُ مَا ينفِق مَغرَما..** [آية: ٩٨].
أي غُرما وخسرانا.

٩٠- ثم **قال** ﷻ: **وَيَترَبص بِكُم الدوَائِرَ..** [آية: ٩٨].
الدوائر: أي ما يدور به الزمانُ من المكروهِ، وأصل الدوائر: صروف الزمان، مرة بالخير، ومرةً بالشر.

٩١- ثم **قال** ﷻ: **عَليهم دَائِرَةُ السوءِ..** [آية: ٩٨].
وتقرأ: «عليهم دائِرةُ السوءِ»(١).
والسوءُ: البلاءُ والمكروه، والسوءُ: الرداءَةُ، ويقال: رجلُ سوءٍ، والرجلُ السوءُ.

٩٢- **وقوله** ﷻ: **وَمِنَ الأعرَابِ مَن يؤمِن بِاللهِ وَاليَومِ الآخِر وَيَتخِذُ مَا ينفِق قُرُبَاتٍ عِندَ الله وَصَلوَاتِ الرسول** [آية: ٩٩].
فالصلاة هاهنا: الدعاء.
قال الضحاك: **وَصَلوَاتِ الرسول** يقول: واستغفار الرسول.
والصلاة تقع على ضروب:
فالصلاةُ من الله ﷻ: الرحمة، والخير، والبركةُ، قال الله ﷻ: **هوَ الذِي يصَلي عَليكُم وَمَلائِكَته** [الأحزاب: ٤٣].
والصلاةُ من الملائكة: الدعاءُ.
وكذلك هي من النبي ﷺ، كما قال سبحانه **وَصَل عَليهم إِن صَلاتَكَ سَكَن لهم** [آية: ١٠٣]. أي دعاؤك تثبيت لهم، وطمأنينة، كما قال الشاعر:

تَقُولُ بِنتِي وَقد قَربت مرتَحِلاً ... يا رب جَنب أبِي الأوصَابَ والوَجَعَا
عَليكِ مِثلُ الذي صَليتِ فاغتَمِضي ... نَوما فَإن لِجَنبِ المَرءِ مضــطَجَعَا(٢)

---

(١) هذه قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقرأ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي دائرة السوء بفــتح السين، انظر السبعة في القراءات ص ٣١٦.
(٢) البيتان للأعشى، انظر ديوان الأعشى ص ١٠٥، ولسان العرب مادة (صلى).

٩٣- وقوله ﷻ: ﴿وَالسابِقُونَ الأوَلُونَ مِنَ الْمهَاجِرِينَ وَالأنصَارِ وَالذِينَ اتبَعوهم بِإحسَانٍ..﴾ [آية: ١٠٠].

وروي عن عمر أنه قرأ **﴿وَالأنصَارُ﴾**[1].

فمن قرأ بالخفض، ذهب إلى أن المعنى: ومن الأنصارِ[2].

ومن قرأ بالرفع أراد الأنصار كُلهم، ولم يجعلهم من السابقين.

قال سعيد بن المسيب، وابن سِيرين، وقتادةُ: **﴿وَالسابِقُونَ﴾** الذين صلوا القبلَتين جميعا.

وقال عطاء: هم أهلُ بدرٍ.

وقال الشعبي: هم الذين بايعوا بيعةَ الرضوانَ.

٩٤- ثم **قال** ﷻ: **﴿رضِيَ الله عَنهم وَرَضوا عَنه..﴾** [آية: ١٠٠].

أي رضي الله أعمالهم، ورضوا مجازاته عليها.

٩٥- وقوله ﷻ: ﴿وَمِمن حَولَكُم منَ الأعرَابِ مَنَافِقُونَ وَمِن أهل الْمَدِينَةِ مَرَدوا عَلَى النفَاقِ..﴾ [آية: ١٠١].

في الكلام تقديم وتأخير، المعنى **﴿وَمِمن حَولَكُم منَ الأعرَابِ مَنَافِقُونَ﴾** مردوا على النفاق **﴿وَمِنَ أهل المَدِينَةِ﴾** أي من أهل المدينة مثلُهم.

٩٦- ثم **قال** ﷻ: **﴿لا َتعلَمهم َنحن َنعلَمهم سَنعَذبهم مرتَين..﴾** [آية: ١٠١].

قال الحسن وقتادة: عذاب الدنيا، وعذاب القبر.

قال قتادة: ﴿ثُم يرَدونَ إلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ أي عذاب جهنم.

وقيل: سنعذبهم مرتين، يعني: السباء، والقتلَ.

وقال الفراء: بالقتل، وعذاب القبر.

وقال مجاهد: بالجوع، والقتل.

٩٧- وقوله ﷻ: ﴿وَآخَرونَ اعتَرَفُوا بِذُنوبِهم خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحا وَآخَرَ سَيئًا..﴾ [آية: ١٠٢].

قال الضحاك: هؤلاء قوم تخلفُوا عن غزوة تبوك، منهم «أبو لُبابةَ» فندموا، وربطوا

---

(١) هذه قراءة يعقوب برفع الراء ﴿والأنصار﴾، وقرأ الباقون بخفضها، انظر النشر لابن الجزري ٢٨٠/٢.

(٢) قال الزجاج: من قرأ ﴿والأنصارِ﴾ نسق على المهاجرين، والمعنى: والسابقون الأولون من المهاجرين ومن الأنصار، ومن قال ﴿والأنصارُ﴾ نسق به على «والسابقون» كأنه قال: والسابقون والأنصار. انظر معاني القرآن ٥١٧/٢.

أنفسهم إلى سواري المسجد، فقال النبي ﷺ: لا أعذرهم، فأنـزل الله ﷻ: **وَآخَرونَ اعتَرَفُوا بِذُنوبِهم خَلطُوا عَمَلاً صَالِحا وَآخَرَ سَيئًا عَسَى الله أن يَتوبَ عَليهم** .

و«عسى» من الله واجبةٌ، فأتوا النبي ﷺ بأموالهم، فأبى أي يقبلَها، فأنـزل الله **خذْ مِن أموَالِهم صَدَقَةً تطَهرهم وَتزَكيهم بِهَا وَصَل عَليهم** .

قال أبي: **وَصَل عَليهم** واستغفر لهم.

وقيل: هم الثلاثةُ الذين خلفوا، والعملُ الصالحُ الذي عملوه أ م لحقوا برسول الله ﷺ وربطوا أنفسهم بسواري المسجد، وقالوا: لا نقرب أهلاً ولا ولدا، حتى ينـزل الله عذْرنا.

وَآخَرَ سَيئًا هو تخلفهم عن غزوة تبوك، حتى قدم رسولُ الله ﷺ، والأولُ الصحيحُ.

٩٨- وقوله ﷻ: أَلم يَعلموا أن الله هوَ يَقْبلُ التوبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَأخذُ الصدَقَاتِ.. [آية: ١٠٤].

أي ويقبلها.

ومنه **خذِ العَفْوَ وَأمر بِالعرفِ** [الأعراف: ١٩٩].

ومنه الحديث «الصدقَةُ تقع في يدِ الله ﷻ»(١) أي يقبلها.

٩٩- وقوله ﷻ: وَآخَرونَ مرجَونَ لأمرِ الله.. [آية: ١٠٦].

أي مؤخرون.

يقال: أرجأت الأمر، وقد حكِي أرجيت.

١٠٠- ثم **قال ﷻ: إما يعَذبهم وَإما يَتوب عَليهم..** [آية: ١٠٦].

و«إما» لأحد أمرين، ليكونوا كذا عندهم.

ويقال: إن المرجئين هاهنا هم الثلاثة الذين خلفوا، وذكرهم الله ﷻ في قوله **وَعَلى الثلاثَةِ الذِينَ خلفُوا** [آية: ١١٨].

وقرأ عكرمة: الذِينَ خَلَفُوا (٢) بفتح الخاء مخففاً وقال: أي خلفوا بعقْبِ النبي ﷺ.

ومعنى «خلفوا» تركوا فلم تقبل توبتهم، كما قُرئ على بكر ابن سهل، عن أبي

(١) الحديث رواه الترمذي عن أبي هريرة وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) قال ابن جني: وتأويله على هذه القراءة: أقاموا ولم يبرحوا. وهي من القراءات الشـاذة، انظـر المحتسب ٣٠٥/١، وعكرمة هو: عكرمة بن هارون المخزومي.

صالح عن الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه كعب بن مالك، وذكر الحديث، وقال فيه: وليس الذي ذكَر الله مما خلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفُه إيانا، وإرجاؤه أمرنا عمن خلَف له، واعتذر إليه، فقبِل منه.

قال: «سهلُ بن سعد» و«كعب بن مالك» و«هلال بن أمية» و«مرارةُ بن الربيع العمري».

قال مجاهد: هم من الأوس والخزرج.

١٠١- وقوله ﷻ: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا.. [آية: ١٠٧].

أي ومنهم الذين اتخذوا مسجدا ضرارا أي مضارةً.

١٠٢- ثم **قال تعالى: وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ..** [آية: ١٠٧].

قال مجاهد: هو «أبو عامر» خرج إلى الشام يستنجد قيصر على قتال المسلمين، وكانوا يرصدون له.

وقال أبو زيد: يقال: رصدته في الخير، وأرصدت له في الشر.

وقال ابن الأعرابي(١): لا يقال إلا أرصدت، ومعناه ارتقيت.

١٠٣- وقوله ﷻ: لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ.. [آية: ١٠٨].

يروى أنهم دعوا النبي ﷺ إلى الصلاة فيه، كما صلى مسجد قباء.

---

(١) إمام اللغة أبو عبد الله، محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم الأحول النسابة. يروي عن: أبي معاوية الضرير، والقاسم بن معن، وأبي الحسن الكسائي. وعنه: إبراهيم الحربي، وعثمان الدارمي، وثعلب، وأبو شعيب الحراني، وشمر بن حمدويه، وآخرون. ولد بالكوفة سنة خمسين ومائة. ولم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه، وكان يزعم أن أبا عبيدة والأصمعي لا يعرفان شيئا. قال مرة في لفظة رواها الأصمعي: سمعتها من ألف أعرابي بخلاف هذا. قال ثعلب: لزمت ابن الأعرابي تسع عشرة سنة، وكان يحضر مجلسه زهاء مائة إنسان، وما رأيت بيده كتابا قط انتهى إليه علم اللغة، والحفظ. قال الأزهري: ابن الأعرابي صالح زاهد ورع صدوق، حفظ ما لم يحفظه غيره، وسمع من بني أسد، وبني عقيل فاستكثر، وصحب الكسائي في النحو. وأبوه عبد سندي. قلت: له مصنفات كثيرة أدبية، وتاريخ القبائل، وكان صاحب سنة واتباع. مات بسامراء في سنة إحدى وثلاثين ومائتين. قيل: كان ربيب المفضل بن محمد الضبي صاحب "المفضليات"، فأخذ عنه. وكان يقول: جائز في كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء. يقال: مات في ثالث عشر شعبان.

قال سهل بن سعيد، وأبو سعيد الخدري: اختلف رجلان في عهد النبي ﷺ في المسجد الذي أسس على التقوى! فقال أحدهما: هو مسجد النبي، وقال الآخر: هو مسجد قباء، فأتيا النبي ﷺ فسألاه، فقال النبي ﷺ: «**هو مسجدي هذا**»[(١)].

وفي حديث أبي سعيد وذلك خير كثير.

١٠٤- ثم **قال** ﷻ: ﴿**فِيهِ رِجَالٌ يحِبونَ أن يَتطَهروا وَاللهُ يحِب المطهرينَ**﴾ [آية: ١٠٨].

يروى أن النبي ﷺ سألهم عن طهورهم فقالوا: «**إنا نستنجي بالماء!! فقال: أحسنتم**»[(٢)].

والهاءُ في قوله تعالى: ﴿**أحَق أن تَقُومَ فِيهِ**﴾ يعود على مسجد النبي ﷺ.

والهاء في قوله تعالى: ﴿**فِيهِ رِجَالٌ يحِبونَ أن يَتطَهروا**﴾ يعود على مسجد قُباء. ويجوز أن تكون تعود عل مسجد النبي ﷺ.

١٠٥- وقوله ﷻ: ﴿**أفَمَن أسسَ بنيَانَه عَلَى تَقْوَى مِنَ الله وَرِضوَانٍ خَير أم من أسسَ بنيَانَه عَلَى شَفَا جرفٍ هَارٍ فَانهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنمَ..**﴾ [آية: ١٠٩].

والشفَا: الحَرف والحد.

والجُرف: ما جرفه السيل.

والهاري: المتهدم الساقطُ.

١٠٦- وقوله ﷻ: ﴿**لا يَزَالُ بنيَانهم الذِي بَنوا رِيبَةً فِي قُلُوبهم..**﴾ [آية: ١١٠].

قال قتادة: أي شكاً، كأ م عوقبوا بذا.

وقال السدي: أي حزازة.

١٠٧- ثم **قال** ﷻ: ﴿**إلا أن تَقَطعَ قُلُوبهم وَاللهُ عَلِيم حَكِيم**﴾ [آية: ١١٠].

قال عطاء ومجاهد وقتادة: ﴿**إلا أن تَقَطعَ قُلُوبهم**﴾: إلا أن يموتوا.

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٣١/٥، ورواه الترمذي برقم ٥٠٩٧، وقال: حديث صحيح، والنسائي في سننه، والهيثمي في مجمع الزوائد ٣٧/٧.

(٢) الحديث رواه أبو داود في كتاب الطهارة ١١/١، والترمذي بلفظ: «نزلت هذه الآية في أهل قباء، كان يستنجون بالماء، فنزلت هذه الآية فيهم»، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وقال الحافظ في تلخيص الحبير: سنده ضعيف. وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٩/١١ بلفظ: «أن النبي ﷺ قال:يا معشر الأنصار، ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم فيه؟ قالوا: إنا نستطيب الماء إذا جئنا الغائط».

وقال غيرهم: أي إلا أن يتوبوا توبةً يندمون فيها على ما فعلوا، حتى يكونوا بمنـزلة من قد قُطع قلبه.

وقرأ عكرمة: «إلى أنْ» على الغاية(١).

١٠٨- وقوله ﷻ: ﴿إِن الله اشْتَرَى مِنَ الْمؤْمِنِينَ أَنفُسَهم وَأَموَالَهم بِأَن لَهم الْجَنةَ..﴾ [آية: ١١١].

هذا تمثيل، كما قال ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الذِينَ اشْتَرَوا الضلَالَةَ بِالْهدَى﴾ [البقرة: ١٦].

١٠٩- وقوله ﷻ: ﴿التائِبونَ الْعَابِدونَ الْحَامِدونَ السائِحونَ..﴾ [آية: ١١٢].

قال الحسن: أي التائبون من الشرك، العابدون الله وحده، السائحون.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الصائمون» وقد صح عن ابن مسعود.

قال أبو جعفر: وأصل السيح: الذهاب على وجه الأرض، ومنه قيل: ماءٌ سيح، ومنه سمي سيحان.

وقيل للصائم: سايح، لأنه تارك للمطعم، والمشرب، والنكاح، فهو بمنـزلة السايح.

١١٠- ثم **قال ﷻ: ﴿الراكِعونَ الساجِدونَ﴾** [آية: ١١٢].

أي المؤدون الفرائض.

ثم قال: ﷻ ﴿**الآمِرونَ بِالْمَعروفِ**﴾ أي بالإيمان بالله ﷻ.

ثم قال ﴿**وَالناهونَ عَنِ الْمنكَرِ**﴾ أي عن الكفر.

ويجوز أن يكون المعنى: الآمرون بكل معروفٍ، والناهون عن كل منكرٍ.

﴿**وَالْحَافِظُونَ لِحدودِ الله**﴾ أي العاملون بأمر الله ﷻ و بيه.

١١١- وقوله زﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنبِي وَالذِينَ آمَنوا أَن يَستَغفِروا لِلْمشرِكِينَ وَلَو كَانوا أُولِي قُربَى..﴾ [آية: ١١٣].

وَرَوَى أبو الخليل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «مررت برجل من المسلمين، يستغفر لأبيه وقد مات مشركًا، قال: فنهيته، فقال: قد استغفر إبراهيم لأبيه فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فأنـزل الله: **﴿مَا كَانَ لِلنبِي وَالذِينَ آمَنوا أَن يَستَغفِروا لِلْمشرِكِينَ وَلَو كَانوا أُولِي قُربَى مِن بَعدِ مَا تَبينَ لَهم أَنهم أَصحَاب الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ استِغفَار إِبرَاهِيمَ**

(١) هذه قراءة يعقوب، وليست من القراءات السبع، انظر المحرر ٤٨/٧، والبحر ١٠١/٥، و النشر في القراءات العشر ٢٨١/٢.

لأبيه إلا عن موعدة وعدها.. إلى آخر الآيتين.

وفي بعض الروايات، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقرأ: **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين..** الآيتين.

وروى الزهري عن سعيد بن المسيب، عن أبيه أن النبي ﷺ جاء أبا طالب، حين حضرته الوفاة، وكان «أبو جهل» و«عبد الله بن أمية» عنده، فقال النبي ﷺ: أي عم، قلْ: «لا إله إلا الله» أشهد لك بها عند الله!! فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأبى أن يقول: لا إله إلا الله فقال النبي ﷺ: «**ما والله لأستغفرن لكَ ما لم أنه، فأنزل الله** ﷻ **ما كانَ للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين.. وأنزل إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء..** »[1].

قال ابن مسعود: ناجى النبي ﷺ قبر أمه، وبكى، وقال: إني استأذنت ربي في الاستغفار لها، فلم يأذنْ لي، ونزل **ما كانَ للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** .

وقيل: معنى **إلا عن موعدة وعدها إياه** إن أباه وعده أن يسلم، فاستغفر له.

فلما تبين له أنه عدو لله بإقامته الكفر **تبرأ منه** .

وقال عبد الله بن عباس: لما تبين له أنه عدو لله، بأن مات وهو كافر، تبرأ منه.

١١٢- وقوله ﷻ: إن إبراهيم لأواه حليم [آية: ١١٤]

روى أبو ظبيان عن ابن عباس أنه قال: الأواه: الموقن.

وروي عن عبد الله بن مسعود قولان، أصحهما إسنادا ما رواه حماد، عن عاصم عن زر عن ابن مسعود أنه قال: هو الدعاءُ، والآخر أنه الرحيم.

وروي عن مجاهد أنه الفقيه.

وقال كعب: إذا ذكَر النار تأوه.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال ليست بمتناقضة،لأن هذه كلها من صفات إبراهيم ﷺ، إلا أن أحسنها في اللغة الدعاءُ، لأن التأوه إنما هو صوت، قال المُثَقب:

إذا ما قُمت أرحَلُهَا بليلٍ تأوه آهة الرجل الحزين[2]

---

(١) الحديث رواه البخاري في التفسير ٨٧/٦، ومسلم في كتاب الإيمان ٤٠/١، وأحمد في المسند ٥٣/٥.

(٢) البيت في ديوانه، ص٥، وانظر شرح المفضليات ٥٨٦.

وقول كعبٍ أيضا حسن، أي كان يتأوه إذا ذَكر النار.

وقال سعيد بن جبير: المسبح، وقيل: الذي يتأوه من الذنوب فلا يعجل إلى معصية. فلم يستغفر لأبيه إلا لوعده، لأن الاستغفار للكافر ترك الرضا لأفعال الله ﷻ وأحكامه.

١١٣- وقوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيضِل قَوماً بَعدَ إِذْ هَدَاهم حَتى يبَينَ لَهم ما يَتقُونَ..﴾ [آية: ١١٥].

قال أبو عَمرو بن العلاءِ رحمه الله: أي يحتج عليهم بأمره، كما قال تعالى: **﴿وَإِذَا أَرَدنَا أن نهلِكَ قَريَةً أَمرنَا مترَفيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾** [الإسراء: ١٦].

وقال مجاهد: يبين لهم أمر إبراهيم، ألا يستغفروا للمشركين خاصة، ويبين لهم الطاعة والمعصية عامة.

وروي أنه لما نزل تحريم الخمر، وشدد فيها، سألوا النبي ﷺ عمن مات وهو يشربها؟ فأنزل الله ﷻ: **﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيضِل قَوماً بَعدَ إِذْ هَدَاهم حَتى يبَينَ لَهم ما يَتقُونَ﴾**.

١١٤- وقوله ﷻ: ﴿لَقَد تَابَ الله عَلَى النبِي وَالْمهَاجِرينَ وَالأَنصَارِ الذِينَ اتبَعوه فِي سَاعَةِ الْعسرَةِ..﴾ [آية: ١١٧].

قال عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب: «خرجوا في غزوة تبوك، في حر شديد، وكان الرجلان والثلاثة على البعير الواحد، فعطشوا يوما عطشا شديدا، فأقبلوا ينحرون الإبل، ويشقون أكْراشها، ويشربون ما فيها».

١١٥- ثم **قال ﷻ: ﴿مِن بَعدِ مَا كَادَ يَزيغُ قُلُوب فَريق منهم..﴾** [آية: ١١٧].

تزيغُ: تميلُ، وليس ميلاً عن الإسلام، وإنما هموا بالقُفُول، فتاب الله عليهم، وأمرهم به.

١١٦- وقوله ﷻ: ﴿وَعَلَى الثلاثَةِ الذِينَ خلفُوا حَتى إِذَا ضَاقَت عَلَيهم الأَرض بِمَا رَحبَت..﴾ [آية: ١١٨].

كان أبو مالك يقول: خلفُوا عن التوبة.

وحكي عن محمد بن يزيد معنى «خلفُوا»: تِركُوا، لأن معنى خلفت فلانا: فارقْته قاعدا عما ضت فيه .

وقرأ عكرمة بن خالد: «خلَفُوا» أي أقاموا بعقِبِ رسول الله ﷺ[(١)].

---

(١) قراءة «خلَفوا» و«خالفوا» من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٣٠٥/١.

وروي عن جعفر بن محمد أنه قرأ «خالَفُوا»(١).

ومعنى رحبت وسِعت.

ومعنى **وَظَنوا أن لا مَلْجَأ مِنَ الله إلا إليه** وأيقنوا.

١١٧ - وقوله ﷻ: **ثُم تَابَ عَلَيهم لِيَتوبوا..** [آية: ١١٨].

فيه جوابان:

أحدهما: أن المعنى ثم تاب عليهم ليثبتوا على التوبة، كما قال تعالى: **يَا أيهَا الذِينَ آمَنوا آمِنوا** [النساء: ١٣٦].

والآخر: أنه فَسح لهم، ولم يعجل عقابهم، كما فعل بغيرهم، قال ﷻ: **فَبِظُلْمٍ منَ الذِينَ هَادوا حَرمنَا عَليهم طَيبَاتٍ أُحِلت لَهم** [النساء: ١٦٠].

١١٨ - وقوله ﷻ: **يَا أيهَا الذِينَ آمَنوا اتقُوا الله وَكُونوا مَعَ الصادِقينَ** [آية: ١١٩].

قيل: مع الصادِقين: الذين يصدقون في قولهم وعملهم.

وقيل: الذين يصدقون في إيمانهم، ويوفونَ بما عاهدوا عليه كما قال تعالى **مِنَ المُؤمِنينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدوا الله عَليه** [الأحزاب: ٢٣].

١١٩ - وقوله ﷻ: **مَا كَانَ لأهلِ المَدِينَةِ وَمَن حَولَهم منَ الأعرَابِ أن يَتخَلفُوا عَن رسول الله** [آية: ١٢٠].

وقد قال بعد هذا **وَمَا كَانَ المُؤمِنونَ لِيَنفِروا كَافةً فَلَولا نَفَرَ مِن كُل فِرقَةٍ منهم طَائِفَةٌ لِيَتفَقهوا فِي الدين..** [آية: ١٢٢].

قال قتادة: أُمِروا ألا يتخلفوا عن رسول الله ﷺ إذا خرج بنفسِه، فإذا وجه سرِيةً تخلف بعضهم، ليسمعوا الوحي، والأمر والنهي، فيخبروا به من كان غائبا.

وروى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس **وَمَا كَانَ المُؤمِنونَ لِيَنفِروا كَافةً** أنها ليست في الجهاد، ولكن لما دعا رسولُ الله ﷺ على مضر بالسنين، أجدبت بلادهم، فكانت القبيلةُ تقْبِل بأسرها، حتى يحلوا بالمدينة من الجُهدِ، وأجهدوهم، فأنزل الله ﷻ يخبر رسول الله ﷺ أنهم ليسوا مؤمنين، فردهم رسول الله ﷺ إلى عشائرهم، وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم، فذلك قولُه سبحانه: **وَلِيَنذِروا قَومَهم إِذَا رَجَعوا إِلَيهم لَعَلهم يَحذَرونَ**.

---

(١) انظر المحتسب ٣٠٥/١.

وبهذا الإسناد قال: يعني ما كان المؤمنون لينفروا جميعا، ويتركوا النبي ﷺ وحده.
والتأويلان متقاربان، والمعنى: إنهم لا ينفرون كلهم، ويدعون حفظَ أمصارهم وعمرانها، ومنع الأعداء منها، وعليهم حفظُ نبيهم ﷺ، كما خفف عليهم حفظُ أمصارهم من الأعداء.

١٢٠- ثم قال ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنهم لا يصِيبهم ظَمَأٌ وَلاَ نَصَب وَلاَ مَخمَصَةٌ فِي سَبِيل الله..﴾ [آية: ١٢٠].

﴿ظَمَأٌ﴾ أي عطش، **﴿ولاَ نَصَب﴾** وهو أشد التعب.

قال قتادة: والمخمصة: المجاعةُ.

١٢١- وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَا أُنـزِلَت سورَةٌ فَمِنهم من يَقُولُ أيكُم زَادَته هَذِهِ إِيمَانا..﴾ [آية: ١٢٤].

أي فمن المنافقين من يقول أيكم زادته هذه إيمانا؟ لأنه إذا آمن بها فقد ازداد إيمانه.

١٢٢- ثم قال ﷻ: ﴿وَأَما الذِينَ فِي قُلُوبِهم مرَض﴾ [آية: ١٢٥].

أي شك **﴿فَزَادَتهم رِجسا إِلَى رِجسِهِم﴾** أي كفرا إلى كفرهم.

١٢٣- وقوله ﷻ: ﴿أَوَ لاَ يَرَونَ أَنهم يفْتَنونَ فِي كُل عَامٍ مرةً أَو مَرتَين..﴾ [آية: ١٢٦].

قال الحسن: أي يبتلون بالغزو في كل سنة، مرةً أو مرتين.

قال مجاهد: أي يبتلون بالسنةِ والجَدبِ.

١٢٤- وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَا أُنـزِلَت سورَةٌ نظَرَ بَعضهم إِلَى بَعض هَلْ يَرَاكُم من أَحَدٍ..﴾ [آية: ١٢٧].

لأنهم منافقون، فكان بعضهم يومئُ إلى بعض، فيقول: أيكم زادته هذه إيمانا؟ **﴿ثُم انصَرَفُوا﴾**.

يجوز أن يكون المعنى: ثم انصرفوا من موضعهم.

ويجوز أن يكون المعنى: ثم انصرفوا عن الإيمان.

١٢٥- ثم قال ﷻ: ﴿صَرَفَ الله قُلُوبَهم بِأَنهم قَوم لا يَفْقَهونَ﴾ [آية: ١٢٧].

قال الزجاج: أي أضلهم مجازاةً على فعلهم.

١٢٦- وقوله ﷻ: ﴿لَقَد جَاءَكُم رَسولٌ من أَنفُسِكُم..﴾ [آية: ١٢٨].

روى جعفَر بن محمد، عن أبيه، أنه قال: لم يكن في نسب رسول الله ﷺ شيءٌ

يعاب، قال ﷺ: «**أنا من نكاح لا من سفاح**»[1].

قال أهل اللغة: يجوز أن يكون المعنى **﴿لَقَد جَاءَكُم رَسولٌ من أنفُسِكُم﴾** أي بشر، كما أنكم بشر فأنتم تفْقَهون عنه.

ويجوز أن يكون المعنى: أنه من العرب فهو منكم، فأنتم تقفون على صدقه، ومذهبه.

١٢٧ - ثم **قال** ﷻ: **﴿عَزِيز عَلَيهِ مَا عَنِتم﴾** [آية: ١٢٨].

أي شديد عليه عنتكُم.

وأصلُ العنتِ: الهلاك، فقيل لما يؤدي إلى الهلاك عنت.

١٢٨ - ثم **قال** ﷻ: **﴿حَرِيص عَلَيكُم بِالْمؤمِنِينَ رَؤوف رحِيم﴾** [آية: ١٢٨].

قال قتادة: أي حريص على من لم يسلِم أن يسلم.

١٢٩ - ثم **قال** ﷻ: **﴿فَإِن تَوَلوا فَقُلْ حَسبِيَ الله..﴾** [آية: ١٢٩].

أي يكفيني الله.

يقال: أحسبني الشيءُ: إذا كَفَاني.

١٣٠ - ثم **قال** ﷻ: **﴿لا إِلَهَ إِلا هوَ عَلَيهِ تَوَكلْت وَهوَ رَب الْعَرش الْعَظِيم﴾** [آية: ١٢٩].

وقرأ ابن محَيصِن ﴿وَهوَ رَب الْعَرش الْعَظِيم﴾[2].

وهي قراءةٌ حسنةٌ بينةٌ.

وروي عن ابن عباس: أن آخر آية نـزلت **﴿لَقَد جَاءَكُم رَسولٌ من أنفُسِكُم﴾**.

تمت سورة براءة والحمد لله

❁ ❁ ❁

---

(١) الحديث أخرجه ابن عساكر عن علي مرفوعا ٢٩٤/٢.

(٢) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز عن ابن محيصن ٩١/٧ قال: وهي صفة للرب، وأبو حيـان في البحر ١١٩/٥، قال أبو بكر الأصم: وهذه القراءة أعجب إلي، لأن جعل «العظيم» صفة الله تعالى، أولى من جعله صفة للعرش.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سورة يونس وهي مكية

١- قوله ﷻ: الر تلك آيات الكتاب الحكيم [آية: ١].

روى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير، في قول الله تعالى: **الر** قال: أنا الله أرى.

قال أبو جعفر: حدثنا علي بن الحُسَيْن، قال: نا الزعفراني، قال: نا علي بن الجَعْدِ، قال: نا شريك عن عطاءِ بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس **الر** قال: أنا الله أرى.

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس (الر) و(حم)، و(ن) حروف الرحمن مقطعةٌ.

قال أبو جعفر: قد بينا هذا في أول سورة البقرة.

ومعنى **الحكيم** عند أهل اللغة: المُحْكَم، كما قال تعالى: **هذا ما لدي عتيدٌ** [ق: ٢٣] أي مَعَد.

٢- وقوله ﷻ: أكانَ للناس عجبا أنْ أوحينا إلى رجلٍ منهم أنْ أنذر الناس.. [آية: ٢].

روي أنه يراد الناس هاهنا: أهلُ مكة، لأنهم قالوا: العجب، ألم يجد الله رسولاً إلا يتيم أبي طالب؟ فأنـزل الله ﷻ **أكانَ للناس عجبا أنْ أوحينا إلى رجلٍ منهم أنْ أنذر الناس** .

٣- ثم قال ﷻ: وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدقٍ عند ربهم [آية: ٢].

قال ابن عباس: أي منـزلَ صِدقٍ.

وقيل: القَدَم: العملُ الصالح.

وقيل: السابقةُ.

ويروى عن الحسن أو قتادة قال: القَدَم: محمد ﷺ يشفع لهم.

وقال أبو زيد: رجلٌ قَدَم، أي شجاع.

وقال قتادة: أي سَلَف صدق.

وقال مجاهد: أي خير.

وفي رواية علي بن أبي طلحة عنه قال: سبقتْ لهم السعادة في الذكْرِ الأول.

وهذه الأقوالُ متقاربة، والمعنى: منـزلةٌ رفيعة.

٤- وقوله ﷻ: ما من شفيعٍ إلا من بعد إذْنِه [آية: ٣].

ولم يجر للشفيع ذكر، لأنه قد عرف المعنى، إذ كانوا يقولون: «هؤلاء شفعاؤنا عند الله» قال الله ﷻ **ما من شفيع إلا من بعد إذنه** أي لا يشفع شفيع إلا لمن ارتضى.

٥- وقوله ﷻ: وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده.. [آية: ٤].

وقرأ أبو جعفر «يزيد بن القعقاع»: **أنه يبدأ الخلق ثم يعيده** [(١)].

قال أبو جعفر: وفتحها يحتمل معنيين:

أحدهما: لأنه.

والآخر: وعْدَ الله أنه.

والقسط: العدلُ.

٦- وقوله ﷻ: هو الذي جعلَ الشمس ضياءً والقمر نورا وقدره منازلَ [آية: ٥].

ولم يقل: وقدرهما، لأن المقدر لعددِ السنين والحساب: القمر. وهو ثمان وعشرون منـزلة.

قال أبو إسحاق: ويحتمل أن يكون المعنى: وقدرهما، ثم حذِفَ كما قال:

نحن بما عندنا وأنت بما عِند راض، والرأي مختلف[(٢)]

٧- وقوله ﷻ: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ يهديهم ربهم بإيمانهم.. [آية: ٩].

قال مجاهد: أي يجعل لهم نورا يمشون به.

ويروى عن النبي ﷺ ما يقوي هذا أنه قال: «**يتلقى المؤمن عمله، في أحسن صورة، فيؤنسه ويهديه، ويتلقى الكافر عمله في أقبح صورة، فيوحِشه ويضله**»[(٣)] هذا معنى الحديث.

---

(١) هذه قراءة أبي جعفر، والباقون بكسر «إن»، انظر النشر في القراءات العشر ٢٨٢/٢، وعدها ابن جني في المحتسب ٣٠٧/١ من القراءات الشاذة.

(٢) البيت لقيس بن الخطيم، انظر شواهد سيبويه ١١٥، والمحرر الوجيز ٤٧٦/٦.

(٣) الحديث أخرجه ابن جرير ٨٨/١١ والسيوطي في الدر ٣٠١/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم، ولفظه عن قتادة قال: حدثنا الحسن قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «إن المؤمن إذا خرج من قبره، صور له عمله في صورة حسنة، فيقول له ما أنت؟ فوالله إني لأراك امرأ صدق، فيقول: أنا عملك، فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة، وأما الكافر إذا خرج من قبره، صور له عمله في صورة سيئة، وريح منتنة، فيقول له: ما أنت؟ فوالله إني لأراك امرأ سوء، فيقول: أنا عملك فينطلق به حتى =

٨- وقوله ﷻ: دعواهم فيها سبحانك اللهم.. [آية: ١٠].

أي: دعاؤهم تنـزيه الله ﷻ **وتحيتهم فيها سلام** أي يحَيي بعضهم بعضا بالسلامة.

ويجوز أن يكون الله ﷻ يحييهم بالسلام، إكراما لهم.

٩- ثم قال ﷻ: وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين [آية: ١٠].

فخبر أن افتتاح دعائهم تنـزيه الله، وآخره شكره.

١٠- وقوله ﷻ: ولو يعجلُ الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقُضِي إليهم أجلُهم [آية: ١١].

قال مجاهد: وهو دعاء الرجل عند الغضب، على أهله وولده، فلو عجل لهم ذلك، لمَاتوا.

وقيل: إنه قولهم **اللهم إن كانَ هذَا هو الحق من عندك فأمطِر علينا حجارةً من السماءِ** [الأنفال: ٣٢].

فلو عجِّل لهم هذا لهلكوا.

١١- وقوله ﷻ: وإذَا مس الإنسانَ الضر دعانا لجنبه أو قاعِدا أو قائما [آية: ١٢].

ويجوز أن يكون المعنى: وإذا مس الإنسان الضر مضطجعا، أو قاعدا أو قائما، دَعَانا.

ويجوز أن يكون التقدير: دعانا على إحدى هذه الأحوال.

١٢- ثم قال ﷻ: فلما كشفْنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه.. [آية: ١٢].

روى أبو عبيد عن أبي عبيدة أن «مر» من مذهب استمر.

وقال الفراء: أي استمر على ما كان عليه من قبل أن يمسه الضر.

١٢- وقوله ﷻ: ولقد أهلكْنا القُرونَ من قبلكُم لما ظلَموا وجاءَتهم رسلُهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا.. [آية: ١٣].

قوله تعالى: وما كانوا ليؤمنوا فيه قولان:

أحدهما: الله ﷻ أخبر بما يعلم منهم لو بقاهم.

=

يدخله النار».

والآخر: أنه جازاهم على كفرهم، بأن طَبع على قلو م.

ويدل على هذا أنه قال تعالى: **كَذَلِك نجزي القَوم المجرِمِين** .

١٤- وقوله ﷻ: **وإِذَا تتلى عليهم آياتنا بيناتٍ قالَ الذِين لا يرجونَ لِقاَءَنا ائْتِ بقُرآنٍ غَير هذَا أو بدلْه..** [آية: ١٥].

قال قتادة: الذين قالوا هذا مشْرِكُو اهل امكة.

وقال غيره: أي ائتِ بقرآن ليس فيه ذكر البعث والنشور، ولا سب آلهتنا!! قال الله ﷻ **قُلْ ما يكُونُ لِي أنْ أبدلَه مِن تِلْقَاءِ نفْسِي..** [آية: ١٥].

١٥- ثم **قال تعالى**: **قُل لو شاءَ الله ما تلَوته عليكُم ولا أدراكُم بِهِ..** [آية:١٦].

قال الضحاك: أي ولا أشعَرَكم به، ولا أعلَمَكم به.

١٦- ثم **قال** ﷻ: **فَقَد لَبِثْت فِيكُم عمرا من قَبلِهِ..** [آية: ١٦].

قال قتادة: لبث فيهم أربعين سنة، وأقام سنتين يرى رؤيا الأنبياء، وتوفي ﷺ وهو ابن اثنتين وستين سنة.

١٧- وقوله ﷻ: **ويعبدونَ مِن دون الله ما لا يضرهم ولا ينفَعهم..** [آية:١٨].

أي ما لا يضرهم إن لم يعبدوه، ولا ينفعهم إن عبدوه.

١٨- ثم **قال** ﷻ: **ويقُولُونَ هؤلاءِ شفَعاؤنا عِند الله قُلْ أتنبئُونَ الله بِما لا يعلَم فِي السماواتِ ولا فِي الأَرض..** [آية: ١٨].

أي: أتعبدون ما لا يشفع، ولا يَنْصر، ولا يَميز، وتقولون: هو يشفع لنا عند الله فتكذبون؟ وهل يتهيأ بكم أن تنبئوه بما لا يعلم؟

١٩- وقوله ﷻ: **وما كَانَ الناس إِلا أُمةً واحِدةً فَاختلَفُوا..** [آية: ١٩].

فيه ثلاثة أقوال:

أبينها قولُ مجاهد: وهو أ م كانوا في وقت آدم ﷺ على دين واحدٍ، ثم اختلفوا.

والقولُ الثاني: أن هذا عام يراد به الخاص، وأنه يراد بالناس هاهنا العرب خاصةً.

والقولُ الثالث: أنه مثل قوله ﷺ: «**كل مولودٍ يولد على الفِطْرة**»[1] أي ثم يختلفون بعد ذلك.

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير ١٤٣/٦، بلفظ: «ما من مولودٍ إلا يولد على الفطـرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه..».

٢٠- وقوله ﷻ: وإذا أذقنا الناس رحمةً من بعدِ ضراءَ مستهم.. [آية: ٢١].
يراد بالناس هاهنا الكفار، كما قال تعالى: **إن الإنسانَ لربه لكنودٌ** [العاديات: ٦].
وقال الحسن: ذلك المنافق.
والرحمة هاهنا: الفَرَج، و **من بعدِ ضراءَ** أي من بعد كَرْب.
إذا لهم مكرٌ في آياتنا أي يحتالون حتى يجعلوا سبب الرحمة في غير موضعه.
قال مجاهد: **إذا لهم مكر** في **آياتنا** استهزاءٌ وتكذيب.
٢١- وقوله ﷻ: حتى إذا كنتم في الفُلْكِ وجرين بهم بريح طيبةٍ.. [آية: ٢٢].
قيل: المعنى حتى إذا كنتم في الفُلك، ثم حولت المخاطبة إلى النبي ﷺ، فصار المعنى: وجرين م يا محمد.
وقيل: العرب تقيم الغائب مقام الشاهد، فتخاطبه مخاطبته، ثم ترده إلى الغائب.
٢- وقوله ﷻ: وظنوا أنهم أحيطَ بهم [آية: ٢٢].
يقال لمن وقع في بلية: قد أحيط به، كأن البلاء أحاطَ به، وأصلُ هذا ان العدو إذا أحاط بموضع فقد هَلَكَ أهلُه.
٢٣- وقوله ﷻ: إذا هم يبغونَ في الأرض بغير الحق.. [آية: ٢٣].
البغي: الترامي إلى الفساد. قال الأصمعي: يقال: بغى الجرح يبغِي بغيا: إذا ترامى إلى فساد.
٢٤- ثم **قال ﷻ: يا أيها الناس إنما بغيكُم على أنفُسِكُم..** [آية: ٢٣].
أي عملكم بالظلم يرجع عليكم.
٢٥- ثم **قال ﷻ: متاع الحياةِ الدنيا..** [آية: ٢٣].
أي ما تنالون بالبغي والفساد، فإنما هو شيءٌ تتلذذون به في الدنيا، هذا قولُ أهل اللغة.
وروي عن سفيان بن عُيَيْنة أنه قال: «أراد أن البغي متاع الحياة الدنيا، أي عقوبته تعجل لصاحبه في الدنيا».
كما يقال: البغي مصرعةٌ، وقال ﷻ: **ثُم بغِي عليه لينصرنه الله** [الحج: ٦٠].
٢٦- وقوله ﷻ: إنما مثَلُ الحياةِ الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماءِ فاختلطَ به نبات الأرض مما يأكلُ الناس والأنعام [آية:٢٤].
اختلط النبات مع المطر، والمطر مع النبات.

٢٧- وقوله ﷻ: حتى إذا أخذت الأرض زخرفها.. [آية: ٢٤].

الزخرف في اللغة: كمالُ الحُسْنِ، ومنه قيل للذهب: زخْرف.

٢٨- ثم قال ﷻ: كأن لم تغن بالأمس.. [آية: ٢٤].

أي كأنْ لم تُنعم.

والمعنى عند أهل اللغةِ: كأنْ لم تعْمَر.

والمغاني: المنازلُ التي يعمرها الناس، وغَنيت بالمنـزل أقمت به وعَمَرته.

٢٩- وقوله ﷻ: والله يدعو إلى دار السلام.. [آية: ٢٥].

قال قتادة: دار السلام: الجنةُ، والسلام: الله ﷻ.

قال أبو جعفر: المعنى على هذا: والله يدعو إلى داره.

وإعادةُ الاسم إذا لم يكن مشكلاً أفخم.

قال أبو إسحاق: ويجوز أن يكون المعنى -والله أعلم- يدعو إلى الدار التي يسلَم فيها من الآفات.

٣٠- وقوله ﷻ: للذين أحسنوا الحسنى وزيادةٌ.. [آية: ٢٦].

قال أبو جعفر: الذي عليه أهل الحديث أن الحُسْنى: الجنة، والزيادة النظر إلى الله جل اسمه. حدثنا الحسين بن عمر قال: نا هناد قال: نا وكيع عن أبي بكر الهُذَلي، عن أبي تَميمة الهُجَيْمِي، عن أبي موسى في قول الله تعالى: **للذين أحسنوا الحسنى** قال: الجنة **وزيادةٌ** قال: النظر إلى الله ﷻ(١).

حدثنا الحسين قال: نا هناد قال: نا قَبيصة، قال: نا حماد بن سلمة، وقُرئ على ابن بنتِ منيع، عن هدْبَةَ بن خالد، قال: نا حماد بن سلمة، عن ثابتٍ البُناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، قال: إن رسول الله ﷺ قرأ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادةٌ** فقال: «إذا دَخَل أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدا يريد أن يُنْجِزَكموه، فيقولون: وما هوَ؟ ألم يثقل الله موازيننا، ويبيضْ وجوهنا، ويدخلنا الجنة، وينجينا من النار؟ فيكشف عن الحجاب ويتجلى، فينظرون إليه ﷻ، قال:

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم، وابن جرير في جامع البيان ١٠٥/١١، وابن كثير ١٦٠/٤، والمراد بأبي موسى هو أبو موسى الأشعري.

«فواللهِ ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة»[1].

قال أبو جعفر: وفي حديث ابن بنت منيع «ويجِزْنا» وفي حديثه «فينظرون على الله ﷻ».

٣١- ثم قال ﷻ: ولاَ يرهق وجوههم قترٌ ولاَ ذِلةٌ.. [آية: ٢٦].

قال ابن عباس: القتَر: سواد الوجوه.

وقال غيره: القتَر: جمع قَترةٍ، وهي الغَبَرَة.

ومعنى يَرْهَق يغشى، والذلةُ: الهَوَانُ.

وفي حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى **ولاَ يرهق وجوههم قترٌ ولاَ ذِلةٌ** .

قال: بَعْد نظرهم إلى ر م.

والعاصم: المانع.

٣٢- وقوله ﷻ: كأنما أغْشِيت وجوههم قِطَعا مِن الليل مظْلِما.. [آية:٢٧].

القِطَع: جمع قِطْعة، ومن قرأ **قِطْعا** [2] فهو اسم ما قُطِع، يقال: قَطَعه قَطْعا، واسم ما قَطَعتَ قِطَع.

٣٣- وقوله ﷻ: ثُم نقُولُ لِلذِين أشركُوا مكانكُم.. [آية: ٢٨].

أي انتظروا مكانكم، توعد.

فَزيلْنا بينهم من قولك زِلت الشيءَ من الشيءَ: أي نحّيته، وزيلْت على التكثير.

٣٤- ثم قال ﷻ: فكَفَى بِاللهِ شهيدا بيننا وبينكُم.. [آية: ٢٩].

لأنم قالوا: من يشهد لك أنك رسولُ الله!!

٣٥- وقوله ﷻ: هنالِك تبلُو كُل نفْسٍ ما أسلفَت.. [آية: ٢٩].

قال مجاهد: أي تختبر.

ومعناه: تجده وتقف عليه. وفي **تتلو** قولان:

قال الأخفش: أي تقرأ[3]، كما قال **وكُل إِنسانٍ ألْزمناه طَائِره فِي عنقِهِ**

---

(١) الحديث مسلم في كتاب الإيمان ١٦٣/١ باب إثبات رؤية المؤمنين ر م في الآخـرة، والترمـذي في تفسير سورة يونس برقم ٥١٠٣، وابن ماجه في المقدمة ٦٧/١، وأحمد في المسند عن صهيب ٣٣٣/٤ وابن جرير في التفسير ١٠٦/١١.

(٢) هذه قراءة الكسائي وابن كثير قِطْعا ساكنة الطاء، انظر السبعة في القـراءات لابـن مجاهـد ص ٣٢٥.

(٣) انظر معاني القرآن للأخفش ٥٦٨/٢، والسبعة لابن مجاهد ص ٣٢٥.

ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك [الإسراء: ١٣-١٤].

والقولُ الآخر: أن معنى **تتلو**: تتبع كما قال:

قد جعلت دلوي تستتليني (١)

٣٦- وقوله ﷻ: كذلك حقت كلمةُ ربك على الذين فسقوا.. [آية: ٣٣].

ثم بين الكلمة فقال: **أنهم لا يؤمنونَ** فالمعنى: حق عليهم أ م لا يؤمنون.

ويجوز أن يكون المعنى: لأ م لا يؤمنون، وتكون «الكلمةُ» العقاب.

٣٧- وقوله ﷻ: وما كانَ هذَا القُرآنُ أن يفْترى مِن دون الله [آية: ٣٧].

معناه لأنْ يفترى، أي لأن يخْتلَقَ.

ويجوز أن يكون المعنى: **وما كانَ هذَا القُرآنُ أن يفْترى مِن دون الله** كما تقول: وما كان هذا القرآن كذبا.

٣٨- ثم **قال** ﷻ: **ولكن تصديق الذي بين يديه..** [آية: ٣٧].

يجوز أن يكون المعنى: ولكن تصديق الشيءِ الذي القرآنُ بين يديه، أي يصَدق ما تقدمَه من الكتب، وأنباء الأمم.

ويجوز أن يكون المعنى: أنه يصدق ما لم يأت من أمر الساعة.

٣٩- وقوله ﷻ: أم يقُولُونَ افتْراه قُلْ فَأتوا بِسورةٍ مثْلِه.. [آية: ٣٨].

المعنى: بسورةٍ مثل سورِه، مثلُ **واسأل القَريةَ** والمراد الجنس.

وقيل: المعنى: فأتوا بقرآنٍ مثلِ هذا القرآنِ، والسورةُ قرآنٌ، فَكَنى عنها بالتذكير على المعنى، ولو كان على اللفظ لقيل: مثلِهَا.

٤٠- ثم **قال** ﷻ: **وادعوا من استطعتم من دون الله إن كُنتم صادقين** [آية: ٣٨].

أي ادعوا من يعينكم، ممن يذهب إلى مذهبكم **إن كُنتم صادقين** أنه مفترى.

٤١- ثم **قال** ﷻ: **بلْ كذبوا بِما لم يحيطُوا بِعلْمِه..** [آية: ٣٩].

قيل: يراد ذا- والله أعلم- مَنْ كذبَ وهو شاك.

وقيل: بِما لم يحِيطُوا بِعلْمِه أي بما فيه من الوعيد على كفرهم.

ولما يأتِهم تأويلُه أي ما يؤول إليه ذلك الوعيد.

وقيل: ولما يأتِهم تأويلُه أي لم يعرفوه، فهذا يدل على أنه يجب أن ينظر في التأويل.

---

(١) الرجز لا يعرف قائله، انظر اللسان مادة تلا، وزاد المسير ٢٨/٤.

ويجوز أن يكون المعنى: ولما يأ م ما يؤول إليه أمرهم من العقاب.

٤٢- وقوله ﷻ: ﴿ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين﴾ [آية: ٤٠].

أي منهم من يعلم أنه حق، ويظهر الكفرَ عنادا، وإبقاءً على رياسته **﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾** في السر والعلانية.

٤٣- وقوله ﷻ: ﴿ومنهم من يستمعونَ إليك أفأنت تسمع الصم..؟﴾ [آية: ٤٢].

أي ظاهرهم من يستمعون، وهم لشدة عداو م، وانحرافهم عن النبي، بمنـزلة الصم.

ثم **قال ﷻ: ﴿ولو كانوا لا يعقلونَ﴾** [آية: ٤٢].

أي ولو كانوا مع هذا جهالاً؟!

٤٤- ثم **قال ﷻ: ﴿ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرونَ..﴾** [آية: ٤٣].

﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ أي يديم النظر إليك كما قال تعالى: **﴿ينظرونَ إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت﴾** [الأحزاب: ١٩].

٤٥- وقوله ﷻ: ﴿ولكل أمةٍ رسولٌ فإذا جاءَ رسولهم قضي بينهم بالقسط﴾ [آية: ٤٧].

قال مجاهد: يعني يوم القيامة.

والمعنى على هذا فجاء رسولهم يشهد عليهم بالإيمان والكفر، كما قال تعالى **﴿فكيف إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيدٍ﴾** [النساء: ٤١].

وقال ﷻ: ﴿وقالَ الرسولُ يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآنَ مهجورا﴾ [الفرقان: ٣٠].

وقال غير مجاهد: يجوز أن يكون إنه لا يعذّب أحدا، حتى يجيئه الإعذار والإنذار، وإنما يأتي ذا الرسل.

٤٦- وقوله ﷻ: ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعةً من النهار..﴾ [آية: ٤٥].

أي قريب، ما بين مو م ومبعثهم، ثم قال **﴿يتعارفونَ بينهم﴾** أي يعرف بعضهم بعضا، وهو أشد لتوبيخهم إذا عَرَف بعضهم بعضا، بالإضلالَ والفساد.

٤٧- وقوله ﷻ: وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك [آية: ٤٧].

قال مجاهد: أي وإما نرينك العذاب في حياتك **أو نتوفينك** قبل ذلك **فإلينا مرجعهم**.

وقال غيره: يريد بقوله ﷻ: **وإما نرينك بعض الذي نعدهم** وقعة بدر. والله أعلم.

٤٨- وقوله ﷻ: قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون [آية: ٥٠].

يجوز أن يكون المعنى: ماذا يستعجل من الله.

ويجوز أن يكون ماذا يستعجل من العذاب المجرمون.

قال أبو جعفر: وهذا أشبه بالمعنى، لقوله تعالى **أثم إذا ما وقع آمنتم به**؟

٤٩- ثم قال ﷻ: آلآن وقد كنتم به تستعجلون [آية: ٥١].

وفي الكلام حذف، والمعنى: الآنَ تؤمنون به.

٥٠- وقوله ﷻ: ويستنبئونك أحق هو.. [آية: ٥٣].

المعنى: ويستخبرونك فيقولون: أحق هو؟

قل إي وربي إنه لحق [آية: ٥٣]. أي المعنى: نعم[1].

٥١- وقوله ﷻ: وما أنتم بمعجزين [آية: ٥٣].

أي ما انتم ممن يُعجِز عن أن يجازى بكفره.

٥٢- وقوله ﷻ: وأسروا الندامة لما رأوا العذاب.. [آية: ٥٤].

في معناه قولان:

أحدهما: أن الرؤساء الدعاة إلى الكفر أسروا الندامة لما رأوا العذاب.

والآخر: أن **أسروا** بمعنى: أظهروا.

وقال أبو العباس: إن كان هذا صحيحا فمعناه بَدَتْ الندامةُ في أسِرة وجوههم، وواحدها سِرار، وهي الخطوط التي في الجبهة.

٥٣- وقوله ﷻ: يا أيها الناس قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم.. [آية: ٥٧].

يعني القرآن.

---

(١) الضمير يعود على العذاب أو على البعث، قال القرطبي والمعنى: يستخبرك هؤلاء المشركون من قومك، فيقولون: أحق ما تعدنا به من عذاب الله؟ قل لهم يا محمد: نعم وربي إنه لحق لاشك فيه. اهـ. جامع البيان ١٢٢/١١.

٥٤- وقوله ﷻ: قُلْ بِفَضلِ الله وبرحمتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيفْرحوا.. [آية: ٥٨].

قال الحسن: فضلُه، ورحمته: القرآن.

وقال أبو التياح[1] **بِفَضلِ الله** يعني الإسلام **وبرحمتِهِ** يعني القرآن **فَبِذَلِكَ فَلْتفْرحوا** [2] يا أصحابَ محمد ﷺ **هو خيرٌ مما يجمعونَ** قال: يعني الكفار.

وروى عكرمة عن ابن عباس **بِفَضلِ الله** القرآنُ **وبرحمتِهِ** أن جعلنا من أهله.

٥٥- وقوله ﷻ: قُلْ أرأيتم ما أنـزلَ الله لكُم من رزقٍ فَجعلْتم منه حراما وحلالاً.. [آية: ٥٩].

قال مجاهد: يعنى البحائر والسوائب.

وقال الضحاك: يعني بقوله **وجعلُوا للهِ مِما ذَرأَ مِن الحرثِ والأنعامِ نصِيبا** [الأنعام: ١٣٦].

٥٦- وقوله ﷻ: وما تكُونُ فِي شأنٍ وما تتلُو مِنه مِن قُرآنٍ ولاَ تعملُونَ مِن عملٍ إلا كُنا عليْكُم شهودا إذْ تفِيضونَ فِيهِ.. [آية: ٦١].

معنى **وما تكُونُ فِي شأنٍ** أي: وأي وَقْتٍ تكونُ في شأنٍ، من عبادةٍ، أو غيرها **وما تتلُو مِنه مِن قُرآنٍ** قال أبو إسحاق: المعنى من الشأن.

٥٧- وقوله ﷻ: إذْ تفِيضونَ فِيهِ [آية: ٦١].

أي: تأخذون فيه، ومنه: أفاضَ في الحديث.

٥٨- وقوله ﷻ: وما يعزب عن ربك مِن مثْقَال ذَرةٍ [آية: ٦١].

أي وما يبعد ولا يغيب.

ومثقال الشيء: وزنه، والذرةُ: النملة الصغيرةُ.

٥٩- وقوله ﷻ: ألا إن أولياءَ الله لا خوفٌ عليهم ولاَ هم يحزنونَ [آية:٦٢].

يروى أن رجلاً قال للنبي ﷺ: من أولياء الله؟ فقال: «**الذين إذا رؤوا ذُكِر الله**»[3].

---

(١) يزيد بن حمَيد الضبيعي البصري، تابعي ثقة توفي سنة ١٢٨هـ قال أحمد: ثبت ثقة، انظر التهذيب لابن حجر ٣٢٠/١١.

(٢) هذه قراءة أُبي بن كعب، ذكرها ابن الجزري في النشر ٢٨٥/٢، وعدها ابن جني في المحتسب ٣١٣/١ من القراءات الشاذة، وقال أبو حيان: رويت عن النبي ﷺ «فلتفرحوا» و«تجمعون» بالتاء فيهما على المخاطبة، وهي قراءة جماعة من السلف، والجمهور بالياء. انظر البحر المحيط ١٧٢/٥.

(٣) الحديث أورده ابن كثير في التفسير ٢١٤/٤ من رواية البزار مرفوعا عن سعيد بن جبير عن ابن

حدثنا أبو جعفر: قال: نا الحسين: بن عمر الكوفي ببغداد، قال: نا العلاء بن عمرو **قال:** نا يحيى بن اليمان، عن أشعث بن إسحاق القُمي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون**﴾ قال: يذْكَر الله ﷻ برؤيتهم[1].

٦٠- وقوله ﷻ: ﴿**لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة..**﴾ [آية: ٦٤].

قال عبادة بن الصامت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﷻ ﴿**لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾ فقال: «**هي الرؤيا الصالحةُ يراها المسلم، أو ترى له، وفي الآخرة: الجنةُ**»[2].

وفيها قول آخر رواه شعبة عن ابن عمران الجوني عن عبد الله ابن الصامت عن أبي ذر قلت للنبي ﷺ: «**الرجل يعمل لنفسه خيرا، ويحبه الناس، فقال: تلك عاجلُ بشرى المؤمنين في الدنيا**»[3].

٦١- وقوله ﷻ: ﴿**لا تبديلَ لكلماتِ الله..**﴾ [آية: ٦٤].

أي لا خلْفَ لوعده.

وقيل: معنى ﴿**لا تبديلَ لكلماتِ الله**﴾ لا تبديل لأخباره، أي لا ينسخها شيءٌ، ولا تكون إلا كما قال.

٦٢- وقوله ﷻ: ﴿**ولا يحزنك قولُهم..**﴾ [آية: ٦٥].

أي لا يحزنك إيعادهم، وتكذيبهم، واستطالتهم عليك.

٦٣- وقوله ﷻ: ﴿**إن العزةَ لله جميعا..**﴾ [آية: ٦٥].

أي إن الغلبة لله.

=

عباس عن النبي ﷺ، وذكره الطبري عن سعيد بن جبير مرسلاً ١٣١/١١.

(١) الحديث أخرجه الطبري في جامع البيان ١٣١/١١.

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣١٥/٥، وابن جرير ١٣٣/١١.

(٣) الحديث رواه مسلم في كتاب البر باب إذا أثنى على الصالح فهي بشرى ٢٠٣٤/٤ بـ رقم ٢٦٤٢ ولفظه: عن أبي ذر قال: قيل لرسول الله ﷺ «أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: تلك عاجل بشرى المؤمن»، وأخرجه أحمد في المسند ١٥٦/٥.

٦٤- وقوله ﷻ: وما يتبع الذين يدعونَ من دون الله شركآءَ إن يتبعونَ إلا الظن وإنْ هم إلا يخرصونَ [آية: ٦٤].
أي يَحْدِسون ويحزرون.
٦٥- وقوله ﷻ: هو الذي جعلَ لكُم الليلَ لتسكُنوا فيهِ والنهار مبصِرا.. [آية: ٦٧].
أي مُبصِرا فيه على النسب، كما قال **في عِيشةٍ راضيةٍ** [الحاقة: ٢١] أي ذات رضي، أي يرضىَ ا.
٦٦- وقوله ﷻ: إنْ عِندكُم من سلْطانٍ بهذَا... [آية: ٦٨] أي ما عندكم من حجة ذا.
٦٧- ثم **قال ﷻ: قُلْ إن الذين يفْترونَ على الله الكَذِب لا يفْلِحونَ** [آية: ٦٩]. تم الكلام.
ثم قال: **متاعٌ في الدنيا** أي ذلك متاع في الدنيا.
٦٨- وقوله ﷻ: فَأجمِعوا أمركُم وشركآءَكُم [آية: ٧١].
قال الفراء: معناه وادعوا شركاءكم، قال: والإجماع: الإعداد، والعزيمةُ على الأمر.
وقال أبو العباس: هو محمول على المعنى، لأن معنى «أجْمِعوا» و«اجْمَعوا» واحد.
وقال أبو إسحاق: المعنى مع شركائكم، قال: وقولُ الفراءِ لا معنى له، لأنه إن كان يذهب إلى أن المعنى: وادْعوا شركاءكم ليعينوكم فمعناه معنى «مع» وإن كان يذهب على الدعاءِ فقط، فلا معنى لدعائهم لغير شيءٍ.
وقرأ الجحدري ويروى عن الأعرج **فَاجمِعوا أمركُم** بوصل الألف وفتح الميم[(١)].
وقرا الحسن: فَأجمِعوا أمركُم وشركاؤكُم [(٢)].
قال أبو جعفر: وهذا يدل على أ ما لغتان بمعنى واحد.
٦٩- وقوله ﷻ: ثُم لا يكُن أمركُم عليكُم غُمةً.. [آية: ٧١].
فيه قولان:

---

(١) هذه من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٢٨ وهي رواية نصر عن الأصـمعي، وروى غير الأصمعي عن نافع مثل قراءة سائر القراء فأجْمِعوا أمركم بالهمزة وكسر الميم مـن «أجمعت».
(٢) هذه القراءة عدها ابن جني في المحتسب ٣١٤/١ من القراءات الشاذة.

أحدهما: أن معنى «غُمة» كمعنى غَم.

والآخر: وهو أصح في اللغة أن المعنى: ليكنْ أمركُمْ ظاهرا، يقال: القوم في غُمة: إذا عَمِيَ عليهم أمرهم والتبس، ومن هذا: غُم الهلالُ على الناس، أي غَشِيَةُ ما غطاه.

والغَم من هذا إنما هو ما غَشِيَ القلبَ من الكَرْبِ فضيقه ، وأصلُ هذا مشتق من الغَمَامَةِ.

٧٠- وقوله ﷻ: **ثم اقْضوا إِلَي ولا تنظِرون** [آية: ٧١].

أي ثم افعلوا ما بدا لكم.

قال الكسائي: ويقرأ **وأفْضوا إِلَي** [1] بقطع الألف والفاء.

٧١- وقوله ﷻ: **قَالُوا أجِئْتنا لِتلْفِتنا عما وجدنا عليهِ آباءَنا..** [آية: ٧٨].

قال قتادة: أي لتلوينا.

قال أبو جعفر: وهذا معروف في اللغة، يقال لَفَته يَلْفِته: إذا عَدَله. ومن هذا التفت إنما هو عَدَل عن الجهة التي بين يديه.

٧٢- ثم **قال تعالى**: **وتكُونَ لكُما الكِبرياءُ فِي الأرض** [آية: ٧٨].

قال مجاهد: أي المُلْك، وذلك معروف في اللغة، وإنما قيل للملك: كبرياء، لأنه أكبر ما ينال في الدنيا.

٧٣- وقوله ﷻ: **فَلما ألْقَوا قَالَ موسى ما جِئْتم بِهِ السحر..** [آية: ٨١].

من قرأ **السحر** فمعناه عنده التوبيخ، أي: أي شيء جئتم به السحْر هو؟

٧٤- وقوله ﷻ: **فَما آمن لِموسى إِلا ذُريةٌ من قَومِهِ..** [آية: ٨٣].

قال ابن عباس: أي قليل.

وقال مجاهد: يعني أنه لم يؤمن به منهم أحد، وإنما آمن اولادهم.

وقال بعض أهل اللغة: إنما قيل لهم ذرية، لأن آباءهم قِبطٌ، وأمها م من بني إسرائيل، كما قيل لمن سقط من فارس إلى اليمن الأبناء، يذهب إلى أ م رجالٌ مذكورون.

٧٥- ثم **قال** ﷻ: **علَى خوفٍ من فِرعونَ وملَئِهم أن يفْتِنهم** [آية: ٨٣].

فقال: «وَمَلَئِهمْ» لأنه قد علم أن معه من يأتمر له، ويرجع إلى قوله.

وقيل: المعنى على خوفٍ من آل فرعون.

(١) هذه قراءة السري بن ينعم، ذكرها ابن جني في المحتسب ٣١٥/١، وعدها من القراءات الشاذة.

٧٦- وقوله ﷻ: ربنا لا تجعلنا فتنةً للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين [آية: ٨٥- ٨٦].

قال مجاهد: أي لا تهلكنا بأيدي أعدائنا، ولا تعذّبنا بعذاب من عندك، فيقول أعداؤنا: لو كانوا على حق لما سلطْنا عليهم، ولَمّا عذبوا، أي فيفتتنوا بذلك.

وقال أبو مجلز: لا يظهروا فيرَوا أنهم خير منا.

٧٧- وقوله ﷻ: واجعلوا بيوتكم قبلةً.. [آية: ٨٧].

قال ابن عباس: أي مساجد.

وقال مجاهد: أي نحو الكعبة.

وقال إبراهيم النخعي: كانوا على خوف كما أخبر الله ﷻ، فأُمروا أن يصلوا في بيوتهم، لئلا يلحقهم أذى.

٧٨- وقوله ﷻ: ربنا إنك آتيت فرعونَ وملأَه زينةً وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك.. [آية: ٨٨].

وَليضِلوا.

المعنى: فأصارهم ذلك إلى الضلال كما قال ﷻ **فالتقطه آلُ فرعونَ ليكُونَ لهم عدوا وحزنا** [القصص: ٨] أي: فآل أمرهم إلى ذلك، وكأنهم فعلوا ذلك لهذا.

وبعض أهل اللغة يقول: لام الصيرورة، وهي لام «كَيْ» على الحقيقة.

٧٩- وقوله ﷻ: ربنا اطمس على أموالهم.. [آية: ٨٨].

قال قتادة: بَلَغَنا أن أموالهم وزروعهم صارت حجارة.

قال مجاهد: أي أهلِكْهَا.

قال أبو جعفر: ومعروف في اللغة أن يقال: طَمَسَ الموضع: إذا عَفَا ودَرَسَ.

٨٠- ثم **قال** ﷻ: **واشدد على قلوبهم..** [آية: ٨٨].

قال مجاهد: أي بالضلالة.

وقال غيره: أي قسها.

والمعنى واحد.

٨١- ثم **قال** ﷻ: **فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم** [آية: ٨٨].

قال مجاهد: دعا عليهم.

قال أبو جعفر: وهذا لأنهم إذا رأوا العذاب لم ينفعهم الإيمان، فقد دعا عليهم.

قال أبو إسحاق: قال أبو العباس: هو معطوف على قوله تعالى: **ربنا ليضلوا عن سبيلك** .

٨٢- وقوله ﷻ: قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما [آية: ٨٩].

قال قتادة: دعا موسى، وأمن هارونُ.

حدثنا محمد بن الحسين بن سَمَاعَة بالكوفة قال: نا أبو نعيم، قال: نا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية قال: **قد أجيبت دعوتكما** قال: دعا موسى فأمن هارون صلى الله عليهما.

قال أبو جعفر: وهو حَسَن عند أهل اللغة، لأن التأمين دعاءٌ، ألا ترى أن معنى آمين: استجبْ.

٨٣- وقوله ﷻ: وجاوزنا ببني إسرائيلَ البحر فأتبعهم فرعونُ وجنوده بغيا وعدوا.. [آية: ٩٠].

وقرأ قتادة: فاتبعهم فرعونُ وجنوده بوصل الألف[1].

قال الأصمعي: يقال: أُتبَعَه، بقطع الألف إذا لَحِقه وأدركه، واتَبعه- بوصل الألف-: إذا اتبع أثره، أدركه أو لم يدركه، وكذلك قال أبو زيد.

وقيل: اتبعه- بوصل الألف- في الأمر: اقتدى به، وأُتبَعَه بقطع الألف خيرا أو شرا، هذا قول أبي عمرو.

وقيل: هما واحد.

وقرأ قتادة: بَغْيا وَعَدْوا **والعدو: الظلم.**

٨٤- وقوله ﷻ: حتى إذا أدركه الغرق قالَ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيلَ.. [آية: ٩٠].

روى شعبة عن عدي بن ثابت، وعطاء بن السائب، قالا: سمعنا سعيدَ بنَ جبير، يحدث عن ابن عباس، قال شُعْبَةُ: رَفَعه أحدهما إلى النبي ﷺ قال: «**إن جبرائيل** عليه السلام **كان يدس الطين، فيجعله في في فرعونَ، قال:** مخافة **أن يقول: لا إله إلا أنت، فيغفر له**»[2].

(١) هذه قراءة الحسن وقتادة، انظر البحر المحيط ١٨٨/٥، والمحرر ٢١٠/٧، وقراءة الجمهور فأتبعهم بالقطع بمعنى لحقهم.

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند ٣٠٥/١، والترمذي مرفوعا برقم ٥١٠٧ من حديث ابن عباس بلفظ: «لما أغرق الله فرعون، قال فرعون: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، فقال جبرائيل: يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر- أي طينه الأسود- وأدسه في فيه، مخافة أن =

وقال عونُ بن عبد الله: بلغني أن جبرائيل قال للنبي ﷺ: ما وَلَدَ إبليس ولدا قط أبغض إلي من فرعون، وأنه لما أدركه الغرق، قال **آمنت** الآية.. فخشيت أن يقولها فيرحم، فأخذت تربةً أو طينة فحشو ا في فيه(١).

وقيل: إن جبرائيل إنما فَعَل هذا به، عقوبةً له، على عظيم ما كان يأتي.

٨٥- وقوله ﷻ: فَالْيوم ننجيك ببدنك لتكونَ لمن خلْفَك آيةً.. [آية: ٩٢].

قال قتادة: لم تصدق طائفةٌ من الناس أنه غرق، فأخرج لهم ليكون عظة وآية(٢).

وقال غيره : الآية فيه أن يدعي أنه رب ، وكان قومه يعبدونه ، فأراهم الله إياه بعدما غرقه.

ومن الآية فيه أنه غَرِق هو وقومه، فأُخرجَ دونَهم.

قال أبو عبيدة: معنى **ننجيك** نلقيك على نَجْوَةٍ من الأرض.

وقال غيره: النجْوَة والنْبوةُ: ما ارتفعَ من الأرض.

وقُرئَ **ننجِيك** (٣) والمعنى واحد.

وروي عن يزيد المكي أنه قَرَأ **فَالْيوم ننحيك** (٤) بالحاء.

ببدنك قيل: أي وحدك. وقيل: بدرعك.

وقال مجاهد: بجسدك. وهذا أحسن الأقوال.

قيل: معناه بجسدك فقط، أي عريانا بغير روحٍ.

٨٦- وقوله ﷻ: ولَقَد بوأنا بني إسرائيلَ مبوأ صِدقٍ.. [آية: ٩٣].

=

تدركه الرحمة» وقال: هذا حديث حسن، ورواه برقم ٥١٠٨، وقال: حديث حسن غريب صحيح، وأخرجه الطبري في التفسير ٦٣/١١ بلفظ: «مخافة أن تدركه الرحمة».

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣١٦/٣ وعزاه إلى الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة مرفوعا ولفظه: «قال لي جبريل ما كان على الأرض شيء أبغض إلي من فرعون، فلما آمن جعلت أحشو فاه حمأة، وأنا أغطه خشية أن تدركه الرحمة».

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ١٦٥/١١، وابن كثير ٢٢٨/٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٦١/٤.

(٣) هذه قراءة يعقوب، انظر النشر في القراءات العشر ٢٨٧/٢.

(٤) هذه القراءة عداها ابن جني من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٣١٦/١.

أي أنـزلناهم.

قال قتادة: يعني الشامَ وبيت المقدس.

وقال الضحاك: مصر والشامَ.

٨٧- وقوله ﷻ: **﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنـزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ..﴾** [آية: ٩٤]. في **معناه أقوال**:

١- منها: أن المخاطبة للنبي ﷺ مخاطبةٌ لأمته، فالمعنى على هذا: فإن كنتم في شك كما قال تعالى **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾** [الطلاق: ١].

٢- وقيل: هذا كما يقال: إنْ كنتَ أبي فافعل كذا، وهو أبوه.

٣- وقيل: «إنْ» هاهنا بمعنى (ما) كما قال ﷻ: **﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾** [الملك: ٢٠] والمعنى: فما كنت في شك مما أنـزلنا إليك، فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك، سؤال ازدياد، كما قال تعالى إخبارا عن إبراهيم **﴿قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾** [البقرة: ٢٦٠].

وقال أبو العباس محمد بن يزيد: المعنى يا محمد: قل للشاك: إنْ كنتَ في شك، فاسأل الذين يقرءون الكتاب، أي سَلْ من آمن من أهل الكتاب، فيخبرك بصفة النبي ﷺ في كتابه.

قال الحسن: لم يسألْ ولم يشك.

وقال الضحاك: الذين يقرءون الكتاب، يعني م مَنْ آمنَ مِنْ أهل الكتاب، وكان من أهل التقوى.

٨٨- وقوله ﷻ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ**[1] **رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [آية: ٩٦].

قال قتادة: أي إن الذين حق عليهم غضب الله وسَخَطُه بمعصيتهم، لا يؤمنون.

٨٩- وقوله ﷻ: **﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ..﴾** [آية: ٩٨].

قال قتادة: لم يؤمنْ قوم حين رأوا العذاب إلا قومَ يونس.

---

(١) قرأ أبو عمرو، وعاصم، والحسن، وأبو رجاء ﴿كلمةُ ربكَ﴾ بالإفراد، وقرأ نافع وأهـل المدينـة ﴿كلمات ربك﴾ بالجمع، انظر النشر في القراءات العشر ٨٧٣/٢.

وقال غيره: لم يروا العذاب، وإنما رأوا دليله، فقُبِلَتْ توبتهم.

وذُكِرَ هذا على أثرِ قصةِ فرعونَ، لأنه آمن حين رأى العذابَ فلم ينفعه ذلك.

قال قتادة: خرج قوم يونس ففرقوا بين البهائم وأولادها، وأقاموا يدعون الله ﷻ، فتاب عليهم.

٩٠- وقوله ﷻ: ﴿إلا قوم يونس..﴾.

هذا عند الخليل، وسيبويه، استثناءٌ منقطع، لأ م أمةٌ غير الأمم الذين استثْنوا منهم، ومنهم غير جنسهم وشكلهم، وإن كانوا من بني آدم.

ومعنى ﴿إلى حِينٍ﴾ إلى حين فناء آجالهم.

٩١- وقوله ﷻ: ﴿ولو شاءَ ربك لآمن من في الأرض كُلهم جمِيعا..﴾ [آية: ٩٩].

فيه قولان:

أحدهما: أنه سبق في علمه، أنه لن يؤمن إلا من قد سبقت له السعادة، في الكتاب الأول، كما رَوَى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: «خبره ﷻ أنه لن يؤمن إلا من قد سَبَقَ له من الله، سعادةٌ في الذكْرِ الأول، ولا يَضِل إلا مَنْ سَبَقَ له من الله الشقَاءُ في الذكرِ الأول».

والقول الآخر: ولو شاء ربك لعاجَلَ الكافر بالعقوبة، فآمن الناس كله، ولكنْ لو كان ذلك لم يكن لهم في الإيمان ثواب، فوقعت المحنةُ بالحكمة[1].

وعن ابن عباس ﴿ويجعلُ الرجس﴾ قال: السخَط.

ثم **قال**: ﴿**على الذِين لا يعقِلُونَ**﴾ أي لا يعقلون عن الله حجَجه ومواعِظَه، وبراهيَنه الدالة على النبوة.

٩٢- ثم قال ﷻ: ﴿قُل انظُروا ماذَا في السماواتِ والأرض..﴾ [آية: ١٠١].

أي من الدليل على قدرة الله جل ذكره.

ثم **قال**: ﴿**وما تغنِي الآيات والنذُر**﴾ أي الأدلةُ، والنذُر: جمع نذيرٍ، وهو الرسولُ ﴿**عن قَومٍ لا يؤمِنونَ**﴾ أي لا يصَدقُون حتى يَروا العذابَ.

٩٣- ثم قال ﷻ: ﴿فَهلْ ينتظِرونَ إلا مِثْلَ أيامِ الذِين خلَوا مِن قبلِهم..﴾ [آية: ١٠٢].

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٧٣/١١ عن ابن عباس.

يعني هؤلاء المكذبين من العقاب.

﴿إلا مِثْلَ أيامِ الذِين خلوا مِن قَبلِهم﴾.

قال قتادة: يقول: وقائع الله ﷻ في الذين خَلَوْا من قبلهم، قوم نوحٍ، وعادٍ، وثمودَ[1].

٩٤- ثم قال ﷻ: ﴿ثُم ننجي رسلنا والذِين آمنوا..﴾ [آية: ١٠٣].

أي من ذلك الهلاكِ **﴿كذلك﴾** أي كما فعلنا بالماضين.

٩٥- ثم قال ﷻ: ﴿يا أيها الناس إِن كُنتم فِي شك من دِيني﴾ [آية: ١٠٤].

أي الذي أدعوكم إليه، فلم تعلموا أنه حق **﴿فَلا أعبد الذِين تعبدونَ مِن دون الله﴾** من الأوثان وغيرها، التي لا تنفع شيئًا ولا تضر **﴿ولكِن أعبد الله﴾** الذي لا ينبغي أن تشكوا فيه **﴿الذِي يتوفاكُم﴾** أي يقبض الخلق فيميتهم **﴿وأمِرت أنْ أكُونَ مِن المؤمِنين﴾** أي وهو امرني أن أكون من المصدقين.

٩٦- ثم قال ﷻ: ﴿وأنْ أقِم وجهك لِلدين حنِيفًا..﴾ [آية: ١٠٥].

«أن» الثانية عطف على الأولى: أي أقم نفسَكَ على دين الإسلام **﴿حنِيفًا﴾** مائلاً إلى الإسلام **﴿ولاَ تكُونن مِن المشركِين﴾** أي ممن أشرك في عبادته الأنداد.

٩٧- وقوله ﷻ: ﴿ولاَ تدع مِن دون الله ما لاَ ينفَعك ولاَ يضرك..﴾ [آية: ١٠٦].

أي في دين ولا دنيا.

﴿فَإِن فَعلْت فَإِنك إِذًا من الظالِمِين﴾ أي فإن فعلت ذلك فعبد ا، فإنك إذًا من الظالمين لأنفسهم.

٩٨- ثم قال ﷻ: ﴿وإِن يمسسك الله بِضر فَلا كاشِف لَه إِلا هو..﴾ [آية: ١٠٧].

أي دون ما يعبده هؤلاء المشركون **﴿وإِن يردك بِخير﴾** أي برخاءٍ ونعمة، وعافيةٍ وسرور **﴿فَلاَ راد لِفَضلِهِ﴾** أي فلا يقدر أحد أن يحول بينك وبين ذلك، ولا يرده عنك، لأنه الذي بيده ذلك، لا إلى غيره.

٩٩- وقوله ﷻ: ﴿قُلْ يا أيها الناس قَد جاءَكُم الْحق مِن ربكُم..﴾ [آية: ١٠٨].

أي القرآن الذي فيه بيانُ ما بالناس إليه حاجة **﴿فَمن اهتدى﴾** سَلَكَ سبيلّ الحق **﴿فَإِنما يهتدِي لِنفْسِهِ﴾** أي فإنما يستقيم على الهدى لخير نفسه **﴿ومن ضل﴾** أي عَدَل عن

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١١/١٧٦.

الحق الذي أتاه **فإنما يضل عليها** أي: فإنما يَجْني به على نفسه، لا على غيرها.

١٠٠- وقوله ﷻ: **وما أنا عليكم بوكيل** [آية: ١٠٨].

أي بمسلط على تقويمكم، إنما أمركم إلى الله ﷻ، هو الذي يقَوم من شاء منكم، وإنما أنا مبلغٌ.

١٠١- وقوله ﷻ: **واتبع ما يوحى إليك..** [آية: ١٠٩].

أي اعمل به.

ثم **قال** ﷻ: **واصبر** أي على ما أصابك في الله، من مشركي قومك **حتى يحكم الله** أي حتى يقضي فيهم.

وقيل: أمَرَه بفعلٍ فاصل. **وهو خير الحاكمين** أي خير القاضين وأعدل الفاصلين.

وقال ابن زيد: هذا منسوخ، حَكَم الله بجهادهم، وأمر بالغلظة عليهم.

وقال غيره: حَكَمَ بيَنه وبينهم يوم بدرٍ، فقتلهم بالسيف، وأمر نبيه ﷺ فيمن بقيَ منهم، أن يَسْلك م سَبيلَ من أهْلِك منهم، أو يَتوبوا.

تمت سورة يونس

❁ ❁ ❁

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سورة هود وهي مكية

من ذلك قوله ﷻ: الر كِتاب أُحْكِمتْ آياته ثُم فُصلتْ.. [آية: ١].

المعنى: هو كتاب أُحكمت آياته.

قال الحسن: أُحكمت بالأمر والنهي، ثم فُصلت بالثواب والعقاب.

وقال قتادة: أحكمها والله من الباطل، ثم فصلها بعلمه، وبين حلالها وحرامها، والطاعة والمعصية

وقال مجاهد: فُصلت: فسرت.

وقيل: أحكمت فلا ينسخها شيءٌ بعدها، ثم فصلت: أُنـزلت شيئًا بعد شيء.

ومن أحسنها قولُ قتادة: أي أحكَمها من الخلل والباطل.

ثم **قال ﷻ: مِن لدنْ حكِيمٍ خبِيرٍ** .

قال قتادة: أي من عند حكيم خبير.

٢- ثم قال ﷻ: ألا تعْبدوا إلا الله إنني لكُم منْه نذِير وبشِير [آية: ٢].

يجوز أن يكون المعنى: بأن لا تعبدوا إلا الله.

ويجوز أن يكون المعنى: لئلا تعبدوا.

ويجوز أن يكون المعنى: أمرتم أن لا تعبدوا إلا الله.

٣- وقوله ﷻ: وأن اسْتغْفِروا ربكُمْ ثُم توبوا إليْهِ يمتعْكُم متاعا حسنا إلى أجلٍ مسمى.. [آية: ٣].

يمتعكُم: يعمركم، وقيل: لا يهلككم.

وأصل الإمتاع: الإطالة، ومنه: أمتع الله بك، ومتع.

قال قتادة: إلى أجلٍ مسمى، أي إلى الموت.

٤- وقوله ﷻ: ويؤْتِ كُل ذِي فَضْلٍ فَضْله.. [آية: ٣].

أي من كان له عملٌ صالح، أُوتي ثوابه.

٥- وقوله ﷻ: ألا إنهمْ يثْنونَ صدورهمْ ليسْتخْفُوا مِنْه.. [آية: ٥].

قال عبد الله بن شداد: كان أحدهم يمر بالنبي ﷺ فيثني صدره، ويتغشى ثوبه، كراهةَ أن يراه النبي ﷺ.

وقال أبو رزين[١]: كان الرجلُ يضطجع على شِقه، ويتغشى ثوبه ليستخفي.

وقال مجاهد: **يثْنونَ صدورهمْ** شكاً وامتراءً **لِيسْتخْفُوا مِنْه** أي من الله إن استطاعوا.

وقال الحسن: يعني حديثَ النفس، فأعلَم الله ﷻ أ م حين يستغشون ثيا م في ظلمة الليل، وفي أجواف بيو م، يعلم تلك الساعة، ما يسرون وما يعلنون.

قال أبو جعفر: وهذه المعاني متقاربةٌ، أي يسِرون عداوةَ النبي ﷺ ويطوون.

ومن صحيح ما فيه ما حدثناه علي بن الحُسين، قال: قال الزعفراني: حدثنا حجاج، قال ابن جريج أخبرني محمد بن عباد بن جعفر، أنه سمع ابن عباس يقرأ: **ألا إِنهمْ يثْنونَ صدورهمْ** [٢] قال: سألته عنه فقال: «كان ناس يستحيون أن يتخلوا، فيفْضوا إلى السماء، فنـزل ذلك فيهم.

ويروى أن بعضهم قال: أغلقت بابي، وأرخيت سِتري، وتغشيت ثوبي، وثَنيت صدري فمن يعلم بي؟ فأعلم الله ﷻ أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون.

ونظيره **ما يكُونُ مِن نجْوى ثَلاثَةٍ إِلا هو رابِعهمْ** [المجادلة: ٧].

ومن قرأ **تثْنوْني صدورهمْ** [٣] وهي قراءة ابن عباس، ذهب إلى معنى التكثير، كما يقال: احلَولَى الشيء، وليست تثْنوني حتى يثنوها، فالمعنى يؤولُ إلى ذاك.

٦- وقوله ﷻ: **وما مِن دابةٍ فِي الأَرْضِ إِلا على الله رِزْقُها..** [آية: ٦].

يقال لكل ما دب من الناس وغيرهم: داب ودابةٌ على المبالغة، تأنيث على الصفة والخِلْقة.

٧- وقوله ﷻ: **ويعْلم مسْتقَرها ومسْتوْدعها..** [آية: ٦].

قال عبد الله بن مسعود: **مسْتقرها** في الرحِم، و **مستودعها** في الأرض التي تموت فيها.

وقال مِقْسم عن عبد الله بن عباس: مستقرها حيث تأوي إليه ومستودعها حيث تموت في الأرض.

---

(١) مسعود بن مالك الأسدي، كوفي ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة ٨٥ هـ. انظر ذيب التهذيب ١١٨/١٠.

(٢) هذه القراءة عدها ابن جني من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٣١٨/١.

(٣) هذه القراءة من القراءات الشاذة.

وقيل: **مستقرها** ما يستقر عليه عملها، و **مستودعها** ما تصير إليه.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: مستقرها في الرحم،ومستودعها في الصلب.

٨- وقوله ﷻ: **وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام..** [آية:٧].

فخبر ﷻ أن من قدر على هذا لا يعجزه شيء.

٩- ثم **قال ﷻ:** **وكانَ عرْشه على الماءِ** [آية:٧].

قال سعيد بن جبير: سألت ابن عباس على أي شيءٍ كان الماءُ، ولم يخلُق سماءً ولا أرضا؟ فقال: على متنِ الريح.

١٠- ثم **قال ﷻ:** **ليبْلوكُمْ أيكُمْ أحْسن عملاً..** [آية: ٧].

أي ليختبركم فيظهر منكم ما يجازيكم عليه، لأنه إنما يجازي على الفعل، وإن كان قد عِلمه قبلُ.

١١- وقوله ﷻ: **ولئِنْ قُلت إنكُم مبعوثُونَ مِنْ بعْدِ الموْتِ ليقُولن الذِين كفَروا إنْ هذَا إلا سِحْر مبين** [آية: ٧].

ويقرأ **ساحِر** [(١)].

قال أبو جعفر: قال أبو إسحاق: والسحر عندهم باطلٌ، فكأنهم قالوا: إنْ هذا إلا باطلٌ.

١٢- وقوله ﷻ: **ولئِنْ أخرْنا عنْهم العذاب إلى أمةٍ معْدودةٍ..** [آية: ٨].

قال ابن عباس: أي إلى أجل معدود.

وقال مجاهد: أي إلى حين.

١٣- وقوله ﷻ: **وحاق بهم ما كانوا بهِ يسْتهْزئُونَ** [آية: ٨].

أي جزاءُ استهزائهم. والمعنى: أحاط م العذاب.

١٤- وقوله ﷻ: **ولئِنْ أذَقْنا الإنسانَ** [آية: ٩.

أي الكفار. **منا رحْمةً** أي رزقًا.

١٥- وقوله ﷻ: **إلا الذِين صبروا وعمِلُوا الصالِحاتِ** [آية: ١١].

استثناء ليس من الأول، بمعنى «لكِن» ويجوز أن يكون استثناءً من الهاء، لأن تقديره: إن الإنسان، والإنسانُ الجنس.

---

(١) هذه قراءة حمزة، والكسائي، وخلَف، انظر النشر في القراءات العشر ٢٥٦/٢.

١٦- وقوله ﷻ: أن يقولُوا لوْلا أنـزلَ عليْهِ كنـز أوْ جاءَ معه ملك.. [آية: ١٢].

أي كراهة أن يقولوا.

ثم **قال تعالى: إنما أنت نذير** أي: إنما عليك أن تنذِرهم وليس عليك أن تأتيهم من الآيات بما اقترحوا.

١٧- وقوله ﷻ: قُلْ فَأتوا بعشْرِ سورٍ مثْلِهِ.. [آية: ١٣].

المعنى: كل سورةٍ منها مثل سورةٍ منه **وادْعوا من اسْتطعْتم من دون الله** أي ليعينكم.

١٨- وقوله ﷻ: من كانَ يريد الحياةَ الدنيا وزينتها نوف إليْهمْ أعْمالهمْ فِيها وهمْ فِيها لا يبْخسونَ [آية: ١٥].

قال الضحاك: يعني المشركين، إذا عملوا عملاً جوزوا عليه في الدنيا وقال سعيد بن جبير: من عمل عملاً يريد به غير الله، جوزي به في الدنيا.

وقال مجاهد: من عمل عملاً ولم يتقبل منه أُعطي ثوابه في الدنيا.

قال أبو جعفر: وأحسنها قولُ الضحاك، لقوله بعد ذلك **أولئك الذين ليْس لهمْ في الآخِرةِ إلا النار**.

قال مجاهد: لا يبْخسونَ: لا ينقَصون.

١٩- وقوله ﷻ: أفَمنْ كانَ على بينةٍ من ربهِ.. [آية: ١٧].

قال عكرمة وإبراهيم ومنصور: يعني النبي ﷺ. **ويتْلُوه شاهِد منْه** جبريل عليه السلام.

وقال ابن عباس ومجاهد وإبراهيم **شاهِد منْه** أي جبريل ﷺ.

وقال الحسن: شاهِد منْه يعني لسانه.

وقال الضحاك: أفَمنْ كانَ على بينةٍ من ربهِ محمد ﷺ. **ويتْلُوه شاهِد منْه** أي من الله وهو جبريل عليه السلام.

وقال أبو جعفر: حدثني سعيد بن موسى بقَرقيسيا قال: نا مخلد بن مالكٍ، عن محمد بن سلْمة، عن خصيف **أفَمنْ كانَ على بينةٍ من ربهِ** قال: النبي ﷺ **ويتْلُوه شاهِد منْه** قال: جبريل عليه السلام.

قال أبو جعفر: تكون الهاءُ في ربهِ للنبي ﷺ، وفي يتلُوه تعود على البينة، لأن البينة والبيان واحد، وفي منه تعود على اسم الله ﷻ.

وقول الحسن يحتمل المعنى أي ولسانه يعبر عنه ويميز.

ويجوز أن تكون الهاء في ﴿مِنه﴾ تعود على ﴿من﴾.

وقيل: الشاهد القرآن ﴿ويتلُوه﴾ يكونُ بعده تاليا شاهدا ﴿ومن قَبلِهِ﴾ أي ومن قبل الشاهد، وقد قيل ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بينةٍ من ربهِ﴾ يعني به النبي ﷺ والمسلمون، واستشهد صاحب هذا القول بقوله ﴿أُولَئِكَ يؤْمِنونَ بِهِ﴾ والمعنى على القول الأول: أفمن كان على بينة من ربه، كالذي يريد الحياة الدنيا وزينتها؟

٢٠- ثم **قال** ﷻ: ﴿**وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ موسى إماما ورحْمةً**﴾ [آية: ١٧].

أي يصدقه.

وقيل: هو معطوف على الشاهد، أي ويتلوه كتاب موسى.

وقال مجاهد: في قوله ﴿**وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ موسى**﴾ التوراة.

٢١- ثم **قال** ﷻ: ﴿**ومن يكْفُرْ بِهِ مِن الأَحْزابِ فَالنار موْعِده**..﴾ [آية: ١٧].

قال قتادة: الأحزاب أهلُ الملل كلهم.

وقال سعيد بن جبير: كنت إذا وجدت الحديث عن النبي ﷺ صحيحا، أصبت مصداقَهُ في كتاب الله، فأنْكرت في قول النبي ﷺ «**ليس يسمع** بي **أحد فلا يؤمن** بي، **ولا يهودي ولا نصْراني إلا دخلَ النار**»[1] فطلبت مصداقه في كتاب الله، فإذا هو ﴿**ومن يكْفُرْ بِهِ مِن الأَحْزابِ فَالنار موْعِده**﴾ والأحزاب: أهلُ الأديان كلها لأنهم يتحاربون.

٢٢- وقوله ﷻ: ﴿**ومنْ أَظْلَم مِمن افْترى على الله كَذِبا أُولَئِكَ يعْرضونَ على ربهمْ ويقُولُ الأَشْهاد هؤلاءِ الذِين كَذَبوا على ربهمْ**..﴾ [آية: ١٨].

قال الضحاك: الأشهاد الأنبياءُ والمرسلون، قال الله ﷻ ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنا مِن كُل أُمةٍ بِشهيدٍ وجِئْنا بِك على هؤلاءِ شهيدا**﴾.

وقال مجاهد: الأشهاد الملائكة.

وقال سفيان: سألت الأعمش عن الأشهاد فقال: هم الملائكة.

٢٣- وقوله ﷻ: ﴿**يضاعف لهم الْعذَاب ما كَانوا يسْتطِيعونَ السمْع وما كَانوا**

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه ١٣٢/١ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»، وقد ذكره المؤلف هنا بالمعنى.

يبْصِرونَ [آية: ٢٠].

قال قتادة: ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا خيرا فينتفعوا به، ولا يبصرون خيرا فيأخذوا به.

وحكى الفراء عن بعض المفسرين أن المعنى: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يعقلون. وذهب إلى أن هذا مثل قولهم: جزيته فعله وبفعله.

ومن أحسن ما قيل فيه- وهو معنى قول ابن عباس- إن المعنى: لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع، ولا يبصرونه بصر مهتد، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين.

وقد روي عنه **ما كانوا يسْتطِيعونَ السمْع** يعني: الآلهة.

٢٤- وقوله ﷻ: مثَلُ الفَرِيقيْن كالأعْمى والأصم والبْصِير والسمِيع.. [آية: ٢٤].

قال الضحاك: الأعمى والأصم مثلٌ للكافر، والبصير والسميع مثلٌ للمؤمن.

قال أبو جعفر: وهذا قولٌ حسن يدل عليه قوله تعالى: **هلْ يسْتويان مثَلاً** ؟ فدل هذا على أن هذا لاثنين.

٢٥- وقوله ﷻ: فقَالَ المْلأ الذِين كفَروا مِن قوْمِه ما نراك إلا بشرا مثْلَنا وما نراك اتبعك إلا الذِين همْ أراذِلُنا.. [آية: ٢٧].

الملأ: الرؤساءُ، والأراذلُ: الأشرار الذين ليسوا برؤساء، واحدهم أرذل.

٢٦- وقوله ﷻ: بادِي الرأي [آية: ٢٧].

ويقرأ **بادِي الرأي** بالهمز، فمعنى المهموز ابتداء الرأي، أي إنما اتبعوك ولم يفكروا ولم ينظروا، ولو فكروا لم يتبعوك.

ومعنى الذي ليس بمهموز: اتبعوك في ظاهر الرأي، وباطنهم على خلافِ ذلك.

يقال: بدا يبدو: إذا ظهر.

ويحتمل أن يكون معناه: اتبعوك في ظاهر الرأي، ولم يفكروا في باطنه وعاقبته، فيكونُ على هذا القول بمعنى المهموز.

٢٧- وقوله ﷻ: قَالَ يا قوْمِ أرأيتمْ إن كنْت على بينةٍ من ربي.. [آية: ٢٨].

أي على يقين وبيان، وهذا جواب لهم، لأ م عابوا من اتبعه، فقال: **أرأيتمْ إن كنْت على بينةٍ من ربي** أي فإذا كنت على بينةٍ من ربي، فمن اتبعني فهو بصير،

ومغفور له.

٢٨- ثم قال ﷻ: **وآتاني رحْمةً منْ عِنْدِهِ..** [آية: ٢٨].

قال الفراء: يعني الرسالة، لأ ا نعمةٌ ورحمةٌ.

٢٩- ثم قال ﷻ: **فَعميتْ عليْكُمْ** [آية: ٢٨].

أي لم تفهموها، يقال: عمِيت عن كذا، وعمِي علي كذا، أي لم أفهمه، والمعنى: فَعمِيت الرحمةُ.

ويقرأ فَعمِيتْ [1] فقيل هو مِثْلُ: دخلَ الخف في رجلي مجاز، إلا أن الرحمة هي التي تعمى، وصاحبها يعمى.

وقال ابن جريج: وآتاني رحْمةً منْ عِنْدِهِ : الإسلام والهدى، والحكم والنبوة.

٣٠- ثم قال ﷻ: **أنلزمكُموها وأنْتمْ لَها كارهونَ** [آية: ٢٨].

أي أنوجبها عليكم وأنتم كارهون لفهمها؟

٣١- ثم قال ﷻ: **وما أنا بطاردِ الذين آمنوا..** [آية: ٢٩].

فدل ذا على ا م سألوه أن يطردهم.

٣٢- ثم قال ﷻ: **إنهم ملاقُو ربهمْ** [آية: ٢٩].

أي فيجازي من طَردهم على ما فَعل.

قال الفراء: معنى **من ينصرني** : من يمنعني؟

٣٣- ثم قال ﷻ: **ولا أقولُ للذين تزْدري أعْينكُمْ** [آية: ٣١].

معنى «تزدري»: تستقل وتستخِس، يقال: زريت على الرجل: إذا عِبته واستخسست فعله، وأزريت به: إذا قصرت به.

والمعنى: إنكم قلتم: إن هؤلاء اتبعوني في ظاهر الرأي، وإنما أدعو إلى توحيد الله ﷻ، فمن اتبعني قِبلْته، وليس علي ما غاب.

٣٤- وقوله ﷻ: **قالُوا يا نوح قدْ جادلْتنا فأكْثرْت جِدالنا فأتنا بما تعِدنا إنْ**

---

(١) قال ابن مجاهد: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عمر فَعمِيت بتخفيف الميم وفتح العين، وقرأ حمزة، والكسائي، وكذلك حفص عن عاصم فَعمِّيت بضم العين وتشديد الميم. انظر السبعة في القراءات ص ٣٣٢.

كنت من الصادقين [آية: ٣٢].

وقرا ابن عباس: فأكثرت جدلنا [1] والجِدال والجَدلُ: المبالغة في الخصومة.

وقال مجاهد: جادلتنا أي ماريتنا.

قال الزجاج: ومعنى **إن كانَ الله يريد أن يغويكُمْ** أي يضلكم ويهلككم.

وقيل: يخيبكُم.

وقال محمد بن جرير: يغويكُمْ يهلككم بعذابه، حكى عن طي أصبح فلانٌ غاويا أي مريضا، وأغويته: أهلكته، ومنه **فسوف يلقون غيا**

٣٥- وقوله ﷻ: **أم يقولونَ افتراه قُلْ إن افتريته فعلي إجرامي..** [آية: ٣٥].

أي إن اختلقته فعلي إثمٌ الاختلاق **وأنا بريءٌ مما تجرمونَ** أي من تكذيبكم.

ومن قرأ (أجرامي) بفتح الهمزة، ذَهب إلى جمع جرمٍ[2].

٣٦- وقوله ﷻ: **وأوحي إلى نوحٍ أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن..** [آية: ٣٦].

قال الضحاك: فدعا عليهم، أي لما أُخبر بهذا، قال: **إنك إن تذرْهمْ يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا** [نوح: ٢٧].

٣٧- ثم **قال** ﷻ: **فلا تبتئسْ بما كانوا يفعلونَ** [آية: ٣٦].

قال مجاهد: وقتادة: أي فلا تحزن.

قال أبو جعفر: وهو عند أهل اللغة حزنٌ مع استكانةٍ.

٣٨- وقوله ﷻ: **ويصنع الفُلْك وكلما مر عليه ملأٌ من قومه سخروا منه..** [آية: ٣٨].

يروى أنهم كانوا يمرون به وهو يصنع الفُلْك، فيقولون: هذا الذي كان يزعم أنه نبي قد صار نجارا.

٣٩- ثم **قال** ﷻ: **قالَ إن تسخروا منا فإنا نسخر منكُمْ كما تسخرونَ** [آية:

---

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٣٢١/١.

(٢) ذكرها في البحر نقلاً عن النحاس ٢٢٠/٥ وفسرها فعلي أجرامي أي فعلي آثامي، وليست من القراءات السبع بل هي شاذة.

[٣٨].

أي إن تستجهلونا فنحن نستجهلكم كما استجهلتمونا.

٤٠- ثم قال ﷻ: فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ [آية: ٣٩].

أي من يؤول أمره إلى هذا، فهو الجاهل.

٤١- وقوله ﷻ: حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ.. [آية: ٤٠].

روي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: أي وطلع الفجر،كأنه يذهب إلى تنوير الصبح.

قال عبد الله بن عباس: التنور: وجه الأرض وكانت علامة بين نوح وربه ﷻ.

أي إذا رأيت الماء قد فار على وجه الأرض، فاركب أنت وأصحابك السفينة.

وقال قتادة: التنور: أعلى الأرض وأشرفُها، وكان ذلك علامة له.

وكان مجاهد يذهب إلى أنه تنور الخابز.

وقال الشعبي: جاء الماءُ من ناحية الكوفة.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال ليست بمتناقضة، لأن الله قد خبرنا أن الماء قد جاء من السماء والأرض، فقال: **فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا** [القمر: ١١- ١٢] فهذه الأقوال تجتمع في أن ذلك كان علامةً.

٤٢- وقوله ﷻ: قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ.. [آية: ٤٠].

قال مجاهد: أي ذكرا وأنثى.

وقال قتادة: أي من كل صنفين.

والزوج في **اللغة:** واحد معه آخر لا يستغني عنه.

يقال: عندي زوجان من الخِفَافِ، وما أشبه ذلك.

٤٣- ثم قال ﷻ: وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ.. [آية: ٤٠].

أي: إلا من سبق عليه القولُ بالهلاك.

ثم **قال ﷻ: وَمَنْ آمَنَ** أي واحمل من أمن.

٤٤- ثم قال ﷻ: وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ [آية: ٤٠].

يروى عن ابن عباس أنه قال: حمل معه ثمانين.

وقال قتادة: ما آمن معه إلا ثمانية، خمسةُ بنين، وثلاث نسوة.

٤٥- وقوله ﷻ: وقَالَ ارْكَبوا فِيها بِسْمِ الله مجْراها ومرْساها.. [آية: ٤١].
أي بالله إجراؤها وإرساؤها.
ومن قرأ **مجْراها ومرْساها** [1] ذهب إلى أن المعنى: جريها ورسوها أي ثبا ا.
وروي عن أبي رجاء العطاردي أنه قرأ **بِسْمِ الله مجْراها ومرْسِيها** على النعتِ.
٤٦- وقوله ﷻ: ونادى نوح ابْنه وكَانَ فِي معْزِلٍ.. [آية: ٤٢].
قال عبد الله بن عباس: ما بغت امرأةُ نبي قط، وكان ابنه.
قال سعيد بن جبير: وهو ابنه، لأن الله ﷻ خبرنا بذلك.
وقال عكرمة: إن شئتم حلفت لكم أنه ابنه.
وقال الضحاك: هو ابنه، قال الله ﷻ **ونادى نوح ابْنه** .
وقال مجاهد: ليس هو ابنه، ويبين ذلك قول الله تبارك وتعالى **فَلاَ تسْألِني ما ليْس لَكَ بِهِ عِلْم** .
قال الحسن: لم يكن ابنه وإنما ولد على فراشه فنسِب إليه.
والقول الأول أبين وأصح، لجلالةِ من قاله، وأن قوله تعالى: **إنه ليْس مِنْ أهْلِك** ليس مما ينفي عنه أنه ابنه، وقد قال الضحاك: معناه: ليس من أهل دينك، ولا من أهل ولايتك.
وقال سفيان: معناه: ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم.
قال أبو جعفر: وهذان القولان حسنان في اللغةِ، والأول أولى.
وروى أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قرأ **ونادى نوح ابْنه وكَانَ فِي معْزِلٍ** يريد: ابنها، ثم حذف الألف.
ومثل هذا لا يجوز عند أهل العربية علمته.
ويجوز أن يكون معنى **وكَانَ فِي معْزِلٍ** أي في معزل عن دين أبيه، ويكونُ في معزل عن السفينة، وهذا أشبه.
ومعنى **يعْصِمِني** : يمنعني.
٤٧- وقوله ﷻ: قَالَ لاَ عاصِم الْيوْم مِنْ أمْرِ الله إلا من رحِم.. [آية: ٤٣].

---

(١) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمر، وعاصم في رواية أبي بكر مجرِيها بضم الميم، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم مجرِيها بفتح الميم وكسر الراء، وكان ابن كثير وابن عامر يفتحان الراء من مجراها والسين من مرساها وجميع هذه القراءات من المتواتر، انظر السبعة في القراءات ص ٣٣٣.

فيه قولان:

أحدهما: أنه استثناء ليس من الأول.

والآخر: أنه على النسبة، فيكون المعنى لا معصوم، كما قال **مِن ماءٍ دافِق** [الطارق: ٦] أي مدفوق.

وذكر محمد بن جرير قولاً ثالثًا، وزعم أنه أولى ما قيل فيه، فقال: لا مانع اليوم من أمر الله، الذي قد نـزل بالخلق من الغرق والهَلاك **إلا من رحِم** أي إلا الله، كما تقول: لا منجي اليوم إلا الله، فَمن في موضع رفع، ولا تجعل «عاصم» بمعنى معصوم، ولا «إلا» بمعنى «لكن».

٤٧- ثم **قال** ﷻ: **وحالَ بيْنهما الموْج فكَانَ مِن المغْرقين** [آية: ٤٣].

قال الفراء: أي حال بين ابن نوحٍ وبين الجبل الماءُ، فكان من المغرقين.

٤٩- وقوله ﷻ: **وقيلَ يا أرْض ابْلعِي ماءَكِ..** [آية: ٤٤].

قال قتادة: أي ابلعي كل ماءٍ عليك **ويا سماءُ أقْلِعي** أي لا تمطري.

ثم **قال** ﷻ: **وغِيض الماءُ** [آية: ٤٤].

قال مجاهد: أي: نقَصَ.

وقال قتادة: أي ذَهب.

ثم **قال** ﷻ: **وقُضِي الأمْر** أي: قُضِي الأمر بهلاكهم.

ثم **قال تعالى**: **واسْتوتْ على الجودِي** [آية: ٤٤].

قال الضحاك: هو جبل الموصل.

٥٠- وقوله ﷻ: **إنه عملٌ غيْر صالِح** [آية: ٤٦].

في معناه أقوال

منها: أن المعنى أنه ذو عملٍ غير صالح.

وقيل: إن عملَه عملٌ غير صالح.

وقال قتادة: معناه إن سؤالك إياي ما ليس لك به علم في قوله تعالى: **قالَ سآوِي إلى جبلٍ يعْصِمني مِن الماءِ** عملٌ غير صالح، وهذا عملُ غير صالح.

قال أبو جعفر: وهذا أحسن ما قيل فيه، لأن عبد الله بن مسعود قرأ **إنه عملٌ**

غير صالح أن تسألني ما ليس لك به علم[1].

٥١- وقوله ﷻ: قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك.. [آية: ٤٨].

قال محمد بن كعب: قد دخل في هذا كل مؤمن إلى يوم القيامة، ودخل في قوله تعالى: **وأمم سنمتعهم** كل فاجر إلى يوم القيامة.

وقال الضحاك: نحوا من هذا، إلا أنه بخلاف هذه الألفاظ، وتقديره في العربية على مذهبه: على ذرية أمم ممن معك، وذرية أمم سنمتعهم، ثم حذف، كما قال **واسأل القرية**.

٥٢- ثم قال ﷻ: تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا.. [آية: ٤٩].

أي: ما أوحيناه إليك من خبر نوح، لم تكن تعلمه أنت ولا قومك، لأنهم ليسوا أهلَ كتاب.

٥٣- وقوله ﷻ: يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني.. [آية: ٥١].

قال مجاهد: أي خلقني[2].

٥٤- وقوله ﷻ: ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا.. [آية: ٥٢].

يروى أنهم كانوا أصحاب زروع، وعمارة، وكانوا يسكنون رمالاً بين الشام واليمن، فبعثت عليهم الريح فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم.

و **مدرارا** على التكثير: أي يتبع بعضها بعضا.

٥٥- ثم قال ﷻ: ويزدكم قوة إلى قوتكم.. [آية: ٥٢].

قال مجاهد: أي شدةً إلى شدتكم.

وقال غيره: كانوا قد أقاموا ثلاث سنين لا يولد لهم.

٥٦- وقوله ﷻ: إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء.. [آية: ٥٤].

قال مجاهد: أصابتك بسوء أي بجنونٍ بسبك إياها.

(١) هذه ليست بقراءة، وإنما هي محمولة على جهة التفسير.

(٢) انظر الطبري ١٢/٥٧.

ويقال: عراه واعتراه واعتره: إذا ألم به، ومنه **وأطعموا القانع والمعتر** [الحج: ٣٦] وقال الشاعر:

أتيتك عاريا خلقًا ثيابي على خوفٍ تظن بي الظنونُ(١)

المعنى: ما نقولُ إلا أصابك بعض آلهتنا بجنون، لسبك إياها.

٥٧- وقوله ﷻ: **قالَ إني أشْهد الله واشْهدوا أني بريءٌ مما تشْركُونَ من دونِهِ فكِيدوني جمِيعا ثُم لا تنْظِرون** [آية: ٥٤- ٥٥].

وهذا من علامات النبوةِ، أن يكون الرسولُ وحده، يقول لقومه: ﴿**فكِيدوني جميعا**﴾ وكذلك قال النبي ﷺ لقريش، وقال نوح عليه السلام: **فأجْمِعوا أمركُمْ وشركاءَكُمْ ثُم لا يكُنْ أمركُمْ عليْكُمْ غُمةً** [يونس: ٧١].

٥٨- ثم **قال** ﷻ: **إني توكلْت على الله ربي وربكُم ما من دابةٍ إلا هو آخِذٌ بناصِيتِها..** [آية: ٥٦].

أي هي في قبضته، وتنالُها قدرته.

٥٩- ثم **قال** ﷻ: **إن ربي على صِراطٍ مسْتقِيمٍ** [آية: ٥٦].

قال مجاهد: أي على الحق، أي يجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، لا يظلم أحدا، ولا يقبل إلا الإيمان به.

قال أبو جعفر: والصراطُ في اللغة: المنهاج الواضح.

والمعنى: إن الله جل ثناؤه وإن كان يقدر على كل شيء، فإنه لا يأخذهم إلا بالحق.

٦٠- وقوله ﷻ: **ولا تضرونه شيْئًا** [آية: ٥٧].

أي لا تقدرون له على ضرره إذا أراد إهلاككم.

وقيل: لا يضره هلاكُكم إذا أهلككم، أي لا تنقِصونه شيئًا، لأنه سواء عنده أكنتم أم لم تكونوا.

٦١- ثم **قال** ﷻ: **إن ربي على كُل شيْءٍ حفِيظٌ** [آية: ٥٧].

أي يحفظني من أن ينالني بسوء.

٦٢- وقوله ﷻ: **واتبعوا أمْر كُل جبارٍ عنِيدٍ** [آية: ٥٩].

العنيد: والعنود، والعانِد: المدافع بغير حق.

---

(١) البيت للنابغة وهو في ديوانه ص ٢٢٢، واللسان مادة (عرى).

٦٣- ثم قال ﷻ: **وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة** [آية: ٦٠].
أي وأُلحقوا.
ومعنى **فما تزيدونني غير تخسير** غير تخسيرٍ لكم، إذا ازددتم كفرا.
٦٤- وقوله ﷻ: **ويا قوم هذه ناقةُ الله لكُمْ آيةً** [آية: ٦٤].
يروى أ ا خرجت من صخرة.
٦٥- وقوله ﷻ: **فيأخذَكُمْ عذاب قريب** [آية: ٦٤].
أي قريب من مسها.
٦٦- وقوله ﷻ: **فأصْبحوا في ديارهِمْ جاثمين** [آية: ٦٧].
قال قتادة: أي ميتين.
٦٧- وقوله ﷻ: **كأن لمْ يغْنوْا فيها** [آية: ٦٨].
قال قتادة: أي كأن لم يعيشوا فيها.
قال الأصمعي: المغاني: المنازل.
قال غيره: غَنِيت بالمكان إذا نــزلت به.
والمعنى: كأن لن يقيموا فيها في سرورٍ وغبطة.
٦٨- وقوله ﷻ: **ولقَدْ جاءَتْ رسلُنا إبراهيم بالبشْرى** [آية: ٦٩].
أي بالبشرى بالولد.
٦٩- ثم قال ﷻ: **قالُوا سلاما قالَ سلام** [آية: ٦٩].
ويقرأ **قالَ سِلْم**[1].
قال الفراء: سِلْم وسلاَم واحد، كما يقال: حِل وحلاَلٌ.
٧٠- ثم قال ﷻ: **فما لَبِثَ أن جاءَ بِعِجْلٍ حنيذٍ** [آية: ٦٩].
روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: هو النضيج، وكذلك قال قتادة.
وقال الضحاك: هو الموقَد عليه حتى ينضج.
وقول أبو عبيدة **حنيذٍ** بمعنى محنوذ أي مشوي، يقال: حنذْت فرسي عرقته.
والمعنى: فما أبطأ إذ تضيفُوه بأن جاءهم بِعِجلٍ، ثم حذف الباءَ من «أنْ».
وقيل: الرسل «جبريلُ، وميكائيلُ، وإسرافيلُ» - عليهم السلام - **بالبشْرى**

(١) هذه قراءة حمزة والكسائي، وهي من القراءات السبع، انظر النشر ٢٩٠/٢، والسبعة ص ٣٣٧.

البشارة بإسحاق.

وقيل: البشارةُ لاك قومِ لوط.

٧١- وقوله ﷻ: **فَلَما رأى أَيدِيهمْ لاَ تصِلُ إِلَيْهِ نكِرهمْ..** [آية: ٧٠].

يقال: نكِر، وأنكر، واستنكر، بمعنى.

قال قتادة: كان الضيف إذا نـزل ولم يأكل، رأوا أنه لم يأت بخير، وأنه قد أتى بشر.

٧٢- ثم قال ﷻ: **وأَوْجس مِنْهمْ خِيفَةً** [آية: ٧٠].

أي أضمر.

قَالُوا لاَ تخفْ إِنا أُرْسِلْنا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ أي أُرسلنا بالعذاب **وامْرأَته قَائِمةٌ** وهو قاعد.

٧٣- وقوله تعالى: فَضحِكَتْ فَبشرْناها بِإِسْحاق ومِن وراءِ إِسْحاق يعْقُوب [آية: ٧١].

فيه أقوال:

أحسنها: أنه لما لم يأكلوا نكرهم وخافهم، فلما قالوا: لا تخف وخبروه أ م رسلٌ، فَرِح بذلك، فضحِكَت امرأته سرورا بفرحه.

وروى الفراء أن بعض المفسرين قال: المعنى: فبشرناها بإسحاق فضحكت.

قال أبو جعفر: وهذا لا يصح، لأن التقديم والتأخير لا يكون في الفاء.

وقيل: فضحكت فحاضت.

وهذا قولٌ لا يعرف ولا يصح.

وقيل: إ ا كانت قالت له: أحسِب أن هؤلاء القوم سينـزل م عذاب، فضم لوطًا إليك، فلما جاءَ الرسلُ بما قالته سرت بِهِ فضحكت، وهذا إن صح إسناده فهو حسن.

وقال قتادة: ضحكت من غفلة القوم وقد أتاهم العذاب.

٧٤- وقوله ﷻ: **ومِن وراءِ إِسْحاق يعْقُوب** [آية: ٧١].

قال الشعبي: الوراءُ ولد الولد.

وقال بعض أهل النظر: في هذا دليل على أن إسماعيل هو الذبيح، لأ ا بشرت بأ ا تعيش حتى يولد إسحاق، وحتى يولد لإسحاق يعقوب، وكيف يؤمر بذبحه وقد بشرت

بأن يولد له.

٧٥- وقوله ﷻ: قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا [آية: ٧٢].

قال الفراء: يروى أنه كان لها حين بشرت ثمانٍ وتسعون سنة، وإبراهيم أكبر منها بسنة.

٧٦- وقوله ﷻ: فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ [آية: ٧٤].

قال قتادة: أي الفزع.

وقوله ﷻ: وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى [آية: ٧٤].

قال قتادة: بشروه بأ م إنما أتوا بالعذاب إلى قوم لوط، وأنه لا يخاف.

قال معمر: وقال غير قتادة: بشروه بإسحاق.

وروى حميد بن هلالٍ عن جندبٍ عن حذَيفَةَ قال المادلةُ هاهنا أنه قال لهم: أرأيتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين أتهلكُو م؟ قالوا: لا، قال: فإن كان فيهم أربعون؟ قالوا: لا، قال: فإن كان فيهم ثلاثون؟ قالوا: لا، قال: فإن كان فيهم عشرون؟ قالوا: لا، قال: فإن كان فيهم عشرة أو خمسة. -شك حميد- قالوا: لا.. قال قتادة نحوا منه، قال: فقال- يعني إبراهيم- قوم ليس فيهم عشر من المسلمين لا خير فيهم، قال عبد الرحمن بن سمرة: كانوا أربعمائةِ ألفٍ.

٧٧- وقوله ﷻ: وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ.. [آية: ٧٧].

أي: ساءَه مجيئُهم لما يعرف من قومه.

وروي أ م أتوه واستضافوه، فقام معهم وكانوا قد أُمروا أن لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات، فقال لهم: إن قومي شر خلق الله ثلاث مرات.

٧٨- ثم **قال ﷻ: وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ** [آية: ٧٧].

قال أبو العباس: يقال: ضقت بالأمر ذرعا إذا لم تجد في قدرتك القيام به، وهو مأخوذ من الذراع، لأن فيها القوة.

٧٩- ثم **قال ﷻ: وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ** [آية: ٧٧].

قال مجاهد: أي شديد. وذلك يعرف في اللغة، يقال: وذلك يعرف في اللغة، يقال: عصِيب، وعصبصب: للشديد المنكر.

٨٠- وقوله ﷻ: وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ.. [آية: ٧٨].

قال ابن عباس: أي يسرِعون.

وقال مجاهد: يهرولون في المشي.

وقال أهل اللغة: يقال: أُهرِع: إذا جاء مسرعا، وكان مع ذلك يرعد.

٨١- وقوله ﷻ: **قَالَ يا قَوْمِ هؤلاءِ بناتي هن أطهر لكُمْ..** [آية: ٧٨].

فيه أقوال:

أحسنها مجاهد، قال: يريد: نساءَ أمته، ويقويه قولُ الله ﷻ **وأزْواجه أُمهاتهمْ** [الأحزاب: ٦].

ويروى أن أُبي بن كعبٍ، وابن مسعودٍ قَرءا **وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم** [(١)].

وقيل: المعنى هؤلاء بناتي إن أسلمتم.

وقيل: كان في ملتهم جائز أن يتزوج الكافر المسلمة.

وقال عكرمة: لم يعرض عليهم بناته ولا بناتِ أمته، وإنما قال لهم هذا لينصرفوا.

٨٢- وقوله ﷻ: **قَالَ لَوْ أن لي بِكُمْ قُوةً أَوْ آوي إلى ركْن شدِيدٍ** [آية: ٨٠].

قال مجاهد: يعني العشيرة.

٨٣- وقوله ﷻ: **فَأَسْرِ بِأَهْلِك بِقِطْعٍ من اللَيْل..** [آية: ٨١].

قال قتادة: أي: بطائفةٍ من الليل، يقال: سرى وأسرى: إذا سار بالليل.

فإن قيل: السرى لا يكون إلا بالليل، فما معنى بقطْعٍ من الليل؟

فالجواب: أنه لم يقل **بِقِطْعٍ من اللَيْل** جاز أن يكون أوله.

٨٤- وقوله ﷻ: **ولاَ يلْتِفِتْ مِنْكُمْ أحد إلا امْرأتك..** [آية: ٨١].

المعنى: فأسرِ بأهلِك إلا امرأتك.

ويروى أ ا في بعض القراءات كذا، وقرأ أبو عمرو **ولاَ يلْتِفِتْ مِنْكُمْ أحد إلا امْرأتك** [(٢)] بالرفع.

٨٥- وقوله ﷻ: **وأَمْطَرْنا علَيْها حِجارةً من سِجيلٍ** [آية: ٨٢].

فيه أقوال:

قال مجاهد: هو بالفارسية أي أولُها حجارةٌ، وآخرها طين.

وقال قتادة: أي من طين.

---

(١) انظر البحر المحيط ٢٤٦/٥، والجامع لأحكام القرآن ٧٦/٩، وهي ليست من القراءات السبع بل هي شاذة.

(٢) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو، انظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٣٨، وقرأ الباقون بالنصب.

وقال أبو جعفر: وهذان القولان حسنان.

وإنما ذهب مجاهد إلى أن أصله بالفارسية ثم أعرب.

قال أبو جعفر: وإنما استحسناه لأنه قال في موضع آخر **﴿حِجارةً من طِينٍ﴾** [الذاريات: ٣٣].

قال أبو عبيدة: السجيلُ: الشديد، وأنشد:

ضرْبا تواصى بِهِ الأَبطَالُ سِجينا[1]

ورد عليه هذا القول عبد الله بن مسلم[2]، وقال: هذا سجين، وذاك سجيلٌ، وكيف يستشهد به؟

قال أبو جعفر: وهذا الرد لا يلزم، لأن أبا عبيدة ذهب إلى أن اللام بدلٌ من النون، لقرب إحداهما من الأخرى.

وقول أبي عبيدة: يرد من جهةٍ أخرى، وهي أنه لو كان على قوله لكان «حجارةً سِجيلاً» لأنه لا يقال حجارة من شديد، لأن شديدا نعت.

---

(١) البيت لابن مقبل، وهو في ديوانه، ص٣٣٣، وانظر جمهرة الأشعار ١٦٢، واللسان مادة (سجن).

(٢) العلامة الكبير، ذو الفنون أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف. نزل بغداد، وصنف وجمع، وبعد صيته. حدث عن: إسحاق بن راهويه، ومحمد ابن زياد بن عبيد الله الزيادي، وزياد بن يحيى الحساني، وأبي حاتم السجستاني، وطائفة. حدث عنه: ابنه القاضي أحمد بن عبد الله، بديار مصر، وعبيد الله السكري، وعبيد الله بن أحمد بن بكر، وعبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، وغيرهم. قال أبو بكر الخطيب: كان ثقة دينا فاضلا. ذكر تصانيفه: "غريب القرآن"، "غريب الحديث"، كتاب "المعارف"، كتاب "مشكل القرآن"، كتاب "مشكل الحديث"، كتاب "أدب الكاتب"، كتاب "عيون الأخبار"، كتاب "طبقات الشعراء"، كتاب "إصلاح الغلط"، كتاب "الفرس"، كتاب "الهجو"، كتاب "المسائل"، كتاب "أعلام النبوة"، كتاب "الميسر"، كتاب "الإبل"، كتاب "الوحش"، كتاب "الرؤيا"، كتاب "الفقه"، كتاب "معاني الشعر"، كتاب "جامع النحو"، كتاب "الصيام"، كتاب "أدب القاضي"، كتاب "الرد على من يقول بخلق القرآن"، كتاب "إعراب القرآن"، كتاب "القراءات"، كتاب "الأنواء"، كتاب "التسوية بين العرب والعجم"، كتاب "الأشربة". وقد ولي قضاء الدينور، وكان رأسا في علم اللسان العربي، والأخبار وأيام الناس. قال أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي: مات أبو محمد بن قتيبة فُجاءة، صاح صيحة سمعت من بعد، ثم أغمي عليه، وكان أكل هريسة، فأصاب حرارة، فبقي إلى الظهر، ثم اضطرب ساعة، ثم هدأ، فما زال يتشهد إلى السحر، ومات -سامحه الله- وذلك في شهر رجب، سنة ست وسبعين ومائتين.

وقوله ﷻ: **منْضودٍ** أي بعضه يعلو بعضا، يقال نضدت المَتاع، واللِبِن: إذا جعلت بعضه على بعضٍ، فهو منضود، ونضِيد، قال الشاعر:

خلتْ سبيل أَتِي كانَ يحْبِسه ورفعته إلى السجفيْن فَالنضدِ[1]

ويقال: سجيلٌ من قولهم: أسجلْت إذا أعطيت، ويقال: هو من السجِل كأنه مما كُتِب عليهم، وقُدر أن يصيبهم.

قال أبو جعفر: وأبو إسحاق يستحسن هذا القول، قال: ويدل عليه قوله تعالى **إن كِتاب الْفُجارِ لَفِي سِجينٍ وما أَدْراك ما سِجين كِتاب مرْقُوم** [المطففين: ٧-٩] وسجين، وسجيلٌ واحد.

٨٦- وقوله ﷻ: **مسومةً عِنْد ربك** [آية: ٨٣].

قال مجاهد: أي معلَمة.

قال أبو جعفر: ويقال: سومت الشيء إذا علمته، ويروى أنه كان عليها أمثال الخواتيم.

وقال الحسن: معلمةٌ، وفيها دليلٌ أ ا ليست من حجارة الدنيا، وأ ا مما عذب به.

ويقال: سومت الشيء إذا أرسلته إرسالاً، إلا أنه لم يقل هذا في هذا الحرف.

٨٧- ثم قال ﷻ: **وما هِي مِن الظالِمِين بِبعِيدٍ** [آية: ٨٣].

قال مجاهد: يرهب ذا قريشا.

وقال غيره: المعنى من ظالمي هذه الأمة.

قال أبو جعفر: والقولان يرجعان إلى معنى واحد.

وقيل: وما هي ممن عمِل عمل قومِ لوطٍ ببعيد.

٨٨- وقوله ﷻ: **وإلى مدْين أخاهمْ شعيْبا..** [آية: ٨٤].

المعنى: وإلى أهل مدين.

وقوله تعالى: **ولا تنقُصوا الْمِكْيالَ والْمِيزانَ إني أراكُمْ بِخيْرٍ** [آية: ٨٤].

قال الحسن: كان سعرهم رخيصا.

والذي توجه اللغة أن يكون عاما.

---

(١) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص ١٥، والأتي: سيلٌ شديد جاء نحو بيتها، وانظر اللسان ٤٢٣/٣.

٨٩- وقوله ﷻ: بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين [آية: ٨٦].

قال الحسن: حظكم من الله ﷻ.

قال مجاهد: أي طاعة الله.

قال أبو جعفر: والمعنى: ما يبقي له ثوابه.

٩٠- وقوله ﷻ: قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا.. [آية: ٨٧].

قال سفيان عن الأعمش: أي قراءتك.

ودل هذا على أنهم كانوا كفارا.

ثم قال: **أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء** .

روي عن زيد بن أسلم أنه قال: كان مما نهاهم عنه حذف الدراهم.

وقيل: معنى **أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء** إذا تراضينا فيما بيننا بالبخس، فلم تمنعنا منه؟

قال أبو جعفر: قال أبو إسحاق: معنى **إنك لأنت الحليم الرشيد** على السخرية.

وقال غيره: معناه إنك لأنت الحليم الرشيد عند نفسك.

٩٢- وقوله ﷻ: قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا [آية: ٨٨].

قيل: حلالاً.

وقيل: ما وفق له من الطاعة.

٩٢- ثم قال ﷻ: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه [آية: ٨٨].

قال قتادة: أي ليس أنهاكم عن شيء وأركبه.

ومعنى وإليه أنيب وإليه أرجع.

٩٣- وقوله ﷻ: ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي.. [آية: ٨٩].

قال قتادة: أي لا يحملنكم.

قال أبو جعفر: والشقاق في اللغة: العداوة، كأنه يصير في شق غير شقه.

٩٤- وقوله ﷻ: ﴿وما قوم لوطٍ منكُم ببعيدٍ﴾ [آية: ٨٩].

يقال: إن أقرب الإهلاكات التي عرفوها إهلاك قوم لوط. أي فالعظة لكم فيها بينةٌ، بقربه منكم.

٩٥- وقوله ﷻ: ﴿قَالُوا يا شعيب ما نفْقه كثيرا مما تقُولُ وإنا لنراك فِينا ضعِيفًا﴾ [آية: ٩١].

قال سفيان: بلغنا أنه كان مصابا ببصره.

قال أبو جعفر: وحكى أهل اللغة أن حِمير تقولُ للأعمى: ضعيف، أي قد ضعف بذهابٍ بصره، كما يقال له: ضرير، أي قد ضر بذهاب بصره، كما يقال: مكفوف، أي قد كُف عن النظر بذهاب بصره.

٩٦- وقوله ﷻ: ﴿ولوْلا رهْطُك لرجمْناك..﴾ [آية: ٩١].

أي ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم. ﴿قَالَ يا قوْمِ أرهْطِي أعز عليْكُم من الله﴾ أي أنتم تزعمون أنكم تتركون قتلي من أجل عشيرتي، ولا تخافُون من الله ﷻ، في ردكم أمره؟!

ويقال: إن رهطه كانوا على ملتهم، فلذلك أظهروا الميل إليهم.

٩٧- وقوله ﷻ: ﴿واتخذْتموه وراءَكُمْ ظِهْريا﴾ [آية: ٩٢].

قال مجاهد: أي تركتم ما جئتكم به.

قال أهل اللغة: المعنى: واتخذتم أمر الله وراءكم ظِهريا، يقال: اتخذته ظِهريا، وجعلت حاجته بظَهرٍ، أي إذا لم تعن بذلك.

٩٨- وقوله ﷻ: ﴿وأخذَتِ الذِين ظَلَموا الصيْحةُ﴾ [آية: ٩٤].

يروى أن جبرائيل ﷺ صاح بهم صيحة فماتوا أجمعون، وبين هذا قوله تعالى ﴿فَأَصْبحوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِين﴾ أي ميتين لا حراك لهم.

٩٩- ثم **قال** ﷻ: **﴿كَأن لمْ يغْنوْا فِيها﴾** [آية: ٩٥].

قال قتادة: أي كأن لم يعيشوا فيها.

قال أبو جعفر: وقد ذكرناه فيما تقدم، وهو مأخوذٌ من الصوت، لأنه إنما يقال مغنى: للمنـزل إذا كان أهله فيه.

١٠٠- ثم **قال** ﷻ: **﴿ألا بعْدا لمدْين كما بعِدتْ ثَمود﴾** [آية: ٩٥].

يقال: بعِد يبعد إذا هلك، ومن النأي بعد يبعد.

١٠١- وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [آية: ٩٦].
السلطان: الحجةُ، ومن هذا قيل للوالي: سلطانٌ، لأنه حجةُ الله ﷻ في الأرض.
ويقال: إنه مأخوذٌ من السلِيطِ وهو ما يضاءُ به.

١٠٢- وقوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [آية: ٩٩].
قال مجاهد: زيدوا لعنةً يوم القيامة.
قال أبو جعفر: والرِفْد في اللغة: المَعونة،والإعطاءُ، والمعنى الذي يقوم لهم مقام المعونةِ، اللعن.
والتقدير: بئس الرفد رِفْد المرفود.

١٠٣- وقوله ﷻ: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [آية: ١٠٠].
قال قتادة: القائم: ما كان خاويا على عروشه، والحصيد: ما لا أثر له.

١٠٤- وقوله ﷻ: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [آية: ١٠١].
قال مجاهد: وقتادة: غير تخسير.
قال أبو جعفر: وكذلك هو عند أهل اللغة، ومنه ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

١٠٥- وقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [آية: ١٠٥].
وقد قال في موضع آخر ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [آية: ٢٧].
ففي هذا جوابان:
أحدهما: أنه مِثْلُ قولِهِ ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥].
والمعنى: لا ينطقون بحجةٍ لهم، كما يقال لمن تكلم كثيرا بغير حجةٍ بينةٍ: لم يأت بشيءٍ، ولم يتكلم بشيءٍ.
والجواب الآخر: أن ذلك اليوم فيه أهوالٌ وشدائد، فمرة يمنعون من الكلام، ومرةً يؤذَنُ لهم، فعلى هذا ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

١٠٦- وقوله ﷻ: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [آية: ١٠٥].
روى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر، عن عمر، قال: «لمّا نـزلت ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ قلت يا رسول الله فعلام نعملُ، أعلى شيء قد فُرِغ منه، أم على شيء لم يفْرغ منه؟ قال: بلى، على شيء قد فُرغ منه يا عمر وجرت به الأقلام، ولكن كل ميسر

لما خلق له»[١].

١٠٧- وقوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ..﴾ [آية: ١٠٦- ١٠٧].

في هذا أجوبةٌ: منها أن العرب خوطبت على ما تعرف وتستعمل، وهم يقولون: لا أكلمك ما اختلف الليلُ والنهار، وما دامتِ السماوات والأرض، يريدون بذلك: الأبد.

ويكون معنى ﴿**إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ سوى ما شاء ربك، من زيادةِ أهلِ النار في العذاب، وأهل الجنةِ في النعيم، وقد صح أنهم يزادون.

روى الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: قال الله ﷻ: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عيْن رأتْ، ولا أذُنٌ سمِعتْ، ولا خطَر على قلب بشر، بلْه ما أطلَعْتم**» ثم قرأ أبو هريرة ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾[٢].

وقيل: معنى (إلا) معنى «سوى» أيضا، إلا أن المعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة في الخلود.

وهذان قولان حسنان، لأنه معروف في اللغة أن يقال: لك عندي كذا وكذا، إلا كذا، وسوى كذا، وغير كذا.

وحكى سيبويه: «لو كان معي رجل إلا زيد» فهذا بمعنى: سِوى، وغير.

وحكى الكوفيون: لك عندي ألف إلا ألفين، ويعبر عن «إلا» في مثل هذا، أنها بمعنى «سوى، وغير، ولكن» والمعاني متقاربة.

وقيل: هذا استثناء، لأنهم يقيمون في قبورهم، فالمعنى على هذا ﴿**إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ من مقامهم في قبورهم.

وقيل: هذا استثناء، لأن قوما من الموحدين يدخلون النار ثم يخرجون منها.

فالمعنى **على هذا**: خالدين في النار ﴿**مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ من إخراج من شاء برحمته، وشفاعة النبي ﷺ.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب التفسير ٥٣٢/٨ وقال: حسن غريب، وأبو يعلى في مسنده عن عمر بن الخطاب، كما في تفسير ابن كثير ٢٨٠/٤، ورواه ابن جرير في التفسير١١٧/١٢.

(٢) الحديث رواه البخاري في بدء الخلق ٢٣٠/٦ صفة الجنة، وفي تفسير سورة السجدة ﴿فلا تعلم نفس﴾ وفي التوحيد، ورواه مسلم في الجنة برقم (٢٨٢٤)، والترمذي في التفسير برقم (٣١٩٥).

وقال جابر بن عبد الله في **قوله** ﷻ: **عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** [الإسراء: ٧٩] إنه الشفاعة.

ويكون المعنى في أهل الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض **إلا ما شاء ربك** من دخول قومٍ النار، وخروجهم إلى الجنة.

حدثنا أحمد بن محمد الأزدي قال حدثنا أحمد بن داود بن موسى البصري، المعروف بالمكي، قال: نا شيبانُ بن فَروخ قال: نا أبو هلال، قال: نا قتادةُ في هذه الآية **فأما الذين شقوا ففي النار** إلى قوله: **فعالٌ لما يريد** فقال عند هذا: حدثنا أنس ابن مالكٍ أن رسول الله ﷺ قال: «**يخرج قوم من النار**»[1] قال قتادة: لا نقول كما يقول أهل حروراء.

وقيل: في هذا قول خامس وهو أن المعنى: خالدين فيها أبدا، ثم قال: **إلا ما شاء ربك** فخاطبهم على ما يعرفون من الاستثناء، ورد الأمر إلى الله ﷻ، كما قال تعالى **لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين** وقد بين هذا بقوله تعالى: **عطاء غير مجذوذ** قال مجاهد: أي غير مقطوع.

قال أبو جعفر: وذلك معروف في اللغة، يقال: جذّذْت الشيء: أي قطعته.

وقد قيل: في هذه الآية قول سادس: يكونُ الاستثناء لمُقامهم في عرصةِ القيامة.

وقال قتادة: تبدل هذه السماءُ وهذه الأرض.

فالمعنى: خالدين فيها ما دامت تلك السماءُ، وتلك الأرض المبدلتان من هاتين.

١٠٨- وقوله ﷻ: **وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص** [آية: ١٠٩].

روى سفيان عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال : ما كُتب لهم من خيرٍ أو شر.

١٠٩- وقوله ﷻ: **ولولا كلمة سبقت من ربك..** [آية: ١١٠].

أي بالتأخير إلى يوم القيامة **لقضي بينهم** يعني في الدنيا.

١١٠- وقوله ﷻ: **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار..** [آية:١١٣].

قال عكرمة: أي تودوهم وتطيعوهم.

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير ١١٨/١٢، وأهل حروراء: هم الخواج الذين يقولون بخلود أهل المعاصي من المؤمنين في النار.

١١١ - وقوله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ الصلاةَ طَرَفَيْ النهارِ وزُلَفًا من اللَّيل..﴾ [آية: ١١٤].

قال الحسن: طَرَفَا النهارِ: الصبح والعصر ﴿وزُلَفًا من اللَّيل﴾ المغرب والعِشاءُ، قال النبي ﷺ: «**هما زُلْفَتا الليل**»(١).

وروى سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: طرفا النهار: الصبح والظهر، والعصر ﴿وزُلَفًا من اللَّيل﴾ العِشاءُ، والعتمة.

وروى حجاج عن ابن جريج، عن مجاهد ﴿وزُلَفًا من اللَّيل﴾ قال: ساعةً من الليل إلى العتمة.

وقول مجاهد الأول أحسن، لأنه يجتمع به الصلوات الخمس.

ولأن ابن عباس قال في قوله تعالى: ﴿إن الحسناتِ يذْهِبْن السيئاتِ﴾ يعني الصلوات الخمس.

وروى علقمة والأسود عن عبد الله أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني وجدت امرأةً في بستان فقبلتها والتزمتها، ونلت منها كل شيءٍ إلا الجماع، فافعلْ في ما شئت فأنـزل الله ﷻ ﴿وأقِمِ الصلاةَ طَرَفَيْ النهارِ وزُلَفًا من اللَّيل إن الحسناتِ يذْهِبْن السيئاتِ﴾ فقال معاذ بن جبلٍ: يا رسول الله: أخاص له، أم عام للناسِ؟ فقال: بل عام(٢).

والمعروف من قراءة مجاهد: «وزُلْفَى» بضم الزاي وبحرفِ التأنيث.

وقرأ ابن محيصن بهذه القراءة إلا أنه نون في الإدراج. ويقرأ ﴿وزُلُفًا من اللَّيل﴾(٣) وهو واحد مثل الحُلُم، والقراءة المشهورة ﴿وزُلَفًا﴾ وأنشد سيبويه:

طي الليالِي زُلَفًا فَزُلَفَا سماوةَ الهِلال حتى احْقَوقَفَا(٤)

وهو جمع زُلْفَة، وهو ساعةٌ تقرب من أُخرى، ومنه الزُلْفة، ومنه سميت مزدلفة، لأنها منـزلةٌ تقرب من عَرفة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير ١٢٨/١٢.

(٢) الحديث رواه مسلم في كتاب التوبة ٢١١٦/٤ باب «إن الحسنات يذْهِبن السيئات»، وفي سنن أبي داود كتاب الحدود ١٦٠/٤، وفي الترمذي «تفسير سورة هود» برقم (٣١١٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند ٤٤٥/١.

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٣٣٠/١.

(٤) الرجز للعجاج ص ٨٤.

١١٢- وقوله ﷻ: فَلَوْلا كَانَ مِن الْقُرون مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيةٍ.. [آية: ١١٦].

قيل: أولوا طاعةٍ.

وقيل: أولو تمييزٍ.

وقيل: أولو حظ من الله ﷻ.

١١٣- وقوله ﷻ: واتبع الذِين ظَلَموا ما أُترِفُوا فِيهِ.. [آية: ١١٦].

قال مجاهد: من تملكهم، وتجبرهم، وتركهم الحق.

١١٤- وقوله ﷻ: ولَوْ شاءَ ربك لَجعلَ الناس أُمةً واحِدةً.. [آية: ١١٨].

أي على دين واحد.

١١٥- ثم قال ﷻ: **ولاَ يزالُونَ مخْتلِفِين إلا من رحِم ربك ولِذَلِك خلَقَهمْ..** [آية: ١١٨- ١١٩].

قال أبو جعفر: وهذه الآية من المشكل، وقد قيل فيها أقوال.

روى عبد الكريم الجزري: عن مجاهد انه قال: وللرحمة خلقهم.

وكذلك قال قتادة.

وروي عن الحسن فيها أقوال:

منها أنه قال: وللاختلاف خلقهم.

ومنها: أنه يقال: وللرحمة خلقهم.

ومنها أنه قال: خلقهم للجنة والنار، والشقاءِ والسعادة.

وقيل: هذا القول الذي عليه أهل السنة، وهو أبينها وأجمعها.

والذي رواه عبد الكريم عن مجاهد ليس بناقض له، لأنه قد بينه حجاج في روايته عن ابن جريج، عن مجاهد أنه قال في قول الله ﷻ **ولاَ يزالُونَ مخْتلِفِين** قال: أهل الباطل **إلا من رحِم ربك** قال: أهلُ الحق **ولِذَلِك خلَقَهمْ** قال: للرحمة خلَق أهل الجنة.

قال أبو جعفر: فهذا قولٌ بين مفسر.

ومن قال أيضا: خلقهم للاختلاف، فليس بناقضٍ لهذا، لأنه يذهب إلى أن المعنى: وخلق أهل الباطل للاختلاف.

وأبينها قولُ الحسن الذي ذكرناه، ويكون المعنى: ولا يزال أهل الباطل مختلفين في دينهم، إلا من رحم الله، وأهلُ الإسلام لا يختلفون في دينهم، ولذلك خلَق أهلَ السعادة

للسعادةِ، وأهلَ الشقاء للشقاء، وبين هذا قوله ﷻ **وتمتْ كلمةُ ربك لأملأن جهنم من الجنةِ والناس أجْمعين** [آية: ١١٩].

وقيل: التقدير: ينهون عن الفساد في الأرض، ولذلك خلقهم.

١١٦- وقوله ﷻ: وكُلا نقُص عليْك مِنْ أنباءِ الرسل ما نثبت بِهِ فُؤادك.. [آية: ١٢٠].

أي نـزيدك به تثبيتا، كما قال جل ذكره **قالَ أو لمْ تؤْمِنْ قالَ بلى ولكِن ليطْمئن قلْبي** [البقرة: ٢٦٠].

١١٧- ثم **قال** ﷻ: **وجاءَك فِي هذِهِ الْحق وموْعِظةٌ وذِكْرى لِلْمؤْمِنين** [آية: ١٢٠].

قال أبو موسى: وابن عباس، والحسن، ومجاهد **فِي هذِهِ الْحق**: في هذه السورة.

وقال شعبة: سمعت قتادة يقول: في هذه الدنيا.

وهذا القول حسن، إلا انه يعارض بأن ذلك يقال: -قد جاءه الحق في هذه السورة وغيرها- وإن كان هذا لا يلزم، لأنه لم ينفِ شيئًا، ألا ترى أنه يقال: فلان في الحق، إذا جاءه الموت، ولا يراد به أنه كان في باطلٍ، فتكونُ هذه السورة خصت بهذا توكيدا لما فيها من القصص والمواعظ.

١١٨- وقوله ﷻ: وقُل للذِين لا يؤْمِنونَ اعْملُوا على مكانتِكُمْ إنا عامِلُونَ [آية: ١٢١].

أي عاملون ما أنتم عليه.

وهذا تهديد ووعيد، ألا ترى أن بعده **وانتظِروا إنا منتظِرونَ** إلى قوله تعالى: **وما ربك بِغافِلٍ عما تعْملُونَ**؟!

تمت سورة هود

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

سُورة يوسف وهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ وتقدست أسماؤه: الر [آية: ١].

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنا الله أرى[1].

وقد تقدم شرح هذه الحروف.

٢- وقوله ﷻ: تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ [آية: ١].

أي هذه تلك الآيات، والتي كنتم توعدون ا في التوراة.

٣- وقوله ﷻ: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا [آية: ٢].

يجوز أن يكون المعنى: إنا أنزلنا القرآن عربيا.

ويجوز أن يكون المعنى: إنا أنزلنا خبر يوسف، وهذا أشبه بالمعنى، لأنه يروى أن اليهود قالوا: سلُوه لمَ انتقلَ آلُ يعقوب من الشام إلى مصر؟ وعن خبر يوسف؟ فأنزل الله ﷻ لما في التوراة.

وفيه زيادةٌ ليست عندهم، فكأن هذا النبي ﷺ إذْ أخبرهم -ولم يقرأ كتابا قط، ولا هو في موضع كتاب- بمنزلة إحياء عيسى عليه السلام الميت.

٤- وقوله ﷻ: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ.. [آية: ٣].

أي نبين بك، والقاص: الذي يأتي بالقِصةِ على حقيقتها.

٥- ثم **قال** ﷻ: **بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ** [آية: ٣].

أي بوحينا.

ثم قال: **وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**.

أي: لمن الغافلين عن قصة يوسف، لأنه لم يقْرأ كتابا قبلَ ذلك، وإنما عِلمها بالوحي.

٦- وقوله جل ذكره: إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ [آية: ٤].

قال قتادة والضحاك وهذا لفظ قتادة: الأحد عشر كوكبا: إخوته، و"الشمس

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ٧٩/١١، وابن كثير ١٨٢/٤، والسيوطي في الدر المنثور ٣٩٩/٣.

والقمر": أبوه وأمه.

قال معمر وقال غير قتادة: أبوه وخالته.

وقال غيره: أولَ "لأحد عشر كوكبا" أحد عشر رجلاً، يستضاء م كما يستضاء بالكواكب، وأولَ القمر أباه، وأول الشمس أمه أو خالته.

وقال عبد الله بن شداد بن الهاد: كان تفسير رؤيا يوسف ﷺ بعد أربعين سنة، وذلك منتهى الرؤيا.

٧- وقوله ﷻ: **قَالَ يا بني لا تقْصص رؤياك على ِإخوتك فَيكِيدوا لَك كَيدا..** [آية: ٥].

أي فيحتالوا عليك.

٨- وقوله ﷻ: **وكَذَلك يجتبِيك ربك** [آية:٦]

أي يختارك، وأصله من جبيت الشيءَ: أي حصلْته، ومنه جبيت الماءِ في الحوض.

٩- ثم **قال** ﷻ: **ويعلمك ِمن تأوِيل الأحادِيثِ** [آية: ٦].

قال مجاهد: أي تأويل الرؤيا.

وقال غيره: أي أخبار الأمم.

١٠- ثم **قال جل ذكره: ويِتم ِنعمته علَيك** [آية: ٦].

فأخبره أنه يكون نبِّياً ، لأنه قال : **كَما أتمها على أبويك ِمن قَبلُ ِإبراهِيم وإِسحاق** .

١١- وقوله ﷻ: **لَقَد كَانَ ِفي يوسف وإِخوتِهِ آيات للسائِلِين** [آية: ٧].

قيل: بصِيرةٌ.

وقيل: أي عِبرةٌ.

وروي أ ا في بعض المصاحف "عبرةٌ للسائلين"(١).

١٢- ثم **قال** ﷻ: **ِإذْ قَالُوا لَيوسف وأَخوه أَحب ِإلَى أَبِينا ِمنا ونحن عصبةٌ** [آية: ٨].

أي جماعة.

وقال بعض أهل اللغة: العصبة: العشرةُ إلى الأربعين.

---

(١) هذه القراءة في مصحف "أبي بن كعب" وليست من القراءات السبع، انظر البحر المحيط ٢٨٢/٥.

١٣- ثم قال ﷻ: ﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ [آية: ٨].

أي ضل في محبة يوسف لا في دينه.

١٤- وقوله ﷻ: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا..﴾ [آية: ٩].

فيه حذف، والمعنى: أو اطرحوه أرضا يبعد فيها عن أبيكم، ودل على هذا الحذف ﴿**يخلُ لكم وجه أبيكم**﴾ أي يفرغُ لكم. ﴿**وتكونوا من بعده**﴾ أي تكونوا من بعد إهلاكه ﴿**قوما صالحين**﴾ أي تائبين.

١٥- ثم قال ﷻ: ﴿قالَ قائلٌ منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابتِ الجب..﴾ [آية: ١٠].

الغيابةُ عند أهل اللغة: كل ما غُيب عنك، والجب: البئر التي ليس بمطوية.

ويروى أن الجب هاهنا بئر بيتِ المقدس، وهي من جبيت أي قطعت، كأ ا قُطِعت ولم يحدث فيها شيءٌ بعد القطع.

قال الضحاك: الذي قال لهم ﴿**لا تقتلوا يوسف**﴾ هو الذي قال ﴿**فلن أبرح الأرض حتى يأذنَ لي أبي**﴾ وهو أكبرهم.

وقال غيره: هو "يهوذا" وكان أشدهم.

١٦- وقوله ﷻ: ﴿أرسله معنا غدا نرتع ونلعب﴾ [1] [آية: ١٢].

روى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد، وورقاءُ عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: أي: نتحافظ ونتكالأ.

وزاد ابن أبي نجيح في روايته: ونتحارس.

قال هارون: سألت أبا عمرو بن العلاء رحمه الله: كيف قالوا: "ونلعب" وهم أنبياء، فقال: لم يكونوا يومئذٍ أنبياء.

ومن قرأ "يرتع ويلعب" بالياء، فمعناه عندي: يرعى الإبل، يقال: رعى وارتعى بمعنى واحد، وهذه قراءة أهل المدينة.

وروي عن مجاهد ﴿**نرتِع**﴾ بالنون وكسر التاء، يقال: أرتع صاحبه وإبله فرتعت: أي أقامت في المرتع، والله أعلم بما أراد.

---

(١) هذه قراءة أبي عمرو، وابن عامر بالنون فيهما، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي "يرتع ويلعب" بالياء فيهما، وقرأ ابن كثير "نرتِع ونلعب" بكسر العين، وجميعها من القراءات السبع المتـواترة، انظـر السبعة لابن مجاهد ص ٣٤٥.

وقرأ أهل الكوفة **يرتع ويلعب** بإسكان العين، ومعناه: يتسع في الخِصب ويأكلُ، ويقال: رتعب الإبل: إذا رعت كيف شاءت، وكذا غيرها، وأرعتيها تركتها ترعى ويقال: فلانٌ راتع أي مخصِب ومنه:

ترتع ما غفَلَت إذ ادكرت فَإنما هِي إقْبالٌ وإدبــار[1]

وكذا معنى (نرتع) بفتح النون، وإسكان العين، وهي قراءة أبي عمروٍ وأهل مكة.

وروى سعيد عن قتادة: قال: **نرتع** ننشط ونلهو، وهو كمعنى الأول.

وأما حجةُ أبي عمرو أ م لم يكونوا يومئذٍ أنبياء، فلا يحتاج إلى ذلك، لأنه ليس باللعب الصاد عن ذكر الله ﷻ.

وقال النبي ﷺ: «**ألا بكرا تلاعبها وتلاعبك**»[2]؟!

١٧- وقوله ﷻ: وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون [آية: ١٥].

يجوز أن يكون المعنى: وأوحينا إليه في الجب وهم لا يشعرون بذاك الوحي، هذا قولُ قتادة.

ويجوز أن يكون المعنى: لتخبرنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون.

١٨- وقوله ﷻ: قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبِق [آية: ١٧].

أي ننتضِل.

والمعنى: نستبِق في الرمي.

١٩- وقوله ﷻ: وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين [آية: ١٧].

أي قد ا متنا ووقع بقلبك أنا لا نصدق، فأنت لا تصدقُنا.

٢٠- وقوله ﷻ: وجاءوا على قميصه بدمٍ كذبٍ.. [آية: ١٨].

روى إسرائيل عن سماك بن حرب، عن عِكْرمة عن ابن عباس قال: كان دم سخلةٍ.

وروى سفيان عن سِماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: "لما نظر إليه قال: كَذَبتم، لو أكَلَه الذئب لخرق القميص".

---

(١) البيت للخنساء من قصيدة ترثى ا أخاها صخرا، وقد تقدم تخريجه.

(٢) الحديث رواه مسلم ١٠٨٧/٢، ولفظه: عن جابر بن عبد الله قال: "تزوجت امرأةً ثيبا، فقال لي رسول الله ﷺ: يا جابر، تزوجت؟ قلت: نعم، قال: فبكر أم ثيب قلت: بل ثيب يا رسول اللـه، قال: فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك".

وقال الحسن: لما نظر إلى الدم ولم ير في القميص شقّاً، ولا خرقًا، قال: ما عهد بالذئب حليما.

والمعنى: بدمٍ ذي كذب، أي مكذوب فيه.

٢١- ثم قال ﷻ: **بلْ سولت لكُم أنفُسكُم أمرا..** [آية: ١٨].

أي زينت.

٢٢- ثم قال ﷻ: **فَصبر جمِيلٌ** [آية: ١٨].

ويروى أن النبي ﷺ سئل عن الصبر الجميل فقال: «**هو الذي لا شكوى معه**»[١].

والمعنى عند أهل النظر: الذي لا شكوى معه بغير رضى بقضاء الله، فإذا كانت الشكوى إلى الله ﷻ كما قال **أني مسنِي الضر** [الأنبياء: ٨٣] و **إنما أشكُو بثي وحزني إِلى الله وأعلم مِن الله ما لا تعلمونَ** [آية: ٨٦] أو كانت برضى فصاحبها صابر، كما قال النبي ﷺ في عِلتِهِ «**بل أنا وارأساه**»[٢].

٢٣- وقوله ﷻ: **وجاءَت سيارةٌ** [آية: ١٩].

أي قوم يسيرون.

فَأرسلُوا واردهم وهو الذي يرد لاستقاءِ الماءِ.

فَأدلَى دلْوه .

قال الأصمعي: يقال: أدليت الدلْو إذا أرسلتها، ودلوتها إذا استقيت.

٢٤- وقوله ﷻ: **قَالَ يا بشرى هذَا غُلام..** [آية: ١٩].

قال السدي والأعمش: كان اسمه بشرى.

وقال غيرهما: المعنى: يا أيتها البشرى.

قال أبو جعفر: وهذا القولُ الصحيح، لأن أكثر القراء يقرأ **يا بشراى هذَا غُلاَم** [٣].

---

(١) هذا الحديث مرسل، رواه حِبان بن أبي جبلة عن رسول الله ﷺ، وحِبان تابعي، ذكره ابن حبـان في الثقات، توفي سنة ١٢٢ هـ فروايته مرسلة، انظر التهذيب ١٧١/٢، والجرح والتعديل للرازي ٢٦٩/٣.

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب الطب ٥٥/٧ أن عائشة قالت: وارأساه، فقال النبي ﷺ: بل أنـا وارأساه" الحديث.

(٣) هذه قراءة ابن كثير ونافع، وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي يا بشرى بالقصر، انظر السبعة ص ٣٤٧ والنشر ٢٩٣/٢.

والمعنى في نداء البشرى التنبيه لمن حضر، وهو أوكد من قولك: تبشرت، كما تقول: يا عجباه، أي يا عجب هذا من أيامك، أو من آياتك فاحضر، وهذا مذهب سيبويه.

٢٥- وقوله ﷻ: وأسروه بضاعةً.. [آية: ١٩].

روى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال: **أسروه** : المُدلي، ومن معه من التجار الباقين، لئلا يستشركوهم فيه إذا عرفوا ثمنه، وقالوا: إنما استبضعناه.

وروى معمر عن قتادة قال: أسروا بيعه، والمعنى على هذا للأخوة، كما روي أنه لما وجِد، أظهر إخوته إنه بضاعة لأصحاب الماء.

٢٦- وقوله جل ثناؤه: وشروه بثمنٍ بخسٍ [آية: ٢٠].

أي ذي بخسٍ، والبخس: النقصان.

وقال الشعبي: البخس: القليل، والمعدودة: عشرون درهمًا.

وقال قتادة: بخسٍ أي ظلم.

وقال الضحاك: بخسٍ أي حرام.

وروى عن ابن عباس وابن مسعود ونوفٍ أنهم قالوا: اشتروه بعشرين درهمًا.

وقال مجاهد: وشروه: أي باعوه حين أخرجه المُدلي، وكانوا باعوه باثنين وعشرين درهمًا، وهم أحد عشر.

٢٧- ثم قال ﷻ: دراهم معدودةٍ.. [آية: ٢٠].

قال الفراء: إنما قال: معدودة، ليدل على قِلتها، لأنهم كانوا لا يزنون إلا أوقية، والأوقية: أربعون درهمًا.

٢٨- ثم قال ﷻ: وكانوا فيه من الزاهدين [آية: ٢٠].

قال أبو عبيدة: قال بعض المفسرين: إنما زهدوا فيه لقلة علمهم بمنزلته من الله ﷻ.

٢٩- وقوله ﷻ: وقالَ الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثْواه [آية: ٢١].

أي مقامه، والمعنى: أكرميه وقت مثواه، ومنه: ثَويت في المكان: إذا أقمتَ فيه كما قال الشاعر:

رب ثاوٍ يمل منه الثواءُ(١)

(١) هذا شطر بيت للحارث بن حِلزة، انظر شرح السبع الطوال لابن الأنباري ص ٤٣٢.

٣٠- ثم **قال** ﷻ: **عسى أن ينفَعنا أو نتخِذَه ولَدا** [آية: ٢١].

أي نتبناه.

وروى سفيان عن ابن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: "أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين قال لامرأته **أكْرِمي مثْواه عسى أن ينفَعنا** ، وابنة شعيب حين قالت لأبيها **إن خير من استأجرت القَوي الأمِين** [القصص: ٢٦] وأبو بكر حين ولى عمر.

٣١- وقوله ﷻ: **ولَما بلَغَ أشده..** [آية: ٢٢].

قيل: الأشد: ثلاثٌ وثلاثون سنة.

وقيل: ثلاثون.

والأكثر أنه من تسع عشرة سنةً إلى أربعين.

وقال ربيعة وزيد بن أسلم ومالك: الأشد: الحُلُم.

وسيبويه يذهب إلى أنه جمع شِدة، مِثْلُ: نِعمة، وأنعم.

٣٢- ثم **قال** ﷻ: **آتيناه حكْما وعِلْما..** [آية: ٢٢].

والفرق بين "الحكيم" و"العالم" أن الحكيم هو الذي يعمل بعلمِهِ، ويمتنع من الأشياء القبيحة، ومنه قيل: حكَمةُ الدابة.

٣٣- وقوله ﷻ: **وراودته التِي هو فِي بيتِها عن نفْسِهِ..** [آية: ٢٣].

معنى راود فلانٌ فلانةً طَالَبها على الفاحشة، وترك ذكر الفاحشةِ لعلمِ السامِع.

٣٤- وقوله ﷻ: **وقَالَت هيت لَك** [آية: ٢٣].

قال سعيد بن جبير: أي تعالَه.

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: لا تنطعوا في القرآن، فإنما هو مثل قول أحدكم: هلُم، وتعالَ، ثم قرأ عبد الله **وقَالَت هيت لَك** بفتح الهاء والتاء.

وروي عن مجاهد وعكرمة أ ما قرءا **وقَالَت هِئْت لَك** بالهمز.

قال قتادة: قرأ ابن عباس **هِئْت لَك** .

قال عكرمة: أي يأت لك.

وأنكر الكسائي هذه القراءة وقال: لا أعرف (هِئْت لَك) بمعنى يأت، وهي عند البصريين جيدة، لأنه يقال: هاءَ الرجلُ يهاءُ، ويهيءُ هيأةً، فَهاءَ يهيءُ، مثل جاءَ يجِيءُ وهِئْت مثل جِئْت.

٣٥- ثم قال ﷻ **معاذَ الله إنه ربي..** [آية: ٢٣].

يجوز أن يكون المعنى: إن الله ربي فلا أعصيه.

ويجوز أن يكون المعنى: إن المَلِك ربي، أي مولاي.

٣٦- وقوله ﷻ: **ولَقَد همت بِهِ وهم بِها لَولاَ أن رأى برهانَ ربهِ..** [آية:٢٤].

قال أبو جعفر : الذي عليه أهل الحديث والمتقدمون أنه هم ا حتى مثل له يعقوب ﷺ.

حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال نا داود بن عمرو الضبي عن نافع- وهو ابن عمر الجُمحِي- عن ابن أبي مليْكَةَ قال: سئل ابن عباس رحمه الله: ما بلَغ من هموم يوسف؟ فقال: جلس يحِل هِميانا له فنودي يا يوسف: لا تك كالطائر يزني وعليه الريش فيقعد بلا ريشٍ، فلم يتعِظْ على النداء فرأى برهان ربه ففر وفَرِق.

وفي رواية ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال: سألت ابن عباس عما بلغ من هموم يوسف؟ فذكر نحوه، إلا أنه قال: جلس بين رِجلَيها، ورأي يعقوب ﷺ.

وروى الأعمش عن مجاهد قال: حل سراويله فتمثل له يعقوب، فقال له: يا يوسف، فولى هاربا.

وروى سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال: مثل له يعقوب، فضرب صدره، فخرجت شهوته من أنامِله.

وروى إسماعيل بن إبراهيم، عن يونس، عن الحسن قال: رأى صورةَ يعقوب يقول له: يوسف، يوسف.

قال أبو صالح: رأى صورة يعقوب في سقف البيت يقول: يا يوسف، يا يوسف.

وقال الضحاك نحوا من هذا. قال أبو عبيد "القاسم بن سلام"[(١)]: وقد زعم بعض

---

(١) الإمام الحافظ ا لمجتهد ذو الفنون أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله. كان أبوه سلام مملوكا روميا لرجل هروي. يروى أنه خرج يوما وولده أبو عبيد مع ابن أستاذه في المكتب، فقال للمعلم: علمي القاسم فإ ا كيسة. مولد أبي عبيد سنة سبع وخمسين ومائة. وسمع: إسماعيل بن جعفر، وشريك بن عبد الله، وهشيما، وإسماعيل بن عياش، وسفيان بن عيينة، وأبا بكر بن عياش، وعبد الله بن المبارك، وسعيد بن عبد الرحمن الجمحي، وعبيد الله الأشجعي، وغندرا، وحفص بن غياث، ووكيعا، وعبد الله بن إدريس، وعباد بن عباد، ومروان بن معاوية، وعباد بن العوام، وجرير بن عبد الحميد، وأبا معاوية الضرير، ويحيى القطان، وإسحاق الأزرق، وابن مهدي، ويزيد =

من يتكلم في القرآن برأيه أن يوسف ﷺ لم يهم ا، يذهب إلى أن الكلام انقطع عند قوله تعالى: **ولقد همت به** قال: ثم استأنف فقال: **وهم بها لولا أن رأى برهان** بمعنى: لولا أن رأى برهان ربه لهم ا، واحتج بقوله تعالى: **ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب** وبقوله تعالى: **واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر** وابن عباس ومن دونه لا يختلفون في أنه هم ا، وهم أعلم بالله، وبتأويل كتابه، وأشد تعظيما للأنبياء، من أن يتكلموا فيهم بغير علم.

قال أبو جعفر: وكلام أبي عبيد هذا، كلام حسن بين لمن لم يمل إلى الهوى، والذي ذكر من احتجاجهم بقوله تعالى: **ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب** لا يلزم، لأنه لم يواقع المعصية.

وأيضا فإنه قد صح في الحديث أن جبريل ﷺ قال له حين قال: **ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين** : ولا حين هممت؟ فقال: **وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء** .

وكذلك احتجاجهم بقوله تعالى: **واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر** لا يلزم، لأنه يجوز أن يكون هذا بعد الهُموم.

وقال الحسن: إن الله ﷻ، لم يذكر معاصي الأنبياء ليعيرهم ا، ولكنه ذكرها لئلا تيأسوا من التوبة.

=

ابن هارون، وخلقا كثيرا، إلى أن نـزل إلى رفيقه هشام بن عمار، ونحوه. وقرأ القرآن على أبي الحسن الكسائي، وإسماعيل بن جعفر، وشجاع بن أبي نصر البلخي، وسمع الحروف من طائفة. وأخذ اللغة عن أبي عبيدة، وأبي زيد، وجماعة. وصف التصانيف المونقة التي سارت ا الركبان. وله مصنف في القراءات لم أره، وهو من أئمة الاجتهاد، له كتاب "الأموال" في مجلد كبير. وكتاب "الغريب"، وكتاب "فضائل القرآن"، وكتاب "الطهور"، وكتاب "الناسخ والمنسوخ" وكتاب "المواعظ"، وكتاب "الغريب المصنف في علم اللسان"، وغير ذلك وله بضعة وعشرون كتابا. حدث عنه: نصر بن داود، وأبو بكر الصاغاني، وأحمد بن يوسف التغلبي، والحسن بن مكرم، وأبو بكر بن أبي الدنيا، والحارث بن أبي أسامة، وعلي بن عبد العزيز البغوي، ومحمد بن يحيى المروزي، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، وعباس الدوري، وأحمد بن يحيى البلاذري، وآخرون. قال البخاري وغيره: مات سنة أربع وعشرين ومائتين بمكة. قال الخطيب: وبلغني أنه بلغ سبعا وستين سنة -رحمه الله.

وقيل: معنى **وهم** أنه شيءٌ يخطر على القلب، كما قال النبي ﷺ «**من هم بسيئةٍ ثم لم يعملْها لم تكتب عليه**»[1]، فهذا مما يخطر بالقلب، ولو هم ا على أنه يواقعها لكان ذلك عظيما.

وفي الحديث: «**إني لأستغفر الله** ﷻ **في اليوم والليلة مائة مرة**»[2].

قال أبو جعفر: وقد بينا قولَ من يرجع إلى قوله من أهل الحديث والروايات.

وأهلُ اللغةِ المحققون على قولهم.

قال أبو إسحاق: يبعد أن يقال: ضربتك لولا زيد، وهممت بك لولا زيد، وإنما الكلام لولا زيد لهممت بك، فلو كان "ولَقَد همت ِبِه"، "ولَهم ِبها لولا أن رأى برهان ربه" لجاز على بعدٍ، وإنما المعنى: لولا أن رأى برهان ربه لأمضى ما هم به.

وقال بعض أهل اللغة: المعنى: وهم بدفعها.

٣٧- وقوله ﷻ: **كَذَلِك ِلنصرِف عنه السوءَ والْفَحشاءَ..** [آية: ٢٤].

السوءُ: خيانةُ صاحبه، والفحشاءُ: ركوب الفاحشة.

حدثنا أحمد بن محمد الأزدي قال: نا محمد بن إبراهيم بن جناد قال: نا الحسن بن عبد العزيز الجَروي قال: حدثني أبو مروان- وأثنى عليه خيرا- قال: حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر في قول الله ﷻ **كَذَلِك ِلنصرِف عنه السوءَ والْفَحشاءَ** قال: السوءُ: الثناءُ القبيح، والفحشاءُ: الزنا.

٣٨- وقوله ﷻ: **واستبقَا الْباب..** [آية: ٣٥].

قال قتادة: يعني يوسف وامرأة العزيز.

٣٩- وقوله ﷻ: **وأَلْفَيا سيدها لَدى الْبابِ** [آية: ٣٥].

أي صادفاه، فحضرها عند ذلك كيد فقَالَت **ما جزاءُ من أَراد ِبأَهلِك سوءًا ِإلا أَن يسجن أَو عذَاب أَلِيم** .

٤٠- وقوله ﷻ: **وشهِد شاهِد من أَهلِها..** [آية: ٢٦].

قال أبو هريرة: تكلم ثلاثة في المهد: صاحب يوسف، وعيسى ﷺ، وصاحب جريج.

---

(١) الحديث رواه البخاري ١٧٧/٩ في كتاب التوحيد، ومسلم في كتاب الإيمان ١١٧/١.

(٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه ٢٠٧٥/٤ بلفظ: "إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة"، والبخاري في صحيحه ٨٣/٥ ولفظه: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة".

وروى شريك عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال: كان صبّياً في البيت -أو قال في المهد- شك شريك.

وروى علي بن الحَكَمِ عن الضحاك قال: هو صبي في البيت..

وقال هلال بن إساف: تكلم ثلاثة في المهد: أحدهم صاحب يوسف.

وروى إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رجلاً ذا لحية.

وقال سفيان عن جابر عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس أنه قال: كان من خاصة الملك.

وقال عكرمة: لم يكن بصبي ولكن كان رجلاً حكيما.

وروى سفيان عن منصور عن مجاهد قال: كان رجلاً.

وروي أبو عاصم عن المثّنى عن القاسم **وشهد شاهِد من أهلِها** قال: قميصه.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: **وشهد شاهِد من أهلِها** قال: قَد القميص: الشاهد.

والقد في اللغة: القَطْع.

٤١- وقوله ﷻ: **قَالَ إنه مِن كَيدِكُن..** [آية: ٢٨].

المعنى: إن قولك **ما جزاءُ من أراد بأهلِك سوءً** من كيدكن.

ثم قال **يوسف أعرض عن هذَا** أي لا تفْشِهِ.

٤٢- ثم **قال تعالى: واستغفِري لِذَنبِكِ** [آية: ٢٩].

ويروى أنه كان قليل الغيرة.

٤٣- وقوله ﷻ: **وقَالَ نسوةٌ فِي الْمدِينةِ امرأت الْعزيز تراوِد فَتاها عن نفْسِهِ قَد شغفَها حبا..** [آية: ٣٠].

وروى معاوية بن أبي صالح، عن علي بن أبي طَلْحة، عن ابن عباس قال **شغفَها**: غَلَبها.

وروى عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: دخل تحت شغافها.

قال أبو جعفر: والقولان يرجعان إلى شيء واحد، لأن الشغاف حِجاب القَلْبِ، فالمعنى: وصل حبه إلى شغافها، فغلَب على قلبها، قال الشاعر:

وقَد حالَ هم دونَ ذَلك داخِلٌ دخولَ الشغافِ تبتغِيه الأصابِع(١)

---

(١) البيت للنابغة الذبياني وهو في ديوانه ٧٩، وانظر اللسان مادة (شغف).

وقد قيل: إن الشغاف داءٌ، وأنشد الأصمعي للراجز:

يتبعها وهي له شغاف

وروى عن أبي رجاء وقتادة أ ما قرءا **قد شعفها حبا** بالعين ، غير معجمة وبفتحها(١).

قال أبو جعفر: معناه عند أكثر أهل اللغة: قد ذهب ا كل مذهب، لأن شعفَاتِ الجبالِ أعاليها، وقد شعِف بذلك شعفًا بإسكان العين، أي أولع به، إلا أن أبا عبيد أنشد بيت لامرئ القيس:

أيقتلني وقد شعفت فؤادها كما شعف المهنوءةَ الرجلُ الطالي(٢)

قال: فشبهت لوعةُ الحب وجواه بذلك.

وروى عن الشعبي أنه قال: الشغف: حب، والشعف: جنونٌ.

٤٤- وقوله ﷻ: فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن.. [آية: ٣١].

يقال: كيف سمى هذا مكرا؟ فالجواب فيه: أ ا أطلعتهن واستكتمتهن، فأفشين سرها، فسمي ذلك مكرا.

٤٥- وقوله ﷻ: وأعتدت لهن متكئًا.. [آية: ٣١].

روى سفيان عن منصور عن مجاهد قال: المتّكأُ -مثقلاً- الطعام، والمتك -مخففة- الأترج.

وروى إسماعيل بن إبراهيم عن أبي رجاء عن الحسن قال: المتكأُ: الطعام.

وروى معمر عن قتادة قال: المتكأ: الطعام.

وقيل: المتكأ: كل ما اتكِئَ عليه عند طعامٍ، أو شرابٍ، أو حديث. وهذا هو المعروف عند أهل اللغة، إلا أن الروايات قد صحت بذلك.

وحكى القُتبـي(٣) أنه يقال: اتكأنا عند فلان: أي أكلنا.

وقد قيل إن المَتك الزماورد، وقيل: يقال: بتكه إذا قطعه وشقه فكأن الميم بدلٌ من الباء، كما يقال: لازم، ولازب في نظائر له كثيرة.

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٣٣٩/١.

(٢) البيت في ديوانه ٢٣٣، والمهنوءة: الناقة التي تطلى بالقطران لإصابتها بالجرب.

(٣) هو عبد الله بن مسلم بن قُتيبة الدينوري، سبقت ترجمة.

٤٦- وقوله ﷻ: فَلَما رأينه أكْبرنه.. [آية: ٣١].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: أعظمنه.

قال أبو جعفر: وهذا هو الصحيح، ومن قال: "حِضن" فقد جاء بما لا يعرف، و"حِضن" لا يتعدى.

والمعنى: هالهُن فأعظَمنه.

٤٧- ثم قال ﷻ: وقَطعن أيدِيهن [آية: ٣١].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: حزّاً بالسكين.

يريد مجاهد أنه ليس قطعا تِبين منه اليد، إنما هو خدش وحز، وذلك معروف أن يقال إذا خدش الإنسانُ يد صاحبه: قد قَطَع يده.

٤٨- ثم قال ﷻ: وقُلْن حاش للهِ.. [آية: ٣١].

قال مجاهد: أي معاذَ الله.

والذي قال حسن ، وأصلُه من قولك : فلانٌ في حشا فلانٍ أي في ناحيته ، فإذا قلت"حاشا لزيدٍ" فمعناه: تنحِيةٌ لزيدٍ، و **حاش للهِ** أي نحى الله هذا من هذا.

٤٩- ثم قال ﷻ: ما هذَا بشرا إنْ هذَا إلا ملك كَريم [آية: ٣١].

وقُرِئ "ما هذا بِشِرى"(١) أي بمشترى.

والأول أشبه، لأن بعده "إن هذَا إلا ملَك كَريم" ولأن مثل بِشِرى يكتب في المصحف بالياء.

٥٠- وقوله ﷻ: ولَقَد راودته عن نفْسِهِ فَاستعصم.. [آية: ٣٢].

معنى "فاستعصم": فامتنع.

وقوله ﷻ: قَالَ رب السجن أحب إلَي مِما يدعونِني إلَيهِ.. [آية: ٣٣].

روي أن الزهري قرأ **قَالَ رب السِجن أحب إلَي** ومعناه : أن أسجن أحب إلي(٢).

---

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٣٤٢/١.

(٢) قال ابن عطية: قرأ الجمهور بكسر السين «السجن» وهو الاسم، وقرأ الزهري «السـجن» بفـتح السين، وهي قراءة عثمان ﷺ وهو المصدر، وهذا كقولك: الِجـدع والجَـدع، انظـر المحـرر ٥٠٢/٧، والنشر ٢٩٥/٢.

ومن قرأ بالكسر "السجن" فمعناه عنده: موضع السجن أحب إلي مما يدعونني إليه.

٥١- ثم **قال** ﷻ: **وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين** [آية: ٣٣].

يقال: صبا إلى اللهو صبوا.

وروى الفراء صبا: إذا مالَ إليه.

ثم **قال تعالى: فاستجاب له ربه** [آية: ٣٤].

فحمله على المعنى، لأن في كلامه معنى الدعاء، وإن لم يذكر دعاءٌ.

٥٢- **وقوله** ﷻ: **ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات** [آية: ٣٥].

قال مجاهد: يعني قَد القميص.

وقال قتادة: يعني قَد القميص، وحز الأيدي.

ثم بين الذي بدا لهم، فقال ﷻ **ليسجننه حتى حين** [آية: ٣٥].

٥٣- **وقوله** ﷻ: **ودخلَ معه السجن فتيانَ** [آية: ٣٦].

يجوز أن يكونا شابين، وأن يكون شيخين، والعرب تستعمل هذا.

٥٤- ثم **قال** ﷻ: **قالَ أحدهما إني أراني أعصِر خمرا** [آية: ٣٦].

في هذا أقوال منها:

أن الخمر هاهنا العنب، ومنها أن المعنى: عنب خمرٍ، ومنها أن يكون مثل قولك أن أعصِر زيتا أي أعصِر ما يؤول أمره إلى الزيت، كما قال:

الحمد للـه العلي المنان **صار الثريد في رؤوس العيدان**

وإنما يعني السنبلُ فسماه ثريدا، لأن الثريد منه، وهذا قول حسن.

والأول أبينها، وأهل التفسير عليه.

حدثنا أحمد بن شعيب قال: أخبرني أحمد بن سعيد قال: وهب بن جرير عن أبيه عن علي بن الحكم عن الضحاك في قوله تعالى: **إني أراني أعصِر خمرا** قال: فالخمر العنب، وإنما يسمي أهلُ عمان العنب الخمر.

٥٥- ثم **قال تبارك وتعالي**: **وقالَ الآخر إني أراني أحمِلُ فوق رأسِي خبزا تأكُلُ الطير منه نبئْنا بتأويله إنا نراك من المحسِنين** [آية: ٣٦].

في هذا قولان:

أحدهما: إنا نراك تحسِن تأويل الرؤيا.

والقول الآخر: يروى عن الضحاك أنه كان يعين المظلوم، ويعود المريض، وينصر الضعيف، ويوسع للرجال.

فَحاد عن جوا ما إلى غير ما سألاه عنه فقال "لا يأتيكما".

وفي هذا قولان:

أحدهما: أن ابن جريج قال: لم يرد أن يعبر لهما الرؤيا، فحاد عن مسئلتهما فلم يتركاه حتى عبرها.

وقال غيره: أراد أن يعلمهما أنه نبي، وأنه يعلمها بالغيب فقال: **قَالَ لاَ يأتِيكُما طَعام ترزقَانِهِ إِلا نبأتكُما بِتأوِيلِهِ قَبلَ أن يأتِيكُما** .

ويروى أن الملك كان إذا أراد قَتلَ إنسان، وجه إليه بطعام بعينِهِ لا يتجاوزه.

ثم أعلمهما أن ذلك العلم من عند الله، لا بكهانةٍ ولا تنجيم، فقال: **ذَلِكُما مِما علمنِي ربي** .

٥٦- ثم **أعلمهما أنه هو مؤمن فقال : إِني تركْت مِلةَ قَومٍ لا يؤمِنونَ بِاللهِ** [آية: ٣٧].

ثم قال بعد **ذَلِك مِن فَضل الله علينا وعلى الناس** .

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس **ذَلِك مِن فَضل الله علينا** أن جعلنا أنبياء، **وعلى الناس** أن بعثْنا إليهم رسلاً.

٥٧- ثم **دعاهما إلى الإسلام بعد، فقال يا صاحِبي السجن أأرباب متفَرقُونَ خير أَمِ الله الْواحِد الْقَهار** [آية: ٣٩].

٥٨- وقوله ﷻ: يا صاحِبي السجن أما أحدكُما فَيسقِي ربه خمرا.. [آية: ٤١].

أي يكون على شراب المِلكِ.

قال عبد الله بن مسعود: لما عبر لهما الرؤيا قالا: ما رأينا شيئًا، فقال **قُضِي الأمر الذِي فِيهِ تستفْتِيان** .. وقال أبو مجلز: كان أحدهما صادقًا، والآخر كاذبا، فقال **قُضِي الأمر الذِي فِيهِ تستفْتِيان** [آية:٤١] أي وقع على ما قُلت، حقًا كانَ أو باطلاً.

٥٩- وقوله ﷻ: وقَالَ لِلذِي ظَن أَنه ناجٍ منهما اذْكُرني عِند ربك.. [آية: ٤٢].

قال مجاهد: عند الملك، وذلك معروف في اللغة أن يقال للسيد: رب. قال الأعشى:

ربي كريم لا يكدر نعمةً   وإذا تنوشِد بالمَهارِق أنشدا[(١)]

٦٠- وقوله ﷻ: ﴿فَأنساه الشيطانُ ذِكْر ربه..﴾ [آية: ٤٢].

قال مجاهد: فأنسى يوسف الشيطان ذكر ربِه، أن يسأله ويتضرع إليه، حتى قال لأحد الفتيين: ﴿**اذْكُرني عِند ربك**﴾.

وروى إسماعيل بن إبراهيم، عن يونس عن الحسن، قال: قال نبي الله ﷺ: «**لولا كلمة يوسف: يعني قوله تعالى: ﴿اذْكُرني عِند ربك﴾ ما لبث في السجن ما لبِث**»[(٢)].

قال ثم يبكي الحسن ويقول: نحن ينـزل بنا الأمر، فنشكوا إلى الناس.

٦١- وقوله ﷻ: ﴿فَلَبِثَ فِي السجن بِضع سِنِين﴾ [آية:٤٢].

روى معمّر عن قتادة، قال: يعني أنه لبث في السجن سبع سنين.

وقال وهب: أقام أيوب في البلاء سبع سنين، وأقام يوسف في السجن سبع سنين.

قال الفراء: ذكروا أنه لبث سبعا بعد خمس سنين، بعد قوله: ﴿**اذْكُرني عِند ربك**﴾ قال: والبِضع: ما دون العشر.

قال الأخفش: البضع من واحدٍ إلى عشرة.

وقال قتادة: البضع يكون بين الثلاث، والتسع، والعشر، وهو قول الأصمعي.

قال العتبـي: قال أبو عبيدة: ليس البضع العقْد ولا نصف العقد، نذهب إلى أنه من الواحد إلى الأربعة.

وقال قطرب: البضع: ما بين الثلاث إلى التسع.

قال أبو جعفر: قيل أصحهما قول الأصمعي لأن داود بن هند روى عن الشعبي أن النبي ﷺ قال لأبي بكر رحمه الله، حين خاطَر قريشا في غلبة الرومِ فارس، فمضى ست سنين، وقال أبو بكر «سيغلبون في بضع سنين» فقال النبي ﷺ: كمِ البضع؟ فقال: ما بين الثلاث

---

(١) انظر ديوانه ص ٥٥، وروايته كما في الديوان:

وإذا يناشد بالمَهارِق أنشدا

والمهارق: الصحف، جمع مهرق.

(٢) قال ابن كثير ٣١٧/٤: وهذا الحديث ضعيف جدا، لأن سفيان بن وكيع ضعيف، وقد روي عن الحسن مرسلاً، وهو أيضا غير مقبول في هذا الموطن، وانظر الـدر المنثـور ٢٠/٤، والطـبري ٢٢٣/١٢.

إلى التسع، فخاطرهم أبو بكر وزاد، فجاء الخبر بعد ذلك أن الروم قد غَلَبت فارس.

٦٢- وقوله ﷻ: وقَالَ الْمِلِكُ إني أرى سبع بقراتٍ سِمانٍ يأكُلُهن سبع عِجاف.. [آية: ٤٣].

والعجاف التي قد بلغت النهاية في الهزال.

ومعنى عبرت الرؤيا: أخرجتها من حال النوم إلى حال اليقظة، مأخوذٌ من العِبر: وهو الشاطئ.

٦٣- وقوله ﷻ: قَالُوا أضغاثُ أحلامٍ وما نحن بتأويل الأحلامِ بعالِمين [آية:٤٤] روى معمر عن قتادة: أي أخلاطٌ، والضغثُ عند أهل اللغة كذلك، يقال لكل مختلطٍ من بقلٍ، أو حشيش، أو غيرهما ضِغثٌ.

أي هذه الرؤيا مختلطة ليست ببينةٍ.

٦٤- وقوله ﷻ: وقَالَ الذِي نجا منهما وادكَر بعد أمةٍ.. [آية: ٤٥].

روى معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وسفيان عن عاصم، عن أبي رزين عن ابن عباس (بعد أمه) بعد حين.

روى عفان عن همام، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه قرأ (وادكَر بعد أَمه)[1] والمعروف من قراءة ابن عباس وعكرمة **وادكَر بعد أَمةٍ** .

روى معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وسفيان عن عاصم، عن أبي رزينٍ عن ابن عباس **بعد أمةٍ** بعد حين.

وفسراه: بعد نسيان، والمعنيان متقاربان، لأنه ذكر بعد حين، وبعد نسيان.

٦٥- ثم **قال تعالى: أنا أُنبئُكُم بتأوِيلِه..** [آية: ٤٥].

أي أنا أخبركم.

وقرأ الحسن: آتيكُم بتأويله [2]، وقال: كيف ينبئُهم العلْج؟

قال أبو جعفر: ومعنى "أنبئكم" صحيح حسن، أي أنا أخبركم إذا سألت.

---

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٣٤٤/١، والأمه: النسيان، أمه الرجل يأمـه أمها أي نسي. وانظر زاد المسير ٢٣١/٤.

(٢) انظر البحر المحيط ٣١٤/٥ والمحرر الوجيز ٥٢٣/٧.

٦٦- ثم **قال** ﷻ: **فَأرسِلُون يوسف أيها الصديق..** [آية: ٤٥- ٤٦].
وفي الكلام حذف، والمعنى: فذهب فقال: يا يوسف.
٦٧- **وقوله** ﷻ: **لعلي أرجِع إِلى الناس لَعلهم يعلَمونَ** [آية: ٤٦].
يجوز أن يكون المعنى: لعلهم يعلمون تأويل رؤيا الملك.
ويجوز أن يكون لعلهم يعلمون بموضعك فتخرج من السجن.
٦٨- **قَالَ تزرعونَ سبع سِنِين دأَبا..** [آية: ٤٧].
أي تِباعا واعتيادا.
قال أبو عبيدة: معنى **تحصِنونَ** : تحرِزونَ.
٦٩- **وقوله** ﷻ: **ثُم يأتِي مِن بعدِ ذَلِك عام فِيهِ يغاثُ الناس وفِيهِ يعصِرونَ** [آية: ٤٩].
روى معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال **يعصِرونَ** : العِنَب والزيت.
ويقْرأ "تعصِرونَ" و"يعصِرونَ" و"يعصرونَ".
وزعم أبو عبيدة أن معنى يعصِرون ينجون من العصرةِ ، والعصر ، وهما المنجا ، وأنشد أحمد بن جعفر لأبي زبيدٍ:

صادِيا يستغِيثُ غَير مغاثٍ ولَقَد كَانَ عصره المَنجودِ(١)

والمنجود: الفَزِع.
قال أبو جعفر: والأجود في هذا أن يكون المعنى فيه ما قال ابن عباس وابن جريج في يعصِرون.
وأما معنى "تعصرونَ" فمعناه تمطَرونَ، من قوله: **وأنـزلنا مِن المعصِراتِ ماءً ثَجاجا** [النبأ: ١٤].
وكذلك معنى "تعصِرون".
٧٠- **وقوله** ﷻ: **وقَالَ المَلِك ائتوني بِهِ فَلَما جاءَه الرسولُ قَالَ ارجِع إِلى ربك..** [آية: ٥٠].
يروى أن النبي ﷺ تعجب من صبره، وقال: «**لو كنت مكانه** ثم **جاء الرسولُ**

(١) البيت في اللسان مادة (عصر) والطبري ٢٣٣/١٢، وزاد المسير ٢٣٥/٤.

لبادرت»[١].

ثم قال: **فَاسأله ما بالُ النسوةِ اللاتِي قَطعن أيدِيهن..** [آية: ٥٠].

ولم يذكر امرأة العزيز فيهن حسن عشرةٍ منه وأدباً.

٧١- وقوله ﷻ: قَالَ ما خطبكُن إِذْ راودتن يوسف عن نفْسِهِ.. [آية ٥١].

روى إسرائيل عن سِماك بن حربٍ، عن عِكرمة عن ابن عباس، قال: جمع فرعونُ النسوةَ فقال لهن: أنتن راودتن يوسف عن نفسه؟ فقالت امرأة العزيز **الآنَ حصحص الْحق أنا راودته عن نفْسِهِ وإنه لَمِن الصادِقِين** فقال يوسف **ذَلِك لِيعلم أني لَم أخنه بِالْغيبِ وأن الله لاَ يهدِي كَيد الْخائِنِين** فقال جبريل عليه السلام- وغمزه- ولا حين هممت؟ فقال: **وما أبرئ نفْسِي إِن النفْس لأمارةٌ بِالسوءِ** .

قال أبو جعفر: وهذا كلام غامض عند أهل العربية، لأن كلام يوسف مختلط بما قبله وغير منفصل منه، ألاَ تراه خبر عن امرأة العزيز أ ا قالت **أنا راودته عن نفْسِهِ وإنه لَمِن الصادِقِين** ؟ ثم اتصل به قول يوسف **ذَلِك لِيعلم أني لَم أخنه بِالْغيبِ وأن الله لاَ يهدِي كَيد الْخائِنِين** .

ونظيره **إِن الْملُوك إِذَا دخلُوا قَريةً أفْسدوها وجعلُوا أعِزةَ أهلِها أذِلةً وكَذَلِك يفْعلُونَ** [النمل: ٣٤].

قال أبو جعفر: وفي الآية تأويلٌ آخر.

روى حجاج عن ابن جريج قال: قال يوسف ارجع إلى ربك، فاسأله ما بال النسوةَ اللاتي قَطعن أيديهن؟ إن ربي بكيدهن عليم، **ذَلِك لِيعلم أني لَم أخنه بِالْغيبِ** .

وقال ابن جريج: وهذا من تقديم القرآن وتأخيره.

قال: أراد أن يبين عذْره، قبل أن يخرج من السجن، فهذا على هذا التأويل قاله يوسف في السجن.

---

(١) الحديث أخرجه عبد الرزاق عن عكرمة، وابن جرير ٢٣٥/١٢ بلفظ: "لقد عجبت من يوسف، وصبره وكرمه والله يغفر له، حين سئل عن البقرات العِجاف والسمان، ولو كنت مكانـه مـا أخبر م بشيء حتى أشترط أن يخرجوني، ولقد عجبت من يوسف صبره وكرمه والله يغفر لـه، حين أتاه الرسول، ولو كنت مكانه لبادر م الباب، ولكنه أراد أن يكون له العذر». وقـال ابـن كثير ٣١٩/٤: وهذا حديث مرسلٌ، وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أبي هريرة: "..ولو لبثت في السجن ما لبثَ يوسف لأجبت الداعي» انظر البخاري ٩٧/٦ ومسلم ٩٢/١.

وعلى تأويل ابن عباس قاله يوسف بعد ما خرج من السجن، حين جمعه الملك مع النسوة.قال أبو جعفر: والتأويلان حسنان، والله أعلم بحقيقة ذلك.

قال مجاهد. وقتادة: معنى **حصحص الحق** تبين.

قال أبو إسحاق: هو مأخوذ من الحِصة أي بانت حِصةُ الحق، من حِصةِ الباطل.

٧٢- وقوله ﷻ: **وقَالَ الْمِلك ائْتوني بِهِ أستخلِصه لِنفْسِي..** [آية: ٥٤].

أي أجعله خالِصا لنفسي، لا يشركني فيه غيره.

٧٣- ثم قال جل ذكره: فلما كلّمه قَالَ إنك الْيوم لَدينا مِكِين أمِين [آية:٥٤].

أي قد تبينا أمانتك، وبراءَتك مما قُرِفْت به.

قَالَ اجعلْنِي على خزائِن الأرض [آية: ٥٥].

أي على أموالها.

إني حفِيظٌ علِيم

أي حافظ للأموال، وأعلم المواضع التي يجب أن أجعلها فيها.

٧٤- وقوله ﷻ: **ولما جهزهم بِجهازِهِم قَالَ ائْتوني بِأخٍ لكُم من أبِيكُم..** [آية: ٥٩].

قيل: في الكلام حذف، والمعنى: سألهم عن أمورهم، فلما خبروه وجرى الكلام إلى هذا قال: **ائْتوني بِأخٍ لكُم من أبِيكُم ألا ترونَ أني أوفِي الكَيلَ وأنا خير الْمنـزِلين** .

قيل: لأنه أحسن ضيافتهم.

٧٥- وقوله ﷻ: **وقَالَ لِفتيانِهِ** [آية: ٦٢].

قيل: يراد بالفتية، والفتيان هاهنا: المماليك.

ثم قال: **اجعلُوا بِضاعتهم فِي رِحالِهِم لَعلهم يعرِفُونها إِذَا انقَلَبوا إِلى أهلِهِم لَعلهم يرجِعونَ** [آية: ٦٢].

قال أبو جعفر: أن المعنى "إذا رأوا البضاعة في رحالهم، وهي ثمن الطعام رجعوا، لأ م أنبياء لا يأخذون شيئًا بغير ثمنٍ".

وقيل: إذا رأوا البضاعة في الرحال، علموا أن هذا لا يكون من أمرِ يوسف فرجعوا.

٧٦- وقوله ﷻ: **قَالَ هلْ آمنكُم عليهِ إلا كما أمِنتكُم على أخِيهِ مِن قَبلُ..** [آية: ٦٤].

لأ م قالوا في أخيه "أرسله معنا غَدا نرتع ونلعب وإنا له لحافظونَ".

وقالوا في هذا: **فَأَرسِلْ معنا أخانا نكْتلْ وإنا له لحافِظُونَ** .

فضمنوا له حفظَهما.

٧٧- وقوله ﷻ: **قَالُوا يا أبانا ما نبغِي** [آية: ٦٥].

يجوز أن يكون المعنى: أي شيءٍ نبغي وقد ردت إلينا بضاعتنا؟

ويجوز أن يكون المعنى: ما نبغي شيئًا ويكونُ "ما" نافية.

ثم قال: **ونمِير أهلَنا ونحفَظُ أخانا** [آية: ٦٥].

يقال: مار أهله، يمِيرهم، ميرا، وميرةً، وميرة: إذا جاء بأقوا م من بلدٍ إلى بلد.

٧٨- ثم **قال** ﷻ : **ونـزداد كَيلَ بعِيرٍ** [آية: ٦٥].

قال ابن جريج: لأنه كان يعطي كل رجل منهم كيل بعير.

قال مجاهد: **يعني وقْر** حمارٍ.

وقال بعضهم: يسمى الحمار بعيرا يعني أ ا لغة.

فأما أهل اللغة فلا يعرفون أنه يقال للحمار بعير، والله اعلم بما أراد.

ثم **قال**: **ذَلك كَيلٌ يسِير** [آية: ٦٥]. أي سهلٌ عليه.

٧٩- وقوله ﷻ: **إلا أن يحاطَ بكُم** [آية: ٦٦].

أي إلا أن تهلِكُوا وتغلَبوا.

٨٠- ثم **قال** ﷻ: **فَلما آتوه موثِقَهم قَالَ الله على ما نقُولُ وكِيلٌ** [آية: ٦٦].

أي كفيل.

٨١- قوله ﷻ: **وقَالَ يا بنِي لا تدخلُوا مِن بابٍ واحِدٍ وادخلُوا مِن أبوابٍ متفَرقَةٍ** [آية: ٦٧].

قال الضحاك: خاف عليهم العين.

وقال غيره: العين حق، لأن النبي ﷺ كان يعوذُ الحسن، والحسين رضي الله عنهما، فيقول: «**أعيذُكُما بكلماتِ الله التامة، من كل لامة**»(١).

وقيل: كَرِه أن يلحقهم شيءٌ، فيتوهم أنه من العين، فيؤثم في ذلك.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء ١٩٤/٤ بزيادة "من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة"، وأحمد في المسند ٢٣٦/١، والهامة: كل ذات سم يقتلُ، ولامة: ما يلم بالإنسـان ويعتريـه مـن جنون.

والدليل على صحة هذا القول حديثُ النبي ﷺ «**إذا سمعتم بالطاعون** في **أرض، فلا تقْدموا عليه..**»[١].

وجواب آخر: أن يكون كَرِه أن يدخلوا فيستراب بهم، والله ﷻ أعلم.

٨٢- وقوله ﷻ: ﴿ولما دخلوا مِن حيثُ أمرهم أبوهم ما كانَ يغنِي عنهم من الله مِن شيءٍ إلا حاجةً..﴾ [آية: ٨٦].

قيل: المعنى: أنه لو قُضِي عليهم شيءٌ لأصابهم، دخلوا مجتمعين أو متفرقين؟

وقيل: المعنى: لو قُضِي أن تصيبهم العين، لأصابتهم متفرقين كما تصيبهم مجتمعين.

٨٣- ثم **قال** ﷻ: **﴿إلا حاجةً فِي نفْس يعقُوب قَضاها..﴾** [آية: ٦٨].

قال مجاهد: يعني خوفه عليهم العين.

٨٤- وقوله ﷻ: ﴿ولما دخلُوا علَى يوسف آوى إليه أخاه..﴾ [آية: ٦٩].

يقال: آويت فلانا بالمد إذا ضممته إليك، وأويت إليه: أي لجأت إليه.

ومعنى **﴿فلا تبتئِس﴾**: فلا تحزن، من البؤس.

٨٥- وقوله ﷻ: ﴿فلما جهزهم بِجهازِهِم جعلَ السقَايةَ فِي رحل أخِيهِ..﴾ [آية: ٧٠].

قال قتادة: هي مشربةُ المَلِك.

وقال الضحاك: هو الإناءُ الذي يشرب فيهِ الملِك.

وروى شعبةُ عن أبي بِشرٍ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: **﴿صواع الْمِلِكِ﴾**: شيءٌ من فضة، يشبِه المكوك، من ذهب وفضة، مرصع بالجواهر، يجعل على الرأس.

وكان للعباس واحد في الجاهلية.

٨٦- وقوله ﷻ: ﴿ثُم أذنَ مؤذنٌ أيتها الْعِير إنكُم لَسارِقُونَ﴾ [آية: ٧٠].

أي أعلم ونادى، يقال: آذنت: أي أعلمت، وأذنت: أي أعلمت مرةً بعد مرة.

والمعنى: يا أصحاب العير.

وقال **﴿إنكُم لَسارِقُونَ﴾** ولم يسرقوا الصواع؟

قيل: لأنهم أخذوا يوسف فباعوه، فاستجاز أن يقول لهم: إنكم لسارقون.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ٢١٣/٤ باب ما ذُكر عن بني إسرائيل، ومسلم في الطاعون برقم ٢٢١٨، والترمذي في الجنائز برقم ١٠٦٥.

وقيل: يجوز أن يكون الصواع جعل في رحالهم، ولم يعلم الذي ناداهم بذلك، فيكون كاذبا.

وقال أحمد بن يحيى[1]: أي حالكم حالُ السواق، وهكذا كلام العربِ، وكأن المنادى حسب أن القوم سرقوه، ولم يعلم بصنيع يوسف.

وقيل: يجوز أن يكون أذان المؤذن عن أمر يوسف، واستجاز ذلك م أ م قد كانوا سرقوا سرقةً في بعض الأحوال، يعني بذلك تلك السرقة، لا سرقتهم الصواع.

وقال بعض أهل التأويل: كان ذلك خطأً من فعل يوسف، فعاقبه الله ﷻ إذ قالوا له: **إن يسرق فقد سرق أخ له من قبلُ** .

٨٧- وقوله ﷻ: **وأنا بِهِ زعِيم** [آية: ٧٢].

قال الضحاك: أي كفيلٌ.

وقال قتادة: أي حمِيل.

قال الفراء: زعيم القوم رئيسهم ومتكلمهم.

قال أبو جعفر: وهذا قريب من الأول، لأن حميلَهم هو رئيسهم.

وروى أبو أُمامة عن النبي ﷺ أنه قال: «**والزعيم غارم مختصر**»[2].

يعني ﷺ بالزعيم: الضامن.

٨٨- وقوله ﷻ: **قالُوا تاللهِ لقد عِلمتم ما جِئْنا لِنفْسِد فِي الأرض** [آية: ٧٣].

يروى ا م كانوا لا ينـزلونَ على أحد ظُلْما، ولا يرهبون زرع أحدٍ، وأنَّهم جعلوا على أفواه إبلهم الأكِمةَ لئلا تعِيث في زروع الناسِ.

٨٩- ثم **قال** ﷻ: **وما كُنا سارِقين** [آية: ٧٣].

يروى أ م ردوا البضاعة التي جعِلت في رحالهم، أي فمن رد ما وجده كيف يكون سارقًا؟

٩٠- ثم **قال تعالى**: **قالُوا فما جزاؤه إِن كُنتم كاذِبين** [آية: ٧٤].

يقال: إن هذه هي الحيلة التي ذكرها الله في قوله تعالى: **كذَلك كِدنا لِيوسف ما**

---

(١) يعني: ثعلب، سبقت ترجمته.

(٢) الحديث الترمذي في الوصايا برقم (٢١٢١) وأبو داود في البيوع برقم (٣٥٦٥) وقال الترمـذي: حديث حسن، ولفظه عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع: "العارية مؤداةٌ، والزعيم غارم، والدين مقضي"، وأخرجه أحمد في المسند ٢٦٧/٥.

كَانَ لِيأخذَ أخاه فِي دِينِ الْمِلِكِ [آية: ٧٦].

قال الضحاك: أي في سلطان الملك، وذلك أنه كان حكم الملك إذا سرق إنسانٌ شيئًا غُرم مثلَه، وكان حكم يعقوب ﷺ إذا سرق إنسان استعبِد، فرد الحكم إليهم لهذا.

٩١- ثم **قال** ﷻ: **ما كَانَ لِيأخذَ أخاه فِي دِينِ الْمِلِكِ إلا أن يشاءَ الله..** [آية: ٧٦].

أي إلا بمشيئته تعالى.

٩٢- ثم **قال تعالى: نرفَع درجاتٍ من نشاءُ..** [آية: ٧٦].

ويقْرأ **درجاتٍ من نشاءُ** بمعنى من نشاءُ درجاتٍ.

٩٣- ثم **قال تعالى: وفَوق كُل ذِي عِلْمٍ عِليم** [آية: ٧٦].

قيل: حتى ينتهي العلم إلى الله ﷻ.

وروى إسرائيل عن سِماكٍ، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: يكون ذا أعلم من ذا، واللهُ فوق كل عالم.

وروى سفيان عن عبد الأعلى، عن سعيد بن جبير، قال: "كنّا عند ابن عباس رحمه الله فتحدث بحديثٍ فتعجب منه رجلٌ، فقال: سبحانَ الله **وفَوق كُل ذِي عِلْمٍ عِليم** فقال ابن عباس: بئس ما قلت: الله العليم، وهو فوق كل عالم".

٩٤- وقوله ﷻ: **قَالُوا إن يسرق فَقَد سرق أخ له مِن قَبلُ..** [آية: ٧٧].

قال مجاهد: يعنونَ يوسف.

ويروى أنه كان رأى صورةً تعبد، فأخذها ورمى ا، وإنما فعل ذلك إنكارا أن يعبد غير الله.

٩٥- ثم **قال** ﷻ: **فَأسرها يوسف فِي نفْسِهِ ولَم يبدِها لَهم** [آية: ٧٧].

ثم بَين الذي أسر بقوله: **قَالَ أنتم شر مكَانا** .

أي أنتم سرقتم على الحقيقة، إذْ بعتم أخاكم.

٩٦- ثم **قال تعالى: واللهُ أعلم بِما تصِفُونَ** [آية: ٧٧].

أي الله أعلم أسرق أخوه أم لا؟

٩٧- وقوله ﷻ: **فَلَما استيأسوا مِنه خلَصوا نجِيا..** [آية: ٨٠].

أي يئسوا تركوا أخاهم، وانفردوا يتناجونَ كيف يرجعون إلى يعقوب وليس معهم أخوهم.

٩٨- ثم **قال تعالى: ﴿قَالَ كَبِيرهم ألم تعلموا أن أباكُم قَد أخذَ عليكُم موثقًا من الله﴾** [آية: ٨٠].

قيل: "كبيرهم" يهوذا.

قال مجاهد: هو "شمعون" وليس بكبيرهم في السن، لأن "روبيل" أكبر منه.

يذهب مجاهد إلى أن المعنى: "قال كبيرهم" في العقل، ورئيسهم لا كبيرهم في السن، **وقال قتادة** في **قوله تعالى: ﴿قَالَ كَبِيرهم﴾** هو "روبيل" ذهب إلى أنه كبيرهم في السن، والله أعلم بحقيقة ذلك.

٩٩- **وقوله تعالى: ﴿فَلَن أبرح الأرض حتى يأذَنَ لي أبي..﴾** [آية: ٨٠].

يعني: أرض مصر، لأن كل أحد على الأرض.

١٠٠- **وقوله** ﷻ: **﴿ارجِعوا إلى أبيكُم فَقُولُوا يا أبانا إن ابنك سرق..﴾** [آية: ٨١].

وحكي أنه قُرِئ **﴿سرق﴾**.

حدثني محمد بن عمر، قال: حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن عثمان بن شِبِيب قال: نا أبو جعفر أحمد بن أبي سريج قالا: نا علي بن عاصم عن داود وهو ابن أبي هندٍ عن سعيد بن جبير قال: نا ابن عباس يقرؤها: **﴿يا أبانا إن ابنك سرق﴾** وحدثني محمد بن أحمد بن عمر قال: نا ابن شاذان قال: نا أحمد بن سريج البغدادي قال: سمعت الكسائي يقرأ: **﴿يا أبانا إن ابنك سرق﴾** مرفوعة بالسين.

و«سرق» تحتمل معنيين:

أحدهما: اتهم بالسرقة.

والآخر: عِلِم منه السرق.

ومعنى **﴿بلْ سولت﴾** أي بل زينت.

١٠١- **وقوله** ﷻ: **﴿وتولى عنهم وقَالَ يا أسفَا على يوسف﴾** [آية: ٨٤].

قال ابن عباس: أي يا حزنا.

وقال مجاهد: أي يا جزعا.

١٠٢- ثم **قال تعالى: ﴿وابيضت عيناه مِن الحزن فَهو كَظِيم﴾** [آية: ٨٤].

قال قتادة: أي لم يقل بأسا.

وكذلك هو في اللغة، يقال: فلانٌ كظيم، وكاظِم: أي حزين لا يشكو حزنه.

١٠٣- وقوله ﷻ: قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف.. [آية: ٨٥].

روى إسرائيل، عن سِماك، عن عكرمة، عن ابن عباس "تفتأ" أي لا تزال.

وقال مجاهد: "تفْتؤ" أي تفْتر.

والأول: المعروف عند أهل اللغة، يقال ما فَتِئَ، وما فَتأ أي ما زال.

١٠٤- ثم **قال تعالى: حتى تكونَ حرضا** [آية: ٨٥].

قال ابن جريج عن مجاهد: أي دون الموت.

وقال الضحاك: أي باليا مبرا.

والقولان متقاربان، يقال: أحرضه المَرض، فَحرِض ويحرض: إذا دام سقْمه وبلي.

قال الفراء: الحارض: الفاسد الجسم والعقل، وكذلك الحَرض.

وقال أبو عبيدة: الحَرض الذي قد أذابه الحُزنُ.

وقال غيره: منه حرضت فلانا أي أفسدت قلبه.

١٠٥- ثم **قال تعالى: أو تكونَ مِن الْهالِكِين** [آية: ٨٥].

وقال الضحاك: أي من الميتين.

١٠٦- وقوله ﷻ: قالَ إنما أشكُو بثي وحزني إلى الله.. [آية: ٨٦].

والبث: أشد الحزن.

قال قتادة: ولا تيأسوا مِن روح الله أي من رحمته.

١٠٧- وقوله ﷻ: قالُوا يا أيها الْعزيز مسنا وأهلَنا الضر وجِئْنا بِبضاعةٍ مزجاةٍ.. [آية: ٨٨].

وروى إسرائيل عن سِماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أي ورقٍ رديئةٍ، لا تجوز إلا بِوضِيعةٍ.

وقال مجاهد: أي قليلة.

وقال قتادة: أي يسيرة.

وقال عبد الله بن الحارث : كان معهم متاع الأعراب من سمن وصوفٍ ، وما أشبههما.

وهذه الأقوال متقاربةٌ، وأصلُه من التزجية وهي الدفع والسوق، يقال: فلانٌ يزجِي العِيس أي يدفع، والمعنى: أ ا بضاعة تدفع، ولا يقبلها كل أحد.

واحتج مالك بقوله تعالى: **فَأوفِ لَنا الْكَيلَ** في أن أجرة الكيال والوزان عل البايع.

١٠٨- وقوله ﷻ: قَالَ لا تثْريب عليْكُم اليوم يغفِر الله لَكُم وهو أرحم الراحِمِين [آية: ٩٢].

التثريب: التعيير واللوم وإفساد الأمر، ومنه ثَربت أمره أي أفسدته.

ومنه الحديث: «**إذا زنت أمةُ أحدِكم، فَلْيجلِدها الحَد ولا يثَرب**»[1] أي ولا يعيرها بالزنا.

١٠٩- وقوله ﷻ: ولَما فَصلتِ الْعِير قَالَ أبوهم إني لأجِد ريح يوسف.. [آية: ٩٤].

قال ابن عباس: "هاجت ريح فشم ريح القميص من مسيرة ثمانية أيام".

ثم **قال: لَولاَ أن تفَندون** [آية: ٩٤].

قال ابن عباس: تسفهون.

وقال عطاء والضحاك: أي تكذبون.

والقول الأول: هو المعروف، يقال: فنده تفنيدا: إذا عجزه كما قال:

"**أهلكَتِني باللومِ والتفْنِيدِ**"[2]

ويقال أفْند: إذا تكلم بالخطأ، والفَند: الخطأُ من الكلامِ والرأي، كما قال الشاعر:

إلا سليمانَ إذْ قَالَ المَليك لَه قُم في البرِيةِ فَاحددها عن الفَندِ[3]

١١٠- وقوله ﷻ: وقَالَ ادخلُوا مِصر إن شاءَ الله آمِنين [آية: ٩٩].

قال ابن جريج: أي سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله.

قال: وهذا من تقديم القرآن وتأخيره.

يذهب ابن جريج إلى أ م قد دخلوا مصر فكيف يقول: **ادخلُوا مِصر إن شاءَ الله آمِنين** ؟

١١١- ثم قال تعالى: ورفَع أبويهِ على الْعرش.. [آية: ١٠٠].

قال قتادة: أي على السرير.

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٤٩/٢ من حديث أبي هريرة بلفظ: "إذا زنت أمةُ أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب".

(٢) هذا عجز بيت لا يعرف قائله، انظر القرطبي ٢٦٠/٩.

(٣) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص ٢٠.

ثم **قال تعالى: وخروا له سجدا** [آية: ١٠٠].

وقال قتادة: وكان هذا من تحيتهم.

قال ابن جريج: كانوا يفعلون هذا كما تفعلُ فارس.

والمعنى: وخروا للهِ سجدا.

والقول الأول أشبه وهو سجود، على غير عبادة، وإن كان قد نهي المسلمون عن هذا، فإنه على ما روي أ ا تحيةٌ كانت لهم.

قال الحسن: كان بين مفارقة يوسف أباه إلى أن اجتمع معه ثمانون سنة، لا يهدأ يعقوب فيها ساعةً عن البكاء، وليس أحد في ذلك الوقت أكرم على الله من يعقوب ﷺ.

وأُلْقِي في الجب وهو ابن سبع عشرة سنةً، وعاش بعد لقائِهِ يعقوب ثلاثًا وعِشرين سنة، ومات وهو ابن عشر سنة ومائة.

١١٢- وقوله ﷻ: **رب قد آتيتِني مِن الْملْكِ وعلمتِني مِن تأويل الأحادِيثِ** [آية: ١٠١].

ويجوز أن تكون " من " هاهنا للتبعيض ، أي قد آتيتني بعض الملك وعلمتني بعض التأويل.

ويجوز أن تكون لبيان الجنس أي أتيتني الملك، وعلمتني تأويلَ الأحاديث.

ويدل على هذا الجواب **تؤتي الْملْك من تشاءُ** .

١١٣- وقوله ﷻ: **وما أكْثَر الناسِ ولو حرصت بِمؤمِنِين..** [آية: ١٠٣].

أي لست تقدِر على هداية من أردت.

١١٤- وقوله ﷻ: **وكأين من آيةٍ فِي السماواتِ والأرض يمرونَ عليها وهم عنها معرِضونَ** [آية: ١٠٥].

أي فكم من آيةٍ في رفع السماوات بغير عمد، ومجاري الشمسِ، والقمرِ، والنجوم، وفي الأرضِ من نخلِها، وزرعِها؟ أي يعلمو ا.

١١٥- ثم **قال** ﷻ: **وما يؤمِن أكْثَرهم بِاللهِ إلا وهم مشركُونَ** [آية: ١٠٦].

قال عكرمة: هو قوله تعالى **ولئِن سألْتهم من خلَقهم ليقُولُن الله** [الزخرف: ٨٧].

فإذا سئُلوا عن صفته وصفُوه بغيرها، ونسبوه إلى أن له ولدا.

وقال أبو جعفر: يذهب عكرمة إلى أن الإيمان هاهنا إقرارهم.

116- ثم قال تعالى: أَفَأَمِنوا أن تأتِيهم غَاشِيةٌ من عذَابِ الله.. [آية: 107].
قال مجاهد: أي تغشاهم.
قال أبو جعفر: ومعناه: تجللُهم، ومنه **هلْ أتاك حدِيثُ الْغاشِيةِ** ؟
117- ثم قال تعالى: أو تأتِيهم الساعةُ بغتةً وهم لا يشعرونَ [آية: 107].
أي فجأةً من حيث لا يقدروا.
118- وقوله ﷻ: قُلْ هذِهِ سبِيلي أدعو إلى الله على بصِيرةٍ.. [آية: 108].
أي على يقين، ومنه فلانٌ مستبصر بهذا.
119- وقوله ﷻ: حتى إذَا استيأس الرسلُ وظنوا أنهم قَد كُذِبوا [آية: 109].
روى الزهري عن عروة عن عائشة -رضي الله عنها- في قوله ﷻ: **حتى إذَا استيأس الرسلُ وظنوا أنهم قَد كُذِبوا** قالت : "استيأس الرسل من إيمان من كذبهم من قومهم ، وظنوا أن من آمن من قومهم قد كذبوهم ، لما كذبوهم ، لما لحقهم من البلاء والامتحان"[1].
وروى ابن أبي مليكةَ عن عروة عن عائشة قالت: لحق المؤمنين البلاءُ والضرر، حتى ظن الرسلُ أنهم قد كذبوهم لما لحقهم.
وقال قتادة: حتى إذا استيأس الرسلُ من إيمان قومهم، وأيقنوا أن قومهم قد كذبوهم جاءهم نصرنا.
يذهب قتادة إلى أن الظن هاهنا يقين، وذلك معروف في اللغة، والمعنى أن الرسل كانوا يترجون أن يؤمن قومهم، ثم استيأسوا من ذلك فجاءهم النصر.
والقولُ الأول أشبه بالمعنى، وهو أعلى إسنادا، والله أعلم بما أراد.
وقرأ عبد الله بن مسعود، وابن عباس: وظنوا أنهم قَد كُذِبوا بالتخفيف

(1) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير 97/6 عن عروة بن الزبير عن عائشة -رضي الله عنها- قالت له: وهو يسألها عن قول الله تعالى حتى إذَا استيأس الرسلُ قال: قلت: أكُذِبوا أم كُذبوا؟ قالت عائشة: "كُذبوا" قلت: فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم، فما هو بالظن!! قالت: أجلْ لعمري لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: "وظنوا أنهم قد كُذِبوا" قال: معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها، قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك".

وضم الكاف[1].

قال أبو جعفر: في معناه عن ابن عباس روايتان:

(أ) روى ابن أبي مليكة عنه: أ م ضعفُوا، قال: إ م بشر.

(ب) والقول الثاني: أنه روي عن سفيانَ، عن عطاءٍ، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس قال: " **حتى إذَا استيأس الرسلُ** " من إيمان قومهم، وظن قومهم قد كَذَبوا، جاءهم نصرنا.

قال أبو جعفر: الضمير في كُذِبوا" يعود على القوم على هذا.

وقرأ مجاهد: **وظَنوا أنهم قَد كَذَبوا** بالتخفيف وفتح الكاف.

وفسره: وظن قومهم أ م قد كَذَبوا .. وهو كالذي قبله في المعنى.

وروي عنه في قوله تعالى **حتى إذَا استيأس الرسلُ** قولان:

أحدهما: حتى إذا استيأس الرسلُ أن يأتيَ قومهم العذَاب.

والقول الثاني أحسن وهو: حتى إذا استيأس الرسلُ من إيمان قومِهم.

١٢٠- وقوله ﷻ: لقَد كَانَ فِي قَصصِهم عِبرةٌ لأولي الألبابِ.. [آية: ١١١].

قال مجاهد: يعني يوسف وإخوته.

١٢١- ثم **قال ﷻ: ما كَانَ حدِيثًا يفْترى ولَكِن تصدِيق الذِي بين يديهِ** [آية: ١١١].

قال سفيان: يعني التوراة والإنجيل والكتب **وتفْصِيلَ كُل شيءٍ وهدى ورحمةً لقَومٍ يؤمِنونَ** .

انتهت سورة يوسف

❁ ❁ ❁

(١) هذه من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٣٥٠/١.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سُورة الرّعد وَهي مدنية

١- من ذلك قوله ﷻ: المر تِلْك آيات الْكِتابِ.. [آية: ١].

هذا تمام الكلام.

ومن ذهب إلى أن كل حرفٍ من هذه يؤدي عن معنى، قال: المعنى أنا الله أرى.

٢- وقوله ﷻ: الله الذِي رفَع السماواتِ بِغير عمدٍ ترونها.. [آية: ٢].

المعنى: ترو ا بغير عمدٍ.

ويجوز أن يكون الضمير يعود على العمدِ.

٣- ثم قال ﷻ: وسخر الشمس والقَمر.. [آية: ٢].

أي ا ما مقهوران مدبران، فهذا معنى التسخير في اللغة.

٤- ثم قال تعالى: وهو الذِي مد الأرض.. [آية: ٣].

أي بسطَها.

وجعلَ فِيها رواسِي أي جبالاً.

ومِن كُل الثمراتِ جعلَ فِيها زوجين أي صنفين، وكل صنفٍ زوجٌ.

٥- ثم قال تعالى: وفِي الأرض قِطَع متجاوِرات [آية: ٤].

وفي **هذا قولان**:

قال ابن عباس: يعني الطيب، والخبيثَ، والسباخ، والعِذَاب.

وكذلك قال مجاهد:

والقول الآخر: أن في الكلام حذفًا، والمعنى: وفي الأرض قطعٌ متجاورات وغير متجاوراتٍ، كما قال: **سرابِيلَ تقِيكُم الْحر** [النحل: ٨١] والمعنى: وتقيكم البرد، ثم حذَف ذلك لعلم السامع.

و **والمُتجاوِرات** المدنُ وما كان عامرا **وغَير متجاوِراتٍ** الصحارى، وما كان غير عامر.

٦- ثم قال تعالى: وجنات من أعنابٍ [آية: ٤].

أي وفيها جناتٌ من أعنابٍ.

وزرع ونخِيلٌ صِنوانٌ وغَير صِنوانٍ [آية: ٤].

وقرأ **﴿صُنوانٌ﴾ بضم الصاد أبو رجاءٍ، وأبو عبد الرحمن، وطلحةُ**[١].

وروى أبو إسحاق عن البراء قال: الصنوانُ: المُجتمِع، وغير صنوان المتفرق.

حدثنا زهير بن شريك قال حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال: حدثنا زهير بن معاوية قال إسحاق عن البراء في قوله تعالى: **﴿صِنوانٌ وغَير صِنوانٍ﴾** قال: الصنوانُ: ما كان أصلحه واحدا وهو متفرقٌ، وغير صنوان التي تنبت وحدها.

وكذلك هو في اللغة، يقال للنخلة إذا كانت فيها نخلة أخرى أو أكثر «صنوان» فإذا تفرقت قيل: غير صنوان.

٧- ثم **قال** ﷻ: **﴿يسقَى بِماءٍ واحِدٍ ونفَضلُ بعضها على بعضٍ فِي الأُكُل﴾..** [آية: ٤].

أي في الثمر، أي هي تأتي مختلفة، وإن كان الهواء واحدا، فقد عِلم أن ذلك ليس من أجل الهواء، ولا الطبع، وأن لها مدبرا.

وروى سفيانُ، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: **﴿ونفَضلُ بعضها على بعضٍ فِي الأُكُل﴾** قال: الحلو، والحامض، والفارسي، والدقَلُ[٢].

٨- ثم **قال تعالى: ﴿وإن تعجب فَعجب قَولُهم﴾** [آية:٥].

أي إنْ تعجب من إنكارهم البعثَ بعد هذه الدلائل، فإن ذلك ينبغي أن يتعجب منه.

٩- وقوله تعالى: ﴿ويستعجِلُونك بِالسيئةِ قَبلَ الحسنةِ﴾ [آية: ٦].

روى معمرٌ عن قتادة، قال: بالعقوبةِ قبل العافية.

قال غيره: يعني قولهم: **﴿اللهم إِن كَانَ هذَا هو الحق مِن عِندِك فَأَمطِر علَينا حِجارةً من السماءِ﴾** [الأنفال: ٣٢].

١٠- ثم **قال تعالى: ﴿وقَد خلَت مِن قَبلِهم المثُلات﴾..** [آية: ٦].

---

(١) قال الفراء: لغة أهل الحجاز «صِنوانٌ» بكسر الصاد، وتميمٌ وقيسٌ يضمون الصاد، انظر السبعة في القراءات ص ٣٥٦.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي وحسنه، الدقلُ: رديء التمر، والفارسي: نوع جيد من التمر ينسب إلى فارس.

قال مجاهد: يعني الأمثال.

وقال قتادة: يعني العقوبات.

قال أبو جعفر: وهذا القول أولى، لأنه معروف في اللغة أن يقال للعقوبة الشديدة مُثْلَةٌ، ومَثُلَةٌ.

وروي عن الأعمش أنه قرأ **المُثُلات** بضم الميم والثاء، وهذا جمع (مُثْلة)[1].

وروي عنه أنه قرأ **المُثْلات** بضم الميم وإسكان الثاء[2].

وهذا أيضا جمع (مُثْلة).

ويجوز (المُثْلات) تبدل من الضمةِ فتحةٌ لثقلها.

وقيل: تأتي بالفتحة عوضا من الهاء

وروي عن الأعمش أيضا أنه قرأ **المَثْلات** بفتح الميم وإسكان الثاء، فهذا جمع (مَثُلَة) ثم حذف الضمةَ لثقلها.

١١- وقوله ﷻ: **وإن ربك لَذُو مغفِرةٍ للناس على ظُلْمِهم..** [آية: ٦].

روى حماد بن سلمة عن علي بن زيدٍ، عن سعيد بن المسيب، قال: لما نـزلت **وإن ربك لَذُو مغفِرةٍ للناس على ظُلْمِهم وإن ربك لَشدِيد الْعِقَابِ** قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا عفو الله ورحمته، وتجاوزه لما هنأ أحدا عيشٌ، ولولا عقابه ووعيده وعذابه، لا تكَلَ كل واحد»[3].

١٢- وقوله تعالى: إنما أنت منذِر ولكُل قَومٍ هادٍ [آية:٧]

قال مجاهد وقتادة- وهذا معنى كلامهما-: **إنما أنت منذِر** يعني النبي ﷺ. **ولكُل قَومٍ هادٍ** أي نبي يدعوهم.

وروى سفيان عن أبي الضحى: **إنما أنت منذِر** قال: النبي ﷺ، **ولكُل قَومٍ**

---

(١) انظر البحر المحيط ٣٦٦/٥، والمحرر ١٢٤/٨.

(٢) هذه القراءة من القراءات الشاذة، كما في المحتسب ٣٥٣/١، وأما قراءة الجمهور وقَد خلَت مِن قَبِلِهم الْمَثُلاَت أي عقوبات الأمم السابقة.

(٣) الحديث ذكره ابن كثير مرفوعا ٣٥٥/٤ وقال: أخرجه ابن أبي حاتم، وذكره السيوطي في الـدر المنثور ٤٥/٤ عن ابن عباس مرفوعا.

هادٍ قال: الله ﷻ[١].

وروى علي بن الحكم، عن الضحاك **ولكُل قَومٍ هادٍ** قال: الله ﷻ[٢]

وقال أبو صالح: المعنى لكل قوم[٣] داعي هدى، أو داعي ضلالة[٤].

والذي يذهب إليه جماعة من أهل اللغة أن المعنى: أ م لما اقترحوا الآيات أعلم الله ﷻ أن لكل لقوم نبيا يهديهم ويبين لهم، وليس عليه أن يأتيهم من الآيات بما يقترحون[٥]

وروى سفيان عن عطاء عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: **إنما أنت منذِر** قال النبي ﷺ **ولكُل قَومٍ هادٍ** قال الله جل ذكره[٦].

وروى سفيان عن السدي، عن عكرمة في قوله ﷻ: **الله يعلم ما تحمِلُ كُل أنثَى** قال سفيان: يعني من ذَكرٍ أو أنثى.

١٣- ثم قال تعالى: وما تغِيض الأرحام وما تزداد [آية: ٨].

قال الحسن والضحاك: هو نقصان الولد عن تسعة أشهر، وزيادته عليها.

وقال قتادة: تغيض السقْطُ، وتزداد على التسعةِ أشهر.

وقال مجاهد: الغيض: النقصان، فإذا اهراقتِ المرأةُ الدم وهي حاملٌ انتقص الولد، وإذا لم تهرق الدم عظُم الولد وتم.

وقال سعيد بن جبير: إذا حملت المرأة ثم حاضت نقَص ولدها، ثم تزداد به الحمل مقدار ما جاءها الدم به.

وقال عكرمة: الغيض: أنْ ينقص الولد بمجيء الدم، والزيادةُ أنْ يزيد مقدار ما جاءها الدم فيه، حتى تستكمل تسعة أشهر، سوى الأيامِ التي جاءها الدم فيها.

---

(١) انظر الطبري ١٠٧/١٣، وزاد المسير ٣٠٧/٤ وفي الدر المنثور ٤٥/٤.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق نفسه.

(٤) الأثر في تفسير ابن كثير ٣٥٦/٤، وابن الجوزي ٣٠٧/٤، ورجح الطبري أن المنذر هو محمد ﷺ وأن لكل قوم هاديا ومرشدا يرشدهم، فيتبعونه ويأتمون به.

(٥) انظر المحرر ١٢٦/٨.

(٦) الأثر أخرجه الطبري ١٠٧/١٣.

١٤- وقوله ﷻ: سواءٌ منكُم من أسر القَولَ ومن جهر بِهِ ومن هو مستخفٍ بِالليل وسارِب بِالنهارِ [آية: ١٠].

قال ابن عباس: السارب: الظاهر.

قال قتادة: السارب: الظاهر، الذاهب.

وقال مجاهد: ومن هو مستخفٍ بِالليل أي مستترٌ بالمعاصي، وساربٌ بالنهار: ظاهرٌ.

وقال بعض أهل اللغة: ومن هو (ومن هو مستخف بالليل) أي ظاهر من خفيته إذا أظهرته **وسارِب بِالنهارِ** أي مستترٌ من قولهم: انسرب الوحش إذا دخل كِناسه.

قال أبو جعفر: القولُ الأول أولى لجلالة من قال به، وأشبه بالمعنى، لأن المعنى- والله أعلم-: سواءٌ منكم من أسر منطقه أو أعلنه، واستتر بالليلِ، أو ظَهر بالنهارِ، وكل ذلك في علم الله سواء.

وهو في اللغة أشهر وأكثر.

قال الكسائي: يقال: سرب يسرب سربا وسروبا إذا ذهب.

وحكى الأصمعي: خل له سربه أي طريقه.

١٥- ثم قال ﷻ: له معقبات من بين يديهِ ومِن خلفِهِ يحفَظُونه مِن أمرِ الله [آية: ١١].

في **الآية ثلاثةُ أقوالٍ:**

روى إسرائيلُ، عن سِماكٍ عن عِكْرمةَ، عن ابن عباسٍ قال: ملائكةٌ يحفظونه، فإذا جاء القَدر خلَّوا بينه وبينه.

وروى معاويةُ بن صالح، عن علي بن أبي طلحةَ، عن ابن عباس **له معقبات من بين يديهِ ومِن خلفِهِ يحفَظُونه مِن أمرِ الله** قال: بإذن الله، وهي من أمر الله، وهي ملائكة.

قال الحسن: عن أمر الله.

قال مجاهد وقتادة -وهذا لفظ قتادة-: وهي ملائكةٌ تتعاقب بالليل والنهار عن أمر الله، أي بأمر الله.

فهذا قولٌ.

والقول الثاني: أنه روي عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى **له**

معقبات من بين يديه ومن خلفه قال: هم السلاطين الذين لهم قومٌ من بين أيديهم ومن خلفهم، يحفظو م من أمر الله، فإذا جاء أمر الله لم ينفعوا شيئًا.

وروى علي بن الحكم عن الضحاك قال: هو السلطانُ المتحرس من الله، وذلك أهلُ الشركِ.

وروى شعبة عن شرقي عن عكرمةَ، قال: هم الأمراء.

فهذان قولان.

والقول الثالث: أن ابن جريج قال: هو مثلث قولِهِ تعالى: **عن اليمين وعن الشمال قعيد** [ق: ١٧] فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات.

و **يحفظونه** أي يحفظون عليه كلامه وفعله.

وأولى هذه الأقوال الأول لعلو إسناده، وصحته.

ويقويه أن مالك بن أنس روى عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لله ملائكةٌ يتعاقبون فيكم بالليل والنهار..**»[1] وذكر الحديث.

وروى شعبة عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: **إن قرآنَ الفجر كانَ مشهودا** [الإسراء: ٧٨] قال: تدور كالحرسِ، ملائكة الليل، وملائكة النهار.

وروى ابن عيينة عن عمرو، عن ابن عباس أنه قرأ معقباتٌ من بين يديهِ ورقباءُ من خلفه، من أمر الله يحفظونه[2].

فهذا قد بين المعنى.

وقال الحسن في المعنى يحفظونه عن أمر الله. وهذا قريب من الأول، أي حفظُهم إياه من عند الله لا من عند أنفسهم.

وروى عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء في قوله تعالى: **له معقبات من بين يديهِ ومن خلفِه** قال النبي ﷺ.

وهذا يريد الملائكة أيضا.

---

(١) هذه القراءة محمولة على التفسير، وليست من القراءات المعتمدة.

(٢) هذه قراءة عبيد الله بن زياد، وهي من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٣٥٥/١.

وعن بعضهم أنه قرأ (معاقِيب من بين يديهِ ومن خلفه) و(معاقيب) جمع معقب، وتفسره كتفسير الأول.

١٦- وقوله ﷻ: وما لهم من دونه من والٍ [آية: ١١].

أي ليس أحد يتولاهم من دون الله.

و«والٍ» وولي وواحدٌ، كما يقالُ: قديرٌ وقادرٌ، وحفيظٌ وحافظٌ.

١٧- وقوله ﷻ: هو الذي يريكم البرق خوفًا وطمعا.. [آية: ١٢].

قال الحسن ومجاهد وقتادة: أي خوفًا للمسافر، وطمعا للحاضر.

والمعنى: أن المسافر يخاف من المطر ويتأذى به.

قال الله تعالى **أذًى من مطرٍ** [النساء: ١٠٢].

والحاضر: المنتفع بالمطر، يطمع فيه إذا رأى البرق.

١٨- ثم **قال تعالى: وينشئ السحاب الثقالَ** [آية: ١٢].

قال مجاهد: التي فيها المطر.

١٩- ثم **قال تعالى: ويسبح الرعد بحمده والملائكةُ من خيفته..** [آية: ١٣].

روى سفيانُ عن سالم، عن أبي صالح، قال: الرعد: ملَكٌ يسبح.

وروى عثمان بن الأسود عن مجاهد: قال: الرعد ملكٌ يسمى «الرعد» ألا تسمع إلى قوله تعالى: **ويسبح الرعد بحمده**[1]؟

وروى سفيان بن الحكم بن عتيبة عن مجاهد، قال: الرعد: ملَكٌ يزجر السحاب بصوتِهِ.

وقال عكرمة: الرعد ملك يصوت بالسحاب كالحادي بالإبل.

وروي أن ابن عباس كان إذا سمع صوت الرعد قال: «سبحان الذي سبحت له».

وروى مالك عن عامر بن عبد الله، عن أبيه، كان إذا سمع صوت الرعد لهي من حديثه، وقال: «سبحانَ الله من سبح الرعد بحمدِهِ، والملائكةُ من خيفته» ثم يقول إن هذا وعيدٌ لأهل الأرض شديد.

---

(١) الحديث رواه أحمد، والترمذي وصححه، وفيه أن اليهود سألوا النبي ﷺ قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: "ملَكٌ من ملائكة الله موكل بالسحاب، بيديه مخراق من نار، يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمره الله" قالوا: صدقت" الحديث.

٢٠- ثم **قال تعالى: ويرسِلُ الصواعِق فَيصِيب ِبها من يشاءُ وهم يجادِلُونَ ِفي الله..** [آية: ١٣].

يجوز أن تكون الواو واو حال، أي يصيب با من يشاء في حال مجادلته.

لأنه يروى أن أربد سأل النبي ﷺ فقال: أخبرنا عن ربنا أهو من نحاسٍ، أو من حديد؟ فأرسل الله صاعقة فقتلته(١).

ويجوز أن يكون قوله تعالى: **وهم يجادِلُونَ ِفي الله** منقطعا من الأول.

٢١- ثم **قال تعالى: وهو شدِيد الِمحال** [آية: ١٣].

قال ابن عباس: أي الحول.

وقال قتادة: أي الحيلة.

وقال الحسن: المكر

وروي عن الحسن أنه قال: أي الهَلاك.

وهذه أقوال متقاربةٌ، وأشبهها بالمعنى -والله أعلم- أنه الإهلاك، لأن المَحلَ الشِدةُ، فكأن المعنى: شديد العذاب والإهلاك.

وقد قال جماعة من أهل اللغة، منهم «أبو عبيدة» و«أبو عبيدٍ»: هو المكر من قولهم: محل به، وأنشد بيت الأعشى:

فَرع نبعٍ يهتز في **غُصن المَجدِ غَزِير الندى شدِيد الِمحال**(٢)

وقال أبو عبيد: الأشبه بقول ابن عباس أنْ يكون قرأ (شديد المَحال) بفتح الميم.

فأما الأعرج فالمعروف من قراءته (المَحال) بفتح الميم(٣).

---

(١) روى أبو يعلي، وابن جرير ١٢٥/١٣، وابن كثير ٣٦٤/٤، عن أنس أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً مرةً إلى رجل من فراعنة العرب، فقال: اذهب فادعه لي، فذهب إليه فقال: يدعوك رسول الله ﷺ فقال له من رسول الله؟ وما الله؟ أمِن ذهبٍ هو! أم من فضة؟ أم من نحاس؟ فرجع إلى رسول الله فأخبره، فقال يا رسول الله: قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك -أي أشد طغيانا وتكبرا مما تظن- قال فقال لي: كذا وكذا، فقال: ارجع إليه الثانية، فذهب فقال له مثلها، فأرسله الثالثة فأعاد عليه ذلك الكلام، فبينا هو يكلمه، إذ بعث الله سحابةً حيال رأسه، فرعدت فوقع منها صاعقة، فذهب بقحفِ رأسه -أي أعلى الدماغ- فأنزل الله الآية.

(٢) البيت في ديوانه ص ١٦٦، وانظر اللسان مادة (محل).

(٣) هذه القراءة شاذة، انظر المحتسب ٣٥٦/١، وقرأ السبعة "المِحال" بالكسر، ومعناه: شديد العقوبة

ومعناه كمعنى الحَول من قولهم: لا حولَ ولا قوة إلا باللهِ.
فأما معنى المكر من الله: فهو إيصال المكروه إلى من يستحقه من حيث لا يشعر.

٢٢- وقوله ﷻ: له دعوةُ الحق.. [آية: ١٤].

روى إسرائيل عن سِماك، عن عكرمة، عن ابنِ عباس قال: "لا إله إلا الله".
وكذلك قال قتادة والضحاك.

٢٣- ثم **قال تعالى: والذِين يدعونَ مِن دونِهِ لا يستجِيبونَ لهم بِشيءٍ إلا كباسِطِ كفيهِ إلى الماءِ لِيبلُغَ فَاه وما هو بِبالِغِهِ..** [آية: ١٤].

قال مجاهد: أي يشير إلى الماء بيده، ويدعوه بلسانه.
وقال غيره: أي الذي يدعو الأصنام، بمنـزلة القابض على الماء، لا يحصل له شيء.

٢٤- وقوله ﷻ: ولِلهِ يسجد من فِي السماواتِ والأرض طَوعا وكَرها.. [آية: ١٥].

قيل: من أسلم طوعا، ومن لم يسلم حتى فُحِص عن رأسه بالسيف، فكأن أول دخوله كَرها.

وقيل: إنما وقع هذا على العموم، لأن كل من عبد غير الله، فإنما يقصد إلى ما يعظُم في قلبِهِ، واللهُ العظيم الكبير.

والسجود في اللغة: الخضوع، والانقياد، وليس شيء إلا وهو يخضع للهِ، وينقاد له.

٢٥- ثم **قال تعالى: وظِلالُهم بِالغدو والآصال** [آية: ١٥] يروى أن الكافر يسجد لغير الله، وظله يسجد للهِ، وهذا من الانقياد والخضوع.

وقيل: الظلالُ هاهنا: الأشخاص.

٢٦- وقوله ﷻ: أم جعلُوا لِلهِ شركَاءَ خلَقُوا كَخلْقِهِ فَتشابه الخلْق عليْهم.. [آية: ١٦].

أي هل رأوا غير الله خلَق مثْلَ خلقِهِ، فتشابه الخلق عليهم؟!

٢٧- وقوله تعالى: أنزلَ مِن السماءِ ماءً فَسالت أودِيةٌ بِقَدرِها.. [آية: ١٧].

قال ابن جريج: أخبرني ابن كثير، قال: سمعت مجاهدا يقول: بقدر مِلئها.

=
والمكر والنكال.

قال ابن جريج: بقدر صِغرها، وكِبرها.

وقرأ الأشهب العقَيلي **فَسالت أوديةٌ بِقَدرها** [1] والمعنى واحدٌ.

وقيل: ومعناها بما قُدر لها.

٢٨- ثم قال تعالى: فَاحتملَ السيلُ زبدا رابِيا [آية: ١٧].

أي طالعا عاليا.

قال مجاهد: تم الكلام.

٢٩- ثم قال تعالى: وممِا يوقِدونَ [2] **عليهِ فِي النارِ ابتِغاءَ حِليةٍ أو متاعٍ زبد مثْله..** [آية: ١٧].

قال مجاهد: المتاع: الحديد، والنحاس، والرصاص.

قال غيره: الذي يوقد عليه ابتغاء حليةٍ: الذهب والفضة.

٣٠- ثم قال تعالى: فَأما الزبد فَيذْهب جفَاءً.. [آية: ١٧].

قال مجاهد: أي جمودا.

قال أبو عمرو بن العلاء-رحمه الله-: يقال: أجفأَتِ القِدر: إذا غَلَت حتى ينضب زبدها، وإذا جمد في أسفلها.

قال أبو زيد: وكان رؤبةُ يقْرأ **فَيذْهب جفَاءً** [3]، يقال: جفَلَتِ الريح السحاب: إذا قَطعته وأذهبته.

٣١- ثم قال تعالى: وأما ما ينفَع الناس فَيمكُثُ فِي الأَرض.. [آية: ١٧].

قال مجاهد: وهو الماءُ، وهذا مثلٌ للحق والباطل، أي إن الحق يبقى وينتفع به، والباطلُ يذهب ويضمحِل، كما يذهب هذا الزبد، وكذهاب خبثِ هذه الأشياء.

٣٢- ثم قال تعالى: كَذَلِك يضرِب الله الأمثَالَ [آية: ١٧].

تم الكلام.

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن عطية في المحرر الوجيز ١٥٥/٨، وليس للأشهب العقَيلي ترجمة في كتب التراجم، وفي الجرح والتعديل ٣٤٢/٢ «أشهب الضبعي» فلعله هو.

(٢) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر ومما توقدون عليه بالتاء، وقرأ حمزة، والكسائي وحفص عن عاصم يوقدون ، انظر النشر في القراءات العشر ٢٩٧/٢.

(٣) هذه القراءة ذكرها أبو حيان في البحر ٣٨٢/٥، وابن عطية في المحرر ١٥٧/٨، وهي ليست من القراءات السبع المتواترة.

٣٣- ثم **قالَ** ﷻ: ﴿**لِلذِينَ استجابوا لِربهم الْحسنى**..﴾ [آية: ١٨].

قال قتادة: هي الجنة.

٣٤- وقوله تعالى: ﴿**أولَئِك لَهم سوءُ الْحِسابِ**..﴾ [آية: ١٨].

قال أبو الجوزاء: عن ابن عباس يعني: المناقشة بالأعمال.

ويدل على هذا الحديث: «**من نوقش الحساب هلك**»(١).

قال فرقد: قال لي إبراهيم: يا فرقد: أتدري ما سوءُ الحساب؟ قلت: لا. قال: أن يحاسب العبد بذنبه كله، لا يغفر له منه شيء.

٣٥- وقوله تعالى: ﴿**جنات عدنٍ يدخلُونها ومن صلَح مِن آبائِهم وأزواجِهم وذُرياتِهم**..﴾ [آية: ٢٣].

أي من كان صالحًا. لا يدخلو ا بالأنساب.

٣٦- ثم **قال تعالى**: ﴿**والْملائِكَةُ يدخلُونَ عليهم من كُل بابٍ**﴾ [آية: ٢٣].

أي تكرمةً من الله لهم.

٣٧- ثم **قال تعالى**: ﴿**سلام عليكُم بِما صبرتم**﴾ [آية: ٢٤].

أي يقولون: سلامٌ عليكم بما صبرتم.

٣٨- ثم **قال** ﷻ: ﴿**فَنِعم عقْبى الدارِ**﴾ [آية: ٢٤].

قال أبو عِمران الجَوني(٢): ﴿**فَنِعم عقْبى الدارِ**﴾ الجنةُ من النار.

٣٩- وقوله ﷻ: ﴿**وما الْحياةُ الدنيا فِي الآَخِرةِ إِلا متاع**﴾ [آية: ٢٦].

قال مجاهد: أي تذهب.

٤٠- وقوله ﷻ: ﴿**قُلْ إِن الله يضِل من يشاءُ ويهدِي إِلَيهِ من أَناب**﴾ [آية: ٢٧].

أناب: إذا رجع إلى الطاعة.

---

(١) الحديث رواه البخاري ١٧٦/١ في كتاب العلم، ومسلم في الجنة برقم ٢٨٧٦، والترمذي بـرقم ٢٤٢٨، وأحمد في المسند ١٨٥/٦، ولفظه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: "من حوسـب يوم القيامة عذب" وفي رواية: "ليس أحد يحاسب إلا هلَك" قلت يا رسول الله: جعلـني اللـه فداءك، أليس الله تعالى يقول ﴿فأما من أُوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ قـال: "ذلك العرض تعرضون، ومن نوقش الحساب هلك".

(٢) أبو عمرانَ، الجَوني عبد الملك بن حبيب الأزدي أو الكِندي، مشهور بكنيته، والجَوني نسـبة إلى الجَون بطنٌ من كِندة، ثقةٌ من كبار الرابعة، توفي سنة ١٢٨ هـ، انظر تهذيب التهذيب ٣٨٩/٦.

٤١- ثم قال تعالى: الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله.. [آية: ٢٨].

أي بتوحيده، والثناء عليه.

٤٢- ثم قال تعالى: ألا بذكر الله تطمئن القلوب [آية: ٢٨].

أي التي هي قلوب المؤمنين.

قال مجاهد: يعني أصحاب محمد ﷺ.

٤٣- ثم قال تعالى: الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم.. [آية: ٢٩].

قال ابن عباس وأبو أمامة: «طُوبى» شجرةٌ في الجنة.

وكذلك قال عبيد بن عمير.

وقال مجاهد: هي الجنة.

وقال عكرمة: أي نعم ما لهم.

وقال إبراهيم: «طُوبى» أي خيرٌ وكرامةٌ.

وهذه الأقوال متقاربةٌ، لأن «طُوبى» فُعلى من الطيب، أي من العيش الطيب لهم، وهذه الأشياء ترجع إلى الشيء الطيب.

٤٤- ثم قال تعالى: وحسن مآب [آية: ٢٩].

قال مجاهد: أي مرجع.

٤٥- وقوله تعالى: ولو أن قرآنا سيرت به الجبالُ أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى.. [آية: ٣١].

قال ابن عباس: قال الكفار للنبي ﷺ: سيِّر لنا الجبالَ، قَطع لنا الأرض، أحيِ لنا الموتى.

وقال مجاهد: قالوا للنبي ﷺ: بعد لنا هذه الجبال، وادع لنا أن يكون لنا زرعٌ، وقرب منا الشام فإنا نتجر إليه، وأحيي لنا الموتى.

قال قتادة: قالت قريش للنبي أحيي لنا الموتى، حتى نسألهم عن الذي جئت به، أحق هو؟ فأنزل الله **ولو أن قرآنا سيرت به الجبالُ أو قُطعت به الأرض أو كُلم به الموتى** .

قال: لو فُعل هذا بأهل الكتاب لفُعل بكم. وهذه الأقوال كلها توجب أن الجواب محذوفٌ، لعلم السامع، لأنهم سألوا فكان سؤالهم دليلاً على جواب (لو).

ونظيره: **لو أن لي بكم قوةً أو آوي إلى ركن شديد** [هود: ٨٠].

وقال الشاعر:

فَلَو أنها نفْس تموت سويةً ولَكِنها نفْس تساقَطُ أنفُسا[١]

فحذِف جواب (لو)، أي لَتسلت.

وفي الحذف من الآية قولان:

أكثر أهل اللغة يذهب إلى أن المعنى: ولو أن قرآنا سيرت به الجبالُ، أو قُطعت به الأرض، أو كُلم به المَوتى، لكانَ هذا القرآن.

وقال بعضهم: المعنى: لو فُعِل بم هذا لَما آمنوا، كما قال تعالى: **ولَو أننا نـزلْنا إليهم الْملائِكةَ وكلمهم الْموتى وحشرنا عليهم كُل شيءٍ قُبلاً ما كَانوا ليؤمِنوا إلا أن يشاءَ الله** [الأنعام: ١١١].

قال أبو جعفر: وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبالُ، أي وهم يكفرون ولو وقَع هذا.

٤٦- وقوله ﷻ: أفَلَم ييأَس الذِين آمنوا أن لو يشاءُ الله لَهدى الناس جمِيعا [آية: ٣١].

قال أبو جعفر: في هذه الآية اختلافٌ كثير.

روى جرير بن حازِمٍ عن يعلَى بن حكيم، وعكرمةُ عن ابن عباس أنه قَرأ **أفَلَم يتبين للذِين آمنوا** [٢] مخْتصرٌ.

وفي كتاب خارجةَ أن ابن عباس قرأ **أفَلَم يتبين للذِين آمنوا** [٣].

وروى المنهال بن عمـيـر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس **أفَلَم ييأَس الذِين آمنوا** أي أفلم يعلم.

وأكثر أهل اللغة على هذا القول.

وممن قال به أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة، قال سحيم بن وثيل:

أقُولُ لَهم بالشعبِ إذْ ييسِرونني ألَم تيأسوا أني ابن فَارِس زهدمِ[٤]

---

(١) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ص١٠٧، ولفظه:
فلو أنها نفسٌ تموت جميعة

(٢) هذه من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٣٥٧/٢.

(٣) هذه من القراءات الشاذة، وهي محمولة على أ ا تفسير للآية.

(٤) البيت في الطبري ١٥٣/١٣ بلفظ: إذ يأسرونني، والقرطبي ٣٢٠/٩، واللسان مـادة (يـئس)،

ويروى: إذْ يأسِرونني.

فمعنى **أفلم ييأس الذين آمنوا** قال: ألم يعلموا.

وروى معاوية بن صالح بن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: **أفلم ييأس الذين آمنوا** قال أفلم يعلم.

وفي الآية قول آخر:

قال الكسائي: لا أعرف هذه اللغة، ولا سمعت من يقولُ: يئست بمعنى علمت، ولكنه عندي من اليأس بعينه، والمعنى: إن الكفار لما سألوا تسيير الجبال بالقرآن، وتقطيع الأرض، وتكليم الموتى، اشرأب لذلك المؤمنون وطمعوا في أن يعطّى الكفار ذلك فيؤمنوا، فقال الله: **أفلم ييأس الذين آمنوا** أي أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء، لعلمهم أن الله لو أراد أنْ يهديهم لهداهم، كما تقول: قد يئست من فلانٍ أن يفلح، والمعنى: لعلمي به.

٤٧- وقوله تعالى: ولاَ يزالُ الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعةٌ [آية: ٣١].

قال ابن عباس: يعني السرايا. وكذلك قال عكرمة وعطاء الخراساني إلا أن أبا عاصم روى عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس قال: النكبة.

وقال مجاهد: قارعة أي سرية ومصيبة تصيبهم. والقارعة في اللغة: المصيبةُ العظيمة.

٤٨- ثم قال ﷻ: **أو تحل قريبا من دارهم** [آية: ٣١].

قال مجاهد وعكرمة وقتادة: أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم.

حدثنا سعيد بن موسى بقَرقيسيا قال: حدثنا مخلد بن ملك عن محمد بن سلَمة عن خصيف قال: القارعة: السرايا التي كان يبعث با رسول الله، أو تحل أنت قريبا من دراهم.

قال الحسن: أو تحل القارعة قريبا من دارهم.

٤٩- ثم قال تعالى: حتى يأتي وعد الله [آية: ٣١].

قال مجاهد وقتادة: أي فتح مكة.

٥٠- وقوله تعالى: أفمن هو قائم على كُل نفْسٍ بما كسبت [آية: ٣٣].

قال قتادة: هو الله ﷻ.

وقال الضحاك: يعني نفسه ﷻ، وهو القائم على عباده، من كان منهم برا، ومن كان منهم فاجرا، يرزقهم ويطعمهم وقد جعلوا لِلهِ شركاء.

=

والبحر المحيط ٣٩٢/٥.

٥١- قال الله: **قُلْ سموهم** ولو سموهم لكَذَبوا، وأنبئوه بما لا يعلمه، وذلك قوله تعالى: **أم تنبئُونه بما لا يعلم في الأرض** [آية: ٣٣].

٥٢- وقوله تعالى: **مثَلُ الْجنةِ الِتي وعِد الْمتقُونَ** [آية: ٣٥].

روى النضر بن شميلٍ عن الخليل قال: "مثَلُ" بمعنى صفة، **فالمعنى على هذا**: صفةُ الجنةِ التي وعِد المتقون تجري من تحتها الأ ار، كما تقول: صفةُ فلانٍ أسمر، لأن معناه فلانٌ أسمر.

وقال أبو إسحاق: مثل الله لنا ما غاب بما نراه، وكذلك كلام العرب، فالمعنى: مثَلُ الجنةِ التي وعد المتقون جنةٌ تجري من تحتها الأ ار.

٥٣- وقوله تعالى: **وإليه مآبِ** [آية: ٣٦].

قال قتادة: أي إليه مصير كل عبد.

٥٤- وقوله تعالى: **يمحو الله ما يشاءُ ويثْبِت** [آية: ٣٩].

وقرأ ابن عباس: **ويثَبِت** (١).

روي عنه يحكِم الله ﷻ أمر السنة في شهر رمضان، فيمحو ما يشاءُ، ويثبت، إلا الحياة والموت، والشقْوة والسعادة.

وفي رواية أبي صالح: **يمحو الله** مما كتب الحفظة ما ليس للإنسان وليس عليه **ويثْبِت** وما له وعليه.

وحدثنا بكر بن سهلٍ، قال: حدثنا أبو صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: **يمحو الله ما يشاءُ** يقول: يبدل الله من القرآن ما يشاءُ فينسخه، ويثبت ما يشاءُ فلا يبدله.

وعِنده أم الْكِتابِ يقول جملةُ ذلك عنده في أم الكتاب، الناسخ والمنسوخ، وكذلك قال قتادة.

وقال ابن جريج: **يمحو الله ما يشاءُ** أي ينسخ، وكأن معنى **ويثْبِت** عنده: لا ينسخه، فيكون محكما.

ويثبت بالتشديد على التكثير.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويثْبِت مخففًا من أثبت، وباقي السبعة مثقلاً من ثَبت. انظـر البحر المحيط ٣٩٩/٥، والسبعة ص ٣٥٩.

قال أبو جعفر: «ويثْبِت» بالتخفيف أجمع لهذه الأقوال من "يثْبِت" وكان أبو عبيد قد اختار (ويثبت) على أن أبا حاتم قد أومأ إلى أن معناهما واحدٌ.

وروى عوفٌ عن الحسن قال: يمحو من جاء أجلُه، ويثبت من لم يجيء أجلُه بعد، إلى أجله.

٥٤- وقوله ﷻ: وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغُ وعلينا الحساب [آية: ٤٠].

أي إما نـريـنك بعض ما وعدناك، من إظهار دين الإسلام على الدين كله **أو نتوفينك** قبل ذلك، فإنما عليك أن تبلغهم وعينا أنْ نحاسبهم، فنجازيهم بأعمالهم.

ثم بين ﷻ أنه كان ما وعد.

٥٥- وقوله ﷻ: أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقُصها من أطرافها [آية: ٤١].

يظهر الإسلام بإخراج ما في يد المشركين، وإظهار المسلمين عليهم.

وفي هذه الآية أقوالٌ هذا أشبهها بالمعنى.

ومن الدليل على صحته قوله ﷻ: **أفلا يرونَ أنا نأتي الأرض ننقُصها من أطرافها أفهم الغالبونَ** [الأنبياء: ٤٤] وهذا القول مذهب الضحاك.

وروى سلَمةُ بن نبيطٍ[1] عنه أنه قال في قول الله تعالى: **أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقُصها من أطرافها** قال: هو ما تغلب عليه من بلادهم.

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: هو خراب الأرض، حتى يكون في ناحية منها، أي حتى يكون العمرانُ في ناحية منها.

وروى سفيان عن منصور عن مجاهد: **ننقُصها من أطرافها** قال: الموت: موت الفقهاءِ والعلماء.

٥٦- ثم قال تعالى: واللهُ يحكُم لا معقب لحكْمِه.. [آية: ٤١].

قال الخليل: لا راد لقضائه.

قال أبو جعفر: والمعنى ليس أحدٌ يتعقب حكمه بنقضٍ ولا تغيير.

---

(١) سلَمةُ بن نبيطٍ بن شريط بن أنس الأشجعي الكوفي، تابعي، روى عن الضحاك بن مزاحم، قـال عنه أحمد: ثقة، وذكره ابن حيان في الثقات، وكان وكيع يفتخر به يقول: حدثنا سلمة بن نبـيط وكان ثقة. انظر تهذيب التهذيب ١٥٨/٤.

٥٧- وقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شهيدا بيني وبينكم ومن عِنده عِلْم الْكِتابِ﴾ [آية: ٤٣].

قال ابن جريج عن مجاهد: عن عبد الله بن سلام.

وقال شعبةُ عن الحكم عن مجاهد: ﴿**ومن عِنده عِلْم الْكِتابِ**﴾ هو الله تبارك وتعالى.

وقال سليمانُ التيمي: هو «عبد الله بن سلام».

وقال قتادة: منهم «عبد الله بن سلام» فإنه قال: نـزل في قرآنٌ ثم تلا: ﴿**ومن عِنده عِلْم الْكِتابِ**﴾. وأنكر هذا القول الشعبي وعكرمة.

قال الشعبي: نـزلت هذه الآية قبل أن يسلِم عبد الله بن سلام.

وقال سعيد بن جبير وعكرمة: هذه الآية نـزلت بمكة، فكيف نـزلت في عبد الله بن سلام؟

وقال الحسن: أي كفى بالله شهيدا وبالله مرتين، يذهب إلى أنّ (من) تعود على اسم الله.

قال أبو جعفر: وهذا أحسن ما قيل في الآية من وجهات:

إحداها: أنه يبعد أنْ يستشهد الله بأحدٍ من خلقه.

ومنها: ما أنكره الشعبي وعكرمة.

ومنها: أنه قُرئ ﴿**وَمِن عِندِهِ عِلْمُ الكِتابِ**﴾ بكسر الميم، والدال، والعين[1]، روي ذلك عن النبي ﷺ، وإنْ كان في الرواية ضعفٌ روى ذلك سليمان بن الأرقم عن الزهري ابن سالم عن أبيه أن النبي ﷺ قرأ ﴿**وَمِن عِندِهِ عِلْم**﴾ وكذلك روي عن ابن عباس وسعيد ابن جبير أ نهما قرآ[2].

ولا اختلاف بين المفسرين أن المعنى: ومِن عِندِ الله: فأن يكون معنى القراءتين

---

(١) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب ٣٥٨/١.

(٢) هذه قراءة شاذة، قال ابن جني: من قرأ «ومن عِنده عِلْم الكتاب» فتقديره ومعناه: ومـن فضـله ولطفه عِلم الكتاب، ومن قرأ ﴿عِلم الكِتاب﴾ فمعناه معنى الأول: إلا أن إعرابه مخالف له. انظـر المحتسب ٣٥٨/١.

واحدا أحسن.

وروى محبوب عن إسماعيل بن محمد اليماني، أنه قرأ: (وَمِن عِندِهِ عِلم الكِتاب) بضم العين ورفع الكتاب.

قال أبو جعفر: وقولُ من قال هو «عبد الله بن سلام» وغيره، يحتمل أيضا، لأن البراهين إذا صحت، وعرفَها من قرأ الكُتب التي أُنــزلت قبل القرآن، كان أمرا مؤكدا.

والله أعلم بحقيقة ذلك.

انتهت سورة الرعد

۞ ۞ ۞

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

سُورة إبراهيم وَهي مكية

وهي مكية إلا آيتين منها، فإنهما نزلتا بالمدينة، فيمن قُتِل من المشركين يوم بدر، وهما: **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كُفْرا..** إلى آخر الآيتين.

١- قوله تبارك وتعالى: الر كِتاب أنزلْناه إليك لتخرج الناس مِن الظلُماتِ إلى النورِ بِإذْن ربهم.. [آية: ١].

الظلمات: الكفر، والنور: الإسلام، على التمثيل لأن الكفر بمنزلة الظلمة، والإسلام بمنزلة النور.

والباء في قوله: **بِإذْن ربهم** متعلقة بقوله تعالى: **لتخرج الناس** والمعنى في قوله: **بِإذْن ربهم** أنه لا يهتدي أحد إلا بإذن الله.

ويجوز أن يكون المعنى: بتعليمك إياهم.

ثم بين النور فقال: **إلى صِراطِ الْعزيز الحمِيدِ** .

٢- ومعنى قوله تعالى: ويبغونها عِوجا [آية: ٣]. ويطلبون غير القصد.

٣- وقوله ﷻ: وما أرسلْنا مِن رسولٍ إلا بِلِسان قومِهِ.. [آية: ٤].

أي بلغة قومه.

لِيبين لهم أي ليفْهِمهم، لتقوم عليهم الحُجةُ.

٤- وقوله ﷻ: ولقد أرسلْنا موسى بِآياتِنا.. [آية: ٥].

قال مجاهد: أي بالآيات البينات يعني قوله: **ولقد آتينا موسى تسع آياتٍ بيناتٍ** [الإسراء: ١٠١].

٥- وقوله تعالى: وذكرهم بِأيامِ الله.. [آية: ٥].

قال أبي بن كعب: أي بنعم الله.

وقال غيره: بإهلاكه من قبلهم، وبانتقامه منهم بكفرهم.

٦- وقوله تعالى: وإذْ قالَ موسى لِقومِهِ اذْكُروا نِعمةَ الله عليْكُم إذْ أنجَاكُم من آل فِرعونَ يسومونكُم سوءَ الْعذَابِ ويذَبحونَ أبناءَكُم.. [آية: ٧].

وفي موضع آخر **يذَبحونَ** بغير واوٍ.

ومعنى الواو يوجب أنه قد أصابهم من العذاب شيءٌ، سوى التذبيح، وإذا كان بغير

واو، فإنما هو تبيين الأول.

٧- وقوله ﷻ: ويستحيونَ نِساءَكُم.. [آية: ٧].

أي لا يقتلونَ، من الحياة أي يدعونَ يحيين.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**اقْتلوا شيوخ المشركين، واستحيوا شرخهم**»(١).

٨- ثم **قال تعالى: وفي ذَلكُم بلاءٌ من ربكُم عظِيم** [آية: ٦].

قيل: المعنى: في إنجائه إياكم منهم نعمةٌ عظيمةٌ، ويكونُ البلاء هاهنا: النعمةُ.

وقيل: فيما جرى منهم عليكم بلاء أي بليةً.

وقيل: البلاءُ هاهنا: الاختبار.

٩- وقوله ﷻ: وإِذْ تأذنَ ربكُم لئِن شكَرتم لأزيدنكُم.. [آية: ٧].

تأذن: بمعنى أعلَم، من قولهم: آذَنه فإذِنَ بالأمر، وهذا كما يقال: توعدته، أوعدته بمعنى واحد.

١٠- وقوله تعالى: والذِين مِن بعدِهِم لا يعلمهم إلا الله.. [آية: ٩].

روى سفيانُ عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، ورواه إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله في قوله: **والذِين مِن بعدِهِم لا يعلمهم إلا الله** قال: «كَذَب النسابونَ».

وروي عن ابن عباس قال: «بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفُون».

ورويَ عن عروة بن الزبير أنه قال: «ما وجدنا أحدا يعرف ما بين عدنان وإسماعيل».

١١- وقوله تعالى: جاءَتهم رسلُهم بِالْبيناتِ فَردوا أيدِيهم فِي أفْواهِهم.. [آية: ٩].

في معنى هذا أقوال:

(أ) **قال مجاهد**: ردوا على الرسل قولَهم وكذبوهم.

(ب) قال قتادة: ردوا على الرسل ما جاءوا به.

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١٢/٥ من حديث سمرة بن جندب، ورواه أبو داود، والترمذي في الجهاد، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، قال ابن الأثير في النهاية ٤٥٦/٢: وأراد بالشيوخ الرجال أهل الجَلَد والقوة على القتال، ولم يرد الهَرمي، والشرخ: الصغار الذين لم يدركوا، وشرخ الشباب: أوله: وقيل: نضارته وقوته.

فهذا على التمثيل، وهو مذهب أبي عبيدة.

أي اتركوا ما جاءهم به الرسل، فكانوا بمنـزلة من رده إلى فيه، وسكت فلم يقل.

وقيل: **فَردوا أَيدِيهم فِي أَفْواهِهم** ردوا ما لو قَبِلوه كان نعما. **فِي أَفْواهِهم** أي بأفواههم أي بألسنتهم.

(جـ) وقيل: ردوا نعم الرسل، لأن إرسالهم نعم عليهم، بالنطق وبالتكذيب.

(د) وفي الآية قول رابع؛ وهو أولاها وأجلها إسنادا:

قال أبو عبيد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدِي، عن سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص، عن عبد الله في قوله تعالى **فَردوا أَيدِيهم فِي أَفْواهِهم** قال: عضوا عليها غَيظًا.

قال أبو جعفر: والدليلُ على صحة هذا القول قوله ﷻ: **وإِذَا خلَوا عضوا علَيكُم الأَنامِلَ مِن الْغيظِ** [آل عمران: ١١٩].

قال الشاعر:

لَـو أن سلْمى أبصرت تخددِي
ودِقَّـةً فـي عظْمِ ساقِي ويدِي
وبعد أهلـي وجفَـاءَ عـودِي
عضت مِن الوجدِ بأطرافِ اليدِ(١)

١٢- وقوله ﷻ: لِمن خاف مقَامِي وخاف وعِيدِ [آية: ١٤].

---

(١) الرجز لعبد الله بن الزبعرى السهمي القرشي، وأمه عاتكة الجمحية بنت عبد الله بن عمير. شاعر قريش في الجاهلية، وكان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال حسان فيه أبياتاً، فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم واعتذر ومدح النبي ﷺ، فأمر له بحلة. وقـد سـجل في شعره حادثة الفيل وحرمة مكة ومنعتها وتحدث عن حرب الفجار وبلاء بني المغيرة فيهـا، ومـن الأحداث التي أثرت في نفسه وسجلها في شعره أن أناساً من قصي دخلوا دار الندوة لبعض أمـره فأراد عبد الله أن يدخل معهم فيسمع مشورتهم فمنعوه فكتب شعراً في باب الندوة. فلما أصـبح الناس وقرؤوا شعره أنكروه و قالوا (ما قالها إلا ابن الزبعرى) فضربوه وحلقوا شعره وربطوه إلى صخرة بالحجون حتى أطلقه بنو عبد مناف. وروى كعب بن مالك في شعره يتهم الزبعرى أنـه هجا الرسول ﷺ، غير أنه لم يرد في شعره ما يدل على ذلك.
والأبيات ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٤٠٨/٥، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٤٥/٩.

أي ذلك لمن خاف مقامه بين يديه، والمصدر يضاف إلى الفاعل، وإلى المفعول، لأنه متشبثٌ بهما.

١٣- وقوله تعالى: واستفْتحوا [آية: ١٥].

قال مجاهد وقتادة: واستنصروا.

وفي الحديث «أن النبي ﷺ كان يستفتح القتال بصعاليك المهاجرين»[(١)].

١٤- ثم **قال تعالى: وخاب كُل جبارٍ عنِيدٍ** [آية: ١٥].

قال أبو إسحاق: الجبار عند أهل اللغة: الذي لا يرى لأحدٍ عليه حقا.

قال مجاهد: العنيد: المعاند المجانب للحق.

وقال قتادة: العنيد: الذي أبي أن يقول: لا إله إلا الله.

١٥- ثم **قال تعالى: مِن ورائِهِ جهنم** [آية: ١٦].

أي من أمامه، وليس من الأضداد، ولكنه من توارى أي استتر.

١٦- ثم **قال تعالى: ويسقَى مِن ماءٍ صدِيدٍ** [آية: ١٦].

قال ابن عباس: أي قد خالط لحمه ودمه.

قال الضحاك: يعني القيح والصدِيد.

وقال مجاهد: هو القيح والصديد.

وقال غيره: يجوز أن يكون هذا تمثيلاً، أي يسقى ما هو بمنـزلة القيح والصديد.

ويجوز أن يكون: يسقَى القيح والصديد.

١٧- ثم **قال تعالى: يتجرعه ولا يكَاد يسِيغه** [آية: ١٧].

أي يبلعه.

١٨- ثم **قال تعالى: ويأْتِيهِ الْموت مِن كُل مكَانٍ** [آية: ١٧].

أي من كل مكانٍ من جسده.

١٩- ثم **قال تعالى: وما هو بِميتٍ ومِن ورائِهِ عذَاب غَلِيظٌ** [آية: ١٧].

---

(١) ذكره ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر» ٤٠٧/٣ والقـرطبي في جـامع الأحكـام ٣٤٩/٩ ومعناه أنه ﷺ كان يقدم ضعفاء المسلمين، يستنصر الله على الكفار، ويؤيده حديث «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»؟

أي من أمامه عذاب جهنم.

حدثني أحمد بن محمد بن الحجاج، قال: حدثنا أحمد بن الحسين قال: قال فُضيلُ بن عياضٍ في قول الله تبارك وتعالى: **ومن ورائِهِ عذَابٌ غَلِيظٌ** قال: حبس الأنفاس.

٢٠- ثم **قال تعالى: مثَلُ الذِين كفَروا بِربهم أعمالُهم كرمادٍ اشتدت بِهِ الريح فِي يومٍ عاصِفٍ** [آية: ١٨].

أي لم يقبل منهم.

و«عاصف» على النسق، أي الريح فيه شديدة.

ويجوز أن يكون التقدير عاصِف الريح.

٢١- وقوله ﷻ: **وقَالَ الشيطَانُ لَما قُضِي الأمر..** [آية: ٢٢].

أي فُرِغَ منه، فدخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النار **إن الله وعدكُم وعد الْحق** أي وعد من أطاعه الجنة، ومن عصاه النار **ووعدتكُم فَأخلَفْتكُم** أي وعدتكم خلاف ذلك **وما كَانَ لِي علَيكُم من سلْطَانٍ** أي من حجة أُبينها **إلا أن دعوتكُم فَاستجبتم لِي** أي إلا أنْ أغويتكُم فَتابعتموني.

٢٢- ثم **قال تعالى: ما أنا بِمصرِخِكُم** [آية: ٢٢].

قال مجاهد وقتادة: أي بمغيثكم.

ويروى أنه يخاطَب بهذا في النار.

ومعنى: **إني كَفَرت بِما أشركْتمون مِن قَبلُ** أي كفرت بشرككم إياي.

٢٣- وقوله ﷻ: **ألم تر كَيف ضرب الله مثَلاً كَلِمةً طَيبةً..** [آية: ٢٤].

حدثنا محمد بن جعفر الفاريابي، قال: حدثنا عبد الأعلى بن حماد، قال: حدثنا وهب بن خالد، قال: حدثنا عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال ذات يوم لأصحابه: «**أنبئوني بشجرةٍ تشبه المسلم، لا يتحات ورقُها، تؤتي أكُلَها كل حينٍ بإذْن ربها!؟ قال: فوقَع في قلبي أنها «النخلةُ». قال: فسكَت القومُ، فقال النبي: هي النخلة، فقلت لأبي: لقد كان وقع في قلبي أنها النخلة فقال: فما منعك أنْ تكون قلته لرسول الله؟ لأنْ تكون قلته أحب إلي من كذا وكذا، فقلت: كنت في القوم وأبو**

بكر، فلم تقولا شيئًا، فكرهت أن أقول»[1].

وروى الأعمش عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: هي النخلةُ.

وكذلك روى الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس.

وروى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﷻ: **وضرب الله مثلاً كلِمةً طيبةً** قال: لا إله إلا الله. **كشجرةٍ طيبةٍ** قال: المؤمن (أصلها ثابت) لا إله إلا الله ثابت في قلب المؤمن.

٢٤- قوله ﷻ: ومثَلُ كلِمةٍ خبيثةٍ قال: الشرك. **كشجرةٍ خبيثةٍ** قال: المشرك. **اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار** أي ليس للمشرك أصلٌ يعمل عليه.

وروى شعيب بن الحَبحابِ عن أنس بن مالك **كشجرةٍ طيبةٍ** قال: النخلة، قال: والشجرةُ الخبيثة: الحنظلةُ.

٢٥- وقوله ﷻ: تؤتي أكُلَها كُل حينٍ بإذْن ربها.. [آية: ٢٥].

روى ابن أبي نجيح وابن جريج عن مجاهد، قال: كل سنة.

وروى عطاء بن السائب وطارق بن عبد الرحمن، عن سعد بن جبير، عن ابن عباس قال: كل ستة أشهر.

وروى أبو بكر الهُذَلي عن عكرمةَ عن ابن عباس قال: الحين: حينان حين يعرف مقداره، وحين لا يعرف مقداره فأما الذي يعرف مقداره فقولُه: **تؤتي أكُلَها كُل حينٍ بإذْن ربها** وقال عكرمة: هو ستة أشهر.

وروى الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: الحين يكون غدوة وعشية.

وقال الضحاك: في قوله تعالى: **تؤتي أكُلَها كُل حينٍ** قال: في الليل والنهار، والشتاء والصيف، وكذلك المؤمن ينتفع بعمله كل وقت.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال متقاربةٌ غير متناقضة، لأن الحين عند جميع أهل اللغة -إلا من شذ منهم- بمعنى الوقت، يقع لقليل الزمان وكثيره، وأنشد الأصمعي بيت النابغة:

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير ٩٩/٦ عن عبد الله بن عمر قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فقال: أخبروني بشجرة تشبه المسلم- وكالرجل المسلم- لا يتحتت ورقُها. الحديث، ومسلم في باب «مثلُ المؤمن مثل النخلة» برقم ٢٨١١، وأحمد في المسند ١٢/٢.

تناذَرها الراقُونَ مِن سوء سمها تطلِّقُه حِينـًا وحينـًا تراجع[١]

فهذا يبين لك أن الحين بمعنى الوقت.

غير أن الأشبه في الآية أنْ يكون الحين السنة ، لأن إدراك الثمرة كل عام ، وكذا طَلعها.

وقد روي عن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه أنه قال: أدنى الحين سنةٌ.

وروى سفيان عن الحكم، وحماد، قالا: الحين: سنةٌ.

ومعنى **اجتثت** قُطِعت جثتها بكمالها.

٢٦- وقوله ﷻ: يثَبت الله الذِين آمنوا بِالقَول الثابِتِ فِي الحياةِ الدنيا وفِي الآخِرةِ.. [آية: ٢٧].

روى معمر عن طاووس عن أبيه في **يثَبت الله الذِين آمنوا بِالقَول الثابِتِ فِي الحياةِ الدنيا** قال: لا إله إلا الله. **وفِي الآخِرةِ** عند المساءَلة في القبر.

وقال البراء بن عازب وأبو هريرة: هذا عند المُساءَلةِ، إذا صار في القبر.

وروى شعبة عن علقمةَ بن مِرثدٍ، عن سعيد بن عبيدة، عن البراء بن عازبٍ عن النبي ﷺ في قول الله: **يثَبت الله الذِين آمنوا بِالقَول الثابِتِ فِي الحياةِ الدنيا وفِي الآخِرةِ** قال رسول الله ﷺ: «في **القبر إذا سئل**»[٢].

وروى معمر عن قتادة ، قال: بلغني أن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فيثبت الله الذين آمنوا.

ويروى أنه يقال له: من ربك؟ وما دِينك ومن نبيك؟ فمن ثَبته الله قال: «الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي».

فهذا تثبيت في الآخرة[٣].

---

(١) البيت في ديوانه ص ٣٤.

(٢) الحديث رواه البخاري في التفسير ١٠٠/٦: «المسلم إذا سئل في القبر، شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»، فلذلك قوله تعالى: يثَبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت.. الآية، ومسلم في كتاب الجنة ونعيمها وأهلها ٢٢٠١/٤، والنسائي في كتاب الجنائز، باب عذاب القبر ١٠١/٤ وأبو داود في كتاب السنة ٢٣٨/٤ وابن ماجه في الزهد ١٤٢٧/٢.

(٣) عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ أنه قال: يثَبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت قال: نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد ﷺ، فذلك قوله ﷻ يثبت =

والتثبيت في **الدنيا:** أنه لم يوفق لها، إلا وقد كان اعتقاده في الدنيا.

٢٧- وقوله تعالى: **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار** [آية: ٢٨].

قال علي بن أبي طالب ﷺ: هم كُفار قريش.

وقال عبد الله بن عباس رحمه الله: هم قادةُ المشركين يوم بدر، **أحلوا قومهم** أي الذين اتبعوهم **دار البوار** وهي جهنم، دارهم في الآخرة.

قال أبو جعفر: البوار في اللغةِ: الهَلاك.

٢٨- وقوله تعالى: **من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال** [آية: ٣١].

قال أبو عبيدة: البيع هاهنا: الفديةُ.

قال أبو جعفر: وأصل البيع في اللغة: أن تدفع وتأخذ عوضا منه، والذي قال أبو عبيدة حين جدا، وهو مثلُ قوله تعالى: **واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا** [البقرة: ٤٨] ومثل قوله تعالى **ولا يقبلُ منها عدلٌ** [البقرة: ١٢٣] أي قيمة.

والخِلالُ، والمُخالةُ، والخُلةُ: بمعنى الصداقة. **قال الشاعر:**

صرفْت الهَوى عنهن مِن خشيَةِ الردى ... ولست بمقْلي الخِـلال ولا قالِي[1]

٢٩- وقوله ﷻ: **وآتاكم من كل ما سألتموه** [آية: ٣٤].

قال مجاهد: أي من كل ما رغبتم إليه فيه.

قال أبو جعفر: وهذا قولٌ حسن، يذهب إلى أنهم قد أُعطُوا مما لم يسألوه، وذلك معروف في اللغة أنْ يقال: امضِ إلى فلان فإنه يعطيك كل ما سألت، وإن كان يعطيه غير ما سألَ.

وفي **الآية قولٌ آخر:** وهو أنه لما قال ﷻ: **وآتاكم من كل ما سألتموه** لم ينفِ غير هذا.

على أن الضحاك قد قرأ **وآتاكم من كلٍّ ما سألتموه**[2] وقد رويت هذه القراءة

=

الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة ، الحديث رواه مسلم في صحيحه بـرقم ٢٨٧١.

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٣٥.

(٢) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٣٦٣/١.

عن الحسن أيضا.

وفسره الضحاك وقتادة على النفي.

وقال الحسن: أي من كل الذي سألتموه.

بمعنى: وآتاكم من كل الأشياء التي سألتم.

قال أبو جعفر: وقول الحسن أولى، والآخر يجوز على بعدٍ، وبعده أنه بالواو أحسن عطفًا، بمعنى: وما سألتموه. إلا أنه يجوز على بعد.

٣٠- وقوله ﷻ: ﴿وإِذْ قَالَ إِبراهِيم رب اجعلْ هذَا الْبلَد آمِنا واجنبنِي وبنِي أن نعبد الأصنام﴾ [آية: ٣٥].

وقرأ الجَحدري، وعيسى **﴿وأجنبني﴾**[1] بقطع الألف، ومعناه: اجعلني جانبا.

وكذلك معنى «اجنبني» و«جنبني» معناه: ثبتني على توحيدك، كما قال تعالى **﴿واجعلْنا مسلِمين لَك﴾** [البقرة: ١٢٨] وهما مسلمان.

٣١- ثم قال تعالى: ﴿رب إِنهن أَضللْن كَثِيرا من الناس..﴾ [آي: ٣٦].

وهن لا يعقلن، فالمعنى: إن كثيرا من الناس ضلوا بسببهن.

وهذا كثير في اللغة، يقال: فَتنتِني هذه الدار، أي استحسنتها فافْتتنت بسببها. فكأنها فتنتني.

٣٢- وقوله ﷻ: ﴿فَاجعلْ أَفْئِدةً من الناس تهوِي إِلَيهِم..﴾ [آية: ٣٧].

وقرأ مجاهد: تهوى إليهم[2].

معنى «تهوِي» تنـزع، و«تهوى» تحب.

حدثنا محمد بن الحسن بن سماعة قال نا أبو نعيم، قال: نا عيسى بن قرطاس، قال: أخبرني المسيب بن رافع قال: قال ابن عباس: إن إبراهيم ﷺ حين قال: **﴿ربنا إِني أَسكَنت مِن ذُريتِي بِوادٍ غَير ذِي زرعٍ..﴾** إلى قوله: **﴿فَاجعلْ أَفْئِدةً من الناس تهوِي﴾** فلو أن إبراهيم ﷺ قال: **﴿اجعلْ أَفْئِدةً من الناس تهوِي﴾** لغلبكم عليه التوك والديلم.

---

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٣٦٣/١.

(٢) هذه القراءة من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٣٦٤/١، وقد ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٣٦٨/٤، والقرطبي في جامع الأحكام ٣٧٣/٩، ومعنى ﴿تهوِي إِلَيهِم﴾ أي تهـواهم وتجلهم.

وقُرئ على علي بن الحسين- القاضي بمصر- عن الحسن ابن محمد، عن يحيى بن عباد، قال: حدثنا شعبة عن الحَكَم، قال:سألت عطاءً، وطاووسا، وعكرمة، عن قوله ﷻ **فَاجعلْ أفْئِدةً من الناس** قالوا: الحج.

٣٣- وقوله ﷻ: رب اجعلْني مقيم الصلاةِ ومِن ذُرِيتي.. [آية: ٤٠].

المعنى: واجعل من ذِريتي من يقيم الصلاةَ.

٣٤- ثم **قال تعالى: ربنا اغْفِر لي ولوالِدي وللْمؤمِنين يوم يقُوم الْحِساب** [آية:٤١].

قيل: إنما دعا بهذا أولاً، فلما تبين له أنه عدو للهِ، تبرأ منه.

وقيل: يعني «بوالديه» آدم، وحواء.

وقرأ سعيد بن جبير: «اغِفْر لي ولوالِدِي»[1] يعني: أباه.

وقرأ النخعي ويحيى بن يعمر: «اغفر لي ولولَدي» [2] يعني: ابنيهِ.

٣٥- وقوله ﷻ: مهطِعين مقْنِعي رؤوسِهم لا يرتد إليهم طَرفُهم.. [آية:٤٣].

قوله: مهطِعين .

قال مجاهد وأبو الضحى: أي مديمي النظَرِ.

وقال قتادة: أي مسرعين.

والمعروف في اللغة أن يقال: أهطَع: إذا أسرع.

قال أبو عبيدة: وقد يكون الوجهان جميعا، يعني: الإسراع مع إدامة النظر.

٣٦- ثم **قال تعالى: مقْنِعي رؤوسِهم** .

قال مجاهد: أي رافعيها.

وقال قتادة: المُقْنِع: الرافع رأسه، شاخصا ببصره، لا يطْرِف.

قال أبو جعفر: وهذا قولُ أهل اللغة، إلا أن أبا العباس[3] قال: يقال: أقْنع: إذا رفع رأسه، وأقنع: إذا طأطأ رأسه ذلا وخضوعا، قال: وقد قيل في الآية القولان جميعا.

قال: ويجوز أن يرفع رأسه مديما للنظر، ثم يطأطئه خضوعا وذُلا.

---

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، كما ذكر ذلك ابن جني في المحتسب ٣٦٤/١.

(٢) هذه القراءة من القراءات الشاذة، كما ذكر ذلك ابن جني في المحتسب ٣٦٤/١.

(٣) يعني: المبرد.

قال أبو جعفر: والمشهور في اللغة أن يقال للرافع رأسه مقْنِع.

وروي أنهم لا يزالون يرفعون رءوسهم، وينظرون ما يأتي من عند الله ﷻ، وأنشد أهل اللغة:

يباكِرنَ العِضاه بمقْنِعاتٍ نواجِذُهن كالحدإِ الوقيع[1]

يصف إبلاً، وأنهن رافعاتٍ رءوسهن كالفؤوس.

ومنه قيل: مِقْنعةٌ لارتفاعها.

ومنه قَنِع الرجلُ: إذا رضِي، وقَنع: إذا سأل أي أتى ما يتقنع منه.

٣٧- وقوله ﷻ: ﴿لا يرتد إليهم طَرفُهم وأفْئِدتهم هواءٌ﴾ [آية: ٤٣].

روى سفيان عن أبي إسحاق عن مرة ﴿**وأفْئِدتهم هواءٌ**﴾ قال: متخرقَةٌ لا تعي شيئًا، يعني من الخوف.

وروى حجاج عن ابن جريج قال: ﴿**هواءٌ**﴾ ليس: فيها شيءٌ من الخير، كما يقال للبيت الذي ليس فيه شيءٌ: هواءٌ.

وقيل: وصفهم بالجُبنِ والفَزع، أي قلوبهم منخوبةٌ.

وأصل الهواءِ في اللغة: الجوف الخالي، ومنه قولُ زهير:

كأن الرحلَ منها فَوق صعلٍ من الظلْمان جؤجؤه هواءُ[2]

أي ليس فيها مخ ولا شيءٌ، وقال حسانُ:

ألاَ أبلِغْ أبا سفْيانَ عني فَأنت مجوف نخِب هواءٌ[3]

٣٨- وقوله ﷻ: ﴿وأنذِر الناس يوم يأتيهم العذاب..﴾ [آية: ٤٤].

أي خوفُهم.

٣٩- وقوله ﷻ: ﴿أو لم تكُونوا أقْسمتم من قَبلُ ما لكُم من زوالٍ﴾ [آية: ٤٤].

قال مجاهد: أي أقسمتم أنكم لا تموتون. لقريش.

٤٠- وقوله ﷻ: ﴿وقَد مكَروا مكْرهم وعِند الله مكْرهم وإن كانَ مكْرهم لِتزولَ مِنه الجِبالُ﴾ [آية: ٤٦].

---

(١) البيت للشماخ بن ضرار، وهو في ديوانه ص ٥٦.

(٢) البيت في ديوانه ص ٦٣، وانظر البحر المحيط ٤٣٠/٥.

(٣) البيت في ديوانه ص ٧.

قرأ عمر بن الخطاب رحمة الله عليه: **وإنْ كاد** [١] بالدال.

وقرأ علي بن أبي طالب ﷺ: **وإن كانَ مكرهم لَتزول مِنه الجِبالُ** [٢] بفتح اللام، ورفع الفعل.. وكاد بالدال هذا المعروف من قراءته.

والمشهور من قراءة عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس «وإنْ كاد» بالدال.

وقرأ مجاهد: **وإنْ كانَ مكْرهم لِتزولُ مِنه الجبالُ** وهي قراءة الكسائي ومجاهد:، و«إن» معناها «لو» أي ولو كان مكرهم لَتزول منه الجبال، لم يبلغوا هذا، ولمن يقدروا على الإسلام، وقد شاء الله تبارك وتعالى أن يظهره على الدين كله.

قال أبو جعفر: وهذا معروف في كلام العرب، كما يقال: لو بلغت أسباب السماء!! وهو لا يبلغها، فمثله هذا.

وروي في قراءة أُبي بن كعب رحمه الله **ولولا كلمةُ الله لَزالَ مكرهم الجبال** [٣].

وقال قتادة: «وإن كان مكرهم لتزولَ منه الجبالُ» قال: حين دعوا للهِ ولدا وقد قال سبحانه **تكاد السماوات يتفَطرنَ مِنه** .

ومن قرأ: **وإنْ كانَ مكْرهم لِتزولُ مِنه الجبالُ** ذهب إلى أن المعنى: ما كانَ مكرهم ليزول به القرآنُ، على تضعيفه، وقد ثبت الجبال.

وقال الحسن: مكرهم أوهى وأضعف من أن تزول منه الجبال، وقرأ ذه القراءة.

وقد قيل: في معنى الرفع قولٌ آخر، يروى عن علي بن أبي طالب ﷺ أن نمروذ لما جوع النسور، وعلق لها اللحم في الرماح، فاستعلى، فقيل له: أين تريد أيها الفاسق، فاهبط، قال فهو قوله ﷻ **وإنْ كانَ مكْرهم لِتزولُ مِنه الجبالُ** .

وقال عبد الله بن عباس: «مكرهم» هاهنا: شِركُهم، وهو مثلُ قوله تعالى **تكاد السماوات يتفَطرنَ مِنه وتنشق الأرض وتخِر الْجِبالُ هدا** [آية: ٩٠].

---

(١) قال ابن جني: وهذه القراءة على أن «إنْ» مخففة من الثقيلة، واللام في قوله «لَتزولُ هي التي تدخل بعد » إنْ «هذه المخففة من الثقيلة، فصلاً بينها وبين» إن التي للنفي في قوله تعالى إن الكافِرونَ إلا في غرور أي ما الكافرون إلا في غرور، فكأنه قال: وإنه كاد مكرهم تزول منه الجبال، هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٣٦٥/١.

(٢) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٣٦٥/١.

(٣) هذه القراءة قراءة شاذة، وقد ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٨/ ٢٦٥ وعزاها إلى أبي حاتم.

٤١- وقوله ﷻ: يوم تبدلُ الأرض غَير الأرض والسماوات وبرزوا للهِ الْواحِدِ الْقَهارِ [آية: ٤٨].

روى إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرِو بنِ ميمونٍ، عن عبد الله بن مسعود قال: تبدلُ أرضا بيضاء مثلَ الِفضة، لم يسفَكْ عليها دم حرام، ولا يفْعل فيها خطيئةٌ.

وقال جابر: سألت أبا جعفر «محمد بن علي» عن قول الله ﷻ **يوم تبدلُ الأرض غَير الأرض** قال: تبدلُ خبزةً، يأْكُلُونَ منها الخلق يوم القيامة، ثم قرأ **وما جعلْناهم جسدا لا يأْكُلُونَ الطعام** [الأنبياء: ٨].

حدثنا الحسن بن فَرج[1] بغزة قال: نا يوسف بن عدي، قال: حدثنا علي بن مسهر، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: سألت النبي ﷺ عن قول الله ﷻ **يوم تبدلُ الأرض غَير الأرض والسمواتِ** فأين يكون الناس يومئذٍ يا رسولَ الله؟ قال: «**على الصراط**»[2].

وقال الحسن: تبدل الأرض كما يقول القائل: لقد تبدلت يدينا قال: تذهب شمسها، وقمرها، ونجومها، وأ ارها، وجبالُها، فذلك هو التبديل.

٤٢- وقوله ﷻ: وترى الْمجرمين يومئِذٍ مقَرنين فِي الأصفَادِ [آية: ٤٩].

قال قتادة: في الأغلال والأقيادِ.

٤٣- وقوله ﷻ: سرابِيلُهم من قَطِرانٍ وتغشى وجوههم النار [آية: ٥٠].

قال الحسن: هو قَطِرانُ الإِبل.

وروى عن جماعة من التابعين أ م قالوا: هو النحاس.

والمعروف في اللغة أنه يقال للنحاس: قِطْر: قال الله ﷻ **وأسلْنا له عين الْقِطْرِ** .

وقرأ ابن عباس وعكرمة: «سرابِيلُهم من قِطْرٍ آنٍ»[3] وفسراه: بالنحاس.

---

(١) الحسن بن الفَرج أبو علي الغزي، راوي الموطأ عن يحيى بن بكير، صدوق، وفاته بعد الثلاث مائة، انظر لسان الميزان ٢٤٤/٢.

(٢) الحديث رواه مسلم في صفات المنافقين برقم ٢٧٩١، والترمذي في التفسير برقم ٣١٢٠، وابـن ماجه في كتاب الزهد برقم ١٢٧٩، وأحمد في المسند ٣٥/٦، وابن جرير الطبري ٢٥٣/١٣.

(٣) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٣٦٦/١.

قال أبو جعفر: وهذا هو الصحيح، ومنه قوله تعالى **وأسلنا له عين القِطر** [سبأ: ١٢] والسرابيلُ: القُمص.

وقال عكرمة: و«آنٍ» انتهى حره، ويقال: إن الهمزة بدلٌ من الحاء.

فإن قيل: فلعل الحاء بدل الهمزة!! قيل: ذلك أولى، لأنه مأخوذ من الحين.

تمت سورة إبراهيم

۞ ۞ ۞

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سورة الحجر وَهي مكية

من ذلك قوله ﷻ: **رَبَمَا يَوَد الذِينَ كَفَرَوا لَو كَانوا مسلِمِينَ** [آية: ٢].

روى سفيانُ عن خصَيفٍ، عن مجاهد، عن حماد، عن إبراهيم، قال: «يدخل قوم من الموحدين النار، فيقول لهم المشركون: ما أغنى عنكم إسلامكم وإيمانكم، وأنتم معنا في النار؟ فيخرجهم الله ﷻ منها، فعند ذلك **رَبَمَا يَوَد الذِينَ كَفَرَوا لَو كَانوا مسلِمِينَ** .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: ذلك يوم القيامة .

روىَ عن ابن عباس قال: «يقول المشركون لمن أُدخِلَ النار من الموحدين: ما نفَعكم ما كنتم فيه، وأنتم في النار!؟ فيغضب الله ﷻ لهم، فيخرجون على ٍر يقال له: « ر الحياة» فينبتون فيه، ثم تبقى على وجوههم علامةٌ يعرفون ا، يقال: هؤلاء «الجهنميون» فيسألون الله ﷻ أن يزيل ذلك عنهم، فيزيلُه عنهم، ويدِخلهم الجنةَ، فيتمنى المشركون أن لو كانوا مسلمين»[1].

وقيل: إذا عاين المشركون تمنوا الإسلام.

فأما معنى (رب) هاهنا، فإنما هي في كلام العرب للتقليل، وأن فيها معنى التهديد، وهذا تستعمله العرب كثيرا، لمن تتوعده وتتخذه، يقول الرجلُ للآخر: ربما ندمت على ما تفعل ويشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله بل حقيقةُ المعنى: أنه يقول: لو كان هذا مما يقل، أو يكون مرةً واحدة، لكان ينبغي أن لا تفعله.

وأما قول من قال: إن «رب» تقع للتكثير، فلا يعرف في كلام العرب.

وقيل: إن هذا إنما يكون يوم القيامة إذا أفاقوا من الأهوال التي هم فيها، فإنما يكون في بعض المواطن.

والقولُ الأول أصحها.

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك قال: قال رسول ﷺ: «إن ناسا من أهل «لا إلـه إلا الله» يدخلون النار بذنو م، فيقول لهم أهلُ اللات والعزى -يعني المشركون-: ما أغـنى عـنكم قولكم: «لا إله إلا الله» وأنتم معنا في النار؟ فيغضب الله لهم، فيخرجهم فيلقيهم في ـر الحيـاة، فيبرأون من حرقهم، كما يبرأ القمر من خسوفه، فيدخلون الجنة فيسمون فيها الجهنميين»، وانظر جامع البيان للطبري ٣/١٤ وتفسير ابن كثير ٤٤٣/٤.

والدليلُ على أنه وعيد و دد قوله بعد: **ذَرهم يَأكُلُوا وَيَتَمَتعوا وَيلْههم الأمَلُ فَسَوفَ يَعلمونَ**.

٢- ثم قال تعالى: وَمَا أهلكْنا مِن قَريَةٍ إلا وَلَها كِتاب معلُوم [آية: ٤].

أي أجلٌ لا يتقدمه ولا يتأخره.

٣- **وقوله** ﷻ: **لَو مَا تَأتِينَا بِالمَلائكَةِ إن كُنتَ مِنَ الصادِقِينَ** [آية: ٨].

معنى (لَو ما) و(لَولا) و(هلا) واحد، وأنشد أهلُ اللغة:

تعدون عَقْر النيبِ أفضلَ مجدِكُم بَنِي ضَوطَرى لَولا الكَمِي المُقَنعا(١)

أي هلا تعدون الكمِي المقنعا.

وروى حجاج عن ابن جريج قال: في هذا تقديم وتأخير.

يذهب إلى أن جوابه قولُه تعالى: **وَلَو فَتحنَا عَلَيهم بَابا مِنَ السمَاءِ فَظَلوا فِيهِ يَعرجونَ** يذهب إلى أن هذا متصل بقوله تعالى: **لَو مَا تَأتِينَا بِالمَلائكَةِ إن كُنتَ مِنَ الصادِقِينَ**.

٤- ثم قال تعالى: مَا نُنزلُ المَلائكَةَ إلا بِالحَق [آية: ٨].

قال مجاهد: أي بالإرسال والعذاب.

٥- ثم قال تعالى: وَمَا كَانوا إذًا منظَرِينَ [آية: ٨].

أي لو نـزلت الملائكةُ ما أُمهلُوا، ولا قُبِلَت توبتهم، كما قال تعالى: **وَلَو أنـزلْنا مَلَكًا لقُضِيَ الأمر** [الأنعام: ٨].

٦- وقوله ﷻ: **إنا نَحن نـزلْنا الذكْرَ وَإنا لَه لَحَافِظُونَ** [آية: ٩].

قال ثابت وقتادة: حفِظه الله من أن تزيد الشياطين فيه باطلاً، أو تبطل منه حقًا.

وقال مجاهد: هو عندنا.

وقوله ﷻ: **وَلَقَد أرسَلْنا مِن قَبلِكَ فِي شِيَعِ الأولِينَ** [آية: ١٠].

أي فِرق الأولين.

٨- وقوله ﷻ: **كَذَلِكَ نَسلُكُه فِي قُلُوبِ المجرِمِينَ لا يؤمِنونَ بِهِ** [آية: ١٢-

---

(١) البيت لجرير، وهو في ديوانه ٣٣٨، والنيب: جمع ناب وهو الناقة المسِنة، و«ضَـوطَرى»: الرجـلُ الضخم اللئيم، والكمي: الشجاع، والمقنع: الذي وضع على رأسه المغفر، وانظر الكامـل ١٦٣ وشواهد المغني ٢٢٩ والخزانة ٤٦١/١.

١٣].

روى سفيانُ عن حميدٍ، عن الحسين، قال: كذلك نسلك الشرك.

وقال أبو عبيد: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: نسلك التكذيب.

قال أبو جعفر: وهذا القول هو الذي عليه أهل التفسير، وأهلُ اللغةِ، إلا من شذ منهم، فإن بعضهم قال: المعنى: كذلك نسلك القرآن، واحتج بأن النبي ﷺ لما تلا القرآن عليهم وأسمعهم إياه، ووصل إلى قلو م- وكان ذلك بأمر الله وقوته - كان الله ﷻ هو الذي يسلكه في قلو م على هذا المعنى.

وقيل: لما خلقهم خِلقة يفهمون ا ما يأتيهم من الوحي فإذا خلقهم خلقة يفهمون ا ما يسلك ذلك في قلو م فكأنه سلكه.

٩- ثم **قال** ﷻ: **وَقَد خَلَت سنةُ الأولينَ** [آية: ١٣].

أي قد تقدمت سنتهم في التكذيب بالآيات، والبراهين وكفرهم، فهؤلاء يقتفون آثارهم.

١٠- ثم **قال** ﷻ: **وَلَو فَتحَنا عَليهم بَابا منَ السمَاءِ فَظلوا فِيهِ يَعرجونَ** [آية ١٤].

قال عبد الله بن عباس: أي فظل الملائكة فيه يعرجون.

أي: يذهبون ويجيئون.

قال أهل اللغة: عرج يعرج: إذا صعِد وارتفع، ومنه قول العامةِ عرِج بروح فلانٍ.

١١- ثم **قال تعالى: لَقَالُوا إنمَا سكرَت أَبصَارنَا** [آية: ١٥].

قال ابن عباس: أُخِذت.

قال أبو جعفر: والمعروف من قراءة مجاهد والحسن (سكِرت)[1] بالتخفيف.

قال الحسن: أي سحِرت.

وحكى أبو عبيد عن أبي عبيدةَ أنه يقال**:** سكِرت أبصارهم: إذا غشِيها سمادِيرُ[2] حتى لا يبصروا.

---

(١) هي قراءة ابن كثير، انظر السبعة لابن مجاهد ٣٠١/٢، وأما قراءة سكِرت فهي من القراءات الشاذة، قال ابن جني: (سكِرت) أي جرت مجرى السكران في عدم تحصيله، وكذلك حالُ السكران في وقوف فكره، والاعتراض عليه مما يحيره وينغصه، انظر المحتسب ٣/٢.

(٢) السمادير: هو ما يتراءى للإنسان من ضعف البصر عند السكر من الشراب.

وقال الفراءُ: من قرأ (سكِرت) أخذَه من سكون الريح[1].

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال متقاربة، والأصلُ فيها ما قال «أبو عمرو بن العلاءِ» يرحمه الله قال: هو من السكْرِ في الشراب.

وهذا قول حسن أي غشيهم ما غطى أبصارهم، كما غَشى السكران ما غطى عقلَه.

وسكور الريح: سكونها وفتورها، وهو يرجع إلى معنى التخيير.

١٢- وقوله ﷻ: **وَلَقَد جَعَلْنَا فِي السمَاءِ بروجا وزَيناهَا للناظِرِينَ** [آية:١٦].

قال مجاهد: يعني الكواكب.

قال أبو جعفر: ومن قال: إ ا اثنا عشر برجا، فقولُه يرجع إلى هذا، لأ ا كواكب عظام.

ومعروف في اللغةِ أن يقال: برج يبرج: إذا ظَهر وارتفع، فقيل لهذه الكواكب: بروج، لظهورها وثبا ا، وارتفاعها، والتبرج: كِبر العين.

١٣- ثم **قال تعالى: وَحَفِظْنَاهَا مِن كُل شَيطَانٍ رجِيمٍ** [آية: ١٧].

أي لا يصل إليها، ولا يسمع شيئًا من الوحي إلا مسارقةٍ، وكان هذا من علامةِ نبوة محمد ﷺ ولا نعلم أحدا من الشعراء، شبه شيئًا بسرعة الكواكب إلا في الإسلام، ولو كان هذا قبله لشبهوا به.

قال ابن جريج: الرجيم: الملعونُ.

وقال الكسائي: كل رجيم في القرآن فهو بمعنى الشتيم[2].

وقيل: رجيم بمعنى مرجوم، أي يرجم بالكواكب.

١٤- وقوله ﷻ: **وَأَنبَتنَا فِيهَا مِن كُل شَيءٍ موزونٍ** [آية: ١٩].

روى معاويةُ بن صالحٍ عن علي بنِ أبي طلحةَ، عن ابنِ عباس **وَأَنبَتنَا فِيهَا مِن كُل شَيءٍ موزونٍ** .

قال: أي معلومٍ.

وكذلك روى علي بن الحَكَم عن الضحاكِ.

وقال أبو صالح وعكرمة: أي مقدور.

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٨٦/٢.

(٢) راجع جامع البيان١٥/١٤.

وقال مجاهد: أى مقدر بقدرٍ.

ومعناه: مقَدر لا يزيد على قَدرِ الله، ولا ينقص، فكأنه موزونٌ.

وقيل: أراد بموزون: ما يوزن من الذهب، والفضة، والحديد، والرصاص، وشبهه.

والمعنى على هذا: وأنبتنا في الجبال من كل شيءٍ موزون.

١٥- ثم **قال تعالى:** **وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ..** [آية: ٢٠].

أي في الأرض.

١٦- ثم **قال تعالى:** **وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ** [آية: ٢٠].

قال مجاهد: يعني الدواب، والأنعام.

وقال غيره: يعني المماليك، والدواب.

قال أبو جعفر: وهذا أولى لأن "من" لا تكون لما لا يعقل، إلا أن يختلط معه من يعقل.

والمعنى: وجعلنا لكم المماليك، والدواب، والأنعام.

ويجوز أن يكون المعنى: أعشناكم، وأعشنا من لستم له برازقين.

١٧- وقوله تعالى: **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ..** [آية: ٢١].

أخبر أن خزائن الأشياء بيده.

أي أنه ﷻ حافظُها، والمتولي تدبيرها.

١٨- وقولُه ﷻ: **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ..** [آية: ٢٢].

قال عبد الله بن مسعود: تحمل الريح الماءَ فتلقح السحاب، وتمريه[1]، فيدر كما تدر اللقحةُ، ثم يمطر.

وقال بن عباس : تلَقّح الرياح الشجر، والسحاب، وتمريه.

وقال أبو رجاء: قلت للحسن: **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ** فقال: تلقح الشجر، قلت: والسحاب؟ قال: والسحاب.

وقال أبو عبيدة: **لَوَاقِحَ** أي ملاَقِح، يذهب إلى أنه جمع ملْقِحة، وملْقِح، ثم حذفت منه الزوائد.

قال أبو جعفر: وهذا بعيد، وإنما يجوز حذف الزوائد، من مثل هذا في الشعر، ولكنه جمع لاقحة.

---

(١) تمريه: تجعل المطر يدر منه، يقال مرى الناقة إذا مسح ضرعها، فأمرت هي أي: در لبنها.

و«لاَقِح» على الحقيقة بلا حذف، هو على أحد معنيين:

يجوز أن يقال لها: لاَقِح على النسب أي ذات إلقاحٍ كأ ا تلقح السحاب والشجر، كما جاء في التفسير، وهو قولُ أبو عمرو.

ويجوز أن يقال لها: لاَقِح أي حاملٌ، والعرب تقول للجنوب لاقح وحاملٌ، وللشمال حائل وعقيم، وقال الله ﷻ: **حَتى إِذَا أَقَلت سَحَابا ثِقَالا** [الأعراف: ٥٧] فأقلت، وحملت واحد.

١٩- وقوله ﷻ: **وَلَقَد عَلِمنَا المستَقْدِمِينَ مِنكُم وَلَقَد عَلِمنَا المستَأخِرِينَ** [آية: ٢٤].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: **المستقدِمونَ** القرونُ الأولى، و **المستأخِرون** أمة محمد ﷺ.

ورَوَى سفيانُ عن أبيه عن عِكْرِمة قال **المستقدِمونَ** كل من خرج، و **المستأخِرون** كل من كان في أصلاب الرجال.

ورَوَى علي بن الحكَم عن الضحاك قال **المستقدِمونَ** من مات، و **المستأخِرون** الأحياءُ.

ورَوَى سفيان عن أبانَ بنِ أبي عياش، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس: **وَلَقَد عَلِمنَا المستَقْدِمِينَ مِنكُم** الصف الأول **وَلَقَد عَلِمنَا المستَأخِرِينَ** الصف الآخِر.

حدثنا محمد بن إدريس، قال: نا إبراهيم بن مرزوقٍ، قال: نا مسلم بن إبراهيم، قال: نا نوح بن قَيس[1]، قال: نا عمرو بن مالكٍ، عن أبي الجَوزاء، عن ابن عباس في قول الله تبارك وتعالى: **وَلَقَد عَلِمنَا المستَقْدِمِينَ مِنكُم وَلَقَد عَلِمنَا المستَأخِرِينَ** [2].

٢٠- وقوله ﷻ: **وَلَقَد خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ..** [آية: ٢٦].

---

(١) نوح بن قَيس بن رباح الأزدي البصري قال أحمد وابن معين: ثقة، وقال النسائي: ليس به بـأس، توفي سنة ١٨٤ هـ، انظر ذيب التهذيب ٤٨٥/١٠.

(٢) الحديث رواه الترمذي في تفسير سورة الحجر برقم ٥١٢٨، من رواية أبي الجوزاء عن ابن عباس، وقال الترمذي: وروى هذا عن أبي الجوزاء ولم يذكر فيه عن ابن عباس، وهذا أشـبه أن يكـون أصح من حديث نوح، ورواه ابن ماجه في سننه برقم ١٠٤٦، وأحمد في المسند ٣٠٥/١، وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٥٠/٤ وقال: ورد في هذا حديث غريب جدا.

فيه قولان:

أحدهما: رواه معاويةُ بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: الصلْصالُ: الطين اليابس.

ورَوَى مَعمر عن قتادة: هو الطين ييبس، فتصير له صلْصلةٌ.

وقال الضحاك: هو الطين الصلب.

والقولُ الآخر: رواه ابن نجيح، وابن جريج، عن مجاهد قال: الصلصالُ: المنتِن.

وقال أبو جعفر: والقولان يحتملان، وإن كان الأول أبين بقول الله ﷻ: **خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ** [الرحمن: ١٤].

وحكى أبو عبيدةَ أنه يقال للطين اليابس: صلْصالٌ ما لم تأخذه النار، فإذا أخذته النار فهو فخار.

وأنشد أهل اللغة:

كَعدو المُصَلْصِل الجَوال(١).

والصلصلةُ: الصوت.

وقال الفراء: هو طين حر يخلط برملٍ، فيسمع له صلصلة.

وأما القول الثاني: فالأصل فيه صِلاَلٌ، ثم أُبدل من إحدى اللامين صاد.

وحكى الكسائي أنه يقال: صل اللحم، وأصل: إذا أنتن.

٢١- ثم **قال** ﷻ: **من حَمَإٍ مسنونٍ** [آية: ٢٦].

فالحمأ، والحمأة: الطين الأسود المتغير.

وفي المسنون أربعة أقوال:

رَوَى سفيان عن الأعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: المسنون: المنتن.

وكذلك روى قيس بن الربيع عن الأعمش عن مسلم عن سعيد بن جبير قال: خلق الإنسانُ من صلصال من طين لازب، وهو الجيد، ومن حمإٍ مسنون وهو المنتن.

---

(١) هذا عجز بيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ١٦٥، وتمامه:

عنتريس تعدو إذا مسها السو ... ط كعدو المصلْصِل الجَـوال

وانظر الكامل ٤٨٩، والتاج مادة (صلصل).

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: هو المنتن.

وذهب إلى هذا القول من أهل اللغةِ الكسائي، وأبو عمروٍ الشيباني، وزعم أبو عمروٍ الشيباني أن قول الله: **لَمْ يَتَسَنَّهْ** [البقرة: ٢٥٩]. من هذا، وأن الأصل فيه (لَم يتسنن) فأبدل من إحدى النونين هاءً، فهذا قولٌ.

والقولُ الآخر: وهو مذهب أبي عبيدة أن المسنونَ: المصبوب.

ورَوَى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال المسنونُ: الرطب.

فهذا بمعنى المصبوب، لأنه لا يكون مصبوبا إلا وهو رطب، وهذا قول حسن لأنه يقال: سننت الشيءَ أي صببته، في الحديث: «**إن الحسن كان يَسن الماء على وجهه سناً**»[1] ولو كان هذا من أسِن الماءُ لكان مؤسِنا.

والقول الثالثُ: قول الفراء وهو المحكوك، ولا يكون إلا متغيرا، من سننت الحديد.

والقولُ الرابع: أنه المصبوب على مثال وصورة، من سنةِ الوجه.

٢٢- وقوله ﷻ: **قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ** [آية: ٣٧- ٣٨].

قال سفيان: بلغني أن الوقت المعلوم النفخةُ الأولى.

٢٣- وقولُه ﷻ: **قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ** [آية: ٤١].

أحدهما: وهو مذهب مجاهد قال: الحق طريقُه علي، وهو يرجع إلي[2]، كما يقال في التوعدِ: طريقك علي فاعمل ما شئت، وكما قال تعالى: **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** [الفجر: ١٤].

والقول الآخر: إن هذا صراط على أمري وتحت إرادتي.

وقرأ قيس بن عَبادة **قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلِيٌّ مُسْتَقِيمٌ** وقال: أي رفيع، ومعناه رفيع في الدينِ والحق.

٢٤- وقولُه ﷻ: **إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** [آية: ٤٢].

أي الضالين.

٢٥- وقوله ﷻ: **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ**

---

(١) الأثر أورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن١٠/٢٢ عن عمر ﷺ «أنه كان يسن الماءَ على وجهه، ولا يشنه» قال: والشن بالشين تفريق الماء، وبالسين المهملة صبه من غير تفريق.

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١٤/٣٣.

منهم جزءٌ مقْسوم [آية: ٤٣- ٤٤].

أي لكل منـزلٌ منهم من العذاب، على قدر منـزلته في الذنب.

ورَوى مالك بن مِغول، عن حميدٍ، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**لجهنم سبعة أبواب، باب منها لمن سل سيفه على أمتي، أو قال على أمة محمد**»[١].

٢٦- وقولُه ﷻ: **وَنـزعْنَا مَا فِي صدورِهم من غِل..** [آية: ٤٧].

الغل عند أهل اللغة: الشحناءُ، والسخِيمة، والعداوةُ، يقال منه: غَل يغِل.

ويقال: من الغلُول- وهو السرقةُ من المغنم- غَل يغل، ويغال من الخِيانة أغَل يغِل كما قال الشاعر:

جَزَى الله عَنا جَمرَة ابنة َنوفَلٍ جَزَاءَ مغِل بالأمانةِ كاذِب[٢]

٢٧- ثم **قال** ﷻ: **إخوَانا عَلَى سررٍ مَتقَابِلِينَ** [آية: ٤٧].

روى سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: **مَتقَابِلِينَ** قال: لا ينظر أحدهم إلى قفا صاحبه.

٢٨- ثم **قال** ﷻ: **لا َيمَسهم فِيهَا َنصَب** [آية: ٤٨].

أي تعب.

٢٩- وقولُه ﷻ: **َنبئْ عِبَادِي أني أنا الغَفُور الرحِيم** [آية: ٤٩].

أي أخبِر.

وروي أن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم يضحكون، فقال: «**أتضحكونَ وبين أيديكم الجنة والنار؟ فشق ذلك عليهم، فأنزلَ الله َنبئْ عِبَادِي أني أنا الغَفُور الرحِيم وَأن عَذَابِي هوَ العَذَاب الأليم** »[٣].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في تفسير سورة الحِجر، والبخاري في التاريخ، وابن كـثير في تفسـيره ٤/٤٥٥، والسيوطي في الدر المنثور ٤/٩٩.

(٢) البيت للنمر بن تولب، انظر الأغاني ١٩/١٥٩.

(٣) الحديث أخرجه الطبري عن ابن أبي رباح عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ قال: طلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة ونحن نضحك، فقال: ألا أراكم تضحكون؟ ثم أدبـر حتى إذا كان عند الحِجر، رجع إلينا القهقرى، فقال: إني لما خرجت جاء جبريل فقال: يا محمـد: إن الله يقول: لِم تقنط عبادي؟ نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم.. الآيات، وسنده ضـعيف، وذكره ابن كثير في تفسيره ٤/٤٥٨ من رواية ابن أبي حاتم وهو مرسلٌ، وأورده السيوطي في الدر =

٣٠- وقوله ﷻ: ﴿قَالُوا لاَ تَوجَلْ﴾ [آية: ٥٣].

معناه: لا تفزع. والقانطون اليائسون.

٣١- قوله ﷻ: ﴿إِلا امرَأَته قَدرنَا إِنهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [آية: ٦٠].

قيل: "قَدرنا" بمعنى علمنا، وقدرنا على بابه، أي هو في تقديرنا وفيما أخبرناه به هكذا.

والغابر: الباقي، وقد يستعمل للذاهب، والمعنى: إ ا لمن الباقين في الهلاك.

وأنشد أهل اللغة:

لا تَكْسَعِ الشولَ بِأَغْبَارِهَا ... إنك لا تدري مَن الناتِج[1]

الأغبار: بقايا اللبن.

٣٢- وقولُه ﷻ: ﴿قَالَ إِنكُم قَوم منكَرونَ﴾ [آية: ٦٢].

قال مجاهد: أنكرهم لوط ﷺ.

وقيل: أنكرهم إبراهيم ﷺ لأ م لم يأكلوا من طعامه، وكانوا ينكرون أمر الضيف إذا لم يأكل.

٣٣- ثم قال ﷻ: ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانوا فِيهِ يَمتَرونَ﴾ [آية: ٦٣].

قال مجاهد: بالعذاب.

قال أبو جعفر: المعنى: بل جئناك بما كانوا يشكون من نـزول العذاب م.

٣٤- وقوله تعالى: ﴿فَأَسرِ بِأَهلِكَ بِقِطْعٍ منَ الليل﴾.. [آية: ٦٥].

السرى لا يكون إلا بالليل، إلا أن قوله تعالى: ﴿بِقِطْعٍ﴾[2] يدل على ذهابٍ كثيرٍ من الليل.

٣٥- ثم قال تعالى: ﴿وَلاَ يَلْتَفِت مِنكُم أَحَد﴾ [آية: ٦٥].

قيل: ى عن الالتفات إلى ما هفي المنازل، لئلا يقع الشغلُ به عن المضي.

٣٦- وقوله ﷻ: ﴿وَقَضَينَا إِلَيهِ ذَلِكَ الأمرَ﴾ [آية: ٦٦].

=

١٠٢/٤ وعزاه إلى ابن مردويه.

(١) البيت للحارث بن حِلزةَ، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٧/١٠.

(٢) هذه قراءة الجمهور، وأما قراءة ﴿قِطَعٍ﴾ بفتح الطاء فليست من القراءات السبع، انظر البحر المحـيط ٤٦١/٥.

أي أخبرناه به، ثم بينه فقال تعالى: **أن دَابِرَ هَؤلاءِ مَقْطُوع مصبِحِينَ** [آية: ٦٦].

أي إن آخرهم مستأصل.

وقال الفراء: الدابر: الأصلُ(١).

٣٧- وقوله تعالى: قَالُوا أَوَ لَم نَنهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ [آية: ٧٠].

يروى أنهم كانوا نهوه أن يضيف أحدا.

٣٨- ثم **قال** ﷻ: **قَالَ هَؤلاءِ بَنَاتِي إن كُنتم فَاعِلِينَ** [آية: ٧١].

هذا الجواب محمول على المعنى، والمعنى: أنهم أرادوهم للفساد، فقال لهم لوط ﷺ: هؤلاء بناتي فتزوجوا.

وأحسن ما قيل في **هذا:** أن أزواج كل نبي بمنـزلة أمهات أمته، وأولاد أمته بمنـزلة أولاده.

٣٩- وقوله ﷻ: **لَعَمرِكَ إنهم لَفِي سَكْرَتِهِم يَعمَهونَ** [آية: ٧٢].

رَوَى معاويةُ بن صالح، عن علي بن أبي طلحةَ، عن ابن عباس، قال: **لَعَمرِكَ** لَعيشك.

وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس قال: لحياتك.

وروى أن إبراهيم النخعي كره أن يقول الرجل لَعمري، قال: لأن معناه: وحياتي.

وكذلك هو عند أهل اللغة.

قال سيبويه: العمر، والعمر واحد، ولا يستعملون في القَسم إلا الفتح لِخفته، وحكى: لَعمري، وكله بمعنى العمر.

وهذه فضيلةٌ للنبي ﷺ، أقسم الله ﷻ بحياته.

قال أبو الجوزاء: ما سمعت الله ﷻ حلف بحياة أحد غيره ﷺ.

قال سفيان : سألت الأعمش عن قوله تعالى : **لَعَمرِكَ إنهم لَفِي سَكْرَتِهِم يَعمَهونَ** .

فقال: أقسم بالنبي إنهم لفي غفلتهم يترددون(٢).

٤٠- وقوله ﷻ: **فَأَخَذَتهم الصيحَةُ مشرقِينَ** [آية: ٧٣].

---

(١) انظر معاني الفراء ٢/ ٩٠.

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١٤/٤٤، والدر المنثور ٤/١٠٣.

أي فأخذ م الصيحة بالعذاب، وقت إشراق الشمس.

٤١- وقوله ﷻ: **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** [آية: ٧٥].

قال مجاهد: أي للمتفرسين.

قال الضحاك: أي للناظرين.

قال أبو جعفر: وحقيقته توسمت الشيءَ: نظرت نظَر متثبت، حتى تثبت حقيقة سِمةِ الشيء.

٤٢- وقوله ﷻ: **وإنها لبسبيل مقيم** [آية: ٧٦].

يجوز أن يكون المعنى: وإن الآيات.

ويجوز أن يكون المعنى: وإن مدينة قوم لوطٍ.

قال مجاهد: **لبسبيل مقيم** لبطريق معلَم، أي واضح.

٤٣- وقوله ﷻ: **وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين** [آية: ٧٨].

قال الضحاك: الأيكةُ: الغيضةُ ذات الشجر.

قال أبو جعفر: وكذلك هو في اللغة، يقال للشجرة أيكةٌ، وجمعها أَيك.

ويروى أن شجرهم كان دوما.

وأما روايةُ من روى أن «ليكة» اسم القرية التي كانوا فيها، و«الأيكة» البلاد كلها، فلا يعرف في اللغةِ ولا يصح.

٤٤- وقوله ﷻ: **فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين** [آية: ٧٩].

قال الضحاك: أي لبطريقٍ مستبين، أي يمرون عليها في أسفارهم.

قال أبو جعفر: ومعروف في اللغة أن يقال للطريق: إمام، لأنه يؤتم به، ويتبع.

٤٥- وقوله ﷻ: **ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين** [آية: ٨٠].

وروى معمر عن قتادة قال: الحِجر: الوادي، يذهب إلى أنه اسم له[1].

٤٦- وقوله ﷻ: **وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين** [آية: ٨٢].

أي آمنين أن تسقُط.

٤٧- وقوله ﷻ: **فاصفح الصفح الجميل** [آية: ٨٥].

---

(١) انظر الطبري ٤٩/١٤.

قال مجاهد: هذا قبل أن يؤمر بالقتال.

٤٨- وقوله ﷻ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ [آية: ٨٧].

روى عبد خير[1]، عن علي بن أبي طالب، أنه قال في قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾** يعني فاتحة الكتاب.

وكذلك قال أبو هريرة: هي فاتحةُ الكتاب، وليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم.

وكذلك روى أبو يحيى عن مجاهد، وكذلك روى معمر عن قتادة.

وروى سفيانُ بن منصور، عن مجاهد عن ابن عباس قال: **﴿آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾**.

قال: السبع الطول.

وكذلك روى شعبةُ عن أبي بشر عن سعيد بن جبير: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾**.

قال: السبع الطول: «البقرةُ، وآل عمرانَ، والنساءُ، والمائدةُ، والأنعام، والأعراف، ويونس».

كذلك في الحديث، وكذلك قال الضحاك هي السبع الطولُ، وكذلك روى ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: «**السبع** المثاني **والقرآنُ العظيم: أم القرآن**».

قال الضحاك: ﴿الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ سائره.

وقد صح عن علي بن أبي طالب أنه قال: السبع المثاني الحمد، وقال به قتادة.

وفسر معناه قال: لأن فاتحة الكتاب تثنى في كل ركعة، فريضةً أو نافلةً.

والمعنى على هذا القول: ولقد آتيناك سبع آياتٍ مما يثنى في الصلاة.

و(مِن) هاهنا لبيان الجنس على هذا القول، كما قال تعالى: **﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾** [الحج: ٣٠].

ويجوز أن يكون المعنى: مما يثنى به على الله، لأن في الحمد ثناءً على الله، وذكر توحيده، وملكه يوم الدين، وتكون (مِن) على هذا القول لبيان الجنس أيضا.

ويجوز أن تكون للتبعيض، ويكونُ المعنى: ولقد آتيناك سبع آيات من المثاني أي من القرآن، الذي يثنى فيه الآيات، والقصص، ويثْنى فيه على الله.

وهذا أحسن، وهو مذهب أبي مالك، لأنه قال **﴿المثاني﴾**: القرآنُ.

---

(١) عبد خير بن يزيد أبو عمارة الكوفي، روى عن ابن مسعود، وعلي، وزيد بن أرقم، قال يحيى بن معين: عبد خير ثقةٌ، انظر التهذيب ١٢٤/٦، والجرح والتعديل ٣٧/٦.

وأما من قال: هي السبع الطولُ، فقد فسر سعيد بن جبير مذهبه، فقال: لأنه تثنى فيها الحدود، والفرائض، فتكون (من) على هذا لبيان الجنس.

ويجوز أن تكون للتبعيض، على ما تقدم.

وروى أبو عبيد أن سفيانَ بن عيينةَ كان يتلو هذه الآية، يتأولها على حديث النبي ﷺ «**ليس منا من لم يَتَغَن بالقرآن**»[(١)] قال: أي يستغني به.

قال: فأمر الله ﷻ النبي ﷺ أن يستغني بالقرآن عن المال: فقال تعالى: **وَلَقَد آتَينَاكَ سَبعا منَ المَثَانِي وَالقُرآنَ العَظِيمَ** .

٤٩- ثم **قال** ﷻ: **لا تَمدن عَيَنيكَ إِلى مَا مَتعنَا بِهِ أَزوَاجا منهم..** [آية:٨٨].

وروي عن عبد الله بن عمر أنه قال: "من حفظ القرآن، فرأى أن أحدا أُعطِي أفضلَ مما أعطي، فلقد صغر عظيما وعظم صغيرا.

قال مجاهد في **قوله تعالى: لا تَمدن عَيَنيكَ إِلى مَا مَتعنَا بِهِ أَزوَاجا منهم** .

قال الأغنياءُ الأشباه، أي أمثالٌ في النعمِ. والأزواج في اللغة: الأصناف.

٥٠- وقوله ﷻ: **وَقُلْ إِني أَنا النذِير المبِين كمَا أنـزلنَا عَلى المقْتَسِمِينَ** [آية: ٨٩- ٩٠].

في الكلام حذف، والمعنى: وقل إني أنا النذير المبين عقابا، كما أنزلنا على المقتسمين.

وفي المقتسمين أقوال:

أحدها: أنهم قوم تحالفوا على عضهِ النبي ﷺ.

والقولُ الآخر: أنه روى الأعمش، عن أبي ظِبيانَ، عن ابن عباس في قوله تعالى: **كمَا أنـزلنَا عَلى المقْتَسِمِينَ** فقال: اليهود، والنصارى: **الذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ** قال: آمنوا ببعضِه، وكفروا ببعضه.

وقال الضحاك: المقْتَسِمِينَ : أهلُ الكتاب، مزقوا الكتب وفرحوا بما عندهم منها.

وقال مجاهد: **المقْتَسِمِينَ** : أهلُ المِلَل.

قال ابن جريج وقال عطاء: هم المشركون من قريش، مزقوا القول في القرآن، فقال بعضهم: هو شِعر، وقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: هو أساطير الأولين،

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب التوحيد ١٨٨/٩ عن أبي هريرة، وأبو داود في السنن ٧٤/٢ باب التغني بالقرآن، والدارمي ٢٨٨/١، وأحمد ١٧٢/١.

فذلك العِضون.

وقال عكرمة: ﴿عِضِينَ﴾: سحر.

وكان أبو عَبيدةَ يذهب إلى أن ﴿عِضِينَ﴾ مأخوذٌ من الأعضاءِ.

قال أبو جعفر: وهو قولٌ حسن. أي فرقوا القول، وأنشد:

وَلَيسَ دِينِ الله بالمُعَضى[1]

أي بالمُفَرق.

وكان الفراء يذهب إلى أنه مأخوذٌ من العضاهِ وهي شجر.

وكان الكسائي يذهب إلى أنه يجوز أن يكون مأخوذًا منهما.

٥١- وقوله ﷻ: ﴿**فَاصدَع بِمَا تؤمَر وَأعرِض عَن الْمشرِكِينَ**﴾ [آية: ٩٤].

قال مجاهد: أي اجهر بالقرآن في الصلاة.

قال: ومنه تصدع القوم: إذا افترقوا.

قال: ومنه الصداع، لأنه انفراق قبائل الرأس.

قال أبو جعفر: ومعروف عند أهل اللغة أنه يقال: صدع بالحق: إذا أبانه وأظهره، وكأنه: أَبِن، وأَظْهِر. وأنشد أبو عبيدة لأبي ذؤيبٍ يصف عِيرا وأُتناً، وأنه يحكم فيها:

وكأنهــُن رِبــابةٌ وكأنــه ... يَسَر يفيض على القِدَاحِ وَيصدَع[2]

ومن هذا قيل للصبح: صدِيع كما قال:

كأن بَيَاضَ لبته صَدِيع[3]

وأبو العباس يذهب إلى أن المعنى: فاصدع الباطلَ بما تؤمر به أي افرق.

٥٢- وقولُه ﷻ: ﴿**إنا كَفَيْنَاكَ الْمستَهزِئينَ**﴾ [آية: ٩٥].

حدثنا «أبو بكرٍ» أحمد بن محمد بن نافع، قال: نا سلمةُ بن شعيب بن عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، وعثمانُ الجَزري عن مقْسم، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿**إنا كَفَيْنَاكَ الْمستَهزِئينَ**﴾ قالا: «المستهزءون»: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدِي بن

(١) هذا شطر بيت من رجز لرؤبة، وهو في ديوانه ص ٨١، وانظر الطبري ٦٥/١٤، ومجاز القرآن ٣٥٥/١.

(٢) البيت في ديوان الهذليين ٦/١، وانظر الطبري ٦٧/١٤، واللسان مادة (صدع).

(٣) هذا عجز بيتٍ لعمرو بن معد يكرب، انظر المحرر الوجيز ٣٥٩/٨.

قيس، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب.. مروا رجلاً رجلاً على النبي ﷺ ومعه جبريل عليه السلام، فإذا مر رجلٌ منهم قال له جبريل: كيف تجد هذا؟ فيقول: بئس عبد الله، فيقول جبريل: كَفَيْناكَه.

فأما الوليد بن المغيرة فتردى فتعلق سهم بردائه، فذهب يجلس، فقطع أكحله فنـزف فمات.

وأما الأسود بن عبد يغوث فأُتِي بغصنٍ فيه شوك، فضرب به وجهه فسالت حدقتاه على وجهه، وكان يقول: دعوت على محمد دعوةً، ودعى علي دعوةً، فاستجيب لي، واستجيب له. دعا علي أن أعمى فعميت، دعوت عليه أن يكون وحيدا طريدا في أهل يثرب فكان كذلك.

وأما العاص بن وائل فوطِئَ على شوكة، فتساقط لحمه عن عظامه حتى هلك.

وأما الأسود بن المطلب، وعدِي بن قيس فإن أحدهما قام في الليل، وهو مطمئن ليشرب من جرة، فلم يزل يشرب حتى انفتق بطنه فمات، وأما الآخر فلدغته حيةٌ فمات.

٥٣- وقوله عز وجل: **﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾** [آية: ٩٨].

أي كن من المصلين.

٥٤- وقوله عز وجل: **﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾** [آية: ٩٩].

قال سالمُ بن عبد الله(١) ومجاهد: أي الموت.

قال أبو جعفر: ونظير هذا **﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾** [مريم: ٣١].

والفائدةُ في **هذا** أنه لو قال: واعبد ربك مطلقًا، ثم عبده مرةً واحدة كان مطيعا.. وإذا قال: **﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾** أو أبدا، أو **﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾** كان معناه: لا تفارق هذا.

تمت سورة الحجر

---

(١) سالم بن عبد الله بن عمر، توفي سنة ١٠٦ هـ كان من فقهاء المدينة، يشـبه أبـاه في العلـم، والتقى، والعبادة قال العِجلي: مدني تابعي ثقة، وقال أحمد بن حنبل: أصح الأسانيد: الزهري عن سالم عن أبيه، وانظر التهذيب ٤٣٦/٣.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سُورة النحل وهي مكية

قال عبد الله بن عباس: إلا ثلاث آيات، نـزلْن بين مكة والمدينة، حين رجع النبي ﷺ من أحُد -وقد قُتِل حمزةُ ومُثل به- فقال النبي «**لأمثلن بثلاثين منهم، وقال المسلمون: لنمثلن بهم**». فأنـزل الله ﴿**وإنْ عاقبتم فعاقِبوا بِمِثْل ما عوقِبتم بِهِ**﴾ إلى آخر ثلاث آيات[1].

١- قوله ﷻ: ﴿**أتى أمر الله فلا تستعجِلُوه..**﴾ [آية: ١].

قال بعضهم: ﴿**أتى**﴾ بمعنى يأتي، لأنه قد عُرِف المعنى فصار مثل قولك: إن أمرتني أكرمتُك.

وقيل: إخبارُ الله بالماضي والمستقبل شيءٌ واحد، لأنه قد عُلِم أنه يكون فهو بمنـزلة ما قد كان.

وقولٌ ثالثٌ -وهو أحسنُها- وذلك أنهم استبعدوا ما وعدهم الله من العقاب، فأخبر الله ﷻ أن ذلك قريب فقال تعالى: ﴿**أتى أمر الله**﴾.

أي هو في القرب بمنـزلة ما قد أتى، كما قال تعالى: ﴿**اقْتربتِ الساعةُ**﴾ وكما يُقال: أتاك الخبرُ، أي قُرُب منك.

وقال الضحاك: أي جاء القرآن بالفرائِض، والأحكامِ، والحدود.

٢- وقوله ﷻ: ﴿**ينـزلُ الْملائكةَ بِالْروح مِن أمرِه على من يشاءُ مِن عِبادِهِ..**﴾ [آية: ٢].

روى هشيمٌ، عن أبي بِشرٍ، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: الروحُ: خلق من خلق الله، وأمر من أمره، صُورُهم على صُور بني آدم، لا ينـزل في السماء ملَك إلا ومعه واحد منهم.

وروى ابن جريج عن مجاهد قال: لا ينـزل ملَك إلا ومعه روح.

وقال إسماعيلُ بنُ أبي خالد: سألت أبا صالح عن الروح، فقال: لهم صُور كصُور

(١) انظر المحرر الوجيز ٣٦٣/٨.

بني آدم، وليسوا منهم.

وقال الحسن: تنـزل الملائكة بالروح أي بالنبوة.

وروى معمر عن قتادة: تنـزل الملائكة بالروح قال: بالوحي والرحمة(١).

قال أبو جعفر: وهذا قول حسن، وقد رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

أي يُنـزلهم بما هو بمنـزلة الروح والحياة، كما قال تعالى: **فَروحٌ وريحانٌ** [الواقعة: ٨٩].

وقيل معناه: رحمة.

٣- وقوله ﷻ: **والأنعام خلقَها لكُم فِيها دِفءٌ ومنافِع ومِنها تأكُلُونَ** [آية: ٥].

روى إسرائيلُ عن سِماكِ بن حربٍ، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: النسلُ.

وروى ابنُ جُريج عن مجاهد قال: الدفء: لباس يُنسج، والمنافع: الركوبُ، واللبنُ، واللحمُ.

قال أبو جعفر: وهذا قول حسن: أي ما يُدفئ من أوبارها وغير ذلك، وأحسِبُ مذهب ابن عباس أن المنافع النسلُ، لا الدفء، على أن الأموي قد روى أن الدفء عند العرب نتاجُ الإبل، والانتفاع ا، فيكون هذا فيه.

٤- وقوله ﷻ: **ولَكُم فِيها جمالٌ حِين ترِيحونَ وحِين تسرحونَ** [آية: ٦].

روى معمرٌ عن قتادة قال : إذا راحت أعظم ما تكون أسنمةً من السمن، وضروعُها محفّلةٌ.

قال أبو جعفر: والمعنى عند أهل اللغة: وتُريحو ا بالعشي، يقال: أرحت الإبلَ إذا انصرفت ا من المرعى الذي تكون فيه بالليل، ويُقال للموضع: المُراحُ، وفي الحديث: «**إذا سرقها من المُراح قُطِع**»(٢).

ومعنى: **تسرحونَ** تغدون ا إلى المرعى، سرحتُ الإبلَ أسرحُها سرحا وسُروحا، إذا غدوت ا إلى المرعى فخليتها ترعى، وسرحتُ هي في المتعدي واللازم واحد.

(١) انظر جامع البيان ٧٧/١٤.

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه برقم ٢٥٩٦، بلفظ: «ما كان في المراح ففيه القطع»، والمـُراح بالضم: الموضع الذي تروح إليه الماشية، أي تأوي إليه ليلاً، وأما بالفتح فهو الموضع الذي يـروح إليه القوم أو يروحون منه.

٥- وقوله ﷻ: وتحمِلُ أثْقَالَكُم إلى بلَدٍ لم تكُونوا بالِغيهِ إلا بِشِق الأنفُس [آية: ٧].

روى ابن جريج عن مجاهد قال: إلا بمشقة.

وقال غيره: المعنى لولا الإبلُ لم تبلغوا البلدان إلا بمشقة.

وقد قُرِئَ إلا بِشق الأنفُس (1) وهي بمعنى الأول، إلا أنه مصدر.

٦- وقوله ﷻ والخيلَ والبِغالَ والحمِير لِتركَبوها وزِينةً.. [آية: ٨].

تأول هذا جماعةٌ منهم: عبدُ الله بنُ عباس على أنه لا يحل أكلُ هذه، لقوله في الإبل: **ومِنها تأكُلُونَ** ولم يقل هذا في «الخيل، والبغال، والحمير».

٧- وقوله ﷻ: ويخلُق ما لا تعلمونَ [آية: ٨].

وظاهرُه عام، إلا أن عبد الرحمن بن معاوية القُرشي حدثنا قال: حدثنا موسى بن محمد، عن ابن السدي عن أبيه في قوله تعالى: **ويخلُق ما لا تعلمونَ** قال: السوس في الثياب.

٨- وقوله ﷻ: وعلى الله قَصد السبِيل [آية: ٩].

قال الضحاك: أي تبيينُ الهدى والضلالة.

وقال مجاهد: أي طريقُ الحق. وهذه تشبه **قالَ هذا صِراطٌ علَي مستقِيمٌ** [الحِجر: ٤١].

أي على منهاجي وديني. وكذا **وعلى الله قَصد السبِيل** أي القصدُ فيها ما كان على دين الله.

وقيل: هو تبيينُ الحق، والبراهين، والحُجج.

وقيل: إنه يراد بالسبيل هاهنا الإسلام.

٩- ثم **قال** ﷻ: **ومِنها جائِرٌ** [آية: ٩].

أي ومن السُبل جائر، أي عادلٌ عن الحق، وأنشدني أبو بكر ابن أبي الأزهر، قال أنشدني بُندار:

---

(1) قال ابن جني: الشق بفتح الشين بمعنى الشق بكسرها، وكلاهما المشقةُ، وهما من الشق في العصا ونحوها، ومنه قراءة أبي جعفر وعمرو بن ميمون بشق الأنفس بفتح الشين، وهي من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٧/٢، وأما ابن الجزري فعدها من القراءات العشر، انظر النشر ٣٠٢/٢.

لما خلطت دماءَنا بدمائها سار الثقالُ وجار العاذلُ[(١)]

ورُوي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قرأ **ومنكم جائرٌ**[(٢)].

وكذلك قرأ عبد الله بن مسعود ذا؛ على التفسير.

١٠- ثم قال تعالى: ولو شاءَ لهداكُم أجمعين [آية: ٩].

أي لو شاء لأنزل آية تضطركم إلى الإيمان، ولكنه أراد أن يُثيب ويعاقب.

١١- وقولُه ﷻ: هو الذي أنزلَ من السماءِ ماءً لكُم منه شرابٌ ومنه شجرٌ فيه تسيمونَ [آية: ١٠].

قال قتادة: والضحاك: فيه تسيمونَ فيه ترعون.

قال أبو جعفر: وكذا هو في اللغة، يُقال: أسمتُ الإبل: أي رعيتُها فأنا مُسِيم، وهي مُسامةٌ، وسائِمةٌ.

١٢- وقولُه ﷻ وما ذَرأ لكُم في الأرض مختلِفًا ألوانه.. [آية: ١٣].

قال قتادةُ: من الدواب، والأشجار، والثمار.

١٣- وقولُه ﷻ: وترى الفُلْك مواخِر فيه.. [آية: ١٤].

قال الضحاك: تذهب وتجيءُ.

والمَخرُ في اللغة: الشق، يقال: مخرتِ السفينةُ تمخرُ وتمخُرُ إذا شقتِ الماءَ، وسمعت لها صوتا وذلك عند هبوب الرياح، ومخرُ الأرض، إنما هو شق الماءِ إياها.

١٤- وقوله ﷻ: وألقى في الأرض رواسِي [آية: ١٥].

قال الحسن: أي جبالاً.

قال أبو جعفر: يقال: رسا يرسُو، إذا ثبت وأقام. ثم قال تعالى: **أن تميد بكُم**.

قال إبراهيم: أي تكفأ.

قال أبو جعفر: يُقال: ماد يميدُ إذا تحرك ومالَ.

وروى معمرٌ عن قتادة قال سمعت الحسن يقول: لما خلق الله الأرض كادت تميد فقالوا: لا تُقِر هذه عليها أحدا، فأصبحوا وقد خلق الله الجبالَ، ولم تدر الملائكة مم خُلقتِ الجبالُ.

---

(١) البيت مجهول القائل.

(٢) هذه القراءة شاذة، وهي محمولة على التفسير كما ذكر المؤلف، وانظر المحرر الوجيز ٣٧٨/٨.

١٥- ثم **قال** ﷻ : **وأنهارًا وسبلاً** [آية: ١٥].

أي: وجعل فيها أ ارا وسُبُلاً.

قال قتادة: أي طُرُقًا.

١٦- ثم **قال** ﷻ : **وعلاماتٍ وبالنجمِ هم يهتدونَ** [آية: ١٦].

روى سفيان، عن منصور، عن إبراهيم قال: من النجوم علامات، ومنها ما يُهتدى به.

وقال الفراء: الجديُ، والفرقدان.

قال أبو جعفر: والذي عليه أهل التفسير، وأهل اللغة سواه، أن النجم هاهنا بمعنى النجوم.

وخلق الله النجوم زينةً للسماء، ورجوما للشياطين، وليعلم ا عدد السنين والحساب، وليُهتدى ا.

١٧- **وقوله** ﷻ: **والذِين يدعونَ مِن دون الله لاَ يخلُقُونَ شيئًا وهم يخلَقُونَ** [آية: ٢٠].

يعني الأوثان.

وقرأ محمد اليماني **والذِين يدعونَ مِن دون الله** بضم الياء وفتح العين(١).

١٨- **وقوله** ﷻ : **أمواتٌ غَير أحياءٍ** [آية: ٢١].

أي: هم أموات غير أحياء **وما يشعرونَ أيانَ يبعثُونَ** .

يجوز أن يكون المعنى: وما تشعر الأصنام.

ويجوز أن يكون المعنى: وما يشعر المشركون متى يُبعثون.

١٩- **وقوله** ﷻ : **لِيحمِلُوا أوزارهم كَامِلةً يوم القِيامةِ..** [آية: ٢٥].

الوزرُ في اللغة: الحِملُ الثقيل، وقيل للإثم: وزر على التمثيل.

٢٠- ثم **قال تعالى: ومِن أوزارِ الذِين يضِلونهم بِغير عِلْمٍ** [آية: ٢٥].

قال مجاهد: يُحملون إثمَ من أضلوه، ولا يُنقص من إثمِ المضل شيءٌ.

---

(١) في هذه الآية ثلاث قراءات والذِين تدعون بالتاء وهي قراءة الجمهور، وقرأ عاصم والـذين يدعُون بالياء، وهما قراءتان سبعيتان كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٧١ وأما قراءة ﴿يُـدعون﴾ بالضم فشاذة.

٢١- وقوله ﷻ: **قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم** [آية: ٢٦].

وقرأ الأعرجُ **السقف** .

قال مجاهد: يعني بهذا «نمرود بن كنعان» الذي حاج إبراهيم في ربه، ويُروى أنه بنى بنيانا عظيما فخر.

وقد قيل: هذا تمثيلٌ، أي أهلكهم الله فكانوا بمنـزلة من سقط عليه بنيأنه وهلك.

وقيل: أحبط الله أعمالهم، فكانوا بمنـزلة من سقط عليه بنيأنه.

والفائدةُ في **قوله تعالى: من فوقهم** أنه قد يُقال: سقَط علي منـزلُ كذا إذا كان يملكه، وإن لم يكن وقع عليه.

٢٢- وقوله ﷻ: **ثم يوم القيامة يخزيهم ويقولُ أين شركائي الذين كنتم تشاقونَ فيهم** [آية: ٢٧].

المعنى: أين الذين كنتم تدعون أنهم شركائي؟ أي أين شركائي على قولكم!؟ واللهُ ﷻ لا شريك له.

٢٣- وقولُه ﷻ: **فألقوا السلم** [آية: ٢٨].

أي الاستسلام، أي أذعنوا واستسلموا.

٢٤- وقولُه ﷻ : **هلْ ينظرونَ إلا أن تأتيهم الملائكةُ** [آية: ٣٣].

أي لقبض أرواحهم، **أو يأتي أمر ربك** أي بالعذاب والزلزلة والخسف.

٢٥- وقولُه ﷻ: **وقالَ الذين أشركُوا لو شاءَ الله ما عبدنا من دونه من شيءٍ نحن ولا آباؤنا** [آية: ٣٥].

قال قوم: ذم الله هؤلاء الذين جعلوا شركهم عن مشيئته.

وقال قوم: من قال هذا فقد كفر.

قال أبو جعفر: هذا غَلَطٌ في التأويل ولا يُقبل في التفسير، على أنهم قالوا هذا على جهة الهزء، كما قال قوم شعيب لنبيهم: **إنك لأنت الحليم الرشيد** [**هود:** ٨٧]؟ أي إنك أنت الحليم الرشيد على قولك.

وقد تبين هذا بقوله : **إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل** وفي

قراءة أُبي **فإن الله لا هادي لمن أضل الله**[1] وهو شاهد لمن قرأ **لا يهدى** وهي القراءة البينةُ كما قال **وما توفيقي إلا بالله**.

ورُوي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ **لاَ يهدي من يضل** وأحسنُ ما قيل في هذا:[2] ما رواه أبو عُبيد عن الفراء، أنه يقال: هدى يهدي بمعنى: اهتدى يهتدي، قال تعالى **أمن لا يهدي إلا أن يهدى** بمعنى يهتدي.

قال أبو عبيد: ولا نعلم أحدا روى هذا غير الفراء، وليس بمتهمٍ فيما يحكيه.

قال أبو جعفر: حكى لي عن محمد بن يزيد، كأن معنى **لا يهدِي من يضِل** من عِلم ذلك منه، وسبق له ذلك عنده، قال: ولا يكونُ "يهدي" بمعنى يهتدي، إلا أن تقول: يهدي، أو يهدي[3].

٢٦- وقوله ﷻ: ليبين لهم الذي يختلفونَ فيه [آية: ٣٩].

يحتملُ معنيين:

أحدهما: أن يكون متعلقًا بفعل محذوف، ودل عليه جملة الكلام، وهو أن يكون المعنى: بل يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه.

والقول الآخر: أن يكون متعلقًا بقوله **ولَقَد بعثْنا في كُل أمةٍ رسولاً** فيكون المعنى: ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً، ليبين لهم الذي يختلفون فيه، وليعلم الذين كفروا أ م كانوا كاذبين.

٢٧- وقوله ﷻ: والذِين هاجروا في الله مِن بعدِ ما ظُلِموا [آية: ٤١].

يُقال: إنه يُراد به بلالٌ، وصهُيب، والذي يوجب جملة الكلام أن يكون عاما.

ويُروى أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا دفع إلى المهاجرين أُعطِياتِهم، قال لهم: هذا ما وعدكم الله في الدنيا، وما ذخر لكم في الآخرة أكثر، ثم يتلو **والذِين هاجروا في الله مِن بعدِ ما ظُلِموا لنبوئنهم في الدنيا حسنةً ولأجر الآخِرةِ أكْبر**.

---

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، ذكرها ابن عطية في المحرر ٤١٤/٨، والفراء في معانيه ٩٩/٢.

(٢) قال ابن مجاهد: واختلفوا في فتح الياء وضمها من قوله تعالى: لاَ يهدِي من يُضِل فقـرأ ابـن كثير، ونافع، وابنُ عامر لاَ يُهدى برفع الياء وفتح الدال، وقرأ عاصم وحمزة والكسـائي لاَ يهدِي بفتح الياء وكسر الدال، ولم يختلفوا في يُضِلّ أنها مرفوعة الياء مكسورة الضاد.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠٤/١٠.

وروى هُشيم عن داود ابن أبي هند، عن الشعبي في قوله **لَنبوئنهم فِي الدنيا حسنةً** قال: المدينة.

وكذا قال الحسنُ.

وقال الضحاك: يعني بالحسنة: النصر، والفتح **ولأجر الآخِرةِ أكْبر** الجنة .

وروى ابن جريج عن مجاهد **لَنبوئنهم فِي الدنيا حسنةً** قال: لسانَ صدقٍ.

٢٨- وقوله ﷻ: **وما أرسلْنا مِن قَبلِك إِلا رِجالاً نوحِي إِليهم..** [آية: ٤٣].

قيل لهم هذا، لأ م قالوا **أَبعثَ الله بشرًا رسولاً** [الإسراء: ٩٤]؟

٢٩- ثم **قال تعالى: فَاسأَلُوا أَهلَ الذكْرِ إِن كُنتم لاَ تعلَمونَ** [آية: ٤٣].

قيل: يعني به أهل الكتاب، لأ م مقرون أن الرسل من بني آدم.

وقال وكيع: سألت سفيانَ عن قوله: **فَاسأَلُوا أَهلَ الذكْرِ** فقال: سمعنا أنهم من أسلم من أهل التوراة والإنجيل.

ثم **قال تعالى: بِالْبيناتِ والزبرِ** أي بالبراهين، والكُتب[1].

٣٠- وقوله ﷻ : **أَو يأْخذَهم فِي تقَلُّبِهم فَما هم بِمعجِزِين** [آية: ٤٦].

روى معمرٌ عن قتادة قال: في أسفارهم.

وروى علي بن الحَكَم عن الضحاكِ قال: بالليل والنهار.

٣١- ثم **قال تعالى: أَو يأْخذَهم علَى تخوفٍ** [آية: ٤٧].

قال الضحاك: آخذُ طائفة وأدعُ طائفة، فتخاف الطائفة الباقية أن ينـزل ا ما نـزل بصاحبتها.

وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس **أَو يأْخذَهم علَى تخوفٍ** قال: على تنقصٍ وتفَزع.

وروى ابن جريج عن ابن كثير عن مجاهد قال: تنقصا.

قال أبو جعفر: وهذا القول هو المعروف عند أهل اللغة، يُقال: أخذَهم على خوفٍ، وعلى تخوفٍ: إذا تنقصهم، كما قال ابن عباس ومجاهد.

ومعنى التنقص: أن ينقصهم في أموالهم، وفي زروعهم، وفي خيرهم شيئًا بعد شيء، حتى يهلكهم.

---

(١) البينات: الحجج والبراهين، والزبر: الكتب، انظر تفسير ابن كثير ٤٩٣/٤.

وقال الليثُ[(١)]: على تخوف: سمعتُ أنه على عجل.

وقولُ الضحاك على تخوفٍ أي يأخذ هذه القرية ، ويدعُ هذه عندها، أي فتخاف.

٣٢- وقولُه ﷻ **يتفَيأُ ظِلالُه عن اليمِين والشمائِل سجدًا للهِ** [آية: ٤٨].

قال قتادة: الفيءُ: الظل.

وقال غيره: التفيُؤ: رجوعه من موضع إلى موضع، خاضعا منقادا، وكذلك معنى السجود.

وقال قتادة: عن اليمِينِ : بالغداة، وقوله **والشمائِل** بالعشي.

٣٤- ثم **قال الله** ﷻ : **وهم داخِرونَ** [آية: ٤٨].

قال قتادة: أي صاغرون.

٣٤- وقولُه ﷻ : **ولِلهِ يسجد ما ِفي السماواتِ وما ِفي الأرض ِمن دابةٍ والْملائكةُ..** [آية: ٤٩].

قيل: المعنى: ولِلهِ يسجد ما في السماوات من الملائكة، وما في الأرض من دابة، والملائكةُ أي والملائكة الذين في الأرض، والله أعلم بما أراد.

وقال الضحاك: كل شيءٍ فيه روح: دابةٌ يسجدُ للهِ ﷻ.

٣٥- وقولُه ﷻ : **وقَالَ الله لا تتخِذُوا إِلٰهين اثْنين** [آية: ٥١].

أي لا تعبدوا من دون الله شيئًا، وإن كنتم تتقربون بعبادته إلى الله، وجاء باثنين توكيدا.

وقيل: المعنى: لا تتخذوا اثنين إلهين.

٣٦- وقوله ﷻ: **وله ما ِفي السماواتِ والأرض وله الدين واصِبًا** [آية: ٥٢].

روى عكرمةُ عن ابن عباس قال: واجبا.

---

(١) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، بالولاء، أبو الحارث. إمام أهل مصر في عصـره حديثا وفقها. قال ابن تغرى بردي: "كان كبير الديار المصرية، وأمير من ا في عصره، بحيث أن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته". أصله من خراسان. ومولـده في قلقشـندة، ووفاته بالفسطاط. وكان من الكرماء الأجواد. وقال الشافعي: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به. له تصانيف. انظر ترجمته في الأعـلام ١١٥/٦، ووفيـات الأعيـان ٤٣٨/١، وتذكرة الحفاظ ٢٠٧/١.

وقيل: الطاعةُ على كل الأحوال، وإن كان فيها الوصبُ، وهو التعبُ، وهذا معنى قول الحسن.

وروى معمرٌ عن قتادة **﴿وله الدين واصِبًا﴾** قال دائما، ألاَ تسمع إلى قوله **﴿ولهم عذابٌ واصِبٌ﴾** [الصافات: ٩] أي: دائم. وكذا قال ميمونُ بن مهران.

وروى ابن جريج عن مجاهد ﴿وله الدين واصِبًا﴾ قال: الإِخلاصُ، والواصب: الدائم.

وهذا هو المعروف في اللغة، يقال: وصب يصِبُ وُصوبا: إذا دام، والدينُ: الطاعةُ، والمعنى: أن كل من يُطاع تزول طاعتُه بهلاكٍ أو زوال، إلا الله ﷻ.

٣٧- ثم **قال تعالى: ﴿وما بِكُم من نعمةٍ فَمِن الله﴾** [آية: ٥٣].

أي ما يكن بكم من سعة في رزقٍ، أو صحةٍ في بدنٍ، فمن الله **﴿ثم إِذَا مسكُم الضر﴾** وهو البلاءُ والمشقةُ **﴿فَإِليهِ تجأرونَ﴾** أي تدعُون وتستغيثون.

يُقالُ: يجأرُ، جُؤارا: إذا رفع صوته مستغيثًا من جُوعٍ أو غيره.

٣٨- وقوله ﷻ: ﴿ثم إِذَا كَشف الضر عنكُم إِذَا فَريقٌ منكُم بِربهم يشركُونَ لِيكْفُروا بِما آتيناهم﴾ [آية: ٥٤].

قيل: المعنى: ليجعلوا النعمة سببا إلى الكفر، كما قال تعالى: **﴿ربنا لِيضِلوا عن سبِيلِك﴾** [آية: ٨٨].

وقيل: ليجحدوا النعمةَ التي أنعم عليهم، كما قال الشاعر:

والكفر مخبثَةٌ لِنفْس المُنعِمِ(١)

٣٩- ثم **قال تعالى: ﴿فتمتعوا فَسوف تعلَمونَ﴾** [آية: ٥٥].

وهذا على التهديد، كما قال تعالى: **﴿فَمن شاءَ فَلْيؤمِن ومن شاءَ فَلْيكْفُر﴾** [الكهف: ٢٩] فإنا قد أرسلنا الرسل، وبينا وأنذرنا، فمن شاءَ فليكفر بعد هذا، فإن العقوبةَ حالةٌ به.

٤٠- ثم **قال** ﷻ: **﴿ويجعلُونَ لِما لا يعلَمونَ نصِيبًا مما رزقْناهم﴾** [آية: ٥٦].

يعني: ما كانوا يجعلونه لأصنامهم، من زرعهم وأنعامهم، كما قال تعالى: **﴿فَقَالُوا هذَا للهِ بِزعمِهِم وهذَا لِشركَائِنا﴾** [الأنعام: ١٣٦].

٤١- ثم **قال** ﷻ: **﴿ويجعلُونَ للهِ الْبناتِ سبحانه ولَهم ما يشتهونَ﴾** [آية: ٥٧].

---

(١) هذا عجز بيتٍ من معلقة عنترة، انظر شرح المعلقات العشر للزوزني ص ٢٥٣.

أي ولهمُ البنون.

٤٢- ثم **قال** ﷻ : **وإذَا بشر أحدهم بِالأنثَى ظَل وجهه مسودا** [آية: ٥٨].

أي ظل كئيبا مغموما، والعربُ تقول هذا لكل مغمومٍ، قد تغير لوُنه من الغم: اسود وجهُه.

٤٣- ثم **قال** ﷻ : **وهو كَظِيمٌ** [آية: ٥٨].

الكظيمُ: الحزينُ الذي يُخفي غيظَه، ولا يشكو ما بِهِ.

٤٤- ثم **قال** ﷻ : **يتوارى مِن القَومِ مِن سوءِ ما بشر بِهِ** [آية: ٥٩].

يُروى أن أحدهم كان إذا وُلد له، يتوارى في ذلك الوقت، أو قبلَه، فإنْ وُلد له ذكر سُر بِهِ، وإن وُلدت له أنثى استتر، وربما وأدها.

٤٥- ثم **بين ذلك بقوله تعالى**: **أيمسِكُه على هونٍ أم يدسه فِي الترابِ** [آية: ٥٩].

وقرأ الجحدري **أم يدسها فِي الترابِ** (١) يردها على قوله "بالأنثى" ويلزمُهُ أن يقرأ **أيمسكُها** .

وقرأ عيسى بن عمر **أيمسكُه على هوانٍ** (٢) وقال: هوانٌ وهُونٌ واحد.

وقرأ الأعمشُ: **أيمسكُه على سوءٍ** (٣).

وحكى أبو عبيد عن الكسائي قال: في لغة قريش: الهُونُ والهَوانُ، بمعنى واحدٍ، وقال: لغة بني تميم يجعل الهون مصدر الشيء الهين.

٤٦- ثم **قال** ﷻ : **ألاَ ساءَ ما يحكُمونَ** [آية: ٥٩].

لأ م جعلوا للهِ البناتِ، وهم يكرهو ا هذه الكراهية.

٤٧- ثم **قال** ﷻ: **لِلذِين لاَ يؤمِنونَ بِالآخِرةِ مثَلُ السوءِ ولِلهِ المَثَلُ الأعلَى** [آية: ٦٠].

روى معمر عن قتادة: قال: المَثَلُ الأعلى : لا إله إلا الله.

وروى سعيد عن قتادة قال: المثلُ الأعلى : الإخلاصُ، والتوحيدُ.

والمعنيان واحد، أي للهِ ﷻ التوحيدُ ونفيُ كل معبودٍ دونه(١).

---

(١) انظر البحر المحيط ٥/٥٠٤.

(٢) انظر البحر المحيط ٥/٥٠٤.

(٣) قال أبو حيان: وهي عندي تفسير لا قراءة، لمخالفتها السواد ا مع عليه. انظـر البحـر المحـيط ٥/٥٠٤.

٤٨- وقوله ﷻ: **ولو يؤاخِذُ الله الناس بظُلْمِهم ما ترك عليها من دابةٍ** [آية: ٦١].

أي على الأرض، ولم يجرِ لها ذكر، لأنه قد عُرف المعنى.

٤٩- وقوله ﷻ: **ويجعلُونَ للهِ ما يكْرهونَ** [آية: ٦٢].

يعني البنات.

ثم **قال تعالى: وتصِفُ ألسِنتهم الكَذِب أن لهم الحسنى** [آية: ٦٢].

قال مجاهد: هو قولهم: لنا البنون.

وقال غيره: الحسنة: الجنة.

٥٠- ثم **قال** ﷻ: **لا جرم أن لهم النار وأنهم مفْرطُونَ** [آية: ٦٢].

وقيل: «لا» رد لكلامهم، وجرم بمعنى: وجب، وحق.

قال أبو جعفر: وقد استقصينا القول فيه.

٥١- ثم **قال تعالى: وأنهم مفْرطُونَ** [آية : ٦٢].

كذا قرأ الحسنُ، ومجاهد، وسعيدُ بن جبير، بفتح الراء والتخفيف[٢].

واختلفوا في تفسيره: فقال الحسنُ: **مفْرطُونَ** مُعجلون إلى النار.

وقال هشيم: أخبرنا أبو بِشر، وحُصين، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ **وأنهم مفْرطُونَ** قال: متروكُون منسِيون.

وروى ابن جريج عن مجاهد قال: **مفرطون**: منسيون.

قال أبو جعفر: وقولُ الحسنِ أشهرُ في اللغةِ وأعرفُ.

وحكى أهلُ اللغة هو فَارِطٌ وفَرطٌ، وفي حديث النبي ﷺ: «**أنا فَرطكُم على الحَوض**»[٣] أي متقدمكُم إليه حتى ترِدُوا علي، وأفرطته: إذا قدمته، وأنشد جماعةٌ من أهل

=

(١) قال ابن جرير: وهو الأفضل، والأطيب، والأحسن، والأجمل، وذلك التوحيد والإذعان له بأنه لا إله غيره. انظر جامع البيان ١٢٥/١٤.

(٢) هذه قراءة السبعة غير نافع، فقد قرأ الجمهور **مُفْرطُونَ** بفتح الراء وتخفيفها، من أفرطوا بمعنى عُجلوا إلى العذاب، وقرأ نافع **مُفْرِطُونَ** بكسر الراء الخفيفة من أفرطتُ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٣٧٤.

(٣) الحديث رواه البخاري في الرقاق ١٤٨/٨، ومسلم في الفضائل برقم ٢٣٠٤.

اللغة:

فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا كما تعجـل فـُـراطٌ لـِـورادِ[1]

وقال بقول سعيد بن جبيرٍ ومجاهدٍ «أبو عبيدة، والكسائي، والفراءُ».

قال أبو جعفر: فعلى قول الحسن: معجلُونُ مقدمون إلى النار، وعلى قول سعيد بن جبير ومجاهد متروكُون في النار.

وقرأ عبد الله بن مسعود وابن عباس **وأنهم مفْرِطُون** مبالغون في الإساءة، كما يُقال: فَرطَ فلانٌ على فلانٍ إذا أربى عليه، وقال له أكثر مما قال من الشر.

وقرأ أبو جعفر والسدي **وأنهم مفَرطُونَ** [2] ومعناه مضيعون، أي كانوا مضيعين في الدنيا.

٥٢- وقوله ﷻ: **وإن لكُم في الأنعامِ لَعبرةً نسقيكُم مما في بطُونِهِ مِن بين فَرثٍ ودمٍ لبنًا خالِصًا..** [آية: ٦٦].

الفَرثُ: ما يكونُ في الكَرِش، يُقال: أفرثتُ الكرِش، إذا أخرجت ما فيه، والمعنى: أن الطعام يكون فيه ما فيه الكَرِش، ويكون منه الدمُ، ثم يخلص اللبنُ من الدمِ.

ثم **قال تعالى: سائِغًا لِلشارِبين** [آية: ٦٦].

أي سهلاً لا يشجى به من شربه.

٥٤- ثم **قال** ﷻ: **ومِن ثَمراتِ النخِيل والأعنابِ تتخِذُونَ مِنه سكَرًا ورزقًا حسنًا..** [آية: ٦٧].

روى عمرُو بنُ سفيان، عن ابن عباس قال: السكَرُ: ما حرم من ثمر ا، والرزقُ الحسنُ: ما كان حلالاً من ثمر ا.

وروى شعبةُ عن مغيرةَ عن إبراهيم والشعبي قالا: السكَرُ ما حُرم، وقد نُسخ.

وروى معمرٌ عن قتادة قال: السكَرُ: نبيذٌ للأعاجم وقد نسخت.

وروى علي بنُ الحَكَم عن الضحاكِ قال: السكَر قد حُرم.

---

(١) البيت للقُطَامي وهو في ديوانه ص ٩٠، وانظر جامع البيـان ١٢٨/١٤، والقـرطبي ١٢١/١٤ والبحر المحيط ٥٠٦/٥، واللسان مادة (فرط).

(٢) هذه قراءة نافع في رواية ورش، وهي من القراءات السبع، ومعنى مفرطون: مسرفون في الـذنوب والمعصية، انظر الجامع لأحكام القرآن ١٢١/١٤.

وقال مجاهد: السكر: ما حُرم من الخمر، والرزقُ الحَسَنُ: ما أُحل من التمر والعنب.

قال أبو جعفر: الأولى أن تكون الآيةُ منسوخةً، لأن تحريم الخمر كان بالمدينة، والنحلُ مكيةٌ.

والروايةُ عن ابن عباس كأن معناها أن الآية على الإِخبار، بأ م يفعلون ذلك، لا أنه أذن لهم في ذلك، وذلك معناه.

وهي روايةٌ تضعفُ من جهةِ «عمرو بن سفيان»[1].

قال أبو جعفر: وفي معنى السكر قول آخر، قال أبو عبيدة: السكَرُ: الطعمُ، وأنشد:

جعلْت عيب الأكْرمين سكَرا[2].

أي جعلت ذمهم طُعما.

قال أبو جعفر: قال الزجاج: وقولُ أبي عُبيدة هذا لا ُيعرف، وأهلُ التفسير على خلافِهِ، ولا حجةَ له في البيت الذي أنشده، لأن معناه عند غيره أنه يصف أ ا تتخمر بعيوب الناسِ.

٥٥- وقوله ﷻ: **وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الْجبال بيوتًا..** [آية: ٦٨].

رُوي عن الضحاك أنه قال: ألهمها.

وأصلُ الوحي في اللغةِ: الإِعلانُ بالشيء في سترةٍ، فيقع ذلك بالإلهام، وبالإشارة، وبالكتابة، وبالكلام الخفي.

٥٦- وقوله ﷻ: **فاسلُكِي سبلَ ربكِ ذُلُلاً** [آية: ٦٩].

روى معمر وسعيد عن قتادة قال: مطيعة.

قال أبو جعفر: ويحتمل في اللغةِ أن يكون قولُه: **ذُلُلاً** للسبل، لأنه يقال: سبيلٌ ذلولٌ وسُبُل ذُلُل، أي سهلة السلوك.

ويحتمل أن يكون للنحل أي هي منقادةٌ مسخرة.

٥٧- وقوله ﷻ: **يخرج من بطُونها شرابٌ مختلِفٌ ألْوانه فِيهِ شِفَاءٌ لِلناس** [آية: ٦٩].

---

(١) انظر ذيب التهذيب ٤٠/٨.

(٢) هذا شطر بيت للمثنى بن جندل الطهوي، انظر الطبري ١٣٨/١٤ والقرطبي ١٢٩/١٠ واللسان.

فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى في القرآن شفاءٌ للناس.

وهذا قول حسن، أي فيما قصصنا عليكم من الآيات والبراهين شفاءٌ للناسِ.

وقيل: في العسل شفاءٌ للناسِ، وهذا القولُ بين أيضا، لأن أكثر الأشربة والمعجوناتِ التي يتعالج ا، أصلُها من العسل.

٥٨- وقوله ﷻ: **ومِنكُم من يرد إلى أرذَل الْعمر** [آية: ٧٠].

أي من يهرم حتى ينقص عقله.

٥٩- ثم قال ﷻ: **لِكَي لا يعلم بعد عِلْمٍ شيئًا** [آية: ٧٠].

أي حتى يعود بعد العلم جاهلاً، أي لتعلموا أن الذي رده إلى هذه الحال، قادر على أن يميته ثم يُحييه.

٦٠- وقوله ﷻ: **واللهُ فَضلَ بعضكُم على بعضٍ في الْرزق فَما الذِين فُضلُوا بِرادي رزقِهم على ما ملكَت أيمانهم فَهم فِيهِ سواءٌ..** [آية: ٧١].

روى سعيد عن قتادة قال: هذا مثَلٌ ضربه الله، أي إذا كان لأحدكم مملوك لم تسغُ نفسُه أن يعطيه مما يملك، واللهُ ﷻ أولى أن يُنــزه عن هذا[1].

ومعنى هذا القول: أ م عمدوا إلى رزق الله فجعلوا للأصنام منه نصيبا، وله نصيبا، والمعنى: إنكم كلكم بشر، ويكون لأحدكم المملوك فلا يرد عليه مما يملك شيئًا، ولا يساويه فيه، فكيف تعمدون إلى رزق الله، فتجعلون منه نصيبا وللأوثان نصيبا؟

٦١- ثم قال ﷻ: **أفَبِنعمةِ الله يجحدونَ** [آية: ٧١].

أي أفأنْ أنعم الله عليهم جحدوا بالنعمة وجعلوا ما رزقهم لغيره؟

وقيل: المعنى: أفأن أنعم عليهم بالبيان والبراهين جحدوا نعمه.

قال الضحاكُ: هذا المثلُ للهِ ﷻ وعيسى، أي أنتم لا تفعلون هذا بعبيدكم، فكيف ترضون لي باتخاذ بشرٍ ولدا[2]؟ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

٦٢- وقوله ﷻ: **واللهُ جعلَ لَكُم من أنفُسِكُم أزواجًا..** [آية: ٧٢].

روى سعيد عن قتادة في قوله: **واللهُ جعلَ لَكُم من أنفُسِكُم أزواجًا** قال: خلق

---

(١) انظر الدر المنثور ١٢٤/٤.

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٤٢/١٤، والقرطبي ١٤١/١٠ عن ابن عباس.

حواء من ضلع آدم..

وقال غيره: **جعلَ لَكُم من أنفُسِكُم أزواجًا** أي من جنسكم.

٦٣- ثم **قال** ﷻ: **وجعلَ لَكُم من أزواجِكُم بنين وحفَدةً..** [آية: ٧٢].

روى سفيانُ الثوري، عن عاصم، عن زِر، عن عبد الله بن مسعود، قال: الحَفَدةُ: الأختانُ.

وروى سفيانُ بنُ عُيينة عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: الحَفَدةُ: الأصهارُ.

وروى شعبة عن زر قال: سألني ابنُ مسعودٍ عن الحَفَدة، فقلت: هم الأعوانُ، قال: هم الأختانُ[(1)].

وقال علْقمة وأبو الضحى: الحَفَدةُ: الأختانُ[(2)].

وقال إبراهيم[(3)]: الحَفَدةُ: الأصهارُ.

قال أبو جعفر: وقد اختُلِف في الأختان والأصهار، فقال محمد بنُ الحسن، الخَتَنُ: الزوجُ ومن كان من ذوي رحِمه، والصهرُ: من كان من قِبل المرأة، نحو أبيها وعمتها وخالها.

وقال ابن الأعرابي ضد هذا في الأختان والأصهار.

وقال الأصمعي: الخَتَنُ: من كان قِبل المرأة مثل أبيها وأخيها وما أشبههما، والأصهار منهما جميعا، يقال: أصهر فلانٌ إلى بني فلانٍ وصاهر.

وقولُ عبد الله بن مسعود: همُ الأختانُ، يحتمل المعنيين جميعا.

يجوز أن يكون أراد أبا المرأة، وما أشبهه من أقربائها.

ويجوز أن يكون أراد: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تُزوجو م، فيكون لكم بسببهن أختانٌ.

---

(١) ابن كثير ٥٠٦/٤.

(٢) الأختان: جمع ختن وهم أهل الزوجة وأقار ا.

(٣) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، النخعي، أبو عمران، من مذحج إلى من من أهل الكوفة، ومن كبار التابعين، أدرك بعض متأخري الصحابة، ومن كبار الفقهاء، قال عنه الصفدي: فقيه العراق. أخذ عنه حماد بن أبي سليمان، وسماك بن حرب، وغيرهما، مات سنة ٩٦ هـ. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٧٠/١؛ والأعلام للزركلي ١٧٩/١، وطبقات ابن سعد ١٨٨/٦-١٩٩، وتقريب التهذيب ٤٦/١.

وقد قيل في الآية غير هذا.

قال عكرمة: الحَفَدة: ولدُ الرجل من نفَعه منهم.

وقال الحسن وطاووس ومجاهد: الحَفَدةُ: الخَدمُ.

قال أبو جعفر: وأصلُ الحَفَدة في اللغة: الخدمة، والعمل، يقال: حفد يحفِدُ حفْدا وحفودا وحفَدانا، إذا خدم وعمل، ومنه «وإليك نسعى ونحفِدُ»: ومنه قولُ الشاعر:

حفَد الولائد حولَهن وأسلِمت ... بأكُفهن أزمـةُ الأجمـال[1]

وقول من قال: هم الخَدمُ حسن على هذا، إلا أنه يكون منقطعا مما قبله عند أبي عُبيد، ويُنوى به التقديمُ والتأخيرُ، كأنه قال: وجعلَ لكم حفَدةً، أي خدما، وجعل لكم من أزواجكم بنين.

٦٤- وقوله ﷻ: **ويعبدونَ مِن دون الله ما لا يملِك لهم رِزقًا من السماواتِ والأرض شيئًا** [آية: ٧٣].

أي: لا يملكون أن يرزقوهم شيئًا.

٦٥- ثم **قال** ﷻ: **ولا يستطِيعونَ ولا يستطِيعونَ** [آية: ٧٤].

قال الضحاك: لا تعبدوا من دونه ما لا ينفعكم، ولا يضركم، ولا يرزقكم.

٦٦- وقوله ﷻ: **ضرب الله مثَلاً عبدًا مملُوكًا لا يقْدِر على شيءٍ ومن رزقْناه مِنا رِزقًا حسنًا فهو ينفِق مِنه سِرا وجهرًا** [آية: ٧٥].

هذه الآية مشكلةٌ وفيها أقوال:

قال مجاهد والضحّاك: هذا المثلُ للهِ جل ذكره، ومن عُبِد مِن دونِه.

وقال قتادة: هذا المثل للمؤمن والكافر.

يذهب قتادةُ إلى أن العبد المملوك هو الكافرُ، لأنه لا ينتفع في الآخرة بشيءٍ من عبادته، وإلى أن معنى **ومن رزقْناه مِنا رِزقًا حسنًا**: المؤمن.

وقال بعض أهل اللغة: القولُ الأول أحسنُ، لأنه وقع بين كلامين، لا نعلم بين أهل التفسير اختلافًا - إلا من شذ منهم- أ نهما للهِ ﷻ، وهما: **فَلا تضرِبوا للهِ الأمثَالَ** وبعده: **وضرب الله مثَلاً رجلَين أحدهما أبكَم لا يقْدِر على شيءٍ وهو كَل على**

---

(١) البيت لجميل بثينة، انظر الطبري ١٤٤/١٤، والقرطبي ١٤٣/١٠ و ونسبه ابن دُريد في الجمهـرة إلى الفرزدق ١٢٣/٢، والصواب أنه لجميل.

مولاه يعني الوثن، لأنه كَل على من عنده وثِقْلٌ. والمولى: الولي.

٦٧- ثم قال ﷻ: **هلْ يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيمٍ** [آية: ٧٦].

يعني نفسه ﷻ.

وكذا قال قتادة: الله ﷻ يأمرنا بالعدل، وهو على صراط مستقيم.

والمعنى على هذا في قوله ﷻ: **ضرب الله مثلاً عبدًا مملوكًا** أنه يعني به ما عُبِد من دونه، لأنه لا يملك ضرا ولا نفْعا للهِ ﷻ، لأنه الجوادُ الرازقُ للإنسان، من حيث يعلم، ومن حيث لا يعلم.

وروي عن ابن عباس- وهذا لفظُه المروي عنه- قال: «نــزلت هذه الآيةُ **ضرب الله مثلاً عبدًا مملوكًا لا يقْدِر على شيءٍ** في «هشام بن عمرو»[1] وهو الذي ينفق منه سر وجهرا ومولاه أبو الجواب الذي كان ينهاه، وقيل: نزلت في رجلين «وضرب الله مثلاً رجلين» الأبكمُ منهما، الكل على مولاه «أسيد بن أبي العاص» والذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو «عثمان بن عفان» رحمة الله عليه، كان عثمان يكفل مولاه، فعثمان الذي ينفق بالعدل وهو على صراط مستقيم، والآخر الأبكم.

وقال الحسن: **عبدًا مملوكًا** هو الصنم.

وأولى الأقوال في هذا قول ابن عباس رواه عنه حمادُ بن سلَمة، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم، عن إبراهيم عن عكرمة، عن ابن عباس، فبين ابنُ عباس رحمه لله، أن هذه الآية نــزلت في عبدٍ بعينه، لم يكن له مالٌ، ولا يُقال في كل عبد: (لا يقدر على شيء)!! فنــزلت فيه وفي سيد كان له مال ينفق منه، وأن الآية الأخرى نــزلت في رجلٍ بعينه، لم يكن له مالٌ، وكان كَلا على مولاه، أي ابن عمه أو قريبه.

وضرب الله هذه الأمثال ليعلم أنه إله واحد، وأنه لا ينبغي أن يُشبه به غيرُه.

ولا يصح قولُ من قال: إنه صنم، لأن الصنم لا يقع عليه اسم عبد.

٦٨- وقوله ﷻ: **ولِلهِ غيب السماواتِ والأرض..** [آية: ٧٧].

أي علم ما غاب فيهما عن العباد.

ثم **قال تعالى: وما أمر الساعةِ إلا كلمح البصر أو هو أقرب**

---

(١) هو: هشام بن عمرو بن الحارث، وانظر القصة في القرطبي ١٤٩/١٠.

قال قتادة: هو أن يقول ﷻ «كُن» فذلك كلمح البصر، أو هو أقرب.

وقال غيره: المعنى: أو هو أقربُ عندكم، ولم يُرد أ ا على هذا القرب، وإنما أراد أن يُعرفنا قدرته.

٦٩- وقوله ﷻ: **ألم يروا إلى الطير مسخراتٍ في جو السماءِ** [آية: ٧٩].

الجو: الهواءُ البعيد، وأبعدُ منه السكاكُ، الواحدةُ سُكاكة[1].

٧٠- وقوله ﷻ: **واللهُ جعلَ لكُم من بيوتكُم سكَنًا** [آية: ٨٠].

أي موضعا تسكنون فيه.

٧١- ثم **قال** ﷻ: **وجعلَ لكُم من جلُودِ الأنعامِ بيوتًا** [آية: ٨٠].

يعني بيوت الأدمِ وما أشبهها، والأنعامُ: الإبلُ، والبقر، والغنمُ.

٧٢- ثم **قال تعالى: تستخِفونها يوم ظَعنِكُم ويوم إقَامتِكُم** [آية: ٨٠].

أي يخف عليكم حملُها، في سفركم وإقامتكُم.

٧٣- ثم **قال تعالى: ومِن أصوافِها وأوبارِها وأشعارِها أثاثًا ومتاعًا إلى حِينٍ** [آية: ٨٠].

فالأصواف للضأن، والأوبارُ للإبل، والأشعارُ للمعز.

قال قتادة: الأثاث: المالُ.

وقال الضحاك: الأثاث: المالُ والزينةُ.

والأثاثُ عند أهل اللغة: متاع البيت نحو الفُرُشِ، والأكسية، وقد أث يئث أثا: إذ صار ذا أثاث، قال أبو زيد: واحد الأثاث أثاثةٌ.

ثم **قال تعالى: ومتاعًا إلى حِينٍ**.

روى معمر عن قتادة: إلى أجلٍ وبُلْغةٍ.

٧٤- وقوله ﷻ: **واللهُ جعلَ لكُم مما خلَق ظِلالاً** [آية: ٨١].

يعني ظلالَ الشجرِ، واللهُ أعلم.

٧٥- ثم **قال تعالى: وجعلَ لكُم من الجِبال أكْنانًا** [آية: ٨١].

أي ما يُكِنكُم، الواحدُ كِن.

٧٦- ثم **قال تعالى: وجعلَ لكُم سرابِيلَ تقيكُم الحر** [آية: ٨١].

---

(١) السكاك، والسكاكة: الهواء بين السماء والأرض.

روى معمر عن قتادة قال: يعني قُمُص الكُتان.

٧٧- ثم قال تعالى: وسرابيلَ تقيكُم بأسكُم [آية: ٨١].

قال قتادة: يعني الدروع.

وروى عثمان بن عطاء عن أبيه قال: إنما خوطبوا بما يعرفون، قال ﷻ: **وجعلَ لكُم من الجِبال أكْناَنا** وما جعل لهم من السهل أكثرُ وأعظم، ولكنهم كانوا أصحاب جبال **وجعلَ لكُم سرابيلَ تقيكُم الحر** وما يقي البرد أكثر، ولكنهم أصحابُ حر.

وقال الفراءُ «يحيى بنُ زيادٍ»: المعنى: تقيكم الحر، وتقيكم البرد، ثم حذف، كما قال الشاعر:

فما أدري إذا يممت وجهًا أريد الخَير أيهما يلينــي[1]

والمعنى: أي الخير والشر، لأنه إذا أراد الخير اتقى الشر.

٧٨- ثم قال تعالى: كذَلك يتم نعمته عليكُم لعلكُم تسلِمونَ [آية: ٨١].

رُوي عن ابن عباس **لعلكُم تسلَمونَ**[2] وقال: أي من الجراحات، وإسناده ضعيف، رواه عباد بن العوام عن حنظلة، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس.

وظاهرُ القرآن يدل على الإسلام، لأنه عدد النعم، ثم قال **لعلكُم تسلِمونَ** .

٧٩- ثم قال ﷻ: فإن تولوا فإنما عليك البلاغُ المبين يعرفُونَ نعمت الله ثم ينكِرونها [آية: ٨٢- ٨٣].

روى سفيانُ عن السُدي قال: يعني محمدا ﷺ.

قال أبو جعفر: وهذا القول حسن، والمعنى: يعرفون أن أمر النبي ﷺ حق ثم ينكرونه.

وروى ورقاء، عن ابن نجيح، عن مجاهد، قال: يعني المساكن، والأنعام وما يُرزقون منها، والسرابيلَ من الحديدِ والثياب، أنعم الله بذلك عليهم، فلم يشكروا، وقالوا: إنما كان لآبائنا وورثناها عنهم.

٨٠- وقوله ﷻ: ويوم نبعثُ من كُل أمةٍ شهيدًا.. [آية: ٨٤].

---

(١) البيت للمثقب العبدي، وهو في ديوانه ص ٢١٢.

(٢) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر الطبري ١٥٦/١٤.

يُروى أن نبي كل أمةٍ شاهد عليها[1].

٨١- وقوله ﷻ: **فَأَلْقَوا إِلَيهِم الْقَولَ إِنكُم لَكَاذِبونَ** [آية: ٨٦].

أي جحدتم آلهتهم كما قال تعالى: **سيكْفُرونَ بِعِبادَتِهم ويكُونونَ علَيهم ضِدا** [مريم: ٨٢].

٨٢- ثم قال ﷻ: **وأَلْقَوا إِلَى الله يومئِذٍ السلَم وضل عنهم ما كَانوا يفْترونَ** [آية: ٨٧].

روى سعيدٌ عن قتادة قال: استسلموا وذُلوا **وضل عنهم ما كَانوا يفْترونَ** أي يشركون.

٨٣- وقوله ﷻ **الذِين كَفَروا وصدوا عن سبِيل الله زِدناهم عذَابا فَوق الْعذَابِ** [آية: ٨٨].

روى مسروقٌ عن عبد الله[2] قال: زيدوا عقارب أنيابُها كالنخلِ الطوال.

٨٤- وقوله ﷻ **ونزلْنا علَيك الْكِتاب تِبيانًا لكُل شيءٍ** [آية: ٨٩].

روى أبانُ بن تغلب، عن مجاهد قال: تبيانا للحلال من الحرام.

٨٥- وقوله تعالى: ولاَ تنقُضوا الأَيمانَ بعد توكِيدِها [آية: ٩١].

قال مجاهد: يعني تغليظ اليمين.

٨٦- وقوله ﷻ : **ولاَ تكُونوا كَالَّتِي نقَضت غَزلَها مِن بعدِ قُوةٍ أَنكَاثًا تتخِذُونَ أَيمانكُم دخلاً بينكُم أَن تكُونَ أُمةٌ** [آية: ٩٢].

هذه آيةٌ مشكلةٌ تحتاج إلى تدبر.

قال قتادة: الدخلُ: الخيانةُ[3].

وقال غيره: المعنى : لا تحلفوا أو تؤكدوا عليكم الأيمان، ثم تحنثوا، فتكونوا كامرأةٍ غَزلت غَزلاً، فأبرمتُه وأحكمتُه، ثم نقضته[4].

والأنكاثُ: ما نُقِض من الخز والوبر وغيرهما، لُيغزل ثانية، ومنه قليل: ناكثٌ.

---

(١) انظر الطبري ١٥٩/١٤، وزاد المسير ٤٧٩/٤.
(٢) يعني: عبد الله بن مسعود ﵁.
(٣) انظر جامع البيان ١٦٧/١٤.
(٤) انظر زاد المسير ٤٨٥/٤.

وروي في **التفسير** أن امرأة يقال لها: ربطةُ ابنة سعد، كانت تغزل بمغزل كبير، فإذا أبرمته وأتقنته أمرت جار ا فنقضته[1].

قال الضحاك في **قوله تعالى: أن تكُونَ أُمةٌ هِي أربى مِن أُمةٍ** أي أكثر، قال: فأمروا بوفاء العهد، وإن كانوا كثيرا.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: كانوا يحالفون القوم ويعاهدو م، فإذا علموا أن غيرهم أكثر منهم وأقوى، نقضوا عهدهم، وحالفوا غيرهم، فنهاهم جل ذكره عن ذلك.

والمعنى عند أهل اللغة: لأن تكون أمة وبأن تكون أمةٌ هي أربى من أُمة، أي هي أغنى وأكثر. أي لا تعاهدوا قوما، فإذا أمنوا نقضتم العهد، ليكون أصحابكم أغنى وأقوى.

٨٧- وقوله ﷻ : من عمِلَ صالِحًا من ذكَرٍ أو أُنثَى وهو مؤمِنٌ فلَنحيِينه حياةً طَيبةً ولَنجزِينهم أجرهم بِأحسن ما كَانوا يعملُونَ [آية: ٩٧].

رُوي عن ابن عباس أنه قال: الحياةُ الطيبة: الرزقُ الحلال، ثم يصير إلى الله، فيجزيه أجرهُ بأحسن ما كان يعمل.

وروي عن ابن عباس -رواه الحَكَمُ عن عكرمةَ عنه- أنه قال: الحياة الطيبةُ: القناعة.

وروى ابن كثير عن سعيد بن جبير في قوله تعالى : **فلَنحيِينه حياةً طَيبةً** قال: في الآخرة يُحييه حياةً طيبةً.

وروى عوفٌ عن الحسن: ليس لأحدٍ حياة طيبةٌ إلا في الجنة.

٨٨- وقوله ﷻ : فَإِذَا قَرأت الْقُرآنَ فَاستعِذْ بِاللهِ مِن الشيطَانِ الرجِيمِ [آية: ٩٨].

المعنى: إذا أردت أن تقرأ، وهذا كما تقول: إذا أكلت فقل: بسم الله، ومثلُه في كتاب الله ﷻ : **يا أيها الذِين آمنوا إِذَا قُمتم إِلَى الصلاةِ [المائدة: ٦]**.

٨٩- وقوله ﷻ : إِنما سلْطَانه علَى الذِين يتولونه والذِين هم بِهِ مشركُونَ [آية: ١٠٠].

روى ابنُ نجيح عن مجاهد قال: **سلْطَانه** حجتُه، قال: **والذِين هم بِهِ مشركُونَ** : يعدِلُونه برب العالمين.

(١) انظر جامع البيان ١٦٦/١٤، والقرطبي ١٧١/١٠.

وقال غير مجاهد: لو كان المعنى على أ م أشركوا بالشيطان، لكانوا مؤمنين، ولكن المعنى: والذين هم من أجله مشركون، كما تقول: صار فلانٌ بك عالمًا، أي من أجلك.

٩٠- وقوله ﷻ: **وإذَا بدلْنا آيةً مكَانَ آيةٍ** [آية: ١٠١].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: رفعناها، وجعلنا موضعها غيرها.

وقال غيره: أي نسخنا آية بآيةٍ هي أشدُ عليهم منها **قَالُوا إِنما أنت مفْترٍ** أي كاذب، فقال ﷻ: **إِنما يفْترِي الْكَذِب الذِين لاَ يؤمِنونَ بِآياتِ الله** أي الذين إذا رأوا آية، لا يأتي ا إلا نبي، كذبوا ا، فهؤلاء أكذبُ الكاذبين.

٩١- وقوله ﷻ: **ولَقَد نعلَم أنهم يقُولُونَ إِنما يعلمه بشرٌ لسانُ الذِي يلْحِدونَ إِلَيهِ أعجمِي وهذَا لِسانٌ عربِي مبِينٌ** [آية: ١٠٣].

روى سفيانُ عن حبيبٍ بنِ أبي ثابت عن عكرمة قال: هو غلام لبني عامرِ بنِ لُؤي، ُيقال -أُرى- له: يعيشُ.

وروى علي بن الحَكَم عن الضحاك قال: هو «سلمانُ الفارسي» رحمه الله.

وروى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد هو «عبد الله بن الحضري» وهو رومي، كان ُيحسِنُ الكتابة.

قال أبو عبيد: وقال غير مجاهد: اسمُه «جبر»[1].

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال ليست بمتناقضة، لأنه يجوز أن يكونوا أومأوا إلى هؤلاء جميعا، وزعموا أ م ُيعلمونه، وأصل الإلحاد في اللغة: المَيلُ.

٩٢- وقوله ﷻ: **من كَفَر بِاللهِ مِن بعدِ إيمانِهِ إِلا من أكْرِه وقَلْبه مطْمئِن بِالإِيمان** [آية: ١٠٦].

أهلُ التفسير أن هذه الآية نـزلت في «عمار بن ياسر» رحمهُ الله، لأنه قارب بعض ما ندبوه إليه.

٩٣- ثم **قال تعالى: ولَكِن من شرح بِالْكُفْرِ صدرًا فَعلَيهِم غَضبٌ من الله** [آية: ١٠٦]. أي من فَتح صدره لقبوله.

٩٤- وقوله ﷻ: **ثُم إِن ربك لِلذِين هاجروا مِن بعدِ ما فُتِنوا ثُم جاهدوا وصبروا** [آية: ١١٠].

---

(١) انظر الطبري ١٧٨/١٤، وابن كثير ٥٢٣/٤، والدر المنثور ١٣١/٤.

هذا كله في عمار، والمعنى: وصبروا على الجهاد.

٩٥- وقوله ﷻ : **يوم تأتي كُل نفْسٍ تجادِلُ عن نفْسِها..** [آية: ١١١].

يُروى أن كعبا قال لعمر بنِ الخطابِ رحمه الله: تزفر جهنم يوم القيامة زفرةً، فلا يبقى ملَك مقرب، ولا نبي مُرسلٌ، إلا جثَا على ركبتيه، يقول: يا رب نفسي، حتى إن إبراهيم خليلُ الرحمن، ليجثو على ركبتيه، ويقول: لا أسألك إلا نفسي، ثم قال كعب: إن هذا لفي كتاب الله، وتلا : **يوم تأتي كُل نفْسٍ تجادِلُ عن نفْسِها** [1].

وقال غيره: يدل على هذا: **يوم يفِر المرءُ مِن أخِيهِ وأمِهِ وأبِيهِ** [عبس: ٣٤- ٣٥].

٩٦- وقوله ﷻ : **وضرب الله مثَلاً قَريةً كانت آمِنةً مطْمئِنةً** [آية: ١١٢].

روى معمر عن قتادة قال: هي مكة.

وقال غيره: كان أهلُها في أمنٍ ودعةٍ، ثم ابتلاهم الله بالقتل والجوع سبع سنين، قال تعالى : **فَأذَاقَها الله لِباس الْجوعِ والْخوفِ** وأصلُ الذوق بالفم، ثم استعمل للابتلاء وللاختيار.

٩٧- وقوله ﷻ : **فَمن اضطُر غَير باغٍ ولاَ عادٍ** [آية: ١١٥].

قال أبو جعفر: قد ذكرناه في سورة البقرة.

وروي عن ابن عباس أنه قال: من أكل الميتة وهو غير مضطر إليها، فهو باغٍ عادٍ.

روي عن سعيد بن جبير ومجاهد أ ما قالا إذا أخاف السبيل، وقطع الطريق، لم تحلل له الميتةُ. هذا معنى قولهما.

٩٨- وقوله ﷻ : **ولاَ تقُولُوا لِما تصِف ألْسِنتكُم الْكَذِب هذَا حلاَلٌ وهذَا حرامٌ** [آية: ١١٦].

قال مجاهد: يعني البحائر، والسيب[2].

٩٩- وقوله ﷻ: **وعلَى الذِين هادوا حرمنا ما قَصصنا علَيك مِن قَبلُ** [آية:١١٨].

قال قتادة: هو قوله تعالى: **وعلَى الذِين هادوا حرمنا كُل ذِي ظُفُرٍ** [الأنعام: ١٤٦].

١٠٠- وقوله ﷻ : **إِن إبراهِيم كَانَ أُمةً قَانِتًا لِلهِ** [آية: ١٢٠].

روى الشعبي عن مسروق قال: تلا عبد الله بن مسعود رحمه الله **إِن إبراهِيم**

---

(١) انظر القرطبي ١٩٣/١٠.

(٢) انظر القرطبي ١٩٦/١٠.

كَانَ أُمةً قَانِتًا لِلهِ فقال: إن «معاذ بن جبل» كان أمةً قانتا للهِ، أتدرون ما الأُمة؟ هو الذي يُعلم الناس الخير، أتدرون ما القانت؟ هو المطيعُ.

قال أبو جعفر: لم يُقل في هذه الآية أحسن من هذا، لأنه إذا كان يُعلم الناس الخير فهو يُؤتم به، وهذا مذهب أبي عبيدة، والكسائي.

القنوت: القيام، فقيل: للمطيع قانت لقيامه بطاعة الله. وروى أبو يحيى عن مجاهد **إن إبراهِيم كَانَ أُمةً قَانِتًا لِلهِ** قال: كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار، وقال بعض أهل اللغة: يقوي هذا حديث النبي ﷺ أنه ذكر زيد بن عمرو بن نفيل، فقال: كان أمة وحده.

وقوله: **وآتيناه فِي الدنيا حسنةً** قال مجاهد: لسان صدق.

١٠١- وقوله ﷻ: **إنما جعِلَ السبت على الذِين اختلفُوا فِيهِ** [آية: ١٢٤].

روى سعيد بن جبيرٍ عن قتادةَ قال: أحلهُ بعضُهم، وحرمه بعضُهم.

وقال مجاهد: تركوا الجُمُعة، واختاروا السبت.

١٠٢- وقوله ﷻ: **ادع إلى سبِيل ربك بِالْحِكْمةِ والْموعِظَةِ الْحسنةِ وجادِلْهم بِالتِي هِي أحسن..** [آية: ١٢٥].

وجادِلْهم بِالتِي هِي أحسن هي منسوخة.

١٠٣- وقوله ﷻ: **وإنْ عاقَبتم فَعاقِبوا بِمِثْل ما عوقِبتم بِهِ..** [آية: ١٢٦].

قال قتادة: لما مثلوا بحمزةَ ﵁، قالوا: لنمثِلن بهم، فأنزل الله ﷻ هذه الآية.

وروى علي بن الحَكَم عن الضحاكِ قال: نزلت هذه الآيةُ قبل القِتالِ، قَبل سورةِ براءة.

قال أبو جعفر: وهذا القولُ أولى، وقد قال زيدُ بنُ أسلَم نحوه.

قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، أُذِنَ لهُ في جهادِ المشركين، والغِلظَةِ عليهم.

ويدلك على أن هذا نزل بمكة، قولُه تعالَى: **ولاَ تك فِي ضيق مما يمكُرونَ** وأكثرُ مكرِهم، وحزنِهِ ﷺ عليهم كان بمكة.

فأما حديثُ أبي هريرةَ، وابنِ عباسٍ «**لما قُتِل** حمزةُ **-رحمةُ الله عليهِ- قال النبي** ﷺ**: لأَمثِلن بسبعين منهم، فنزلت: وإنْ عاقَبتم فَعاقِبوا بِمِثْل ما عوقِبتم بِهِ** فإسنادهما ضعيف»(١).

---

(١) لوجود «صالح بن بشير المري»، فإنه ضعيف عند الأئمة، وقال البخاري: هو منكر الحديث. والحديث أخرجه أحمد في المسند ١٣٥/٥.

١٠٤ - وقوله جل اسمه: **﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾** [آية: ١٢٨].

روي عن الحسن أنه قال: اتقُوا الله ﷻ فيما حرم عليكم، وأحسنوا في أداءِ فرائضه.

"انتهت سورة النحل"

۞ ۞ ۞

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سُورة الإسراء وَهي مكية

١- من ذلك قولُه تعالى جده: سبحانَ الذِي أسرى بِعبدِهِ ليلاً.. [آية: ١].

يروى أن النبي ﷺ سئل عن معنى **سبحانَ** فقال: إنـزاه الله من السوء[1].

وفي بعض الحديث: براءةُ الله من السوء.

قال سيبويه: وغيره معناه: براءةُ الله من السوء، وأنشد:

أقُولُ لما جاءني فَخره سبحانَ من علْقَمةَ الفَاخِرِ[2]

وروى معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر عن النبي ﷺ قال: «**قمت** في **الحِجرِ** لما **كذبني قومي، ليلةَ أسري** بي، **فأثنيت على ربي، وسألته أن يمثل** لي **(بيت المقدس) فرفع** لي، **فجعلت أنعت لهم آياتِهِ**»[3].

وروى سفيانُ عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه عن أبي ذَر قال: «**قلت يا رسولَ الله: أي مسجدٍ وضِع أولُ؟ فقال: المسجد الحرام، قلت: أي؟ قال:** ثم **المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة،** ثم **قال: أينما أدركتك الصلاةُ فصل فهو مسجد**»[4].

(١) الحديث رواه القرطبي ٢٠٤/١٠ عن طلحة ابن عبيد الله الفياض أنه سأل النبي ﷺ عـن معـنى «سبحان الله» فقال: «تنـزيه الله من كل سوء»، وأخرجه ابن جرير ٢/١٥ عن موسى بن طلحـة عن النبي ﷺ، ورواه السيوطي في الدر ١٣٦/٤ عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن قولـه تعالى: سبحان الذي أسرى قال: تنـزيه الله تعالى الذي أسرى بمحمد ﷺ.. الحديث.

(٢) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ٩٤.

(٣) الحديث رواه البخاري في التفسير ١٠٤/٦، ومسلم برقم ١٧٠ في الإيمان، والترمذي في التفسـير برقم ٣١٣٢ وقال: حديث حسن صحيح، ولفظ البخاري: «لما كذبتني قريش قمت في الحِجـر، فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه».

(٤) الحديث رواه مسلم في كتاب المساجد رقم ٥٢٠، عن أبي ذر الغفاري بلفظ «أي مسجدٍ وضِع في الأرض أولُ»؟ وأحمد في المسند ١٥٠/٥ و ١٦٦، بلفظ «ثم حيثما أدركت الصلاة فصل فكلهـا مسجد».

٢- وقوله ﷻ: من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله [آية: ١].

من المسجد الحرام يعني مكة **إلى المسجد الأقصى** يعني البيت المقدس **الذي باركنا حوله** قيل: فجر حوله الأنهار، وأنبت الثمار.

٣- ثم قال ﷻ: لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير [آية: ١].

لنريه من آياتنا ما رأى من الأنبياء وآثارهم.

٤- وقوله ﷻ: وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل [آية: ٢].

أي دللناهم به على الهُدى.

٥- ثم قال ﷻ: ألا تتخذوا من دوني وكيلاً [آية: ٢].

ويقرأ **أن لا تتخذوا** على إضمار، بمعنى: وعهدنا إليهم.

وروى ورقاء عن ابن أبي نجيح. **ألا تتخذوا من دوني وكيلاً** قال: شريكًا.

قال أبو جعفر: وذلك معروف في اللغة أن يقال لكل من قام مقام آخر في أي شيء كان: هو شريكه.

وقال الفراء: ألا تتخذوا من دوني وكيلاً أي كافيا.

٦- وقوله ﷻ: ذُريةَ من حملنا مع نوح.. [آية: ٣].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد أنه قال: على النداء، أي ذُريةَ من حملنا.

قال أبو جعفر: «أي» حرف نداء مثل «يا».

وروى سفيانُ عن حميد عن مجاهد أنه قرأ **ذَريةَ** بفتح الذال، وتشديد الراء والياء.

وروي عن زيد بن ثابت ذِريةَ بكسر الذال، وتشديد الراء والياء.

فأما عامر بن عبد الواحد، فحكى أن زيدا قرأ **ذِريةَ** بفتح الذال وتشديد الراء والياء.

٧- ثم قال ﷻ: إنه كانَ عبدا شكورا [آية: ٣].

روى معمر عن قتادة قال: كان إذا لبس ثوبا قال: «بسم الله» وإذا نـزعه قال: «الحمد لله».

وروى معمر عن منصور عن إبراهيم قال: شكره أنه إذا أكل قال: بسم الله، فإذا فرغ من الأكل قال: الحمد لله.

٨- وقوله ﷻ: **وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب..** [آية: ٤].

قال سفيان: أي على بني إسرائيل.

قال ابن عباس: **قضينا** : أعلمنا.

٩- وقوله ﷻ: **فإذا جاء وعد أولاهما..** [آية: ٥].

أي أولى المرتين.

بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد [آية: ٥].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: جاءوا من ناحية فارس أول مرة، ومعهم «بختنصر» فهزمهم بنو إسرائيل، ثم رجعوا في الثانية فقتلوا بني إسرائيل، ودمروهم تدميرا.

وقال قتادة: بعث عليهم في أول مرة «جالوت» وفي الثانية «بختنصر»

١٠- ثم **قال** ﷻ : **فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولاً** [آية: ٥].

روى معاويةُ بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: **فجاسوا** : مشوا.

قال أبو جعفر: المعروف عند أهل اللغة أنه يقال: جسنا دور بني فلانٍ، وحِسناها: إذا قهروهم وغلبوهم.

١١- وقوله ﷻ: **ثم رددنا لكم الكرة عليهم** أي الدولة **وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا** [آية: ٦].

يجوز أن يكون **نفيرا** بمعنى نافر، مثلُ قديرٍ، وقادر.

ويجوز أن يكون جمع نفْرٍ، مثلُ عبيدٍ، وكليبٍ، ومعيزٍ، وأصلُه من ينفر مع الرجل من عشيرته وأصحابه.

١٢- وقوله ﷻ: **فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم** [آية: ٧].

فإذا جاء وعد الآخرة أي من المرتين **ليسوءوا وجوهكم** .

روى زائدة عن الأعمش قال: الله ليسوءَ وجوهكم.

وقال غيره: ليسوءَ الوعد وجوهكم.

ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ **لنسوءَ وجوهكم** بالنون، وهي قراءة الكسائي[1]، وفي الكلام حذف، والمعنى: فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم لنسوء وجوهكم.

(١) هذه من القراءات السبع، قال ابن مجاهد: اختلفوا في قوله تعالى: ليسوءوا وجوهكم فقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ليسوءوا بالياء جماع -أي على الجمع- وقرأ ابن عامر وحمزة =

وروي عن أُبي بن كعب أنه قرأ **﴿فإذا جاءَ وعد الآخرةِ لنسوءنْ وجوهكُم﴾**[(1)] بالنون الخفيفة، واللام المفتوحة، والوقف عليه لنسوءَا مثل: لنسفَعا، وهو على غير حذفٍ.

ومن قرأ **﴿ليسوءُوا﴾** فالمعنى عنده للعباد، وفيه حذف.

١٣- وقوله ﷻ: **﴿وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾** [آية: ٧].

قال ابن جريج: ليدمروا تدميرا، كذا قال ابن عباس.

قال أبو جعفر: وكذلك هو في اللغة يقال: تبر الشيءَ: إذا كسره، ومنه التبر.

١٤- وقوله ﷻ: **﴿وإنْ عدتم عدنا..﴾** [آية: ٨].

روى مبارك عن الحسن قال: «إن عدتم إلى المعصية، عدنا إلى العقوبة».

١٥- وقوله ﷻ: **﴿وجعلْنا جهنم للكافرين حصِيرا﴾** [آية: ٨].

قال مجاهد: أي يحصرون فيها.

وقال الحسن: فراشا ومعادا.

وروى معمر عن قتادة: قال: محبسا.

قال أبو جعفر: ومعروف في اللغة أن يقال: حصرت الرجل أي حبسته، ويقال للموضع الذي يحبس فيه: «حصِير» ويقال: أحصره المرض، والأصلُ فيه واحد.

١٦- وقوله ﷻ: **﴿إن هذَا القُرآنَ يهدِي للتِي هِي أقْوم..﴾** [آية: ٩].

المعنى: يهدي للحال التي هي أقوم والحالُ التي هي أقوم: توحيد الله، واتباع رسله، والعملُ بطاعته.

١٧- وقوله ﷻ: **﴿ويدع الإنسانُ بالشر دعاءَه بالخير وكانَ الإنسانُ عجولاً﴾** [آية: ١١].

روى معمر عن قتادة قال: يدعو الإنسان على نفسه، بما لو استجيب له لَهلَك، ويدعو على ولده وماله.

ثم قال تعالى: **﴿وكانَ الإنسانُ عجولاً﴾ قيل:** يعجل بالدعاءِ على نفسه، ولا يعجلُ الله بالإجابة.

=
﴿ليسوء﴾ بالياء على واحد، وقرأ الكسائي ﴿لنسوء﴾ بالنون. انظر السبعة ص٣٧٨.

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ١٥/٢.

وروي عن سلمان[1] أنه قال: أولُ ما خلق الله من آدم رأسه، فأقبلَ ينظر إلى سائره يخلَق، فلما دنا المساءُ قال: رب عجلْ قبل الليل، فقال الله: **وكانَ الإنسانُ عجولاً** .

١٨- وقوله ﷻ: **وجعلْنا الليلَ والنهار آيتين..** [آية: ١٢].

الآيةُ في اللغة: الدلالةُ والعلامةُ، أي جعلناهما دالين على أن خالقهما ليس كمِثِله شيء، ودالين على عددِ السنين والحساب.

١٩- ثم قال ﷻ: **فَمحونا آيةَ الليل وجعلْنا آيةَ النهارِ مبصِرةً..** [آية: ١٢].

روى هشيم عن حصين عن عكرمة عن ابن عباس **فَمحونا آيةَ الليل** قال: هو السواد ترونه في القمر.

ويروى أن ابن الكواء[2] سأل «علي بن أبي طالب» عن السواد الذي في القمر، فقال: لو سألت عما ينفعك في دنياك وآخرتك!! ذاك أن الله يقول: **وجعلْنا الليلَ والنهار آيتين..** إلى آخر الآية، فآيةُ النهار: الشمس، وآيةُ الليل: القمر، وصحوه: السواد الذي فيه.

٢٠- وقوله جل ثناؤه : وجعلْنا آيةَ النهارِ مبصِرةً.. . [**آية :** ١٢]

روى الحسن عن قتادة قال: منيرةً.

قال أبو جعفر: وهذا مذهب الفراء، فقد قال **مبصِرةً..** بمعنى: مضيئة.

وقال غيره: هذا على التشبيه أي ذات إبصار، أي يبصرون ا.

٢١- وقوله ﷻ: **وكُلَ إنسانٍ ألْزمناه طائِره ِفي عنقِهِ..** [آية: ١٣].

روى منصور، وابن أبي نجيح، وابن جريج، عن مجاهد قال: عملُه.

وقال الضحاك: رزقُه، وأجلُه، وشقاؤه، وسعادته.

---

(١) ذكر ابن كثير في تفسيره ٦٤/٥: «ذكر سلمان الفارسي، وابن عباس، قصة آدم عليه السلام، حين هـم بالنهوض قائما قبل أن تصل الروح إلى رجليه، وذلك أنه جاءته النفخةُ من قِبَـلَ رأسـه، فلمـا وصلت إلى دماغه عطس، فقال الحمد لله، فقال الله: رحمك ربك يا آدم، فلما وصلت إلى عينـه فتحهما فلما سرت إلى أعضائه وجسده، جعل ينظر إليه ويعجبه، فهم بالنهوض قبل أن تصل إلى رجليه فلم يستطع، فقال يا رب عجلْ قبل الليل»، وانظر جامع البيان ٤٨/١٥.

(٢) هو عبد الله بن الكواء الخارجي من زعماء الخوارج، قال البخاري: لم يصح حديثه، وانظر ترجمته في لسان الميزان ٣٢٩/٣.

وروى ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال: **طائره** : ما قُدر عليه، يكون معه حيثما كان، ويزول معه أينما زال.

وقيل: **طائره** : حظه.

قال أبو جعفر: والمعاني متقاربةٌ، إنما هو ما يطير من خيرٍ أو شر، على التمثيل، كما تقول: هذا في عنقِ فلانٍ، أي يلْزمه كما تلْزم القلادة.

٢٢- ثم قال ﷻ: **ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا** [آية: ١٣].

روى جرير بن حازم، عن حميد عن مجاهد أنه قرأ **ويخرج له يوم القيامة كتابا** قال: يريد يعني: ويخرج له الطائر كتابا أي عمله كتابا[١].

وروي عن مجاهد **ويخرج** وكذلك قرأ أبو جعفر «يزيد بن القعقاع»[٢].

وقرأ الحسن: ويخرج له يوم القيامة كتابا، بفتح الياء أيضا[٣].

ورويت هذه القراءةُ عن ابن عباس، فإنه قال: سيحول عملُه كتابا[٤].

وقرأ الحسن **يلقاه** بضم الياء، وتشديد القاف[٥].

٢٣- وقوله ﷻ: **وما كُنا معذبين حتى نبعثَ رسولاً** [آية: ١٥].

روى معمر عن بن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال: إذا كان يوم القيامة، جمع الله أهلَ الفَترةِ، والمعتوه، والأصم، والأبكم، والأخرس، والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام، فأرسلَ إليهم رسولاً أن ادخلوا النار، فيقولون: كيف ولم يأتنا رسول؟ قال: ولو دخلُوها لكانت عليهم بردا وسلاما- فيرسِلُ الله عليهم رسولاً، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه، ثم قرأ أبو هريرة **وما كُنا معذبين حتى نبعثَ رسولاً** .

وقال غيره: يوم القيامةِ ليس بيومِ تعبدٍ ولا محنة، فيرسلُ إلى أحدٍ رسولٌ، ولكن معنى الآية: وما كنا معذبين أحدا في الدنيا بالإهلاك، حتى نبعثَ رسولاً.

(١-٤) قال ابن الجزري: قرأ أبو جعفر ويخرج بالياء وضمها وفتح الراء، وقرأ يعقوب بالياء وفتحها وضم الراء ويخرج وقرأ الباقون بالنون وضمها وكسر الراء ونخرج واتفقوا على نصب كتابا وهو منصوب على الحال أي ويخرج الطائر كتابا، فتتفق القراءتان في التوجيه على الصحيح الفصيح، انظر النشر في القراءات العشر ٣٠٦/٢.

(٥) قال ابن مجاهد: هذه قراءة ابن عامر وحده يلقاه وهي من القراءات السبع، انظر السبعة ص ٣٧٨.

٢٤- وقوله ﷻ : **وإذَا أردنا أن نهلِك قَريةً أمرنا مترفيها فَفَسقُوا فِيها** [آية: ١٦].

يقرأ هذا الحرف على وجوهٍ:

روي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ **أمرنا** بالقصر والتخفيف(١)، وكذلك يروى عن ابن عباس.

وروي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قرأ **أمرنا مترفيها** (٢) وكذلك قرأ أبو عثمان النهدي، وأبو العالية.

وقرأ الحسن، والأعرج، وابن أبي إسحاق **آمرنا مترفيها** (٣).

وروي **أمِرنا مترفيها** على «فَعِلْنا» عن ابن عباس هذه القراءة أيضا(٤).

قال أبو جعفر: من قرأ **أمرنا مترفيها** ففي قراءته ثلاثة أقوال:

أحدها: وأثبتها ما قاله ابن جريج - وزعم أنه قول ابن عباس - وهو أن المعنى: أمرناهم بالطاعة ففسقوا.

قال محمد بن يزيد: قد عِلم أن الله ﷻ لا يأمر إلا بالعدل والإحسان، كما قال تعالى: **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** [النحل: ٩٠] فقد عِلم أن المعنى: أمرنا مترفيها بالطاعة، فعصوا.

قال مجاهد: (مترفوها): فُساقُها.

وقال أبو العالية: مستكبروها.

والمعنى: أمرناهم بالطاعة، والفاسق إذا أمر بالطاعة عصى، فعصوا، فحق عليهم القولُ بالعصيان، أي وجب.

والقولُ الثاني: في معنى **أمرنا** :

قال معمر عن قتادة قال: **أمرنا** : أكثَرنا.

قال الكسائي: يجوز أن يكون «أمرنا» بمعنى «أمرنا» من الإمارة، وأنكر أن يكون «أمرنا» بمعنى أكثَرنا، وقال: لا يقال في هذا إلا آمرنا.

قال أبو جعفر: وهذا القولُ الثالث- أعني قول الكسائي- ينكره أهلُ اللغة.

(١-٤) قال ابن مجاهد: لم يختلفوا في قوله تعالى أَمِرنا مترفيها أ ا خفيفة الميم، إلا ما روى خارجة عن نافع آمرنا ممدودة مثل آمنا، وقرأ أبو عمرو أمرنا بالتشديد، انظر السبعة ص ٣٧٩، وأما قراءة «أَمِرنا» بكسر الميم، فقد عدها ابن جني من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ١٦/٢.

وقد حكى أبو زيد وأبو عبيدة أنه يقال: «أمرنا» بمعنى أكثرنا.

ويقوي ذلك الحديث المرفوع: «**خير المال سِكةٌ مأبورةٌ، ومهرةٌ مأمورة**»[1].

والسكةُ المأبورةُ: النخلُ المُلَقح، والمُهرةُ المأمورةُ: الكثيرةُ النتاج.

فأما معنى **أمرنا** ففيه قولان:

أحدهما: رواه معاويةُ بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: **أمرنا** : سلطْنا. وكذلك قال أبو عثمان النهدِي.

وروى وكيع عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بنِ أنس، عن أبي العالية أنه قرأ **أمرنا** مثَقلة، أي سلطْنا مستكبريها.

والقولُ الثاني: رواه الكسائي عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بنِ أنس عن أبي العالية **أمرنا** أي أكثرنا.

وليس ببعيدٍ ما رواه الكسائي، ويكون مثل: سمِن الدابةُ، وسمنته، وأسمنته.

قال أبو جعفر: وهذا أولى، قال ﷻ: **فَفَسقُوا فِيها** فوصف أ م جماعة، والقريةُ الواحدة لا توصف إن فيها جماعة أمراء.

إن قيل: يكون واحدا، فقد قيل: وهذا: خصوص، والهلاك بالكثرة، فتكثر المعاصي.

فأما معنى: «ءآمرنا» فأكثرنا كذلك.

قال الحسن: ويحتمل معنى «آمرنا» أكثرنا عددهم، وأكثرنا يسارهم، وحقيقةُ أَمِر: كثُرت أملاكُه من مال، أو غير ذلك من حاله، ومنه **لَقَد جِئْت شيئًا إمرا** [الكهف: ٧١].

قال الكسائي: عظيما.

وقال هارون في قراءةِ أبي **وإذَا أردنا أن نهلِك قَريةً أمرنا مترفيها فَمكروا فِيها فَحق عليْها القَولُ** [2].

فأما معنى «آمرنا» فلا يكاد يعرف، لأنه إنما يقالُ: أَمِر القوم: إذا كثُروا، وآمرهم الله أي أكْثرهم، ولا يعرف «أَمِرهم الله».

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٦٨/٣ عن سويد بن هبيرة بلفظ: «خير مال المرء لـه، مهـرةٌ مأمورة، أو سِكةَ مأبورة». والمأمورة: كثيرة النسل، والسكة: الطريقة المصطفة من النخل، والمأبورة من التأبير أي التلقيح.

(٢) هذه من القراءات الشاذة.

٢٥- وقوله ﷻ: من كانَ يريد العاجِلةَ عجلْنا له فِيها ما نشاءُ [آية: ١٨].
العاجِلةُ أي الدنيا **عجلْنا له فِيها ما نشاءُ** وتقرأ «ما يشاءُ».
قال أبو جعفر: والمعنيان واحد، أي ما شاءَ الله.
ويجوز أن يكون لـ «من».
٢٦- وقوله ﷻ : **ثُم جعلْنا له جهنم يصلاها مذْموما مدحورا** [آية: ١٨].
أي مباعدا. يقال: دحره، يدحره، دحرا، ودحورا: إذا أبعده.
ثم أخبر تعالى أنه يرزق المؤمن والكافر ، فقال: **كُلا نمِد هؤلاءِ وهؤلاءِ مِن عطاءِ ربك** .
٢٧- وقوله ﷻ : **وقَضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه..** [آية: ٢٣].
روى مبارك عن الحسن قال: **قَضى** : أمر ألا تعبدوا إلا إياه.
وروى سفيان عن الأعمش قال: قرأ عبد الله بن مسعود: **ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه** [(١)].
٢٨- ثم **قال تعالى : وبالوالدين إحساناً** [آية: ٢٣].
أى وأمر أن تحسنوا بالوالدين إحساناً.
٢٩- وقوله ﷻ **: فلا تقل لهما أف** [آية: ٢٣].
روي عن مجاهد أنه قال: لا تستقذِرهما كما كانا لا يستقذرانك.
والمعنى عن أهل اللغة: لا تستثِقلْهما، ولا تغِلظ عليهما في القول، والناس يقولون لمّا يستثقِلُونه «أف له».
وأصلُ هذا أن الإنسان إذا وقع عليه الغبار، أو شيءٌ يتأذى به نفَخة فقال: أُف.
وقيل: إن «أف»: وسخ الأظفار، وإن "التف" الشيءُ الحقير، نحو وسخ الأذن، والقولُ الأولُ أعرف.
٣٠- ثم **قال** ﷻ : **ولا تنهرهما** أي لا تكلمهما بصياحٍ، ولا بضجر.
يقال: نهره، وانتهره، بمعنى واحدٍ.
وبين هذا بقوله : **وقُل لهما قَولاً كَرِيما** [آية: ٢٣].

---

(١) هذه من القراءات الشاذة، انظر البحر المحيط ٢٥/٦.

٣١- وقوله ﷻ: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة..﴾ [آية: ٢٤].

قرأ سعيد بن جبير، ويحيى بن وثاب، وعاصم الجحدري ﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**﴾ بكسر الذال[1].

ومعنى الضم: كن لهما بمنـزلة الذليل المقهور، إكراما، وإعظاما، وتبجيلاً.

وروى هشام بن عروةَ عن أبيه - وبعضهم يقول عن عائشة: ﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**﴾ هو أن يطيعهما، ولا يمتنع من شيء أراداه.

وقال عطاء: لا ترفع يدك عليهما.

وقال سعيد بن المسيب: هو قولُ العبد المذنبِ، للسيدِ الفظ الغليظ.

ويقال: ذل، يذِل، ذُلا، وذِلةً، ومذَلةً، فهو ذال.. وذليلٌ.

ومعنى الذل بالكسر: السمح عنهما يقال: رجلٌ ذليلٌ بين الذل: إذا كان سمحا ليّنا مواتيا.

وكذلك يقال: دابةٌ ذَلُولٌ: بين الذل، إذا كان مواتيا، ومنه ﴿**وذُلِّلت قُطُوفُها تذْليلاً**﴾ [الإنسان: ١٤].

٣٢- وقوله ﷻ: ﴿ربكُم أعلم بما في نفُوسكُم إن تكُونوا صالحين فإنه كانَ للأوابين غفُورا﴾ [آية: ٢٥].

روى شعبةُ عن أبي بشرٍ عن سعيدِ بنِ جبير قال: الأوابون: الراجعون إلى الخير.

كما في قوله تعالى: ﴿**إنه أواب**﴾ [ص: ١٧].

قال أبو جعفر: قُرئ على الفِريابي عن قتيبةَ قال: حدثنا ابن لَهيعة[2]، عن أبي هبيرةَ، عن حنشِ بنِ عبد الله، عن ابن عباس أنه قال: الأواب: الحفيظُ، الذي إذا ذَكَر خطاياه استغفر منها.

وروى سفيانُ، عن منصورٍ عن مجاهد، عن عبيد بنِ عمير في قوله تعالى: ﴿**إنه كانَ للأوابين غفُورا**﴾ قال: هم الذين يذكرون ذنوبهم في الخلا، ثم يستغفرون الله.

---

(١) قال ابن جني: الذلُ في الدابة ضد الصعوبة، والذُل للإنسان، وهو ضد العِز، وهذه من القـراءات الشاذة، انظر المحتسب ١٨/٢.

(٢) هو عبد الله بن لَهيعة ابن عقبة الحضرمي، أبو عبد الرحمن المصري، صدوق، من السابعة، خلـط بعد احتراق كتبه، مات سنة ١٧٤ هـ، انظر تهذيب التهذيب ٣٧٣/٥.

وروى يحيى بن سعيدٍ، عن سعيدِ بنِ المسيب **الأواب** : الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال متقاربة، والأصلُ في هذا أنه يقال: آب، يئوب: إذا رجع، فهو آيب، و«أواب» على التكثير.

٣٣- وقوله ﷻ: **وآتِ ذَا الْقُربى حقه** [آية: ٢٦].

قال عكرمةُ: أي صِلَته التي تريد أن تصِلَه ا.

٣٤- ثم **قال تعالى : والْمِسكِين وابن السبِيل ولا تبذر تبذِيرا** [آية: ٢٦].

روى حصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: التبذير النفقةُ في غير طاعة الله.

وكذلك روي عن عبد الله بن مسعود: **إِن الْمبذرين كانوا إِخوانَ الشياطِين** .

معنى «إخوانَ الشياطين» أي في المعصية.

لما عصوا وعصا أولئك، جمعتهم المعصيةُ، فسموا إخوانا، وكلما جمعت شيئًا إلى شيء، فقد آخيت بينهما، ومنه إخاءُ النبي لله بين أصحابه.

٣٥- وقوله ﷻ: **وإما تعرضن عنهم ابتِغاءَ رحمةٍ من ربك ترجوها فَقُل لهم قَولا ميسورا** [آية: ٢٨].

قال قتادة: أي عِدهم.

وقال عكرمة: إن أعرضت عنهم لرزقٍ تنتظره، فعِدهم، وقل لهم: سيكون، فإذا جاءنا شيء أعطيناكم.

وقال الحسن: قَولا ميسورا أي لينا.

والمعنى عند أهل اللغة: يسر فقرهم عليهم، بدعائك لهم.

٣٦- ثم **قال** ﷻ: **ولاَ تجعلْ يدك مغلُولةً إِلى عنقِك ولاَ تبسطْها كُل الْبسطِ فَتقْعد ملُوما محسورا** [آية: ٢٩].

قال قتادة: **ولاَ تجعلْ يدك مغلُولةً إِلى عنقِك** أي لا تمتنع من النفقة في الطاعة **ولاَ تبسطْها كُل الْبسطِ** أي لا تنفق في معصية.

فَتقْعد ملُوما محسورا قال عكرمة وقتادة: أي نادما.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد **فَتقْعد ملُوما** قال: مذنباً أو آثماً **محسورا** قد انقُطِع بك.

قال أبو جعفر: وكذلك المحسور في اللغة، يقال: حسره السفَر، إذا انقطع به،

وكذلك البعير حسير، ومحسور: إذا انقطع ووقف، وهو أشد من الكلال.

٣٧- وقوله ﷻ: **﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾..** [آية: ٣١].

الإملاق: الفقر، وكانوا يئدون بناتهم.

٣٨- وقوله ﷻ: **﴿إن قتلهم كان خطئًا كبيرا﴾** [آية: ٣١].

بكسر الخاء، والمد.

وروي عن الحسن: «كانَ خطاءً» بفتح الخاء، والمد.

قال أبو جعفر: وأعرف هذه القراءاتِ عند أهل اللغةِ **﴿كانَ خِطئًا كبيرا﴾**[1].

قال ابن جريج -وزعم أنه قولُ ابنِ عباسٍ- وهو قولُ مجاهد: الخِطْأُ: الخطيئةُ.

قال أبو جعفر: وهذا المعروف في اللغة، يقال: خطِئَ، يخطأ، خِطأً: إذا أَثِم وتعمد الذنب، وقد حكي في المصدر خطْأً.

وأخطأ، يخطِئُ، إخطاءً، والاسم الخَطَأ: إذا لم يتعمد الذنب.

فأما قراءة من قرأ «كان خِطَاء»[2] بالكسر والمد، والفتح والمد، فلا يعرف في اللغة، ولا في كلام العرب.

٣٩- وقوله ﷻ: **﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾..** [آية: ٣٣].

بين هذا الحديث «**لا يحل دم امرئٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث خِلال: شرك بعد إيمان، أو زنىً بعد إحصان، أو قتلُ نفسٍ بغير نفس**»[3].

٤٠- ثم قال ﷻ: **﴿ومن قُتِلَ مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا﴾..** [آية: ٣٣].

اختلف المتقدمونَ من العلماء في «السلطان» الذي جعِلَ للولي؟

فروى خصيف عن مجاهد قال: حجته التي جعِلت له، أن يقْتلَ قاتِله.

(١) قرأ ابن كثير ﴿كان خِطَاءً﴾ وقرأ ابن عامر ﴿كان خطَأً﴾ بغير مدّ، وقرأ الجمهور ﴿كانَ خِطْـأً﴾ بكسر الخاء مع القصر، انظر السبعة ص٣٨٠.

(٢) هذه قراءة ابن كثير.

(٣) الحديث رواه البخاري في الديات ٦/٩، ومسلم في القسامة برقم ١٦٧٦، وأبو داود في الحدود برقم ٤٣٥٢، والترمذي في الديات برقم ١٤٠٢، والنسائي ٩٠/٧، ولفظ البخاري ومسلم: (لا يحل دم امرئٍ مسلم -يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسولُ الله- إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة.

وذهب جماعةٌ من العلماءِ، إلى أن هذا هو السلطانُ الذي جعل له، وأنه ليس له أن يأخذ الدية، إلا أن يشاءَ القاتِلُ.

وقال الضحاك في السلطان الذي جعِل له: إن شاء قَتل، وإن شاء أخذَ الديةَ، وإن شاءَ عفا.

والقولُ عند أهل المدينة وأهل الكوفة، قولُ مجاهد: إن السلطان هاهنا القَود خاصةً، لا ما سواه.

وذهب الشافعي رحمه الله إلى قول الضحاك، غير أنه قال: كان يستحق إذا عفا أخذَ الدية، اشترط ذلك أو لم يشترطه، والحجةُ له

فَمن عفِي له مِن أخِيهِ شيءٌ [البقرة: ١٧٨].

والحديثُ: «**ولي المقتول بأحدِ النظَرين**»(١).

٤١- ثم **قال** ﷻ: **فَلا يسرف فِي الْقَتل..** [آية: ٣٣].

روى خصيف عن مجاهد قال: لا يقتلْ غير قاتِله.

وروى منصور عن طَلْق بن حبيبٍ قال: لا تقتل غير قاتلك، ولا تمثلْ به.

وروى خصيف عن سعيد بن جبير قال: لا يقتل اثنين بواحد.

وروى علي بن الحكَم عن الضحاك قال: لا يقتل أبا القاتِل ولا ابنه.

وقرأ حذيفة فَلا تسرف فِي الْقَتل (٢) بالتاء.

وروى العلاءُ بن عبدِ الكريم عن مجاهد قال: هو للقاتِل الأول.

والمعنى عنده على هذا: فلا تسرف أيها القاتلُ.

٤٢- ثم **قال** ﷻ: **إنه كَانَ منصورا** [آية: ٣٣].

روى ابن كثير عن مجاهد قال: «إن المقتول كان منصورا، ومعنى قولِهِ: أن الله نصره بوليه».

---

(١) الحديث رواه البخاري في الديات ٦/٩، باب من قتل له قتيلٌ فهو بخير النظـرين، والنسـائي في القسامة ٣٧/٨.

(٢) هذه قراءة حمزة والكسائي وابن عامر فلا تسرف في القتل بالتاء، وقرأ الباقون بالياء مجزومـا فلا يسرف في القتل ، انظر السبعة ص ٣٨٠، والنشر ٣٠٧/٢، وأما قراءة فـلا يسـرف بالرفع، فقد عدها ابن جني من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢٠/٢.

وروي أنه في قراءة أُبي **فَلا تسرِفُ فِي الْقَتلِ** [١] إن ولي المقتول كان منصورا.

قال أبو جعفر: الأبين بالياء، وتكون وتكونُ للولي، لأنه إنما يقال: "لا يسرِف" لمن كان له أن يقْتلَ، فهذا للولي.

وقد يجوز بالتاء، ويكونُ للولي أيضا، إلا أنه يحتاج فيه إلى تحويل المخاطبة.

٤٣- وقوله ﷻ: **ولاَ تقْربوا مالَ الْيتيمِ إلا بِالتِي هِي أحسن..** [آية: ٣٤].

قال محمد: سألت عبيدة عن قوله تعالى: **ومن كَانَ فَقِيرا فَلْيأكُلْ بِالْمعروفِ** [النساء: ٦].

فقال: يستقرِض ، فإذا استغنى رد ، ثم تلاَ **فَإِذَا دفَعتم إلِيهم أموالَهم فَأشهدوا علَيهم** .

وقال أبو العالية نحوا من هذا.

وقال عمر بن الخطاب- رحمةُ الله عليه- ما يقوي هذا.

حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد النحوي» قال : حدثنا الحسن بن غُلَيبٍ قال: نا يوسف بن عدِي، قال: نا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن يرفَا- مولى عمر- قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: يا يرفا إني أنزلت مالَ الله مني بمنزلةِ مال اليتيم، إذا احتجت أخذت منه، فإذا أيسرت رددته، وإني إن استغنيت استعففْت عنه، فإني قد وليت من أمرِ المسلمين أمرا عظيما.

وقال سعيد بن المسيب: لا يشرب الماءُ من مالِ اليتيم، قال فقلت له: إن الله يقول: **ومن كَانَ فَقِيرا فَلْيأكُلْ بِالْمعروفِ**

قال فقال : إنما ذلك لخدمتِه، وغَسل ثوبه[٢].

وروى أبو يحيى، ولَيثٌ، عن مجاهد قال: لا تقرب مال اليتيم إلا للتجارة، ولا تستقرض.. قال: فأما قولُه تعالى **ومن كَانَ فَقِيرا فَلْيأكُلْ بِالْمعروفِ** فإنما معناه: فليأكل من مالِهِ بالمعروف، يعني من مال نفسه[٣].

وقال بهذا جماعةٌ من الفقهاء، وأهل النظر، حتى قال أبو يوسف: لعل قوله: **ومن**

(١) هذه قراءة شاذة، محمولة على التفسير.

(٢) انظر جامع البيان ٤/ ٢٥٧.

(٣) انظر جامع البيان ٢٥٩/٤، وابن كثير ١٩٠/٢.

كانَ غَنِيا فَلْيستعفِف ومن كانَ فَقِيرا فَلْيأكُلْ بِالمعروفِ منسوخ بقوله: **يا أيها الذِين آمنوا لا تأكُلُوا أموالَكُم بينكُم بِالْباطِل** [النساء: ٢٩].

٤٤- ** ثم **قال ﷻ: **حتى يبلُغَ أشده..** [آية: ٣٤].

وبيانُ هذا في قوله: **حتى إذا بلغوا النكاح** .

قال مجاهد: أي الحُلُم.

٤٥- وقوله ﷻ: **وأوفُوا الكَيلَ إذَا كِلْتم وزِنوا بِالقِسطَاس المستقِيم..** [آية: ٣٥].

روى ابن جريج عن مجاهد قال: القِسطَاس: العدلُ.

وقال الضحاك: هو الميزانُ.

٤٦- ** ثم **قال تعالى: ذَلِك خير وأحسن تأوِيلاً [آية: ٣٥].

قال قتادة: أي أحسن عاقبةً.

أي ما يئول إليه الأمر، في الدنيا والآخرة.

وقيل: أحسن من النقصان.

٤٧- وقوله ﷻ: **ولا تقْف ما لَيس لَك بِهِ عِلْم** [آية: ٣٦].

روي عن ابن عباس قال: لا تقُلْ ما ليس لك به علم **إن السمع والبصر والفُؤاد كُل أولَئِك كانَ عنه مسؤولاً** قال:: يسأل أكانَ ذاك أم لا؟

وقال ابن الحنفية- رحمةُ الله عليه-: هذا في شهادة الزور.

وروى حجاج عن ابن جريجٍ، عن مجاهد قال: **لا تقْف** لا ترم.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوالُ ترجع على معنى واحدٍ، وهو من قَفَوت الشيءَ: أي اتبعتُ أثَره، والمعنى: لا تتبعن لسانك ما لم تعلَمه، فتتكلم بالحَدسِ والظن.

وحكَى الكِسائي: ولا تقْف من القيافة، وهو بمعنى الأول، على القلب.

٤٨- وقوله ﷻ: **ولا تمش فِي الأرض مرحا..** [آية: ٣٧].

أي متكبرا، متبذخا.

٤٩- ** ثم **قال ﷻ: **إنك لَن تخرق الأرض ولَن تبلُغَ الجِبالَ طُولاً** [آية: ٣٧].

فيه لأهل اللغة قولان:

أحدهما: أن المعنى: إنك لن تنقب الأرض.

والآخر: لن تقطعها كلها.

قال أبو جعفر: وهذا أبين، كأنه مأخوذٌ من الخَرق، وهو الصحراء الواسعةُ.

ويقال: فلانٌ أخرق من فُلانٍ، أي أكثر سفَرا، وغَزوا منه.

٥٠- وقولُه ﷻ: **كُل ذَلِك كَانَ سيئُه عِند ربك مكْروها** [آية: ٣٨].

ويقرأ **سيئَه عِند ربك مكْروها** [1].

وقيل: الأول أبين، لأنه قد تقدم قوله **وآتِ ذَا الْقُربى حقه** وأشياءُ حسنةٌ وسيئةٌ، فقال: **كُل ذَلِك كَانَ سيئُه عِند ربك مكْروها** .

وأيضا فإنه لم يقل: مكروهةً.

٥١- ثم قال ﷻ: **ذَلِك مِما أُوحى إِلَيك ربك مِن الْحِكْمةِ ولاَ تجعلْ مع الله إِلَها آخر فَتلْقَى فِي جهنم ملُوما مدحورا** [آية: ٣٩].

أي مقْصى مباعدا، ومنه «اللهم ادحر عنا الشيطانَ».

٥٢- ثم قال ﷻ: **أَفَأَصفَاكُم ربكُم بِالْبنِين واتخذَ مِن الْملاَئِكَةِ إِناثًا..** [آية: ٤٠]. لأ م قالوا: الملائكةُ بنات الله.. تعالى الله.

٥٣- وقولُه ﷻ: **قُل لو كَانَ معه آلِهةٌ كَما يقُولُونَ إِذًا لابتغوا إِلَى ذِي الْعرش سبِيلاً** [آية: ٤٢]. قال قتادة: المعنى: إذًا لتقربوا إلى الله .

وقال سعيد بن ُ بير: إذًا لطلبوا إليه طريقًا للوصول، ليزيلوا ملكه ﷻ.

٥٤- وقولُه ﷻ : **وإِن من شيءٍ إِلا يسبح بِحمدِهِ ولَكِن لا تفْقَهونَ تسبِيحهم..** [آية: ٤٤].

قيل: تسبيحه: دلالته على قدرةِ الله، وأنه خالقُه.

وأكثر أهل التفسير منهم عكرمة على أن المعنى: وإنْ من شيءٍ فيه الروح إلا يسبح بحمدِهِ.

قال أبو جعفر: وهذا القول أولى لأنه قال: **ولَكِن لا تفْقَهونَ تسبِيحهم** .

٥٥- وقولُه ﷻ: **وإِذَا قَرأت الْقُرآنَ جعلْنا بينك وبين الَّذِين لا يؤمِنونَ بِالآخِرةِ حِجابا مستورا** [آية: ٤٥].

فيه قولان:

---

(١) هذه قراءة ابن كثير، ونافع، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٣٨٠، وقرأ عاصم، وابـن عـامر، وحمزة، والكسائي سيئُه بالإضافة.

أحدهما: أن الحجاب الطبع على قلو م، ودل على هذا **وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه** .

والقول الآخر: أن الحجاب منع الله إياه منهم.

٥٦- ثم قال ﷻ: **وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا** [آية: ٤٦].

قال أبو الجوزاء(١): الذِّكْر قولُ: «لا إله إلا الله».

٥٧- ثم قال تعالى: نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى [آية: ٤٧].

أي ذوو نجوة أي سِرارٍ. ثم بين ما يتناجون به فقال جل ثناؤه: **إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحورا** .

في معناه قولان:

قال مجاهد: أي مخدوعا.

وقال أبو عبيدة: أي له سحر، والسحر والسحر: الرئةُ.

والمعنى عنده: «إنْ تتبعونَ إلا بشراً» أي ليس بملَكٍ.

قال أبو جعفر: والقولُ الأول أنسب بالمعنى، وأعرف في كلام العرب، لأنه يقال: ما فلانٌ إلا مسحور أي مخدوع كما قال تعالى: **إني لأظنك يا موسى مسحورا** [آية: ١٠١]. أي مخدوعا: قال الشعر:

أرانا موضِعين لحتم غَيبٍ ونسحر بالطعامِ وبالشرابِ(٢)

أي نعللُ ـم فكأنما نخدع، ويبينه قولُه تعالى: **انظر كيف ضربوا لك الأمثالَ** !!

وقال في موضعٍ آخر **ولقد نعلم أنهم يقولونَ إنما يعلمه بشر** [النحل: ١٠٣].

٥٨- وقوله ﷻ: **وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا..** [آية: ٤٩].

قال مجاهد: أي ترابا. وهو قول الفراء(٣).

(١) هو أوس بن عبد الله الربعي، البصري، تابعي ثقة، كان عابدا فاضـلا، قتـل سـنة ٨٣ في الجماجم، انظر ترجمته في ـذيب التهذيب ٣٨٣/١.

(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ٩٧.

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٤٤/٥.

وقال أبو عبيدة والكسائي: يقال منه: رفت رفْتاً أي حطم.

٥٩- ثم **قال** ﷻ: **أإنا لمبعوثُونَ خلْقًا جدِيدا** ؟ [آية: ٤٩].

أي مجددا.

٦٠- ثم **قال** ﷻ: **قُلْ كُونوا حِجارةً أو حدِيدا** [آية: ٥٠].

قال مجاهد: أي ما شئتم، فستعادونَ.

قال أبو جعفر: وهذا قولٌ حسن، لأ م لا يستطيعون أن يكونوا حجارةً، وإنما المعنى أ م قد أقروا بخالقهم، وأنكروا البعث، فقيل لهم: استشعروا أن تكونوا ما شئتم، فلو كنتم حجارةً أو حديدا، لبعثتم أولَ مرة.

٦١- ثم **قال** ﷻ: **أو خلْقًا مما يكْبر فِي صدورِكُم..** [آية: ٥٠].

أي يعظم.

قال ابن عمر ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك في قوله تعالى: **أو خلْقًا مما يكْبر فِي صدورِكُم** : هو الموت.

وفي الحديث: «**أنه يؤتى بالموتِ يوم القيامةِ،** في **صورةِ كَبشٍ أملَح، فيذْبح** بين **الجنةِ والنارِ**»[1].

٦٢- **وقوله** ﷻ: **فَسينغِضونَ إليك رؤوسهم ويقُولُونَ متى هو** [آية: ٥١].

أي يحركو ا من فوق إلى أسفلَ، ومن أسفلَ إلى فوق، كما يفعل المتعجب، المُستبطِئُ للشيء.

يقال: أنغض رأسه فنغض، ينغض، وينغِض، وينغض: أي تحرك.

٦٣- **وقوله** ﷻ: **يوم يدعوكُم فَتستجِيبونَ بِحمدِهِ..** [آية: ٥٢].

قال سفيان: أي بأمره.

والمعنى عند أهل التفسير: مقِرين أنه خالقكم.

(١) الحديث رواه البخاري في التفسير ١١٧/٦، والترمذي ٦٩٢/٤ وقال: هـذا حـديث حسـن صحيح، ولفظُ البخاري: «يؤتي بالموتِ كهيئة كبشٍ أملح فينادي منادٍ: يا أهل الجنة، فيشـرئبون -أي يمدون أعناقهم- وينظرون، فيقول: تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت» وكلهم قد رآه، ثم ينادى يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا المـوت وكلهم قد رآه، فيذْبح ثم يقول: يا أهل الجنة: هل خلود فلا موت، ويا أهل النـار خلـود فـلا موت»، ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة، إذ قُضي الأمر وهم في غفلة لا يؤمنون .

٦٤- وقوله ﷻ: **وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطانَ ينـزغُ بينهم..** [آية: ٥٣]. أي يفسد ويهيج.

٦٥- وقوله ﷻ: **أولئك الذين يدعونَ يبتغونَ إلى ربهم الوسيلةَ** [آية: ٥٧].

وقرأ عبد الله بن مسعود: أولئك الذين تدعونَ يبتغونَ إلى ربهم الوسيلةَ .

قال: «**هؤلاء من العرب، عبدوا أناسا من الجن، فأسلم الجنيون ولم يعلم الذين عبدوهم**».

وروى شعبةُ عن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: **أولئك الذين يدعونَ يبتغونَ إلى ربهم الوسيلةَ** قال: عيسى: وعزير.

وقيل: الملائكةُ الذين عبدوهم: قوم من العرب.

٦٦- وقوله ﷻ: **وإن من قريةٍ إلا نحن مهلكُوها قبلَ يومِ القيامةِ أو معذبوها عذابا شديدا** [آية: ٥٨].

قال مجاهد: مبيدوها أو معذبوها.

٦٧- ثم **قال** ﷻ: **كانَ ذلك في الكتابِ مسطُورا** [آية: ٥٨]

أي مكتوبا، يقال: سطَر إذا كَتب.

روي عن عبد الله بن عباس أنه قال: «أولُ ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فكتب ما هو كائن».

٦٨- وقوله ﷻ : **وما منعنا أن نرسلَ بالآياتِ إلا أن كذب بها الأولُونَ..** [آية: ٥٩].

هذه آيةٌ مشكلةٌ، وفي الكلام حذف.

والمعنى: ما منعنا أن نرسل بالآيات التي اقترحتموها، إلا أن تكذبوا ا فتهلكُوا، كما فُعِل بمن كان قبلكم.

وقد أخر الله أمر هذه الأمة إلى يوم القيامة، فقال سبحانه: **بل الساعةُ موعِدهم** [القمر: ٤٦].

٦٩- ثم **قال** ﷻ: **وآتينا ثمود الناقةَ مبصِرةً..** [آية: ٥٩].

قال مجاهد: أي آيةً[1].

---

(١) انظر الطبري ١٥/١٠٩.

والمعنى: ذات إبصار، يبصر ا، ويتبين ا صدق صالح عليه السلام.

٧٠- ثم قال ﷻ: **وما نرسلُ بالآياتِ إلا تخويفًا** [آية: ٥٩].

أي فظلموا بتكذيبهم ا.

٧١- وقوله ﷻ: **وإذْ قلْنا لكَ إن ربك أحاطَ بالناس..** [آية: ٦٠].

روى شعبةُ، عن أبي رجاء، عن الحسن قال: عصمك منهم.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: هم في قبضتِهِ.

٧٢- ثم قال ﷻ: **وما جعلْنا الرؤيا التِي أريناكَ إلا فتنةً للناس..** [آية:٦٠].

قال سعيد بن جبير ومجاهد، وعكرمةُ، والضحاك: هي الرؤيا التي رآها ليلةَ أُسرى به.

وزاد عكرمة: هي رؤيا يقظة(١).

قال سعيد بن المسيب: **إلا فتنةً للناس**: أي إلا بلاءً للناس.

٧٣- ثم قال ﷻ: **والشجرةَ الملْعونةَ في القُرآن..** [آية: ٦٠].

قال سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك: هي شجرة الزقوم.

وقال غيرهم: إنما فُتِن الناس بالرؤيا وشجرة الزقوم، أن جماعةً ارتدوا وقالوا: كيف يسرى به إلى بيت المقدس في ليلةٍ واحدة؟ وقالوا لما أنـزلَ الله: **إن شجرت الزقومِ طَعام الأثيم** [الدخان: ٤٣- ٤٤] كيف تكون في النار شجرة ولا تأكلها؟

فكان ذلك فتنةً لقوم، واستبصارا لقوم، منهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

ويقال: إنما سمي الصديق ذَلك الوقت.

فإن قال قائل: لم يذْكر في القرآن لعن هذه الشجرة؟

قال أبو جعفر: ففي ذلك جوابان:

أحدهما: أنه لقد لُعِن آكلوها.

والجواب الآخر: أن العرب تقول لكل طعامٍ ضار، مكروهٍ: ملعونٌ.

٧٤- وقوله ﷻ: **قالَ أرأيتك هذَا الذِي كَرمت علي..** [آية: ٦٢].

أي فضلْت: وفي الكلام حذف، والمعنى: أرأيتك هذا الذي فضلْت علي لمَ فضلته، وقد خلقتني من نار، وخلقته من طين؟! ثم حذف هذا لعلم السامع.

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير ١٧/٦ عن عكرمة عن ابن عباس قال: هي رؤيا عين أريهـا رسول الله ﷺ أسري، والشجرة الملعونة: شجرة الزقوم.

٧٥- ثم قال ﷻ: **لَئِن أخرتنِ إلى يومِ القِيامةِ لأحتِنكَن ذُريته إلا قَلِيلاً** [آية:٦٢].

قال أبو جعفر: أكثر أهل اللغة على أن المعنى: لأستولين عليهم ولأستأصلنهم، من قولهم: احتنك الجَراد الزرع: إذا ذهب به كلِه.

وقيل: هو من قولهم: حنك الدابةَ يحنِكُها: إذا ربطَ حبلاً في حنكِها الأسفل، وساقَها. حكى ذلك ابن السِكيت(١).

وحكي أيضا: احتنك دابته مثل حنك، فيكون المعنى: لأسوقنهم كيف شئت.

٧٦- ثم قال ﷻ: **قَالَ اذْهب فَمن تبِعك مِنهم فَإِن جهنم جزاؤكُم جزاءً موفُورا** [آية: ٦٣].

موفور، وموفر واحد، يقال: وفَرته ووفرته كما قال الشاعر:

ومنْ يجعل المَعروف من دون عِرضِهِ ... يفِره ومن لا يتقِي الشتم يشتم(٢)

---

(١) شيخ العربية, أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق بن السكيت، البغدادي النحوي المؤدب، مؤلف كتاب "إصلاح المنطق"، دين خير، حجة في العربية. أخذ عن: أبي عمرو الشيباني، وطائفة. روى عنه: أبو عكرمة الضبي، وأحمد بن فرح المفسر، وجماعة. وكان أبوه مؤدبا، فتعلم يعقوب، وبرع في النحو واللغة، وأدب أولاد الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر، ثم ارتفع محله، وأدب ولد المتوكل. وله من التصانيف نحو من عشرين كتابا. روى أبو عمر عن ثعلب، قال: ما عرفنا لابن السكيت خربة قط. وقيل: إنه أدب مع أبيه الصبيان. وروى عن الأصمعي، وأبي عبيدة، والفراء، وكتبه صحيحة نافعة. قال ثعلب: لم يكن له نفاذ في النحو، وكان يتشيع. وقال أحمد بن عبيد: شاورني يعقوب في منادمة المتوكل، فنهيته، فحمل قولي على الحسد، ولم ينته. وقيل: كان إليه المنتهى في اللغة، وأما التصريف فقد سأله المازني عن وزن "نكتل"، فقال: "نفعل" فرده. فقال: "نفتعل"، فقال: أتكون أربعة أحرف وزن خمسة أحرف؟ فوقف يعقوب. فبين المازني أن وزنه "نفتل". فقال الوزير ابن الزيات: تأخذ كل شهر ألفين ولا تدري ما وزن "نكتل"؟ فلما خرجا قال ابن السكيت للمازني: هل تدري ما صنعت بي؟ فاعتذر. ولابن السكيت شعر جيد. ويروى أن المتوكل نظر إلى ابنيه المعتز والمؤيد، فقال لابن السكيت: من أحب إليك: هما، أو الحسن والحسين؟ فقال: بل قنبر. فأمر الأتراك، فداسوا بطنه، فمات بعد يوم. وقيل: حمل ميتا في بساط. وكان في المتوكل نصب، نسأل الله العفو. مات سنة أربع وأربعين ومائتين.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه ص ٣٠.

٧٧- ثم **قال** ﷻ: **واستفزز من استطعت منهم بصوتك..** [آية: ٦٤].

أي استخِف.

قال مجاهد **بصوتك**: بالغناء والمزامير.

٧٨- ثم **قال** ﷻ: **وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد** [آية: ٦٤].

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كل خيلٍ سارت في معصية الله، وكل رجلٍ مشت في معصيةِ الله، وكل مالٍ أُصيب من حرامٍ، وكل ولَدِ غَيَّةٍ فهو للشيطان.

وقال غيره: مشاركته في الأموال هي: السائبةُ والبحِيرةُ، وفي الأولاد قولهم: عبد العزى، وعبد الحارث.

وقرأ قتادة: **وأجلب عليهم بخيلك ورجالك**[1].

٧٩- ثم **قال** ﷻ: **وعدهم وما يعدهم الشيطانُ إلا غُرورا** [آية: ٦٤].

هذا أمر فيه معنى التهدد والوعيد، كما قال تعالى: **فمن شاءَ فليؤمن ومن شاءَ فليكفر** [الكهف: ٢٩].

٨٠- **وقوله** ﷻ: **إن عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ..** [آية: ٦٥].

قيل: أي خلَصائي، كما قال تعالى **فادخلي في عبادي** [الفجر: ٢٩].

٨١- ثم **قال** ﷻ: **وكفى بربك وكيلاً** [آية: ٦٥].

أي منجيا لخلصائه من الشيطان.

والفراءُ يذهب إلى أن معنى **وكيلاً** كافٍ، وكذا قال في قوله ﷻ: **ألا تتخذوا من دوني وكيلاً**.

٨٢- ثم **قال** ﷻ: **ربكم الذي يزجي لكم الفُلك..** [آية: ٦٦].

أي يسوق.

٨٣- **وقوله** ﷻ: **أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسلَ عليكم حاصبا..** [آية: ٦٨].

الحاصب: الريح التي ترمي بالحَصباءِ وهي: الحصى الصغار.

---

(١) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب ٢٢/٢.

٨٤- وقوله ﷻ: أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارةً أخرى فيرسلَ عليكم قاصفًا من الريح.. [آية: ٦٩].

قال ابن عباس: هي التي تغرق.

قال أبو جعفر: يقال: قصفَه إذا كسره، كأ ا من شدِ ا تكسِر الشجر.

٨٥- وقوله ﷻ: فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا [آية: ٦٩].

قال مجاهد: ثائرا.

قال أبو جعفر: وهو من الثأر، وكذلك يقال لكل من طَلَب بثأرٍ أو غيره: تبيع، وتابع، ومنه قوله تعالى: **فاتباع بالمعروف** [البقرة: ١٧٨] أي مطالبةٌ.

٨٦- وقوله ﷻ: ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلاً [آية: ٧٠].

قال عبد الله بن عباس: فُضلوا بأ م يأكلون بأيديهم، والبهائم تأكل بأفواهها.

وقال غيره: فُضلوا بالفهم والتمييز، وبما سخر لهم.

٨٧- ثم **قال** ﷻ: **يوم ندعو كل أناسٍ بإمامهم..** [آية: ٧١].

روي عن ابن عباس: أي بنبيهم.

وقال الحسن والضحاك: بكتا م.

قال أبو جعفر: ويدل على هذا قوله بعد: **فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤونَ كتابهم ولا يظلمونَ فتيلاً** .

الفتيلُ: الذي يكون في شِق النواه، **والنقير:** النقْرةُ التي فيها، **والقطمير:** الفُوقَةُ التي تكون على النواة.

أي لا يظلمون مقدار هذا الحقير.

٨٨- ثم **قال** ﷻ: **ومن كانَ في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً** [آية: ٧٢].

قال عكرمة: «قال رجلٌ لعبد الله بن عباس: كيف يكون في الآخرة أعمى؟

فقال له: أخطأت التأويلَ، ألا ترى أنه ﷻ عدد النعم، ثم قال: **ومن كانَ في هذه أعمى** أي من عمي عن هذه النعم التي يراها، وتدله على قدرةِ الله، فهو فيما لم يره من أمرِ الآخرة أعمى». وكذلك قال قتادة.

وقال غيره: ومن كان في الدنيا أعمى وقد فَسح الله له في العمر، ووعده قَبولَ التوبة، ودعاه إلى الطاعة فلم يجب، وعمي عن ذلك، فهو في الآخرة- إذا كان لا تقبل منه توبةٌ ولا إنابةٌ- أعمى وأضل سبيلاً.

٨٩- ثم **قال** ﷻ: **وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك..** [آية: ٧٣].

المعنى: كادوا يفتنونك، لأن «إن» و«اللام» تدل على التوكيد.

ويروى أنهم قالوا للنبي ﷺ: اطرد عنا هؤلاء السقاط والموالي، حتى نجلس معك، ونستمع منك، فهم النبي بذلك، ميلاً منه إلى أن يؤمنوا، فعصِم ﷺ، وأنزل الله تبارك وتعالى: **وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك..** إلى قوله: **إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات**[1].

قال مالك بن دينار: سألت جابر بن زيد عن قوله: **إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات** فقال: إذًا لأذقناك ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات.

قال أبو جعفر: وكذلك معناه عند أهل اللغة، وخوطب بهذا النبي ﷺ لأن الثواب به جزل كما قال تعالى: **يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين** [الأحزاب: ٣٠] ولمشاهدة الأنبياء الملائكة، والآيات العظام، كان في ذلك الخطاب من الفائدة، أنه عِلم به أن هذا حكم الله، فيمن عصاه من الأنبياء، فكيف غيرهم؟

٩٠- ثم **قال** ﷻ: **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها..** [آية: ٧٦].

قيل: المعنى يستفزونك بالقتل.

قال عوف عن الحسن: هموا بإخراج النبي ﷺ من مكة وأراد الله بقاء أهل مكة، فأمره أن يخرج منها مهاجرا إلى المدينة فخرج بأمر الله، ولو أخرجوه لهلكوا كما قال سبحانه: **وإذًا لا يلبثون خلافك إلا قليلاً**.

قال أهل التفسير: خلافك أي بعدك.

وحكي عن العرب: جاء فلانٌ خلْف فلانٍ وخِلافه أي بعده.

---

(١) انظر زاد المسير ٥/٦٨، والدر المنثور ٤/١٩٤.

وقد يجئ «خلاف» بمعنى مخالفة.

٩١- وقوله ﷻ: **أَقِمِ الصلاةَ لِدلُوكِ الشمسِ إلى غَسقِ الليلِ..** [آية: ٧٨].

روى سفيانُ عن أبي إسحاق عن الأسود عن عبد الله قال: «دلوكُها»: غروبها.

وروى سفيانُ عن أبي منصور عن مجاهد عن ابن عباس **دلُوك الشمس** لغرو ا.

وروى الشعبي عن ابن عباس "دلوكُها": زوالهُا.

وروى الزهريُ، عن سالم، عن ابنِ عمر **دلُوك الشمس** : بعد نصف النهار، وهو وقت الظهر.

وروى ملك والليثُ، عن نافعٍ عن ابنِ عمر قال: **دلُوك الشمس** : زوالُها .

وكذلك روي عن جعفر بنِ محمد، رحمةُ الله عليه.

قال أبو جعفر: الدلوك في اللغة: الميلُ، فهي تميلُ عند الزوال، وعند الغروب، إلا أن الزوالَ في هذا أكثر على ألسنِ الناسِ.

ويدل عليه أن بعده **إلى غَسق الليل** فيدخل فيه الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاءُ وبعده **وقُرآنَ الفَجر** فلا يمتنع أن يكون غَسق الليلِ أولَه، وذلك عند غروبِ الشمسِ، قال ذلك أبو هريرة.

وهو يقوي قول من قال : الدلوك : ميلها للزوال.

قال ابن عباس: **غَسق الليل** : اجتماع الليل وظلمته.

وقال قتادة: أوله.

٩٢- ثم **قال** ﷻ: **وقُرآنَ الفَجرِ..** [آية: ٧٨].

فسمى الصلاةُ «قرآناً» لأ ا لا تكون إلا بالقرآن.

٩٣- ثم **قال** ﷻ: **إن قُرآنَ الفَجرِ كانَ مشهودا** [آية: ٧٨].

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «**صلاةُ الفجر تحضرها ملائكة الليل، وملائكةُ النهارِ، واقرءُوا إن شئتم» وقُرآنَ الفَجرِ إن قُرآنَ الفَجر كانَ مشهودا** »[1].

(١) الحديث رواه البخاري في التفسير ١٠٨/٦، ولفظُه: عن النبي ﷺ أنه قال: «فضلُ صلاة الجميـع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكةُ الليل وملائكةُ النهار في صلاة الصبح، يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم وقرآن الفجر، إن قرآن الفجر كان مشهودا ، وأخرجه أحمد في المسند ٤٧٤/٢، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

٩٤- وقوله ﷻ: **﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ..﴾** [آية: ٧٩].

قال علقمةُ والأسود: التهجد بعد النوم.

قال أبو جعفر: التهجد عند أهل اللغة: التيقظُ والسهر، والهُجود: النوم، يقال: هجد: إذا سهر، وهجد: إذا نام.

يروى عن مجاهد أن هذا للنبي ﷺ خِصيصا، وأن معنى ﴿**نَافِلَةً لَّكَ**﴾ للنبي خاص، لأنه قد غُفِر له ذنوبه، فهي نافلة من أجل أنه لا يعملها في كفارة الذنوب، والناس يعملون ما سوى المكتوبات لكفارات الذنوب.

وقال غيره: ﴿**نَافِلَةً لَّكَ**﴾ أي ليست بفرضٍ، لأن النفلَ كل ما لا يجب فعلُه، والنافلةُ في اللغةِ، الزيادةُ.

٩٥- ثم **قال** ﷻ: **﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾** [آية: ٧٩].

روى داود الأودي عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿**عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾ قال: «**وهو المقام الذي أشفع فيه لأمتي**»(١).

وروى معاويةُ بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : «كل عسى واجبةٌ».

قال أبو عبيدة: يعني في القرآن.

٩٦- وقوله ﷻ: **﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾** [آية: ٨٠].

قال الحسن وقتادة: «هو دخول المدينة وخروجه من مكة».

وقال الضحاك: هو خروجه من مكة، ودخولُه مكة يوم الفتح آمنا.

وقال مجاهد: هو دخولُه في الرسالة وأمرِ الله ﷻ.

٩٧- ثم **قال** ﷻ: **﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾** [آية: ٨٠].

قال الشعبي وعكرمة: أي حجة ثابتة.

وقال مجاهد: أي حجة.

---

(١) الحديث رواه البخاري في التفسير ١٠٨/٦، بلفظ: «إن الناس يصيرون يوم القيامـة جثًـا -أي جماعات- كل أمةٍ تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود».

وذهب الحَسن إلى أنه العِز والنصر، وإظهار دينه على الدين كله.

٩٨- وقولُه ﷻ: **وقُلْ جاءَ الحق وزهق الباطِلُ إن الباطِلَ كانَ زهوقًا** [آية: ٨١].

روى معمر عن قتادة قال: **الحق** القرآنُ **والباطلُ** : الشيطانُ، قال **وزهق** : هلَك.

٩٩- وقولُه ﷻ: **وننـزلُ مِن القُرآن ما هو شِفَاءٌ ورحمةٌ للمؤمِنين..** [آية: ٨٢].

ليست مِن هاهنا للتبعيض، وإنما هي لبيان الجنس.

والمعنى: وننـزلُ ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين، ثم بين فقال: **مِن القُرآن** كما قال سبحانه : **فَاجتنِبوا الرجس مِن الأوثَان** [الحج: ٣٠].

١٠٠- وقولُه ﷻ: **وإذَا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانِبِه..** [آية: ٨٣].

قال مجاهد: أي تباعد منا.

وقرأ يزيد بن القعقاع وناءَ بجانِبِه (١) الهمزة مؤخرة.

واللغةُ الأولى أعرف، وهذا على قلب الهمزة.

١٠١- ثم قال ﷻ: **وإذَا مسه الشر كانَ يئُوسا** [آية: ٨٣].

روى سعيد عن قتادة قال: يئِس: قَنِطَ.

١٠٢- وقولُه ﷻ: **قُلْ كُل يعملُ على شاكِلَتِه..** [آية: ٨٤].

قال الحسن: على نِيتِه.

وقال مجاهد: أي على حِدتِه، وعلى طبيعته .

وقال الضحاك : على ناحيته :

وهذا يرجع إلى قول الحسن ومجاهد.

وحقيقةُ المعنى- واللهُ أعلم-: كل يعملُ على النحوِ الذي جرت به عادته وطبعه!!

والمعنى: وليس ينبغي أن يكون كذلك، إنما ينبغي أن يتبع الحق حيثُ كان، وقد ظهرت البراهين، وتبين الحق.

---

(١) هذه قراءة ابن عامر من رواية ابن ذكوان، وهي من القراءات السبع المتواترة، انظر النشر ٣٠٨/٢ والسبعة في القراءات ص ٣٨٤.

قال أبو جعفر: وهذا يرجع إلى قول الحسن.

١٠٣- وقوله ﷻ: **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي..** [آية: ٨٥].

روي عن عبد الله بن مسعود قال: «كنت مع النبي ﷺ فسألته اليهود عن الروح، فسكت، فحسبت أنه يوحى إليه، فتنحيت، فأنزل عليه **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** [(١)].

يعني: اليهود، فقالوا: نجد مثله في التوراة (قل الروح من أمر ربي)!!

قال أبو جعفر: وقد تكلم العلماء في الروح:

فروى عطاءٌ عن ابن عباس قال: الروح ملك له أحد عشر ألف جناحٍ، وألف وجهٍ، يسبح الله إلى يوم القيامة».

وقال أبو صالح: الروح خلق كخلق بني آدم، وليسوا ببني آدم، لهم أيدٍ وأرجلٌ.

وقيل: الروح: جبريلُ ﵇، واحتج صاحب هذا القول بقوله سبحانه: **نزل به الروح الأمين** [الشعراء: ١٩٣].

قال محمد بن إسحاق: وزعموا أنه ناداهم- يعني النبي ﷺ- الروح جبريلُ، وكذا روي عن ابن عباسٍ والحسن.

قال ابن عباس: وجبريل قائم بين يدي الله جل ثناؤه يوم القيامة.

وقيل: هو عيسى ﷺ، أي هو من أمر الله، وليس كما يقول النصارى.

وقيل: الروح: القرآنُ لقوله تعالى: **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا** [الشورى ٥٢]!! واللهُ أعلم بما أراد، غير أنه قد أخبرنا أنه من أمر الله ﷻ.

فإن قال قائل: كيف قيل لليهود: **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** وقد أُوتوا

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير ١٠٩/٦ عن عبد الله بن مسعود، بلفظ: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث، وهو متكئٌ على عسيب- أي عصا من النخيل- إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعضٍ: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئًا، فعلمت أنه يوحي إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ورواه مسلم ٢١٥٢/٤، والترمذي برقم ٣١٤١، وقال: هذا حديثٌ حسن صحيح، وأخرجه أحمد في المسند ٢٥٥/١.

التوراة؟

فالجواب: أن قليلاً وكثيرا، إنما يعرفان بالإضافة إلى غيرهما، فإذا أُضيفت التوراةُ إلى علم الله ﷻ، كانت قليلاً من كثير، ألاَ ترى إلى قوله تعالى: **قُل لو كانَ الْبحر مِدادا لكَلِماتِ ربي لنفِد الْبحر قبلَ أَن تنفَد كَلِمات ربي ولو جِئْنا بِمِثْلِهِ مددا** [الكهف: ١٠٩].

١٠٤- وقوله ﷻ: **ولِئِن شِئْنا لَنذْهبن بِالذِي أوحينا إِليك..** [آية: ٨٦].

أي لو شئنا لأذهبناه من الصدور، والكُتبِ.

ثُم لا تجِد لك بِهِ علَينا وكِيلاً أي من يتوكلُ في رده.

قال الحسن: أي يمنعك منا إذا أردناك[1].

١٠٥- ثم قال ﷻ: **إِلا رحمةً من ربك إِن فَضلَه كَانَ علَيك كَبِيرا** [آية: ٨٧].

وهذا استثناءٌ ليس من الأول، أي لكن الله ثبته، رحمةٌ منه وتفضلاً.

١٠٦- وقوله ﷻ **قُل لَئِن اجتمعتِ الإِنس والْجِن علَى أَن يأتوا بِمِثْل هذَا الْقُرآن لا يأْتونَ بِمِثْلِهِ ولَو كَانَ بعضهم لِبعض ظَهِيرا** [آية: ٨٨].

قال الحسن: أي معِينا.

١٠٧- وقوله ﷻ: **ولَقَد صرفْنا لِلناس فِي هذَا الْقُرآن مِن كُل مثَل..** [آية: ٨٩].

أي وجهنا القول بكل مثَل، وهو من قوله: صرفت إليك كذا: أي عدلت به إليك.

١٠٨- ثم أخبر الله أنهم لما عجزوا أن يأتوا بمثله، وانقطعت حجتهم، اقترحوا الآيات، فقال ﷻ: **وقَالُوا لَن نؤمِن لَك حتى تفْجر لَنا مِن الأَرض ينبوعا..** [آية: ٩٠].

وقد أراهم الله من الآيات ما هو أكثر من هذا، من انشقاق القمر، وغير ذلك.

وقال مجاهد: ينبوع: عيونٌ.

قال أبو جعفر: وهو عند أهل اللغةِ: من نبع، ينبع، وينبع.

ومنه سمي مالُ علي بن أبي طالب ﷺ: ينبع.

١٠٩- وقوله ﷻ: **أَو تسقِطَ السماءَ كَما زعمت علَينا كِسفًا..** [آية: ٩٢].

روى معمر عن قتادة قال: **كِسفاً**: قِطَعاً؟

وحكى الفراءُ أنه سمع أعرابيا يقول: أعطني كِسفةً من هذا الثوب، أي قطْعةً.

(١) انظر جامع البيان ١٥٧/١٥.

ويقرأ: ﴿كِسفًا﴾[1] والمعنى على هذه القراءة للسماءِ كلها، أي طَبقًا.

واشتقاقُه من كسفْت الشيءَ: أي غطيته.

١١٠- ثم قال ﷻ: ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلا﴾ [آية: ٩٢].

روى معمر وسعيد عن قتادة قال: ﴿قبيلا﴾ أي عِيانا[2].

قال أبو جعفر: ذهب إلى أنه من المقابلِة.

وقال غيره: ﴿قبيلا﴾: أي كفيلاً، يقال: قَبلت به أي كَفَلت به، وتقبل فلانٌ بكذا: أي تكفل به.

١١١- ثم قال ﷻ: ﴿أو يكون لك بيت من زخرف..﴾ [آية: ٩٣].

روى مجاهد قال: كنا لا ندري ما الزخرف؟ فرأيناه في قراءة ابن مسعود "أو يكون لك بيت من ذَهبٍ".

وقال أبو جعفر: الزخرف في اللغة: الزينةُ، والذهب من الزينة.

١١٢- وقوله ﷻ: ﴿أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه﴾ [آية: ٩٣]: أي كتابا بنبوتك.

فأعلم الله أنه لو فُعِلَ م ذلك ما آمنوا، فقال تعالى: **﴿ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾** [الأنعام: ٧].

١١٣- وقوله ﷻ: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ [آية: ٩٤].

فأعلم الله أن الأعدل الأبلغ، أن يبعثَ إلى كل خلقٍ من كان من جنسه فقال: **﴿قل لو كان في الأرض ملائكةٌ يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكًا رسولا﴾** فقالوا: من يشهد لك ذا؟ فقال ﷻ: **﴿قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم﴾** [آية: ٤٣]!!

١١٤- وقوله ﷻ: ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما..﴾ [آية: ٩٧].

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**إن الذي أمشاهم على أرجلهم، قادر على أن**

---

(١) انظر النشر ٣٠٩/٢، والسبعة ص ٣٨٥، وهذه من القراءات السبع المتواترة.

(٢) انظر جامع البيان ١٦٢/١٥، والبحر المحيط ٨٠/٦، والقرطبي ٣٣١/١٠.

يمشيهم على وجوههم»[1].

قال ابن عباس: ﴿عميا﴾ لا يرون شيئًا يسرهم **﴿وبكْما﴾** لا ينطقون بحجة **﴿وصما﴾** لا يسمعون ما يسرون به.

١١٥- ثم **قال** ﷻ: **﴿مأواهم جهنم كُلما خبت زِدناهم سعِيرا﴾** [آية: ٩٧].

قال مجاهد: ﴿كُلما خبت﴾: أي كلما طُفِئت أُوقِدت.

وقال الضحاك: كلما سكنت.

قال أبو جعفر: يقالُ: خبتِ النار: إذا سكَن لَهبها، فإن سكن لهبها وعاد الجمر رمادا قيل: كَبت، فإن طُفِئَ بعض الجَمر، وسكَن اللهب قيل: خمدت، فإن طُفِئت كلها قيل: همدت، تهمُد، هموداً.

ومعنى ﴿زِدناهم سعِيرا﴾: زدناهم نارا تسعر أي تلتهب.

١١٦- وقوله ﷻ: **﴿قُل لو أنتم تملِكُونَ خزائِن رحمةِ ربي إِذًا لأمسكْتم خشيةَ الإنفَاق﴾..** [آية: ١٠٠].

روى حجاج عن ابنِ جريجٍ قال: **﴿الإنفَاق﴾** الفقر عن ابن عباس.

وروى معمر عن قتادةَ قال: الإنفاق: الفقر.

وحكى أهل اللغة: أنفَق، وأصرم، وأعدم، وأقْتر: إذا قل مالُه.

١١٧- ثم **قال** ﷻ: **﴿وكَانَ الإنسانُ قَتورا﴾** [آية: ١٠٠].

روى حجاج عن ابنِ جريجٍ قال: **﴿قَتورا﴾**: بخيلاً عن ابن عباس.

١١٨- وقوله ﷻ: **﴿ولَقَد آتينا موسى تِسع آياتٍ بيناتٍ﴾** [آية: ١٠١].

روى شعبة عن عمرِو بن مرة، عن عبد الله بن سلَمةَ، عن صفوان بنِ عسال أن يهوديا قال لصاحبه: تعالَ حتى نسألَ هذا النبي ﷺ!! فقال له الآخر: لا تقل له النبي، فإنه إن سمعها صارت له أربعةُ أعين، قال: فاتاه فسأله عن هذه الآية **﴿ولَقَد آتينا موسى تِسع آياتٍ بيناتٍ﴾** فقال: «**لا تشركوا باللهِ شيئًا، ولا تقتلوا النفس** التي **حرم الله إلا بالحق، ولا تسرفوا، ولا تزنوا، ولا تأكلوا الربا، ولا** تمشوا **ببريء** إلى **سلطان ليقتله، ولا**

(١) الحديث رواه البخاري في تفسير سورة الفرقان ١٣٧/٦، ومسلم في صفة القيامة ١٣٥/٨، وأحمد في المسند ١٦٧/٣، عن أنس بن مالك بلفظ: «قيل يا رسول الله: كيف يحشـر النـاس علـى وجوههم؟ قال: إن الذي أمشاهم على أرجلهم، قادر على أن يمشيهم على وجوههم».

تسحروا، ولا تِفِروا من الزحف، وعليكم خاصة اليهود ألا تعدوا في **السبت، قال: فقبلوا يده، وقالوا: نشهد أنك رسول الله، قال: فما يمنعكم أن تتبعوني؟ قالوا: إن داود ﷺ دعا ألا يزال** في **ذريته نبي، وإنا نخشى إذا اتبعناك أن تقتلنا اليهود**»[(١)].

وقال الحسن والشعبي، ومجاهد، والضحاك في قوله تعالى: **ولَقَد آتينا موسى تسع آياتٍ بيناتٍ** هي: «**الطوفانُ، والجراد، والقُملُ، والضفادع، والدم، والسنونَ، ونقْص من الثمرات، واليد، والعصا**». هذا معنى قولهم.

١١٩- ثم قال ﷻ: **فَاسأَلْ بني إسرائيلَ إذْ جاءَهم..** [آية: ١٠١].

روي عن ابن عباس أنه قرأ **فَسأَلْ بني إسرائيلَ** [(٢)] والمعنى على هذه القراءة: فسأل بني إسرائيل، والمعنى: فلم يرد فرعونُ ما جاءَ بِهِ موسى ﷺمن الآيات والبراهين، بأكثر من أنه أخبر أنه ظان أن موسى عليه السلام ساحر فقال : **إني لأظُنك يا موسى مسحورا** .

١٢٠- وقوله ﷻ: **قَالَ لَقَد عِلِمت ما أنزلَ هؤلاءِ إلا رب السماواتِ والأرض بصائِر..** [آية: ١٠٢].

وروي عن علي بن أبي طالب- رحمةُ الله عليه- أنه قرأ **لَقَد عِلِمت** [(٣)] بضم التاء، وقال: واللهِ ما علم فرعون، وإنما هو موسى الذي عِلِم.

قال أبو جعفر: والقُراءُ كلهم على فتح التاء، إلا الكِسائي فإنه ضمها، ولو صح الحديث عن علي رحمه الله، لم يحتج في ذلك إلى نظرٍ، وكانت القراءةُ به أولى، ولكن إنما رواه أبو إسحاق، عن رجلٍ من مراد، عن علي رحمةُ الله عليه.

وعِلْم فرعونَ بذلك أوكد في الحجةِ عليه، وقد احتج في ذلك عبد الله بن عباسٍ

(١) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣١٤٧، وقال: حسن صحيح، والنسائي في باب السحر ١١١/٧، وابن ماجه في كتاب الأدب برقم ٣٧٠٥، وأحمد في المسند ٢٣٩/٤، وابن جريـر في جامع البيان ١٧٣/١٥، والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٤/٤.

(٢) هذه القراءة من القراءات الشاذة، وليست من القراءات السبع، وقد ذكرها الطبري ١٧٣/١٥ فقال: والقراءةُ التي لا أستجيز القراءة بغيرها، هي القراءة التي عليها قُراءُ الأمصار فاسأَلْ بني إسـرائيل لإجماع الحجة من القُراء على تصويبها.

(٣) قرأ الكسائي لقد علمت بضم التاء، وقرأ الباقون لقد علمت بفتح التاء، والقراءتان سبعيتان انظر السبعة ص٣٨٥، والنشر ٣٠٩/٢.

بحجةٍ قاطعة فقال: إنما هو **لَقَد عِلِمت** كما قال تعالى: **وجحدوا بِها واستيقَنتها أنفُسهم** [النمل: ١٤].

حدثنا إبراهيم بن شريك قال: نا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: نا زهير قال: حدثنا أبو إسحاق، قال سمعت أبا عبيدة يسأل سعد بن عياض عن قوله تعالى: **لَقَد عِلِمت ما أنـزلَ هؤلاءِ** قال سعد: هو كقول الرجل لصاحبه وهو يحاوره: لقد عِلِمت.

قال زهير، قال أبو إسحاق، وحدثني رجل من مراد أنه سمع عليا يقول: واللهِ ما علم عدو الله، ولكن موسى الذي عِلِم، قال: **لَقَد عِلِمت** أنا، ثم قال **وإني لأظُنك يا فِرعونُ مثْبورا** (1).

روى المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ملعونا.

وروى ابن جريج عن مجاهد قال: هالكًا.

وروى معمر عن قتادة قال: مهلكًا.

وروى علي بن الحكم عن الضحاك قال: ملعونا.

وروى عنه جويبر قال: هالكًا.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال ترجع إلى شيءٍ واحد، لأنه حكى أهلُ اللغةِ: ما ثَبرك عن هذا؟ أي ما منعك منه، وصرفَك عنه، فالمعنى: ممنوع من الخير.

١٢١- ثم قال ﷻ: **فأراد أن يستفِزهم من الأرض..** [آية: ١٠٣].

أي يزيلهم عنها، إما بقتلٍ، أو بتنحيةٍ.

١٢٢- وقوله ﷻ: **وقُلْنا مِن بعدِهِ لِبني إسرائيلَ اسكُنوا الأرض فإذَا جاءَ وعد الآخِرةِ جِئْنا بِكُم لَفيفًا** [آية: ١٠٤].

قال مجاهد وقتادة: أي جميعا.

وروى سفيان عن منصور عن أبي رزينٍ قال: من كل قومٍ.

قال أبو جعفر: وهذا أولى عند أهل اللغة، لأنه يقال: لففت الشيءَ: إذا خلطته.

وقال الأصمعي: اللفيف جمع ليس له واحد، وهو مثلُ الجميع.

١٢٣- وقوله ﷻ: **وما أرسلْناك إلا مبشرا ونذِيرا** [آية: ١٠٥].

أي تبشر المطيعين بالجنةِ، وتنذِر العاصين بالنار.

---

(١) انظر القرطبي ٣٣٧/١٠.

١٢٤- وقوله ﷻ: **وقُرآنا فَرقْناه..** [آية: ١٠٦].

قال أبو عمروٍ رحمه الله: **فَرقْناه** : بيناه.

١٢٥- ثم **قال تعالى: ﴿لِتقْرأه على الناس على مكْثٍ..** [آية: ١٠٦].

قال مجاهد: أي على تؤدةٍ.

١٢٦- وقوله ﷻ: **﴿إذَا يتلى عليهم يخِرونَ لِلأذْقَان سجدا..** [آية: ١٠٧].

قال الحسن: أي للجباه.

وقال قتادة: أي للوجوه.

والذقن عند أهل اللغة: مجتمع اللحيين، وهو أقرب الأشياء إلى الأرض من الوجوه، إذا ابتدئ السجود.

١٢٧- ثم **قال** ﷻ: **قُل ادعوا الله أوِ ادعوا الرحمن..** [آية: ١١٠].

فيروى أ م قالوا: ندعو اثنين؟ فأعلَم الله ﷻ انه لا يدعى غيره بأسمائه فقال: **أيا ما تدعوا فَلَه الأسماءَ الْحسنى** .

١٢٨- ثم **قال** ﷻ: **ولا تجهر ِبصلاِتك ولا تخاِفت ِبها وابتغ بين ذَِلك سِبيلاً** [آية: ١١٠].

فيها وجهان:

أحدهما: رواه الأعمش عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: كان رسولُ الله ﷺ يعلن إذا قرأ، فيسب المشركون القرآن ومن أنـزله، ومن جاء به، فصار يخفِي القراءة فأنـزل الله ﷻ : **ولا تجهر ِبصلاِتك ولا تخاِفت ِبها** [(١)].

والقولُ الآخر: رواه هشام بن عروةَ عن أبيه قال: قالت لي عائشةُ: ابن أختي أتدري فيم أنـزل **ولا تجهر ِبصلاِتك ولا تخاِفت ِبها** ؟ قال: قلت: لا، قالت: أُنـزل في الدعاء.

قال أبو جعفر: والإسنادان حسنان، والدعاءُ يسمى صلاةً، ولا يكاد يقع ذلك

---

(١) الحديث رواه البخاري في التفسير ١٠٩/٦، ومسلم في الصلاة ٣٤/٢، بلفظ: كان النبي إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون، سبوا القرآن ومن أنـزله ومن جاء به، فقـال الله لنبيه ﷺ: ولا تجهر ِبصلاِتك أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولاَ تخاِفت ِبها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذَِلك سِبيلاً ، ورواه أحمد في المسند ٢٣/١.

للقراءة، قال الأعشى:

تقولُ بنتي وقد قربت مرتحلاً   يارب جنب أبي الأوصابا والوجعا
عليكِ مثلُ صليتِ فاغتمضي   نوماً فإن لجنبِ المرءِ مضطجعاً(١)

ويقال: إنه إنما قيل صلاة، لأ ا لا تكون إلا بدعاء، والدعاءُ صلاةٌ فسميت باسمه.

١٢٩- وقوله ﷻ: ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل.. [آية: ١١١].

أي لم يحتج إلى من ينتصر له.

١٣٠- ثم **قال ﷻ: وكبره تكبيرا** [آية: ١١١].

أي عظمه تعظيما.

"انتهت سورة الإسراء ولله الحمد والمنة"

❁ ❁ ❁

---

(١) البيتان في ديوانه ص١٠٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورة الكهف وَهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ: ﴿الْحمد للهِ الذِي أنـزلَ على عبدِهِ الْكِتاب ولَم يجعل له عِوجا * قَيما﴾ [آية: ١-٢].

في **هذا قولان:**

أحدهما: أ ا على التقديم والتأخير.

والمعنى: الحمد للهِ الذي أنـزل على عبده الكتاب قيما، ولم يجعلْ له عِوجا.

يروى هذا المعنى عن ابن عباس، ومجاهد.

قال أبو جعفر: حدثنا بكر بن سهل قال: نا عبد الله بن صالح، قال: نا معاويةُ بن صالح، قال: حدثني علي بن أبي طلحةَ عن ابنِ عباس ﴿**ولَم يجعل له عِوجا قَيما**﴾ يقول: أنـزل الكتاب عدلاً قيما، ولم يجعل له عوجا ملتِبسا[(١)].

والقولُ الآخر: رواه سعيد عن قتادة قال: في بعض القراءات «الحمد لله الذي أنـزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوجا، ولكن جعله قيما».

٢- وفي قوله تعالى: ﴿ولَم يجعل له عِوجا﴾ قولان:

أحدهما: أنه لم يجعله مختلفًا كما قال سبحانه ﴿**ولَو كَانَ مِن عِندِ غَير اللهِ لَوجدوا فِيهِ اختِلافًا كَثِيرا**﴾ [النساء: ٨٢].

والقول الآخر: أنه لم يجعله مخلوقًا، كما روي عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿**قُرآنا عربيا غَير ذِي عِوجٍ**﴾ [الزمر: ٢٨] قال: غير مخلوق.

٣- وفي قوله ﷻ: ﴿قَيما﴾ : قولان:

أحدهما: رواه جويبر عن الضحاك قال: مستقيما.

والقول الآخر: أنه قيما على الكتب أي يصدقها.

٤- ثم **قال ﷻ: ﴿لينذِر بأسا شدِيدا من لدنه...﴾** [آية: ٢].

المعنى: لينذركم بأسا شديدا، كما قال تعالى: ﴿**إِنما ذَلِكُـم الشـيطَانُ يخـوف أَولياءَه**﴾ [آل عمران: ١٧٥].

---

(١) انظر جامع البيان ١٩٠/١٥، والبحر المحيط ٩٦/٦.

٥- ثم **قال** ﷻ: **كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا** [آية: ٥].

المعنى: كبرت تلك الكلمةُ كلمةً عند الله، وهي قولُهم **اتخذ اللهُ ولدا** أي: كبرت من كلمة.

وقيل: فيه معنى التعجب، كما يقال لقاضٍ قضى بالحق: ما أقضاه!!

فيكون المعنى: ما أكبرها من كلمة!!

وقرا الحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر **كبرت كلمةٌ تخرج من أفواههم** [1] بالرفع.

ومعناه: عظُمت، يقال: كَبر الشيءُ: إذا عظُم، وكَبِر: إذا أسن.

٦- وقوله ﷻ: **فلعلك باخع نفْسك على آثارهم..** [آية: ٦].

روى سعيد عن قتادةَ قال: قاتلٌ نفْسك، ثم قال: **على آثارهم** أي بعدهم.

٧- ثم **قال** ﷻ: **إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا** [آية: ٦].

قال قتادة: أي غضبا[2].

قال مجاهد: أي جزعا[3].

وهذا أشبه، أي حزنا عليهم[4].

٨- وقوله ﷻ: **إنا جعلنا ما على الأرض زينةً لها..** [آية: ٧].

قال قطرب: أي ما على الأرض مما تزين به.

٩- ثم **قال** ﷻ: **لنبلوهم أيهم أحسن عملاً** [آية: ٧].

أي لنختبرهم.

١٠- وقوله ﷻ: **وإنا لجاعلونَ ما عليها صعيدا جرزا** [آية: ٨].

روى سعيد عن قتادة قال: أي لا شجر فيها، ولا نبات، ولا بناء.

وقال مجاهد: أي بلْقَعا.

قال أبو جعفر: والصعيد في اللغة: وجه الأرض، ومنه قيل للتراب: صعيد.

والجُرز في **اللغة:** الأرض التي لا نبات فيها.

---

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢٤/٢.

(٢) انظر الطبري ١٥/ ١٩٥، والبحر المحيط ٩٨/٦.

(٣) السابق نفسه.

(٤) السابق نفسه.

قال الكسائي: يقال: جزرتِ الأرض تجرز، وجرزها القوم يجرِزونها، إذا أكلوا كل ما فيها من النباتِ والزرع، فهي مجروزةٌ، وجرز.

١١- وقوله ﷻ: أم حسِبت أن أصحاب الكهفِ والرقيمِ كانوا مِن آياتِنا عجبا [آية: ٩].

قال الضحاك: الكهف الغار في الوادي، و **الرقيم** الوادي.

وقال يزيد بن درهم[1]: سئل أنس بن مالكٍ عن الكهفِ، والرقيم فقال: **الكهف** الجَبَلُ **والرقيم** الكلب.

وروى سفيانُ بن سعيدٍ، عن سِماكٍ، عن عِكْرمةَ، عن ابن عباس، أنه سأل كعبا ما الرقيم؟ فقال: هو اسم القرية التي خرجوا منها.

وقال عكرمة: الرقيم الدواةُ.

وقال مجاهد: **الرقيم** ، الكتاب.

وقال السدي: الصخرةُ.

وقال الفراء: الرقيم لوح من رصاصٍ، كُتبت فيه أسماؤهم، وأنسابهم، ودينهم، وممن هربوا.

وقال أبو عبيدةَ: الرقيم: الوادي الذي فيه الكهف.

وروى إسرائيلُ، عن سِماك، عن عِكرمة، عن ابن عباس قال: «كل القرآن أعلم إلا أربعا: غِسلِينا، وحناناً، والأواه، والرقيم».

وروى سفيانُ بن حسين، عن يعلى بنِ مسلمٍ، عن سعيدِ بنِ جبير، عن ابن عباس أنه ذكر أصحاب الكهف فقال: «إن الفتية فُقِدوا، فطلبهم أهلُوهم فلم يجدوهم، فرفِع ذلك إلى الملِك، فقال: ليكونن لهم نبأٌ، وأحضر لوحا من رصاصٍ، فكتب فيه أسماءَهم، وجعله في خزائنه، فذلك اللوح هو الرقيم».

وروى وكيع عن أبي **مكين،** عن سعيد بن جبير قال: الرقيم «لوح فيه أسماء فتية رقمت أسماؤهم في الصخرة فذلك الكتاب».

وفي **بعض الروايات:** أنه كُتِب أسماؤهم وخبرهم في لوحٍ، وجعل على باب الكهف.

---

(١) يزيد بن درهم أبو العلاء العجمي بصري، روى عن أنس بن مالك والحسن، وثقه بعضهم، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء. انظر المغني في الضعفاء ٧٤٨/٢، والجرح والتعديل ٢٦٠/٩.

قال أبو جعفر: والروايات التي رويت عن ابن عباس ليست بمتناقضة.
لأن القول الأول إنما سمعه من كعب.
والقولُ الثاني يجوز أنه الكتاب عرف القيم بعده.
وأحسن ما قيل فيه أنه الكتاب ، وذلك معروف في اللغة ، يقال: رقمت الشيءَ أي كتبته.
قال اللهُ ﷻ : **كِتاب مرقُوم** .
و **رقيم** بمعنى مرقوم، كما يقال: قتيلٌ بمعنى مقتول.
وروى ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى: **كانوا مِن آياتنا عجبا** **قال: هم عجب.**
قال أبو جعفر: يذهب مجاهد إلى أنه ليس بإنكارٍ على النبي ﷺ أن يكون عنده أ م عجب.
وقد روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: يقول: ليس هم بأعجب آياتنا[1]!!
١٢- وقوله ﷻ: **إِذْ أوى الْفِتيةُ إِلى الكهفِ فَقَالُوا ربنا آتِنا مِن لدنك رحمةً وهيئْ لنا مِن أمرنا رشدا** [آية: ١٠].
أي أرشدنا إلى أحب الأشياء إليك.
١٣- وقوله ﷻ: **فَضربنا على آذَانِهم في الكهفِ سِنين عددا** [آية: ١١].
أي منعناهم من أن يسمعوا.
والمعنى: أنمناهم، لأ م إذا سمعوا انتبهوا، ثم قال: **سِنين عددا** .
وفي **الفائدة:** في قوله **عددا** **قولان:**
أحدهما: أنه توكيد وإفراد من الواحدة.
والأخر: أنه توكيد معنى الكثرة لأن القليل لا يحتاج إلى عدد، لأنه قد عرف.
١٤- وقوله ﷻ: **ثُم بعثْناهم..** [آية: ١٢].
أي من نومهم، يقال لمن أُحيِي، أو أُقِيم من نومه: مبعوثٌ، لأنه كان ممنوعا من الانبعاث والتصرف.
١٥- ثم **قال** ﷻ: **لِنعلَم أي الحِزبين أحصى لِما لَبِثُوا أمدا** [آية: ١٢].
قال مجاهد: أي عددا

---

(١) انظر الطبري ١٩٧/١٥، وابن كثير ١٣٤/٤.

قال أبو جعفر: والأمد في اللغة: الغايةُ.

١٦- وقوله ﷻ: **وربطْنا على قُلوبِهم..** [آية: ١٤].

قال قتادة: أي بالإيمان.

والمعنى عند أهل اللغة: صبرناهم، وثَبتناهم.

١٧- ثم **قال** ﷻ: **إذْ قَاموا فَقَالُوا ربنا رب السماواتِ والأرض لَن ندعو مِن دونِه إلَها** [آية: ١٤].

فأنكروا أن يعبد مع اللهِ غيره.

١٨- ثم **قال تعالى: لقَد قُلْنا إذًا شطَطًا** [آية: ١٤].

قال قتادة: أي كذبا.

قال أبو جعفر: والشططُ في اللغةِ: التجاوز في الجَور.

١٩- ثم **قال** ﷻ: **هؤلاءِ قَومنا اتخذُوا مِن دونِهِ آلِهةً لولا يأتونَ عليْهم بِسلْطَانٍ بينٍ** [آية: ١٥].

روى ابن عيينةَ عن عمرِو بنِ دينارٍ، عن عكرمةَ عن ابنِ عباس: «كل سلطانٍ في القرآن فهو حجة»[(١)].

٢٠- وقوله ﷻ: **وإذِ اعتزلْتموهم وما يعبدونَ إلا اللهَ..** [آية: ١٦].

والمعنى: اعتزلتم ما يعبدون، إلا اللهَ فإنكم لم تتركوا عبادته.

وروى سعيد عن قتادة قال: في قراءة ابن مسعود **وإذِ اعتزلْتموهم وما يعبدونَ مِن دون اللهَ** [(٢)].

٢١- ثم **قال** ﷻ : **فَأووا إلى الكَهفِ..** [آية: ١٦].

أي صيروه مأواكم.

ثم **قال** ﷻ: **ينشر لَكُم ربكُم من رحمتِهِ ويهيئْ لَكُم من أمرِكُم مرفَقًا** [آية: ١٦].

قُرئ بفتح الميم وكسرها، وهو ما يرتفق به، وكذلك مِرفَق الإنسانِ ومرفِقه، ومنهم من يجعل المَرفِق بفتح الميم وكسر الفاء من الأمر، والمِرفق من الإنسان.

---

(١) انظر البخاري، كتاب التفسير ١٠٤/٦.

(٢) هذه قراءة شاذة، انظر البحر المحيط ١٠٦/٦، والقرطبي٣٦٧/١٠، وابن جرير ٢٠٩/١٥ قال أبو حيان: وما في مصحف ابن مسعود إنما أريد به تفسير المعنى: وليس ذلك قرآنا لمخالفتها لسواد المصحف، ولأن المستفيض عن عبد الله بل هو متواتر، ما يثبت في السواد وهو وما يعبدونَ إلا اللهَ .

وقد قيل: المَرفِق بفتح الميم: الموضع كالمسجد، وهما لغتان.

٢٢- وقوله ﷻ : **ولا تقُولن لِشيءٍ إني فَاعِلٌ ذَلك غَدا إلا أن يشاءَ اللهُ..** [آية: ٢٣].

روي أن النبي ﷺ سئل عن فتيةٍ مضوا في الزمن الأول، وعن رجلٍ طواف، وعن الروح، فقال رسول الله ﷺ: غدا أخبركم عن ذلك، ولم يستثْنِ، فمكث عنه جبريل بضع عشرة ليلة، ثم جاءه بسورة الكهف، ونــزل في قوله: أخبركم به غدا **ولا تقُولن لِشيءٍ إني فَاعِلٌ ذَلك غَدا إلا أن يشاءَ اللهُ** .

٢٣- وقوله ﷻ: **وقُلْ عسى أن يهدِين ربي لأقْرب مِن هذَا رشدا** [آية:٢٤].

أي عسى أن يعطيني من الآيات والدلائل، ما هو أرشد وأبين من خبر أصحاب الكهف.

٢٤- ثم **قال** ﷻ: **ولَبِثُوا فِي كَهفِهم ثَلاثَ مِائَةٍ** سِنِين **وازدادوا تِسعا** [آية: ٢٥].

في **معناه ثلاثة أقوال:**

أ - قال مجاهد**:** هذا عدد ما لبثوا.

ب- وقال قتادةُ: في قراءة ابن مسعود "وقَالوا لَبِثُوا في كَهفِهم".

جـ - والقولُ الثالث: إن اللهَ خبر بما لبثوا، إلى أن بعِثوا من الكهف، ولا نعلم كم مذْ بعثوا إلى هذا الوقتِ، فقال سبحانه: **قُل اللهُ أعلَم بِما لَبِثُوا** أي من أي وقت مبعثهم إلى هذا الوقت.

قال أبو جعفر: وأحسن هذه الأقوال الأولُ، وإنما يقع الإشكالُ فيه لقوله ﷻ : **قُل اللهُ أعلَم بِما لَبِثُــوا** ففر قوم إلى أن قالوا : هو معطوف على قوله تعالى: **سيقُولُونَ** .

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القولَ الأولَ، لأنه أبلغُ، وأن ابن فُضيل روى عن الأجلح[1] عن الضحاك قال: لما أنــزلت **ولَبِثُوا فِي كَهفِهم ثَلاثَ مِائَةٍ** قالوا: أسنين؟ أم شهورا؟ أم أياما؟ فأنــزل اللهُ ﷻ **سِنِين** .

قال أبو جعفر: فأما ما أشكلَ من قوله تعالى: **قُل اللهُ أعلَم بِما لَبِثُوا** فنحن نبينه.

---

(١) أجلح بن عبد الله بن حجية، يقال: اسمه يحيى، والأجلح لقب، صدوق، شيعي، من السابعة، مات سنة١٤٥ هـ، انظر تهذيب التهذيب ١٨٩/١.

يجوز أن يكون لما اختلفوا في مقدار ما لبثوا، ثم أخبر اللهُ ﷻ فقال: **قُل اللهُ أعلَم بِما لبِثُوا** أي هو أعلم به من المختلفين فيه.

وقولٌ آخر أحسن من هذا: أن يكون «أعلم» بمعنى عالمٌ، وذلك كثير موجود في كلام العرب، قال اللهُ ﷻ: **وهو الذِي يبدأ الخلْق ثُم يعِيده وهو أهونُ عليهِ** [الروم: ٢٧] أجود الأقوال فيه أن معناه: هو هين عليه، وهو اختيار أبي العباس[1]، ومنه «اللهُ أكبر» بمعنى كبير، ومنه قول الفرزدق:

إن الذِي سمك السماءَ بنى لنـا ... بيتاً دعائِمـه أعـز وأطـولُ[2]

وقول الآخر:

أصبحت أمنحكِ الصدود وإنني ... -قَسماً إليكِ- مع الصدودِ لأَميلُ[3]

وقولُ الآخر:

لَعمرك ما أدري وإنـي لأوجـلُ ... على أينـا تعـدو المَنيـةُ أولُ[4]

٢٥- وقولُه ﷻ: **أبصِر بِهِ وأسمِع..** [آية: ٢٦].

المعنى: ما أبصره وأسمعه، أي هو عالمٌ بقصِة أصحاب الكهف وغيرهم.

٢٦- ثم **قال** ﷻ: **ما لَهم من دونِهِ مِن ولي ولا يشرك فِي حكْمِهِ أحدا** [آية: ٢٦].

نظيره قولُه تعالى: فَلا يظْهر على غَيبِهِ أحدا إِلا من ارتضى مِن رسولٍ [الجن: ٢٦- ٢٧].

ومن قرأ ولا تشرِك فِي حكْمِهِ أحدا [5] فمعناه عنده: لا تنسب أحدا إلى أنه يعلم الغيب.

---

(١) يعني: المبرد.

(٢) البيت في ديوانه ١٥٥/٢.

(٣) البيت للأحوص الأنصاري، انظر الكتاب لسيبويه ١٩٠/١، والمقتضـب للمـبرد ٢٣٣/٣، وخزانة الأدب ٤٨/٢.

(٤) البيت لمعن بن أوس المُزني، وهو في ديوانه ص ٣٦.

(٥) هذه قراءة ابن عامر، وهي من القراءات السبع، انظر السبعة ص ٣٩٠، والنشـر ٣١٠/٢ وقـرأ الباقون ولا يشرك في حكمِهِ أحدا بالرفع.

٢٧- وقوله ﷻ: ﴿لا مبدلَ لكلماتِه ولن تجد من دونِه ملتحدا﴾ [آية: ٢٧].

قال مجاهد: أي ملجأ أي يمنعك منه ﷻ.

قال أبو جعفر: وهو حسن في اللغة، وأصله في اللغة من اللحدِ وهو من الميل والملحد: المائلُ عن الحق، العادلُ عنه، فإذا ألحْدت إلى الشيء فقد ملت إليه.

٢٨- وقوله ﷻ: ﴿واصبر نفْسك مع الذين يدعونَ ربهم بالغداةِ والعشِي يريدونَ وجهه..﴾ [آية: ٢٨].

روى ابن عجلان عن نافعٍ عن ابن عمر قال: الصلاة المكتوبة.

قال مجاهد وإبراهيم: الصلوات الخمس.

٢٩- ثم قال ﷻ: ﴿ولا تعد عيناك عنهم تريد زينةَ الحياةِ الدنيا..﴾ [آية:٢٨].

أي لا تتجاوزهم إلى المترفين.

وروي عن الحسن أنه قرأ ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾ بتشديد الدال والنصب[1].

٣٠- ثم قال ﷻ: ﴿ولا تطِع من أغْفَلْنا قلْبه عن ذِكْرِنا واتبع هواه وكانَ أمره فُرطًا﴾ [آية: ٢٨].

قال مجاهد: أي ضياعا.

قال أبو جعفر: وقيل: إسرافًا، وقيل: ندما.

وهذه الأقوالُ متقاربةُ، وهو من الإفراط في الشيء، والتجاوز فيه.

وبين هذا أن سفيانَ بن سعيد قال: هو «عيينةُ بن حِصنٍ».

وقال غيره: قال: أنا أشرف مضر وأجلها.

فهذا هو التجاوز بعينه.

وقال الفراء: ﴿فُرطاً﴾: متروكًا، قد تركت فيه الطاعةُ.

٣١- ثم قال ﷻ: ﴿وقُل الحق من ربكُم..﴾ [آية: ٢٩].

المعنى: وقل الذي جئتكم به، الحق من ربكم.

---

(١) هذه القراءة ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٩٣/٩ قال: ﴿ولا تعد﴾ بضم التاء وفتح العـين وشد الدال المكسورة أي لا تجاوزها أنت عنهم، وذكر أيضاً قراءة (ولا تعدِ) بضم التاء وسكون العين، وهما من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢٧/٢ .

٣٢- ثم **قال** ﷻ: **﴿فمن شاءَ فليؤمن ومن شاءَ فليكفُر..﴾** [آية: ٢٩].

هذا على التهديد.

٣٣- ثم **قال** ﷻ: **﴿إنا أعتدنا للظالمين نارا..﴾** [آية: ٢٩].

أي جعلناها لهم عتادا، والعتاد: الثابت اللازم، وهو مثلُ العدة.

٣٤- ثم **قال** ﷻ: **﴿أحاطَ بهم سرادِقُها..﴾** [آية: ٢٩].

السرادِق في **اللغةِ:** كل شيءٍ محيط بشيء.

قيل: إنه يراد به الدخان، الذي يحيط بالكفارِ يوم القيامةِ، وهو الذي ذكره اللهُ في قوله سبحانه: **﴿انطلِقُوا إلى ظِل ذِي ثَلاثِ شعبٍ﴾** [المرسلات: ٣٠].

٣٥- ثم **قال** ﷻ: **﴿وإن يستغِيثُوا يغاثُوا بماءٍ كالمهل يشوي الوجوه..﴾** [آية: ٢٩].

روى هشيم عن عوفٍ عن الحسن قال: جاء قوم إلى عبد الله بن مسعود، يسألونه عن المُهل، فأخذ فضةً فأذَابها، حتى انماعت، ثم أذِنَ لهم بالدخول، فقال لهم: هذا أشبه بالمُهل.

وروى إسرائيلُ عن سِماكٍ عن عكرمة عن ابن عباس قال: المُهلُ: دردِي الزيتِ.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: المُهلُ: القيح، والدم.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوالُ متقاربة، وإنما هو ما تمهلَ وسكَن، وأكثر ما يستعمل لدردِي الزيت، كما قال ابن عباس.

٣٦- ثم **قال** ﷻ: **﴿يشوي الوجوه بئس الشراب وساءَت مرتفَقًا﴾** [آية:٢٩].

المعنى: وساءت النار مرتفقًا.

قال مجاهد: أي مجتمعا.

وقال غيره: أي مجلسا.

قال أبو جعفر: والمعروف في اللغةِ أن المرتفق: المتكأُ، وأنشد أهل اللغة:

إني أرِقْت فبِت الليلَ مرتفِقاً ... كأن عيني فيها الصاب مذْبوح[1]

قال أبو جعفر: ولا يمتنع أن يكون المعنى: موضع مرتفق.

---

(١) البيت لأبي ذُؤيب الهُذَليّ، انظر ديوان الهذليين ١٠٤/١، والصاب شجرة مرة، لها لبن يؤذي العين إذا أصا ا.

٣٧- وقوله ﷻ: ﴿إِن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ [آية: ٣٠].

قال أبو جعفر: حدثنا أبو عبد الله «أحمد بن علي بن سهلٍ» قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: نا يحيى بن الضريس، عن زهير بن معاويةَ، عن أبي إسحاق، عن البراءِ بن عازبٍ، قال: قدِم أعرابي إلى رسول الله ﷺ في حجة الوداع- والنبي واقف بعرفات على ناقته الصهباءِ- فقال: إني رجلٌ متعلم، فأخبرني عن قول الله: **﴿إِن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾** قال النبي ﷺ: يا أعرابي ما أنت منهم ببعيدٍ، وما هم منك ببعيد، هؤلاء الأربعةُ الذين هم وقوف معي «أبو بكرٍ، وعمر، وعثمانُ، وعلي» فَأعلِم قومك أن هذه الآية نـزلت في هؤلاء الأربعة[(١)].

٣٨- وقوله ﷻ: ﴿أولئك لهم جنات عدنٍ تجري من تحتهم الأنهار..﴾ [آية: ٣١].

العدنُ: الإقامةُ، ثم قال: **﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾** أي ماءُ الأنهار.

٣٩- ثم قال ﷻ: **﴿يحلونَ فيها من أساور من ذهبٍ﴾** [آية: ٣١].

أساور: جمع أسورة، وأسورةٌ جمع سِوارٍ، ويقال: سوار.

وحكى قُطرب: أن «أساور» جمع إسوار.

ولا يعرف ذلك.

٤٠- ثم قال ﷻ: ﴿ويلبسونَ ثيابا خضرا من سندسٍ وإستبرقٍ..﴾ [آية: ٣١].

السندس: رقيق الديباجِ، والاستبرق: ثخينه.

٤١- ثم قال ﷻ: ﴿متكئين فيها على الأرائكِ..﴾ [آية: ٣١].

وهي السرر في الحِجال[(٢)].

٤٢- ثم قال ﷻ: ﴿نعم الثواب وحسنت مرتفقًا﴾ [آية: ٣١].

أي حسنت الجنة مرتفقًا.

---

(١) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: وأسنده السهيلي في كتاب الأعلام، قال: وأسنده النحاس في كتاب معاني القرآن، وقد روينا جميع ذلك بالإجازة. الجامع لأحكام القرآن، ٣٩٨/١٠.
وهذا الحديث لا أثر له في كتب السنة جميعا.

(٢) الحجال: جمع حجلة، وهي كالقبة، وموضع يزين بالستور والثياب والأسرة للعروس.

٤٣- وقوله ﷻ: واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدِهما جنتين مِن أعنابٍ.. [آية: ٣٢].

يروى أن اليهود قالوا: سلُوه عن أصحاب الكهفِ، وعن الروحِ، وعن رجلين؟ فأنـزل اللهُ ﷻ هذا، وجعله مثلاً لجميع الناس.

٤٤- ثم **قال** ﷻ: **وحففْناهما بنخلٍ..** [آية: ٣٢].

أي حوطْناهما به، وقد حف القوم بفلانٍ: إذا حدقوا.

٤٥- ثم **قال** ﷻ: **وجعلْنا بينهما زرعا** [آية: ٣٢].

فأخبر أنه ليس بينهما إلا عمرانٌ.

٤٦- ثم **أخبر ا ما** في **تأديةِ الحَمل والثمر على النهاية،** فقال: **كِلْتا الْجنتين آتت أكُلَها ولَم تظْلِم منه شيئًا** [آية: ٣٣].

أي ولم تنقص.

٤٧- ثم **قال** ﷻ: **وفَجرنا خِلالَهما نهرا** [آية: ٣٣].

فأخبر أن شِر ما كان من نهرٍ، وهو أغزر الشرب.

٤٨- ثم **قال** ﷻ: **وكَانَ لَه ثَمر..** [آية: ٣٣].

ويقرأ **ثُمر** (١) فالثمر معروف.

وفي الثمر قولان:

أ - قال مجاهد: كل ما كان في القرآن من ثُمرٍ فهو المالُ، وما كان من ثَمر فهو من الثمار.

ب- وقال أبو عمران الجوني: الثمر: أنواع المال، والثمر: الثمرات.

جـ - وقال أبو يزيد المدني: الثمر: الأصلُ، والثمر: الثمرةُ.

قال أبو جعفر: وكأنه يريد بالأصل الشجر، وما أشبهها.

وهذه الأقوال الثلاثةُ ترجع إلى معنى واحد، وهو أن الثمر: المالُ.

والقولُ الآخر: حدثنا أحمد بن شعيب، قال: أخبرني عِمرانُ بن بكار، قال: حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي، قال: حدثنا شعيب بن إسحاق، قال: حدثنا هارون، قال:

---

(١) هذه قراءة ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وقرأ عاصم وأبو جعفر وكان لـه ثَمر بفتح الثاء والميم، انظر النشر ٣١٠/٢، والسبعة ص ٣٩٠.

حدثني أبان بن تغلب عن الأعمش أن الحجاج قال: «لو سمعت أحدا يقول: **وكَانَ لَه ثُمر** لقطعت لسانه، فقلت للأعمش: أتأخذ بذلك؟ قال: لا، ولا نِعمةَ عين. فكان يقرأ **ثُمر** ويأخذه من جمع الثمر».

قال أبو جعفر: فالتقدير على هذا القول، أنه جمع ثَمرةً على ثِمارٍ، ثم جمع ثِمارا على ثُمرٍ، وهو حسن في العربية، إلا أن القول الأولَ أشبه- واللهُ أعلم- لأن قوله تعالى: **كِلْتا الْجنتين آتت أُكُلَها** يدل على أن له ثَمرا.

٤٩- ثم **قال** ﷻ: **فَقَالَ لِصاحِبِه وهو يحاوِره** أي يخاطبه **أنا أَكْثَر مِنك مالاً وأعز نفَرا** [آية: ٣٤].

النفَر: الرهطُ، وهو ما دون العشرة، وأراد هاهنا الأتباع، والخَدم، والولد.

٥٠- قال الله ﷻ: **ودخلَ جنته وهو ظَالِم لنفْسِهِ..** [آية: ٣٥].

وكل من كفر فقد ظلَم نفسه، لأنه يولجها النار.

٥١- ثم **قال تعالى: قَالَ ما أَظُن أن تَبِيد هذِهِ أبدا وما أَظُن الساعةَ قَائِمةً..** [آية: ٣٥- ٣٦]. فكفر بالبعث، وبأن الدنيا تفْنى.

٥٢- ثم **قال** ﷻ: **ولَئِن رُدِدت إِلَى ربي لأَجِدن خيرا منها منقَلَبا** [آية:٣٦].

وهذا مما يسأل عنه فيقال: كيف ينكر البعثَ ويقول: **ولَئِن رُدِدت إِلَى ربي** ويحكُم أنه يعطَى خيرا منهما؟

فالجواب: أن المعنى: ولئن رددت إلى ربي- على قولك- وقد أعطاني في الدنيا، فكما أعطاني في الدنيا فهو يعطيني في الآخرة.

ونظير هذا قولُه ﷻ : **أين شركَائِي** [القصص: ٦٢]؟ أي على قولكم.

ومن قرأ **مِنها** (١) أراد الجنة.

٥٣- ثم **قال** ﷻ: **قَالَ لَه صاحِبه وهو يحاوِره أَكَفَرت بِالذِي خلَقَك مِن ترابٍ ثُم مِن نطْفَةٍ..** [آية: ٣٧].

فألزمه الكفر بقوله.

---

(١) قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، خيرا منها ، وقرأ أبو عمرو، وعاصم والكسائي خيرا منهما ، انظر السبعة ص ٣٩٠.

٥٤- ثم **قال** ﷻ: **ثُم سواك رجلاً** [آية: ٣٧].

أي كملك.

٥٦- ثم **قال** ﷻ: **لَكِن هو اللهُ ربي ولا أشركُ بِربي أحدا** [آية: ٣٨].

فدل هذا على أنه كان مشركًا.

والمعنى: لكِن أنا.

٥٦- ثم **قال** ﷻ: **ولَولا إِذْ دخلْت جنتك قُلْت ما شاءَ اللهُ لا قُوةَ إِلا بِاللهِ..** [آية: ٣٩].

المعنى: هذه الجنة هي ما شاءَ اللهُ.

ويجوز أن يكون المعنى: ما شاءَ اللهُ كانَ.

والمعنى: لا يكون لأحدٍ إلا ما شاء اللهُ، وليس لأحدٍ في بدنه ولا ماله قوةٌ إلا باللهِ.

وروى عمرو بن ميمونٍ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على كلمةٍ من كنــز الجنةِ، من تحت العرش؟ قال: قلت: بلى، بأبي أنت وأمي يا رسولَ اللهِ!!** قال: «**لا قوةَ إلا باللهِ**» إذا قالها العبد، قال اللهُ: أسلم عبدي، واستسلم»[1].

٥٧- ثم **قال** ﷻ: **إِن ترنِ أنا أقَل مِنك مالاً وولَدا فَعسى ربي أن يؤتِينِ خيرا من جنتِك..** [آية: ٣٩- ٤٠].

يجوز أن يكون أراد في الدنيا، وأن يكون أراد في الآخرة.

٥٨- ثم **قال** ﷻ: **ويرسِلَ علَيها حسبانا من السماءِ..** [آية: ٤٠].

قال قتادةُ والضحاك: أي عذَابا.

وقال أبو عبيدة: هي المرامي جمع مرماة وشيء فيه الحصب.

والمعروف في **اللغة:** أن الحُسبانَ والحساب واحد، قال الله ﷻ: **الشمس والْقَمر بِحسبانٍ** [الرحمن: ٥].

وقولُ قتادةَ والضحاك صحيح المعنى، كأنه قال: أو يرسلَ عليها عذاب حِسابٍ ما كسبت يداه، وهو مثلُ قوله تعالى: **واسأَل الْقَرية** [يوسف: ٨٢].

(١) الحديث رواه أحمد في المسند ٢٣٥/٢، والبخاري ١٠٢/٨ في كتاب الدعوات، بلفظ: «ألا أدلك على كنــز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله»، ومسلم في كتاب الذكر «باب اســتحباب خفض الصوت بالذكر» ٧٣/٨.

٥٩- ثم **قال** ﷻ: **فتصبح صعيدا زلقًا** [آية: ٤٠].

الصعيد في **اللغة:** وجه الأرض الذي لا نبات عليه.

والزلق: ما تزل فيه الأقدام.

٦٠- ثم **قال** ﷻ: **أو يصبح ماؤها غورا..** [آية: ٤١].

أي غائرا، والتقدير: ذا غَور.

٦١- ثم **قال** ﷻ: **فلن تستطيع له طلبا** [آية: ٤١].

أي لم يبق له أثر، فيطْلب من أجله.

٦٢- ثم **قال** ﷻ: **وأحيط بثمره..** [آية: ٤٢].

أي أحاط اللهُ العذاب بثمره.

٦٣- ثم **قال تعالى: فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها..** [آية: ٤٢].

وهذا يوصف به النادم.

٦٤- ثم **قال** ﷻ: **وهي خاوية على عروشها..** [آية: ٤٢].

الخاويةُ في **اللغة:** الخاليةُ، والعروش: السقُوف.

والمعنى: أن حيطا ا قيام، وقد سقطت سقوفها، فكأن الحيطان على السقوف.

٦٥- قوله ﷻ: **ولم تكن له فئةٌ ينصرونه من دون الله..** [آية: ٤٣].

قال مجاهد: أي عشيرة.

٦٦- وقوله ﷻ : **هنالك الولايةُ لله الحق..** [آية: ٤٤].

أي يؤمنون بالله وحده، ويتبرءون مما كانوا يعبدون.

ويقرأ: الوِلايةُ بكسر الواو[1].

والمعنى على الفتح، لأن الولاية المعروف أنها الإمارةُ.

٦٧- ثم **قال** ﷻ: **هو خير ثوابا وخير عقْبا** [آية: ٤٤].

العقْب- عند أهل اللغة- والعقْبى، والعاقِبةُ واحد، وهو ما يصير إليه الأمر.

٦٨- ثم **قال** ﷻ: **واضرب لهم مثلَ الحياةِ الدنيا كماءٍ أنـزلناه من السماءِ فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما..** [آية: ٤٥].

الهشيم: ما جف من الثياب أو تفتت، ويقال: هشمته أي كسرته.

(١) هذه قراءة حمزة، وقرأ الباقون الولايةُ بالفتح، انظر السبعة ص ٣٩٢.

٦٩- ثم **قال** ﷻ: **تذْروه الرياح..** [آية: ٤٥].
أي تنسفه.
ضرب اللهُ هذا المثلَ للحياةِ الدنيا، لأن ما مضى منها، بمنـزلة ما لم يكن.
٧٠- **وقوله** ﷻ: **والْباقيات الصالِحات خير عِند ربك ثَوابا..** [آية: ٤٦].
قال أبو جعفر: حدثنا أبو بكر «جعفَر بن محمدٍ» قال: حدثنا قتيبةُ بن سعيد، قال: حدثنا خالد هو «ابن عبدِ اللهِ»[1] عن عبد الملك، عن عطاء، عن ابن عباس قال: **الْباقيات الصالِحات**: (سبحانَ اللهِ، والحمد للهِ، ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبر).
وحدثنا أبو بكر قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن عمرة بن صياد، عن سعيد بن المسيب، أنه كان يقول في **الْباقيات الصالِحات** إنها قول العبد: «سبحانَ اللهِ، واللهُ أكبر، والحمد للهِ، ولا إله إلا اللهُ، ولا حول ولا قوة إلا باللهِ».
قال أبو جعفر: وروي عن ابنِ عباس أيضا أنه قال: **الْباقيات الصالِحات**: «الصلاةُ، والصوم، والحج، والغزو، والتهليلْ، والتسبيح».
ولا يمتنع شيءٌ من هذا عند أهل اللغة، لأنه كل ما بقي ثوابه، جاز أن يقال له هذا.
٧١- ثم **قال** ﷻ: **وخير أملاً** [آية: ٤٦]. أي خير ما يؤملُ.
٧٢- ثم **قال** ﷻ: **ويوم نسير الْجِبالَ وترى الأَرض بارِزةً..** [آية: ٤٧].
في قوله **بارزة** قولان:
أحدهما: قد اجتثت ثمارها، وقُلِعت جبالُها، وهدم بنيانها، فهي بارزةٌ أي ظاهرة.
وعلى هذا القول أهلُ التفسير، وهو البين.
والقولُ الآخر: إن معنى **بارِزةً** قد أُبرِز مِن فيها من الموتى، فيكونُ هذا على النسب، كما قال:

كِلِيني لِهم يا أُميمةَ ناصِبِ[2]

٧٣- ثم **قال** ﷻ: **وحشرناهم فَلَم نغادِر مِنهم أَحدا** [آية: ٤٧].

---
(١) خالد بن عبد الله الطحان ثقة صالح، انظر تهذيب التهذيب ٣/١٠٠.
(٢) هذا شطر بيت لمطلع قصيدة للنابغة الذبياني، يمدح فيها عمرو بن الحارث، وهو في ديوانـه ص ٤٠.

أي لم نبق.

٧٤- ثم **قال** ﷻ: **وعرضوا على ربك صفّا..** [آية: ٤٨].

أي لا يسترهم شيءٌ، ولا يحجبهم.

٧٥- ثم **قال** ﷻ: **لقد جئتمونا كما خلقناكم أولَ مرةٍ..** [آية: ٤٨].

قيل: معناه: بعثناكم كما خلقناكم أولَ مرة.

وقيل: هو كما روي أ م يحشرون حفاةً عراة غُرلاً.

٧٦- ثم **قال** ﷻ: **بلْ زعمتم أن لن نجعلَ لكُم موعِدا** [آية: ٤٨].

أي كنتم تنكرون البعث.

٧٧- ثم **قال** ﷻ: **ووضِع الكِتاب..** [آية: ٤٩].

في **الكلام حذف : والمعنى :** ووضِع الكتاب في يدِ كل امرئٍ، إما في يمينه، وإما في شـ ـماله.

٧٨- ثم **بين هذا بقوله: فترى المجرمين مشفِقين مِما فِيهِ ويقُولُونَ يا ويلتنا ما لِهذَا الكِتابِ لا يغادِر صغيرةً ولاَ كبِيرةً إلا أحصاها** [آية: ٤٩].

أي تراهم خائفين وجلين مما فيه من أعمالهم السيئة، ويقولون: ما شأن هذا الكتاب لا يبقي صغيرة من ذنوبنا ولا كبيرة إلا حفظها وضبطها.

٧٩- ثم **قال** ﷻ: **ووجدوا ما عمِلُوا حاضِرا ولاَ يظْلِم ربك أحدا** [آية: ٤٩].

أي إنما تقع العقوبة على الـ ـازاة.

وأصلُ الظلم في **اللغة:** وضع الشيء في غير موضعه.

٨٠- وقوله ﷻ : **وإذْ قُلْنا لِلْملائكةِ اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كانَ مِن الجِن..** [آية: ٥٠].

في **هذا قولان:**

أحدهما: أنه نسِب إلى الجن لأنه عمِلَ عملَهم.

والقول الآخر: أنه منهم.

٨١- ثم **قال** ﷻ: **ففَسق عن أمرِ ربهِ..** [آية: ٥٠]. أي فخرج.

وحكى الفراءُ: فسقَتِ الرطَبةُ: إذا خرجت من قِشرها.

وقال رؤبةُ:

يهوين في **نجدٍ وغَورا غَائِرا**

فَواسِقاً عن قَصدها جوائرا[1]

وفي هذه الآية سؤال:

يقال: ما معنى فَفَسق عن أمر ربِهِ ؟ ففي هذا قولان :

أحدهما: - وهو مذهب الخليل وسيبويه - أن المعنى: أتاه الفسق لما أُمِر فعصى، فكانَ سبب الفسقِ أمر ربه، كما تقول: أطعمته عن جوعٍ.

والقولُ الآخر:- وهو مذهب محمد بن قُطْرب- أن المعنى: ففسق عن رد أمر ربه.

٨٢- ثم **قال** ﷻ: **أفَتتخِذُونه وذُريته أولياءَ مِن دوني وهم لكُم عدو بِئْس لِلظالِمين بدلاً..** [آية: ٥]. أي أعداء.

٨٣- ثم **قال** ﷻ: **بِئْس لِلظالِمين بدلاً** [آية: ٥٠].

أي بئس ما استبدلوا من طاعة اللهِ، طاعة إبليس.

٨٤- ثم **قال** ﷻ: **ما أشهدتهم خلْق السماواتِ والأرض ولا خلْق أنفُسِهم..** [آية: ٥١]. أي لم يكونوا موجودين إذْ ذاك.

٨٥- ثم قال ﷻ: **وما كُنت متخِذَ المضِلين عضدا** [آية: ٥١].

روى معمر عن قتادة قال: أعوانا.

قال أبو جعفر: وكذلك هو في اللغة، يقُال: عضدني. فلانٌ، وعاضدني: أي أعانني وأعزني.

٨٦- وقوله ﷻ: **ويوم يقُولُ نادوا شركَائِي الذِين زعمتم فَدعوهم فَلَم يستجِيبوا لَهم وجعلْنا بينهم موبِقًا** [آية: ٥٢].

وفي معناه أقوال:

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: مهلِكًا.

وكذلك قال الضحاك.

وروى معمر عن قتادة قال: هلاكًا.

وروى يزيد بن درهم عن أنس بنِ مالكٍ في قوله تعالى: **وجعلْنا بينهم موبِقًا** .

قال: واديا من قيح ودمٍ في جهنم.

---

(١) الرجز لرؤبة بن العجاج، وهو في ملحق ديوانه ص ١٩٠، و تهذيب اللغة ٤١٤/٨، والطبري ٢٦١/١٥، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٠٦/١.

وروى ابن أبي **نجيح عن مجاهد** قال: وادٍ في جهنم.

وكذلك قال نوف، إلا أنه قال: يحجز بينهم وبين المؤمنين.

وقال أبو عبيدة: موبقًا : موعدا[1].

وقال عوف[2]**: موبقًا** : أي جعلنا بينهم عداوة.

قال أبو جعفر: وأصح هذه الأقوال الأولُ، لأنه معروف في اللغة أن يقال: وبِق، يوبق: ويابق، وييبق.

ووبق يبق: إذا هلك، وأوبقه اللهُ أي أهلكه.

ومنه: **أو يوبقْهن بما كسبوا** [الشورى: ٣٤].

ومنه: أوبقت فلانا ذنوبه.

فالمعنى: جعلنا تواصلهم في الدنيا، مهلكًا لهم في الآخرة.

إلا أنه يجوز أن يسمى الوادي «موبقًا» لأنه يهْلك.

٨٧- ثم **قال** ﷻ: **ورأى المجرمونَ النار فظنوا أنهم مواقِعوها..** [آية:٥٣].

روى معمر عن قتادة قال: أيقنوا.

٨٨- ثم **قال** ﷻ: **ولم يجِدوا عنها مصرفًا** [آية: ٥٣].

قال أبو عبيدة: أي معدلاً.

٨٩- وقوله ﷻ: **ولقد صرفْنا في هذَا القُرآن للناسِ مِن كُل مثَلٍ وكانَ الإنسانُ أكْثَر شيءٍ جدلاً** [آية: ٥٤].

قيل: يراد بالإنسان هاهنا: الكفار، وهو في معنى جماعة كما قال تعالى: **إن الإنسانَ لَفِي خسرٍ الذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ** [العصر: ٢-٣].

وقيل: هو عام.

وفي **الحديث ما يدل على أنه عام** «**أن النبي** ﷺ، لما **لام علي بن** أبي **طالب** رضي الله عنه، **وفاطمة معه** في **ترك الصلاة بالليل، قال علي: أنفُسنا بيد اللهِ إذا شاء أطلقها.. فخرج**

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٤٠٦/١، والمحرر الوجيز ٣٣٥/٩.

(٢) عوف بن أبي جميلة العبدي الهجري، قال أحمد: ثقة صالح الحديث، وقال ابن معين: ثقة، وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وكان يتشيع، توفي سنة ١٤٧هـ. انظر ترجمته في التهذيب ١٦٦/٨.

النبي ﷺ وهو يقول: **وكانَ الإنسانُ أكْثَر شيءٍ جدلاً** »[1].

٩٠- وقوله ﷻ: **وما منع الناس أن يؤمِنوا إذْ جاءَهم الْهدى ويستغفِروا ربهم إلا أن تأتيهم سنةُ الأولين..** [آية: ٥٥].

في **الكلام حذف،** والمعنى: إلا طلب أن تأتيهم سنةُ الأولين!!

وسنةُ الأولين: معاينةُ العذاب، لأ م قالوا: **اللهم إن كانَ هذا هو الْحق مِن عِندِك فَأمطِر علَينا حِجارةً من السماءِ أو ائْتِنا بِعذَابٍ أَلِيمٍ** [الأنفال: ٣٢] فطلبوا العذاب.

٩١- ثم **قال** ﷻ: **أو يأتيهم الْعذَاب قِبلاً** [آية: ٥٥].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: فَجأةً.

قال الكسائي: أي عِيانا.

والمعنيان متقاربان.

ويقرأ: قُبلا [2] فأكثر أهل اللغة على أنه جمع قَبِيلٍ، أي أنواعا وضروبا.

وقال بعضهم: معناه: يقابِلهم، كما يقال: جاءه من قُبلٍ.

ومعنى قِبلاً: أي استئنافًا.

كما يقال: لا أُكلمك إلى عشرٍ من ذي قِبلٍ.

٩٢- وقولُه ﷻ: **بل لهم موعِد لن يجِدوا مِن دونِه موئلاً** [آية: ٥٨].

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: ملْجأً.

وحكى أهل اللغة وأل، يئلُ: إذا نجا.

٩٣- وقولُه ﷻ: **وتلْك الْقُرى أهلكْناهم لما ظَلَموا..** [آية: ٥٩].

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب الصلاة ٦٢/٢، عن علي بن أبي طالب ﷺ: أن رسـول الله ﷺ طَرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلةً- أي أتاهما من الليل يوقظهما- فقال: ألا تصليان؟ فقلت يـا رسول الله: أنفسنا بيدِ الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلت ذلـك، ولم يرجـع إلي شيئًا- أي بم يجادلني فيما قلت- ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه، وهو يقول: وكانَ الإنسـانُ أكْثَر شيءٍ جدلاً ، ومسلم في صلاة المسافرين برقم ٧٧٥، وأحمد المسند ١١٢/١.

(٢) هذه قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع قِبلاً بكسر القاف وفتح الباء، انظر السبعة ص ٣٩٣، والنشر ٣١١/٢.

والمعنى: أهلُ القُرى.

٩٤- ثم قال جلّ وعزّ: **وجعلْنا لِمهلِكِهم موعِدا** [آية: ٥٩].

يجوز **أن يكون المعنى:** لإهلاكهم، فيكون مصدرا.

ويجوز أن يكون المعنى: لوقتِ إهلاكهم.

ومن قرأ **لِمهلَكِهم** [(١)] ذهب إلى أن المعنى: لهلاكهم، كما يقال: جلَس مجلَسا، واسم الموضع: المجلِس.

وهلَك مهلَكًا، واسم الموضع: المَهلِك.

قال مجاهد: موعِداً : أي أجلاً.

٩٥- ثم قال جلّ وعزّ: **وإذْ قالَ موسى لِفَتاه لا أبرح..** [آية: ٦٠].

قيل: إنما قيل له: «فتاه» لأنه كان يخدمه وهو يوشع.

ومعنى **لا أبرح** أي لا أزالُ، وليس معناه: لا أزولُ.

٩٦- ثم قال جلّ وعزّ: **حتى أبلُغَ مجمع البحرين..** [آية: ٦٠].

روى معمر عن قتادة قال: بحر الروم وبحر فارس.

وقال غيره: هو الموضع الذي وعده اللهُ أن يلقَى فيه الخَضِر.

٩٧- ثم قال تعالى: أو أمضِي حقُبا [آية: ٦٠].

روى عمرو بن ميمون عن عبدِ اللهِ بن عمرٍو قال: الحُقْب: ثمانون سنة.

وروى ابن نجيح قال: الحقب: سبعون خريفًا.

وروى معمر عن قتادة قال: الحُقْب: زمانٌ.

قال أبو جعفر: الذي يعرفه أهلُ اللغةِ أن الحُقْب، والحُقْبَة: زمانٌ من الدهرِ مبهم، غير محدودٍ، كما أن «قوما» و«رهطًا» مبهم غير محدودٍ.

والحُقُب: بضمتين: جمعه أحقَاب.

ويجوز أن يكون «أحقْاب» جمع حِقَبٍ، وحِقَب جمع حِقْبةٍ.

٩٨- ثم قال جلّ وعزّ: **فلما بلغا مجمع بينهما..** [آية: ٦١].

قال مجاهد: أي بين البحرين.

---

(١) قرأ عاصم لِمهلَكِهم بفتح الميم واللام الثانية، وروى حفص عن عاصم لِمهلِكِهم بكسر اللام، انظر السبعة ص ٣٩٣، والنشر لابن الجرزي ٣١١/٢.

وقال أبي بن كعبٍ رحمه اللهُ: أفريقية.

٩٩- ثم **قال** ﷻ: **نسِيا حوتهما فَاتخذَ سبِيلَه فِي الْبحرِ سربا** [آية: ٦١].

قيل: كان النسيانُ من موسى ﷺ أن يتقدم إلى «يوشع» بشيء من أمر الحوت.

وكان النسيانُ من «يوشع» عليه السلام أن يخبِره بِسربِه.

وقيل: أن يقدمه.

ثم قال **فَاتخذَ سبِيلَه فِي الْبحرِ سربا** .

السرب في اللغة: المَذْهب والمَسلَك.

١٠٠- وقولُه ﷻ: **قَالَ ذَلِك ما كُنا نبغِ..** [آية: ٦٤].

أي الذي كنا نبغي، لأنه وعد أن يلقى الخَضِر في الموضع الذي ينسرب فيه.

١٠١- ثم **قال** ﷻ: **فَارتدا علَى آثَارِهِما قَصصا** [آية: ٦٤].

أي رجعا في الطريق الذي سلَكاه، يقصان الأثر قصصا، والقَصص: اتباع الأثر.

١٠٢- وقوله ﷻ: **فَوجدا عبدا من عِبادِنا آتيناه رحمةً من عِندِنا وعلمناه مِن لدنا عِلْما** [آية: ٦٥].

يعني به الخَضِر، وقيل: إنما سمي الخَضر لأنه كان إذا صلى في مكان اخضر ما حوله.

وفيما فعله موسى -وهو من جِلةِ الأنبياء وقد أُوتي التوراةَ- من طلبه، والرحلة في ذلك، ما يدل على أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يترك طلب العلم، وإن كان قد بلغ ايته، وأحاط بأكثر ما يدركه أهل زمانه، وأن يتواضع لمن هو أعلم منه.

١٠٣- وقوله ﷻ: **قَالَ له موسى هلْ أَتبِعك علَى أن تعلمنِ مِما علمت رشدا** ؟ [آية: ٦٦].

هذا سؤال الملاطِف، والمخاطِب المبالغ في حسن الأدب، والمعنى: هل يتفق لك ويخف عليك، أن تأذن لي في مرافقتك، لأقتبس من علمك ما يرشدني؟ وهذا كما في الحديث «هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ»؟.

والرشد والرشد بمعنى واحد، وهو كثير في اللغة العربية نحو البخل والبخل، والعرب والعرب.

١٠٤- وقوله ﷻ: **قَالَ إِنك لَن تستطِيع معِي صبرا** [آية: ٦٧].

هذا قول الخَضِر لموسى، ثم أَعلمه العِلةَ في تركِ الصبر فقال: **وكَيف تصبِر علَى ما**

لَم تحِطْ بِهِ خبرا ؟

أي وكيف تصبر على ما ظاهره خطأ، ولم تخبر بوجه الحكمة فيه؟ والأنبياء لا يقرون على منكر، ولا يسعهم التقرير!! أي لا يسعك السكوت جريا على عادتك وحكمك.

١٠٥- وقوله ﷻ: **قَالَ ستجِدنِي إِن شاءَ اللهُ صابِرا..** [آية: ٦٩].

هذا قول موسى للخضر، أي سأصبر بمشيئة الله **ولا أعصِي لك أمرا** أي قد ألزمت نفسي طاعتك، ولن أعصي أمرك إن شاء الله.

١٠٦- وقوله ﷻ: **قَالَ فَإِن اتبعتنِي فَلا تسألْنِي عن شيءٍ حتى أحدِثَ لك مِنه ذِكْرا** [آية: ٧٠].

أي إن أنكرته فلا تعجل بالمسألة إلى أن أبين لك الوجه فيه وحتى أكون أنا الذي أفسره لك.

شرطَ عليه قبل بدء الرحلة، ألا يسأله ولا يستفسر عن شيء من تصرفاته، حتى يكشف له عن سِرها، فقبل موسى شرطه، رعايةً لأدب المتعلم مع العالم.

١٠٧- وقوله ﷻ: **فَانطَلَقَا حتى إِذَا ركِبا فِي السفِينةِ خرقَها..** [آية: ٧١].

انطلق موسى والخضر يمشيان على ساحل البحر، حتى مرت بهما سفينة، فعرفوا الخضر، فحملوهما بدون أجر، فلما ركبا في السفينة، عمد الخضر إلى فأس، فقلع لوحا من ألواح السفينة، بعد أن أصبحت في لُجةِ البحر، فذلك قوله تعالى **حتى إِذَا ركِبا فِي السفِينةِ خرقَها** أي خرقها الخضر.

١٠٨- وقوله ﷻ: **قَالَ أخرقْتها لِتغرِق أهلَها لَقَد جِئْت شيئًا إِمرا** [آية: ٧١].

أي قال له موسى منكرا عليه: أخرقت السفينة لتغرق ركابها؟ لقد فعلت شيئًا عظيما هائلاً.

ومعنى إِمرا أي شيئًا عظيما من المنكر.

ويروى أن موسى لما رأى ذلك، أخذ ثوبه فجعله مكان الخرق، ثم قال للخضر: قوم حملونا بغير أجر، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد فعلت أمرا هائلاً عظيما!!

قَالَ ألَم أقُلْ إِنك لَن تستطِيع معِي صبرا ! أي قال له الخضر: ألم أخبرك من أول الأمر، إنك لا تستطيع أن تصبر على ما ترى من صنيعي؟!

ذكره بلطفٍ في مخالفته للشرط.

١٠٩- ثم قال ﷻ: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [آية: ٧٣].

معنى ﴿**تُرْهِقْنِي**﴾ تغشيني، أي عاملني باليسر لا بالعسر.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**كانت الأولى من موسى نسيانا، وجاء عصفور فوقع على حرفِ السفينة، فنقر في البحر نقْرةً، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله تعالى، إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.**»(١).

١١٠- وقوله ﷻ: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ..﴾ [آية: ٧٤].

أي فقَبِلَ عذره، وانطلقا بعد نـزولهما من السفينة يمشيان، فمرا بغلمانٍ يلعبون، وفيهم غلام وضيء الوجه، جميل الصورة، فأمسكه الخضر واقتلع رأسه بيده، ثم رماه في الأرض ﴿**قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا**﴾ أي قال له موسى: أقتلت نفسا طاهرة بريئة، لم تذنب قط، ولم تقتل نفسا حتى تقتل به؟! لقد فعلت شيئًا منكرا عظيما، لا يمكن السكوت عنه ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾ أي قال له الخضر: ألم أخبرك أنك لن تستطيع الصبر على ما ترى مني؟ وقره في الأول، ثم واجهه بكاف الخطاب بقوله ﴿**لَكَ**﴾ لعدم العذر هنا.

ومعنى ﴿**زَكِيَّةً**﴾ أي بريئة لم ير ما يوجب قتلها.

وقال هنا ﴿**نُكْرًا**﴾ أي منكرا فظيعا أنكر من الأمر الأول، وهو أبلغ من قوله: ﴿**إِمْرًا**﴾ في الآية السابقة. وهو منصوب على ضربين:

أحدهما: معناه: أتيت شيئًا نكرا.

والثاني: معناه: جئت بشيء نكْرٍ، فلما حذف الباء أفضى إلى الفعل فنصبه.

١١١- ثم قال ﷻ: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [آية: ٧٦].

أي إن أنكرت عليك بعد هذه المرة، واعترضت على ما يصدر منك، فلا تصحبني معك، فقد أعذرت إلي ونبهتني على مخالفتي الشرط، فأنت معذور عندي.

١١٢- وقوله ﷻ: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا..﴾ [آية: ٧٧].

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم.

أي مشيا حتى وصلا إلى قرية، فطلبا طعاما فلم يعطوهما، واستضافاهم فلم يضيفوهما.

قال ابن عباس: هي انطاكية.

وقال ابن سيرين: هي الأيلة.

١١٣- ثم قال تعالى: فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه [آية: ٧٧].

والمعنى: وجدا في القرية حائطًا مائلاً، يوشك أن يسقط ويقع، فمسحه الخضر بيده فاستقام.

وقيل: إنه هدمه ثم بناه.

وروي أن موسى قال للخضر: قوم استطعمناهم فلم يطعمونا، وضفناهم فلم يضيفونا، ثم قعدت تبني لهم الجدار **قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا** !!

وقوله تعالى: **يريد أن ينقض** أي يوشك أن يسقط، وهذا مجاز وتوسع، وهو في كلام العرب وأشعارها كثير، فمن ذلك قول عنترة:

وازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم[1]

وقولُ الآخر:

يريد الرمح صدر أبي براء ويرغب عن دماء بني عقيل[2]

١١٤- وقوله ﷻ: قال هذا فراق بيني وبينك.. [آية: ٧٨].

سيبويه يذهب إلى أن إعادة بين في مثل هذا على التوكيد، أي فراق بيننا، كما يقال: أخزى اللهُ الكاذب مني ومنك، أي منا.

١١٥- وقوله ﷻ: أما السفينةُ فكانت لمساكين يعملونَ في البحر.. [آية: ٧٩].

أهلُ اللغةِ جميعا لا نعلم بينهم اختلافًا، يقولون: المسكين: الذي لا شيءَ له، والفقير: الذي له الشيءُ اليسير.

وأكثر الفقهاء على ضد هذا فيهما، ويحتجون بهذه الآية.

قال أبو جعفر: قيل: وليس قولُه: **كانت لمساكين يعملونَ في البحر** يدل على

---

(١) البيت من معلقته المشهورة، انظر شرح المعلقات السبع للزوزني ص ٩٩، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٢٣٤..

(٢) البيت أورده أبو هلال العسكري في الصناعتين بغير نسبة، وابن منظور في اللسان، مادة (رود)، وأبو عبيدة في مجاز القرآن، ونسبه للحارثي ٤١٠/١، والطبري في جامع البيان ٢٨٩/١٥.

أ م كانوا يملكو ا.. ألا ترى أن النبي ﷺ قال: «**من باع عبدا له مالٌ، فمالُه للبائع**»[(١)].

فليس قولُه «له مالٌ» مما يوجب أنه يملكه، وهذا كثير جدا، منه قول اللهِ ﷻ: **وإن أوهن البيوتِ لبيت العنكبوتِ** [العنكبوت: ٤١].

ومنه قولهم: باب الدار، وجل الدابة، والأشياءُ تضاف إلى الأشياء، ولا يوجب ذلك مِلْكًا، فأضيفت إليهم لأ م كانوا يعملون فيها، كما أُضيف المالُ إلى العبدِ لأنه معه.

والاشتقاق يوجب ما قال أهلُ اللغةِ، لأن «مسكينا» مأخوذٌ من السكون، وهو عدم الحركة، فكأنه بمنـزلة الميتِ.

والفقير كأنه الذي كُسِر فَقَاره، فقد بقيت له بقيةٌ.

ويدل على هذا أيضا حديثُ النبي ﷺ.. حدثنا أحمد بن منصور الحاسب، قال: حدثنا علي بن الجَعدِ، قال: أنبانا حماد ابن سلمة، عن محمد بنِ زياد، قال: سمعت أبا هريرةَ يقول: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «**إن المسكين ليس بالطواف الذي ترده التمرةُ والتمرتان، والأُكْلةُ والأُكْلتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يسألُ الناس إلحافًا**»[(٢)].

١١٦- وقولُه ﷻ: وكانَ وراءَهم مِلِك يأخذُ كُل سفِينةٍ غَصبا [آية: ٧٩].

روى ابن عيينةَ، عن عمرو بنِ دينارٍ، عن سعيدِ بنِ جبير، عن ابن عباس أنه قرأ **وكانَ أمامهم مِلِك** [(٣)].

قال أبو جعفر: في «وراء» هاهنا قولان:

---

(١) الحديث رواه مسلم برقم ١٥٤٣، ولفظه: «ومن ابتاع عبدا فماله للذي باعـه، إلا أن يشـترط المبتاع». وأبو داود في الإجارة برقم ٣٤٣٥، وفي إسناده مجهول، وهو الراوي عن جابر، وأحمـد في المسند ٨٢/٢.

(٢) الحديث رواه البخاري في الزكاة، وفي تفسير سورة البقرة ٤٠/٦، بلفظ «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمةُ ولا اللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفـف، واقـرءوا إن شـئتم لا يسألون الناس إلحافًا ، ومسلم رقم ١٠٣٩ في الزكاة، ومالك في الموطأ ٩٢٣/٢ وأبو داود برقم ١٦٣١، والنسائي ٨٥/٥ في الزكاة.

(٣) ذكر هذه القراءة ابن جرير الطبري ١/١٦ عن ابن عباس، وأبو حيان في البحر المحـيط ١٥٤/٦، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣/١١، والسيوطي في الدر المنثور ٢٣٧/٤.

أحدهما: أنه بمعنى أمام.

والآخر: أنه بمعنى خلْف، على بابِه، كأنه قال: على طريقهم إذا رجعوا.

والقولُ الأول أحسن، لقراءة ابنِ عباس رحمه اللهُ به، وأن اللغةَ تجيزه، لأن ما توارى عنك فهو وراء، فهذا يقع لما كان أماماً[١].

ثم **قال** : **يأخذُ كُل سفِينةٍ غَصبا** [آية: ٧٩]

وقرأ عثمان رحمه الله **كُل سفِينةٍ صالِحةٍ غَصبا** [٢].

١١٧- ثم **قال** ﷻ : **وأما الْغلامِ فَكَانَ أبواه مؤمِنين..** [آية: ٨٠].

روى ابن عيينة عن عمرو بنِ دينارٍ، عن سعيدِ بن جبير، عن ابن عباس، أنه قرأ **وكَانَ أبواه مؤمِنين وكَانَ كَافِراً** .

وروى أُبي بن كعبٍ عن النبي ﷺ قال: «**طُبع على الكفر، فألقي على أبويه** محبته»[٣].

١١٨- ثم **قال** ﷻ : **فَخشِينا أن يرهِقَهما طُغيانا وكُفْرا** [آية: ٨٠].

فَخشِينا أن يرهِقَهما .

فَأردنا أن يبدِلَهما .

قال أبو حاتم : هذا من كلام صاحب موسى يعني الخضر.

وقال غيره: هو من قول اللهِ ﷻ.

فإن قال قائل: كيف يجوز أن يكون **فَخشِينا** **إخبارا عن الله؟**

فالجواب عنه: أن الفراءَ قال: **فَخشِينا** بمعنى: فعلمنا، كما يقال: ظَننا بمعنى: عِلمنا.

وقال البصريون: يقال: خشيت الشيءَ بمعنى: كرهته، وبمعنى: فزعت منه، كما يقال للرجل: أخشى أن يكون كذا وكذا: أي أكره.

وقال الأخفش وفي قراءة أُبي **فَخاف ربك أنْ يرهِقَهما طُغيانا وكُفْرا** [٤].

وقال غيره: وكذلك هو في مصحف عبد الله.

---

(١) قال ابن جرير في جامع البيان: عن قتادة قال: هي في حرف ابن مسعود «كـل سـفينةٍ صـالحة غصبا». جامع البيان ٢/١٦، وانظر: الدر المنثور ٢٣٧/٤، والقرطبي ٣٤/١١.

(٢) وهذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر الطبري ٣/١٦، وزاد المسير ١٢٥/٥.

(٣) الحديث رواه مسلم ١٨٥٢/٤، وأبو داود في سننه برقم ٤٧٠٥.

(٤) انظر معاني القرآن للأخفش ٦٢٠/٢.

والكلام في «خِفْت» و«خشِيت» واحد.

حكى الأخفش "خفت أن تقولا" بمعنى: كرهت أن تقولا.

ومعنى **أن يرهِقَهما** : أن يلحقهما، أي يحملهما على الرهقِ وهو الجهلُ.

وقال أبو زيد: أرهقته: كلفْته.

١١٩- وقوله ﷻ: **فَأَردنا أن يبدِلَهما ربهما خيرا منه زكَاةً وأقْرب رحما** [آية: ٨١].

قال ابن جريج: زكَاةً أي: إسلاما.

وقال الفراءُ: إصلاحا.

قال ابن جريج: وحدثني عبد الله بن عثمان بن خشم عن سعيد بن جبير قال: أُبدِلا منه جاريةً.

قال ابن جريج: وهما ا أرحم.

قال ابن عباس: أُبدِلاَ منه جاريةً فولدت نبيا.

وحكى الفراء: رحِمته رحمةً، ورحمةً.

وحكى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء: رحِمه اللهَ رحماً.

ويجوز على مذهب الخليل: رحماً بالفتح.

١٢٠- وقولُه ﷻ: **وأما الْجِدار فَكَانَ ِلغلاَمين يتيمين ِفي الْمدِينةِ وكَانَ تحته كنـز لهما..** [آية: ٨٢].

قال سعيد بن جبير ومجاهد: عِلم.

وقال قتادة وعكرمة: مالٌ.

وهذا القولُ أَولَى من جهة اللغة، لأنه إذا قيل: عند فلانٍ كنـز، فإنما يراد به المالُ المدفونُ، والمدخر.

فإن أراد غير ذلك بين، فقال: عنده كنـز علمٍ، وكنـز فهمٍ.

ويحتملُ أن يكون كما روي أنه لوح من ذهبٍ، مكتوب فيه «لا إله إلا اللهُ، محمد رسولُ اللهِ» فهذا يجمع المالَ والعلم.

١٢١- وقوله ﷻ: **وما فَعلْته عن أمري ذَلك تأْويلُ ما لَم تسطِع علَيهِ صبرا** [آية: ٨٢]. يدل على أن ذلك كانَ بوحيٍ.

١٢٢- وقوله ﷻ: **ويسأَلُونك عن ذِي الْقَرنين قُلْ سأَتلُو علَيكُم منه ذِكْرا**

[آية: ٨٣].

روى أبو الطفَيل أنّ ابن الكوا سأل علي بن أبي طالب ﷺ عن «ذي القرنين» أكان نبياً أو مِلكًا؟ فقال: لم يكن نبياً ولا مِلكاً، ولكن كان عبدا صالحًا، أحب اللهَ فأحبه، ونصح اللهَ فنصحه اللهُ، ضرب على قرنه الأيمن فمات، فبعثه اللهُ، ثم ضرب على قرنه الأيسر فمات، ففيكم مثلُه؟

قال أبو جعفر: وهذا أجل إسنادٍ روي في تسميه بذي القرنين.

وقد قيل: كانت له ضفيرتان.

وقيل: لأنه بلغ قُطْري الأرضِ: المشرق، والمغرب.

قال محمد بن إسحاق: حدثني من يسوق الأحاديثَ عن الأعاجم، فيما توارثوا من علمه: إن ذَا القَرنين كان رجلاً من أهل مصر. اسمه «مرزبان بن مردبة» اليوناني، من ولد «يونان بن يافث بن نوح».

قال ابن هشام: واسمه «الإسكندر» وهو الذي بنى الإسكندرية فنسِبت إليه.

قال محمد بن إسحاق: وقد حدثني ثور بن يزيد، عن خالد بن معدانَ الكَلاَعي -وكان رجلاً قد أدرك الناس- أن رسول الله ﷺ سئِل عن ذي القرنين، فقال: «**ملِك مسح الأرض من تحتِها بالأسباب**».

وقال خالد: سمع عمر بن الخطاب- رحمةُ اللهِ عليه- رجلاً يقول: ياذا القرنين، فقال عمر: «اللهم غَفْرا، أما رضيتم أن تسموا بالنبيين، حتى تسميتم بالملائكة»؟

١٢٣- وقوله ﷻ: ﴿إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيءٍ سببا﴾ [آية: ٨٤].

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: علما.

والمعنى على هذا التفسير: علما يصل به إلى المسير في أقطار الأرض.

١٢٤- ثم قال تعالى: ﴿فأتبع سببا﴾ [آية: ٨٥].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: منـزلاً وطريقًا بين المشرق والمغرب.

١٢٥- ثم قال ﷻ: ﴿حتى إذَا بلغَ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمِأةٍ﴾ [آية: ٨٦].

قرأ عبد اللهِ بن مسعود وابن الزبير: ﴿حامِية﴾(١).

---

(١) هذه قراءة ابن عامر، وحمزة، والكسائي، انظر النشر ٣١٤/٢، والسبعة ص ٣٩٨.

وقرأ ابن عباس: حمِئَةٍ [(١)].

قال أبو جعفر: حدثنا إبراهيم بن محمد بنِ عرفَةَ، قال: حدثنا محمد بن عبدِ الملكِ، قال: حدثنا يزيد بن هارونَ، قال: حدثنا عمرو بن ميمون، قال: سمعت أبا حاضرٍ[(٢)] يقول: سمعت ابن عباس يقول: كنت عند معاوية، فقرأ **تغرب في عينٍ حامِيةٍ** فقلت: ما نقرؤها إلا «حمِئَةٍ» فقال لعبد اللهِ بنِ عمروٍ: كيف تقرؤها يا عبد الله بن عمرو؟ قال: كما قرأ ا يا أمير المؤمنين فقلت: في بيتي يا أمير المؤمنين أُنـزلَ القرآنُ!!

فأرسلَ معاويةُ إلى كعبٍ، فقال: أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟ فقال: أما في العربية فأنتم أعلم ا، وأما أنا فأجد الشمس في التوراةِ، تغرب في ماءٍ وطين، وأشار بيده إلى المغرب، فقلت لابن عباس: لو كنت عندك فرفدتك بكلمةٍ تزداد ا بصيرةً «حمئة» قال ابن عباس: ما هي؟ قلت: فيما نأثر من قول تبع في فيما ذَكَر به ذا القرنين من قوله:

بلغَ المَشارق والمغـارب يبتغـي ... أسباب أمرٍ من حكـيمٍ مرشـدِ
فَرأى مغِيب الشمس عند غُروبها ... في عين ذِي خلُبٍ، وثأطٍ حرمدِ[(٣)]

فقال ابن عباس ما الخُلُب؟ فقال: الطين بكلامهم. قال: وما الثأطُ؟ قلت: الحمأةُ، قال: وما الحرمد؟ قلت: الأسود.

قال أبو جعفر: فهذا تفسير الحَمأةِ، يقال: حمئتِ البئر، إذا صارت فيها الحَمأةُ، وأحمأتها: ألقيت فيها الحَمأةَ. وحمأتها: أخرجت منها الحَمأةَ.

فأما قراءة من قرأ حامية فيحتملُ معنيين:

أحدهما: أن يكون المعنى «حمِئَةٍ» فكأنه قال: «حامئةٍ» أي ذات حمأةٍ، ثم خففت الهمزة.

والمعنى الآخر: أن يكون بمعنى حارة.

ويجوز أن تكون حارةً، وهي ذات حمإ، والله أعلم بحقيقته.

---

(١) هذه قراءة ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وكذلك عاصم في رواية حفص، انظر النشـر ٣١٤/٢، والسبعة ص ٣٩٨.

(٢) هو عثمان بن حاضر، سمع ابن عباس ﷺ، انظر التهذيب ١٠٩/٧.

(٣) الأبيات منسوبة لتبع اليماني، كما في القرطبي ٤٩/١١، والبحر المحيط ١٥٨/٦، والدر المنثور ٢٤٨/٤.

قال القتبي[١]: يجوز أن تكون هذه العين من البحر، ويجوز أن تكون الشمس تغيب وراءها، أو معها، أو عندها، فيقام حرف الصفةِ مقام صاحبه، والله أعلم بذلك.

١٢٦- وقوله ﷻ: ﴿ووجد عِندها قوما قُلنا يا ذَا القَرنين إما أن تعذب وإما أن تتخِذَ فِيهم حسنا﴾ [آية: ٨٦].

قال إبراهيم بن السري[٢]: خيره بين هذين، كما خير محمدا ﷺ فقال: **﴿فإن جاءُوك فَاحكُم بينهم أو أعرِض عنهم﴾** [المائدة: ٤٢].

وقال علي بن سليمان: المعنى: قلنا: يا محمد، قالوا: يا ذا القرنين.

قال: لأن بعده **﴿قالَ أما من ظَلَم فَسوف نعذبه ثُم يرد إلى ربِهِ فَيعذبه عذَابا نكْرا﴾** [آية: ٨٧].

فكيف يقول لربه: **﴿ثُم يرد إلى ربِهِ﴾**؟ وكيف يقول: **﴿فَسوف نعذبه﴾**؟ والعبد لا يخاطِب بهذا، ولم يصح أن «ذا القرنين» نبي فيقول اللهُ: **﴿قُلنا يا ذَا القَرنين﴾**؟

قال أبو جعفر: وهذا موضع مشكل، وليس بممتنع حذف القول، والله أعلم بما أراد.

وروى معمر عن قتادة في **قوله ﷻ: ﴿فَسوف نعذبه﴾** قال: بالقتل.

١٢٧- وقوله ﷻ: ﴿ثُم يرد إلى ربِهِ فَيعذبه عذَابا نكْرا﴾.

لأن عذاب الآخرة أنكر من القتل.

١٢٨- ثم **قال ﷻ: ﴿وأما من آمن وعمِلَ صالِحا فَله جزاءً الْحسنى﴾** [آية: ٨٨].

قيل: الحسنى هاهنا: الجنةُ.

ويقرأ ﴿فَله جزاءُ الْحسنى﴾[٣] أي الإحسان.

١٢٩- ثم **قال ﷻ: ﴿وسنقُولُ له مِن أمرنا يسرا﴾** [آية: ٨٨].

أي قولاً جميلاً.

١٣٠- وقوله ﷻ: ﴿ثُم أتبع سببا﴾ [آية: ٨٩].

ويقرأ ﴿ثُم أتبع﴾ بقطع الألف، أي سببا من الأسباب التي تؤديه إلى أقطار الأرض.

---

(١) يعني: ابن قتيبة الدينوري.

(٢) يعني: أبو إسحاق الزجاج.

(٣) هذه قراءة ابن كثير، ونافع، وقرأ الباقون بالتنوين ﴿فَله جزاءً الْحسنى﴾، انظر السبعة ص ٣٩٨.

قال الأصمعي: يقال: أتبعت القوم، بقطع الألف[1] أي لحقتهم.

واتبعتهم «بوصل الألف» إذا مررت في آثارهم وإن لم تلْحقهم.

١٣١- ثم قال ﷻ: حتى إذَا بلغَ مطلِع الشمس وجدها تطلُع على قَومٍ لم نجعل لهم من دونها سِترا [آية: ٩٠].

أي ليس لهم بنيان ولا قُمص.

قال الحسن: إذا طلعت نــزلوا الماء حتى تغرب.

فأما معنى **كَذَلِك** ؟ فقيل فيه: حكمهم كحكمِ الذين تغرب عليهم الشمس، أي هم كأولئك.

١٣٢- وقوله ﷻ: ثُم أتبع سببا. حتى إذَا بلغَ بين السدين [آية: ٩٢- ٩٣].

ويقرأ **السدين** [2].

وقد فرق بينهما أبو عمرٍو[3] وجماعةٌ من أهلِ اللغةِ.

فقال بعضهم: السد: ما كان من صنعِ اللهِ، والسد «بالفتح»: ما كان من صنعِ الآدميين.

وقيل: السد ما رأيته، والسد: ما ستر عينيك.

والصحيح في **هذا** ما قاله الكسائي أ ما لغتان بمعنى.

وإن زيد في هذا، قيل: السد المصدر، والسد: الاسم.

١٣٣- وقوله ﷻ: قَالُوا يا ذَا القَرنين إن يأجوج ومأجوج مفْسِدونَ فِي الأرض فَهلْ نجعلُ لَك خرجا على أن تجعلَ بيننا وبينهم سدا [آية: ٩٤].

ويقرأ خراجاً [4].

قال الفراء: الخَرج: المصدر، والخَراج: الاسم.

وروى معمر عن قَتادةَ خرجاً قال: عطية.

وكذلك هو في اللغة، يقالُ: لك عندي خرج أي عطيةٌ وجعلٌ، والخراج: هو

---

(١) قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر ثُم أتبع سببا بالقطع، وقرأ بن كثير، ونافع، وأبــو عمرو بالتشديد ثُم اتبع سببا ، انظر النشر ٣٢٤/٢، والسبعة ص ٣٩٧.

(٢) هذه قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقون بين السدين بفتح السين، انظر السبعة ص ٣٩٩.

(٣) يعني: أبا عمرٍو بن العلاء المازني.

(٤) هذه قراءة حمزة والكسائي، وهي من القراءات السبع، انظر السبعة لابن مجاهد ص ٤٠٠.

المتعارف، وإن كان أصلُه مِن ذَا.

١٣٤- وقوله ﷻ: **قَالَ ما مكني فِيهِ ربي خير..** [آية: ٩٥].

أي خير مما بذلتم لي.

١٣٥- ثم **قال** ﷻ: **فَأَعِينوني بِقُوةٍ أجعلْ بينكُم وبينهم ردما** [آية: ٩٥].

والردم في **اللغةِ:** أكثر من السد، لأنه شيءٌ متكاثف، بعضه على بعض.

وروى عطاءٌ الخُراساني عن ابن عباسٍ: بين **السدين** الجبلين: أرمينية، وأذربيجان.

١٣٦- ثم **قال** ﷻ: **آتوني زبر الْحدِيدِ..** [آية: ٩٦].

الزبر: القِطَع الكِبار من الحَديد.

١٣٧- ثم **قال تعالى: حتى إذَا ساوى بين الصدفَين..** [آية: ٩٦].

روى علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الجبلين.

١٣٨- وقوله ﷻ: **قَالَ انفُخوا حتى إذَا جعلَه نارا** [آية: ٩٦].

قيل: جعل قِطَع الحديدِ، وجعل بينهما الحَطَب والفحم، وأوقد عليها، والحديد إذا أوقِد عليه صار كالنارِ، فذلك قوله: **حتى إذَا جعلَه نارا**.

ثم أذَاب الصفْر، فأفرغه عليه، فذلك قوله تعالى: **قَالَ آتوني أفْرِغْ عليْهِ قِطْرا**.

أي أعطوني قِطْرا أفرغْ عليه.

ومن قرأ: ائْتوني (١) فالمعنى عنده: تعالَوا أفرغْ عليه نحاسا.

١٣٩- قال جل اسمه: فَما اسطَاعوا أن يظْهروه.. [آية: ٩٧].

أي أن يعلوا عليه، لطوله وإملاَسِهِ.

يقال: ظهرت على السطح أي علوت عليه.

قال كعب: فهم يعالجون فيه كل يومٍ، فإذا أمسوا قالوا: غدا ننقضه، ولا يوفق لهم أن يقولوا: «إن شاء اللهُ» فإذا أَذِنَ اللهُ في إخراجهم، قالوا: «إن شاء اللهُ» فينقضونه، فيخرجون، فيشرب أولُهم دجلة والفرات، حتى يمر آخرهم فيقول: قد كان هاهنا مرةً ماءٌ، ويتأذى م أهل الأرض، ويدعو عليهم عيسى ﷺ فيهلكون.

---

(١) هذه قراءة عاصم في رواية أبي بكر وحمزة، وقرأ الباقون آتوني زبر الحديد بالمد، انظر السبعة ص ٤٠١.

١٤٠- وقوله ﷻ: قَالَ هذَا رحمةٌ من ربي.. [آية: ٩٨].
أي هذا التمكين رحمةٌ من ربي.
ثم قال تعالى **فَإِذَا جاءَ وعد ربي جعله دكاءَ..** [آية: ٩٨]. أي لاصقًا بالأرض.
يقال: ناقةٌ دكاءُ: أي لا سنام لها.
١٤١- وقولُه ﷻ: وتركْنا بعضهم يومئِذٍ يموج فِي بعض.. [آية: ٩٩].
ويجوز أن يكون يعنى بـ **يومئِذٍ** يوم يخرجون من السد.
وأنْ يعنى به يوم القيامة، لقوله تعالى: **ونفِخ فِي الصور فَجمعناهم جمعا** [آية: ٩٩].
١٤٢- وقوله ﷻ: وكانوا لا يستطِيعونَ سمعا [آية: ١٠١].
أي لعداو م النبي ﷺ، لا يستطيعون أن يسمعوا منه شيئًا.
أي يثقل ذلك عليهم، كما تقول: أنا لا أستطيع أن أكلمك.
١٤٣- وقوله ﷻ: أَفَحسِب الذِين كفَروا أن يتخِذُوا عِبادِي مِن دوني أولياءَ.. [آية: ١٠٢].
قال أبو إسحاق: المعنى أفحسب الذين كفروا أن ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء؟
وروى عباد بن الربيع أن علي بن أبي طالب -رحمة الله عليه- قرأ: **أفَحسِب الذِين كفَروا أن يتخِذُوا عِبادِي مِن دوني أولياءَ** [1].
قال أبو عبيدة: أي أرضوا بذلك؟ أكَفَاهم ذلك[2]؟
١٤٤- ثم **قال** ﷻ: **إنا أعتدنا جهنم لِلْكافِرين نـزلاً** [آية: ١٠٢].
النـزلُ عند أهل اللغة: ما هيئَ للضيف وما أشبهه، والنـزلُ بفتحتين: الريع.
١٤٥- ثم **قال** ﷻ: **قُلْ هلْ ننبئُكُم بِالأخسرِين أعمالاً الذِين ضل سعيهم فِي الْحياةِ الدنيا وهم يحسبونَ أنهم يحسِنونَ صنعا** [آية: ١٠٣- ١٠٤].
روى أبو الطفَيل أن علياً قال: هم أهل حروراء.
وروى عبد اللهِ بن قَيس عن علي قال: هم الرهبانُ.

---

(١) هذه من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٣٤/٢.
(٢) انظر البحر المحيط ١٦٦/٦.

قال الأسود: رؤي من علي بن أبي طالب فَرح ومزاح، فقام ابن الكّوا اليشكري فقال يا أمير المؤمنين: من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا؟ أهم الحرورية؟ فقال: لا، هم أهلُ الكتاب، كان أولهُم على الحق، ثم كفروا وأشركوا.

وروى شعبةُ عن عمرو بن مرةَ، عن مصعب بن سعدٍ، قال: قلت لسعدٍ من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا؟ أهم الخوارج؟ فقال: هم اليهود والنصارى، أما اليهود فلم يؤمنوا بمحمدٍ، وأما النصارى فلم يؤمنوا بالقيامة، لأ م قالوا ليس في الجنة أكلٌ ولا شرب، فضل سعيهم، وبطل عملهم، وهم يحسبون أ م على هدى[1] **أولئك الذين كفَروا بِآياتِ ربهم ولقَائِهِ** [آية: ١٠٥] .

وأما الخوارج فهم الذين قال اللهُ فيهم: **والذِين ينقُضونَ عهد اللهِ مِن بعدِ مِيثَاقِهِ ويقْطَعونَ ما أمر اللهُ بِهِ أن يوصلَ** [الرعد: ٢٥].

١٤٦-ثم **قال** ﷻ: **فَلا نقِيم لَهم يوم الْقِيامةِ وزنا** [آية: ١٠٥].

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ **قال:** «**يؤتى يوم القيامةِ بالعظيم الطويل، الأكول الشروب، فلا يزنُ جناح بعوضةَ، اقرءوا إن شِئْتم فَلا نقِيم لَهم يوم الْقِيامةِ وزنا** »[2]؟

١٤٧- **وقوله** ﷻ: **إِن الذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ كَانت لَهم جنات الْفِردوس نـزلاً** [آية: ١٠٧].

سئل أبو أمامةَ عن الفردوس فقال: هي سرة الجنةِ.

وقال كعب[3]: هي التي فيها الأعناب.

---

(١) الحديث رواه البخاري في تفسير سورة الكهف ١٧٦/٦ عن مصعب بن سعد، قال: «سـألت أبي قُلْ هلْ ننبئُكُم بِالأخسرِين أعمالاً أهم الحُرورية- يعني الخـوارج- قـال: لا، هـم اليهـود والنصارى، أما اليهود فكذبوا محمدا ﷺ، وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: لا طعـام فيهـا ولا شراب، والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وكان سعد يسميهم الفاسقين».

(٢) الحديث رواه البخاري في التفسير ١٧٦/٦ من حديث أبي هريرة مرفوعا «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال اقرءوا فَلا نقِيم لَهم يوم الْقِيامةِ وزنا ومسلم في كتاب الجنة والنار وصفات المنافقين برقم ٢٧٨٥، وابن جرير في التفسير ٣٥/١٦.

(٣) هو كعب بن ماتع الحِميري أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار، أسلم في أيام عمر، روى النبي ﷺ مرسلاً، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام، وكان على دين اليهود فأسلم،

قال أبو إسحاق: الفردوس البستانُ الذي يجمع كل ما يكون في البساتين، وكذلك هو عند أهل اللغة، ولم نسمعه إلا في بيت حسان:

وإن ثَــواب اللهِ كُــلّ موحــدٍ   جِنانٌ مِن الفِردوسِ فِيها يخلد(١)

قُرِيء على جعفر بن محمد الفريابي، عن قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن زيدِ بن أسلم قال: «إن في الجنة مائة درجة، بين كل درجتين ما بين السماء والأرض، والفردوس أعلى الجنة، وفوقها عرش الرحمن، ومنها تفَجر أ ار الجنة، فإذا سألتم اللهَ فاسألوه الفردوس»(٢).

١٤٨- وقوله ﷻ: **خالِدِين فِيها لا يبغونَ عنها حِولاً** [آية: ١٠٨].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: متحولاً.

وقال غيره: هو من الحيلة أي لا يحتالون في غيرها.

١٤٩- وقوله جل ذكره: قُل لو كانَ الْبحر مِدادا لكَلِماتِ ربي لَنفِد الْبحر قَبلَ أن تنفَد كَلِمات ربي.. [آية: ١٠٩].

قال مجاهد: يعني العلم.

١٥٠- ثم **قال تعالى: ولَو جِئْنا بِمِثْلِهِ مددا** [آية: ١٠٩].

قيل: مددا بمعنى: مِداداً.

وقيل: هو من قولهم: نحن مدد له.

وقرأ ابن عباس: ولَو جِئْنا بِمِثْلِهِ مِدادا (٣).

=

وقدم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص وتوفي ا سنة ٣٢ هـ في خلافة عثمـان، انظـر ذيب التهذيب ٤٣٨/٨.

(١) البيت في ديوانه ٣٠٦/١.

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب التوحيد ٥٣/٩ بلفظ: "إن في الجنة مائـة درجـة أعـدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله، فسـلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أ ار الجنة"، ومسـلم برقم ١٨٩٠، والترمذي برقم ٢٥٣٣ وقال: حديث صحيح، والنسائي ٣٨/٦.

(٣) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب ٣٥/٢.

١٥١- وقوله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ..﴾ [آية: ١١٠].

قيل: ﴿يَرْجُو﴾ بمعنى يخاف كما قال الشاعر:

إذَا لسعته النحلُ لَم يرجُ لَسْـعها وحالفَها في بيتِ نوبٍ عوامِـلِ[1]

وقال سعيد بن جبير: ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ أي ثواب ربه.

قال أبو جعفر: وعلى هذا يكون ﴿يَرْجُو﴾ على بابه، وإذا رجا ثواب ربه خاف عقابه.

١٥٢- وقوله ﷻ: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [آية: ١١٠].

قال مجاهد: يعني الرياء.

وقال سعيد بن جبير: أي لا يرائي.

وقال كثير بن زياد: سألت الحسن عن قوله: **﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾** فيمن نـزلت؟ فقال: نـزلت في المؤمن، قلت: أيكون مشركًا؟ فقال: يشرك في العمل، إذا عمل عملاً أراد الله له والناس، وذلك الذي يرد عليه.

﴿انتهت سورة الكهف﴾

❁ ❁ ❁

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي. انظر شرح أشعار الهذليين جـ ١: ص ١٤٤.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سورة مريم وهي مكية

١- من ذلك قوله جل اسمه: كهيعص [آية: ١].

حدثنا أبو بكر بن نافع، قال: نا سلمة بن شبيب، قال: نا عبد الرازق، قال: أنبأنا ابن عيينة، عن عطاء بن السايب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: **كهيعص** قال: «كاف» من كافٍ، و«هاء» من هادٍ، و«ياء» من حكيم و«عين» من عليم و«صاد» من صادق.

قال عبد الرازق: وأخبرنا معمر عن قتادة في قوله: **كهيعص** قال: اسم من أسماء القرآن.

قال أبو جعفر: وقد استقصينا ما في هذا في سورة البقرة.

٢- وقوله ﷻ: إِذْ نادى ربه نداءً خفِيا [آية: ٣].

قال يونس بن عبيد: كان الحسن يرى أن يدعو الإمام في القنوت، ويؤمن من خلفه، من غير رفع الصوت، وتلا يونس **إِذْ نادى ربه نداءً خفِيا** .

٣- وقوله ﷻ : قَالَ رب إني وهن الْعظْم مني [آية: ٤].

قال أبو زيد: يقالُ: وهن، يهن، ووهِن يوهن[1].

وقال غيره: أي ضعف.

٤- ثم **قال تعالى: واشتعلَ الرأس شيبا** [آية: ٤].

يقال لمن كثُر الشيب في رأسه: اشتعلَ رأسه شيباً.

٥- ثم **قال ﷻ: ولَم أكُن بدعائِك رب شقِيا** [آية: ٤].

أي لم أكن أخيب إذا دعوتك.

٦- ثم **قال ﷻ : وإني خِفْت الْموالِي مِن ورائِي** [آية: ٥].

روى هشام، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، قال: الكلالة.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: العصبة.

---

(١) الوهن: الضعف، وقد وهن الإنسانُ ووهِن بالكسر وهناً أي ضعف.

وقال أبو عبيدة: يعني بني العم، قال: و **مِن ورائِي** أي مِن قُدامي.

وقولُ مجاهد أولى، يقال للعصِبة: موالٍ، أي من يليه في النسب، كما أن الأقرباء من يقْرب إليه في النسب.

وبنو العمّ داخلون في هذا، كما قال الشاعر:

«**مهلاً** بني **عمّنا مهلاً موالِينا**»(١)

وقوله أيضاً: مِن ورائِي من قُدامي، مخالف لقول أهل التفسير، لأن المعنى عندهم: من بعد موتي.

وقال سعيد بن العاص: أمل علي عثمان بن عفان، رحمة الله عليه **وإني خَِفتِ الْموالِي مِن ورائِي** يعني بتشديد الفاء وكسر التاء، وإسكان الياء، قال ومعناه: قلت.

٧- ثم **قال** ﷻ : **وكانتِ امرأَتي عاقِرا** [آية: ٥].

أي لا تلد كأن ا عقراً يمنعها من الولاد.

٨- ثم **قال** ﷻ : **وقَد بلَغت مِن الْكِبرِ عِتِيا** [آية: ٨].

قال مجاهد: أي نحول العظم.

ويروى أن عبد الله بن مسعود قرأ عسِيا .

يقال: عتا يعتو، وعسى يعسو: إذا بلغ النهاية في الشدة والكِبر.

قال قتادة: كان ابن بضع وسبعين سنة.

٩- وقوله ﷻ : **يرِثُنِي ويرِثُ مِن آل يعقُوب** [آية: ٦].

روى هشيم عن إسماعيل، عن أبي خالد عن أبي صالح، قال: يكون نبياً كما كانوا أنبياء.

وروى ابن أبي **نجيح عن مجاهد** قال: كانت وراثته علماً، وكان زكريا من آل يعقوب.

وروى عن داود بن أبي **هند عن الحسن يرِثُنِي** أي يرثُ مالي **ويرِثُ مِن آل يعقُوب** : النبوة.

---

(١) هذا شطر بيت للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، وهو من شعراء بني هاشم في عهد بني أمية، وتمامه:

مهلا بني عمنا مهلا موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

واستشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/٢ وأبو حيان في البحر ١٧٣/٦ والقرطبي في جامع الأحكام ١١/ ٧٨.

وأبو إسحاق يذهب إلى القول الأول: ويبعد أن يكون نبي يشفق أن يورث ماله، للحديث المأثور[(١)].

١٠- وقوله ﷻ: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلامٍ اسمه يحيى﴾ [آية: ٧].

أي قلنا: يا زكريا.

١١- ثم **قال ﷻ: ﴿لم نجعل له من قبلُ سميا﴾** [آية: ٧].

روى إسرائيل عن سِماكٍ، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لم يسم أحد - قَبلَ يحيى - بيحيي غيره.

وروى سفيان عن أبيه عن حسان بن أبي الأشرس: ﴿لم نجعل له من قبلُ سميا﴾ قال: عدلاً.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: مِثْلاً.

قال أبو جعفر: ويقوي هذا أن أهل التفسير منهم ابن جريج قالوا في قول الله **﴿هلْ تعلم له سميا﴾** [آية: ٦٥]. أي مثلاً، أي شريكاً.

١٢- وقوله ﷻ: ﴿قالَ رب أنى يكُونُ لي غُلامٌ﴾ [آية: ٨].

قال أبو إسحاق: أراد أن يعلم من أي جهةٍ يولد له، وامرأته عاقر، وقد كَبِر[(٢)]

قال أبو جعفر: وقد ذكرنا «العاقر» و«العِتي» قبل هذا.

١٣- ثم **قال ﷻ: ﴿قالَ كذَلك قالَ ربك هو علي هينٌ﴾** [آية: ٩].

أي الأمر كما قيل لك.

ثم **قال تعالى: ﴿وقد خلقْتك من قبلُ ولم تك شيئًا﴾** [آية: ٩].

أي شيئاً موجوداً.

١٤- ثم **قال ﷻ: ﴿قالَ رب اجعل لي آيةً﴾** [آية: ١٠].

أي علامة تدل على وقوع ما بشرت به.

---

(١) قال الزجاج: وقال قوم لا يجوز أن يقول زكريا إنه يخاف أن يورث المال، لأن أمر الأنبياء والصالحين أ م لا يخافون أن يرثهم أقرباؤهم، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال «إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة» ومعنى الآية: يرثني ويرث آل يعقوب النبوة. معاني القرآن ٣٢٠/٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣٢١/٣.

قالَ آيتك ألا تكلم الناس ثَلاثَ ليالٍ سويا [آية: ١٠].

قال عكرمة، وقتادة، والضحاك: أي من غير خرسٍ.

١٥- وقوله ﷻ: فَخرج على قومِهِ مِن المِحرابِ [آية: ١١].

قال أهل التفسير: كان موضعاً مرتفعاً.

وكذلك هو عند أهل اللغة، كأنه على حربةٍ لارتفاعه، ومنه قيل: محراب للموضع الذي يصلى فيه كأنه أرفع ا لمس.

١٦- ثم قال ﷻ: فأوحى إليهم [آية: ١١].

قال قتادة: أي فأومأ إليهم.

وروى علي بن الحكم عن الضحاك قال: كتب لهم، فذلك الوحي.

١٧- ثم قال تعالى: أن سبحوا بكْرةً وعشِيا [آية: ١١].

روى معمر عن قتادة قال: صلوا، وذلك معروف في اللغة، ومنه يقال للصلاة: سبحة.

١٨- ثم قال ﷻ : يا يحيى خذِ الكِتاب بِقُوةٍ [آية: ١٢].

في الكلام حذف، لعلم المخاطب.

المعنى: فوهبنا له يحيى، فقلنا: يا يحيى خذ الكتاب بقوة.

قال مجاهد: أي بجدٍّ.

وقال غيره: أي بجدٍّ وعونٍ من الله.

١٩- ثم قال تعالى: وآتيناه الحكْم صبِيا [آية: ١٢].

قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، قال: بلغنا أن الصبيان قالوا ليحيى وهو صبي: تعال حتى نلعب ، فقال: ما للعبٍ خلقنا، فقال: جل ثناؤه: **وآتيناه الحكْم صبِيا** .

قال أبو جعفر: هذا معنى كلامه.

قال عكرمة: الحُكْم: اللُب.

قال قتادة: كان ابن سنتين، أو ثلاث.

٢٠- ثم قال تعالى : وحنانا من لدنا [آية: ١٣].

روى شعبة عن سماك عن عكرمة قال: الحنان: الرحمة.

وكذلك هو عند أهل اللغة، وأصله من حنين الناقة على ولدها، قال طرفة:

أبا منذرٍ أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشرّ أهونُ مِن بعض[1]

٢١- ثم **قال** ﷻ: **وزكاةً وكانَ تقيا** [آية:١٣].

روى علي بن الحكم عن الضحاك قال: الزكاةُ: العقل الزاكي الصالح.

وقال قتادة: الزكاة: الصدقة.

٢٢- وقوله ﷻ: **وسلامٌ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعثُ حيا** [آية: ١٥].

روى قتادة عن الحسن قال: لما لقي يحيى عيسى عليهما السلام، قال له يحيى: أنت خير منّي، قال عيسى: بل أنت خير منّي، سلم الله عليك، وسلمت على نفسي.

٢٣- وقوله ﷻ: **واذكُر في الكتاب مريم إذ انتبذَت مِن أهلِها مكانا شرقيا** [آية: ١٦].

أي تنحت وتباعدت.

ونبذت الشيء: رميت به.

وقيل: إ ا قصدت مطلع الشمس، لتغتسل من الحيض.

وقيل: لتخلو بالعبادة.

٢٤- وقوله ﷻ: **فأرسلنا إليها روحنا** [آية:١٧].

روى علي بن الحكم عن الضحاك قال: جبريل عليه السلام.

قال أبو الجعفر: وهذا قول حسن، لأن غيره قال: هو «عيسى».

يدل على ذلك قوله تعالى: **فتمثلَ لها بشرا سويا** [آية: ١٧]. وعيسى بشر.

٢٥- وقوله ﷻ: **قالت إني أعوذُ بالرحمن مِنك إن كُنت تقيا** [آية: ١٨].

قال أبو إسحاق: أي فإن كنت تقياً فستتعظُ بتعوذي بالله ﷻ منك.

وقال غيره: «إن» بمعنى «ما». والأول أولى.

٢٦- ثم **قال** ﷻ: **قالَ إنما أنا رسولُ ربكِ ليهب لكِ غُلاما زكيا** [آية: ١٩].

ويقرأ لأهب لكِ[2].

---

(١) البيت لطرفه بن العبد، وهو في ديوانه ص١٨٧، والكامل ص٣٤٨، والجمهرة ٤٤٩/٣ ومجاز القرآن ٣/٢، والطبري ٥٦/١٦، والقرطبي ٨٧/١١، وزاد المسير ١٥٠/٥، والمحرر الوجيز ٤٣٩/٩.

(٢) قرأ ابن كثير، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي لأهب لك بالهمزة، وقرأ أبو =

فمعنى لأهب بالهمز محمول على المعنى. أي قال: أرسلته لأهب لك.
ويحتمل ليهب بلا همز أي يكون بمعنى المهموز، ثم خفّفت الهمزة.
وقيل المعنى: أرسلني الله ليهب لك.
٢٧- وقوله ﷻ : ﴿قَالَت أنى يكُونُ لِي غُلامٌ ولَم يمسسنِي بشرٌ﴾ [آية: ٢٠].
أي لم يمسسني على جهة تزوج ، **﴿ولَم أكُ بغِيا﴾** [آية: ٢٠]، أي لم يقربني أحد على غير تزوج.
٢٨- وقوله ﷻ : ﴿قَالَ كَذَلكِ قَالَ ربكِ هو علَي هينٌ﴾ [آية: ٢١].
أي الأمر كما قيل لكِ.
٢٩- وقوله ﷻ : ﴿فَحملَته فَانتبذَت بِهِ مكَانا قَصِيا﴾ [آية: ٢٢].
قال مجاهد: أي قاصياً.
قال الكسائي: يقال: قَصا يقصو أي بعد، وأقصاه الله، وأقصى الشيء: أبعده.
٣٠- وقوله ﷻ ﴿فَأَجاءَها الْمخَاض إِلَى جِذْعِ النخلَةِ﴾ [آية: ٢٣].
قال ابن عباس ومجاهد: أي فألجأها المخاض.
قال الكسائي: هو من جاء، وجئت به، وأجأته.
وهذا موافق لقول ابن عباس ومجاهد، لأنه إذا ألجأها إلى الذهاب إلى جذع النخلة، فقد جاء ا إليه، قال زهير:

وجـارٍ سـار معتمِـداً إلـيكُم أجاءَتـه المَخافَـةُ والرجـاءُ(1)

والمخاض: الحملُ.
قال أبو عبيد: حدثنا عبد الرحمن عن سفيان قال مجاهد: كان حملُ النخلة عجوة.
وقال غيره: كان جذعاً بلا رأس، وكان ذلك في الشتاء، فأنبت الله له رأساً،

=
عمرو، ويعقوب، وورش ليهب لك بالياء، والنشر في القراءات العشر ٣١٧/٢، ومعاني الزجاج ٣٢٣/٣.
(١) البيت في ديوانه ص ٥٠٠، والطبري ٦٤/١٦ ومجاز أبي عبيدة ٤/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ٩٢/١١ والبحر المحيط ١٨٢/٦ والمحرر الوجيز ٤٤٦/٩.

وخلق فيه رطباً.

وقال ابن عباس: حملت ووضعت في ساعةٍ واحدة.

وقال غيره: أقامت ثمانية أشهر، وتلك آية، لأنه لا يولد مولود لثمانية أشهر فيعيش.

قال أبو إسحاق قوله تعالى: **فَأَجاءَها الْمخاض إلى جِذْعِ النخلةِ** [آية:23]. يدل على طول المكث والله أعلم.

31- ثم **قال تعالى: قالت يا ليتني مِت قبلَ هذا..** [آية: 23].

أي لو خيرت بين الموت وهذا، لاخترت الموت.

32- ثم **قال** ﷻ: **وكُنت نسيا منسِيا** [آية: 23].

قال عكرمة: أي حيضةً ملقاة.

والنسي عند أهل اللغة على ضربين:

أحدهما: ما طال مكثه فنسِي.

والآخر: الشيء الحقير الذي لا يعبأ به.

وقرأ محمد بن كعب: وكنت نِسئاً .

وقرأ نوف **وكنت نسأ** .

وهو من نسأ الله في أجله: أي أخره.

قال حماد بن سلمة: قال لي عاصم: كيف تقرأ «فَأجأها»؟ قلت: أقرؤها **فأجاءَها** فقال: إنما هو «فَجأ» من المفأجأة.

33- وقوله ﷻ: **فَناداها من تحتِها** [آية: 24].

كذا روى عن أبي بن كعب، والبراء بن عازب، وإبراهيم النخعي، أ م قرءوا **من** بالفتح، وتأولوه على أنه «عيسى» عليه السلام[1].

وقرأ ابن عباس وعمرو بن ميمون والضحاك فَناداها مِن تحتِها وفسروه أنه جبريل عليه السلام.

قال الضحاك: كان جبريل أسفل منها، فناداها من ذلك الموضع. **ألا تحزني قد جعلَ ربكِ تحتكِ سريا** [آية: 24].

(1) انظر السبعة ص 408، والنشر 318/2.

روى سفيان عن أبي إسحاق عن البراء، قال: السّري: الجَدولُ، والنهر الصغير.

وكذلك هو في كلام العرب، قال لبيد:

فَتوسطَا عرض السري وصـدعا مسجورةً متجـاوزاً قُلامهـا[١]

٣٤- وقوله ﷻ : فَقُولي إني نذَرت للرحمن صوما [آية: ٢٦].

روى سلمان التيمي عن أنس قال: صمتًا.

وذلك معروف في اللغة: يقال لكل ممسكٍ عن كلام، أو طعام: صائم، كما قال الشاعر:

خيلٌ صِيامٌ وخيلٌ غَيـر صـائمةٍ تحت العجاج وأخرى تعلُك اللجما[٢]

صيام ممسكةٌ عن الحركة ساكنةٌ.

٣٥- وقوله ﷻ : قَالُوا يا مريم لَقَد جِئْتِ شيئًا فَريا [آية: ٢٧].

قال مجاهد: أي عظيماً.

وقال سعيد بن مسعدة: أي مختلقاً، مفتعلاً.

يقال: فَريت، وأفْريت، بمعنىً واحِدِ.

قال قطرب: زعم أبو خيرة العدوي أن «الفَرّيّ» الجديد من الأسقية.

قال قطرب: فكأن معنى «فَرِيًّا» بديع، وجديد، لم يسبق إليه، قال: وكأن معنى «افترى على الله» جاء بأمر بديع جديد لم يكن.

وقال أبو عبيدة: فري عجيب.

٣٦- وقوله ﷻ : يا أخت هارونَ ما كَانَ أبوكِ امرأ سوءٍ.. [آية: ٢٨].

روى معمر عن قتادة قال: كان هارون صالحاً من قومهما، فقالوا: يا شبيهة هارون.

قال أبو جعفر: ويقوي هذا الحديث المرفوع «**كانوا يتسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين منهم**»[٣].

---

(١) البيت من معلقته المشهورة، انظر شرح المعلقات العشر ص ٧٦، وهو في الجمهـرة ٣٦٣/٢ ومجاز القرآن ٥/٢، والطبري ٧١/١٦، والقرطبي ٩٤/١١، والمحرر الوجيز ٤٥٢/٩.

(٢) البيت للنابغة الذبياني، انظر اللسان مادة (صوم)، ومجاز القرآن ٦/٢، والكامل ص ٤٨٣.

(٣) الحديث رواه مسلم ١٦٨٥/٣ عن المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سـألوني -يعـني النصارى- فقالوا إنكم تقرءون يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكـذا، فلمـا قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: إ م يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلـهم»، وأخرجـه أحمـد في مسـند =

٣٧- ثم قال ﷻ : وما كانت أمك بغيا [آية: ٢٨].

أي فاجرةً، والبغاءُ: الزنا

٣٨- وقوله ﷻ : فأشارت إليه [آية: ٢٩].

والمعنى: فأشارت إلى عيسى أن كلموه، ودل على هذا قوله تعالى: **قالوا كيف نكلم من كانَ في المهدِ صبيا** [آية: ٢٩].

قيل: «كان» ها هنا زائدة، لأن الناس كلهم لا يخلون من أن يكونوا هكذا.

وقيل: «كان» بمعنى وقع، وخلق.

وقيل: فيه معنى الشرط أي من كان صبياً فكيف نكلمه؟

٣٩- وقوله ﷻ : قالَ إني عبد الله آتاني الكِتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركًا أينما كُنت [آية: ٣١].

روى سفيان عن سماكٍ عن عكرمة في قوله تعالى: **آتاني الكِتاب** [آية: ٣١] قال: قضى أن يؤتينه.

وقيل معنى: **وأوصاني بالصلاةِ والزكاةِ** [آية: ٣١].

أي أوصاني بالصلاة، والطهارة.

٤٠- وقوله تعالى : ذَلك عِيسى ابن مريم [آية: ٣٤].

أي ذلك الذي قال هذا «عيسى ابن مريم» عبدالله.

٤١- ثم قال ﷻ قَولَ الحق الذِي فِيه يمترونَ [آية: ٣٤].

حدثنا أحمد بن محمد بن نافع قال: حدثنا سلَمةُ، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أنبأنا معمر عن قتادة في قوله تعالى: **ذَلك عِيسى ابن مريم قَولَ الحق الذِي فِيه يمترونَ** [آية: ٣٤] قال: «اجتمع بنو إسرائيل، فأخرجوا منهم أربعة نفر، أخرج كل قوم عالمهم، فامتروا في عيسى حين رفع:

فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض، أحيا من أحيا، وأمات من أمات، ثم صعد إلى السماء، وهم «اليعقوبية» قال: فقال الثلاثة: كذبت.

ثم قال اثنان منهم للثالث: قل فيه، قال: هو ابن الله، وهم «النسطورية» قال: فقال الاثنان: كذبت.

=

٢٥٢/٤.

ثم **قال الاثنان للآخر:** قل فيه! قال: هو ثالث ثلاثة، الله إله، وهو إله، وأمه إله وهم «الإسرائيلية» ملوك النصارى.

قال الرابع: كذبت، بل هو عبد الله ورسوله، وروحه، وكلمته، وهم المسلمون، فكانت لكل رجل منهم أتباع على ما قال، فاقتتلوا فظهروا على المسلمين، فذلك قول الله ﷻ: **ويقتلونَ الذِين يأمرونَ بالقِسطِ مِن الناسِ** [آل عمران: ٢١].

قال قتادة: وهم الذين قال الله: **فَاختلَف الأحزاب مِن بينِهم** [آية: ٣٧]. اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً.

٤٢- وقوله ﷻ: فَويلٌ للذِين كفَروا مِن مشهدِ يومٍ عظِيمٍ [آية: ٣٧].

روى مبارك عن الحسن قال: يوم القيامة.

٤٣- وقوله ﷻ: أسمِع بِهم وأبصِر يوم يأتوننا [آية: ٣٨].

روى سعيد عن قتادة، قال:ذلك والله يوم القيامة، سمعوا حين لا ينفعهم السمع ، وأبصروا حين لا ينفعهم البصر.

قال أبو جعفر: والمعنى عند أهل اللغة: ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة!؟ لأ م عاينوا ما لا يحتاجون معه إلى فكر ولا روية.

٤٤- وقوله تبارك وتعالى: وأنذِرهم يوم الحسرةِ إذْ قُضِي الأمر وهم فِي غَفْلَةٍ وهم لا يؤمِنونَ [آية: ٣٩].

روى سفيان عن الأعمش عن أبي صالح سعيد الخدري قال:«إذا استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، جيئ بالموت في صورة كبش أملح، فينادي يا أهل الجنة، فيشرئبون ينظرون، ثم ينادي يا أهل النار، فيشرئبون ينظرون، فيقال:أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وليس منهم إلا من يعرفه، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت فيه، ويا أهل النار خلود لا موت فيه، فذلك قول الله ﷻ: **وأنذِرهم يوم الحسرةِ إذْ قُضِي الأمر** [آية: ٣٩][1].

(١) الحديث رواه البخاري في تفسير سورة مريم ١١٨/٦، ومسـلم في كتـاب الجنـة والنـار ٢١٨٨/٤، والترمذي في الجنة والنار برقم ٢٥٦١، بلفظ: فينادي مناد: يـا أهـل الجنـة، فيشرئبون وينظرون، فيقول لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم: هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي مناد: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا مـوت، =

وروى أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله: **وهم في غفلة وهم لا يؤمنون** [آية:٣٩]قال في الدنيا.

وحدثنا أسامة بن أحمد، قال: حدثنا هارون بن سعيد الأيلي، قال: حدثني أنس بن عياض قال: أخبرني محمد بن عمرو، وعن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يؤتى بالموت يوم القيامة، فيوقف على الصراط،** ثم **يقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين وجلين، أن** يخرجوا **من مكا م الذي هم فيه،** ثم **يقال: يا أهل النار، فيطلعون فرحين مستبشرين، رجاء أن** يخرجوا **من مكا م الذي هم فيه ، فيقال: هل تعرفون هذا!؟ فيقولون : نعم يا ربنا، هذا الموت ، فيؤمر به فيذبح على الصراط،** ثم **يقال: يا أهل الجنة خلوداً فيما** تجدون **لا موت فيه أبداً**»[1].

٤٥- وقوله ﷻ: واذكر في الكتاب إبراهيم [آية: ٤١].

والمعنى: واذكر في الكتاب الذي أُنزل عليك -وهو القرآنُ- قصة إبراهيم، وخبره.

٤٦- ثم **قال ﷻ: إنه كانَ صديقًا نبيا** [آية: ٤١].

صدّيق مأخوذ من الصدق، وفيه معنى المبالغة والتكثير، يقال: لمن صدق بالله وأنبيائه، فرائضه، وعمل ا «صدّيق» ومنه قيل لأبي بكر : صديق.

٤٧- وقوله ﷻ : يا أبتِ لا تعبدِ الشيطانَ [آية: ٤٤].

والمعنى: لا تطعه فيما يأمرك به، من الكفر والعصيان، فتكون بمنـزلة من عبده.

وروى علي بن الحكم عن الضحاك : **لئن لم تنتهِ لأرجمنك** [آية:٤٦]بالقول.

قال أبو جعفر: وذلك معروف في اللغة، يقال رجمه ورماه: إذا شتمه، ومنه قوله تعالى: **والذين يرمونَ المحصناتِ** [النور:٤].

٤٨- ثم **قال ﷻ: واهجرني مليا** [آية:٤٦].

قال سعيد بن جبير ومجاهد: أي حيناً.

=

ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ ﷺ وأنذرهم يوم الحسرة إذْ قُضِي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنونَ وفي رواية الترمذي: فلو أن أحدًا مات فرحا لمات أهل الجنة، ولو أن أحد مات حزنا لمات أهل النار. وأحمد في المسند ٩/٣.

(١) الحديث أورده السيوطي في الدر المنثور بنحوه ٢٧٢/٤، وعزاه إلى ابن أبي حـاتم، وابـن مردوية، والطبري في تفسيره ٨٨/١٦.

وقال الحسن: أي زماناً طويلاً.

وقال عكرمة: أي دهراً.

وقال الضحاك: أي سالماً، لاتصيبك مني معرةٌ.

قال أبوجعفر: القول عند أهل اللغة أنه بمعنى زماناً، ودهراً.

قال الكسائي: يقال: هجرته ملّيا، ومِلوةً، وملوةً، وملاوةً، وملاَوةً.

قال أبو جعفر: ومنه «تمل حبيبك» أي عش معه دهراً، ومنه أمليت له ومنه قيل لليل والنهار: الملَوان، كما قال الشاعر:

أمل عليها بالبلى الملَوان(١)

٤٩- ثم **قال** ﷻ: **قَالَ سلامٌ عليك سأستغفِر لك ربي إنه كانَ بي حفِيا** [آية:٤٧].

الحفي: اللطيف البار.

يقال: حفي به، وتحفى: إذا بره.

أي كان يجيبني إذا دعوته.

٥٠- وقوله ﷻ: **ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلْنا لهم لِسانَ صِدقٍ علِيا** [آية: ٥٠]. أي أبقينا عليهم ثناءًحسناً.

قال أبو جعفر: ومعروف في اللغة أن يجعل اللسان موضع القول، لأن القول به يكون، كما قال الشاعر:

إني أتاني لسانٌ لا أسر بها ... مِن علْو لا عجبٌ مشنها ولا سخر(٢)

٥١- وقوله ﷻ : **واذكُر في الكِتابِ موسى إنه كانَ مخلَصا** [آية: ٥١].

أي أخلصناه فجعلناه مختاراً خالصاً من الدنس.

ومعنى «**مخلِصاً**» بكسر اللام: وحد الله ﷻ بطاعته، وأخلص نفسه من الدنس.

٥٢- وقوله ﷻ: **وقَربناه نجِيا** [آية: ٥٢].

---

(١) هذا عجز بيت لتميم بن مقبل، وهو في ديوانه ص ٣٣٥.

(٢) البيت لأعشي باهلة، عامر بن الحارث، انظر جمهرة أشعار العرب ص ١٣٥، واللسان مادة (لسن)، والطبري ٩٣/١٦، والمحرر الوجيز ٤٢٨/٩، وخزانة الأدب ٢٧٥/٣.

حدثنا الحسن بن عمر الكوفي قال: حدثنا هناد، قال حدثنا وكيع وقبيصة عن سفيان عن عطاء ابن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قول الله : **وقَربناه نجِيا** قال: أُدني حتى سمع صريف القلم.

٥٣- وقوله ﷻ: واذْكُر فِي الْكِتابِ إِدرِيس إِنه كَانَ صِديقًا نبِيا * ورفَعناه مكَانا عِلِيا [آية: ٥٧-٥٦].

قيل: إنه سأل ملَك الموت أن يريه النار، فأراه إياها، ثم سأله أن يدخله الجنة فأدخله إياها، ثم قال له: اخرج، فقال: كيف أخرج، وقد قال الله **وما هم منها بِمخرجِين** [الحجر: ٤٨]؟!

قال أبو جعفر: فيجوز أن يكون الله أعلم هذا إدريس، ثم نزل القرآن به.

وقيل معناه: في المنزلة والرتبة.

وأصح من هذين القولين، لعلو إسناده، وصحته، ما رواه سعيد عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك بن صعصعة أن النبي ﷺ لما أُسرى به، قال: «**رأيت إدريس في السماء الرابعة**».

وروى سفيان عن هارون عن أبي سعيد الخدري : ورفَعناه مكَانا عِلِيا [آية: ٥٧] قال: السماء الرابعة.

وروى الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن إساف, قال: كنا عند كعب الأحبار إذ أقبل عبد الله بن عباس, فقال: هذا ابن عم نبيكم, فوسعنا له فقال: يا كعب ما معنى : **ورفَعناه مكَانا عِلِيا** ؟ فقال كعب: إن إدريس ﷺ, كان له صديق من الملائكة, وأوحى الله إليه: إني أرفع لك كل يوم مثل عمل أهل الأرض, فقال إدريس للملك: كلم لي ملك الموت حتى يؤخر قبض روحي فحمله الملك تحت طرف جناحه, فلما بلغ السماء الرابعة, لقي ملك الموت فكلمه, فقال: أين هو؟ فقال: ها هو ذا, فقال من العجب إني أمرت أن أقبض روحه في السماء الرابعة, فقبضها هناك».

٥٤- وقوله ﷻ: ورفَعناه مكَانا عِلِيا [آية: ٥٩].

قال أبو عبيد: حدثنا حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: «ذلك عند قيام الساعة, وذهاب صالحي هذه الأمة -أمة محمد- ينزو بعضهم على بعض في الأزقة زنا.

قال أبو جعفر: الخلف بتسكين اللام لا يستعمل إلا للرديء، كما قال لبيد:

ذَهب الذِين يعـاش في أكْنـافِهم وبقِيت في خلْفٍ كجِلْدِ الأجـربِ[(١)]

فإذا قلت : خلَف بتحريك اللام فهو للجيد ، كما يقال: «جعل الله فيك خلفاً من أبيك».

٥٦- ثم **قال** ﷻ: **أضاعوا الصلاةَ واتبعوا الشهواتِ** [آية: ٥٩].

قال القاسم بن مخيمرة: «أضاعوها»: أخروها عن وقتها، ولو تركوها لكفروا.

وقيل: أضاعوا تركوها البتة.

وهذا أشبه لقوله بعد **إلا من تاب وآمن** [آية: ٦٠] وهذا يدل على أ م كفروا.

٥٧- ثم **قال** ﷻ: **فَسوف يلْقَونَ غَيا** [آية: ٥٩].

روى سفيان عن أبي **إسحاق** عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود قال: هو وادٍ في جهنم.

قال أبو جعفر: والتقدير عند أهل اللغة: فسوف يلقون جزاء الغيّ، كما قال جل ذكره: **ومن يفْعلْ ذَلك يلْق أثَاما** [الفرقان: ٦٨].

ويجوز أن يكون الوادي يسمى غياً، لأن الغاوين يصيرون إليه.

٥٨- **وقوله** ﷻ: **جناتِ عدنٍ الِتي وعد الرحمن عِباده بِالْغيبِ** [آية: ٦١].

جنات إقامةٍ، يقال: عدنَ بالمكان: إذا أقام به، ومنه قيل «معدِنٌ» لمقام أهله به شتاءً وصيفاً، لا ينتجعون منه.

٥٩- **وقوله** ﷻ **: إنه كَانَ وعده مأْتِيا** [آية: ٦١].

«مأتي» مفعول من الإتيان، وكل ما وصلَ إليك فقد وصلت إليه، كما تقول: وصل إلي من فلان خير، ووصلت منه إلى خير.

فالضعيف في العربية يقول: «مفعول» بمعنى «فاعل».

٦٠- **وقوله** ﷻ: **لاَ يسمعونَ فِيها لَغوا إلا سلاَما** [آية: ٦٢].

اللغو: الباطلُ، وما يؤثم فيه، وما لا معنى له.

والسلام: كل ما يسلم منه، وهو اسم جامع للخير، أي لا يسمعون إلا كل ما يحبون.

٦١- ثم **قال** ﷻ: **ولَهم رِزقُهم فِيها بكْرةً وعشِيا** [آية: ٦٢].

روى الضحاك عن ابن عباس قال: في مقادير الليل والنهار.

---

(١) البيت في ديوانه ص ١٥٣.

قال أبو جعفر: ومعنى هذا أن الجنة ليست فيها غداةٌ ولا عشية، ولكن المعنى: في مقادير هذه الأوقات.

وقال قتادة: كانت العرب إذا وجد الرجل منهم ما يأكل بالغداة والعشي، عجب به، فأعلمهم الله أن ذلك في الجنة.

٦٢- وقوله ﷻ: وما نتنزلُ إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفَنا وما بين ذَلك [آية: ٦٤].

روى عمرو بن ذرّ، عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ لجبريل عليه السلام: «**لِم لا تزورنا أكثر مما تزورنا**»؟ فأنـزل الله: **وما نتنزلُ إلا بأمر ربك** [آية: ٦٤]. إلى آخر الآية، وكان هذا الجواب له.

وروى أبو حصين عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: **ما بين أيدينا** قال: من أمر الآخرة **وما خلفَنا** من أمر الدنيا **وما بين ذَلك** ما بين الدنيا والآخرة أي البرزخ.

٦٣- وقوله ﷻ وما كانَ ربك نسِيا [آية: ٦٤].

قيل معناه: لم ينسك وإن تأخر عنك الوحي.

وقيل: هو عالمٌ بما كان، وبما يكون - ولم يقع - وما هو كائن. لم ينقطع، حافظٌ له، لم ينس منه شيئاً.

٦٤- وقوله ﷻ : هلْ تعلَم له سمِيا [آية: ٦٥].

روى إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: هل تعلم أحداً سُمّي الرحمن سواه؟

قال أبو جعفر: وهذا أجل إسناد علمته روي في هذا الحرف، وهو قولٌ صحيح، لا يقال: «الرحمن» إلا لله، وقد يقال لغير الله: رحيم.

وقد بينا لم لا يقال «الرحمن» إلا لله، في سورة الحمد.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد هلْ تعلَم له سمِيا ؟ قال: مِثْلاً.

وروى حجاج عن ابن جريح هلْ تعلَم له سمِيا قال: لا شريك له، لا مِثْل.

وقيل: هل تعلم أحداً تقول له: «الله» إلا هو.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال متقاربة.

وإنما المعنى: هل تعلم أحداً يقالُ له هذا، على استحقاقٍ إلا الله، لأنه الذي وسعت رحمته كل شيء، وهو القادر، والرازق.

وقيل المعنى: إن اسمه المذكور في هذه الآية، لا يسمى بـه غـيره، وهـو **رب السماواتِ والأرض وما بينهما** !!

٦٥- وقوله ﷻ: ويقُولُ الإِنسانُ أَإِذَا ما مِت لَسوف أُخرج حيا. أو لا يذْكُر الإِنسانُ.. [آية: ٦٦ - ٦٧].

أي أو لا يتفكر وينظر، ويذكره بعلم، ويتبينه؟

٦٦- وقولـه ﷻ: فَوربك لَنحشرنهم والشياطِين ثُم لَنحضِرنهم حولَ جهنم جِثِيا [آية: ٦٨].

قال مجاهد وقتادة: أي على ركبهم.

والمعنى: أنهم لشدة ما هم فيه، لا يقدرون على القيام.

٦٧- وقوله ﷻ: ثُم لَننـزِعن مِن كُل شِيعةٍ أَيهم أَشد علَى الرحمن عِتِيا [آية: ٦٩].

روى سفيان عن عليّ بن الأقمر، عن أبي الأحوص، قال: يبدأ بالأكابر جرماً.

قال مجاهد: مِن كُل شِيعةٍ : من كل أمة **عِتِيا** أي كفراً.

٦٨- وقوله ﷻ: وإِن مِنكُم إِلا وارِدها كَانَ علَى ربك حتما مقْضِيا [آية: ٧١].

في **هذه الآية** خمسة **أقوال:**

أ - قيل ورودها: دخولها، لأن بعده **ونذَر الظالِمِين فِيها** [آية: ٧٢].

وإنما يقال: **ونذَر** لما حصل، فينجي الله الذين اتقوا، ويصيرون إلى رحمته، فيعرفون مقدار ما خلصوا منه، لأنهم قد دخلوا النار وخلصوا منها، وهذا قول ابن عباس، وإسناده جيد.

روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، قال: تمارى ابن عباس ونافع بن الأزرق، فقال نافع: ليس الورود الدخول، وقال ابن عباس: هو الدخول أرأيت قول الله تعالى: **إِنكُم وما تعبدونَ مِن دون الله حصب جهنم أَنتم لَها وارِدونَ** [الأنبياء: ٩٨]. أوردوا أم لا؟ وقوله تعالى: **وبِئْس الْورد الْمورود** [هود: ٩٨]. فأما أنا وأنت فسنردها، وأرجو أن يخرجني الله منها، ولا يخرجك منها لتكذيبك فقال له نافع: **ربنا إِنك من تدخِلِ النار فَقَد أَخزيته** [آل عمران: ١٩٨].

روى معمر عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه

قال: «**من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث، لم تمسه النار إلا تحلة القسم**»[1].

يعني الورود.

ب- وقيل: يردها المؤمنون وهي جامدة.

روى سفيان عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قالوا: يا رب ألم توعدنا أنا نرد النار؟ فيقول: قد وردتموها وهي جامدة».

جـ- وقيل: يعني القيامة.

د- وقيل: وإن منكم إلا واردها [آية: 71]، يراد به المشركون، واستدل صاحب هذا القول بأن عمر بن الوليد روى عن عكرمة أنه قرأ **وإن منكم إلا واردها**

هـ- والقول الخامس: أن ورودها بلاغها، والممر ا.

روى معمر عن قتادة وإن منكم إلا واردها قال: الممر ا.

وروى الحسن بن مسلم، عن عبيد الله بن عمير **وإن منكم إلا واردها** .

قال: حضورها.

فهذه خمسة أقوال، والله أعلم بما أراد، إلا أنه معروف في كلام العرب، أن يقال: وردت كذا أي بلغته، ولم أدخله، قال زهير:

فلما وردنَ الماءَ زرقاً جِمامه وضعن عِصِي الحَاضِرِ المُتخيِّم[2]

وقرأ أبي بن كعب ثم ننجي الذين اتقوا [آية: 72]. أي في ذلك الموضع.

قال أبو جعفر: وأبين ما في هذه الأقوال، قول من قال: **وإن منكم إلا واردها** إ ا القيامة، وقوله تعالى: **فوربك لنحشرنهم** [آية: 68]. يدل على ذكر القيامة، فكنى عنها ذا.

وكذلك ذكر جهنم، يدل على القيامة، لأ ا فيها، والله ﷻ يقول: **لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون** [يونس: 62] فيبعد أن يكون مع هذا دخول النار.

وقرأ ابن عباس: ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا [آية: 72].

---

(1) الحديث رواه البخاري في كتاب الجنائز 93/2، وكتاب الأيمان 167/8، ومسلم في كتاب البر رقم 2632.

(2) البيت في ديوانه ص13، وفي القرطبي 137/11، والبحر المحيط 209/6، ومعاني الزجـاج 342/3، وزاد المسير 256/5.

٦٩- وقوله ﷻ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خيرٌ مقاما وأحسن نديا [آية: ٧٣].

روى أبو ظبيان عن ابن عباس في **قوله تعالى: أي الفريقين خيرٌ مقاما** قال: منـزلاً، **وأحسن نديا** قال: مجلساً.

قال الكسائي: الندي، والنادي: المجلس.

قال أبو جعفر: وذلك معروف في اللغة، يقال: ندوت القوم أندوهم أي جمعتهم، ومنه قيل «دار الندوة» لأنهم كانوا يجتمعون فيها إذا حزبهم الأمر، ومنه قوله تعالى: **وتأتون في ناديكم المنكر** [العنكبوت: ٢٩].

٧٠- وقوله ﷻ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا [آية: ٧٤].

روى الأعمش عن أبي **ظبيان عن ابن عباس قال:** الأثاثُ: المتاع، والرّئي: المنظر.

قال أبو جعفر: والأثاث في اللغة: المتاع، وقال الأحمر: واحدته أثاثه.

وقال الفراء: لا واحد له.

وكذلك الرئي: المنظر، من رأيت، أي ما ترى في صورة الإنسان، ولباسه، **ويقرأ وريا** بلا همز، وهو جيد على تخفيف الهمز.

وهو حسن ها هنا لتتفق رؤوس الآيات.

ويجوز أن يكون من الرّيّ والنعمة.

وقال الأخفش: يجوز أن يكون من ريّ المطر، والزّي بالزاي: الهيئة والحسن، يقال: زيت المرأة أي زينتها وهيأتها.

٧١- وقوله ﷻ: قلْ من كانَ في الضلالةِ فليمدد له الرحمن مدا [آية: ٧٥].

يقال: ما معنى الأمر هاهنا؟

قال أبو جعفر: الجواب أن هذا أبلغ، فلو قلت: إن تجئني فلأكرمك، كان أبلغ من قولك: إن تجئني فأكْرمك، وإنما صار أبلغ، لأن فيه معنى الإلزام.

٧٢- ثم **قال ﷻ: حتى إذا رأوا ما يوعدونَ إما العذاب وإما الساعةَ** [آية: ٧٥].

العذاب هاهنا: أن ينصر الله المسلمين عليهم، فيعذبوهم بالقتل والسبي.

والساعة: القيامة أي: وإما تقوم القيامة فيصيرون إلى النار **فسيعلمونَ من هو شر مكانا** [آية: ٧٥]. إذا صاروا إلى النار، **وأضعف جندا** [آية: ٧٥]. إذا نصر الله

المسلمين عليهم.

٧٣- ثم قال ﷻ: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [آية: ٧٦].

قيل : نزيدهم هدى بالناسخ والمنسوخ.

وقيل: نزيدهم هدى مجازاةً.

وقد ذكرنا معنى **﴿الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾** [الكهف: ٤٦] في سورة الكهف.

٧٤- وقوله ﷻ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [آية: ٧٧].

قال أبو جعفر: حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد السلام قال: حدثنا أبو الأزهر، قال: حدثنا روح بن عبادة، قال: حدثنا شعبة، عن سليمان، عن أبي الضحى عن مسروق، عن خباب قال: «كنت قَيناً[1] في الجاهلية، فعملت للعاص بن وائل، حتى اجتمعت لي عليه دراهم، فجئت أتقاضاه، فقال: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ﷺ، فقلت: لا أكفر بمحمد حتى تموت وتبعث، قال: وإني لمبعوث؟ قلت: نعم، قال: فإنه سيكون لي ثَم مالٌ وولد فأقضيك، فأنزل الله ﷻ: **﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾**»[2]! إلى آخر القصة.

قال أبو جعفر: وهذا معنى الحديث.

٧٥- وفي قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [آية: ٧٨].

أقوال:

قال سفيان: عملاً صالحاً.

وقيل: العهد ها هنا: توحيد الله، والإيمان به.

وقيل: العهد ها هنا: الوعد بما قال.

وقال الأسود بن زيد قال عبد الله: يقول الله ﷻ يوم القيامة: «**من كان له عندي عهد فليقم؟ فقالوا: يا أبا عبد الرحمن: فعلمنا قال: قولوا: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، إني أعهد إليك عهداً في هذه الحياة الدنيا، إنك إن**

---

(١) قَيناً: أي حداداً.

(٢) الحديث رواه البخاري في تفسير سورة مريم ١١٨/٦، ومسلم في باب صفات المنافقين برقم ٢٧٩٥، والترمذي في التفسير برقم ٣١٦٢، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

تكلني إلى عملي، تقربني من الشر، وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعله لي عندك عهداً تؤديه إلي يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد»(١).

قال أبو جعفر: هذه الأقوال متقاربة، والعهد في اللغة: يكون الأمان، ومنه أهل العهد، ومنه قول الله تعالى: ﴿**قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: ١٢٤].

قال أبو عبيد: كأنه قال: لا أُؤَمّنهم من عذاب يوم القيامة.

وكذلك قول قتادة، قال: في الآخرة، فأما في الدنيا فقد أكلوا وشربوا، وعاشوا وأبصروا.

فإذا قيل للتوحيد عهد، فلأنه يؤمن به، وكذلك الوعد.

٧٦- وقوله ﷻ: ﴿**وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا**﴾ [آية: ٨٠].

قال قتادة: أي نرثه ما عنده، أي قوله ﴿**لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا**﴾ [آية: ٧٧].

قال: وفي قراءة ابن مسعود ﴿**ونرثُه ما عنده**﴾.

وقيل: نبقي عليه الإثم، فكأنه موروث.

قال أبو جعفر: قيل هذا مفسر في حديث خباب، قيل: والمعنى - والله أعلم - نسلبه ماله وولده يوم القيامة، ألا ترى أن بعده ﴿**وَيَأْتِينَا فَرْدًا**﴾؟!

قال أبو جعفر: وأصح ما قيل في هذا، أن معنى ﴿**وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ**﴾ [آية: ٨٠]: نحفظ عليه ما يقول، حتى نوفيه عقوبته عليه.

ومن هذا الحديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**»(٢).

ومنه: ﴿**وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ**﴾ [الأحزاب: ٢٧].

٧٧- وقوله ﷻ: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا**﴾ [آية: ٨١].

أي أعواناً.

٧٨- ثم **قال سبحانه:** ﴿**كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ**﴾ [آية: ٨٢].

«كلا» عند أهل العربية تنقسم قسمين:

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤١٢/١، وأورده ابن كثير في تفسيره ٩٤/٧ وزاد فيه: «إلا قال الله ﷻ لملائكته يوم القيامة: إن عبدي قد عهد إلي عهداً، فأوفوه إياه، فيدخله الله الجنة».

(٢) الحديث رواه أبو داود برقم ٣٦٤١، والترمذي برقم ٢٦٨٣.

أحدهما: أن يكون ردعاً وتنبيهاً، وردّاً لكلام، وهي هاهنا كذلك، أي: ارتدعوا عن هذا، وتنبهوا على وجه الضلالة فيه.

فإذا كانت كذا، فالوقوف عليها التمام.

وتكون ردعاً وتنبيهاً، ولا تكون رداً لكلام، نحو قوله تعالى: **كلا إن الإنسانَ ليطغى** [العلق: ٦].

٧٩- وقوله ﷻ: **ويكونونَ عليهم ضِدا** [آية: ٨٢]. أي عوانًا.

قال مجاهد: أي تكون أوثا م عليهم في النار، تخاصمهم، وتكذ م.

٨٠- وقوله ﷻ: **ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا** [آية:٨٣]. في **معناه قولان:**

أحدهما: لم تعصمهم من الشياطين.

والقول الآخر: قيضنا لهم الشياطين، مجازاةً على كفرهم، قال الله ﷻ: **ومن يعش عن ذِكْرِ الرحمن نقيض له شيطانا** [الزخرف: ٣٦].

ومعنى أرسلنا في اللغة ها هنا: سلطنا.

ثم قال سبحانه: **تؤزهم أزا**.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: تغريهم إغراء.

قال ابن جريج: الشياطين تؤز الكافرين إلى الشر: امضوا، امضوا، حتى توقعهم في النار[1].

قال قتادة: تؤزهم أي تزعجهم إلى المعاصي.

قال أبو جعفر: هذه الأقوال متقاربة المعاني، وأصله من أزرت الشيء أؤزه، أزاً، وأزيزاً أي حركته، ومنه الحديث «**إن النبي** ﷺ **كان يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل**»[2] أي من البكاء.

٨١- وقوله ﷻ: **فَلا تعجلْ عليهم إنما نعد لهم عدا** [آية: ٨٤].

روى هشيم عن أبي يزيد عن أبي جعفر «محمد بن علي» في قوله تعالى: **إنما نعد لهم عدا** قال: كل شيء حتى الأنفاس.

---

(١) انظر الطبري ١٢٥/١٦ والقرطبي ١٥٠/١١ والدر المنثور ٢٨٤/٤.

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٥/٤ عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه، ولفظه: قال «انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي، ولصدره أزير كأزير المرجل».

٨٢- وقوله جل اسمه: يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا [آية: ٨٥].

قال أهل التفسير: أي ركباناً.

قال النعمان بن سعد: قرأ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه: **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا** فقال: «أما والله لا يحشرون على أقدامهم، ولكنهم يؤتون بنوق، لم تر الخلائق مثلها، عليها أرحلة الذهب، وأزمتها الزبرجد، ثم تنطلق م إلى الجنة، حتى يقرعوا با ».

٨٣- وقوله ﷻ: ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا [آية: ٨٦].

قال أهل التفسير: أي عطاشاً.

قال أهل اللغة: هو مصدر وردت، فالتقدير عندهم: ذوي ورد.

وقد حكوا أنه يقال للواردين الماء: ورد، فلما كانوا يردون على النار، كما يرد العطاش على الماء، قيل لهم: «ورد» فعلى هذا يوافق اللغة.

٨٤- ثم قال ﷻ: لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا [آية: ٨٧].

إنْ جعلت «من» بدلاً من الواو، كان المعنى:

لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً، فإنه يشفع.

وإن جعلته استثناء ليس من الأول، كان المعنى:

لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً، فإنه يشفع فيه.

٨٥- وقوله ﷻ: وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئا إدا [آية: ٨٨-٨٩].

قال مجاهد: أي عظيماً.

وذلك معروف في اللغة، يقال: جاء شيئاً إداً، وجاء بشيء إدّ.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي أدا بفتح الهمزة.

والكسر أعرف.

قال أبو عبيد: ومنه الحديث أن عبد الرحمن بن ملجم _لعنه الله_ لما هم بقتل عليّ رضوان الله عليه، ذاكر فلاناً قال أبو عبيد - وقد سماه - فقال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئاً إداً، أتقتل علي بن أبي طالب؟

٨٦- وقوله ﷻ: تكاد السماوات يتفطرن منه [آية: ٩٠].

قال مجاهد: الانفطار: الانشقاق.

قال أبو جعفر: وذلك معروف في اللغة، يقال: فطر ناب البعير، إذا انشق اللحم وخرج.

٨٧- وقوله ﷻ: وتخِر الْجِبالُ هدا [آية: ٩٠].

أي سقوطاً.

٨٨- وقوله ﷻ: أن دعوا لِلرحمن ولدا [آية: ٩١].

أي لأن دعوا للرحمن ولداً، ومن أن دعوا.

٨٩- وقوله ﷻ: إِن الذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ سيجعلُ لهم الرحمن ودا [آية: ٩٦].

روى مجاهد عن ابن عباس قال: محبة.

قال مجاهد: يحبهم الله، ويحببهم إلى خلقه.

٩٠- ثم **قال ﷻ: فإنما يسرناه بِلسانِك** [آية: ٩٧].

أي سهلناه، وأنزلناه بلغتك.

٩١- وقوله ﷻ : وتنذِر بِهِ قوما لدا [آية: ٩٧].

روى سفيان عن إسماعيل عن أبي صالح قال: عوجاً عن الحق.

وقال مجاهد: الألد: الظالم الذي لا يستقيم.

وقال الحسن: الد: الصم.

وقال أبو عبيدة: هو الذي لا يقبل الحق، ويدعي الباطل، وأنشد:

إن تحت الأحجار حـدا ولينـاً وخصِـيماً ألـد ذا مِغـلاق[1]

ويروى «مِعلاق» بالعين.

قال أبو جعفر: أحسن هذه الأقوال: الأول، واللديدان: صفحتا العنق، فكأنه تمثيل.

٩٢- وقوله ﷻ: وكم أهلكْنا قبلهم من قرنٍ هلْ تحِس مِنهم من أحدٍ [آية: ٩٨].

يقال: هل أحسست صاحِبك؟ أي هل أبصرته ؟

(١) البيت لمهلهل بن ربيعة، وهو في الكامل ص٢٥ واللسان (غلق)، ومجاز القرآن ١٣/٢.

٩٣- ثم **قال** ﷻ : **أو تسمع لهم ركْزاً** [آية: ٩٨].

روى علي بن الحكم، عن الضحاك، قال: صوتاً.

قال أبو جعفر: الركز في اللغة: الصوت الخفي، الذي لا يكاد يتبين.

وصلى الله على خير خلقه محمد نبيه وعلى آله وسلم.

«تمت سورة مريم ولله الحمد والمنَّة»

۞ ۞ ۞

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سورة الحج وهي مدنية

قال أبو عمرو بن العلاء عن مجاهد: سألت ابن عباس فقال: سورة الحج نزلت بمكة، سوى ثلاث آيات منها، فإ ن نزلن بالمدينة، في ستة نفر من قريش: ثلاثة منهم مؤمنون، وثلاثة كافرون.

فأما المؤمنون فهم: «حمزةُ بن عبد المطلب» و«علي بن أبي طالب» و«عبيدة بن الحارث» ﷺ.

دعاهم للبراز «عتبةُ» و«شيبة» ابنا ربيعة و«الوليد بن عتبة» فأنـزل الله ﷻ ثلاث آيات مدنيات، وهن قوله تعالى: **هذَان خصْمان اخْتصموا فِي ربهمْ..** [الحج: ١٩]. إلى تمام الآيات الثلاث من ذلك.

١- قوله ﷻ: يا أيها الناس اتقُوا ربكُمْ إن زلْزلةَ الساعةِ شيْءٌ عظِيم [آية: ١].

روى سفيان عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، قال هذا قبل يوم القيامة.

٢- ثم **قال ﷻ: يوْم تروْنها تذْهلُ كُل مرْضِعةٍ عما أرْضعتْ** [آية: ٢].

أي تسلو عنه، وتتركه وتتحير، لصعوبة ما هي فيه.

وبين الله ﷻ ذلك، على لسان نبيه ﷺ في أي موطن يكون هذا يوم القيامة.

حدثنا أحمد بن عبد الخالق، قال: حدثنا عمر بن محمد بن الحسن الأسدي، قال: حدثني أبي، حدثنا عصام بن طليق، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: «**كان النبي** ﷺ في **حجري، فقطرت دموعي على خده، فاستيقظ** ﷺ **فقلت: ذكرت القيامة وهولها، فهل تذكرون أهاليكم يا رسول الله؟ فقال يا عائشة: ثلاثة لا يذكر فيها أحد إلا نفسه.**

أ - عند الميزان حتى **يعلم أيخف ميزانه أم يثقل؟**

ب- وعند الصحف حتى **يعلم ما** في **صحيفته .**

جـ - وعند الصراط حتى **يجاوزه**»[1]

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٠١/٦، ورواه أبو داود في السنة رقم ٤٧٥٥ عـن عائشة رضي الله عنها، ولفظه قالت: «ذكرت النار فبكيت، فقال رسول الله ﷺ ما يبكيك؟
=

٣- وقوله ﷻ: ﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾ [آية: ٢].
أي وترى الناس سكارى من العذاب والخوف، وما هم بسكارى من الشراب.
وقرأ أبو هريرة، وأبو زرعة بن عمرو بن جرير ﴿وترى الناس﴾ أي تظنهم لشدة ما هم فيه.
حدثنا أحمد بن محمد بن نافع، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا عبد الرازق، أخبرنا معمر، عن قتادة، وأبان عن أنس بن مالك قال: نزلت ﴿**يا أيها الناس اتقُوا ربكُمْ إن زلْزلَةَ الساعةِ شيْءٌ عظِيم**﴾ إلى قوله: ﴿**ولكِن عذَاب الله شدِيد**﴾.
قال: نزلت على النبي ﷺ وهو في مسيرٍ له، فرفع بها صوته، حتى ثاب[1] إليه أصحابه، فقال: أتدرون أي يوم هذا؟ هذا يوم يقول الله ﷻ لآدم: **يا آدم قم فابعث بعثَ أهل النار، من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحداً إلى الجنة!!**
فَكَبر ذلك على المسلمين، فقال النبي ﷺ: «**سدّدوا، وقاربوا،وأبشروا، فو الذي نفسي بيده، ما أنتم في الناس، إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة في ذراع الدابة، وإن معكم لخليقتين، ما كانتا مع شيء إلا كثرتاه «يأجوج» و«مأجوج» ومن هلك من كثرة الجن والإنس**»[2].
٤- قال ابن جريج في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يجادِلُ في الله بغَيْر عِلْمٍ﴾ [آية: ٣]. هو النضر بن الحارث.
وقال غيره: ﴿يجادِلُ﴾ يخاصم في الله، بزعمه أن الله ﷻ، غير قادر على إحياء من قد بلي، وعاد ترابا ﴿**بغَيْر عِلْمٍ**﴾.
٥- وقوله ﷻ: ﴿ويتبِع كُل شيْطانٍ مرِيدٍ﴾ [آية: ٣].
أي ويتبع قوله ذلك وجداله، كل شيطان مريد.

=
قلت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال يا عائشة: أما في ثلاثة مواطن، فلا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل؟ وعند تطاير الصحف، حتى يعلم أين يقع كتابه، في يمينه، أم في شماله، أم من وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم، حتى يجوز».

(١) ثاب: رجع.
(٢) الحديث الترمذي في تفسير سورة الحج، برقم ٣٢١٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند ٤٣٢/٤ عن «عمران بن حصين» وابن كثير في التفسير ٣٨٦/٥.

كُتِب علَيْهِ [آية: ٤]. قال قتادة: «أي على الشيطان».

المريد: الممتد في الشر، المتجاوز فيه، ومنه قوله تعالى: **قَالَ إِنه صرْح ممرد من قَوارير** [النمل: ٤٤].

قيل: مطولٌ.

وقيل: مملس.

٦- وقوله ﷻ: كُتِب علَيْهِ أنه من تولاه فَأنه يضِله [آية: ٤].

قال مجاهد وقتادة: أنه من تولى الشيطان أي تبعه.

قال أبو جعفر: والمعنى: قُضي على الشيطان أنه يضل من اتبعه.

٧- وقوله ﷻ: يا أيها الناس إِن كُنتمْ فِي رَيْبٍ من الْبعْث.. [آية: ٥].

أي إن كنتم في شك من أنكم تبعثون، فتدبروا في أول خلقكم وابتدائكم فإنكم لا تجدون فرقاً بين الابتداء والإعادة.

٨- ثم **قال ﷻ: فَإِنا خلقْناكُم من تراب..** [آية: ٥].

يعني آدم عليه السلام. **ثُم مِن نطْفَةٍ ثُم مِنْ علَقَةٍ..** [آية: ٥].

قال الخليل: العلق: الدم قبل أن ييبس، الواحدة علقة، وهكذا تصير النطفة.

قال أبو عبيد: العلق من الدم: ما اشتدت حمرته.

٩- ثُم مِن مضْغةٍ [آية: ٥].

وهي لحمة صغيرة بقدر ما يمضغ. **مخلقَةٍ وغَيْر مخلقَةٍ** [آية: ٥].

روى معمر عن قتادة قال: تامة، وغير تامة.

قال الشعبي: النطفةُ، والعلقةُ، والمُضغةُ، فإذا نكست في الخلق الرابع كانت مخلقة، وإذا قذفتها قبل ذلك فهي غير مخلقة.

قال أبو العالية: غير مخلقة: السِّقْطُ.

قال أبو جعفر: مخلقَةٍ: مصورة، ويبين ذلك هذا الحديث المرفوع عن النبي ﷺ، وهو مروي من طرق شتى.

فمن طرقه ما رواه سلمة بن كُهيْل، عن زيد بن وهب، قال: سمعت ابن مسعود يقول: سمعت النبي ﷺ يقول - وهو الصادق المصدوق -: «**يجمع خلق أحدكم** في **بطن أمه أربعين يوماً،** ثم **يكون علقة أربعين يوماً،** ثم **يكون مضغة أربعين يوماً،** ثم **يبعث الله** ﷻ **إليه ملكاً، فيقول: اكتب عمله، وأجله، ورزقه، واكتبه شقيًا، أو سعيدًا..**».

قال عبد الله: «والذي نفسي بيده، إن الرجل ليعمل بعمل أهل السعادة، فيعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع، ثم يدركه الشقاء، فيعمل بعمل أهل النار، أو الشقاء، فيدخل النار»[1].

وروى عبيد الله بن أبي بكر عن أنس بن مالك جده قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله ﷻ قد وكل بالرحم ملكا، فيقول: أي رب أنطفة؟ أي رب أعلقة؟ أي رب أمضغة؟ فإذا أراد الله ﷻ أن يقضي خلقها، قال: يقول الملك: أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الأجل؟ فما الرزق؟ فيكتب ذلك في بطن أمه»**[2].

قال علقمة: إذا وقعت النطفة في الرحم, قال الملك: مخلقةً أو غير مخلقةً, فإن قال: غير مخلقة, مجت الرحم دما, وإن قال: مخلقةً, أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فيقول: اكتبها من اللوح المحفوظ, فيجد صفتها, فيستنسخه, فلا يزال العبد يعمل عليه حتى يموت.

١٠- وقوله ﷻ: ﴿لنبين لَكُمْ﴾ [آية: ٥].

أي ذكرنا أحوال الخلق لنبين لكم.

ويجوز أن يكون المعنى: خلقنا هذا الخلق لنبين لكم.

١١- ثم **قال ﷻ: ﴿ونقِر فِي الأَرْحامِ ما نشاءُ﴾** [آية: ٥].

أي ونحن نِقِر في الأرحام ما نشاءُ.

ثم قال: **﴿ومِنْكُم من يتوفى﴾** [آية: ٥].

---

(١) الحديث وراه البخاري في كتاب الأنبياء ١٦١/٤، بلفظ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطـن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسـل إليـه الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعملـه، وشـقي، أم سعيد...» الحديث، ومسلم في كتاب القدر ٤٤/٨، وأبو داود برقم ٤٧٠٨، والترمذي برقم ٢١٣٨ باب لأعمال بالخواتيم.

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب الأنبياء ١٦٢/٤، ومسلم في القدر ٤٥/٨، وأحمد في المسند ١٤٨/٣، وأورده الطبري في التفسير ١١٧/١٧، وابن كثير ٣٩١/٥، والسيوطي في الـدر المنثـور ٣٤٥/٤.

وحكى أبو حاتم أن بعضهم قرأ: ﴿وَمِنْكُم من يتوفى﴾ ومعناه يستوفى أجله.

١٢- وقوله ﷻ: ﴿لِكَيْلا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [آية: ٥].

قال الفراء: لكيلا يعقل من بعد ما عقل شيئاً.

١٣- وقوله ﷻ: ﴿وترى الأَرْض هامِدةً﴾ [آية: ٥].

روى سعيد عن قتادة قال: أي غبراء متهشمة.

قال أبو جعفر: يقال: همدت النار إذا طفئت وذهب لهبها, وأرض هامدة: أي جافة عليها تراب.

١٤- ثم **قال ﷻ: ﴿فَإِذَا أَنزلنا عَلَيْها الماءَ اهْتزتْ وربتْ﴾** [آية: ٥].

أي تحركت, و ﴿وربتْ﴾ أي زادت.

وقرأ يزيد بن القعقاع, وخالد بن إلياس **﴿وربأَتْ﴾** أي ارتفعت حتى صارت بمنـزلة الربيئة، وهو الذي يحفظ القوم على شيء مشرفٍ، فهو رابيء، ورِبيئة ُعلى المبالغة.

١٥- ثم **قال ﷻ: ﴿وأَنبتتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بهيجٍ﴾** [آية: ٥].

أي من كل صنفٍ من النبات.

وروى سعيد عن قتادة قال: ﴿بهيج﴾ حسن.

قال أبو جعفر: يقال: ج فهو ج: إذا حسن، وأ جني: أعجبني لحسنه.

١٦- ثم **قال ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الله هو الْحق﴾** [آية: ٦].

أي الأمر ذلك، والأمر ما وصف لكم وبّين.

ثم **قال ﷻ: ﴿وأنه يحْيِي الْمَوْتى﴾** [آية: ٦]. أي كما أحيا الأرض بقدرته.

١٧- وقوله ﷻ: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ [آية: ٩].

قال مجاهد: أي رقبته.

وقال قتادة: أي عنقه.

قال أبو العباس: العِطْف: ما انثنى من العنق، ويقال للأردية: العطف لأ ا تقع على ذلك الموقع.

وقال غيره: يوصف ذا المتكبر المعرض تجبراً.

١٨- قوله ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِما قدمتْ يداك وأَن الله لَيْس بِظَلامٍ للْعَبِيدِ﴾ [آية: ١٠].

والمعنى: يقال له: هذا العذاب بما قدمت يداك، وبأن الله ليس بظلام للعبيد.

١٩- ثم **قال ﷻ: ﴿ومِن الناس من يَعْبد الله على حَرْفٍ﴾** [آية: ١١].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: على شك.

قال أبو جعفر: وحقيقته في اللغة: على حرف طريقة الدّين، أي ليس داخلاً فيه بكّلّيته.

وبين هذا بقوله ﷻ : **فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ** [آية: ١١].

قال: استقر **وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ** [آية: ١١]. قال: عذاب أو مصيبة **انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ** [آية: ١١]. قال: ارتد كافراً.

٢٠- ثم قال ﷻ : **خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ** [آية: ١١].

وقرأ مجاهد وحميد: **خَاسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** .

٢١- وقوله ﷻ: **يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ** [آية: ١٢].

ثم قال بعد: **يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى** [آية: ١٣].

فيقال: كيف يكون له ضر وقد قال: «مالاَ يضره»؟

فالجواب أن المعنى: يدعو لمن ضر عبادته.

فإن قيل: كيف قال **أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ** [آية: ١٣] ولا نفع له؟

فالجواب: أن العرب تقول لما لا يكون البتةَ: هذا بعيد، مثل قوله تعالى: **ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ** [ق: ٣].

وفي الآية أجوبة من أجل اللام:

فأكثر النحويين يذهب إلى أ ا في غير موضعها، وأن المعنى: يدعو من لَضره أقرب من نفعه.

وقال أبو العباس: في الكلام حذف أي يدعو لمن ضره أقرب من نفعه إلهاً.

وقيل: يَدْعُو هاهنا بمعنى «يقول» كما قال عنترة:

يدْعون عنْتر والرِّماح كأنها أشْطانُ بئْرٍ في لَبان الأدْهم[1]

وقال أبو إسحق: يجوز أن يكون «يدعو» في موضع الحال، وفيه هاء محذوفة، ويكون خبر «من» **لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ** [آية: ١٣].

قال الفراء : يجوز أن يكون «يدعو» خبر «من» ويكون **لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ** مكررة على ما قبلها.

ولأبي إسحق قول آخر - وزعم أن النحويين أجازوه - قال: يكون **ذَلِكَ** بمعنى

---

(١) البيت في ديوانه ص ٢١٦، وانظر المحتسب لابن جني ١٠٩/١.

«الذي» أي الذي هو الضلال البعيد **يدْعو لمنْ ضره** كما قال تعالى: **وما تِلْك بِيمِينك يا موسى** [طه: ١٧]؟

وأنشد:

عدسْ ما لِعبـادٍ عليْـكِ إمـارةٌ أمِنْتِ وهذَا - تحْمِلينِ - طلِيق(1)

وحكى الفراء: أنه يجوز في هذا شيء لم يتقدم به أثر، وهو «يدعو لمن ضره» بكسر اللام، بمعنى يدعو إلى من ضره، كما قال سبحانه: **الْحمْد للهِ الذِي هدانا لِهذَا** [الأعراف: ١٤٣]. أي إلى هذا.

قال أبو جعفر: والآية مشكلة لدخول اللام، وإن الحُذاق من النحويين، يمنعون أن ينوى ا تقديم أو تأخير، لأ ا لا تصرف، وأن يكون **يدْعو** بمعنى «يقول» حسن، والخبر محذوف أي يقول لمن ضره أقرب من نفعه له.

٢٢- ثم **قال** ﷻ: **لَبِئْس الْمولَى** [آية: ١٣].

أي الولي، كما قال الشاعر:

فَعدتْ كِلا الفَرْجيْن تحْسب أنـه مولَى المَخافَةِ خلْفُها وأمامهـا(2)

ولَبِئْس الْعشِير [آية: ١٣]. أي الصاحب والخليل.

قال مجاهد: يعني الوثن.

٢٣- وقوله ﷻ: **من كَانَ يظُن أن لن ينصره الله فِي الدنْيا والآخِرةِ** [آية: ١٥].

قال أبو جعفر: هذه الآية مشكلة وفيها قولان:

أ - روى سفيان عن أبي إسحاق عن التميمي عن ابن عباس قال: **من كَانَ يظُن أن لن ينصره الله** يعني محمداً ﷺ **فَلْيمْددْ بِسببٍ** [آية: ١٥]. أي بحبل **إِلَى**

---

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري، كما في الشعر والشعراء ص٣٢٤، وخزانـة الأدب ٥١٤/٢ ومعاني القرآن للزجاج ٤١٧/٣، والمحتسب ٩٤/٢.

(٢) البيت من معلقة لبيد بن ربيعة المشهورة، ومطلعها:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

انظر شرح المعلقات السبع للزوزني، ص ٨٥، وجمهرة أشعار العرب ص ٧٠، قال الأزهري: يعني البقرة الوحشية تظن كلا فرجيها ولي مخافتها، ثم ترجم لكلا الفـرجين بأنـه خلفهـا وأمامها، ذيب اللغة ٣٥٩/١٠.

السماءِ [آية: ١٥]. أي سقف بيته **ثُم لْيقْطَعْ** [آية: ١٥] أي ليختنق.

قال أبو جعفر: وهذا قول أكثر أهل التفسير، منهم الضحاك.

ومعناه: من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً ﷺ ويظهر دينه على الدّين كله، فليجهد جهده، فلينظر هل ينفعه ذلك شيئاً؟

ب- والقول الآخر، أن طلحة بن عمرو قال: سمعت عطاء يقول: في قوله تعالى: **من كَانَ يظُن أن لن ينصره الله** [آية: ١٥]. أن لن يرزقه الله **فَلْيمْددْ بِسببٍ إِلَى السماءِ** [آية: ١٥]. أي إلى سماء بيته، فلينظر هل ينفعه ذلك، أو يأتيه برزق؟

وروي ابن أبي نجيح عن مجاهد **من كَانَ يظُن أن لن ينصره الله** قال: أي أن لن يرزقه الله.

قال أبو جعفر: وهذا القول أيضاً معروف في اللغة, وهو قول أبي عبيدة.

وحكى أهل اللغة أنه يقال: أرض منصورة أي ممطورة.

وروى عن ابن عباس: «من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً» أي يرزقه في الدنيا[1].

وقال غيره: الأولى أن تكون الهاء تعود على النبي ﷺ، لأن الله ﷻ، ذكر قوماً يعبدونه على حرف، ثم أتبع ذلك هذه الآية، في قوم يظنون أن الله لا يوسع على محمد وأمته، ولا يرزقهم في الآخرة من سِنيّ عطاياه، فليمدد بحبلٍ إلى سماء فوقه، إما سقف بيته أو غيره، إذا اغتاظ لاستعجال ذلك.

٢٤- قال أبو جعفر: وقد ذكرنا القول في قوله ﷻ: **إِن الذِين آمنوا والذِين هادوا** [البقرة: ٦٢] في سورة البقرة.

٢٥- وقوله تعالى: **أَلَمْ تر أن الله يسْجد لَه من فِي السماواتِ ومن فِي الأَرْض** [آية: ١٨]. قيل: السجود هاهنا الطاعة والانقياد.

ومعنى قوله تعالى: **وكَثِير حق علَيْهِ الْعذَاب** [آية: ١٨] وكثير أبى.

٢٦- ثم **قال** ﷻ: **ومن يهِن الله فَما لَه مِن مكْرِمٍ** [آية: ١٨].

قال الفراء: وقد يقرأ «فَما لَه مِن مكْرَمٍ» أي إكرام.

٢٧- ثم **قال** ﷻ: **هذَان خصْمان اخْتصموا فِي ربهِمْ** [آية: ١٩].

---

(١) انظر الطبري ١٢٧/١٧، والدر المنثور ٣٤٧/٤.

قد ذكرنا فيمن نزلت هذه القصة في أول هذه السورة.

٢٨- ثم قال ﷻ: **فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ** [آية: ١٩].

قيل: هذا لأحد الخصمين، وهي الفرقة الكافرة.

٢٩- ثم قال ﷻ: **يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ** [آية: ٢٠].

قال مجاهد: أي يذاب.

قال أبو جعفر: وحكى أهل اللغة: صهرت الشحم: أي أذبته، والصهارة: ما أذيب من الألية.

٣٠- **وقوله** ﷻ : **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ..** [آية: ٢٥].

خبر «إن» محذوف.

والمعنى: إن الذين كفروا هلكوا، كما قال:

إن محلاً وإن مرتحلاً(١)

٣١- ثم قال ﷻ: **وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ..** [آية: ٢٥].

وحكى أبو حاتم أن بعضهم قرأ **سَوَاءً** بالنصب، «العاكِفِ فِيه والْبَادِي» بالخفض.

والمعنى: الذي جعلناه للناس، العاكف والبادي.

قال مجاهد: العاكف: النازل، والبادي: الجائي.

وقال الحسن وعطاءٌ: العاكف : من كان من أهل مكة، والبادي: من كان من غير أهلها.

قال مجاهد: أي هما في تعظمهما وحرمتهما سواء.

وقال عطاء: أي ليس أحد أحق به من أحد.

وتأول عمر بن عبد العزيز الآية، على أنه لا يكرى بيوت مكة.

وروي عن عمر بن الخطاب: أنه كان ينهي أن تغلق دور مكة في زمن الحج، وأن الناس كانوا ينزلون منها حيث وجدوه فارغاً.

وظاهر القرآن يدل على أن المراد «المسجد» كما قال ﷻ: **هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** [الفتح: ٢٥]. لأنهم كانوا يمنعون منه، ويدعون أنهم

(١) هذا شطر بيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ٢٣٣.

أربابه، وإنما ذكر المسجد ولم يذكر دور الناس ومنازلهم.

وقيل: هما في إقامة المناسك سواء.

وقيل: ليس لأحدهما فضل على صاحبه.

٣٢- ثم **قال** ﷻ: **﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [آية: ٢٥].

روى مرةُ عن عبد الله بن مسعود قال: لو أن رجلاً هم بخطيئة لم تكتب عليه.. ولو هم بقتل رجل بمكة وهو بـ «عدنَ أبين») لعذبه الله ﷻ، ثم قرأ **﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**.

وروى هشيم عن الحجاج عن عطاء **﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾** قال: من عبد غير الله ﷻ.

وقال مجاهد: من عمل بسيئة.

وقال حبيب بن أبي ثابت: هم المحتكرو الطعام بمكة.

وأبين ما قيل فيه: أن معنى **﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾** **لكل معصية، لأن الآية عامة.**

قال أبو جعفر: أصل الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد، ومنه سمّي اللحد، ولو كان مستوياً لقيل: ضريح. ومنه قوله سبحانه: **﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾** [الأعراف: ١٨٠] يقال: لَحد، وألحد، بمعنى واحد، هذا قول أهل اللغة، إلا الأحمر فإنه حكى أنه يقال: ألحد إذا جادل، ولحد إذا عدل ومال.

قال سعيد بن مسعدة(١)**:** الباء زائدة، والمعنى: ومن يرد فيه إلحاداً بظلم.

---

(١) إمام النحو أبو الحسن، سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري، مولى بني مجاشع. أخذ عن الخليل بن أحمد، ولزم سيبويه حتى برع، وكان من أسنان سيبويه، بل أكبر. قال أبو حاتم السجستاني: كان الأخفش قدريا رجل سوء، كتابه في المعاني صويلح، وفيه أشياء في القدر. وقال أبو عثمان المازني: كان الأخفش أعلم الناس بالكلام، وأحذقهم بالجدل. قلت: أخذ عنه المازني، وأبو حاتم، وسلمة، وطائفة. وعنه قال: جاءنا الكسائي إلى البصرة، فسألني أن أقرأ عليه كتاب سيبويه، ففعلت، فوجه إلي بخمسين دينارا. وكان الأخفش يعلم ولد الكسائي. وكان ثعلب يفضل الأخفش، يقول: كان أوسع الناس علما. وله كتب كثيرة في النحو والعروض ومعاني القرآن. وجاء عنه قال: أتيت بغداد، فأتيت مسجد الكسائي، فإذا بين يديه الفراء والأحمر وابن سعدان، فسألته عن مائة مسألة، فأجاب، فخطأته في جميعها، فهموا بي، فمنعهم، وقال: بالله، أنت أبو الحسن؟ قلت: نعم، فقام وعانقني، وأجلسني إلى جنبه، وقال: أحب أن يتأدب أولادي بك، فأجبته. مات الأخفش سنة نيف عشرة ومائتين وقيل: سنة عشر.

وهذا عند أبي العباس خطأٌ، لأنه لا يزاد شيء لغير معنى.

والقول عنده أن يريد ما يدل على الإرادة.

فالمعنى: ومن إرادته بأن يلحد بظلم، كما قال الشاعر:

أريد لأنسـى ذكْرهـا فكأنمـا تمثلُ لي ليلـى بكُـلِّ سـبيل[(1)]

وحكى الفراء: عن بعض القراء **ومن يرِدْ فيه بإلحادٍ** [آية: 25]. من الورود.

وهذا بعيد، لأنه إنما يقال وردته، ولا يكاد يقال: وردت فيه.

33- وقوله ﷻ **: وإذْ بوأنا لإبراهيم مكانَ البَيْتِ** [آية: 26].

يقال: لم جيء هاهنا باللام، وقد قال في موضع آخر: **ولقَدْ بوأنا بني إسْرائيلَ مبوأ صِدْقٍ** [يونس 93]؟

فالفرق بينهما أن أهل التفسير قالوا: المعنى: جعلنا لإبراهيم مكان البيت مبوأ، أي منـزلاً.

قال أبو جعفر: ويبين لك معناه حديثٌ حدثناه أبو عبيد القاضي عن الزعفراني قال: حدثنا سعيد بن منصور، قال: حدثنا سفيان عن بشر بن عاصم، عن سعيد بن المسيب قال: سمعت كعب الأحبار يقول: «كان البيت غُثَاءَةً على الماء، قبل أن يخلق الله الأرض بأربعين سنة، ومنه دحِيت الأرض»[(2)].

قال سعيد: حدثنا علي بن أبي طالب، أن إبراهيم - نبي الله ﷺ - أقبل من «أرمينية» ومعه السكينة، تدله على البيت، حتى تبوأ البيت تبوأ، كما تتبوأ العنكبوت بيتاً، فكان يحمل الحجر من الحجارة - الحجر يطيقه أو لا يطيقه ثلاثون رجلاً - قال: فقلت لسعيد: يا أبا محمد إن الله ﷻ يقول: **وإذْ يرْفَع إبراهيم القَواعِد من البَيْتِ وإسْماعِيلُ** [البقرة: 127] قال: إنما كان هذا بعد ذلك.

34- ثم قال ﷻ**: وطَهرْ بيْتي للطائِفين والقَائِمين** [آية: 26].

روى هشيم عن عبد الملك قال: **القَائِمين**: المصلون.

قال قتادة: **والركع السجودِ** [آية: 26]. أهل الصلاة.

---

(1) البيت لكثير عزة، وانظر الأغاني 75/7، والأمالي 65/2، والمحتسب 32/2.

(2) انظر الطبري 548/1، والدر المنثور 353/4.

٣٥- ثم قال ﷻ: **وأذن في الناس بالحج** [آية: ٢٧].

وقرأ الحسن: وآذِنْ في الناس بالحَج مخففة ممدودة[1].

يقال: آذنته بالصلاة، وبكذا: أي أعلمته، وأذنت على التكثير.

وقرأ ابن أبي إسحاق **بالحِج** بكسر الحاء في جميع القرآن.

قال مجاهد: فقال إبراهيم عليه السلام: يا رب كيف أقول؟ قال: قل: «يا أيها الناس أجيبوا ربكم، فوقرت في قلب كل مؤمن، فأجابوا بـ «لبيك اللهم لبيك» أي فأجاب من يحج».

٣٦- ثم قال ﷻ: **يأتوك رجالاً** [آية: ٢٧].

قال ابن عباس: أي رجالة.

وقرأ مجاهد: يأتوك رُجالاً [2].

وروي عن عكرمة: يأتوك رجالاً[3].

قال أبو جعفر: يقال في جمع راجل خمسة أوجه: راجل، ورجال، مثل راكب وركاب، وهذا الذي روي عن عكرمة، وراجل، ورِجال مثل: قائم، وقيام.

ويقال: راجِلٌ، ورجلة، ورجلُ، ورجالة، فهذه خمسة.

والذي روي عن مجاهد غير معروف، والأشبه به أن يكون غير منون، مثل كُسالى وسكارى، ولو نونَ لكان على«فُعال» وفُعال في الجمع قليلٌ.

٣٧- ثم قال ﷻ: **وعلى كُل ضامِرٍ يأتين من كُل فَج عميق** [آية: ٢٧].

وقرأ أصحاب عبد الله: يأتُونَ مِنْ كلّ فَجٍّ عميق

قال عطاء ومجاهد والضحاك: من كل طريق بعيد.

قال أبو جعفر: العمق في اللغة: البعد، ومنه بئر عميقة أي بعيدة القعر، ومنه:

وقاتِمِ الأعْماقِ خاوِي المُخْترق [4]

---

(١) هذه قراءة الحسن، ووابن محيصن، انظر المحتسب ٧٨/٢، والقرطبي ٣٧/١٢، والبحر المحيط ٣٦٤/٦.

(٢) هذه القراءة من القرءات الشاذة، انظر المحتسب ٧٩/٢.

(٣) هذه القراءة من القرءات الشاذة، انظر المحتسب ٧٩/٢.

(٤) انظر شرح ابن عقيل ٢٠/١.

٣٨- ثم **قال** ﷻ: **﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾** [آية: ٢٨].

روى عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس قال: الأسواق.

وروى سفيان عن جابر عن أبي جعفر **﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾** قال: المغفرة.

وقال عطاء: ما يرضى الله من أمر الدنيا والآخرة.

قال أبو جعفر: قول جابر في هذا أحسن، أي وأذن في الناس بالحج، ليأتوا لعمل الحج الذي دعوا له، وهو سبب للمغفرة. وليس يأتون من كل فجّ عميق، ولا وأُذِّنْ فيهم ليتجروا، هذا بعيد جداً.

٣٩- ثم **قال** ﷻ: **﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾** [آية: ٢٨].

في الأيام المعلومات اختلاف، ولا نعلم في المعدودات اختلافاً.

روى ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو، عن زرّ بن حبيش، عن عليّ بن أبي طالب، قال: الأيام المعلومات يوم النحر، ويومان بعده، اذبح في أيها شئت، وأفضلها أولها.

وهذا المعروف من قول ابن عمر، وهو قول أهل المدينة.

وروى هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

«**الأيام المعلومات**»: العشر يوم النحر منها.

و«**الأيام المعدودات**» أيام التشريق إلى آخر النفر.

وقال بهذا القول عطاءٌ، ومجاهد، وإبراهيم، والضحاك، وهو قول أهل الكوفة.

٤٠- **وقوله** ﷻ: **﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾** [آية: ٢٨].

قال عطاء ومجاهد: إن شئت فكل، وإن شئت فلا تأكل.

قال أبو جعفر: وهذا عند أهل اللغة على الإباحة، كما قال سبحانه: **﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾** [المائدة: ٢].

فإن قيل: الإباحة لا تكون إلا بعد حظر، فكيف يكون هاهنا إباحة، وليس في الكلام حظرٌ؟

فالجواب أنهم كانوا في الجاهلية، يحظرون أكل لحوم الضحايا، فأعلمهم الله ﷻ أن ذلك مباح لهم.

قال مجاهد: ﴿الْبَائِسَ﴾ الذي إذا سألك مد يده.

قال أبو جعفر: البائس في اللغة: الذي به البؤس وهو شدة الفقر.

٤١- وقوله ﷻ: ثُم لْيقْضوا تفَثَهمْ [آية: ٢٩].

حدثنا أحمد بن محمد بن منصور الحاسب، قال: حدثنا الحكم بن موسى، قال: حدثنا عيسى بن يونس، قال: حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء، عن ابن عباس قال: التفَثُ: الحلق، والتقصير، والرمي، والذبح، والأخذُ من الشاربِ، واللحيةِ، ونتف الإبط، وقص الأظفار.

وكذلك هو عند جميع **أهل التفسير**، أي الخروج من الإحرام إلى الحلّ، لا يعرفه أهل اللغة إلا من التفسير.

٤٢- وقوله ﷻ: ولْيوفُوا نذُورهمْ [آية: ٢٩].

قال مجاهد: الحج، والهدي، وكل ما يلزم الإنسان من أمر الحج.

قال أبو جعفر: الذي قاله مجاهد معروف، يقال لكل ما وجب على الإنسان: نذر.

فالمعنى: **وليوفوا ما وجب عليهم من أمر الحجّ.**

٤٣- ثم **قال سبحانه: ولْيطوفُوا بِالْبيْتِ الْعتِيق** [آية: ٢٩].

قال مجاهد والضحاك: هو الطواف الواجب يوم النحر.

وروى روح بن عبادة، عن صالح بن أبي الأخضر، عن الزهري، أن النبي ﷺ قال: **«إنما سمّي البيت العتيق، لأن الله ﷻ أعتقه من الجبابرة، فلم يغلب عليه جبار قط»**[1]

ورواه أبو داود الطيالسي عن صالح، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، وأبي سلمة، عن أبي هريرة، غير مرفوع.

وقال الحسن: سمّي العتيق لقدمه.

وحجته قوله تعالى: **إن أولَ بيْتٍ وضِع لِلناس للذِي بِبكةَ** [آل عمران: ٩٦].

٤٤- وقوله ﷻ: ذَلِك ومن يعظمْ حرماتِ الله فَهو خيْر له عِنْد ربهِ [آية: ٣٠].

قال مجاهد: الحج والعمرة.

وقال عطاء: المعاصي.

قال أبو جعفر: القولان يرجعان إلى شيء واحد، إلا أن حرمات الله ﷻ، ما فرضه، وأمر به، ونهى عنه، فلا ينبغي أن يتجاوز، كأنه الذي يحرم تركه.

---

(١) الحديث رواه الترمذي مرفوعاً ٣٠٤/٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وانظر القرطبي ٥٢/١٢، والطبري ١٥٢/١٧، والدر المنثور ٣٥٧/٤،.

٤٥- وقوله ﷻ: وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم [آية: ٣٠].

قيل: الصيد للمحرم.

وروى معمر عن قتادة قال: الميتة، وما لم يذكر اسم الله عليه.

وقال غيره: هو ما يتلى في سورة المائدة من قوله ﷻ: **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير..** إلى قوله: **وما أكل السبع إلا ما ذكيتم** [المائدة: ٣].

قال أبو جعفر: وقول قتادة جامع لهذا، لأن هذه المحرمات أصناف الميتة.

٤٦- ثم **قال تعالى: فاجتنبوا الرجس من الأوثان** [آية: ٣٠]. الرّجس: النّتن.

و«من» هاهنا لبيان الجنس، أي الذي هو وثن.

٤٧- ثم **قال** ﷻ **: واجتنبوا قول الزور** [آية: ٣٠].

قال عبد الله بن مسعود: عدل الله ﷻ شهادة الزور بالشرك، ثم تلا هذه الآية.

وقال مجاهد: الزور: الكذب.

وقيل: الشرك.

والمعاني متقاربة، وكل كذب زور، وأعظم ذلك الشرك.

والذي يوجب حقيقة المعنى: لا تحرموا ما كان أهل الأوثان يحرمونه، من قـولهم: **ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا** [الأنعام: ١٣٩] ومن تحريم السائبة, وما أشبه ذلك من الزور, كما قال تعالى **افتراءً على الله** [الأنعام: ١٤٠].

٤٨- ثم **قال** ﷻ**: حنفاء لله غير مشركين به..** [آية: ٣١].

قال مجاهد: أي متبعين.

٤٩- ثم **قال** ﷻ**: ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير ..** [آية: ٣١].

أي هو في البعد من الحق كذي.

يقال: خطِفَه يخطَفُه, واختطَفَه يختطفُه: إذا أخذَه بسرعةٍ.

٥٠- ثم **قال** ﷻ**: أو تهوي به الريح في مكان سحيق** [آية: ٣١].

قال مجاهد: أي بعيد.

٥١- وقوله ﷻ**: ذلك ومن يعظم شعائر الله ..** [آية: ٣٢].

قال مجاهد عن ابن عباس: هو تسمين البدن, وتعظيمها, وتحسينها.

وقال غيره: ﴿شعائر الله﴾: رمي الجمار, وما أشبه ذلك من مناسك الحج.

قال أبو جعفر: وهذا لا يمتنع, وهو مذهب مالك بن أنس, أن المنفعة بعرفة, إلى أن يطلع الفجر من يوم النحر, وفي المشعر الحرام, إلى أن تطلع الشمس, وفي رمي الجمار, إلى انقضاء أيام منى, وهذه كلها شعائر, والمنفعة فيها إلى يوم معلوم ﴿ثُم محِلها﴾ كلها ﴿إلى البَيْتِ العَتِيق﴾ فإذا طاف الحاج بعد هذه المشاعر بالبيت العتيق, فقد حل.

وواحد «الشعائر» شعيرة, لأ ا أشعرت أي: جعلت فيها علامة تدل على أ ا هدي.

ثم قال تعالى: ﴿فَإنها مِن تقْوى القُلُوب﴾ أي فإن الفَعلة.

٥٢- وقوله ﷻ: **﴿لَكُمْ فِيها منافِع إلى أجلٍ مسمى..﴾** [آية: ٣٢].

قال أبو جعفر: في هذا قولان غير قول مالك.

أحدهما: أن «عروة» قال: هي البدن المقلدة يركبها ويشرب من ألبا ا.

والثاني: قال مجاهد: هي البدن من قبل أن تقلد, ينتفع بركو ا, وأوبارها, وألبا ا, وإذا صارت هدياً لم يكن له أن يركبها إلا من ضرورة.

قال أبو جعفر: وقول مجاهد عند قوم أولى, لأن الأجل المسمى عنده أن تجعل هدياً وتقَلد, والأجلُ المسمى ليس موجودا في قول عروة.

وقد احتج من قال بقول عروة بقول النبي ﷺ: «**اركبها ويلك**»[1].

واحتج عليه بأنه لم يقل له: وهل يحرم ركوب البدن؟

ولعل ذلك من ضرورة, ويبين هذا حديث ابن جريح عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ: «**اركبوا الهَدْي بالمعروفِ حتى تجدوا ظهراً**»[2].

٥٣- وقوله ﷻ **﴿ولكُل أمةٍ جعلْنا منسكًا..﴾** [آية: ٣٤].

روى سفيان عن أبيه عن عكرمة قال: مذبحاً.

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول: عيداً.

قال أبو إسحاق: المَنسك: موضع الذبح, المَنسك المصدر.

٥٤- ثم **قال تعالى ﴿وبشر المخْبِتين﴾** [آية: ٣٤].

---

(١) الحديث رواه البخاري ٢٠٥/٢، ومسلم ٩١/٤، ولفظه: «أن رسول اللـه ﷺ رأى رجـلا يسوق بدنة، قال: اركبها، قال إ ا بدنة، قال: «اركبها ويلك» في الثانية، أو الثالثة».

(٢) الحديث رواه مسلم برقم ٣٧٦ بلفظ: (اركبها بالمعروف حتى تجد ظهرا).

روى سفيان عن ابن أبي **نجيح** عن مجاهد قال: المخبتون: المطمئنون بأمر الله ﷻ.

وقال عمرو بن أوس: المخبتون الذين لا يظلمون, وإذا ظلموا لم ينتصروا.

قال أبو جعفر: وأصل هذا من الخَبت, وهو ما اطمأن من الأرض.

٥٥- وقوله ﷻ **: والبُدْنَ جعلْناها لكُم من شعائِر الله..** [آية: ٣٦].

وقرأ ابن أبي **إسحاق: والبُدْنَ** والمعنى واحد.

قال مجاهد: قيل لها بدنٌ: للبدانة.

قال أبو جعفر: البدانة: السمن, يقال: بدن إذا سمن, وبدن إذا أسن, فقيل لها بدن لأ ا تسمّن.

٥٦- وقوله ﷻ**: لكُمْ فِيها خيْر..** [آية: ٣٦].

قال إبراهيم: يركب إذا احتاج, ويشرب من اللبن.

وقيل: خير في الآخرة.. وذا أولى لأنه لو كان للدنيا, كان ألا يجعلها بدنةً خيراً له.

٥٧- وقوله ﷻ**: فَاذْكُروا اسْم الله علَيْها صواف..** [آية: ٣٦].

وقرأ عبد الله بن مسعود: صوافِن .

وقرأ الحسن وزيد بن أسلم والأعرج: صوافي.

روى نافع عن ابن عمر فَاذْكُروا اسْم الله علَيْها صواف قال: قياماً مصفوفة.

وروى أبو ظبيان عن ابن عباس **فَاذْكُروا اسْم الله علَيْها** قال «بسم الله, والله أكبر, اللهم منك ولك».

قال: و«صوافن» قائمة على ثلاث.

قال قتادة: معقولة اليد اليمنى.

قال الحسن وزيد بن أسلم: **صوافِي** أي خالصة لله من الشرك! **قال أبو جعفر: صواف** جمع صافة, وصافة: مصفوفة ومصطفة بمعنى واحد.

و«صوافن» جمع صافنة, يقال للقائم: صافن, ويستعمل لما قام على ثلاث.

و«صوافى» جمع صافٍ وهو الخالص, أي: لا تذكروا عليها غير اسم الله ﷻ, حتى تكون التسمية خالصة لله ﷻ.

٥٨- ثم **قال** ﷻ**: فَإِذَا وجبتْ جنوبها** [آية: ٣٦].

قال مجاهد: أي خرت إلى الأرض.

٥٩- ثم **قال** ﷻ: **فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ** [آية: ٣٦].

قال أبو جعفر: أحسن ما قيل في هذا - وهو الصحيح في اللغة - أن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن قالوا:

الْقَانِعَ الذي يسأل.

و **الْمُعْتَرَّ** الذي يتعرض ولا يسأل.

وقال مالك بن أنس: أحسن ما سمعت، أن «القانع» هو الفقير، وأن «المُعتر» هو الزائر.

وقال أبو جعفر: يقال قنع الرجلُ، يقنع قنوعاً فهو قانع، إذا سأل، وأنشد أهل اللغة:

لَمَالُ المَرْءِ يُصْلِحه فيُغْنِي مفَاقِرهُ أعفُّ من القُنُوعِ(1)

وروي عن أبي رجاء أنه قرأ **وأطعموا القَنِع** .

ومعنى هذا مخالف للأول، يقال: قَنِع الرجلُ إذا رضي فهو قَنِع.

وروي عن الحسن أنه قرأ **والمُعْتَري** معناه كمعنى المعترّ، يقال: اعتره، واعتراه، وعره، وعراه: إذا تعرض لما عنده، أو طلبه.

٦٠- وقوله ﷻ: **لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا** [آية: ٣٧].

يروى عن ابن عباس، أنهم كانوا في الجاهلية ينضحون بدماء البدن ما حول البيت، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك، فأنزل الله ﷻ هذه الآية.

قال إبراهيم في قوله تعالى : **وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ** [آية: ٣٧]. قال: التقوى ما أريد به وجه الله ﷻ.

٦١- وقوله ﷻ: **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا** [آية: ٣٨].

وعدهم ﷻ النصر، ثم أخبرهم أنه لا يحب من ذَكَر غير اسمه على الذبيحة، فقال: **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ** [آية: ٣٨].

و **خَوَّانٍ** فعال من الخيانة.

٦٢- ثم **قال** ﷻ : **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا** [آية: ٣٩].

---

(1) البيت للشماخ، وهو في ديوانه ص ٢٢١، والمفاقر: وجوه الفقر.

والمعنى: إن مال الإنسان الذي يكسبه من عرق جبينه، ويدفع عنه وجوه الفقر، خير له من مسألة الناس، وانظر تفسير ابن كثير ٤٢٥/٥ والقرطبي ٦٤/١٢.

في الكلام حذف.

والمعنى: أذن للذين يقاتلون أن يقاتلوا.

وروى الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير أنه قرأ «أَذِنَ» بفتح الهمزة، «يقَاتِلُونَ» بكسر التاء، وقال: هي أول آية نزلت في القتال، لما أخرج النبي ﷺ من مكة.

٦٣- وقوله ﷻ: الذين أخْرجوا من ديارهم بغيْر حق [آية: ٤٠].

روى علي بن الحكم عن الضحاك قال: هو النبي ﷺ ومن معه من مكة.

٦٤- ثم قال ﷻ: إلا أن يقُولُوا ربنا الله [آية: ٤٠].

هذا عند (سيبويه) استثناء ليس من الأول.

وقال غيره: المعنى إلا بأن يقولوا ربنا الله على البدل.

٦٥- ثم قال ﷻ: ولَوْلا دفْع الله الناس بعْضهمْ ببعْض لهدمتْ صوامِع وبيع وصلوات ومساجِد يذْكر فيها اسم الله كثِيرًا [آية: ٤٠].

حدثنا سعيد بن موسى بـ «قَرقيسياء»[1] قال: حدثنا مخلد بن مالك، عن محمد بن سلمة، عن خصيف قال: أما «الصوامع» فصوامع الرهبان.

وأما «البيع» فكنائس النصارى.

وأما «الصلوات» فكنائس اليهود.

وأما «المساجد» فمساجد المسلمين.

قال أبو جعفر: والمعنى على هذا: لولا أن الله ﷻ يدفع بعض الناس ببعض، لهدم في وقت كل نبي، المصليات التي يصلى فيها.

وقيل: **يذْكر فيها اسم الله كثِيرًا** راجع إلى المساجد خاصة، هذا قول قتادة.

فأما قوله: **وصلوات** والصلوات لا تهدم ففيه ثلاثة أقوال:

قال الحسن: «هدمها»: تركها.

قال الأخفش: هو على إضمار أي وتركت صلوات.

وقال أبو حاتم[2]**:** هو إن شاء الله بمعنى: موضِع صلوتٍ

وروي عن «عاصم الجحدري» أنه قرأ **وصلُوب** [1] بالباء المعجمة من تحت.

---

(١) قرقيسياء: بلدة على نهر الخابور عند مصب الخابور في الفرات، انظر معجم البلدان ٣٢٨/٤.

(٢) يعني: السجستاني، وقد تقدمت ترجمته.

وروي عنه أنه قرأ وصلْوت [٢] بضم الصاد والتاء، معجمة بنقطتين، وقال: هي للنصارى.

وروي عن الضحاك أنه قرأ وصلُوث [٣] بالثاء معجمة، ولا أدري أفتح الصاد أم ضمها؟ إلا أن الحسن قال **وصلوات** هي كنائس اليهود، وهي بالعبرانية صلواثا.

٦٦- وقوله ﷻ: الذِين ِإن مكناهمْ ِفي الأرْض أقَاموا الصلاةَ وآتوا الزكَاةَ [آية: ٤١].

قال الحسن: هم أمة محمد ﷺ.

وقال بن أبي نجيح: هم الولاةُ.

قال أبو جعفر: «الذين» بدل من «من» والمعنى: ولينصرن الله الذين إن مكناهم في الأرض، أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة.

٦٧- وقوله ﷻ: فكأَين من قرْيةٍ أهْلكْناها وِهي ظاِلمةٌ فَهي خاوِيةٌ على عروشِها [آية: ٤٥].

قال أهل التفسير: المعنى «فكم» وهي عند النحويين «أي» دخلت عليها «كاف» التشبيه، فصار التقدير كالعدد الكثير والمعنى معنى «كم».

٦٨- وقوله ﷻ: فَهي خاوِيةٌ على عروشِها [آية: ٤٥].

روى مْعمر عن قتادة قال : خاليةٌ ليس فيها أحد.

قال أبو جعفر : يقال خوت الدار تخْوى خواءً إذا خلتْ، وخوى الرجلُ يخْوى خوىً إذا جاع، والعروش : السقوف.

٦٩- وقوله ﷻ: وبئْرٍ معطلَةٍ [آية: ٤٥].

قال الضحاك: أي لا أهل لها.

وقَصْرٍ مشِيدٍ [آية: ٤٥]. قال عكرمة: أي مجصص.

قال ابن أبي نجيح: أي بالقَصة وهي الجص.

وروى علي بن الحكم، عن الضحاك **وقَصْرٍ مشِيدٍ** قال: طويل.

والقول الأول أولى، لأنه يقال: شاده، يشِيده، إذا بناه بالشيد، وهو الجص، كما =

(١) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب ٨٢/٢.

(٢) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب ٨٢/٢.

(٣) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب ٨٢/٢.

قال عدي بن زيد:

شاده مرمـراً وجللـه كلسـاً فللطّـيرِ في ذُراه وكُـورْ[1]

فأما إذا طوله ورفعه فإنما يقال فيه: شيده وأشاده، ومنه أشاد فلان بذكر فلان.

٧٠- وقوله ﷻ: **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** [آية: ٤٦].

وفي قراءة عبد الله **فإنه لا تعمى** والمعنى واحد.

قال أبو جعفر: التذكير على الخبر، والتأنيث على القصة.

قال قتادة: البصر الناظر جعل بلْغةً ومنفعة، والبصر النافع في القلب.

٧١- ثم قال ﷻ: **ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يومًا عند ربك كألف سنةٍ مما تعدونَ** [آية: ٤٧].

روى إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: يوم من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض كألف سنة مما تعدون.

وروى شعبة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس، قال: يوم من أيام الآخرة، كألف سنة مما تعدون.

قال: ويوم كان مقداره خمسين ألف سنة (يوم القيامة).

قال أبو جعفر: والقول الثاني حسن جداً، لأنه عليه يتصل بالكلام الأول، لأ م استعجلوا بالعذاب فقال: **ولن يخلف الله وعده** أي في عذا م، وإن يوماً من أيام عذا م في الآخرة، كألف سنة مما تعدون في الدنيا.

فصار المعنى: إن الله لن يخلف وعده في عذا م في الدنيا، وعذا م في الآخرة أشد.

قال أبو جعفر: وفي معناه قول آخر بين وهو أ م استعجلوا بالعذاب فأعلمهم الله ﷻ، أنه لا يفوته شيءٌ، وأن يوماً عنده وألف سنة واحد، إذْ كان ذلك غير فائته.

٧٢- وقوله ﷻ: **والذين سعوْا في آياتنا معاجزين** [آية: ٥١]

قال عبد الله بن الزبير إنما هي معجّزين أي مثبطين عن الإيمان.

قال ابن عباس: معاجزين أي مشاقين.

---

(١) البيت في ديوانه ص ٨٨، وانظر الجمهرة ٤٥/٣.

قال الفراء: معاندين.

وروى معمر عن قتادة في قوله تعالى: **معاجزين** قال: كذبوا بآيات الله ﷻ، وظنوا أنهم يعجزون الله، ولن يعجزوه.

قال أبو جعفر: وهذا قول بيّن.

والمعنى عليه: والذين سعوا في آياتنا، ظانين أنهم يعجزوننا، لأنهم لا يقرون ببعث، ولا بجنة، ولا نار، أولئك أصحاب الجحيم.

٧٣- وقوله ﷻ: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته [آية: ٥٢].

قال ابن أبي نجيح: تمنى أي: قال.

وقال أهل اللغة: «تمنى» أي تلا، والمعنى واحد.

٧٤- ثم **قال ﷻ: فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته** [آية: ٥٢].

روى الليث عن يونس عن الزهري، قال: أخبرني أبو بكر ابن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام أن النبي ﷺ قرأ بمكة **والنجم إذا هوى** [النجم: ١] فلما بلغ إلى قوله تعالى: **أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى** [النجم: ١٩-٢٠] سها فقال «فإن شفاعتهم ترتجى» فلقيه المشركون، والذين في قلوبهم مرض، فسلموا عليه، فقال: إن ذلك من الشيطان، فأنـزل الله ﷻ: **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته** [آية: ٥٢] إلى آخر الآية.

قال قتادة: قرأ النبي ﷺ فأغفى ونعس فقال: أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى. فإنها ترتجى، وإنها الغرانيق العلى، فوقرت في قلوب المشركين، فسجدوا معه أجمعون، وأنـزل الله ﷻ : **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته** إلى آخر الآية.

٧٥- وقوله ﷻ: ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض [آية: ٥٣].

فتنة أي اختباراً وامتحاناً والله ﷻ يمتحن بما يشاء.

٧٦- وقوله ﷻ: وإن الظالمين لفي شقاق بعيد [آية: ٥٣].

الشقاق: أشد العداوة.

٧٧- ثم **أخبر تعالى أن هؤلاء لا يتوبون، ولا يزالون** في **شك، فقال ﷻ: ولا يزال الذين كفروا في مرية منه** [آية: ٥٥].

أي في **شك** **حتى تأتيهم الساعةُ بغتةً** [آية: ٥٥]. أي فجأة **أو يأتيهمْ عذاب يومٍ عقيمٍ** [آية: ٥٥].

قيل: هو يوم القيامة.

وأهل التفسير على أنه يوم بدر، قال ذلك سعيد بن جبير، وقتادة.

وقال قتادة: وبلغني عن أبي بن كعب أنه قال: أربع آيات نزلت في يوم بدر.

عذاب يومٍ عقيمٍ يوم بدر.

و«اللّزام»: القتال في يوم بدر.

و **يوْم نبطِش البطْشةَ الكبْرى** [الدخان: ١٦] يوم بدر.

ولنذيقنهم من العذابِ الأدْنى دونَ العذابِ الأكْبر [السجدة: ٢١] يوم بدر.

قال أبو جعفر: أصل العقم في اللغة: الامتناع، ومنه قولهم: «امرأةٌ عقيم» و«رجلٌ عقيم» إذا مِنعا الولد.

و«ريح عقِيم» لا يأتي بسحاب فيه مطر.

أي فيه العذاب.

و«ويوم عقيم» لا خير فيه لقوم.

فيوم القيامة، ويوم بدر، قد عقِم فيهما الخير، والفرح عن الكفار.

٧٨- وقوله ﷻ: ذَلك ومنْ عاقَب بمثْل ما عوقب به [آية: ٦٠].

والأول ليس بعقوبة، فسمي الأول باسم الثاني، لأ ما من جنس واحد على الازدواج، كما يسمى الثاني باسم الأول.

٧٩- وقوله ﷻ: ألمْ تر أن الله أنزلَ من السماءِ ماءً فتصْبِح الأرْض مخْضرةً [آية: ٦٣].

قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله تعالى: **ألمْ تر أن الله أنزلَ من السماءِ ماءً فتصْبِح الأرْض مخْضرةً** فقال: هذا واجب، وهو تنبيه.

والمعنى: انتبه، أنـزل الله من السماء ماءً، فكان كذا، وكذا.

وقال الفراء: هو خبر.

ويقرأ ﴿فَتصْبِح الأَرْض مخْضرةً﴾[1] أي ذات خضرٍ، كما يقول: مبقَلة، ومسبعةَ، أي ذات بقل، وسِباعٍ.

٨٠- وقوله ﷻ: ﴿ويمْسِك السماءَ أن تقَع على الأَرْضِ إلا بإِذْنِه﴾ [آية: ٦٥].

والمعنى: كراهية أن تقع.

٨١- وقوله ﷻ: ﴿فَلاَ ينازِعنك فِي الأَمْرِ﴾ [آية: ٦٧].

أي فلا يجادلنك، ودل على هذا **﴿وإن جادلُوك﴾** [آية: ٦٨].

ويقال: قد نازعوه، فكيف قال: **﴿فَلا ينازِعنك﴾**؟

فالجواب: أن المعنى: فلا تنازعهم.

ولا يجوز **هذا إلا فيما لا يكون إلا من اثنين**، نحو المنازعة، والمخاصمة، وما أشبهها، ولو قلت: لا يضربنك تريد لا تضربهم لم يجز.

ويقرأ ﴿فَلا ينْـزِعنك فِي الأَمْرِ﴾[2] قرأ به «أبو مِجلز» أي فلا يغلِبنك.

وحكى أهل اللغة: نازعني فنـزعته.

٨٢- وقوله ﷻ: ﴿يكَادونَ يسْطُونَ بِالذِين يتْلُونَ علَيْهِمْ آياتِنا﴾ [آية: ٧٢].

قال محمد بن كعب: أي يقعون بهم.

وقال الضحاك: أي يأخذونهم أخذاً باليد.

وحكى أهل اللغة: سطَا به، يسطُو، إذا بطش به، كان ذلك بضرب أو بشتم.

٨٣- وقوله ﷻ: ﴿يا أيها الناس ضرب مثَلٌ فَاسْتمِعوا لَه﴾ [آية: ٧٣].

قال الأخفش: إن قيل: فأين المثل؟

فالجواب: أنه ليس ثَم مثل، والمعنى: إن الله ﷻ قال: ضربوا لي مثلاً على قولهم.

وقال القتبـي: يا أيها الناس مثلكم مثل من عبد آلهة، لم تستطيع أن تخلق ذباباً، وسلبها الذباب شيئاً، فلم تستطع أن تستنقذه منه.

فذهب إلى أن في الكلام ما دل على المثل من قوله تعالى: **﴿لَن يخْلُقُوا ذُباَبا ولَو اجْتمعوا لَه﴾** [آية: ٧٣] إلى آخر الآية.

---

(١) هذه القراءة ليست من القراءات السبع، وقراءة الجمهور بالتشديد ﴿مخضرة﴾.

(٢) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٨٥/٢.

ومذهب الأخفش أن الكفار ضربوا الله ﷻ مثلاً، أي جعلوا لله مثلاً بعباد م غيره، كما يعبد هو ﷻ، كما قال: «أين شركائي»[(١)]؟

والذباب عند أهل اللغة واحد، وجمعه أذِبة، وذِبان.

٨٤- وقوله ﷻ: ضعف الطالِب والمطْلوب [آية: ٧٣].

الطالب: الآلهة. والمطلوب: الذباب.

٨٥- ثم **قال** ﷻ: **ما قدروا الله حق قدْرِهِ** [آية: ٧٤].

أي ما عظموه حق عظمته.

ولما خبر بضعف ما يعبدون، أخبر بقوته فقال ﷻ **إن الله لقوي عزيز** [آية: ٧٤].

٨٦- وقوله ﷻ: يا أيها الذِين آمنوا ارْكعوا واسْجدوا [آية: ٧٧].

فلا يكون ركوع إلا بسجود، ثم قال تعالى: **واعْبدوا ربكُمْ** [آية: ٧٧] أي: أخلصوا عبادتكم لله وحده.

٨٧- ثم **قال** ﷻ: **وافْعلُوا الْخيْر** [آية: ٧٧].

أي كل ما أمر الله به.

ثم قال ﷻ: **لعلكُمْ تفْلِحونَ** [آية: ٧٧].

أي لتكونوا على رجاء من الفلاح

٨٨- ثم **قال** ﷻ: **وجاهِدوا فِي الله حق جِهادِهِ** [آية: ٧٨].

قيل: هذا منسوخ وهو مثل قوله: **اتقُوا الله حق تقَاتِهِ** [آل عمران: ١٠٢]. نسخه **فَاتقُوا الله ما اسْتطَعْتمْ** [التغابن: ١٦].

٨٩- ثم **قال** ﷻ **: هو اجْتباكُمْ** [آية: ٧٨]. **أي اختاركم،** ثم **قال: وما جعلَ عليْكُمْ فِي الدين مِنْ حرجٍ** [آية: ٧٨].

قال أبو هريرة: الإصر الذي كان على بني إسرائيل وضِع عنكم.

روى يونس عن الزهري قال: سأل عبد الملك بن مراون علي بن عبد الله ابن عباس عن قوله تعالى : **وما جعلَ عليْكُمْ فِي الدين مِنْ حرجٍ** فقال: هو الضيق، جعل لكفارات الأيمان مخرجاً، سمعت ابن عباس يقول ذلك.

---

(١) يشير إلى قوله تعالى في سورة القصص آية ٧٤ ويوم ينادِيهم فَيقُولُ أين شركَائِي الذِين كُنتم تزعمونَ .

قال أبو جعفر: أصل الحرج في اللغة: أشد الضيق، وقد قيل: إن المعنى أنه جعل للمسافر الإفطار، وقصر الصلاة، ولمن لم يقدر أن يصلي قائماً فليصلي قاعداً، وإن لم يقدر أومأ، فلم يضيق ﷻ.

وروى معمر عن قتادة قال: أُعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم يعطها إلا نبي:

أ - كان يقال للنبي اذهب، فلا حرج عليك، وقيل لهذه الأمة: **وما جعلَ عليْكُمْ فِي الدينِ مِنْ حرجٍ** .

ب- والنبي ﷺ شهيد على أمته، وقيل لهذه الأمة: **وتكُونوا شهداءَ علىٰ الناس** [آية: ٧٨].

جـ - ويقال للنبي: سلْ تعطه، وقيل: لهذه الأمة **وقَالَ ربكُمْ ادْعوني أسْتجِبْ لَكُمْ** [غافر: ٦٠][1].

وقال كعب الأحبار نحو هذا.

وقال عكرمة: أحل النساء مثنى، وثلاث، ورباع.

وروى عن ابن عباس: جعل التوبة مقبولة.

٩٠- وقوله ﷻ: **ملةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيم** [آية: ٧٨].

أي وسع عليكم، كما وسع ﷺ، وقيل: **وافْعلُوا الْخيْر** [آية: ٧٧]. فعل أبيكم إبراهيم.

٩١- ثم **قال تعالى: هو سماكُم الْمسْلِمِين مِن قبْلُ وفِي هذَا..** [آية: ٧٨].

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال يقول: الله ﷻ سماكم.

قال مجاهد: مِنْ قبْلُ أي في الكتب والذكر.

قال أبو جعفر: وفِي هذَا يعني القرآن.

٩٢- ثم **قال** ﷻ: **لِيكُونَ الرسولُ شهيدًا عليْكُمْ** [آية: ٧٨].

قال سفيان: أي بأعمالكم **وتكُونوا شهداءَ علىٰ الناس** [آية: ٧٨] بأن الرسل قد بلغتهم.

٩٣- وقوله ﷻ: **فَنِعْم الْموْلَىٰ** [آية: ٧٨] أي الولي **ونِعْم النصِير** [آية: ٧٨].

---

(١) انظر الطبري ٢٠٨/١٧، البحر المحيط ٣٩٢/٦، والقرطبي ١٠٠/١٢.

أي الناصر، كما يقول: قدير، وقادر، ورحيم، وراحم.

«انتهت سورة الحج»

۞ ۞ ۞

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سورة المؤمنون وهي مكية

١- من ذلك قول الله ﷻ: قَد أَفْلَح الْمؤمِنونَ [آية: ١].

أي قد نالوا الفلاح، وهو دوام البقاء في الجنة.

٢- ثم **قال** ﷻ: **الذِين هم فِي صلاتِهم خاشِعونَ** [آية: ٢].

قال إبراهيم وقتادة: الخشوع في القلب، قال إبراهيم: وهو السكون.

وقال قتادة: وهو الخوف، وغض البصر في الصلاة.

قال مجاهد: هو السكون.

والخشوع عند بعض أهل اللغة: في القلب، والبصر، كأنه تفريغُ القلب للصلاة، والتواضع باللسان، والفعل.

قال أبو جعفر: وقول مجاهد، وإبراهيم في هذا حسن، وإذا سكن الإنسان تذلل، ولم يطمح ببصره، ولم يحرك يديه، فأما وضع البصر موضع السجود، فتحديد شديد.

وقد روي عن علي عليه السلام**:** الخشوع: أن لا يلتفت في الصلاة.

وحقيقته: المنكسر قلبه إجلالاً لله، ورهبةً منه، ليؤدي ما يجب عليه.

٣- ثم **قال** ﷻ: **والذِين هم عن اللغو معرضونَ** [آية: ٣].

قال الحسن: عن المعاصي.

قال أبو جعفر: واللغو عند أهل اللغة: ما يجب أن يلْغى .

أي يطرح ويترك، من اللعب، والهزل، والمعاصي.

أي شغلهم الجد عن هذا.

٤- ثم **قال** ﷻ: **والذِين هم لِلزكاةِ فاعِلُونَ** [آية: ٤]. أي مؤدون.

ومدح الله ﷻ من أخرج من ماله الزكاة، وإن لم يخرج منها غيرها.

٥- ثم **قال** ﷻ: **والذِين هم لِفُروجِهم حافِظُونَ * إلا على أزواجِهم أو ما ملكَت أيمانهم فإِنهم غَير ملُومِين** [آية: ٥-٦].

قال الفراء: أي إلا من اللاتي أحل الله ﷻ لهم الأربع لا تجاوزه.

أو ما ملكت أيمانهم في موضع خفض معطوفة على أزواجهم، و«ما» مصدر،

أي ينكحون ما شاءوا من الإماء، حفظوا فروجهم إلا من هذين.

٦- ثم **قال** ﷻ: **فَمنِ ابتغى وراءَ ذَلِك فَأُولَئِك هم الْعادونَ** [آية: ٧].

أي فمن طلب سوى أربع نسوة، وما ملكت يمينه **فَأُولَئِك هم الْعادونَ** أي الجائرون إلى ما لا يحل، الذين قد تعدوا.

٧- ثم **قال** ﷻ: **والَّذِين هم لأَماناتِهم وعهدِهِم راعونَ** [آية: ٨].

أي حافظون.

يقال: رعيت الشيء: أي قمت بصلاحِهِ، ومنه فلانٌ يرعى ما بينه وبين فلان.

٨- ثم **قال تعالى: والَّذِين هم على صلَواتِهم يحافِظُونَ** [آية: ٩].

قال مسروقٌ: أي يصلونها لوقتها.

وليس من جهة الترك، لأن الترك كفر.

٩- ثم **قال** ﷻ: **أُولَئِك هم الْوارِثُونَ** [آية: ١٠].

يقال: إنما الوارث من ورث ما كان لغيره، فكيف يقال لمن دخل الجنة وارث؟

ففي هذا أجوبةٌ: يستغنى عن ذكرها بما روي عن النبي ﷺ.

روى الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: **أُولَئِك هم الْوارِثُونَ** قال: «ليس من أحدٍ إلا له منـزلان، منـزل في الجنة، ومنـزل في النار، فإن هو أدخل النار، ورث أهل الجنة منـزله، فذلك قوله تعالى: **أُولَئِك هم الْوارِثُونَ**»(١).

١٠- ثم **قال** ﷻ: **الَّذِين يرِثُونَ الْفِردوس هم فِيها خالِدونَ** [آية: ١١].

في **حديث سعيد عن قتادة عن أنس مرفوعاً :** «والفردوس ربوةُ الجنة ، وأوسطها، وأفضلها». ثم قال **هم فِيها خالِدونَ فأنث على معنى الجنة.**

١١- ثم **قال** ﷻ: **ولَقَد خلَقْنا الإِنسانَ مِن سلالَةٍ من طِينٍ** [آية: ١٢].

قال قتادة: استل آدم ﷺ من طين.

وقال غيره: إنما قيل لآدم سلالة، لأنه سل من كلِّ تربة.

ويقال للولد: سلالة أبيه.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجه في سننه ١٤٥٣/٢، وانظر ابن كـثير ٤٥٩/٥، والطـبري ٥/١٨، والقرطبي ١٠٨/١٢.

وهو «فُعالة» من انسل، وفعالة تأتي للقليل من الشيء، نحو: القُلامة، والنخالة.

وقد قيل: إن السلالة إنما هي نطفة آدم ﷺ، كذا قال مجاهد.

وهو أصح ما قيل فيه: ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم، وآدم هو الطين لأنه خلق منه.

١٢- ويدل على ذلك قوله ﷻ: ﴿ثُم جعلْناه نطْفَةً فِي قَرارٍ مكِينٍ﴾ [آية: ١٣].

ولم يصِر في قرار مكين، إلا بعد خلقه في صلب الفحل.

وقوله تعالى: ﴿ثُم جعلْناه نطْفَةً فِي قَرارٍ مكِينٍ﴾ يراد ولده.

﴿ثُم خلَقْنا النطْفَةَ علَقَةً﴾ [آية: ١٤] وهي واحدة العلق، وهو الدم قبل أن ييبس.

﴿فَخلَقْنا الْعلَقَةَ مضغةً﴾ [آية: ١٤] المضغةُ: القطعةُ الصغيرة من اللحم، مقدار ما يمضغ، كما يقال: «غُرفة» لمقدار ما يعزف، و«حسوة» لمقدار ما يحسى.

١٣- ثم **قال ﷻ: ﴿فَخلَقْنا الْمضغةَ عِظَاما﴾** [آية: ١٤].

ويقرأ «عظْماً» وهو واحد يدل على جمع، لأنه قد عِلم أن للإنسان عظاماً.

﴿فَكَسونا الْعِظَام لَحما﴾ [آية: ١٤]. ويجوز العظم على ذلك.

١٤- وقوله ﷻ: ﴿ثُم أَنشأْناه خلْقًا آخر﴾ [آية: ١٤].

روى عطاء عن ابن عباس والربيع بن أنس عن أبي العالية، وسعيد عن قتادة عن الحسن، وعلي بن الحكم عن الضحاك في قوله تعالى: **﴿ثُم أَنشأْناه خلْقًا آخر﴾** قالوا: نفخ فيه الروح.

وروى هشيم عن منصور، عن الحسن ﴿ثُم أَنشأْناه خلْقًا آخر﴾ قال: ذكراً وأنثى.

وروي عن الضحاك قال: الأسنان، وخروج الشعر.

قال أبو جعفر: وأولى ما قيل فيه: أنه نفخ الروح فيه، لأنه يتحول عن تلك المعاني، إلى أن يصير إنساناً.

والهاء في **﴿أَنشأْناه﴾** تعود على الإنسان، أو على ذكر العظام، والمضغة والنطفة، أي: أنشأنا ذلك.

وقوله ﷻ: **﴿ثُم إِنكُم بعد ذَلِك لَميتونَ﴾** [آية: ١٥].

ونقول في هذا المعنى: لمائتون.

١٥- وقوله ﷻ: ﴿ولَقَد خلَقْنا فَوقَكُم سبع طَرائِق﴾ [آية: ١٧].

قال أبو عبيدة: أي سبع سموات.

وحكى غيره أنه يقال: طارقت الشيء أي جعلت بعضه فوق بعض، فقيل للسموات: طرائق، لأن بعضها فوق بعض.

١٦- وقوله ﷻ: ﴿وأنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكنّاه في الأرض﴾ [آية: ١٨].

معنى **﴿فأسكنّاه في الأرض﴾** جعلناه فيها ثابتاً.

كما روي (أربعة أنهار من الجنة في الدنيا: الفرات، ودجلةُ، وسيحان، وجيحان).

قرئ على «أبي **يعقوب» إسحق بن إبراهيم بن يونس،** عن جامع بن سوادة، قال: حدثنا سعيد بن سابق، قال: حدثنا مسلمة بن علي، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**أنـزل الله ﷻ من الجنة خمسة أنهار: «سيحون» وهو نهر الهند، و«جيحون» وهو نهر بلخ، و«دجلةُ والفرات» وهما نهرا العراق، و«النّيلُ» وهو نهر مصر.. أنـزلهما الله ﷻ من عين واحدة من عيون الجنة، في أسفل درجة من درجاتها، على جناحي جبريل** عليه السلام **فاستودعها الجبال، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس من أصناف معايشهم،** وذلك قوله ﷻ: **﴿وأنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكنّاه في الأرض﴾** فإذا كان عند خروج «يأجوج ومأجوج» أرسل الله ﷻ جبريل عليه السلام، فرفع من الأرض القرآن، والعلم، وهذه الأنهار الخمسة، فيرفع ذلك إلى السماء، وذلك قوله تعالى: **﴿وإنا على ذهابٍ به لقادرون﴾** [آية: ١٨]. فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض إلى السماء، فقد أهلها خير الدّين، والدنيا، والآخرة».

١٧- وقوله ﷻ: ﴿وشجرةً تخرج من طور سيناء﴾ [آية ٢٠].

المعنى: **وأنشأنا شجرة.**

قال أبو عبيدة: الطور: الجبل، وسيناء: اسم.

وقال الضحاك ﴿سيناء﴾ الحَسن.

قال أبو جعفر: والمعروف أن «سينا» اسم الموضع.

١٨- ثم **قال ﷻ: ﴿تنبت بالدهن..﴾** [آية: ٢٠].

ويقرأ «تنبِت بالد هن». **وفيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن الباء زائدة، وهذا مذهب أبي عبيدة، كما قال الشاعر:

هن الحَرائــر لا ربــات أحمِــرةٍ سود المحاجِر لا يقْرأنَ بالســور[1]

وقيل: الباء متعلقة بالمصدر الذي دل عليه الفعل، فقيل:
نبت، وأنبت بمعنىً، كما قال الشاعر:

رأيت ذَوِي الحَاجاتِ حول بيوتهم قَطِيناً لهم حتى إذا أنبت البقْلُ[2]

وهذا القول مذهب الفراء وأبي إسحاق، ومعنى **تنبت** و **تنبت بالدهن** عندهما واحد.

والمعنى: تنبت ومعها الدهن، كما تقول: جاء فلانٌ بالسيف، أي ومعه السيف.

١٩- ثم **قال** ﷻ: **وصِبغ للآكِلِين** [آية: ٢٠].
وصِبغٌ، وصِباغٌ، بمعنىً واحد.

قال قتادة: يعني الزيتون.

٢٠- وقوله ﷻ: **إنْ هو إلا رجلٌ به جِنةٌ** [آية: ٢٥].
«جِنةٌ» أي جنون.

فتربصوا به حتى حِين [آية: ٢٥]. قال الفراء: ليس يراد بالحين وقت بعينه، إنما هو كما تقول: دعه إلى يوم ما.

٢١- وقوله ﷻ: **وقُل رب أنزِلْني منزلاً مباركًا** [آية: ٢٩].
«منزل» و«إنزال» واحد، والمنــزل: موضع النــزول، والمنزل بمعنى النــزول، كما تقول: جلس مجلسا، والمجلس: الموضع الذي يجلس فيه.

٢٢- وقوله ﷻ: **وأترفْناهم في الْحياةِ الدنيا** [آية: ٣٣].
معناه: وسعنا عليهم، حتى صاروا يؤتون بالترفْةِ، وهي مثلُ التحفة.

٢٣- وقوله ﷻ: **أيعِدكُم أنكُم إذَا مِتم وكُنتم ترابا وعِظَاما أنكُم مخرجونَ** [آية: ٣٥].

قال سيبويه: ومما جاء مبدلاً من هذا الباب قوله تعالى: **أيعِدكُم أنكُم إذَا مِتم**

---

(١) البيت في ديوان الراعي النميري، وهو منسوب أيضًا للقتال الكلابي، انظــر خزانــة الأدب ١٠٨/٩.

(٢) البيت لزهير، وهو في ديوانه ص١١١، والقَطِين: الساكن النازلُ في الدار، وانظر معاني القرآن للفراء ٢٣٣/٢، والبحر المحيط ٤٠٠/٦.

وكُنتم ترابا وعِظَاما أنكُم مخرجونَ ؟

يذهب إلى أن «أن » الثانية، مبدلة من الأولى، وأن المعنى: أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم؟

قال سيبويه: وكذلك أريد ا، وجيء بـ «أن» الأولى، لتدل على وقت الإخراج.

والفراء، والجرمي، وأبو العباس، يذهبون إلى أن «أن» الثانية مكررة للتوكيد، لَما طال الكلام كان تكريرها حسناً.

والأخفش يذهب إلى أن «أن» الثانية في موضع رفع بفعل مضمر، دل عليه «إذا» والمعنى عنده: أيعدكم أنكم إذا متم، وكنتم تراباً وعظاماً يحدث إخراجكم، كما تقول: اليوم القتالُ، والمعنى عنده: اليوم يحدث القتال، ويقع القتال.

قال الفراء: وفي قراءة ابن مسعود **أيعدكُم أنكُم إذَا مِتم وكُنتم ترابا وعِظَاما أنكُم مخرجونَ** ؟

قال أبو إسحاق: ويجوز «أيعدكم إنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً إنكم مخرجون» لأن معنى «أيعدكم» أيقول لكم.

٢٤- وقوله ﷻ: **هيهات هيهات لِما توعدونَ** [آية: ٣٦].

قال قتادة: أي للبعث.

قال أبو جعفر: العرب تقول: هيهات، هيهات لما قلت، وهيهات ما قلت.

فمن قال «هيهات لِما قلت» فتقديره: البعد لما قلت، ومن قال: «هيهات ما قلت» فتقديره: البعيد ما قلت.

وفي «هيهات» لغات ليس هذا موضع ذكرها.

٢٥- ثم **قال** ﷻ: **إنْ هِي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا** [آية: ٣٧].

يقال: كيف قالوا: **نموت ونحيا** وهم لا يقرون بالبعث؟

ففي هذا أجوبة:

أ - منها في **الآية تقديم وتأخيرٌ**، والمعنى: ما هي إلا حياتنا الدنيا، نحيا فيها ونموت كما قال تعالى: **واسجدِي واركَعِي** [آية: ٤٣].

ب- ومنها أن المعنى: نموت، ويحيا أولادنا.

ج- وجواب ثالث: وهو أن يكون المعنى: نكون مواتاً أي نطفاً، ثم نحيا في الدنيا.

٢٦- وقوله ﷻ: **قَالَ عما قَلِيلٍ ليصبِحن نادِمين** [آية: ٤٠].

والمعنى: عن قليل، و«ما» زائدة للتوكيد.

٢٧- وقوله ﷻ: فَجعلْناهم غُثَاءً [آية: ٤١].

والمعنى: فأهلكناهم، وفرقناهم.

والغثاء: ما علا الماء من ورق الشجر، والقمش[1]، لأنه يتفرق، ولا ينتفع به.

٢٨- وقوله ﷻ: ثُم أرسلْنا رسلَنا تترى.. [آية: ٤٤].

قال أبو عبيدة: أي بعضها في إثر بعض.

قال أبو جعفر: وهذا قول أكثر أهل اللغة، إلا الأصمعي فإنه قال: **تترى** من واترت عليه الكتب، أي بينها مهلة.

و«تترى» الأصل فيه من الوتر، وهو الفرد، فمن قال: **تترى** بالتنوين، فالأصل عنده «وتراً» ثم أبدل من الواو تاء كما يقال: «تالله» بمعنى: والله.

ومن قرأ تترى بلا تنوين، فالمعنى عنده كهذا: إلا أنه جعلها ألف تأنيث.

ويقال: تِتر كما يقال: وِتر.

والمعنى: أرسلناهم فرداً، فرداً، إلا أنه قد روى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس **ثُم أرسلْنا رسلَنا تترى** [آية: ٤٤]. قال يقول: يتبع بعضها بعضًا.

٢٩- وقوله ﷻ: وجعلْناهم أحادِيثَ [آية: ٤٤].

قال أبو عبيدة: أي مثلنا م، ولا يقال في الخير: جعلته حديثاً.

٣٠- وقوله ﷻ: وجعلْنا ابن مريم وأمه آيةً [آية: ٥٠].

قال قتادة: ولدته من غير أب.

قال أبو جعفر: ولم يقل: «آيتين» لأن الآية فيهما واحدة.

ويجوز أن يكون مثل قوله تعالى: **واللهُ ورسولُه أحق أن يرضوه** [التوبة: ٦٢].

٣١- وقوله تعالى: وآويناهما إِلى ربوةٍ [آية: ٥٠].

روى إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ﷻ: **وآويناهما إِلى ربوةٍ** قال: نُبِّئت أنها دمشق.

---

(١) القمش: جمع القماش، وهو ما على وجه الأرض من فتات الأشياء، حتى يقال لرذالة النـاس قماش. انظر القاموس المحيط مادة (قمش).

قال أبو جعفر: وكذا المعروف من قراءة ابن عباس ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ ويقال: «ربوة» بفتح الراء[1]، ويقال: «رباوةٌ» بفتح الراء والألف، وقرأ بها الأشهب العقيلي، ويقال: «رباوة» بالألف وضمّ الراء، ويقال: «رِباوةٌ» بكسر الراء، ومعناه: المرتفع من كل شيء.

ومعنى الربوة: ما ارتفع من الأرض، يقال: ربا إذا ارتفع وزاد، ومنه الرّبا في البيع.

وقد اختلف في المعنى هذا الحرف:

فقال ابن عباس ما ذكرناه.

وكذلك روى يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسّيب ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ قال: دمشق.

وروى معمر عن قتادة قال: بيت المقدس.

وقال كعب الأحبار: بيت المقدس أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلاً.

وقال وهب بن منّبه: مِصر.

وروى سالم الأفطس عن سعيد بن جبير ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ قال: النشز من الأرض.

وقال الضحاك: ما ارتفع من الأرض.

وقد روي عن النبي ﷺ أن الربوة هاهنا: الرملُة[2].

فأما ابن زيدٍ فقال: إلى ربوة من ربى مصر، قال: وليس الربى إلا بمصر، والماء حين يرسل تكون الربى عليها القُرى، ولولا الربى غرقت تلك القرى.

قال أبو جعفر: والصواب أن يقال: إنا مكان مرتفع، ذو استواء، وماءٍ ظاهر.

٣٢- ثم **قال تعالى:** ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [آية: ٥٠].

قال قتادة: ذات ماءٍ وثمار.

وروى سالمٌ عن سعيد بن جبير ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ مستوية و ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماءٍ ظاهر.

وروى علي بن الحكم عن الضحاك ﴿وَمَعِينٍ﴾ قال: الماء الجاري.

قال أبو جعفر: معنى ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ في اللغة: يستقر فيها، والذي قال سعيد بن

---

(١) قرأ عاصم وابن عمر ﴿إلى ربوة﴾ بفتح الراء، وقرأ الباقون ﴿ربوة﴾ بالضم، انظر السبعة ص ٤٤٦ وأما (رباوة) فهي من شواذ القراءات.

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط، عن مرة البهري قال: سمعت رسول اللـه ﷺ يقـول: الربوة: الرملة. والمقصود بالرماة هنا هي بلدة الرملة الواقعة في فلسطين.

جبير حسن.

و **ومعِينٍ فيه ثلاث تقديرات**:

إحداهن: أن يكون مفعولاً.

قال أبو إسحاق: هو الماءُ الجاري في العيون.

فالميم على هذا زائدة، كزيادتها في «مبيع».

وكذلك الميم زائدة في قول من قال: إنه الماء الذي يرى بالعين.

٢- وقيل إنه «فعيلٌ» بمعنى «مفعول».

قال علي بن سليمان[(١)]: يقال: معن الماءُ إذا جرى وكثر، فهو معين، وممعون، قال: وأنشدني محمد بن يزيد بيتاً، لم يحفظ منه إلا قوله:

«وماءٍ ممعون»

قال ويقال: معين، ومعن، كما يقال: رغِيف، ورغُف.

٣- والقول الثالث: حدثناه محمد بن الوليد عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال: معن الماءُ يمعن معوناً: جرى وسهل، وأمعن أيضاً وأمعنته أنا، ومياه معنانٌ.

٣٣- وقوله ﷻ: يا أيها الرسلُ كُلُوا مِن الطيباتِ واعملُوا صالِحا [آية: ٥١].

قال أبو إسحاق: هذا مخاطبة للنبي ﷺ، ودل الجمع على أن الرسل كلهم كذا أمروا، أي كلوا من الحلال.

٣٤- وقوله ﷻ: وإن هذِهِ أُمتكُم أمةً واحِدةً [آية: ٥٢].

---

(١) العلامة النحوي أبو الحسن، علي بن سليمان بن الفضل البغدادي. والأخفش: هو الضعيف البصر مع صغر العين. لازم ثعلبًا والمُبرد، وبرع في العربية وما أظنه صنف شيئًا، وهذا هو الأخفش الصغير. روى عنه: المعافى الجريري، والمرزباني، وغيرهما. وكان موثقًا. وكان بينه وبين ابن الرومي وحشة، فلابن الرومي فيه هجو في مواضع من ديوانه، وكان هو يعبث بابن الرومي، ويمر ببابه فيقول كلامًا يتطير منه ابن الرومي، ولا يخرج يومئذ. وقد سار الأخفش إلى مصر سنة سبع وثمانين ومائتين، فأقام إلى سنة ست وثلاث مائة، وقدم إلى حلب، وغيره أوسع في الآداب منه. قال ثابت بن سنان: كان يواصل المقام عند ابن مقلة قبل الوزارة، فشفع له عند ابن عيسى الوزير في تقرير رزق، فانتهره الوزير انتهارًا شديدًا فتألم ابن مقلة، ثم آل الحال بالأخفش إلى أن أكل السلجم نيئًا. مات فجأة في شعبان لسنة خمس عشرة وثلاث مائة وقيل: سنة ست عشرة.

المعنى: «ولأن» أي ولأن دينكم دين واحد، وهو الإسلام فاتقون.

٣٥- ثم خبر **أن قوماً فرقوا أديا م فقال** ﷻ: **فَتَقَطَّعوا أمرهم بينهم زبرا** [آية: ٥٣].

قال قتادة: أي كتباً.

قال الفراء: أي صاروا يهود ونصارى.

وقرأ الأعمش: فَتَقَطَّعوا أمرهم بينهم زبرا وهو جمع «زبرة» أي قطعاً وفرقاً.

٣٦- ثم **قال** ﷻ: **كُل حِزبٍ بِما لَديهم فَرِحونَ** [آية: ٥٣].

أي معجبون.

٣٧- ثم **قال تعالى: فَذَرهم في غَمرتهم حتى حِينٍ** [آية: ٥٤].

قال قتادة: فِي غَمرتهم أي في جهالتهم.

حتى حِينٍ قال مجاهد: حتى الموت.

٣٨- ثم **قال تعالى: أيحسبونَ أنما نمِدهم بِهِ مِن مالٍ وبنِين. نسارع لَهم في الخيراتِ** [آية: ٥٥-٥٦].

الخبر محذوف، والمعنى: نسارع لهم به، وهذا قول أبي إسحاق.

ولهشام الضرير فيه قول، وهو أن «ما» هي الخيرات، فصار المعنى: نسارع لهم فيه، بغير حذف: **أيحسبونَ أنما نمِدهم بِهِ مِن مالٍ وبنِين** [آية: ٥٥]. مجازاة لهم وخير.

وقرأ عبد الرحمن بن أبي بكرة يسارِع لَهم في **الخَيراتِ** بالياء وكسر الراء.

وهذا يجوز **أن يكون على غير حذف،** أي يسارع لهم الإمداد.

ويجوز أن يكون فيه حذفٌ، ويكون المعنى: يسارع الله لهم به في الخيرات.

٣٩- **وقوله** ﷻ **: إِن الذِين هم من خشيةِ ربهم مشفِقُونَ..** [آية: ٥٧]. إلى **قوله** ﷻ: **والذِين يؤتونَ ما آتوا وقُلُوبهم وجِلةٌ** [آية: ٦٠].

قال عبد الرحمن بن سعيد الهمداني عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**سألت رسول الله** ﷺ **عن قوله** تعالى: **والذِين يؤتونَ ما آتوا وقُلُوبهم وجِلةٌ أهو الرجل يزني، أو يسرق، أو يشرب** الخمر؟ **فقال: لا يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصلي، ويصوم، ويتصدق، ويخاف ألا يتقَبل منه**»[1].

(١) الحديث رواه الترمذي في سننه رقم ٣١٧٥، بلفظ: عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «سألت =

وروى ابن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله ﷻ: **والذين يؤتونَ ما آتوا** قال: يعطون ما أعطوا.

قال أبو جعفر: هكذا روي هذا، وهكذا معنى **يؤتونَ** يعطون، ولكن المعروف من قراءة ابن عباس **والذين يؤتونَ ما آتوا** وهي القراءة المروية عن النبي ﷺ وعن عائشة.

ومعناها: يعلمون ما علموا، كما روي في الحديث.

٤٠- وقوله ﷻ: أنهم إلى ربهم راجعونَ [آية: ٦٠].

قال الفراء: المعنى: من أنهم.

وقال أبو حاتم: المعنى: لأنهم إلى ربهم راجعون.

٤١- ثم **قال تعالى: أولئك يسارعونَ في الخيراتِ** [آية: ٦١].

قال أبو جعفر: سارع، وأسرع، بمعنى **واحد.**

ثم **قال ﷻ: وهم لها سابقونَ** [آية: ٦١].

فيه ثلاثة أقوال:

١- المعنى: وهم إليها سابقون، كما قال تعالى: **بأن ربك أوحى لها** [آية:٥] أي أوحى إليها، وأنشد سيبويه:

تجانف عن جوّ اليمامة ناقتي … وما قصدت من أهلها لسوائكا(١)

٢- وقيل: معنى: وهم لها : من أجلها، أي من أجل اكتسابها، كما تقول: أنا أُكرم فلاناً لك، أي من أجلك.

٣- وقيل: لما **قال تعالى: وهم لها سابقونَ** دل على السبق، كأنه قال: سبقهم لها.

٤٣- وقوله ﷻ: بلْ قُلُوبهم في غَمرةٍ من هذَا [آية: ٦٣].

أي في غفلة وغِطاء، متحيرة.

=

رسول الله ﷺ عن هذه الآية: والذين يؤتونَ ما آتوا وقُلُوبهم وجِلَةٌ قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق!! ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقْبل منهم. أُولَئِك يسارعونَ في الخيراتِ وهم لَها سابِقُونَ وأحمد في المسند ١٥٩/٦، والحاكم وصححه.

(١) البيت للأعشي، وهو في ديوانه ص ٨٩.

ويقال: غمره الماء إذا غطاه، ونر غمر يغطي من دخله، ورجل غمر تغمره آراء الناس.

وقيل: غمرة لأنا تغطي الوجه، ومنه: دخل في غمار الناس.

- في قول من قاله - معناه: فيما يغطيه من الجمع.

وقوله: **من هذَا** فيه قولان:

١- أحدهما: أن مجاهد قال: بل قلو م في عِماية من القرآن.

فعلى قول مجاهد **هذَا** إشارة إلى القرآن.

وقال قتادة: وصف أهل البر فقال **والذين هم مِن خشيةِ ربهم مشفِقُون** والذين .. والذِين .

ثم **وصف أهلَ الكفر** فقال: **بلْ قُلُوبهم فِي غَمرةٍ مِن هذَا..** .

فالمعنى على قول قتادة : من هذا البِر .

٤٤- ثم **قال تعالى : ولَهم أعمالٌ مِن دون ذَلك هم لَها عامِلُونَ** [آية:٦٣].

فيه قولان :

أحدهما : أن الحَسن قال : ولهم أعمال ردِية، لم يعملوها وسيعملونا.

قال مجاهد : أي لهم خطايا، لابد أن يعملوها .

ب- وقال قتادة : رجع إلى أهل البِر فقال: **ولَهم أعمالٌ من دون ذَلك** [آية: ٦٣]. **قال: أي سوى ما عدد.**

٤٥- وقوله ﷻ: **حتى إذَا أخذْنا مترفيهم بالْعذَابِ إذَا هم يجأَرونَ** [آية: ٦٤].

قال قتادة: أي يجزعون.

وحكى أهل اللغة: جأر، يجأر، إذا رفع صوته.

قال مجاهد والضحاك: العذاب الذي أُخذوا به: السيف.

قال مجاهد: يوم بدر.

٤٦- وقوله ﷻ: **قَد كانت آياتي تتلَى علَيكُم** [آية: ٦٦].

قال الضحاك: قبل أن تعذبوا بالقتل.

٤٧- ثم **قال تعالى: فَكُنتم علَى أعقَابِكُم تنكِصونَ** [آية: ٦٦].

قال مجاهد: تستأخرون.

٤٨- ثم **قال تعالى: مستكْبِرين بِه..** [آية: ٦٧].

قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والحسن، وأبو مالك: مستكبرين بالحرم.

قال أبو مالك: لأمنهم، والناس يتخطفون حولهم.

قال أبو جعفر: وقيل مستكبرين بالقرآن، أي يحضرهم عند قراءته استكبار.

والقول الأول أولى.

والمعنى: إنم يفتخرون بالحرم، فيقولون: نحن أهل حرمِ الله ﷻ.

٤٩- ثم **قال تعالى: سامِرا تهجرونَ** [آية: ٦٧].

قال أبو العباس: يقال للجماعة يجتمعون للحديث: سامِر، وسمار، فسامر كما تقول: باقِر لجماعة البقَر، وجامِلٌ لجماعة الجِمال.

أي يجتمعون للسمر، وأكثر ما يستعمل «سامِر» للذين يسمرون ليلاً.

قال أبو العباس: وأصل هذا من قولهم: «لا أكمله السمر والقمر» أي الليل والنهار.

وقال الثوري: يقال لظلّ القمر: السمر.

قال أبو إسحاق: ومنه السمرةُ في اللون، ويقال له: الفَخت ومنه فاخته[1].

قال أبو جعفر: وفي قوله: **تهجرونَ** قولان:

١- قال الحسن: جرون نبي، وكتابي.

٢- وقال غيره: تهجرونَ ذون، يقال هجر المريض، يهجر، هجراً إذا هذَى.

وقرأ ابن عباس تهجِرونَ بضم التاء وكسر الجيم.

وقال: يسمرون برسول الله ﷺ ويقولون الهجر.

وقال عكرمة: تهجِرونَ تشركون.

وقال الحسن: تسبون النبي ﷺ.

وقال مجاهد: تقولون القول السيئ في القرآن.

قال أبو جعفر: وهذه القوال متقاربة، يقال: أهجر، يهجر إذا نطق بالفحش، وقال الخنى، والاسم منه الهُجر، ومعناه أنه تجاوز، ومنه قيل: الهاجرة، إنما هو تجاوز الشمس، من المشرق إلى المغرب.

وقرأ أبو رجاء «سماراً» وهو جمع سامِر، كما قال الشاعر:

---

(١) انظر معاني الزجاج ١٨/٤.

فقالت سباك الله إنك فاضحي ألست ترى السمار والناس أحوالي[1]

٥٠- ثم **قال** ﷻ: **أفلم يدبروا القولَ** [آية: ٦٨]. أي القرآن.

٥١- وقوله ﷻ: **ولو اتبع الحق أهواءَهم** [آية: ٧١].

روى سفيان عن إسماعيل عن أبي صالح **ولو اتبع الحق** قال: الله ﷻ.

وقيل: المعنى: بل جاءهم بالقرآن، ولو اتبع القرآن أهواءهم أي لو نزل بما يحبون، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن.

٥٢- ثم **قال تعالى: بلْ أتيناهم بذِكْرِهِم فهم عن ذِكْرِهِم معرضونَ** [آية: ٧١].

روى معمر عن قتادة بذِكْرِهِم قال: بالقرآن.

قال أبو جعفر: والمعنى على قوله: بل آتيناهم بما لهم فيه ذكر ما يوجب الجنة لو اتبعوه.

وقيل: الذكر هاهنا: الشرف.

٥٣- وقوله ﷻ: **أم تسألُهم خرجا فخراج ربك خيرٌ** [آية: ٧٢].

قال الحسن: ﴿خرجاً﴾ أي أجراً.

قال أبو حاتم: الخَراج: الجُعلُ، والخَراج: العطاء إن شاء الله، أو نحو ذلك.

٥٤- وقوله ﷻ: **وإن الذين لا يؤمنونَ بالآخرةِ عن الصراطِ لناكِبونَ** [آية:٧٤].

روى علي بن طلحة عن ابن عباس قال يقول: عن الصراطِ لناكِبونَ عن الحق لعادلون.

قال أبو جعفر: والصّراطُ في اللغة: الطريق المستقيم، ويقال: نكب عن الحق إذا عدل عنه.

والمعنى: إنهم عن القصد لعادلون.

٥٥- وقوله ﷻ **: ولقد أخذْناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعونَ** [آية:٧٦].

ولقد أخذْناهم بالعذاب أي بالخوف، ونقص الأموال، والأنفس.

فما استكانوا لربهم أي فما خضعوا.

٥٦- وقوله ﷻ **: حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذابٍ شديدٍ** [آية:٧٧].

قيل: يعني الجوع، وقيل: السيف.

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٣١.

﴿إِذَا هم فِيهِ مبلِسونَ﴾ [آية: ٧٧] أي متحيرون يائسون من الخير.

٥٧- قوله تعالى: ﴿وله اختِلاف الليل والنهار﴾ [آية:٨٠].

قال الفراء: معنى ﴿وله اختِلاف الليل والنهار﴾: هو خالقها، كما تقول: لك الأجر والصلة.

٥٨- وقوله ﷻ: ﴿قُل لمن الأَرض ومن فِيها إِن كُنتم تعلمونَ * سيقُولُونَ للهِ﴾ [آية: ٨٤-٨٥]. هذه الآية لا اختلاف فيها، واللتان بعدها، يقرؤها أبو عمرو ﴿سيقُولُونَ للهِ﴾.

وأكثر القراء يقرءون ﴿سيقُولُونَ للهِ﴾.

فمن قرأ ﴿سيقُولُونَ الله﴾ جاء بالجواب على اللفظ.

ومن قرأ ﴿سيقُولُونَ للهِ﴾ جاء به على المعنى، كما يقال: لمن هذه الدار؟ فيقول: لزيد، على اللفظ، وصاحبها زيد على المعنى. ومن صاحب هذه الدار ؟ فيقول: زيد على اللفظ، ولزيد فيجزئك عن ذلك. ويجوز في الأولى ﴿سيقُولُونَ للهِ﴾ في العربية.

٥٩- وقوله ﷻ: ﴿وهو يجِير ولا يجار عليهِ﴾ [آية: ٨٨].

أي وهو يجير من عذابه، ومن خلقه، ولا يجير عليه أحد من خلقه.

٦٠- قوله ﷻ: ﴿قُلْ فَأَنى تسحرونَ﴾ [آية: ٨٩].

معنى ﴿قُلْ فَأَنى تسحرونَ﴾ فأنى تصرفون عن الحق؟

٦١- وقوله ﷻ: ﴿ما اتخذَ الله مِن ولدٍ وما كَانَ معه مِن إِلَهٍ إِذًا لذَهب كُل إِلَهٍ بِما خلَق﴾ [آية: ٩١].

في **الكلام حذف،** أي لو كانت معه آلهة، لانفرد كل إله بخلقه.

﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ أي لغالب بعضهم بعضًا.

٦٢- وقوله ﷻ: ﴿قُل رب إِما تريني ما يوعدونَ. رب فَلا تجعلْنِي فِي الْقَومِ الظالِمِين﴾ [آية: ٩٣، ٩٤]. النداء معترض.

والمعنى: إما تريني ما يوعدون، فلا تجعلني في **القوم الظالمين.**

٦٣- وقوله ﷻ: ﴿ادفَع بِالتِي هِي أَحسن السيئَةَ﴾ [آية: ٩٦].

قال مجاهد وعطاء وقتادة: يعني السلام، إذا لقيته فسلم عليه.

٦٤- وقوله ﷻ: ﴿وقُل رب أَعوذُ بِك مِن همزاتِ الشياطِين﴾ [آية: ٩٧].

أصل الهمز: النخس والدفع، وقيل: فلان همزة،كأنه ينخس مـن عابـه، فهمـز الشيطان: مسه ووسوسته.

٦٥- وقوله ﷻ: حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون [آية: ٩٩].

يعني المذكورين الذين لا يؤمنون بالبعث.

قال رب ارجعون ولم يقل: ارجعن، فخاطب على ما يخبر الله عز وجل به عن نفسه، كما قال تعالى: **إنا نحن نحيي الموتى** [يس: ١٢] وفيه معنى التوكيد والتكرير.

٦٦- وقوله ﷻ: كلا إنها كلمة هو قائلها [آية: ١٠٠].

كلا ردع, وزجر, وتنبيه.

٦٧- ثم **قال** ﷻ : **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** [آية: ١٠٠]

قال أبو عبيدة: أي من أمامهم.

قال مجاهد: البرزخ: حجاب بين الموت, والرجوع إلى الدنيا.

قال الضحاك: هو ما بين الدنيا والآخرة.

قال أبو جعفر: والعرب تسمي كل حاجز بين شيئين برزخاً, كما قال سبحانه: **بينهما برزخ لا يبغيان** [الرحمن: ٢٠].

٦٨- وقوله ﷻ: فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون [آية: ١٠١]

قال أبو عبيد: هو جمع صورة.

قال أبو جعفر: يذهب إلى أن المعنى: فإذا نفخ في صور الناس الأرواح وهذا غلط عند أهل التفسير, واللغة.

روى أبو الزعراء(١) عن عبد الله بن مسعود **فإذا نفخ في الصور** قال: في القَرن.

وروى عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ **قال: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن, وحنى جبهته وأصغى سمعه, ينتظر متى يؤمر, قال المسلمون يا رسول الله: فما نقول؟ قال : قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل, عليه توكلنا»**(٢).

ولا يعرف أهل اللغة في جمع «صورة» إلا «صوراً» ولو كان جمع صورة، لكان «ثم نفخ فيها» إلا على بعدٍ من الكلام.

---

(١) عبد الله بن هانئ أبو الزعراء الكبير الكوفي، قال العجلي: ثقة من كبار التابعين، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر تهذيب التهذيب ١٦/٦.

(٢) الحديث رواه الترمذي في القيامة برقم ٢٤٣١، وقال: هذا حديث حسن، ورواه أحمد في المسند ٣٢٦/١.

قال أبو جعفر: وهذه الآية مشكلة لأنه قال ﷻ : **فَلا أنساب بينهم يومئذٍ ولاَ يتساءَلُونَ** وقال في موضع آخر: **وأقْبلَ بعضهم على بعض يتساءَلُونَ** ؟!

والجواب عن هذا - وهو معنى قول عبد الله بن عباس وإن خالف بعض لفظه والمعنى واحد - أنه إذا نفخ في الصور أول نفخة، تقطعت الأرحام، وصعق من في السموات ومن في الأرض، وشغل بعض الناس عن بعض بأنفسهم، فعند ذلك لا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون.

قال أبو جعفر: ومعنى **يومئذٍ** في قوله تعالى : **فَلا أنساب بينهم يومئذٍ** كما تقول: أنا اليوم كذا، أي في هذا الوقت، لا تريد وقتاً بعينه.

٦٩- وقوله ﷻ : **تلْفَح وجوههم النار وهم فيها كالِحونَ** [آية: ١٠٤].

روى أبو الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: الكالحُ: الذي قد بدت أسنانه، وتقلصت شفته، كالرأس المُشيط بالنار.

٧٠- وقوله ﷻ: **قَالُوا ربنا غَلَبت علينا شِقْوتنا** [آية: ١٠٦].

قال مجاهد: أي التي كُتِبت علينا.

٧١- وقوله ﷻ: **قَالَ اخسؤوا فيها ولا تكلّمون** [آية: ١٠٨].

يقال: خسأته إذا باعدته بانتهار.

٧٢- وقوله ﷻ: **فَاتخذْتموهم سِخريا حتى أنسوكُم ذِكْري** [آية: ١١٠].

قال الحسن وقتادة وأبو عمرو بن العلاء - وهذا معنى ما قالوا - السخِري: بالضمّ ما كان من جهة السخرة، والسِّخري بالكسر: ما كان من الهُزؤ.

٧٣- وقوله ﷻ: **إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفَائزونَ** [آية: ١١١]. أي لأنهم. ويجوز أن يكون المعنى: إني جزيتهم الفوز.

٧٤- وقوله ﷻ: **قَالُوا لَبِثْنا يوما أو بعض يومٍ فَاسأل الْعادين** [آية: ١١٣].

قال مجاهد: فَاسأل الْعادين الملائكة.

وقال قتادة: أي الحُساب.

٧٥- وقوله ﷻ: **ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهانَ له به** [آية: ١١٧].

قال مجاهد: أي لا بينةَ له به.

«انتهت سورة المؤمنون»

۞ ۞ ۞

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النور وهي مدنية

١- من ذلك قوله ﷻ: سورةٌ أنزلْناها وفَرضناها [آية: ١]. أي هذه سورة.

وقرأ الأعرج ومجاهد وقتادة وأبو عمرو **وفَرّضناها**.

قال قتادة: أي بيناها.

وقال أبو عمرو: أي فَصلناها.

ومعنى وفَرضناها فرضنا الحدود التي فيها، أي أوجبناها، بأن جعلناها فرضاً.

٢- وقوله ﷻ: الزانيةُ والزاني فَاجلِدوا كُل واحِدٍ منهما مِائَةَ جلْدةٍ [آية: ٢].

قال أبو جعفر: ليس بين أهل التفسير اختلاف، أن هذا ناسخ لقوله تعالى: **واللاتي يأتِين الفَاحِشةَ مِن نسائِكُم** [النساء ١٥]. إلى آخر الآية، ولقوله: **واللذَانَ يأتيانِها مِنكُم فَآذُوهما** [النساء: ١٦].

فكان من زنى من النساء، حبست حتى تموت، ومن زنى من الرجال أوذي.

قال مجاهد: بالسبّ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: **الزانيةُ والزاني فَاجلِدوا كُل واحِدٍ منهما مِائَةَ جلْدةٍ**.

واختلفوا في المعنى:

فقال أكثر أهل التفسير: هذا عام يراد به خاص.

والمعنى: الزانية والزاني من الأبكار، فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة.

وقال بعضهم: هو عام على كلّ من زنى، من بكرٍ ومحصنٍ، واحتج بحديث عبادة، وبحديث علي رضي الله عنه، أنه جلد شراحة يوم الخميس، ورجمها يوم الجمعة، وقال: جلد ا بكتاب الله ﷻ ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ.

٣- وقوله ﷻ: ولا تأخذْكُم بِهِما رأفَةٌ فِي دِين الله [آية: ٢].

قال مجاهد، وعطاء، والضحاك: أي في تعطيل الحدود.

والمعنى على قولهم: لا ترحموهما فتتركوا حدهما إذا زنيا.

٤- وقوله ﷻ: وليشهد عذابهما طَائِفَةٌ من المؤمِنين [آية: ٢].

روي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الطائفة: الرجل فما فوقه.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: الطائفة: الرجلُ فما زاد.

وكذا قال الحسن والشعبي.

وروى ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن عطاء قال: الطائفة الرجلان فصاعداً.

وقال مالك: الطائفة أربعة.

قال أبو إسحاق: لا يجوز أن تكون الطائفة واحداً، لأن معناها معنى الجماعة، والجماعة لا تكون لأقل من اثنين لأن معنى «طائفة» قطعة، يقال: أكلت طائفةً من الشاةِ أي قطعةً منها.

وقد روى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ﷻ: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾** [الحجرات: ٩].

أ ما كانا رجلين.

قال أبو جعفر: إلا أن الأشبه بمعنى الآية - والله أعلم - أن تكون الطائفة، لأكثر من واحدٍ في هذا الموضع، لأنه إنما يراد به الشهرة، وهذا بالجماعة أشبه.

٥- وقوله ﷻ: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانيةً أو مشركةً والزانيةُ لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ [آية: ٣].

قال مجاهد والزهري وقتادة: كان في الجاهلية نساءٌ معلومٌ منهن الزنى، فأراد ناسٌ من المسلمين نكاحهن، فنـزلت الآية **﴿الزاني لا ينكح إلا زانيةً أو مشركةً﴾** وهذا القول الأول.

وقال الحسن: الزاني ا لمود لا ينكح إلا مثله.

قال حبيب المعلّم: فقال رجلٌ لعمرو بن شعيب: إن الحسن يقول كذا، فقال: ما عجبك من هذا؟ حدثني سعيد بن سعيدٍ المَقْبري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ينكح الزاني ا لمود إلا مثله**»(١).

وقال إبراهيم النخعي نحوه.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: النكاح هاهنا الجماع.

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الزاني من أهل القِبلة، لا يزني إلا بزانٍ من أهل القِبلة أو مشرك.

قال أبو جعفر: فهذه ثلاثة أقوال.

---

(١) الحديث رواه أبو داود في النكاح برقم٢٠٥٢، وأحمد بن حنبل في المسند ٣٢٤/٢.

وفي الآية قولٌ رابع كأنه أولاها.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم المعروف بالقطان، قال: حدثنا يحيى ابن عبد الله بن بكير، قال: حدثنا الليث، قال: حدثنا يحيى بن سعيد ابن قيس الأنصاري، عن سعيد بن المسيب أنه قال: يزعمون أن تلك الآية: **الزاني لا ينكِح إلا زانيةً أو مشركةً والزانيةُ لا ينكِحها إلا زانٍ أو مشرك** نسخت بالآيات التي بعدها **وأنكِحوا الأيامى منكُم والصالِحين مِن عِبادِكُم وإمائِكُم** [النور: ٣٢]. فدخلت الزانية في أيامي المسلمين.

وإنما قلنا: «كأن هذا أولى» لأن حديث القاسم عن عبد الله مضطرب الإسناد، وحديث سعيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يجوز أن يكون رسول الله ﷺ قاله قبل نـزول الآية الناسخة.

والقول الثالث: أن يكون النكاح هو الجماع، زعم أبو إسحاق أنه بعيدٌ، وأنه لا يعرف في القرآن النكاح بمعنى الجماع، وقوله تعالى: **وحرم ذَلك على المؤمِنين** فدل على أنه التزويج لأنه لا يقال في الزنى، هو محرمٌ على المؤمن خاصة.

وقول من قال: إ ن نساءٌ معلومات، يدل على أن ذلك كان في شيء بعينه ثم زال، فقد صار قول سعيد أولاها.

وأيضاً فإن سعيداً قال: يزعمون، فدل على أنه أخذه عن غيره، وإنما يأخذه عن الصحابة.

٦- ثم قال ﷻ: **وحرم ذَلك على المؤمِنين** [آية: ٣].

قال ابن عباس: يعني الزّني.

٧- وقولـه ﷻ: **والذِين يرمونَ المحصناتِ ثُم لَم يأتوا بِأربعةِ شهداءَ فَاجلِدوهم ثَمانِين جلْدةً ولاَ تقْبلُوا لَهم شهادةً أبدا وأولَئك هم الْفَاسِقُونَ. إلا الذِين تابوا مِن بعدِ ذَلك** [آية: ٤-٥].

قال أبو جعفر: في هذه الآية ثلاثة أحكام على القاذف: منها جلده.

وترك قبول شهادته.

وتفسيقُه.

وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: قاله الحسن، وشريح، وإبراهيم: أن الاستثناء من قوله تعالى: **وأولَئـك هم الْفَاسِقُونَ** وقالوا: لا تقبلُ شهادته وإن تاب، وهذا قول الكوفّيين.

والقول الثاني: أن يكون الاستثناء من قوله تعالى : **ولا تقبلوا لهم شهادةً أبدا** . أي إلا من تاب، فإنه تقبل شهادته.

وهذا قول مسروقٍ، وعطاءٍ، ومجاهدٍ، وطاووس.

ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال لأبي بكرة[1]: إن تبت قبلت شهادتك، وهذا قول أهل المدينة.

والقول الثالث: يروى عن الشعبي أنه قال: الاستثناء من الأحكام الثلاثة.

فإذا تاب، وظهرت توبته لم يحد، وقُبِلت شهادته، وزال عنه التفسيق، لأنه قد صار ممن يرضى من الشهداء، وقد قال الله ﷻ: **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمِلَ صالِحا ثُم اهتدى** [طه: ٨٢].

قال أبو جعفر: يجوز أن يكون الاستثناء من قوله تعالى: **وأولئك هم الفاسِقُونَ** كما ذكرنا في القول الأول، ويكون **الذين** في موضع نصب، إلا أنه يجب أن يزول عنه اسم الفسوق، فيجب قبول شهادته، ويكون عدلاً.

ويجوز أن يكون الاستثناء من قوله تعالى : **ولا تقبلوا لهم شهادةً أبدا** ويكـون **الذين** في موضع خفض، بمعنى **إلا الذين تابوا** ويكون قبول شهادته أوكد، وهـو أيضاً متعارفٌ عن عمر، فهو أولى أيضاً لهذا.

ويجوز أن يكون كما روي عن الشعبي، إلا أن الفقهاء على خلافه.

وفي الكلام حذف، المعنى: والذين يرمون المحصنات بالزنى، ثم حذف لأن قبله، ذكر الزانية والزاني.

والفائدة في قوله ﷻ: **ولا تقبلوا لهم شهادةً أبدا** أن **أبدا** مقدار مدة حياة الرجل، ومقدار انقضاء قصته.

فإذا قلت: الكافر لا تقبلُ له شهادةٌ أبداً، فمعناه ما دام كافراً.

وإذا قلت: القاذف لا تقبل له شهادة أبداً: فمعناه ما دام قاذفاً. وهذا من جهة اللغة، وكلام العرب يؤكد قبول شهادته، وألا يكون أسوأ حالاً من القاتل.

٨- وقوله ﷻ: والذين يرمونَ أزواجهم [آية: ٦].

---

(١) نفيع بن الحارث، وكان قد قذف المغيرة بن شعبة، فأقام عليه عمر الحد، ثم استتيب، انظـر البحر المحيط ٤٣٢/٦.

في هذا قولان:

أحدهما: أن المعنى: والذين يقولون لأزواجهم يا زواني، أو يقول لها: رأيتك تزنين، وهذا قول أهل الكوفة.

والقول الآخر: أنه يقول لها: رأيتك تزنين لا غير، وهذا قول أهل المدينة.

قال أبو جعفر: والقول الأول أولى، لأن الرمي في قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾**. هو أن يقول لها: يا زانية، أو رأيتك تزنين، فيجب أن يكون هذا مثله.

٩- ثم **قال** ﷻ: **﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾** [آية: ٦].

روى إبراهيم عن علقمة عن عبد الله[١] قال: «كان رجلٌ معنا جالساً ليلة جمعة، فقال: إن أحدنا وجد مع امرأته رجلاً، فإن قتله قتلتموه، وإن تكلم حدد تموه، وإن سكت سكت على غيظ، اللهم احكم[٢]، فأنزلت **﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ..﴾** [آية: ٦]. إلى آخر الآية.

وقال سهل بن سعد: جاء عويمر[٣] إلى النبي ﷺ في وسط الناس فسأله، وذكر الحديث.. وقال في آخره: فطلقها ثلاثاً.

وقال عبد الله بن عمر: فَرق رسول الله ﷺ بينهما.

١٠- وقوله ﷻ: **﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾** [آية: ٧].

وتقرأ «**وَالْخَامِسَةَ**» بمعنى: ويشهد الشهادة الخامسة.

والمعنى: أنه لعنة الله عليه، وأنشد سيبويه:

في فِتيةٍ كسيوفِ الهندِ قد علموا ... أنْ هالِكٌ كُلُّ من يحفى وينتعِلُ[٤]

١١- وقوله ﷻ **﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾** [آية: ٨].

معنى ﴿وَيَدْرَأُ﴾: يدفع.

وفي معنى العذاب هاهنا قولان:

---

(١) يعني: عبد الله بن مسعود.

(٢) الحديث في مسند الإمام أحمد ٤٢١/١ بلفظ: «كنا جلوسا عشية الجمعة في المسجد، فقال رجل من الأنصار: أحدنا إذ رأى مع امرأته رجلاً فقتله..» الحديث.

(٣) هو عويمر بن أبي أبيض العجلاني، صحابي، انظر الإصابة ٧٤٦/٤.

(٤) البيت للأعشي، وهو في ديوانه ص ١٤٧.

أحدهما: أنه الحبس.

والآخر: أنه الحد.

١٢- وقوله ﷻ: ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكِيم [آية: ١٠].

في **الكلام حذف.**

والمعنى: ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته، لنال الكاذب منكم عذابٌ عظيمٌ.

١٣- وقوله ﷻ: إن الذِين جاءُوا بالإفْكِ عصبةٌ منكُم [آية: ١١].

قال الضحاك: هم الذين قالوا لعائشة ما قالوا.

قال أبو جعفر: يقال للكذب: إفكٌ، وأصله من قولهم، أَفَكه يأفكُه، إذا صرفه عن الشيء، فقيل للكذب إفكٌ، لأنه مصروف عن الصدق ومقلوب عنه، ومنه المؤتفكات.

والذين جاءوا بالإفك - فيما روي - «عبد الله بن أبيّ» و«مِسطَح بن أُثَاثَة»، و«حسانُ بن ثَابتٍ».

ثم **قال تعالى: لاَ تحسبوه شرا لكُم بلْ هو خير لكُم** [آية: ١١].

فالمخاطبة لعائشة، وأهلها، وصفوان.

أي تؤجرون فيه، ونـزل فيهم القرآن.

١٤- وقوله ﷻ: والذِي تولى كِبره مِنهم لَه عذَاب عظِيم [آية: ١١].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: والذِي تولى كِبره عبد الله بن أبي بن سلول.

وروى الزهري عن عروة عن عائشة قالت: هو عبد الله بن أبي.

وقرأ حميد بن قيس ويعقوب والذِي تولى كُبره بضم الكاف،

قال يعقوب كما تقول: الذي تولى عظْمه.

قال الفراء: هو وجه جيدٌ في النحو.

قال أبو جعفر: وخالفه في ذلك الرؤساء من النحويّين، قيل لأبي عمرو بن العلاء: أتقرأ **والذِي تولى كُبره**؟ فقال: لا، إنما الكُبر في النسب.

قال أبو جعفر: يريد أنه يقال: الكُبر من ولد فلانٍ لفلان[1].

---

(١) كِبر الشيء: معظَمه، فأما الكُبر بالضم، فهو أكبر ولد الرجل.

١٥- وقوله ﷻ: ﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً﴾ [آية: ١٢].

أي هلا ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً؟

أي بأهل دينهم، ومن يقوم مقامهم.

ومعنى قوله: ﴿أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ [النور ١٤]: خضتم فيه.

١٦- وقوله ﷻ: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [آية: ١٥].

قال مجاهد: أي يرويه بعضكم عن بعض.

وقرأت عائشة وابن يعمر: ﴿إِذْ تَلِقُونَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ (١) بكسر اللام، وضم القاف، يقال: ولَق، يلِق، إذا أسرع في الكذب وغيره.

١٧- وقوله ﷻ: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً﴾ [آية: ١٧].

قال مجاهد: أي ينهاكم.

١٨- وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آية: ١٩].

روى سعيد عن قتادة قال: أن يظهر الزّنى.

١٩- وقوله ﷻ: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ [آية: ٢٢].

قال أبو جعفر: فيه قولان.

أحدهما: رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لا يقسموا ألا ينفعوا أحداً.

والآخر: أن المعنى: لا يقصروا، من قولهم ما ألوت أن أفعل.

قال هشام: ومنه قوله الشاعر:

ألا رب خصمٍ فيكِ ألْوى رددتُـه ... نصيحٍ على تعذَالِه غَير مـؤتلي (٢)

قال أبو جعفر: القول الأول أولى، لأن الزهري روى عن سعيد بن المسيب، وعروة، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله، عن عائشة قال: كان أبو بكر ينفق

---

(١) هذه القراءات الشاذة كما في المحتسب ١٠٤/٢ وذكرها الطبري ٩٨/١٨وفي البحر ٤٣٨/٦ والقرطبي ٢٠٤/١٢ ومعاني القرآن للفراء ٢٤٨/٢.

(٢) البيت لامرئ القيس من معلقته الشهورة، انظر ديوانه ص ١٨، ومؤتلي: أي غير مقصّـر في نصحي، والألوى: الشديد الخصومة.

على «مِسطَح بن أُثاثة» لقرابته وفقره، فقال: «والله لا أنفق عليه بعدما قال في عائشة ما قال» فأنـزل الله ﷻ: **ولا يأتل أولُو الفَضل مِنكُم والسعةِ أن يؤتوا أولي القُربى** [1].

قال أبو جعفر: والتقدير في العربية: ولا يحلف أولُو الفضل كراهة أن يؤتوا، وعلى قول الكوفيين: لأنْ لا يؤتوا.

ومن قال معناه: ولا يقَصر، فالتقدير عنده: ولا يقصّر أولو الفضل عن أن يؤتوا.

فإن قيل: **أولُو** لجماعةٍ، وفي الحديث أن المراد أبو بكر؟

فالجواب: أن علي بن الحَكَم روى عن الضحاك قال: قال أبو بكر وغيره من المسلمين: لا نبر أحداً ممن ذكر عائشة، فأنزل الله ﷻ: **ولا يأتل أولُو الفَضل مِنكُم والسعةِ** . إلى آخر الآية.

٢٠- وقوله ﷻ: **إن الذِين يرمونَ المحصناتِ الغافِلاتِ المؤمِناتِ لُعِنوا فِي الدنيا والآخِرةِ ولَهم عذَاب عظِيم** [آية: ٢٣].

روى سفيان عن خصيف قال: سألت سعيد بن جبير، من قذف محصنة لعن في الدنيا والآخرة؟ فقال: هذا خاصٌ بعائشة.

وروى «سلمة بن نبيطٍ»[2] عن الضحاك قال: هذا في أزواج النبي ﷺ خاصة.

قال أبو جعفر: وقول ابن عباس، والضحاك أولى من القول الأول، لأن قوله: **المحصناتِ** يدل على جمع.

وقيل: خص بهذا أزواج النبي ﷺ فقيل لمن قذفهن: ملعونٌ في الدنيا والآخرة، ومن قذف غيرهن، قيل له: فاسقٌ، ولم يقل له هذا.

٢١- وقوله ﷻ: **يومئِذٍ يوفيهم الله دِينهم الحق** [آية: ٢٥].

الدّين هاهنا: الحساب، والجزاُء، كما قال تعالى: **ذَلِك الدين القَيم** [آية: ٣٦]. و **مالِكِ يومِ الدين** [الفاتحة:٤].

٢٢- وقوله ﷻ: **الخبِيثَات لِلخبِيثِين والخبِيثُونَ لِلخبِيثَاتِ والطيبات لِلطيبِين والطيبونَ لِلطيباتِ** [آية: ٢٦].

قال سعيد بن جبير وعطاءٌ ومجاهد: أي الكلمات الخبيثات للخبيثين من الناس،

---

(١) الحديث رواه البخاري في التفسير ١٣٢/٦، والترمذي برقم ٣١٨٠.

(٢) سلمة بن نبيط تابعي من الطبقة الخامسة، انظر تقريب التهذيب ٣١٩/١.

والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والخبيثات من الناس.

والطيبات من الكلام للطيبين من الناس، والطيبون من الناس، للطيبات من القول، والطيبات من الناس.

قال أبو جعفر: وهذا أحسن ما قيل في هذه الآية.

والمعنى: الكلمات الخبيثات لا يقولهن إلا الخبيثون والخبيثات من الناس، والكلمات الطيبات لا يقولهن إلا الطيبون والطيبات من الناس.

ودل على صحة هذا القول: **أولئك مبرؤونَ مما يقُولُونَ** [آية: ٢٦] أي «عائشةُ» و«صفْوانُ» مبرءون مما يقولُ الخبيثون والخبيثات.

وجمع وإن كانا اثنين، كما قال تعالى: **فَإن كانَ له إخوةٌ** [النساء: ١١]. هذا قول الفراء في الجمع.

وفي قوله تعالى: **الخبيثات للخبيثين**. قولان آخران:

أ - قيل المعنى: الخبيثات من الكلام، إنما تلصق بالخبيثين والخبيثات من الناس، لا بالطيبين والطيبات.

ب- وقيل المعنى: الخبيثون من الرجال، للخبيثات من النساء، والخبيثات من النساء، للخبيثين من الرجال.

٢٣- وقوله ﷻ: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلُوا بيوتا غَير بيوتكُم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلِها [آية: ٢٧].

قال عبد الله بن عباس: إنما هو حتى تستأذنوا.

قال مجاهد: هو التنحنح، والتنخم.

قال أبو جعفر: الاستئناس في اللغة: الاستعلام، يقال: استأنست فلم أر أحداً، كما قال النابغة:

كأن رحلي وقد زالَ النهار بنا   بذي الجَليل على مستأنس وحد(١)

أي على ثور قد فزع، فهو يستعلم ذلك، ومنه قول الشاعر:

(١) البيت في ديوانه ص ١٧، ومستأنس وحد: الثور الوحشي المنفرد، انظر الخصائص لابن الجني ٢٦٢/٣ وأمالي ابن الشجري ٢٧١/٢ وشرح المفصل لابن يعيش ١٦/٦.

آنســت نبــأةً وأفزعهــا القنــا ص عصراً وقد دنا الإمســاءُ[1]

ومنه قوله ﷻ: ﴿فَإِنْ آنستم منهم رشدا﴾ [النساء: ٦] أي علمتم.

ويبين لك هذا الحديث المرفوع.

روى أبو بردة عن أبي موسى الأشعري، قال: (جئت إلى عمر بن الخطاب أستأذن عليه، فقلت: السلام عليكم أندخل؟ ثلاث مرات، فلم يؤذن لي، فقال: فَهلا أقمت؟ فقلت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليستأذن المرء المسلم على أخيه ثلاث مراتٍ، فإن أُذِنَ وإلا رجع**» فقال : لتأتيني على هذا بمن يشهد لك، أو لتنالنك مني عقوبة! فجئت إلى «أبيّ بن كعبٍ» فجاء فشهد لي)[2].

قال أبو جعفر: فهذا يبين لك أن معنى ﴿**حتى تستأنسوا**﴾. حتى تستعلموا: أيوذن لكم أم لا؟

٢٤- وقوله ﷻ: ﴿فَإِن لم تجِدوا فِيها أحدا فَلاَ تدخلُوها حتى يؤذَنَ لَكُم﴾ [آية: ٢٨].

المعنى: حتى يأذن لكم أصحابها بالدخول، لأنه لا ينبغي له أن يدخل إلى منــزل غيره - وإن علم أنه ليس فيه - حتى يأذن له صاحبه.

٢٥- وقوله ﷻ: ﴿لَيس عليْكُم جناح أن تدخلُوا بيوتا غَير مسكُونةٍ فِيها متاع لكُم﴾ [آية: ٢٩].

قال مجاهد: كانت بيوتٌ في طرق المدينة، يجعل الناس فيها أمتعاتهم، فأحِل لهم أن يدخلوها بغير إذنٍ.

وروى سالم المكي عن محمد بن الحنفية، قال: هي بيوت الخانات والسوق.

وقال الضحاك: هي الخانات.

وقال جابر بن زيد: ليس يعني بالمتاع الجهاز، وإنما هو البيت ينظر إليه، أو الخَرِبة يدخلها لقضاء حاجة، وكل متاع الدنيا منفعة.

وقال عطاءٌ: ﴿فِيها متاع لكُم﴾ للخلاء، والبول.

---

(١) البيت للحارث بن حِلّزة من معلقته المشهورة، انظر المصون للعســكري ص ٩٥. واللســان ١٦٤/١ والنبأة: الصوت ليس بالشديد.

(٢) الحديث رواه البخاري في الاستئذان ٦٨/٨، ومسلم في كتاب الآداب ٣٧/٣٣.

وهذه الأقوال متقاربة، وأبينها قول مجاهد، لأنه تعالى حظر عليهم بدءاً أن يدخلوا غير بيو م، ثم أذن لهم إذا كان لهم في بيوت غيرهم متاعٌ، على جهة اكتراءٍ أو نظيره أن يدخلوا.

والذي قاله غير مجاهد جائز في اللغة، لأنه يقال لكـل منفعـة متـاعٌ، ومنـه **ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره** [البقرة: ٢٣٦].

٢٦- وقوله ﷻ: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم [آية: ٣٠].

قال قتادة: أي عما لا يحل لهم.

«من» هاهنا لبيان الجنس.

قال جرير بن عبد الله: «سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فقال: اصرف بصرك»[1].

فأمره ﷺ بصرف بصره، لأنه إذا لم يصرف بصره، كان تاركاً ما أمره الله ﷻ به، وكان ناظراً نظرة ثانيةً اختياراً، كما قال أبو سلمة عن عليّ بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال: «**يا علي إن لك كنزاً في الجنة، وإنك ذو قرنيها**[2]**، فلا تتبع النظرة، فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة**»[3].

٢٧- وقوله ﷻ: ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها [آية: ٣١].

روى أبو إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: القرط، والدملج، والسوار.

٢٨- ثم **قال ﷻ: إلا ما ظهر منها** [آية: ٣١].

في هذا اختلاف.

روى أبو الأحوص عن عبد الله قال: الثياب.

وهذا مذهب أبي عبيد.

وروى نافع عن ابن عمر قال: الوجه، والكفان.

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الآداب ١٨١/٦، وأبو داود في النكاح ٦١/٨، والترمذي في الاستئذان برقم ٢٩١٦، وقال: حسن صحيح، ورواه أحمد في المسند ٣٦١/٤.

(٢) ذو قرنيها: أي طرفي الجنة وجانبيها.

(٣) رواه أبو داود في النكاح، باب ما يؤمر من غض البصر رقم ٢١٤٩، وليس فيه لفظ «وإنـك ذو قرنيها» وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه أحمد في المسند ٣٥٣/٣.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الوجه، والكف.

وبعضهم يقول عن ابن عباس: الكحل، والخضاب، وكذلك قال مجاهدٌ، وعطاء.

ومعنى الكحل والخضاب، ومعنى الوجه والكفّ، سواء.

وروت أم شبيب عن عائشة قالت: القُلْب، والفَتخةُ.

والفَتخة: الخاتم، وجمعها فَتخٌ، وفَتخاتٌ.

قال أبو جعفر: وهذا قريبٌ من قول ابن عمر، وابن عباس، وهو أشبه بمعنى الآية من الثّياب، لأنه من جنس الزينة الأولى.

وأكثر الفقهاء عليه، ألا ترى أن المرأة يجب عليها أن تستر في الصلاة كل موضع منها يراه المرء، وأنه لا يظهر منها إلا وجهها وكفاها؟!

والقُلْب: السوار، قال ذلك يحيى بن سلمان الجعفي[1].

٢٩- وقوله ﷻ: أو نسائهن [آية: ٣١].

يعني النساء المسلمات.

ولا يجوز أن يبدين ذلك للمشركات، لقوله سبحانه: **أو نسائهن**.

٣٠- ثم **قال ﷻ: أو ما ملكت أيمانهن** [آية: ٣١].

فيه أقوال:

الأول: أن لهن أن يبدين ذلك لعبيدهن، وأن يروا شعورهن، وهذا القول معروفٌ من قول عائشة، وأم سلمة.

جعلتا العبد بمنـزلة المَحرم في هذا؛ لأنه لا يحل أن يتزوج بسيدته ما دام مملوكاً لها، كما لا يحل ذلك لذوي المحارم.

ويقوي هذا قوله سبحانه: يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم [آية: ٥٨].

والقول الثاني: أنه ليس لعبيدهن أن يروا منهن، إلا ما يرى الأجنبي.

كما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: ولا ينظر عبدها إلى شعرها، ولا نحرها، وأما الخلخال فلا ينظر إليه إلا الزوج.

---

(١) وقُلْب الفضة: بالضم، سوار غير ملوي.

وهو مذهب عبد الله بن مسعود، ومجاهد، وعطاء، والشعبي.

وروى أبو مالك عن ابن عباس خلاف هذا، قال: ينظر العبد إلى شعر مولاته، ويكون التقدير على القول الثاني **أو ما ملكت أيمانهن** [آية: ٣١]. غير أولي الإربة، أو التابعين غير أولي الإربة، ثم حذف كما قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف(١)

على أن يزيد بن القعقاع وعاصماً قرءا **غَيرَ أولي الإربةِ** (٢) [آية: ٣١]. بنصب غير، فعلى هذا يجوز أن يكون الاستثناء منهما جميعاً.

والقول الثالث: أن يكون **أو ما ملكت أيمانهن** [آية: ٣١]. للإماء خاصة، قال ذلك سعيد بن المسيب، وقيل: الصغار خاصة.

قال أبو جعفر: هذا بعيدٌ في اللغة، لأن «ما» عامة.

٣١- وقوله ﷻ: أو التابعين غير أولي الإربةِ [آية: ٣١].

قال عطاء: هو الذي يتبعك، وهمه بطنه.

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: هو المغفل، وقيل: الطفَلُ.

وقال الشعبي: هو الذي لا أرب له في النساء.

وقال عكرمة: هو العِنين.

وهذه الأقوال متقاربة، وهو الذي لا حاجة له في النساء، نحو الشيخ الهرم، والخُنثى، والمَعتوهِ، والطّفلِ، والعِنّينِ.

والإربةُ والأرب: الحاجةُ، ومنه حديث: «**وأيكم أملك لأربه من رسول الله ﷺ**»(٣)؟ ومن رواه «لإربه» فقد أخطأ، لأنه يقال: قطعته إرباً، إرباً، أي عضواً، عضواً.

٣٢- وقوله ﷻ: أو الطفْل الذِين لم يظْهروا على عوراتِ النساءِ [آية: ٣١].

الطّفْلُ هاهنا بمعنى: الأطفال، يدل على هذا قوله: **الذِين لم يظْهروا على عوراتِ**

(١) البيت سبق تخريجه.

(٢) انظر النشر ٣٣٢/٢.

(٣) الحديث رواه البخاري في الصوم ١٣١/٤، ومسلم في الصوم برقم ١١٠٦، ولفظه عن عائشة قالت: (كان رسول الله ﷺ يقبلني وهو صائم، وأيكم يملك أربه كما كان رسول الله ﷺ يملك إربه.

النساءِ أي لم يطيقوا ذلك، كما تقول: ظهر فلانٌ على فلانٍ، أي غلبه وقوي عليه.

٣٣- ثم **قال ﷻ: ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾** [آية: ٣١].

قال أبو الجوزاء: كن يضربن بأرجلهن لتبدو خلاخيلهن.

وقال أبو مالك: كن يجعلن في أرجلهن خرزاً، ويحركنها حتى يسمع الصوت.

قال غيره: فنهين عن ذلك، لأنه يحرك من الشهوة.

٣٤- وقوله ﷻ: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ [آية: ٣٢].

قال الضحاك: هن اللواتي لا أزواج لهن، يقال: رجلٌ أيِّمٌ، وامرأةٌ أيِّمٌ، وقد آمت، تئيم.

وقرأ الحسن: ﴿والصالحين من عبادكم﴾ يقال: عبدٌ، وعِبادٌ، وعبيدٌ.

٣٥- وقوله تعالى: ﴿إن يكونوا فقراءَ يغنهم الله من فضله﴾ [آية: ٣٢].

وكذا قوله: ﴿وإن يتفرقا يغن الله كُلاًّ من سعته﴾ [النساء:١٣٠]. أي بالنكاح، لأنه لم يجعل كل زوج مقصوراً على زوج أبداً.

والفقر: الحاجة إلى الشيء المذكور بعقبه، ومثله: **﴿إنما الصدقات للفقراء﴾** [التوبة: ٦٠]. أي للفقراء إلى الصدقات، وقد يكون الرجل فقيراً إلى الشيء، وليس بمسكين.

٣٦- وقوله ﷻ: ﴿والذين يبتغونَ الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إنْ علمتم فيهم خيرا﴾ [آية: ٣٣].

قيل: هذا على الحضّ والندبِ، لا على الحتمِ والوجوب، ولولا الإذن لما علمنا أن ذلك يجوز. وكِتابٌ، ومكاتبةٌ بمعنى واحد، كما يقال: قِتالٌ، ومقَاتلةٌ.

٣٧- ثم **قال ﷻ: ﴿إنْ علمتم فيهم خيرا﴾** [آية: ٣٣].

قال أبو جعفر: في هذا اختلافٌ.

قال الحسن: أي دِيناً وأمانةً.

وقال إبراهيم النخعي: أي صِدقاً ووفاءً.

وقال عبيدة: إن أقاموا الصلاة.

وقال سعيد بن جبير: إن علمتم أ م يريدون بذلك الخير.

قال أبو جعفر: وأجمعها قولُ سعيد بن جبير، لأنه إذا أراد بذلك الخير استعمل الوفاء، كما يستعمل أهل الدين والوفاء، والصدق والأمانة، ومن يقيم الصلاة ويرى لها حقاً.

وفي الآية قولٌ آخر.

قال مجاهد وعطاء: الخير هاهنا: المالُ.

وهذا بعيدٌ جداً، لأنه كان يجب على هذا أن يقول: «إن علمتم لهم خيراً».

وأيضاً فإن العبد مالٌ لمولاه، فكيف يقال: إن علمتم لهم مالاً؟

وقال أشهب: سئِلَ مالِكٌ عن قوله ﷻ **﴿إِنْ عَلِمتم فِيهم خيرا﴾** فقال: إنه ليقال: «الخير» القوةُ، والأداء.

قال أبو جعفر: وهذا قول حسنٌ، أي قوة على الاحتراف والاكتساب، ووفاءً بما أوجب نفسه، وصدق لهجة، فأما المال وإن كان من الخير، فليس هو في العبد، وإنما يكون عنده أو له.

٣٨- ثم **قال** ﷻ: **﴿وآتوهم من مال الله الذِي آتاكُم﴾** [آية: ٣٣].

قال أبو جعفر: في هذا ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يكون على الحضّ والندبِ.

كما روى ابن بريدة[1] عن أبيه، قال: حثهم على هذا.

ويروى هذا عن عمر، وعثمان، والزبير، وعن إبراهيم النخعي.

ويكون المعنى: وأعطوهم ما يستعينون به على قضاء الكتابة، بدفع إليهم، أو بإسقاط عنهم.

والقول الثاني: أن يسقط المكاتب عن مكاتبه شيئاً محدوداً.

روي عن علي بن أبي طالب قال: الربع، وكذا قال مجاهد.

وعن ابن مسعود قال: الثلُثُ.

والقول الثالث: قاله سعيد بن جبيرٍ، قال: يضع عنه شيئاً من كتابته، ولم يُحدوه.

قال أبو جعفر: قيل: أولاها القول الأول، لجلالة من قال به.

وأيضاً: فإن قوله تعالى: **﴿وآتوهم من مال الله الذِي آتاكُم﴾** معطوف على قوله: **﴿فكَاتِبوهم﴾** فيجب في العربية أن يكون مثله على الحضّ والندب.

وأيضاً فإن قول «عليّ» عليه السلام: الربع، وقول عبد الله: «الثلُث» لا يوجب أن يكون

---

(١) عبد الله بن بريدة الحصيب الأسلمي أبو سهل المروزي قاضي مرو، وأخو سـليمان وكانـا توأمين، قال عنه ابن معين، وأبو حاتم: ثقة توفي سنة ١١٥هـ، انظر التهذيب ١٥٧/٥.

ذلك حتماً واجباً، ويحتمل أن يكون على الندب.

٣٩- وقوله ﷻ: ﴿ولا تكْرِهوا فتياتِكُم على الْبِغاءِ﴾ [آية: ٣٣].

قال مجاهد: نزلت في «عبدالله بن أبي بن سلول» أمر أمته أن تزني، فجاءته ببردٍ، فأمرها أن تعود إلى الزنى فأبت فأنـزل الله ﷻ: **﴿ولا تكْرِهوا فَتياتِكُم على الْبِغاءِ﴾**.

وروى أبو سفيان عن جابر وعكرمة عن ابن عباس قال: نزلت في «عبد الله بن أبيّ) أكره أمته على الزّنى، فأنـزل الله ﷻ **﴿ولا تكْرِهوا فَتياتِكُم على الْبِغاءِ﴾**.

ويسأل عن قوله ﷻ: **﴿إنْ أردنَ تحصنا﴾** [آية: ٣٣]!!

فالجواب أن المعنى: ولا تكرهوا فتياكم على البغاء البتة.

وقوله ﷻ: **﴿إنْ أردنَ تحصنا﴾** متعلق بقوله سبحانه: **﴿وأنكِحوا الأيامى مِنكُم.. إنْ أردنَ تحصنا﴾**.

ومعنى قوله: **﴿لتبتغوا عرض الْحياةِ الدنيا﴾** [آية: ٣٣] لتبتغوا أجورهن مما يكسب.

٤٠- وقوله تعالى: ﴿ومن يكْرِههن فَإن الله مِن بعدِ إكْراهِهن غَفُور رحِيم﴾ [آية: ٣٣].

قال مجاهد: فإن الله للمكْرهات من بعد إكراههن غفورٌ رحيم.

٤١- ثم **قال ﷻ: ﴿ولَقد أنزلْنا إلَيكُم آياتٍ مبيناتٍ﴾** [آية: ٣٤].

قال قتادة: يعني القرآن، فيه بيانُ الحلال من الحرام.

ويقرأ «مبّيناتٍ» بكسر الياء أي بينات هاديات.

٤٢- وقوله ﷻ: ﴿الله نور السماواتِ والأَرض﴾ [آية: ٣٥].

هو تمثيل، أي بنوره يهتدي أهل السموات والأرض.

والتقدير: الله ذو نور السموات والأرض.

والهدى يمثل بالنور.

٤٣- ثم **قال ﷻ: ﴿مثَلُ نورِه كَمِشكَاةٍ فِيها مِصباح﴾** [آية: ٣٥].

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿الله نور السماواتِ والأَرض﴾ قال: هادي أهل السموات والأرض، كما هداه في قلب المؤمن، كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه نارٌ، فإذا مسته ازداد ضوءاً على ضوء، كذا قلب المؤمن، يعمل الهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم، ازداد هدى، ونوراً على نور.

كما قال إبراهيم ﷺ -قبل أن تجيئه المعرفة حين رأى الكوكب-: **﴿هذَا ربي﴾** [الأنعام: ٧٦] من غير أن يخبره أحد أن له رباً، فلما أخبره الله ﷻ أنه ربه، ازداد هدى

على هداه.

قال ابن عباس: هذا للمؤمن.

وقال سعيد بن جبير: أي مَثَلُ نور المؤمن.

وروى أبو العالية عن أبي بن كعب أنه قرأ ﴿مَثَلُ نورِ المُؤمِنِ﴾[1].

وقال زيد بن أسلم: ﴿مَثَلُ نورِهِ﴾: يعني القرآن.

قال أبو جعفر: ويجوز أن يكون المعنى: مثل نوره للمؤمن، ويكون معنى قول ابن عباس للمؤمن.

ويجوز أن يكون معناه: مثل نور المؤمن كمشكاة.

قال ابن عباس وابن عمر: المشكاة: هي الكُوةُ.

وروى أبي بن كعب في قوله تعالى: **﴿لاَ شرقيةٍ ولاَ غَربيةٍ﴾** [آية: ٣٥] أي تصيبها الشمس وقت الشروق، فهي شرقية غربية.

وقال عكرمة: لا تخلو من الشمس وقت الشروق والغروب، وذلك أصفى لدهنها.

ثم **قال تعالى: ﴿يكَادُ زيتها يضِيءُ﴾** [آية: ٣٥] أي لصفائه **﴿ولَو لَم تمسسه نار﴾** [آية: ٣٥] تم الكلام.

٤٤- ثم **قال** ﷻ: **﴿نور علَى نورٍ﴾** [آية: ٣٥].

قال الضحاك: أي الإيمانُ، والعملُ.

وقال غيره: نور السراج، على نور الزيت والقنديل.

وقال أبي بن كعب: مثَلُه كمثل شجرة التفت ا الشجر، لا تصيبها الشمس على حال، فهي خضراء ناعمةٌ، فكذا المؤمن، نور على نور، كلامه نورٌ، وعلمه نورٌ، ومصيره إلى النور يوم القيامة.

وقال السدي: نور النار، ونور الزيت، لا يغّير واحداً تغير صاحبه، وكـذا نـور القرآن، ونورالإيمان.

٤٥- وقوله ﷻ: **﴿في بيوتٍ أَذِنَ الله أن ترفَع ويذْكَر فيها اسمه﴾** [آية: ٣٦].

والمعنى: كمشكاةٍ في **بيوتٍ.**

وقيل المعنى: المصباح في بيوت.

---

(١) هذه القراءة محمولة على التفسير، وهي قراءة شاذة.

وقيل المعنى: يسبح له رجالٌ في بيوت.

قال الحسن: **فِي بيوتٍ** أي مساجد **أَذِنَ الله أن ترفَع** أي تعظم وتصان.

وقال عكرمة: هي البيوت كلها.

وقال مجاهد: **أن ترفَع** أي تبنى.

٤٦- وقوله ﷻ: **يسبح له فِيها بِالْغدو والآصال رِجالٌ لاَ تلْهيهم تِجارةٌ ولاَ بيع عن ذِكْرِ الله** [آية: ٣٧].

قال عطاء: أي لاتلهيهم تجارةٌ ولابيعٌ، عن حضور الصلاة في جماعة.

وقال سالمٌ: جاز عبدُ الله بن عمر بالسوق، وقد أغلقُوا حوانيتهم، وقاموا ليصلوا في جماعة، فقال: فيهم نزلت **رِجالٌ لاَ تلْهيهم تِجارةٌ ولاَ بيع عن ذِكْرِ الله وإِقَامِ الصلاَةِ وإِيتاءِ الزكَاةِ** .

٤٧- وقوله ﷻ: **يخافُونَ يوما تتقَلب فِيهِ الْقُلُوب والأَبصار** [آية: ٣٧].

أي تعرف القلوب الأمر عياناً، فتنقلب عما كانت عليه من الشك والكفر، ويزداد المؤمنون يقيناً، ويكشف عن الأبصار غطاؤها فتنظر، ومثله **فَكَشفْنا عنـك غِطَـاءَك فَبصرك الْيوم حدِيد** [ق: ٢٢].

٤٨- ثم **مثل** ﷻ **عمل الكافر -بعد المؤمن- فقال:** **والذِين كَفَروا أَعمالُهم كَسرابٍ بِقِيعةٍ** [آية: ٣٩].

قال الفراء: قيعةٌ جمع قاع، كما يقال جيرة وجار.

وقال أبو عبيدة: قيعةٌ وقَاعٌ واحداٌ.

والقاع والقيعةُ عند أهل اللغة: ما انبسط من الأرض، ولم يكن فيه نبتٌ.

٤٩- ثم **قال** ﷻ: **يحسبه الظمآنُ ماء** [آية: ٣٩].

أي العطشان، والسراب، ما ارتفع نصف النهار، فإذا رؤي من بعدٍ، ظُن أنه ماءٌ .

٥٠- ثم **قال** ﷻ: **حتى إِذَا جاءَه لَم يجِده شيئًا** [آية: ٣٩].

أي حتى إذا جاء إلى الموضع الذي فيه السراب، لم يجده شيئاً مما قدره، ووجد أرضاً لا ماء فيها.

وفي **الكلام حذف:** فكذلك مثَلُ الكافر، يتوهم أن عمله ينفعه **حتى إِذَا جاءَه أي مات،** لم يجد **عمله شيئاً، لأن الله** ﷻ **قد** محقه، **وأبطله بكفره** **ووجد الله عِنده** أي عند عمله **فَوفاه حِسابه** أي جزاءه.

فمثل ﷻ عمل الكافر بما يوجد، ثم مثله بما يرى فقال:

٥١- قال ﷻ: ﴿أو كظلماتٍ في بحرٍ لجي﴾ [آية: ٤٠].

وهو منسوب إلى اللجّ وهو وسط البحر.

قال أبي بن كعب: الكافر كلامه ظلمةٌ، وعمله ظلمةٌ، ومصيره إلى ظلمة.

٥٢- وقوله ﷻ: ﴿إذَا أخرج يده لم يكَد يراها﴾ [آية: ٤٠].

قال أبو عبيدة: أي لم يرها، وهو ﴿لم يكَد يراها﴾ أي لا يراها إلا على بعد.

قال أبو جعفر: وأصح الأقوال في هذا، أن المعنى: لم يقارب رؤيتها، وإذا لم يقارب رؤيتها، فلم يرها رؤيةً بعيدة ولا قريبة.

٥٣- وقوله ﷻ: ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السماواتِ والأرض والطير صافاتٍ كُل قَد عِلم صلاته وتسبيحه﴾ [آية: ٤١].

حدثنا الفريابي، قال أنبأنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: أخبرنا شبابةُ عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿كُل قَد عِلم صلاته وتسبيحه﴾ الصلاة للإنسان، والتسبيح لما سوى ذلك من خلقه.

٥٤- وقوله ﷻ: ﴿ألم تر أن الله يزجي سحابا﴾ [آية: ٤٣].

أي يسوقه ﴿ثم يؤلف بينه﴾ أي يجمع القِطَع المتفرّقةَ، حتى تتألف ﴿ثم يجعلُه ركاما﴾ أي بعضه فوق بعض ﴿فترى الْودق يخرج مِن خِلالِه﴾.

الودق: المْطَر، يقال: ودقَت سرته تدق، ودقاً، ودِقةً، وكل خارج وادِقٌ كما قال:

فَلا مزنةٌ ودقَت ودقَها ... ولا أرض أبقَل إبقالَها[1]

و﴿خِلال﴾ جمع خلَل، يقال: جبلٌ، وجِبالٌ.

٥٥- ثم قال ﷻ: ﴿وينزلُ مِن السماءِ مِن جِبالٍ فيها مِن بردٍ﴾ [آية: ٤٣].

قيل: المعنى **من جبال برد فيها،** كما تقول: هذا خاتمٌ في يدي من حديد، أي هذا خاتم حديد في يدي.

كما يقال: جبالٌ من طين، وجبالُ طين.

---

(١) البيت لعامر بن جوين الطائي، انظر الصحاح ١٥٦٣/٤، واللسان مادة (ودق)، والمغني ص٣١٣ والطبري ١٥٣/١٨، والشنتمري ٢٤٠/١، والقرطبي ٢٨٩/١٢، ومجاز القرآن ٦٧/٢.

وقيل: إن المعنى من مقدار جبال، ثم حذف كما تقول: عند فلان جبالُ مال.

والأخفش يذهب إلى أن «مِن» فيهما زائدة أي جبالاً فيها بردٌ.

قال: وقال بعضهم: الجبالُ من برد **فيها** في السماء، وتجعلُ الإنزال منها[1].

٥٦- وقوله ﷻ: يكاد سنا برقِهِ يذْهب بالأبصار [آية: ٤٣].

أي ضوءُ برقه.

وروى ربيعةُ بن أبيض عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «البرق: مخاريق الملائكة».

وقال عبدالله بن عمرو: هو ما يكون من جبال البرد.

حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال: حدثني عبدالله بن أحمد ابن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن طلحة بن مصرّف أنه قرأ **يكاد سناءُ برقِهِ**[2].

قال أحمد بن يحيى: وهو جمع برقة.

قال أبو جعفر: البرقةُ: المقدار من البرق، والبرقَةُ: المرة الواحدة، مثلُ غُرفة، وغَرفَة.

٥٧- وقوله ﷻ: واللهُ خلق كُل دابةٍ من ماءٍ [آية: ٤٥].

يقال لكل شيء من الحيوان، مميزاً كان أو غير مميّز: دابةٌ.

٥٨- ثم **قال ﷻ: فمنهم من يمشي على بطنِهِ** [آية: ٤٥].

ولم يقل «فمنها» ولا «فمنهن» لأنه غَلب ما يميز، فلما وقعت الكناية على ما يكون لما يميز، جاء بـ «من» ولم يأت بـ «ما» ألا ترى أنه قد خلط في أول الكلام ما يمّيز مع ما لا يمّيز؟!.

٥٩- وقوله ﷻ: وإن يكُن لهم الْحق يأتوا إليه مذْعِنين [آية: ٤٩].

قال عطاءٌ: أي مسرعين وهم قريش، يقالُ: أذعن إذا جاء مسرعاً طائعاً غير مكْره.

٦٠- وقوله ﷻ: أم يخافُونَ أن يحِيف الله عليْهم ورسولُه [آية: ٥٠].

والمعنى: أم يخافون أن يحيف عليهم رسول الله ﷺ ؟

وقوله أم يخافُونَ أن يحِيف الله عليْهم افتتاح كلام، ألا ترى أن قبله **وإذا دعوا إلى الله ورسولِه ليحكُم بينهم** ولم يقل: ليحكما بينهم؟!

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٤/٤٩.

(٢) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب ٢/١١٤.

وهذا كما يقال: قد أعتقك الله وأعتقتك، وما شاء الله ثم شئت.

٦١- وقوله ﷻ: ﴿إنما كانَ قَولَ المؤمِنِين إذَا دعوا إلى الله ورسولهِ ليحكُم بينهم﴾ [آية: ٥١]. خبرٌ فيه معنى الأمر، والتحضيض.

أي إنما ينبغي أن يكونوا كذا.

قرئ على بكْر بن سهل، عن عمرو بن هشام - وهو البيروتي - عن ابن كريمة في قول الله ﷻ: **﴿ومن يطِع الله ورسولَه ويخش الله ويتقْهِ فأولئك هم الفَائزونَ﴾** [آية: ٥٢].

قال: **﴿ومن يطِع الله﴾** فيوحده **﴿ورسولَه﴾** فيصدقه **﴿ويخش الله﴾** فيما مضى من ذنوبه **﴿ويتقْهِ﴾** فيما بقي من عمره **﴿فأولئك هم الفَائزونَ﴾**.

قال أبو جعفر: والفوز في اللغة: النجاةُ.

٦٢- وقوله ﷻ: ﴿وأقْسموا بِاللهِ جهد أيمانِهم لَئِن أمرتهم ليخرجن قُل لا تقْسِموا﴾ [آية: ٥٣].

﴿قُل لا تقْسِموا﴾ تم الكلام، ثم قال: **﴿طَاعةٌ معروفَةٌ﴾** أي طاعة معروفة أمثل، وهذا للمنافقين.

أي لا تحلفوا على الكذب فالطاعة أمثلُ.

ويجوز أن يكون المعنى: لِتكُن منكم طاعةٌ.

٦٣- وقوله ﷻ: ﴿فَإن تولوا فإنما عليهِ ما حملَ وعليكُم ما حملْتم﴾ [آية: ٥٤].

والمعنى: فإن تتولوا ثم حذف، ويدل على أن بعده **﴿وعليكُم ما حملْتم﴾** ولم يقل: وعليهم.

والمعنى: فإنما على النبي ﷺ التبليغ، وعليكم القبولُ، وليس عليه أن تقبلوا.

٦٤- وقوله ﷻ: ﴿وعد الله الذِين آمنوا مِنكُم وعمِلُوا الصالِحاتِ ليستخلِفَنهم فِي الأرض﴾ [آية: ٥٥]. جاء باللامِ، لأن معنى «وعد» و«قَالَ» واحدٌ.

والمعنى: ليجعلنهم يخلفون من قبلهم.

﴿وليُمكنن لهم دِينهم﴾ [آية: ٥٥] **وهو الإسلام.**

٦٥- وقوله ﷻ: ﴿لا تحسبن الذِين كفَروا معجِزين فِي الأرض﴾ [آية: ٥٧].

أي هم في قبضة الله ﷻ.

٦٦- وقوله ﷻ: ﴿يا أيها الذِين آمنوا ليستأذِنكُم الذِين ملكَت أيمانكُم﴾ [آية: ٥٨].

في **هذه الآية أقوالٌ:**

أ - روى ابن جريج عن مجاهد قال: هم العبيد المملوكون.

٢- وروى إسرائيل عن ليث عن نافع عن ابن عمر ﴿**ليستأذِنكُم الذِين ملكَت أيمانكُم**﴾ الإناث.

٣- وروى سفيان عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن قال: هي للنساء خاصة.

أي: إن سبيل الرجال أن يستأذنوا في كل وقتٍ، والنساء يستأذن في هذه الأوقات خاصة.

ولا يجوز في اللغة أن يقال للنساء «الذِين» ولو كان للنساء خاصة لقيل «اللاتي» أو «اللائي» أو ما أشبه ذلك، إلا أن يجتمع مذكر ومؤنث، فيقال «الذِين» لهم جميعاً.

وروى عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس: «أن رجلين من أهل العراق، سألاه عن قوله ﷻ: ﴿**ليستأذِنكُم الذِين ملكَت أيمانكُم**﴾ فقال: إن الله وعز سِتّيرٌ، يحب السترةَ، ولم يكن للمسلمين يومئذ ستورٌ، ولا حجالٌ، فكان ولد الرجل، وخادمه ويتيمه، ربما دخل عليه وهو مع أهله، فأمر الله ﷻ بالاستئذان، فلما بسط الله الرزق، واتخذ الناس الستور والحجال، رأوا أن ذلك يغنيهم عن الاستئذان - وفي بعض الروايات - فترك الناس العمل بالآية[(١)].

قال الشعبي: ليست بمنسوخة.

وأولى ما في هذا، وأصحه إسناداً، ما رواه عبد الملك عن عطاء، قال: سمعت ابن عباس يقول: ثلاث آيات ترك الناس العمل بها:

أ - قوله: ﴿**ليستأذِنكُم الذِين ملكَت أيمانكُم**﴾.

ب- وقوله: ﴿**إن أكْرمكُم عِند الله أتقاكُم**﴾ [الحجرات: ١٣].

ويقول فلانٌ: أنا أكرم من فلانٍ، وإنما أكرمهما أتقاهما.

قال عطاء: ونسيت الثالثة.

(١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الأدب برقم ٥١٩٢، والطبري ١٦٢/١٨، والقرطبي ٣٠٣/١٢ وأخرجه ابن كثير ٩٠/٦ بلفظ: «إن الله ستير يحب الستر، كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجال في بيوتهم، فربما فاجأ الرجل خادمه أو ولده أو يتيمه في حجره وهو على أهله، فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمى»، وقال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس.

قال أبو جعفر: فهذا من ابن عباس على جهة الإنكار، وهو مفسر لما رواه عكرمة، في رواية من قال: «فترك الناس العمل ا».

وقد روى ابن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس قال: «إني لآمر جاريتي هذه – وأومأ إلى جارية بيضاء قصيرة - أن تستأذن علي»[1].

٦٧- ثم بين المرات فقال سبحانه: **من قبل صلاةِ الفَجرِ** [آية: ٥٨].

لأنه الوقت الذي يلبس الناس فيه ثيا م، يخرجون من فرشهم **وحِين تضعونَ ثِيابكُم من الظهيرةِ** [آية: ٥٨] لأنه وقت القائلة.

ومِن بعدِ صلاةِ العِشاءِ [آية: ٥٨] **قال الزهري:** وهي التي يسميها الناس العتمة.

قال: فيستأذنون في هذه الأوقات خاصة، فأما غيرهم فيستأذنوا كل وقت.

٦٨- ثم **قال تعالى: ثَلاثُ عوراتٍ** [آية: ٥٨].

أي أوقات الاستئذان ثلاث عورات.

والنصب[2] بمعنى يستأذنون وقت ثلاث عورات لكم.

ليس عليكُم ولاَ عليهم جناح بعدهن [آية: ٥٨]. أي في الدخول بغير إذن.

طوافُونَ عليكُم [آية: ٥٨] أي يخدمونكم.

بعضكُم على بعض [آية: ٥٨] أي يطوف بعضكم على بعض.

٦٩- وقوله ﷻ: وإذَا بلغَ الأطفَالُ مِنكُم الحلم فَليستأذِنوا [آية: ٥٩].

قال الزهري: أي يستأذن الرجلُ على أمِّه، وفي هذا المعنى نزلت هذه الآية.

٧٠- ثم **قال تعالى كَما استأذَنَ الذِين مِن قَبلِهم** [آية: ٥٩].

يعني البالغين.

٧١- وقوله ﷻ: والقَواعِد مِن النساءِ اللاتِي لاَ يرجونَ نِكَاحا [آية: ٦٠].

قال أبو جعفر: أبو عبيدة يذهب إلى أن المعنى: اللواتي قعدن عن الولد.

وقال غيره: يراد ذا العجوز الكبيرة، التي قعدت عن التصرف، لأ ا قد تقعد عن

(١) الحديث أخرجه أبو داود برقم ٥١٩١ في باب الاستئذان، وابن كثير ٨٩/٦، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥٦/٥، والقرطبي ٣٠٣/١٢.

(٢) هذه قراءة حمزة، والكسائي، وقرأ الجمهور بالرفع ثلاثُ عوراتٍ لكم ، قال الفراء: والرفع في العربية أحب إلي، لأن المعنى: هذه الخصال وقت العوارت ليس عليكم جناح بعدهن، انظر معاني القرآن ٢٩٠/٢، وانظر السبعة ص ٤٥٩.

الولد، وفيها بقية.

قال ربيعة: هي التي إذا رأيتها استقذرتها.

٧٢- ثم قال تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ [آية: ٦٠].

روى أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قال: يعني الرداء.

قال أبو جعفر: والمعروف من قراءة عبد الله ﴿**أن يضعن من ثيابهن**﴾.

٧٣- وقوله ﷻ: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [آية: ٦٠].

قال مجاهد: أي يلبسن الجلباب خير لهن.

٧٤- وقوله ﷻ ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [آية: ٦١].

حدثنا محمد بن جعفر الأنباري، قال: حدثنا زيد بن أجزم، قال: أنبأنا بشر بن عمر الزهراني، قال حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: كان المسلمون يوعبون في النفير مع رسوله الله ﷺ، فكانوا يدفعون مفاتحهم إلى ضمناهم ويقولون: إن احتجتم فكلوا، فيقولون: إنما أحلوه لنا عن غير طيب نفس، فأنزل الله ﷻ: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ**﴾ إلى آخر الآية.

قال أبو جعفر: «يوعبون»: أي يخرجون بأجمعهم في المغازي.

يقال: أوعب بنو فلان لبني فلان: إذا جاءوهم بأجمعهم، ويقال: بيتٌ وعيبٌ: إذا كان واسعاً، يستوعب كل ما وضع فيه.

والضمنى: هم الزمنى، واحدهم ضمِن، مثل زمِن.

قال معمر: سألت الزهري عن قوله تعالى: ﴿**لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ**﴾ [آية: ٦١] ما بال هؤلاء ذكروا هاهنا؟ فقال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله، أن الناس كانوا إذا خرجوا إلى الغزو، دفعوا مفاتحهم إلى الزمنى، وأحلوا لهم أن يأكلوا مما في بيوتهم، فكانوا لا يفعلون ذلك، ويتوقون ويقولون: إنما أطلقوا لنا عن غير طيب نفس، فأنزل الله الآية ﴿**لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ**﴾.

قال أبو جعفر: فالمعنى على هذا بين، أي ليس عليهم في الأكل شيء.

والقول الآخر: قول ابن عباس، حدثناه بكر بن سهل، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ**

أن تأكلوا من بيوتكم إلى قوله **جميعا أو أشتاتا** [آية: ٦١] وذلك لما أنـزل الله ﷻ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** [النساء: ٢٩]. فقال المسلمون: إن الله ﷻ قد نهى أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، والطعام هو من أفضل الأموال، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحدٍ، فكف الناس عن ذلك، فأنـزل الله ﷻ بعد ذلك **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج** إلى قوله: **أو ما ملكتم مفاتحه** [آية: ٦١]. وهو الرجلُ يوكّلُ الرجل بضيعته.

قال أبو جعفر: والذي رخص الله ﷻ أن يؤكل من ذلك: الطعام والتمر، وشرب اللبن، وكانوا أيضاً يتقون ويتحرجون أن يأكل الرجل الطاعم وحده، حتى يكون معه غيره، فرخص الله لهم، فقال ﷻ: **ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا** [1].

قال أبو جعفر: فبين ابن عباس في هذا الحديث، ما الذي رخّص لهـم فيـه مـن الطعام.

وفي غير هذه الرواية عنه: أن الأعمى كان يتحرج أن يأكل طعام غيره لجعله يده في غير موضعه، وكان الأعرج يتحرج لاتساعه في الموضع، والمريض لرائحته وما يلحقه، فأباح الله ﷻ لهم الأكل مع غيرهم.

وهذا معنى رواية صالح عنه.

٧٥- فأما قوله تعالى: ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم [آية: ٦١].

فقيل معناه: من بيوت عيالكم.

وقيل معناه: من بيوت أولادكم، لأن أولادهم من كسبهم، فنسبت بيوتهم إليهم.

واستدل صاحب هذا القول، بأنه ذكر الأقرباء بعد،ولم يذكر الأولاد.

ومعنى (إخوانكم) و(إخوتكم) واحدٌ.

وفي غير رواية معاوية عن ابن عباس أو ما ملكتم مفاتحه يعني : العبيد.

وقيل : يعني الزمنى أُبيح لهم ما خزنوه من هذا للغزاة.

وقرأ سعيد بن جبير أو ما ملكتم مفاتحه بضم الميم وتشديد اللام[2].

وقال مجاهد: كان الرجل يذهب بالأعمى، وبالأعرج، وبالمريض إلى بيت أبيه، أو

(١) انظر الطبري ١٨/١٧٠ والقرطبي ١٢/ ٤١٢ والبحر المحيط ٦/٤٧٤.
(٢) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر المحيط ٦/٤٧٤، وليست من القراءات السبع.

غيره من الأقرباء، فيتحرج من ذلك ويقول: هو بيت غيره، فنـزلت هذه الآية رخصة.

وقيل: **ليس على الأعمى حرج** أي في الغزو، وكذا الأعرج المريض.

ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم .

أي من بيوت أنفسكم، لأنه قد كان يجوز أن يحظَّر ذلك، لأنه قد يكون في بيت الرجل ما ليس له.

وكان يجوز **أن يحظَّر عليه مالُ غيره**، وإن أذن له، فأبيح ذلك لهذا، إذا أَذِنَ له أحدٌ من هؤلاء.

وذكر فيهم الخاص والعام، لأن قوله تعالى: **أو بيوت إخوانكم** [آية: ٦١] عام.

٧٦- وقوله ﷻ: **فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم** [آية: ٦١].

روى عمر بن دينار عن ابن عباس فإذا دخلتم بيوتا قال: المساجد.

فسلموا على أنفسكم يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

وقال أبو مالك: إذا دخلتم بيوتاً ليس فيها أحدٌ من المسلمين، فقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

وقال ماهان[1]**:** إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحدٌ، فقلْ: السلام علينا من ربنا.

وقال الحسن: فسلموا على أنفسكم ليسلم بعضكم على بعض.

كما قال تعالى: **فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم** [البقرة: ٥٤].

قال الضحاك: فسلموا على أهليكم وغيرهم.

قال أبو جعفر: قول الحسن في هذا قولٌ صحيحٌ في اللغة، والمسلم من المسلم بمنـزلة نفسه، لأن دينهما واحد، وعلى كل واحدٍ منهما نصح صاحبه، وقال الشاعر:

«**قد جعلت نفسي** في **الأديم**»

يعني الماء: لأن الماء به العيش، فجعله نفسه، فكذلك المسلم يطمئن إلى المسلم كما يطمئن إلى نفسه.

والأولى أن يكون لجميع البيوت، لأن اللفظ عامٌّ، والمعنى: فَلْيحيِّ بعضكم بعضاً، تحية من عند الله مباركة طيبة.

---

(١) أبو سالم الحنفي، الكوفي العابد، ذكره ابن حبان في الثقات، كان لا يفتر عن التسبيح، قتلـه الحجاج سنة ثلاث وثمانين، انظر في تهذيب التهذيب ٢٥/١٠.

ثم **خبر أن السلام طّيب مبارك فقال تعالى: تحيةً من عِندِ الله مباركةً طيبةً** [آية: ٦١].

٧٧- وقوله ﷻ: إنما المؤمِنونَ الذِين آمنوا بِاللهِ ورسولِهِ وإِذَا كانوا معه على أمرٍ جامِعٍ لم يذْهبوا حتى يستأذِنوه [آية: ٦٢].

قال سعيد بن جبير: إذا حزبهم أمر من حرب أو غيرها، استأذنوه قبل أن يذهبوا.

وقال مجاهد: هذا في الغزو، ويوم الجمعة.

وقال قتادة والضحاك: وإذَا كانوا معه على أمرٍ جامِعٍ أي على أمر طاعة.

قال أبو جعفر: قول سعيد بن جبير أولاها، أي إذا احتاج الإمام إلى جمع المسلمين، لأمر يحتاج إلى اجتماعهم فيه، فالإمام مخير في الإذن لمن رأى الإذن له.

فأما إذا انتقض وضوءه يوم الجمعة، فلا وجه لمقامه في المسجد، ولا معنى لاستئذانه الإمام في ذلك، لأنه لا يجوز له منعه.

٧٨- وقوله تعالى: فَإِذَا استأذَنوكَ لِبعضِ شأنِهم فَأذَن لمن شِئْتَ مِنهم [آية: ٦١].

قال قتادة: وقد قال سبحانه: **عفَا الله عنكَ لِمَ أَذِنتَ** [التوبة: ٤٣][1].

فنسخت هذه - يعني التي في سورة النور - التي في سورة براءة.

٧٩- وقوله ﷻ: لا تجعلُوا دعاءَ الرسول بينكُم كَدعاءِ بعضِكُم بعضا [آية: ٦٣].

قال مجاهد: قولوا: يا رسول الله، في رفقٍ ولين، ولا تقولوا: يا محمد بتجهمٍ.

وقال قتادة: أُمروا أن يفخموه ويشرفوه.

ويروى عن ابن عباس كان يقول: دعوة الرسول عليكم واجبةٌ فاحذروها.

وهذا قول حسن، لكون الكلام متصلا، لأن الذي قبله والذي بعده، نهيٌ عن مخالفته، أي لا تتعرضوا لما يسخِطُه، فيدعو عليكم فتهلكوا، ولا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس.

٨٠- وقوله ﷻ: قَد يعلَم الله الذِين يتسللُونَ مِنكُم لِواذًا [آية: ٦٣].

---

(١) نزلت هذه الآية في المنافقين الذين استأذنوا الرسول ﷺ دون حاجة.

قال مجاهد: أي خلافاً.

وقيل: حياداً، كما تقول: لذت من فلان أي حدت عنه.

وقيل: ﴿**لِواذًا**﴾ في سترة، ولذت من فلان: تنحيت عنه في سترة.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال متقاربة.

وقول مجاهد يدل عليه ﴿**فَلْيحذَرِ الذِين يخالِفُونَ عن أمرِهِ**﴾ [آية: ٦٣].

و ﴿**لِواذًا**﴾ مصدر «لاَوذَ» فأما «لاَذَ» فمصدره لِياذٌ.

وزعم أبو عبيدة أن قوله: ﴿**فَلْيحذَرِ الذِين يخالِفُونَ عن أمرِهِ**﴾.

معناه: يخالفون أمره.

قال أبو جعفر: وهذا القول خطأٌ، على مذهب الخليل وسيبويه، لأن «عن» و«على» لا يفعل بهما ذلك، أي لا يزادان، و«عن» في موضعها غير زائدة.

والمعنى: يخالفون بعد ما أمر، كما قال الشاعر:

نؤوم الضحى لم **تنتطِق عن تفَضلِ**(١)

وحقيقة «عن» هاهنا إن شئت خلافهم أن تأمر، فخلافهم عن أمره، وهذا مذهب الخليل وسيبويه، كذا قالا في قوله ﷻ: ﴿**فَفَسَق عن أمرِ رَبِّهِ**﴾ [الكهف: ٥٠].

«انتهت سورة النور»

(١) هذا شطر بيت من معلقة امرئ القيس، انظر ديوانه ص ١٧.

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفرقان مكية

حدثني يموت بن المزرع، قال: حدثنا أبو حاتم، قال: حدثنا أبو عبيدة قال: حدثنا يونس بن حبيب، قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: سألت مجاهداً تلخيص الآي «المدنيّ» من «المكّيّ» فقال مجاهد: سألت ابن عباس، وذكر الحديث، وقال: فيه نـزلت سورة الفرقان بمكة، فهي مكية.

١- من ذلك قوله ﷻ: ﴿تبارك الذي نزل الفُرقانَ على عبدِهِ﴾ [آية: ١].

وقرأ عبد الله بن الزبير ﴿على عِبادِهِ﴾ .

﴿تبارك﴾ تفاعل من البركة، وهي حلول الخير.

ومنه: فلانٌ مبارك، أي: الخير يحل بحلوله، مشتق من البرك، والبركة، وهما المصدر.

و **﴿الفُرقَانَ﴾** : القرآن، لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر.

و «**النذير**»: المخوف عذاب الله تبارك وتعالى، وكل مخوِّفٍ: نذير، ومنذر.

٢- وقوله ﷻ: ﴿وخلَق كُل شيءٍ فقَدره تقْدِيرا﴾ [آية: ٢].

أي قدر لكل شيءٍ ما يصلحه، ويقوم به.

٣- وقوله ﷻ: ﴿ولا يملِكُونَ موتا ولاَ حياةً ولاَ نشورا﴾ [آية: ٣].

يقال: أنشر الله الموتى، فَنشروا.

٤- ثم **قال تعالى: ﴿وقَالَ الذِين كفَروا إنْ هذَا إلا إفْك افْتراه﴾** [آية: ٤].

قال مجاهد وقتادة: ﴿إفْك﴾ أي كذب.

ثم **قال تعالى: ﴿وأعانه عليهِ قَوم آخرونَ﴾** [آية: ٤].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: اليهود.

٥- ثم **قال ﷻ: ﴿فَقَد جاءُوا ظُلْما وزورا﴾** [آية: ٤].

قال مجاهد: أي كذباً.

قال أبو جعفر: والتقدير فقد جاءوا بظلمٍ وزورٍ.

٦- ثم **قال ﷻ: ﴿وقَالُوا أساطِير الأولين اكْتتبها فَهي تملَى عليهِ بكْرةً وأصِيلاً﴾** [آية: ٥].

قال مجاهد: أي أحاديث الأولين.

قال قتادة: **﴿وأصيلاً﴾** أي عشياً.

٧- وقوله ﷻ: ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ [آية: ٧].

أي أي شيء له آكلاً وماشياً؟.

ثم طلبوا أن يكون معه ملك شريكاً فقالوا: **﴿لولا أنزل إليه ملك﴾** [آية: ٧]؟

وقد قال ﷻ: **﴿ولو جعلناه ملكًا لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾** [الأنعام: ٩].

أي لو أنزلنا ملكاً، لم يكونوا يفهمون عنه حتى يكون رجلاً، وإذا كان رجلاً، لم يؤمنوا أيضاً إلا بتأويل.

٨- وقوله ﷻ: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ [آية: ١٠].

روى سفيان عن حبيب بن أبي **ثابت عن خيثمة قال: قيل للنبي ﷺ: «إن شئت أن نعطيك خزائن الدنيا ومفاتحها، ولم يعط ذلك من قبلك، ولا يعطاه أحد بعدك وليس ذلك بناقصك** في **الآخرة شيئاً!! وإن شئت جمعنا ذلك لك** في **الآخرة، فقال: يجمع** لي **ذلك** في **الآخرة»**(١).

فأنزل الله ﷻ: **﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا﴾** [آية: ١٠].

٩- وقوله ﷻ: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ [آية: ١٢].

قيل في **معنى هذا قولان**:

أحدهما: سمعوا لمن فيها من المعذبين تغيظاً وزفيراً.

واستشهد صاحب هذا القول بقوله ﷻ: **﴿لهم فيها زفير وشهيق﴾** [هود: ١٠٦].

والقول الآخر: أن المعنى سمعوا لها تغيظاً عليهم، كما قال تعالى: **﴿تكاد تميز من الغيظ﴾** [الملك: ٨].

والقول الثاني أولى، لأنه قال: **﴿سمعوا لها﴾** ولم يقل: سمعوا فيها، ولا منها.

---

(١) الأثر أخرجه الفريابي، وابن أبي شيبة، وابن مردويه، كذا في الدر المنثور ٦٣/٥ وهو في البحر ٤٨٤/٦ والقرطبي ٧/١٣ وفي بعض الروايات أن «رضوان» مالك الجنة، جاءه بأمر الله وخيره، فأشار إليه جبريل أن تواضع، فقال له النبي ﷺ: «بل أكون عبداً صابراً شكوراً، فأعطاه الله عز الدنيا والآخرة».

والتقدير: سمعوا لها صوت تغيظ.

١٠- وقوله ﷻ: ﴿دعوا هنالك ثُبورا﴾ [آية: ١٣].

قال مجاهد والضحاك: أي هلاكاً.

قال أبو جعفر: يقال: ما ثَبرك عن كذا؟ أي ما صرفك عنه؟

فالمثبور: هو المصروف عن الخير.

والمعنى: يقولون: واثُبوراه.

وروى علي بن زيد عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «أول من يكسى حلة من جهنم «إبليس» فيضعها على جبينه ويسحبها، يقول: واثبوراه وتتبعه ذريته يقولون: واثبوراه فيقال لهم: لا تدعوا اليوم ثُبوراً واحداً، وادعوا ثبوراً كثيراً»[1].

١١- ثم قال ﷻ: ﴿قُلْ أذَلِك خير أم جنةُ الخلْدِ التي وعِد المتقُونَ﴾ [آية: ١٥].

وليس في ذلك خير، فإنما هو على عملكم، وعلى ما تفعلون.

١٢- ثم قال ﷻ: ﴿كانَ على ربك وعدا مسؤولاً﴾ [آية: ١٦].

قال محمد بن كعب: أي يسأله، وهو قول الملائكة صلى الله عليهم: ﴿ربنا وأدخِلْهم جناتِ عدنٍ التي وعدتهم﴾ [غافر: ٨].

وقيل: إن ذلك يراد به قولهم: ﴿لولا أنـزلَ إليهِ ملك فيكُونَ معه نذِيرا. أو يلْقى إليهِ كنـز أو تكُونُ له جنةٌ يأكُلُ مِنها﴾ [آية: ٧-٨]؟

١٣- وقوله ﷻ: ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدونَ مِن دون الله﴾ [آية: ١٧].

قال مجاهد: المسيح، وعزيراً، والملائكة.

١٤- وقوله ﷻ: ﴿حتى نسوا الذكْر وكانوا قوما بورا﴾ [آية: ١٨].

قال مجاهد: أي هالكين.

قال أبو جعفر: يقال لما هلك، أو فسد، أو كسد: بائر، ومنه: بارت السوق، وبارت الأيم، و«بور» يقع للواحد والجماعة، على قول أكثر النحويين.

وقال بعضهم: الواحد بائر، والجمع بور، كما يقال: عائد، وعوذٌ، وهائِد، وهود.

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١٥٢/٣ ورواه ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي، بسند صحيح.

١٥- ثم قال ﷻ: **فَقَد كَذبوكُم بِما تقُولُونَ** [آية: ١٩]**.**

أي بقولكم: إ م آلهةٌ.

وحكى الفراء أنه يقرأ فَقَد كَذبوكُم بِما تقُولُونَ .

قال أبو جعفر: والمعنى على هذا: فقد كذبوكم بقولهم: **ما كَانَ ينبغِي لَنا أَن نتخِذَ مِن دونِك مِن أَولِياءَ** [آية: ١٨].

١٦- ثم قال تعالى: فَما تستطِيعونَ صرفًا ولاَ نصرا [آية: ١٩]**.**

قال يونس: الصرف: الحيلة، من قولهم: فلانٌ يتصرف في الأشياء، أي فما يستطيعون أن يصرفوا عن أنفسهم العذاب، ولا ينصروها.

١٧- وقوله ﷻ: **ومن يظْلِم منكُم نذِقْه عذَابا كَبِيرا** [آية: ١٩].

قال الحسن: الشرك.

١٨- وقوله ﷻ : **وجعلْنا بعضكُم لِبعضٍ فِتنةً أَتصبِرونَ وكَانَ ربك بصِيرا** [آية: ٢٠]**.**

قال قتادة: فِتنةً : أي بلاءً.

قال أبو جعفر: الفتنة في اللغة: الاختبار.

والمعنى: جعلنا الشريف للوضيع، والوضيع للشريف، فتنة.

يروى أن الشريف كان يريد أن يسلِم، فيمنعه من ذلك، أن من هو دونه قد أسلم قبله، فيقول: أُعير بسبقه إياي.

وإن بعض الزمنى والفقراء كان يقول: لِم لَم أكن غنياً وصحيحاً فأسلم؟

ثم **قال** ﷻ: **أَتصبِرونَ** ؟ أي إن صبرتم، فقد عرفتم أجر الصابرين.

١٩- ثم خبر أن الذين لا يؤمنون بالآخرة، يقترحون من الآيات ما لم **يعطه أحد فقال** ﷻ: **وقَالَ الذِين لاَ يرجونَ لِقَاءَنا لَولاَ أُنـزِلَ علَينا الْملاَئِكَةُ أَو نرى ربنا لَقَدِ استكْبروا فِي أَنفُسِهِم وعتوا عتوا كَبِيرا** [آية: ٢١]**.**

والعتو: التجاوز فيما لا ينبغي.

٢٠- ثم قال ﷻ: **يوم يرونَ الْملاَئِكَةَ لاَ بشرى يومئِذٍ لِلْمجرِمِين ويقُولُونَ حِجرا محجورا** [آية: ٢٢]**.**

روى عطية عن أبي **سعيد الخدري حِجرا محجورا** قال: حراماً محرماً.

قال الضحاك: أي تقول لهم الملائكة: حراما عليكم محرما, أن تكون لكم البشرى

اليوم, يعني الكفار.

قال أبو جعفر: والمعنى حراماً عليكم البشرى, ومن هذا حجر القاضي إذا هو منعه, ومن هذا حجر الإنسان.

٢١- وقوله ﷻ: وقَدِمنا إلى ما عمِلُوا مِن عملٍ.. [آية: ٢٣]**.**

قال مجاهد: وقَدِمنا أي عمدنا.

قال أبو جعفر: وأصل هذا أن القادم إلى الموضع يعمد له, ويقصد إليه.

٢٢- ثم **قال ﷻ: فَجعلْناه هباءً منثُورا** [آية: ٢٣]**.**

روى أبو إسحاق عن الحارث عن علي قال: الهباء المنثور: شعاع الشمس الذي يدخل من الكوة.

قال أبو جعفر: وهباء جمع هباءة, فيقال لما يكون من شعاع الشمس.

وهو شبيه بالغبار: هباء منثور, ويقال لما يطير من تحت سنابك الخيل: هباء منبث.

وأصله: من أهبأ التراب إهباءً: إذا أثاره، كما قيل:

«**مِنيناً كأنه أهباءٌ**»(١)**.**

٢٣- وقوله ﷻ: أصحاب الْجنةِ يومئِذٍ خير مستقَرا وأحسن مقِيلاً [آية: ٢٤]**.**

قال أبو جعفر: القول في هذا كالقول في قوله تعالى: **أذَلِك خير أم جنةُ الْخلْدِ** [آية: ١٥]؟.

والفراء يذهب إلى أنه ليس في هذا سؤال البتة.

٢٤- ثم **قال ﷻ: وأحسن مقِيلاً** [آية: ٢٤]**.**

قال قتادة: أي مأوى ومنـزلاً.

قال أبو جعفر: المَقيلُ في اللغة: هو المُقَام وقت القيلولة خاصة، فقيل: إن أهل الجنة ينصرفون إلى نسائهم، مقدار وقت نصف النهار، فيقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في

---

(١) هذا عجز بيت للحارث بن حلزة يصف ناقته، وتمامه كما ذكره القرطبي ٢٢/١٣:

فَترى خلْفَها من الرجع والوقْعِ مِنيناً كأنه أهباءُ

أي ترى خلف الناقة من رجع قوائمها، ووقع أخفافها، غباراً دقيقـاً، كأنـه ذرات ناعمـةٌ متطايرة.

النار ذلك الوقت.

٢٥- ثم قال ﷻ: **ويوم تشقق السماء بالغمام ونـزل الملائكة تنـزيلاً** [آية: ٢٥].

قال قتادة: تنـزل ملائكة كل سماءٍ، سماءٍ فيقول الخلائق لهم: أفيكم ربنا ﷻ؟ وذكر الحديث.

٢٦- ثم قال ﷻ: **الملك يومئذٍ الحق للرحمن** [آية: ٢٦].

لأن ملك الدنيا زائلٌ.

٢٧- وقوله ﷻ: **ويوم يعض الظالم على يديه** [آية: ٢٧].

قال سعيد بن المسيب: كان «عقبة بن أبي معيط» خِدناً لأمية بن خلف، فبلغ أمية أن عقبة عزم على أن يسلم، فأتاه فقال له: وجهي من وجهك حرام، إن لم تكفر بمحمد ﷺ!! ففعل الشقي، فأنـزل الله ﷻ: **ويوم يعض الظالم على يديه يقولُ يا ليتني اتخذْت مع الرسول سبيلاً. يا ويلتى ليتني لم أتخذْ فُلاناً خليلاً** [آية: ٢٧-٢٨].

وقال أبو رجاء: «فلان» هو الشيطان، واحتج لصاحب هذا القول بأن بعده **وكانَ الشيطانُ للإنسان خذُولا**.

والقول الأول هو الذي عليه أهل التفسير.

٢٨- روى عثمان الجزري عن مقسم عن ابن عباس أن هذا نزل في «**عقْبة**» و«**أمية**».

وفي رواية: مقسم فأما «عقبة» فكان في الأسارى يوم بدر، فأمر النبي ﷺ بقتله، فقال: أأُقتلُ دونهم؟ فقال: نعم: بكفرك وعتوك، فقال: من للصبية؟ فقال: النار، فقام علي ابن أبي طالب فقتله.

وأما «أمية بن خلف» فقتله النبي ﷺ بيده، وكان قال: «**والله لأقتلن محمداً، فبلغ ذلك النبي** ﷺ **فقال: أنا أقتله إن شاء الله**»[1].

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: قال «أُميةُ» لعقبة: أصبأت؟ فقال عقبة: إنما صنعت طعاماً، فأبى محمد أن يأكل منه، حتى أشهد له بالرسالة.

والذي قاله «أبو رجاء» ليس بناقض لهذا، لأن هذا كان بإغواء الشيطان وتزيينه،

---

(١) انظر الدر المنثور ٦٩/٥.

فيجوز أن يكون نسب إليه على هذا.

٢٩- وقوله ﷻ: وقَالَ الرسولُ يا رب إِن قَومِي اتخذُوا هذَا القُرآنَ مهجورا [آية: ٣٠].

قال مجاهد وإبراهيم: أي قالوا فيه غير الحق.

قال إبراهيم: ألم تر إلى المريض كيف يهجر؟ أي يهذي.

وقيل: **مهجورا** أي متروكاً.

٣٠- وقوله ﷻ: وكَذَلِك جعلْنا لِكُلِ نبِي عدوا من الْمجرِمين [آية: ٣١].

قال أبو جعفر: يجوز أن يكون **عدوا** بمعنى أعداء، ويجوز أن يكون لواحدٍ.

وفي بعض الروايات عن ابن عباس أنه يراد به «أبو جهلٍ».

٣١- وقوله ﷻ: وقَالَ الذِين كفَروا لَولاَ نزل علَيهِ القُرآنُ جملَةً واحِدةً كَذَلِك [آية: ٣٢].

قيل: هذا التمام.

والمعنى: أنـزلناه متفرقاً، لنثبت به فؤادك، كذلك التثبيت، كما قال ﷻ: **ولَولاَ أن ثَبتناك لَقَد كِدت تركَن إِلَيهم شيئًا قَلِيلاً** [الإسراء:٧٤].

لأنه إذا أنـزله متفرقاً، كان فيه جواب ما يسألون في وقته، فكان في ذلك تثبيت، فقيل: التمام قوله: **كَذَلِك** .

وقيل: التمام عند قوله جملة واحدة.

والمعنى: وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كالتوراة والإنجيل!! ومعنى هذا: لِم أُنـزل متفرقاً؟ فقال ﷻ: **كَذَلِك لِنثَبت بِهِ فُؤادك** أي أنـزلناه متفرقاً لنثبت به فؤادك.

٣٢- ثم **قال ﷻ: ورتلْناه ترتِيلاً** [آية: ٣٢].

روى مغيرة عن إبراهيم قال: أُنـزل متفرقاً.

وقال الحسن: كلما سئل النبي ﷺ عن شيء نزل جوابه، حتى كمل نـزوله في نحو من عشرين سنة.

٣٣- ثم **قال ﷻ: ولاَ يأتونك بِمثَلٍ إِلا جِئْناك بِالْحق وأَحسن تفْسِيرا** [آية: ٣٣].

قال الضحاك: أي تفصيلاً.

قال أبو جعفر: في الكلام حذف.

والمعنى: وأحسن تفسيراً من مثلهم، ومثل هذا يحذف كثيراً.

٣٤- ثم قال ﷻ **: الذين يحشرونَ على وجوهِهم إلى جهنم أولئك شر مكانا** [آية: ٣٤].

في الحديث الشريف: «**يحشر الناس على ثلاث طبقات: ركباناً، ومشاة، وعلى وجوههم.. قال أنس: قيل: يا رسول الله كيف يحشرون على وجوههم؟ فقال: إن الذي أمشاهم على أرجلهم، قادر على أن يمشيهم على وجوههم**»(١).

٣٥- وقوله ﷻ**: وجعلْنا معه أخاه هارونَ وزيرا** [آية: ٣٥].

روى سعيد عن قتادة قال: أي عوناً وعضداً.

٣٦- وقوله تعالى: وقَوم نوحٍ لما كذبوا الرسلَ أغْرقْناهم [آية: ٣٧].

قيل: هذا يوجب أن قوم نوح قد كذبوا غير نوح عليه السلام؟

فقيل: من كذب نبياً فقد كذب جميع الأنبياء، لأن الأنبياء كلهم يؤمنون بالله ﷻ، وبجميع كتبه.

وقيل: هذا كما يقال: فلانٌ يركب الدواب، وإن لم يركب إلا واحدة، أي يركب هذا الجنس.

٣٧- وقوله ﷻ**: وعادا وثَمود وأصحاب الرس..** [آية: ٣٨].

قال قتادة: كانوا أصحاب فلج باليمامة وآبار.

قال مجاهد: «أصحاب الرسّ» كانوا على بئر لهم، وكان اسمها الرس فنسبوا إليها.

قال أبو جعفر: الرس عند أهل اللغة: كل بئرٍ غير مطوية، ومنه قول الشاعر:

تنابِلة يحفِرونَ الرِّساسا(٢)

---

(١) الحديث رواه البخاري ١٣٧/٦ ومسلم ١٣٥/٨، في صفة القيامة، عن أنس أن رجلاً قال: يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة» ؟! قال قتادة حين بلغه: بلى وعزة ربنا. وأخرجه الترمذي في تفسير سورة الإسراء ٢٨٥/٥، وأحمد في المسند ٣٥٤/٢، وانظر تحفة الأحوذي ١١٠/٧ والقرطبي ٣٣٣/١٠.

(٢) هذا شطر بيت للنابغة الجعدي، وهو في ديوانه ص ٨٢، والتنابلة: الرجال القصار، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٧٥/٢، والطبري ١٤/١٩، والقرطبي ٣٢/١٣.

يعني: آبار المعادن.

ويروى أ م قتلوا نبيهم ورسوه في بئر، أي دسوه فيها.

إلا أن قتادة قال: إن أصحاب الأيكة، وأصحاب الرسّ أُمتان، أرسل إليهم جميعاً «شعيب» ﷺ فَعذبتا بعذابين.

٣٨- ثم **قال** ﷻ: **وقُرونا بين ذَلك كَثِيرا** [آية: ٣٨]**.**

قال قتادة: بلغنا أن القَرنَ: سبعون سنة.

ومعنى **تبرنا** : أهلكنا، ودمرنا.

٣٩- وقوله ﷻ: **ولَقَد أتوا علَى القَريةِ الِتي أُمطِرت مطَر السوءِ** [آية: ٤٠]**.**

قال قتادة: يعني مدينة قوم لوط.

٤٠- وقوله ﷻ: **بلْ كَانوا لاَ يرجونَ نشورا** [آية: ٤٠]**.**

قال قتادة: أي حساباً وبعثاً.

قيل: **يرجونَ** هاهنا بمعنى: يخافون.

وقال من ينكر الأضداد **يرجونَ** على بابه، أي لا يرجون ثواب الآخرة، فيتقوا المعاصي.

٤١- وقوله ﷻ: **أرأَيت من اتخذَ إِلَهه هواه** [آية: ٤٣]**.**

قال الحسن: لا يهوى شيئاً إلا اتبعه.

وقال غيره: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى حجراً أحسن منه، أخذه وترك الأول.

قال أبو جعفر: قول الحسن في هذا قولٌ جامع، أي يتبع هواه ويؤثره، فقد صار له بمنـزلة الإله.

٤٢- ثم **قال** ﷻ: **أَفَأَنت تكُونُ علَيهِ وكِيلاً** [آية: ٤٣]**.**

قيل: حافظاً.

وقيل: كفيلاً.

٤٣- ثم **قال تعالى: أَم تحسب أَن أَكْثَرهم يسمعونَ أَو يعقِلُونَ إِنْ هم إِلا كَالأَنعامِ بلْ هم أَضل سبِيلاً** [آية: ٤٤]**.**

لأن الأنعام تسبح، وتجتنب مضارها.

٤٤- وقوله ﷻ: **أَلَم تر إِلَى ربك كَيف مد الظل** [آية: ٤٥]**.**

«ترى» هاهنا في موضع «تعلم».

ويجوز أن يكون من رؤية العين.

قال الحسن، وأبو مالكٍ، وإبراهيم التيمي، وقتادة، والضحاك في **قوله تعالى:** **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل**: هو ما بين طلوع الفجر، إلى طلوع الشمس.

٤٥- ثم قال تعالى: ولو شاءَ لجعله ساكِنا [آية: ٤٥].

قال الحسن: أي لو شاء لتركه ظلاً كما هو.

وقال الضحاك: أي لو شاء لجعل النهار كله ظلاً.

وقال قتادة: ساكِنا أي دائماً.

ثُم جعلْنا الشمس عليْهِ دلِيلاً [آية: ٤٥]. أي تتلوه وتتبعه.

ثُم قَبضناه إليْنا قَبضا يسِيرا [آية: ٤٦]. روى سفيان عن عبد العزيز بن رفيع، عن مجاهد **يسِيرا** أي خفياً.

وقال الضحاك: سريعاً.

وقال أبو مالك وإبراهيم التيمي: قَبضا يسِيرا هو ما تقبضه الشمس من الظِّلِّ.

قال أبو جعفر: قول مجاهد أولى في العربية، وأشبه بالمعنى، لما نذكره.

وصف الله ﷻ لطفه وقدرته، فقال: **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل** [آية: ٤٥]. أي ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، كما قال أهل التفسير، وبينته لك في قوله ﷻ في وصفه الجنة: **وظِلٍّ ممدودٍ** [الواقعة: ٣٠].

٤٦- ثم قال سبحانه: ولو شاءَ لجعله ساكِنا [آية: ٤٥].

أي دائماً كما في الجنة **ثُم جعلْنا الشمس عليْهِ دلِيلاً** [آية: ٤٥] أي تدل عليه، وعلى معناه، لأن الشيء يدل على ضده، فيدل النور على الظلمة، والحر على البرد.

وقيل: دالة على الله ﷻ.

ثُم قَبضناه إليْنا قَبضا يسِيرا [آية: ٤٦] أي إذا غابت الشمس، قبض الظل قبضاً خفياً كلما قبض جزءٌ منه، جعل مكانه جزءٌ من الظلمة، وليس يزول دفعةً واحدةً، فهذا قول مجاهد.

وقول أبي **مالك، وإبراهيم التيمي، أن المعنى:** ثم قبضنا الظل بمجيء الشمس.

ويذهبان إلى أن معنى **يسِيرا**: **سهلاً علينا.**

وقول مجاهد أولى، لأن «ثُم» يدل على أن الثاني بعد الأول وقوله أيضاً أجمع للمعنى.

٤٧- وقوله ﷻ: وهو الذِي جعلَ لكُم الليلَ لِباسا [آية: ٤٧].

أي سِتراً **والنوم سباتا** [آية: ٤٧] أي راحة **وجعلَ النهار نشورا** [آية: ٤٧] أي ينتشر فيه.

٤٨- وقوله ﷻ: وهو الذِي أرسلَ الرياح بشرا بين يدي رحمتِهِ [آية: ٤٨].

أكثر القراء يقرءون ما كان في معنى الرحمة، على «الرياح»، وما كان في معنى العذاب على «الرّيح».

ويحتج بعضهم بحديث ضعيف، يروى عن النبي ﷺ، أنه كان إذا هبت الريح قال: «**اللهم اجعلها رياحاً، ولا** تجعلها **ريحاً**»[1].

قال أبو جعفر: وقيل إنما وقع هذا هكذا، لأن ما يأتي بالرحمة ثلاثُ رياح: وهي الصبا، والشمال، والجنوب.

والرابعة: «**الدبور**» ولا تكاد تأتي بمطر.

فقيل لما أتى بالرحمة: «رياح».

هذا ولا أصل للحديث.

ومعنى نشراً : إحياءً، أي تأتي بالحساب الذي فيه المطر، الذي به حياة الخلق، و **نشراً** جمع نشور[2].

وروي عن عاصم: بشراً جمع بشيرة .

وروي عنه بشراً بحذف الضمة لثقلها، أو يكون جمع بشرة، كما يقال: بسرةٌ، وبسر.

وعن محمد اليماني بشرى أي بشارة.

---

(١) الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٨/١٠ عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا هاجت ريح استقبلها بوجهه وجثا على ركبتيه، ومد يديه وقال: «اللهم إن أسألك من خير هذه الريح، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به، اللهم اجعلها رحمة، ولا تجعلها عذاباً، اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» قال: رواه الطبراني وفيه «حسين بن قيس» وهو متروك، وقد وثقه حصين بن نمير، وبقية رجاله رجال الصحيح. وأخرجه الحافظ في المطالب العلية ٢٣٨/٣ وعزاه لأبي يعلى.

(٢) كل هذه القراءات واردة نشراً و نشراً و بشراً وهي من القراءات السبع وانظر السبعة في القراءات ٤٦٥/٢ لابن مجاهد ٤٦٥/٢.

بين يدي رحمته [الأعراف: ٥٧] أي المطر.

٤٩- وقوله ﷻ: وأنـزلنا من السماء ماءً طهورا. لنحيي به بلدةً ميتا ونسقيه مما خلقْنا أنعاما وأناسي كثيرا [آية: ٤٨-٤٩].

قال محمد بن يزيد: وأناسي جمع إنسِيّ، مثلُ «كُرسِيّ» وكَراسِي.

وقال غيره: وأناسي جمع إنسان، والأصلُ «أناسين» مثل سراحين، ثم أبدل من النون ياء.

٥٠- ثم **قال سبحانه: ولقد صرفْناه بينهم ليذكروا** [آية: ٥٠].

يعني المطر، أي نسقي أرضاً، ونترك أرضاً.

ليذكروا أي ليفكروا في نعم الله ﷻ، ويحمدوه.

فأبى أكْثر الناس إلا كُفُورا [آية: ٥٠] وهو أن يقولوا: مطرنا بنوء كذا، أي بسقوط كوكب كذا، كما يقول المنجمون.

فجعلهم كفاراً بذلك.

٥١- وقوله ﷻ: وجاهدهم به جهادا كبيرا [آية: ٥٢].

أي بالقرآن.

٥٢- وقوله ﷻ: وهو الذي مرج البحرين [آية: ٥٣].

أي خلطهما وخلاهما، فهما مختلطان في مرآة العين، وبينهما حاجز من قدرة الله ﷻ.

وفي الحديث: (**مرجت أماناتهم**)(١) أي اختلطت.

ويقال: مرج السلطان الناس أي خلاهم، وأمرجت الدابة، ومرجتها: أي خليتها لترعى.

٥٣- ثم **قال تعالى: هذا عذْب فُرات** [آية: ٥٣].

أي شديد العذوبة.

وهذا ملْح أُجاج [آية: ٥٣].

روى معمر عن قتادة قال: الأجاج: المُر.

قال أبو جعفر: والمعروف عند أهل اللغة أن الأجاج: الشديد الملوحة، ويقال: ماء

---

(١) الحديث أخرجه النسائي، وأبو داود في باب الفتن، والبخاري تعليقًا في المسـاجد ٤٦٨/١، ولفظه: شبك النبي ﷺ أصابعه وقال: كيف أنت يا عبد الله بن عمرو إذا بقيت في حثالة قد مرجت عهودهم وأمانا م، مرجت عهودهم: أي اختلطت.

ملح، ولا يقال: مالح.

وروي عن طلحة أنه قرأ وهذا مِلْح أجاج بفتح الميم، وكسر اللام.

٥٤- ثم قال ﷻ: وجعلَ بينهما برزخا وحِجرا محجورا [آية: ٥٣]**.**

برزخا أي حاجزاً.

وحِجرا محجورا أي مانعاً.

٥٥- ثم قال تعالى: وهو الذي خلق مِن الْماءِ بشرا [آية: ٥٤]**.**

يعني بالماء: النطفة، والله ﷻ أعلم.

٥٦- وقوله ﷻ: فَجعله نسبا وصِهرا [آية: ٥٤]**.**

قيل: هو الماء الذي خلق منه أصول الحيوان.

وقيل: النسب: البنون، ينتسوب إليه، وخلق له بنات من جهتهن الأصهار.

وقال أبو إسحاق: النسب الذي ليس بصهر، من قوله تعالى: **حرمت عليكُم أمهاتكُم** إلى قوله تعالى: **وأنْ تجمعوا بين الأختين إلا ما قَد سلَف** [النساء:٢٣].

والصّهر: من يحل له التزوج.

وروى عميرة مولى ابن عباس عن ابن عباس رضي الله عنه - وهو قول الضحاك - قال: «حرّم من النسب سبع، ومن الصّهر سبع».

ثم قرأ **حرمت عليكُم أمهاتكُم وبناتكُم** إلى قوله: **وأنْ تجمعوا بين الأختين إلا ما قَد سلَف**.

وقيل: من الصهر خمس **وأمهاتكُم اللاتِي أرضعنكُم .. وحلائِلُ أبنائِكُم** وهذا لفظ الضحاك.

وقد اختلف في الفرق بين «الخَتن» و«الصّهر».

فقال الأصمعي: الأختان: كل شيء من قبل المرأة.

مثل أبي المرأة، وأخيها، وعمها.

والأصهار يجمع هذا كله، يقال: صاهر فلانٌ إلى بني فلان، وأصهر إليهم.

وقال ابن الأعرابي: الأختان: أبو المرأة، وأخوها، وعمها.

والصهر: زوج ابنة الرجل، وأخوه، وأبوه، وعمه.

وقال محمد بن الحسن - في رواية: أبي سليمان الجوزجاني -: أختان الرجل: أزواج بناته، وأخواته، وعماته، وخالاته، وكل ذي محرم منه.

وأصهاره: كل ذي رحمٍ محرمٍ من زوجته.

قال أبو جعفر: الأولى في هذا، أن يكون القول في الأصهار ما قال الأصمعي، وأن يكون من قبلهما جميعاً، لأنه يقال: صهرت الشيء أي خلطته، فكل واحد منهما قد خلط صاحبه.

والأولى في الأختان ما قاله محمد بن الحسن لجهتين:

أحدهما: الحديث المرفوع، روى محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن محمد بن أسامة بن زيد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أنت يا علي، فختني وأبو ولدي، وأنت مني، وأنا منك**»(1) فهذا يدل على أن زوج البنت ختن.

والجهة الأخرى أنه يقال: ختنه إذا قطعه، فالزوج قد انقطع عن أهله، وقطع المرأة عن أهلها، فهو أولى بهذا الاسم.

٥٧- وقوله ﷻ: ﴿وكَانَ الكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً﴾ [آية: ٥٥].

قال مجاهد: أي معيناً.

وقال الحسن: أي عوناً للشيطان على الله ﷻ على المعاصي.

٥٨- ثم **قال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [آية: ٥٦].**

قال قتادة: أي مبشراً بالجنة، ونذيراً من النار.

٥٩- ثم **قال ﷻ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ [آية: ٥٧].**

قال قتادة: بطاعة الله ﷻ.

٦٠- وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ [آية: ٥٩].

قال أبو إسحاق: أي اسأل عنه، وقد حكى هذا جماعة من أهل اللغة، أن «الباء» بمعنى «عن» كما قال ﷻ: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ**﴾ [المعارج: ١]. وقال الشاعر:

---

(1) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٠٤/٥ ولفظه: «اجتمع جعفر، وعلي، وزيد بن حارثة، واختلفوا أيهم أحب إلى رسول الله ﷺ فجاءوا إلى الرسول ودخلوا عليه فقالوا: من أحب إليك؟ قال: «فاطمة، قالوا: نسألك عن الرجال، قال: أما أنت يا جعفر فأشبه خلْقُك خلْقِي، وأنت مني وشجرتي، وأما أنت يا علي فختني وأبو ولدي، وأما أنت يا زيد فمولاي، ومني وإلي، وأحب القوم إلي».

هلا سألتِ الخَيلَ يا ابنــة مالِـكٍ إنْ كنتِ جاهِلةً بما لم **تعلمــي**[1]

قال علي بن سليمان: أهل النظر ينكرون أن تكون الباء بمعنى «عن» لأن في هذا فساد المعاني، قال: ولكن هذا مثل قول العرب: لو لقيت فلاناً للقيك به الأسد، أي للقيك بلقائك إياه الأسد.

والمعنى: فاسأل بسؤالك، على ما تقدم.

٦١- وقوله ﷻ: تبارك الذِي جعلَ فِي السماءِ بروجا [آية: ٦١]**.**

قال قتادة: أي نجوماً.

وروى إسماعيل بن أبي **خالد. عن** أبي **صالح، قال:** البروج: النجوم العظام.

وروى إسماعيل عن يحيى **بن رافع، قال:** البروج: قصور في السماء.

قال أبو جعفر: يقال لكل ما ظهر وتبين: برج، ومنه قيل: تبرجت المرأة، وقد برج برجاً إذا ظهر.

٦٢- ثم **قال ﷻ: وجعلَ فِيها سِراجا وقَمرا مِنيرا** [آية: ٦١]**.**

سِراجا يعني الشمس.

ويقرأ سرجا[2].

وقيل: من قرأ هذه القراءة، فالمعنى عنده: وجعل في البروج سرجا.

فإن قيل: فقد أعاد ذكر القمر، وقد قال: سِراجا والقمر داخل فيها؟

فالجواب: أنه أعيد ذكر القمر لفضله عليها، كما قال ﷻ: **فِيهما فَاكِهةٌ ونخلٌ ورمانٌ** [الرحمن: ٦٨].

٦٣- وقوله ﷻ: وهو الذِي جعلَ الليلَ والنهار خِلْفَةً [آية: ٦٢]**.**

قال مجاهد: أي يخلف هذا هذا، ويخلف هذا هذا.

وقال الحسن: من نسي شيئاً من التذكر والشكر بالنهار، كانت له في الليل عتــبى، ومن نسيه بالليل كانت له في النهار عتبى.

وقيل: خِلْفَةً أي مختلفين كما قال ﷻ: **واخِتِلافِ الليل والنهارِ** [الجاثية:٥].

---

(١) البيت لعنترة، وهو في ديوانه ص ٢٠٧، وانظر شرح المعلقات العشر للزوزني ص ٢٤٨ .

(٢) هذه قراءة حمزة، والكسائي، وخلف سرجا بالجمع، وقرأ الباقون بالإفراد، انظر النشــر ٣٣٤/٢، والسبعة ص ٤٦٦.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال قول مجاهد.

والمعنى: كل واحد منهما يخلف صاحبه، مشتق من الخلف، ومنه خلف فلانٌ فلاناً بخير، أو شر، ومنه قول زهير:

بها العِين والآرام يمشــين خِلْفَــةً وأطلاؤها ينهضن من كُلّ مجــثَم(١)

٦٤- وقوله ﷻ: وعِباد الرحمن الذين يمشونَ على الأرض هونا [آية: ٦٣].

وكل واحدٍ عبده، فنسبهم إليه لاصطفائه إياهم، كما يقول: بيت الله، وناقة الله.

٦٥- وقوله ﷻ: الذين يمشونَ على الأرض هونا [آية: ٦٣].

قال مجاهد: أي بالوقار والسكينة.

وقال الحسن: علماء، حلماء، إن جهل عليهم لم يجهلوا.

٦٦- ثم **قال تعالى: وإذا خاطبهم الجاهلونَ قالوا سلاما** [آية: ٦٣].

قال مجاهد: أي سداداً.

قال سيبويه: وزعم أبو الخطاب(٢) أن مثله قولك للرجل: سلاماً، تريد تسلماً منك، كما قلت: براءة منك، قال: وزعم أن هذه الآية - فيما زعم - مكية.

ولم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين، ولكنه على قوله تسلماً، ولا خير بيننا وبينكم، ولا شر.

٦٧- وقوله ﷻ: والذين يبيتونَ لربهم سجدا وقياما [آية: ٦٤].

يقال: بات: إذا أدركه الليل، نام أو لم ينم، كما قال الشاعر:

فبتنا قيامــاً عنــد رأس جوادنــا يزاولنا عن نفسِهِ ونــزاوله(٣)

٦٨- وقوله ﷻ: إن عذابها كانَ غَراما [آية: ٦٥].

قال أبو عبيدة: أي هلاكاً، وأنشد:

---

(١) البيت في ديوانه ص ٥.

(٢) الأخفش الكبير، شيخ العربية أبو الخطاب البصري، يقال: اسمه عبد الحميد بن عبد المجيد. تخرج به سيبويه، وحمل عنه النحو، لولا سيبويه لما اشتهر، وأخذ عنه أيضا عيسى بن عمر النحوي، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وغيرهما، وله أشياء غريبة ينفرد بنقلها عن العرب، ولم أقع له بوفاة.

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه ص١٣٢، وانظر الجامع لأحكام القرآن ٧١/١٣.

ويوم النّسار، ويوم الجفار كانا عذاباً، وكانا غراماً[1]

وقال الفراء: كانَ غَراما أي ملحاً ملازماً، ومنه فلان غريمي أي يلح في الطلب.

والغرام عند أكثر أهل اللغة: أشد العذاب.

قال الأعشى:

إنْ يعاقب يكن غَراماً وإنْ يعط جزيلاً فإنه لا يبالي[2]

قال محمد بن كعب: طالبهم الله بثمن النعم، فلما لم يأتوا به، غرمهم ثمنها، وأدخلهم النار.

٦٩- وقوله ﷻ: والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا [آية: ٦٧].

قال سفيان: لم يسرفوا لم ينفقوا في غير حق.

ولم يقتروا لم يمسكوا عن حق.

وأحسن ما قيل: ما حدثنا أبو علي «الحسن بن غليب» قال: حدثني عمران بن أبي عمران، قال: حدثنا خلاد بن سليمان الحضرمي قال: حدثني عمرو بن لبيد، عن أبي عبد الرحمن الحبلي في قوله ﷻ: **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكانَ بين ذلك قَواما** [آية: ٦٧]. قال:

من أنفق في غير طاعة الله ﷻ فهو الإسراف.

ومن أمسك عن طاعة الله ﷻ فهو الإقتار.

ومن أنفق في طاعة الله ﷻ فهو القَوام.

وكانَ بين ذلك قَواما أي عدلاً.

قال أحمد بن يحيى: يقال: هذا قِوام الأمر، وملاكه.

وقال بعض أهل اللغة: هذا غلط، وإنما يقال: هذا قَوام الأمر، واحتج بقوله تعالى: **وكانَ بين ذلك قَواما**.

قال أبو جعفر: والصواب ما قال أحمد بن يحيى، والمعنيان مختلفان، فالقوام بالفتح

---

(١) البيت للطرماح في ديوانه ص ٥٨٤، وانظر اللسان مادة (غرم)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٨٠.

(٢) البيت في ديوانه ص٩، وانظر الطبري ٣٥/١٩، والقرطبي ٧٢/١٣.

الاستقامة والعدل، كما قال لبيد:

واحب المُجامِلَ بالجزيل، وصرمه   باقٍ إذا ضلعت وزاغَ قوامهـا[(١)]

والقوام بالكسر: ما يدوم عليه الأمر ويستقر.

٧٠- وقوله تعالى: والذِين لا يدعونَ مع الله إلها آخر [آية: ٦٨].

قال أبو وائل قال عبد الله بن مسعود: سألت رسول الله ﷺ «أي الذنب أعظم؟ فقال: أن تشرك بالله جل وعلا وهو خلقك!! **قلت:** ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك من أجل أن يأكل معك؟ وتزني بحليلة جارك» ثم قرأ عبد الله **والذِين لا يدعونَ مع الله إلها آخر** [آية: ٦٨]الآية[(٢)].

٧١- وقوله ﷻ: ومن يفْعلْ ذَلك يلْق أثَاما [آية: ٦٨].

قال مجاهد: هو وادٍ في جهنم.

وقال أبو عمرو الشيباني: يقال: لقي أثام ذلك، أي جزاء ذلك.

وقال القتـبي: الأثام: جزاء العقوبة، وأنشد:

والعقُوق له أثَام[(٣)]

قال أبو جعفر: وأصح ما قيل في هذا - وهو قول الخليل وسيبويه - أن المعنى: يلق جزاء الأثام، كما قال سبحانه: **واسأل القَرية** [يوسف:٨٢].

وبين جزاء الأثام فقال: يضاعف له العذَاب يوم القِيامةِ [آية: ٦٩]. كما بين الشاعر في قوله:

متى تأتِنا تلْمِـم بنـا في دِيارنـا   تجِد حطَباً جزلاً وناراً تأججـا[(٤)]

قال الضحاك: لما أنزل الله ﷻ **والذِين لا يدعونَ مع الله إلها آخر** [آية: ٦٨].

---

(١) البيت في ديوانه ص ٣٠٣.

(٢) الحديث رواه البخاري في التفسير ١٣٨/٦ بلفظ: «ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معـك، ثم أن تزني بحليلة جارك»، ومسلم في الإيمان برقم ٨٦، وأبو داود في الطلاق بـرقم ٢٣١٠، وأحمد في المسند ٣٨٠/١.

(٣) هذا عجز بيت لبلعاء بن قيس الكناني، انظر مجاز القرآن ٨١/٢، والكامل ص ٤٤٦، وجامع البيان ٤٠/١٩.

(٤) البيت لعبيد بن الحُر، انظر خزانة الأدب ٩٠/٩.

إلى آخر الآية، قال المشركون: قد زعم أنه لا توبة لنا، فأنـزل الله ﷻ **إلا من تاب وآمن وعمِلَ عملاً صالحا** [آية: ٧٠] أي تاب من الشرك، ودخل في الإسلام.

ونـزل هذا بمكة، وأنـزل الله **قُلْ يا عِبادِي الذين أسرفُوا على أنفُسِهم لاَ تقْنطُوا مِن رحمةِ الله إن الله يغفِر الذنوب جمِيعا...** [الزمر: ٥٣] الآية ثم أنـزل بالمدينة بعد ثماني سنين **ومن يقْتلْ مؤمِنا متعمدا فَجزاؤه جهنم** [النساء: ٩٣] وهي مبهمة لا مخرج منها.

٧٢- وقوله ﷻ: فَأُولئِك يبدلُ الله سيئَاتِهم حسناتٍ [آية: ٧٠].

روى عاصم عن أبي **عثمان عن سلمان قال:** (يقرأ المؤمن في أول كتابه السيئات، ويرى الحسنات دون ذلك، فينظر وجهه، وينظر أعلاه، فإذا هو حسنات كله، فيقول: **هاؤم اقْرءُوا كِتابِيه** فأولئك الذين يبدل الله سيئا م حسنات.

قال مجاهد والضحاك: أي يبدلهم من الشرك الإيمان.

وقال الحسن: قوم يقولون: التبديل في الآخرة يوم القيامة، وليس كذلك، إنما التبديل في الدنيا، يبدلهم الله إيماناً من الشرك، وإخلاصاً من الشك، وإحصاناً من الفجور.

قال أبو إسحاق: ليس يجعل مكان السيئة حسنة، ولكن يجعل مكان السيئة التوبة، والحسنة مع التوبة.

٧٣- وقوله ﷻ: ومن تاب وعمِلَ صالِحا فَإنه يتوب إلى الله متابا [آية:٧١].

أي توبة مؤكدة، أي إذا عمل صالحاً بعد التوبة ، قيل : تاب متاباً، أي متاباً مرضياً مقبولاً.

٧٤- وقوله ﷻ: والذِين لا يشهدونَ الزور [آية: ٧٢].

قال محمد بن الحنفية: يعني الغِناء.

وقال الضحاك: يعني الشرك.

وأصل الزور في **اللغة:** الكذب، والشرك أشد الكذب.

٧٥- وقوله ﷻ: وإذَا مروا باللغو مروا كِراما [آية: ٧٢].

قال الضحاك: باللغو أي بالشرك.

وروي عنه أيضاً: إذا ذكروا النكاح كنوا عنه.

وقال الحسن: اللغو: المعاصي كلها.

وأصل اللغو في **اللغة:** ما ينبغي أن يلغى أي يطرح.

أي تركوه، وأكرموا أنفسهم عنه.

٧٦- وقوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [آية: ٧٣].

أي لم يتغافلوا عنها ويتركوها، حتى يكونوا بمنـزلة من لا يسمع ولا يبصر.

٧٧- ثم **قال** ﷻ: **﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾** [آية: ٧٤].

قال الضحاك: أي مطيعين لك.

ثم **قال ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾** [آية: ٧٤].

قال الضحاك: أي اجعلنا أئمة يقتدى بنا في الخير.

وقال الحسن: أي اجعلنا نقتدي بالمتقين، الذين قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا.

٧٨- وقوله ﷻ: **﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾** [آية: ٧٧].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: أي ما يفعل بكم ربي، لولا دعاؤه إياكم، لتعبدوه وتطعيوه؟!

وهذا أحسن ما قيل في **الآية**، كما قال ﷻ: **﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾** [النساء: ١٤٧].

وأصل **﴿يعبأ﴾** من العبء، وهو الثقل، وقول الشاعر:

كـأن بصـدره وبجانبيـه عبيـراً بـات يعبأه عروس[1]

أي يجعل بعضه على بعض.

أي أي وزن لكم عند ربكم، لولا أنه أراد أن يدعوكم إلى طاعته!؟

وقال القُتبي: المعنى ما يعبأ بعذابكم ربي، لولا دعاؤكم غيره، أي لولا شِرككم.

٧٩- ثم **قال سبحانه: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾** [آية: ٧٧].

روى مسروق عن عبد الله قال: يعني يوم بدر.

وكذلك قال مجاهد، والضحاك.

---

(١) البيت لأبي زبيد الطائي، انظر جامع البيان ١٩/٥٥، واللسان مادة (عبأ).

قال أبو إسحاق: أي فسوف يكون التكذيب لازماً يلزمكم، ولا تعطون التوبة.

وقال القتـبي: أي فسوف يكون العذاب لزاماً.

وقال أبو عبيدة: ﴿لِزاماً﴾ أي فيصلاً.

وقال مسلم بن عمار: سمعت ابن عباس يقرؤها ﴿فَقَد كَذب الكافرون فَسوف يكُونُ لِزاما﴾[1].

وقال أبو زيد: سمعت قَعنبا يقرأ ﴿فَسوف يكُونُ لِزاما﴾ بفتح اللام.

قال أبو جعفر: وهذا مصدر «لَزِم» والأول مصدر «لُوزِم».

حدثنا بكر بن سهل، قال: حدثنا أبو صالح، قال: حدثنا معاوية بن صالح، عن علي ابن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿قُلْ ما يعبأُ بِكُم ربي لَولاَ دعاؤكُم﴾ يقول: لولا إيمانكم.

وأخبر الله ﷻ الكفار، أنه لا حاجة له م إذا لم يخلقهم مؤمنين، ولو كان له م حاجة لحبب إليهم الإيمان، كما حببه إلى المؤمنين ﴿فَسوف يكُونُ لِزاما﴾ قال يقول: موتاً.

«انتهت سورة الفرقان»

۞ ۞ ۞

(١) هذه قراءة شاذة، ذكرها الطبري في تفسيره ٥٦/١٩ عن ابن عباس وابن الزبير، وذكرها ابن جني في كتابه المحتسب ١٢٦/٢، في شواذ القراءات.

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشعراء وهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ: طسم [آية: ١].

روى معمر عن قتادة قال: «طسم» اسم.

٢- وقوله ﷻ: تِلْكَ آيات الْكِتابِ الْمبِينِ [آية: ٢].

لأن القرآن مذكور في التوراة والإنجيل.

فالمعنى: هذه «تلك آيات الكتاب».

وقيل: تِلْكَ بمعنى هذه.

٣- وقوله ﷻ: لَعلك باخِع نفْسك [آية: ٣].

قال مجاهد وقتادة: أي قاتل.

وقال الضحاك: أي قاتلٌ نفسك عليهم حرصاً.

قال أبو عبيدة: باخِع أي مهلك.

قال أبو جعفر: وأصل هذا من بخعه أي أذله.

والمعنى: لعلك قاتلٌ نفسك لتركهم الإيمان.

٤- وقوله ﷻ: إِن نشأ ننـزلْ عليهم من السماءِ آية [آية: ٤].

أي لو شئنا لاضطررناهم إلى الطاعة بأن لك كل من عصى.

٥- ثم **قال ﷻ: فَظَلت أعناقُهم لها خاضِعِين** [آية: ٤].

في هذا أقوال:

قال مجاهد: أعناقُهم : كُبراؤهم.

وقال أبو زيد والأخفش: أعناقُهم جماعا م، يقال: جاءني عنق من الناس: أي جماعة.

وقال عيسى بن عمر: خاضِعِين و«خاضعة» هاهنا واحد.

والكسائي يذهب إلى أن المعنى: خاضعيها.

قال أبو جعفر: قول مجاهد **أعناقُهم** كبراؤهم معروف في اللغة، يقال: جاءني عنق من الناس أي رؤساؤهم، وكذلك يقال: جاءني عنق من الناس أي جماعة، ولهذا يقال: على فلانٍ عتق رقبةٍ، ولا يقال: عتق عنق لما يقع فيه من الاشتراك.

وقول عيسى بن عمر أحسن هذه الأقوال، وهو اختيار أبي العباس[١].

والمعنى على قوله: فظلوا لها خاضعين، فأخبر عن المضاف إليه، وجاء بالمضاف مقحماً توكيداً، كما قال الشاعر:

رأت مر السّنين أخذْنَ مِنـ ـي كما أخذَ السِّرار من الهِـلالِ[٢]

وكما قال الشاعر:

وتشرق بالقَول الذي قّد أذَعتـه كما شرقَت صدر القَناةِ مِن الـدمِ[٣]

قال أبو العباس: ومثله: سقطت بعض أصابعه.

قال: ومثله:

يا تيم تيم عدِيّ لا أبا لكُـ ـم لا يلْقِينكُم في سوءَةٍ عمـ ـر[٤]

فجاء بـ «تيم» الأول مقحماً توكيداً.

وأما قول الكسائي فخطأ عند البصريين والفراء.

ومثل هذا الحذف لا يقع في شيء من الكلام.

٦- وقوله ﷻ : أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كُل زوجٍ كريمٍ [آية: ٧].

قال مجاهد: من نبات الأرض، مما يأكل الناس والأنعام.

وروى عن الشعبي أنه قال: الناس من نبات الأرض، فمن صار منهم إلى الجنة فهو كريم، ومن صار إلى النار فهو لئيم.

والمعنى على قول مجاهد: من كل جنس نافعٍ حسنٍ.

٧- ثم قال ﷻ: إن في ذَلك لآية [آية: ٨].

أي لدلالة على الله ﷻ، وأنه ليس كمثله شيءٌ.

ثم قال تعالى: **وما كَانَ أكْثَرهم مؤمِنين** [آية: ٨].

أي قد علم الله أ م لا يؤمنون ، كما قال سبحانه : **لا أعبد ما تعبدونَ * ولاَ**

(١) يعني: المبرد.

(٢) البيت لجرير كما في مجاز القرآن ٨٣/٢، والقرطبي ٩٠/١٣.

(٣) البيت للأعشي، وهو في ديوانه ص١٢١، واللسان مادة «شرق».

(٤) البيت لجرير، وهو في ديوانه ص ٢٨٥، وانظر خزانة الأدب للبغدادي ٢٩٨/٢.

أنتم عابدونَ ما أعبد [الكافرون: ٢ - ٣].

٨- وقوله ﷻ: وإذْ نادى ربك موسى أن ائْتِ الْقَوم الظالمين [آية: ١٠].

أي واتل عليهم هذا.

وبعده **واتلُ عليهم نبأ إبراهيم** [آية: ٦٩].

٩- وقوله ﷻ: قَالَ رب إني أخاف أن يكذبون * ويضيق صدري ولا ينطلق لساني [آية: ١٢ - ١٣].

قرأ الأعرج، وطلحة، وعيسى: ويضيق صدري ولا ينطلق لساني [1].

والقراءة الأولى أحسن، لأن انطلاق اللسان ليس مما يدخل في الخوف، لأنه قد كان.

١٠- ثم قال تعالى: فَأرسِلْ إلى هارونَ [آية: ١٣].

في **الكلام حذف.**

والمعنى: فأرسل إلى هارون ليعينني ويؤازرني، كما تقول: فأرسلُ إلي إني لأعينك.

١١- ثم قال ﷻ: ولهم علي ذَنب فَأخاف أن يقْتلُون [آية: ١٤].

قال مجاهد وقتادة: يعني قتل النفس: **فَأخاف أن يقْتلُون** أي بقتلي رجلاً منهم.

١٢- ثم قال ﷻ: قَالَ كلا فَاذْهبا بآياتنا إنا معكُم مستمِعونَ [آية: ١٥].

كلا ردع وزجر أي انـزجر عن هذا الخوف، وثق بالله.

ثم **قال ﷻ: فَاذْهبا بآياتنا إنا معكُم مستمِعونَ** [آية: ١٥].

يحتمل أن يكون **معكُم** لموسى وهارون عليهما السلام، لأن الاثنين جمع، كما قال تعالى: **فَإن كانَ له إخوةٌ** [النساء: ١١].

ويحتمل أن يكون لموسى وهارون، والآيات.

ويحتمل أن يكون لموسى وهارون ومن أرسل إليهم.

قال أبو جعفر: الأول أولاها، ليكون المعنى: إنا معكم ناصرين ومقوين.

١٣- ثم قال ﷻ: فَأتيا فِرعونَ فَقُولا إنا رسولُ رب الْعالَمين [آية: ١٦].

قال أبو عبيدة: رسولُ بمعنى رسالة، وأنشد:

---

(١) قال الفراء: قراءة الجمهور بالرفع ويضيق.. ولا ينطلق ، ويقرأ بالنصب وهي قراءة الأعرج وطلحة وعيسى، والوجه الرفع. انظر معاني القرآن للفراء ٢٧٨/٢، والنشر ٣٣٥/٢.

لَقَدْ كَذَبَ الواشونَ ما فُهت عِندهم بِسِر ولاَ أرسلتهم برسول[١]

والتقدير على قوله: إنا ذَوا رسالة.

والأخفش يذهب إلى أنه واحد يدل على اثنين وجمع.

١٤- ثم قال ﷻ: أَنْ أَرسِلْ معنا بني إسرائيلَ [آية: ١٧].

المعنى: أرسلنا لأن ترسل معنا بني إسرائيل.

١٥- ثم قال ﷻ: قَالَ أَلَم نربك فِينا وليدا [آية: ١٨].

أي مولوداً، فامتن عليه بتربيته إياه صغيراً إلى أن كَبِر.

١٦- ثم قال تعالى: ولَبِثْت فِينا مِن عمرك سِنين [آية: ١٨].

ومن عمرِك، وعمرِك.

١٧- وقوله ﷻ: وفَعلْت فَعلتك التِي فَعلْت [آية: ١٩].

قال مجاهد: يعني قتل النفس.

وقرأ الشعبي: وفَعلْت فِعلتك بكسر الفاء، والفتح للأول[٢]، لأ ا للمرة الواحدة.

والكسر بمعنى الهيئة والحال أي فعلتك التي تعرف كما قال:

كأن مِشيتها مِن دارِ جارتها مر السحابةِ لا ريثٌ ولا عجلُ[٣]

ويقال: كان ذلك أيام الردة، والردة.

قال أبو جعفر: قال علي بن سليمان[٤] -واختار ذلك- لأن الارتداد لم يكن إلا مرةً واحدةً، والفتح أجود.

١٨- ثم قال ﷻ: وأنت مِن الْكَافِرين [آية: ١٩].

في **معناه أقوال:**

أ - منها أن المعنى: من الكافرين لنعمتي، كما قال:

---

(١) البيت لكثير عزة، وهو في ديوانه ٢٤٣/٢، وفي اللسان مادة (رسل)، والطبري ٦٥/١٩، والقرطبي ٩٣/١٣، وشواهد المغني ص١٩٨.

(٢) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب ١٢١٧/٢.

(٣) البيت للأعشي، وهو في ديوانه ص ٩١.

(٤) يعني: الأخفش الصغير.

والكُفْر مخبثَةٌ لنفْس المُنعِمِ(١)

ب- والضحاك يذهب إلى أن المعنى: وأنت من الكافرين لقتلك القبطي.

قال: فنفى عن نفسه الكفر، وأخبر أنه فعل ذلك على الجهل.

جـ - وقال الفراء: المعنى: وأنت من الكافرين الساعة.

د - قال السدي : أي وأنت من الكافرين ، لأنك كنت تتبعنا على الدّين الذي تعيبه الساعة، فقد كنت من الكافرين على قولك.

قال أبو جعفر: ومن أحسن ما قيل في معناه ما قاله ابن زيدٍ قال: **﴿مِن الْكَافِرِين﴾** لنعمتنا، أي لنعمة تربيتي لك.

١٩- ثم قال ﷻ: **﴿قَالَ فَعَلْتُها إِذًا وأنا مِن الضالين﴾** [آية: ٢٠].

أي من الجاهلين.

وقال أبو عبيدة: **﴿مِن الضالين﴾** أي من الناسين، كما قال سبحانه: **﴿أن تضِل إِحداهما﴾** [البقرة: ٢٨٢].

٢٠- وقوله ﷻ: **﴿فَوهب لِي ربي حكْمًا﴾** [آية: ٢١].

قال السدي: يعني النبوة.

٢١- وقوله ﷻ: **﴿وتلْك نِعمةٌ تمنها علَي أنْ عبدت بني إِسرائِيلَ﴾** [آية: ٢٢].

في **هذه الآية أقوال:**

أ - قيل: ألف الاستفهام محذوفة، والمعنى: أو تلك نعمة؟

كما قال:

تروح من الحَـيّ أم تبتكِـــــر ... وماذا يضـرك لـو تنتظِـر(٢)

وهذا لا يجوز، لأن الاستفهام إذا حذفت منه الألف زال المعنى، إلا أن يكون في الكلام «أم» أو ما أشبهها.

وقيل: المعنى: وتلك نعمة تمنها علي أن عبدتني وأنا من بني إسرائيل؟

لأنه يروى أنه كان رباه على أن يستعبده.

وقيل: وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل وتركتني؟

---

(١) هذا عجز بيت لعنترة، وهو في ديوانه ص ١٥٢، وسبق تخريجه.

(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٧٧.

وهذا أحسن الأقوال، لأن اللفظ يدل عليه، أي إنما صارت هذه نعمة لأنك اتخذت بني إسرائيل عبيداً، ولو لم تتخذهم عبيداً لم تكن نعمة، فـ «أَنْ» بدلٌ من نعمة.

ويجوز أن يكون المعنى: لأن عبدت بني إسرائيل.

٢٢- وقوله ﷻ: **قَالَ فِرعونُ وما رب العالمين** [آية: ٢٣].

فأجابه موسى ﷺ بأن أخبره بصفات الله ﷻ، التي يعجز عنها المخلوقون **قَالَ رب السماواتِ والأرض وما بينهما إن كُنتم موقنين** [آية: ٢٤].

فلم يرد فرعون هذه الحجة، بـأكثر مـن أن قـال: **قَـالَ لِمـن حولـه ألا تستمِعونَ** [آية: ٢٥]؟ أي ألا تستمعون إلى قوله؟

فأجابه موسى لأنه المراد، وزاده في البيان.

قَالَ ربكُم ورب آبائكُم الأولين [آية: ٢٦]. فلم يحتج فرعون عليه بأكثر من أن نسبه إلى الجنون **قَالَ إن رسولكُم الذِي أُرسِلَ إليكُم لمجنونٌ** [آية: ٢٧].

أي لمغلوب على عقله، لأنه يقول قولاً لا يعرفه، لأنه كان عند قوم فرعون، أن الذي يعرفونه رباً لهم، في ذلك الوقت هو: «فرعون» وأن الذي يعرفو م أرباباً لآبائهم الأولين، ملوك أخر، كانوا قبل فرعون!!

فزاده موسى في **البيان فقال:** **قَالَ رب المشرق والمغربِ وما بينهما إن كُنتم تعقِلُونَ** [آية: ٢٨].

فتهدده فرعون **قَالَ لَئِن اتخذْت إلَها غَيري لأجعلنك مِن المسجونين** [آية: ٢٩].

فاحتج موسى عليه، وعليهم بما يشاهدونه **قَالَ أولو جِئْتك بشيءٍ مبِين** [آية: ٣٠].

أي ببرهان قاطع واضح يدل على صدقي.

٢٣- وقوله ﷻ: **فَألْقَى عصاه فَإذَا هِي ثُعبانٌ مبِين** [آية: ٣٢].

يقال: الثعبان: الكبير من الحيات ، وقد قال في موضع آخر : **تهتز كأنها جان** [النمل: ١٠].

والجان: الصغير من الحيات.

ففي هذا دليل على أن الآية كانت عظيمة، لأنه وصف عظمها، وأ ا تز اهتزاز الصغير لخفتها، ولا يمنعها عظمها من ذلك، فهذا أعظم في الآية.

٢٤- ثم **قال ﷻ:** **ونزع يده فَإذَا هِي بيضاءُ للناظِرين** [آية: ٣٣].

أي ونـزع يده من جيبه، فإذا هي بيضاء للناظرين، بياضاً نورياً من غير برص.

فرد فرعون الآية العظيمة، بنسبه إياه إلى السّحر **قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** [آية: ٣٤].

ثم تواضع لهم فقال: **يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ** [آية: ٣٥ - ٣٦].

روى مجاهد عن ابن عباس قال: يعني الشرط.

ويروى أن السحرة كانوا اثني عشر ألفاً.

وأن موسى بعثَ والسّحر كثير، وأُعطي الآيات العظام.

كما بعث النبي ﷺ والبلاغة أكثر ما كانت، فأعطي القرآن، ودعوا إلى أن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا عن ذلك.

قال قتادة: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ يعني موسى ﷺ.

٢٥- وقوله ﷻ: لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ [آية: ٤٩].

يروى أنه أول من قطّع، وصلّب.

قَالُوا لَا ضَيْرَ [آية: ٥٠]. فيما يلحقنا من عذاب الدنيا، مع أملنا للمغفرة.

يقال: ضرر، وضر، وضير، وضور، بمعنى واحد، وأنشد أبو عبيدة:

فإنك لا يضـورك بعـد حـولٍ أظَبي كانَ أمـك أم حِمـار(١)

أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ [آية: ٥١] أي لأن كنا.

قال الفراء: أي أول مؤمني أهل زماننا.

قال أبو إسحاق: هذا كلام من لم يعرف الرواية، لأنه يروى أنه معه ستمائة ألف وسبعون ألفاً.

وإنما المعنى: أول من آمن عند ظهور هذه الآية.

٢٦- ثم **قال ﷻ: وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ..** [آية: ٥٢].

يقال: سرى, وأسرى: إذا سار بالليل.

قال مجاهد: خرج موسى ﷺ ليلاً.

قال عمرو بن ميمون: «قالوا لفرعون إن موسى قد خرج بني إسرائيل, فقال: لا

---

(١) البيت للعامري، انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٨٥/٢.

تكلموهم حتى يصيح الديك, فلم يصح ديك تلك الليلة, فلما أصبح أحضر شاة فذبحت, وقال: لا يتم سلخها حتى يحضر خمس مائة ألف فارس من القبط فحضروا».

وروى يونس بن أبي إسحاق عن أبي بردة أن رسول الله ﷺ نزل بأعرابي فأكرمه، فقال له رسول الله ﷺ: تعهدنا فأتنا، فأتى رسول الله ﷺ فقال له: ما حاجتك؟ فقال: ناقة أرتحلها، وأعنـز يحتلبها أهلي، فقال رسول الله ﷺ: أعجز هذا أن يكون مثل عجوز بني إسرائيل؟ قالوا: وما عجوز بني إسرائيل؟ قال: إن موسى ﷺ لما أراد الخروج ببني إسرائيل، ضل عن الطريق، فقال: ما هذا؟ فقال له علماء بني إسرائيل: إن يوسف لما حضره الموت، أخذ علينا موثقاً ألا نخرج إلا بعظامه، فقال: أين قبره؟ فقالوا: ما يعرفه إلا عجوز بني إسرائيل، فسألوها فقالت: حتى تعطيني حكمي؟ قال: وما حكمك؟ قالت: أن أكون معك في الجنة، فكره ذلك، فأوحى الله ﷻ إليه أن أعطها ففعل، فأتت بهم إلى بحيرة، فقالت: أنضِبوا هذا الماء، فأنضبوه، واستخرجوا عظام يوسف ﷺ، فتبينت لهم الطريق كضوء النهار.

٢٧- ثم قال ﷻ: ﴿إنكُم متبعونَ﴾ [آية: ٥٢].

روى عكرمة عن ابن عباس قال: اتبعه فرعون في ألف ألف حصانٍ، سوى الإناث، وكان موسى ﷺ في ستمائة ألفٍ من بني إسرائيل، فقال فرعون: ﴿**إن هؤلاءِ لَشِرذِمةٌ قَلِيلُونَ**﴾ [آية: ٥٤].

وروى سفيان عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة عن عبد الله ﴿**إن هؤلاءِ لَشِرذِمةٌ قَلِيلُونَ**﴾ قال: ستمائة ألفٍ وسبعون ألفاً.

وروى سفيان عن أبي إسحاق، عن الأسود[1] ﴿**وإنا لَجمِيع حاذِرونَ**﴾ [آية: ٥٦] قال: مؤدون.

قال أبو جعفر: المؤدون: الذين معهم أداة وهي السلاح، والسلاح أداة الحرب.

وأبو عبيدة يذهب إلى أن «حاذِرين» و«حذِرين» و«حذُرين» - بضم الذال - بمعنى واحد.

قال أبو جعفر: وحقيقة هذا أن الحاذر هو المستعد، والحَذِر: المتيقظُ كأن ذلك فيه

---

(١) الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، وهو من كبار التابعين توفي سنة ٧٥هـ، انظر ترجمتـه في التهذيب ٣٤٢/١.

خِلْقَةً، ولهذا قال أكثر النحويين: لا يتعدى «حذِر».

وروى حميد الأعرج، عن أبي **عمار، أنه قرأ ﴿وإنا لجميع حادِرونَ﴾** (١) الدال غير معجمة، يقال: جمل حادر إذا كان غليظاً ممتلياً، ومنه قوله الشاعر:

وعيـن لهـا حـدرةٌ بـ ـدرةٌ   شقت مآقيهمـ ـا مِن أخـر(٢)

٢٨- ثم **قال** ﷻ: **﴿فأخرجناهم من جناتٍ وعيونٍ * وكُنوزٍ ومقَامٍ كَريمٍ﴾** [آية: ٥٧-٥٨].

حدثنا محمد بن سلمة الأسواني، قال: حدثنا محمد بن سنجر، قال: حدثنا عبد الله ابن صالح، قال: حدثني ابن لهيعة، عن واهب بن عبد الله المعافري، عن عبد الله بن عمرو أنه «نيل مصر» سيد الأ ار، سخر الله له كل ـرٍ بين المشرق والمغرب وذلـ ـه له، فإذا أراد الله أن يجري نيل مصر، أمر كل ـر أن يمده، فمدته الأ ار بمائها، وفجر الله له من الأرض عيوناً، فإذا انتهى جريه إلى ما أراد الله، أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره.

وقال: في قوله ﷻ: **﴿فأخرجناهم من جناتٍ وعيونٍ * وكُنوزٍ ومقَامٍ كَريمٍ﴾**.

قال: كانت الجنات بحافتي هذا النيل من أوله إلى آخره، في الشقين جميعاً، من «أسوان» إلى «رشيد» وكان له سبعة خُلُج «خليج الإسكندرية» و«خليج دمياط» و«خليج سردوس» و«خليج منف» و«خليج الفيوم» و«خليج المنهى» متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء، وزروع ما بين الجبلين كله، من أول مصر إلى آخرها، ما يبلغه الماء، فكانت جميع أرض مصر كلها تروى من ست عشرة ذراعاً، بما قدروا ودبروا، من قناطرها وجسورها وخلُجها.

قال: ﴿**ومقَامٍ كَريمٍ**﴾ المنابر، كان ا ألف منبر.

قال أبو جعفر: المقام في اللغة: الموضع، من قولك: قام يقوم، وكذلك المقامات واحدها مقامة كما قال الشاعر:

وفيهم مقَامات حِسانٌ وجوههـا   وأندِيةٌ ينتابها القَولُ والفِعـلُ(٣)

---

(١) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب ١٢٨/٢.

(٢) البيت لامرء القيس، وهو في ديوانه ص٨٢، وانظر تفسير القرطبي ١٠٢/١٣.

(٣) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه ص ١١٣، وانظر القرطبي ١٠٥/١٣.

والمَقام أيضاً: المصدر، والمُقام بالضم: الموضع من أقام يقيم، والمصدر أيضاً من أقام يقيم، إلا أن ابن لهيعة قال: سمعت أن «المقام الكريم»: الفيوم.

٢٩- وقوله ﷻ: فأتبعوهم مشرقين [آية: ٦٠].

أكثر أهل التفسير على أن المعنى: وقت الشروق.

وأبو عبيدة يذهب إلى أن المعنى: ناحية الشرق.

والأول أولى، يقال: أشرقنا: أي دخلنا في الشروق، كما يقال: أصبحنا أي دخلنا في الصباح، وإنما يقال في ذلك: شرقنا وغَربنا.

٣٠- وقوله ﷻ: فلما تراءى الجمعان [آية: ٦١].

أي رأى بعضهم بعضاً.

قالَ أصحاب موسى إنا لمدركُونَ [آية: ٦١].

وقرئ **لمدركُونَ** [1] والمعنى واحد.

أي سيدركنا هذا الجمع الكثير، ولا طاقة لنا به.

٣١- وقوله ﷻ: قالَ كلا إن معِي ربي سيهدِين [آية: ٦٢].

كلا أي ارتدعوا وانـزجروا عن هذا القول: **إن معِي ربي سيهدِين**.

٣٢- وقوله ﷻ: فانفلَق فكَانَ كُل فِرقٍ كالطودِ العظِيم [آية: ٦٣].

قال الضحاك: كالطودِ العظِيم أي كالجبل، كما قال الأسود بن يعفر:

نـزلُوا بأنقِرةٍ يسِيلُ عليهـم ماءُ الفُراتِ يَجِيءُ من أطْـواد[2]

جمع طود أي جبل.

٣٣- وقوله ﷻ: وأزلفْنا ثَم الآخرين [آية: ٦٤].

قال الحسن: وأزلفْنا : أهلكنا.

وقال أبو عبيدة: وأزلفْنا : جمعان، ومنه ليلة المزدلفة.

وقال قتادة: وأزلفْنا : قربناهم من البحر فأغرقناهم.

---

(١) هذه قراءة الأعرج وعبيد بن عمير، بتشديد الدال من «ادرك»، وهي من شواذ القراءات، انظر المحتسب ١٢٩/٢، والقرطبي ١٠٦/١٣.

(٢) البيت للأسود بن يعفر، وهو في ديوانه ص ٢٩٦، والقـرطبي ١٠٧/١٣، ومجـاز القـرآن ١٠٧/٢ ومعجم البلدان ٢٧٢/١.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال متقاربة، لأنه إنما جمعهم للهلاك، وقول قتادة أصحها، ومنه **وأزلفت الجنة للمتقين** [آية: ٩٠].

أي قربت ومنه:

مر الليالي زلفاً زلفاً فزلفا (١)

وروي عن أبي بن كعب أنه قرأ «وأزلقنا» بالقاف.

٣٤- وقوله ﷻ: واتل عليهم نبأ إبراهيم [آية: ٦٩]**.**

أي خبر إبراهيم.

٣٥- وقوله ﷻ: قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين [آية: ٧١]**.**

أي مقيمين على عبادتها.

قال هل يسمعونكم إذ تدعون [آية: ٧٢]؟

قال أبو عبيدة: أي هل يسمعون لكم؟

قال أبو حاتم: أي هل يسمعون أصواتكم؟

وقرأ قتادة **هل يسمعونكم** بضم الياء(٢)، أي هل يسمعونكم أصواتهم وكلامهم؟

٣٦- وقوله ﷻ: فإنهم عدو لي إلا رب العالمين [آية: ٧٧]**.**

يجوز أن يكون استثناء ليس من الأول.

ويجوز أن يكون المعنى: كل ما تعبدونه عدو لي يوم القيامة إلا الله ﷻ.

ومن أصح ما قيل فيه أن المعنى: فإنهم عدوا لي لو عبدتهم يوم القيامة.

٣٧- وقوله ﷻ: الذي خلقني فهو يهدين [آية: ٧٨]**.**

وقرأ ابن أبي إسحاق فهو يهديني بإثبات الياء فيها كلها.

وقرأ **والذي أطمع أن يغفر لي خطاياي يوم الدين** .

وقال: ليست خطيئة واحدة.

قال أبو جعفر: والتوحيد جيد، على أن تكون خطيئة بمعنى خطايا، كما قُرئ **وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** [لقمان: ٢٠].

قال مجاهد: في قوله تعالى: **والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي** [آية: ٨٢].

---

(١) هذا الرجز للعجاج، وانظر الطبري ٨١/١٩، ومجاز القرآن ٨٧/٢.

(٢) هذه القراءة من شواذ القراءات، انظر المحتسب ١٢٩/٢ والقرطبي ١٠٩/١٣.

قال: هو قوله: **بلْ فَعلَه كَبيرهم هذَا** [الأنبياء: ٦٣]. وقوله: **إِنِّي سَقِيم** [الصافات: ٨٩].

وقوله حين أراد فرعون من الفراعنة أن يأخذ «سارة» قال: هي أختي.

٣٨- قال مجاهد في قوله ﷻ: واجعل لي لِسانَ صِدقٍ في الآخِرين [آية: ٨٤].

قال: الثناء الحسن.

وروي عن ابن عباس قال: اجتماع الأمم عليه.

٣٩- وقوله ﷻ: إلا من أتى الله بِقَلْبٍ سلِيمٍ [آية: ٨٩].

قال قتادة: أي سليمٍ من الشرك.

وقال عروة: لم يلعن شيئاً قط.

٤٠- ثم قال تعالى: وأزلفَتِ الْجنةُ لِلْمتقِين [آية: ٩٠].

أي قربت، بمعنى: قرب دخولهم إياها.

٤١- وقوله ﷻ: فَكُبْكِبوا فِيها هم والْغاوونَ [آية: ٩٤].

«كُبكِبوا» أي قُلبوا على رءوسهم.

وقيل: طرح بعضهم على بعض، هذا قول أبي عبيدة.

والأصل: كُبّبوا، فأبدل من الباء كاف، استثقالاً للتضعيف.

وقيل: معنى **فَكُبْكِبوا** فجمعوا، مشتق من كوكب الشيء أي معظمه، والجماعة من الخيل: كوكب، وكبكبة.

قال قتادة: والْغاوونَ الشياطين.

وقال السدي: فَكُبْكِبوا : أي مشركو العرب، و **والْغاوونَ** : الآلهة، و **وجنود إِبليس** [آية: ٩٥]. من كان من ذريته.

٤٢- قال أبو جعفر: ومعنى **إِذْ نسويكُم بِرب الْعالَمِين** [آية: ٩٨]. نعبدكم كما نعبده.

٤٣- وقوله ﷻ: فَما لَنا مِن شافِعِين * ولاَ صدِيقٍ حمِيمٍ [آية: ١٠٠-١٠١].

حمِيمٍ أي خاص، ومنه حامة الرجل، وأصل هذا من الحميم، وهو الماء الحار، ومنه الحمام، والحُمى.

فحامةُ الرجل: الذين يحرِقُهم ما أحرقه، كما يقال: هم حزانتهم أي يحزنهم ما يحزنه.

٤٤- وقرأ يعقوب وغيره: قَالُوا أَنؤمِن لَك وأتباعك الأرذَلُونَ [آية: ١١١].

وهي قراءة حسنة[1]**،** وهذه الواو أكثر ما يتبعها الأسماء، والأفعال بعد، و **أتباع** جمع تبعٍ، وتبع يكون للواحد، والجميع، قال الشاعر:

له تبع قد يعلم الناس أنــــه   على من تدانى صيّف وربيــع[2]

وقيل: إنما أرادوا أن أتباعك الحجامون والحاكة.

والصناعات ليست بضارةٍ في الدين.

وروى عيسى بن ميمون عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وسعيد عن قتادة **واتبعك الأرذَلُونَ** قال: الحاكة.

٤٥- وقوله تعالى: فَأنجيناه ومن معه فِي الفُلْكِ المشحون [آية: ١١٩]**.**

المشحونُ: المملوءُ.

٤٦- وقوله ﷻ: أتبنونَ بِكُل رِيعٍ آية تعبثُونَ [آية: ١٢٨]**.**

قال قتادة والضحاك: الريع: الطريق.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد بِكُل رِيعٍ بكل فج.

قال أبو جعفر: والفج: الطريق في الجبل.

وقال جماعة من أهل اللغة: الريع: ما ارتفع من الأرض، جمع رِيعة، وكم ريع أرضك؟ أي كم ارتفاعها؟

ومعروف في اللغة أن يقال لما ارتفع من الأرض : «ريع» وللطريق: «رِيع» والله أعلم بما أراد.

وروى عبد الله بن كثير عن مجاهد أتبنونَ بِكُل رِيعٍ آية تعبثُونَ [آية: ١٢٨].

قال: بروج الحمامات.

٤٧- ثم قال ﷻ: وتتخِذُونَ مصانِع لَعلكُم تخلُدونَ [آية: ١٢٩]**.**

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد مصانِع قال: قصوراً، وحصوناً.

---

(١) قراءة الجمهور أنؤمِن لَك واتبعك الأرذَلُونَ ، وأما قراءة الجمع وأتباعك الأرذَلُونَ فهي من القراءات العشر كما في النشر ٣٣٥/٢، وقال أبو حيان في البحر ١٣/٧: إ ـا قـراءة الأعمش، وأبي حيوة، وطلحة، ويعقوب، وعدها ابن جني في المحتسب ١٣١/٢ من القراءات الشاذة، والصحيح أ ا من القراءات العشر.

(٢) البيت لمتمم بن نويرة اليربوعي، واستشهد به القرطبي ١٢٠/١٣ دون عزو، وسـب أيضـا لنهشل ابن حري.

وقال سفيان: هي مصانع الماء.

قال أبو إسحاق: واحدها مصنع، ومصنعة.

قال أبو جعفر: والذي قاله مجاهد من أن المصانع: القصور والحصون معروف في اللغة.

قال أبو عبيدة: يقال لكل بناء: مصنع، ومصنعة.

وروى عبد الله بن كثير عن مجاهد ﴿وتتخِذُونَ مصانِع﴾ قال: بالآجر والطين.

وفي **بعض القراءات ﴿كأنكم تخلُدونَ﴾** والمعنيان متقاربان، لأن معنى **﴿لعلكُم تخلُدونَ﴾** أنكم على رجاء من الخلود.

٤٨- وقوله ﷻ: ﴿وإذَا بطَشتم بطَشتم جبارِين﴾ [آية: ١٣٠]**.**

قال مجاهد: بالسيف والسوط.

٤٩- وقوله ﷻ: ﴿إِنْ هذَا إِلا خلُق الأولين﴾ [آية: ١٣٧]**.**

قال قتادة: ﴿خلُق الأولين﴾ بالضم: يعيشون كما عاشوا، أي نحيا ونموت كما حيوا وماتوا.

قال عبد الله بن مسعود: ﴿خلُق الأولين﴾ أي اختلاقهم.

قال أبو جعفر: خلق الشيء واختلقه بمعنى.

٥٠- وقوله ﷻ: ﴿وزروعٍ ونخلٍ طلْعها هضِيم﴾ [آية: ١٤٨]**.**

قال الضحاك: أي يركب بعضه بعضاً.

قال أبو جعفر: وقيل: **﴿هضِيم﴾** أي هاضم مريء.

لطيف أول ما طَلَع.

وقال مجاهد: حين يطلع يقبض عليه فيهضمه.

قال أبو جعفر: أصل الهضم: انضمام الشيء، ومنه:

«هضِيم الكَشح ريا المُخلْخل»(١)

ومنه: فلان أهضم الكشح أي ضامره، فيقال للطلع: هضيم، قبل أن يتفتح.

وروى إسحاق عن بريد ﴿ونخلٍ طلْعها هضِيم﴾ [آية: ١٤٨].

قال: منه ما قد أرطب، ومنه مذنب.

---

(١) هذا عجز بيت لامرئ القيس من معلقته المشهورة، والبيت كما في ديوانه ١٢٩:

هصرت بفَودي رأسِها فَتمايلت عليّ هضِيم الكَشح ريا المُخلْخل.

٥١- ثم قال ﷻ: وتنحِتونَ مِن الجِبال بيوتا فَارِهِين [آية: ١٤٩]**.**

قال أبو صالح: أي حاذقين بنحتها.

وقال منصور بن المعتمر: فَرِهِين أي حاذقين[1].

وقال الحسن: فَرِهِين أي آمنين.

وقال عبد الله بن شداد: فارِهِين بألف أي متجبرين.

وقال قتادة: فارِهِين أي معجبين .

وقال مجاهد: فَرِهين أي أشِرين بطرين.

قال أبو جعفر: وهذا أعرفها في اللغة، وهو قول أبي عمرو، وأبي عبيدة، فكأن الهاء مبدلة من حاء، لأ ما من حروف الحلق.

وأبو عبيدة يذهب إلى أن **فَارِهِين** و **فَرِهِين** بمعنى واحد.

٥٢- وقوله ﷻ: قَالُوا إنما أنت مِن المُسحرين [آية: ١٥٣]**.**

أي من المسحورين، قاله مجاهد.

وأبو عبيدة يذهب إلى أن المعنى: إنما أنت بشر لك سحر، والسحر: الرِّئةُ.

وقيل: مِن المُسحرين أي من المعللين بالطعام والشراب، كما قال الشاعر:

أرانـا موضِعِين لحـتم غيـبٍ ونسحر بالطَّعامِ وبالشـرابِ[2]

٥٣- وقوله ﷻ: لها شِرب ولكُم شِرب يومٍ معلُومٍ [آية: ١٥٥]**.**

والشِّرب: الحظ من الماء.

٥٤- وقوله ﷻ: وتذَرونَ ما خلَق لكُم ربكُم من أزواجِكُم [آية: ١٦٦]**.**

قال إبراهيم بن المهاجر، قال لي **مجاهد:** كيف يقرأ عبد الله بن مسعود **وتذَرونَ ما خلَق لكُم ربكُم من أزواجِكُم** ؟ قلت: «وتذَرونَ ما أصلَح لكم ربكُم من أزواجكُم» قال: الفرج، كما قال تعالى: **فَأتوهن مِن حيثُ أمركُم الله** [البقرة: ٢٢٢].

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد وتذَرونَ ما خلَق لكُم ربكُم من أزواجِكُم .

---

(١) في الآية قراءتان سبعيتان «فارهين» بالألف وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي، «وفرهين» بغير ألف، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع، انظر السبعة في القراءات ص ٤٧٣.

(٢) البيت لامرىء القيس وهو في ديوانه ص ٤٧: بلفظ «لأمر غَيب».

قال: القُبلُ: الفرج، إلى أدبار النساء والرجال.

٥٥- ثم **قال** ﷻ: **بلْ أنتم قوم عادونَ** [آية: ١٦٦].

يقال: عدا إذا تجاوز في الظلم.

٥٦- وقوله ﷻ: **قالَ إني لعملِكُم من القَالِين** [آية: ١٦٨].

أي المبغضين الكارهين، وقد قلاه يقليه، قِلى، وقَلاءً، كما قال:

عليكِ السلام لا مللْــتِ قَريبــةً ومالكِ عندي إنْ نأيتِ قَــلاءُ[1]

٥٧- وقوله ﷻ: **إلا عجوزا في الغَابِرين** [آية: ١٧١].

قال أبو عبيدة والفراء: أي الباقين.

قال أبو جعفر: يقال للذاهب غابر، وللباقي غابر كما قال:

لا تكْسع الشول بأغْبارهــــا إنك لا تــدري مــن النــاتج[2]

وكما قال:

فما ونى محمد مــذْ أنْ غَفَــر

له الإلــه مــا مضى وما غَبر[3]

أي وما بقي.

والأغبار: بقيات الألبان، والشولُ: الإبلُ التي قد شالت بأذنا ا.

٥٨- وقوله ﷻ: **كذب أصحاب الأيكةِ المرسلِين** [آية: ١٧٦].

الأيكة عند أهل اللغة: الشجر الملتف، والجمع أيك، ويروى أ م كانوا أصحاب

---

(١) البيت للحارث بن حلزة، انظر الجامع لأحكام القرآن ١٣٣/١٣، والشاهد فيه قوله «قَــلاءُ» يعني: بغض.

(٢) البيت للحارث بن حلزة، كما في معاني القرآن للفراء ٢٨٢/٢، وجامع الأحكام للقــرطبي ١٣٣/١٣، والصحاح ١٢٧٦/٣، قال الجوهري: الشولُ: جمع شائلة، وهي الناقة التي خف لبنها، وارتفع ضرعها، وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر، وكَسع الناقة: ترك في ضرعها بقية من اللبن.

(٣) الرجز للعجاج وهو في ديوانه ص ١٥، وانظر مجاز القرآن ٨٩/٢، وجامع الأحكام للقرطبي ١٣٣/١٣ والطبري ١٩٨/١١.

شجر ملتف.

وقد قيل: إن الأيكة اسم موضع، ولا يصح ذلك ولا يعرف.

٥٩- وقوله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُم شعيب أَلَا تتقُونَ﴾ [آية: ١٧٧].

قُرئ على أحمد بن شعيب عن عبد الحميد بن محمد، قال: حدثنا مخلد، قال: حدثنا إسرائيل عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة نوح، وصالحٌ، وهود، وشعيب، وإبراهيم، ولوطٌ، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ومحمد صلى الله عليهم.

وزعم الشرقي بن قطامي أن شعيباً هو ابن عيفا بن نويب بن مدين بن إبراهيم.

وزعم ابن سمعان أن شعيباً بن جزي بن يشجر بن ولاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلى الله عليهم.

٦٠- وقوله ﷻ: ﴿وزنوا بِالْقِسطَاسِ الْمُستَقِيمِ﴾ [آية: ١٨٢].

قال عبد الله بن عباس ومجاهد: ﴿**بِالْقِسطَاسِ**﴾: العدل.

٦١- ثم قال ﷻ: ﴿وَلَا تبخسوا النَّاس أشياءَهم﴾ [آية: ١٨٣].

أي ولا تظلموا, ومنه قول العرب: «تحسبها حمقاء وهي باخس».

٦٢- وقوله ﷻ ﴿واتقُوا الَّذِي خلقَكُم والْجِبِلَّةَ الأولين﴾ [آية: ١٨٤].

روى ابن نجيح عن مجاهد: ﴿**والْجِبِلَّةَ**﴾: الخليقة.

قال أبو جعفر: يقال: جبل فلانٌ على كذا أي خلق.

وقوله ﴿**جِبِلَّةٌ**﴾ و ﴿**جبلةٌ**﴾ و ﴿**جبلَةٌ**﴾.

٦٣- وقوله ﷻ: ﴿فَأَسقِطْ علَينا كِسفًا﴾ [آية: ١٨٧].

روى علي بن الحكم عن الضحاك ﴿فَأَسقِطْ علَينا كِسفًا﴾ قال: جانباً.

قال أبو جعفر: ويقرأ ﴿**كِسفاً**﴾ وهو جمع كِسفةٍ، وهي القطعة.

٦٤- ثم قال ﷻ: ﴿فَكَذبوه فَأَخذَهم عذَاب يومِ الظلَةِ﴾ [آية: ١٨٩].

قال عبد الله بن عباس: أصا م حر شديد، فدخلوا البيوت، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا إلى البرية لا يسترهم شي، فأرسل الله إليهم سحابة، فهربوا إليها ليستظلوا ا، ونادى بعضهم بعضاً، فلما اجتمعوا تحتها، أهلكهم الله ﷻ.

وقال مجاهد: فلما اجتمعوا تحتها، صيح م فهلكوا.

٦٥- وقوله ﷻ: ﴿نزل بِهِ الروح الأَمِين﴾ [آية: ١٩٣].

يعني جبريل عليه السلام.

على قلبك [آية: ١٩٤] أي يتلوه، فيعيه قلبك.

٦٦- وقوله ﷻ: وإنه لفي زبر الأولين [آية: ١٩٦]**.**

أي إن إنـزاله وذكره.

٦٧- ثم **قال ﷻ: أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل** [آية: ١٩٧]**.**

وفي **قراءة عبد الله أو ليس لكم آية أنْ يعلمه علماءُ** بني **إسرائيلَ** ؟

قال مجاهد: هو عبد الله بن سلام.

وقال غيره: هو عبد الله، وغيره ممن أسلم.

٦٨- ثم **قال ﷻ: ولو نـزلناه على بعض الأعجمين** [آية: ١٩٨]**.**

الأعجم: الذي لا يفصح وإن كان عربياً.

والعجمي: الذي أصله من العجم وإن كان فصيحاً.

وقد ذكرنا قوله تعالى: كذلك سلكناه في قلوب المجرمين في سورة الحج.

٦٩- وقوله ﷻ: إنهم عن السمع لمعزولون [آية: ٢١٢]**.**

أي عن استماع الوحي لممنوعون بالرجم.

وروى عروة عن عائشة قالت: «قلت يا رسول الله: إن الكهان كانوا يحدثوننا بالشيء، فنجده كما يقولون؟ فقال: تلك الكلمة يخطفها أحدهم، فيكذب معها مائة الكذب» (1) وذكر الحديث.

٧٠- ثم **قال ﷻ: وأنذر عشيرتك الأقربين** [آية: ٢١٤]**.**

قال عبد الله بن عباس: لما نـزلت صعد رسول الله ﷺ الصفا فصاح يا صباحاه، فاجتمعوا إليه من بين رجل يجيء، وبين رجل يبعث برسول، فقال: **أرأيتم لو أخبرتكم أن**

---

(1) الحديث رواه البخاري في تفسير سورة سبأ ١٥٣/٦، وفي كتـاب الطـب ١٧٦/٣ بـاب الكهانة، ومسلم برقم ٢٢٢٩، والترمذي في التفسير برقم ٣٢٢٢، ولفظ البخاري عن عائشة قالت: سأل أناس النبي ﷺ عن الكهان، فقال: إنهم ليسوا بشيء فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثوننا أحياناً بالشيء يكون حقاً!! قال: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني، فيقـذفها في أُذن وليه، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة.

رجلاً جاء من هذا الفج ليغير عليكم أصدقتموني؟ فالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد.

فقال أبو لهب: ألهذا دعوتنا؟ تبا لك، فأنـزل الله ﷻ: **تبت يدا أَبِي لَهبٍ وتب** [المسد: ١][١].

وروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قال: لما نـزلت على رسول الله ﷺ هذه الآية: قال: «**يا صفية عمة رسول الله، يا فاطمة ابنة محمد، يا بني عبد المطلب: إني لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم**»[٢].

٧١- وقوله ﷻ: الذِي يراك حِين تقُوم * وتقَلبك فِي الساجِدِين [آية: ٢١٨-٢١٩].

قال مجاهد وقتادة: فِي الساجِدِين في المصلين.

قال مجاهد: وكان يرى من خلفه كما يرى من أمامه.

قال عكرمة: أي قائماً، وراكعاً، وساجداً.

وروي عن ابن عباس أنه قال: تقلبه في الظهور حتى أخرجه نبياً.

٧٢- وقوله ﷻ: تنـزلُ على كُل أفاكٍ أَثِيمٍ [آية: ٢٢٢].

قال مجاهد: على كُل أفاكٍ على كل كذابٍ.

٧٣- وقوله ﷻ: والشعراءُ يتبِعهم الْغاوونَ [آية: ٢٢٤].

قال ابن عباس: الرواة.

وقال الضحاك: هما اثنان تهاجيا على عهد رسول الله ﷺ، أحدهما من الأنصار،

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير ١٤٠/٦، والطبري ١٢١/١٩، وابن كثير ١٧٦/٦ بلفظ: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم...» الحديث.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان ١٣٣/١، وأخرجه البخاري في التفسير ١٤٠/٦ والطبري ١٢٠/١٩ والحافظ ابن كثير ١٧٧/٦ بأوسع من هذا اللفظ، وأحمد في المسند ٣٦٠/٢ بلفظ: «لما نزلت هذه الآية وأنذِر عشِيرتك الأقْربِين دعا رسول الله ﷺ قريشاً، فعم وخص فقال: يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار..» الحديث.

وكان مع كل واحدٍ منهما جماعة، وهم الغواة أي السفهاء.

وقال عكرمة: هم الذين يتبعون الشاعر.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد **يتبعهم الْغاوونَ** قال: الشياطين.

وروى خصيف عن مجاهد قال: هم الذين يتبعو م، ويروون شعرهم.

٧٤- ثم قال ﷻ: **ألم تر أنهم فِي كُل وادٍ يهيمونَ** [آية: ٢٢٥]**.**

قال مجاهد: أي في كل فن يفْتنونَ.

قال أبو جعفر: والتقدير في اللغة: في كل وادٍ من القول يهيمون.

قال أبو عبيدة: الهائم المخالف للقصد في كل شيء.

٧٥- وقوله ﷻ: **إِلا الذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ** [آية: ٢٢٧]**.**

قال عبد الله بن عباس: يعني عبد الله بن رواحة، وحسانا.

وفي غير هذا الحديث لما نـزلت هذه الآية: قال عبد الله: قد علم الله ﷻ أنا نقول الشعر، وأنـزل هذا؟ فأنـزل الله ﷻ: **إِلا الذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ وذَكَروا الله كَثِيرا وانتصروا مِن بعدِ ما ظُلِموا** [آية: ٢٢٧]. أي ناضلوا عن النبي ﷺ وعن المؤمنين من هجاهم.

٧٦- ثم قال ﷻ: **وسيعلَم الذِين ظَلَموا أي منقَلَبٍ ينقَلِبونَ** [آية: ٢٢٧]**.**

روي في الحديث أنه يراد به من بين يدي الله ﷻ، إلى النار.

«انتهت سورة الشعراء»

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيمِ

سُورة النمل وهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ: طس تلْك آيات القُرآن وكِتابٍ مبينٍ [آية: ١].

تلْك أي هذه **آيات القُرآن** الذي كنتم توعدون به. **وكِتابٍ مبينٍ** أي وآيات كتاب مبين.

٢- وقوله ﷻ: إن الذين لا يؤمنونَ بالآخِرةِ زينا لهم أعمالهم [آية: ٤].

قال أبو إسحاق: أي جعلنا جزاءهم على الكفر هذا.

وقيل: أي زينا لهم الطاعة والإيمان، لأ ـما من أعمال الخَلْق.

٣- ثم **قال ﷻ: فَهم يعمهونَ [آية: ٤].**

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: فهم يترددون في الضلالة.

٤- ثم **قال ﷻ: وإنك لتلقى القُرآنَ من لدنْ حكِيمٍ علِيمٍ [آية: ٦].**

أي يلقى عليك، فتتلقاه.

٥- وقوله ﷻ: إذْ قالَ موسى لأهلِهِ إني آنست نارا [آية: ٧].

قال أبو عبيدة: أي أبصرت.

قال أبو جعفر: ومنه قيل: إنس لأ ـم مرئيون.

٦- ثم **قال ﷻ: سآتيكُم منها بخبرٍ أو آتيكُم بشِهابٍ قَبسٍ [آية: ٧].**

قال أبو عبيدة: الشهاب: النار.

قال أبو إسحاق: يقال لكل ذي نور: شهاب.

قال أحمد بن يحيى: أصل الشهاب: عود في أحد طرفيه جمرة، والآخرة لا نار فيه، والجذوة كذلك، إلا أ ـا أغلظ من الشهاب، وسميت جذْوة لأ ـا أصل الشجرة كما هي.

قال أبو جعفر: يقال: قَبست النار، أَقْبِسها، قَبساً، والاسم القَبس.

٧- ثم **قال ﷻ: لعلكُم تصطلُونَ [آية: ٧].**

روى عكرمة عن ابن عباس قال: كانوا شاتين، وكانوا قد أخطأوا الطريق.

٨- ثم **قال ﷻ: فلَما جاءَها نودِي أن بورك من في النارِ ومن حولَها [آية: ٨].**

أي فلما جاءها موسى، نودي أن بورك من في النار ومن حولها.

روى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «النار نور الله ﷻ، نادى موسى ﷺ وهو في النور **ومن حولها** الملائكة».

وروى موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب: النار نور الله ﷻ، **ومن حولها** موسى، والملائكة ﷺ.

وقيل: من في النار الملائكة الموكلون ا.

ومن حولها الملائكة أيضاً.

والمعنى: يقولون: «سبحان الله رب العالمين».

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد: ولم يعقّب : ولم يرجع.

٩- وقوله ﷻ: إني لا يخاف لدي المرسلون * إلا من ظلم [آية: ١٠-١١].

في **معناه أقوال:**

أ - منها أن في **الكلام حذفاً، والمعنى:** إني لا يخاف لدي المرسلون، إنما يخاف غيرهم ممن ظلم **إلا من ظلم** ثم تاب فإنه لا يخاف.

ب- وقيل: المعنى لا يخاف لدي المرسلون، لكن من ظلم من المرسلين وغيرهم، ثم تاب فليس يخاف.

جـ - وقيل: **إلا** بمعنى الواو، وذا ليس بجيدٍ في العربية.

١٠- وقوله ﷻ: وأدخِلْ يدك في جيبك تخرج بيضاءَ [آية: ١٢].

المعنى: وأخرجها تخرج بيضاء.

وروى مقسم عن ابن عباس من غير سوءٍ [آية: ١٢]. من غير برص.

١١- ثم **قال ﷻ: في تسع آياتٍ** [آية: ١٢].

المعنى: من تسع آيات، و«في» بمعنى (مِن) لقر ا منها، كما تقول: خذ لي عشراً من الإبل، فيها فحلان أي منها، وقال الأصمعي في قول امريء القيس:

وهلْ ينعمن من كانَ آخِر عهدِهِ ثلاثين شهراً في **ثلاثَـةِ أحـوال**

«في» بمعنى «مِن» ويجوز أن تكون بمعنى «مع».

والمعنى: وألق عصاك، وأدخل يدك في جيبك، آيتان من تسع آياتٍ.

والتسع الآيات فيما روي: «كون العصا حية، وكون يده بيضاء من غير سوء، والجدب الذي أصا م في بواديهم، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم».

١٢- ثم قال ﷻ: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ..﴾ [آية: ١٢].
تخرج بيضاء إلى فرعون وقومه.
وقيل المعنى: إلى فرعون وقومه مبعوث ومرسلٌ، وهذا قول الفراء.
١٣- وقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً..﴾ [آية: ١٣].
أي واضحة. و ﴿مُبْصِرَةً﴾ أي مبينة.
١٤- وقوله ﷻ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [آية: ١٤].
أي تكبراً أن يؤمنوا بموسى ﷺ، وقد جاءهم بالبراهين والآيات.
١٥- وقوله ﷻ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [آية: ١٦].
سبيل الولد أن يرث أباه، فالفائدة في هذا أنه من وراثة العلم، والقيام بأمر الناس، ومن هذا «**العلماء ورثة الأنبياء**»(١).
ويروى أنه كان لداود عليه السلام تسعة عشر ولداً، فورثه سليمان في النبوة والملك دو م ﴿**وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ**﴾ [آية: ١٦].
١٦- ثم قال ﷻ: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [آية: ١٦].
أي من كل شيءٍ يؤتاه الأنبياء والناس.
وهذا على التكثير، كما يقال: ما بقيت أحداً حتى كلمته في أمرك.
١٧- وقوله ﷻ: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [آية: ١٧].
روى معمر عن قتادة قال: يرد أولهُم على آخرهم.
قال أبو جعفر: أصل وزعته: كففته، ومنه لابد للناس من وزعة، ومنه «لما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن».
روى عطاء الخراساني عن ابن عباس ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال: على كل صنف منهم وزعةُ، يرد أولاها على أخراها لئلا يتقدموا في المسير، كما يصنع الملوك.
فهذا قولٌ بين، ومنه: وزع فلانٌ فلاناً عن الظلم: إذا كفه عنه، كما قال النابغة:
على حِينِ عاتبت المَشِيب على الصِّبا وقلت: ألَما يصح؟ والشيب وازع(٢)

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في العلم رقم ٣٦٤١، والترمذي، وابن ماجه.
(٢) البيت في ديوانه ص٣٢، وانظر جامع البيان ١٤٢/١٩، والقرطبي ١٦٨/١٣.

١٨- ثم قال ﷻ: حتى إذَا أتوا علَى وادِي النمل [آية: ١٨].

يروى أنه وادٍ كان بالشام، نمله على قدر الذباب.

وقرأ سليمان التيمي: يا أيها النملُ ادخلُوا مساكِنكُن لا يحطِمنكُن سليمانُ بجنودِهِ .

١٩- وقوله ﷻ: فَتبسم ضاحِكًا من قَولِها [آية:١٩].

ويقرأ فتبسم ضحِكاً مِن قَولِها [(١)] ويقال: كذلك ضحك الأنبياء.

٢٠- وقوله ﷻ: وقَالَ رب أوزِعنِي أنْ أشكُر نِعمتك [آية:١٩].

قال أهل التفسير: أوزِعنِي أي ألهمني، وهو مأخوذٌ من الأول، أي كُفني عن الأشياء، إلا عن شكر نعمتك، أي كفني عما يباعد منك.

٢١- وقوله ﷻ: وتفَقد الطير فَقَالَ مالِي لا أرى الْهدهد [آية: ٢٠].

قال أبو مجلز قال ابن عباس لعبد الله بن سلام: أريد أن أسألك عن ثلاث مسائل، قال: أتسألني وأنت تقرأ القرآن؟

قال: نعم ثلاث مرات.

قال: لم تفقد سليمان الهدهد دون سائر الطير؟

قال: احتاج إلى الماء ولم يعرف عمقه -أو قال مسافته- وكان الهدهد يعرف ذلك دون الطير، فتفقده.

وفي غير هذا عن ابن عباس أن «نافع بن الأزرق» قال له: كيف هذا والصبي يصيده؟ فقال له ابن عباس: إذا وقع القضاء عمي البصر.

وقال عطاء: حدثنا مجاهد عن ابن عباس، قال: كان سليمان يجلس، وتجعل السرر بين يديه، ويأمر الإنس فيجلسون عليها، ثم يأمر الجن فيجلسون من ورائهم، ثم يأمر الشياطين فيجلسون من ورائهم، ثم يظلهم الطير، وتقلهم الريح مسيرة شهرٍ ورواحها شهر، فتفقد الهدهد من الطير فقال : **لأعذبنه عذَابا شدِيدا** [آية:٢١].

وكان تعذيبه إياه، نتفه وإلقاءه إياه في الأرض، لا يمتنع من نملة ولا هامة.

قال عبد الله بن شداد: «كان تعذيبه إياه أن ينتفه ويلقيه في الشمس».

---

(١) هذه قراءة شاذة، انظر المحتسب ١٣٩/٢، والبحر المحيط ٦٢/٧، وتفسير القرطبي ١٧٥/١٣.

ثم قال ﷻ: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [آية: ٢١].

أي بحجة بينة.

٢٢- وقوله ﷻ: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٢٢].

أي غير وقتٍ بعيد.

والتقدير: فمكث سليمان غير طويل، من حين سأل عن الهدهد، حتى جاء الهدهد، ﴿فَقَالَ﴾ أي فقال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [آية: ٢٢].

في **الكلام حذف، والمعنى:** ثم جاء فسأله سليمان عن غيبته، ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾.

ومعنى أحطت بالشيء: علمته من جميع جهاته.

٢٣- وقوله ﷻ: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [آية: ٢٢].

قيل: «سبأ» اسم رجل.

وقيل: هي مدينة قرب اليمن.

٢٤- وقوله ﷻ: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ [آية: ٢٣].

قال قتادة: هي امرأة يقال لها: «بلقيس» ابنة شراحيل، وكان أحد أبويها من الجن، ومؤخر قدمها كحافر الحمار.

٢٥- ثم **قال** ﷻ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [آية:٢٣].

أي من كل شيء يؤتاه مثلها.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ أي سرير كبير، عظيم الخطر.

٢٦- وقوله ﷻ: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ [آية:٢٥].

هي «أن» دخلت عليها «لا».

والمعنى: لئلا يسجدوا لله.

ويجوز أن يكون «أن» بدلاً من «أعمالهم».

وقرأ ابن عباس، وعبد الرحمن السلمي، والحسن، وأبو جعفر، وحميد الأعرج ﴿أَلَا يَا اسْجُدُوا لِلَّهِ﴾[1].

---

(١) قال ابن الجزري: وقرئ «ألايا» بتخفيف اللام وابتدأ «أسجدوا» بهمزة مضمومة على الأمر، بمعنى: ألا يا هؤلاء أو يا أيها الناس اسجدوا، انظر النشر ٣٣٧/٢، وهي من القراءات السبع =

والمعنى على هذه القراءة: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله، كما قال الشاعر:

يا لعنةُ اللـه والأقْـوامِ كلّهـم   والصالحين على سمعانَ من جـار[1]

فالمعنى: يا هؤلاء لعنة الله.

وعلى هذه القراءة هي سجدةٌ، وعلى القراءة الأولى ليست بسجدة، لأن المعنى: وزين لهم الشيطان أن لا يسجدوا لله.

والكلام على القراءة الأولى متسق، وعلى القراءة الثانية قد اعترض في الكلام شيء ليس منه.

٢٧- ثم **قال** ﷻ: **الذي يخرج الخبءَ في السماواتِ والأرض** [آية:٢٥].

روى ابن نجيح عن مجاهد قال: الخبءُ : السّر.

وقيل: الخبءُ في السموات: المطر، وفي الأرض: النبات.

والأول أولى أي ما غاب في السموات والأرض، ويدل عليه قوله تعالى: **ويعلم ما تخفُونَ وما تعلِنونَ** [آية:٢٥][2].

وفي **قراءة عبد الله**[3] **يخرج الخَبءَ مِن السمواتِ والأرض** .

٢٨- وقوله ﷻ: اذْهب بكِتابِي هذَا فَألْقِه إليهم ثُم تول عنهم فَانظُر ماذَا يرجِعونَ [آية: ٢٨].

قيل المعنى: فألقه إليهم، فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم.

وقيل: إنما أدبه بأدب الملوك، أي فألقه إليهم، ولا تقف منتظراً، ولكن تول ثم ارجع.

٢٩- وقوله ﷻ: **قَالت يا أيها الملأُ** [آية: ٢٩].

في **الكلام حذف، والمعنى:** فذهب فألقاه إليهم، فسمعها تقول: **قَالت يا أيها**

=

كما في السبعة في القراءات ٤٨٠/٢.

(١) البيت لسالم بن دارة ، انظر الكتاب لسيبويه ص ٩٤، والقرطبي ١٨٦/١٣.

(٢) قراءة الكسائي وحفص عن عاصم بالتاء ما تخفُونَ وما تعلِنونَ ، وقرأ البـاقون باليـاء، وكلتاهما من القراءات السبع، انظر النشر ٣٣٧/٢، والسبعة ٤٨١/٢.

(٣) قال الفراء: وصلحت «في» مكان «من» لأنك تقول: لأستخرجن العلم الذي فيكم منكم، ثم تحذف أيهما شئت فيكون المعنى قائما على حاله. معاني القرآن للفراء ٢٩١/٢، وقراءة ابـن مسعود من القراءات السبع المتواترة.

الْملأُ إِني أُلْقِي إِلَي كِتاب كَرِيم [آية: ٢٩].

قيل: قالت **كريم** لكرمِ صاحبه وشرفه.

وقيل: لأنه كان مختوماً.

وقيل: **كريم** من أجل ما فيه، وكان فيه «بسم الله الرحمن الرحيم»، من عبد الله سليمان إلى بلقيس: **ألا تعلُوا علي وأتوني مسلِمين** [آية: ٣١]. وكانت كتب الأنبياء مختصرة، واحتذى الناس عليه: من عبد الله.

قال عاصم عن الشعبي قال: كتب النبي ﷺ أربعة كتب، كان يكتب «باسمك اللهم» فلما نزلت **بِسمِ الله مجراها ومرساها** [هود: ٤١]. كتب بسم الله، فلما نزلت **قُل ادعوا الله أوِ ادعوا الرحمن** [الإسراء: ١١٠]. كتب «بسم الله الرحمن» فلما نزلت **إِنه مِن سليمانَ وإِنه بِسمِ الله الرحمن الرحِيم** [آية: ٣٠]. كتب «بسم الله الرحمن الرحيم».

قال عاصم: قلت للشعبي: أنا رأيت كتاب النبي ﷺ فيه **بِسمِ الله الرحمن الرحِيم** فقال: ذاك الكتاب الثالث.

٣٠- وقوله ﷻ: ألا تعلُوا علي وأتوني مسلِمين [آية: ٣١].

أي أن لا تتكبروا.

ويجوز أن يكون المعنى: بأن لا تعلوا علي، أي كتب بترك العلوّ.

ويجوز على مذهب الخليل وسيبويه أن تكون «أن» بمعنى «أي» مفسرة كما قال: **وانطَلَق الْملأُ مِنهم أن امشوا** [ص: ٦].

ويجوز أن يكون المعنى: إني ألقي إلي أن لا تعلوا علي.

٣١- وقوله ﷻ: قَالَت إِن الْملُوك إِذَا دخلُوا قَريةً أفْسدوها [آية: ٣٤].

أي إذا دخلوها عنوةً.

ويقال لكل مدينة يجتمع الناس فيها: قريةٌ، من قريت الشيء أي جمعته.

٣٢- وقوله ﷻ: وجعلُوا أَعِزةَ أَهلِها أَذِلةً وكَذَلِك يفْعلُونَ [آية: ٣٤].

يجوز أن يكون **وكَذَلِك يفْعلُونَ** من قول الله ﷻ.

ويجوز أن يكون من قولها.

٣٣- وقوله ﷻ: وإِني مرسِلةٌ إِلَيهِم بِهدِيةٍ فَناظِرةٌ بِم يرجِع الْمرسلُونَ [آية: ٣٥].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: وجهت بغلمان عليهم لبس الجواري، وبجوارٍ عليهن لبس الغلمان.

وروى يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال: ارسلت بمائتي وصيف ووصيفة، وقالت: إن كان نبياً، فسيعلم الذكور من الإناث، فأمرهم فتوضؤوا، فمن توضأ منهم فبدأ بمرفقه قبل كفه قال: هو من الإناث، ومن بدأ بكفه قبل مرفقه قال: هو من الذكور.

قال أبو جعفر: وقيل وجهت إليه بلبنةٍ من ذهبٍ في خرقةِ حريرٍ، فأمر سليمان ﷺ بلبنٍ من ذهب، فألقي تحت الدواب حتى وطأته.

وهذا أشبه لقوله: **أتمدونن بمالٍ** [آية:٣٦]؟

ويجوز أن يكون وجهت بهما جميعاً.

ومعنى قوله تعالى: لا قبلَ لهم بها [آية:٣٧]. أي لا يطيقونها ولا يثبتون لها.

٣٤- وقوله ﷻ: قالَ يا أيها الملأُ أيكُم يأتيني بعرشِها قبلَ أن يأتوني مسلِمين [آية: ٣٨].

قيل: إنما قال سليمان هذا، لأنهم إذا أسلموا لم يحل له أن يأخذ لهم شيئاً.

وقيل : إنما أراد أن يظهر بذلك آية معجزة .

٣٥- وقوله ﷻ: قالَ عِفْريت من الجِن أنا آتيك به قبلَ أن تقُوم من مقَامِك [آية: ٣٩].

وقرأ أبو رجاء: قال عِفْرِيةٌ (١) بتحريك الياء.

قال قتادة: هو الداهية.

قال أبو جعفر: يقال للشديد إذا كان معه خبث ودهاء: عِفْر، وعِفْرِيةٌ، وعِفْريت، وعفَاريةٌ، وقيل: عفريت أي رئيس.

قال وهب: إن العفريت اسمه «كوذن».

وقوله: أنا آتيك به قبلَ أن تقُوم من مقَامِك أي من مجلسك الذي تقضي فيه بين الناس.

قال أبو جعفر: يقال: مقام، ومقامة، للموضع الذي يقام فيه.

٣٦- وقوله ﷻ: قالَ الذي عِنده عِلْم من الكِتاب [آية:٤٠].

في معنى هذا أقوال:

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: كان يعرف اسم الله ﷻ، الذي إذا دعي به

(١) هذه قراءة أبي رجاء، وعيسى الثقفي وهي قراءة شاذة، انظر المحتسب ١٤/٢.

أجاب، وهو «يا ذا الجلال والإكرام».

وقال غيره: اسمه «آصف بن برخيا» وهو من بني إسرائيل، فهذا قولٌ.

وقيل: إن الذي عنده علم من الكتاب هو «سليمانُ» نفسه، لما قال له الجني **أنا آتيك بِهِ قَبلَ أن تقُومَ مِن مقَامِك** وادعى شيئاً - يبعد أن يكون مثله - قال له سليمان: أنا آتيك به في وقت أقرب من هذا بقدرة الله ﷻ، على أن نهلكه، وتعيده موضعنا هذا، من قبل أن تطْرِف.

وقال إبراهيم النخعي: هو جبريل ﷺ.

٣٧- وفي قوله ﷻ: قَبلَ أن يرتد إليك طَرفُك [آية:٤٠].

فيه قولان أيضاً:

١- روى إسماعيل بن أبي خالد عن سعيد بن جبير قال: فرفع طرفه ثم رده، فإذا بالعرش.

٢- وقال مجاهد: من قبل مدّ الطرف.

ثم قال مجاهد: كما بيننا وبين الحيرة، وهو يومئذ بالكوفة في كندة.

واستدل من قال أن قائل هذا «سليمان» بقوله: **قَالَ هذَا مِن فَضل ربي** [آية:٤٠]. إلى آخر الآية.

قال عبد الله بن شداد: فظهر العرش من نفق تحت الأرض.

٣٨- وقوله ﷻ: قَالَ نكروا لَها عرشها ننظُر أتهتدِي.. [آية:٤١].

أي غَيروه.

قيل: جعل أعلاه أسفله، وأسفله أعلاه.

وقال قتادة: نكروا لَها عرشها غيروه بزيادة أو نقصان.

ننظُر أتهتدِي قال مجاهد: أي أتعرفه؟

٣٩- وقوله ﷻ: قِيلَ أهكَذَا عرشكِ قَالَت كأنه هو [آية:٤٢].

قال قتادة: شبهته به، لأ ا خلفته خلفها وخرجت.

٤٠- ثم **قال ﷻ: وأوتينا الْعِلْم مِن قَبلِها وكُنا مسلِمِين** [آية:٤٢].

قال مجاهد: يقوله سليمان ﷵ.

٤١- وقوله ﷻ: وصدها ما كَانت تعبد مِن دون الله [آية:٤٣].

قال مجاهد: أي كُفْرها.

قال أبو جعفر: والمعنى على هذا: وصدها اعتيادها ما كانت عليه من الكفر، وبين

ذلك بقوله: ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾ [آية:٤٣].

وقال يعلى بن مسلم: قرأت على سعيد بن جبير: ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾ فقال: أ ا بالفتح[1]، وقال: إنما وصفها، وليس يستأنف.

وفي معناه قول آخر: وهو أن يكون المعنى: وصدها عما كانت تعبد من دون الله، ثم حذف «عن» كما تحذف حروف الخفض، مع ما يتعدى إلى مفعولين أحدهما بحرف.

٤٢- وقوله ﷻ: ﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ [آية:٤٤].

قال مجاهد: هو بركة ماءٍ ألبسها سليمان زجاجاً.

وقال قتادة: كان من قوارير خلْفَه ماء.

﴿فلما رأته حسبته لجةً﴾ [آية:٤٤] أي ماء.

وقيل: الصرح: القَصر عن أبي عبيدة كما قال:

تحسِب أعلامهن الصروحا[2]

وقيل: الصرح: الصحن، كما نقِل: هذه صرحةٌ الدار، وقاعتها بمعنى.

وحكى أبو عبيد في الغريب المصنف: أن الصرح كل بناءٍ عالٍ مرتفع، وأن الممرد: الطويل.

قال أبو جعفر: أصل هذا أنه يقال لكل ما عمل عملاً واحداً: صرح، من قولهم: لبن صريح، إذا لم يشبه ماءٌ، ومن قولهم: صرح بالأمر، ومنه عربي صريح.

وقال الفراء: الصرح الممرد: هو الأملس، أخذ من قول العرب: شجرة مرداء إذا سقط ورقها عنها.

قال الفراء: وتمرد الرجل: إذا أبطأ خروج لحيته بعد إدراكه.

---

(١) قرأ الجمهور ﴿إ ا كانت من قوم كافرين﴾ بكسر الهمزة، وقرأ ابن جبير وابن أبي عبلة بفتحها على التعليل أي لأ ا. انظر البحر المحيط ٧٩/٧.

(٢) البيت لأبي ذؤيب، وهو في ديوانه ص ٦٥٩ وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ٩٥/٢ وتمامه

على طُرقٍ كنحور الظِّباء تحسِب أعلامهن الصروحا

وبين رواية أبي عبيدة، وبين رواية الديوان اختلاف في بعض الألفاظ، وفي البخاري في كتاب التفسير ٥٠٤/٨: الصرح: كل ملاطٍ اتخذ من القوارير، والصرح: القصر وجماعته صروح. اهـ.

وقال غيره: ومنه رملة مرداء إذا كانت لا تنبت، ورجلٌ أمرد.

وقيل: الممرد: المطول: ومنه قيل لبعض الحصون: مارد.

٤٣- وقوله ﷻ: ﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾ [آية:٤٥].

قال مجاهد: أي مؤمن وكافر، قال: والخصومة قولهم: ﴿أن صالحا مرسلٌ من ربه﴾ [الأعراف: ٧٥]. فهذه الخصومة.

وقيل: تقول كل فرقة: نحن على الحق.

٤٤- وقوله ﷻ: ﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾ [آية:٤٦].

قال مجاهد: أي بالعذاب قبل الرحمة.

قال أبو جعفر: وفي الكلام حذف، والمعنى -والله أعلم- فاستعجلت الفرقة الكافرة بالعذاب، فقال لهم صالح: لم يستعجلون بالسيئة قبل الحسنة؟ ﴿لولا تستغفرون الله﴾ [آية: ٤٦] أي هلا تستغفرون الله!!.

٤٥- وقوله ﷻ: ﴿قالوا اطيرنا بك وبمن معك﴾ [آية:٤٧].

قال مجاهد: ﴿اطيرنا﴾: أي تشاءمنا.

٤٦- وقوله ﷻ: ﴿قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون﴾ [آية:٤٧].

قال الضحاك: أي الأمر الذي أصابكم عند الله.

أي الأمر لله، أصابكم به بما قدمت أيديكم.

وقيل: ما تطيرتم به عقوبته عند الله تلحقكم.

وقيل: ﴿طائركم﴾ ماء يطير لكم.

﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ [آية:٤٧]. أي تختبرون.

٤٧- وقوله ﷻ: ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ [آية: ٤٨].

قال جعفر بن سليمان: تلا مالك بن دينار هذه الآية، فقال: كم في كل حي وقبيلة ممن يفسد؟

وقال عطاء بن أبي رباح: بلغني أ م كانوا يقرضون الدراهم.

٤٨- وقوله ﷻ: ﴿قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله﴾ [آية: ٤٩].

قال قتادة: تحالفوا على أن يفتكوا بصالح ليلاً، فمروا يتعانقون أي يسرعون فأرسل عليهم صخرة فأهلكتهم.

قال مجاهد: تقاسموا على أن يأتوا صالحاً ليلاً، فأهلكوا، وهلك قومهم أجمعون.

٤٩- وقوله ﷻ : ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٥٤].

أي واذكر لوطاً، أو وأرسلنا لوطاً.

ثم **قال** : ﴿**أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ**﴾ أي وأنتم تبصرون أي تعلمون أنها فاحشة، فذلك أعظم لذنبكم.

وقيل: يرى بعضكم ذلك من بعض، ولا يكتمه منه.

قال مجاهد: في قوله تعالى: ﴿**أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾ [آية:٥٦] أي عن أدبار الرجال والنساء، على الاستهزاء بهم.

وقال قتادة: عابوهم والله بغير عيب، فإنهم يتطهرون من أعمال السوء.

٥٠- وقوله ﷻ: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [آية:٥٩].

روى الحكم بن ظهير عن السدي ووكيع، وأبو عاصِم عن سفيانَ ﴿**وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ**﴾ قالا: أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لنبيه ﷺ.

٥١- ثم قال ﷻ: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية:٥٩].

وليس فيما يشركون خير، فالمعنى أثواب الله خير أم ثواب ما يشركون؟

وجواب آخر أجود من هذا، يكون المعنى: آلخير في هذا؟ أم في هذا الذي يشركون به في العبادة؟ كما قال:

أتهجوه ولست له بكفءٍ فشركما لخيركما الفِداءُ[1]

وحكى سيبويه: السعادة أحب إليك أم الشقاء؟

وهو يعلم أن السعادة أحب إليه.

والمعنى: أم ما تشركون بالله خير، أم الذي يهديكم في ظلمات البر والبحر، إذا ضللتم الطريق؟

٥٢- وقوله ﷻ: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [آية:٦٠].

أي يعدلون عن القصد والحق.

---

(١) البيت لحسان بن ثابت ﷺ، يهجو به أبا سفيان قبل إسلامه ويناضل به عن رسول الله ﷺ.

ويجوز أن يكون المعنى: يعدلون بالله ﷻ[١].

٥٣- وقوله ﷻ: ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [آية:٦٠].

روى معمر عن قتادة قال: النخلُ الحِسان.

قال أبو جعفر: وهو من قولهم: حدق به أي أحيط به كما قال:

................وقد حـدقت بي المَنيةُ واستبطأت أنصـاري[٢]

٥٤- وقوله ﷻ: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [آية:٦٦].

ويقال: بل أدرك أي كَمُلَ، لأ م عاينوا الحقائق.

وروى شعبة عن أبي جمرة عن ابن عباس أنه قرأ ﴿بَلَى أَدَّارَكَ﴾؟[٣] بفتح الهمزة على الاستفهام، وبتشديد الدال ﴿عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وقال: أي لم يدرك.

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أي غاب.

والمعروف من قراءته: ﴿بَلِ ادَّارَكَ﴾ أي تتابع، يقولون: تكون ولا تكون، وإلى كذا تكون.

قال أبو جعفر: في «آدارك» هذه ألف التوقيف: أي أآدراك علمهم في الدنيا حقيقة الآخرة؟ أي لم يدرك، وربما جاء مثل هذا بغير ألف استفهام.

وقرأ ابن محيصن: «بل أآدرك علمهم» وأنكر هذا أبو عمرو، قال: لأن «بلْ» لا يقع بعدها إلا إيجاب.

قال أبو جعفر: وهو جائز، على أن يكون المعنى: بل لم يدرك علمهم، وبل يقال لهم هذا.

---

(١) أي يجعلون له عديلاً ومثيلاً، فيسوون بين الخالق الرازق، وبين الوثن الأصم، ويؤيد هذا المعنى قولـه تعالى في سورة الأنعام: ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ لأي يشركون معه غيره مـن الأوثـان والأصنام.

(٢) هذا من شعر الأخطل كما في ديوانه ص٨٣ من قصيدة يمدح فيها يزيد بن معاوية، وفي لسان العرب ٣٢٠/١١ وهو بتمامه:

المُنعِمونَ بنو حـربٍ وقـد حـدقت بي المَنيـةُ واسـتبطأت أنصـاري

(٣) هذه القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ١٤٢/٢ وانظر جـامع الأحكـام للقـرطبي ٢٢٦/١٣.

٥٥- وقوله ﷻ: قُلْ عسى أن يكُونَ رِدِف لَكُم بعض الذِي تستعجِلُونَ [آية: ٧٢].

قال مجاهد: أي أعجلكم.

وروى علي بن أبي **طلحة عن ابن عباس** في **قوله: رِدِف لَكُم** أي اقترب لكم.

قال أبو جعفر: وهو من ردفه إذا اتبعه، وجاء في أثره، وتكون اللام أُدخلت لأن المعنى: اقترب لكم، ودنا لكم، أو تكون متعلقة بمصدر.

٥٦- وقوله ﷻ: وإِذَا وقَع الْقَولُ علَيهم [آية:٨٢].

أي وجب.

قال الفراء: أي وقع السخط عليهم.

٥٧- وقوله ﷻ: أخرجنا لَهم دابةً من الأَرض تكَلمهم.. [آية:٨٢].

وقرأ ابن عباس: تكْلمهم .

وقرأ أبو زرعة بن عمرو بن جرير **تكْلِمهم** وقرأ أبي «تنبِّئُهم»[1].

قال إبراهيم: تخرج الدابة من مكة.

وروى أبو الطفيل عن حذيفة بن اليمان قال: تخرج الدابة ثلاث خرجات: خرجة بالبوادي ثم تنكمي، وخرجة بالقرى يتقاتل فيها الأمراء، حتى تكثر الدماء، وخرجة من أفضل المساجد وأشرفها وأعظمها - حتى ظننا أنه يسمي المسجد الحرام ولم يسمه - فيتهارب الناس، وتبقى جميعة من المسلمين، فتخرج فتجلو وجوههم، ثم لا ينجو منها هارب، ولا يلحقها طالب، وإ ا لتأتي الرجل وهو يصلي فتقول له: أتمتنع بالصلاة؟ فتخطه، وتخطم[2] وجه الكافر، وتجلو وجه المؤمن.

٥٨- وقوله ﷻ: ووقَع الْقَولُ علَيهم بِما ظَلَموا فَهم لاَ ينطِقُونَ [آية:٨٥].

روى عطية عن ابن عمر قال: ذلك إذا لم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر.

---

(١) قراء تكْلِمهم بكسر اللام بمعنى تجرحهم بأكلها إياهم، وبالضم «تكْلُمهم» وقراءة أبي ابـن كعب «تنبئهم» كلها من شواذ القراءات كمـا في المحتسـب ١٤٤/٢، وقـراءة الجمهـور تكَلمهم من الكلام، أي تخاطبهم مخاطبةً بكلام فصيح صريح، تقول: يا مـؤمن ، ويـا كافر.

(٢) تخطم: قال في اللسان ٧٨/١٥: الخطم: الأثر على الأنف كما يخطم الـبعير بـالكي، مـن خطمت البعير إذا كويته خطا من الأنف إلى الخد، وتلك السمةُ الخطام.

٥٩- وقوله ﷻ: ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله [آية:٨٧].

حدثنا أحمد بن محمد البراثي، قال: حدثنا علي بن الجعد، عن مقاتل بن حيان.

في **قوله تعالى: إلا من شاء الله** قال : جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل، وملك الموت.

وحدثنا الحسين بن عمر الكوفي، قال: حدثنا هناد بن السري، قال: حدثنا وكيع عن شعبة عن عمارة بن أبي حفصة، عن حجر الهجري عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: **إلا من شاء الله** قال: هم الشهداء هم ثنية الله ﷻ، متقلدوا السيوف حول العرش.

٦٠- ثم **قال** ﷻ: **وكل أتوه داخرين** [آية:٨٧].

قال قتادة: أي صاغرين.

٦١- ثم **قال** ﷻ **: وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب** [آية: ٨٨].

لأ ا قد بست وجمعت.

٦٢- وقوله ﷻ: من جاء بالحسنة فله خير منها [آية:٨٩].

قال عبد الله بن مسعود: لا إله إلا الله.

وروى علي بن أبي **طلحة عن ابن عباس من جاء بالحسنة** قال: لا إله إلا الله **فله خير منها** وصل إليه الخير، **ومن جاء بالسيئة** [آية:٩٠] وهي الشرك **فكبت وجوههم في النار** [آية:٩٠].

وقال الحسن ومجاهد وقيس بن سعد من جاء بالحسنة [آية:٨٩]: بـ «لا إله إلا الله» **ومن جاء بالسيئة** : الشرك.

قال أبو جعفر: ولا نعلم أحداً من أهل التفسير قال غير هذا.

٦٣- وقوله ﷻ: وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها [آية:٩٣].

أي في أنفسكم وغيرها.

«تمت بعونه تعالى سورة النمل»

❁ ❁ ❁

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة القصص وهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ: طسم [آية:١].

قال قتادة: **طسم** اسم من أسماء القرآن.

٢- ثم **قال ﷻ: طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ** [آية:٢].

أي المبين بركته وخيره، والمبين الحق من الباطل، والحلال من الحرام، وقصص الأنبياء صلوات الله عليهم، ونبوة محمد ﷺ.

ويقال: أبان الشيء، وبان، وأبان: اتضح.

٣- ثم **قال ﷻ: نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ** [آية:٣].

النبأ: الخبر.

٤- وقوله ﷻ: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ [آية:٤].

قال السدي: أي تجبر.

٥- ثم **قال ﷻ: وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا** [آية:٤].

قال مجاهد: أي فرقهم.

قال السدي: أي فرقهم في الأعمال القذرة.

وقال قتادة: **شِيَعًا** أي ذبح بعضهم، واستحيا بعضهم، وقتل بعضهم.

والشيع عند أهل اللغة: جمع شيعة، والشيعة: الفرقة التي بعضها مساعد لبعض ومؤازر.

٦- وقوله ﷻ: وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ [آية:٥].

يعني بني إسرائيل[1] صلى الله عليه **وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً** [آية:٥] أي ولاة **وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ** [آية: ٦]. أي الوارثين فرعون وملأه.

٧- وقوله ﷻ : وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ [آية:٦].

قال قتادة: كان حاز لفرعون والحازي المنجم قال له: إنه يولد في هذه السنة مولود، يذهب بملكك، فأمر فرعون بقتل الولدان في تلك السنة، قال: فذلك قول الله ﷻ:

---

(١) «إسرائيل» هو اسم لنبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

ونري ِفرعونَ وهامانَ وجنودهما ِمنهم ما كَانوا يحذَرونَ .

٨- وقوله ﷻ: وأوحينا ِإلى أم موسى أنْ أرضِعيهِ فَإِذَا خِفْتِ علَيهِ فَأَلْقِيهِ ِفي الْيم [آية: ٧].

روى معمر عن قتادة قال: قذف في نفسها.

وقيل: هي رؤيا رأ ا.

وقال غيره: بل كان ضماناً من الله ﷻ.

قال أبو جعفر: والوحي في اللغة: إعلام في خفاء، فلذلك جاز أن يقال للإلهام: وحي، كما قال تعالى: **وأوحى ربك ِإلى النحل** [النحل: ٦٨] وقال: **وإِذْ أوحيت ِإلَى الْحوارِيين** [المائدة: ١١١].

والقول الثالث: يدل على صحته قوله تعالى: **ِإنا رادوه ِإلَيكِ** [آية:٧]. وقوله ﷻ : **ولتعلَم أن وعد الله حق** [آية:١٣].

واليم: البحر.

٩- وقوله ﷻ: فَالْتقَطَه آلُ ِفرعونَ ِليكُونَ لَهم عدوا وحزنا [آية:٨].

لما كان التقاطهم إياه يئول إلى هذا، قيل: التقطوه له، كما يقال لمن كسب ماله فأوبقه: إنما كسبه ليهلكه، وهذا مذهب الخليل وسيبويه، ومن يرضى قوله من النحويين، وهو كثير في كلام العرب.

١٠- وقوله ﷻ: وقَالَتِ امرأَةُ ِفرعونَ قُرت عينٍ لي ولَك [آية:٩].

هذا تمام الكلام، والدليل على ذلك أنه في قراءة عبد الله بن مسعود **وقَالَتِ امرأَةُ ِفرعونَ قُرت عينٍ لي ولَك** .

ومعنى قُرت عينٍ قَرت عينه، من القُر وهو البرد، أي لم تسخن بالبكاء.

وقيل: قَرت من قَر في المكان أي لم تبك.

١١- وقوله ﷻ: وأصبح فُؤاد أم موسى فَارِغًا [آية:١٠].

قال أبو جعفر: فيه أربعة أقوال:

أ - منها ما حدثنا أحمد بن محمد البراثي، قال: حدثنا عمرو بن الهيثم، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: **وأصبح فُؤاد أم موسى فَارِغًا** قال: فرغ من كل شيء في الدنيا، إلا من ذكر موسى ﷺ.

قال أبو جعفر: وكذا قال ابن عباس، وأبو عبيدة، وأبو عمران الجوني، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك.

ب- وقال الكسائي: ﴿فَارِغًا﴾ أي ناسياً ذاهلاً، كما يقال لمن لم تقض حاجته: فَرِغ، وللميت: قد فَرِغَ.

وأنكر الكسائي أن يكون المعنى: فارغاً من كل شيء، إلا من ذكر موسى، وليس المعنى عليه.

جـ- وقال الأخفش سعيد[1]: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ من الوحي **﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾** [آية:١٠] أي بالوحي.

د- وقال أبو عبيدة: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ أي من الحزن، لما علمت أنه لم يغرق.

قال أبو جعفر: أصح هذه الأقوال الأول، والذين قالوه أعلم بكتاب الله ﷻ، وإذا كان فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى، فهو فارغ من الوحي، وقولهم: قد فرغ الميت من هذا: أي فرغ مما يجب عليه أن يعلمه.

وقول: أبي عبيدة: فارغاً من الغمّ، غلطٌ قبيح، لأن بعده **﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾** [آية:١٠].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كادت تقول وابناه.

قال أبو جعفر: ومعنى **﴿رَبَطْنَا﴾**: شددنا، وقوينا.

قال قتادة: ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ أي ربطنا على قلبها بالإيمان.

١٢- وقوله ﷻ: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [آية:١١].

قال مجاهد: أي اتبعي أثره.

وقال ابن عباس: أي قُصي أثره واطلبيه.

١٣- ثم قال ﷻ: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ﴾ [آية:١١].

قال مجاهد: أي عن بعد، ومنه الأجنبي، قال الشاعر:

فلا تحرمنّي نائلاً عـن جنابـة ... فإني امرؤ وسط القباب غريب[2]

(١) سبقت ترجمته.

(٢) البيت لعلقمة بن عبدة، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٩٨/٢ والقرطبي ٢٥٧/١٣.

والمعنى: تبصرته من بعيد لئلا يفطنوا ا.

وقال أبو عمرو: وقال بعض المفسرين: **فَبصرت بِهِ عن جنبٍ** أي عن شوق، قال: وهي لغة لجذام، يقولون: جنبت إلى لقائك أي اشتقت.

ثم **قال: وهم لاَ يشعرونَ** [آية:١١]. أي لا يشعرون أ ا أخته.

١٤- ثم قال ﷻ: وحرمنا عليهِ الْمراضِع مِن قَبلُ [آية:١٢].

أي من قبل رده إلى أمه.

قال قتادة: لم يكن يقبل ثدياً، فقالت أخته: **هلْ أدلكُم على أهل بيتٍ يكْفُلُونه لَكُم وهم لَه ناصِحونَ** [آية:١٢].

قال السدي: فاسترابوا ا لما قالت لهم **وهم لَه ناصِحونَ** فقالت: إنما أردت وهم للملِكِ ناصحون، فدلتهم على أمه، فدفعوه إليها لترضعه لهم في حسبا م.

فذلك قوله ﷻ: **فَرددناه إِلى أُمهِ كَي تقَر عينها ولاَ تحزنَ ولِتعلَم أَن وعد الله حق** [آية: ١٣] لقوله ﷻ: **إِنا رادوه إِلَيكِ** .

١٥- وقوله ﷻ: ولَما بلَغَ أَشده واستوى [آية:١٤].

قال مجاهد: عن ابن عباس وقتادة **ولَما بلَغَ أَشده** أي ثلاثاً وثلاثين سنة **واستوى** بلغ أربعين سنة.

قال أبو جعفر: سيبويه يذهب إلى أن واحد «الأشدّ» شِدةٌ.

وقال الكسائي وبعض البصريين: الواحد شد.

وقال أبو عبيدة: لا واحد لها.

١٦- وقوله ﷻ: آتيناه حكْما وعِلْما [آية:١٤].

روى ابن أبي نجيح **عن** مجاهد في **قوله ﷻ: آتيناه حكْما** قال: فقهاً وعقلاً. **وعِلْما** يعني النبوة.

١٧- وقوله ﷻ: ودخلَ الْمدِينةَ على حِينِ غَفْلَةٍ من أَهلِها [آية:١٥].

قال سعيد بن جبير وقتادة: وقت الظهيرة والناس نيام.

١٨- وقوله ﷻ: فَوجد فِيها رجلَين يقْتتِلاَن هذَا مِن شِيعتِهِ وهذَا مِن عدوهِ [آية:١٥].

قال أبو مالك: أحدهما من بني إسرائيل، والآخر قبطي.

قال أبو جعفر: فإن قيل: كيف قيل **هذا** لغائب؟

فالجواب: أن المعنى: يقول الناظر إذا نظر إليهما: هذا من شيعته، وهذا من عدوه.

١٩- وقوله ﷻ: فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه [آية:١٥].

فاستغاثه الذي من شيعته يعني الإسرائيلي **على الذي من عدوه** يعني القبطي.

فوكزه موسى يعني القبطي.

قال مجاهد: ضربه بجمع كفه.

وكذلك هو في **اللغة، يقال:** وكزه: إذا ضربه بجمع كفه في صدره.

وفي **قراءة عبد الله**[1] **فنكزه موسى** والمعنى واحد، وكذلك لكمه، ولكزه، ولهزه.

وروى معمر عن قتادة قال: وكزه بالعصا **فقضى عليه** أي قتله **قال هذا من عمل الشيطان** [آية:١٥] فدل هذا أن قتله كان خطأً، وأنه لم يؤمر بقتل، ولا قتال.

٢٠- وقوله ﷻ: قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين [آية:١٧].

أي معيناً للمجرمين.

قال ابن عباس: لم يستثن فابتلي.

أي فابتلي بأن الإسرائيلي كان سبب الإخبار عنه بما صنع.

وقال الكسائي: فلن أكون ظهيرا للمجرمين .

فيه معنى الدعاء.

وفي قراءة عبد الله **فلا تجعلني ظهيراً للمجرمين** [2].

٢١- وقوله ﷻ: فأصبح في المدينة خائفا يترقب [آية:١٨].

قال قتادة: أي يترقب الطلب **فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه** [آية: ١٨] أي يستغيث به من رجل آخر **قال له موسى إنك لغوي مبين** [آية:١٨] من أجل

(١) هو عبد الله بن مسعود، قرأ فنكزه موسى وقرأ فلكزه والقراءتان من القراءات الشاذة.

(٢) هذه من القراءات الشاذة لأ ا مخالفة في الرسم للمصحف الإمام.

أنه كان سبب القتل.

٢٢- وقوله ﷻ: فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا.. [آية:١٩].

في **معناه قولان:**

أ - فمذهب سعيد بن جبير وأبي مالك أن المعنى: فلما أراد موسى أن يبطش بالقبطي، توهم الإسرائيلي أن موسى ﷺ يريده على أن يبطش به، لأنه أغلظ له في القول، فقال الإسرائيلي: **يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي** [آية:١٩] فسمع القبطي الكلام، فذهب فأفشى على موسى.

ب- وقيل المعنى: فلما أن أراد الإسرائيلي، أن يبطش موسى بالذي هو عدو لهما.

ويروى عن ابن نجيح: فلما أن أراد الإسرائيلي أن يبطش بالقبطي، اه موسى ﷺ، ففرق الإسرائيلي منه، فقال: **أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي** الآية فسعى به القبطي.

٢٣- وقوله ﷻ: وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى [آية: ٢٠].

روى معمر عن قتادة قال: هو مؤمن آل فرعون.

قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ [آية: ٢٠].

قال أبو عبيدة: يَأْتَمِرُونَ أي يتشاورون، وأنشد:

أحار بن عمرو كأني خمر ويعدو على المرء ما يأتمر[1]

قال أبو جعفر: وهذا القول غلط، ولو كان كما قال: لكان «يتآمرون فيك» أي يتشاورون فيك، أي يستأمر بعضهم بعضا.

ومعنى **يَأْتَمِرُونَ** يهمون، من قوله ﷻ: **وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ** [الطلاق: ٦].

وكذلك معنى:

«ويعدوا على المرء ما يأتمر»

(١) البيت ذكره في ذيب اللغة ٢٩٤/١٥ ونسبه للنمر بن تولب، وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٠٠/٢ ونسبه إلى ربيعة النمري، وقوله: أحار مرخم «حارث» وذكره في خزانة الأدب ٣٧٤/١ قال في الصحاح: والخمار: بقية السكر، وخامرة الداء: خالطة، والائتمار الامتثال، أي ما تأمر به نفسه فيرى أنه رشد، وربما كان هلاكه فيه.

كما يقال: من وسع حفرة وقع فيها.

٢٤- وقوله ﷻ: ولما توجه تلقاء مدين [آية:٢٢].

قال أبو عبيدة: أي نحو مدين.

٢٥- وقوله ﷻ: قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل [آية:٢٢].

قال مجاهد: أي طريق مدين.

قال أبو مالك: توجه فرعون في طلبه، وقال لهم: اطلبوه في بنيات الطرق، فإن موسى لا يعرف الطريق، فجاء ملك راكب فرساً ومعه عنـزة فقال لموسى: اتبعني، فاتبعه فهداه إلى الطريق.

٢٦- وقوله ﷻ : ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون [آية: ٢٣]. أي جماعة.

ووجد من دونهم امرأتين تذودان [آية:٢٣].

وفي **قراءة عبد الله** «ودونهم امرأتان حابستان»[1] فسألهما عن حبسهما، فقالتا: لا نقوى على السقي مع الناس، حتى يصدروا.

ومعنى **تذودان** - فيما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس - تحبسان.

وروى سفيان بن أبي الهيثم عن سعيد بن جبير **تذودان** قال: حابستان.

وروى هشيم عن حصين عن أبي مالك **ووجد من دونهم امرأتين تذودان** قال: تحبسان غنمهما، حتى يفرغ الناس، فتخلو لهم البئر.

قال أبو جعفر: وهذا قول بين، يقال: ذاد، يذود: إذا حبس.

وذُدت الشيء: حبسته، ثم يحذف المفعول، إما إيهاماً على المخاطب، وإما استغناءً بعلمه.

ومذهب قتادة: أ ما كانتا تذودان الناس عن غنمهما.

والأول أولى لأن بعده قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء [آية:٢٣].

ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس، لم تخبرا عن سبب تأخر سقيهما، إلى أن يصدر الرعاء.

قال ما خطبكما ؟ أي ما حالكما وما أمركما؟ **قالتا لا نسقي حتى يصدر**

---

(١) هذه من القراءات الشاذة، وليست من السبع: و«حابستان» تفسير لقوله تـذودان فهـي محمولة على التفسير، لا أ ا قراءة من القراءات المعتبرة.

الرعاءُ .

ومن قرأ بضم الياء[1] **يصدِر** حذف المفعول، أي حتى يصدروا غنمهم.

وأبونا شيخ كبير [آية:٢٣]. والفائدة في هذا، أنه لا يقدر على السقي لكبره، فلذلك خرجنا ونحن نساء.

٢٧- وقوله ﷻ: **فسقى لهما ثم تولى إلى الظل** [آية:٢٤].

روى عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب أنه قال: «لما استقى الرعاء غطوا على البئر صخرة، لا يقلها إلا عشرة رجال، فجاء موسى ﷺ فاقتلعها، وسقى ذَنوباً واحداً، لم يحتج إلى غيره، فسقى لهما».

٢٨- وقوله ﷻ: **ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير** [آية:٢٤].

روى عكرمة عن ابن عباس قال: ما سأل إلا الطعام.

وقال مجاهد: لم يكن له ما يأكل.

٢٩- ثم **قال** ﷻ: **فجاءته إحداهما تمشي على استحياء..** [آية:٢٥].

المعنى: فذهبتا إلى أبيهما قبل وقتهما، فخبرتاه بخبر موسى وسقيه، فأرسل إحداهما، فجاءت تمشي على استحياء.

قال عمرو بن ميمون: قال: تمشي ويدها على وجهها حياء، ليست بسلْفَعٍ، خراجةٍ، ولاجة[2].

٣٠- وقوله ﷻ: **فلما جاءه وقص عليه القصص** [آية:٢٥].

أي قص عليه خبره، وعرفه بقتله النفس وخوفه **قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين** [آية:٢٥] لأن «مدين» لم تكن في مِلْكة فرعون.

٣١- وقوله ﷻ: **قالت إحداهما يا أبتِ استأجره إن خير من استأجرت**

---

(١) القراءتان سبعيتان «يصدر» قراءة ابن كثير، ونافع، وعاصم، ومعناها: يصدِر الرعاةُ مواشيهم، وقراءة أبي عمرو، وابن عامر «يصدر» بنصب الياء وضم الدال، وانظر كتاب السبعة لابن مجاهد ٤٩٢/٢.

(٢) انظر الطبري ٦٠/٢٠ وابن كثير ٢٨/٦ والقرطبي ٢٧٠/١٣ ومعنى السلفع: المرأة الجسور، الجريئة على الرجال، قاله الجوهري، وقال في القاموس: هي الصخابة، البذيئة، السيئة الخُلُق.

القوي الأمين [آية:٢٦].

روى عمرو بن ميمون عن عمر قال: فقال لها من أين عرفت قوته، وأمانته؟

قالت: أما قوته فإنه أقل حجراً، لا يحمله إلا عشرة.

وأما أمانته فإنه لما جاء معي مررت بين يديه، فقال لي: كوني خلفي ودليني على الطريق، لئلا تصفَكِ الريح لي.

٣٢- وقوله ﷻ: **قالَ إني أريد أنْ أنكحك إحدى ابنتي هاتين** [آية:٢٧].

وفي الحديث أنه أنكحه الصغيرة منهما، واسمها «طوريا»، ثم قال: **على أن تأجرني ثماني حجج** [آية:٢٧] أي تكون لي أجيراً **فإنْ أتممت عشرا فمن عندك** [آية:٢٧]. أي فذلك تفضل منك: **قالَ ذلك بيني وبينك** [آية:٢٨]. أي لك ما شرطت ولي مثله **أيما الأجلين قضيت فلا عدوانَ علي** [آية:٢٩]. العدوان: ا اوزة في الظلم.

٣٣- وقوله ﷻ: **فلما قضى موسى الأجلَ وسار بأهله..** [آية:٢٩].

روى الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**سألت جبريل أي الأجلين قضى موسى؟ فقال: أتمهما، وأكملها**»[1].

ومعنى **لعلي آتيكم منها بخبر** [آية:٢٩]. لعلي أعلم لم أُوقدت؟ **أو جذْوةٍ من النار** [آية:٢٩].

قال قتادة: الجَذْوةُ: أصل الشجرة فيها نار.

قال أبو جعفر: وكذلك الجُذْوة، بضم الجيم، وكسرها، وفتحها، والجِذْوة: القطعة من الخشب الكبيرة، فيها نار ليس فيها لهب.

وقال ﷻ: **في البقعةِ المباركةِ من الشجرةِ** [آية:٣٠] لأنه ﷻ كلمه فيها.

٣٤- وقوله ﷻ: **اسلُك يدك في جيبك تخرج بيضاءَ من غير سوءٍ..** [آية: ٣٢].

معنى **أسلك** : أدخل.

٣٥- ثم **قال** ﷻ: **واضمم إليك جناحك من الرهب** [آية:٣٢].

---

(١) الحديث أخرجه البزار، وابن أبي حاتم، وصححه الحاكم بسنده إلى ابن عباس «أن رسول الله ﷺ سأل جبريل أي الأجلين قضى موسى؟ قال: أتمهما وأكملهما»، وانظـر الـدر المنثـور للسـيوطي ١٦٥/٥.

قال الفراء: الجناح هاهنا: العصا.

ولم يقل هذا أحد من أهل التفسير، ولا من المتقدمين: عِلمته وحكى أكثر أهل اللغة أن الجناح: من أسفل العضد إلى آخر الإبط، وربما قيد لليد جناح، ولهذا قال أبو عبيدة: **جناحك** أي يدك.

قال مجاهد: **مِن الرهبِ** [آية:٣٢]. من الفَرَق.

٣٦- وقوله ﷻ: فَذَانِك برهانان مِن ربك [آية:٣٢]**.**

قال مجاهد: يعني اليد، والعصا.

والبرهان: الحُجةُ.

قال ابن عباس: جناحك يدك.

وقال أبو زيد: العضد: هو الجناح، حدثني محمد بن أيوب، قال: أنبأنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، قال: حدثنا محمد بن عامر، عن أبيه، عن بشر بن الحصين، عن الزبير بن عدي، عن الضحاك، عن ابن عباس **واضمم إليك جناحك مِن الرهبِ** أي أدخل يدك فضعها على صدرك حتى يذهب عنك الرعب.

قال: فقال ابن عباس: ليس من أحد يدخله رعب بعد موسى، ثم يدخل يده فيضعها على صدره، إلا ذهب عنه الرعب.

٣٧- وقوله ﷻ: فَأرسِلْهِ معِي رِدءًا يصدقُنِي [آية:٣٤]**.**

الرِّدءُ: العونُ، وقد أرداه، ورداه: أي أعانه.

وقوله تعالى: سنشد عضدك [آية:٣٥].

أي سنعينك ونقويك، وهو تمثيل لأن قوة اليد بالعضد **ونجعلُ لكُما سلْطَانا** .

قال سعيد بن جبير: أي حجةً.

فَلا يصِلُونَ إِلَيكُما بِآياتنا

أي تمنعان بآياتنا.

ويجوز أن يكون المعنى : ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا - أي بالعصا واليد - وما أشبههما.

٣٨- وقوله ﷻ: فَأوقِد لِي يا هامانُ على الطينِ [آية:٣٨]**.**

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: حتى يصير آجراً.

قال قتادة: بلغني أنه أول من صنع الآجر.

ثم **قال تعالى:** **فَاجعل لي صرحا** [آية:٣٨].

قيل: بنياناً مرتفعاً.

٣٩- وقوله ﷻ: **ولَقَد آتينا موسى الْكِتاب مِن بعدِ ما أَهلَكْنا الْقُرونَ الْأُولَى بصائِر** [آية:٤٣]. أي بياناً[1].

٤٠- وقوله ﷻ : **وما كُنت بِجانِبِ الْغربِي إِذْ قَضينا إِلَى موسى الأمر** [آية: ٤٤].

قال قتادة: هو جبلٌ.

وقوله: **وما كُنت ثَاوِيا** [آية:٤٥] أي مقيماً.

٤١- وقوله ﷻ: **وما كُنت بِجانِبِ الطورِ إِذْ نادينا..** [آية:٤٦].

روى عبد الرزاق، عن الثوري، عن الأعمش، عن علي بن مدرك، عن أبي زرعة ابن عمرو بن جرير، رفع الحديث في قوله ﷻ: **وما كُنت بِجانِبِ الطورِ إِذْ نادينا** قال: نودوا يا أمة محمد، أجبتكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني، فذلك قوله: **وما كُنت بِجانِبِ الطورِ إِذْ نادينا** .

٤٢- وقوله ﷻ: **ولَكِن رحمةً من ربك** [آية:٤٦].

أي لم تشهد قصص الأنبياء، ولا تليت عليك، ولكنا بعثناك وأوحيناها إليك للرحمة، لتنذر قوماً فتعرفهم هلاك من هلك، وفوز من فاز، لعلهم يتذكرون.

٤٣- وقوله ﷻ: **ولَولا أَن تُصِيبهم مصِيبةٌ بِما قَدمت أَيدِيهم** [آية:٤٧].

أي لولا هذا لم نحتج إلى إرسال الرسل، وتواتر الاحتجاج.

٤٤- وقوله ﷻ: **فَلَما جاءَهم الْحق مِن عِندِنا..** [آية:٤٨].

أي الحجج الظاهرة البينة، التي كان يجوز أن يحتجوا بتأخرها **قَالُوا لَولا أُوتِي مِثْلَ ما أُوتِي موسى** [آية:٤٨]. يعني من العصا، وانفلاق البحر، وما أشبه ذلك.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: أمرت يهود قريشاً أن يسألوا محمداً ﷺ مثل ما أوتي موسى، فقال الله ﷻ لمحمد ﷺ قل لهم يقولوا لهم: **أَو لَم يكْفُروا بِما أُوتِي**

(١) بصائر: أي طرائق هدى يستبصر ا، جمع بصيرة وهي: الأمر البين الواضح، كأنه لوضـوحه وبيانه يبصر بالعي.

موسى مِن قَبلُ [آية:٤٨].

٤٥- ثم **قال** ﷻ: **قَالُوا سِاحِران تظَاهرا** [آية:٤٨].

روى سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: سمعت سعيد بن جبير يقول: **قَالُوا سَاحِران تظَاهرا** [آية: ٤٨]. قال: موسى وهارون صلى الله عليهما[1].

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: يعنون موسى، وهارون عليهما السلام.

وروى شعبة عن أبي حمزة عن ابن عباس قَالُوا سِاحِران تظَاهرا قال: موسى، ومحمد، صلى الله عليهما وسلم.

وكذا روى شعبة، عن أبي جمرة[2]، عن ابن عباس، وكذلك قال الحسن.

وقرأ عكرمة، وعطاء الخرساني، وأبو رزين قَالُوا سِحران تظَاهرا .

قال عكرمة: يعني كتابين.

وقال أبو رزين: يعني التوراة، والإنجيل.

وقال الفراء: يعني التوارة، والقرآن.

واحتج بعض من يقرأ هذه القراءة بقوله: قُلْ فَأتوا بِكِتابٍ من عِندِ الله هو أهدى مِنهما أتبِعه [آية:٤٩].

والمعنى على القراءة الأولى: هو أهدى من كتابيهما.

٤٦- **وقوله** ﷻ: **ولَقَد وصلْنا لَهم القَولَ لَعلهم يتذَكَرونَ** [آية:٥١].

أي أتبعنا بعضه بعضاً.

قال مجاهد: يعني لقريش.

وقرأ الحسن وصلْنا مخففاً[3].

---

(١) هذه الآثار أوردها الطبري في تفسيره ٢٩٤/٢٠ وابن كثير ٢٥٢/٦ وهذه الآثار على قراءة ساحِران بالألف، وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، وابن عامر، والقراءة الثانية بدون ألف قالُوا سِحران وهي قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي، وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ٤٩٥/٢ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٤٢/٢.

(٢) نصر بن عمران بن عصام، وقيل: ابن عاصم الضبعي البصري، تابعي ثقة مات سنة ١٢٨ هـ قال عنه أحمد: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه ثقة، انظر التهذيب ٤٣١/١٠.

(٣) هذه القراءة هي قراءة الحسن، وليست من القرءات السبع، وقد ذكرها أبو حيان في البحر =

ومعنى ﴿إنا كُنا مِن قَبلِهِ مسلِمين﴾ [آية: ٥٣]. أ م وجدوا صفة النبي ﷺ في كتا م، من قبل أن يبعث، فآمنوا به، ثم آمنوا به بعد ما بعث.

٤٧ - ثم **قال الله** ﷻ: ﴿**أولَئِك يؤتونَ أجرهم مرتينِ بِما صبروا**﴾ [آية:٥٤].

يجوز أن يكون المعنى: من قبل النبي ﷺ، وأن يكون من قبل القرآن.

ومعنى قوله تعالى: ﴿**ويدرؤونَ بِالْحسنةِ السيئَةَ**﴾ [آية:٥٤].

أي يدفعون بعملهم الحسنات، السيئات التي عملوها.

٤٨ - **وقوله** ﷻ: ﴿**وإِذَا سمِعوا اللغو أعرضوا عنه**﴾ [آية:٥٥].

أي ما لا يجوز، وما ينبغي أن يلْغى.

قال مجاهد: هؤلاء قوم من أهل الكتاب أسلموا، فكان المشركون يؤذو م.

ومعنى ﴿**سلام علَيكُم**﴾ [آية:٥٥] قد تاركناكم، وليس من التحية في شيء، وهذا كلام متعارف عند العرب.

٤٩ - **وقوله** ﷻ: ﴿**إِنك لاَ تهدِي من أحببت ولَكِن الله يهدِي من يشاءُ**﴾ [آية: ٥٦].

روى الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه، قال: جاء أبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، إلى أبي طالب في العلة التي مات فيها، وجاء النبي ﷺ فقال: «**يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك با عند الله ﷻ، فقال له أبو جهل: يا أبا طالب أترغب عن دين عبد المطلب!؟ فكان آخر ما قال لهما: هو على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: لا أدع الاستغفار لك**» (١).

فأنـزل الله ﷻ: ﴿**إِنك لاَ تهدِي من أحببت**﴾.

ونـزل فيه ﴿**ما كَانَ لِلنبِي والذِين آمنوا أن يستغفِروا لِلْمشرِكِين ولَو كَانوا أولِي قُربى**﴾ [التوبة:١١٣].

قال أبو جعفر: يجوز أن يكون معنى ﴿**من أحببت**﴾ أن دي.

=

المحيط ١٢٥/٧.

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير ١٤١/٦، بلفظ: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ ...الحديث.

ويجوز أن يكون المعنى: من أحببت لقرابته.

ثم قال ﷻ: **ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** [آية:٥٦].

أي الله أعلم بمن يستحق الهداية:ممن يستحق الغواية، ولله الحكمة التامة.

٥٠- وقوله ﷻ: وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا [آية:٥٧]**.**

قال الضحاك: هذا قول المشركين الذين بمكة.

وقال غيره: قالوا للنبي ﷺ: نحن نعلم أن ما جئت به حق، ولكنا نكره أن نتبعك، فتقْصد، ونتخطف لمخالفتنا الناس.

قال الله ﷻ: **أو لم نمكن لهم حرما آمنا** [آية:٥٧].

أي قد كانوا آمنين قبل الإسلام، فلو أسلموا لكانوا أوكد.

قال قتادة: كان أهل الحرم آمنين، يخرج أحدهم، فإذا عرض له قال: أنا من أهل الحرم، فيترك، وغيرهم يقتل ويسلب.

قال مجاهد عن ابن عباس: يجبى إليه ثمرات كل شيء [آية:٥٧].

أي ثمرات الأرضين.

٥١- وقوله ﷻ: وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها [آية:٥٨]**.**

البطر: الطغيان بالنعمة.

قال أبو إسحاق: المعنى: بطرت في معيشتها.

قال الفراء: أبطرها معيشتها.

٥٢- ثم **قال ﷻ: فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً** [آية:٥٨]**.**

قال الفراء: والمعنى أنها خربت، فلم يسكن منها إلا قليل، والباقي خراب.

٥٣- وقوله ﷻ: وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً [آية:٥٩]**.**

أي في أعظمها، وأم القرى مكة.

٥٤- وقوله ﷻ: أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا [آية:٦١].

يعني به: المؤمن، والكافر.

وقيل: نزلت في النبي ﷺ، وأبي جهل.

٥٥- وقوله تعالى: ثم هو يوم القيامة من المحضرين [آية:٦١].

قال مجاهد: أي أهل النار، أُحضِروا.

٥٦- وقوله ﷻ: ﴿ويوم يناديهم فيقولُ أين شركائي﴾ [آية:٦٢].

أي ويوم ينادي الله الإنس ﴿**أين شركائي**﴾؟ أي على قولكم.

٥٧- وقوله ﷻ: ﴿قالَ الذين حق عليهم القولُ ربنا هؤلاءِ الذين أغْوينا﴾ [آية: ٦٣].

قال قتادة: ﴿**حق عليهم القولُ**﴾ يعني: الشياطين.

وقال غيره: ﴿**حق عليهم القولُ**﴾ أي وجبت عليهم الحجة فعذبوا.

﴿**ربنا هؤلاءِ الذين أغْوينا**﴾ أي دعوناهم إلى الغيّ.

﴿**أغْويناهم كما غَوينا**﴾ أي أضللناهم كما ضللنا.

﴿**تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدونَ**﴾ [آية:٦٣]. فبرئ بعضهم من بعض، وعاداه، كما قال تعالى: ﴿**الأخِلاءُ يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**﴾ [الزخرف:٦٧].

٥٨- وقوله ﷻ: ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدونَ﴾ [آية:٦٤].

أي دعوهم فلم يجيبوهم بحجة.

﴿**ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدونَ**﴾ جواب «لو» محذوف أي لو أ م كانوا يهتدون ما دعوهم.

٥٩- وقوله ﷻ: ﴿فعميت عليهم الأنباءُ يومئذٍ فهم لا يتساءَلونَ﴾ [آية:٦٦].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: ﴿**الأنباءُ**﴾ الحجج.

﴿**فهم لا يتساءَلونَ**﴾ قال: بالأنساب.

٦٠- وقوله ﷻ: ﴿وربك يخلق ما يشاءُ ويختار﴾ [آية:٦٨].

هذا التمام. أي ويختار الرسل.

﴿**ما كانَ لهم الخِيرةُ**﴾ [آية:٦٨].

أي ليس برسل من اختاروه هم.

٦١- وقوله ﷻ: ﴿قُلْ أرأيتم إن جعلَ الله عليكُم النهار سرمدا إلى يوم القيامة﴾ [آية:٧٢].

قال مجاهد: ﴿**سرمداً**﴾ أي دائماً.

﴿**من إله غير الله يأتيكم بضياءٍ**﴾ [آية:٧١] أي بنهار تتعيشون فيه، ويصلح ثماركم وزرعكم.

٦٢- وقوله ﷻ: وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ [آية:٧٣].

فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى: لتسكنوا في الليل، ولتبتغوا من فضله بالنهار.

والقول الآخر: أن يكون المعنى: لتسكنوا فيهما، وقال فيه لأن الليل والنهار، ضياء، وظلمة، كما تقول في المصادر: ذهابك ومجيئك يؤذيني.

فيكون المعنى: جعل لكم الزمان لتسكنوا فيه، ولتبتغوا من فضله.

والقول الأول أعرف في كلام العرب، يأتون بالخبرين، ثم يجمعون تفسيرهما، إذا كان السامع يعرف ذاك.

كما روي عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنه قال: «ما أحسن الحسنات في إثر السيئات !! وما أقبح السيئات في إثر الحسنات!! وأحسن من ذا، وأقبح من ذا: السيئات في آثار السيئات، والحسنات في آثار الحسنات».

قال أبو جعفر: فجاء بالتفسير مجملاً، وهذا فصيح كثير.

٦٣- وقوله ﷻ: وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ [آية: ٧٥].

قال مجاهد: **شَهِيدًا** أي نبياً.

فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ قال: أي حجتكم بما كنتم تقولون وتعملون.

فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ [آية: ٧٥]. أي أن الله واحد، وأن الحق ما جاءت به الأنبياء.

وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ [آية:٧٥]. أي لم ينتفعوا بما عبدوا من دون الله، بل ضرهم.

٦٤- وقوله ﷻ: إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ [آية:٧٦].

قال إبراهيم النخعي: كان ابن عمه.

٦٥- وقوله ﷻ: فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ [آية: ٧٦]. أي تجاوز الحد في معاندة موسى ﷺ والتكذيب به.

٦٦- وقوله ﷻ: وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ [آية: ٧٦].

روى الأعمش عن خيثمة، قال: كانت مفاتحه من جلود، كل مفتاح منها على قدر الإصبع، لخزانة يحملها ستون بغلاً، إذا ركب.

وقال مجاهد: كانت من جلود الإبل.

قال أبو صالح: كانت تحملها أربعون بغلاً.

وروى علي بن الحكم عن الضحاك قال: كانت مفاتيح قارون يحملها أربعون رجلاً.

قال ابن عيينة: العصبةُ : أربعون رجلاً.

وقال مجاهد: العصبة : من العشرة إلى الخمسة عشر.

قال أبو جعفر: العصبة في اللغة: الجماعة الذين يتعصب بعضهم لبعض.

قال أبو عبيدة: لَتنوءُ بِالْعصبةِ تأويله أن العصبة لتنوء بها، كما قال:

«وتشقى الرِّماح بالضياطِرة الحُمر»[1].

الضياطرة: التباع، والأُجراء.

قال أبو جعفر: يذهب أبو عبيدة إلى أن هذا من المقلوب وهذا غلطٌ، والصحيح فيه ما قال أبو زيد، قال: يقال: نؤت بالحِمل: إذا نهضت به على ثِقَلٍ، وناءني، وأناءني: إذا أثقلني.

قال أبو العباس: سئل الأصمعي عن قوله: «وتشقى» قال: نعم، هي تشقى بالرجال.

٦٧- ثم قال ﷻ: **إِذْ قَالَ لَه قَومه لاَ تفْرح إِن الله لاَ يحِب الْفَرِحِين** [آية: ٧٦].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: الفَرِحِين : البطرين، الذين لا يشكرون الله ﷻ فيما أعطاهم.

٦٨- وقوله ﷻ: ولاَ تنس نصِيبك مِن الدنيا [آية:٧٧].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: نصيبه من الدنيا: العمل بطاعة الله ﷻ، الذي يثاب عليه يوم القيامة.

وروى أشعث عن الحسن، قال: أمسك القوت، وقدم ما فَضل.

وروى معمر عن قتادة، قال: ابتغ الحلالَ.

قال أبو جعفر: قول مجاهدٍ حسن جداً، لأن نصيب الإنسان في الدنيا على الحقيقة، هو الذي يؤديه إلى الجنة.

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولاَ تنس نصِيبك مِن الدنيا يقول: لا تترك أن تعمل لله ﷻ في الدنيا.

---

(١) هذا شطر بيت لخداش بن زهير، انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١١٠/٢، والطبري ١٠٩/٢٠.

وقد قيل: المعنى: ولا تنس شكر نصيبك.

٦٩- وقوله ﷻ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [آية:٧٨].

يروى أن «قارون» كان من قراء بني إسرائيل للتوراة.

والمعنى: إنما أوتيته على علمٍ فيما أُرى.

فأما ما روي أنه كان يعمل الكيمياء، فلا يصح.

وقيل المعنى: على علم بالوجوه التي تكسب منها الأموال، وترك الشكر.

وقال ابن زيد: قال - أي قارون - لولا رضي الله عني، ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا.

وهذا أولاها يدل عليه ما بعده.

٧٠- وقوله ﷻ: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [آية:٧٨].

قال مجاهد: هو مثل قوله تعالى: **﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾** [الرحمن:٤١].

زرقاً، سود الوجوه، لا تسأل عنهم الملائكة، لأ ا تعرفهم.

وقال قتادة: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [آية: ٧٨] أي يدخلون النار بغير حساب.

قال محمد بن كعب: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي لا يسأل الآخر لم هلك الأول فيعتبر.

وقيل: لا يسأل عنها سؤال استعلام.

٧١- وقوله ﷻ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ [آية:٧٩].

روى عثمان بن الأسود عن مجاهد، قال: خرج هو وأصحابه على براذين بيض، عليها سروج أرجوان، وعليهم المعصفر.

قال قتادة: خرجوا على أربعة آلاف دابة، عليها ثياب حمرةٍ، منها ألف بغل بيض، عليها قُطُف حمر.

٧٢- وقوله ﷻ: ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [آية:٨١].أي لا يلقى هذه الفعلة وهي القول **﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾** إلا الصابرون.

٧٣- وقوله ﷻ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [آية:٨١].

قال ابن عباس: خسف به إلى الأرض السفلى.

﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ﴾ [آية:٨١] أي من فرقة.

٧٤- وقوله ﷻ: وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولونَ ويكأن الله يبسطُ الرزق لمن يشاءُ من عبادِهِ ويقدِر [آية:٨٢].

قوله: **ويكأن** قيل: هي «ويك أن» و«يك» بمعنى: ويلك.

قال أبو جعفر: وهذا لا يصح، لأن هذه اللام لا تحذف، ولو كان هكذا لوجب أن يقال: ويلك إنه...

ولا يجوز أن يضمر «اعلَم» وليس هاهنا مخاطبةٌ لواحد.

والصحيح في **هذا ما قال الخليلُ، وسيبويه، والكسائي.**

قال الكسائي: «وي» هاهنا صلةٌ، وفيها معنى التعجب.

وقال سيبويه: سألت الخليل عن قوله ﷻ: **ويكأنه لا يفلِح الكافِرونَ** وقوله: **ويكأن الله** فزعم أ ا «وي» مفصولةٌ من «كأن».

والمعنى: وقَع على أن القوم انتبهوا، فتكلموا على قدر علمهم.

أونّبهوا فقيل لهم: أما يشبه أن يكون ذا عندكم هكذا؟ والله أعلم.

وأما المفسرون فقالوا معناها: ألم تر أن الله .

قالت قتادة: ويكأن المعنى: أو لا تعلم؟

قال أبو جعفر: وقولُ الخليل موافق لهذا، وأنشد أهل اللغة:

وي كأنْ من يكُن له نشب يحبب ومن يفْتقْر يعش عيش ضر

وقد كُتبت في المصحف متصلة، كأ م لما كثُر استعمالهم إياها، جعلوها مع ما بعدها بمنـزلة شئ واحد.

٧٥- وقوله ﷻ: تلك الدار الآخِرةُ نجعلُها للذِين لا يريدونَ علُوا في الأرض ولا فَسادا [آية: ٨٣].

روى سفيان عن منصور عن مسلم البطين، قال: العلُو: التكبر بغير الحق، والفساد: أخذُ الأموال بغير الحق.

قال الثوري: ولا فَسادا : المعاصي.

٧٦- وقوله ﷻ: إن الذِي فَرض عليك القُرآنَ لَرادك إلى معادٍ [آية:٨٥].

روى عكرمة عن ابن عباس، قال: إلى معادٍ : إلى مكة.

وكذلك روى يونس بن إسحاق عن مجاهد.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: إلى الموت.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: إلى أن يحييك يوم القيامة.

وقال الزهري والحسن: «المَعاد» يوم القيامة.

قال أبو جعفر: وهذا معروفٌ في اللغة، يقال: بيني وبينك المَعاد، أي يوم القيامة، لأن الناس يعودون فيه أحياء.

والقول الأول حسن كثير، والله أعلم بما أراد.

ويكون المعنى: إن الذي نزل عليك القرآن - وما كنت ترجو أن يلقى إليك - لرادك إلى معاد أي إلى وطنك ومعادك يعني مكة، ويقال: رجع فلان إلى معاده أي إلى بيته.

٧٧- وقوله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [آية:٨٨].

قال سفيان: أي إلا ما أريد به وجهه.

قال محمد بن يزيد[١]**:** حدثني الثوري، قال: سألت أبا عبيدة عن قوله تعالى: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** فقال: إلا جاهه، كما تقول: لفلان وجه في الناس أي جاه.

وقيل: ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾: أي إلا إياه ﷻ.

وتقول: أكرم الله وجهه، وفلانٌ وجه القوم.

وقول سفيان معروف في اللغة، أي كل ما فعله العباد يهلك، إلا الوجه الذي يتوجهون به إلى الله ﷻ.

«تمت سورة القصص»

(١) يعني المبرد.

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة العنكبوت وهي مكية

١- قوله ﷻ: الم * أحسِب الناس أن يتركُوا أن يقُولُوا آمنا وهم لا يفْتنونَ [آية: ١ - ٢].

هذا استفهام فيه معنى التقرير والتوبيخ، أي أحسب الناس أن يُقْنع منهم، بأن يقولوا: آمنا فقط، ولا يختبروا حتى يعرف حقيقة إيما م وصبرهم، وصدقهم وكذ م، ويظهر ذلك منهم، فيجازوا عليه؟ وأما الغيب فقد علمه الله ﷻ منهم.

ثم **قال: أن يقُولُوا آمنا** .

أي على أن يقولوا، ولأن يقولوا ، ولأن يقولوا، وبأن يقولوا آمنا.

وهم لا يفْتنونَ .

قال مجاهد وقتادة: أي لا يبتلون.

٢- ثم **قال ﷻ: ولقَد فَتنا الذِين مِن قَبلِهم** [آية:٣].

أي ابتليناهم.

٣- وقوله ﷻ: أم حسِب الذِين يعملُونَ السيئاتِ أن يسبِقُونا [آية:٤].

قال مجاهد: أي أن يُعجزونا.

٤- وقوله ﷻ: من كَانَ يرجو لِقَاءَ الله فَإِن أجلَ الله لآتٍ [آية:٥].

قال أبو إسحاق: المعنى: من كان يرجو لقاء ثواب الله ﷻ.

٥- وقوله ﷻ: ووصينا الإِنسانَ بِوالِديهِ حسنا [آية:٨]. أي ما يحسُنُ.

٦- ثم **قال ﷻ : وإِن جاهداك لِتشرِك بِي ما لَيس لَك بِهِ عِلْم فَلا تطِعهما** [آية: ٨].

قال أبو إسحاق: المعنى: وإن جاهدك أيها الإنسان والداك، لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما.

٧- وقوله ﷻ: ومِن الناس من يقُولُ آمنا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِي فِي الله جعلَ فِتنةَ الناس كَعذَابِ الله [آية:١٠].

قال مجاهد: فَإِذَا أُوذِي فِي الله أي عُذب، خاف من عذاب الناس كما يخاف

من عذاب الله ﷻ.

قال الضحاك: هؤلاء قوم قالوا: آمنا، فإذا أوذي أحدهم أشرك.

وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة، قال: «كان قوم بمكة قد شهدوا أن لا إله إلا الله فلما خرج المشركون إلى بدر، أكرهوهم على الخروج معهم، فقتل بعضهم فأنزل الله ﷻ فيهم: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ﴾** [النساء: ٩٧] إلى قوله: **﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾** [النساء: ٩٩]. فكتب بها المسلمون الذين بالمدينة، إلى المسلمين الذين بمكة فخرج مسلمون من مكة فلحقهم المشركون، فافتتن بعضهم، فأنـزل الله ﷻ فيهم: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾**.

قال الشعبي: نـزلت فيهم عشر آيات من قوله تعالى: **﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا﴾** قال عكرمة: فكتب بها المسلمون الذين بالمدينة، إلى المسلمين الذين كانوا بمكة، قال رجل من بني ضمرة[1] -كان مريضاً- أخرجوني إلى الروح، فأخرجوه فمات فأنزل الله ﷻ فيه: **﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾** [النساء: ١٠٠]. إلى آخر الآية. وأنزل في المسلمين الذين كانوا افتتنوا **﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا﴾** [النحل: ١١٩] إلى آخر الآية.

٨- وقوله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ [آية: ١٢].

قال الضحاك: هؤلاء القادة من المشركين.

قال مجاهد: هم مشركوا أهل مكة، قالوا لمن آمن منهم: نحن وأنتم لا نبعث، فاتبعونا فإن كان عليكم وزر فهو علينا.

قال أبو جعفر: هذا كما تقول: قَلدني هذا إنْ كان فيه وزر، أي ليس فيه وزر.

قال الفراء: وفيه معنى المجازاة، وأنشد:

فقلْت ادعِي وادعُ فـإن أنـدى ... لِصوتٍ أنْ ينـادي داعِيـان[2]

---

(١) اسم هذا الرجل وهو «ضمرة بن جندب الضمري»، انظر قصته مفصلة في ابن جرير ٢٣٩/٥.

(٢) البيت لمدثار بن شيبان النمري، وقبله:

تقُـوُل خلِـيلَتي لمـا اشـتكينا ... سـيُدركُنا بنُـو القِـرمِ الهجـان

=

قال المعنى: ادعِي ولأدعُ، أي إن دعوتِ دعوتُ.

٩- وقوله ﷿: وما هم بحاملين من خطاياهم من شيءٍ [آية:١٢].

المعنى: وما هم بحاملين عنهم شيئاً - يخفف ثقلهم.

١٠- ثم **قال** ﷿: **وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم** [آية:١٣].

قال أبو أمامة الباهلي: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، وهو كثير الحسنات، فلا يزال يقتص منه، حتى تفنى حسناته ثم يُطالب ثم يقول الله ﷿: اقتصوا من عبدي، فتقول الملائكة: ما بقيت له حسنات، فيقول: خذوا من سيئات المظلوم، فاجعلوها عليه».

قال أبو أمامة: ثم **تلا رسول الله** ﷺ: **وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم** .

وقال قتادة في قوله ﷿: **وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم** .

قال: «من دعا إلى ضلالة كُتِب عليه وزرها، ووزر من يعمل ا، ولا يُنقص ذلك منها شيئاً».

قال أبو جعفر: وأهل التفسير، على أن معنى الآية كما قال قتادة، ومثله قوله ﷿: **ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم** [النحل:٢٥].

١١- وقوله ﷿: فأخذهم الطوفانُ وهم ظالمونَ [آية:١٤].

يقال لكل كثير مُطِيف بالجميع، من مطر، أو قتل، أو موت: طوفان.

وقوله ﷿: وتخلُقُونَ إفْكًا.. [آية:١٧]. أي وتنحتون.

والمعنى **على هذا:** إنما تعبدون من دون الله أوثاناً، وأنتم تصنعو ا.

وقال مجاهد: **إفْكًا** أي كذباً.

والمعنى **على هذا:** ويختلقون الكذب.

وقرأ أبو عبد الرحمن وتخلقُونَ إفْكًا والمعنى واحد.

١٢- وقوله ﷿: وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماءِ [آية:٢٢].

=

فَقُلْتُ: ادعِي وأَدعُ فـإن أنـدى لِصـوتٍ أنْ يُنـادي داعِيـان

والمعنى: ادعى أنت، ولأدعُ، وهو من شواهد الطبري ١٣٤/٢٠، والبحر المحيط ١٤٣/٧، ومعاني الفراء ٣١٤/٢، والشاهد في الآية أ ا على معنى الجزاء أي إن تتبعوا سبيلنا، نحمل عنكم أوزاركم.

قال محمد بن يزيد: المعنى: ولا من في السماء، و«من» نكرة، وأنشد غيره:

فمن يهجو رسولَ اللـه منكُم ويمدحـه وينصـره سـواءُ[1]

وقال غير أبي العباس المعنى: وما أنتم بمعجزين في الأرض، ولو كنتم في السماء، وخوطب الناس على ما يعرفون. وهذا أولى، والله أعلم.

١٣- وقوله ﷻ: فما كانَ جواب قومِهِ إلا أن قالُوا اقتُلوه أو حرقُوه فأنجاه الله من النار [آية:٢٤].

المعنى: فحرقوه، فأنجاه الله من النار.

ويروى أنه لم تحرق إلا وثاقه.

١٤- وقوله ﷻ: فآمن له لُوطٌ وقالَ إني مهاجِر إلى ربي [آية:٢٦].

قال الضحاك: إبراهيم هاجر، وهو أول من هاجر.

وقال قتادة: هاجر من كوثى[2] إلى الشام.

١٥- وقوله ﷻ: وآتيناه أجره في الدنيا [آية:٢٧].

روى سفيان عن حميد بن قيس، قال: أمر سعيد بن جبير إنساناً، أن يسأل عكرمة عن قوله تعالى: **وآتيناه أجره في الدنيا** .

فقال عكرمة: أهل الملل كلها تدعيه، وتقول: هو منا، فقال سعيد بن جبير: صدق.

وقال قتادة: هو مثل قوله تعالى: **وآتيناه في الدنيا حسنةً** [النحل:١٢٢].

أي عافية وعملاً صالحاً، وثناء حسناً وذاك أن أهل كل دين يتولونه.

وقيل: **وآتيناه أجره في الدنيا** : إن أكثر الأنبياء من ولده.

١٦- وقوله ﷻ: ولُوطًا إذْ قالَ لقومِهِ إنكُم لتأتونَ الفَاحِشةَ ما سبقَكُم بها من أحدٍ من العالمين [آية:٢٨].

يروى أ م أول من نـزا على الرجال.

١٧- ثم قال ﷻ: أإنكُم لتأتونَ الرجالَ وتقْطَعونَ السبيلَ [آية:٢٩].

استفهام فيه معنى التوبيخ والتقرير.

---

(١) البيت لحسان بن ثابت، وهو في ديوانه، وانظر البحر ١٤٧/٧، والقرطبي ٣٣٧/١٣.

(٢) كوثى: قرية بسواد العراق في أرض بابل، وهي القرية التي طرح ا إبراهيم في النار، كذا في معجم البلدان ٤٨٧/٤.

وقوله ﷻ: **وتقْطَعونَ السبِيلَ** [آية:٢٩].

قيل: كانوا يتلقون الناس من الطرق للفساد.

وقيل: أي تقطعون سبيل الولد.

١٨- ثم قال ﷻ: وتأتونَ فِي نادِيكُم الْمنكَر [آية:٢٩].

قال مجاهد: النادي: ا لمس، والمنكر: فعلهم بالرجال.

قال أبو جعفر: المنكرُ في اللغة: يقع على القول الفاحش، وعلى الفعل.

حدثنا محمد بن إدريس بن الأسود، قال: حدثنا إبراهيم بن مرزوق، قال: حدثنا عبد الله بن بكر، قال: حدثنا حاتم بن أبي صغيرة، عن سماك، عن أبي صالح - مولى أم هانئٍ ابنة أبي طالب - رضي الله عنها - أ ا سألت رسول الله ﷺ قالت: قلتُ: يا رسول الله: أرأيت قول الله ﷻ: **وتأتونَ فِي نادِيكُم الْمنكَر** ما كان ذلك المنكر الذي كانوا يأتونه في ناديهم؟ قال: كانوا يضحكون بأهل الطريق، ويحذفو م.

قال أبو جعفر: فسمى الله ﷻ هذا «منكراً» لأنه لا ينبغي للناس أن يتعاشروا به.

وحدثنا أسامة بن أحمد قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، عن يزيد بن بكير، عن القاسم بن محمد في قوله تعالى: **وتأتونَ فِي نادِيكُم الْمنكَر** قال: كانوا يتفاعلون في مجالسهم، بفعل بعضهم على بعض.

قال أبو جعفر: قالها الشيخ بالضاد والطاء.

١٩- وقوله ﷻ: قَالَ إِن فِيها لُوطًا قَالُوا نحن أعلَم بِمن فِيها [آية:٣٢].

روى أبو نصر، عن عبد الرحمن بن سمرة، قال: قال إبراهيم ﷺ للملائكة: إن كان فيهم مائة يكرهون هذا أُتهلكو م؟ قالوا: لا.

قال: فإن كان فيهم تسعون؟ قالوا: لا.

إلى أن أبلغ إلى عشرين **قَالَ إِن فِيها لُوطًا** قالت الملائكة صلى الله عليهم: **نحن أعلَم بِمن فِيها** قال عبد الرحمن: وكانوا أربعمائة ألف.

٢٠- وقوله ﷻ : ولَما أَن جاءَت رسلُنا لُوطًا سِيءَ بِهِم وضاق بِهِم ذَرعا [آية: ٣٣].

قال قتادة: أي ساء ظنه بقومه، وضاق ذَرعُه بضيفه.

قال أبو جعفر: يقال: ضقت به ذرعاً أي لم أطقه مشتق من الذراع، لأن القوة فيه.

٢١- وقوله ﷻ: ولَقَد تركْنا مِنها آيةً بينةً لقَومٍ يعقِلُون [آية:٣٥].

قال مجاهد: **آيةً بينةً** : أي عِبرةً.

وقال قتادة: هي الحجارة التي أُبقيت.

وقال غيره: يُرجمُ ا قوم من هذه الأمة.

٢٢- ثم **قال** ﷻ: **وإلى مدين أخاهم شعيبا** [آية:٣٦].

قال قتادة: أُرسلَ شعيب ﷺ مرتين إلى أمتين: إلى أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة.

٢٣- **وقوله** ﷻ: **وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم..** [آية:٣٨].

أي وأهلكنا عاداً، وثمود.

وقيل: التقدير: واذكر عاداً وثمود.

٢٤- **وقوله** ﷻ: **وكانوا مستبصرين** [آية:٣٨].

قال مجاهد: أي في الضلالة.

وقال قتادة: أي معجبين بضلالتهم.

وقيل: **وكانوا مستبصرين** أي قد علموا أ م معذبون، وقد فعلوا ما فعلوا.

٢٥- **وقوله** ﷻ: **فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا..** [آية:٤٠].

أي حصباً وهي الحجارة، وهم قوم لوطٍ.

ومنهم من أخذته الصيحةُ [آية:٤٠] هم ثمود، وأهل مدين.

ومنهم من خسفنا به الأرض [آية:٤٠] قارون، وأصحابه.

ومنهم من أغرقنا [آية:٤٠] قوم نوح، وفرعون وأصحابه.

٢٦- ثم **أخبر تعالى أنه** لم **يظلمهم** في **ذلك فقال:** **وما كانَ الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفُسهم يظلمونَ** [آية:٤٠].

٢٧- **وقوله** ﷻ: **مثَلُ الذين اتخذُوا من دون الله أولياءَ كمثَل العنكبوتِ اتخذَت بيتا** [آية:٤١].

قال قتادة: هذا مثل ضربه الله ﷻ، أي إنه لا ينفع لضعفه، كما أن بيت العنكبوت لا ينفع ولا يقي.

٢٨- ثم **قال** ﷻ : **وإن أوهن البيوتِ لبيت العنكبوتِ لو كانوا يعلمونَ** [آية: ٤١].

لو متعلقة بقوله: **مثَلُ الذين اتخذُوا من دون الله أولياءَ كمثَل العنكبوتِ**

[آية: ٤١]. لو كانوا يعلمون أن أولياءهم لا يغنون عنهم شيئاً، وأن هذا مثلهم.

٢٩- وقوله ﷻ : وأقم الصلاةَ إن الصلاةَ تنهى عن الفَحشاءِ والمنكر.. [آية: ٤٥].

روى يونس عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد ا من الله إلا بعداً»[1].

وروى علي بن طلحة عن ابن عباس، قال: في الصلاة منتهى، ومزدجر عن المعاصي.

قال أبو جعفر: قيل معنى هذا: إن العبد مادام في الصلاة، فليس في فحشاء، ولا منكر.

٣٠- ثم **قال** ﷻ: **ولَذِكْرُ الله أكْبر واللهُ يعلم ما تصنعونَ** [آية:٤٥].

روى سفيان عن ابن مسعود، وروى عن سليمان، وسعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله ﷻ: **ولَذِكْرُ الله أكْبر** قالوا: ذكر الله إياكم، أكبر من ذكركم إياه.

زاد ابن عباس: إذا ذكرتموه بعد قوله «إياكم».

٣١- قوله ﷻ: ولا تجادِلُوا أهلَ الكِتابِ إلا بالتِي هِي أحسن إلا الذِين ظلَمُوا مِنهم [آية:٤٦].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: من قاتلك، ولم يعطك الجزية، فقاتله بالسيف.

وروى معمر عن قتادة، قال: هي منسوخة، نسخها **فَاقْتلُوا الْمشركِين حيثُ وجدتموهم** [التوبة:٥]. ولا مجادلة أشد من السيف.

قال أبو جعفر: قول قتادة أولى بالصواب لأن السورة مكية وإنما أمر بالقتال بعـد الهجرة، وأمر بأخذ الجزية بعد ذلك بمدة طويلة، وأيضاً فإنه قال: **وهـم صـاغِرونَ** [التوبة: ٢٩].

٣٢- وقوله ﷻ: وقُولُوا آمنا بالذِي أنزلَ إلينا وأنزلَ إليكُم [آية:٤٦].

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني وابن أبي حاتم مرفوعاً، والصحيح فيه أنه موقوف من قول الصحابي، كما ذكره الحافظ ابن كثير، وفي إسناده مقال، قال ابن عطية: سمعت أبي يقول: إذا نظرنا إلى المعنى فغير جائز أن يقال: إن نفس صلاة العاصي تبعده من الله، حتى كأ ا معصـية، وإنمـا المعنى: أ ا لا تؤثر في تقريبه من الله، بل تتركه على حاله ومعاصيه، من الفحشـاء والمنكـر والبعد، وقيل لابن مسعود: إن فلاناً كثير الصلاة، فقال: إ ا لا تنفع إلا من أطاعها، وبالجملة فإن مرتكب المعاصي لا قيمة لصلاته إذا لم تكفه عن محارم الله اهـ.

روى سفيان عن سعد بن إبراهيم، عن عطاء بن يسار، قال: «كان قوم من اليهود يجلسون مع المسلمين فيحدثونهم، فأخبروا بذلك النبي ﷺ فقال لهم: لا تصدقوهم ولا تكذبوهم ﴿وقُولُوا آمنا بِالذِي أُنزلَ إِلَينا وأُنزلَ إِلَيكُم﴾ إلى آخر الآية»[1].

٣٣- قوله ﷻ: ﴿وما كُنت تتلُو مِن قَبلِهِ مِن كِتابٍ ولا تخطه بِيمِينك﴾ [آية: ٤٨]. وكذا صفته ﷺ في التوراة.

ثم **قال تعالى: ﴿إِذًا لارتاب الْمبطِلُونَ﴾** [آية:٤٨].

قال مجاهد: قريش.

٣٤- ثم قال ﷻ: ﴿بلْ هو آيات بينات فِي صدورِ الذِين أُوتوا الْعِلْم﴾ [آية: ٤٩].

في **معناه ثلاثة أقوال:**

أ - قال الحسن: بل القرآن آيات بينات في صدور المؤمنين.

ب- وقال قتادة: بل النبي ﷺ آية بينة، كذا قرأ قتادة «في صدور الذين أوتوا العلم، من أهل الكتاب».

جـ - وقال الضحاك: كانت صفة النبي ﷺ أنه لا يكتب بيمينه، ولا يتلو كتاباً، فذلك آية بينة.

٣٥- وقوله ﷻ: ﴿أو لم يكْفِهم أنا أنزلْنا علَيك الْكِتاب يتلَى علَيهم﴾ [آية: ٥١].

روى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى **بن جعدة، قال: «أُتى النبي ﷺ بكَتِف** فيها **كتاب، فقال: كفَى بقومٍ حمقاً أو ضلالةً، أن يرغبوا عن نبيهم إلى** نبي **غيره، أو إلى كتاب غير كتابهم» فأنزل الله ﷻ: ﴿أو لم يكْفِهم أنا أنزلْنا علَيك الْكِتاب يتلَى علَيهم﴾** الآية»[2].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام ١٣٦/٩، وكتاب التفسير ٢٥/٦ ولفظه: عن أبي هريرة قال: (كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ﴿وقُولُوا آمنا بِالذِي أُنزلَ إِلَينا وأُنزلَ إِلَيكُم..﴾ الآية».

(٢) الحديث أخرجه الدارمي في مسنده، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن يحيى بن جعدة، ولفظه: «جاء ناس من المسلمين بكتف، قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود، فقال رسول الله ﷺ =

٣٦- وقوله ﷻ: يا عِبادِي الذِين آمنوا إِن أرضِي واسِعةٌ فإِياي فاعبدون [آية: ٥٦].

قال سعيد بن جبير: إذا أُمرتم بالمعاصي فاهربوا.

وقال عطاء: إذا رأيتم المعاصي فاهربوا.

وقال مجاهد: هاجروا واعتزلوا الأوثان.

قال أبو جعفر: القولان يرجعان إلى شيء واحد، فقول مجاهد أ م أُمروا بالهجرة، ومجانبة أصحاب الأوثان، وقال العلماء: كذلك إذا لم يقدر أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، خرج وكان حكمه حكم أولئك.

وقيل: أي إن أرض الجنة واسعة فاعبدوني حتى أعطيكموها.

٣٧- وقوله ﷻ: والذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ لنبوئنهم من الْجنةِ غُرفًا [آية: ٥٨]. أي لُننـزلنهم.

ومعنى **لنبوئنهم**[(١)]: لنعطينهم منازل يثوون فيها، يقال: ثوى: إذا أقام.

٣٨- وقوله ﷻ: وكأين من دابةٍ لا تحمِلُ رِزقَها [آية:٦٠].

قال مجاهد: الطير والبهائم لا تحمل رزقها.

وروى الحميدي عن سفيان: لا تحمِلُ لا تُخبئُ، قال: وليس شيء يدخر إلا الإنسان، والنملة، والفأرة.

قال أبو جعفر: دابةٍ تقع لكل الحيوان، مما يعقل ولا يعقل، إلا أن معناه هاهنا: الخصوص، أي وكم من دابة عاجزة، الله يرزقها وإياكم.

٣٩- وقوله ﷻ: وإن الدار الآخِرةَ لَهي الْحيوانُ [آية:٦٤].

=

كفى بقوم حمقاً أو ضلالة، أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم، إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم» فنـزلت أو لم يكْفِهِم أنا أنـزلْنا علَيك الْكِتاب يُتلَى عليهم الآيـة» وانظـر القـرطبي ٣٥٥/١٣ وقال القرطبي: وفي مثله قال ﷺ: «لو كان موسى بن عمران حياً، لما وسِـعه إلا اتباعي» .

(١) هذا التفسير على قراءة من قرأ بالثاء لنثوينهم وهي قراءة الأعمش. وحمـزة والكسـائي ذكرها القرطبي ٣٥٩/١٣، وهي من القراءات السبع، انظر النشر ٣٤٤/٢، والسـبعة لابـن مجاهد ص٥٠٢.

قال مجاهد: لا موت فيها.

وقال قتادة: الحيوان: الحياة.

قال أبو جعفر: يقال: حيوان، وحياة، وحي، كما قال:

وقد ترى إذ الحَياةُ حِي[1]

٤٠- وقوله ﷻ: فَإِذَا ركِبوا فِي الفُلْكِ دعوا الله مخلِصِين له الدين [آية: ٦٥].

أي فإذا أصابتهم شدة، دعوا الله وحده، وتركوا ما يعبدون من دونه.

وقوله ﷻ: فَلما نجاهم إلى البر إذَا هم يشركُونَ [آية:٦٥].

أي يدعون معه غيره.

٤١- وقوله ﷻ: لِيكْفُرُوا بِما آتيناهم وليتمتعوا فَسوف يعلَمونَ [آية:٦٦].

وليتمتعوا على التهديد، وكسر اللام.

٤٢- وقوله ﷻ: والذِين جاهدوا فِينا لَنهدِينهم سبلَنا [آية:٦٩].

أي لنـزيدنهم هدى.

٤٣- ثم **أخبرنا** ﷻ **أنه ينصرهم فقال: وإن الله لَمع المحسِنِين** [آية:٦٩].

«تمت سورة العنكبوت»

❁ ❁ ❁

---

(١) هذا الرجز للعجاج، وهو في ديوانه ص٦٧ واللسـان، ومجـاز القـرآن ١١٧/٢ والقـرطبي ٣٦٢/١٣ وشواهد المغني ص١٨.

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيمِ

سورة الروم وهي مكية

١ - من ذلك قوله ﷻ: الم * **غُلِبتِ الروم * فِي أدنى الأرض** [الآيات: ١- ٣].

قال مجاهد: هي الجزيرة كانت أقرب أرض الروم إلى فارس.

حدثنا محمد بن سلمة الأسواني، قال: حدثنا محمد بن سنجر، قال: حدثنا معاوية ابن عمرو، قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قول الله ﷻ: **الم * غُلِبتِ الروم** قال: كان المشركون يحبون أن تظهر «فارس» على «الروم» لأ م أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر «الروم» على «فارس» لأ م أهل الكتاب، فذُكر لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أما إ م سيغلبون، قال: فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل أجلاً خمس سنين، فلم يظهروا، فذُكر ذلك للنبي ﷺ فقال: ألا جعلتها إلى دون؟ -أراه قال: دون العشر- قال سعيد: والبضع ما دون العشر.

ثم ظهرت الروم بعد ذلك، فذلك قوله ﷻ: **الم * غُلِبتِ الروم * فِي أدنى الأرض** إلى قوله **ويومئذٍ يفْرح الْمؤمِنونَ** [آية: ٤].

قال الشعبي: وكان القمار ذلك الوقت حلالاً، قال: وقال النبي ﷺ لأبي بكر: كم البضع؟ قال: ما بين الثلاث إلى التسع.

وقرأ عبد الله بن عمر **غَلِبتِ الروم** بفتح الغين واللام، وقال: غلبت على أدنى ريف[1].

قال أبو جعفر: المعنى على قراءة من قرأ **غُلِبتِ الروم وهم مِن بعد غَلَبِهم سيغلِبونَ** الروم من بعد غلبهم أي من بعد أن غُلبوا سيغلبون.

(١) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر ١٦١/٧، قال قرأ ابن عمر والحسن: غَلَبتِ الـرومُ مبنيا للفاعل، والجمهور مبنيا للمفعول، وقال الطبري: عامة قراء الأمصار غُلِبتِ الـرومُ بضم الغين بمعنى أن فارس غلبت الروم، وقرأ ابن عمر غَلبتِ الرومُ فقيل: على أي شـيء غلبوا؟ قال: على ريف الشام.

ومن قرأ **سيغلِبونَ** فالمعنى عنده: وفارس من بعد غَلَبهم، أي من بعد أن غَلَبوا، سيُغلبون.

٢- وقوله ﷻ: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ﴾ [آية:٤].

البضع عن قتادة: أكثر من الثلاث، ودون العشر.

وعند الأخفش والفراء: ما دون العشر.

وعند أبي عبيدة: ما بين ثلاث وخمس.

وحكى أبو زيد: بضع وهو مشتق من قولهم: بضعه إذا قطعه، ومنه: بضعة من لحم، ومنه: هو يملك بُضع المرأة، إنما هو كناية عن عضوها.

وفي **رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾** [آية: ٣]. قال يقول: في طرف الشام.

قال أبو جعفر: التقدير في أدنى الأرض من فارس.

٣- ثم **قال ﷻ: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾** [آية:٤].

قال محمد بن يزيد: إذا قلت **﴿مِن قَبْلُ﴾** و **﴿وَمِن بَعْدُ﴾** فمعناه من قبل ما تعلم، ومن بعد ما تعلم، ومن قبل كل شيء، ومن بعد كل شيء.

قال أبو جعفر: المعنى لله القضاء بالغَلَبة، من قبل الغلبة، ومن بعدها.

٤- ثم **قال ﷻ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ﴾** [آية:٤-٥].

أي يفرحون بنصر الله الروم، لأنهم أهل كتاب، على فارس وهم مجوس، ويفرحون بالآية العظيمة، التي لا يعلمها إلا الله ﷻ، لأنه خبرهم بما سيكون.

٥- وقوله ﷻ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [آية: ٧].

قال عكرمة وإبراهيم: أي يعلمون أمر معايشهم، ومصلحة دنياهم.

٦- وقوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [آية:٨].

أي إلا لإقامة الحق.

٧- وقوله ﷻ: ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [آية ٩].

﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ أي حرثوها وزرعوها، وليس بمكة حرث ولا زرع.

وقال تعالى: ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ [البقرة:٧١].

٨- وقوله ﷻ: ثُم كَانَ عاقِبةَ الذِين أساءُوا السوأى [آية: ١٠].

وقرأ الأعمش: ثُم كَانَ عاقِبةَ الذِين أساءُوا السوءُ برفع السوء.

قال أبو جعفر: السوءُ: أشد الشر، والسوءَ أي الفُعلى منه.

وقيل: **السوءَى** هاهنا: النار، كما أن الحسنى: الجنة.

ومعنى **أساءُوا** هاهنا: أشركوا، يدل على ذلك قوله تعالى: **أن كَذبوا بِآياتِ الله** .

قال الكسائي: أي لأن كذبوا بآيات الله.

٩- وقوله ﷻ: ويوم تقُوم الساعةُ يبلِس الْمجرِمونَ [آية:١٢].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: يكْتِئِبون.

وروى أبو يحيى عن مجاهد قال: الإبلاسُ: الفضيحةُ.

قال أبو جعفر: يقال: أبلس الرجل: إذا تحير، وحزن، وانقطعت حجته فلم يهتد لها، ويئس من الخير، كما قال:

«قالَ نعم أعرِفُه وأبلَسا»(١)

١٠- وقوله ﷻ : فَأما الذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ فَهم فِي روضةٍ يحبرونَ [آية: ١٥].

قال مجاهد: يحبرونَ أي ينعمون.

قال أبو جعفر: حقيقته أ م تتبين عليهم أثر النعمة.

من ذلك الحَبرُ، وعلى أسنانه حبرة.

وروى الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير **فِي روضةٍ يحبرونَ** قال: السماع في الجنة.

١١- وقوله ﷻ: فَسبحانَ الله حِين تمسونَ وحِين تصبِحونَ [آية:١٧].

قال ابن عباس: الصلوات الخمس في كتاب الله ﷻ، وتلا الآية **فَسبحانَ الله حِين تمسونَ** قال: المغرب والعشاء **وحِين تصبِحونَ** قال: الفجر **وعشِياً** العصر **وحِين تظْهرونَ** [آية:١٨] الظهر.

١٢- وقوله ﷻ: **يخرِج الْحي مِن الْميتِ ويخرِج الْميت مِن الْحي ويحيِي الأَرض بعد موتِها وكَذَلِك تخرجونَ** [آية: ١٩].

---

(١) هذا الرجز للعجاج، وهو في ديوانه ص ١٣، ومعاني القـرآن للفـراء ٣٢٣/٢، والطـبري ٢٦/٢١.

في **معناه أقوال:**

قال عبد الله بن مسعود: أي يخرج النطفة من الرجل، والرجل من النطفة.

قال الضحاك: وكذلك البيضة.

وقال سلمان(١)**:** يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، وكذلك قال الحسن.

وقيل: يميت الحي، ويحيي الميت.

ويحيِي الأَرض بعد موتها وكَذَلِك تخرجونَ .

أي كما يحي الأرض بالنبات.

١٣- وقوله ﷻ: **ومِن آياتِهِ أَنْ خلَقَكُم من ترابٍ** [آية:٢٠].

المعنى: أن خلق أصلكم، وهو «آدم» ﵇، كما قال تعالى : **واسأَل الْقَريةَ** [يوسف: ٨٢]. **ويجوز** أن يكون الماء مخلوقاً من تراب.

١٤- وقوله ﷻ: **ومِن آياتِهِ أَنْ خلَق لَكُم من أَنفُسِكُم أَزواجا لتسكُنوا ِإلَيها** [آية: ٢١]. **فيه قولان:**

أحدهما: أن حواء خُلقت من آدم.

والآخر: أن المعنى: خلق لكم من جنسكم أزواجاً، لأن الإنسان بجنسه آنس، وإليه أسكن، ومثله قوله ﷻ: **هو الذِي خلَقَكُم من نفْسٍ واحِدةٍ وجعلَ ِمنها زوجها ِليسكُن ِإلَيها** [الأعراف: ١٨٩].

في **معناه القولان جميعاً.**

أي جعل من جنسها زوجها، ودل هذا على الجنسين جميعاً، ويكون الضمير في قوله تعالى: **جعلا لَه شركَاءَ ِفيما آتاهما** [الأعراف:١٩٠]. يعود على الجنسين، والضمير في قوله **يشرِكُونَ** يعود على الجنسين لأ ما جماعة.

١٥- وقوله ﷻ **: وجعلَ بينكُم مودةً ورحمةً ِإن ِفي ذَلك لَآياتٍ لقَومٍ يتفَكَّرونَ** [آية:٢١].

قال مجاهد: المودة: الجماع، والرحمة: الولد.

وقيل: المودة والرحمة: عطف قلوب بعضهم على بعض.

---

(١) انظر القرطبي ٥٦/٤.

والمعنى: ومن آياته التي تدل على وحدانيته، وأنه لا شريك له ولا نظير.

١٦- وقوله ﷻ: ﴿إِن فِي ذَلِك لآياتٍ للْعالِمِين﴾ [آية:٢٢].

﴿للْعالَمِين﴾ **أي للجن والإنس.** وحكي ﴿لِلْعالِمِين﴾ [١] وهو حسن.

١٧- وقوله ﷻ: ﴿وِمن آياتِهِ يرِيكُم الْبرق خوفًا وطَمعا﴾ [آية:٢٤].

والمعنى: ويريكم البرق من آياته، وعطفت جملة على جملة.

ويجوز أن يكون المعنى: ومن آياته آية يريكم بها البرق، كما قال الشاعر:

وما الدهر إلا تارتـان فمنـهما أموت وأخرى أبتغِي العيش أكْدح[٢]

والخوف للمسافر، والطمع للمقيم.

١٨- وقوله ﷻ: ﴿وِمن آياتِهِ أن تقُوم السماءُ والأرض بِأمرِهِ﴾ [آية:٢٥].

أي أن تدوما قائمتين.

١٩- وقوله ﷻ: ﴿ولَه من فِي السماواتِ والأرضِ كُل له قَانِتونَ﴾ [آية:٢٦].

وهذا أيضاً من آياته، وحذف لأن في الكلام دليلاً عليه. والقانت: القائم بالطاعة. والقيام هاهنا: الانقياد لله ﷻ على ما حب العبادُ أو كرهوا.

٢٠- وقوله ﷻ: ﴿وهو الذِي يبدأ الْخلْق ثُم يعِيده وهو أهونُ عليهِ﴾ [آية:٢٧].

في **معناه ثلاثة أقوال:**

أ - في رواية صالح عن ابن عباس ﴿**وهو أهونُ عليهِ**﴾ وهو أهون على المخلوق، لأنه ابتدأ خلقه من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، والإعادة بأن يقول له: ﴿**كُن فَيكُونُ**﴾ [يس: ٨٢]. فذلك أهون على المخلوق.

ب- وقال مجاهد: الإعادة أهون عليه من البدأة، وكل عليه هين.

والمعنى على هذا: وهو أهون عليه عندكم، وفيما تعرفون، على التمثيل، وبعده ﴿**ولَه الْمثَلُ الأعلَى**﴾ [آية:٢٧].

---

(١) للعالمين بكسر اللام جمع عالِم، وهي قراءة حفص عن عاصم، وقرأ الباقون ﴿لِلعـالمين﴾ بنصب اللام، وكلا القراءتين من السبع، وانظر السبعة في القراءات ٥٠٧/٢.

(٢) البيت لتميم بن أبي مقبل، كما في شواهد سيبويه ص ٧٦، وخزانة الأدب ٣٠٨/٢، ومعاني القرآن للفراء ٣٢٣/٢.

جـ - وقال قتادة: وهوَ هين عليهِ [1] أي هين، وهذا قول حسن، ومنه: الله أكبر أي كبير، ومنه قول الشاعر:

لعمرك ما أدري وإنّـي لأوجـلُ   على أيّنـا تعـدو المنيـةُ أولُ[2]

وقول الآخر:

إن الذي سمك السماءَ بنى لنـا   بيتاً دعائمـه أعـز وأطـولُ[3]

وروى معمر عن قتادة قال: في قراءة عبد الله بن مسعود **وهو أهونُ عليهِ** .

٢١- ثم قال ﷻ: **وله المثَلُ الأعلى في السماواتِ والأرض** [آية:٢٧].

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: يقول: **ليس كمِثْلِهِ شيءٌ** .

وقيل: يعني: لا إله إلا الله.

وحقيقته في اللغة: وله الوصف الأعلى.

٢٢- وقوله ﷻ: **ضرب لكُم مثَلاً من أنفُسِكُم** [آية:٢٨].

قال قتادة: هذا مثل ضربه الله ﷻ للمشركين، فقال **هل لكُم من ما ملكَت أيمانكُم من شركاءَ في ما رزقْناكُم فأنتم فيهِ سواءٌ** [آية: ٢٨]. أي هل يرضى أحدكم، أن يكون مملوكه في ماله ونفسه مثله، فإذا لم ترضوا بهذا، فكيف جعلتم لله ﷻ شريكاً؟

قال أبو جعفر: هذا قول حسن، أي هل يرضى أحدكم أن يجعل مملوكه مثل نفسه؟ أي مثل شريكه الحر، الذي لا يقطع أمراً دونه؟ كما قال تعالى: **ولا تلْمِزوا أنفُسكُم** [الحجرات:١١]. أي لا يعب بعضكم بعضاً.

وكذا قوله تعالى: كخِيفَتِكُم أنفُسكُم [آية:٢٨]. وكما قال ﷻ : **لولا إذْ سمِعتموه ظَن المؤمِنونَ والمؤمِنات بِأنفُسِهم خيرا** [النور:١٢].

وكما قال تعالى: **فاقْتلُوا أنفُسكُم** [البقرة:٥٤].

وقيل: كما يخاف من قبلكم إنفاقها.

أي فأنتم لا تجعلون مماليككم مثلكم، وأنتم كلكم أرقاء لله ﷻ، فكيف تجعلون لله

(١) ذكر هذه القراءة ابن الجوزي في زاد المسير ٢٩٨/٦ وذكر أنها قراءة أبي بن كعب، وهي ليست من القراءات السبع، بل هي شاذة لمخالفتها للمصحف الإمام.

(٢) البيت لمعن بن أوس المزني، كما في ذيل الأمالي ص٢١٨، وخزانة الأدب ٥٠٥/٣.

(٣) البيت للفرزذق، وهو في ديوانه ص ٧١٤، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٢١/٢.

ﷻ شريكاً، وليس كمثله شيء؟

٢٣- وقوله ﷻ: ﴿فَأَقِم وجهك لِلدين حنِيفًا فِطْرت الله الِتي فَطَر الناس علَيها﴾ [آية: ٣٠].

الفطرة: ابتداء الخلق ومنه: ﴿**فَاطِر السمواتِ**﴾ ومنه: فطر ناب البعير، ومنه: فطرت البئر أي ابتدأت حفرها.

أي ابتدأ خلقهم، على أنهم يعلمون أن لهم خالقاً ومُدبراً.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه**»[1].

قال الأوزاعي وحماد بن سلمة: هذا مثل قوله تعالى: ﴿**وإِذْ أَخذَ ربك مِن بنِي آدم مِن ظُهورِهِم ذُريتهم**﴾ [الأعراف: ١٧٢].

والمعنى على هذا: كل مولود يولد على العهد الذي أخذ عليه.

وفي الحديث: «**أخرجهم أمثال الذر، فأخذ عليهم العهد**».

فكل مولود يولد على ذلك العهد، وإن نسب عبادته إلى غير الله ﷻ، أو ووصفه بغير صفته، حتى يكون أبواه يعلمانه اليهودية والنصرانية.

وقيل: على الخلقة التي تعرفونها، لا تميز شيئاً.

وقال عبد الله بن المبارك: هذا لمن يكون مسلماً. يذهب إلى أنه مخصوص.

وقال محمد بن الحسن: هذا من قبل أن تنـزل الفرائض، ويؤمر بالجهاد.

قال أبو جعفر: وأولاها القول الأول، وهو قول أهل السنة، وهو موافق لِلغة:

ولا يجوز أن يكون منسوخاً لأنه خبر، ولا يكون خاصاً، وإنما أشكل معنى الحديث، لأنهم تأولوا «الفطرة» على الإسلام، وإنما هي ابتداء الخلق.

٢٤- وقوله ﷻ: ﴿منِيبِين إِلَيهِ واتقُوه وأَقِيموا الصلاةَ ولا تكُونوا مِن الْمشرِكِين﴾ [آية: ٣١].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير ١٤٣/٦ بلفظ: (ما من مولود إلا يولـد علـى الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم ﴿فَطَر الناس علَيها لاَ تبدِيلَ لِخلْقِ الله﴾ الآيـة. ورواه مسلم في القدر ٥٣/٨ وأحمد في المسند ٤٣٥/٣ بنحوه.

منيبين إليه أي راجعين إليه بالطاعة.

والمعنى: فأقيموا وجوهكم منيبين إليه.

ومعنى **كل حزب بما لديهم فرحون** [آية:٣٢].

كل يقول إني على الهدى.

٢٥- ثم **قال** ﷻ: **وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه** [آية:٣٣].

أي لم يلتجئوا إلا إليه، وتركوا ما كانوا يعبدون من دونه.

٢٦- ثم **قال** ﷻ: **ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون** [آية:٣٤].

فخرج من الإخبار إلى المخاطبة، وهذا على التهديد والوعيد، كما قال ﷻ: **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** [الكهف:٢٩].

٢٧- ثم **قال** ﷻ: **أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون** [آية: ٣٥].

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: «كل سلطان في القرآن فهو عذر وحُجّة».

قال أبو جعفر: المعنى: أم أنزلنا عليهم كتاباً فيه عذر، أو حجة، أو برهان، يدلهم على الشرك؟

٢٨- ثم **قال** ﷻ: **وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها** [آية:٣٦].

أي نعمة فرحوا بها.

وإن تصبهم سيئة [آية:٣٦] أي وإن تصبهم مصيبة.

٢٩- **وقوله** ﷻ: **فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل** [آية:٣٨].

قال قتادة: إذا لم تعط ذا قرابتك، وتمشي إليه برجليك، فقد قطعته.

٣٠- **وقوله** ﷻ: **وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله** [آية:٣٩].

قال مجاهد وابن عباس: هو الرجل يُهدي إلى الرجل الهدية، فيطلب ما هو أفضل منها، فليس له أجر، ولا عليه إثم.

قال عكرمة: الربا ربوان: فرباً حلالٌ، ورباً حرام، فأما الحلال فأن يعطي الرجل الآخر شيئاً ليُعطيه أكثر منه، فلا يربو عند الله، والحرام في النسيئة.

وقال إبراهيم: كان هذا في الجاهلية، يُعطي الرجل ذا قرابته المال، ليكثر عنده، فلا

يربو عند الله.

٣١- ثم قال ﷻ: وما آتيتم من زكاةٍ تريدونَ وجه الله فأولئك هم المضعِفُونَ [آية: ٣٩].

قال ابن عباس: من زكاةٍ أي من صدقة.

ثم **قال: فأولئك هم المضعِفُونَ** أي الذين يجدون أضعاف ذلك، أي ذوو الإضعاف، كما تقول: رجل مقو أي ذو قوة.

٣٢- وقوله ﷻ : ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس [آية: ٤١].

قال مجاهد: في البر قتل ابن آدم أخاه **والبحر** أخذ السفينة غصباً.

وقال عكرمة وقتادة: البر: البوادي، والبحر: القُرى.

قال قتادة: والفساد: الشرك.

قال أبو جعفر: والتقدير على هذا: وفي مواضع البحر، أي التي على البحر.

وأحسن ما قيل في **هذه الآية - والله أعلم - قول ابن عباس** حدثنا بكر بن سهل، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس **ظهر الفساد في البر والبحر** .

يقول: نقصان البركة بأعمال العباد، كي يتوبوا.

والمعنى على هذا: ظهر الجدب في البر والبحر، بذنوب الناس.

٣٣- وقوله ﷻ: فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذٍ يصدعونَ [آية:٤٣].

أي اجعل قصدك إلى الدّين القيم، من قبل أن يأتي يوم القيامة، فلا ينفع نفساً إيما ا، لم تكن آمنت من قبل.

ومعنى **يصدعونَ** يتفرقون، فريقاً في الجنة، وفريقاً في السعير.

٣٤- وقوله ﷻ: ومن عمِلَ صالحا فلأنفُسِهم يمهدونَ [آية:٤٤].

روى ابن أبي نجيح **عن مجاهد، قال: فلأنفُسِهم يمهدونَ** : في القبر.

قال أبو جعفر: معنى **يمهدونَ** في اللغة: يوطئُون لأنفسهم بعمل الخير، من المهاد، وهو الفراش.

٣٥- وقوله ﷻ: ويجعلُه كِسفًا فترى الودق يخرج من خِلالِهِ [آية:٤٨].

ويجعله كِسفًا جمع كسفة وهي القطعة.

فترى الودق قال مجاهد: أي القطر: **يخرج مِن خِلالِهِ** أي من بين السحاب.

٣٦- وقوله ﷻ: وإن كانوا مِن قبل أن ينـزلَ عليهم من قبلِهِ لمبلِسِين [آية: ٤٩].

في **تكرير قبل هاهنا ثلاثة أقوال:**

أ- قال الأخفش سعيد: هذا على التوكيد، وأكثر النحويين على هذا القول.

ب- وقال قطرب: أي وإن كانوا من قبل التنـزيل، من قبل المطر.

جـ- والقول الثالث عندي أحسنها، وهو أن يكون المعنى: من قبل السحاب، أي: من قبل رؤية السحاب، ليائسين، وقد تقدم ذكر السحاب.

٣٧- وقوله ﷻ: فانظُر إلى آثارِ رحمةِ الله كيف يحيِي الأرض بعد موتِها [آية:٥٠].

رحمة الله أي المطر الذي هو من رحمة الله **كيف يحيِي الأرض بعد موتِها**.

وقرأ محمد **اليماني: كيف تحْيي الأرض بعد موتِها**.

والمعنى على قراءته: كيف تحيي الرحمة الأرض، أو الآثار.

و **يحيِي** بالياء، أي يحيي الله، أو المطر، أو الأثر، فيمن قرأ هكذا.

٣٨- وقوله ﷻ: ولئِن أرسلْنا رِيحًا فرأوه مصفرًا لظلُّوا مِن بعدِهِ يكْفُرُونَ [آية: ٥١].

قال النحويون: فرأوه مصفرًا أي فرأوا النبات مصفراً، وحقيقته فرأوا الأثر مُصفراً **لظلُّوا مِن بعدِهِ يكْفُرُونَ** أي ليظلن، هذا قول الخليل.

قال أبو جعفر: وهذا يقع في حروف المجازاة.

٣٩- ثم **قال ﷻ: فإِنك لا تسمِع الموتى ولا تسمِع الصم الدعاءَ إِذا ولوا مدبِرين** [آية:٥٢]. أي إنهم بمنـزلة الموتى، والصم، لأنهم لا يقْبلون، لمعاندتهم.

٤٠- وقوله ﷻ: إِن تسمِع إِلا من يؤمِن بِآياتِنا فهم مسلِمونَ [آية:٥٣].

أي ما تسمع إلا من كان قابلاً، غير معاند.

٤١- وقوله ﷻ: الله الذِي خلقَكُم من ضعفٍ ثُم جعلَ مِن بعدِ ضعفٍ قُوةٍ [آية:٥٤].

خلقَكُم من ضعفٍ أي من المنيّ.

أي خلقكم في حال ضعف.

ثُم جعلَ مِن بعدِ ضعفٍ قُوةٍ أي الشباب.

٤٢- وقوله ﷻ: ويوم تقُوم الساعةُ يقْسِم الْمجرمونَ ما لَبِثُوا غَير ساعةٍ [آية:٥٥]. أي يحلفون ما لبثوا في القبور، إلا ساعة واحدة.

٤٣- ثم **قال تعالى: كَذَلِك كَانوا يؤفَكُونَ** [آية:٥٥].

أي كذلك كانوا يكذبون في الدنيا.

يقال: أَفِك الرجل: إذا صرف عن الصدق والخير، وأرض مأفوكة: ممنوعة من المطر.

٤٤- وقوله ﷻ: وقَالَ الذِين أُوتوا الْعِلْم والإِيمانَ لَقَد لَبِثْتم فِي كِتابِ اللهِ إِلَى يومِ الْبعثِ [آية:٥٦].

قيل: المعنى: في خبر كتاب الله، أنكم لبثتم في قبوركم إلى يوم القيامة.

وقيل: في الكلام تقديم وتأخير.

والمعنى: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله: لقد لبثتم إلى يوم البعث.

٤٥- وقوله ﷻ: فَاصبِر إِن وعد الله حق ولاَ يستخِفنك الذِين لاَ يوقِنونَ [آية:٦٠].

ولاَ يستخِفنك أي لا يستفزنك **الذِين لاَ يوقِنونَ** أي الشاكون.

«انتهت سورة الروم»

۞ ۞ ۞

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة لقمان وهي مكية

قال عبد الله بن عباس هي مكية، إلا ثلاث آيات منها، فإ ن نـزلن بالمدينة، وهن قوله ﷻ:

ولو أنما في الأرض من شجرةٍ أقْلام [آية:٢٧]. إلى تمام الآيات الثلاث.

١ - من ذلك قوله ﷻ: ومن الناس من يشتري لهو الحديث [آية:٦].

روى سعيد بن جبير عن أبي **الصهباء البكري**[1] **قال:** سئل عبد الله بن مسعود عن قوله ﷻ: **ومن الناس من يشتري لهو الحديث** .

فقال: الغناء، والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات.

وبغير هذا الإسناد عنه: «والغناء ينبت في القلب النفاق».

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الرجل يشتري الجارية المغنية، تغنيه ليلاً أو نهاراً.

وروي عن ابن عمر هو: الغناء.

وكذلك قال عكرمة، وميمون بن مهران، ومكحول.

وروى علي بن الحكم عن الضحاك: ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال: الشرك.

وروى جويبر: عنه قال: الغناء مهلكة للمال، مسخطة للرب، مقساة للقلب.

وسئل القاسم بن محمد عنه فقال: الغناء باطل، والباطل في النار.

قال أبو جعفر: وأبين ما قيل في الآية ما رواه عبد الكريم عن مجاهد، قال: الغناء، وكل لعب: لهو.

قال أبو جعفر: فالمعنى: ما يلهيه من الغناء، وغيره، مما يُلهي.

وقد قال معمر: بلغني أن هذه الآية، نـزلت في رجلٍ من بني عدي، يعني النضر ابن الحارث كان يشتري الكتب التي فيها أخبار فارس والروم ويقول: محمد يحدثكم عن

---

(١) صهيب أبو الصهباء البكري البصري مولى ابن عباس، قال أبو زرعة: ثقة وذكره ابن حيان في الثقات، له ذكر في صحيح مسلم، وضعفه النسائي، انظر التهذيب ٤٣٩/٤.

عاد وثمود، وأنا أحدثكم عن فارس والروم ويستهزئ بالقرآن إذا سمعه.

٢- وقوله ﷻ: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [آية:٦].

أي لُيضل غيره، وإذا أضل غيره، فقد ضل.

و«ليضل» هو، أي يئول أمره إلى هذا، كما قال: ﴿**رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ**﴾ [يونس: ٨٨].

٣- وقوله ﷻ: ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [آية:٧].

قال مجاهد: ﴿وَقْرًا﴾ أي ثقلاً.

٤- وقوله ﷻ: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [آية: ١٠].

يجوز أن تكون ﴿**تَرَوْنَهَا**﴾ بمعنى ترونها بغير عمد.

ويجوز أن تكون نعتاً، على قول من قال: هي بعمدٍ ولكن لا يرونها.

قال أبو جعفر: والقولان يرجعان إلى معنى واحد، لأن من قال: إنها بعمدٍ، إنما يريد بالعمد قدرة الله ﷻ، التي يمسك بها السموات والأرض.

٥- ثم **قال ﷻ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾** [آية: ١٠].

أي جبالاً ثابتة، وقد رسا: أي ثبت.

﴿**أَن تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ أي كراهة أن تميد بكم.

يقال: ماد يميد، إذا اشتدت حركته.

٦- وقوله ﷻ: ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [آية:١١].

﴿**هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ**﴾ يعني ما ذكر من خلق السموات وغيرها.

﴿**فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ**﴾ أي مما تعبدونه.

٧- ثم **أعلم أنهم** في **ضلال فقال سبحانه: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾** [آية: ١١].

٨- ثم **قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾** [آية:١٢].

روى سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: كان لقمان من سودان مصر.

وقال غيره: كان في وقت داود النبي ﷺ.

قال وهب بن منبه: قرأتُ من حكمته أرجح من عشرة آلاف باب.

قال مجاهد: الحكمة التي أوتيها: العقلُ، والفقهُ، والصوابُ في الكلام من غير نبوة.

قال زيد بن أسلم: الحكمة: العقل في دين الله ﷻ، ويقال: إن ابنه اسمه ثاران.

٩- وقوله ﷻ: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم [آية:١٣].

قال الأصمعي: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

قال أبو جعفر: المشرك نسب نعمة الله ﷻ إلى غيره، لأن الله ﷻ الرزاق، والمحيي، والمميت، وقال: هو ظالم لنفسه.

١٠- ثم **قال** ﷻ **: ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن** [آية:١٤].

وقرأ عيسى وهناً على وهن .

قال الضحاك: الوهن: الضعف.

وكذلك هو في **اللغة:** يقال: وهن يُهنُ، ووهن يوهنُ، ووهن يهنُ، مثل ورِم يرمُ: إذا ضعُف، يعني ضعف الحَمل، وضعف الطلق، وضعف النفاس.

١١- ثم **قال** ﷻ**: وفصاله في عامين أن اشكُر لي ولوالديك** [آية:١٤].

وفصاله في عامين أي فطامه في عامين.

أن اشكُر لي ولوالديك على التقديم والتأخير، والمعنى: ووصينا الإنسان أن أشكر لي ولوالديك.

١٢- ثم **قال** ﷻ**: وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما** [آية:١٥].

يروى أ ا نزلت في «**سعد بن** أبي **وقاص**».

١٣- ثم **قال** ﷻ**: وصاحبهما في الدنيا معروفًا** [آية:١٥].

أي مصاحباً معروفاً، يقال: صاحبته مصاحبة، ومصاحباً، و **معروفًا** أي ما يحسن.

١٤- ثم **رجع** إلى **الإخبار عن لقمان فقال: يا بني إنها إن تك مثقالَ حبةٍ من خردلٍ فتكن في صخرةٍ أو في السماواتِ أو في الأرض يأتِ بها الله** [آية:١٦].

وهذا على التمثيل، كما قال سبحانه : **فمن يعملْ مثقالَ ذرةٍ خيرا يره** [الزلزلة: ٧].

قال سفيان: بلغني أ ا الصخرة التي عليها الأرضون.

وروي أن ابن لقمان سأله عن حبة وقعت في مقْل البحر - أي في مغاصه - فأجابه ذا.

قال أبو مالك: **يأتِ بِها الله** أي يعلمها الله.

١٥- ثم **قال** ﷻ: **إِن الله لَطِيف خَبِير** [آية:١٦].

قال أبو العالية: أي لطيف باستخراجها، خبير بمكا ا.

١٦- وقوله ﷻ: **ولا تصعر خدكَ لِلناس** [آية:١٨].

وقرأ الجحدري: **ولا تصعر** ويقرأ **ولا تصاعِر** .

قال الحسن، وقتادة، والضحاك، في قوله تعالى: **ولا تصعر** : الإعراض عن الناس.

قال قتادة: لا تتكبر فتعرض.

وقال إبراهيم: هو التشدق.

قال أبو الجوزاء: يقول بوجهه هكذا، ازدراءً بالناس.

قال أبو جعفر: أصل هذا من الصعر، وهو داء يأخذ الإبل، تلوي منها أعناقها، فقيل هذا للمتكبر، لأنه يلوي عنقه تكبراً.

و **ولا تصعر** على التكثير و **تصعِر** تلزم نفسك ذا، لأنه يفعله ولا داء به.

و **تصاعِر** أي تعارض بوجهك.

١٧- ثم **قال** ﷻ: **ولا تمش فِي الأرض مرحا** [آية:١٨].

أي متبختراً، متكبراً.

١٨- وقوله ﷻ: **واقْصِد فِي مشيِك واغْضض مِن صوتك** [آية:١٩].

واقْصِد فِي مشيِك أي يكون متوسطاً.

روى حيوة بن شريح عن يزيد بن أبي حبيب **واقْصِد فِي مشيِك** قال: من السرعة.

ثم **قال:** **واغْضض مِن صوتك** [آية:١٩].

أي انقص منه، وقد غض بصره، ومنه فلان يغض من الناس.

١٩- ثم **قال تعالى:** **إِن أنكَر الأصواتِ لَصوت الْحمِير** [آية:١٩].

أي أقبحها، ومنه: أتانا بوجه منكر.

٢٠- ثم **قال** ﷻ: **ألَم تروا أَن الله سخر لَكُم ما فِي السماواتِ وما فِي الأرض** [آية:٢٠].

ما فِي السماواتِ يعني الشمس، والقمر، والنجوم.

وما فِي الأرض من البحار، والدواب، وغيرها.

٢١- ثم قال ﷻ: **وأسبغَ عليكُم نعمه ظاهرةً وباطنةً** [آية:٢٠].

وقرأ ابن عباس: وأسبغَ عليكُم نعمه ظاهرةً على التوحيد.

وقال هو ومجاهد: هي الإسلام.

ويجوز **أن تكون** نعمة بمعنى نعمٍ، كما قال سبحانه: **وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها** [إبراهيم:٣٤].

٢٢- وقوله ﷻ: **ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى** [آية:٢٢].

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: فقد استمسك بالعروة الوثقى قال: لا إله إلا الله.

٢٣- وقوله ﷻ: **ولو أنما في الأرض من شجرةٍ أقلام والبحر يمده من بعده سبعةُ أبحرٍ ما نفدت كلمات الله** [آية:٢٧].

في **رواية** أبي **عمرو بن العلاء عن** مجاهد **عن ابن عباس قال:** «قالت اليهود للنبي ﷺ: بلغنا أنك تقول: **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** [الإسراء:٨٥]. فهذا لنا أو لغيرنا؟ فقال ﷺ: للجميع، فقالوا: أما علمت أن الله أعطى موسى التوراة، وخلفها فينا ومعنا؟ فقال النبي ﷺ: التوراة وما فيها من الأنباء في علم الله ﷻ قليل، فأنزل الله **ولو أنما في الأرض من شجرةٍ أقلام والبحر يمده من بعده سبعةُ أبحرٍ ما نفدت كلمات الله** إلى تمام ثلاث آيات[1].

قال أبو جعفر: فقد تبين أن الكلمات هاهنا يراد ا العلم وحقائق الأشياء، لأنه علم قبل أن يخلق الخلق ما هو خالق في السموات والأرض من شيء، وعلم ما فيه من مثاقيل الذر، وعلم الأجناس كلها وما فيها من شعرة وعضو، وما في الشجرة من ورقة، وما فيها من ضروب الخلق، وما يتصرف فيه من ضروب الطعم واللون، فلو سمى كل دابة وحدها، وسمى أجزائها على ما يعلم من قليلها وكثيرها، وما تحولت عليه في الأحوال، وما زاد فيها في كل زمان، وبين كل شجرة وحدها، وما تفرعت عليه، وقدر ما ييبس من ذلك في كل زمان، ثم كتب البيان عن كل واحد منها، على ما أحاط الله

(١) انظر ابن جرير ٨١/٢١، والدر المنثور ١٦٨/٥، والقرطبي ٧٦/١٤ قال القرطبي.

ﷻ منها، ثم كان البحر مداداً لذلك البيان، الذي بين الله ﷻ تلك الأشياء، يمده من بعده سبعة أبحر، لكان البيان عن تلك الأشياء أكثر.

٢٤- وقوله ﷻ: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [آية:٢٨].

قال مجاهد: إنما يقول كن فيكون القليل والكثير.

٢٥- وقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ [آية:٣٢].

قال مجاهد: فمنهم مقتصد في القول، وهو كافر.

وقيل: ﴿مُقْتَصِدٌ﴾ أي مقتصد في فعله. خبر أن منهم من لا يشرك.

٢٦- وقوله ﷻ: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [آية:٣٢].

قال مجاهد وقتادة: الختار: الغدور.

قال أبو جعفر: الخَتْرُ في كلام العرب: أقبح الغدر.

٢٧- وقوله ﷻ: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [آية: ٣٣].

قال مجاهد والضحاك: ﴿الْغَرُورُ﴾ : الشيطان.

٢٨- وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [آية:٣٤].

روي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمسة»[1]. وقد ذكرنا هذا بإسناده في سورة الأنعام، في قوله تعالى: **﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾** [الأنعام:٥٩].

«انتهت سورة لقمان»

❁ ❁ ❁

(١) روى البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله.. وتلا الآية إن الله عنده علم الساعة..» الحديث، وانظر الطبري ٨٨/٢١، والدر المنثور ١٦٩/٥.

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيمِ

سورة السجدة وهي مكية

قال عبد الله بن عباس: إلا ثلاث آيات نـزلن بالمدينة، في رجلين من قريش، وهن: **أفَمن كَانَ مؤمِنا كَمن كَانَ فَاسِقًا** [آية: ١٨]؟ إلى آخر الآيات الثلاث.

١- من ذلك قوله ﷻ: الم * تنـزيلُ الْكِتابِ لا ريب فِيهِ مِن رب الْعالَمِين [آية: ١- ٢].

المعنى: هذا تنـزيل الكتاب.

وقيل: المعنى الم من تنـزيل الكتاب.

ويجوز أن يكون المعنى: تنـزيل الكتاب لا شك فيه.

وقد بينا معنى **الم** و **لا ريب فِيهِ** في سورة البقرة.

٢- وقوله ﷻ: أم يقُولُونَ افْتراه [آية:٣]. أي بل أيقولون افتراه؟

٣- وقوله ﷻ: يدبر الأمر مِن السماءِ إِلى الأرض [آية:٥].

أي يقضي القضاء في السماء، ثم ينـزله إلى الأرض.

٤- وقوله ﷻ : ثُم يعرج إِليهِ فِي يومٍ كَانَ مِقْداره ألْف سنةٍ مما تعدونَ [آية: ٥].

قال أبو جعفر: هذه الآية مشكلة، وقد قال في موضع آخر: **فِي يومٍ كَانَ مِقْداره خمسِين ألْف سنةٍ** [المعارج:٤].

ولأهل التفسير فيها أقوال:

أ - من ذلك ما حدثنا بكر بن سهل، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي، طلحة عن ابن عباس **فِي يومٍ كَانَ مِقْداره ألْف سنةٍ** قال: هذا في الدنيا، وقوله ﷻ: **فِي يومٍ كَانَ مِقْداره خمسِين ألْف سنةٍ** قال فهذا يوم القيامة، جعله الله ﷻ على الكفار، مقدار خمسين ألف سنة.

ب- وحدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد السلام، قال: حدثنا أبو داود سليمان بن داود.

قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا عبد الرازق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن وهب بن منبه **فِي يومٍ كَانَ مِقْداره خمسِين ألْف سنةٍ** قال: ما بين أسفل الأرض إلى العرش.

ج- قال ابن أبي نجيح عن مجاهد وفي ذلك، قال: الدنيا من أولها إلى آخرها خمسون ألف سنة، لا يدري أحد كم مضى منها، ولا كم بقي؟

قال أبو جعفر: وقيل: يوم القيامة أيام، فمنه ما مقداره ألف سنة، ومنه ما مقداره خمسون ألف سنة.

قال أبو جعفر: يوم في اللغة بمعنى وقت، فالمعنى على هذا: تعرج الملائكة والروح إليه، في وقت مقداره ألف سنة، وفي وقت آخر أكثر من ذاك، وعروجاً أكثر من ذاك، مقداره خمسون ألف سنة.

٥- وقوله ﷻ: الذي أحسن كل شيء خلقه [آية:٧].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: أتقنه.

قال: وهو مثل قوله تعالى: **أعطى كل شيء خلقه** [طه:٥٠].

أي لم يخلق الإنسان على خلق البهيمة، ولا خلَق البهيمة على خلق الإنسان.

وقيل: أي لم يعجزه.

وأحسن ما قيل في هذا، ما رواه خُصيف عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله ﷻ: **أحسن كل شيء خلقه** قال: أحسن في خلقه، جعل الكلب في خلْقه حسناً.

قال أبو جعفر: ومعنى هذا: أحسن في فعله، كما تقول أحسن فلان في قطع اللص.

٦- وقوله ﷻ: ثم جعلَ نسله من سلالةٍ من ماءٍ مهينٍ [آية:٨].

السلالةٍ للقليل مما ينسل، **المهين** : الضعيف.

٧- وقوله ﷻ: وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديدٍ [آية:١٠].

وروي عن الحسن أنه قرأ ضللنا بفتح اللام، وروى بعضهم بكسر اللام.

قال مجاهد: ضللنا أي أُهلكنا.

قال أبو جعفر: معنى: **ضللنا** صرنا تراباً وعظاماً فلم نتبين، وهو يرجع إلى قول مجاهد.

ومعنى «**صللنا**» بفتح اللام: أنتنا وتغيرنا، وتغيرت صورنا، يقال: صل اللحم، وأصل: إذا أنتن وتغير.

ويجوز أن يكون من الصلَة، وهي الأرض اليابسة، ولا يعرف صِلْنا بكسر اللام.

٨- وقوله ﷻ: ولو ترى إذِ المجرمونَ ناكِسو رؤوسِهم عِند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعملْ صالحا [آية:١٢].

في **الكلام حذف،** والمعنى: **ولو ترى إذِ المجرمونَ ناكِسو رؤوسِهم عِند ربهم**

لرأيت ما تعتبر به اعتباراً شديداً.

والمعنى: يقولون ربنا، ثم حذف القول أيضاً.

٩- وقوله ﷻ: ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها [آية:١٣].

أي لو شئنا لأريناهم آية تضطرهم آية إلى الإيمان، كما قال تعالى: **إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين** [الشعراء:٤].

١٠- ثم قال ﷻ: ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين [آية: ١٣].

قال قتادة: أي بذنوبهم.

١١- وقوله ﷻ: تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا [آية: ١٦].

روى قتادة عن أنس، قال: يتيقظون بين العشاء والعتمة، فيصلون.

وقال عطاء: لا ينامون قبل العشاء حتى يصلوها.

وقال الحسن ومجاهد: يصلون في جوف الليل.

وكذلك قال مالك والأوزاعي.

وهذا القول أشبهها لجهتين:

إحداهما: أن أبا وائل روى عن معاذ بن جبل، قال: قال لي النبي ﷺ: «**ألا أدلك على أعمال الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل** في **جوف الليل**، ثم **تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع** حتى **يعملون**»[1].

والجهة الأخرى أنه ﷻ قال: **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين** [آية: ١٧].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه برقم ٢٧٤٩، عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه، فقلت يا رسول الله: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار، فقال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير... الحديث.

حدثنا محمد بن أحمد يعرف بالجَريجي[1]، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن السلمي، قال: حدثنا عمرو بن عبد الوهاب، قال: حدثنا أبو أسامة عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ كان يقرأ **﴿مِن قُرَّاتِ أَعْيُنٍ﴾** فهذه بصلاة الليل أشبه، لأنهم جوزوا على ما أخفوه بما خفي.

روى أبو سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**قال ربكم: أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**»[2].

١٢- وقوله ﷻ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [آية:١٨].

روى أبو عمرو بن العلاء، عن مجاهد عن ابن عباس، قال: نزلت في رجلين من قريش، إلى تمام الآيات الثلاث.

وقال ابن أبي ليلى: نزلت في علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، ورجل من قريش.

وقيل: نزلت في «عليّ» عليه السلام و«الوليد بن عقبة بن أبي معيط».

فشهد الله ﷻ لعلي بن أبي طالب بالإيمان، وأنه في الجنة.

١٣- فقال ﷻ: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ﴾ [آية: ١٩].

وجاء على الجمع، لأن الاثنين جماعة، ويكون لجميع المؤمنين، وإن كان سبب النزول مخصوصاً، لإبهام «من».

١٤- وقوله ﷻ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ٢١].

روى أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ قال: يوم بدر.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لعل من بقي منهم يتوب.

وروى إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص وأبي عبيدة عن عبد الله **﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم**

---

(١) الجَريجي: نسبة إلى بلدة من نواحي مرو، على شاطيء النهر.

(٢) الحديث رواه البخاري في تفسير سورة السجدة ١٤٥/٦، ومسلم في كتاب الجنة ١٤٣/٨ والترمذي في تفسير سورة لقمان برقم ٣١٩٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

من العذاب الأدنى قال: سنون أصابت قوماً قبلكم .

وروى عكرمة عن بن عباس ولنذيقنهم من العذاب الأدنى قال : الحدود.

وقال علقمة، والحسن، وأبو العالية، والضحاك قالوا: المصيبات في الدنيا.

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: القتل، والجوع لقريش في الدنيا.

دونَ العذاب الأكبر يوم القيامة في الآخرة.

وروى أبو يحيى **عن مجاهد، قال: العذاب الأدنى** عذاب القبر، وعذاب الدنيا.

وروى الأعمش عن مجاهد قال: المصيبات.

وهذه الأقوال ليست بمتناقضة، وهي ترجع إلى أن معنى **الأدنى** ما كان قبل يوم القيامة.

١٥- وقوله ﷻ : ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه [آية: ٢٣].

قيل: الهاء للكتاب، واسم موسى ﷺ مضمر.

والمعنى: الهاء لموسى، وحذف الكتاب، لأنه تقدم ذكره، وهذا أولى.

والمعنى: فلا تكن في شك من تلقي موسى الكتاب بالقبول، ومخاطبة النبي ﷺ مخاطبة لجميع الناس.

ويجوز أن يكون المعنى: قل لهذا الشاك.

ويجوز أن يكون المعنى: فلا تكن في شك من تلقي هذا الخبر بالقبول.

قال قتادة: معنى ذلك: فلا تكن في شك من أنك لقيته؛ أو تلقاه ليلة أسري به.

واختار هذا القول بعض أهل العلم، لأن ابن عباس روى عن النبي ﷺ أنه قال: «**أريت ليلة أسري** بي **موسى بن عمران رجلاً آدم طوالاً، جعداً، كأنه من رجال شنوءة**»[(1)] الحديث.

فالتقدير على هذا: فلا تكن في مرية من لقائه أنه قد رأى موسى، ليلة أسري به.

وتأول **وجعلناه** بمعنى وجعلنا موسى **هدى** أي رشاداً **لبني إسرائيلَ** يرشدون باتباعه، ويصيبون الحق بالاقتداء به.

---

(١) الحديث رواه البخاري في الأنبياء ٣٠٧/٦، ومسلم في الإيمان بـرقم ١٦٨، والترمـذي في التفسير برقم ٣٨٢٩، وأحمد في المسند ٢٨٢/٢، وأورده السيوطي في الدر ١٨٧/٥ وعـزاه إلى ابن مردويه والبيهقي.

وقد روى سعيد عن قتادة وجعلناه هدى لبني إسرائيل [آية:٢٣]. قال: جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل.

١٦- وقوله ﷻ: أو لم يهدِ لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون [آية:٢٦].

أي أولم نبين لهم[1].

١٧- وقوله ﷻ: أو لم يروا أنا نسوق الماءَ إلى الأرض الجرز [آية:٢٧].

قال مجاهد: هي الأرض التي لا تنبت.

قال الضحاك: هي الأرض التي لا نبات ا.

قال أبو جعفر: الجرز في اللغة: الأرض اليابسة، المحتاجة إلى الماء، التي ليس فيها نبات، كأ ا أكلت ما فيها، ومنه قيل: رجلٌ جروز إذا كان أكولاً.

١٨- وقوله ﷻ: ويقولونَ متى هذَا الفَتح إن كُنتم صادقين [آية:٢٨].

قال مجاهد: هو يوم القيامة.

وقال قتادة: الفتح: القضاء.

وقال الفراء والقتبـي: فتح مكة.

قال أبو جعفر: والقول الأول أولى لقوله تعالى: **قُلْ يوم الفَتح لاَ ينفَع الذِين كفَروا إيمانهم** [آية:٢٩]. وسمي «فتحاً» لأن الله ﷻ، يفتح فيه على المؤمنين.

أو لأن القضاء فيه، كما قال تعالى: **ربنا افتح بيننا وبـين قومِنـا بـالحق** [الأعراف: ٨٩]. أي اقض.

١٩- ثم قال ﷻ: فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرونَ [آية:٣٠].

ثم نسخ هذا بالأمر بالقتال.

---

(١) قرأ الجمهور بالياء يهدِ لَهُم ، وقرأ السلمي وقتادة عن يعقوب نهدِ لَهُم بالنون، قـال النحاس في إعراب القرآن ٦١٦/٢: وقراءة النون قراءة بينة، والقـراءة الأولى باليـاء فيهـا إشكال، لأن الفعل لا يخلو من فاعل، فأين الفاعل لـ«يهدِ»؟ قال الفراء: «كم» في موضع رفع بـ«يهدِ» كأنك قلت: أو لم تدهم القرون الهالكة، وهذا نقض لأصول النحويين في قولهم: إن الاستفهام لا يعمل فه ما قبله، وقيل: المعنى: أو لم يهد الله لهم، فيكون معنى اليـاء والنـون واحدا.

«انتهت سورة السجدة»

۞ ۞ ۞

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيمِ

سورة الأحزاب وهي مدنية

قال ابن عباس: وهي مدنية.

١- من ذلك قوله ﷻ: يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين [آية: ١].

معناه: أثبت على تقوى الله، كما قال سبحانه: **يا أيها الذين آمنوا آمنوا** [النساء: ١٣٦].

٢- ثم قال ﷻ: إن الله كان عليما حكيما [آية: ١].

أي **عليما** بما يكون قبل أن يكون **حكيما** فيما يخلقه قبل أن يخلقه.

٣- وقوله ﷻ: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه [آية: ٤].

قال أبو جعفر: في معنى هذا ونـزوله في ثلاثة أقوال:

أ - فمن ذلك ما حدثنا أحمد بن محمد بن نافع، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا عبد الرازق، قال: أخبرنا معمر، قال: قال قتادة: «كان رجلٌ لا يسمع شيئاً إلا وعاه، فقال الناس: ما يعي هذا، إلا أن له قلبين، فكان يسمى «ذا القلبين» فقال الله ﷻ: **ما جعل الله لرجل من قلبين**.

قال معمر: وقال الحسن: «كان رجل يقول: إن نفساً تأمرني بكذا، ونفساً تأمرني بكذا، فقال الله ﷻ: **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**.

وروى أبو هلال عن عبد الله بن بريدة، قال: كان في الجاهلية رجل يقال له: ذو قلبين، فأنـزل الله ﷻ **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**.

وروى ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: قال رجلٌ من بني فهر: «إن في جوفي قلبين، أعقل بكل واحدٍ منهما، أفضل من عقل محمد ﷺ» وكذب.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد، وهو أن الآية نـزلت في رجل بعينه، ويقال: إن الرجل «عبد الله بن خطل».

ب- والقول الثاني: قول ضعيف لا يصح في اللغة، وهو من منقطعات الزهري، رواه معمر عنه، في قوله ﷻ: **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** قال: بلغنا أن ذلك في شأن «زيد بن حارثة» ضُرِب له مثلاً، يقول: ليس ابن رجل آخر ابنك.

جـ - والقول الثالث: أصحها وأعلاها إسناداً، وهو جيد الإسناد، قرئ على محمد بن عمرو بن خالد عن أبيه قال: حدثنا زهير بن معاوية قال: حدثنا قابوس ابن أبي ظبيان أن أباه حدثه، قال: قلنا لابن عباس أرأيت قول الله ﷻ: **ما جعلَ الله لرجلٍ من قَلْبين في جوفِهِ** ما عنى بذل؟ قال: كان نبي الله يوماً يصلي، فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترون أن له قلبين قلباً معكم، وقلباً معهم!؟ فأنـزل الله ﷻ: **ما جعلَ الله لرجلٍ من قَلْبين في جوفِهِ**.

قال أبو جعفر: وهذا أولى الأقوال في الآية لما قلنا.

والمعنى: ما جعل الله لرجلٍ قلباً يحب به، وقلباً يبغض به، وقلباً يؤمن به، وقلباً يكفر بـه.

٤- ثم قرن هذا ما كان المشركون يطلقون به، مما لا يكون فقال: وما جعلَ أزواجكُم اللائي تظَّاهرونَ منهن أمهاتِكُم [آية:٤].

وهو لفظ مشتق من الظهر.

وقرأ الحسن تظَّاهرونَ وأنكر هذه القراءة أبو عمرو بن العلاء، وقال: إنما يكون هذا من المعاونة.

قال أبو جعفر: وليس يمتنع شيء من هذا، لاتفاق اللفظين، ويدل على صحته الظهار.

٥- ثم قال ﷻ: وما جعلَ أدعِياءَكُم أبناءَكُم [آية:٤].

أي ما جعل من تبنيتموه واتخذتموه ولداً، بمنـزلة الولد في الميراث.

قال مجاهد: نزل هذا في زيد بن حارثة.

٦- ثم قال ﷻ: ذَلِكُم قَولُكُم بأفْواهِكُم واللهُ يقُولُ الحق وهو يهدِي السبِيلَ [آية: ٤]. أي هو شيء تقولونه على التشبيه، وليس بحقيقة.

واللهُ يقُولُ الحق أي لا يجعل غير الولد ولداً.

وهو يهدِي السبِيلَ أي سبيل الحق.

٧- ثم قال ﷻ: ادعوهم لآبائِهم هو أقْسطُ عِند الله [آية:٥].

روى سالم عن ابن عمر قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نـزلت **ادعوهم لآبائِهم**.

ثم **قال ﷻ: هو أقْسطُ عِند الله** أي عدل.

٨- وقوله ﷻ: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [آية: ٥].

أي فقولوا: يا أخي في الدين.

﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾ أي بنو عمكم، أو أولياؤكم في الدين.

٩- ثم **قال** ﷻ: **﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾** [آية:٥].

في **معناه ثلاثة أقوال:**

أ - قال مجاهد: **﴿فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾** قبل النهي في هذا، وفي غيره.

﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ بعد النهي، في هذا، وفي غيره.

ب- وقيل: ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ أن يقول له: يا بني في المخاطبة على غير تبن.

جـ - وقال قتادة: هو أن تنسب الرجل إلى غير أبيه، وأنت ترى أنه أبوه.

وهذا أولاها وأبينها.

١٠- وقوله ﷻ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آية:٦].

روى جابر عن النبي ﷺ قال: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فأيما رجل مات وترك ديناً فإلي، وإن ترك مالاً فلورثته»(1).

وحقيقة معنى **الآية** - والله ﷻ أعلم - أن النبي ﷺ إذا أمر بشيء، أو نهى عنه، ثم خالفته النفس، كان أمر النبي ﷺ ونهيه أولى بالاتباع من الناس.

١١- ثم **قال** ﷻ: **﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ..﴾** [آية:٦].

أي هن في الحرمة، بمنـزلة الأمهات في الإجلال، ولا يُتزوجن بعده ﷺ.

وروي أنه إنما فعل هذا، لأن أزواجه في **الجنة.**

١٢- ثم **قال** ﷻ: **﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا﴾** [آية:٦].

قال مجاهد: أي إلا أن توصوا لمن حالفتموه، من المهاجرين والأنصار. وكان رسول الله آخى بين المهاجرين، فكانوا يتوارثون حتى هذا، وأبيحت لهم الوصية، وهذا قول بين،

---

(1) الحديث رواه البخاري في التفسير ١٤٥/٦ بلفظ: (ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فأيما مؤمن هلك وترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه)، ورواه مسلم في الفرائض برقم ١٦١٩، وأحمد في مسنده ٣٣٤/٢.

لأنه بعيد أن يقال للمشرك: ولي.

وقال ابن الحنفية[1]**، والحسن، وعطاء** في **قوله تعالى: ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا﴾** أن يوصي لذي قرابته من المشركين.

قال الحسن: هو وليك في النسب، وليس بوليك في الدّين.

١٣- ثم قال ﷻ: ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ [آية:٦].

قال قتادة: أي مكتوباً عند الله ﷻ، لا يرث كافر مسلماً.

قال أبو جعفر: يجوز أن يكون المعنى: حل ذلك في الكتاب أي في القرآن.

ويجوز أن يكون ذلك قوله: **﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾**.

١٤- وقوله ﷻ: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ [آية:٧].

قال مجاهد: هذا في ظهر آدم عليه السلام.

وقال قتادة: أخذنا ميثاقهم أن يصدق بعضهم بعضاً.

١٥- وقوله ﷻ: ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ [آية:٨].

أي ليسأل الصادقين من الرسل، توبيخاً لمن كذ م، كما قال ﷻ: **﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾** [المائدة:١١٦]؟

وقيل: ليسأل الصادقين عن صدقهم، هل كان لله ﷻ.

وقيل: ليثابوا عليه.

١٦- وقوله ﷻ: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود﴾ [آية: ٩].

قال مجاهد: جاءهم أبو سفيان، وعيينة بن بدر، وبنو قريظة، وهم الأحزاب.

---

(١) هو محمد بن علي بن أبي طالب، أبو القاسم، المعروف بابن الحنفية، أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام. وهو أخو الحسن والحسين من الأب. وأمه خولة بنت جعفر من بني حنيفـة. كان واسع العلم، ورعا. وهو من كبار التابعين دخل على عمر بن الخطاب -رضـي اللـه عنهما- وسمع عثمان وأباه -رضي الله عنهما-. روى عنه بنوه الحسن وعبد الله وإبـراهيم وعون وجماعات من التابعين، توفي بعد الثمانين. انظر ترجمته في: طبقات ابن سـعد ٦٦/٥، والأعلام ١٥٢/٧ تذيب الأسماء واللغات ٨٨/١ وحلية الأولياء ١٧٤/٣ وتقريب التهذيب ١٢٩/٢.

١٧- ثم قال ﷻ: فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها [آية:٩].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: هي الصبا، كفأت قدورهم، ونزعت فساطيطهم، حتى أظعنتهم.

وروى ابن عباس عن النبي ﷺ «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور»[1].

ثم قال ﷻ: **وجنودا لم تروها** [آية:٩].

قال مجاهد: الملائكةُ، ولم تقاتل يومئذ«يوم الأحزاب».

١٨- وقوله ﷻ: إذْ جاءُوكُم من فَوقِكُم ومِن أسفَلَ مِنكُم [آية:١٠].

قال محمد بن إسحاق: الذين جاءوهم من فوقهم«بنو قريظة» والذين جاءوهم من أسفل منهم «قريش» و«غَطَفان».

١٩- ثم قال ﷻ: وإذْ زاغَتِ الأبصار وبلغتِ القُلُوب الحناجِر [آية:١٠].

روى حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: بلَغَ فزعُها.

وقال قتادة: شخصت عن مواضعها، فلولا أن الحُلُوق ضاقت عنها لخرجت.

وقيل: كادت تبلغُ.

قال أبو جعفر: وأحسنُ هذه الأقوال القول الأول، أي بلغ وجيفها من شدة الفزع الحلوق، فكأ ا بلغت الحلوق بالوجيب.

٢٠- وقوله ﷻ: هنالِك ابتِلِي المؤمِنونَ وزلْزِلُوا زِلْزالاً شدِيدا [آية:١١].

قال مجاهد: أي مُحّصوا.

ثم **قال: وزلْزِلُوا زِلْزالاً شدِيدا** أي أُزعجوا وُحركوا.

٢١- ثم قال ﷻ: وإذْ يقُولُ المنافِقُونَ والذِين فِي قُلُوبِهم مرض ما وعدنا الله ورسولُه إلا غُرورا [آية:١٢].

قال قتادة: قال قوم من المنافقين: وعدنا محمد أن نفتح قصور الشام وفارس، وأحدُنا لا يقدرُ أن يُجاوز رحله **ما وعدنا الله ورسولُه إلا غُرورا** .

٢٢- ثم قال ﷻ: وإذْ قالَت طائِفَةٌ منهم يا أهلَ يثْرِب لا مقَام لكُم فارجِعوا

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب الاستسقاء ٤١/٢، ومسلم في باب ريح الصبا والدبور ٢٧/٣.

[آية:١٣]. وقرأ أبو عبد الرحمن والأعرجُ **لا مقَام لَكُم** بضم الميم.

قال أبو جعفر: المَقَامُ بالفتح: الموضعُ الذي يُقام فيه، والمصدرُ من قام يقوم. والمُقَامُ بالضم: بمعنى الإقامة والموضع، من أقام هو، وأقامه غيرُه.

٢٣- ثم قال ﷻ: **ويستأذِنُ فَرِيق منهم النبي يقُولُونَ إن بيوتنا عورةٌ** [آية: ١٣].

قال ابن إسحاق: هو «أوس بن قَيظيّ» الذي قال: إن بيوتنا عورة، عن ملأ من قومه.

وقرأ يحيى بن يعمر، وأبو رجاء **عورةُ** بكسر الواو[١].

يقال: أعور المنـزلُ إذا ضاع، أو لم يكن له ما يستره، أو سقط جداره.

فالمعنى: إن بيوتنا ضائعةٌ متهتكةٌ، ليس لها من يحفظها، فأعلم الله ﷻ أ ا ليست كذلك، وأن العدو لا يصل إليها، لأن الله ﷻ يحفظها.

قال مجاهد: أي نخافُ أن تُسرق.

ويقال للمرأة: عورةٌ، فيجوز أن يكون المعنى: إن بيوتنا ذاتُ عورةٍ، فأكذبهمُ الله ﷻ.

قال قتادة: قال قوم من المنافقين: إن بيوتنا عورة، وإنا نخاف على أهلينا، فأرسل النبي ﷺ إليها فلم يوجد فيها أحد.

ويجوز أن يكون عورةٌ مُسكناً من عورة.

٢٤- ثم قال ﷻ: **إن يريدونَ إلا فِرارا** [آية:١٣].

أي عن نصرة النبي ﷺ.

٢٥- ثم قال ﷻ: **ولَو دخِلَت عليهم من أقْطَارِها ثُم سئِلُوا الْفِتنةَ لأتوها** [آية: ١٤].

قال الحسن: من أقْطَارِها أي من نواحيها.

قال غيره: نواحي البيوت.

ثُم سئِلُوا الْفِتنةَ لآتوها أي لقصدوها وجاءوها.

قال الحسن: الفتنة هاهنا: الشرك.

وقرئ: **لأتوها** [٢].

---

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ١٧٦/٢.

(٢) قرأ عاصم، والكسائي، وحمزة وأبو عمرو لآتوها ممدودة، وقرأ ابن كثير، ونافع، وابـن =

قال الحسن: أي لأعطوها من أنفسهم.

قال غيره: كما رُوي في الذين عُذّبوا، أ م أعطوا ما سُئلوا في النبي ﷺ إلا بلالاً.

٢٦- ثم **قال** ﷻ: **وما تلبثوا بها إلا يسيرا** [آية:١٤].

قال القُتبـي: أي بالمدينة.

٢٧- **وقوله** ﷻ: **وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً** [آية:١٦].

قال مجاهد والربيع بن خثيم في **قوله:** **وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً**: ما بينهم وبين الأجل.

٢٨- **وقوله** ﷻ: **قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا** [آية:١٨].

قال قتادة: هم قوم من المنافقين، قالوا: ما أصحاب محمد عندنا إلا أكلة رأسٍ، ولن يطيقوا أبا سفيان وأصحابه، فهلم إلينا!!.

٢٩- ثم **قال** ﷻ: **ولا يأتون البأس إلا قليلاً** [آية:١٨].

أي إلا تعذيراً.

٣٠- ثم **قال** ﷻ: **أشحةً عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنةٍ حدادٍ** [آية: ١٩]. أي **أشحةً عليكم** بالنفقة على فقرائكم، ومساكينكم.

فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنةٍ حدادٍ أي بالغوا في الاحتجاج عليكم.

وقال قتادة: سلقوكم بطلب الغنيمة.

وهذا قول حسن، لأن بعده أشحةً على الخير [آية:١٩].

وعن ابن عباس: استقبلوكم بالأذى.

وقال يزيد بن رومان: سلقوكم بما تحبون نفاقاً منهم.

يقال: خطيب مِسلاق، وسلاق أي بليغ.

٣١- ثم **قال** ﷻ: **أشحةً على الخير أولئك لم يؤمنوا** [آية:١٩].

=

عامر لأتوها بدون مد من أتيتُ. والقراءتان سبعيتان، انظر السبعة ص ٥٢٠، وعلى قراءة القصر (لأتوها) أي لجاءوها، وعلى قراءة المد (لآتوها) أي لأعطوها من أنفسـهم، طـائعين مختارين غير مكرهين.

أي أشحة على الغنيمة.

أولئك لم يؤمنوا وإن كانوا قد أظهروا الإيمان، فإن اعتقادهم غير ذلك.

٣٢- وقوله ﷻ: يحسبونَ الأحزاب لم يذْهبوا وإن يأتِ الأحزاب يودوا لو أنهم بادونَ في الأعرابِ [آية: ٢٠].

أي يحسبون الأحزاب لم يذهبوا لجبنهم.

وإن يأتِ الأحزاب يودوا لو أنهم بادونَ في الأعرابِ : المعنى: إ م لفزعهم ورعبهم إذا جاء من يقاتلهم، ودوا أ م بادون في الأعراب.

وقرأ طلحة بن مصرف: يودوا لو أنهم بدا في الأعرابِ [(١)].

والمعنى واحد: وهو جمع بادٍ، كما يقال: غازٍ، وغُزى.

٣٣- ثم خبر تعالى بما يقول المؤمنون فقال: ولما رأى المؤمنونَ الأحزاب قالُوا هذَا ما وعدنا الله ورسولُه [آية:٢٢] كذا قال قتادة.

وقيل: الذي وعدهم في قوله: **أم حسِبتم أن تدخلُوا الْجنةَ ولما يأتِكُم مثَلُ الذِين خلَوا مِن قَبلِكُم مستهم الْبأساءُ والضراءُ** [البقرة:٢١٤].

وقال يزيد بن رومان: الأحزاب: قريش، وغطفان.

٣٤- وقوله ﷻ: مِن الْمؤمِنين رِجالٌ صدقُوا ما عاهدوا الله عليهِ [آية: ٢٣].

يقال: صدقت العهد: أي وفيته.

٣٥- ثم قال ﷻ: فَمِنهم من قَضى نحبه ومِنهم من ينتظِر وما بدلُوا تبدِيلاً [آية: ٢٣].

روى سعيد بن مسروق عن مجاهد، قال: نحبه : عهده.

وروى خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فَمِنهم من قَضى نحبه :

قال: مات على ما عاهد عليه **ومِنهم من ينتظِر** ذلك.

قال أبو جعفر: حكى أهل اللغة أن النحب: العهد، والنفس، والخطر العظيم.

وأشهرها أن النحب: العهد، كما قال مجاهد.

ويصححه أنه يُروى أن قوماً جعلوا على أنفسهم، إن لاقوا العدو، أن يصدُقُوا القتال، حتى يُقْتلوا، أو يفتح الله ﷻ عليهم.

---

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ١٧٧/٢.

فالمعنى: فمنهم من قضى أجله، وسُمِي الأجل عهداً، لأنه على العهد كان، أو قضى عهده.

ثم **قال تعالى: وما بدلُوا تبدِيلاً** [آية:٢٣]. أي وما بدلوا دينهم تبديلاً.

٣٦- ثم قال ﷻ: ورد الله الذِين كفَروا بِغيظِهِم لَم ينالُوا خيرا [آية:٢٥].

قال مجاهد: أبا سفيان وأصحابه.

٣٧- ثم قال ﷻ: وأنزلَ الذِين ظَاهروهم من أهل الكِتابِ مِن صياصِيهِم [آية: ٢٦]. أي أعانوهم من أهل الكتاب.

قال مجاهد: بني قريظة.

مِن صياصِيهِم من قصورهم.

وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة مِن صياصِيهِم من حصو م.

قال أبو جعفر: والقصور قد يتحصن ا، وأصل الصيصية في اللغة: ما يمتنع به، ومنه قيل لقرون البقر: صياصي، ومنه قوله:

كَوقْعِ الصياصِي في النسِيجِ المُمددِ[1].

يقال: جذ الله صيصته: أي أصله.

٣٨- وقوله ﷻ: وأورثَكُم أرضهم ودِيارهم وأموالَهم وأرضا لم تطَؤوها [آية:٢٧].

قال الحسن: فارس والروم.

وقال قتادة: مكة.

وقال ابن إسحاق: خيبر.

قال أبو جعفر: وهذه كلها قد أورثها الله ﷻ المسلمين.

إلا أن الأشبه بالمعنى أن تكون «خيبر» والله أعلم.

روى ابن عيينةَ، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، في قوله تعالى: وأرضا لم تطَؤوها قال: ما يُفتح على المسلمين إلى يوم القيامة.

٣٩- وقوله ﷻ: يا أيها النبِي قُل لأزواجِك إِن كُنتن تردنَ الْحياةَ الدنيا وزِينتها فَتعالَين أُمتعكُن وأُسرحكُن سراحا جمِيلاً [آية:٢٨].

---

(١) هذا عجز بيت لدريد بن الصمة، والبيت في لسان العرب ٥٢/٧ والصحاح ١٠٤٤/٣.

روى يونس عن الزهري عن أبي **سلمة عن عائشة**، ومعمر عن عروة عن عائشة قالت: لما أمر النبي ﷺ بتخيير أزواجه، بدأ بي فقال: «**إني ذاكر لك أمراً، ولا عليك أن لا تعجلي فيه** حتى **تستأمري أبويك**»[1]. قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، ثم تلا **يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها** فقلت: أو في هذا أستأمر أبوي؟ فإني أختار الله ﷻ ورسوله والدار الآخرة.

قال يونس في **حديثه:** وفعل أزواجه كما فعلت، فلم يكن ذلك طلاقاً، لأن رسول الله ﷺ خيرهن فاخترنه.

٤٠- وقوله ﷻ: **يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين** [آية:٣٠].

فرق أبو عمرو بين **يضعف** و **يضاعف** قال: يضاعف للمِرار الكثيرة، ويُضعفُ مرتين، وقرأ **يضعف** لهذا.

وقال أبو عبيدة: يضاعف لها العذاب : يجعل ثلاثة أعذبة.

قال أبو جعفر: التفريق الذي جاء به «أبو عمرو» لا يعرفه أحد من أهل اللغة - عِلِمْتُهُ - والمعنى في **يضاعف** و **يضعف** واحد أي يجعل ضعفين أي مثلين، كما تقول: إن دفعت إلي درهماً دفعت إليك ضعفيه أي مثليه يعني درهمين، ويدل على هذا **نؤتها أجرها مرتين** [آية:٣١]. فلا يكون العذاب أكثر من الأجر.

وقال في **موضع آخر: ربنا آتهم ضعفين من العذاب** [الأحزاب:٦٨]. أي مثلين.

وروى معمر عن قتادة: يضاعف لها العذاب ضعفين .

قال: عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة.

٤١- وقوله ﷻ: **ومن يقنت منكن لله ورسوله** [آية:٣١].

ومعناه: من يطع.

قال قتادة: كل قنوت في القرآن طاعةٌ.

وقال: **وأعتدنا لها رزقاً كريماً** [آية:٣١]: الجنة.

٤٢- وقوله ﷻ: **فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض** [آية:٣٢].

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير ١٤٧/٦، والترمذي في التفسير ٦٥/٩ وقال: حديث حسن صحيح، وابن كثير ٤٠٢/٦، والقرطبي ١٦٣/١٤.

يقال: خضع في قوله: إذا لانَ ولم يُبين.

ويُبينه قوله تعالى: **وقُلْن قَولاً معروفًا** أي بيناً ظاهراً.

قال قتادة والسدي: فَيطْمع الذِي فِي قَلْبِهِ مرض أي شك ونفاق.

قال عكرمة: هو شهوة الزنى.

٤٣- وقوله ﷻ: وقِرنَ فِي بيوتكُن ولاَ تبرجن تبرج الْجاهِلِيةِ الأُولَى [آية: ٣٣].

هو من وقَر، يِقِرُ، وقَاراً في المكان: إذا ثبت فيه[1]، وفيه قول آخر:

قال محمد بن يزيد: هو من قَررتُ في المكان أقِر، والأصل واقْررنَ، جاء على لغة من قال في «مسِستُ»: مِستُ، حُذفت الراء الأولى، وألقيت حركتها على القاف، فصار **وقِرنَ**.

قال: ومن قرأ **وقَرنَ** فقد لحن.

قال أبو جعفر: يجوز أن يكون **وقَرنَ** من قَررتُ به عيناً أقر، فيكون المعنى: واْقررنَ به عيناً في بيوتكن.

٤٤- ثم **قال** ﷻ: **ولا تبرجن تبرج الْجاهِلِيةِ الأُولَى** [آية:٣٣].

روى علي بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس، قال: الْجاهِلِيةِ الأُولَى ما بين إدريس ونوح صلى الله عليهما.

وروى عبد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس، قال: ستكون جاهلية أخرى.

وروى هشيم عن زكريا عن الشعبي، قال: الْجاهِلِيةِ الأُولَى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما.

قال مجاهد: كان النساء يتمشين بين الرجال، فذلك التبرج.

وقال ابن أبي نجيح: هو التبختر

قال أبو جعفر: التبرج في اللغة: هو إظهار الزينة، وما تستدعى به الشهوة، وكان هذا ظاهراً بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما، وكان ثم بغاياً يُقصدن.

---

(١) هذه على قراءة الكسر وقِرنَ وهي قراءة الأعمش، وحمزة، والكسائي، وقرأ أهل المدينـة ونافع، وعاصم وقرنَ بفتح القاف، وكلاهما من القراءات السبع، انظر السبعة في القراءات ٥٢١/٢، والنشر في القراءات العشر ٣٤٨/٢.

وقوله ﷻ: **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾** [آية:٣٣].

قال عطية: حدثني أبو سعيد الخدري، قال: حدثتني أم سلمة، قالت: نزلت هذه الآية في بيت، وكنتُ جالسة على الباب، فقلت يا رسول الله: ألست من أهل البيت؟ قال: إنك إلى خير، وأنت من أزواج النبي ﷺ، وكان في البيت «النبي، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين» صلوات الله عليهم.

٤٦- وقوله ﷻ: ﴿واذكرنَ ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ [آية: ٣٤].

قال قتادة: أي القرآن، والسُنة.

وروى محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أم سلمة، قالت: قلت: يا رسول الله «**أرى الله ﷻ يذكر الرجال، ولا يذكر النساء!! فنزلت ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات..﴾** [آية: ٣٥]» [1].

٤٧- وقوله ﷻ: ﴿والحافظين فروجهم والحافظات..﴾ [آية: ٣٥].

أي والحافظاتها، ونظيره:

وكُمتاً مُدماةً كأن متونها … جرى فوقَها واستشعرت لونُ مذهب[2]

وروى سيبويه «لونَ مُذهب» بالنصب، وإنما يجوز الرفع على حذف الهاء، كأنه قال: فاستشعرتُه فيمن رفع «لوناً».

٤٨- وقوله ﷻ: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا﴾ [آية: ٣٦].

قال قتادة: لما خطب النبي ﷺ زينب بنت جحش -وهي ابنة عمته- وهو يريدها لزيد، ظنت أنه يريدها لنفسه، فلما علمت أنه يريدها لزيد، أبت وامتنعت، فأنزل الله ﷻ: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من**

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣٢١١، عن أم عمارة الأنصارية، وأحمد في المسند ٣٠٥/٦.

(٢) البيت لطُفيل الغنوي، وهو في ديوانه ص٢٣، وفي شواهد سيبويه ص٦٩، والمقتضب للمبرد ٧٥/٤، وابن يعيش ٧٨/١.

أمرهم فأطاعت وسلمت.

٤٩- وقوله ﷻ: وإذْ تقُولُ لِلذِي أنعم الله عليْهِ وأنعمت عليْهِ.. [آية:٣٧].

قال قتادة: هو «زيد بن حارثة» أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعم عليه النبي ﷺ بالعتق، ثم قال: **أمسِك عليك زوجك واتق الله وتخفِي فِي نفْسِك ما الله مبدِيهِ وتخشى الناس واللهُ أحق أنْ تخشاه** [آية:٣٧].

روى ثابت عن أنس قال: «جاء زيد يشكو زينب إلى رسول الله ﷺ فقال له **أمسِك عليك زوجك واتق الله** فأنـزل الله ﷻ: **وإذْ تقُولُ لِلذِي أنعم الله عليْهِ وأنعمت عليْهِ..** إلى آخر الآية.

قال: ولو كتم رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن لكتمها[1].

قال قتادة: جاء زيد فقال: يا رسول الله، إنسي أشكو إليك لسان زينب، وإني أريد أن أطلقها، فقال له: **أمسِك عليك زوجك واتق الله** وكان النبي ﷺ يحب أن يطلقها زيد، فكره أن يقول له: طلقها، فيسمع الناس بذلك.

قال أبو جعفر: أي فيفتتنوا.

وسئل علي بن الحسين عليه السلام، **عن هذه الآية فقال:** أعلم الله ﷻ النبي ﷺ أن زيداً سيطلق زينب ثم يتزوجها النبي ﷺ بعده.

أي فقد أعلمتك أنه يُطلقْها، قبل أن يُطلقها.

٥٠- وقوله ﷻ: فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها [آية:٣٧].

قال الخليل: معنى «الوطر»: كل حاجة يهتم ا، فإذا قضاها قيل: قضى وطره، وأربه.

٥١- ثم **خبر** ﷻ **بالعلة** التي **من أجلها كان من أمر زيد ما كان فقال: لِكي لا يكُونَ على المؤمِنِين حرج فِي أزواجِ أدعِيائِهم إذا قضوا مِنهن وطرا** [آية:٣٧].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣٢١٢، وقال: حديث صحيح، وذكره ابن جرير في تفسيره ١٣/٢٢ عن عائشة رضي الله عنها قالت: لو كان النبي ﷺ كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية وإذ تقول للذي أنعم الله عليه.. الآية وإن رسول لما تزوجها قالوا: تزوج حليلة ابنه، فأنـزل الله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم.. الآية، والسيوطي في الـدر المنثور ٢٠٢/٥.

أي زوجناك زينب، وكانت امرأة «زيد» وأنت متبن له، لئلا يتوهم أن «تحريم التبني» كتحريم الولادة، كما كانت الجاهلية تقول.

٥٢- وقوله ﷻ: ﴿ما كَانَ على النبي مِن حرج فيما فرض الله له﴾ [آية:٣٨].

قال قتادة: أي فيما أحل الله له.

قال أبو جعفر: وفيه معنى المدح، كما قال ﷻ: **﴿ما على المحسنين مِن سبيل﴾** [التوبة:٩١].

٥٣- ثم قال ﷻ: ﴿سنةَ الله في الذين خلوا من قبلُ﴾ [آية:٣٨].

أي لا يؤاخذون بما لم يُحرّم عليهم.

٥٤- وقوله ﷻ: ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ [آية:٣٩].

يجوز أن يكون بمعنى «**محاسب**» كما تقول: أكيلٌ، وشريب.

ويجوز أن يكون بمعنى «**محسِب**» أي كاف، يقال: أحسبني الشيء: كفاني.

٥٥- وقوله ﷻ: ﴿ما كَانَ محمد أبا أحدٍ من رجالِكُم﴾ [آية:٤٠].

قال علي بن الحسين عليه السلام: نـزلت في زيد بن حارثة.

قال أبو جعفر: أي ليس هو أباهم بالولادة، وإن كان كذلك في التبجيل والتعظيم.

٥٦- ثم قال ﷻ: ﴿ولكِن رسولَ الله وخاتم النبيين﴾ [آية:٤٠].

قال قتادة: أي آخرهم.

قال أبو جعفر: من قرأ ﴿**خاتم**﴾ بفتح التاء فمعناه عنده: آخرهم. ومن قرأ بالكسر ﴿**خاتِم**﴾ فمعناه عندهم أنه ختمهم.

قال قتادة: ﴿وسبحوه بكْرةً وأصيلاً﴾ [آية:٤٢].

صلاة الصبح، والعصر.

٥٧- وقوله ﷻ: ﴿هو الذي يصلي عليكُم وملائكته﴾ [آية:٤٣].

قال الحسن: سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام: أيصلي ربك؟ فكأنه أعظم ذلك، فأوحى الله ﷻ إليه «إن صلاتي أن رحمتي تسبق غضبي»[1].

---

(١) الأثر في الدر المنثور ٢٠٦/٥ ولفظه: إن بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام: هل يصـلي ربك؟ فكأن ذلك كبر في صدر موسى عليه السلام، فأوحى الله إليه أخبرهم أني أصلي، وأن صلاتي أن رحمتي سبقت غضبي».

والأصيل: العشي.

قال الفراء: معنى **﴿هو الذِي يصلي علَيكُم وملاَئِكَته﴾** هو الذي يغفر لكم، وتستغفر لكم ملائكته.

٥٨- وقوله ﷻ: ﴿تحِيتهم يوم يلْقَونه سلاَم﴾ [آية:٤٤].

هو كما قال: **﴿والْملاَئِكَةُ يدخلُونَ علَيهِم من كُلِّ بابٍ﴾** [هود:٢٣].

أي تحيتهم في الجنة سلام.

٥٩- وقوله ﷻ: ﴿يا أَيها النبِي إِنا أَرسلْناك شاهِدا ومبشرا ونذِيرا﴾ [آية:٤٥].

﴿شاهِداً﴾ أي شاهداً بالإبلاغ.

﴿ومبشّراً﴾ بالجنة.

﴿ونذِيرا﴾ من النار.

﴿وداعِيا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ [آية:٤٦]. أي بأمره.

﴿وسِراجا منِيرا﴾ [آية:٤٦]. أي وذا سراجٍ وهو القرآن.

ويجوز أن يكون المعنى: ومبيناً وتالياً.

حدثنا محمد بن إبراهيم الرازي قال: حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن شيبان النحوي، قال: حدثنا قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نـزلت **﴿يا أَيها النبِي إِنا أَرسلْناك شاهِدا ومبشرا ونذِيرا. وداعِيا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وسِراجا منِيرا﴾** دعا رسول الله علياً، ومعاذاً فقال: انطلقا فيسرا ولا تعسرا، فإنه قد نزل علي الليلة آية: **﴿إِنا أَرسلْناك شاهِدا ومبشرا ونذِيرا﴾** من النار **﴿وداعِيا إِلَى اللَّهِ﴾** قال: شهادة أن لا إله إلا الله **﴿بِإِذْنِهِ﴾** بأمره **﴿وسِراجا منِيرا﴾** قال: بالقرآن.

٦٠- وقوله ﷻ: ﴿ولاَ تطِعِ الْكَافِرِين والْمنافِقِين ودع أَذَاهم﴾ [آية:٤٨].

قال مجاهد: ﴿ودع أَذَاهم﴾ أي أعرض عنهم.

٦١- وقوله ﷻ: ﴿يا أَيها الَّذِين آمنوا إِذَا نكَحتم الْمؤمِناتِ ثُم طَلَّقْتموهن مِن قَبلِ أَن تمسوهن فَما لَكُم علَيهِن مِن عِدةٍ تعتدونها﴾ [آية:٤٩].

قال حبيب بن أبي ثابت: سئل علي بن الحسين عليه السلام، عن رجل قال لامرأته: إن تزوجتك فأنت طالق، فقال: ليس بشيء، ذكر الله ﷻ النكاح قبل الطلاق، فقال: **﴿إِذَا**

نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن .

٦٢- وقوله ﷻ: **فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلاً** [آية:٤٩].

قال سعيد بن المسيب: هي منسوخة بالتي في البقرة، يعني قوله ﷻ : **وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضةً** أي فلم يذكر المتعة.

٦٣- وقوله ﷻ: **يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن** [آية: ٥٠].

قال مجاهد: أي صداقهن.

وروى أبو صالح عن أم هانئ، قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت منه فعذرني[1]، فأنـزل الله ﷻ: **يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن** إلى قوله: **هاجرنَ معك** ولم أكن هاجرت، إنما كنتُ من الطلقاء، فكنتُ لا أحِل له.

٦٤- ثم **قال** ﷻ: **وامرأةً مؤمنةً إن وهبت نفسها للنبي..** [آية: ٥٠].

قال علي بن الحسين رضي الله عنه **وعروة، والشعبي، هي:** «أم شريك».

وقال الزهري وعكرمة ومحمد بن كعب هي: «ميمونة ابنة الحارث»، وهبت نفسها للنبي ﷺ.

قال الزهري: ووهبت سودة يومها لعائشة.

وقرأ الحسن أن وهبت [2].

وقرأ الأعمش: **وامرأةً مؤمنةً وهبت** .

وكسر «إنْ» أجمع للمعاني، لأنه قيل: إ ن نساء،وإذا فتح كان المعنى على واحدة بعينها، لأن الفتح على البدل من امرأة، ومعنى لأنْ.

وقال مجاهد: لم تب نفسها.

فعلى هذا القول لا تكون «إنْ» إلا مكسورة.

وقيل: ومعنى وهبت نفسها إن تُزُوجت بلا صداق.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي برقم ٣٢١٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) هذه قراءة أبي بن كعب، وسلام، وهي من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ١٨٢/٢.

وقيل: هو أن تجعل الهبة صداقاً، وأن هذا لا يحل لأحد بعد النبي ﷺ.

قال أبو جعفر: والقول الأول أولى، لأن معنى الهبة في اللغة: دفع شيءٍ بلا عوض.

٦٥- وقوله ﷻ: ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم﴾ [آية:٥٠].

أي قد علمنا ما في ذلك من الصلاح، وهذه كلمة مستعملة يقال: أنا أعلم ما لك في ذا.

وروى زياد بن عبد الله عن أبي بن كعب في قوله تعالى: ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم﴾ قال: مثنى، وثلاث، ورباع.

وقال قتادة: فرض عليهم أن لا نكاح إلا بولي، وشاهدي عدلٍ، وصداق، وأن يتزوج الرجلُ أكثر من أربع.

٦٦- وقوله ﷻ: ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ [آية:٥٠].

متعلق بقوله: **﴿إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾**.

٦٧- وقوله ﷻ: ﴿ترجي من تشاءُ منهن وتؤوي إليك من تشاءُ﴾ [آية:٥١].

روى هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة، في قوله تعالى: ﴿ترجي من تشاءُ منهن﴾ قال: هذا في الواهبات أنفسهن.

قال الشعبي: هن الواهبات أنفسهن، تزوج رسول الله منهن، وترك منهن.

وقال الزهري: ما علمنا أن رسول الله ﷺ أرجأ أحداً من أزواجه، بل آواهن كلهن.

وقال قتادة: أطلق لرسول الله ﷺ أن يقْسم بينهن، كيف شاء، ولم يقْسم بينهن إلا بالقسط.

حدثنا أحمد بن محمد بن نافع، حدثنا سلمة، حدثنا عبد الرازق، أنبأنا معمر عن منصورٍ عن أبي رزين، قال: «المرجآت: ميمونة، وسودة، وصفية، وجويرية، وأم حبيبة» وكانت عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب، سواء في قَسمِ النبي ﷺ، يساوي بينهن في القَسمِ».

وقال مجاهد: هو أن يعتزلهن بلا طلاق.

قال أبو جعفر: قول قتادة، وأبي رزين، ومجاهد، يرجع إلى معنى واحد، أن ذلك في القسم.

وقد روى منصور عن أبي رزين أن رسول الله ﷺ أراد أن يخلي اللواتي أرجأهن، فقلن له: اقسِم لنا كيف شئت، واتركنا على حالنا، فتركهن.

وقال قتادة: في قوله تعالى: **ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ** [آية:٥١].
إذا علمن أن ذلك من الله ﷻ، قرت أعينهن، ولم يحزن، ورضين.

٦٨- وقوله ﷻ: لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ [آية:٥٢].

في **هذه الآية أقوال:**

أ - فمنها ما روى ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن عائشة قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء.

ب- وقال الحسن: لما خير النبي ﷺ أزواجه فاخترنه، شكر الله ﷻ لهن ذلك، فحرم على النبي ﷺ أن يتزوج غيرهن، أي فامتحنه بذلك كما امتحنهن.

جـ - وقال علي بن الحسين: قد كان له أن يتزوج.

قال أبو جعفر: هذه الأقوال الثلاثة غير متناقضة.

تقول عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء، إسناده جيد، ويُتأول على أنه ناسخ للحظر، ويحتج به في أن السُنة تنسخُ القرآن، كما ﷻ: **إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ** [البقرة:١٨٠]. وقال النبي ﷺ: «**لا وصية لوارث**»[1].

ومذهب الضحاك أن الناسخ لها قوله: تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ .

وهذا لا يصح، لأن بعده **ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ** .

وقول علي بن الحسين عليه السلام، يجوز أن يكون يرجع إلى قول عائشة وإن كان قد أنكر قول الحسن، فإن الحسن لم يذكر أن الآية منسوخة فيجوز أن يكون أنكره من هذه الجهة، وتكون الآية عنده منسوخة.

وعوض الله ﷻ نساء النبي ﷺ من ذلك، أن جعلهن أزواجه في الجنة.

وفي **الآية** غير هذا، قال زياد بن عبد الله، سألتُ أبي بن كعب عن قول الله ﷻ: **لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ** فقلت: أكان يحل له أن يتزوج؟ فقال: نعم، ما بأس بذلك، قال الله ﷻ: **إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ** إلى قوله: **وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً** ثم قال ﷻ **لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ** أي لا يحل لك الأمهات، ولا الأخوات، ولا البنات، فهذا قول الآخر.

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١٨٧/٤.

أي لا يحل لك النساء من بعد من أحللنا، إلا ما ملكت يمينك.

وقال مجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، والحكم قولاً آخر.

قالوا: **لا يحل لك النساء من بعد** أي لا يحل لك اليهوديات، ولا النصرانيات.

وقال مجاهد: أي لا يحل أن تتزوج كافرة فتكون أما للمؤمنين، ولو أعجبك حسنها، إلا ما ملكت يمينك، فإن له أن يتسرى ا.

٦٩- وقوله ﷻ: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم [آية: ٥٣].

قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس ذه الآية، لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش أمرني أن أدعو كل من لقيت، ودعا النبي ﷺ، فجعل الله ﷻ في الطعام البركة، فأكل قوم وانصرفوا، وبقيت طائفة، وكانت زينب في البيت، فدخل النبي ﷺ وخرج وهم جلوس، فأنـزل الله ﷻ: **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم** إلى آخر الآية، فضرب رسول الله ﷺ الحجاب، وانصرفوا.

قال مجاهد في **قوله تعالى: إلى طعام غير ناظرين إناه** [آية: ٥٣].

غير متحينين نضجه.

ولا مستأنسين لحديث [آية:٥٣]. قال: بعد الأكل.

وقوله ﷻ: **وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب** [آية:٥٣].

فكان لا يحل لأحد أن يسألهن طعاماً ولا غيره، ولا ينظر إليهن، متنقبات ولا غير متنقبات، إلا من وراء حجاب.

وكانت عائشة إذا طافت بالبيت سترت.

وفي **الحديث** لما ماتت زينب قال عمر: لا يخرج في جنازتا إلا ذو محرم منها.. فوصف له النعش، فاستحسنه وأمر به، وقال: اخرجوا فصلوا على أمكم.

قال أنس: كنت أدخل على أزواج النبي ﷺ، فلما نـزلت هذه الآية، جئت لأدخل فقال لي النبي ﷺ: «**وراءك يا بني**»(١).

٧٠- وقوله ﷻ: وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان، وفيه: فجئت لأدخـل فقال النبي ﷺ: على مكانك يا بني، إنه قد حدث بعدك أمر، لا تدخل علينا إلا بإذن.

مِن بعدِهِ أبدا [آية:٥٣].

قال قتادة: قال رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ: إن مات رسول الله ﷺ تزوجت فلانةً.

قال معمر: قال هذا «طلحة» لعائشة.

٧١- وقوله ﷻ: لاَ جناح عليهن فِي آبائهن ولاَ أبنائهن ولاَ إخوانِهن ولاَ أبناءِ إخوانِهن ولا أبناءِ أخواتِهن ولاَ نسائِهن ولا ما ملكت أيمانهن [آية:٥٥].

يعني في الاستئذان.

وقيل: معنى **ولاَ نسائِهن** ولا أهل دينهن.

وقد قيل: بل هو لجميع النساء، أي اللواتي من جنسهن.

وقيل: ولاَ ما ملكت أيمانهن من النساء خاصة.

وقيل: عام إذا ُتعرف ريبة.

٧٢- وقوله ﷻ: إن الله وملائكته يصلونَ على النبي [آية:٥٦].

قال أبو مسعود الأنصاري: أتانا رسول الله ﷺ في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله ﷻ أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال النبي ﷺ: قولوا: «**اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد**»[1] والسلام كما علمتم.

وروى المسعودي عن عون بن عبد الله، عن أبي فاختة، عن الأسود، عن عبد الله أنه قال: إذا صليتم على النبي ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل الله يعرض ذلك عليه ؟! قالوا: فعلمنا، قال قولوا:

«**اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك، على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة.**

اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم،

---

(١) الحديث رواه مسلم في كتاب الصلاة برقم ٤٠٥، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حسن صحيح.

إنك حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد **وعلى آل** محمد، **كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك** حميد مجيد» [(١)].

٧٣- وقوله ﷻ: **﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾** [آية: ٥٧].

قيل: المعنى: يؤذون أولياء الله.

وروى همام **عن** أبي **هريرة عن النبي** ﷺ **قال الله** ﷻ: «**شتمني عبدي،** ولم **يكن له أن يشتمني، وكذبني** ولم **يكن ينبغي له أن يكذبني،** فأما **شتمه إياي فقوله:** إني **اتخذت ولداً، وأنا الأحد الصمد، وأما تكذيبه إياي،** فإنه **زعم أن لن يبعث**»[(٢)].

يعني بعد الموت.

٧٤- وقوله ﷻ: **﴿والذين يؤذون المؤمنين** والمؤمنات **بغير ما اكتسبوا﴾** [آية: ٥٨].

روى ابن أبي نجيح **عن** مجاهد **قال:** يقعون في المؤمنين والمؤمنات، بغير ما علموا.

٧٥- وقوله ﷻ: **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾** [آية: ٥٩].

قال أبو مالك والحسن: كان النساء يخرجن بالليل في حاجاتهن، فيؤذيهن المنافقون ويتوهمون أنهن إماء، فأنزل الله ﷻ: **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك..﴾** إلى آخر الآية.

قال الحسن: ذلك أدنى أن يُعرف أنهن حرائر فلا يؤذين.

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه برقم ٩٠٦، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢١٩/٥ ولفظه: «إذا صليتم على رسول الله، فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه، قال فقالوا له: فعلمنا، قال قولوا: اللهم اجعل صلاتك، ورحمتك، وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين» الحديث.

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب بدء الخلق رقم ٣١٩٣ وهو من الأحاديث القدسية، ونصه كما في البخاري «يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني،ويكذبني وما ينبغي له،أما شتمه فقوله: إن لي ولداً، وأما تكذيبه فقوله: ليس يعيدني كما بدأني». وأخرجه النسائي في الجنائز ٩١/٤، وأحمد في المسند ٣١٧/٢.

قال الحسن: تغطي نصف وجهها.

وكان عمر إذا رأى أمة قد تقنعت علاها بالدرة.

قال محمد بن سيرين: سألتُ عِبيدة[1] عن قوله تعالى: **يدنين عليهن من جلابيبهن** فقال: تغطي حاجبها بالرداء، ثم ترده على أنفها، حتى تغطي رأسها ووجهها وإحدى عينيها.

قال مجاهد: يتجلببن حتى يعرفن، فلا يؤذين بالقول.

٧٦- وقوله ﷻ: لئن لم ينتهِ المنافقونَ والذين في قلوبهم مرض والمرجفونَ في المدينةِ لنغرينك بهم [آية: ٦٠].

قال قتادة: كان ناس من المنافقين أرادوا أن يظهروا نفاقهم، فأنـزل الله ﷻ: **لئن لم ينتهِ المنافقونَ والذين في قلوبهم مرض والمرجفونَ في المدينةِ لنغرينك بهم** أي لنحرشنك عليهم.

وقال مالك بن دينار: سألت عكرمة عن قوله: **والذين في قلوبهم مرض** فقال: الزنى، وكذلك شهر بن حوشب.

وقال طاووس: نـزلت هذه الآية في أمر النساء.

وقال سلمة بن كهيل: نـزلت في أصحاب الفواحش.

٧٧- ثم **قال ﷻ: ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً** [آية: ٦٠].

يجوز أن يكون المعنى: إلا وهم قليل.

ويجوز أن يكون المعنى: إلا وقتاً قليلاً.

٧٨- وقوله ﷻ: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكانَ عند الله وجيها [آية:٦٩].

حدثنا محمد بن إدريس، قال: حدثنا إبراهيم بن مرزوق، قال: حدثنا روح بن عبادة، قال: حدثنا عوف عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة في هذه الآية **لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا** قال: قال رسول الله ﷺ «**إن موسى** ؈ **كان رجلاً حيياً ستيراً، لا يكاد يرى من جلده شيء، استحياء منه، فآذاه من آذاه من** بني

---

(١) عبيدة بن عمرو السلماني تابعي كبير، ثقة ثبت، توفي قبل سنة سبعين على الصحيح، انظـر تقريب التهذيب ٥٤٧/١.

إسرائيل، وقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص، وإما أُدرةُ[(١)]**، وإما آفة، وإن الله ﷻ أراد أن يبرئه مما قالوا، وإن موسى خلا يوماً وحده، فوضع ثوبه على حجر، ثم اغتسل، فلما فرغ من غسله، أقبل إلى ثوبه ليأخذه، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، وجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عرياناً كأحسن الرجال خلْقاً، فبرأوه مما قالوا له، وإن الحجر قام، فأخذ ثوبه فلبسه، قال: فطفق بالحجر ضرباً، قال: فوالله إن في الحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً، أو أربعاً، أو خمساً»**[(٢)].

وروى سفيان بن حسين، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن علي عليه السلام في قوله ﷻ: **﴿لاَ تكُونوا كَالذِين آذَوا موسى فَبرأه الله مِما قَالُوا﴾** قال: صعد موسى وهارون صلى الله عليهما وسلم إلى الجبل، فمات هارون عليه السلام، فقالت بنو إسرائيل لموسى: أنت قتلته، كان ألين لنا منك، وأشد حباً!! فأوذي في ذلك، فأمر الله ﷻ الملائكة فحملته، فمروا به على مجالس بني إسرائيل، فتكلمت الملائكة بموته، حتى علمت بنو إسرائيل أنه مات، فدفنوه فلم يُعلم موضع قبره إلا الرخمُ، فإن الله قد جعله أصم أبكم.

قال أبو جعفر: والمعنى: لا تؤذوا محمد ﷺ كما آذى قوم موسى موسى، فبرأه الله مما قالوا، مما رموه به من الأمرين جميعاً.

﴿وكَانَ عِند الله وجِيها﴾ أي كلمة تكليماً.

٧٩- وقوله ﷻ: ﴿يا أيها الذِين آمنوا اتقُوا الله وقُولُوا قَولاً سدِيدا﴾ [آية: ٧٠].

قال مجاهد: ﴿وقُولُوا قَولاً سدِيدا﴾ أي سداداً.

وقال الحسن: أي صدقاً.

٨٠- وقوله ﷻ: ﴿إِنا عرضنا الأمانةَ علَى السماواتِ والأَرضِ والْجِبال فَأَبين

---

(١) الأُدرةُ: وزن غرفة: انتفاخ الخصية.

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب الغسل ٧٨/١، ومسلم برقم ٣٣٩ في كتاب الفضائل، ولفظه: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى سوأة بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب يوماً يغتسل فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه..» الحديث.

أن يحمِلْنها [آية:٧٢].

في **هذه الآية أقوال:**

أ - منها أن المعنى: على أهل السموات.

ويكون معنى **عرضنا** أظهرنا, كما تقول: عرضت المتاع.

ويكون **فَأَبين** على لفظ الأول, لأ م لم يحملوها كلهم, ويكون المعنى: فأبوا أن يقبلوها.

وحملَها الإِنسانُ أي تكلفها, وكلهم قد كُلفها.

ب- وقيل: لما حضرت آدم ﷺ الوفاة, أمر أن يعرض الأمانة على الخلق فلم يقبلها إلا بنوه.

جـ - وقول ثالث هو الذي عليه أهل التفسير:

حدثنا بكر بن سهل, قال: حدثنا أبو صالح عن معاوية بن صالح, عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: قوله تعالى: **إِنا عرضنا الأمانةَ علَى السماواتِ والأَرض والْجِبال** قال: الأمانة: الفرائض, عرضها الله على السموات والأرض والجبال, إن أدوها أثا م, وإن ضيعوها عذ م, فكرهوا ذلك, وأشفقوا من غير معصيةً, ولكن تعظيماً لدين الله ﷻ, ألا يقوموا به, ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها وهو قوله تعالى: **وحملَها الإِنسانُ إِنه كَانَ ظَلُوما جهولاً** غراً بأمر الله ﷻ.

وقال مجاهد: عرض الله الثواب والعقاب, على السموات والأرض والجبال, فأبين ذلك, وأشفقن منه, وقيل لآدم فقبله, فما أقام في الجنة إلا ساعتين.

وقال سعيد بن جبير: عرضت الفرائض على السموات والأرض والجبال, فأشفقن منها وامتنعن, وقبلها آدم ﷺ.

وقال عبد الله بن عمر: عرض على آدم الثواب والعقاب.

وقال الضحاك: الأمانة: الطاعة, عرضت على السموات والأرض والجبال, إن خالفنها عُذبن, فأبين, وحملها الإنسان.

وقال قتادة: عُرضت الفرائض على الخلق, فأبين إلا آدم ﷺ.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال وهي أقوال الأئمة من أهل التفسير, ُتتأولُ على معنيين:

أحدهما: أن الله ﷻ جعل في هذه الأشياء ما تميز به، ثم عرض عليها الفرائض،

والطاعة، والمعصية.

والمعنى الآخر: أن الله ﷻ ائتمن ابن آدم على الطاعة، وائتمن هذه الأشياء على الطاعة والخضوع، فخبرنا أن هذه الأشياء لم تحتمل الأمانة، أي لم تخنها، يقال: حمل الأمانة، واحتملها، أي خا ا، وحمل إثمها.

وقيل المعنى: وحملها الإنسان ولم يقم ا، فحذف لعلم المخاطب بذلك فقال ﷻ: **قَالَتَا أَتينا طَائِعِين** [فصلت: ١١]، وقال: **وإِن مِنها لَما يهبِطُ مِن خشيةِ الله** [البقرة: ٧٤].

وحملَها الإِنسانُ أي خا ا وحمل إثمها.

قال الحسن: وحملَها الإِنسانُ أي الكافر والمنافق.

قال أبو جعفر: وقول الحسن يدل على التأويل الثاني، ويدل عليه أيضاً قوله: **لِيعذب الله الْمنافِقِين والْمنافِقَاتِ والْمشرِكِين والْمشركَاتِ ويتوب الله على الْمؤمِنين والْمؤمِناتِ وكَانَ الله غَفُورا رحِيما** [آية: ٧٣].

«تمت بعونه تعالى سورة الأحزاب»

❁ ❁ ❁

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيمِ

سورة سبأ وهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ: الْحمد لِلهِ الذِي لَه ما فِي السماواتِ وما فِي الأَرض ولَه الْحمد فِي الآخِرةِ [آية:١].

وهو قوله ﷻ: **وآخِر دعواهم أَن الْحمد لِلهِ رب الْعالَمِين** [يونس:١٠].

ثم قال تعالى: **وهو الْحكِيم الْخبِير** [آية:١].

روى معمر عن قتادة قال: حكيم في أمره، خبير بخلقه.

٢- ثم قال ﷻ: يعلَم ما يلِج فِي الأَرضِ وما يخرج مِنها [آية: ٢].

أي ما يدخل فيها من قَطْرٍ وغيره، وما يخرج منها من نباتٍ وغيره.

وما ينزِلُ مِن السماءِ وما يعرج فِيها [آية: ٢]. من عرج يعرُج إذا صعِد.

٣- وقوله ﷻ: وقَالَ الذِين كَفَروا لا تأْتِينا الساعةُ قُلْ بلَى وربي لَتأْتِينكُم عالِمِ الْغيبِ [آية: ٣]. أي بلى وربي عالم الغيب، لتأتينكم.

٤- ثم قال ﷻ: لا يعزب عنه مِثْقَالُ ذَرةٍ فِي السماواتِ ولا فِي الأَرض [آية: ٣].

روى أبو يحيى عن مجاهد عن ابن عباس: لا يعزب لا يغيب.

وقرأ يحيى بن وثاب: لا يعزِب وهي لغة معروفة، يقال عزب ويعزب: إذا بُعد وغاب.

٥- وقوله ﷻ: والذِين سعوا فِي آياتِنا معاجِزِين أُولَئِك لَهم عذَاب من رجزٍ أَلِيم [آية:٥].

قال قتادة: ظنوا أنهم يعجزون الله ﷻ، ولن يعجزوه.

قال أبو جعفر: يقال: عاجزه، وأعجزه: إذا غالبه وسبقه، ومن قرأ **معجِّزين** أراد مثبطين المؤمنين، كذا قاله ابن الزبير.

٦- وقال قتادة في قوله ﷻ: وقَالَ الذِين كَفَروا هلْ ندلكُم علَى رجلٍ ينبئُكُم إِذَا مزقْتم كُل ممزقٍ [آية: ٧].

أي إذا أكلتكم الأرض، وصرتم، عظاماً ورفاتاً.

إِنكُم لَفِي خلْقٍ جدِيدٍ [آية:٧]. أي ستحيون وتبعثون؟.

٧- ثم **أعلمهم أن الذي خلق السموات والأرض، يقدر على ذلك، وعلى أن يعجل لهم العقوبة فقال: أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفًا من السماء** [آية: ٩].

أي قطعة.

إن في ذلك لآية لكل عبد منيب [آية: ٩].

قال قتادة: أي تائب.

٨- وقوله ﷻ: **ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه** [آية:١٠].

يا جبال أوبي معه أي قلنا[1].

قال سعيد بن جبير ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وأبو ميسرة أوبي: أي سبحي.

وقرأ الحسن، وابن أبي إسحاق **أوبي معه** [2].

والمعروف: في اللغة أنه يقال: آب يئوب: إذا رجع وعاد، فيكون معنى **أوبي** أي عودي معه في التسبيح.

و **أوبي** في كلام العرب على معنيين.

أحدهما: على التكثير من «أوبي» فيكون معنى **أوبي** على هذا: رجعي معه في التسبيح.

الثاني: ويقال: أوب إذا سار ارأ، فيكون معنى **أوبي** على هذا: سيري معه.

٩- وقوله ﷻ: **وألنا له الحديد** [آية:١٠].

قال قتادة: ألان الله ﷻ له الحديد، فكان يعمله بغير نار.

وقال الأعمش: أُلين له الحديد، حتى صار مثل الخيوط.

١٠- ثم **قال** ﷻ: **أن اعمل سابغات وقدر في السرد** [آية:١١].

قال قتادة: أي دروعاً سابغات.

قال أبو جعفر: يقال: سبغَ الثوب والدرع وغيرهما: إذا غطى كل ما هو عليه، وفضل منه.

---

(١) انظر البحر المحيط ٢٦٢/٧.

(٢) هذه القراءة ليست من السبع، والمعنى على هذه القراءة (أوبي) بضم الهمزة وسكون الواو: أمر من آب، يئوب، إذا رجع أي ارجعي معه بالتسبيح، وانظر حاشية الجمـل علـى الجلالـين ٤٦٢/٣ والبحر ٢٦٣/٧.

ثم **قال: وقَدر في السرد** [آية:١١].

قال قتادة: السردُ: المسمار الذي في حلَق الدرع.

قال أبو جعفر: وقال ابن زيد: **السرد** : الحَلَقُ.

والسرد في **اللغة:** كل ما عُمل مُتسقاً متتابعاً، يقرب، بعضه من بعض، ومنه سرد الكلام.

قال سيبويه: ومنه رجل سرنْدِي أي جريء، قال: لأنه يمضي قدماً.

قال أبو جعفر: ومنه قيل للذي يصنع الدروع: زراد، وسراد.

فالمعنى - وهو قول مجاهد - وقدر المسامير في حلق الدرع، حتى تكون بمقدار لا يغلظ المسمار وتضيق الحلقة، فتفصم الحلقة، ولا تُوسع الحلقة وتصغر المسمار وتُدقه، فتسلس الحلقة.

١١- وقوله ﷻ: وأسلْنا له عين القِطْر [آية: ١٢].

قال قتادة: أسال الله ﷻ له عيناً من نحاس.

أي حتى سالت وظهرت، فكان يستعملها فيما يريد.

قال الأعمش: سُيّلت له كما يسيل الماء.

وقيل: لم يذُبِ النحاسُ لأحد قبله.

١٢- وقوله ﷻ: يعملُونَ له ما يشاءُ من محاريب وتماثيلَ [آية:١٣].

روى أبو هلال عن قتادة قال: محاريب : مساجد، وكذلك قال الضحاك.

قال مجاهد: المحاريب دون القصور.

والمحاريب في اللغة: كل موضع مشرف، أو شريف.

ثم **قال ﷻ: وتماثيلَ** قال الضحاك: أي صوراً.

قال مجاهد: وتماثيلَ أي من نحاس.

١٣- ثم **قال ﷻ: وجِفَانٍ كالجواب وقُدورٍ راسِياتٍ** [آية:١٣].

قال مجاهد: الجوابي : حياض الإبل.

قال أبو جعفر: الجابية في اللغة: الحوض الذي يجبى فيه الشيء أي يجمع.

ومنه قول الأعشى:

نفَى الذَم عن آل المُحلق جفْنـةٌ كَجابِيةِ الشيخ العِراقي تفْهـق[1]

(١) البيت في ديوانه ص١٢١، والطبري ٧١/٢٢، والقرطبي ٢٧٥/١٤، والبحر المحيط ٢٥٥/٧.

ويروى: كجابية السيح[١].

قال مجاهد: ﴿راسِياتٍ﴾ أي عظام.

وقال سعيد بن جبير: ﴿راسِياتٍ﴾: تُفْرغُ إفراغاً، ولا تُحمل.

وقال قتادة: ﴿راسِياتٍ﴾: أي ثابتات.

١٤-ثم **قال** ﷻ: **﴿اعملُوا آلَ داود شكْرا وقَلِيلٌ من عِبادِيَ الشكُور﴾** [آية: ١٣].

قال عطاء بن يسار: صعد رسول الله ﷺ يوماً المنبر، فتلا **﴿اعملُوا آلَ داود شكْرا﴾** فقال: «**ثلاث من أوتيهن فقد أو**تي **مثل ما أو**تي **آل داود: العدلُ** في **الغضب والرِّضى، والقصد** في **الفقر والغنى، وخشيةُ الله** ﷻ في **السر والعلانية**»[٢].

قال مجاهد: «لما قال الله ﷻ: **﴿اعملُوا آلَ داود شكْرا﴾** قال داود لسليمان صلى الله عليهما: إن الله ﷻ قد ذكر الشكر، فاكفني صلاة النهار، أكفك صلاة الليل!! قال: لا أقدر.

قال: فاكفني -قال الفاريابي[٣]: أُراه قال- : إلى صلاة الظهر، قال: نعم، فكفاه»[٤].

وقال الزهري: **﴿اعملُوا آلَ داود شكْرا﴾** أي قولوا: الحمد لله.

وروي عن عبد الله بن عباس، قال: شكراً على ما أنعم به عليكم.

١٥- وقوله ﷻ: **﴿فلَما قَضينا عليْهِ الْموت ما دلهم على موتِهِ إلا دابةُ الأرض تأكُلُ مِنسأته﴾** [آية: ١٤].

قال عبد الله بن مسعود: أقام حولاً حتى أكلت الأرضة عصاه فسقط، فعلم أنه

---

(١) ذكر هذه الرواية المبرد في كتابة الكامل ٤/١، والسيح: ما يفيض من الماء ويسيح.

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة مرفوعاً، وأخرجه ابن مردويه من حديث حفصة مرفوعاً، وانظر الدر المنثور ٢٢٩/٥ والقرطبي ٢٧٦/١٤، وفي الدر، ورد بلفظ «وذكر الله في السر والعلانية».

(٣) الفَاريابي: بفتح الفاء والراء نسبة إلى الفارياب- مدينة مشهورة بخراسان، كما في معجم البلدان- والمنسوب إليها «محمد بن يوسف الفاريابي» صاحب سفيان الثوري. انظر الأنساب ١٢٨/١٠.

(٤) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٢٢٨/٥ وقال: أخرجه الفاريابي، وابن أبي حاتم، والقرطبي في تفسيره ٢٧٦/١٤ ولم يعزه.

قد مات.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «المِنسأة» العصا.

قال أبو جعفر: قيل للعصا مِنسأة: لأنه يؤخر بها الشيء، ويساق بها، قال طرفة:

أمونٍ كألواح الإران نسأتها على لاحِبٍ كأنه ظهر برجدِ(١)

١٦ - وقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا خرّ تبيّنتِ الْجِنُّ أن لو كانوا يعلمونَ الْغيب ما لبِثُوا فِي الْعذَابِ الْمهِينِ﴾ [آية: ١٤].

قال قتادة: كانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون الغيب، فلما مات سليمان ﷺ، ولم تعلم به الجن، تبينت الجن للإنس أنهم لا يعلمون الغيب.

وهذا أحسن ما قيل في الآية.

والمعنى: تبين أمر الجن.

ويدل على صحته الحديث المرفوع.

روى إبراهيم بن طهمان، عن عطاء عن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**كان سليمان نبي الله، إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه، فيسألها ما اسمك؟ فإن كانت لغرس غُرست، وإن كانت لدواء كُتبت، فبينما هو يصلي ذات يوم، إذا شجرة نابتة بين يديه، فقال: ما اسمك؟ فقالت: الخرنوب قال: لأي شيء أنت؟ قال: لخراب أهل هذا البيت، قال: اللهم عم على الجن موتي، حتى يعلم الإنسن أن الجن لا يعلمون الغيب، فنحتها عصا، فتوكأ عليها حولاً لا يعلمون، فسقطت، فعلمت الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، فنظروا مقدار ذلك، فوجدوه سنةً، فشكرت الجن للأرضة**»(٢).

قال قتادة: وفي مصحف عبد الله بن مسعود: **﴿تبيّنتِ الْجِنُّ أن لو كانوا يعلمونَ الْغيب ما لبِثُوا فِي الْعذَابِ الْمهِينِ﴾** [آية:١٤].

---

(١) البيت من معلقته المشهورة، وهو في ديوانه ص ٣٥.

(٢) الحديث أورده السيوطي في الدر المنثور ٢٤٠/٥، وذكره القرطبي في تفسيره ٢٧٨/١٤، وأبو حيان في البحر المحيط ٢٦٦/٧، وابن كثير ٤٨٩/٦ وقال: وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب، وفي صحته نظر، وفي رفعه غرابة ونكارة، والأقرب أن يكون موقوفاً اهـ.

ومن قرأ **تبّينتِ الجن** أراد تبينت الإنس الجن.

١٧- وقوله ﷻ: لَقَد كَانَ ِلسبإٍ ِفي مسكَِنهم آيةٌ جنتان عن يمِينٍ وشِمالٍ [آية: ١٥].

يروى أن «سبأ» اسم رجل، فيكون على هذا اسماً للقبيلة، فيمن لم يصرف.

وقيل: هو اسم موضع.

ثم **قال تعالى: جنتان عن يمِينٍ وشِمالٍ** .

أي جنة عن اليمين، وجنة عن اليسار.

١٨- وقوله ﷻ: بلْدةٌ طَيبةٌ ورب غَفُور [آية:١٥].

والمعنى: هذه بلدة طيبة، والله رب غفور.

١٩- ثم **قال ﷻ: فَأعرضوا فَأرسلْنا علَيهم سيلَ الْعرِمِ** [آية:١٦].

أي فأعرضوا عن أمر الله ﷻ وشكره، فأرسلنا عليهم سيل العرم.

قال عطاء: العرم: اسم الوادي.

وقيل: هو الجرذ الذي أرسل عليهم.

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (العرم): الشديد.

وقيل: هو المطر العرم أس الشديد.

وقال قتادة: أرسل الله عليهم جُرذاً، فهدم عِرمهم، يريد بالعرم: السّكْر[(١)]، قال: فغرق جناتم، وخرب أرضهم عقوبة لهم.

وهذا أعرف ما قيل في **معنى العرم** .

يقال: للسّكِر: عرمةٌ، وجمعه عِرمُ، سمي بذلك لشدته، ومنه قيل: فلان عارم، قال الشاعر:

إذْ يبنونَ ِمن دون سيلِهِ العرِما[(٢)]

---

(١) السكْرُ: ما ُيسد به، والعرِم: قيل جمع عرمة، مثل كَلِم وكَلِمة، وهو السد، وقيل: السيل الذي لا ُيطاق دفعه، ومنه قوله تعالى: فأرسلنا عليهم سيل العرِم .

(٢) هذا شطر بيت منسوب لأمية بن أبي الصلت، وهو في ديوانه ص ٤٠٩ والسـمط ص ١٨ والقرطبي ٢٨٣/١٤ وذكره المبرد الكامل وابن منظور في اللسان، وأبو عبيدة في مجاز القرآن
=

٢٠- وقوله ﷻ: ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط﴾ [آية:١٦].

الأكل: الثمر.

قال أبو مالك ومجاهد وقتادة والضحاك: الخمط: الأراك، وكذا قال الخليل.

قال أبو عبيدة: الخمط: كل شجرة فيها مرارة، ذات شوك.

وقال القتبي في أدب الكاتب: يُقال للحامضة خمطةُ، ويُقال: الخمطة التي أخذت شيئاً من الريح، وأنشد:

عقار كماءِ النّيءِ ليست بخمطةٍ ولا خلةٍ يكْوي الشروب شِهابها(1)

٢١- وقوله ﷻ: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهلْ نجازي إلا الكفور﴾ [آية: ١٧].

قال طاووس: هو المناقشة في الحساب، من نُوقش عذب.

قال أبو جعفر: ويبين لك صحة هذا، ما رواه أيوب، عن ابن أبي مُليكة، عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «**من حوسب عذب، قالت: قلت: فإن الله يقول: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾** [الانشقاق: ٧-٨]**. فقال: إنما ذاك العرض، ولكن من نوقش الحساب عذب**»(2) .

قال أبو جعفر: المعنى أن المؤمن يكفر عنه سيئاته، والكافر يحبط عمله ويجازى، كما قال ﷻ: **﴿أضل أعمالهم﴾** [محمد: ١].

٢٢- وقوله ﷻ: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة﴾ [آية: ١٨].

=

١٤٧/٢، ونسبه بعضهم للنابغة الجعدي، وتمامه كما في الجمهرة ٢٠٥/٣.

مـن سـبأ السـاكنين مـأرب إذْ يبنـونَ مـن دُون سـيلها العرمـا

(1) البيت لأبي ذؤيب كما في اللسان، والشاعر يصف الخمر بأنها ليست بمرة، وليس فيها حموضة تشبه الخل، بل هي لذيذة تطرب الندامى، وهي في لون اللحم النيء.

(2) الحديث رواه البخاري في صحيحه ٢٠٨/٦، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد يحاسب إلا هلك، قالت: قلت: يا رسول الله: جعلني الله فداءك، أليس يقول الله ﷻ: ﴿فأما من أوتي كتابهُ بيمينه. فسوف يُحاسبُ حسابا يسيرا﴾؟ قال: ذاك العرض، ومن نوقش الحساب هلك»، ورواه مسلم في صحيحه ١٦٤/٨، والترمذي في سننه ٢٥٦/٩، وأخرجه أحمد في المسند ٤٧/٦.

قال الحسن: بين اليمن والشام، قال: **القُرى التِي باركْنا فِيها** : الشام.

قال قتادة: **قُرى ظَاهِرةً** على الطريق متصلة.

وقال مجاهد: يرِدُون كل يوم على ماء.

٢٣- ثم قال ﷻ: **وقَدرنا فِيها السير سِيروا فِيها ليَالِي وأياما آمِنين** [آية:١٨].

قال قتادة: يغدون ويقيلون في قرية، ويروحون ويبيتون في قرية، يسيرون غير خائفين، ولا جياع، ولا ظِماء، وإن كانت المرأة لَتمُر وعلى رأسها مكتلها، فلا ترجع إلا وهو ملآن ثمراً، من غير اجتناء.

قال: فبطروا النعمة **فَقَالُوا ربنا باعِد بين أسفَارِنا** [آية: ١٩].

٢٤- قال الله ﷻ: **وظَلَموا أنفُسهم فَجعلْناهم أحادِيثَ** [آية: ١٩].

وقرأ عبد الله بن عباس وابن الحنفية **ربنا بعد بين أسفَارِنا**[1].

قال ابن عباس: شكوا ر م ﷻ.

وقرأ يحيى **بن يعمر، وعيسى:** **ربنا باعِد بين أسفَارِنا** .

وقرأ سعيد بن أبي الحسن - أخو الحسين - : **ربنا بعد بين أسفَارِنا** .

والقراءة الأولى أبين، وأهل التفسير يقولون: بطروا النعمة، وأخبر الله ﷻ، أنه عاقبهم على ذلك، إلا أنه يجوز أن يكونوا قالوا هذا، بعدما باعد الله ﷻ بين أسفارهم، أو يكونوا لبطرهم استبعدوا القريب.

وكانت العرب تضرب م المثل فتقول: «تفرقوا أيدي سبأ» و«أيادي سبأ» أي مذاهب سبأ وطرقها.

٢٥- وقوله ﷻ: **ولَقَد صدق علَيهِم إِبلِيس ظَنه** [آية:٢٠][2].

وهي قراءة الهجهاج.

ويجوز **ولَقَد صدق علَيهِم إِبلِيس ظَنه** في ظنه.

روي عن ابن عباس أنه قال: قال إبليس: خلقت من نار، وخلق آدم ﷺ من طين، ضعيفاً **لأحتَنِكَن ذُريته إِلا قَلِيلاً** [الإسراء: ٦٢].

---

(١) هذه القراءة من من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ١٨٩/٢.

(٢) بفتح السين من إبليس، والفاعل ظنه، أي صدق ظن إبليس فيهم، عدها ابـن جـني مـن القراءات الشاذة، انظر المحتسب ١٩١/٢.

ويروى أنه قال: قد أغويت آدم على موضعه وعلمه، فأنا على ولده أقدر، فصدق ظنه.

وبين هذا قوله تعالى: ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ [الأعراف: ١٧]. وقوله ﷻ: **﴿لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين﴾** [ص:٨٢-٨٣]. فإنما قال هذا ظنا، فصدق ظنه.

ومن قرأ ﴿صدق﴾ صير الظن مفعولاً.

ومن رفع الظن، ونصب إبليس، أراد: ولقد صدق ظن إبليس حين اتبعوه.

٢٦- وقوله ﷻ: ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ [آية:٢١]. أي من حجة.

﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة﴾ [آية:٢١]. أي ما امتحناهم به، إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة، علم شهادة، فأما علم الغيب، فالله ﷻ عالم به، قبل أن يكون.

٢٧- وقوله ﷻ: ﴿وما له منهم من ظهير﴾ [آية: ٢٢].

قال أبو عبيدة ﴿من ظهير﴾ أي من معين.

٢٨- وقوله ﷻ: ﴿ولا تنفع الشفاعةُ عنده إلا لمن أذن له﴾ [آية: ٢٣].

يجوز أن يكون المعنى: إلا لمن أذن له أن يشفع.

وأن يكون للمشفوع.

والأول أبين، لقوله تعالى: **﴿حتى إذا فُزع عن قلوبهم﴾** [آية: ٢٣].

وقرأ ابن عباس **﴿حتى إذا فَزع عن قلوبهم﴾** أي فزع الله ﷻ عن قلوبهم، يقال: فزعته: أزلتُ عنه الفزع.

والمعروف من قراءة الحسن: ﴿حتى إذا فُرغ عن قلوبهم﴾ أي فرغ منها الفزع.

قال عكرمة: سمعت أبا هريرة يقول: إن نبي الله ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر** في **السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً** لله ﷻ**، فيسمع كالسلسلة على الصفوان، فيقولون: ماذا قال ربكم؟ فيقال للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير.**»[1] وذكر الحديث.

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير ١٥٢/٦ من حديث أبي هريرة، وتمامه: «فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فيكذب معها مائة كذبة. فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا: كذا وكذا، فيُصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء»، وأخرجه الترمذي برقم ٣٢٢٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو =

وقال عبد الله بن مسعود: «تسمع الملائكة في السماء للوحي صوتاً، كصوت الفولاذ على الصفا، فيخرون على جباههم، فإذا جلي عنهم، قالوا للرسل: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: الحق، الحق»[1].

وقال قتادة: لما كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فنزل الوحي، خرت الملائكة سجداً **حتى إذا فزع عن قلوبهم** أي جُلي. **قالوا ماذا قال ربكم** [آية: ٢٣]؟ قالوا: الحق.

٢٩- وقوله ﷻ: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين [آية:٢٤].

المعنى: وإنا لعلى هدى أو في ضلال مبين، أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين.. ثم حُذف. وهذا على حُسن المخاطبة والتقرير، أي قد ظهرت البراهين، وتبين الحق، كما يقال: قد علمت أينا الكاذب؟

قال قتادة: ثم يفتح بيننا [آية: ٢٦] أي يقضي بيننا.

٣٠- وقوله ﷻ: وما أرسلناك إلا كافةً للناس [آية: ٢٨].

قال مجاهد: أي إلى الناس جميعاً.

وقال النبي ﷺ: «أرسلت إلى كل أحمر وأسود»[2].

٣١- وقوله ﷻ: وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه [آية:٣١].

قال أبو إسحاق: يعني الكتب المتقدمة، وهم كفار العرب.

٣٢- وقوله ﷻ: بل مكر الليل والنهار [آية: ٣٣].

روى معمر عن قتادة: أي بل مكركم بالليل والنهار.

وقرأ سعيد بن جبير بل مكَر الليل والنهار من الكرور[3].

=

داود، وابن ماجه بنحوه.

(١) الحديث عن ابن مسعود رواه أبو داود في سننه برقم ٤٧٣٨، وأورده السيوطي في الدر ٢٣٦/٥ وزاد نسبته لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي.

(٢) هذا طرف من حديث رواه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ٣٧٠/١ ولفظه: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود» الحديث، وأخرجه أحمد في المسند ٣٠١/١.

(٣) هذه من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ١٩٣/٢.

وقرأ راشد-وهو الذي كان ينظر في المصاحف وقت الحجاج: **بلْ مكر الليل والنهار** [1].
والمعنى : وقت مكر الليل والنهار.
٣٣- وقوله ﷻ: **إلا قالَ مترفُوها إنا بِما أرسِلْتم بِهِ كافِرونَ** [آية: ٣٤].
أي رؤساها، ومتكبروها، وقادتنا.
٣٤- وقوله ﷻ : **وما أموالُكم ولاَ أولاَدكُم بِالِتي تقَربكُم عِندنا زلْفَى** [آية: ٣٧].
المعنى: وما أموالكم بالتي تقربكم، ولا أولادكم بالذين يقربونكم، ثم حذف.
٣٥- وقوله ﷻ: **فَأُولِئك لَهم جزاءُ الضعفِ بِما عمِلُوا** [آية: ٣٧].
أي جزاء الضعف الذي أعلمناكموه، وهو قوله تعالى: **من جاءَ بِالْحسنةِ فَلَه عشر أمثَالِها** [الأنعام: ١٦٠].
٣٦- وقوله ﷻ: **وما أنفَقْتم من شيءٍ فَهو يخلِفُه** [آية: ٣٩].
روى المنهال عن سعيد بن جبير، قال: في غير سرفٍ، ولا تقتير.
أي فالله ﷻ يخلفه بالثواب.
٣٧- وقوله ﷻ: **وما أرسلْنا إِلَيهم قَبلَك مِن نذِيرٍ** [آية: ٤٤].
أي لم يكونوا أهل كتاب، ولم يبعث إليهم نبي قبل محمد ﷺ.
٣٨- ثم **قال** ﷻ : **وكَذب الذِين مِن قَبلِهم وما بلَغوا مِعشار ما آتيناهم** [آية:٤٥].
قال قتادة: أي كذب الذين قبل هؤلاء، وما بلغ هؤلاء معشار ما أُوتي أولئك، كانوا أجلد، وأقوى، وقد أُهلكوا.
قال أبو جعفر: مِعشار بمعنى عُشر، ونظير هذه الآية قوله تعالى: **ولَقَد مكناهم فِيما إِن مكناكُم فِيهِ** [الأحقاف: ٢٦].
٣٩- وقوله ﷻ: **قُلْ إِنما أَعِظُكُم بِواحِدةٍ أن تقُوموا لِلهِ مثْنى وفُرادى** [آية: ٤٦].
قال قتادة: أي واحدة أعظكم ا، أن تقوموا لله، وهذا وعظُهم.
والمعنى: على قول قتادة: **إِنما أَعِظُكُم** بخصلة واحدة، ثم بينها فقال: **أن تقُوموا لِلهِ مثْنى وفُرادى** .

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ١٩٣/٢.

وقال مجاهد: **بِواحِدةٍ** بطاعة الله ﷻ: وقيل: بتوحيده.

والمعنى على هذا: لأن تقوموا لله مثنى وفرادى، ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جِنة.

أي يقوم أحدكم وحده، ويشاور غيره فيقول: هل علمت أن هذا الرجل كذب قط، أو سحر، أو كهن، أو شعر، ثم تتفكروا بعد ذلك، فإنه يُعلَمُ أن ما جاء به من عند الله ﷻ.

ويقال: إن من تحير في أمر، ثم شاور فيه، ثم فكر بعد ذلك، تبين له الحق واعتبر.

٤٠- وقوله ﷻ: **قُلْ ما سألتكُم من أجرٍ فهو لكُم** [آية: ٤٧].

أي ما سألتكم من أجرٍ على تأدية الرسالة، ودعائكم، إلى القبول، فهو لكم.

٤١- وقوله ﷻ: **قُلْ إن ربي يقْذِف بِالْحق علام الغيوبِ** [آية: ٤٨].

يقْذِف بِالْحق أي يأتي به.

قال قتادة: **بِالْحق** : أي بالقرآن.

٤٢- وقوله ﷻ: **قُلْ جاءَ الْحق وما يبدِئ الْباطِلُ وما يعِيد** [آية: ٤٩].

أي وأي شيء يبدئ الباطل؟ ويجوز أن تكون «ما» نافية.

قال قتادة: **الْباطِلُ** : الشيطان، ما يخلقُ أحدا ولا يبعثه.

٤٣- وقوله ﷻ: **ولو ترى إذْ فزِعوا فلا فوت** [آية: ٥١].

قال الضحاك: هذا في الدنيا.

قال سعيد بن جبير: يخسف م بالبيداء، فلا يسلم منهم إلا رجلٌ واحد، يخبر الناس بخبر أصحابه.

قال قتادة: هذا في الدنيا، إذا رأوا بأس الله ﷻ.

وقال الحسن: هذا إذا خرجوا من قبورهم.

قال أبو جعفر: هذه الآية مشكلة.

والمعنى على القول الأول: إذا فزعوا في الدنيا حين نزل م الموت، أو غيره، من بأس الله، كما قال ﷻ: **فلما رأوا بأسنا قالُوا آمنا بِاللهِ وحده وكفَرنا بِما كُنا بِهِ مشركِين * فلم يك ينفَعهم إِيمانهم لما رأوا بأسنا** [المؤمنين:٨٤-٨٥].

والمعنى على قول الحسن: إذا فزعوا حين خروجهم من قبورهم، فلا فوت يصلون إليه، ولا ملجأ ولا مهرب، كما قال قتادة **ولات حِين مناص** [ص: ٣].

٤٤- وقوله ﷻ: ﴿وأُخِذُوا مِن مكانٍ قريبٍ﴾ [آية:٥١].

أي قريب على الله ﷻ، أي لأنهم حيث كانوا فهم من الله قريب، لا يبعدون عنه.

وقيل: ولو ترى الكفار إذ فزعوا يوم القيامة، من مكان قريب أي من جهنم، فأُخِذوا فقذفوا فيها.

٤٥- وقوله ﷻ: ﴿وقَالُوا آمنا بِهِ وأنى لَهم التناوش مِن مكَانٍ بعِيدٍ﴾ [آية: ٥٢].

قال مجاهد: ﴿وقَالُوا آمنا بِهِ﴾ أي بالله ﷻ.

وقال قتادة: أي بمحمد ﷺ.

﴿وأنى لَهم التناوش مِن مكَانٍ بعِيدٍ﴾ [آية: ٥٢].

قال الحسن وأبو مالك: أي التوبة.

قال مجاهد: ﴿التناوش﴾: التناول.

قال قتادة: ﴿التناوش﴾: تناول التوبة.

قال أبو جعفر: هذا أبينها، يقال: ناش ينوش: إذا تناول، وأنشد النحويون:

«فهي تنوش الحَوض نوشاً مِن علا»[1]

ويقال: تناوش القوم: إذا تناول بعضهم بعضاً، ولم يقربوا كل القرب.

والمعنى: ومن أين لهم تناول التوبة من مكان بعيد؟ أي يبعد منه تقبل التوبة.

وقرأ الكوفيون ﴿التناؤش﴾ بالهمز، وأنكره بعض أهل اللغة.

قال: لأن «النأش» البعد، فكيف يكون: وأنى لهم البعد من مكان بعيد؟

قال أبو جعفر: وهو يجوز أن تهمز الواو لانضمامها، ويكون بمعنى الأول.

وروى أبو إسحاق عن التميمي عن ابن عباس ﴿وأنى لَهم التناوش﴾.

قال: الرد، سألوه وليس بحين رد.

قال مجاهد: ﴿مِن مكَانٍ بعِيدٍ﴾ ما بين الآخرة والدنيا.

قال أبو جعفر: هذا يرجع إلى الأول.

---

(١) هذا صدر بيت لغيلان بن حريث، كما في اللسان، مادة «نوش» وتمامه:

فهي تَنوشُ الحَوض نوشاً مِن علا نوشاً بِهِ تقْطَعُ أجوازَ الفَلا

يريد أن الإبل عالية الأجسام، طوال الأعناق، وأنها تتناول الماء من الأعلى، وهو يعينها على قطع الفلوات.

٤٦- ثم **قال** ﷻ: **وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد** [آية: ٥٣]. أي قد كفروا بمحمد ﷺ في الدنيا، حين لاينفعهم إيمانهم.

ويقذفون بالغيب .

قال قتادة: أي بالظن، قال: يقولون: لا بعث، ولا جنة، ولا نار.

قال مجاهد: **ويقذفون بالغيب من مكان بعيد** .

قولهم: هو ساحر، وهو كاهن، وهو شاعر.

٤٧- ثم **قال** ﷻ: **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** [آية:٥٤].

قال الحسن: وحيل بينهم وبين الإيمان لما رأوا العذاب، يعني: قبول الإيمان.

قال مجاهد: حيل بينهم وبين زهرة الدنيا ولذتها، وأموالهم وأولادهم.

كما فعل بأشياعهم من قبل [آية: ٥٤].

قال مجاهد: أي بالكفار قبلهم.

إنهم كانوا في شك مريب [آية: ٥٤].

فأخبر ﷻ أنه يعذب على الشك[1].

«انتهت سورة سبأ»

❁ ❁ ❁

(١) انظر الدر المنثور ٢٤٢/٥.

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيمِ

سورة فاطر وهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ: الحمد للهِ فَاطِرِ السماواتِ والأرض [آية:١].

قال ابن عباس: ما كنت أدري ما **فَاطِر** حتى اختصم إلي أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتا أي ابتدأتا.

٢- ثم **قال ﷻ : جاعِلِ الْملائِكَةِ رسلاً أولي أجنحةٍ مثْنى وثُلاثَ ورباع** [آية: ١].

الرسل منهم: «جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت» صلى الله عليهم.

وقوله تعالى: **أولي أجنحةٍ مثْنى وثُلاثَ ورباع** أي أصحاب أجنحة: اثنين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، في كل جانب.

٣- ثم **قال ﷻ: يزيد فِي الْخلْق ما يشاءُ** [آية:١].

أي يزيد في خلق الملائكة ما يشاء.

وقال الزهري: يزيد فِي الْخلْق ما يشاءُ : حُسنُ الصوت.

والأولُ أولى .

٤- وقوله ﷻ: ما يفْتحِ الله لِلناسِ مِن رحمةٍ فَلا ممسِك لها [آية:٢].

أي ما يأتي به الله ﷻ، من الغيث، والرزق، فلا يقدر أحد على رده.

وقال قتادة: مِن رحمةٍ من خير، فلا يقدر أحد على حبسه.

٥- وقوله تعالى: لا إله إلا هو فَأنى تؤفَكُونَ [آية:٣].

أي فمن أين تصرفون عن التوحيد، والإيمان بالبعث، بعد البراهين والآيات؟

٦- وقوله ﷻ: فَلا تغرنكُم الْحياةُ الدنيا ولا يغرنكُم بِاللهِ الْغرور [آية:٥].

روى معمر عن قتادة، قال: الْغرُورُ : الشيطان.

وروى شعبة عن سماك بن حرب: الغرور بضم الغين[1].

فقيل: إن هذا لا يجوز، لأنه إنما يقال: غره غراً، ولا يكاد يأتي المصدر على «فُعُولٍ»

---

(١) هذه قراءة أبي حيوة وأبي السماك، كما في روح المعاني ١٦٨/٢٢ وليست مـن القـراءات السبع.

فيما يتعدى إلا شاذاً.

قال أبو جعفر: يجوز أن يكون «غُرُور» جمع غار، أو جمع غِر، أو يُشبه بقولهم: نهكه المرض نُهوكاً، ولزمه لُزوماً.

٧- وقوله ﷻ: أفَمن زين له سوءُ عملِهِ فرآه حسنا [آية:٨].

الجواب محذوف لعلم السامع، فيجوز أن يكون المعنى: أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله ﷻ؟ ويكون يدل على هذا المحذوف **فإن الله يضِل من يشاءُ ويهدِي من يشاءُ** [آية:٨].

ويجوز أن يكون المعنى: أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليه؟

ويكون يدل عليه **فلاَ تذْهب نفْسك عليْهم حسراتٍ** [آية:٨].

٨- وقوله ﷻ: من كَانَ يريد الْعِزةَ فَلِلهِ الْعِزةُ جمِيعا [آية:١٠].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: من كان يريد العزة بعبادة الأوثان.

قال الفراء: من كان يريد علم العزة.

ثم قال: **فَلِلهِ الْعِزةُ جمِيعا** أي فالله ﷻ يعز من يشاء بطاعته.

وقال قتادة: فليتعزز بطاعة الله ﷻ.

قال أبو جعفر: وأولاها الأول، لأن الآيات التي قبلها، وُبخ فيها المشركون بعبادة الأوثان، فكان أولى بهذه أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك أيضاً.

٩- ثم **قال** ﷻ: **إليْهِ يصعد الْكَلِم الطيب والْعملُ الصالِح يرفَعه** [آية:١٠].

في **معناه ثلاثة أقوال:**

أ - من ذلك ما حدثنا بكر بن سهل: قال: حدثنا أبو صالح، عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: **إليْهِ يصعد الْكَلِم الطيب والْعملُ الصالِح يرفَعه** قال: الكلام الطيب: ذكر الله ﷻ، و **الْعملُ الصالِح** : أداء فرائضه.

فمن ذكر الله سبحانه في أداء فرائضه، حمل عمله ذِكْرِ الله، فصعد إلى الله سبحانه.

ومن ذَكَر الله، ولم يؤد فرائضه، رُد كلامه على عمله، فكان أولى به.

قال أبو جعفر: وكذلك قال الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، والضحاك، قالوا: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب.

قال الحسن: فإذا كان كلام طيب، وعمل سيئ، رُد القولُ على العمل، فكان

عملك أولى بك من قولك.

ب- وقال شهر بن حوشب: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ : القرآن: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ القرآن.

جـ- وروى معمر عن قتادة، قال: والعمل الصالح يرفعه الله ﷻ.

قال أبو جعفر: قول قتادة ليس ببعيد في المعنى، لأن الله ﷻ يرفع الأعمال.

وقول شهر بن حوشب معناه: أن العمل الصالح، لا ينفعك إلا مع التوحيد، فكأن التوحيد يرفعه.

إلا أن القول الأول أولاها وأصحها لعلو من قال به، وأنه في العربية أولى، لأن القراء على رفع العمل، ولو كان المعنى: والعمل الصالح يرفعه الله، أو والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب، لكان الاختيار نصب العمل، ولا نعلم أحداً قرأه منصوباً، إلا شيئاً رُوي عن عيسى بن عمر أنه قال: قرأه أناس ﴿**وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾(1).

١٠- وقوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [آية:١٠].

روى معمر عن قتادة ﴿**يَبُورُ**﴾ قال: يفسد.

قال أبو جعفر: وقد بين الله ﷻ هذا المكر في قوله: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ**﴾ [الأنفال:٣٠].

وروى قيس عن منصور عن مجاهد: ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ قال: الرياء.

في معنى **هذه الآية أقوال:**

أ- فمن أحسنها وأشبهها بظاهر التنـزيل، قول الضحاك قال: «من قضيتُ له أن يُعمر حتى يدركه الهرم، أو يُعمر دون ذلك فكل ذلك بقضاء، وكل في كتاب».

قال أبو جعفر: والمعنى على هذا ﴿**وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ**﴾ [آية:١١] أي هرم، وفلان معمر أي كبير ﴿**وَلَا يُنْقَصُ**﴾ آخر ﴿**مِنْ عُمُرِهِ**﴾ [آية:١١] من عمر الهرم، إلا بقضاء من الله ﷻ.

ب- وروى عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في **قوله ﷻ:**

(1) هذه القراءة من شواذ القراءات، ذكرها أبو حيان في البحر ٣٠٤/٧، والألوسـي في روح المعاني ١٧٥/٢٢ وليست من القراءات المعتبرة، وقد رجح ابن عطية أن الضمير يعود على الله أي يرفعه الله، بمعنى يقبله. انظر المحرر الوجيز ٢٢٢/١٢.

وما يعمر مِن معمرٍ ولاَ ينقَص مِن عمرِهِ إلا فِي كِتابٍ [آية:١١].

قال: يكتب عمره كذا وكذا سنةً، وكذا وكذا شهراً، وكذا وكذا يوماً، ثم يكتب نقص من عمره يوم، ونقص من عمره شهر، ونقص من عمره سنةٌ، في كتاب آخر، إلى أن يستوفي أجله، فيموت.

جـ - قال سعيد بن جبير: فيما مضى من عمره فهو النقصان، وما يستقبل فهو الذي يُعمَّر.

د- وروى الزهري عن سعيد بن المسيب عن كعب الأحبار أنه قال: «لما طعن عمر بن الخطاب، لو دعا الله لزاد في أجله، فأنكر ذلك عليه المسلمون، وقالوا: إن الله ﷻ يقول: **فَإِذَا جاءَ أجلُهم لاَ يستأخِرونَ ساعةً ولاَ يستقْدِمونَ** [الأعراف:٣٤] فقال: وإن الله تعالى يقول: **وما يعمر مِن معمرٍ ولاَ ينقَص مِن عمرِهِ إلا فِي كِتابٍ**.

هـ - قال الزهري: نرى أنه يؤخر ما لم يحضر الأجل، فإذا حضر الأجل لم يزد في العمر، ولم يقع تأخير.

قال أبو جعفر: وقيل في معنى **الآية:** إنه يكون أن يُحكم أن عمر الإنسان مائة سنة إن أطاع، وتسعون إن عصى، فأيهما بلغ فهو في كتاب.

إِن ذَلِك علَى الله يسِير [آية: ١١]. أي إحصاءُ طويل الأعمار وقصيرها لا يتعذر عليه.

١٢- وقوله ﷻ: وما يستوِي الْبحران هذَا عذْب فُرات.. [آية:١٢].

قال أبو عبيدة: الفرات: أعذب العذوبة، والأجاج: أملح الملوحة.

١٣- ثم قال ﷻ: ومِن كُلٍ تأْكُلُونَ لَحما طَرِيا وتستخرِجونَ حِلْيةً تلْبسونها [آية: ١٢].

الحلية: اللؤلؤ والمرجان، كما قال تعالى: **يخرج مِنهمـا اللؤلُـؤ والْمرجـانُ** [الرحمن:٢٢]. وإنما يخرج من الملح.

قال أبو جعفر: وهذا كثير في كلام العرب، لأن البحرين مختلطان، فجاز أن يقال: يخرج منهما، وإنما يخرج من أحدهما، على قول بعض أهل اللغة.

١٤- ثم قال ﷻ: وترى الْفُلْك فِيهِ مواخِر لِتبتغوا مِن فَضلِهِ [آية:١٢].

قال قتادة: أي تجري الفلك مقبلة، ومدبرة.

قال أبو جعفر: مخرت السفينة تمخُر، وتمخرُ، مخراً، ومخوراً: إذا خرقت الماء.

١٥- وقوله ﷻ: ﴿والذين تدعونَ من دونهِ ما يملكُونَ من قِطْمِيرٍ﴾ [آية: ١٣].

روى خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: (القطمير): القشيرة التي على النواة أي بينها وبين التمرة، و«الفتيل»: الذي في شق النواة، قال «والنقير» الحبة التي في وسط النواة.

١٦- وقوله ﷻ: ﴿ويوم القِيامةِ يكْفُرونَ بشِركِكُم ولا ينبئُك مِثْلُ خبيرٍ﴾ [آية: ١٤].

أي يتبرون منهم، ومن عبادتهم إياهم، ويوبخونهم على ذلك.

ثم **قال تعالى: ﴿ولا ينبئُك مِثْلُ خبيرٍ﴾** وهو الله ﷻ، خبير بما يكون، لا يعلمه غيره.

١٧- وقوله ﷻ: ﴿ولا تزر وازرةٌ وِزر أُخرى﴾ [آية: ١٨].

روى سماك **عن عكرمة عن ابن عباس قال:** لا يؤاخذ أحد بذنب أحد.

١٨- ثم قال ﷻ: ﴿وإن تدع مثْقَلةٌ إلى حِملِها لا يحملْ مِنه شيءٌ﴾ [آية:١٨].

قال مجاهد: **﴿إلى حِملِها﴾**: أي إلى الذنوب.

قال أبو جعفر: المعنى: وإن تدع نفس قد أثقلته[1] الذنوب **﴿إلى حِملِها﴾** - وهو ذنوبها - لا يُحمل من حملها، وهو ذنوبها شيء.

﴿ولو كانَ ذا قُربى﴾ [آية: ١٨] أي ولو كان الذي تدعوه إلى ذلك، أباً، أو ابناً، أو ما أشبههما.

١٩- وقوله ﷻ: ﴿وما يستوي الأعمى والبصِير. ولا الظلُمات ولا النور. ولا الظل ولا الحرور﴾ [آية:١٩-٢١].

قال قتادة: أي كما لا يستوي الأعمى والبصير، لا يستوي المؤمن والكافر.

وقال غيره: المعنى: وما يستوي الأعمى عن الحق وهو الكافر، ولا البصيرُ بالهدى وهو المؤمن **﴿الظلُمات﴾** وهي الضلالات **﴿ولا النور﴾** وهو الهدى.

ثم **قال تعالى: ﴿ولا الظل ولا الحرور﴾**.

قال أبو عبيدة: ﴿الحرور﴾ في هذا الموضع، إنما يكون بالنهار مع الشمس.

---

(١) جاء في المصباح: النفس أنثى إن أريد بها الروح، وإن أريد الشخص فذكر، وجمع النفس أنفس ونفوس.

وقيل: يعني الجنة، والنار.
وقيل: لا يستوي من كان في ظل من الحق، ومن كان في الحرور.
وقال الفراء: (الحَرُورُ): الحر الدائم ليلاً أو نهاراً، والسموم بالنهار خاصة.
وقال رؤبة بن العجاج: **الْحرور** بالليل خاصة، والسموم بالنهار.
قال أبو جعفر: وقول أبي عبيدة أشبه، لأن الظل إنما يستعمل في اليوم الشمس.
٢٠- ثم **قال** ﷻ: **وما يستوي الأحياءُ ولا الأموات** [آية: ٢٢].
أي العقلاء والجهال.
والمراد بالأحياء: الأحياءُ القلوب بالإيمان والمعرفة.
والأموات: الأموات القلوب بغلبة الكفر عليها، حتى صارت لا تعرف الهدى من الضلال.
٢١- وقوله ﷻ: **وإن من أُمةٍ إلا خلا فيها نذِير** [آية:٢٤].
أي سلف فيها نبي.
٢٢- وقوله ﷻ: **ومِن الْجِبال جدد بِيض وحمر مختلِف أَلوانها وغَرابِيب سود** [آية:٢٧].
قال الضحاك: أي ألوان مختلفة أي أبيض، وأحمر، وأسود، قال: والجدد: الطرائق.
قال أبو جعفر: قال أبو عبيدة: الغربيب: الشديد السواد.
٢٣- ثم **قال** ﷻ: **ومِن الناسِ والدواب والأنعامِ مختلِف أَلوانه كذَلِك..** [آية:٢٨].
قال الضحاك: أي ومن الناس الأبيض، والأحمر، والأسود.
٢٤- ثم **قال** ﷻ: **إنما يخشى الله مِن عِبادِهِ الْعلماءُ** [آية:٢٨].
أي العلماء بقدرته على ما يشاء، فمن علم ذلك أيقن بمعاقبته على المعصية، فخافه.
كما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: إنما يخشى الله مِن عِبادِهِ الْعلماءُ .
قال: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير.
وفي **الحديث:** «**كفى بخشية الله علماً، وبالغِرة به جهلاً**»(١) .
٢٥- وقوله ﷻ: **ثُم أَورثْنا الْكِتاب الذِين اصطفَينا مِن عِبادِنا فَمِنهم ظَالِم**

(١) انظر القرطبي ٣٤٢/١٤، والدر المنثور ٢٥٠/٥.

لنفْسِهِ وِمِنهم مقْتصِد وِمِنهم سابِق بِالْخيراتِ بِإِذْنِ الله [آية: ٣٢].

قيل: إن الناجي هو المقتصد، والسابق، وإن قوله تعالى: **جنات عدنٍ يدخلُونها** [آية: ٣٣] للمقتصد والسابق، هذا مذهب ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة.

روى ابن عيينة عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس فَمِنهم ظَالِم لنفْسِهِ قال: كافر.

وعن ابن عباس قال: الكِتاب : كل كتابٍ أنـزل.

وعنه: كلهم أمة محمد ﷺ من رواية ابن أبي طلحة عنه، وهذا أولى ما قيل فيها.

وروى الثوري عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس في **قوله** ﷻ: **ثُم أورثْنا الكِتاب الذِين اصطَفَينا مِن عِبادِنا** [آية: ٣٢] إلى آخر الآية.

قال: هذا مثل قوله ﷻ: **فَأَصحاب الْميمنةِ ما أَصحاب الْميمنةِ * وأَصحاب الْمشأَمةِ ما أَصحاب الْمشأَمةِ * والسابِقُونَ السابِقُونَ * أُولَئِك الْمقَربونَ** [الواقعة: ٨-١١].

قال: فنجت فرقتان.

قال مجاهد: فَمِنهم ظَالِم لنفْسِهِ أصحاب المشأمة **وِمِنهم مقْتصِد وِمِنهم سابِق بِالْخيراتِ بِإِذْنِ الله** [آية:٣٢] السابقون من الناس كلهم.

وقال عكرمة: فَمِنهم ظَالِم لنفْسِهِ كما قال ﷻ : **فَذُوقُوا فَما لِلظَالِمِين مِن نصِيرٍ** [آية: ٣٧].

وقال الحسن وقتادة: فَمِنهم ظَالِم لنفْسِهِ المنافق.

قال قتادة: الكتاب : شهادة أن لا إله إلا الله.

وقيل: إن الفرق الثلاث ناجية، قال ذلك عمر، وأبو الدرداء، وإبراهيم النخعي، وكعب الأحبار.

وقال عثمان: هم أهل باديتنا، يعني الظالم لنفسه.

قال عمر: سابِقُنا سابق، ومقتصدُنا ناجٍ، وظالمنا مغفورٌ له.

وقال أبو الدرداء: السابق يدخل الجنة بغير حساب، و(المقتصد) يحاسب حساباً يسيراً، و(الظالم لنفسه) يؤخذ منه ثم ينجو، فذلك قوله ﷻ: **وقَالُوا الْحمد لِلهِ الذِي أَذْهب عنا الْحزنَ** [آية: ٣٤].

وقال كعب: هذه الأمة على ثلاث فرق، كلها في الجنة، ثم تلا: **ثُم أورثْنا الكِتاب الذِين اصطَفَينا مِن عِبادِنا فَمِنهم ظَالِم لنفْسِهِ** إلى قوله: **جنات عدنٍ**

يدخلونها فقال: دخلوها ورب الكعبة.

وبعد هذا للكفار.

٢٦- وهو قوله ﷻ: والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا [آية: ٣٦].

قال محمد بن يزيد: الرجال أربعة: جواد، وبخيل، ومسرف، ومقتصد.

فالجواد: الذي وجه نصيب آخرته، ونصيب دنياه، جميعاً إلى آخرته.

والبخيل: الذي لا يُعطي واحدة منهما حقاً.

والمسرف: الذي يجمعهما للدنيا.

والمقتصد: الذي يلحق بكل واحدة نصيبها، أي عمله قصد ليس بمجتهد.

قال أبو إسحاق: معنى: **أذهب عنا الحزنَ** : أي الهم بالمعيشة، والخوف من العذاب، وتوقع الموت.

وكل ما قاله قد جاء في **التفسير،** فهو عام لجميع الحزن.

والمقامة والمقام واحد، والنصب: التعب.

واللغوب: الإعياء، واللغوب بفتح اللام: ما يُلْغَبُ منه.

وقرأ الحسن: لا يقضى عليهم فيموتون [(١)].

والمعنى على قراءته: لا يقُضى عليهم الموت، ولا يموتون.

٢٧- وقوله ﷻ: أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر [آية:٣٧].

قال أبو هريرة وابن عباس: ستين سنةٍ.

وعنه أيضاً: أربعين.

وهذا أشبه، لأن في الأربعين تناهي العقل، وما قبل ذلك وما بعده، منتقص عنه، والله ﷻ أعلم.

وقال الحسن أيضاً: أربعين، ويقال: إن ابن سبع عشرة داخلٌ فيها.

ثم **قال تعالى: وجاءكم النذير** [آية: ٣٧].

قال ابن زيد: النبي ﷺ.

وقيل: يعني الشيبُ.

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢٠١/٢.

والأول أكثر، والمعنى على الثاني: حتى شبتم، وهو قول ابن عباس.

٢٨- وقوله ﷻ: **هو الذي جعلكم خلائف في الأرض** [آية:٣٩].

أي تخلُفونَ من كان قبلكم، وتعتبرون بما نزل م.

٢٩- ثم **قال** ﷻ: **فمن كفر فعليه كُفْره** [آية:٣٩].

أي جزاء كفره.

ولا يزيد الكافرين كُفْرهم عند ربهم إلا مقْتا [آية:٣٩].

المقت: أشد الإبغاض.

٣٠- وقوله ﷻ: **قُلْ أرأيتم شركاءكُم الذين تدعونَ من دون الله** [آية:٤٠].

المعنى عند سيبويه: أخبروني عن الذين تدعون من دون الله على التوقيف.

٣١- ثم **قال** ﷻ: **أروني ماذا خلقُوا من الأرض أم لهم شِرك في السماوات** [آية:٤٠].

أي أعبدتموهم لأ م خلقوا من الأرض شيئاً؟ أم لهم شركة في خلق السموات؟

أم آتيناهم كتابا [آية:٤٠] بالشركة **فهم على بينةٍ منه** [آية:٤٠] أي على بينات منه؟

٣٢- وقوله ﷻ: **إن الله يمسك السماواتِ والأرض أنْ تزولا** [آية:٤١].

المعنى: عند البصريين: كراهة أن تزولا، كما قال سبحانه: و **اسأل القَرية** [يوسف:٨٢].

٣٣- ثم **قال** ﷻ: **ولئن زالتا إنْ أمسكهما من أحدٍ من بعده** [آية:٤١].

يجوز أن يكون المعنى: لزوالهما يوم القيامة.

ويجوز أن يقال هذا وإن لم تزولا، و«إنْ» بمعنى «ما» وهو يشبه قوله تعالى: **ولئن أرسلْنا رِيحا فرأوه مصفرا** [الروم:٥١].

قال أبو جعفر: وفي الآية سؤال، يقال: هذا موضع قدرة، فكيف قال: **إنه كانَ حليما غفُورا** [آية:٤١]؟

فالجواب: أ م لما قالوا: **اتخذَ الرحمن ولَدا** [مريم:٨٨]. كادت الجبال تزول، وكادت السموات ينفطرن، وكادت الأرض تخِر، لعظم ما قالوا، فأسكنها الله ﷻ، وأخر عقا م، وحلُم عنهم، فذلك قوله سبحانه : **إنه كانَ حليما غفُورا** .

٣٤- وقوله ﷻ: **لئن جاءَهم نذِير ليكُونن أهدى من إحدى الأمم** [آية:٤٢].

معنى **أهدى من إحدى الأمم** من اليهود والنصارى.

٣٥- وقوله ﷻ: استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله [آية:٤٣].

ومكر السيئ قيل: أي ومكر الكفر.

ثم قال تعالى: **ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله** أي ولا ينـزل مكروه المكر السيىء إلا بأهله، أي بالذين يمكرونه.

٣٦- ثم **قال ﷻ: فهل ينظرون إلا سنت الأولين** [آية:٤٣].

أي فهل ينتظرون إلا سُنة الأولين في العذاب حين كفروا؟

٣٧- وقوله ﷻ: ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة [آية:٤٥].

قال أبو عبيدة: يعني الناس خاصة.

وعن عبد الله بن مسعود ما يدل على أنه يعني الناس وغيرهم.

قال: كاد الجُعلُ يُعذب بذنب بني آدم، ثم تلا **ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة** .

قال قتادة: قد فُعل ذلك في أيام نوح عليه السلام.

وقوله تعالى: **على ظهرها** [آية:٤٥].

قيل: قد عُرف أن المعنى على ظهر الأرض.

قال أبو جعفر: والأجود أن يكون الإضمار يعود على ما جرى ذكره، في قوله سبحانه **أو لم يسيروا في الأرض** [آية:٤٤].

٣٨- وقوله ﷻ: فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا [آية:٤٥].

فإذا جاء أجلهم أي أجل عقا م.

فإن الله كان بعباده بصيرا أي بصيراً بما يستحق كل فريق منهم.

«انتهت سورة فاطر»

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيمِ

سورة يس وهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ: يسْ * والقُرآن الحكِيمِ [آية: ١-٢].

وقرأ عيسى[(١)] **ياسِين** بفتح النون[(٢)].

روى سفيان عن أبي بكر الهذلي عن الحسين: يس قال: افتتاح القرآن.

وروى هشيم، عن حصين، عن الحَسن قال: يس قال: يا إنسان، وكذلك قال الضحاك.

وقال عكرمة: هو قسم.

وقال مجاهد: من فواتح كلام الله ﷻ.

وقال قتادة: هو اسم للسورة.

وقراءة عيسى تحتمل **أن تكون اسماً للسورة**، ونصب بإضمار فعل.

ويجوز أن يكون الفتح لالتقاء الساكنين.

قال سيبويه: وقد قرأ بعضهم **يس * والقُرآن**[(٣)] و **ق * والقرآنَ** يعني بنصبهما جميعاً.

قال: فمن قال هذا، فكأنه جعله اسماً أعجمياً، ثم قال: اذكر ياسين.

قال أبو جعفر: هذا يدل على أن مذهب سيبويه في «يس» أنه اسم السورة، كما قال قتادة.

قال سيبويه: ويجوز أن يكون **يس** و **صاد** اسمين غير متمكنين، فيلزما الفتح، كما ألزمت الأسماء غير المتمكنة الحركات، نحو «كيف، وأين، وحيث، وأمس».

٢- وقوله ﷻ: إنك لمِن المرسلِين * على صِراطٍ مستقِيمٍ [آية: ٣-٤].

---

(١) عيسى بن عمر مقرئ الكوفة المتوفي سنة ١٥٦ هـ، انظر طبقات القراء لابن الجزري ٦١٢/١.

(٢) هذه القراءة بفتح النون يسن من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢٠٣/٢.

(٣) هذه قراءة عيسى بن عمر الكوفي، وعدها ابن جني في المحتسب من القراءات الشاذة ٢٠٣/٢ وكذلك قراءة الضم يسنُ وقراءة الجمهور يسن بإظهار النون.

خبر بعد خبر.

ويجوز أن يكون ﴿علىٰ صِراطٍ مستقيمٍ﴾ من صلة المرسلين، أي لمن المرسلين على استقامةٍ من الحق.

٣- وقوله ﷻ: ﴿تنــزيلَ الْعزيز الرحيم﴾ [آية:٥].

أي الذي أوحي إليك، تنــزيل العزيز الرحيم.

والنصب لأنه مصدر(١).

٤- ثم **قال** ﷻ: **﴿لتنذِر قوما ما أُنذِر آباؤهم فهم غَافِلُونَ﴾** [آية:٦].

قال قتادة: قال قوم: لتنذر قوماً ما أتى آباءهم قبلك من نذير.

وقال قوم: لتنذر قوماً ما أُنذر آباؤهم.

قال أبو جعفر: إن المعنى **على القول الثاني:** لتنذر قوماً بما أنذر آباؤهم، كما قال سبحانه: **﴿فَقُلْ أنذرتكُم صاعِقَةً﴾** [فصلت: ١٣].

٥- ثم **قال** ﷻ: **﴿لقد حق الْقولُ علىٰ أكْثرِهِم فهم لا يؤمِنونَ﴾** [آية:٧].

أي وجب القول عليهم بكفرهم، بأن لهم النار.

وقيل: عقوبة على كفرهم.

٦- ثم **قال** ﷻ: **﴿إنا جعلْنا فِي أعناقِهم أغْلالاً﴾** [آية:٨].

في **معنى هذا أقوال:**

قال الضحاك: منعناهم من النفقة في سبيل الله، كما قال تعالى: **﴿ولا تجعلْ يدك مغلُولةً إلىٰ عنقِك﴾** [الإسراء:٢٩].

وقيل: هذا في يوم القيامة، إذا دخلوا النار.

والماضي بمعنى المستقبل، أو لأن الله ﷻ أخبر به.

أو على إضمار «إذا كان».

وقيل: جعلنا بمعنى وصفنا أ م كذا.

وقد حكى سيبويه أن «جعل» تأتي في كلام العرب على هذا المعنى، وهو أحد أقواله

(١) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو ﴿تنــزيلُ العزيز الرحيم﴾ بالرفع، وقرأ ابن عامر، وحمــزة، والكسائي، وحفص عن عاصم ﴿تنــزيلَ العزيز﴾ نصبا، وكلاهما من السبع، فقراءة الرفــع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، تقديره هذا القرآن تنــزيل العزيز الرحيم، وقراءة النصب علــى المدح، أو على المصدرية، أي نزل تنــزيل، انظر روح المعاني ٢١٢/٢٢.

في قلو م: جعلت متاعك بعضه فوق بعض، وقوله ﷻ: **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا** [الزخرف:١٩].

٧- ثم **قال** ﷻ: **فهي إلى الأذقان فهم مقمحون** [آية:٨].

والمعنى: فأيديهم إلى الأذقان، ولم يجر للأيدي ذِكر، لأن المعنى قد عرف، كما قال:

فما أدري إذا يممت وجهاً أريد الخير أيهما يليني

أألخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي لا يأتليني[١]

وفي قراءة عبد الله بن مسعود **إنا جعلنا** في **أيمانهم أغلالاً** [٢].

ثم قال تعالى **فهم مقمحون** [آية: ٨].

قال مجاهد: أي رافعوا رءوسهم، وأيديهم على أفواههم.

وقال الفراء: هو الرافع رأسه، الغاض بصره.

وقال أبو عبيدة: هو الذي يُجذب، وهو رافع رأسه.

قال أبو جعفر: المعروف في اللغة: أن «المقمح» الرافع رأسه لمكروه، ومنه قيل لكانونين: «شهرا قماح» لأن الإبل إذا وردت فيهما الماء، رفعت رؤوسها من البرد، ومنه قوله:

ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالإبل القماح [٣]

٨- ثم **قال** ﷻ: **وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا** [آية:٩].

قال أبو جعفر: السد، والسد: الجبل، والمعنى أعميناهم، كما قال:

ومن الحوادث - لا أبالك - أنني ضربت علي الأرض بالأسداد

---

(١) البيتان لسحيم بن وثيل الرياحي، انظر معاني القرآن ٢٧٣/٢، والطبري ١٥١/٢٢، ومعاني القرآن للزجاج ٢٧٩/٤.

(٢) هذه القراءة شاذة، وهي محمولة على التفسير، وليست من القراءات السبع المعتمدة، ولا يقرأ بما خالف المصحف، انظر إعراب القرآن للنحاس ٧١٠/٢.

(٣) البيت لبشر بن أبي خازم الأسدي، انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٥٧/٢، وتفسير الطبري ٨/١٥.

لاأهتدي فيها لموضع تلعة بين **العذيب وبين أرض مراد**[1]

قال عكرمة: كل ما كان من صنعة الله ﷻ فهو سد، وما كان من صنعة المخلوقين فهو سُد.

وقال ابن أبي إسحاق: كل ما لا يرى فهو سد، وما رئي فهو سُد.

ويروى أ م أرادوا النبي ﷺ بسوء، فأحال الله ﷻ بينهم وبينه، أي فصاروا كأن بينهم وبينه سداً وكأن في أعناقهم أغلالاً، كذا قال عكرمة، ونـزلت في أبي جهل.

٩- ثم **قال ﷻ: فَأغْشيناهم فَهم لا يبصِرونَ** [آية: ٩].

التغشية: التغطية، وروي عن ابن عباس، وعمر بن عبد العزيز **فَأعْشيناهم** بالعين غير معجمة، كما قال تعالى: **ومن يعش عن ذِكْرِ الرحمن نقَيض لَه شيطَانا فَهو لَه قَرين** [الزخرف:٣٦].

١٠- وقوله ﷻ: إنا نحن نحيِي الْموتى ونكْتب ما قَدموا وآثَارهم [آية: ١٢].

روى سِماك عن عكرمة عن ابن عباس: «كانت الأنصار بعيدة من المسجد، فقالوا: نأخذ أمكنة تقرب من المسجد، فأنـزل الله ﷻ **ونكْتب ما قَدموا وآثَارهم** فقالوا: نثبت مكاننا.

وقال مسروق: ما من رجل يخطو خطوة إلا كتب الله له حسنة أو سيئة.

وقال مجاهد وقتادة: آثَارهم : خُطاهم.

وقال سعيد بن جبير: نكْتب ما قَدموا أعمالهم، و **وآثَارهم** ما سنوا بعدهم.

١١- وقوله ﷻ: واضرِب لَهم مثَلاً أصحاب الْقَريةِ إِذْ جاءَها الْمرسلُونَ [آية: ١٣].

قال عكرمة: هي أنطاكية.

قال أبو جعفر: يقال: عندي ضروب من هذا، أي أمثال.

فالمعنى على هذا: ومثل لهم مثلا أي اذكر لهم مثلاً **أصحاب الْقَريةِ** على البدل، أي اذكر أصحاب القرية.

والمعنى: واذكر خبر أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون.

١٢- وقوله ﷻ: إِذْ أرسلْنا إِلَيهم اثْنين فَكَذبوهما فَعززنا بِثَالِثٍ [آية:١٤].

---

(١) البيتان للأسود بن يعفر النهشلي، انظر المفضليات ص ٢١٦و تذيب اللغة ٢٧٨/١٢.

قال قتادة: أرسل إليهم عيسى عليه السلام، اثنين من الحواريين، فكذبوهما.

وقال كعب ووهب: أرسل الله عز وجل إلى «أنطيخس» الفرعون بأنطاكية - وكان يعبد الأصنام - اثنين، ثم عزز بثالث.

قال الفراء: الثالث أرسل قبل الاثنين، وفي التلاوة كأنه أُرسل بعدهما.

قال: ومعنى **فَعززنا بثالثٍ**: فعززنا بتعليم الثالث.

قال: وفي قراءة ابن مسعود: «فعززنا بالثالث»(1) وأهل وأهل التفسير على خلاف قوله، وقوله ليس بالبين، والله أعلم.

قال الحسن ومجاهد: **فَعززنا** فشددنا.

قال الفراء: وقرأ عاصم **فَعززنا** خفيفة، قال: وهو مثل: شددنا، وشددنا.

قال أبو جعفر: والمعروف في اللغة أن معنى «عززنا» غلبنا وقهرنا، والمستقبل «يفْعُل» بالضم.

١٣- وقوله عز وجل: **قَالُوا إنا تطيرنا بكُم لئِن لم تنتهوا لنرجمنكُم** [آية:١٨].

قال قتادة: أي ما أصابنا من شر فهو بكم.

ثم قال تعالى: **لئِن لم تنتهوا لنرجمنكُم** أي لنقتلنكم رجماً.

١٤- وقوله عز وجل: **قَالُوا طَائِركُم معكُم أَإِنْ ذُكرتم بلْ أنتم قَوم مسرِفُونَ** [آية:١٩].

روي عن مجاهد عن ابن عباس قال: **طَائِركُم معكُم** أي الأرزاق والأقدار تتبعكم.

قال أبو جعفر: ومن هذا قوله عز وجل: **وكُل إنسانٍ ألْزمناه طَائِره في عنقِهِ** [الإسراء: ١٣]. أي ما يطير له من الخير والشر، فهو لازم في عنقه، على التمثيل.

ثم قال تعالى: **أَإِنْ ذُكرتم** قال قتادة: أي أإن ذكرتم تطيرتم؟

وقرأ أبو رزين(2) **أَأَنْ ذُكرتم**(3).

والمعنى على قراءته: ألأن ذكرتم بالله، أو بالعذاب، تطيرتم؟

وقرأ عيسى: **قَالُوا طَائِركُم معكُم أَين ذُكرتم**.

---

(١) هذه القراءة ليست من القراءات السبع، انظر البحر المحيط ٣٣٧/٧.

(٢) أبو رزين العقيلي صحابي مشهور، واسمه لقيط بن صبرة، ويقال: لقيط بن عامر العقيلي، انظر ترجمته في أسد الغابة ٥٢٢/٤ وتقريب التهذيب لابن حجر ١٣٨/٢.

(٣) هذه قراءة أبي رزين، انظر معاني القرآن للفراء ٣٧٢/٢.

وقرأ الحسن: **أين ذُكّرتم** وفسره: حيث ذُكرتم طائركم معكم.

١٥- وقوله ﷻ: **وجاءَ مِن أقْصى المدِينةِ رجلٌ يسعى** [آية:٢٠].

قال مجاهد: هو «حبيب النجار».

قال قتادة: كان يعبد الله ﷻ في غار، فلما سمع بخبر المرسلين جاء يسعى، فقال للمرسلين: أتطلبون على ما جئتم به أجراً؟ قالوا: لا، ما أجرنا إلا على الله، فقال: يا قوم اتبعوا المرسلين إلى قوله: **إني آمنت بربكُم فَاسمعون** [آية:٢٥] يقول هذا للمرسلين.

وقال كعب ووهب : قال هذا لقومه .

قال قتادة: فرجمه قومُه فقال: اللهم اهد قومي -أحسبه قال- فإ م لا يعلمون، فلم يزالوا يرجمونه حتى أقعصوه[1]، فأدخله الله ﷻ الجنة، ولم يُنظر الله قومه حتى أهلكهم.

قال كعب ووهب: وثبوا عليه وثبة رجلٍ واحدٍ، فقتلوه، فإذا هم خامدون.

١٦- وقوله ﷻ: **قِيلَ ادخل الْجنةَ قَالَ يا لَيت قَومِي يعلَمونَ** [آية:٢٦].

قال مجاهد: في قوله تعالى: **قِيلَ ادخل الْجنةَ** قال: قيل له وجبت لك الجنة.

١٧- وقوله ﷻ: **إن كانت إلا صيحةً واحِدةً فَإذَا هم خامِدونَ** [آية:٢٩].

وقرأ أبو جعفر[2]**:** **إن كانت إلا صيحةٌ واحِدةٌ** .

والمعنى على قراءته: إن وقعت عقوبتهم إلا صيحة واحدةٌ، **فَإذَا هم خامِدونَ** أي ساكنون بمنـزلة الرماد الخامد.

١٨- وقوله ﷻ: **يا حسرةً علَى الْعِبادِ ما يأتِيهم من رسولٍ إلا كانوا بِهِ يستهزِئُونَ** [آية:٣٠].

وفي حرف أبي[3] **يا حسرة الْعِبادِ** أي هذا موضع حضور الحسرة.

قال أبو جعفر: وحقيقة الحسرة في اللغة: أن يلحق الإنسان من الندم ما يصير به حسيراً.

---

(١) قال ابن منظور: أقعصوه: أي قتلوه قتلا سريعا قال في اللسان: القعص: القتل المعجل، يقال: مات فلان قعصا: إذ أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه، وقعصته، وأقعصته إذ قتلته قـتلا. انظر اللسان مادة (قعص).

(٢) أبو جعفر بن القعقاع أحد القراء المشهورين، وعدها ابن جني في المحتسـب ٢٠٦/٢ مـن القراءات الشاذة.

(٣) يعني: في مصحف أبي بن كعب يا حسرة العباد على الإضافة، وهـي قـراءة الضـحاك ومجاهد، وقد عدها ابن جني في المحتسب ٢٠٨/٢ من الشواذ.

١٩- وقوله ﷻ: ألم يروا كم أهلكْنا قبلهم من القُرون أنهم إليهم لاَ يرجِعونَ [آية: ٣١].

قال سيبويه: هو بدلٌ من «كم» أي ألم يروا القرون التي أهلكناهم، أ م لا يرجعون؟!

قال محمد بن يزيد: هذا لا يصح ولا يجوز، ومعنى **ألم يروا**؟ ألم يعلموا؟ لأ م إنما أخبروا ذا، و **كم** نصب بـ **أهلكنا**.

والمعنى: ألم يعلموا كم أهلكنا قبلهم من القرون؟ أي بأ م إليهم لا يرجعون، أي بالاستئصال.

قال: والدليل على هذا أ ا في قراءة عبد الله بن مسعود **من**[1] **أهلكْنا قبلَهم مِن القُرون أنهم إليهم لا يرجِعونَ**.

وقرأ الحسن: إنهم إليهم لاَ يرجِعونَ.

٢٠- وقوله ﷻ: وإن كُل لما جمِيع لدينا محضرونَ [آية: ٣٢].

«إنْ» بمعنى «ما» و«لَما» بمعنى «إلا».

وحكى النحويون: بالله لما قمت، بمعنى إلا.

وفي **حرف** أبي بن كعب[2]: **وإنْ منهم إلا جمِيع لَدينا محضرونَ**.

٢١- ثم **قال ﷻ: وآيةٌ لهم الأرض الميتةُ أحييناها** [آية: ٣٣].

أي وعلامةٌ تدل على قدرة الله ﷻ، وإحيائه الموتى، الأرض الميتة أحييناها.

٢٢- وقوله ﷻ: ليأكُلوا مِن ثَمرِه وما عمِلَته أيدِيهم [آية: ٣٥].

روي عن ابن عباس: أي ولم تعمله أيديهم.

وتقرأ وما عمِلت أيديهم بمعنى: والذي عملت أيديهم[3].

٢٣- وقوله ﷻ: سبحانَ الذِي خلَق الأزواج كُلها [آية: ٣٦].

---

(١) ذكرها الطبري ٢٣/٣ فقال: وقد ذُكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود ألم يروا من أهلكنا ؟ وذكرها القرطبي ٢٤/١٥ وليست من القراءات السبع، بل هي شاذة، فتنبه والله يرعاك.

(٢) هذه القراءة ليست من السبع، بل هي الشاذة، انظر القرطبي ٢٥/١٥.

(٣) هذه قراءة حمزة والكسائي كما في السبعة لابن مجاهد ٥٤٠/٢ و«ما» هنا اسم موصول بمعنى الذي، قال السيوطي في إعجاز القرآن ص ٤٠٨: أي ليأكلوا من ثمره، ومما عملت أيـديهم بالحرث، والزراعة، والغراسة، واختاره الطبري، وهو الأظهر، فالثمر من خلق الله، وفيه آثار من كد البشر.

أي الأصناف من الثمرات، والحيوان، وغيرهما.

٢٤- وقوله ﷻ: وآيةٌ لهم الليلُ نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمونَ [آية: ٣٧].

يقال: سلخت الشيء من الشيء: أي أزلته منه، وخلصته حتى لم يبق منه شيء **فإذا هم مظلمونَ**. أي داخلون في الإظلام.

٢٥- ثم **قال ﷻ: والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم** [آية: ٣٨].

قيل المعنى: إلى موضع قرارها، كما جاء في الحديث: «**تذهب فتسجد** بين **يدي ربها ﷻ،** ثم **تستأذن بالرجوع، فيؤذن لها...**». أي وآية لهم الشمس تجري لمستقر لها.

ويجوز أن تكون مبتدأة، و **لمستقر لها** الخبر، أي لأجل لها.

وروي عن ابن عباس أنه قرأ لا مستقر لها [(١)] أي جارية، لا تثبتُ في موضع واحدٍ.

وروى الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر ﷺ قال: «**سألت رسول الله ﷺ عن قول الله ﷻ: والشمس تجري لمستقر لها قال: مستقرها تحت العرش**»[(٢)].

وقيل: إلى أبعد منازلها في الغروب، ثم ترجع ولا تجاوزه.

٢٦- وقوله ﷻ: والقمر قدرناه منازلَ حتى عاد كالعرجون القديم [آية: ٣٩].

أي وآية لهم القمر[(٣)].

---

(١) هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢١٢/٢.

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير ١٥٤/٦، ومسلم ١٣٩/١، والترمذي ١٥٥/٢ وقال: حديث حسن صحيح، ولفظ البخاري: عن أبي ذر ﷺ قال: «كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال: يا أبا ذر اتدري أين تغرب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى: والشمسُ تجري لمُستقر لها ذلك تقديرُ العزيز العليم وزاد البخاري في بعض الروايات، «ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، ويقال: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها» وفي رواية الترمذي «وكأنها قد قيل لها: اطلعي من حيث جئت فتطلع من مغربها».

(٣) هذا على قراءة الرفع «والقمرُ» وهي من القراءات السبع، قرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو =

ويجوز أن يكون مبتدأ، والخبر **والْقمر قّدرناه** والتقدير: قدرناه ذا منازل، كما قال سبحانه **وإذّا كَالُوهم** [المطففين: ٣]. أي كالوا لهم.

٢٧- ثم **قال** ﷻ: **حتى عاد كَالعرجون الْقَدِيمِ** [آية: ٣٩].

قال قتادة: أي كالعِذْق اليابس المنحني، من النخلة.

قال أبو جعفر: الذي قاله قتادة، هو الذي حكاه أهل اللغة.

والعذق بكسر العين: هو الكِباسة والقُنو، وأهل مصر يسمونه الإسباطة، وإذا جف شُبه به القمر، في آخر الشهر وأوله.

والعذْق بفتح العين: النخلة.

٢٨- قال ﷻ: **لا الشمس ينبغِي لَها أنْ تدرك الْقَمر ولا الليلُ سابِق النهارِ** [آية: ٤٠].

قال الضحاك : أي لا تجيءُ الشمسُ، فيغلبُ ضَوْؤُها ضوءَ القمر، ولا يطْلُعُ القمرُ، فيخالط ضوءُه ضوءَ الشمس **ولا الليلُ سابِق النهارِ** قال: أي لا يزول من قبل أن يجيءَ النهار.

٢٩- ثم **قال** ﷻ: **وكُلٌ فِي فَلَكٍ يسبحونَ** [آية: ٤٠].

كل من سار سيراً فيه انبساط فهو سابح.

٣٠- ثم **قال** ﷻ: **وآيةٌ لهم أنا حملْنا ذُريتهم فِي الْفُلْكِ الْمشحون** [آية: ٤١].

قال أبو جعفر: أحسن ما قيل في هذا أن المعنى: وآية لأهل مكة، أنا حملنا ذريات القرون الماضية، في الفلك المشحون.

٣١- **وقوله** ﷻ: **وخلقْنا لَهم من مثْلِهِ ما يركَبونَ** [آية: ٤٢].

قال ابن عباس، وأبو مالك، وأبو صالح، والحسن: يعني السفن.

وقال عبد الله بن شداد بن الهاد، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة: يعني الإبل.

قال أبو جعفر: والإبل، والدواب في البر، بمنــزلة السفن في البحر، إلا أن الأول أشبه بتأويل ذلك، لدلالة قوله: **وإن نشأ نغرقْهم** [آية:٤٣] وإنما الغرق في الماء.

٣٢- **وقوله** ﷻ: **وإن نشأ نغرقْهم فَلا صريخ لَهم ولا هم ينقَذُونَ** [آية:٤٣].

=

كما في النشر ٣٥٣/٢ وعلى قراءة النصب «والقمر» وهي قراءة حمزة وعاصــم والكســائي يكون منصوبا على الاشتغال أي قدرنا القمر منازل.

قال قتادة: أي فلا مغيث لهم.

٣٣- وقوله ﷻ: **وإذَا قِيلَ لهم اتقُوا ما بين أيدِيكُم وما خلْفَكُم** [آية:٤٥].

قال قتادة: أي ما بين أيديكم من الوقائع، فيمن كان قبلكم، **وما خلْفَكُم** قال: من الآخرة.

والمعنى على قول الحكم بن عتيبة **ما بين أيدِيكُم** من الدنيا أي مثل ما أصاب عاداً وثموداً **وما خلْفَكُم** الآخرة.

وعلى قول مجاهد: **ما بين أيدِيكُم** من ذنوبكم. وما لم تعملوه.

وعلى قول ابن عباس وسعيد بن جبير **ما بين أيدِيكُم** الآخرة **وما خلْفَكُم** الدنيا، وكذلك قالا في قول الله ﷻ: **ثُم لآتينهم من بين أيدِيهم ومِن خلْفِهم** [الأعراف:١٧].

والتقدير في **العربية:** وإذا قيل لهم: اتقوا ما بين أيديكم، وما خلفكم، أعرضوا.

ودل على هذا الحذف، قوله تعالى: **وما تأتِيهم من آيةٍ مِن آياتِ ربهم إلا كانوا عنها معرضِين** [آية:٤٦].

٣٤- ثم **قال** ﷻ: **وإذَا قِيلَ لهم أنفِقُوا مِما رزقَكُم الله..** [آية:٤٧].

قال الحسن: هم اليهود.

٣٥- ثم **قال** ﷻ: **قَالَ الذِين كفَروا لِلذِين آمنوا أنطْعِم من لو يشاءُ الله أطْعمه** [آية:٤٧].

يقولون هذا على التهزؤ.

٣٦- وقوله ﷻ: **ما ينظُرونَ إلا صيحةً واحِدةً تأخذُهم وهم يخِصمونَ** [آية:٤٩].

وفي **حرف أبي** **وهم يختصِمون** والمعنى واحد.

ويقرأ **يخصِمونَ** أي يخصم بعضهم بعضاً(١).

ويجوز أن يكون معناه: وهم يخصمون عند أنفسهم بالحجة، من آمن بالساعة.

٣٧- ثم **قال** ﷻ: **فَلا يستطِيعونَ توصِيةً ولا إلى أهلِهم يرجِعونَ** [آية:٥٠].

---

(١) هذه قراءة حمزة والأعمش بإسكان الخاء وتخفيف الصاد، انظر النشر ٣٥٤/٢.

أي لا يُمهلونَ حتى يُوصوا.

ولا إلى أهلِهم يرجِعونَ أي يموتون مكانهم.

ويجوز أن يكون المعنى: ولا يرجعون إلى أهلهم قولاً.

٣٨- وقوله ﷻ: ونفِخ في الصورِ [آية:٥١].

قال أبو عبيدةَ: هو جمع صورة.

يذهب إلى أن المعنى: ونُفخ في الأجسام، واحتج بقول الشاعر:

لما أتى خبر الزبيــر تواضــعت سور المدِينةِ والجِبالُ الخُشــع[1]

قال أبو جعفر: الذي قاله أبو عُبيدة، لا يعرفه أهلُ التفسير، ولا أهلُ اللغة.

والحديثُ على أنه الصورُ الذي ينفُخ فيه إسرافيل صلى الله عليه.

وأهل اللغة على أن جمع «صورة» صور.

وسيبويه وغيره يذهب إلى أن سور المدينة ليس بجمع سورة.

٣٩- ثم قال ﷻ: فإذا هم من الأجداثِ إلى ربهم ينسِلُونَ [آية: ٥١].

أي القبور، يُقال للقبر: جدثٌ، وجدف.

إلى ربهم ينسِلُونَ قال أبو عبيدة: أي يُسرعون.

٤٠- وقوله ﷻ: قالُوا يا ويلنا من بعثَنا مِن مرقَدِنا [آية: ٥٢].

وفي **قراءة عبد الله من أهبنا مِن مرقَدِنا**[2].

قال أُبي بن كعب: ينامون نومةً قبل البعث (فيجدون لذلك راحةً فيقولون: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا.

قال الأعمش: بلغني أنه يُكف عنهم العذابُ بين النفختين، فإذا نُفخ في الصور قالوا: من بعثنا من مرقدنا؟.

قال مجاهد وقتادة: هذا قول الكفار، فقال لهم المؤمنون: **هذَا ما وعد الرحمن وصدق المرسلُونَ** [آية: ٥٢].

(١) البيت لجرير وهو في ديوانه ص ٢٧٠.

(٢) هذه من القراءات الشاذة، وهي محمولة على التفسير، قال ابن جني ٢١٤/٢: ومن ذلك قراءة أبي بن كعب «من هبنا من مرقدنا» قال: وقد أثبت أبو حاتم عن ابن مسعود «من أهبنا» بالهمزة، وهي أقيس، يقال: هب من نومه أي انتبه، وأهببته أنا أي أنبهته، فأما هبني أي أيقظني، فلم أر لها في اللغة أصلا، ولعلها لغة قليلة. انظر المحتسب ٢١٤/٢.

وقيل: هذا من قول الملائكة لهم.

وقيل: التمام عند قوله **هذَا** .

والمعنى: الذي وعد الرحمن حق.

٤١- وقوله ﷻ: إِن أصحاب الْجنةِ الْيوم فِي شغلٍ فَاكِهونَ [آية:55].

يقال: فلانٌ فاكه أي ذو فاكهة، وتامر أي ذو تمرٍ، كما قال الشاعر:

أغَررتني وزعمت أنك لابن بالصيف تامِر[1]

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس فَاكِهين : فرحين.

وفي بعض التفاسير: ناعمين.

فأما **فَكِهونَ** فقال الفراء: معناه كمعنى فاكهين، كما يقال: حذِر، وحاذر، وهذا أولاها.

وقال أبو زيد: يقال رجل فكهٌ: إذا كان طيب النفس ضحوكاً.

وقال أبو عبيدة: يقال: هو فكه بالطعام، أو بالفاكهة، أو بأعراض الناس.

وقال قتادة: فَكِهونَ : معجبون.

٤٢- ثم قال ﷻ: هم وأزواجهم فِي ظِلالٍ علَى الأَرائِكِ متكِئُونَ [آية: 56].

فِي ظِلالٍ جمع ظِلّ.

ويجوز أن يكون جمع ظلة، فأما «ظُلَل» فهو جمع ظُلة لا غير.

قال ابن عباس وقتادة: الأَرائِكُ : السرُر في الحِجال.

وقيل: الفُرُش في الحجال.

وقيل: هي الفرش أين كانت، وهذا معروف في كلام العرب، قال ذو الرمة:

خدوداً جفَت في السير حتى كأنما يباشِرنَ بالمعزاءِ مس الأرائِكِ[2]

٤٣- وقوله ﷻ: لَهم فِيها فَاكِهةٌ ولَهم ما يدعونَ [آية:57].

---

(١) هذا البيت للحطيئة، وهو في ديوانه ص ١٦٨، وانظر مجاز القرآن ١٦٤/٢، والطبري ١٩/٢٣.

(٢) البيت في ديوانه ص ٥٠٩، والمعزاء: الأرض الصلبة ذات الحجارة، والأرائك: السرر، واحدتا أريكة.

قال أبو عبيدة: أي ما يتمنون، يقال: ادع علي ما شئت، أي تمن.

قال أبو جعفر: هو مأخوذ من الدعاء بالشيء، أي كلما دعوا بشيء أُعطوه.

٤٤- ثم **قال** ﷻ: **سلام قولاً من رب رحيم** [آية:٥٨].

قال الفراء: أي لهم ذلك سلام أي مسلم.

قال أبو إسحاق: **سلام** بدلٌ من **ما** أي ولهم أن يسلم الله ﷻ عليهم، وذلك غاية أمنيتهم.

وفي قراءة عبد الله **سلاماً** [(١)].

قال أبو إسحاق: **قولاً** أي يقول الله ذلك السلام قولاً.

قال الفراء: يجوز أن يكون المعنى: ولهم ما يدعون قولاً، كما تقول: عِدةً.

٤٥- وقوله ﷻ: **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** [آية:٥٩].

أي انفرزوا عن المؤمنين، يقال: مِزتُه فانماز، وامتاز، وميزته فتميز.

٤٦- وقوله ﷻ: **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان** [آية: ٦٠].

أي ألم أتقدم إليكم وأوصيكم؟!

٤٧- وقوله ﷻ : **ولقد أضل منكم جبلاً كثيرا** [آية:٦٢].

قال مجاهد: أي خلْقاً.

قال أبو جعفر: فيه سبعةُ أوجهٍ، قُرئ منها بخمسة.

فأما الخمسة التي قُرئ ا فهي **ولقد أضل منكم جِبِلاًّ**

و **جِبِلاً** و **جُبُلاًّ** و **جُبْلاً** و **جُبُلاً** .

وأما الاثنان اللذان لم يُقرأ ما فـ «جُبَلاً» و«جِبلاً».

٤٨- وقوله ﷻ: **اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم** [آية:٦٥].

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: **اليوم نختم على أفواههم ولتكلّمنا أيديهم** [(٢)].

---

(١) هذه قراءة أبي بن كعب، وابن مسعود، والجحدري، وهي من القـراءات الشـاذة، انظـر المحتسب ٢١٥/٢، وزاد المسير ٢٩/٧.

(٢) هذه من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢١٦/٢.

في الكلام حذف على هذه القراءة، كما قال تعالى: **وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين** [الأنعام:٧٥].

٤٩- وقوله ﷻ: ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط [آية: ٦٦].

قال الحسن: أي لتركناهم عمياً يترددون.

قال أبو جعفر: المطموسُ، والطميسُ عند أهل اللغة: الأعمى الذي ليس في عينيه شق.

فاستبقوا الصراط أي ليجوزوا.

قال مجاهد: الصراط : الطريق، ثم قال تعالى **فأنى يبصرون** [آية:٦٦]. أي فمن أين يبصرون؟

٥٠- ثم **قال ﷻ: ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم** [آية:٦٧].

قال الحسن: أي لأقعدناهم.

وعن ابن عباس قال: أي لو نشاء لأهلكناهم في مساكنهم.

قال أبو جعفر: المكان والمكانة واحد.

٥١- وقوله ﷻ: ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون [آية:٦٨].

قال قتادة: هو الهرم، يتغير سمعه، وبصره، وقوته كما رأيت.

٥٢- وقوله ﷻ: وما علمناه الشعر وما ينبغي له [آية:٦٩].

أي ما ينبغي أن يقوله.

قال أبو إسحاق: ليس هذا يوجب أن يكون النبي ﷺ لم يتمثل بيت شِعرٍ، ولكنه يوجب أنه ﷺ ليس بشاعرٍ، وأن القرآن لا يشبه الشّعر.

قال قتادة: بلغني أن عائشة قالت: لم يتمثل النبي ﷺ بيت شِعر، إلا بيت طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزوّدِ

فقال: ويأتيك من لم تُزود بالأخبار.

فقال أبو بكر: ليس هو كذلك يا رسول الله!!

فقال: إني **لا أحسن الشعر، ولا ينبغي** لي[1].

٥٣- وقوله ﷻ: لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين [آية:٧٠].

(١) الحديث رواه أحمد في المسند ٣١/٦ من حديث عائشة.

حيا قيل: عاقلاً.

وقيل: مؤمناً.

وقال قتادة: حي القلب.

٥٤- وقوله ﷻ: أو لم يروا أنا خلقْنا لهم مِما عمِلت أيدِينا أنعاما [آية: ٧١].

العربُ تستعمل اليد في موضع القوة، والله أعلم بما أراد.

٥٥- وقوله ﷻ: فَهم لها مالِكُونَ [آية:٧١].

أي ضابطون، لأن المقصود هاهنا التذليل، وأنشد سيبويه:

أصبحت لا أملِك السّـلاح ولا أملِك رأس الـبعير إنْ نفَـرا[١]

٥٦- وقوله ﷻ: لا يستطِيعونَ نصرهم وهم لهم جند محضرونَ [آية:٧٥].

أي إ م يعبدو م ويقومون بنصرتم، فهم لهم بمنـزلة الجند.

قال قتادة: يغضبون لهم في الدنيا.

وهذا بّين حسن.

وقيل: تفسير هذا ما روي في الحديث «أنه يمثل لكل قومٍ ما كانوا يعبدون من دون الله ﷻ، فيتبعونه إلى النار، فهم لهم جند محضرون إلى النار»[٢].

٥٧- وقوله ﷻ: أو لم ير الإنسانُ أنا خلقْناه مِن نطْفَةٍ فَإذَا هو خصِيم مبِين [آية: ٧٧].

روى هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير، قال: أخذ «العاص بن وائل» عظماً حائلاً ففته، فقال يا محمد: أيحيي الله هذا بعد ذا؟ فقال: نعم، يميتك الله ثم يبعثك، ثم

---

(١) البيت للربيع بن منيع الفزاري، ، انظر البحر المحيط ٣٤٧/٧، وزاد المسير ٣٨/٧.

(٢) روى البخاري، ومسلم، وأحمد في المسند ٢٧٥/٢، عن النبي ﷺ قال: «يجمع الله الناس يـوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومـن كـان يعبد القمر القمر، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيهـا منافقوهـا، فيأتيهم الله ﷻ في غير الصورة التي يعرفون، فيقول؟: أنا ربكم، فيقولون نعوذ بالله منـك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصـورة الـتي يعرفـون» الحديث.

يدخلك نار جهنم، فأنـزل الله ﷻ: **أو لم ير الإنسانُ أنا خلقْناه مِن نطْفَةٍ فَإِذَا هو خصِيم مبِين. وضرب لنا مثلاً ونسِي خلْقَه قَالَ من يحيِي الْعِظَام وهِي رمِيم..** [آية: ٧٧-٧٨]؟ إلى آخر السورة.

قال مجاهد وقتادة: نـزلت في أُبي بنِ حلَفٍ.

قال أبو جعفر: يقال: رم العظم، فهو رميم، ورُمام.

٥٨- وقوله ﷻ: الذِي جعلَ لكُم من الشجرِ الأخضرِ نارا فَإِذَا أنتم منه توقِدونَ [آية: ٨٠].

هو المرخُ، والعفَارُ، تستعمل الأعرابُ منه الزنود.

٥٩- ثم **قال ﷻ: أو ليس الذِي خلَق السماواتِ والأرض بِقَادِرٍ على أن يخلُق مِثْلَهم بلَى** [آية:٨١].

كما قال سبحانه: **لَخلْق السماواتِ والأرضِ أكْبر مِن خلْق الناس** [غافر٥٧].

و **بلَى** تأتي بعد النفي، ولا يجوز أن يؤتى بـ «نعم» لو قال لك قائل: أما قام زيد؟ فقلت: نعم، انقلب المعنى، فصار نعم ما قام، فإذا قلت: بلى، صح المعنى.

وهي عند الكوفيين «بلْ» زيدت عليها الياء، لأن «بلْ» عندهم إيجاب بعد نفي، فاختيرت لهذا، وزيدت عليها الياء، لتدل على هذا المعنى، وتخرج من النسق.

٦٠- وقوله ﷻ: فَسبحانَ الذِي بِيدِهِ ملَكُوت كُل شيءٍ وإِلَيهِ ترجعونَ [آية: ٨٣]. أي تنـزيهاً للذي بيده ملك كل شيء وخزائنه، فهو يقدر على إحياء الموتى وما يريد. وإِلَيهِ تُرجعُونَ **أي تردون وتصيرون بعد مماتكم.**

«تمت سورة يس»

۞ ۞ ۞

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الصافات وهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ: والصافاتِ صفا * فَالزاجِراتِ زجرا * فَالتالِياتِ ذِكْرا [آية: ١ - ٣].

روى مسروق عن عبد الله بن مسعود، وعكرمة عن ابن عباس، قالا في قوله تعالى: **والصافاتِ صفا * فَالزاجِراتِ زجرا * فَالتالِياتِ ذِكْرا** هذه كلها الملائكةُ.

قال أبو جعفر: الصافاتِ جمع صافة، كأنه جماعةٌ صافة، أي مصطفة تذكر الله ﷻ، وتسبحه. **والزاجِراتِ** جمع زاجرة، أي التي تزجر السحاب، على ما مضى.

وقال قتادة: الزاجِرات : كل ما زُجِر عنه، كأنه يريد ذوات الزجر.

ويجوز أن تكون **الزاجِرات** كل ما يزجُر عن معاصي الله ﷻ، وأن تكون **التالِيات** : كل ما يتلو ذكر الله ﷻ وكتبه.

٢- ثم **قال** ﷻ: **رب السماواتِ والأرض وما بينهما ورب الْمشارِق** [آية: ٥].

روى أبو ظبيان عن ابن عباس، قال: للشمس كل يوم مشرق، وكل يوم مغرب، فتلك المشارق والمغارب.

وللصيف مشرق ومغرب، وللشتاء مشرق ومغرب، فذلك قوله ﷻ: **رب الْمشرِقَين ورب الْمغرِبين** [الرحمن: ١٧].

٣- ثم **قال** ﷻ: **إِنا زينا السماءَ الدنيا بِزِينةٍ الْكَواكِبِ** [آية: ٦].

على البدل، و **بِزِينةٍ الْكَواكِبِ** [1] قال أبو حاتم: أعني الكواكب.

قال أبو جعفر: وأجود مما قال أن يكون بمعنى: بأن زينا الكواكب فيها.

ويجوز بِزِينةٍ الكَواكِب [2] بمعنى: بأن زينتها الكواكب، أو بمعنى: هي الكواكب.

---

(١) في هذه الآية قراءتان، قرأ حمزة وحفص عن عاصم بالتنوين بِزِينةٍ الكواكب بكسر الباء، فعلى هذه القراءة تكون خفضا على البدل أي زيناها بالكواكب، وقرأ عاصـم بـالتنوين في «زينة» ونصب الكواكب أي زيناها بزينة أعني الكواكب، وكلاهما من القراءات السبع، انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ٥٤٦/٢.

(٢) هذه قراءة شاذة، قرأ ا زيد بن علي، انظر روح المعاني للألوسي ٦٨/٢٣.

٤- وقوله ﷻ: وحفظاً من كل شيطان مارد [آية: ٧].
أي وحفظناها حفظاً من كل شيطان مارد.
٥- وقوله ﷻ: لا يسمعونَ إلى الملأ الأعلى [آية: ٨].
يعني الملائكة.
قال أبو حاتم: أي لئلا يسمعوا، ثم حُذف «أنْ» فرفع الفعل، كما قال الشاعر:
ألا أيها اللائمي أحضر الـوغى وأنْ أشهد اللذاتِ هلْ أنت مخلِـدِي[1]
٦- ثم قال ﷻ: ويقذفونَ من كل جانبٍ. دحورا [آية: ٨-٩].
قال مجاهد: ويقذفونَ أي يرمون **دحورا** أي مطرودين.
وقال قتادة: دحوراً أي رمياً في النار.
قال أبو جعفر: يقال: دحره إذا طرده وباعده، دُحُوراً، ودحراً.
ويروى عن أبي عبد الرحمن[2] **أنه قرأ دحوراً** بفتح الدال، والمصادر على «فَعُولٍ» قليلة.
وقال بعض النحويين: ليس بمصدر، ولكنه بمعنى بما يدحرهم، ولو كان على ما قال لكان «يدحُورٍ» أي بمباعد.
٧- ثم قال ﷻ: ولهم عذاب واصب [آية: ٩].
قال مجاهد وقتادة: أي دائم.
٨- ثم قال ﷻ: إلا من خطِف الخطْفَةَ فأتبعه شِهاب ثاقب [آية: ١٠].
يقال: خطِف الشيء إذا أخذه بسرعة **فأتبعه شِهاب ثاقب** .
قال الحسن، ومجاهد، وقتادة، وأبو مجلز: **ثاقب** أي مضيءٌ.
قال أبو جعفر: وهذا مشهور في اللغة، كما قال:
وزندك أثقب أزنادِها[3]

---

(١) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٣٢، وهو من شواهد سيبويه ٩٩/٣، بلفـظ: ألا أيهـا الزاجري بدل اللائمي، وانظر مجالس ثعلب ٣١٧/١ وأمالي ابن الشجري ٨٣/١.
(٢) عد ابن جني هذه القراءة من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢١٩/٢.
(٣) هذا شطر بيت للأعشى، وتمامه كما في ديوانه ص ٦١:
=

٩- وقوله ﷻ: فَاستفْتِهم أهم أشد خلْقًا أم من خلقْنا [آية: ١١].

قال مجاهد والضحاك: يعني السموات والأرض، والبحار.

قال أبو جعفر: يجب أن يكون داخلاً في هذا، الملائكة، وغيرها مع السموات، والأرض، والبحار، لأن «من» لا يقع لما لا يعقل مفرداً.

١٠- ثم قال ﷻ: خلقْناهم من طِينٍ لازِبٍ [آية: ١١].

قال مجاهد: أي لازم.

وقال قتادة: أي لازق.

والفراء: يذهب إلى أن الباء، بدلٌ من الميم، وحكي أنه يقال: «لاَتِب» بمعناه، وقال النابغة:

فلا تحسبونَ الخَير لاَ شر بعـده ... ولاَ تحسبونَ الشر ضـربةَ لازِبِ[1]

١١- وقوله ﷻ: بلْ عجِبت ويسخرونَ [آية: ١٢].

قال قتادة: بل عجبت من الكتاب، والوحي، ويسخرون مما جئت به.

وقيل المعنى: بل عجبت من إنكارهم البعث.

وأنكر شريح أن تقرأ بلْ عجِبت بضم التاء، وقال: إن الله لا يعجب، إنما يعجب من لا يعلَمُ.

قال أبو جعفر: وهذا الذي قاله لا يلزمُ، وبضم التاء قرأ علي بن أبي طالب[2] وابنُ مسعود وابن عباس.

ومعنى التعجب في **اللغة:** أن ينكر الشيء ويقل، فيتعجب منه، فالله ﷻ العالمُ بالأشياء، وبما يكون، ولكن لا يقع التعجب إلا بعد الكون.

=

وُجِـدت إذا اصـطلَحُوا خيـرهُم ... وزَنـدُك أثْقَـبُ أزنادِهـا

(١) البيت لا يعرف قائله، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ٤٢/٢٣، وانظر اللسان مادة (لزب).

(٢) العجبُ والعُجب: إنكار ما يرد عليك، لقلة اعتياده، قال ابن الأعرابي: العجـب النظـر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد، كقوله تعالى: وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد ؟ الخطاب للنبي ﷺ أي هذا موضع عجب، حيث أنكروا البعث، وقد تبين لهـم من خلق السموات والأرض ما دلهم على البعث بعد الموت. انظر اللسان مادة (عجب).

فهو منه جل وعلا، خلافه من الآدميين، لأنه قد علمه قبلُ وبعدُ، وهو ُيشبه علم الشهادة، كما قال سبحانه : **لِنعلَم أي الحِزبين** [الكهف: ١٢].

ويجوز أن يكون المعنى: قلْ بل عجِبتُ.

١٢- وقوله ﷻ: وإِذَا رأَوا آيةً يستسخِرونَ [آية: ١٤].

قال قتادة: أي يسخرون.

وقال مجاهد: أي يسخرون ويستهزئون.

وقيل: يستسخِرونَ يستدعون السّخِري من غيرهم، وهو قول مجاهد وقتادة.

ونظيره من كلام العرب: «قَر، واستقَر» و«عجِب، واستعجب» بمعنى واحد.

وقرأ أهل الكوفة: كأنهم حمر مستنفَرةٌ أي نافرة.

وقوله ﷻ: قُلْ نعم وأنتم داخِرونَ [آية: ١٨].

المعنى: قل نعم تبعثون **وأنتم داخِرونَ قال قتادة:** أي صاغرون.

١٣- ثم **أخبر أن ذلك يكون زجرة واحدة فقال ﷻ: فَإِنما هِي زجرةٌ واحِدةٌ فَإِذَا هم ينظُرونَ** [آية: ١٩]. أي قد حيوا ينظرون.

١٤- وقوله ﷻ: وقَالُوا يا ويلَنا هذَا يوم الدين [آية: ٢٠].

قال قتادة: أي يوم يدين الله ﷻ العباد بأعمالهم.

١٥- ثم **قال ﷻ: هذَا يوم الْفَصلِ الذِي كُنتم بِهِ تكَذبونَ** [آية: ٢١].

أي يقال لهم: نعم هذا يوم الفصل، أي يوم الفصل بين المحسن والمسيء.

وقال أبو عبيدة: يوم الْفَصل يوم القضاء.

١٦- وقوله ﷻ: احشروا الذِين ظَلَموا وأَزواجهم وما كَانوا يعبدونَ. مِن دون الله فَاهدوهم إِلَى صِراطِ الْجحِيمِ [آية: ٢٣].

أي يقال هذا.

قال عبد الله بن عباس، والنعمان بن بشير عن عمر: وأزواجهم أي وأشباههم.

قال أبو جعفر: يقال: زوجت الناقة أي قرنتهما، ومنه قيل للرجل: زوج، وللمرأة زوج. **ويقال:** هديته الطريق أي دللته عليه.

١٧- وقوله ﷻ: ما لَكُم لاَ تناصرونَ * بلْ هم الْيوم مستسلِمونَ [آية: ٢٥-٢٦].

روى سعيد عن قتادة ما لَكُم لاَ تناصرونَ ؟ أي لا يدفع بعضكم عن بعض

بلْ هم الْيوم مستسلِمونَ قال: أي مستسلمون في العذاب.

١٨- وقوله ﷻ: وأقْبلَ بعضهم على بعضٍ يتساءَلُونَ. قَالُوا إنكُم كُنتم تأتوننا عن الْيمِينِ [آية: ٢٧-٢٨].

رروى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: هذا قول الكفار للشياطين.

وروى سعيد عن قتادة، قال: هذا قول الإنس للجن، قالوا لهم: **إنكُم كُنتم تأتوننا عن الْيمِينِ** أي من طريق الجنة، تُثبطوننا عنها وتصدوننا.

وقيل: هذا قول التابعين للمتبعين.

قال أبو جعفر: وهذا يشبه قوله تعالى: **وعن أيمانِهم** [الأعراف: ١٧].

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: وعن أيمانِهم قال: أشبه عليهم أمر دينهم.

قال أبو جعفر: وحقيقة معنى **إنكُم كُنتم تأتوننا عن الْيمِينِ** -والله أعلم- إنكم كنتم تأتوننا من الجهة التي هي أقوى الجهات، وهي جهة الدين فتشككوننا فيه.

وقد قيل هذا في قوله ﷻ: والسماوات مطْويات بِيمِينِهِ [الزمر: ٦٧] وهو معروف في كلام العرب، والله أعلم بما أراد، قال الشاعر:

تلَقاها عرابةُ باليمِينِ[1]

فردوا عليهم بأنم كانوا ضالين، فقالوا: بل لم تكُونوا مؤمِنِين. وما كَانَ لَنا علَيكُم من سلْطَانٍ [آية: ٢٩-٣٠].

قال السدي: أي من حجة.

١٩- وقوله ﷻ: بلْ كُنتم قَوما طَاغِين [آية: ٣٠].

أي ضالين **فَحق علَينا قَولُ ربنا إنا لَذَائِقُونَ** [آية: ٣١] أي كلنا في العذاب **فَأَغْويناكُم إنا كُنا غَاوِين** [آية: ٣٢]. أي بالوسوسة والاستدعاء.

٢٠- وقوله ﷻ: إنهم كَانوا إذَا قِيلَ لَهم لاَ إلَه إلا الله يستكْبِرونَ [آية:٣٥].

---

(١) هذا شطر بيت للشماخ يمدحه عرابة الأوسي وتمامه:

إذا مـا رايـةٌ رُفِعـت لمجـدٍ   تلَقاهـا عرابـةُ بـاليمِينِ

والبيت من شواهد الفراء في كتابه معاني القرآن ٣٨٥/٢.

أي عن توحيد الله ﷻ.

٢١- وقوله ﷻ: يطَاف عليهم بكأسٍ من معِينٍ [آية: ٤٥].

قال قتادة: أي خمرٍ جارية **بيضاءَ لذةٍ للشارِبين** [آية: ٤٦] قال الحسنُ: خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن.

٢٢- ثم **قال** ﷻ: **لاَ فِيها غَولٌ ولاَ هم عنها ينزفُونَ** [آية: ٤٧].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد لاَ فِيها غَولٌ قال: لا فيها وجعُ بطنٍ: **ولاَ هم عنها ينزفُونَ**: لا تذهب عقولهم.

وروى معمر عن قتادة لاَ فِيها غَولٌ ولاَ هم عنها ينزفُونَ قال: لا تصدع رءوسهم، ولا تذهب عقولهم.

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: لاَ فِيها غَولٌ قال: يقول: ليس فيها صداع **ولاَ هم عنها ينزفُونَ** قال: لا تذهب عقولهم.

قال سعيد بن جبير: لاَ ينزفُونَ لا تنـزف عقولهم، قال: والغول: الأذى المكروه.

قال أبو جعفر: وهذا أجمعها وأولاها، يقال: غالته غول أي ذهبت به ذاهبة، وقد غاله الشراب واغتاله، أي ذهب بعقله أو آذاه، ومنه «اغتال فلان فلاناً» ومنه «قتله قتلَ غِيلَة» انقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها. وأصل «نُزِف» نُقِص، والمعنى: لا يلحقهم نقصان بسكرٍ و لا غيره، فنفى الله ﷻ عنهم السكْر، لما فيه من الباطل والسفه.

وجملته النقصان، ويقرأ **ولاَ هم عنها ينزِفُونَ** (١) وفي معناه قولان:

أ - أعرفهما أنه يقال: أنـزف الرجلُ إذا نفد شرابه والمعنى أنـزف شرابه.

ب- والقول الآخر أنه حُكي أنه يقال: أنزف الرجل إذا سكِر، وأنشد أبو عبيدة للأبيرد:

لَعمِري لَئِن أنزفْتم أو صـحوتم ... لَبِئْس الندامى كُنتم آل أبجرا(٢)

فأما نزف الرجل: إذا ذهب عقله من السكر، فمعروف مسموع من العرب.

٢٣- وقوله ﷻ: وعِندهم قَاصِرات الطرفِ عِين [آية: ٤٨].

---

(١) قرأ حمزة والكسائي ينـزِفون بكسر الزاي من أنزف بمعنى سكر، وقرأ ابن كثير ونـافع وأبو عمرو ينـزفون بنصب الزاي وكلاهما من القراءات السبع.

(٢) البيت للأبيرد الرياحي، ذكره في الصحاح واللسان مادة «نزف» وفي الأغاني ٩/١٢ وذكـره الطبري في تفسيره ٥٥/٢٣، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٦٩/٢، وفي القرطبي ٧٩/١٥ منسوب إلى الحطيئة.

قال قتادة: قصرن طرفهن على أزواجهن.

وروى أبو يحيى **عن مجاهد، قال:** قصرن أطرافهن على أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم.

وروى ابن أبي نجيح **عن مجاهد، قال:** لا يغرنَ على أزواجهن.

قال أبو جعفر: والقول الأول هو المعروف، وأصله من قصرته أي حبسته.

وقوله تعالى: ﴿عِين﴾ قال مجاهد: أي حِسانُ العيون.

وقال السدي: ﴿عِين﴾ أي عظام الأعين.

وحكى أهل اللغة أنه يقال: رجلٌ أعينُ، وامرأة عيناء أي واسع العين.

٢٤- ثم **قال** ﷻ: ﴿**كأنهن بيض مكنونٌ**﴾ [آية: ٤٩].

قال قتادة: أي لم تمر به الأيدي، يُشبِهن بياضه.

يعني قتادة: الذي داخل القِشر.

قال أبو جعفر: يقال: كَننتُ الشيء: أي صُنتُه، والعرب تشبه المرأة ببيضة النعامة، كما قال الشاعر:

كَبِكْرِ المُقَاناةِ البيـاض بِصفْرةٍ غَذَاها نَمِيرُ المَاءِ غَيرُ محلـلِ(١)

٢٥- ثم **قال** ﷻ: ﴿**فأقْبَلَ بعضهم على بعض يتساءَلُونَ**﴾ [آية: ٥٠].

يعني أهل الجنة.

﴿**قَالَ قَائِلٌ منهم إني كانَ لي قَرِين**﴾ [آية: ٥١].

قال عطاء الخراساني: هذان رجلان أخوان، تصدق أحدهما بماله فعيره أخوه، وقال له ما قص الله ﷻ.

وقد روي عن ابن عباس: هو الرجل المشرك له صاحب مؤمن، قال له هذا.

قال مجاهد: ﴿**قَرين**﴾ أي شيطان.

٢٦- ثم **قال** ﷻ: ﴿**يقُولُ أإنك لَمِن المصدقين**﴾ [آية: ٥٢].

---

(١) البيت من ملعقة امرئ القيس، وهو في ديوانه ص ١٦ يتغزل بفتاة، والبكر: الشيء الـذي لم يُسبق مثله، والمقاناة: الخلط بين شيئين، شبهها في صفاء اللون، بدُرة فريدة، تضمنتها صدفة بيضاء، شابت بياضها صفرة، والعرب تشبه المرأة الحسناء في بياضها، وحسن لو ـا ببيضـة النعامة، وهو أحسن ألوان النساء، لأن بياضها يكون مُشرباً بصفرة، وانظر شرح المفصل لابن يعيش ٩١/٦، والبحر المحيط ٣٦٠/٧.

المعنى: يقول أئنك لمن المصدقين بأنا مدينون؟ ثم كُسِرت «إن» ي‍ء اللام.

قال مجاهد: **مدِينونُ** أي محاسبون.

قالَ هلْ أنتم مطلِعونَ [آية: ٥٤] أي قال الذي في الجنة: هلى أنتم مشرفون؟ **فَاطلَع فَرآه** [آية: ٥٥] أي فأشرف فرأى قرينه **فِي سواءِ الجحِيم** [آية: ٥٥] أي في وسطها.

قال الذي في الجنة **تاللهِ إن كِدت لَترِدِين** [آية: ٥٦]. أي تلكني.

وفي قراءة عبد الله «لَتغوين»[١].

٢٧- ثم **قال** ﷻ: **ولَولاَ نعمةُ ربي لَكُنت مِن المحضرين** [آية: ٥٧].

قال قتادة: أي لمن المحضرين في النار.

٢٨- ثم **قال** ﷻ: **أفَمَا نحن بِميتِين. إلا موتتنا الأولَى وما نحن بِمعذَبِين. إن هذَا لَهو الفَوز العظِيم** [آية: ٥٨-٦٠].

قال قتادة: هذا آخر كلامه، ثم قال ﷻ: **لِمِثْل هذَا فَليعمل العامِلُونَ** [آية: ٦١].

٢٩- **وقوله** ﷻ: **أذَلِك خير نزلاً..** [آية: ٦٢].

أذلك خير نُـزُلاً، ونـزلاً: أي رزقاً، والنـزول أيضاً: الريعُ والفضل.

ثم **قال تعالى:** **أم شجرةُ الزقوم. إنا جعلْناها فِتنةً للظالِمين** [آية: ٦١-٦٢].

قال مجاهد: قال أبو جهل: ما نعرف الزقوم إلا التمر بالزبد، فنتزقم.

وقال قتادة: فُتنوا ‍ذا، فقالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تأكل الشجر؟ فقال الله ﷻ: **إنها شجرةٌ تخرج فِي أصل الجحِيم** [آية: ٦٤]. أي غذاؤها من النار، ومنها خُلِقَت.

٣٠- ثم **قال** ﷻ: **طلْعها كأنه رؤوس الشياطِين** [آية: ٦٥].

طلْعها أي ثمرها كأنه أول ما يطلع منها، ثم قال: **كأنه رؤوس الشياطِين**.

قال أبو العباس: يقال: لم تر الشياطين، فكيف وقع التشبيه ‍ا؟

وهل يجوز أن يقال: كأن زيداً فلانٌ، وفلانٌ لا يعرف؟

فالجواب: أن المقصود هو ما وقع عليه التعارف من المعاني، فإذا قيل: فلانٌ شيطانٌ،

(١) هذه القراءة ليست من السبع بل من الشواذ، والمراد بعبد الله «عبد الله بن مسعود» ﷺ.

فقد عُلم أن المعنى: فلانٌ قبيح خبيثٌ، ومنه قولهم: تشيطن: إذا تخبث، كما قال الشاعر:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونةٌ زرق كأنياب أغوال(١)

ولم تُر الغول قط، ولا أنيابُها، ولكن العرب إذا قبحت المؤنث شبهته بالغول، وإذا قبحت المذكر شبهته بالشيطان، فهذا جواب صحيح بين.

وقد قيل هو نبت باليمن قبيح المنظر، شُبهت به، يقال له: الأستن، والشيطان، وليس ذلك بمعروف عند العرب.

قال أبو جعفر: وقيل الشياطين: ضروب من الحيات قِباح.

٣١- وقوله ﷻ: ﴿ثُم إِن لَهم عليها لَشوبا مِن حميمٍ﴾ [آية: ٦٧].

قال قتادة: أي مزاجاً.

قال أبو جعفر: يقال: شُبتُ الشيء بالشيء أي خلطته به.

فقيل: يراد به هاهنا شربُ الحميم.

٣٢- وقوله ﷻ: ﴿إِنهم أَلفَوا آباءَهم ضالين * فَهم على آثارِهم يهرعونَ﴾ [آية: ٦٩-٧٠]. معنى: ﴿أَلفَوا﴾: وجدوا.

قال مجاهد: ﴿يهرعونَ﴾ كهيئة الهرولة، وقال قتادة: يُسرعون.

وقيل: كأنهم يُزعجون من الإسراع.

٣٣- وقوله ﷻ: ﴿ولَقَد نادانا نوح فَلَنِعم المجِيبونَ﴾ [آية: ٧٥].

قيل: بمسألته هلاك قومه، فقال: **﴿رب لا تذَر على الأَرض مِن الكَافِرِين ديارا﴾** [نوح: ٢٦].

وقيل: المعنى دعا بأن ننجيه من الغرق: **﴿ونجيناه وأَهلَه مِن الكَربِ العظِيمِ﴾** [آية: ٧٦]. أي من الغرق.

٣٤- ثم **قال ﷻ: ﴿وجعلْنا ذُريته هم الباقِين﴾** [آية: ٧٧].

روى سعيد عن قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام.

٣٥- ثم **قال ﷻ: ﴿وتركْنا عليهِ فِي الآخِرِين﴾** [آية: ٧٨].

قال مجاهد وقتادة: أي ثناء.

---

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٣٢ و«المشرفي» السيف الصارم، والمسنونة: السهام المحددة.

وقال محمد بن يزيد: المعنى: وتركنا عليه في الآخرين، يقال: **سلام على نوحٍ في العالمين** [آية: ٧٩] أي تركنا عليه هذه الكلمة باقية.

٣٦- وقوله ﷻ: وإن من شيعته لإبراهيم [آية: ٨٣].

قال مجاهد: أي على منهاجه وسنته.

وقال قتادة: على دينه.

قال أبو جعفر: المعنى: وإن من شيعة نوحٍ.

قال الفراء: المعنى: وإن من شيعة محمد ﷺ.

والأول أشبه، لأن ذكر نوحٍ قد تقدم.

٣٧- ثم **قال ﷻ: إذْ جاءَ ربه بقلْبٍ سليمٍ** [آية: ٨٤].

قال قتادة: أي سليمٍ من الشرك.

وقال عروة بن الزبير: لم يلعن شيئاً قط، فقال الله ﷻ: **إذْ جاءَ ربه بقلْبٍ سليمٍ** .

٣٨- وقوله ﷻ: أإفْكًا آلِهةً دونَ الله تريدونَ [آية: ٨٦].

قال قتادة: أي أكذباً؟

٣٩- ثم **قال ﷻ: فما ظنكُم برب العالمين** [آية: ٨٧].

روى سعيد عن قتادة، قال: أي فما ظنكم برب العالمين، وقد عبدتم، إذا لقيتموه؟

٤٠- وقوله ﷻ: فنظَر نظْرةً في النجومِ [آية: ٨٨].

في معناه ثلاثة أقوال:

قال الحسن: أي تفكر فيما يعمل إذا كلفوه الخروج.

قال أبو جعفر: والمعنى على هذا القول: فنظر فيما نجم له من الرأي، أي فيما طلع له، يقال: نجم القَرْنُ والنبتُ إذا طلَعا.

أي فكر فعلم أنه لا بد لكل حي من أن يسقم، فقال: **إني سقيم** [آية: ٨٩].

قال الخليل: يقال للرجل إذا فكر في الشيء كيف يدبره: نظر في النجوم.

وكذلك قال أبو العباس في معنى هذه الآية.

والقول الثاني: أن يكون المعنى: فنظر فيما نجم من الأشياء، فعلم أن لها خالقاً ومدبراً، وأ ا تتغير، وعلم أن ذلك يلحقه فقال: إني سقيم.

والقول الثالث: ما رواه سعيد عن قتادة أن سعيد بن المسيب، قال: نظر إلى نجم، فقال: إني سقيم، فكايد عن دينه.

قال أبو جعفر: والمعنى على هذا القول، فعمِلَ ما يعلمون من النظر في النجوم، واستدلالهم ا.

قال سعيد بن جبير والضحاك: **فَقَالَ إِنِّي سَقِيم** [آية: ٨٩] أي مطعون، وكانوا يهربون من الطاعون قال الله ﷻ: **فتولوا عنه مدبرين** [آية: ٩٠].

٤١- وقوله ﷻ: **فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِم فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ** [آية: ٩١].

أي مال وعدل، ومنه الرواغ، ثم قال: **أَلَا تَأْكُلُونَ** ؟ تعجباً.

أي فقرب إليها الطعام، فقال: **أَلَا تَأْكُلُونَ** ؟ فلما لم يرها تأكل، قال: ألا تنطقون؟.

وقال أبو مالك: جاء إلى، آلهتهم، وكانوا قد جعلوا بين أيديها طعاماً، فلما لم تكلمه قال: **ما لكم لا تنطِقُونَ** [آية: ٩٢] فأخذ فأساً فضرب به حافتيها، ثم علقه في عنق أكبرها.

٤٢- وقوله ﷻ: **فَرَاغَ عليهم ضربا بِالْيَمِينِ** [آية: ٩٣].

قال أبو جعفر: يجوز أن يكون معنى **بِالْيَمِينِ** : بالقوة، كما تقدم.

ويجوز أن يريد اليد.

وقيل: بيمينه حين قال: **وتاللهِ لأكِيدن أصنامكُم** [الأنبياء: ٥٧].

٤٣- ثم **قال ﷻ:** **فَأَقْبَلُوا إِلَيهِ يزفونَ** [آية: ٩٤].

قال قتادة: أي يمشون.

قال أبو جعفر: يقال: زف النعام يزف: إذا أسرع، وذلك في أول عدوه.

ويقرأ **يزفونَ** بضم الياء، وأكثر أهل اللغة لا يعرفه.

وقد يجوز **أن يكون** «أزف» صادف الزفيف، فيكون هذا منه.

وحكى الكسائي أنه قُرئ **يزِفُونَ** بتخفيف الفاء، وأكثر أهل اللغة لا يعرفه أيضاً.

وحكى بعضهم **أنه قال:** وزف، يزِفُ: إذا أسرع.

٤٤- ثم **قال ﷻ:** **واللهُ خلَقَكُم وما تعملُونَ** [آية: ٩٦].

قال أبو عبيد: أي وما تعملون منه الأصنام وتنحتونه، وهو الخشب والحجارة وغيرهما.

قال قتادة: وما تعملون بأيديكم.

ويجوز أن يكون «ما» نفياً، أي وما تعملونه، ولكن الله خالقهُ.

ويجوز أن يكون بمعنى المصدر أي وعملكم.

ويجوز أن **يكون استفهاماً** فيه معنى التوبيخ.

٤٥- وقوله ﷻ: فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين [آية: ٩٨].

الأسفلين الأذلين حُجةً.

قال قتادة: ما ناظرهم بعد ذلك حتى أهلكهم.

٤٦- وقوله ﷻ: وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين [آية: ٩٩].

هاجر إلى الأرض المقدسة.

٤٧- وقوله ﷻ: فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى [آية: ١٠٢].

قال مجاهد: فلما بلغ معه السعي أي العمل، أي شب.

وقال غيره: بلغ ثلاث عشرة سنة.

فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى [آية: ١٠٢]. أي إني أرى في المنام أني سأذبحك.

أي أُمرت بهذا في المنام، وجعل علامة، إذا رأيتُ ذلك أن أذبحك.

ويقرأ ماذا تري [(١)]؟ من الصبر.

قال أبو إسحاق: لم يقل هذا أحد غيره.

وإنما قال العلماء المعنى: ماذا تُشير؟

وقد روي في **الذبيح** أحاديث عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ.

وقال بعض أهل العلم: الدليل على أنه إسماعيل، أن إسماعيل كان بمكة، وكان الذبح بمنى.

وهذا لا يلزم، روي عن ابن عباس أنه قال: كان الذبح بالشام.

وقال عبيد بن عمير: كان بالشام، وإن كان مجاهد قد قال: كان بمنى.

وقال بعضهم: في القرآن ما يدل على أنه إسماعيل ﷺ قال ﷻ: **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** [هود: ٧١]. فدل بهذا على أن إسحاق سيعيش، حتى يولد له، فكيف يُؤمر بذبحه؟

---

(١) هذه قراءة حمزة والكسائي، وهي من القراءات السبع، انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥٤٨، وقرأ الباقون بفتح التاء والراء.

قال أبو جعفر: وهذا أيضاً لا يثبت حجة، لأنه يجوز أن يؤمر بذبحه، وقد علم أنه يولد له، لأنه يجوز أن يُحييه الله ﷻ بعد ذلك.

٤٨- وقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [آية: ١٠٣].

قال مجاهد: أي سلما لأمر الله ﷻ.

قال أبو جعفر: وفي حرف عبد الله بن مسعود ﴿**فَلَمَّا سَلَّمَا**﴾.

يقال: سلم، إذا أعطى بيده ورضي.

ثم **قال تعالى:** ﴿**وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**﴾ أي صرعه، وهما جبينان، بينهما الجبهة.

وجواب «لما» عند البصريين محذوف، كأنه قال: سعِد.

والواو عند الكوفيين زائدة، كأنه قال: ناديناه.

٤٩- وقوله ﷻ: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ١٠٧].

الذبح: المذبوح، والذبح المصدر.

روى ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: كبير، مُتقَبلٌ.

قال أبو جعفر: ﴿**عَظِيمٍ**﴾ في اللغة: يكون للكبير، والشريف.

وأهل التفسير على أنه هاهنا للشريف، أي المتقبل.

٥٠- وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ. وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [آية: ١١٤-١١٥].

روى سعيد عن قتادة قال: من فرعون.

٥١- ثم **قال ﷻ: ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾** [آية: ١١٦].

ولم يقل: ونصرناهما، لأن الاثنين في الأصل جمع.

ويجوز أن يكون، كما يخبر عن الواحد بفعل الجماعة.

وقيل: المعنى: ونصرنا موسى، وهارون عليهما السلام، وقومهما، على فرعون وقومه، وهذا هو الصواب، لأن قبله ﴿**وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا**﴾.

٥٢- ثم **قال ﷻ: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾** [آية: ١١٧].

روى سعيد عن قتادة قال: التوراة.

قال: ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [آية: ١١٨]: الإسلام.

٥٣- وقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٢٣].

قيل: إلياس: هو إدريس.

وقيل: هو من ولد هارون، صلى الله عليهما وسلم، والله ﷻ أعلم.

٥٤- وقوله ﷻ: ﴿أتدعونَ بعلاً وتذَرونَ أحسن الْخالِقين﴾ [آية: ١٢٥].

قال مجاهد: ﴿أتدعونَ بعلاً﴾ أي رباً.

وقال الضحاك: هو صنم لهم يسمى بعلاً.

قال ابن زيد: كانوا ببعلبك.

وسئل ابن عباس عن هذا فسكت، فسمع رجلاً ينشد ضالة، فقال له آخر: أنا بعلها أي ربها، فقال ابن عباس للسائل: هذا مثل قوله تعالى: ﴿**أتدعونَ بعلاً**﴾ أي رباً.

وحكى ابن إسحاق أن ﴿**بعلاً**﴾ امرأة كانوا يعبدونها.

قال أبو جعفر: يقال: هذا بعل الدار: أي ربها.

فالمعنى: أتدعون ربا اختلقتموه، وتذرون أحسن الخالقين؟

وأصل هذا أنه يقال لكل ما علا وارتفع: بعل، ومنه قيل: بعلُ المرأة، ومنه قيل لما شرِب بماءِ السماءِ: بعلُ.

٥٥- وقوله ﷻ: ﴿فكَذبوه فإنهم لمحضرونَ﴾ [آية: ١٢٧].

قال قتادة: أي في العذاب.

وقوله ﷻ: ﴿سلام على إلْ ياسِين﴾ [آية: ١٣٠].

قال أبو جعفر: من قرأ ﴿**سلام على إلْ ياسِين**﴾ ففي قراءته قولان:

أحدهما: أن يكون ﴿**إلْياسِين**﴾ و«إلْياس» واحد، كما يقال: سيناء، وسينين.

والثاني: ويجوز أن يكون جمعه مع أهل دينه، كما يقال: مهالبة.

٥٦- وقوله ﷻ: ﴿وإن يونس لمِن المرسلِين. إذْ أبق إلى الفُلْكِ المشحون﴾ [آية: ١٣٩-١٤٠]. أي هرب.

قال طاووس: لما ركب السفينة ركدت، فقالوا: إن فيها رجلاً مشئوماً، فقارعوه فوقعت القرعة عليه ثلاث مرات، فرموا به، فالتقمه الحوت.

٥٧- وقوله ﷻ: ﴿فَساهم فكَانَ مِن الْمدحضِين﴾ [آية: ١٤١].

قال مجاهد: ﴿فكَانَ مِن الْمدحضِين﴾ أي من المسهومين.

قال أبو جعفر: أصل أدحضته: أزلقته.

وقال ابن عيينة: أي من المقمورين.

٥٨- ثم **قال ﷻ: ﴿فالْتقَمه الحوت وهو مليم﴾** [آية: ١٤٢].

قال قتادة: أي مسيءٌ.

قال أبو جعفر: يقال: ألام الرجلُ: إذا جاء بما يُلام عليه.

٥٩- وقوله ﷻ: ﴿فلولا أنه كانَ مِن المسبحِين * للَبِثَ فِي بطْنِهِ إلى يومِ يبعثُونَ﴾ [آية: ١٤٣-١٤٤].

روى أبو رزين عن ابن عباس ﴿مِن المسبحِين﴾ قال: من المصلين.

ثم **قال: ﴿للَبِثَ فِي بطْنِهِ إلى يومِ يبعثُونَ﴾** [آية: ١٤٤].

قال مجاهد: أي في بطن الحوت.

٦٠- ثم **قال ﷻ: ﴿فنبذْناه بالعراءِ وهو سقِيم﴾** [آية: ١٤٥].

قال يعقوب بن إسحاق: قال الفراء: **﴿العراءُ﴾**: المكان الخالي، ومنه قول الله ﷻ: **﴿فنبذْناه بالعراءِ وهو سقِيم﴾**.

قال وقال أبو عبيدة: العراء: وجه الأرض، وأنشد لرجلٍ من خزاعة:

رفعت رِجلاً لا أخاف عِثَارها ... ونبذْت بالبلدِ العراءِ ثيابِي(١)

٦١- ثم **قال ﷻ: ﴿وأنبتنا عليهِ شجرةً من يقْطِينٍ﴾** [آية: ١٤٦].

روى عمرو بن ميمون عن ابن مسعود قال: هي القرع.

وقال مجاهد: هي كل شجرة على وجه الأرض لا ساق لها.

قال أبو جعفر: هذا الذي قاله مجاهد، هو الذي تعرفه العرب، يقع للقرع، والحنظل، والبطيخ، والكل ما لم يكن على ساقٍ، وكأن اشتقاقه من قَطَن بالمكان: أي أقام به، وأنشد سيبويه:

«قواطِناً مكةَ مِن ورق الحَمِي»(٢)

٦٢- ثم **قال ﷻ: ﴿وأرسلْناه إلى مِائَةِ ألْفٍ أو يزيدونَ﴾** [آية: ١٤٧].

قال أبو جعفر: في معنى «أو» أربعة أقوال:

١- قال أبو عبيدة والفراء: هي بمعنى: بلْ.

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٧٥/٢، والقرطبي ١٢٩/١٥، ولسان العرب لابن منظور مادة (عرى)، وانظر الطبري ١٠١/٢٣.

(٢) هذا البيت للعجاج ، وهو في ديوانه ص ٢٩٥، واللسان مادة (حمم)، وهو من شواهد سيبويه ٢٦/١ في باب ما لا يجوز حذفه إلا في الشعر.

وهذا خطأ عند أكثر النحويين الحذاق، ولو كان كما قالا لكان: وأرسلناه إلى أكثر من مائة ألف، واستغنى عن «أو».

٢- وقال القتبـي: «أو» بمعنى الواو.

وهذا أيضاً خطأ، لأن فيه بطلان المعاني.

٣- وقيل: «أو» للإباحة.

٤- وقال محمد بن يزيد: «أو» على با ا، والمعنى:

أرسلناه إلى جماعة لو رأيتموهم لقلتم: مائة ألف، أو أكثر.

وروي عن ابن عباس: قال أرسل إلى مائة ألف وثلاثين ألفاً.

قال أبو مالك: أقام في بطن الحوت أربعين يوماً.

قال ابن طاووس: أنبت الله عليه شجرة من يقطين وهي «الدباءُ» فكانت تظله من الشمس، ويأكل منها، فلما سقطت بكى عليها، فأوحى الله ﷻ إليه: أتحزن على شجرة، ولا تحزن على مائة ألف أو يزيدون؟ تابوا فلم أهلكهم.

قال سعيد بن جبير: أرسل الله ﷻ على الشجرة الأرضة، فقطعت أصولها، فحزن عليها، وذكر الحديث.

قال مجاهد: كانت الرسالة قبل أن يلتقمه الحوت.

قال أبو جعفر: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة، قال: حدثنا العباس بن محمد، قال: حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل، قال: حدثنا أبو هلال، قال: حدثنا شهر بن حوشب عن ابن عباس، قال: إنما كانت رسالة يونس ﷺ بعد ما نبذه الحوت، وتلا هذه الآية **وإن يونس لمن المرسلين** حتى بلغ إلى قوله: **وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون** قال: كانت الرسالة بعد ذلك.

٦٣- وقوله ﷻ: فآمنوا فمتعناهم إلى حين [آية: ١٤٨].

روى معمر عن قتادة، قال: إلى الموت.

٦٤- وقوله ﷻ: فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون [آية: ١٤٩].

أي فاسألهم سؤال توبيخ.

وروي عن جماعة **من القراء أنهم قرءوا اصطفى البنات على البنين** بوصل

الألف، وأنكر أبو حاتم[١] هذه القراءة[٢].

قال أبو جعفر: وهي جائزة، على أن يكون مردوداً على القول، وعلى أنه قد يكون التوبيخ بغير ألف استفهام.

٦٥- وقوله ﷻ: أم لكم سلطانٌ مبين * فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين [آية: ١٥٦-١٥٧].

قال السدي: سلطانٌ أي حجة **فأتوا بكتابكم** قال: بحجتكم أن كتاباً جاءكم ذا.

٦٦- وقوله ﷻ: وجعلوا بينه وبين الجنةِ نسبا [آية: ١٥٨].

قال الفراء: الجنةِ هاهنا: الملائكة، أي قالوا: الملائكة بنات الله.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قالوا: يعني كفار قريش - الملائكة. بنات الله، فقال أبو بكر: فمن أمهاتهن؟ قالوا: مُخدراتُ الجن.

وروى سعيد عن قتادة قال: قالوا صاهر الله ﷻ الجن، فولدت الملائكة.

وروى جويبر عن الضحاك في قوله تعالى: وجعلوا بينه وبين الجنةِ نسبا قال: قالوا: إبليس أخو الرحمن ﷻ.

٦٧- وقوله ﷻ: ولقد علمتِ الجنةُ إنهم لمحضرونَ [آية: ١٥٨].

أي ولقد علمت الجنة، أن الذين قالوا هذا، لمحضرون العذاب، كذا قال السدي، وهو صحيح، وكذا كل ما في السورة من محضرين.

وقال مجاهد: لمحضرونَ الحساب، يعني الجن.

٦٨- وقوله ﷻ: فإنكم وما تعبدونَ * ما أنتم عليه بفاتنين [آية: ١٦١-١٦٢].

---

(١) يعني: السجستاني.

(٢) هذه القراءة من القراءات السبع، وهي قراءة أبي جعفر، ورواية عن نافع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٤٩، والعشر لابن الجزري ٣٦٠/٢، قال أبو حيان في البحر المحيط ٣٧٧/٧: قرأ الجمهور (أصطفى)؟ همزة الاستفهام على طريقة الإنكار والاستبعاد، وقرأ نافع بوصل الألف وإنهم لكاذبون * اصطفى البنات وهو من كلام الكفار، حكى الله شنيع قولهم، وهو أنهم ما كفاهم أن قالوا: ولد الله، حتى جعلوا ذلك الولد بنات الله، والله تعالى اختارهم على النبيين.

أي ما أنتم به مضلين.

إلا من هو صال الجحيم [آية: ١٦٣].

قال ابن عباس: أي لا تضلون إلا من سبق في قضائي أنه يضل.

قال الحسن وإبراهيم، ومحمد بن كعب، والضحاك: هذا معنى قوله: **ما أنتم عليه بفاتنين** .

أي لن تفتنوا إلا من قضيت عليه بذلك.

٦٩- ثم **قال** ﷻ: **وما منا إلا له مقام معلوم** [آية: ١٦٤].

قال الشعبي: جاء جبرئيل أو ملك إلى النبي ﷺ فقال: تقوم أدنى من ثلثي الليل، ونصفه، وثلثه؟ إن الملائكة لتصلي وتسبح، ما في السماء ملك فارغ.

٧٠- ثم **قال** ﷻ: **وإنا لنحن الصافونَ وإنا لنحن المسبحونَ** [آية: ١٦٦].

قال مجاهد وقتادة : هذا من قول الملائكة .

٧١- وقوله ﷻ: **وإن كانوا ليقولونَ * لو أن عندنا ذكرا من الأولين** [آية: ١٦٧-١٦٨].

روي عن الضحاك، قال: هذا قول مشركي مكة، فلما جاءهم ذكر الأولين، وعِلْمُ الآخرين، كفروا به فسوف يعلمون.

قال أبو إسحاق: كان كفار قريش يقولون: لو جاءنا ذكر كما جاء غيرنا من الأولين، لأخلصنا العبادة لله ﷻ، فلما جاءهم كفروا به، فسوف يعلمون مغبة كفرهم، وما ينـزل م من العذاب، والانتقام منهم، في الدنيا والآخرة.

٧٢- وقوله ﷻ: **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين** [آية: ١٧١].

أي سبق منا القول لرسلنا، إ م له المنصورون، أي مضى ذا منا القضاء والحكم.

قال الفراء: أي سبقت لهم السعادة، وهي في قراءة عبد الله **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين** [1].

وقيل: أراد بالكلمة قوله ﷻ: **كتب الله لأغلبن أنا ورسلي** [ا ادلة: ٢١].

---

(١) وهذه القراءة شاذة وليست من السبع، قال الفراء و«على» تصلح في موضع اللام. انظر معاني الفراء ٣٩٥/٢.

٧٣- وقوله ﷻ: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ [آية: ١٧٧].

أي نـزل بهم العذاب، ومعنى **﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾** أي بدارهم، والساحة في اللغة: فناء الدار الواسع.

﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ أي فبئس صباح الذين أنذروا بالعذاب، وفيه إضمار، أي فساء الصباح صباحهم. وفي الحديث: «**الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نـزلنا بساحة قومٍ، فساء صباح المنذرين**»(١).

٧٤- وقوله ﷻ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ١٨٠ - ١٨٢].

نزه سبحانه نفسه عما أضاف إليه المشركون من الصاحبة والولد **﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾** على البدل، ويجوز النصب على المدح، والرفع بمعنى هو رب العزة.

وسئل رسول الله ﷺ عن معنى «سبحان الله، فقال هو تنـزيه الله عن كل سوءٍ».

«تمت سورة الصافات»

❁ ❁ ❁

(١) الحديث رواه البخاري في المغازي، باب غزوة خيبر ١٦٧/٥ ومسلم في الجهاد برقم ١٣٦٥ وأحمد في المسند ٢٨/٤.

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة ص وهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ: ﴿ص﴾ [آية: ١].

بإسكان الدال، لأ ا من حروف التهجي، وتقرأ صاد.

والأجود عند سيبويه فيها الإسكان، ولا تعرب، لأن حكمها الوقوف عليها، فهي مثل حروف الهجاء ﴿الم﴾ و﴿المر﴾.

و﴿ص﴾ إذا جعلته اسماً للسورة لم ينصرف.

قال مجاهد: هو فاتحة للسورة.

وقال قتادة: اسم من أسماء الرحمن.

وقال محمد بن كعب: هو مفتاح أسماء الله تعالى «صمد» و«صادق الوعد».

وروي أن الضحاك قال: ﴿صاد﴾: صدق الله.

وقراءة الحسن: ﴿صادِ﴾ بكسر الدال[1]، معناها: صاد القرآن بعملك.

يقال: صاديتُه أي قابلته، وهذا مشهور عند أهل اللغة.

ويجوز أن يكون كُسر لالتقاء الساكنين.

والفتح من ثلاث جهات:

أ - قيل منها أن يكون قَسماً: الله لأفعلن.

ب- ومنها أن يكون بمعنى: اتلُ صاد والقرآن.

جـ - ومنها أن يكون فُتِح لالتقاء الساكنين.

والقراءة بكسر الدال والتنوين، لحن عند أكثر النحويين، وإن كان ابن أبي إسحاق من كبراء النحويين، إلا أن بعض النحويين قد أجازها، على أن تخفض على القسم، أجاز ذلك سيبويه.

٢- وقوله ﷻ: ﴿وَالْقُرآنِ ذِي الذكْرِ﴾ [آية: ١].

روى سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد، ومِسعرُ عن أبي حصين، في قول الله ﷻ: **﴿وَالْقُرآنِ ذِي الذكْرِ﴾** أي ذي الشرف.

---

(١) ذكر ابن جني في المحتسب ٢/٢٣٠ قراءة الكسر «صادِ» والفتح «صادَ» وبين أ ا من الشواذ.

وهذا مثل قوله ﷻ: وإنه لذكر لك ولقومك [الزخرف: ٤٤].

وقيل: معنى **ذي الذكر** فيه ذكر الأمم، وغيرهم.

فأما جواب القسم فقيل: إنه في قوله تعالى: **إن ذلك لحق تخاصم أهل النار** [آية: ٦٣]. وهذا بعيد جداً، لأنه قد اعترضت أقاصيص وأخبار.

وقيل: الجواب في قوله تعالى: **كم أهلكنا من قبلهم من قرن** [آية: ٣].

والمعنى: لكم أهلكنا، وحذفت اللام كما قال تعالى: **قد أفلح من زكاها** [الشمس: ٩]. وهو مذهب الفراء.

وقيل: الجواب **إن كل إلا كذب الرسل** [آية: ١٤].

وقيل: الجواب محذوف، أي ما الأمر كما يقول هؤلاء الكفار.

ودل على هذا قوله تعالى: **بل الذين كفروا في عزة وشقاق** [آية: ٢].وهو مذهب قتادة.

وهو أولى الأقوال، لأن «بل» قد حلت محل الجواب، فاستغنى ا عنه.

٣- ثم **خبر الله ﷻ بعنادهم وانحرافهم عن الحق فقال: بل الذين كفروا في عزة وشقاق** [آية: ٢].

أي خلاف.

٤- ثم **قال ﷻ : كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص** [آية: ٣].

و **كم** للتكثير في كلام العرب.

٥- ثم **قال ﷻ: فنادوا** أي بالتوبة والاستغاثة **ولات حين مناص** [آية: ٣].

روى أبو إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس ولات حين مناص : قال: ليس حين نـزو، ولا فرار.

وقال عكرمة : ليس حين انقلاب.

وقال قتادة: نادوا حين لا حين نداء.

قال أبو جعفر: هذه الأقوال متقاربة، أي ليس حين نداءٍ مُنجي.

والمعنى: ليس حين فوتٍ، وأصله من ناص ينوص: إذا تأخر، وباص يبوص: تقدم كما قال الشاعر:

أمِن ذِكْرِ ليلى إذْ نأتك تنوص فتقْصِر عنها تارةً وتبوص[1]

٦- وقوله ﷻ: إن هذَا لشيءٌ عجاب [آية: ٥].

عجاب، وعجيب، بمعنى واحد، كما تقول: طويل، وطوال، وكذلك **عجاب** قرأ به أبو عبد الرحمن[2].

٧- ثم **قال** ﷻ: **وانطلَق الملأ منهم أن امشوا واصبِروا على آلِهتكُم** [آية: ٦].

روى سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد **وانطلَق الملأ منهم** قال: هو «عقبة بن أبي معيط» **أن امشوا** «أنْ» تفسير.

ويجوز أن يكون معناه: بأن امشوا، واصبروا على آلهتكم، فخبر الله ﷻ، بإقامتهم على الكفر.

٨- وقوله ﷻ: **ما سمِعنا بهذَا في الملةِ الآخِرةِ إنْ هذَا إلا اختِلاق** [آية: ٧].

روى إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد: وعلي بنُ أبي طلحة عن ابن عباس، قالا: **في الملةِ الآخِرةِ** في النصرانية.

وقال محمد **بن كعب:** يعنون ملة عيسى عليه السلام.

وروى ابن أبي نجيح **عن** مجاهد **في الملةِ الآخِرةِ** قال: ملةُ قريش.

وقال قتادة: في الملةِ الآخِرةِ أي ملتنا التي نحنُ عليها.

٩- وقوله ﷻ: **أم عِندهم خزائِن رحمةِ ربك العزيزِ الوهابِ** [آية: ٩].

قال أبو جعفر: هذه الآية مشكلة، لذكره هذا بعدما تقدم، وفيها قولان:

أحدهما: أ ا متصلة بقوله تعالى: **وعجِبوا أن جاءَهم منذِر منهم** [آية: ٤] أي إن الله ﷻ له خزائن السموات والأرض وملكهما، فيرسل من يشاء.

والقول الآخر: أنه لما ذكر عنادهم، وكفرهم، وصبرهم على آلهتهم، كان المعنى: أم عندهم خزائن رحمة ربك، فيحظروها على من يريدون؟ أم لهم ملك السموات

---

(١) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه ١٧٧، وهو من شواهد الفراء ٣٩٧/٢، وقد ذكره بلفظ «خطوة» بدل «تارة»، وانظر الطبري ١٢٠/٢٣، ومختار الشعر الجاهلي ١٢٧/١.

(٢) هذا القراءة لشيء عجاب من القراءات الشاذة، كما ذكرها ابن جني في المحتسب ٢٣٠/٢.

والأرض وما بينهما؟ فقررهم بهذا.

١٠- ثم **قال** ﷻ: **﴿أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب﴾** [آية: ١٠].

أي إن كانوا صادقين فليرتقوا في أبواب السموات.

قال مجاهد وقتادة: **﴿الأسباب﴾**: أبواب السموات، وقال زهير:

ولو نالَ أسباب السماءِ بِسلم(١)

وقيل: ﴿الأسباب﴾: الجبال، أي فليرتقوا في السماء، حتى يأتوا بآية.

وحكى أهل اللغة أنه يقال للدين الفاضل: ارتقى أسباب السموات، كما يقال: قد بلغ السماء، على التمثيل.

١١- ثم **قال** ﷻ: **﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾** [آية: ١١].

أي هم جند لهؤلاء الآلهة **﴿مهزوم﴾** أي مقموع ذليل، أي قد انقطعت حجتهم، لأنهم لا يصلون إلى أن يقولوا: هذا لنا.

ويقال: تزمت القرية: إذا انكسرت، وهزمتُ الجيش: كسرته، ثم قال: **﴿من الأحزاب﴾** قال مجاهد: أي من الأمم الخالية.

قال أبو جعفر: والمعنى أنهم حزب من الأحزاب، الذين تحزبوا على أنبيائهم.

١٢- **وقوله** ﷻ: **﴿كذبت قبلهم قوم نوحٍ وعاد وفرعونُ ذُو الأوتادِ﴾** [آية: ١٢].

روى سعيد عن قتادة في **قوله تعالى: ﴿وفرعونُ ذُو الأوتادِ﴾** قال: كانت له أوتاد، وأرسان، وملاعب، يُلعب بها بين يديه.

قال أبو جعفر: وقيل كان يجعل الإنسان بين أربعة أوتادٍ، ثم يقتله.

وقال الضحاك: ﴿ذُو الأوتادِ﴾ ذو البناء المحكم، كما قال:

فِي ظِلِّ ملْكٍ ثَابِتِ الأوتادِ(٢)

---

(١) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه ص٣٠ وتمامه:

ومن هاب أسباب المنايا ينلْنه ... ولو رام أسباب السماءِ بسُلمِ

(٢) البيت للأسود بن يعفر وتمامه:

ولقد غَنوا فيها بأنعمِ عيشةٍ ... في ظِلِّ مُلكٍ ثابتِ الأوتادِ

=

١٣- ثم قال جل وعز: ﴿وثمود وقوم لوطٍ وأصحاب الأيكةِ أولئك الأحزاب﴾ [آية: ١٣].

قال قتادة: كان أصحاب الأيكة أصحاب شجر، أكثره من الدومِ.

١٤- وقوله جل وعز: ﴿وما ينظُر هؤلاءِ إلا صيحةً واحِدةً ما لها مِن فَواقٍ﴾ [آية: ١٥].

قال مجاهد: ﴿ما لها مِن فَواقٍ﴾ أي من رجوعٍ.

وقال قتادة: أي ما لها من مثنوية.

وأبو عبيدة يذهب إلى أن معنى ﴿مِن فَواقٍ﴾ بفتح الفاء: من راحة، و﴿مِن فُواقٍ﴾ بضم الفاء: من انتظار.

وقال غيره: هما لغتان بمعنى.

وقال السدي: ما لهم بعدها إفاقةٌ، ولا رجوع إلى الدنيا.

قال أبو جعفر: أصلُ هذا من قولهم: «فُواق الناقة» وهو ما بين الحلبتين.

المعنى: أنها لا تلبثهم حتى يموتوا، ولا يحتاج فيها إلى رجوع، وأفاق من مرضه، رجع إلى الصحة والراحة، وإلى هذا ذهب أبو عبيدة في قوله: مالها من راحة.

١٥- وقوله جل وعز: ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قِطَّنا قَبلَ يومِ الحِسابِ﴾ [آية: ١٦].

قال سعيد بن جبير: ﴿قِطَّنا﴾ أي نصيبنا من الجنة.

وقال الحسن: أي عقوبتنا.

وقال مجاهد: أي عذابنا.

وقال قتادة: أي نصيبنا من العذاب.

وقال عطاء الخراساني: أي قضاءنا أي حسابنا.

قال أبو جعفر: أصل هذا من قولهم: قططت الشيء أي قطعته،

فالمعنى: عجل لنا نصيبنا أي ما قُطع لنا.

ويجوز أن يكون المعنى: عجل لنا ما يكفينا، من قولهم: قَطْني من هذا أي يكفيني.

ويروى أنهم قالوا هذا لما أنزل الله جل وعز: **﴿وأما من أوتِيَ كِتابَهُ وراءَ ظَهرِهِ﴾** [الانشقاق: ١٠]. استهزاءً، وهذا كما قال:

=

والبيت في المفضليات ٢١٧، والبحر المحيط ٣٦٧/٧، ومعنى «غنوا» أقاموا وسكنوا.

يعطِي القُطُوطَ ويأفِق(١)

يعني الكتب بالجوائز.

ويدل على هذا قوله تعالى: اصبِر على ما يقُولُونَ [آية: ١٧].

١٦- ثم قال ﷻ: واذْكُر عبدنا داود ذَا الأيدِ إنه أواب [آية: ١٧].

قال سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة: أي ذا القوة في طاعة الله ﷻ.

قال أبو جعفر: الأيد، والآدُ، في اللغة: القوة، وأيده قواه، فَأنْآد، كما قال:

لم يك ينآد فأمسى انآدا(٢)

ثم **قال تعالى: إنه أواب** قال مجاهد: أي راجع عن الذنوب.

وقال قتادة: أي مطيع.

قال أبو جعفر: يقال: آب، يؤوب، فهو آيب: إذا رجع، وأواب: على التكثير.

١٧- ثم قال ﷻ: إنا سخرنا الْجِبالَ معه يسبحن بِالْعشِي والإِشراق [آية: ١٨].

إشراق الشمس: ضوءها وصفاؤها.

١٨- ثم قال ﷻ: والطير محشورةً كُل له أواب [آية: ١٩].

يجوز أن يكون المعنى: كل لله ﷻ أواب، يعني داود، والجبال، والطير.

ويجوز أن يكون المعنى في كل للجبال، والطير، أي تُرجع مع داود التسبيح.

١٩- ثم قال ﷻ: وشددنا ملْكَه وآتيناه الْحِكْمةَ وفَصلَ الْخِطَابِ [آية: ٢٠].

قال مجاهد: لم يكن في الأرض سلطانٌ أعز من سلطانه.

قال السدي: كان يحرسه في كل ليلة أربعةُ آلافٍ.

وقيل: **وشددنا ملْكَه** بأن الوحي كان يأتيه، وهذا عن ابن عباس.

وقد روى عكرمة عن ابن عباس: أن رجلين اختصما إلى داود فقال المستعدي: إن

---

(١) هذا جزء من بيت شعر للأعش، وهو في ديوانه ص٣٣ وتمامه:

ولا الملِكُ النعمانُ يومَ لقيتُهُ   بِنعمتِهِ يُعْطِي القُطُوطَ ويَأفِقُ

وهو من شواهد أبي عبيدة ١٧٩/٢، والطبري ١٣٤/٢٣.

(٢) هذا شطر بيت من الرجز للعجاج، وتمام البيت كما في لسان العرب ٧٥/٣:

مِن أنْ تبدلتُ بآدِي آدا   لم يكُ ينآدُ فأمسى انآدا

وانظر جامع الأحكام للقرطبي ١٥٨/١٥، والدر المنثور ٢٩٨/٥، والطبري ١٣٧/٢٣.

هذا اغتصبني بقراً، فجحده الآخر، فأوحى الله إلى داود أن يقتل الذي استعدى عليه، فأرسل داود إلى الرجل إن الله قد أوحى إلي أن أقتلك، فقال الرجل: أتقتلني بغير بينة؟ فقال: لا يرد أمر الله فيك، فلما عرف الرجل أنه قاتله قال: والله ما أخذت بهذا الذنب، ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته، فأمر به داود فقتل، فاشتدت هيبة بني إسرائيل عند ذلك له، وهو قول الله ﷻ: **وشددنا ملكه**.

٢٠- ثم قال ﷻ: وآتيناه الحِكْمةَ [آية: ٢٠].

قال أبو العالية: أي المعرفة بكتاب الله ﷻ.

وقال السدي: النبوة.

وقال مجاهد: هو عدله.

٢١- ثم قال ﷻ: وفَصلَ الْخِطَابِ [آية: ٢٠].

قال الحسن: أي الفهم في القضاء.

وقال أبو عبد الرحمن وقتادة: أي وفصل القضاء.

وقال شريح والشعبي وكعب: الشهود والأيمانُ.

وكذلك روى الحكم عن مجاهد.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: ما قال أُنفذ.

وقال الشعبي: فَصلَ الْخِطَابِ: أما بعد.

قال أبو جعفر: الخطاب في اللغة، والمخاطبة، واحد.

فالمعنى **على حقيقة اللغة:** أنه يفصل أي يقطع المخاطبة، بالحكم الذي آتاه الله إياه، ويقطع أيضاً فصلها في الشهود والأيمان.

وقيل: وفَصلَ الْخِطَابِ: البيان الفاصل بين الحق والباطل.

٢٢- وقوله ﷻ: وهلْ أتاك نبأ الْخصمِ إذْ تسوروا الْمِحراب [آية: ٢١].

تسوروا أي علوا، والمحراب كل مكان مرتفع.

وقيل: محراب للذي يصلى إليه على التمثيل، أي هو أرفع موضع في المسجد.

و«خصم» يقع للواحد، والاثنين، والجميع بلفظ واحد على معنى «ذوخصمٍ».

ولا اختلاف بين أهل التفسير أنه يراد به هاهنا ملَكان.

٢٣- وقوله ﷻ: إذْ دخلُوا علَى داود فَفَزِع مِنهم [آية: ٢٢].

قيل: دخلا عليه ليلاً في غير وقت الخصومة، فلذلك قال: **فَفَزِعَ مِنهم**.

وقيل: فزع منهما، لدخولهما من غير الباب، الذي كان منه المدخل.

٢٤- وقوله ﷻ: **قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ** [آية: ٢٢].

على جهة المسألة كما تقول: رجل يقول لامرأته كذا ما يجب عليه؟

٢٥- ثم قال ﷻ: **فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ** [آية: ٢٢]. **فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ** أي بالعدل **وَلاَ تُشْطِطْ** أي ولا تجُر.

يقال: أشطَّ يُشِط إذا جار، وشط يشط إذا بُعُد.

وقد قُرئ **ولاَ تَشْطُطْ** [1] أي لا تبعد في الحكم، كما قال الشاعر:

شطت مزار العاشقين فأصبحت   عسِراً عليَّ طِلابها ابنةَ مخرمِ[2]

قال تعالى: **وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ** [الآية: ٢٢] أي إلى قصد السبيل.

وقال تعالى: **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** [الفاتحة: ٦]. بغير «إلى» والعرب تحذف حرف الخفض مما يتعدى إلى مفعولين كما قال الشاعر:

ومنا الذي اختير الرجالَ سماحةً   وبراً إذا هب الرِّياح الزعازع[3]

وقيل: معنى **اهدنا الصراط** أعلمنا الصراط، ومعنى **اهدنا** إلى **الصراط** أرشدنا إلى الصراط.

٢٦- ثم قال ﷻ: **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ** [آية: ٢٣].

قال وهب: إِنَّ هَذَا أَخِي أي على ديني **لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً** والعرب تكني عن المرأة: بالنعجة، والشاة، كما قال الشاعر:

---

(١) هذه قراءة أبي رجاء وقتادة ولا تشطُط وهي من القراءات الشاذة، كما ذكر ذلك ابن جني في المحتسب ٢٣١/٢.

(٢) البيت من ملعقة عنترة، انظر المعلقات السبع للزوزني ص ١٢٦، والمحتسب لابن جني ٢٣١/٢.

(٣) البيت للفرزدق، وهو في ديوانه ٥١٦، وانظر خزانة الأدب ١٢٤/٩، والمقتضب للمبرد ٣٣٠/٤.

فَرميت غَفْلَةَ عينِهِ عـن شـاتِهِ فَأَصبت حبةَ قَلْبِها وطِحالَهـا[1]

وفي قراءة ابن مسعود: إِن هذَا أَخِي كانَ لَه تِسع وتسعونَ نعجةً أُنثَى [2].

و «كان» هاهنا مثل قوله تعالى: وكانَ الله غَفُورا رحِيما [3].

فأما قوله «أنثى» فقيل: هو على جهة التوكيد.

وقيل: لما كان يقال: هذه مائة نعجة، وإن كان فيها من الذكور شيءٌ يسير، جاز أن يقال: أنثى، ليعلم أنه لا ذكر فيها.

٢٧- ثم قال ﷻ: ولي نعجةٌ واحِدةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيها [آية: ٢٣].

قد جاءت أخبار وقصص في أمر «داود» ﷺ و«أوريا» وأكثرها لا يصح، ولا يتصل إسناده، ولا ينبغي أن يُجترأ على مثلها، إلا بعد المعرفة بصحتها.

وأصح ما روي في ذلك ما رواه مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: «ما زاد داود ﷺ على أن قال: أَكْفِلْنِيها أي انزل لي عنها».

وروى المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «ما زاد داود على أن قال أَكْفِلْنِيها أي تحول لي عنها، وضمها إلي».

قال أبو جعفر: فهذا أجل ما روي في هذا.

والمعنى عليه: أن داود ﷺ سأل «أوريا» أن يطلق له امرأته، كما يسأل الرجلُ الرجلَ أن يبيعه جاريته، فنبهه الله ﷻ على ذلك وعاتبه، لما كان نبياً، وكان له تسع وتسعون، أنكر عليه أن يتشاغل بالدنيا، وبالتزيد منها، فأما غير هذا فلا ينبغي الاجتراء عليه.

ومعنى أَكْفِلْنِيها انـزل لي عنها، واجعلني كافلها.

قال الضحاك: وعزني فِي الْخِطَابِ [آية: ٢٣]. أي قهرني.

وفي قراءة عبد الله وعازني [1].

---

(١) البيت للأعشي، وهو في ديوانه ص ١٥٠، وانظر مجاز القرآن ١٨١/٢، والقرطبي ١٧٣/١٥ وروح المعاني ١٨٠/٢٣.

(٢) هذه القراءة شاذة وليست من القراءات السبع، انظر جامع الأحكام للقرطبي ١٧٤/١٥.

(٣) قال الفراء: ربما أدخلت العرب «كان» على الخبر الدائم الذي لا ينقطع مثـل قولـه تعـالى وكان ربك قديرا فهذا دائم، ومثله «وكان الله غفورا رحيما» انظر معاني القرآن ٤٠٣/٢.

قال أبو جعفر: يقال: عازه أي غالبه، وعزه أي غلبه.

قال الحسن: أي قهره في المحاورة.

قال أبو جعفر: ومنه قولهم: «من عز بز».

ومنه قول زهير:

فعزته يداه وكاهله[٢]

٢٨- ثم **قال ﷻ: قَالَ لَقَد ظَلَمكَ بِسؤالِ نعجتِك إِلَى نعاجِهِ** [آية: ٢٤].

المعنى : بسؤاله نعجتك كما قال تعالى : **لا يسأم الإنسانُ مِن دعاءِ الخيـر** [فصلت: ٤٩].

ومعنى إِلَى نِعاجِهِ أي مضمومة إلى نعاجه.

إِن كثِيرا من الخلطاءِ [آية: ٢٤]. أي الشركاء، والخليط: الشريك.

٢٩- ثم **قال ﷻ: وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكِعا وأناب** [آية: ٢٤]. أي أيقن.

وقرأ قتادة أنما فتناه بتخفيف النون، يعني الملكين[٣]، وقال: معناه: صمدا له.

فاستغفر ربه وخر راكِعا قال أبو الأحوص والحسنُ: خر ساجداً.

وقال مجاهد: سجد أربعين يوماً، من قبل أن يسأل ربه شيئاً.

قال سفيان: يُروى أنه أقام أربعين يوماً، لا يرفع رأسه، إلا لصلاة، أو حاجة، لا بد منها.

قال قتادة: وأناب أي تاب.

٣٠- وقوله ﷻ: فغفرنا له ذَلِك وإن له عِندنا لزلفى وحسن مآبٍ [آية: ٢٥].

=

(١) هذه من القراءات الشاذة، وهي قراءة ابن مسعود، انظـر زاد المسـير ١٢٠/٧، والقـرطبي ١٧٥/١٥، وكذلك قراءة وعزني بالتخفيف من القـراءات الشـاذة. انظـر المحتسـب ٢٣٢/٢.

(٢) هذا شطر بيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه ص١٣٠، وتمامه:

قِلِـيلاً عَلَفْنـاهُ فَأَكمـلَ صُـنعُهُ فَـتم وعزتـهُ يـداهُ وكَاهِلُـهُ

(٣) هذه القراءة من القراءات الشاذة، قال ابن جني: ومعنى «فتناه» أي اختبراه، فخبراه بما ركبه من التماسه امرأة صاحبه، وهما الملكان الخصمان. انظر المحتسب ٢٣٢/٢.

قال الضحاك: **لزلفى** أي منـزلة رفيعة.

قال أبو جعفر: الزلفى في اللغة: القربة، ومنه قوله تعالى: **وأزلفنا ثم الآخرين** [الشعراء: ٦٤]. ومنه قوله:

مـر الليـالي زلفـاً فزلفـا سماوة الهلال حتى احقوقفـا[1]

أي ساعة تقرب من أخرى.

ثم قال **وحسن مآب** قال الضحاك: أي وحسن مرجع.

٣١- ثم **قال** ﷻ: **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض** [آية: ٢٦].

يقال: إنه من هذا جاز أن يقال: خلفاء.

٣٢- وقوله ﷻ: **إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** [آية: ٢٦].

بما نسوا يوم الحساب أي تركوا العمل له، وكانوا ناسين له، هذا مذهب السدي.

وقال عكرمة: هذا من التقديم والتأخير، أي لهم يوم الحساب عذاب شديد **بما نسوا** أي بما تركوا أمر الله ﷻ، والقضاء بالعدل.

٣٣- ثم **قال** ﷻ: **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا** [آية: ٢٧].

أي لما قالوا: إنه لا حساب، ولا جنة، ولا نار، قيل لهم هذا.

ثم **قال** ﷻ: **فويل للذين كفروا من النار** [آية: ٢٧].

فأخبر أنه يعذ بهم على ذلك.

٣٤- وقوله ﷻ: **كتاب أنزلناه إليك مبارك** [آية: ٢٩].

على إضمار هذا.

ثم **قال تعالى:** **ليدبروا آياته** [آية: ٢٩]. أي ليفكروا في عواقب ما يكون منه **وليتذكر أولو الألباب** [آية: ٢٩]. أي العقول.

٣٥- وقوله ﷻ : **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب** [آية: ٣٠].

فيه سبعة أقوال:

---

(١) البيت للعجاج بن رؤبة، وهو في ديوانه ٤٩٦، وذكره ابن منظور في اللسان، مادة زلف.

أ - **قال ابن المسيب: الأواب**: الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب.
ب- **وقال سعيد بن جبير: الأواب**: المسبح.
جـ - **وقال قتادة:** المطيع.
د - **وقال عبيد بن عمير:** الذي يذكر ذنبه في الخلاء، فيستغفر منه.
هـ - **وقيل:** الراحمُ.
و - **وقيل:** التائب.
ز - **وقال أهل اللغة:** الرجاع الذي يرجع إلى التوبة.
٣٦- وقوله ﷻ: إِذْ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد [آية: ٣١].
قال مجاهد: الصافنات من الخيل: التي ترفع إحدى يديها، وتقف على ثلاث.
وقال الفراء: الصافن: القائم.
وهذا المعروف في كلام العرب.
قال مجاهد: الجياد: السراع.
٣٧- وقوله ﷻ: فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي [آية: ٣٢].
قال الفراء: الخير في كلام العرب، والخيل واحد.
قال أبو جعفر: في الحديث «**الخيلُ** في **نواصيها الخير إلى يوم القيامة**»[1].
فكأ ا سميت خيراً لهذا.
وفي الحديث «**لما وفد زيد الخيل على النبي ﷺ فقال له: أنت زيد الخير**»[2].
وهو زيد بن مهلهل الشاعر.
قال الفراء: المعنى: إني آثرت حب الخير.
قال أبو جعفر: أحسنُ ما قيل في هذا أن المعنى: إني أحببت حب الخير حبا، فألهاني

(١) الحديث رواه الدارمي في الجهاد، وأحمد في المسند ٣٩/٣ ولفظه: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» وورد في البخاري بلفظ: «الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة».
(٢) قال في ترجمة «زيد الخيل»: زيد الخيل بن مهلهل، وفد في سنة تسع وسماه النبي ﷺ «زيد الخير..» ثم روى بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: «كنا عند النبي ﷺ فأقبل راكب حتى أناخ، فقال يا رسول الله: إني أتيتك من مسيرة تسع أسألك عن خصلتين فقال: ما اسمك؟ قال: أنا زيد الخيل، قال: بل أنت زيد الخير» الحديث، وكان شاعراً، خطيباً، شجاعاً، كريماً، يكنى أبا مكنف. انظر الإصابة ٦٢/٢.

عن ذكر ربي.

قال قتادة: عن صلاة العصر.

٣٨- ثم قال ﷻ: **حتى توارت بالحجاب** [آية: ٣٢].

في **معناه قولان:**

أحدهما: أن المعنى حتى توارت الشمس، وأنه قد عُرف معنى الضمير، كما قال:

على مثلها أمضي إذا قالَ صاحبي ... ألا ليتني أفديك منها وأفتدي[1]

أي منها، يعني من الفلاة، ولم يجر لها ذكر.

قال أبو إسحاق: لما قال: **بالعشي** كان المعنى بعد زوال الشمس، فجيء بالضمير على هذا.

وروى أبو اسحاق عن الحارث، عن علي رضي الله عنه**، قال:** «الصلاة التي فرط فيها سليمان صلاة العصر».

وقيل: حتى توارت بالحجاب، يعني الخيل.

وروى سعيد بن مسروق عن عكرمة، قال: كانت الخيل التي شغل ا سليمان، عشرين ألف فرسٍ، فقطعها.

٣٩- وقوله ﷻ: **ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق** [آية: ٣٣].

قال الحسن: في قوله تعالى: **فطفق مسحا بالسوق والأعناق** فقَطع أسُوقها وأعناقها، فأبدله الله ﷻ مكا ا خيراً منها.

وقيل: معنى **فطفق مسحا** : أقبل يمسحها بيده، من غير قتل، كما روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس، قال: يقول: جعل يمسح أعراف الخيل، وعراقيبها، حباً لها.

ومن قال: قتلها، فذلك على أنه ذكاةٌ، أو أنه أبيح ذلك، كما روي عن عبد الله بن عمر، أنه أعجبه غلام فأعتقه.

٤٠- وقوله ﷻ : **ولقد فتنا سليمانَ وألقينا على كُرسيه جسدا ثم أناب** [آية: ٣٤].

قد رويت في ذلك أخبار:

أ - منها أن شيطاناً غلب على ملكه أياماً.

---

(١) البيت لطرفه بن العبد من معلقته المشهورة، وهو في ديوانه ص٤٢.

ب- ومنها أن الشياطين قتلت ابنه، خوفاً من أن يملكهم بعده، وألقته على كرسيه، والله أعلم بما كان من ذلك.

والكلام يوجب أنه أزيل ملكه، فجلس آخر على كرسيه.

٤١- وقوله ﷻ: قَالَ رب اغْفِر لِي وهب لِي ملْكًا لا ينبغِي لأحدٍ من بعدِي [آية: ٣٥].

أي أعطيني فضيلة ومنـزلة كما قال إبراهيم: **رب أرنِي كَيف تحيِي الْموتى** [البقرة: ٢٦٠].

٤٢- وقوله ﷻ: فَسخرنا له الريح تجرِي بِأَمرِهِ رخاءً حيثُ أَصاب [آية: ٣٦].

قال قتادة: الرخاء: اللينة.

قال الحسن: الرخاءُ: ليست بعاصفة، ولا هينة، بين ذلك.

وروى علي بن أبي **طلحة عن ابن عباس** في **قوله تعالى: رخاءً حيثُ أَصاب**: قال: مطيعة حيث أراد.

حكى الأصمعي: أصاب الصواب، فأخطأ الجواب.

أي أراد الصواب، وحقيقته في اللغة أنه بمعنى قصد، من قولهم: أصبت، أي قصدت فلم تخطئ.

٤٣- ثم **قال ﷻ: والشياطِين كُلَّ بناءٍ وغَواص** [آية: ٣٧].

أي من يبني له المحاريب والتماثيل، ومن يغوص في البحر، فيخرج الحلية.

وقوله ﷻ: وآخرِين مقَرنِين فِي الأَصفَادِ [آية: ٣٨].

قال قتادة: أي في الأغلال.

قال أبو جعفر: يقال: صفدت الرجل إذا شددته، وأصفدته: أعطيته.

٤٤- ثم **قال ﷻ: هذَا عطَاؤنا فَامنن أَو أَمسِك بِغَيرِ حِسابٍ** [آية: ٣٩].

قال الحسن والضحاك: هذَا عطَاؤنا: المُلْكُ، فأعط وامنع.

وقال قتادة: هؤلاء الشياطين، فاحبس من شئت، وسرّح من شئت.

وعن ابن عباس: كان له ثلاثمائة امرأةٍ، وتسعمائة سُريةٍ، هذا عطاؤنا.

قال أبو جعفر: وأولاها الأول، لأن الأول مشتمل على كل ما أعطي، وهو عقيب

تلك الأشياء.

وروى سفيان عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس **فَامنن** أي أعط، **أو أمسِك بِغير حِسابٍ**: أي أمسك فليس عليك حساب.

وروى ابن أبي نجيح، عن مجاهد **بِغير حِسابٍ**: أي بغير حرج.

وقال الحسن: ليس أحد ينعم عليه بنعمةٍ، إلا وهو يحاسب عليها، إلا سليمان، ثم قرأ **هذَا عطَاؤنا** أي بغير تقتير.

ويجوز أن يكون بمعنى: لا يحاسب عليه.

٤٥- ثم **قال** ﷻ: **وإن لَه عِندنا لَزلْفَى وحسن مآبٍ** [آية: ٤٠].

قال قتادة: أي حسنُ مصيرٍ.

٤٦- ثم **قال** ﷻ: **واذْكُر عبدنا أيوب إِذْ نادى ربه أني مسنِي الشيطَانُ بِنصبٍ وعذَابٍ** [آية: ٤١].

ويروى عن الحسن، والجحدري، وأبي جعفر **بِنصبٍ** بفتح النون والصاد، وهما عند أكثر أهل اللغة بمعنى واحد، كما يقال: حُزنٌ، وحزن، إلا أن القتبـي حكى أن أبا عبيدة قال: النصبُ: الشر، والنصبُ: الإعياء.

قال أبو جعفر: يقال: أنصبه، يُنصبه: إذا عذبه وآذاه، ومنه:

كِلِيني لِهمّ يا أُميمةُ ناصِبٍ(١)

قال أبو جعفر: وأحسن ما قيل في معنى **أني مسنِي الشيطَانُ بِنصبٍ وعذَابٍ** ما رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس قال:

«لما أصاب أيوب عليه السلام البلاء، أخذ إبليس تابوتاً، وقعد على الطريق يداوي الناس، فجاءته امرأة أيوب، فقالت: أتداوي رجلاً، به علة كذا، وكذا؟ فقال: نعم بشرط واحد، على أني إذا شفيته قال لي: أنت شفيتني، لا أريد منه أجراً غير هذا.

فجاءت امرأة أيوب إلى أيوب فأخبرته، فقال لها: ذاك الشيطان، والله لئن برأت لأضربنك مائة، فلما برأ أخذ شمراخا فيه مائة، فضر ا به ضربةً».

---

(١) هذا شطر بيت للنابغة وتمامه كما في ديوانه ص٤٠ وهو مطلع القصيدة:

كِلِيني لهـمّ يـا أُميمـةُ ناصِـبٍ ... ولَيلٍ أُقاسِـيهِ بطـيءِ الكَواكِـبِ

وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٨٤/٢ واللسان مادة نصب، والطبري ١٦٥/٢٣.

قال أبو جعفر: فمعنى النصب على هذا، هو ما ألقاه إليه، أي يكون شيئاً وسوس به.

فأما قول من قال: إن «النصب» ما أصابه في بدنه، و«العذابُ» ما أصابه في ماله، فبعيد.

قال مجاهد عن ابن عباس: ضر ا بالأسل.

قال قتادة: أخذ عوداً، فيه تسعة وتسعون عوداً، وهو تمام المائة، فضر ا به.

قال مجاهد: هذا له خاص.

وقال عطاءٌ: هذا لجميع الناس.

قال أبو جعفر: البّينُ من هذا أنه خاص، لأنه قال: **ولاَ تحنثْ** فأسقط عنه الحنث، وقال الله ﷻ: **فَاجلِدوهم ثَمانِين جلْدةً** [النور: ٤]. ومن جُلِد بشمراخ فيه مائةٌ، فإنما جلد جلدةً واحدةً.

٤٧- وقوله ﷻ: واذكُر عِبادنا إِبراهِيم وإِسحاق ويعقُوب أُولي الأيدِي والأبصارِ [آية: ٤٥].

روى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس أُولي الأيدِي قال: القوة، والعبادة **والأبصارِ** قال: الفقه في دين الله ﷻ.

قال أبو جعفر: واحد «الأيدِي» يد، واليدُ تقع للقوة.

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: أُولي الأيدِ بلا ياءٍ.

وهذا بين من قولهم: أيده إذا قواه.

٤٨- ثم **قال ﷻ: إِنا أخلصناهم بِخالِصةٍ ذِكْرى الدارِ** [آية: ٤٦].

قال قتادة: أي يذكرون بالآخرة، وبطاعة الله ﷻ.

قال أبو جعفر: وهذا قولٌ بّين، أي إ م يزهدون في الدنيا، ويرغبون في الآخرة، وكذا الأنبياء صلى الله عليهم وسلم.

وقال الضحاك: أي بخوف الآخرة.

قال أبو جعفر: والمعنى على هذا القول: أ م يذكرون الآخرة، ويرغبون فيها، ويزهدون في الدنيا.

وهذا القولُ ظاهرُ معنى الكلمة.

وقد يكون من صفتهم أيضاً الترغيبُ في الآخرة.

وهذان التأويلان على قراءةِ من قرأ بالتنوين.

ومن أضاف قال معناه : أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة.

هذا قول ابن زيد.

والمعنى على هذا القول: أ م ُيذكرون بالآخرة، وُيرغبونَ فيها، وُيزهدون في الدنيا.

وفي القراءة بالإضافة قول آخر، وهو قول مجاهد، يكون المعنى: إنا أخلصناهم بأن ذَكَرنا الجنة لهم.

٤٩- ثم **قال** ﷻ: **وإنهم عِندنا لِمن الْمصطَفَين الأخيارِ** [آية: ٤٧].

أي هم مصطفون من الذنوب، والأدناس.

٥٠- وقوله ﷻ: **واذْكُر ِإسماعِيلَ والْيسع وذَا الْكِفْل وكُل من الأخيارِ** [آية: ٤٨].

قال الأشعري: قيل «ذو الكِفْل» لأنه كفل بعمل رجلٍ صالح، كان يصلي في كل يوم مائة صلاةٍ، فأثنى الله ﷻ عليه بحسن كفالته، ولم يكن نبياً.

وقيل : كفل لبعض الملوك بالجنة، وكتب له كتاباً بذلك.

والكفل في اللغة: النصيب، والحظ.

٥١- وقوله ﷻ: **هذَا ذِكْر وإن ِللْمتقِين لَحسن مآبٍ** [آية: ٤٩].

هذَا ذِكْر أي شرف، وذكر حسن في الدنيا.

ثم قال **وإن ِللْمتقِين لَحسن مآبٍ** أي لهم مع الذِّكرِ الحسن في الدنيا، حسنُ مرجعٍ في الآخرة.

٥٢- ثم **بين ذلك فقال: جناتِ عدنٍ مفَتحةً لهم الأبواب** [آية: ٥٠].

أي أبوا ا.

٥٣- وقوله ﷻ: **وعِندهم قَاصِرات الطرفِ أتراب** [آية: ٥٢].

روى سعيد عن قتادة، قال: قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم.

قال أبو جعفر: وأنشد أهل اللغة:

مِن القَاصِراتِ الطرفِ لَودب محولٌ مِن الذرَّقَوق الإتبِ مِنها لأَثرا[١]

---

(١) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ص٦٨، وانظر تذيب الأزهري ٣٥٩/٨، ولسان العرب مادة قصر، واستشهد به القرطبي ٢٢٠/١٥ والمحول: الذي أتى عليه الحول، وهو كناية ع ـ ن =

الإتب: الجلد.

ثم **قال تعالى: أتراب** .

قال قتادة : على سِنّ واحدةٍ.

قال مجاهد: أي أمثالٌ.

وحكى السدي: متواخيات، لا يتعادين، ولا يتغايرن.

٥٤- وقوله ﷻ: إن هذا لرزقُنا ما له مِن نفَادٍ [آية: ٥٤].

أي انقطاع.

قال السدي: كلما أخذ منه شيء، عاد مثله.

٥٥- وقوله ﷻ: هذا فلْيذُوقُوه حمِيم وغَساق [آية: ٥٧].

يجوز أن يكون المعنى: هذا حميم وغساق، فليذوقوه.

ويجوز أن يكون المعنى: هذا فليذوقوه، منه حميم، ومنه غَساق، كما قال الشاعر:

لهَا متاع وأعوانٌ غَدونَ لهـا ... قِتب، وغَرب إذّا ما أفْرِغَ انسحقَا(١)

قال قتادة: كنا نحدث أن الغساق: ما يسيل من بين الجلد، واللحم.

قال الفراء: - وهو مذهب الضحاك - قيل: الغساق شيء بارد، يُحرِق. كما يُحرِق الحميم.

قال أبو جعفر: قول قتادة أولى، لأنه يقال: غَسقَت عينه: إذا سالت.

وقال ابن زيد: الحميمُ: دموع أعينهم، يُجمعُ في حياض النار، يُسقَونه.

والغساق: الصديد الذي يخرج من جلودهم.

والاختيار على ذلك **غَساق** حتى يكون مثل سيال.

٥٦- ثم **قال ﷻ: وآخر مِن شكْلِهِ أزواج** [آية: ٥٨].

وقرأ مجاهد، وأبو عمرو بن العلاء **وأخر مِن شكْلِهِ** .

وأنكر أبو عمرو **وآخر** لقوله: **أزواج** أي لا يخبر عن واحد بجماعة.

وأنكر عاصم الجحدري وأخر قال: ولو كانت **وأخر** لكان من شكلها.

=

الصغير.

(١) البيت لزهير بن أبي سُلمى وهو في ديوانه ص ٣٩، وانظر القرطبي ٢٢١/١٥.

قال أبو جعفر: كلا الردين لا يلزم، لأنه إذا قرأ **وأخر من شكله** جاز أن يكون المعنى: وأُخرُ من شكل ما ذكرنا.

وأُخرُ من شكل الحميم.

وأُخرُ من شكل الغساق.

وأن يكون المعنى: وأُخرُ من شكل الجميع.

ومن قرأ **وآخر من شكله** فقراءته حسنةٌ، لأن المعنى للفعل، وإذا كان المعنى للفعل، خبر عن الواحد باثنين، وجماعة، كما تقول:

عذابُ فلانٍ ضربان، وعذابُه ضُرُوب شتى.

ويجوز أن يكون أزواج لحميم، وغساقٍ، وآخر.

قال قتادة: من شكله : من نحوه.

قال يعقوب: الشكْلُ: المِثْلُ، والشّكْلُ: الدل.

قال عبد الله بن مسعود: وآخر من شكله أزواج : الزمهرير.

حدثنا محمد بن جعفر الأنباري، قال: حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني، قال: حدثنا إسماعيل بن عُلَية، عن أبي رجاء، عن الحسن في قوله: **أزواج** قال: ألوان من العذاب.

٥٧- ثم **قال** ﷻ: **هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار** [آية: ٥٩].

هذا فوج أي جماعة وفرقة **مقتحم معكم** أي شيء بعد شيءٍ **لا مرحبا بهم إنهم صالو النار** .

لا مرحبا بمعنى: لا أصبت رحباً أي سعة، بمعنى لا اتسعت منازلهم في النار.

الفراء يذهب إلى أن الكلام معترض، وأن المعنى: قالوا لا مرحباً م.

٥٨- **وقوله** ﷻ: **قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار** [آية: ٦١].

قال عبد الله بن مسعود: يعني الحيات والأفاعي.

٥٩- ثم **قال** ﷻ: **وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخريا** [آية: ٦٢ - ٦٣].

ويقرأ أتخذناهم ؟ على الاستفهام.

وفي القراءة الأولى قولان:

أحدهما: وهو قول الفراء: أ ا على التوبيخ والتعجب، قال: والعرب تأتي بالاستفهام في التوبيخ والتعجب، ولا تأتي به.

والقول الآخر: وهو قول أبي حاتم أن المعنى: وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً اتخذناهم سخرياً؟ يجعله نعتاً للرجال.

ومعنى «سُخرِي» و«سِخري» عند أكثر أهل اللغة واحد، إلا أبا عمرو، فإنه زعم أن **سِخرياً** يسخرون منهم، و **سخرياً** يسخرو م ويستذلو م.

٦٠- ثم **قال** ﷻ: **أم زاغَت عنهم الأبصار** [آية: ٦٣].

روى ليث عن مجاهد وقَالُوا ما لَنا لاَ نرى رِجالاً قال: قال أبو جهل والوليد ابن المغيرة **ما لَنا لاَ نرى رِجالاً** ؟ قال: قالوا: أين سليمان؟ أين خباب؟ أين بلال؟ أين عمار؟.

وروى ابن أبي نجيح **عن مجاهد، قال: أتخذْناهم سِخريا** فأخطأنا، أم هم في النار فزاعت أبصارنا عنهم؟.

قال أبو جعفر: وهذا قولٌ حسن، لأن «أم» للتسوية، فصار المعنى على قوله: أأخطأنا، أم لم نخطئ.

وقيل: هي بمعنى «بلْ».

والقراءة بوصل الألف، بّينةٌ حسنةٌ.

٦١- **وقوله** ﷻ: **قُلْ هو نبأٌ عظِيم * أنتم عنه معرِضونَ** [آية: ٦٧-٦٨].

قال مجاهد: يعني القرآن.

٦٢- **وقوله** ﷻ: **ما كانَ لي مِن عِلْمٍ بالْملأِ الأعلى إذْ يختصِمونَ** [آية: ٦٩].

قال الحسن: يعني الملائكة، اختصموا - كما أخبر تعالى عنهم بقوله - **إذْ قالَ ربك لِلْملائكةِ إني خالِق بشرا من طِينٍ** [آية: ٧١].

أي حين خلق آدم عليه السلام بيده.

قال أبو جعفر: وفي الحديث: «يختصمون في **الكفارات: وهي إسباغ الوضوء** في **المكاره، وانتظار الصلاة بعد الصلاة**»[1].

---

(١) روى الترمذي في كتاب التفسير برقم ٣٢٣٣، وأحمد في المسند ٢٤٣/٥: «أتاني ربي في أحسن صورة - أي في المنام - فوضع يده بين كتفي، حتى وجدت بردها بين ثديي، ثم قال =

قال أبو جعفر: الملأ في اللغة: الأشراف والأفاضل، كأ م مليئون بما يسند إليهم.

وقد قيل: يجوز أن يكون يعني بالملأ الأعلى هاهنا: الملائكة، **﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾** يعني قريشاً، لأن منهم من قال: الملائكة بناتُ الله ﷻ، فأعلم الله ﷻ النبي ﷺ ذلك، وأعلمه أ م عباده، وأ م **﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾** [الأنبياء: ١٩].

وقيل: يجوز أن يراد بالملأ الأعلى هاهنا: أشراف قريش، إذ يختصمون فيما بينهم، فيوحي الله ﷻ إلى النبي ﷺ بذلك، والله أعلم بما أراد.

وأولى ما قيل فيه، ما قاله ابن عباس والسدي وقتادة: أن الملأ الأعلى هاهنا الملائكة، اختصموا في أمر آدم ﷺ حين خلق، فقالوا: لا تجعل في الأرض خليفة؟

٦٣- ثم **قال** ﷻ: **﴿إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾** [آية: ٧٠].

يجوز أن يكون المعنى: إلا إنذارٌ.

وأن يكون المعنى: إلا بأنما أنا نذير مبين.

٦٤- وقوله ﷻ: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [آية: ٧٣-٧٤].

قال الضحاك قال ابن عباس: كان إبليس من أشراف الملائكة، وكان خازن الجنان، وكان أميناً على السماء الدنيا والأرض ومن فيهما، فأعجبته نفسه، ورأى أن له فضلا على الملائكة، ولم يعلم بذلك أحد إلا الله ﷻ، فلما أمر الله ﷻ الملائكة بالسجود لآدم، امتنع وظهر تكبره.

٦٥- وقوله ﷻ: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [آية: ٧٧-٧٨].

قال أبو جعفر: ومعنى **﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾**: إلى اليوم الذي يدان فيه الناس بأعمالهم.

قال أهل التفسير: ﴿رَجِيمٌ﴾ أي ملعون، والمعنى: مرجوم باللعنة.

٦٦- وقوله ﷻ: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [آية: ٨٠-٨١]. ومعناه إلى يوم الوقت المعلوم، الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ.

٦٧- وقوله ﷻ: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ

=

يا محمد: هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم يختصمون في الكفارات..» الحديث.

مِنهم أجمعِين [آية: ٨٤ - ٨٥].

ويقرأ بنصب الأول[١].

وحكى الفراء أنه يجوز الخفض في الأول [٢].

قال أبو جعفر: رفعه على ثلاثة معانٍ:

أ - روي عن ابن عباس: فأنا الحق.

ب- وروى أبان بن تعلب عن الحكم عن مجاهد، قال: فالحق مني، وأقول الحق.

جـ - والقول الثالث: على مذهب سيبويه والفراء بمعنى: فالحق لأملأن جهنم، بمعنى فالحق أن أملأ جهنم.

وكذا يقول سيبويه في **قوله تعالى: ثُم بدا لهم من بعدِ ما رأوا الآياتِ ليسجننه** [يوسف: ٣٥].

والنصب بمعنى: **فالحق قلت**، وأقول الحق.

وقد قال أبو حاتم: المعنى: فالحق لأملأن، أي فحقا لأملأن.

وقال قولاً آخر وهو أن المعنى: فأقول الحق، والحق لأملأن.

والأولى في **النصب** القول الأول، وهو مذهب أبي عبيدة.

والخفض بمعنى **القسم**، حذف الواو، ويكون الحق لله ﷻ.

وقد أجاز سيبويه: الله لأفعلن، إلا أن هذا أحسن من ذاك، إلا أن الفاء هاهنا تكون بدلاً من الواو، كما تكون بدلاً من الواو في قوله:

فمِثْلُكِ حبلى قَد طَرقْت ومرضِع فألهيتها عن ذِي تمائِم محـول[٣]

٦٨- وقوله ﷻ: قُلْ ما أسألُكُم عليهِ مِن أجرٍ وما أنا مِن المتكلِّفِين [آية: ٨٦].

قال ابن زيد : أي لا أتخرص، وأتكلف ما لم يأمرني الله ﷻ به.

(١) قراءة النصب فالحق والحق أقول هي قراءة الجمهور، وقرأ عاصم وحمزة فالحق والحق أقول بالضم في الأول، والفتح في الثانية، وكلاهما من القراءات السبعة، انظر السبعة ص٥٥٧، وابن والنشر ٣٦٢/٢.

(٢) قراءة الجر في الأول فالحق ليست من القراءات السبع، انظر معاني الفراء ٤١٢/٢.

(٣) البيت من معلقة امرئ القيس المشهورة (قِفَا نبكِ) وانظر ديوانه ص ١٤ وشواهد المغني ٤٠٢/١.

٦٩- وقوله ﷻ: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [آية: ٨٨].

أي ولتعلمن أن القرآن، وما أوعدتم فيه، حق.

وروى معمر عن قتادة ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ قال: بعد الموت.

وقال السدي: يوم بدر.

وقال ابن زيد: يوم القيامة.

والحين مبهم، فهو مطلق يقع لكل وقت علموه فيه.

«تمت بعونه تعالى سورة ص»

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيمِ

سورة الزمر وهي مكية

قال وهب بن منبه: «من أحب أن يعرف قضاء الله ﷻ في خلقه، فليقرأ سورة الغُرفِ».

قال مجاهد عن ابن عباس: هي مكيةٌ إلا ثلاث آياتٍ منها، فإ ن نــزلْن بالمدينة، في «وحشيّ» قاتل حمزة، صلوات الله على حمزة. أسلم ودخل المدينة، فكان النبي ﷺ لا يطيق أن ينظر إليهن فتوهم أن الله ﷻ لم يقبل إيمانه، فأنــزل الله ﷻ: **قُلْ يا عِبادِي الذِين أسرفُوا على أنفُسِهم لاَ تقْنطُوا مِن رحمةِ الله** [آية: ٥٣] إلى آخر الثلاث الآيات.

١- من ذلك قوله ﷻ: تنــزيلُ الكِتابِ مِن الله العزِيز الحكِيم [آية: ١].

يجوز أن يكون المعنى: تنــزيل الكتاب من عند الله.

وأن يكون المعنى: هذا تنــزيل الكتاب.

٢- ثم قال ﷻ: إنا أنزلنا إليك الكِتاب بِالحق فاعبدِ الله مخلِصا له الدين [آية: ٢]. أي بما حق في الكتب من إنزاله عليك.

ويجوز أن يكون المعنى: ألزمك إياه، بحقه عليك، وعلى خلقه.

وقيل المعنى: يأمر بالعدل، والحق.

٣- ثم قال تعالى: فاعبدِ الله مخلِصا له الدين [آية: ٢].

أي لا تعبد معه غيره.

وحكى الفراء له الدين برفع الدّين.

وهو خطأ من ثلاثة جهات:

إحداها: أن بعده **ألا لله الدين الخَالِص** فهو يغني عن هذا.

وأيضاً: فلم يقرأ به.

وأيضاً: فإنه يجعل **مخلِصا** التمام، والتمام عند رأس الآية أولى.

٤- ثم قال ﷻ: ألا للهِ الدين الخالِص [آية: ٣].

أي يُعبد وحده، لأن من الناس من له دين، ولا يخلصه لله ﷻ.

وروى معمر عن قتادة **ألا للهِ الدين الخالِص** قال: «لا إله إلا الله».

٥- ثم **قال** ﷻ: **والذِين اتخذُوا مِن دونِهِ أولياءَ ما نعبدهم إلا لِيقربونا إلى الله زلفَى** [آية: ٣].

قال قتادة: أي منـزلة.

وقال الضحاك: أي إلا ليشفعوا لنا.

وقال أبو جعفر: وفي قراءة ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد **والذِين اتخذُوا مِن دونِهِ أولياءَ قالوا ما نعبدهم إلا لِيقربونا إلى الله زلفَى** [(1)].

وفي **حرف** أبيّ: **والذِين اتخذُوا مِن دونِهِ أولياءَ ما نعبدكُم إلا لِيقربونا إلى الله زلفَى** [آية: ٣].

قال أبو جعفر: والحكاية في هذا بيّنةٌ.

٦- وقوله ﷻ : **لو أراد الله أن يتخِذَ ولدا لاصطفَى مِما يخلُق ما يشاءُ** [آية: ٤]. واتصال هذا بالأول، يدل على أنه هؤلاء ممن اتخذ من دون الله أولياء.

و **اصطفَى** : اختار.

٦- وقوله ﷻ: **يكَور الليلَ على النهارِ ويكَور النهار على الليل** [آية: ٥].

قال قتادة: أي يلقي هذا على هذا، وهذا على هذا.

قال أبو جعفر: أصل التكوير في اللغة: اللّف، والجمعُ، ومنه كَورُ العِمامِة، ومنه **إِذَا الشمس كُورت** [التكوير: ١].

٧- وقوله ﷻ: **خلقَكُم من نفْسٍ واحِدةٍ ثُم جعلَ مِنها زوجها** [آية: ٦].

ثُم ههنا تدل على أن الإخبار الثاني، بعد الأول.

وقال قتادة: **ثُم جعلَ مِنها زوجها** حواء، خلقها من ضلع من أضلاعه.

وقيل: يكون خلّقُه الزوج، مردوداً على واحدٍ، أي على نفسٍ وحدها، ثم جعل منها زوجها.

٨- ثم **قال** ﷻ: **وأنزلَ لكُم من الأنعامِ ثَمانِيةَ أزواجٍ** [آية: ٦].

أي أصناف.

---

(١) قراءة ابن مسعود، ومجاهد بزيادة قالوا ، وقراءة أبي بن كعب «ما نعبدكم» بصيغة المخاطب لا الغائب من القراءات الشاذة، وهي محمولة على المعنى.

قال مجاهد: من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين.

قال قتادة: هي مثلُ التي في الأنعام.

٩- ثم **قال** ﷻ: **يخلُقُكم في بطُون أمهاتِكُم خلْقًا من بعدِ خلْقٍ** [آية: ٦].

قال مجاهد والضحاك: نطفةً، ثم علقة، ثم مضغةً، حتى يتم الخلقُ.

ثم **قال تعالى:** **فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ** [آية: ٦].

قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك: في ظلمة الرحم، وفي ظلمة المشيمة، وفي ظلمة البطن.

وقيل: في الصلب، ثم في الرحم، ثم في البطن، وهذا مذهب أبي عبيدة، والأول أصح.

١٠- وقوله ﷻ: **إِن تكْفُروا فإِن الله غَنِي عنكُم ولا يرضى لِعبادِهِ الكُفْرَ وإن تشكُروا يرضه لَكُم** [آية: ٧].

أي يرضى الشكر لكم، ودل **تشكُروا** على الشكر.

١١- وقوله ﷻ: **وإذَا مس الإنسانَ ضر دعا ربه مُنِيبا إِلَيهِ** [آية: ٨].

روى سعيد عن قتادة قال: مخلصاً.

قال أبو جعفر: يُقال: أناب: إذا رجع، وتاب.

١٢- وقوله ﷻ: **ثُم إِذَا خولَه نِعمةً منه نسِي ما كَانَ يدعو إِلَيهِ مِن قَبلُ** [آية: ٨].

أي أعطاه وأباحه، وكان أبو عمرو بن العلاء ينشد:

هنالِك إنْ يستخولُوا المَالَ يخولُوا … وإن يسألُوا يعطُوا، وإن ييسِروا يغلُوا(١)

ثم قال: **نسِي ما كَانَ يدعو إِلَيهِ مِن قَبلُ** [آية: ٨].

أي نسي الذي كان يدعو الله ﷻ به، من قبل.

ويجوز أن يكون المعنى: نسي الله الذي كان يدعوه، كما قال تعالى: **ولا أنتم عابِدونَ ما أعبد** [الكافرون: ٣].

وفي قوله تعالى: **قُلْ تمتع بِكُفْرِك قَلِيلاً** [آية: ٩] معنى التهديد.

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانـه ص ١١٢، والطـبري ١٩٩/٢٣، والقـرطبي ٢٣٧/١٥، ومجاز القرآن ١٨٨/٢.

١٣- وقوله ﷻ: **وجعلَ للهِ أندادا ليضِل عن سبيلِهِ** [آية: ٨].

قال السدي: الأنداد من الرجال، يطيعهم في المعاصي.

وقيل: عبد الأوثان.

وهذا أولى بالصواب، لأن ذلك في سياق عتاب الله ﷻ إياهم، على عبادتنا.

١٤- وقوله ﷻ: **أمن هو قانت آناءَ الليل ساجدا وقائما** [آية: ٩].

أي مُصلٍّ، والقنوتُ: الطاعةُ.

قال الحسن وقتادة: آناءَ الليل ساعاته، أوله، وأوسطه، وآخره.

قال أبو جعفر: قال الأخفش: قراءة من قرأ **أمن هو** ؟ بالتخفيف، ضعيفة في العربية، لأن ألف الاستفهام لا يُعتمدُ على ما قبلها.

قال أبو جعفر: الذي قاله الأخفش حسن، يدل عليه أن الذي في سورة النمل لم يُقرأ إلا مثقلاً، ومعنى كلامه: أن الكلام معتمد على ما قبله، ليس له خبر، وإنما دل عليه ما قبله، لأنه قال ﷻ: **وجعلَ للهِ أندادا ليضِل عن سبيلِهِ** .

فحذف الخبر لأن المعنى: أمن هو مطيع كهذا؟ أو أمن هو مطيع، أفضل أم هذا؟

وهذا موضعُ **أم** التي بمعنى «بلْ» كما قال:

أفتلك أم وحشيةٌ مسبوعةٌ خذلت وهاديةُ الصّوارِ قوامها(١)

وقوله:

أذلك أم جأب يطارد آتنا حملن فأدنى حملهن دروص(٢)

ومن قرأ بالتخفيف، فالخبر أيضاً عنده محذوف، وهو شيءٌ غامض في العربية، لا يأنس به إلا من دربها، كما قال:

فأقسِم لو شيءٌ أتانا رسولُه سِواك، ولكن لم نجد لك مدفعاً(٣)

أي لدفعناه، فعلى هذا يقع الحذف.

وقيل: هو نداءٌ أي يا من هو قائم آناء الليل.

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة، وهو في ديوانه ص ٣٠٧.

(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ١٠٨، وانظر تذيب اللغة مادة (درص).

(٣) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ص ٢٤٢، وانظر خزانة البغدادي ٨٤/١٠، وابن يعيش ٧/٩، وخزانة الأدب ٨٤/١٠.

١٥- وقوله ﷻ: يحذَر الآخِرةَ ويرجو رحمةَ ربهِ [آية: ٩].

قرأ سعيد بن جبير يحذَر عذَاب الآخِرةِ [(١)] والمعنى واحد.

١٦- وقوله ﷻ: قُلْ هلْ يستوي الذِين يعلمونَ والذِين لا يعلمونَ إنما يتذكر أولُو الألبابِ [آية: ٩].

أي كما لا يستوي العالم والجاهل، كذا لا يستوي المطيعُ والعاصي.

وقيل: الذِين يعلمونَ ما لهم في الطاعة، وما عليهم في المعصية.

ثم **قال: إنما يتذكر أولُو الألبابِ** أي العقول.

ولب كلّ شيء خالصه.

١٧- وقوله ﷻ: لِلذِين أحسنوا فِي هذِهِ الدنيا حسنةٌ وأرض الله واسِعةٌ [آية: ١٠].

قيل: الحسنةُ: الجنةُ.

وقيل المعنى: لهم حسنةٌ في الدنيا، أي ثناءٌ حسن، وطمأنينةٌ بما لهم.

وقوله ﷻ: وأرض الله واسِعةٌ [آية: ١٠].

قال مجاهد: أي فهاجروا، واعتزلوا الأوثان.

١٨- وقوله ﷻ: فَاعبدوا ما شِئْتم من دونِهِ [آية: ١٥].

على الوعيد، وهذا قبل الأمر بالقتال.

١٩- ثم **قال ﷻ: قُلْ إن الْخاسِرين الذِين خسِروا أنفُسهم وأهلِيهم يوم الْقِيامةِ** [آية: ١٥].

أي خسروا أنفسهم بالتخليد في النار، وأهليهم بأ م لم يدخلوا الجنة، فيكون لهم أهلون.

وروى معمر عن قتادة، قال: ليس أحد إلا وقد أعد الله له أهلاً في الجنة، إن أطاعه.

٢٠- وقوله ﷻ: ذَلِك يخوف الله بِهِ عِباده يا عِبادِ فَاتقُونِ [آية: ١٦].

أي ذلك الذي وصف من العذاب.

٢١- وقوله ﷻ: والذِين اجتنبوا الطاغُوت أن يعبدوها [آية: ١٧].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: الطاغوت: الشياطين.

قال أبو جعفر: وقد بينا هذا في سورة البقرة.

---

(١) هذه قراءة شاذة، وهي محمولة على التفسير، انظر زاد المسير ١٦٧/٧.

٢٢- وقوله ﷻ: فَبشر عِبادِ * الذِين يستمِعونَ الْقَولَ فَيتبِعونَ أحسنه [آية: ١٧-١٨].

في معنى **هذا قولان:**

القول الأول: قال الضحاك: **يستمِعونَ الْقَولَ** القرآن، و **أحسنه** ما أمر الله ﷻ به الأنبياء، من طاعته فيتبعونه.

والقول الآخر: أ م يستمعون القرآن وغيره، فيتبعون القرآن.

قال أبو جعفر: القول الأول حسن، والمعنى: أ م إذا سمعوا بالعقوبة والعفو، عفوا، ورأوا أن العفو أفضل، وإن كانت العقوبة لهم.

٢٣- وقوله ﷻ : أفَمن حق علَيهِ كَلِمةُ الْعذَابِ أفَأنت تنقِذُ من فِي النار [آية: ١٩].

يقال: كيف جيء باستفهامين، وقد أجمع أهل العربية، أنه لا يجوز استفهامان في اسمٍ وخبره؟

ففي هذا جوابان:

أحدهما: أن العرب إذا طال الكلام، كررت توكيداً، وكذلك قال سيبويه في قول الله ﷻ: **أيعِدكُم أنكُم إذَا مِتم وكُنتم ترابا وعِظَاما أنكُم مخرجونَ** [المؤمنون: ٣٥].

المعنى **على هذا:** أفمن حق عليه كلمة العذاب، أفأنت تنفذه؟

والكلام شرطٌ وجوابه، وجيء بالاستفهام، ليدل على التوقيف والتقرير.

قال الفراء: المعنى: أفأنت تنقذ من حقت عليه كلمة العذاب؟

قال أبو جعفر: وهذا والأول واحد.

والجواب الآخر: أن في الكلام حذفاً.

والمعنى: أفمن حق عليه كلمة العذاب يتخلص، أو ينجو؟

ثم **حذف الجواب،** وكان ما بعده مستأنفاً.

والمعنى: أفمن سبق في علم الله ﷻ، أنه يدخل النار، ينجو أو يتخلص؟

٢٤- وقوله ﷻ: ألَم تر أن الله أنزلَ مِن السماءِ ماءً فَسلَكَه ينابِيع فِي الأرض [آية: ٢١].

يروى أن كل ماءٍ في الأرض، فأصله من السماء.

وقد يجوز **أن يكون إنـزاله إياه،** خلقه له، وتكوينه بأمره.

وقوله تعالى: **فَسلكه** أي فأدخله فجعله **ينابيع** جمعُ ينبوع «يفْعُول» من نبع، ينبعُ.

ثُم يخرج بِهِ زرعا مختلِفًا ألْوانه [آية: ٢١] أي أخضر، وأسود، وأصفر، وأبيض.

ثُم يهيج فَتراه مصفَرا [آية: ٢١] أي يجف.

قال الأصمعي: يقال للنبت إذا تم جفافه، قد هاج، يهيج، هيجاً.

ثُم يجعلُه حطَاما [آية: ٢١]. أي رفاتاً.

٢٥- ثم **قال تعالى:** **إِن فِي ذَلِك لَذِكْرى لأُولي الألْبابِ** [آية: ٢١].

أي يفكرون، فيذكرون أن هذا دالٌ على توحيد الله ﷻ، وقدرته.

٢٦- وقوله ﷻ : أفَمن شرح الله صدره لِلإِسلامِ فَهو على نورٍ من ربهِ [آية: ٢٢].

في **الكلام حذف.**

والمعنى: أفمن شرح الله صدره فاهتدى، كمن طبع على قلبه، فلم يهتد؟!

وفي الحديث قال أصحاب رسول الله ﷺ: «**أو ينشرح القلب؟ قال: نعم، إذا أدخل الله فيه النور، انشرح وانفسح، قالوا: فهل لذلك من علامةٍ؟ قال: نعم!! التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإعداد للموت قبل لقاء الموت**»[1].

٢٧- ثم **قال ﷻ: فَويلٌ للْقَاسِيةِ قُلُوبهم من ذِكْرِ الله أُولَئِك فِي ضلالٍ مبِينٍ** [آية: ٢٢].

قيل: معنى **مِن** و«عن» هاهنا واحد.

قال أبو جعفر: وليس هذا بشيءٍ، فمعنى **مِن** إذا تليت عليهم آياته قسوا، كما قال تعالى: **وأَما الذِين فِي قُلُوبِهم مرض فَزادتهم رِجسا إِلَى رِجسِهِم** [التوبة: ١٢٥].

وإذا قال «عن» فمعناه: قست قلو م، وجفَت عن قبول ذكر الله.

---

(١) الحديث أخرجه ابن مردويه، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٥/٥ ورواه الطبري ٢٧/٨ من طريقين عن عبد الله بن مسعود، قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: رواه الحاكم والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود، وفيه «أبو فروة» فيه كلام، ورواه ابن كثير في تفسيره، مرسلاً، متصلاً ٣٢٧/٣ ثم قال: وهذه طرق متصـلة ومرسلة يشد بعضها بعضاً.

٢٨- وقوله ﷻ: الله نزلَ أحسن الْحدِيثِ كِتابا متشابِها [آية: ٢٣].

روى الشعبي عن عون بن عبد الله، قال: قالوا: يا رسول الله حدثنا!! فنـزلت **الله نزلَ أحسن الْحدِيثِ** .

قال قتادة: متشابِها أي لا يختلف.

قال أبو جعفر: والمعنى: أنه يشبه بعضه بعضاً في الحكمة والحق، كما قال ﷻ: **ولو كانَ مِن عِندِ غَير الله لوجدوا فِيهِ اخِتلافًا كثِيرا** [النساء: ٨٢].

٢٩- ثم قال ﷻ: مثانِي [آية: ٢٣].

قال قتادة: مثانِي : ثناه الله ﷻ.

قال أبو جعفر: والمعنى: ما تثنى فيه القصصُ، والثوابُ، والعقابُ.

وقيل: المثاني: كل سورةٍ، فيها أقل من مائة آية، أي تثنى في الصلاة.

٣٠- ثم قال ﷻ: تقْشعِر مِنه جلُود الذِين يخشونَ ربهم ثُم تلِين جلُودهم وقُلوبهم إِلى ذِكْر الله [آية: ٢٣].

أي تقشعر من الآيات التي يذكر فيها العذاب، ثم تلينُ إلى الآيات التي تذكر فيها الرحمة.

٣١- وقوله ﷻ: أفَمن يتقِي بِوجهِهِ سوءَ العذَابِ يوم القِيامةِ [آية: ٢٤].

في الكلام حذف.

والمعنى: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب، كمن يدخل الجنة؟

قال مجاهد: يخر على وجهه في العذاب يوم القيامة.

قال أبو جعفر: ويروى أنه ُيلقى في النار مغلولاً، فلا يقدرُ أن يتقي النار إلا بوجهه.

٣٢- وقوله ﷻ: قُرآنا عربيا غَير ذِي عِوجٍ لعلهم يتقُونَ [آية: ٢٨].

قال مجاهد: أي غير ذي لَبسٍ.

قال أبو جعفر: المعنى: أنه مستقيم، لا يخالف بعضه بعضاً، لأن الشيء المعوج مختلف.

وقد روي عن ابن عباس: غَير ذِي عِوجٍ : غير مخلوق.

٣٣- وقوله ﷻ: ضرب الله مثَلاً رجلاً فِيهِ شركاءُ متشاكِسونَ [آية: ٢٩].

قال قتادة: هو الكافرُ، والشركاءُ: هم الشياطين.

قال: ورجلاً سلَما [آية: ٢٩] هو المؤمنُ، يعمل لله وحده.

قال مجاهد والضحاك: هذا مثلٌ للحق والباطل، والشركاء: هم الأوثان.

قال الفراء: **متشاكسونَ** [آية: ٢٩] مختلفون.

قال أبو جعفر: من قرأ **ورجلاً سالِما** أخرجه على الفعل، ومن قرأ **سلْما** جعله مصدراً فمعناه: ذا سلْمٍ.

٣٤- وقوله ﷻ: ثُم إنكُم يوم القِيامةِ عِند ربكُم تختصِمونَ [آية: ٣١].

أي يخاصم المظلوم الظالم، والمؤمن الكافر.

قال ابن عمر: ما كنا ندري فيم نختصم، حتى وقعت الفتنة فقلنا: هو ذا.

وفي الحديث: أن الزبير قال: يا رسول الله: أنختصم يوم القيامة، بعدما كان بيننا؟ قال: نعم، حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه، قال: إن الأمر إذاً لشديد»(١).

٣٥- وقوله ﷻ: والذِي جاءَ بِالصدق وصدق بِهِ أولئِك هم المتقُونَ [آية: ٣٣].

حدثنا بكر بن سهل، قال: حدثنا أبو صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: **والذِي جاءَ بِالصدق** يقول: جاء بـ «لا إله إلا الله» **وصدق بِهِ** يعني برسول الله ﷺ **أولئِك هم المتقُونَ** يقول: اتقوا الشرك.

وروى ابن عيينة، عن منصور، قال: قلت لمجاهد: يا أبا الحجاج، ما معنى قوله تعالى: **والذِي جاءَ بِالصدق وصدق بِهِ** [آية: ٣٣].

قال: الذي جاء بالقرآن، وصدق به.

قال أبو جعفر: وهذا يشبه القول الأول، وهو قول أكثر أهل اللغة.

ويدل على صحته، أن عبد الله بن مسعود قرأ والذين جاءوا بالصّدق وصدقُوا به، أولئك هم المتقون.

فـ **الذِي** هاهنا، و **الذِين** واحد.

وقال الحسن: هو المؤمن، جاء بالصدق يوم القيامة، وصدق به في الدنيا.

وبعض أهل اللغة يقول: حذف من **الذِين** النون، لطول الاسم.

وبعضهم يقول: **الذِي** بمعنى: الذين.

وبعضهم يقول: **الذِي** واحد يؤدي عن معنى الجماعة.

قال أبو جعفر: وهذا القول أصحها، يكون **الذِي** مثل «من» لأنه لا يقصد

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢/٢٤ وابن كثير ٨٧/٧ والقرطبي ٢٥٤/١٥ وفي الدر المنثور ٣٢٧/٥.

قصده، وحقيقته أن المعنى: والقبيل الذي جاء بالصدق، وصدق به.

وقد قيل في الآية غير هذا.

قال قتادة وأبو العالية: الذي جاء بالصدق النبي ﷺ وأبو بكر ﷺ.

وقيل: النبي ﷺ، وعلي ﷺ.

حدثنا علي بن سعيد، قال: حدثنا الحسينُ بن نصر، حدثني أبي، قال: حدثنا عمر ابن سعيد، عن ليثٍ، عن مجاهد **﴿والذي جاءَ بالصدق﴾** محمد ﷺ **﴿وصدق به﴾** علي ابن أبي طالب ﷺ.

ونظير الذي جاء بالصدق، في أنه واحد يؤدي عن جماعة، قوله :

وإن الذي حانت بفَلْجٍ دِمـاؤهم هم القَوم كُل القَومِ يا أم خالِد[1]

وحذَف النون، وقوله:

أبني كُلَيـبٍ إن عمـي اللـذَا قَتلا المُلوك وفَككا الأغْـلالا[2]

٣٦- وقوله ﷻ: ﴿أليس الله بكافٍ عبده ويخوفُونك بالذين من دونه﴾ [آية: ٣٦].

هذا يدل على النصر، وأكثر الكوفيين يقرأ **﴿بكافٍ عِباده﴾** .

والتوحيد أحسن، لأنه يروى أنه يراد به النبي ﷺ، ويدل عليه **﴿ويخوفُونك بالذين من دونه﴾** .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: الأوثان.

قال قتادة: أخذها خالد بن الوليد فأساً، فجاء إلى «العُزى» ليكسرها فقال له قيمها: إن سبلها لا ُيطاق، فخف منها، فجاء حتى كسر أنفها.

ويروى أنهم قالوا للنبي ﷺ: لئن لم تنته عن سبها، لنأمر ا فلتخبلنك .

قال مجاهد: نـزلت هذه الآية حين قرأ النبي ﷺ سورة النجم عند باب الكعبة.

٣٧- وقوله ﷻ: ﴿قُلْ يا قَومِ اعملُوا على مكَانِتكُم إني عامِلٌ فَسوف تعلَمونَ﴾ [آية: ٣٩].

قال مجاهد: ﴿على مكَانِتكُم﴾ أي على ناحيتكم.

---

(١) البيت للأشهب بن رُميلة، وهو في لسان العرب، وتاج العروس، والصحاح مادة «فلج»، ومجاز القرآن ١٩٠/٢، وزاد المسير ١٨٣/٧، والبحر المحيط ٤٢٨/٧.

(٢) البيت للأخطل التغلبي، وهو في ديوانه ص ٣٨٧، وانظر المحتسب ١٨٥/١.

قال أبو جعفر: وهذا قولٌ صحيح.

والمعنى: على ناحيتكم التي اخترتموها، وتمكنت عندكم.

إني عامِلٌ المعنى: إني عاملٌ على ناحيتي، ثم حذف.

٣٨- وقوله ﷻ: الله يتوفى الأنفُس حِين موتها والتِي لم تمت فِي منامِها [آية: ٤٢].

روى جعفر بن أبي **المغيرة، عن سعيد بن جبير،** قال: تجمع أرواح الأحياء، وأرواح الأموات، فتعارف بينهما ما شاء الله، فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجسادها.

قال الفراء: المعنى: والتِي لم تمت فِي منامِها عند انقضاء أجلها، قال: وقد يكون «توفاها» نومها.

قال أبو جعفر: وقيل: المعنى: الله يتوفى الأنفس حين موتها، بإزالة أنفسها وتمييزها، ثم أضمر للثاني فعلٌ، لأنه مخالف للأول.

فالمعنى: ويتوفى التي لم تمت في منامها، بإزالة تمييزها فقط، لأن النائم يتنفس.

قال أبو جعفر: أحسنُ ما قيل في هذا أن المعنى **يتوفى** و«يستوفي» واحد، إذا انقضى الشيء، كما يقال: تبينتُ، واستبنتُ، وتيقن، واستيقن، فالميت والنائم في هذا واحد، ويدل عليه قوله: **فَيمسِك التِي قَضى عليها المَوت ويرسِلُ الأخرى إلى أجلٍ مسمى** [آية: ٤٢].

٣٩- وقوله ﷻ: أَمِ اتخذُوا مِن دون الله شفَعاءَ قُلْ أولَو كانوا لا يملِكُونَ شيئًا ولا يعقِلُونَ [آية: ٤٣].

قال قتادة: قالوا إنما عبدناها حتى تشفع لنا.

ثم **قال ﷻ: أولَو كانوا لا يملِكُونَ شيئًا ولا يعقِلُونَ** [آية: ٤٣].

قال سيبويه: هذا باب الواو، إذا دخلت عليها ألف الاستفهام، وذلك قولك: أفلانٌ عند فلان؟ فيقول: أهو ممن يكون عند فلان؟

قال أبو العباس: هذا على الاسترشاد، أو على الإنكار، وما جاء منه في القرآن فمعناه الإنكار، والتقرير، ووقوع الشيء.

٤٠- ثم **قال ﷻ: قُل للهِ الشفَاعةُ جمِيعا** [آية: ٤٤].

كما قال تعالى: **من ذَا الذِي يشفَع عِنده إلا بِإذْنِه** [البقرة: ٢٥٥].

٤١- وقوله ﷻ: وإذا ذُكِر الله وحده اشمأزت قُلُوب الذِين لا يؤمِنونَ بِالآخِرةِ [آية: ٤٥].

روى معمر عن قتادة، قال: اشمأزت: استكبرت، وكفرت.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: انقبضت.

قال أبو جعفر: يقال: اشمأز من كذا: إذا نفر منه.

ويروى أنهم كانوا إذا سمعوا من يقول: «لا إله إلا الله وحده» نفروا، وقالوا: لم تُذكر آلهتُنا.

٤٢- وقوله ﷻ: وبدا لهم من الله ما لم يكُونوا يحتسِبونَ [آية: ٤٧].

يروى أنهم عملوا أعمالاً، توهموا أنها تنفعهم، فلم تنفعهم، لأنهم كانوا مشركين.

٤٣- وقوله ﷻ: فإِذا مس الإِنسانَ ضر دعانا ثُم إِذا خولْناه نِعمةً منا [آية: ٤٩].

قال مجاهد: خولْناه: أعطيناه.

قال أبو جعفر: يقال: خولته كذا أي أعطيته إياه، تفضلاً من غير جزاء.

٤٤- وقوله ﷻ: قالَ إِنما أُوتيته على عِلْمٍ بلْ هِي فِتنةٌ ولكِن أكْثَرهم لا يعلمونَ [آية: ٤٩].

قال مجاهد: إِنما أُوتيته على عِلْمٍ أي على شرفٍ.

وقال قتادة: أي على خيرٍ عندي.

قال أبو جعفر: المعنى: إن لي علماً بالكسب، إما بتجارة، أو غيرها، فقد علمت أني أُوتى هذا.

ومن أحسن ما قيل فيه: أن المعنى: قد علمت إذا أوتيت هذا في الدنيا، أن لي عند الله منـزلة، فرد الله ﷻ ذا عليه، فقال: **أو لم يعلم أن الله قد أهلك مِن قبلِهِ مِن القُرونِ** [القصص: ٧٨] الآية. فعرف الله ﷻ، أنه ليس يعطي المال كل من له منـزلة.

٤٥- ثم **قال ﷻ: بلْ هِي فِتنةٌ** [آية: ٤٩].

أي بل العطية فتنة، يمتحن بها العبدُ، ليظهر منه أيشكر أم يكفر؟

٤٦- وقوله ﷻ: قُلْ يا عِبادِي الذِين أسرفُوا على أنفُسِهم لا تقْنطُوا مِن رحمةِ الله [آية: ٥٣].

روى مجاهد عن ابن عباس، قال: نـزلت في «وحشي» قاتل حمزة، على حمزة

السلام، إلى تمام ثلاث آيات، وكان النبي ﷺ لا يطيق أن ينظر إليه، فظن أن الله ﷻ لم يقبل منه إسلامه، فنـزلت هذه الآيات الثلاث.

وروى إبراهيم التيمي عن ابن عباس أنه يقرأ ﴿قُلْ يا عِبادي الذِين أسرفُوا علَى أنفُسِهم لاَ تقْنطُوا مِن رحْمةِ الله، إن الله يغفِر الذنوبِ جمِيعاً لِمن يشاءُ﴾.

وقال: نـزلت في قاتل حمزة وذويه، كذا قال.

قال أبو جعفر: وكذلك يروى أنه في مصحف ابن مسعود.

ومعنى ﴿لاَ تقْنطُوا﴾: لا تيأسوا.

قال قتادة: ﴿وأَنِيبوا إلَى ربكُم﴾ [آية: ٥٤] أي أقبلوا واعملوا له.

٤٧- وقوله ﷻ: ﴿واتَّبِعوا أحسن ما أُنزِلَ إلَيكُم من ربكُم من قَبل أن يأْتِيكُم الْعذَاب بغتةً﴾ [آية: ٥٥].

وكله حسن، ففي هذا أقوال**:**

أ - منها أن الله ﷻ، قد أباح الانتصار -بعد الظلم- والعفو، والعفو أحسنُ.

ب- ومنها أن الله ﷻ، قد أخبر عن قوم أنهم أطاعوا، وعن قوم أنهم عصوا، فأمر أن نتبع الطاعة.

جـ - ومنها أنه الناسخ.

د - ومنها أن يكون المعنى: الحسنُ مما أنـزل إليكم.

و ﴿**بغتةً**﴾ فُجاءةً.

٤٨- وقوله ﷻ: ﴿أن تقُولَ نفْس يا حسرتا علَى ما فَرطْت فِي جنبِ الله﴾ [آية: ٥٦].

المعنى: افعلوا هذا خوف أن تقول نفس، وكراهة أن تقول نفس يا حسرتا.

والحسرة: الندامة، أي يلحق الإنسان ما يصير معه حسيراً، أي معيباً، وحرف النداء يدل على أنه شيءٌ لازم، أي يا حسرة هذا وقتك، وهذا مذهب سيبويه.

قال مجاهد: ﴿فِي جنبِ الله﴾ أي في أمر الله.

قال أبو جعفر: المعنى: في جنب أمر الله، على التمثيل.

أي على الطريق الذي يؤدي إلى الحق، وهو الإيمان.

٤٩- وقوله ﷻ: ﴿بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾ [آية: ٥٩].

﴿بلى﴾ في كلام العرب، إنما يقع بعد النفي، وليس في الكلام نفي، ولكن فيه معناه، لأن معنى ﴿لو أن الله هداني﴾: ما هداني الله.

وروى الربيع بن أنس، عن أم سلمة، أن النبي ﷺ قرأ ﴿بلى قد جاءتكِ آياتي، فكذبتِ بها واستكبرتِ، وكنتِ من الكافرين﴾(١).

وقراءة الأعمش ﴿بلى قد جاءته آياتي﴾ وهذا يدل على التذكير.

والربيع بن أنس لم يلحق «أم سلمة» إلا أن القراءة جائزة، لأن النفس تقع للمذكر والمؤنث.

وقد أنكر هذه القراءة بعضهم، وقال: يجب إذا كسر التاء أن يقول: وكنت من الكوافر، أو من الكافرات.

قال أبو جعفر: وهذا لا يلزم، ألا ترى أن قبله ﴿أن تقول نفس﴾ ثم قال: ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ ولم يقل: من السواخر، ولا من الساخرات!!

والتقدير في **العربية على كسر التاء:** واستكبرت، وكنت من الجميع الساخرين، أو من الناس الساخرين، أو من القوم الساخرين، و«قوم» يقع للرجال والنساء، إذا اجتمعوا، وللرجال مفردين، كما قال الشاعر:

وما أدري وسوف إخالُ أدري ... أقومٌ آلُ حِصنٍ أم نساءُ(٢)

٥٠- وقوله ﷻ: ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾ [آية: ٦١].

ويقرأ ﴿بمفازاتهم﴾ والتوحيد أجود، لأن مفازة بمعنى الفوز.

---

(١) القراءة المشهورة على التذكير ﴿بلى قد جاءتك﴾، لأن النفس تقع على الذكر والأنثى، فخوطب المذكر. وقراءة التأنيث ﴿قد جاءتكِ﴾ جائزة لغة، ولكنها ليست من القراءات السبع، لأن النفس تؤنث، فجاز مجيئها على التأنيث، قال أبو عبيد: لو صح هذا عن النبي ﷺ لكان حجة، ولكنه ليس بمسند.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه ص ٧٣، وفي شواهد المغني للسيوطي ١/١٣٠، وفي أمالي ابن الشجري ١/٢٣٨.

٥١- وقوله ﷻ: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [آية: ٦٣].

روى سعيد عن قتادة قال: ﴿مَقَالِيدُ﴾: أي مفاتيح.

قال أبو جعفر: ومعنى له مفاتح السموات والأرض، هو خالقُ ما فيهما، ومفتاح بابه بيده ﷻ، ثم قال: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ أي من زعم أن غيره خلق شيئاً من هذا، فقد خسر وكفر.

٥٢- ثم أخبر أنه ينبغي أن يعبد وحده، فقال بعد البراهين: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [آية: ٦٤].

أي أفغير الله أعبد في أمركم؟. هذا قول سيبويه.

٥٣- وقوله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [آية: ٦٧].

قال أبو جعفر: أبو عبيدة يذهب إلى أن المعنى: وما عرفوا الله حق معرفته.

وفي معناه قول آخر، وهو أن يكون التقدير: وما قدروا نعم الله، ثم حذف، كما قال سبحانه: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**﴾ [يوسف: ٨٢].

٥٤- ثم قال ﷻ: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [آية: ٦٧].

قال الضحاك: هذا كله في يمينه.

قال أبو جعفر: معنى ﴿**وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ أي يملكها، كما تقول: هذا في قبضتي.

قال محمد بن يزيد: معنى ﴿**بِيَمِينِهِ**﴾ بقوته، وأنشد:

إذَا مـا رايـةٌ رفعـت لمجـدٍ ... تلقاهـا عرابـةُ بـاليمين[1]

أي بالقوة.

٥٥- وقوله ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [آية: ٦٨].

في معناه قولان:

---

(١) البيت للشماخ، وهو في ديوانه ٣٣٦، وانظر المحتسب ٢/٢٣٤، وأسرار البلاغة للجرجاني ص٤٠٤.

أحدهما: أنه روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن الصور، فقال: هو قرنٌ ينفخ فيه.

وروى معمر عن قتادة في **قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾** قال: في صُور الناس أجمعين.

قال أبو جعفر: هذا ليس بمعروف، والمستعمل في جمع صورة صور، ولم يقرأ أحد «وَنُفِخ في الصوَر».

٥٦- ثم **قال تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾** [آية: ٦٨].

روى سعيد عن قتادة ﴿فَصَعِقَ﴾: فمات.

وروى عاصم عن عيسى المدني، قال: سمعت علي بن حسين، يسأل كعب الأحبار، عن قوله تعالى: **﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾** فقال كعب: «جبرائيل» و«ميكائيل» و«إسرافيل» ملك الموت، وحملة العرش، ثم يميتهم الله بعدُ.

وروى محمد بن إسحاق، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: **﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾** قال: «**جبرائيل، وميكائيل، وحملة العرش، وملك الموت، وإسرافيل**»[(١)].

وفي هذا الحديث: أن آخرهم موتاً جبرائيلُ ﷺ.

وقال سعيد بن جبير: ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾: هم الشهداء، متقلدي السيوف عند العرش.

قال أبو جعفر: وهذا ليس بناقضٍ للأول.

وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «ينفخ في **الصور، فأكون أول من قام، فإذا موسى ﷺ، فلا أدري أقام قبلي، أم هو** ممن **استثنى الله»**[(٢)].

٥٧- وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [آية: ٦٨].

---

(١) حديث أنس رواه ابن مردويه والبيهقي في البعث عن أنس مرفوعاً، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣٣٧/٥.

(٢) الأثر عن سعيد بن جبير أخرجه أبو يعلى، والدارقطني، والحاكم، وصححه عن أبي هريرة مرفوعاً قال: «هم الشهداء مقلدون بأسيافهم، حول عرشه، تتلقاهم الملائكة يوم القيامة إلى المحشر، بنجائب من ياقوت» الحديث، وانظر الدر المنثور ٣٣٦/٥.

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ، قال: «**إن بين النفختين أربعين**»[(١)].

قال الحسن: لا أدري، أهي أربعون سنة، أم أربعون شهراً، أم أربعون ليلة، أم أربعون ساعة؟

٥٨- وقوله ﷻ: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ [آية: ٦٩].

يبين **هذا، الحديث المرفوع** عن النبي ﷺ، من طرق كثيرة صحاح: «**تنظرون إلى الله ﷻ، لا تضامون** في **رؤيته**»[(٢)].

وهو يروى على أربعة أوجه «لا تُضامُونَ» و«لا تُضارُونَ» ولا «تُضارُونَ» و«لأتضامُون».

فمعنى (تضامونَ): لا يلحقكم ضيم، كما يلحق في الدنيا في النظر إلى الملوك.

و(لا تُضارُونَ): لا يلحقكم ضير.

و(لا تُضامون): لا ينضم بعضكم إلى بعض ليسأله أن يريه.

و(لا تُضارون): لا يخالف بعضكم بعضاً، يقال: ضاررته مضارة وضراراً: أي خالفته.

٥٩- وقوله ﷻ: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها﴾ [آية: ٧٣].

الكوفيون يذهبون إلى **أن الواو زائدة.**

وهذا خطأ عند البصريين، لأن الواو تفيد معنى العطف، ولا يجوز أن تزاد.

قال محمد بن يزيد: المعنى: حتى إذا جاءوها، وفتحت أبوابها، سعدوا.

٦٠- وقوله ﷻ: ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾

---

(١) هذا طرف من حديث رواه البخاري في الخصومات ١٥٨/٣، ومسلم برقم ٢٣٧٣، والترمذي برقم ٣٢٤٥ عن أبي هريرة، قال: قال رجل من اليهود بسوق المدينة «والذي اصطفى موسى على البشر» فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه، وقال: أتقول هذا وفينا رسول الله؟ فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «ينفخ في الصور فأكون أول من يرفع رأسه...» الحديث.

(٢) ما روى البخاري ٣٥٨/١٣ ومسلم برقم ١٨٣ والنسائي ١١٢/٨: «إنكم ستروت ربكم عياناً، كما ترون هذا القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته» الحديث، وفي رواية للبخاري «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟».

[آية: ٧٣].

قال أبو إسحاق: المعنى: طبتم فادخلوها خالدين دخلوا، وحُذِف هذا لعلم السامع.

وقيل: معنى طِبتم طبتم في الدنيا.

وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام **أنه قال:** (يغتسلون من نهر في الجنة ويشربون منه، فلا يبقى في أجوافهم خبث ولا غل إلا خرج)(١).

٦١- وقوله جل وعز: **وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض** [آية: ٧٤].

قال قتادة: يعني أرض الجنة.

٦٢- وقوله جل وعز **: وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين** [آية: ٧٥].

«فختم بالحمد، كما بدأ به»

❁ ❁ ❁

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٣٥/٢٤ عن علي قال: «إنهم إذا انتهوا إلى باب الجنـة، وجدوا عند بابها شجرة، يخرج من تحت ساقها عينان، فيشربون من إحداهما، فلا يبقـى في بطونهم أذى، ولا قذى إلا خرجن، ويغتسلون من الأخرى فلا تغبر جلودهم. ولا تشـعث أشعارهم أبدا، وتقول لهم الملائكة طبتم فادخلوها خالدين».

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة غافر وهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ: حم * تنزيلُ الكِتابِ مِن الله العزيز العليم [آية: ١- ٢].

روى معمر عن قتادة قال: **حم** اسم من أسماء القرآن.

وقيل: معنى **حم**: حم الأمر.

وفي **رواية عكرمة عن ابن عباس قال: الر** و **حم** و **نونْ** حروف الرحمن ﷻ، مقطعة.

وقرأ عيسى بن عمر حامِيم تنزيلَ والمعنى على قراءته: اتلُ حاميم، ولم يصرفه لأنه جعله اسماً للسورة.

ويجوز أن يكون فتح لالتقاء الساكنين.

والمعنى: هذا تنزيل الكتاب، من الله العزيز العليم.

٢- ثم **قال ﷻ: غَافِرِ الذنبِ وقَابِلِ التوبِ** [آية: ٣].

ويجوز أن يكون التوب جمع توبة، كما قال:

فَيخبو ساعةً ويهب ساعا(١)

ويجوز أن يكون التوب: بمعنى: التوبة.

٣- ثم **قال ﷻ: شدِيدِ العِقابِ ذِي الطول** [آية: ٣].

روى ابن أبي نجيح **ذِي الطول** قال: ذي الغنى.

وروى سعيد عن قتادة، قال: ذي النعمة.

قال أبو جعفر: الطول في اللغة: الفضلُ، والاقتدار، يقال: لفلان على فلان طول، واللهم طُل علينا برحمتك.

---

(١) هذا شطر بيت للقُطَامي، وهو في ديوانه ص ٣٤ من قصيدة مطلعها:

قفي قبل التفرق يا ضباعا..

وتمامه:

وكنا كالحَرِيق أصاب غَابَاً ... فَيخبو ساعةً ويهب ساعا

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: **﴿ذِي الطول﴾** قال: ذي السعة والغنى.

٤- وقوله ﷻ: ﴿ما يجادِلُ فِي آياتِ الله إلا الذِين كفَروا فَلا يغررك تقَلبهم فِي الْبِلادِ﴾ [آية: ٤].

قال قتادة: أي فلا يغررك إقبالهم وإدبارهم، وتصرفهم في أسفارهم.

قال أبو جعفر: مثله قوله ﷻ: **﴿لاَ يغرنك تقَلب الذِين كفَروا فِي الْبِلادِ * متاعٌ قَلِيلٌ﴾** [آل عمران: ١٩٦ - ١٩٧].

والمعنى: لا يغرنك سلامتهم، وأناة الله لهم، فإن عاقبتهم مذمومة، ومصيرهم إلى النار.

٥- ثم بين **أن ذلك كان سبيل من قبلهم فقال: ﴿كذبت قَبلَهم قَوم نوحٍ والأحزاب مِن بعدِهِم﴾** [آية: ٥].

وهم: ثمود، وعاد، وقوم لوط، ومن كان مثلهم.

٦- وقوله ﷻ: ﴿وهمت كُل أُمةٍ بِرسولِهِم لِيأْخذُوه﴾ [آية: ٥].

روى معمرٌ عن قتادة، قال: ليأخذوه فيقتلوه.

قال أبو جعفر: ويبين هذا قوله تعالى: **﴿فَأَخذْتهم﴾** أي أهلكتهم، ويقال: للأسير: أخيذٌ.

٧- وقوله ﷻ: ﴿وكَذَلِك حقت كَلِمةُ ربك علَى الذِين كفَروا أَنهم أَصحاب النارِ﴾ [آية: ٦].

أي بقوله: ﴿لأَملأَن جهنم مِن الْجِنةِ والناسِ أَجمعِين﴾ [السجدة: ١٣].

قال قتادة: حق عليهم العذاب بكفرهم.

٨- ثم **أخبر أن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين فقال: ﴿الذِين يحمِلُونَ الْعرش ومن حولَه يسبحونَ بِحمدِ ربهِم ويؤمِنونَ بِهِ ويستغفِرونَ لِلذِين آمنوا ربنا وسِعت كُل شيءٍ رحمةً وعِلْما فَاغْفِر لِلذِين تابوا واتبعوا سبِيلَك وقِهِم عذَاب الْجحِيمِ﴾** [آية: ٧].

روى معمر عن قتادة: ﴿فَاغْفِر لِلذِين تابوا واتبعوا سبِيلَك﴾ قال: تابوا من الشرك، واتبعوا طاعتك.

٩- ثم **قال ﷻ: ﴿ربنا وأَدخِلْهم جناتِ عدنٍ التِي وعدتهم﴾** [آية: ٨].

يروى أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار: ما جنات عدن؟ قال: قصور من ذهب في الجنة، يدخلها النبيون، والصديقون، والشهداء، وأئمة العدل.

قال أبو جعفر: العدن في اللغة: الإقامة، وقد عدن بالمكان: أقام به.

١٠ - وقوله ﷻ: وقِهم السيئاتِ ومن تق السيئاتِ يومئذٍ فَقَد رحِمته [آية: ٩].

وقِهم السيئاتِ قال قتادة: أي العذاب **ومن تق السيئاتِ يومئذٍ فَقَد رحِمته** قال: العذاب.

١١ - وقوله ﷻ: إن الذِين كفَروا ينادونَ لَمقْت الله أكْبر مِن مقْتِكم أنفُسكُم إذْ تدعونَ إلى الإيمان فَتكْفُرونَ [آية: ١٠].

في الكلام تقديم وتأخير، وقد بينه أهل التفسير.

قال الحسن: يعطون كتا م، فإذا نظروا في سيئا م، مقتوا أنفسهم، فينادون: لمقت الله إياكم في الدنيا، إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون، أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم.

وقال مجاهد: إذا عاينوا أعمالهم السيئة، مقتوا أنفسهم، فنودوا: لمقت الله لكم إذ تدعون إلى الإيمان، أكبر من مقتكم أنفسكم، إذ عاينتم النار.

١٢ - وقوله ﷻ: قَالُوا ربنا أَمتنا اثْنتين وأَحييتنا اثْنتين [آية: ١١].

روى أبو إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود، قال: هي مثل قوله تعالى: وكُنتم أَمواتا فَأَحياكُم ثُم يمِيتكُم ثُم يحيِيكُم [البقرة: ٢٨].

قال أبو جعفر: المعنى: على هذا في **أَمتنا اثْنتين** خلقتنا أمواتاً، أي نطفاً، ثم أحييتنا، ثم أمتنا، ثم أحييتنا للبعث.

وقيل: إحدى الحياتين، وإحدى الموتتين: الإحياء في القبر، ثم الموت، وأ م لم يعنوا حيا م في الآخرة.

١٣ - وقوله ﷻ: ذَلكُم بِأنه إذَا دعِي الله وحده كفَرتم [آية: ١٢].

أي كذبتم **وإِن يشرك بِهِ تؤمِنوا** [آية: ١٢] أي تصدقوا.

١٤ - وقوله ﷻ: يلْقِي الروح مِن أَمرِهِ على من يشاءُ مِن عِبادِهِ [آية: ١٥].

روى عكرمة عن ابن عباس، قال: الروح : النبوة.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: الروح : الوحي.

وروى معمرٌ عن قتادة يلْقِي الروح قال: الوحي، والرحمةُ.

قال أبو جعفر: يلقي الوحي على من يختص من عباده، وسمي الوحي روحاً، لأن الناس يحيون به، أي يهتدون، والمهتدي حي، والضال ميت، على التمثيل، ومنه يقال لمن لم يفقه: إنما أنت ميت، وقال الله تعالى: **فَإِنك لا تسمِع الْموتى** [الروم: ٥٢].

١٥- ثم **قال ﷻ: ﴿لِينذِر يوم التلاق * يوم هم بارِزونَ﴾** [آية: ١٥-١٦].
أي لينذر الذي يوحى إليه.
ويجوز أن يكون المعنى: لينذر الله يوم التلاق.
قال قتادة: أي يوم يتلاقى أهل السماء، وأهل الأرض، ويلتقي الأولون والآخرون.
﴿يوم هم بارِزونَ﴾ قال قتادة: أي لا يسترهم جبلٌ، ولا شيء.
١٦- ثم **قال ﷻ: ﴿لاَ يخفَى علَى الله مِنهم شيءٌ لمن الْملْك الْيوم﴾** [آية: ١٦].
أي يقال هذا.
روى أبو وائل، عن عبد الله بن مسعود، قال: (يحشر الناس على أرض بيضاء، مثل الفضة، لم يعص الله ﷻ عليها قط، فأول ما يقال: **﴿لمن الْملْك الْيوم لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهارِ﴾** ثم أول ما ينظر من الخصومات في الدماء، فيحضر القاتل والمقتول، فيقول: سل هذا لم قتلني؟ فإن قال: قتلته لتكون العزة لفلان، قيل للمقتول: اقتله كما قتلك، وكذلك إن قتل جماعةً، أذيق القتل، كما أذاقهم في الدنيا، قال: **﴿لاَ ظُلْم الْيوم إِن الله سرِيع الْحِسابِ﴾** [آية: ١٧].
١٧- **وقوله ﷻ: ﴿وأَنذِرهم يوم الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوب لَدى الْحناجِرِ كَاظِمِين﴾** [آية: ١٨].
قال مجاهد وقتادة: أي القيامة.
قال الكسائي: يقال: أزف الشيء يأزف: أي دنا واقترب.
قال أبو جعفر: قيل للقيامة الآزفة: لقربها، وإن بعدت عن الناس، ومنه يقال: أزف رحيل فلان.
١٨- ثم **قال ﷻ: ﴿إِذِ الْقُلُوب لَدى الْحناجِرِ كَاظِمِين﴾** [آية: ١٨].
قال قتادة: شخصت من صدورهم فَنشِبت في حلوقهم، فلم تخرج، ولم ترجع.
وقال غيره: تزحزحت قلوبهم من الفزع، فلم تخرج فيستريحوا، ولم ترجع.
ثم **قال تعالى: ﴿كَاظِمِين﴾**: أي مغتاظين، ولا شيء يزيل غيظهم، يقال: كظم البعير بجرته: إذا رددها في حلقه، وكظم غيظه: إذا حبسه.
١٩- ثم **قال ﷻ: ﴿ما لِلظَّالِمِين مِن حمِيمٍ ولاَ شفِيعٍ يطَاع﴾** [آية: ١٨].
أي ليس لهم شفيع مطاع.
قال الحسن: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين، فإن الرجل منهم يشفع في قريبه،

وصديقه، فإذا رأى الكفار ذلك قالوا: **فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم** [الشعراء: ١٠٠-١٠١].

٢٠- ثم **قال** ﷻ: **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** [آية: ١٩].

قال ابن عباس: هو الرجلُ ينظر إلى المرأة، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، فإذا رأى منهم غفلة تدسس، فإذا نظروا إليه غض بصره، وقد علم الله ﷻ منه أن بوده أن لو نظر إلى عورا.

وقال جرير بن عبد الله: «**سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة، فأمر**ني **أن أغض بصري**»(١).

٢١- **وقوله** ﷻ: **وآثاراً في الأرض..** [آية: ٢١].

قال مجاهد: هو مشيهم وتأثيرهم في الأرض.

٢٢- **وقوله** ﷻ: **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين** [آية: ٢٣].

بآياتنا أي بالعلامات التي تدل على رسالته، نحو العصا، وما أشبهها.

وسلطان مبين أي: وحجة مبينة.

٢٣- ثم **أعلم** ﷻ **أ م ردوا الآيات،** التي **يعجز عنها المخلوقون، بأن قالوا: ساحرٌ كذاب** **فقالوا ساحرٌ كذابٌ** [آية: ٢٤].

٢٤- ثم **قال** ﷻ: **فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناءَ الذين آمنوا معه واستحيوا نساءَهم** [آية: ٢٥].

روى معمرٌ عن قتادة قال: هذا بعد القتل الأول.

٢٥- **ومعنى**: **إني أخاف أن يبدلَ دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد** [آية: ٢٦].

قال أبو جعفر: أخاف أن يكون أحد الأمرين: إما أن يذهب دينكم البتة، وإما يستميل فيفسد عليكم ويحاربكم!!.

ويقرأ **أن يظهر في الأرض الفساد** أي أخاف الأمرين جميعاً.

---

(١) الحديث رواه مسلم برقم ٢١٥٩ في الآداب، وأبو داود في كتاب النكـاح بـرقم ٢١٤٨، والترمذي في الآدب برقم ٢٧٧٧، وأحمد في المسند ٣٥٨/٤ ولفظه: (سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة ، فأمرني أن أصرف بصري).

٢٦- وقوله ﷻ: ﴿وقَالَ رجلٌ مؤمِنٌ من آلِ فِرعونَ يكْتمُ إيمانه﴾ [آية: ٢٨].

يجوز أن يكون المعنى: وقال رجلٌ مؤمن، يكتم إيمانه من آل فرعون، على التقديم والتأخير.

ويجوز أن يكون المعنى: وقال رجل مؤمن من آل فرعون، يكتم إيمانه ﴿أتقْتلُونَ رجلاً أن يقُولَ ربي الله﴾ [آية: ٢٨]؟ أي لأن يقول.

﴿وإن يك كَاذِبا فَعلَيهِ كَذِبه﴾ [آية: ٢٨] أي لا يضركم منه شيء.

٢٧- وقوله ﷻ: ﴿وإن يكُ صادِقًا يصِبكُم بعض الذِي يعِدكُم﴾ [آية: ٢٨].

هذه آية مشكلةٌ، لأن كل ما وعد به نبي كان، فهذا موضع «كل»؟.

ففيها أجوبة:

أ - منها أن «بعضاً» بمعنى «كل» وهذا مذهب أبي عبيدة، وأنشد:

أو يرتبِطْ بعض النفُوسِ حِمامها(١)

وهذا قول مرغوب عنه، لأن فيه بطلان البيان.

ب- قال أبو إسحاق: في هذا إلزام الحجة للمناظر، أن يقال: أرأيت إن أصابك بعض ما أعدك، أليس فيه هلاكك؟.

فالمعنى: إن لم يصبكم إلا بعض ما وعدكم موسى، هلكتم، قال: ومثله قول الشاعر:

قَد يدرك المُتأنّي بعـض حاجتِـه ... وقَد يكونُ مع المُستعجِل الزلَـلُ(٢)

أي أقل أحوال المتأني، أن يدرك بعض حاجته.

جـ - وقيل: ليس في قوله: ﴿يصِبكُم بعض الذِي يعِدكُم﴾ نفي: للكل.

د- وقيل: الأنبياء صلى الله عليهم يدعون على قومهم، فيقولون: اللهم اخسف

---

(١) هذا شطر بيت للبيد بن ربيعة من معلقته، وهو في ديوانه ص ٣١٣، وتمامه:

تراك أمكنةٍ إذَا لَـم أرضَـها ... أو يرتبطْ بعض النفوسِ حِمامها

وهو في مجاز القرآن ٢٠٥/٢ والقرطبي ٣٠٧/١٥ والبحر المحيط ٤١٦/٧ واستشهد به ابـن منظور في لسان العرب ١٩٩/٧.

(٢) البيت لعمير بن شيم القطامي كما في ديوانه ص ٢٥ وهـو في البحـر ٤٦١/٧ والقـرطبي ٣٠٧/١٥ وروح المعاني ٦٤/٢٤ وقد ورد في القرطبي والبحر المحيط وروح المعاني أنه «عمرو القطامي» وهو خطأ وصوابه أنه «عمير بن شيم القطامي».

م، اللهم أهلكهم، في أنواع من الدعاء، فيصيبهم بعض ذلك.

هـ - وفي الآية جوابٌ خامس: وهو أن موسى عليه السلام وعدهم بعذاب الدنيا معجلاً إن كفروا، وبعذاب الآخرة، وإنما يلحقهم في الدنيا ما وعدهم به فيها، وعذاب الآخرة مؤخر، فعلى هذا يصيبهم بعض الذي يعدهم.

٢٨- ثم قال عز وجل: إن الله لا يهدي من هو مسرفٌ كذابٌ [آية: ٢٨]**.**

أي كافر.

وقال قتادة: أي أسرف على نفسه بالشرك.

وقال السدي: وهو صاحب الدم.

٢٩- وقوله عز وجل: قالَ فِرعونُ ما أُريكُم إلا ما أرى وما أهدِيكُم إلا سبِيلَ الرشادِ [آية: ٢٩].

روي عن معاذ بن جبل أنه قرأ سبِيلَ الرشادِ بتشديد الشين، وقال: سبيل الله عز وجل.

قال أبو جعفر: وهذا عند أكثر أهل اللغة العربية لحن، لأنه إنما يقال: أرشد يرشد، ولا يكون «فَعالٌ» من «أفْعلَ» إنما يكون من الثلاثي، وإنما أردت التكثير من الرباعي، قلت: «مِفْعالٌ».

قال أبو جعفر: يجوز أن يكون **رشادٌ** بمعنى يرشد، لا على أنه مشتق منه، ولكن كما يقال: لأل من اللؤلؤ، فهو بمعناه، وليس جارياً عليه.

ويجوز أن يكون رشاد من رشد، يرشد أي صاحب رشاد، كما قال:

كِلِيني لِهمّ يا أُميمةُ ناصِبِ(1)

٣٠- وقوله عز وجل: وقالَ الذِي آمن يا قَومِ إني أخاف عليكُم مثْلَ يومِ الأحزابِ [آية: ٣٠].

---

(١) هذا صدر بيت للنابغة الذبياني يمدح عمرو بن الحارث، وهو في ديوانه ص ٤٠ وكتاب سيبويه ٢٠٧/٢ ومطلع القصيدة:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

والشاهد فيه «ناصب» بمعنى متعب، وفعله أنصب، فهو من الوصف الذي لم يجر على فعله، وجاء على معنى ذي نصب.

قال قتادة: هم قوم نوحٍ، وعادٍ، وثمود.

٣١- وقوله ﷻ: ﴿ويا قومِ إني أخاف عليكُم يوم التنادِ﴾ [آية: ٣٢].

وقرأ الضحاك: ﴿**يوم التنادِّ**﴾ بتشديد الدال[١].

قال أهل العربية: هذا لحن، لأنه من ند، يند: إذا مر على وجهه هارباً، كما قال الشاعر:

وبركٍ هجودٍ أثـارت مخـافتي ... نواديها أسعى بعضـبٍ مجـردِ[٢]

قال: ولا معنى لهذا في القيامة.

قال أبو جعفر: هذا غلطٌ، والقراءة به حسنةٌ، روى صفوان بن عمرو، عن عبد الله ابن خالد، قال: (يظهر للناس يوم القيامة عنق من نار، فيولون هاربين منها، حتى تحيط بهم، فإذا أحاطت بهم، قالوا: أين المفر؟ ثم أخذوا في البكاء حتى تنفد الدموع، فيكون دماً، ثم تشخص أبصار الكفار، فذلك قوله تعالى: ﴿**مهطِعين مقْنِعي رؤوسِهم لا يرتد إليهم طَرفُهم**﴾ [إبراهيم : ١])[٣].

ويروى: أنه إذا أمر بهم إلى النار، ولوا هاربين منها.

ولولم يكن في الاحتجاج بالقراءة إلا قوله تعالى: ﴿**يوم تولونَ مدبرين ما لكُم من الله مِن عاصِمٍ**﴾ [آية: ٣٣] لكفى.

فأما معنى التخفيف: فقال قتادة في قوله: ﴿**إني أخاف عليكُم يوم التنادِ**﴾ [آية: ٣٢].

قال: يوم ينادي كل قومٍ بأعمالهم، وينادي أهل الجنة أهل النار.

وقال عبد الله بن خالد: (إذا حشر الناس يوم القيامة، نادى بعضهم بعضاً، حتى يظهر لهم عنق من النار، فيولون هاربين).

٣٢- ثم **قال تعالى: ﴿ما لكُم من الله مِن عاصِمٍ﴾** [آية: ٣٣].

قال قتادة: أي من ناصر .

ثم قال ﷻ : ﴿**ولقَد جاءَكُم يوسف مِن قَبلُ بِالْبيناتِ**﴾ [آية : ٣٤].

---

(١) هذه من القراءات الشاذة، كما ذكرها ابن جني في المحتسب ٢٤٣/٢.

(٢) البيت لطرفة بن العبد كما في ديوانه ص ٥٣ وقد ورد فيه (أمشي) بدل أسعى، وفي اللسـان مادة ندى والقرطبي ٣١١/١٥.

(٣) انظر تفسير الطبري ٦١/٢٤ والدر المنثور ٣٥٠/٥ وتفسير القرطبي ٣١١/١٥.

أي من قبل موسى **بِالْبيناتِ** أي بالآيات المعجزات.

فَما زِلْتم فِي شك مما جاءَكُم بِهِ حتى إِذَا هلك قُلْتم لَن يبعثَ الله مِن بعدِهِ رسولاً [آية: ٣٤].

أي ظننتم أن الحجة لا تقام عليكم بعده **كَذَلِكَ يضِل الله من هو مسرِفٌ مرتابٌ** [آية: ٣٤]. أي مثل هذا الضلال، يضل الله من هو مسرف مرتاب.

٣٤- ثم **قال** ﷻ: **الَّذِين يجادِلُونَ فِي آياتِ الله بِغير سلْطَانٍ أَتاهم** [آية: ٣٥].

على البدل مِن **من**.

ومعنى **كَبر مقْتا**: كبر الجدال مقتاً.

٣٥- ثم **قال** ﷻ: **كَذَلِكَ يطْبع الله على كُل قَلْبِ متكَبرٍ جبارٍ** [آية: ٣٥].

وفي قراءة عبد الله بن مسعود **على قَلْبِ كُل متكَبرٍ جبارٍ**[1].

ومعنى هذه القراءة كمعنى الأولى، كما يقال: أنا أكلم فلاناً، يوم كل جمعة، وكل يومٍ جمعةٍ.

فأما التنوين فإنه يقال: قلب متكبر، أي صاحبه متكبر.

٣٦- وقوله ﷻ: **وقَالَ فِرعونُ يا هامانُ ابنِ لِي صرحا** [آية: ٣٦].

أي قصراً، وكل بناءٍ عظيم صرح.

لعلي أَبلُغُ الأَسباب [آية: ٣٦].

قال قتادة: أي الأبواب.

والسبب في **اللغة:** ما يؤدي إلى الشيء، فالمعنى: لعلي أبلغ ما يؤدي إلى السموات.

٣٧- وقوله ﷻ: **وكَذَلِكَ زين لِفِرعونَ سوءُ عملِهِ وصد عن السبِيل** [آية: ٣٧].

ويقرأ **وصد عن السبِيل** وهو اختيار أبي عبيدٍ.

وروي عن ابن أبي **إسحاق** **وصد عن السبِيل**.

قال أبو جعفر: وأحسنها **وصد عن السبِيل** كما قال تعالى: **الَّذِين كَفَروا وصدوا عن سبِيلِ الله** [محمد: ١].

وقول أبي **عبيد** في **اختياره ليس بشيء،** لأن من قرأه بالضم، فالمعنى عنده - على

---

(١) قراءة ابن مسعود بتقديم القلب على قلب كل متكبر جبار ليست من القراءات السبع، وانظر الطبري ٦٤/٢٤.

ما ذكر أبو حاتم-: وصده الشيطان عن السبيل، كما قال: **وزين لهم الشيطانُ أعمالَهم فَصدهم عن السبيل** [النمل: ٢٤] المستقيمة.

٣٨- ثم **قال** ﷻ: **وما كَيد فِرعونَ إلا في تباب** [آية: ٣٧].

قال مجاهد وقتادة: أي في خسار.

قال أبو جعفر: من هذا قوله ﷻ: **تبت يدا أبِي لهب** [المسد: ١].

وقوله: **وما زادوهم غَير تتبيب** [هود: ١٠١].

٣٩- وقوله ﷻ: **من عمِلَ سيئةً فَلا يجزى إلا مِثْلها** [آية: ٤٠].

قال قتادة: يعني شركاً.

٤٠- وقوله ﷻ: **ويا قَوم ما لي أدعوكُم إلى النجاة** [آية: ٤١].

قال مجاهد: إلى الإيمان بالله ﷻ.

٤١- وقوله ﷻ: **لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوةٌ في الدنيا ولا في الآخرة** [آية: ٤٣].

قال مجاهد: يعني الأوثان.

قال أبو جعفر: قال الخليل: معنى **لا جرم** حقاً، وقد جرم الشيءُ: أي حق وأنشد:

ولَقَد طَعنت أبا عيينةَ طَعنةً ... جرمت فَزارةَ بعدها أنْ يغضبوا[1]

قال أبو جعفر: فأما دخول «لا» على «جرم» فلتدل على أنه جواب لكلامٍ، وأنه ليس مستأنفاً.

---

(١) البيت لأبي أسماء بن الضريبة، كما في لسان العرب لابن منظور، والصحاح للجوهري وهو في معاني القرآن للزجاج ٣٧٦/٤ قال الفراء: (لا جرم)، هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة «لا بد» و«لا محالة» كثرت حتى تحولت إلى معنى القسم، وصارت بمنزلة حقاً. اهـ. وقال في اللسان لا جرم أي لا بد ولا محالة، وقيل: معناه حقاً، واستشهد بالبيت: ولقد طعنت.. إلخ. ثم قال: أي حقت لها الغضب، وقيل معناه: كسبتها الغضب، قال سيبويه: فأما قوله تعالى: لا جرم أن لهم النار فمعناها لقد حق أن لهم النار، وقول المفسرين معناها حقاً أن لهم النار، يدلك أنها بمنزلة هذا الفعل، والعرب تقول: لا جرم لآتينك، فتراها بمنزلة اليمين، وكذلك فسرها المفسرون: حقاً إنهم في الآخرة هم الأخسرون، وأصلها من جرمت أي كسبت الذنب. اهـ اللسان مادة (جرم).

فالمعنى: وجب بطلان ما تدعونني إليه، أي ليس له استجابة دعوة تنفع.

٤٢- وقوله: ﴿وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾ [آية: ٤٣].

قال عبد الله بن مسعود: هم السفاكون للدماء، وكذلك قال عطاء، ومجاهد.

٤٣- وقوله ﷻ: ﴿فوقاه الله سيئاتِ ما مكروا﴾ [آية: ٤٥].

قال قتادة: كان رجلاً من القبط، فنجاه الله مع نبي إسرائيل.

٤٤- وقوله ﷻ: ﴿النار يعرضونَ عليها غُدوا وعشِيا﴾ [آية: ٤٦].

يقال: كيف يعرضون عليها غدواً وعشياً وهم من أهلها؟

فالجواب عن هذا ما قاله عبد الله بن مسعود، قال: أرواح آل فرعون في أجواف طيرٍ سود، تعرض كل يومٍ على النار مرتين، يقال: هذه داركم.

وروى شعبة عن يعلى بن عطاء، قال: سمعت ميمون بن ميسرة يقول: كان أبو هريرة إذا أصبح ينادي: أصبحنا والحمد لله، وعرض آل فرعون على النار، وإذا أمسى نادى: أمسينا والحمد لله، وعرض آل فرعون على النار، فلا يسمع أبا هريرة أحد، إلا تعوذ بالله من النار.

وقال مجاهد: في قوله تعالى: **﴿النار يعرضونَ عليها غُدوا وعشِيا﴾** قال: من أيام الدنيا.

قال الفراء: ليس في القيامة غدو ولا عشي، ولكن مقدار ذلك.

قال أبو جعفر: التفسير على خلاف ما قال الفراء، وذلك أن التفسير، على أن هذا العرض، إنما هو في أيام الدنيا.

والمعنى أيضاً: بين أنه على ذلك، لأنه قال ﷻ: **﴿النار يعرضونَ عليها غُدوا وعشِيا﴾** ثم دل على أن هذا قبل يوم القيامة، بقوله تعالى: **﴿ويوم تقُوم الساعةُ أدخِلُوا آلَ فِرعونَ أشد العذَابِ﴾** [آية: ٤٦] فدل على أن الأول، بمنـزلة عذاب القبر.

٤٥- وقوله ﷻ: ﴿ويوم يقُوم الأشهاد﴾ [آية: ٥١].

قال معمرٌ عن قتادة: الملائكة.

قال أبو جعفر: واحدهم شاهد، كما يقال: صاحب، وأصحاب.

ويجوز أن يكون: جمع شهيد، كشريف، وأشراف.

٤٦- وقوله ﷻ: ﴿إن في صدورِهم إلا كِبرٌ ما هم ببالِغيهِ﴾ [آية: ٥٦].

مثل قوله **﴿واسأل القَرية﴾** [آية: ٨٢] المعنى: ما هم ببالغي إرادتهم فيه، لأن الكبر شيءٌ قد أتوه، فهذا لا يشكِل.

وقد قيل: الكبر هاهنا: العلو على النبي ﷺ، وذلك إراد ‌م ولم يبلغوه، فأما إراد ‌م في الأول: فالجدال في آيات الله ﷻ، حتى يبطلوها، ولم يبلغوا ذلك.

وقيل: إنما يراد بذا «اليهود» تكبروا، وتوقفوا، وقالوا: حتى يخرج الدجال، ونكون معه، فأعلم الله ﷻ أن هذه الفرقة من اليهود، لا تلحق الدجال، واستشهد صاحب هذا القول بقوله: **فَاستِعذْ بِاللهِ** .

٤٧- وقوله ﷻ: إِن الذِين يستكْبِرونَ عن عِبادتِي سيدخلُونَ جهنم داخِرِين [آية: ٦٠].

روى يسيع الكندي[١] عن النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة، وتلا رسول الله ﷺ وقَالَ ربكُم ادعونِي أَستجِب لَكُم إِن الذِين يستكْبِرونَ عن عِبادتِي سيدخلُونَ جهنم داخِرِين** »[٢].

قال أبو عبيدة: داخِرِين : صاغرين.

٤٨- وقوله ﷻ: إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعناقِهِم والسلاسِلُ يسحبونَ [آية: ٧١].

وقرئ: والسلاسِلُ يسحبونَ .

وفي قراءة أبي: **بِالسلاسِلِ يسحبونَ** .

وأجاز الفراء: والسلاسِلِ يسحبونَ .

قال أبو جعفر: من قرأ **والسلاسلَ يسحبونَ** فالمعنى عنده: يسحبون السلاسل، وهي قراءة ابن عباس، قال: وذلك أشد عليهم، يكلفون أن يسحبوها ولا يطيقون.

ومن قرأ **والسلاسِلُ يسحبونَ** فالتمام عنده **والسلاسِلُ** ثم ابتدأ فقال: **يسحبونَ فِي الحَمِيمِ** .

قال الفراء: والسلاسلِ بالخفض[٣]، محمول على المعنى، لأن المعنى: أعناقهم في

---

(١) يسيع بن معدان الحضرمي الكندي الكوفي، ويقال فيه «أسيع» ثقة روى عن علي، والنعمان بن بشير، وثقه النسائي، وابن حبان، انظر ‌ذيب التهذيب ٣٨٠/١١، والجرح والتعديل للرازي ٣١٣/٩.

(٢) الحديث رواه الترمذي في التفسير برقم ٣٢٤٧، وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود في الصلاة برقم ١٤٧٩ وابن ماجه برقم ٣٨٢٨ والحاكم وصححه.

(٣) قراءة الجر والسلاسل ليست من القراءات المتواترة. انظر القرطبي ٣٣٢/١٥.

الأغلال والسلاسل، كما حمل على المعنى قوله:

قد سالم الحيات منه القدما الأفعوانَ والشجاع الشجعما(١)

٤٩- ثم قال ﷻ: **ثُم فِي النارِ يسجرونَ** [آية: ٧٢].

قال مجاهد: أي توقد بهم النار.

قال أبو جعفر: يقال: سجرت الشيء: أي ملأته، ومنه **والبحر المسجور** [طه: ٦].

فالمعنى على هذا: تملأ بهم النار، وقال الشاعر يصف وعلاً:

إذا شاءَ طالع مسجورةً ترى حولها النبع والساسما(٢)

٥٠- وقوله ﷻ: ذَلِكُم بِما كُنتم تفْرحونَ فِي الأرضِ بِغير الْحق [آية: ٧٥].

بين هذا بقوله سبحانه: **فَرِحوا بِما عِندهم من الْعِلْم** [آية: ٨٣].

٥١- ثم قال ﷻ: **بِما كُنتم تفْرحونَ** [آية: ٧٥].

قال مجاهد: أي تبطرون وتأشرون.

٥٢- وقوله ﷻ: الله الذِي جعلَ لَكُم الأنعام لِتركَبوا مِنها ومِنها تأكُلُونَ [آية: ٧٩]. أي الإبل.

قال قتادة في **قوله تعالى: ولتبلُغوا عليها حاجةً فِي صدورِكُم** [آية: ٨٠] الرحلة من بلد إلى بلد.

وقال مجاهد: أي حاجةٍ كانت.

٥٣- وقوله ﷻ: فَلَما جاءَتهم رسلُهم بِالْبيناتِ فَرِحوا بِما عِندهم من الْعِلْم [آية: ٨٣]. أي رضوا به.

قال مجاهد: قالوا: نحن أعلم منكم، لن نبعث، ولن نحيا بعد الموت.

قال مجاهد: وحاق بِهِم ما كَانوا بِهِ يستهزِئُونَ [آية: ٨٣].

(١) البيت من ارجوزة لأبي حيان الفقعسي، استشهد به الفراء في معاني القرآن ١١/٣ ولسان العرب مادة (شجع)، ومعنى «الشجاع» الحية و«الشجعما» الضخم، وانظر الطبري ٨٤/٢٤ والقرطبي ٣٣٢/١٥.

(٢) البيت للنمر بن تولب، كما في اللسان مادة (سسم) والقرطبي ٣٣٣/١٥ بلفظ «النبع والسمسما».

أي ما جاءت به الرسل الحق.

٥٤- وقوله ﷻ: فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده [آية: ٨٥].

قال قتادة: أي إ م إذا رأوا العذاب آمنوا، فلم ينفعهم إيما م.

٥٥- ثم **قال تعالى: وخسر هنالك الكافرون** [آية: ٨٥].

وقد كانوا قبل ذلك خاسرين، لأنه تبين خسرا م، بأن لحقهم العذاب، ولم يقبل إيما م.

«انتهت سورة غافر»

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة فصلت وهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ: حم * تنـزيلٌ من الرحمن الرحِيمِ [آية: ١- ٢].

الخبر **عند البصريين كِتابٌ فُصلت آياته** [آية: ٣].

وقال بعض الكوفيين: هذا كتاب.

فُصلت آياته: أي أنـزلت متفرقةً.

وقال الحسن: فصلت بالوعيد.

وقال مجاهد: فُصلت: فُسرت.

وقال قتادة: بين حلالها وحرامها، والطاعة والمعصية.

٢- ثم **قال ﷻ: قُرآنا عربيا لقَومٍ يعلَمونَ** [آية: ٣].

قُرآنا عربيا أي في حال الاجتماع.

لقَومٍ يعلَمونَ أي لمن يعلم العربية.

بشِيرا ونذِيرا [آية: ٤] نعت، للقرآن.

٣- وقوله ﷻ: وقَالُوا قُلُوبنا فِي أَكِنةٍ مِما تدعونا إِليهِ [آية: ٥].

أي في أغطيةٍ، أي ليست تعي ما تقول.

والوقر: الصمم.

٤- ثم **قال ﷻ: ومِن بيننا وبينِك حِجابٌ فَاعملْ إِننا عامِلُونَ** [آية: ٥].

حِجابٌ أي حاجز.

وهو يزيد على معنى **قُلُوبنا فِي أَكِنةٍ** لأن معنى **قُلُوبنا فِي أَكِنةٍ** أي ليس نجيبك إلى شيءٍ مما تدعونا إليه.

ثم **قال: فَاعملْ إِننا عامِلُونَ** أي فاعمل في هلاكنا، فإنا عاملون على مثل ذلك.

ويجوز أن يكون المعنى: فاعمل بدينك، فإننا عاملون بديننا.

٥- وقوله ﷻ: وويلٌ للْمشرِكِين. الذِين لاَ يؤتونَ الزكَاةَ [آية: ٦-٧].

قيل: أي لا يؤمنون.

وقال قتادة: الزكاة فطرة الإسلام، فمن أداها برئ ونجا، ومن لم يؤدها هلك.

٦- وقوله ﷻ : إِن الذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ لَهم أَجرٌ غَير ممنونٍ

[آية: ٨].

قال مجاهد: أي غير محسوبٍ.

قال أبو جعفر: يقال: مننت الشيء فهو ممنون، ومنين، إذا قطعته، كما قال:

فَترى خلْفَها مِن الرجع والوقْـ ـــع مَنِينــاً كأنــه أهبــاءُ(١)

يعني بالمنين: الغبار المنقطع، الضعيف.

ويجوز أن يكون الممنون: يمن به.

٧- وقوله ﷻ: قُلْ أَإِنكُم لَتكْفُرونَ بِالذِي خلَق الأَرض فِي يومين [آية: ٩].

روى سفيان، عن أبي سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، وابن أبي ذيب عن سعيد، عن أبي سعيد، عن أبيه، عن عبد الله بن سلام، قالا - وهذا معنى قولهما - ابتدأ الله ﷻ بخلق الأرضين يوم الأحد، فخلق سبع أرضين في يوم الأحد، ويوم الاثنين.

ثم **وجعلَ فِيها رواسِي مِن فَوقِها وبارك فِيها وقَدر فِيها أقْواتها** [آية: ١٠]. أرسى الجبال، وشق الأ ار، وغرس الأشجار، وجعل المنافع في يومين، يوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء.

ثُم استوى إِلَى السماءِ [آية: ١١]. فخلقها سبع سموات في يوم الخميس، ويوم الجمعة.

قال ابن عباس: ولذلك سميت «يوم الجمعة» لأنه اجتمع فيها الخلق.

قال عبد الله بن سلام: قضاهن سبع سموات في آخر ساعةٍ من يوم الجمعة، ثم خلق فيها آدم على عجلٍ، وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة.

قال أبو جعفر: معنى **وبارك فِيها** على قولهما: شق أ ارها، وغرس أشجارها.

وقيل: معنى **وبارك فِيها** : أكثر فيها من الأقوات.

وقيل: معناه كما يقول: باركت عليه أي قلت بورك فيك.

٨- قال عكرمة: في **قوله تعالى: وقَدر فِيها أقْواتها** [آية: ١٠].

جعل اليماني، والسابري بسابور.

قال أبو جعفر: فالمعنى على هذا: جعل فيها ما يتعايش به، ويتجر فيه.

---

(١) البيت للحارث بن حلزة اليشكري في معلقته التي مطلعها «آذنتنا ببينها أسماءُ»، انظر المعلقات العشر للشنقيطي ص ١٣٦ و«أهباء» بفتح الهمزة جمع هبوة وهي الغبار، وروي بالكسر علـى المصدرية «إهباء».

وقيل: **أقْواتها** ما يتقوت ويؤكل.

وقول ابن عباس، وابن سلام يحتمل المعنيين، والله أعلم.

٩- ثم قال ﷻ: ﴿فِي أربعةِ أيامٍ سواءً للسائِلِين﴾ [آية: ١٠].

المعنى: في تتمة أربعة أيام.

﴿سواءً﴾ أي استوت استواءً.

وقال الفراء: هو متعلق بقوله: **﴿وقَدر فِيها أقْواتها﴾** سواءً.

وقرأ الحسن: ﴿سواءٍ﴾ بالخفض، أي في أربعة أيامٍ، مستويةٍ، تامةٍ.

وبالإسناد الأول عن ابن عباس في قوله تعالى: **﴿للسائِلِين﴾** قال: من سألك فقال لك: في كم خلق الله السموات والأرض؟ فقل له: في هذا.

قال أبو جعفر: فالمعنى على هذا القول: جواباً للسائلين.

وفيه قول آخر: وهو أن المعنى: وقَدر فيها أقوا ا للسائلين أي للمحتاجين، أي لمن سأل، لأن الناس يسألون أقوا م، وهذا مذهب ابن زيد، قال: قَدر ذلك على قَدر مسائلهم، علم ذلك.

١٠- وقوله ﷻ: ﴿ثُم استوى إِلى السماءِ﴾ [آية: ١١].

دل على أن خلق السماء بعد خلق الأرض، وقد قال في موضع آخر: **﴿والأرض بعد ذَلك دحاها﴾** [النازعات: ٣٠].

ففي هذا أجوبة:

روى هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: خلق الله الأرض أولَ، ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض والماء بعد ذلك، قال: «دحا» أي بسط.

وقيل: المعنى: ثم أخبركم ذا، كما قال ﷻ: **﴿ثُم كانَ مِن الذِين آمنوا﴾** [البلد: ١٧]. وهو في القرآن كثير.

وقيل: ﴿ثم﴾ هاهنا بمعنى الواو، وهذا لا يصح ولا يجوز.

والجوابان حسنان جيدان.

١١- وقوله ﷻ: ﴿فَقَالَ لَها ولِلأرض ائْتِيا طَوعا أو كَرها قَالَتا أتينا طَائِعِين﴾ [آية: ١١]. في هذا أجوبة:

أ - منها أن الله ﷻ، جعل فيهما ما يميزان، ويجيبان عما قيل لهما.

ب- وقال محمد بن يزيد: هذا إخبار عن الهيئة، أي صارتا في هيئة من قال، أي

هو كما قال: «امتلأ الحَوض وقَالَ قَطِني».

أي حسبي، أي صار في هيئة من يقول.

وقيل: أخبرنا الله ﷻ بما نعرف، من سرعة الإجابة، وقد علمنا أنه ليس شيء أسرع، من أن يقال للإنسان: افعل، فيقول: قد فعلت.

فأخبر الله ﷻ، عن إجابة السموات والأرض، إلى أمره ﷻ.

فأما قوله تعالى: **طَائِعِين** ولم يقل: «طائعات» فقال فيه الفراء معناه: أتينا بمن فينا طائعين.

قال أبو جعفر: الأحسن في هذا - وهو مذهب جلة النحويين - أنه ﷻ، لما أخبر عنها بأفعال ما يعقل، جاء فيها بما يكون لمن يعقل، كما في قوله تعالى: **والشمس والْقَمر رأَيتهم لِي ساجِدِين** [يوسف: ٤].

فأما الكسائي فأجاز في كل شيء، أن يجمع بالواو والنون، والياء والنون، وهذا لا يعرج عليه.

١٢- وقوله ﷻ: فَقَضاهن سبع سماواتٍ فِي يومين [آية: ١٢].

فَقَضاهن أي أحكمهن، كما قال الشاعر:

وعليهما مسـرودتان قضـاهما داود، أو صنع السوابغ تبـع[(١)]

١٣- وقوله ﷻ: وأَوحى فِي كُل سماءٍ أَمرها [آية: ١٢].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: ما أمر، وما أراده.

وروى سعيد عن قتادة، قال: خلق شمسها، وقمرها، ونجومها، وأفلاكها.

قال أبو جعفر: القولان متقاربان، وكأن المعنى -والله أعلم- وأوحى في كل سماءٍ إلى الملائكة، بما أراد من أمرها.

١٤- ثم **قال ﷻ: وزينا السماءَ الدنيا بِمصابِيح وحِفْظًا** [آية: ١٢].

أي وحفظناها حفظاً من الشياطين بالكواكب.

والمعنى: أئنكم لتكفرون بمن هذه قدرته، وتجعلون له أمثالاً مما تنحتون بأيديكم؟

١٥- ثم **قال ﷻ: فَإِنْ أَعرضوا فَقُلْ أَنذَرتكُم صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وثَمود**

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٣٩/١، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٤٣/٢، وذكره القرطبي ٣٤٥/١٥، والطبري ٦٧/٢٢.

[آية: ١٣].

أي فإن أعرضوا عن التوحيد، وما جئت به **فَقُلْ أنذَرتكُم صاعِقةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وثَمود** أي أنذرتكم أن ينـزل بكم عذاب، كما نـزل م.

إِذْ جاءَتهم الرسلُ مِن بين أيدِيهم [آية: ١٤]. يعني من جاء قبلهم، كما قال تعالى: **مصدقًا لما بين يديهِ** [آل عمران: ٣].

ثم قال: **ومِن خلْفِهم** فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى: ومن بعد كو م.

والقول الآخر: أن يكون الضمير يعود على الرسل.

١٦- وقوله ﷻ: **فَأرسلْنا عليْهم رِيحا صرصرا** [آية: ١٦].

روى ابن أبي **نجيح عن** مجا**هدٍ، قال:** شديدة السموم.

وروى معمر عن قتادة، قال: باردة.

قال أبو جعفر: قول قتادة أبين، وكذا قال عطاء، لأن **صرصرا** مأخوذ من صِر، والصر في كلام العرب: البرد، كما قال الشاعر:

لهـا غُــدرٌ كقُــرون النِّســا ءِ ركِّبن فِي يومِ رِيــحٍ وصِــر[1]

وليس القولان بمتناقضين، لأنه يروى أ ا كانت ريحاً باردة، تحرق كما تحرق النار.

وقد قال أبو عبيدة: صرصرٌ شديدة الصوت عاصف.

وقد روي عن مجا**هد:** شديدة الشؤم.

١٧- ثم **قال** ﷻ: **فِي أيامٍ نحِساتٍ** [آية: ١٦].

قال مجا**هد:** أي مشائيم.

وقال قتادة: مشئومات، نكِدات.

١٨- وقوله ﷻ: **وأما ثَمود فَهديناهم فَاستحبوا الْعمى علَى الْهدى** [آية: ١٧].

روى علي بن أبي **طلحة عن ابن عباس، قال:** بينا لهم.

---

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٨١، و«غُدر» جمع غديرة، وهي ذؤابـة الشـعر، أو شعر بالناصية.

قال أبو جعفر: بينا لهم الخير، والشر، قال سبحانه: **هديناه السبيلَ إما شاكِرا وإما كفُورا** [الدهر: ٣]. وكما قال تعالى: **وهديناه النجدين** [البلد: ١٠].

قال علي بن أبي طالب: الخير، والشر.

و **الْهون** : الهوان.

١٩- وقوله ﷻ: ويوم يحشر أعداءُ الله إلى النارِ فَهم يوزعونَ [آية: ١٩].

قال أبو الأحوص(١) **وأبو رزين، ومجاهد، وقتادة:** أي يحبس أولهم على آخرهم.

قال أبو الأحوص: فإذا تكاملت العدةُ، بدئ بالأكابر فالأكابر جرماً.

قال أبو جعفر: يقال: وزعه، يزعه، ويزعه: إذا كفه، ومنه «لما يزع السلطان، أكثر مما يزع القرآن»(٢) ومنه «لا بد للناس من وزعة»(٣).

٢٠- وقوله ﷻ: حتى إذَا ما جاءُوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلُودهم بما كَانوا يعملُونَ [آية: ٢٠].

قال الفراء: الجلد هاهنا - والله أعلم - الذكَر، كني عنه، كما قال تعالى: **أو جاءَ أحدٌ منكُم من الْغائِطِ** والغائط: الصحراء.

قال أبو جعفر: وقال غيره: هو الجلد بعينه.

وروى أبو الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، قال: يجادل المنافق عند الميزان، ويدفع الحق، ويدعي الباطل، فيختم على فيه، ثم تستنطق جوارحه، فتشهد عليه، ثم يطلق عنه فيقول: بعدا لَكُن وسحقاً، إنما كنت أجادل عنكن.

٢١- وقوله ﷻ: وقَالُوا لِجلُودِهِم لِم شهدتم علينا قَالُوا أنطقَنا الله الذِي أنطَق كُل شيءٍ [آية: ٢١].

هذا تمام الكلام .

٢٢- ثم قال: وهو خلقَكُم أولَ مرةٍ وإليهِ ترجعونَ [آية: ٢١].

---

(١) عوف بن مالك الجشمي، كوفي ثقة من الطبقة الثالثة، انظر ترجمته في تقريب التهذيب ٩٠/٢ و تهذيب التهذيب ١٦٩/٨.

(٢) هذا مما اشتهر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه من كلامه: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» أي يكف ويمنع.

(٣) هذا من الأقوال المأثورة عن الحسن البصري، فقد قال: «لابد للناس من وازع» أي سلطان يكفهم، ذكره الجوهري في الصحاح.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في **قوله تعالى: ﴿وما كُنتم تستتِرونَ﴾** [آية: ٢٢]. قال: تتقون.

قال أبو جعفر: المعنى: وما كنتم تستترون، من أن يشهد عليكم سمعكم.

قال عبد الله بن مسعود: كنت مستتراً بأستار الكعبة، فجاء ثقفي وقرشيان، كثير شحم بطو م، قليل فقه قلو م، فتحدثوا بينهم بحديث، فقال أحدهم: أترى الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخران: يسمعنا إذا جهرنا، ولا يسمعنا إذا خافتنا، وقال الآخر: إن كان يسمعنا إذا جهرنا، فهو يسمعنا إذا خافتنا[١].

٢٣- فأنزل الله ﷻ: ﴿وما كُنتم تستتِرونَ أن يشهد عليكُم سمعكُم ولاَ أبصاركُم ولاَ جلُودكُم﴾ إلى **قوله: ﴿وإن يستعتِبوا فَما هم من الْمعتِبين﴾** [آية: ٢٢- ٢٤].

وروى بز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ في **قوله تعالى: ﴿أن يشهد عليكُم سمعكُم ولاَ أبصاركُم ولاَ جلُودكُم﴾** قال: (**تدعون يوم القيامة، مفدمة أفواهكم بفدام**[٢]**، فأول ما يبين عن الإنسان، فخذه وكفه**)[٣].

٢٤- وقوله ﷻ: ﴿وذَلكُم ظَنكُم الذِي ظَننتم بِربكُم أرداكُم فَأصبحتم من الْخاسِرين﴾ [آية: ٢٣]. أي حين ظننتم أنه لا يسمعكم.

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال الله: «**أنا عند ظن عبدي** بي...»[٤]. ومعنى **أرداكم**: أهلككم.

---

(١) الحديث رواه البخاري ١٦/٦، عن ابن مسعود، ومسلم ١٢١/٨ والترمذي ٣٥٠/٥ وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند ٣٨١/١ وأوده الطبري ١٠٩/٢٤ والواحدي في أسباب النزول ص ٢١٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٦٢/٥ وابن الجوزي ٢٥٠/٧ وذكر ابن الجوزي عن ابن عباس قال: كان الكفار يقولون: إن الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر، فنزلت الآية.

(٢) الفدام: ما يوضع على الفم سدادا له.

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٤٧/٤ بلفظ: (تأتون يوم القيامة، وعلى أفواهكم الفدام، وأول ما يعرب عن أحدكم فخذه..) الحديث، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٦٢/٥.

(٤) الحديث رواه البخاري في التوحيد ١٤٨/٩ ولفظه: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...» الحديث، ورواه مسلم في التوبة رقم ٢٦٧٥ والترمذي في الزهد رقم ٢٣٨٨ وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند ٢١٠/٣.

٢٥- وقوله ﷻ: ﴿فَإِن يَصبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِن يَستَعتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعتَبِينَ﴾ [آية: ٢٤]. والنار مثوى لهم صبروا أو لم يصبروا؟ ففي هذا جوابان:

أحدهما أن المعنى: فإن يصبروا في الدنيا، على أعمال أهل النار، كما قال سبحانه: ﴿**فَمَا أَصبَرَهُم عَلَى النَّارِ**﴾ [البقرة: ١٧٥] فالنار مثوى لهم ﴿**وَإِن يَستَعتِبُوا**﴾ في النار وقيل: ﴿**وَإِن يَستَعتِبُوا**﴾ في النار، وهم مقيمون على كفرهم.

والجواب الآخر: فإن يصبروا في النار أو يجزعوا، فالنار مثوى لهم، ويكون قوله: ﴿**وَإِن يَستَعتِبُوا**﴾ يدل على الجزع، لأن المستعتب جزع.

٢٦- وقوله ﷻ: ﴿وَقَيَّضنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [آية: ٢٥].

قال مجاهد: يعني الشياطين.

قال أبو جعفر: معنى قيضت له كذا: سببته له، من حيث لا يحتسب.

٢٧- ثم **قال ﷻ: ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيدِيهِمْ﴾** [آية: ٢٥].

أي ما يعملونه من المعاصي ﴿**وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾: وما عزموا على أن يعملوه.

٢٨- وقوله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسمَعُوا لِهَذَا الْقُرآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [آية: ٢٦].

وقرأ عيسى، وابن أبي **إسحاق** ﴿**وَالْغُوا**﴾[1] بضم الغين.

حكى الكسائي: لغا يلغو، وعلى هذا ﴿**وَالْغَوْا فِيهِ**﴾.

وحكى: لغا يلغي، والمصدر على هذا مقصور.

روى داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان النبي ﷺ بمكة إذا قرأ رفع صوته، فتطرد قريش عنه الناس، ويقولون: ﴿**لَا تَسمَعُوا لِهَذَا الْقُرآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُم تَغلِبُونَ**﴾ وإذا خافت بقراءته لم يسمع من يريد، فأنـزل الله ﷻ: ﴿**وَلَا تَجهَر بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِت بِهَا وَابتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**﴾ [الإسراء: ١١٠].

وروى ابن أبي نجيح، **عن مجاهد** في **قوله: ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾** قال: بالمكاء، والتصفيق، والتخليط على رسول الله ﷺ إذا قرأ، كانت قريش تفعله.

---

(١) عدها أبو الفتح ابن جني في المحتسب ٢٤٦/٢ من القراءات الشاذة.

قال أبو جعفر: اللغو في اللغة: ما لا يعرف له حقيقة، ولا يحصل معناه، فمعنى: **والغوا فيه** : أي عارضوه باللغو.

٢٩- وقوله ﷻ: ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد [آية: ٢٨].

المعنى: ذلك العذاب الشديد، جزاء أعداء الله، ثم بين الجزاء فقال: **النار لهم فيها دار الخلد** . والنار هي دار الخلد، والعرب تفعل هذا على التوكيد كما قال:

أخو رغائب يعطيها ويسألها ... يأبى الظلامة منه النوفل الزفر[1]

وهو هو، كما يقال لك: في هذا المنزل دار واسعة، وهو الدار.

ولا يجوز عند الكوفيين، حتى يخالف لفظ الثاني لفظ الأول، لا تقول على قولهم: في هذا المنزل منزلٌ حسن، على أن الثاني الأول، وهو عند البصريين كله جيد.

وفي قراءة **عبد الله بن مسعود: ذلك جزاء أعداء الله النار دار الخلد**[2].

٣٠- وقوله ﷻ: وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا [آية: ٢٩].

قال حبة العرني، وعقبة الفزاري سئل علي بن أبي طالب عليه السلام عن قوله ﷻ: **أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس** فقال: هما إبليس الأبالسة، وابن آدم الذي قتل أخاه، وكذلك روي عن ابن مسعود، وابن عباس.

٣١- وقوله ﷻ: إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا.. [آية: ٣٠].

قال مجاهد وإبراهيم: قالوا: «لا إله إلا الله» ثم استقاموا.

روي عن أبي بكر الصديق أنه قال لهم: ما معنى **ثم استقاموا** ؟ فقالوا: لم يعصوا الله، فقال: لقد صعبتم الأمر، إنما هو استقاموا، على ألا يشركوا بالله شيئاً.

وقال مجاهد وإبراهيم: ثم استقاموا : لم يشركوا.

وقال الزهري: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **ثم استقاموا** على طاعة الله ﷻ، ولم يروغوا روغان الثعلب.

وروى معمرٌ عن قتادة ثم استقاموا قال: على طاعة الله.

---

(١) البيت للأعشى باهلة، من مرثيته في أخيه لأمه، وهو في ديوانه ص ٢٧٦، وانظر خزانة الأدب ١٨٥/١، والأصمعيات ص ٨٩، وجمهرة أشعار العرب، وزاد المسير ٣٥٣/٧.

(٢) هذه من القراءات الشاذة ذكرها الطبري ١١٣/٢٤.

قال أبو جعفر في **الحديث عن النبي ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا»**[1] أي استقيموا على أمر الله وطاعته.

٣٢- ثم **قال ﷻ: تتنزلُ عليهم الْملائكةُ ألا تخافُوا ولا تحزنوا** [آية: ٣٠].

قال مجاهد: **تتنزلُ عليهم الْملائكةُ** عند الموت، أن لا تخافوا ولا تحزنوا.

روى سفيان عن زيد بن أسلم، قال: لا تخافوا ما أمامكم من العذاب، ولا تحزنوا على ما خلفكم من عيالكم، وضيعتكم، فقد خلفتم فيها بخير.

وفي قراءة ابن مسعود: **تتنزلُ عليهم المَلائكةُ لا تخافُوا ولا تحزنوا وأبشِروا بِالجَنةِ الِتي كُنتم توعدونَ**.

قال زيد بن أسلم: يقال لهم هذا عند الموت.

٣٣- وقوله ﷻ: ومن أحسن قَولاً ممن دعا إِلى الله وعمِلَ صالِحا [آية: ٣٣].

في معناه ثلاثة أقوال:

فمذهب الحسن: أ ا عامةٌ لجميع المؤمنين.

وروى هشيم عن عوف عن ابن سيرين في **قوله تعالى: ومن أحسن قَولاً ممن دعا إِلى الله** قال: ذلك النبي ﷺ، أي دعا إلى توحيد الله.

وقال محمد بن نافع، قالت عائشة: نـزلت في المؤذنين **ومن أحسن قَولاً ممن دعا إِلى الله وعمِلَ صالِحا**.

وقال أبو الزاهرية: قالت عائشة: إني لأرجو أن يكون المؤذنون هم الذين قال الله فيهم: **ومن أحسن قَولاً ممن دعا إِلى الله وعمِلَ صالِحا**.

٣٤- وقوله ﷻ: ولا تستوي الْحسنةُ ولا السيئَةُ [آية: ٣٤].

لا زائدة للتوكيد.

٣٥- ثم **قال ﷻ: ادفَع بِالِتي هِي أحسن** [آية: ٣٤].

قال عطاء ومجاهد: تقول إذا لقيته: سلام عليكم.

(١) الحديث رواه ابن ماجه في سننه برقم ٢٧٤ في الطهارة، وأحمد في المسند ٢٨٢/٥ ولفظه: (استقيموا ولن تحصوا أي لن تطيقوا بلوغ الكمال - واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)، ورواه مالك في الموطأ في كتاب الطهارة من حديث ثوبان برقم ٣٦.

ويروى عن ابن عباس في قوله: **ادفع بالتي هي أحسن** قال: هما رجلان متقاولان، فيقول أحدهما لصاحبه: يا صاحب كذا وكذا، فيقول له الآخر: إن كنت صادقاً علي، فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً، فغفر الله لك.

وحدثنا بكر بن سهل، قال: حدثنا أبو صالح، عن معاوية عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس **ادفع بالتي هي أحسن** قال: «أمر الله ﷻ المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك، عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم».

٣٦- ثم **قال** ﷻ: **وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** [آية: ٣٥]. **قال يقول**: الذين أعد الله لهم الجنة.

روى معمر عن قتادة **كأنه ولي حميم** قال: قريب.

٣٧- ثم **قال** ﷻ: **وما يلقاها إلا الذين صبروا** [آية: ٣٥].

أي وما يلقى هذه الفعلة، إلا الذين يكظمون الغيظ، **وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** [آية: ٣٥]. أي من الخير.

وروى معمر عن قتادة، قال: الحظ العظيم: الجنة.

٣٨- ثم **قال** ﷻ: **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله** [آية: ٣٦].

أي إن عرض لك الشيطان ليصدك عن الحلم، فاستعذ بالله منه، واحلم.

٣٩- وقوله ﷻ: **ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن** [آية: ٣٧].

أي ومن علاماته، التي تدل على قدرته، ووحدانيته **الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن**.

ويجوز أن يكون المعنى: واسجدوا لله الذي خلق الليل والنهار، والشمس والقمر.

ويجوز أن يكون المضمر يعود على الشمس والقمر، لأن الاثنين جميع.

ويجوز أن يكون يعود على معنى **الآيات.**

٤٠- ثم **قال** ﷻ: **فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون** [آية: ٣٨].

أي فإن استكبروا عن أن يوحدوا الله، ويتبعوك **فالذين عند ربك** أي فالملائكة الذين عند ربك **يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون** أي لا يملون.

٤١- ثم **زادهم** في **الدلالة فقال ﷻ: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعةً﴾** [آية: ٣٩]. **قال قتادة:** أي غبراء، متهشمة.

٤٢- ثم **قال ﷻ: ﴿فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهتزت وربت﴾** [آية: ٣٩].

قال مجاهد: ﴿اهتزت﴾ أي بالنبات.

قال أبو جعفر: يقال: اهتز الإنسان أي تحرك، ومنه قوله:

تراه كنصل السيف يهتز للندى ... إذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعاً[(١)]

ثم **قال: ﴿وربت﴾** قال مجاهد: أي ارتفعت لتنبت.

قال أبو جعفر: قرأ أبو جعفر «يزيد بن القعقاع» وخالد **﴿وربأت﴾** معناه: عظمت، من الربيئة.

٤٣- **وقوله ﷻ: ﴿إن الذين يلحدونَ في آياتنا لا يخفَونَ علينا﴾** [آية: ٤٠].

قال مجاهد: المكاء وما ذكر معه.

وقال قتادة: الإلحاد: التكذيب.

قال أبو جعفر: أصل الإلحاد العدول عن الشيء، والميل عنه، ومنه اللحد لأنه جانب القبر.

فمعنى ألحد في **آيات الله:** مال عن الحق فيها أي جعلها على غير معناها.

٤٤- **وقوله ﷻ: ﴿أفمن يلقى في النار خيرٌ أم من يأتي آمنا يوم القيامة﴾** [آية: ٤٠].

﴿أفمن يلقى في النار﴾ أبو جهل بن هشام **﴿خيرٌ أم من يأتي آمنا يوم القيامة﴾** عمار بن ياسر؛ ثم قال **﴿اعملوا ما شئتم﴾**: وقد بين ﷻ ذلك.

قال مجاهد: هذا على الوعيد.

٤٥- **وقوله ﷻ: ﴿إن الذين كفروا بالذكر لما جاءَهم﴾** [آية: ٤١].

قال قتادة: أي بالقرآن.

قال أبو جعفر: وفي الخبر قولان:

أحدهما: أن المعنى: إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم، أولئك ينادون من مكان بعيد.

والقول الآخر: أن الخبر محذوف، أي: هلكوا.

---

(١) البيت لمتمم بن نويرة اليربوعي يرثي أخاه مالكاً، انظر القرطبي في الجامع لأحكـام القـرآن ٣٦٥/١٥، والعقد الفريد ٢٦٣/٣، وجمهرة أشعار العرب ٢٩٢، وفيها (أغر) بدل، (تراه).

وهذا القول الاختيار عند النحويين جميعاً، فيما علمت.

وقوله: وإنه لكتابٌ عزيزٌ : أي قاهر لا يقدر أحد أن يأتي بمثله.

٤٦- وقوله ﷻ: لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلْفِه [آية: ٤٢].

في **معناه أقوال:**

أ - فمن أحسنها أن المعنى: لا يأتيه الشيطان من بين يديه، فينتقص منه، ولا من خلفه فيزيد فيه.

قال مجاهد: الباطلُ : الشيطان.

وقال الحسن: حفظ الله القرآن من الشيطان، فلا يقدر أن يزيد فيه، ولا ينقص منه، قال الحسن: **إنا نحن نزلْنا الذكْر وإنا له لحافِظُونَ** [الحجر: ٩].

وروى معمر عن قتادة في **قوله تعالى: لا يأتيه الباطِلُ من بين يديه ولا من خلْفِه** [آية: ٤٢] قال: لا يقدر الشيطان أن يبطل منه حقاً، ولا يحق فيه باطلاً.

قال أبو جعفر: معنى «يحق فيه باطلاً» يزيد فيه باطلاً، فيصير حقاً، فهذا قولٌ.

ب- وقيل: معنى: **لا يأتيه الباطِلُ من بين يديه** : لا يبطله كتاب قبله، ولا يأتي بعده كتاب فيبطله، وهذا قول الفراء، أي لا يوجد فيه باطلٌ من إحدى الجهتين.

جـ - وقيل: معنى: **لا يأتيه الباطِلُ من بين يديه** : من قبل أن يتم نـزوله **ولا من خلْفِه** من بعد تمام نـزوله.

ويكون أيضاً من بين يديه بعد نـزوله كله **ولا من خلْفِه** قبل تمامه.

د- وقيل: المعنى: لا يأتيه الباطل قبل أن ينـزل، لأن الأنبياء وقد بشرت به، فلم يقدر الشيطان على أن يدحض ذلك، ولا من خلفه بعد أن أنـزل.

هـ- وقيل: معنى **من بين يديه ولا من خلْفِه** على التكثير، أي لا يأتيه الباطل البتة.

٤٧- وقوله ﷻ: ما يقالُ لك إلا ما قد قيلَ للرسل من قبلك [آية: ٤٣].

قال أبو صالح: أي من الأذى.

وقوله تعالى: إن ربك لذُو مغفرةٍ أي لمن آمن بك.

وذُو عِقابٍ أليمٍ أي لمن كذبك.

٤٨- وقوله ﷻ: ولو جعلْناه قُرآنا أعجميا لقالُوا لولا فُصلت آياته [آية: ٤٤].

أي بينت.

قال أبو جعفر: أصل هذا أن التفصيل لا يكون إلا للعرب، وهم أصحاب البيان.

٤٩- ثم **قال** ﷻ: **أأعجمي وعربي** [آية: ٤٤].

قال سعيد بن جبير: أي أقرآن أعجمي، ونبي عربي؟

قال قتادة: أي لو جعلنا القرآن أعجمياً، لأنكروا ذلك، وقالوا: أعرب مخاطبون بالعجمية؟ فكان ذلك أشد لتكذيبهم.

وقرأ ابن عباس، والحسن، وأبو الأسود: **أأعجمي** بغير استفهام، والعين ساكنة(١).

والمعنى على هذه القراءة: لولا فصلت آياته، فكان منها أعجمي تفهمه العجم، وعربي تفهمه العرب؟ **ويكون** **أأعجمي** بدلاً من **آياته**.

وحكي أنه قرئ **أأعجمي** ؟ على أن الأصل عجمي، دخلت عليه ألف الاستفهام.

قال أبو جعفر: قال أبو إسحاق: الأعجمي: الذي لا يفصح، كان من العرب أو من العجم، والعجمي: الذي ليس من العرب، كان فصيحاً، أو غير فصيح.

قال أبو جعفر: والقراءة الأخرى بعيدةٌ، لأ م قد أجمعوا على قوله: **ولو جعلناه قرآنا أعجميا** !.

٥٠- وقوله ﷻ: **والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمي** [آية: ٤٤].

وقر : أي صمم على التمثيل، وهو عليهم عمى.

قال قتادة: القرآن. **وقيل:** الوقر عليهم عمى.

وقرأ ابن عباس، ومعاوية، وعمرو بن العاصى **وهو عليهم عمى** على أنه فعل ماضٍ. **وحكي** **وهو عليهم عمٍ** .

٥١- ثم **قال** ﷻ: **أولئك ينادون من مكان بعيد** [آية: ٤٤].

حكى أهل اللغة أنه يقال للذي يفهم: أنت تسمع من قريب ويقال للذي لا يفهم: أنت تنادى من مكان بعيد.

أي كأنه ينادى، من موضع بعيد منه، فهو لا يسمع النداء، ولا يفهمه.

ومذهب الضحاك: أ م ينادون يوم القيامة بأقبح أسمائهم، من مكانٍ بعيد، ليكون ذلك أشد عليهم في الفضيحة والتوبيخ.

٥٢- ومعنى قوله ﷻ: **ولولا كلمةٌ سبقت من ربك لقضي بينهم** [آية: ٤٥].

---

(١) هذه القراءة ذكرها ابن جني في المحتسب من الشواذ ٢٤٧/٢، وانظـر الطـبري ١٢٧/٢٤ والقرطبي ٣٦٩/١٥ وابن كثير ١٧٢/٧.

أ م قد أخروا إلى مدةٍ يعلمها الله، وأنه لا يعالجهم بالهلاك.

٥٣- وقوله ﷻ: ﴿إليه يرد عِلْم الساعةِ وما تخرج مِن ثَمراتٍ من أكْمامِها﴾ [آية: ٤٧].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: حين تطلع.

وقال غيره: هي الطلعة تخرج من قشرها.

قال أبو جعفر: القول الأول أعم، أي وما تخرج من ثمرةٍ من غلافها، الذي كانت فيه، وذلك أول ما تطلع، وغلاف كل شيءٍ كُمه.

٥٤- وقوله ﷻ: ﴿ويوم ينادِيهم أين شركائِي﴾ [آية: ٤٧]. أي على زعمكم.

﴿قالُوا آذَنَاك﴾ [آية: ٤٧] هذا من قول الآلهة، أي أعلمناك.

يقال: آذنته فأذن، أي أعلمته فعلم، والأصل في هذا من الأذن، أي أوقعته في أُذُنه، ومنه:

آذَنتنا بِبينِها أسماءُ(١)

ومنه قوله ﷻ: ﴿ومنهم الذِين يؤذُونَ النبِي ويقُولُونَ هو أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١]. أي اعملوا ما شئتم، ثم اعتذِروا منه، فإنه يعذُركم، ويقبل ما تعلِمونه به. ومنه الأذان، إنما هو إعلام بالصلاة.

ثم **قال تعالى: ﴿ما مِنا مِن شهيدٍ﴾** [آية: ٤٧] أي ما منا من شهد أن لك شريكاً.

٥٥- ثم قال ﷻ: ﴿وظَنوا ما لَهم من محِيص﴾ [آية: ٤٨].

﴿وظَنوا﴾ أي وأيقنوا.

٥٦- وقوله ﷻ: ﴿لا يسأم الإنسانُ مِن دعاءِ الخير وإن مسه الشر فيئُوسٌ قَنوطٌ﴾ [آية: ٤٩]. أي لا يمل من أن يصيبه الخير.

وفي قراءة عبد الله **﴿مِن دعاءِ الخير﴾**.

﴿وإن مسه الشر﴾ أي إن مسه شيءٌ يسير من الشر، يئس وقنِط.

٥٧- وقوله ﷻ: ﴿ليقُولَن هذَا لِي وما أظُن الساعةَ قائِمةً﴾ [آية: ٥٠].

---

(١) هذا شطر بيت للحارث بن حلزة من معلقته، وتمامه:

آذنتنـــا ببينهـــا أســـماءُ رب ثـــاوٍ يمـــل منـــه الثـــواءُ

ذكره القرطبي ٣٧١/١٥ وفي البحر المحيط ٥٠٤/٧ واللسان مادة (أذن).

قال مجاهد: أي بعملي، وأنا حقيق بهذا.

وهذا يراد به الكافر، ألا ترى أن بعده ﴿**وما أظن الساعةَ قائمةً**﴾؟.

وقوله تعالى: ﴿**ولئن رجعت إلى ربي**﴾ أي على قولك.

٥٨- وقوله ﷻ: ﴿**وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه**﴾ [آية: ٥١].

أي تباعد، ولم يدعنا.

وقرأ أبو جعفر «يزيد بن القعقاع» ﴿**أعرض وناءَ بجانبه**﴾ الألف قبل الهمزة.

فيجوز أن يكون معناه من «ناءَ»: إذا نهض.

ويجوز أن يكون على قلب الهمز بمعنى الأول.

٥٩- وقوله ﷻ: ﴿**وإذا مسه الشر فذو دعاءٍ عريض**﴾ [آية: ٥١].

أي كبير.

يقال: له دعاء عريض وطويلٌ، بمعنى واحد.

٦٠- وقوله ﷻ: ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾ [آية: ٥٣]. أي في آفاق الدنيا، وتقلب أحوالها: ﴿**وفي أنفسهم**﴾ مثل ذلك.

قال مجاهد: ﴿**في الآفاق**﴾ فتح القرى ﴿**وفي أنفسهم**﴾ فتح مكة.

٦١- وقوله ﷻ: ﴿**أولم يكفِ بربك أنه على كل شيءٍ شهيدٌ**﴾ [آية: ٥٣].

المعنى: أو لم يكفهم بربك، أي أولم يكفهم ربك، بما دلهم به على توحيد الله ﷻ، مما فيه كفاية لهم، لأنه على كل شيءٍ شهيد؟

ويجوز أن يكون المعنى: أنه له على كل شيءٍ شاهد، بأنه محدثٌ، وإذا شهده جازى عليه.

٦٢- ثم قال ﷻ: ﴿**ألا إنهم في مِريةٍ من لقاءِ ربهم**﴾ [آية: ٥٤]. أي في شكٍّ.

وقرأ الحسن: ﴿**في مُريةٍ**﴾.

﴿**ألا إنه بكل شيءٍ محيطٌ**﴾ [آية: ٥٤]. أي قد أحاط بعلم الغيب، والشهادة ﷻ.

«انتهت سورة فصلت»

۞ ۞ ۞

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشورى وهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ: حم * عسق [آية: ١].

وفي **قراءة ابن مسعود، وابن عباس حم سق**[١].

قال ابن عباس: وكان علي عليه السلام، يعرف الفتن بها.

وروى معمر عن قتادة في **قوله تعالى: حم * عسق** قال: اسم من أسماء القرآن.

٢- وقوله ﷻ: كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [آية: ٣].

المعنى: يوحي إليك وإلى الذين من قبلك، كذلك الوحي الذي تقدم، أو كحروف المعجم.

وقيل: إنه لم ينزل كتاب إلا وفيه **حم * عسق**.

فالمعنى **على هذا:** كذلك الذي أنزل من هذه السورة.

وهذا مذهب الفراء.

قال: ويقرأ **كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ**.

قال أبو جعفر: يجوز على هذه القراءة، أن يكون هذا التمام، ثم ابتدأ فقال: **اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** على العزيز الحكيم خبر، أو صفةٌ، والخبر **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** [آية: ٤].

وكذلك يكون على قراءة من قرأ **نُوحِي** بالنون، ويجوز على قراءة من قرأ **يُوحى** أن يكون المعنى: يوحي الله، وأنشد سيبويه:

لِيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لِخصومةٍ ... وأشعثُ مِمن طَوحته الطوائح[٢]

---

(١) هذه القراءة بحذف «عين» من القراءات الشاذة، ذكرها ابن جني في المحتسب ٢٤٩/٢ عن إسماعيل عن الأعمش عن ابن مسعود، وذكرها الطبري عن ابن عباس ٦/٢٥.

(٢) البيت من شواهد سيبويه ص ٧٦، وذكر أنه للحارث بن نهيك، والصحيح أنه لنهشل بن حري كما في خزانة الأدب ١٥٢/١، وروي فيه الشطر الثاني «ومختبطٌ مما تطيح الطوائح» وانظر معجم الشواهد العربية ٨٣/١.

فقال: لِيبك يزيد، ثم بين من ينبغي أن يبكيه، فالمعنى: يبكيه ضارع.

٣- وقوله ﷻ: تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن [آية: ٥].

أي ينشققْن من أعلاهن، عقوبة.

وقال قتادة: لجلالة الله، وعظمته.

قال أبو جعفر: وقيل: أي من فوق الأمم المخالفة.

ويقرأ: **ينفطرن من فوقهن** أي من عظمة من فوقهن.

٤- ثم **قال** ﷻ: **والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض** [آية: ٥]. وفي الأرض المؤمن، والكافر!!

فروى معمر عن قتادة، قال: ويستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين.

قال أبو جعفر: ويبين هذا قوله جل وعلا: **ويستغفرون للذين آمنوا** [غافر: ٧].

وقال في الكفار: **أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** [البقرة: ١٦١].

٥- وقوله ﷻ: لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه [آية: ٧].

روى أشعث عن الحسن قال: أم القرى : مكة.

قال أبو جعفر: وإنما قيل لها «أم القرى» لأ ا أول ما عظم من خلق الله ﷻ. أو لأ ا أول ما وضع، كما قال ﷻ: **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة** [آل عمران: ٩٦].

وفي **الحديث: «إن الأرض منها دحيت»**(١).

قال أبو جعفر: والمعنى: لتنذر أهل أم القرى، وتنذر من حولها.

وتنذر يوم الجمع أي يوم يبعث الناس جميعاً.

المعنى: وتنذرهم بيوم القيامة، ثم حذف المفعول والباء، كما قال تعالى: **لينذر بأسا شديدا من لدنه** [الكهف: ٢].

٦- وقوله ﷻ: فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه [آية: ١١].

---

(١) هذا جزء من حديث رواه الطبراني، والبيهقي في شعب الإيمان، عن عبد الله بـن عمـرو، ولفظه «خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة وكانت الأرض تحته كأ ا حشفة، فـدحيت الأرض من تحته» وانظر الدر المنثور ٥٢/٢ والطبري ٨/٤.

جعلَ لَكُم من أنفُسِكُم أزواجا أي إناثاً **ومِن الأنعامِ أزواجا يذْرؤكُم ِفيِهِ** .
قال مجاهد: نسلا من بعد نسل، من الناس، والأنعام.
قال قتادة: **يذْرؤكُم ِفيِهِ** : يعيشكم فيه.
قال أبو جعفر: المعنى أنه لما قال: **جعلَ** دل على الجعل، كما يقال: من كذب كان شراً له. أي يخلقكم ويكثركم في الجَعل.
وقال الفراء: **ِفيِهِ** : بمعنى به ، والله أعلم .
وقال القتبي : **يذْرؤكُم ِفيِهِ** في الزوج.
قال أبو جعفر : كأن المعنى عنده : يخلقكم في بطون الإناث، ويكون **ِفيِهِ** في الرحم، وهذا خطأ؛ لأن الرحم مؤنثةٌ، ولم يجر لها ذكر.

٧- وقوله ﷻ: لَيس كَمِثْلِهِ شيءٌ وهو السمِيع الْبصِير [آية: ١١].
الكاف زائدة للتوكيد، وأنشد سيبويه:

«**وصالِياتٍ ككَمْ يؤثَفْين**»(١)

٨- وقوله ﷻ: لَه مقَالِيد السماواتِ والأَرض يبسطُ الرزق ِلمن يشاءُ ويقْدِر [آية: ١٢].
قال الحسن ومجاهد وقتادة: المقاليد: المفاتيح.
قال أبو جعفر: والذي يملك المفاتيح يملك الخزائن.
يقال للمفتاح: إقليد، وجمعه على غير قياسٍ، كمحاسن، والواحد حسن.

٩- وقوله ﷻ: شرع لَكُم من الدين ما وصى ِبهِ نوحا والَّذِي أَوحينا ِإلَيك [آية: ١٣].
قال أبو العالية: الذي وصى به نوحاً: الإخلاص لله، وعبادته لا شريك له.
وقال مجاهد: وصى نوحاً، ووصلك، ووصى الأنبياء كلهم، ديناً واحداً.
وقال الحكم: جاء نوح بالشريعة بتحريم الأمهات، والبنات، والأخوات.
وقال قتادة: جاء نوح بالشريعة، بتحليل الحلال، وتحريم الحرام.
قال أبو جعفر: قول أبي العالية: ومجاهد، بين، لأن الإسلام والإخلاص، دين جميع

(١) هذا البيت لخطام المجاشعي، من مشطور الرجز، وهو من شواهد سيبويه على زيادة الكـاف للتأكيد، انظر شواهد سيبويه ٣١٣/١، والصاليات: الأثافي التي توضع عليها القدور.

الأنبياء، والشرائع مختلفة.

١٠- قوله ﷻ: ﴿وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أنْ أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [آية: ١٣].

قال أبو العالية: ﴿ولا تتفرقوا فيه﴾ أي لا تتعادوا، وكونوا إخواناً.

قال قتادة: فأخبر أن الهلكة في التفرق، وأن الألفة في الاجتماع.

١١- ثم **قال** ﷻ: **﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾** [آية: ١٣].

قال قتادة: أكبروا واشتد عليهم شهادة «أن لا إله إلا الله وحده» وضاق ا إبليس وجنوده، فأبى الله ﷻ إلا أن ينصرها ويفلجها، ويظهرها على من ناوأها.

١٢- ثم **قال** ﷻ: **﴿الله يجتبي إليه من يشاءُ ويهدي إليه من ينيب﴾** [آية: ١٣].

قال أبو العالية: يخلصه من الشرك، ولا يكون الاجتباء إلا من الشرك.

وقال مجاهد: ﴿الله يجتبي﴾: يخلص.

١٣- وقوله ﷻ: ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم﴾ [آية: ١٤].

المعنى: وما تفرقوا إلا من أجل البغي: **﴿من بعد ما جاءهم العلم﴾** القرآن، والدلالات، على صحة نبوة محمد ﷺ.

١٤- وقوله ﷻ: ﴿ولولا كلمةٌ سبقت من ربك إلى أجلٍ مسمى لقضي بينهم﴾ [آية: ١٤].

قال مجاهد: أخروا إلى يوم القيامة.

١٥- وقوله ﷻ: ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت﴾ [آية: ١٥].

مؤخر ينوى به التقديم.

والمعنى: كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، فلذلك فادع واستقم كما أُمرت.

﴿فلذلك﴾ أي فإلى إقامة الدّين، كما قال:

«أوحى لها القرار فاستقرتِ»(١)

---

(١) هذا عجز بيت للعجاج من قصيدته التي مطلعها:

الحمـــد لله الـــذي اســـتقلتِ ... بإذنـــهِ الســـماء واطمأنـــتِ

وتمام شطر الرجز:

بإذنـــهِ الأرض ومـــا أتلـــتِ ... وحـــى لهـــا القـــرار فاســـتقرتِ

=

أي أوحى إليها.

١٦- وقوله ﷻ: والذِين يحاجونَ فِي الله مِن بعدِ ما استجِيب لَه حجتهم داحِضةٌ [آية: ١٦].

قال مجاهد: أي من بعد ما أسلم الناس.

قال: وهؤلاء قوم توهموا أن الجاهلية تعود.

وقال قتادة: الذين حاجوا في الله من بعد ما استجيب له: اليهود والنصارى، قالوا: نبينا قبل نبيكم، وديننا قبل دينكم، ونحن خير منكم.

١٧- وقوله ﷻ: الله الذِي أنزلَ الكِتاب بِالحق والمِيزانَ [آية: ١٧].

قال قتادة: الميزان: العدل.

١٨- ثم **قال ﷻ: وما يدرِيك لَعل الساعةَ قَرِيبٌ** [آية: ١٧].

لَعل الساعةَ أي البعث قريب.

أو لعل مجيء الساعة قريب.

١٩- وقوله ﷻ: يستعجِلُ بِها الذِين لا يؤمِنونَ بِها والذِين آمنوا مشفِقُونَ مِنها ويعلَمونَ أنها الحق [آية: ١٨].

أي يقولون متى تكون؟ على وجه التكذيب ا.

والذِين آمنوا مشفِقُونَ مِنها أي خائفون، لأ م قد أيقنوا بكو ا.

ألا إِن الذِين يمارونَ فِي الساعةِ [آية: ١٨] أي يجادلون فيها، ليشككوا المؤمنين.

لَفِي ضلالٍ بعِيدٍ [آية: ١٨]. لأ م لو أفكروا، لعلموا أن الذي أنشأهم، وخلقهم أول مرة، قادر على أن يبعثهم.

٢٠- وقوله ﷻ: من كَانَ يرِيد حرثَ الآخِرةِ نزِد لَه فِي حرثِهِ [آية: ٢٠].

الحرث: العمل، ومنه قول عبد الله بن عمر: «**احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً**»[1] ومنه سمي الرجل حارثاً.

=

انظر ديوان العجاج ص٢٦٦، و ذيب اللغة ٢٩٦/٥.

(١) الحديث ذكره القرطبي في تفسيره ذا اللفظ ١٨/١٦ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وقد اشتهر بلفظ: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً...» إلخ، وأخرجه البيهقي في السـنن بلفـظ: (اعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبداً، واحذر فعل امرئ يخشى أن يموت غداً)، وذكـره =

والمعنى: من كان يريد بعمله الآخرة **﴿نزد له في حرثه﴾** أي: نوفقه ونضاعف له الحسنات.

وقوله ﷻ: **﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها﴾** [آية: ٢٠].

في **معناه ثلاثة أقوال:**

أ- منها أن المعنى: نؤته منها ما نريد، كما قال سبحانه: **﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾** [الإسراء: ١٨].

ب- ومنها أن يكون المعنى: ندفع عنه من آفات الدنيا.

والقول الثالث أن المعنى: من كان يفعل الخير، ليثنى عليه، تركناه وذلك، ولم يكن له في الآخرة نصيب.

٢١- وقوله ﷻ: ﴿ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم﴾ [آية: ٢٢].

أي من جزاء ما كسبوا وهو العذاب، وهو واقع بهم.

٢٢- وقوله ﷻ: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ [آية: ٢٣].

في **معناها أربعة أقوال:**

١- روى قزعة بن سويد، عن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: «**قل لا أسألكم على ما أتيتكم به أجراً، إلا أن تتوددوا لله، وتتقربوا إليه بطاعته**»(١).

وروى منصور وعوف عن الحسن: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى﴾ قال: تتوددون إلى الله ﷻ، وتتقربون منه بطاعته، فهذا قولٌ.

٢- وقال الشعبي، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة: المعنى: قل لا أسألكم عليه أجراً، إلا أن تودوني لقرابتي منكم، فتحفظوني ولا تكذبوني.

قال عكرمة: وكانت قريش تصل أرحامها، فلما بعث النبي ﷺ قطعته، فقال: «**صلوني كما كنتم تفعلون**»(٢).

قال أبو جعفر: والمعنى على هذا: قل لا أسألكم عليه أجراً، لكن أذكركم قرابتي، على أنه استثناء ليس من الأول، فهذان قولان.

=

السيوطي في الجامع الصغير، ورمز لضعفه، وانظر فيض القدير ١٢/٢.

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٦/٢٥ والقرطبي ٢٢/١٦ والسيوطي في الدر ٧/٦.

(٢) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان عن ابن عباس ٢٥/٢٥، والقرطبي ٢٢/١٦.

٣- **وقال الضحاك:** هذه الآية منسوخة، نسخها قوله ﷻ: **قُلْ ما سألتكُم من أجرٍ فهو لكُم** [سبأ: ٤٧]. فالذي سئلوه، أن يودوه بقرابته، ثم رده الله إلى ما كان عليه الأنبياء، كما قال نوح، وهود: **قُل لا أسألكُم عليهِ أجرا** فهذه ثلاثة أقوال.

٤- **وروى قيسٌ عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال:** لما نزلت: **قُل لا أسألكُم عليهِ أجرا إلا المودةَ في القُربى** قالوا يا رسول الله: من هؤلاء الذين نودهم؟ **قال:** علي، وفاطمةُ، وولدها.

٢٣- وقوله ﷻ: ومن يقْترف حسنةً نزد له فِيها حسنا [آية: ٢٣].

الاقتراف: الاكتساب، وهو مأخوذ من قولهم: رجل قرفة إذا كان محتالاً.

٢٤- وقوله ﷻ: أم يقُولُونَ افْترى على الله كذِبا فَإن يشأِ الله يختِم على قَلْبك [آية: ٢٤].

قال قتادة: أي إن شاء أنساك ما علمك.

وقيل: المعنى: إن يشأ يزل تمييزك، فاشكره إذ لم يفعل.

وقيل: معنى **فَإن يشأِ الله يختِم على قَلْبك**: إن يشأ الله يربط على قلبك، بالصبر على أذاهم. وقولهم: **افْترى على الله كذِبا** تم الكلام.

٢٥- ثم **قال ﷻ: ويمح الله الْباطِلَ ويحِق الْحق بِكَلِماتِهِ** [آية: ٢٤].

أي يمحو الله الشرك ويزيله.

وقوله ﷻ: وهو الذِي يقْبلُ التوبةَ عن عِبادِهِ ويعفُو عن السيئاتِ [آية: ٢٥].

في **الحديث أن عبد الله بن مسعود** سئل عن رجل زنى بامرأة، أيجوز له أن يتزوجها؟ فقال: **وهو الذِي يقْبلُ التوبةَ عن عِبادِهِ ويعفُو عن السيئاتِ ويعلم ما تفْعلُونَ** [آية: ٢٥].

٢٦- وقوله ﷻ: ويستجِيب الذِين آمنوا وعمِلُوا الصالِحاتِ ويزيدهم من فَضلِهِ [آية: ٢٦].

الذِين في موضع نصبٍ، بمعنى: ويستجيب للذين آمنوا، كما قال سبحانه: **وإذَا كالُوهم** [المطففين: ٣]. أي كالوا لهم، يقال: استجبته بمعنى أجبته، وأنشد الصمعي:

وداعٍ دعا يا من يجِيب إلى الندى … فَلم يستجِبه عِند ذَاك مجِيب[1]

---

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي من مرثيته لأخيه، رواها القالي في أماليه، وأورده الطبري في =

ويجوز أن يكون في موضع رفع، ويكون ﴿ويستجيب الذين آمنوا﴾ بمعنى يجيب الذين آمنوا، كما قال ﷻ: ﴿فليستجيبوا لي﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال محمد بن يزيد: حقيقته: فليستدعوا الإجابة، هكذا حقيقة معنى «استفعل».

٢٧- وقوله ﷻ: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ [آية: ٢٧].

روى سعيد عن قتادة، قال: خير الرزق ما لا يطغي، ولا يلهي.

٢٨- وقوله ﷻ: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا﴾ [آية: ٢٨].

قال مجاهد: ﴿من بعد ما قنطوا﴾ أي يئسوا.

قال أبو جعفر: يقال: قنطَ، يقنِطُ، وقنِطَ يقنَطُ: إذا اشتد يأسه من الشيء.

٢٩- وقوله ﷻ: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة﴾ [آية: ٢٩].

قال الفراء: أراد: بث في الأرض، دون السماء، كما قال سبحانه: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ [الرحمن: ٢٢] وإنما يخرج من الملح.

قال أبو جعفر: هذا غلطٌ.

روى ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿وما بث فيهما من دابة﴾ [آية: ٢٩] قال: الناس، والملائكة.

وهذا قول حسنٌ، يقال لكل حي: دابة، من درب فهو داب، والهاء للمبالغة، كما يقال: راوية، وعلامة.

ثم قال ﷻ: ﴿وهو على جمعهم﴾ [آية: ٢٩] أي على إحيائهم ﴿إذا يشاء قدير﴾ [آية: ٢٩].

٣٠- وقوله ﷻ: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ [آية: ٣٠]. يقال: قد تكون المصيبة بغير هذا، ففيه أجوبةٌ:

أ - روى معمر عن قتادة عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ قال: الحدود.

= تفسيره ٢١٥/٤ والمحرر الوجيز ٤٦٧/٣.

فالمعنى في هذا: إن الله ﷻ جعل الحدود، بما يعمل من المعاصي.

ب- وقيل: ما هاهنا بمعنى «الذي» وهو حسن.

والدليل على هذا، أن أهل المدينة قرءوا **بما** بغير فاء.

فالمعنى على هذا: والذي كان أصابكم، بذنوب عملتموها.

جـ- وروى سفيان عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِن خدش عود، ولا عثرة قَدَمٍ، ولا اختلاج عِرقٍ، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر،** ثم **تلا وما أصابكُم من مصِيبةٍ فَبِما كَسبت أيدِيكُم ويعفُو عن كَثِيرٍ**»[1].

قال أبو جعفر: فالمعنى على هذا: وما أصابكم من مصيبة، مقصود ا العقوبة، فبما كسبت أيديكم.

قال أبو جعفر: وفي الآية قول رابع: وهو: أن كل مصيبة تصيب، فإنما هي من أجل ذنب، إما أن يكون تنبيهاً له، لئلا يعمله، وإما أن يكون امتحاناً له، ليعتبر والداه، فقد صارت كل مصيبة على هذا من أجل الذنوب، وصارت القراءة بالفاء أحسن، لأنه شرطٌ وجوابه.

٣١- وقوله ﷻ: ومِن آياتِهِ الْجوارِ فِي الْبحرِ كَالأعلامِ [آية: ٣٢].

قال مجاهد: الجواري: السفن، والأعلام: الجبال.

٣٢- ثم **قال ﷻ: إِن يشأ يسكِنِ الريح فَيظْلَلْن رواكِد على ظَهرِهِ** [آية: ٣٣].

أي سواكن.

٣٣- وقوله ﷻ: أو يوبِقْهن بِما كَسبوا ويعف عن كَثِيرٍ [آية: ٣٤].

قال مجاهد: يوبِقْهن يهلكهن.

قال أبو جعفر: يقال: أوبقته ذنوبه: أي أهلَكته.

قال قتادة: أو يوبِقْهن بِما كَسبوا يهلك من فيهن بذنو م.

قال أبو جعفر: تقديره مثل **واسأَلِ الْقَريةَ** [يوسف: ٨٢].

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم، بلفظ: «والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود، ولا اختلاج عرق» الحديث. وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره، عن الحسن البصري مرفوعـاً ١٩٥/٧، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠/٦ وزاد أنه من رواية ابن المنذر، والبيهقـي في شـعب الإيمان، عن قتادة مرفوعاً، وانظر تفسير القرطبي ٣١/١٦.

٣٤- وقوله ﷻ: ﴿والذين يجتنبونَ كبائر الإثْم والفَواحِش﴾ [آية: ٣٧].

روي عن ابن عباس: ﴿كبائر الإثْم﴾: الشرك.

ويقرأ ﴿كبير الإثْم﴾.

قال الحسن: الكبائر: كل ما وعد الله ﷻ عليه النار.

وقيل: الكبائر: كل ما وعد الله عليه النار، وأجمع المسلمون على أنه من الكبائر!! فقد أجمعوا على أن الخمر من الكبائر.

حدثنا بكر سهل، قال: حدثنا أبو صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: **﴿والذين يجتنبونَ كبائر الإثْم والفَواحِش﴾**: «الإشراك، واليأس من روح الله، والأمن لمكر الله».

ومنها عقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنات، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، وأكل الربا، والسّحر، والزنى، واليمين الغموس الفاجرة، والغلول، ومنع الزكاة المفروضة، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، وشرب الخمر، وترك الصلاة متعمداً، أو شيءٍ مما افترض الله، ونقض العهد، وقطيعة الرحم.

٣٥- وقوله ﷻ: ﴿وأمرهم شورى بينهم ومما رزقْناهم ينفِقُونَ﴾ [آية: ٣٨].

أي يتشاورون.

٣٦- وقوله ﷻ: ﴿والذين إذَا أصابهم البَغي هم ينتصِرونَ﴾ [آية: ٣٩].

روى منصور عن إبراهيم: كانوا يكرهون أن يذِلوا أنفسهم، فيجترئ عليهم الفساق.

٣٧- ثم **قال ﷻ: ﴿وجزاءُ سيئَةٍ سيئَةٌ مثلُها﴾** [آية: ٤٠].

قال ابن أبي نجيح: إذا قال: أخزاه الله، قال له: أخزاه الله.

قال أبو جعفر: الأولى سيئة في اللفظ والمعنى، والثانية سيئة في اللفظ، وليست في المعنى سيئة، ولا الذي عملها مسيءٌ، وسميت سيئة لازدواج الكلام، ليعلَم أ ا جزاءٌ على الأولى.

٣٨- وقوله ﷻ: ﴿ولمن انتصر بعد ظُلْمِه فأولئك ما عليهم من سبِيلٍ﴾ [آية: ٤١].

قال قتادة: هذا في القصاص، فأما من ظلمك، فلا يحل لك أن تظلمه.

قال الحسن: ﴿ولمن انتصر بعد ظُلْمِه﴾ هذا إذا لم يكن ظلمه لا يصلُح.

أي هذا فيما أباح الله الانتصار منه.

وقد روى يونس عن الحسن في **قوله: ﴿ولمن انتصر بعد ظُلْمِه﴾** قال: إذا لُعِن لَعن، وإذا سب سب، ما لم يكن حداً، أو كلمة لا تصلح.

٣٩- وقوله ﷻ: ﴿وتراهم يعرضونَ عليها خاشِعين مِن الذل ينظُرونَ مِن طَرفٍ خفِي﴾ [آية: ٤٥]. أي ينظرون إلى النار.

قال مجاهد: ﴿خفِي﴾ أي ذليل.

قال أبو جعفر: وقيل: ينظرون بقلوبهم، لأنهم يحشرون عمياً.

٤٠- وقوله ﷻ: ﴿وقَالَ الذِين آمنوا إِن الْخاسِرين الذِين خسِروا أنفُسهم وأهلِيهم يوم الْقِيامةِ﴾ [آية: ٤٥].

قال قتادة: خسروا أهليهم الذين في الجنة، أعدوا لهم لو أطاعوا.

وقيل: لما كان المؤمنون، يلحق بهم أهلوهم في الجنة، وكان الكفار لا يجتمعون معهم في خير، كانوا قد خسروهم، قال الله تعالى: **﴿والذِين آمنوا واتبعتهم ذُريتهم بِإِيمانٍ أَلْحقْنا بِهم ذُريتهم﴾** [الطور: ٢١].

٤١- وقوله ﷻ: ﴿ما لَكُم من ملْجأٍ يومئِذٍ وما لَكُم من نكِيرٍ﴾ [آية: ٤٧].

قال مجاهد: ﴿من ملْجأٍ﴾ من محرز، و**﴿من نكِيرٍ﴾** من ناصر.

وقيل: ﴿من ملْجأٍ﴾ من مخلص من عذاب الله.

﴿وما لَكُم من نكِيرٍ﴾ أي لا تقدرون أن تنكروا الذنوب، التي توقفون عليها.

٤٢- وقوله ﷻ: ﴿يهب لِمن يشاءُ إِناثًا ويهب لِمن يشاءُ الذكُور. أو يزوجهم ذُكْرانا وإِناثًا ويجعلُ من يشاءُ عقِيما﴾ [آية: ٤٩-٥٠].

قال عبيدة، وأبو مالك، والحسن، ومجاهد، والضحاك - والمقصود لفظ عبيدة - أي: يهب لمن يشاء ذكوراً يولدون له، ولا يولد له إناث، ويهب لمن يشاء إناثاً يولدون له، ولا يولد له ذكر **﴿أو يزوجهم ذُكْرانا وإِناثًا﴾** يولد له ذكور، ويولد له إناث.

قال عبيدة: ﴿ويجعلُ من يشاءُ عقِيما﴾ لا يولد له.

قال أبو جعفر: يقال لكل اثنين مقترنين: زوجان، كل واحد منهما زوج. من ذلك الرجل والمرأة، والخفان، والنعلان، فمعنى **﴿يزوجهم ذُكْرانا وإِناثًا﴾**: يقرنهم، أي يقرن لهم، كما قال: **﴿والْقَمر قَدرناه منازِلَ﴾** [يس: ٣٩].

ويقال: زوجت إبلي صغيرها وكبيرها، أي قرنت صغيرها مع كبيرها.

ويقال: رجل عقيم: لا يولد له، وامرأة عقيم: لا تلد، وريح عقيم: لا تأتي بمطر ولا خير.

٤٣- وقوله ﷻ: وما كانَ لِبشرٍ أن يكلمه الله إلا وحيا أو مِن وراءِ حِجابٍ أو يرسِلَ رسولاً فَيوحِي بِإِذْنِهِ ما يشاءُ [آية: ٥١].

في المعنى قولان:

أ - فالذي عليه أهل التفسير، ما قاله مجاهد، قال: **إلا وحيا** أن ينفث في قلبه.

أو مِن وراءِ حِجابٍ كما كلم موسى ﷺ **أو يرسِلَ رسولاً** كما أرسل جبريل ﷺ إلى النبي ﷺ، وإلى أشباهه.

والقول الآخر: أن معنى **إلا وحيا** كما أوحي إلى الأنبياء صلى الله عليهم بإرسال جبريل ﷺ **أو مِن وراءِ حِجابٍ** كما كلم موسى ﷺ **أو يرسِلَ رسولاً** إلى الناس عامة.

ويقرأ أو يرسِلَ رسولاً فَيوحِي بِإِذْنِهِ وهذا في موضع الحال، أي الذي يقوم مقام الكلام ما ذُكر. ويجوز أن يكون مقطوعاً من الأول.

٤٤- وقوله ﷻ: وكَذَلِك أوحينا إليك روحا من أمرنا [آية: ٥٢].

قال ابن عباس: النبوة.

قال أبو جعفر: أي وكذلك أوحينا إليكن ما تحيا به النفوس، أي ما تهتدي به.

وقال قتادة والحسن: روحا من أمرنا أي رحمة من عندنا.

٤٥- وقوله ﷻ: وإنك لتهدِي إلى صِراطٍ مستقيمٍ [آية: ٥٢].

أي بما أوحينا إليك.

وقال معلى(١)**:** سمعت حوشباً(٢) يقرأ **وإنك لتُهدَى إلى صِراطٍ مستقيمٍ**(٣).

وفي قراءة أبي: **وإنك لتدعو إلى صِراطٍ مستقيمٍ**(١).

---

(١) هو معلى بن أسد العمي، أبو الهيثم البصري، الحافظ، قال العجلي: ثقة كيس، وذكره ابن حبان في الثقات، توفي سنة ٢١٨ هـ، انظر ترجمته في التهذيب ١٠/٢٣٦.

(٢) هو حوشب بن مسلم الثقفي من كبار أصحاب الحسن، ثقة، انظر ترجمته في التهذيب ٣/٦٦.

(٣) هذه قراءة عاصم الجحدري، وحوشب وإنك لتهدى بالبناء للمجهول، أي وأنك يا محمد ليهديك الله إلى طريق الهدى والإيمان، وقراءة الجمهور وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم أي وإنك لتهدي بذلك النور، من شاء الله هدايته، وقد ذكرت القراءة الأولى في البحر المحيط ٥٢٨/٧ والقرطبي ٦٠/١٦ وروح المعاني ٦٠/٢٥.

قال أبو جعفر: وهذا لا يقرأ به، لأنه مخالف للسواد، وإنما يحمل ما كان مثله، على أنه من قائله، على جهة التفسير، كما قال سفيان في قوله ﷻ: **وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيمٍ** أي لتدعو.

وروى معمر عن قتادة في **قوله تعالى: وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيمٍ** قال: لكل قومٍ هادٍ.

«انتهت سورة الشورى»

❁ ❁ ❁

=

(١) قراءة أبي محملة على جهة التفسير كما قال المصنف، وليست من القراءات السبع، ومـراده بمخالفة السواد أ ا قراءة غير القراءة المشهورين المعتمدين، وهم القراء السبعة، ولهذا لا يعول على هذه القراءة، وانظر القرطبي ٦٠/١٦.

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيمِ

سورة الزخرف وهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ: حم * والكتابِ المبين [آية: ١- ٢].

أي أبان الهدى من الضلالة، والحق من الباطل.

ويكون **المبين** : البين.

٢- ثم قال ﷻ: إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون [آية: ٣]. أي بيناه.

٣- وقوله ﷻ: وإنه في أم الكتابِ لدينا لعلي حكيمٌ [آية: ٤].

روى معمر عن قتادة، قال: في أم الكتابِ قال: في أصل الكتاب، وجملته عندنا.

قال أبو جعفر: ونظير هذا على قول قتادة: **بلْ هو قرآنٌ مجيدٌ * في لوحٍ محفوظٍ** [البروج: ٢١- ٢٢].

وقيل: إنه في أم الكتابِ : يعني ما قدر من الخير والشر **لعلي** : لقاهر، لا يقدر أحد أن يدفعه **حكيمٌ** : محكَم.

٤- وقوله ﷻ: أفنضرب عنكم الذكْر صفْحا أن كنتم قوما مسرفين [آية: ٥].

روى إسماعيل عن أبي صالح **أفنضرب عنكم الذكْر** ؟ قال: العذاب.

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: أتكذبون بالقرآن، ولا تعاقبون؟

قال أبو جعفر: المعنى على هذين القولين: أفنضرب عنكم ذكر العذاب.

ومذهب قتادة أن المعنى: أفنهملكم، ولا نأمركم، ولا ننهاكم؟

قال أبو جعفر: يقال: ضربت عنه، وأضربت أي تركته.

ثم **قال ﷻ: صفْحا** أي إعراضاً.

يجوز أن يكون المعنى: أفنصفح عنكم صفحاً، كما يقال: هو يدعه تركاً.

ويجوز أن يكون المعنى: أفنضرب عنكم الذكر صافِحين، كما يقال: جاء فلانٌ مشياً.

ومعنى صفحت عنه: أعرضت عنه أي وليته صفحة عنقي، قال الشاعر:

صفُوحاً فَما تلْقَـاك إلا بخِيلـةً فَمن مل مِنها ذَلك الوصلَ ملـتِ[(١)]

---

(١) البيت لكثير عزة، انظر اللسان مادة (صفح)، والقـرطبي ٦٣/١٦، وزاد المسـير ٣٠٢/٧، والبحر المحيط ٦/٨.

٥- ثم قال ﷻ: ﴿أن كنتم قوما مسرفين﴾ [آية: ٥].

قال قتادة: أي مشركين.

قال أبو جعفر: المعنى لأن كنتم، إذا فتحت ﴿أن﴾ وبذلك قرأ الحسن، وأبو عمرو، وابن كثير.

وقرأ أهل المدينة، وأهل الكوفة بالكسر، وهو عند قوم من أهل اللغة لحن، منهم أبو حاتم، وإنما صار عندهم لحناً، لأنهم إنما يخوا على شيء قد ثبت وكان، فهذا موضع «أَنْ» مفتوحة، كما قال سبحانه: ﴿عبس وتولى * أن جاءه الأعمى﴾ [عبس: ١- ٢].

قال أبو جعفر: وهذا عند الخليل، وسيبويه، والكسائي، والفُرّاء جيد.

قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله - يعني الفرزدق- :

أتغضب إنْ أُذْنا قُتيبةَ حزتا ... جِهاراً ولم تغضب لقتل ابن خازمِ[1]

فقال: هي «إنْ» مكسورة، لأنه قبيح أن يفصل بين «أنْ» والفعل.

قال أبو جعفر: وهذا شيءٌ قد مضى.

قال أبو إسحاق: وهذا يكون بمعنى الحال، إذا كان في الكلام معنى التوبيخ والتقرير، أي أهذه حالك؟

قال أبو جعفر: فعلى هذا قوله: ﴿أن كنتم قوما مسرفين﴾.

٦- وقوله ﷻ: ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين﴾ [آية: ٨].

قال مجاهد: أي سنة الأولين.

قال قتادة: أي عقوبة الأولين.

وقوله ﷻ: ﴿وجعل لكم فيها سبلاً﴾ [آية: ١٠] أي طرقاً.

٧- وقوله ﷻ: ﴿والذي خلق الأزواج كلها﴾ [آية: ١٢]. أي الأصناف كلها.

٨- ثم قال ﷻ: ﴿وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾ [آية: ١٢].

قال مجاهد: الأباعر، والخيلُ، والبغالُ، والحمير.

٩- وقوله ﷻ: ﴿لتستووا على ظهوره﴾ [آية: ١٣].

---

(١) البيت من شواهد المغني ٨٦/١، وفي جامع البيان للطبري ٥٠/٢٥، ومعاني القرآن للفراء ٢٧/٣.

أي على ظهور هذا الجنس.

ثُم تذْكُروا نِعمةَ ربكُم إِذَا استويتم علَيهِ [آية: ١٣] أي تقولوا: الحمد لله.

كما روى أبو إسحاق، عن علي بن ربيعة قال: رأيت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه جعل رجله في الركاب، فقال: **بِسمِ الله** فلما استوى راكباً قال **الحمد لله** ثم قال: **سبحانَ الذِي سخر لَنا هذَا وما كُنا لَه مقْرِنين** [آية: ١٣] «اللهم لا إله إلا أنت، قد عملت سوءٍ، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ فَعلَ كفِعلي.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد: من ركب ولم يقل: **سبحانَ الذِي سخر لَنا هذَا وما كُنا لَه مقْرِنين** قال له الشيطان: تغنه، فإن لم يحسن، قال له: تمنه.

قال قتادة: مقْرِنين أي في القوة.

قال أبو جعفر: حكى أهل اللغة أنه يقال: أقرن له: إذا أطاقه، وأنشدوا:

ركِبتم صعبتي أشراً وحيناً ولَستم لِلصّعابِ بِمقْرِنينا[1]

وحقيقة: أُقْرنت له: صرت له قرناً، يقال: هو قرنه في القتال، وهو على قرنه، أي مثله في السنّ.

١٠- ثم **قال تعالى: وإِنا إِلَى ربنا لَمنقَلِبونَ** [آية: ١٤].

أي إنا لمبعوثون.

١١- ثم **قال** ﷻ: **وجعلُوا لَه مِن عِبادِهِ جزءًا إِن الإِنسانَ لَكَفُورٌ مبِينٌ** [آية: ١٥].

قال قتادة: جزءً : أي عدلاً.

قال أبو جعفر: والمعنى على قولهم أ م عبدوا الملائكة، فجعلوا لله ﷻ شبهاً ومِثْلاً.

وقال عطاء: جزءً : أي نصيباً وشركاً.

قال أبو جعفر: وهذا أبين كما يقال: هذا جزء فلانٍ، وقيل لهم هذا، لأ م جعلوا الملائكة بنات الله، هذا قول مجاهد.

ومعنى وجعلُوا : قالوا هذا ووصفوه.

١٢- **وقوله** ﷻ: **أَو من ينشأُ فِي الْحِلْيةِ وهو فِي الْخِصامِ غَير مبِينٍ** [آية: ١٨].

---

(١) البيت للكميت، انظر مجاز القرآن ٢٠٢/٢، والقرطبي ٦٦/١٦.

قال ابن عباس: يعني النساء، جعل زيهن غير زي الرجال.

قال أبو جعفر: يجوز أن يكون المعنى: أو من ينشأ في الحلية يجعلون لله ﷻ نصيباً؟

ويجوز أن يكون: في موضع رفع.

١٣- ثم قال ﷻ: وهو في الخصام غير مبين [آية: ١٨].

قال قتادة: قل ما تكلمت امرأة ولها حجةٌ، إلا جعلتها عليها.

١٤- ثم قال ﷻ: وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا [آية: ١٩].

وجعلوا هنا بمعنى: وصفوا، وهذا من وجوه «جعلَ» التي ذكرها الخليل، وسيبويه، كما تقول: جعلت فلاناً أعلم الناس أي وصفته بهذا.

١٥- وقوله ﷻ: وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون [آية: ٢٠].

هذه آية مشكلةٌ، وقد تكلم فيها العلماء.

أ- فمن أحسن ما قالوا أن قوله ﷻ: ما لهم بذلك من علم مردود إلى قوله تعالى: **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا**.

فالمعنى: إن الله ﷻ لم يرد عليهم قولهم **وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم** وإنما المعنى: ما لهم بقولهم: الملائكة بنات الله من علمٍ، وما بعده يدل على أن المعنى على هذا، لأن بعده **أم آتيناهم كتابا من قبله** [آية: ٢١]. أي أم أنزلنا عليهم كتاباً فيه هذا؟

ب- وفي الآية قول آخر، وهو أن معنى **ما لهم بذلك من علم** ما لهم عذر في هذا، لأنهم رأوا أن ذلك عذر لهم، فرد الله ذلك عليهم، فالرد محمول على المعنى، وقوله: **أم آتيناهم كتابا**.

١٦- وقوله ﷻ: بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة [آية: ٢٢].

وقرأ مجاهد، وعمر بن عبد العزيز **على إمة**.

قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد.

قال أبو جعفر: المعروف في اللغة، أن «الإمة» بالكسر: الطريقة من الدين والمذهب، كما قال:

حلفْت فَلَم أترك لِنفْسِك رِيبَـةً وهلْ يأثَمن ذُو إمةٍ وهو طَائِع[١]

والأُمة: السنة والملة، وقد يكون لها غير هذا المعنى، وقد تكون الإمة بمعنى المُلْك، والتمام كما قال:

ثُم بعد الفَلَاحِ والمُلْكِ والإِمـ ـةِ وارتهموا هناك القُبـور[٢]

وروى ابن أبي **نجيح عن** مجاهد **﴿إنا وجدنا آباءَنا على مِلةٍ﴾** [آية: ٢٣].

١٧- وقوله ﷻ: **﴿وإنا على آثَارِهِم مهتدونَ﴾** [آية: ٢٢].

يجوز **أن يكون خبراً بعد خبر.**

ويجوز **أن يكون** المعنى: مهتدون على آثارهم.

١٨- ثم **أخبر** ﷻ **أن الأنبياء قبله قد قيل لهم مثل هذا فقال: ﴿وكَذَلِك ما أرسلْنا مِن قَبلِك فِي قَريةٍ من نذِيرٍ إلا قَالَ مترفُوها إنا وجدنا آباءَنا على أُمةٍ وإنا على آثَارِهِم مقْتدونَ﴾** [آية: ٢٣].

ثم **قال** ﷻ: **﴿قُلْ أولو جِئْتكُم بِأهدى مِما وجدتم عليهِ آباءَكُم﴾** [آية: ٢٤].

المعنى: أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آبائكم، أقمتم على ما كان عليه آباؤكم؟

١٩- وقوله ﷻ: **﴿وإذْ قَالَ إبراهِيم لأبِيهِ وقَومِهِ إنني براءٌ مما تعبدونَ﴾** [آية: ٢٦].

وفي **قراءة: ﴿إنني بريءٌ﴾**.

وحكى الفراء أن قوماً يكتبون الهمزة في كل موضع ألفاً.

فعلى هذا يقرأ **﴿بريءٌ﴾** وإن كان في السواد بالألف، ومن قرأ **﴿براءٌ﴾** قال في الاثنين، والجميع، براُء أيضاً، بمعنى ذوي براءٍ.

٢٠- ثم **قال** ﷻ: **﴿إلا الذِي فَطَرني فَإنه سيهدِين﴾** [آية: ٢٧].

قال قتادة: أي خلقني.

قال أبو جعفر: يجوز أن يكون استثناء من الأول.

ويجوز أن يكون «إلا» بمعنى «لَكِن».

(١) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص ٣٥٠، وانظر الصحاح، واللسان مادة (أمم) والدر المنثور ١٥/٦، وتفسير القرطبي ٧٥/١٦.

(٢) البيت لعدي بن زيد العبادي، وهو في ديوانه ص ٨٩، وانظر معاني القرآن للفـراء ٣٠/٣، واللسان مادة (أمم)، والطبري ٦٠/٢٥، والقرطبي ٧٤/١٦، والشوكاني ٥٥٢/٤.

٢١- ثم **قال** ﷻ: **وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون** [آية: ٢٨].

قال مجاهد: كلمة باقية: لا إله إلا الله.

وقال قتادة: التوحيد، والإخلاص في عقبه.

وقال مجاهد: في ولده.

قال قتادة: لا يزال من ولد إبراهيم ﷺ، من يعبد الله ﷻ، إلى يوم القيامة.

وقوله ﷻ: **لعلهم يرجعون** إلى دينك ودين إبراهيم صلى الله عليهما، إذ كانوا من ولده.

٢٢- **وقوله** ﷻ: **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** [آية: ٣١].

قال ابن عباس: القريتان: «مكة» و«الطائف».

قال قتادة: الرجلان: «أبو مسعود الثقفي» واسمه عروة بن مسعود، من أهل الطائف، و«الوليد بن المغيرة بن عبد الله المخزومي» من أهل مكة.

قال مجاهد: الرجلان «عتبة بن ربيعة» من أهل مكة، وأبو مسعود الثقفي واسمه (عمير بن عمرو بن مسعود).

قال أبو جعفر: روي هذا عن جماعة ثقات، منهم «ابن جريج» و«ابن أبي نجيح».

وروى ذلك عن قتادة الثقات أيضاً، إلا أن قول قتادة أشبه بالصواب، لأن معمراً روى عنه أنه قال: قال الوليد بن المغيرة: لو كان ما يقول محمد حقا، أنـزل علي، أو على أبي مسعود الثقفي!! فخبر قتادة بسبب نـزول الآية.

قال أبو العباس: التقدير في العربية: على رجلٍ من رجلين من القريتين.

قال أبو جعفر: حقيقة التقدير في العربية: على رجلٍ من رجلي القريتين، كما قال سبحانه: **واسأل القرية** [يوسف: ٨٢].

٢٣- ثم **قال** ﷻ: **أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا** [آية: ٣٢]. أي كما قسمنا بينهم الأرزاق، وفضلنا بعضهم على بعض، كذلك فضلنا بعضهم على بعض بالاصطفاء بالرسالة.

٢٤- ثم **قال** ﷻ: **ليتخذ بعضهم بعضا سخريا** [آية: ٣٢].

أي ليكون بعضهم لبعض خولاً[1]، و«سخري» و(سِخري» واحد.

ثم **أخبر** ﷻ **أن ما عنده من الرحمة خيرٌ فقال: ورحمت ربك خيرٌ مما يجمعونَ** [آية: ٣٢].

وقرأ الحسن: تجمعونَ بالتاء[2].

٢٥- وقوله ﷻ: **ولولا أن يكُونَ الناس أمةً واحِدةً لجعلْنا لِمن يكْفُر بِالرحمن لِبيوتهم سقُفًا من فِضةٍ ومعارج عليها يظْهرونَ** [آية: ٣٣].

في **معنى الآية قولان:**

قال الحسن وقتادة: لولا أن يكفر الناس جميعاً، لفعلنا هذا.

قال أبو جعفر: ومعنى هذا القول: لولا أن يميل الناس إلى الدنيا فيكفروا، لأعطينا الكافر هذا، لهوان الدنيا على الله ﷻ.

والقول الآخر - قال الكسائي - قال: المعنى: لولا إرادتنا أن يكون في الكفار غني وفقير، وفي المسلمين مثل ذلك، لأعطينا الكفار من الدنيا هذا، لهوا ا على الله ﷻ.

قال الفراء: يجوز أن يكون معنى **لِبيوتهم** على بيو م.

قال أبو جعفر: روى سفيان عن إسماعيل عن الشعبي **سقُفًا من فِضةٍ** قال: جزوعاً، **ومعارج** قال: درجاً **عليها يظْهرونَ** قال: يصعدون.

وقرأ جماعة: **سقْفاً من فِضةٍ** وأنكر هذه القراءة بعض أهل اللغة: وقال: لو كان كذا لقال: «عليه».

قال أبو جعفر: وهذا لا يلزم، لأنه يجوز أن يكون «عليها» للدرج.

٢٦- ثم **قال** ﷻ: **ولبيوتهم أبوابا** [آية: ٣٤].

أي من فضة، **وسررا** أي من فضة **وزخرفًا** .

روى شعبة عن الحكم عن مجاهد، قال: «كنت لا أدري ما معنى **وزخرفًا** حتى وجدته في قراءة عبد الله بن مسعود **وذَهباً**[3]!!

(١) خولاً: خدما. قال في المصباح: والخول مثل الخدم والحشم وزنا ومعنى.

(٢) قراءة الجمهور بالياء خير مما يجمعون .

(٣) لم ترد هذه في القراءات- حتى ولا في الشاذة- وهي محملة علـى التفسـير، لأن جمهـور المفسرين قالوا: الزخرف: الذهب، قال الطبري ٧١/٢٥: وزخرفًا أي ولجعلنا مع ذلـك =

قال أبو جعفر: في **معناه قولان:**

أحدهما: أن المعنى: وجعلنا لهم زخرفاً أي غِنى.

والآخر: أن المعنى: من فضة، ومن زخرف، ثم حذف «مِن» ونصب.

٢٧- وقوله ﷻ: **ومن يعش عن ذِكْرِ الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرينٌ** [آية: ٣٦].

روى سعيد عن قتادة قال: يعش : يعرض.

وقال أبو عبيدة: يعش : تظْلِم عينه.

وروى عكرمة عن ابن عباس: يعمى.

قال أبو جعفر: يجب على قول ابن عباس، أن تكون القراءة **ومن يعش** بفتح الشين.

وأما قول قتادة يعش يعرض، وهو قول الفراء، فغير معروف في اللغة، إنما يقال: عشا يعشو: إذا مشى ببصرٍ ضعيف، قال الحطيئة:

متى تأتِهِ تعشو إلى ضـوءِ نـارِهِ تجِد خير نارٍ عِندها خير موقِـدِ[1]

ونظير هذا: عرج الرجل يعرج، أي مشى مِشية الأعرج.

وعرج يعرج: صار أعرج.

وأصح ما في **هذا قول** أبي **عبيدة،** قال الله ﷻ: **الذين كانت أعينهم في غِطاءٍ عن ذِكْرِي** [الكهف: ١٠١].

وفي الحديث: أن سعيد بن المسيب ذهبت إحدى عينيه، وكان يعشو بالأخرى، أي يبصر ا بصراً ضعيفاً.

=

زخرفًا وهو الذهب.

(١) البيت في ديوانه ص ١٦١، وانظر شواهد سيبويه ص ٨٠، ومجاز القرآن ٢٠٤/٢، وخزانـة الأدب للبغدادي ٩٠/٩، والطبري ٧٢/٢٥ بلفظ:

متى تأتِه تعشـو إلى ضـوءِ نـارِهِ تجِد حطَباً جزلاً ونـاراً تأججـا

قال البغدادي في الخزانة ٩٠/٩: وما أنشده الشارح مركب من بيـتين سـهواً، فصـدره للحطيئة، وعجزه لابن الحر.

٢٨- وقوله ﷻ: ﴿نقيض له شيطانا فهو له قرينٌ﴾ [آية: ٣٦].

قيل: جزاءً على ما فعل.

وقال سعيد الجريري[(١)] في **قوله تعالى: ﴿نقيض له شيطانا﴾** قال: بلغنا أن الكافر إذا خرج من قبره، سفَع شيطانٌ بيده، فلا يزال معه، حتى يدخله الله ﷻ النار، فذلك قوله ﷻ ﴿قالَ يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين﴾ [آية: ٣٨]. ويوكل بالمؤمن ملك فلا يزال معه، حتى يقضي الله بين الخلق، أو يصير إلى ما شاء الله[(٢)].

٢٩- وقوله ﷻ: ﴿وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبونَ أنهم مهتدونَ﴾ [آية: ٣٧]. أي وإن الشياطين ليصدون الكافر عن السبيل.

﴿ويحسبونَ﴾ أي ويحسب الكفار أ م مهتدون.

٣٠- وقوله ﷻ: ﴿حتى إذا جاءَنا قالَ يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين﴾ [آية: ٣٨].

قال قتادة: ﴿حتى إذا جآءانا﴾ قال: الكافر وقرينه جميعاً.

قال أبو جعفر: ويقرأ ﴿حتى إذا جاءَنا﴾ يراد به الكافر في الظاهر، والمعنى لهما جميعاً، لأنه قد عرف ذلك بما بعده، كما قال:

وعـينٌ لهـا حـدرةٌ بـدرةٌ   شقت مآقيهمـا مـن أخـر[(٣)]

٣١- وقوله تعالى: ﴿قالَ يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين﴾ [آية: ٣٨].

في **معناه قولان:**

أحدهما: أنه يراد «مشرق الشتاء» و«مشرق الصيف».

والآخر: أنه يراد المشرق والمغرب، فجاء على كلام العرب، لأ م إذا اجتمع الشيئان في معنى، غلب أحدهما، كما قال الشاعر:

---

(١) سعيد بن إياس الجُريري أبو مسعود البصري، ثقة من الخامسة اختلط قبل موته بثلاث سنين، ومات سنة ١٤٤هـ، انظر تقريب التهذيب ٢٩١/١.

(٢) الحديث أخرجه ابن المنذر، وعبد الرزاق، وابن جرير في جامع البيان ٧٤/٢٥، والسيوطي في الدر المنثور ١٧/٦، والقرطبي ٩٠/١٦، ومعنى سفع شيطان بيده: أي أمسك وأخذ بيـده، وانظر الصحاح مادة (سفع).

(٣) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ١٦٦، وانظر القرطبي ٩٠/١٦، والمنصف لابن جني ٨١/١، وأمالي ابن الشجري ١٢٢/١.

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع[١]

وأنشد أبو عبيدة بيت جرير:

ما كانَ يرضى رسولُ الله فِعلَهم والطّيّبان أبو بكرٍ ولا عمر[٢]

وأنشد سيبويه:

قَدني من نصر الخُبيبين قَدِي[٣]

يريد «عبد الله» و«مصعباً» ابني الزبير، وإنما «أبو خبيب» عبد الله.

وفي الحديث أن أصحاب الجمل، قالوا لعلي بن أبي طالب ﵇: أعطنا سنةَ العمرين، يعنون: أبا بكر، وعمر.

٣٢- وقوله ﷿: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [آية: ٣٩].

المعنى: إن الله ﷿ حرم أهل النار، هذا المقدار من الفرج، وهو التأسي، وهو أن ذا البلاء، إذا رأى من قد ساواه في المصيبة، سكن ذلك من حزنه، كما قالت الخنساء:

فَلولا كثْرةُ الباكِين حولي عَلى إخوانِهم لقَتلْت نفْسي

وما يبكُونَ مِثْلَ أخِي ولكِن أعزّي النفْس مِنه بالتأسّي[٤]

٣٣- وقوله ﷿: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ [آية: ٤١].

قال قتادة: ذهب رسول الله ﷺ وبقيت النقمة، وليس نبي إلا قد رأى النقمة في أمته، إلا محمداً ﷺ، ولكنه أُري ما ينزل بأمته من بعده، فما رؤي بعد ذلك ضاحكاً منبسطاً.

---

(١) البيت للفرزدق، وهو في ديوانه ص ٥١٩، وانظر الكامل للمبرد ١٤٣/١، والطبري ٧٤/٢٥، والقرطبي ٩١/١٦، ومعاني القرآن للفراء ٣٣/٣.

(٢) البيت في ديوانه ص ٢٠١، وانظر القرطبي ٩١/١٦.

(٣) هذا شطر من بيت لحميد بن مالك الأرقط، وتمامه:

ليس الإمام بالشحيح الملحد

ومعنى: قدني: حسبي، وأراد بالخبيبين: عبد الله بن الزبير وأخاه مصعب، وانظر شواهد المغني ٤٨٧/١، والقرطبي ٩١/١٦.

(٤) البيتان للخنساء تماضر بنت عمرو بن الحارث، وهما في ديوانها ص ٨٤.

٣٤- وقوله ﷻ: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [آية: ٤٢].

قيل: المعنى: الذي وعدناهم، ووعدناك عليهم من النصر.

وقيل: الذي وعدناهم يرجع إلى قوله تعالى: ﴿**وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الزخرف: ٣٥]. أي الذي وعدنا المتقين، من النصر، وقد نصروا.

٣٥- وقوله ﷻ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٤٣].

قال قتادة: أي القرآن: ﴿**إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ قال: على الإسلام.

﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ**﴾ [آية: ٤٤]. قال: القرآن.

وروى محمد بن يوسف عن سفيان: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ**﴾ قال: شرف لك ولقومك.

٣٦- ثم قال ﷻ: ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [آية: ٤٤].

قال الفراء: أي وسوف تسألون عن الشكر عليه.

٣٧- وقوله ﷻ: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [آية: ٤٥].

قال أبو جعفر: هذه آية مشكلةٌ، وفي معناها قولان:

روى أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: لقي الرسل صلى الله عليهم ليلة أُسري به.

فهذا قول، ومعناه: أنه سيسرى بك، وتلقى الرسل فاسألهم.

والقول الآخر: وهو قول «محمد بن يزيد» وجماعة من العلماء، أن في هذا المعنى التوقيف والتقرير، والتوبيخ، والمعنى: واسأل أمم من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا كما قال تعالى: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**﴾ [يوسف: ٨٢] أي سلْ من عبد الملائكة، أو قال: إن الله ثالث ثلاثة، أو عبد غير الله ﷻ، هل وجد هذا في شيءٍ من كتب الأنبياء، مما أنـزل الله عليهم؟ فإنه لا يجد في كتاب نبي، أن الله أمر أن يعبد غيره، ففي هذا معنى التقرير، والتوبيخ، والتوقيف، على أنهم قد كفروا، وفعلوا ما لم يأمر الله به، ونظيره قوله تعالى: ﴿**قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٣].

ويصحح هذا القول، أن علي بن الحكم، روى عن الضحاك، قال: وهي في قراءة عبد الله ﴿**فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ**﴾ [يونس: ٩٤] قال: يعني أهل

الكتاب.

روى سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال في **قراءة عبد الله ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾** [آية: ٤٥] فهذه قراءة مفسرة.

وقال قتادة: أي سل أهل الكتاب، الله إلا بالتوحيد، والإخلاص؟

وزعم ابن قتيبة أن التقدير: واسأل من أرسلنا إليه من قبلك رسلاً من رسلنا، فحذف «إليه» لأن في الكلام دلالة عليه، وحذف «رسلاً» لأن ﴿من رسلنا﴾ يدل عليه، وزعم أن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد المشركون.

٣٨- وقوله ﷻ: ﴿وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون﴾ [آية: ٤٩].

يقال: كيف قالوا له: ﴿أيها الساحر﴾ وقد قالوا: ﴿إننا لمهتدون﴾ فيما يستقبل؟

قيل: إ م لما قالوا له هذا - قبل أن يدعوه - عرفوه فنادوه به.

وقيل: كانوا يسمون العلماء سحرة، فالمعنى: يا أيها العالم.

قال مجاهد: في قوله تعالى: ﴿بما عهد عندك﴾ من أنا إن آمنا، كشف عنا عذاب.

قال أبو جعفر: ويدل على صحة هذا الجواب، قوله تعالى: ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون﴾ [آية: ٥٠] أي ينقضون العهد.

وروى سعيد عن قتادة: ﴿إذا هم ينكثون﴾ قال: يغدرون.

٣٩- وقوله ﷻ: ﴿ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون﴾ [آية: ٥١]

قال الأخفش: في الكلام حذف، والمعنى: أفلا تبصرون؟ أم تبصرون؟ كما قال:

فيا ظبيةَ الوعساءِ بين جلاجِلٍ وبين النقا هلْ أنتِ أم أم سالِمِ[1]

أي أنت أحسن أم أم سالم؟

قال أبو زيد: العرب تزيد، والمعنى: أنا خير.

وقيل المعنى: أبلْ؟

قال أبو جعفر: وأحسن ما قيل في هذه الآية - قول الخليل وسيبويه - أن المعنى:

---

(١) البيت لذي الرمة، وهو في ديوانه ٧٦٧/٢، وانظر القرطبي ٩٩/١٦، وشواهد سيبويه ص ١٤٢ ومعنى الوعساء: الرملة اللينة، والنقا: الكثيب من الرمل، وجلاجل: اسم مكان.

أفلا تبصرون، أم أنتم بصراء؟ ويكون **أم أنا خيرٌ** بمعنى أم أنتم خير؟ لأ م لو قالوا له: أنت خير، كانوا عنده بصراء.

٤٠- وقوله ﷻ: أم أنا خيرٌ من هذَا الذِي هو مهينٌ ولا يكَاد يبِين [آية: ٥٢].

والمهين: القليل من المهانة.

روى سعيد عن قتادة: ولا يكَاد يبِين قال: عيي.

وقيل: إنما هذا للثغة التي كانت به.

٤١- وقوله ﷻ: فَلَولاَ أُلْقِي عليهِ أسورةٌ من ذَهبٍ أو جاءَ معه الْملاَئِكَةُ مقْترِنِين [آية: ٥٣].

أي فهلا أُلقي عليه أساورة من عند الله، تدل على أنه رسول؟!

و **أسورةٌ** جمع إسوارٍ، وفي قراءة أبي وعبد الله **لَولاَ أُلْقِي عليهِ أساوِير** (١) وهو بمعنى الأول.

أو جاءَ معه الْملاَئِكَةُ مقْترِنِين قال قتادة: أي متتابعين.

وقال مجاهد: أي يمشون معه معاً.

قال أبو جعفر: فاقترحوا هذا، بعدما جاءهم ما يدل على نبوته.

٤٢- ثم **قال ﷻ: فَاستخف قَومه فَأَطَاعوه إِنهم كَانوا قَوما فَاسِقِين** [آية: ٥٤].

أي استفزهم.

٤٣- وقوله ﷻ: فَلَما آسفُونا انتقَمنا مِنهم فَأَغْرقْناهم أجمعِين [آية: ٥٥].

قال مجاهد وقتادة: أي أغضبونا.

٤٤- وقوله ﷻ: فَجعلْناهم سلَفًا ومثَلاً للآخِرِين [آية: ٥٦].

قال لاحق بن حميد: أي جعلناهم سلفاً لمن عمل بعملهم، ومثلاً لمن لم يعمل بعملهم.

وقال مجاهد: هم قوم فرعون، سلف لكفار أمة محمد ﷺ، قال: **ومثَلاً** أي عبرة.

وقال قتادة: سلَفًا إلى النار **ومثَلاً** أي عظة.

قرئ على أبي قاسم، قريب «أحمد بن منيع» عن أبي كامل الجحدري، عن عبد الواحد، عن عاصم عن أبي مجلز **فَجعلْناهم سلَفًا ومثَلاً للآخِرِين** قال: سلفاً لمن عمل

---

(١) قراءة أساوير شاذة، وليست من القراءات السبع، إنما ذكرها بعض المفسرين، انظر روح المعاني ٢٥/٩١.

بمثل عملهم، ومثلاً لمن لم يعمل بمثل عملهم.

قال أبو جعفر: هذه الأقوال متقاربة، وأصل السلف في اللغة: ما تقدم، ومنه تسلفت من فلان، وأبينها قول قتادة، أي جعلناهم متقدمين في الهلاك، وعظة لمن يأتي بعدهم.

ويقرأ **سلُفاً** جمع سلِيف[1].

وقرأ حميد الأعرج فيما روي عنه **سلُفًا** جمع سلْفة أي فرقة متقدمة.

وأبينها وأكثرها فتح السين واللام، كما يقال: فلانٌ يحب السلَف.

٤٥- وقوله ﷻ: ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصِدون [آية: ٥٧].

قال مجاهد: قالوا ما ذكر محمد «عيسى» صلى الله عليهما إلا لننـزله منـزلته من النصارى.

وقال قتادة: لما أنزل على النبي ﷺ ذكر عيسى غاظ ذلك قريشاً، وقالوا: لم ذكرت عيسى؟ وقالوا: ما ذكره إلا لنستعمل فيه ما استعملت النصارى في عيسى، فأنزل الله ﷻ: **ما ضربوه لك إلا جدلاً**.

وقيل: نزل هذا في «ابن الزبعرى» لما أنزل الله تعالى: **إنكم وما تعبدونَ من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردونَ** [الأنبياء: ٩٨] قال: فالنصارى تعبد المسيح؟؟ قال ﷻ: **ما ضربوه لك إلا جدلاً** أي قد علموا أنه لا يراد بهذا المسيح، وإنما يراد بها الأصنام التي كانوا يعبدونها.

٤٦- وقوله ﷻ: إذا قومك منه يصِدونَ [آية: ٥٧].

روى سفيان، وشعبة عن عاصم، عن أبي رزين عن ابن عباس إذا قومك منه يصِدونَ قال: يضِجون.

ويقرأ يصدونَ بضم الصاد، قال النخعي: أي يعرضون.

وقال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد.

وأنكر بعض أهل اللغة الضم، وقال: لو كانت «يصدون» لكانت «عنه» ولم تكن «منه».

وقال أبو جعفر: وهذا لا يلزم، لأن معنى يصدون منه أي من أجله.

٤٧- وقوله ﷻ: وقالوا أآلهتنا خيرٌ أم هو [آية: ٥٨].

---

(١) هذه قراءة حمزة، والكسائي، وهي من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٧.

قال قتادة: «أم هو» يعنون محمداً ﷺ وفي قراءة «أبي»(١) **وقالوا أآلهتنا خيرٌ أم هذا** يعنون محمداً ﷺ.

٤٨- ثم **قال** ﷻ: **ما ضربوه لك إلا جدلاً** [آية: ٥٨].

المعنى على تفسير قتادة: إنهم قد علموا أنك لا تريد منهم، أن ينزلوك منزلة المسيح.

وعلى القول الآخر: إنهم قد علموا أنه لا يراد بقوله ﷻ: **إنكم وما تعبدونَ من دون الله حصب جهنم** [الأنبياء: ٩٨]. المسيح ﵇، وإنما يراد به الأصنام، واللغة تدل على هذا، لأن «ما» لما لا يعقل، فقد عُلِم أن المعنى **إنكم وما تعبدونَ من دون الله** لا يكون للمسيح.

وهذا أصح ما قيل في قوله تعالى: **إنكم وما تعبدونَ من دون الله حصب جهنم**.

٤٩- ثم **قال** ﷻ: **بلْ هم قَومٌ خصِمونَ** [آية: ٥٨].

قال سفيان حدثني رجلٌ، أنها نزلت في ابن الزبعرى.

٥٠- ثم **قال** ﷻ: **إنْ هو إلا عبدٌ أنعمنا عليهِ وجعلناه مثلاً لبني إسرائيلَ** [آية: ٥٩].

يكون المعنى على قول من قال: إن الآية نزلت في ابن الزبعرى: إنْ(٢) المسيح إلا عبد أنعمنا عليه، وجعلناه مثلا لبني إسرائيل، أي جعلناه عظة لهم، أي ذا عظة أي يعظهم.

ويجوز أن يكون معنى مثلاً: أنه بشر مثلهم، فضّل عليهم.

ويجوز أن يكون المعنى على قول قتادة وعلى الآخر أيضاً: إنْ محمد إلا عبد أنعمنا عليه، وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل، والكلام في «مَثَلٍ» كالكلام فيه.

٥١- ثم **قال** ﷻ: **ولو نشاءُ لجعلْنا منكُم ملائكةً في الأرض يخلُفُونَ** [آية: ٦٠].

قال مجاهد: أي يعمرونها كما تعمرونها، بدلاً منكم.

وقال قتادة: أي ملائكة يخلف بعضهم بعضاً.

---

(١) يعني: أبي بن كعب ﵁، ونقل القرطبي في تفسيره أن هذه القراءة خير أم هذا هي قراءة ابن مسعود، وهي ليست من القراءات السبع.

(٢) «إنْ» هنا نافية بمعنى «ما» أي ما المسيح إلا عبد.

٥٢- ثم قال ﷻ: ﴿وإنه لَعِلْمٌ للساعةِ فَلا تمترنّ بِها﴾ [آية: ٦١].

روى سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، عن ابن عباس ﴿وإنه لَعِلْمٌ للساعةِ﴾ قال: نـزول عيسى.

وكذلك روى سماك عن عكرمة عن ابن عباس.

وكذلك قال مجاهد وأبو مالك.

وقد روي عن ابن عباس وأبي هريرة أنهما قرءا ﴿وإنه لَعَلَمٌ للساعةِ﴾.

قال الخليل: العَلَم والعلامة واحد.

قال أبو جعفر: ومعنـى ﴿لَعِلْمٌ للساعةِ﴾: يعلم بنـزول عيسى ﷺ، أن الساعة قد قربت.

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «لينـزلن ابن مريم حكماً عدلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنـزير...»(١).

ويجوز أن يكون المعنى: وإن محمداً ﷺ لَعلَم، للساعة، لأنه خاتم النبيين، قال الله ﷻ: ﴿اقْتربتِ الساعةُ وانشق الْقَمر﴾ [القمر: ١].

ثم **قال تعالى: ﴿فَلا تمترنّ بِها﴾**: أي فلا تشكوا.

٥٣- وقوله ﷻ: ﴿ولَما جاءَ عِيسى بِالْبيناتِ قَالَ قَد جِئْتكُم بِالْحِكْمةِ ولأُبين لَكُم بعض الَّذِي تختلِفُونَ فِيهِ﴾ [آية: ٦٣].

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿ولأُبين لَكُم بعض الَّذِي تختلِفُونَ فِيهِ﴾ قال: تبديل التوراة.

٥٤- وقوله ﷻ: ﴿الأَخِلاءُ يومئِذٍ بعضهم لِبعض عدو إِلا الْمتقِين﴾ [آية: ٦٧].

قال مجاهد: أصحاب المعاصي متعادون يوم القيامة.

وقال الحارث: سئل علي بن أبي طالب عن قوله ﷻ: **﴿الأَخِلاءُ يومئِذٍ بعضهم لِبعض عدو﴾** فقال: خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، مات أحد المؤمنين فبشر بالجنة، فقال: اللهم لا تضِل خليلي، حتى يبشر بما بشرت به، وترضى عنه كما رضيت عني، فلما

---

(١) الحديث رواه مسلم ١٣٥/١، وابن ماجه ٤٠١/٢، بلفظ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينـزل فيكم ابن مريم، حكماً مقسطاً..» الحديث. ولفظ ابن ماجة «لا تقوم الساعة حتى ينـزل عيسى بن مريم ﷺ حكماً مقسطاً، وإماماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنـزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد».

مات جمع بينهما، فقال له: جزاك الله من خليل، ومن أخ وصاحبٍ خيراً، فنعم الخليل كنت. والكافرون يقول أحدهما لصاحبه: بئس الخليل، والصاحب كنت، ثم قرأ **الأخِلاءُ يومئذٍ بعضهم لِبعض عدو إلا المتقين**.

وقال مجاهد: قال ابن عباس: أَحِب لله، وأبغض لله، ووالِ لله، وعادِ لله، فإنه إنما ينال ما عند الله بهذا، ولن ينفع أحد كثرة صومه، وصلاته، وحجه، حتى يكون هكذا، وقد صار الناس اليوم يحبون ويبغضون للدنيا، ولن ينفع ذلك أهله، ثم قرأ **الأخِلاءُ يومئذٍ بعضهم لِبعض عدو إلا المتقين**.

٥٢- وقوله ﷻ: ادخلُوا الجنةَ أنتم وأزواجكُم تحبرونَ [آية: ٧٠].

قال يحيى **بن** أبي **كثير سئل النبي** ﷺ **عن قوله تعالى: أنتم وأزواجكُم تحبرونَ** قال: «**اللذة: والسماع** بما **شاء الله من ذكره**»(١).

قال قتادة: **تحبرونَ**: تنعمون.

٥٦- ثم **قال ﷻ: يطَاف عليهم بِصِحافٍ من ذَهبٍ وأكْوابٍ** [آية: ٧١].

روى سعيد عن قتادة قال: الأكواب دون الأباريق، قال: وبلغني أنها مدورة، وكذلك هي عند أهل اللغة، إلا أنها لا آذان لها، ولا عرى.

٥٧- وقوله ﷻ: لاَ يفَتر عنهم وهم فِيهِ مبلِسونَ [آية: ٧٥].

مأخوذ من الفترة، والفتور، والفتر.

والمبلس: المتحير، الذي قد يئس من الخير.

٥٨- وقوله ﷻ: ونادوا يا مالِك لِيقْض علينا ربك قَالَ إنكُم ماكِثُونَ [آية: ٧٧]. **قال مجاهد**: ما كنا ندري ما معنى **ونادوا يا مالِك** حتى وجدنا في قراءة عبد الله **ونادوا يا مال**(٢).

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: ينادون مالكاً أربعين سنة، فيجيبهم بعدها **إنكُم ماكِثُونَ** ثم ينادون رب العزة **ربنا أخرِجنا مِنها فَإنْ عدنا فَإنا ظَالِمونَ** [المؤمنين: ١٠٧] فيسكت عنهم مثل عمر الدنيا، ثم يقول: **اخسؤوا فِيها ولا تكَلمون** [المؤمنين: ١٠٨] قال: فليس بعدها إلا صياح كصياح الحمير، أوله زفير، وآخره شهيق.

---

(١) أخرج هذا الأثر الطبري في سورة الروم ٢٨/٢١.

(٢) هذه من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢٥٧/٢ و«مال» ترخيم «مالك» خازن النار.

٥٩- وقوله ﷻ: أم أبرموا أمرا فإنا مبرمونَ [آية: ٧٩].

قال مجاهد: أي أم أجمعوا على كيد أو شر، فإنا نكيدهم.

قال الفراء: أي أم أحكموا أمراً ينجيهم من عذابنا على قولهم، فإنا نعذ م.

قال أبو جعفر: يقال: أبرم الأمر: إذا بالغ في إحكامه، وأبرم الفاتل: إذا أحكم الفتل، وهو الفتل الثاني، والأول سحيل كما قال:

«من سحِيلٍ ومبرمِ»(١)

ومنه: رجل برم: إذا كان لا يدخل في الميسر، أو كان ضيق الخلق لا يجتمع مع الناس، كما قال الشاعر:

ولاَ برماً تهدى النسـاءُ لِعرسـهِ إذَا القَشع مِن بردِ الشّتاءِ تقَعقَـعا(٢)

و «برمة» من هذا، سميت به، للإلحاح عليها بالإيقاد(٣).

٦٠- وقوله ﷻ: قُلْ إن كانَ للرحمن ولدٌ فأنا أولُ العابِدِين [آية: ٨١].

في **معناه ثلاثة أقوال:**

أ - قال مجاهد: أي قل إن كان للرحمن ولد - في قولكم - فأنا أول من عبده، ووحده، وكذبكم.

ب- وقال الحسن: يقول: ما كان للرحمن ولد.

جـ - وقيل: هو من عبد أي أَنِف كما قال:

وأعبد أنْ تهجى تمِيمٌ بدارمِ(٤)

قال أبو جعفر: أحسنها قول مجاهد، لأن «إنْ» يبعد أن تكون هاهنا بمعنى «ما» لأن

---

(١) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى، وتمامه كما في ديوانه ص ١٤:

يمِيناً لَـنِعم السـّيدان وجِـدتما على كُلِّ حالٍ مِن سحِيلٍ ومبـرمِ

(٢) البيت لمتمم بن نويرة اليربوعي، ذكره الجوهري في الصحاح، وابن منظور في لسان العرب، مـادة (برم).

(٣) البرمةُ: قِدر من حجارة، وجمعها برم.

(٤) هذا عجز بيت للفرزدق، وهو في اللسان والصحاح مادة (عبد)، ومجـاز القـرآن ٢٠٦/٢، والبحر المحيط ٢٨/٨، والقرطبي ١٢٠/١٦ وتمامه:

أولئك قَوم إنْ هجـوني هجـوتهم وأعبد أنْ أهجـو كُلَيبـاً بِـدارِمِ

ذلك لا يكاد يستعمل إلا وبعد «إنْ» إلا.

وأيضاً فإن بعدها ألفاً، وأكثر ما يقال، إذا أنف الإنسان وغضب، وأنكر الشيء: عَبِد فهو عَبِد، كما يقال: حذِر، فهو حذِر.

وقول مجاهد بين أي إن كان للرحمن ولد -على زعمكم وقولكم- كما قال تعالى: **أين شركائي** ؟ فأنا أول من خالفكم ووحد الله ﷻ.

ومعنى **العابدين** كمعنى الموحدين، لأنه لا يقال: عابد، إلا لموحدٍ.

٦١- وقوله ﷻ: وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم [آية: ٨٤].

قال قتادة: أي يعبد في السماء، وفي الأرض.

وروي عن عمر، وأبي، وابن مسعود **وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله** (١).

٦٢- وقوله ﷻ: ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق [آية: ٨٦].

قال قتادة: المسيح، وعزير، قد عبدا من دون الله، ولهما شفاعة.

وقال مجاهد: لا يشفع المسيح، وعزير، والملائكة، إلا لمن شهد بالحق، قال: «لا إله إلا الله».

قال أبو جعفر: قول قتادة أبين، وقول مجاهد على أنه استثناء ليس من الأول.

٦٣- وقوله ﷻ: وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون [آية: ٨٨].

وسنبين معنى **وقيله يا رب** في الإعراب إن شاء الله(٢).

---

(١) هذا القول ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٢١/١٦، ورده فقد قال: وروي أنه قرأ عمر، وابن مسعود وغيرهما وهو الله في السماء إله وفي الأرض إله قال: وهذا خلاف المصحف. وانظر زاد المسير ٣٣٣/٧، وابن كثير ٢٢٩/٧.

(٢) قال النحاس: أن الضمير في قيله عائد على النبي ﷺ، وفيها قراءتان: النصب وقيله على أنه معطوف على الجملة قبله، والمعنى: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم، وقيله؟ والثاني على أن معناه: وعوده علم الساعة، وعلم قيله، وقراءة الجر قراءة عاصم وحمزة. إعراب القرآن للنحاس ١٠/٣، وانظر الطبري ١٠٦/٢٥ وزاد المسير ٣٣٤/٧.

٦٤- وقوله ﷻ: ﴿فَاصفَح عنهم وقُلْ سلاٌمٌ فَسوف يعلُمونَ﴾ [آية: ٨٩].

قال قتادة: في قوله: ﴿**فَاصفَح عنهم**﴾ قيل له هذا، ثم نسخ بالأمر بالقتال.

«انتهت سورة الزخرف»

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيم

سورة الدخان وهي مكية

١- قوله ﷻ: حم * والْكِتابِ الْمبِينِ * إِنا أنزلْناه فِي لَيلَةٍ مباركَةٍ إِنا كُنا منذِرِين [آية: ١- ٣].

قال مجاهد وقتادة: فِي لَيلَةٍ مباركَةٍ : ليلة القدر.

قال أبو جعفر: في معنى **هذه الآية ثلاثة أقوال:**

أ - فمن أصحها ما رواه حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: «أُنزل القرآن في ليلة القدر، إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل به جبرائيل في عشرين سنة» وهذا إسناد لا يدفع.

ب- وقيل المعنى: إنا أنـزلناه قرآناً في تفضيل ليلة القدر.

وهو قوله تعالى: لَيلَةُ الْقَدرِ خيرٌ من أَلْفِ شهرٍ [القدر: ٣]. فهذان قولان.

جـ - وقيل المعنى: إنا ابتدأنا إنـزاله في ليلة القدر، كما تقول: أنا أخرج إلى مكة غداً، أي أنا أبتدئ الخروج.

٢- وقوله ﷻ: فِيها يفْرق كُل أَمرٍ حكِيمٍ. أمرا من عِندِنا إِنا كُنا مرسِلِين [آية: ٤-٥]. في **معناه قولان متقاربان:**

قال ابن عباس: يحكم الله ﷻ أمر الدنيا إلى قابل، في ليلة القدر، ما كان من حياةٍ، أو موتٍ، أو رزق.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، ومجاهد، وقتادة: نحواً من هذا، إلا أن مجاهداً قال: إلا الشقاء، والسعادة، فإنهما لا يتغيران.

قال أبو جعفر: فهذا قولٌ.

والمعنى عليه: أنه تؤمر - ليلة القدر - الملائكة بما يكون من القَطْرِ، والرزق، والحياة، والموت، إلى قابل.

ومعنى «يفْرق» و«يؤمر» واحدٌ، كأنه قال: يؤمر كل أمرٍ حكيم، أمراً من عندنا.

والقول الآخر: أنها ليلة النصف من شعبان، يبرم فيها أمر السنةِ، وينسخ الأحياء من الأموات، ويكتب الحاج، فلا يزاد فيهم، ولا ينقص منهم أحد.

وقال غيره: يفْرق : يقضى، ويفصل في تلك الليلة، إلى مثلها من السنة الأخرى.

و **حكيم** بمعنى محكم.

وقيل: إن معنى **يفرق** : يفصل، أي يفصل بين المؤمن، والكافر، والمنافق، فيقال للملائكة هذا، ويعرفونه.

٣- وقوله ﷻ: فارتقب يوم تأتي السماءُ بدخانٍ مبينٍ [آية: ١٠].

روى إسرائيل عن أبي **إسحاق، عن الحارث، عن علي بن** أبي **طالب** عليه السلام**، قال:** «آية الدخان لم تمض بعد وستكون، يأتي دخانٌ يصيب المؤمنين الزكام، وينقَد الكافر»[1].

وروى الأعمش عن أبي **الضحى عن مسروق، قال:** «جلس رجلٌ فقال: إن الدخان لم يكن، وإنما يكون يوم القيامة، يأخذ المؤمنين منه مثل الزكام، ويشتد على الكافرين والمنافقين، فدخلنا على عبد الله بن مسعود وهو متكئٌ، فحكينا له ما قال، فقام فجلس مغضباً وقال: إذا سئل أحدكم عما لا يعلم فليقل: لا علم لي به، فإن الله ﷻ يقول لنبيه: **قلْ ما أسألكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلفين** [ص: ٨٦] وسأخبركم عن الدخان.. إن قريشاً استعصت على رسول الله ﷺ وكفرت، فدعا الله ﷻ عليها أن يجوعها، فأصا ا جوع شديد، حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخاناً، من الجوع والحر، فقالت قريش: **ربنا اكْشف عنا الْعذاب إنا مؤمنونَ** [آية: ١٢] فكشفه الله عنهم فعادوا، ثم بطش م البطشة الكبرى يوم بدرٍ، ولو كان الدخان يوم القيامة، ما كُشف عنهم»[2].

٤- وقوله ﷻ: إنا كاشفُو الْعذَابِ قليلاً إنكُم عائدونَ [آية: ١٥].

يجوز أن يكون المعنى**:** إنكم عائدون في المعاصي.

ويجوز أن يكون بمعنى**:** ميتين.

٥- وقوله ﷻ : يوم نبطش الْبطْشةَ الْكُبرى إنا منتقمونَ [آية: ١٦].

قال أبي **بن كعب، وابن مسعود** في **الْبطْشةَ الْكُبرى** : إ ا يوم بدر.

---

(١) والقد: الشق، يقال: قددته فانقد، والمراد أن الكافر يأخذه الدخان حتى ينشق جوفه، وهـذا الأثر عن علي أخرجه ابن أبي حاتم وعبد بن حميد، ولفظه «إن الدخان لم يمض بعد، يأخـذ المؤمن كهيئة الزكام، وينفخ الكافر حتى ينقد». وانظر الدر المنثور ٢٩/٦.

(٢) الحديث رواه البخاري في التفسير ١٦٤/٦، من حديث مسروق عن عبد الله بن مسـعود، وأخرجه أحمد في المسند وأبو نعيم، والبيهقي، وذكـره الطـبري ١١٢/٢٥، وابـن كـثير ٢٣٢/٧، والسيوطي في الدر المنثور ٢٨/٦.

وروى عوف، وقتادة، عن الحسن يوم نبطِش البطْشةَ الكُبرى إنا منتقِمونَ قال: يوم القيامة.

٦- وقوله ﷻ: ولَقَد فَتنا قَبلَهم قَومَ فِرعونَ وجاءَهم رسولٌ كَريمٌ [آية: ١٧].

روى سعيد عن قتادة قال: ابتليناهم.

قال: وجاءَهم رسولٌ كَريمٌ : يعني موسى ﷺ.

قال: وأن لا تعلُوا على [آية: ١٩]: أن لا تعتوا.

قال: وقوله: إني آتيكُم بسلْطانٍ مبينٍ [آية: ١٩] أي بعذرٍ مبين.

٧- ثم **قال ﷻ: وإني عذْت بربي وربكُم أن ترجمون** [آية: ٢٠].

قال قتادة: بالحجارة.

قال الفراء: الرجم هاهنا: القتل.

وروى إسماعيل بن أبي **خالد، عن أبي صالح** في **وإني عذْت بربي وربكُم أن ترجمون** قال: أن يقولوا: ساحر، أو كاهن، أو شاعر.

٨- ثم **قال ﷻ: وإن لم تؤمِنوا لِي فَاعتزِلُون** [آية: ٢١].

أي دعوني كفافاً، لا لي، ولا عليّ.

٩- وقوله ﷻ: واترِكِ البحر رهواً إنهم جندٌ مغرقُونَ [آية: ٢٤].

روى عكرمة عن ابن عباس قال: رهوا : طريقاً.

وروى علي بن الحكم عن الضحاك قال: سهلاً.

وروى ابن أبي **نجيح عن** مجاهد **واترِكِ البحر رهوا** : أي ساكناً، لا تأمره أن يرجع إلى ما كان عليه، حتى يحصل فيه آخرهم.

وروي عن مجاهد أنه قال: رهوا : أي يابساً.

قال أبو جعفر: هذه الأقوال متقاربة، ويقال للساكن: رهو، كما قال الشاعر:

والخَيلُ تمرغ رهواً فِي أعِنتِها ... كالطير ينجو مِن الشؤبوبِ ذِي البردِ[1]

---

(١) البيت للنابغة الذبياني، وقد ورد في ديوانه ص ٢٣ بلفظ:

والخَيلُ تمرغ رهـواً فِـي أعِنتِهـا ... كالطير ينجو مِن الشؤبوبِ ذِي البردِ

ولم يرد فيه لفظ «رهوا»، و«تمزع» تسرع في سيرها، والغرب: الحدة والنشاط، وانظر القرطبي =

ويقال: جاء القوم رهواً على نظم واحدٍ.

١٠- وقوله ﷻ: كم تركُوا مِن جناتٍ وعيونٍ * وزروعٍ ومقَامٍ كَرِيمٍ [آية: ٢٥-٢٦]. **قال الفراء: يقال:** المنازل الحسنة، ويقال: المنابر.

١١- ثم **قال ﷻ: فَما بكَت عليهم السماءُ والأرض وما كَانوا منظَرِين** [آية: ٢٩].

روى المسيب بن رافع عن علي عليه السلام **أنه قال:** «يبكي على المؤمن، الباب الذي يصعد منه عمله، ومصلاه من الأرض».

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباسٍ قال: «للمؤمن باب يصعد منه عمله، وينـزل منه رزقه، فإذا مات بكى عليه، وبكى عليه الموضع الذي كان يصلي عليه، ولم يكن في آل فرعون خير، ولا كان لهم عملٌ صالحٌ يصعد، قال الله تعالى: **فَما بكَت عليهم السماءُ والأرض**».

وقيل: المعنى: فما بكى عليهم أهل السماء، وأهل الأرض، كما قال تعالى: **اسأَلِ الْقَريةَ** [يوسف: ٨٢].

قال أبو جعفر: العرب إذا عظمت هلاك إنسان قالت: بكت عليه السماء، وأظلمت له الشمس، على التمثيل كما قال:

والشمس طَالِعةً ليست بِكَاسِـفَةٍ تبكِي عليك نجوم الليل والقمرا[1]

ثم **قال تعالى: وما كَانوا منظَرِين**: أي مؤخرين.

١٢- وقوله ﷻ: ولَقَد نجينا بنِي إِسرائِيلَ مِن الْعذَابِ الْمهِينِ * مِن فِرعونَ إِنه كَانَ عالِيا من الْمسرِفِين [آية: ٣٠-٣١].

قال قتادة: كان يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم.

١٣- ثم **قال ﷻ: ولَقَدِ اخترناهم على عِلْمٍ على الْعالَمِين** [آية: ٣٢].

قال قتادة: على عالمي أهل زمانهم.

١٤- ثم **قال ﷻ: وآتيناهم من الآياتِ ما فِيهِ بلاءٌ مبِينٌ** [آية: ٣٣].

قال قتادة: أنجاهم من عدوهم، وأقطعهم البحر، وأنـزل عليهم المن، والسلوى.

=

١٣٧/١٦، وروح المعاني ١٢٢/٢٥، وفتح القدير ٥٧٤/٤.

(١) البيت لجرير، وهو في ديوانه ص ٢٣٥، وانظر البحر المحيط ٣٦/٨، والقـرطبي ١٤٠/١٦، وزاد المسير ٣٤٦/٧.

قال أبو جعفر: فالبلاء هاهنا النعمة على هذا القول، كما قال الشاعر:

فأبلاهما خير البلاءِ الذي يبلو(١)

وقد يكون البلاء هاهنا: العذاب ضد النعمة أي لحقهم البلاء لما كفروا بآيات الله.

١٥- ثم **قال** ﷻ: **﴿إن هؤلاءِ ليقولونَ * إنْ هِي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين﴾** [آية: ٣٤-٣٥].

«إن هؤلاء» يعني قريشاً «إن هي» بمعنى ما هي، والمنشرون: المبعوثون، أنشر الله الموتى فنشروا، كما قال الشاعر:

يا آل بكرٍ أنشِروا لي كُليبـاً   يا آلَ بكرٍ أين أيـن الفِـرار؟(٢)

١٦- ثم **قال** ﷻ: **﴿فأتوا بآبائِنا إن كُنتم صادِقين﴾** [آية: ٣٦].

الفراء يذهب إلى أن قوله **﴿فأتوا﴾** مخاطبة للنبي ﷺ وحده على ما تستعمله العرب في مخاطبة الجليل.

١٧- ثم **قال** ﷻ: **﴿أهم خيرٌ أم قوم تبعٍ والذِين مِن قبلِهم أهلكْناهم﴾** [آية: ٣٧].

قالت عائشة: كان تبع(٣) رجلاً صالحاً، فذم الله قومه، ولم يذمه.

وقال سعيد بن جبير: سأل ابن عباس كعباً: كيف ذكر الله ﷻ قوم تبعٍ، ولم يذكر تبعاً؟ فقال: كان تبع ملكاً من الملوك، وكان قومه كهاناً، وكان معهم قوم من أهل الكتاب، فكان قومه يكذبون على أهل الكتاب عنده، فقال لهم جميعاً: قربوا قرباناً، فقربوا فتقبل قربان أهل الكتاب، ولم يتقبل قربان قومه، فأسلم فلذلك ذكر الله قومه، ولم يذكره.

---

(١) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه ص ١٠٩ وصدره:

رأى الله بالإحسان ما فعلا بكـم   فأبلاهما خير البلاءِ الـذي يبلـو

أي صنع لهما خير الصنيع الذي يبتلي به عباده، وعلى هذا يكون البلاء بالنعمة هنا، وهو قول الحسن، وقتادة، ومعنى الآية ﴿ما فِيهِ بلاءٌ مبِين﴾ أي ما فيه نعمة ظاهرة كما قـال تعـالى: ﴿وليبلِي الْمؤمِنين مِنه بلاءً حسنا﴾ [الأنفال: ١٧].

(٢) البيت لمهلهل بن ربيعة، وهو من شواهد سيبويه ص ٨٧، وانظر شـرح سـيبويه للأعلـم ٣١٨/١ والخصائص لابن جني ٢٢٩/٣، وخزانة الأدب ٣٠٠/١.

(٣) هو تبع الحميري أحد ملوك -سبأ- اليمن، وقد ذكر أنه كان ملكا مؤمنا وقومـه كفـار، وروى الطبري بسنده عن عائشة «لا تسبوا تبعا فإنه كان رجلا صـالحا»، انظـر الطـبري ١٢٨/٢٥، وابن كثير ٢٤٢/٧، والقرطبي ١٤٥/١٦.

١٨- وقوله ﷻ: ﴿ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ [آية: ٣٩].

﴿إلا بالحق﴾ أي إلا لإقامة الحق.

١٩- وقوله ﷻ: ﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيئًا ولا هم ينصرون﴾ [آية: ٤١].

المولى: الولي، والناصر، كما قال الشاعر:

فَغدت كِلا الفَرجين تحسِب أنه ... مولى المَخافةِ، خلفُها وأمامها(١)

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**من كنت مولاه، فَعلِي مولاه**»(٢).

في **معناه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن يكون المعنى: من كنت أتولاه فعلي يتولاه.

والقول الثاني: من كان يتولاني تولاه.

والقول الثالث: أنه يروى أن أسامة بن زيد قال لعلي عليه السلام: لست مولاي إنما مولاي رسول الله ﷺ فقال عليه السلام: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**»(٣).

٢٠- وقوله ﷻ: ﴿إن شجرت الزقوم. طعام الأثيم﴾ [آية: ٤٣-٤٤].

قال شعبة: سمعت سليمان عن مجاهد قال: كان ابن عباس جالساً وفي يده محجن، والناس يطوفون بالبيت، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس اتقوا الله ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، فلو أن قطرة من الزقوم قطرت على أهل الدنيا، لأمرت عليهم عيشهم، فكيف بمن طعامه الزقوم؟**»(٤).

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة، وهو في ديوانه ص ٣١١، وانظر الصحاح للجوهري واللسان مادة (ولي).

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٦٨/٤، والترمذي في المناقب برقم ٣١٧٤، وسنده صحيح، وانظر فيض القدير للمناوي ٢١٧/٦.

(٣) ذكر هذه الرواية الإمام المناوي في فيض القدير على شرح الجامع الصغير ٢١٨/٦، وذكرها ابن الأثير في النهاية عند ذكره الحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال: الولي: الناصر، وقد تكرر ذكر المولى في الحديث وهو اسم يقع على معان كثيرة منها: السيد والمنعم، والمعتق، والناصر، وابن العم، والحليف، وكل من ولي أمراً فهو مولاه ووليه، ثم قال: وسبب الحديث أن اسامة قال لعلي: لست مولاي.. الحديث، قال الهروي: أي من أحبني وتولاني فليتوله.

(٤) الحديث رواه الترمذي في سننه بلفظ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا، لأفسدت =

قال أبو الدرداء: ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾: طعام الفاجر.

٢١- ثم قال ﷻ: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ. كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ [آية: ٤٥-٤٦].

روى سعيد بن جبير، وأبو ظبيان عن ابن عباس قال: المهل: دردي الزيت.

ثم **قال: ﴿تَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾** يعني الشجرة.

ومن قال: ﴿يَغْلِي﴾: جعله للطعام، والزقوم.

وقال الفراء وأبو حاتم: من قال ﴿يَغْلِي﴾ جاز أن يجعله للمهل.

قال أبو جعفر: وهذا غلطٌ، لأن المهل ليس هو الذي يغلي في البطون، وإنما شبه به ما يغلي. والحميم: الماء الحار، كما قال:

«فيها كِباءٌ معد وحميمٌ»(١)

الكِباء: البخور، يقال: كببت العود أي بخرته، والكِبا مقصور: الكُناسة.

٢٢- ثم قال ﷻ: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [آية: ٤٧].

أي يقول للملائكة: خذوه فاعتلوه.

قال مجاهد: أي فادفعوه.

قال أبو جعفر: يقال: عتله، يعتِله، ويعتُله: إذا جره بعنف، وشدة.

قال قتادة: ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ إلى وسط الجحيم.

٢٣- وقوله ﷻ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [آية: ٤٩].

وقرأ الحسن بن علي عليهما السلام ﴿ذُقْ أَنَّكَ﴾ بفتح الهمزة، وهي قراءة الكسائي، والمعنى عليها: ذق لأنك كنت تقول هذا، والمعنى: على قولك.

=

على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه» قال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح. ورواه ابن ماجه برقم ٤٣٨٠، في باب صفة النار، وذكره الطبري عن مجاهد عن ابن عباس ١٣١/٢٥ وابن كثير ١٧/٧.

(١) هذا شطر بيت لشمر للمرقش، كما في لسان العرب، و تهذيب اللغة مادة «حميم» وتمامه:

كل عِشاءٍ لها مِقْطَرة ... ذات كباءٍ معدّ وحميم

قال الأزهري: الحميم عند ابن الأعرابي من الأضداد، يكون الماء البارد، ويكون الماء الحار، قال الشاعر:

وساغَ لي الشراب وكُنت قبلاً ... أكاد أغَصّ بالماءِ الحَمِيمِ

قال قتادة: أنـزل الله ﷻ «أبي جهل» الآية **أولى لك فأولى. ثم أولى لك فأولى** [القيامة: ٣٤-٣٥] فقال: أيوعدني محمد، وما بين جبليها أعز مني ولا أكرم؟ فأنـزل الله: **ذق إنك أنت العزيز الكريم** وأنـزل فيه: **كلا لا تطعه واسجد واقترب** [العلق: ١٩].

٢٤- وقوله ﷻ: إن المتقين في مقام أمين [آية: ٥١].

قال الكسائي: المقام: المكان، والمقام: الإقامة، كما قال:

عفت الدّيار محلها فمقامها(١)

ومعنى **أمين** أي من العلل والأحزان.

قال قتادة: (أمين) من الشيطان والأنصاب، والأحزان.

٢٥- وقوله ﷻ: يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين [آية: ٥٣].

قال عكرمة: الاستبرق: غليظ الديباج.

قال أبو إسحاق: الاستبرق مأخوذ من البريق، وهو الذي يجعل على الكعبة، والسندس الرقيق منه.

٢٦- ثم قال ﷻ: كذلك وزوجناهم بحور عين [آية: ٥٤].

قال مجاهد: أي أنكحناهم.

قال قتادة: وفي قراءة عبد الله **كذّلك وزوجناهم بعيس عين** (٢) ومعناه: البيض، يقال: جمل أعيس، إذا كان أبيض يضرب إلى الشقرة.

٢٧- ثم قال ﷻ: يدعون فيها بكل فاكهة آمنين [آية: ٥٥].

قال قتادة: آمنين من الموت، والوصب، والشيطان.

وقال غيره: آمنين من انقطاع ذلك، ومن غائلة أذاه، ومكروهه، وليس كفاكهة الدنيا التي لها غائلة، وتنفد.

---

(١) هذا شطر بيت للبيد من أول معلقته، وهو في ديوانه ص ٢٩٧ وتمامه:

عفت الـدّيار محلهـا فمقامهـا   بمنـى تأبـد غولهـا فرجامهـا

وذكره الجوهري في الصحاح مادة «قوم» والقرطبي في جامع الأحكام ١٥٢/١٦.

(٢) هذه القراءة عن ابن مسعود من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢٦١/٢، وذكرها الطـبري ١٣٦/٢٥، والفراء في معاني القرآن ٤٤/٢، والعيساء: البيضاء.

٢٨- ثم قال ﷻ: ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [آية: ٥٦].

المعنى: لا يذقون فيها الموت البتة، ثم قال: **﴿إِلا الْمَوْتَةَ الأُولَى﴾** استثناء ليس من الأول، وأنشد سيبويه:

من كانَ أسرع فِي تفَرق فَـالِجٍ فَلَبونه جربت معـاً وأغَـدتِ[1]

ثم استثنى ما ليس من الأول فقال:

إلا كنَاشِــرةَ الــتي ضــيعتم كَالغصْنِ فِي غُلَوائِــهِ المُتنَبِّــتِ

٢٩- وقوله ﷻ: ﴿فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [آية: ٥٧].

قال الفراء: أي فعل ذلك تفضلاً.

٣٠- وقوله ﷻ: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ [آية: ٥٩].

أي منتظرون.

«انتهت سورة الدخان»

۞ ۞ ۞

(١) البيتان لعنـز بن دجاجة المازني، وهما من شواهد سيبويه ص ٧٣.

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الجاثية وهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ: إِن فِي السماواتِ والأرض لآياتٍ للْمؤمِنِين [آية: ٣].
والمعنى: إن في خلق السماوات والأرض.
ودل عليه قوله تعالى: وفِي خلْقِكُم وما يبث مِن دابةٍ.. [آية: ٤].
وكل ما فيه الروح، فهو دابة.
٢- وقوله ﷻ: وتصرِيفِ الرياحِ آياتٌ لقَومٍ يعقِلُونَ [آية: ٥].
قال قتادة: إن شاء جعلها رحمة، وإن شاء جعلها عذاباً.
٣- وقوله ﷻ: تِلْك آيات الله نتلُوها عليك بِالْحق فَبِأي حدِيثٍ بعد الله وآياتِهِ يؤمِنونَ [آية: ٦].
أي بعد قرآن الله، كما قال تعالى: **واسأل الْقَريةَ** [يوسف: ٨٢].
٤- وقوله ﷻ: ويلٌ لكُل أفاكٍ أَثِيمٍ [آية: ٧].
الأفاك: الكذاب.
٥- وقوله ﷻ: وسخر لَكُم ما فِي السماواتِ وما فِي الأرض جمِيعا منه [آية: ١٣].
روى إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس، قال: منه النور، ومنه الشمس، ومنه القمر.
ويقرأ جمِيعاً منةً [(١)] بمعنى من به مِنةً.
ويقرأ مِنةٌ بمعنى: ذلك منة.
ويجوز منه على أنه مصدر، كما قال تعالى: **صنع الله** [النمل: ٨٨].
٦- وقوله ﷻ: قُل للذِين آمنوا يغفِروا لِلذِين لاَ يرجونَ أيام الله [آية: ١٤].
قال مجاهد: أي لا يبالون نعم الله، أي لا يعلمون أنه أنعم ا عليهم، كما قال تعالى **وذَكرهم بِأيامِ الله** [إبراهيم آية: ٥].

(١) هذه الوجوه من القراءات مِنة، أو مِنةُ، أو منه كلها قراءات شاذة، كما ذكره ابن جني في المحتسب ٢٦٢/٢ وليس فيها شيء من القراءات السبع.

قال أبو جعفر: يجوز أن يكون المعنى: لا يرجون البعث، أي لا يؤمنون به.

وقال قتادة: **هذه الآية منسوخةٌ بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾** [آية: ٥].

٧- وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٨].

روى سعيد عن قتادة، قال: الشريعةُ: الفرائض، والحدود، والأمر، والنهي.

قال أبو جعفر: الشريعةُ في اللغة: المذهب، والمِلةُ، ومنه شرع فلانٌ في كذا، ومنه الشارع لأنه طريق إلى المقصد، فالشريعة ما شرع الله لعباده من الدّين، والجمع: الشرائع أي المذاهب.

٨- وقوله ﷻ: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٢٠].

أي هذا القرآن.

٩- وقوله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [آية: ٢١].

﴿اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي: كسبوا السيئات، ومنه **﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾** [الأنعام: ٦٠] ومنه الجوارح أي الكواسب.

١٠- وقوله تعالى: ﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [آية: ٢١].

قال مجاهد: المؤمن يموت مؤمناً، ويبعث مؤمناً، والكافر يموت كافراً، ويبعث كافراً.

ويقرأ: ﴿سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾.

وقرأ الأعمش: ﴿سَوَاءٍ مَحْيَاهُمْ وَمَاتُهُمْ﴾[(١)].

قال أبو جعفر: القراءة الأولى أحسن من جهة المعنى على قول مجاهد، وهي أيضاً أجود عند النحويين من جهة الإعراب.

وقراءة الأعمش على البدل، وعند الفراء بمعنى الظرف.

١١- وقوله ﷻ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [آية: ٢٣].

قال سعيد بن جبير: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن منه، قال: هذا

---

(١) قراءة الجر ﴿سواء محياهم ومماتهم﴾ ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٤٧/٨، وليست من القراءات السبع.

أحسن من هذا، فعبده.

وقال الحسن وقتادة في **قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾** قال: المنافق إذا هوي شيئاً ركبه.

ثم **قال: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾** [آية ٢٣].

روي عن ابن عباس أنه قال: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ قد علمه عنده.

وقيل: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أنه لا ينفعه، ولا يضره.

١٢- وقوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [آية: ٢٤].

يقال: هم لا يقرون بالبعث، فما معنى ﴿**نَمُوتُ وَنَحْيَا**﴾؟

ففيه ثلاثة أجوبة:

١- منها أن المعنى: يموت بعضنا، ويحيا بعض.

٢- ومنها أن في **الكلام تقديماً وتأخيراً وأن المعنى:** نحيا، ونموت.

٣- والجواب الثالث: أن معنى ﴿**نَمُوتُ**﴾ نخلق مواتاً، ثم نحيا في الدنيا.

وقوله ﷻ: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾:

قال مجاهد: أي الزمان أي مر السنين، والأيام.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر**»(١).

في **معناه ثلاثة أقوال**:

١- منها أن المعنى: لا تسبوا خلقاً من خلق الله، فيما لا ذنب له فيه «فإن الله هو الدهر» أي خالق الدهر، كما قال تعالى: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**﴾ [يوسف: ٨٢].

٢- وقيل: لما كانوا يقولون فعل الله بالزمان، فإنه قد فعل بنا كذا، وكان الله ﷻ هو القاضي بتلك الأشياء، قال لهم: لا تسبوا فاعل الأشياء، فإن الدهر ليس يفعلها.

٣- وقد روي «**فإن الله هو الدهر**» والمعنى عليه: لا تسبوا الدهر، فإن الله مقيم الدهر، أي مقيم أبداً لا يزال.

---

(١) الحديث رواه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ١٧٦٣/٤، وأحمد في المسند ٢٩٩/٥، ورواه البخاري في كتاب التفسير ١٦٦/٦ بلفظ: (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار).

وقد روي عن ابن عباس فـي قوله تعالى: وما لهم بذلك من علم قال: قولهم لا نبعث.

١٣- وقوله ﷻ: وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها [آية: ٢٨].

في **معناه قولان:**

روى ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، وابن عيينة عن ابن جريج، عن مجاهد في قوله تعالى: **وترى كل أمة جاثية** قال: مستوفرين على الركب.

قال مجاهد - في رواية ابن أبي نجيح - الأمة هاهنا: الواحد.

قال سفيان بن أبي عيينة: ولا يكون المستوفز إلا على ركبتيه، وأطراف أصابعه.

قال الضحاك: جاثية : عند الحساب.

فهذا قول.

وقال الفراء في قوله تعالى: وترى كل أمة جاثية قال: أهل كل دين، وجاثية: مجتمعة.

قال أبو جعفر: قد يقال لما اجتمع من التراب: جثْوةٌ، فأحسِب الفراء أخذه من هذا، قال الشاعر:

ترى جثْوتين من ترابٍ عليهمـا صفائح صم من صفيحٍ منضدِ[(1)]

والقول الأول أعرف، وأشهر.

١٤- وقوله ﷻ: كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزونَ ما كنتم تعملونَ [آية: ٢٨]. في **معناه قولان:**

أحدهما: أن كتا ا ما فُرض عليها، من حلال وحرام.

والقول الآخر: أن كتا ا ما كتبت الملائكة عليها. وهذا أولى، لأن بعده ما يدل عليه.

١٥- وقوله ﷻ: هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملونَ [آية: ٢٩].

ينطق أي يبين. أي تنظرون فتذكرون ما عملتم.

ثم **قال تعالى: إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملونَ** [آية ٢٩].

---

(١) البيت لطرفة بن العبد، وهو في ديوانه ص ٤٨، وانظر القرطبي ١٦/١٧٤، والبحـر المحـيط ٨/٥٠.

في **معناه قولان:**

أحدهما: أن المعنى ما تكتبه الملائكة، وتنسخه من أعمال بني آدم.

والقول الآخر: رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: فرغ الله ﷻ مما هو كائن، فتنسخ الملائكة ما يعمل يوماً بيوم، من اللوح المحفوظ, فيقابل به ما يعمله الإنسان, لا يزيد على ذلك، ولا ينقص.

قال: فقيل لابن عباس: ما توهمنا إلا أ م يكتبونه بعدما يعمل!! فقال: أنتم قوم عرب، والله ﷻ يقول ﴿إنا كُنا نستنسِخ﴾ ولا يكون الاستنساخ إلا من نسخةٍ.

١٦- وقوله ﷻ: ﴿وأما الذِين كفَروا أفَلَم تكُن آياِتي تتلى عليكُم فَاستكْبرتم وكُنتم قَوما مجرِمِين﴾ [آية: ٣١].

في الكلام حذف، والمعنى: فيقال لهم: أم تكن آياتي تتلى عليكم؟

١٧- وقوله ﷻ: ﴿وِقيلَ الْيوم ننساكُم كَما نسِيتم ِلقَاءَ يومِكُم هذَا﴾ [آية: ٣٤].

روى معمر عن قتادة، قال: فاليوم نترككم، كما تركتم لقاء يومكم هذا.

قال أبو جعفر: المعنى على هذا: فاليوم نترككم في النار، كما تركتم العمل ليومكم هذا!!

١٨- وقوله ﷻ: ﴿وله الْكِبرِياءُ ِفي السماواتِ والأَرضِ وهو الْعزِيز الْحكِيم﴾ [آية: ٣٧].

الكبرياء: العظمة.

«انتهت سورة الجاثية»

❁ ❁ ❁

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأحقاف وهي مكية

١- من ذلك قوله ﷻ: ما خلقْنا السماواتِ والأرض وما بينهما إلا بِالْحق [آية: ٣]. أي إلا لإقامة الحق.

ثم **قال: والذِين كفَروا عما أنذِروا معرِضونَ** [آية ٣].

أي أعرضوا بعدما تبين لهم الحق من خلق الله ﷻ.

٢- ثم **احتج عليهم فيما يعبدون فقال: قُلْ أرأيتم ما تدعونَ مِن دون الله** [آية: ٤].

المعنى: ما تدعونه إلهاً من دون الله.

أروني ماذَا خلقُوا مِن الأرض أم لَهم شِركٌ فِي السماواتِ؟ [آية: ٤]

أي في خلق السموات.

ائْتوني بِكِتابٍ من قَبل هذَا [آية: ٤]. أي بكتاب فيه برهان على ما قلتم.

أو أثَارةٍ من عِلْمٍ [آية: ٤].

قال مجاهد: أحد يأثر علماً.

وقال الحسن: شيء يثار أو يستخرج.

وقال أبو عبيدة: أثَارةٍ : بقية.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال متقاربة، لأن البقية هو شيءٌ يؤثر، ومعروف في اللغة أن يقال: سمنت الناقة على أثارةٍ أي على بقية من سِمنٍ.

ويقرأ أو أثَرةٍ [١].

روى أبو سلمة عن ابن عباس أو أثَارةٍ من عِلْمٍ قال: الخط.

حدثنا محمد بن أحمد - يعرف بالجريجي - حدثنا بندار، أنبأنا يحيى بن سعيد عن سفيان الثوري، عن صفوان بن سليم، عن أم سلمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: **أو أثَارةٍ من عِلْمٍ** قال: الخط.

---

(١) هذه القراءة رويت عن الأعمش أو أثرة وهي ليست من السبع، بل هي قراءة شاذة، كما في المحتسب لابن جني ٢٦٤/٢.

وروى سعيد عن قتادة ﴿أو أثَرةٍ من عِلْمٍ﴾ قال: خاصة من علم.

قال أبو جعفر: يقال لفلان عندي أَثَرةٌ، أُثْرةٌ: أي شيءٌ أخصه به، ومنه آثرت فلاناً على فلان.

ويجوز أن يكون ﴿أثَرةٌ﴾ خبراً عن بعض الأنبياء ﷺ عليهم، من أثَرت الحديثَ، وذا قول أبي عبيدة.

٣- وقوله ﷻ: ﴿هو أعلَم ِبما تفِيضونَ ِفيِه﴾ [آية: ٨].

قال مجاهد: أي تقولونه.

٤- وقوله ﷻ: ﴿قُلْ ما كُنت ِبدعا من الرسل وما أدري ما يفْعلُ ِبي ولا ِبكُم﴾ [آية: ٩].

قال مجاهد. في **قوله تعالى: ﴿قُلْ ما كُنت ِبدعا من الرسل﴾**: أي أول من أُرسل.

وقوله تعالى: ﴿وما أدري ما يفْعلُ ِبي ولا ِبكُم﴾ وقد قال في موضع آخر: **﴿ِليغِفر لَك الله ما تقَدم ِمن ذَنِبك وما تأخر﴾** [الفتح: ٢].

فالجواب في **هذا:** أنه ليس من ذاك، وإنما المعنى - والله أعلم - وما أدري ما يفعل بي ولا بكم، من جدبٍ أو غيره.

ويبين هذا أنه يروى أن النبي ﷺ رأى رؤيا سرت أصحابه، فاستبطأوا تأويلها، فأنزل الله ﷻ **﴿وما أدري ما يفْعلُ ِبي ولا ِبكُم﴾**.

٥- وقوله ﷻ: ﴿قُلْ أرأيتم ِإن كانَ ِمن عِندِ الله وكَفَرتم ِبِه وشهد شاهِدٌ من بِني ِإسراِئيلَ على ِمثِْلِه فَآمن واستكْبرتم﴾ [آية: ١٠].

قيل: في الكلام حذف لعلم السامع به.

والمعنى: أرأيتم إن كان من عند الله، وشهد شاهد من بني إسرائيل، ممن تثقون به، وتقفون على صدقه وعلمه، على ما شهد النبي ﷺ، وكفرتم به، أليس قد غررتم، وأتيتم أمراً، قبيحاً، واجترأتم عليه؟! فأما الشاهد من بني إسرائيل فقيل: إنه «عبد الله بن سلام».

روى مالك عن أبي النضر، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، قال: «ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض: إنه من أهل الجنة، إلا لعبد الله ابن سلام، وفيه نزلت ﴿وشهد شاهِدٌ من بِني ِإسراِئيلَ على ِمثِْلِه فَآمن واستكْبرتم﴾»[1].

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ٤٦/٥، ومسلم في فضائل الصحابة ١٦٠/٧ =

وقال الحسن، ومجاهد، والضحاك: ﴿وشهد شاهدٌ من بني إسرائيلَ﴾: عبد الله ابن سلام.

قال أبو جعفر: وفي الآية قولان آخران:

أ - قال مسروق: ليس هو «عبد الله بن سلام» لأن السورة مكية، والمعنى لموسى ﷺ والتوراة، وأهل الكتاب، أنـزل الله ﷻ التوراة على موسى، فآمن بها أهل الكتاب ﴿وكفرتم به﴾ مخاطبة لقريش، قال ﴿سبقونا إليه﴾ يعني أهل الكتاب.

ب - روى ابن عون، عن الشعبي، في قوله تعالى: ﴿وشهد شاهدٌ من بني إسرائيلَ على مثله﴾ قال: هو رجلٌ من أهل الكتاب، وليس بعبد الله بن سلام، لأن السورة مكية، وإنما أسلم عبد الله بن سلام، قبل وفاة النبي ﷺ بعامين.

قال أبو جعفر: هذا الاعتراض لا يلزم، وسئل «محمد بن سيرين» عن هذا بعينه فقال: كانت الآية تنـزل فيقال لهم: ألحقوها في سورة كذا، وكذا.

قال أبو جعفر: فهذا جواب عن ذاك.

ويجوز أن تكون الآية نـزلت بمكة، ويكون المعنى: أرأيتم إن كان من عند الله، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله أتؤمنون؟

وقال الحسن: نـزل هذا بمكة فآمن عبد الله بن سلام بالمدينة.

٦ - ثم قال ﷻ: ﴿وقالَ الذين كفروا للذين آمنوا لو كانَ خيرا ما سبقونا إليه﴾ [آية: ١١].

قال مسروق: هم أهل الكتاب.

وقال الحسن: أسلم، وغِفار، فقالت قريش: لو كان خيراً ما سبقونا إليه.

٧ - وقوله ﷻ: ﴿وهذا كتابٌ مصدقٌ لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين﴾ [آية: ١٢].

فيه جوابان:

أحدهما: أن المعنى: مصدق له أي لكتاب موسى ؏، ثم حذف، لأن قبله ﴿ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمةً﴾.

=

ورواه النسائي أيضاً وابن جرير، وابن مردويه، عن سعد بن أبي وقاص بهذا اللفـظ، وانظـر السيوطي في الدر المنثور ٣٩/٦ وروح المعاني للألوسي ٣/٢٦.

و **عربياً** حال، و **لساناً** توطئة للحال أي توكيد، كما يقال: جاءني زيد رجلاً صالحاً، ويقوي هذا أنه في قراءة عبد الله **وهذا كتابٌ مصّدقٌ** لما بين **يديه لساناً عربيا** .

والجواب الآخر: أن يكون **لساناً** مفعولاً، يراد به النبي ﷺ، ويكون المعنى: ذا لسانٍ عربي.

ثم **قال: لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين** [آية: ١٢].

يجوز أن يكون المعنى: وهو بشرى.

وأن يكون المعنى: وتبشر المحسنين بشرى.

٨- وقوله ﷻ: إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنونَ [آية: ١٣].

قد بينا معنى **ثم استقاموا** فيما تقدم.

٩- وقوله ﷻ: ووصينا الإنسانَ بوالديه إحسانا [آية: ١٥].

إحسانا : أي يحسن إليهما إحساناً.

١٠- ثم **قال تعالى: حملته أمه كُرها ووضعته كُرها** [آية: ١٥].

ويقرأ **كَرهاً** بفتح الكاف وهو عند بعض العربية لحن، لأنه يفرق بينهما.

قال الحسن ومجاهد وقتادة: الكره: المشقة.

والفراء وجماعة من أهل العربية، يذهبون إلى أن الكره بفتح الكاف: القهر، والغصب، فعلى هذا القول يكون لحناً.

وقال الكسائي: الكَره، والكُره، بمعنى واحدٍ، وكذلك هو عند البصريين جميعاً، لا أعلم بينهم اختلافاً، لأن الكَره: المصدر، والكُره: اسم بمعناه.

١١- وقوله ﷻ: حتى إذا بلغَ أشده وبلغَ أربعين سنةً [آية: ١٥].

قال مجاهد: سألت ابن عباس عن قوله تعالى: **حتى إذا بلغَ أشده** فقال: بضعاً وثلاثين سنة.

قال مجاهد: ثلاثاً وثلاثين.

قال أبو جعفر: وقيل: الأشد: ثماني عشرة سنةً.

والأول أشبه، لاتساق الكلام، ألا ترى أن بعده **وبلغَ أربعين سنةً** ؟

وأيضاً فإن البالغ ثلاثاً وثلاثين سنة أولى بهذا الاسم لأنه أكمل.

١٢- وقوله ﷻ: قَالَ رب أوزِعِني أنْ أشكُر ِنعمتك الِتي أنعمت علَي وعلَى واِلدي [آية: ١٥].

روى أحمد **بن عبد الله بن يونس، عن** أبي **بكر بن عياش** في **قوله تعالى: قَالَ رب أوزِعِني أنْ أشكُر ِنعمتك الِتي أنعمت علَي وعلَى واِلدي** قال: هو أبو بكر الصديق، فلم يكفر له أب، ولا أم قال: **وأوزِعِني** : ألهمني.

١٣- وقوله ﷻ: والذِي قَالَ ِلواِلديِه أف لكُما أتِعداِنِني أنْ أخرج وقَد خلَتِ القُرونُ ِمن قَبِلي [آية: ١٧].

قال الفراء: أفّ لَكُما : أي قَذَراً لكما **أتِعداِنِني أنْ أخرج** !!

روى سعيد عن قتادة، قال: «هذا عبد سوءٍ، نعته الله ﷻ، قال لوالديه: أتعدانني أن أُبعث»!!

١٤- وقوله ﷻ: ويوم يعرض الذِين كَفَروا علَى النارِ أذْهبتم طَيباِتكُم ِفي حياِتكُم الدنيا [آية: ٢٠].

وقرأ يزيد بن القعقاع أأذْهبتم طَّيباتكُم ِفي حياِتكُم الدنيا [1]؟ بالاستفهام.

قال أبو جعفر: العرب تقرر، وتوبخ بالاستفهام وغير الاستفهام.

ويروى أن عمر ﷺ **رأى جابر بن عبد الله** ومعه إنسان يحمل شيئاً، فقال: ما هذا؟ فقال: لحم اشتريته بدرهم، فقال: أكلما قام أحدكم اشترى لحماً بدرهم، والله لو شئت أن أكون أطيبكم طعاماً، وألينكم ثوباً، لفعلت، ولكن الله يقول: **أذْهبتم طَيباِتكُم ِفي حياِتكُم الدنيا** ؟ فأنا أترك طيباتي.

١٥- وقوله ﷻ: فَاليوم تجزونَ عذَاب الْهون [آية: ٢٠].

قال مجاهد: الهُونُ: الهَوانُ.

١٦- وقوله ﷻ: واذْكُر أخا عاٍد ِإذْ أنذَر قَومه ِبالأحقَافِ وقَد خلَتِ النذُر ِمن بين يديِه ومِن خلْفِهِ.. [آية: ٢١].

قال قتادة: كانت عاد أحياء من اليمن، منازلهم عند الرمال والدكاوات[2].

---

(١) هذه من القراءات السبع، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٨، وقرأ الجمهـور أذهبـتم طيباتكم وانظر زاد المسير ٣٨٢/٧.

الدكاوات: جمع الدكاء، وهي الرابية من الطين، ليست بالغليظة، والتي لا سنام لها، والدكة: ما استوى من الرمل جمع دكاك. انظر القاموس مادة (دك).

قال أبو جعفر: الحِقف عند أهل اللغة: الرمل المنحني، وجمعه: حِقْفَةٌ، وأحقَاف، وفي الحديث أن النبي ﷺ مر بظبي حاقف، أي منحنٍ متثن[1].

١٧- وقوله ﷻ: قَالُوا أَجِئْتَنا لِتَأْفِكَنا عن آلِهتنا [آية: ٢٢].

معنى: **لِتَأْفِكَنا** لتصرفنا.

١٨- وقوله ﷻ : فَلَما رأوه عارضا مستقبِلَ أَودِيتِهم قَالُوا هذَا عارِضٌ ممطِرنا [آية: ٢٤].

أي فلما رأوا الذي أُوعِدوا، كسحاب عارض، قد اعترض، فيه عذاب، ولم يعلموا أن فيه عذاباً، قالوا: هذا عارض ممطرنا.

روى طاووسٌ عن ابن عباس قال: كان لعادٍ وادٍ، إذا جاء المطر أو الغيم من ناحيته كان غيثاً، فأرسل الله عليهم العذاب من ناحيته، فلما وعدهم هود ﷺ بالعذاب، ورأوا العارض، قالوا: **هذَا عارِضٌ ممطِرنا** قال لهم هود عليه السلام **بلْ هو ما استعجلْتم بِهِ رِيحٌ فِيها عذَابٌ أَلِيمٌ** [آية ٢٤] فقالوا: كذبت، كذبت» فقال الله ﷻ: **فَأَصبحوا لا يرى إِلا مساكِنهم** [آية ٢٥].

١٩- وقوله ﷻ: ولَقَد مكناهم فِيما إِن مكناكُم فِيهِ وجعلْنا لَهم سمعا وأَبصارا وأَفْئِدةً [آية: ٢٦].

قال قتادة: أنبأنا الله أنه قد مكنهم في شيء، لم يمكنا فيه.

قال أبو جعفر: فـ «إنْ» على هذا القول بمعنى «ما».

وقد قيل: إ ا زائدةٌ، والأول أولى، لأنه لا يعرف زياد ا إلا في النفي، وفي الإيجاب «أنْ» بالفتح.

٢٠- وقوله ﷻ: وإِذْ صرفْنا إِلَيك نفَرا من الْجِن يستمِعونَ الْقُرآنَ [آية: ٢٩].

قال زِر بن حبيش: كانوا تسعة نفَرٍ.

---

(١) ذكره ابن الأثير في كتابه النهاية ٤١٣/١ قال: «فإذا ظبي حاقف» أي نائم قد انحنى في نومه. وفي لسان العرب لابن منظور: وظبي حاقف: فيه قولان: أحدهما أن معناه صار في حقف، والآخر أنه ربض، واحقوقف ظهره، قال الأزهري: الظبي الحاقف يكون رابضا في حقف من الرمل، أن منطويا كالحقف، وفي الحديث أنه ﷺ «مر هو وأصحابه وهم محرمون بظبي حاقف في ظل شجرة» وهو الذي نام، وانحنى وانثنى في نومه.

٢١- وقوله ﷻ: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ [آية: ٣٥].

قال قتادة: هم أربعة «نوح»، وإبراهيم، وموسى، وعيسى» صلى الله عليهم.

وقال مجاهد وعطاء الخراساني: أولو العزم من الرسل خمسةٌ: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليهم.

٢٢- وقوله ﷻ: بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ [آية: ٣٥].

أي ذلك بلاغ.

وقرأ عيسى بن عمر بلاغاً [1] وقرأ أبو مجلز **بَلِّغْ** على الأمر.

٢٣- ثم **قال ﷻ: فَهَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ** [آية: ٣٥]

أي فهل يهلك مع رحمة الله، وتفضله، إلا القوم الفاسقون؟

«تم تفسير سورة الأحقاف»

۞ ۞ ۞

---

(١) هذه من القراءات الشاذة، وكذلك قراءة أبي مجلز بلغ شاذة، كما نبه على ذلك ابن جني، انظر المحتسب لابن جني ٢٦٨/٢.

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيم

سورة محمد وهي مدنية

١- من ذلك قوله ﷻ: الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم [آية: ١].

روى أبو يحيى **عن** مجاهد، **عن ابن عباس،** في قوله تعالى: **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله** قال: أهل مكة.

والذين آمنوا وعملوا الصالحات [آية ٢] قال: الأنصار.

وأصلح بالهم [آية ٢] قال: أمرهم.

قال أبو جعفر: معنى **أضل أعمالهم** : أبطلها، كما قال تعالى: **وقالوا أإذا ضللنا في الأرض** [السجدة: ١٠] والمعنى: لم نثبهم على ما عملوا لكفرهم.

ومعنى كفر عنهم سيئاتهم [آية: ٢]: غطى عليها، ولم يؤاخذهم بما عملوا وقت كفرهم.

٢- وقوله ﷻ: كذلك يضرب الله للناس أمثالهم [آية: ٣].

المعنى: كذلك يبين الله أمر الحسنات والسيئات.

ومعنى: ضربت له مثلاً: بينت له ضرباً من الأمثال، أي نوعاً منها.

٣- ثم **قال ﷻ: فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب** [آية: ٤].

أي فاقتلوهم، وذُكرت الرقاب لأن القتل أكثر ما يقع ا.

٤- ثم **قال ﷻ: حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق** [آية: ٤].

قال سعيد بن جبير: لا ينبغي أن يقع أسر، حتى يُثخن بالقتل في العدو[1]، كما قال ﷻ: **ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض** [الأنفال: ٦٧].

٥- ثم **قال ﷻ: فإما منا بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها** [آية: ٤].

---

(١) ذكره القرطبي ٢٢٨/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٤٦/٦ ولفظه: قال سـعيد بـن جـبير فشدوا الوثاق أي لا تأسروهم ولا تأسروهم ولا تفادوهم حت تثخنوهم بالسـيف، أي تكثروا فيهم القتل والجراحات.

قال أبو جعفر: في هذه الآية اختلاف.

قال ابن جريج: كان عطاء يكره قتل الأسير صبراً، لقول الله ﷻ **فإما منا بعد وإما فداءً** وقال: امنن، أو فادِ، ولا تقتل.

وقال قتادة: الآية منسوخة، نسخها قوله تعالى: **فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم** [الأنفال: ٥٧].

وروى شعبة عن الحكم، قال: سألني مغيرة عن آية غامضة منسوخة، وهي قوله تعالى: **فإما منا بعد وإما فداءً** .

وقال الضحاك: هي ناسخة، نسخت قوله تعالى: **فاقتلوا المشركين حيثُ وجدتموهم** [التوبة: ٥].

قال أبو جعفر: البيّن في الآية أ ا ليست بمنسوخة ولا ناسخة، وإنما هذا إباحةٌ، وكذلك القتلُ، لأن النبي ﷺ قد قتل، وفادى، وذكر القتلَ في آية أخرى، وهو **فاقتلوا المشركين حيثُ وجدتموهم** فاجتزأ بذلك.

٦- وقوله ﷻ: حتى تضع الحرب أوزارها [آية: ٤].

قال قتادة: أي حتى يسلم أهل الشّركِ، فسماهم حرباً.

قال سعيد بن جبير ومجاهدٌ في قوله تعالى: **حتى تضع الحرب أوزارها** : حتى ينـزل عيسى بن مريم فيكسر الصليب، ويقتل الخنـزير، وتزول الأديان، إلا دين الإسلام، وتكون الملة واحدة.

قال أبو جعفر: فهذا قولٌ في الآية، أي حتى يضع أهلُ الحرب أوزارهم، فيسلموا أو يسالموا.

وقيل: يعني بالأوزار هاهنا السّلاح كما قال الشاعر:

وأعـددت للحـربِ أوزارهـا رماحاً طِوالاً، وخيلاً ذُكُـوراً[1]

والمعنى على هذا: فشدوا الوثاق حتى تضع الحرب أوزارها، فإما منا بعد وإما فداء.

٧- وقوله ﷻ: ولكن ليبلُو بعضكُم ببعض [آية: ٤].

(١) البيت للأعشي، وهو في ديوانه ص٩٩، وانظر القرطبي ٢٢٩/١٦ ، والبحر المحـيط ٧٤/٨، والصحاح واللسان مادة (وزر).

أي ليمحص المؤمنين، ويمحق الكافرين.

٨- ثم قال ﷻ: والذين قُتِلُوا فِي سبيل الله فلن يضل أعمالهم [آية: ٤].

ويقرأ قَتَلُوا و قُتّلُوا و قُتِلُوا .

٩- وقوله ﷻ : سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنةَ عرفها لهم [آية: ٥-٦]. في **معناه ثلاثة أقوال:**

قال مجاهد: عرفهم بيو ا، ومساكنها، وقسمهم منها، فلا يغلط أحد منهم، فيدخل إلى موضع غيره، ولا يحتاج أن يستدِل.

وقال سلمة بن كهيل: عرفها لهم : عرفهم طرقها، فهذا قولٌ.

وقيل: عرفها : طيبها.

وقيل: عرفها : رفعها.

قال أبو جعفر: القول الأول - وإن كان بعض أهل اللغة قد أنكره، وقال: لو كان كذا لقال: عرفهم ا - أحسن الأقوال وأصحها، ولا يلزم هذا الرد.

والمعنى: بينها لهم فتبينوها.

والقول الثاني: ليس بممتنع، لأنه يقال: طعام معرف أي مطيب.

والقول الثالث: مأخوذ من العرف، لارتفاعه.

وقيل: أي عرف المكلفين من عباده بأ ا لهم.

١٠- وقوله ﷻ: والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم [آية: ٨].

أي ممن ينبغي أن يقال لهم: أتعسهم الله، أي لا جبرهم، وهذا يدعى به على العاثر.

وقال ثعلب: التعس: الشر، قال: وقيل: هو البعد، وانتكس: قُلِب أمره وأُفْسِد.

وقال ابن السكيت: التعس: أن يخر على رأسه، قال والتعس أيضاً: الهلاك.

١١- وقوله ﷻ: دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها [آية: ١٠].

قال مجاهد : وللكافرين التدمير وعيداً من الله .

وقال غيره : فقُتل منهم من قُتل بالسيف.

١٢- وقوله ﷻ: ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم [آية: ١١].

قال قتادة: أي ولي الذين آمنوا.

قال أبو جعفر: وفي قراءة عبد الله كذلك، وقال الشاعر:

فَغدت كِلا الفَرجين تحسِب أنه   مولَى المَخافَةِ خلفُها وأمامهـا[١]

أي ولي المخافة.

وروى سماك **عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾** [آية ١١]. قال: لا مولى لهم غيره.

قال قتادة: نزلت هذه الآية يوم أُحدٍ، والنبي ﷺ في الشّعب، وقد أُثخن في المسلمين بالقتل والجرح، فصاح المشركون: يوم بيوم بدر، لنا العزى، ولا عزى لكم، فأنـزل الله ﷻ ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾.

فقال لهم **النبي** ﷺ **قولوا:** «**الله مولانا، ولا مولى لكم، وقتلانا أحياءٌ يرزقون** في **الجنة، وقتلاكم** في **النار**»[٢].

قال أبو جعفر: والمعنى: الله ولي الذين آمنوا في الهداية، والنصرة.

فلما أخبر بولايته المؤمنين، وخذلانه الكافرين، أعلم بما أعده للمؤمنين والكافرين، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي منـزل لهم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [آية: ١٢].

١٣- ثم **قال** ﷻ: **﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾** [آية: ١٣].

---

(١) البيت من معلقة لبيد بن ربيعة، وهو في ديوانه ص ٣١١، وانظر اللسان، والصحاح مادة (ولي)، وللقرطبي ٢٣٤/١٦.

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند بأوسع من هذا ٤٦٣/١ ولفظه: «فجاء أبو سفيان فقال: اعلُ هبل، فقال رسول الله ﷺ قولوا: الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: لنا عزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله: قولوا: الله مولانا والكافرون لا مولى لهم...» الحديث، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٩٧/٢، والبيهقي في دلائل النبوة.

قال قتادة: يعني أهل مكة، قال: فلا ناصر لهم.

١٤- ثم قال ﷻ: **أفمن كانَ على بينةٍ من ربهِ** [آية: ١٤].

قال قتادة: هو محمد ﷺ.

كمن زين له سوءُ عملِهِ [آية ١٤] قال: هم مشركو العرب.

ثم قال **واتبعوا أهواءَهم** [آية ١٤] على معنى «من».

١٥- ثم قال ﷻ: **مثَلُ الجنةِ التي وعِد المتقُونَ فيها أنهارٌ من ماءٍ غَيرِ آسِنٍ** [آية: ١٥]. ولم يأت بالمماثل.

في **معناه ثلاثة أقوال:**

أ - منها أن مثلاً بمعنى: «صفة» قال ذلك النضر بن شميل، والفراء.

وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام **أنه قرأ أمثَالُ الجَنةِ التي وعِد المُتقُونَ** [1].

قال أبو جعفر: فهذا قولٌ، ويكون على هذا «مثَلٌ» على معنى «مِثْلٍ» ويكون فيه خلاف معناه، كما أن في «عِدلٍ» خلاف معنى «عدل».

ب- وقيل المعنى: مثَلُ الجنة التي وعد المتقون، فيما تعرفون في الدنيا، جنة فيها أ ار.

جـ - والقول الثالث: أن المعنى على التوبيخ والتقرير، أي مثل الجنة التي وعِد المتقون، كمن هو خالد في النار؟ أي مثل المطيع عندكم كمثل العاصي؟

وروى معمر عن قتادة من ماءٍ غَيرِ آسِنٍ . قال: غير منتن.

قال قتادة: الآسن: المتغير، الآجن.

قال أبو جعفر: قول قتادة أصح، لأنه يقال: أسن الماء يأسن ويأسن فهو آسِن وأسِن: إذا أنتن فلم يقدر أحد على شربه، وأجِن يأجن وهو آجن: إذا تغير، وإن كان شرب على كُرهٍ.

١٦- وقوله ﷻ: **وأنهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربين** [آية: ١٥].

يقال: شراب لذيذٌ، ولَذ.

وأنهارٌ من عسلٍ مصفّى [آية ١٥] أي ليس كعسل الدنيا، الذي فيه الشمع وغيره.

ولهم فيها مِن كُلِ الثمراتِ ومغفِرةٌ من ربهم [آية ١٥] أي ولهم مغفرةٌ من ر م.

---

(١) ذكرها ابن جني في المحتسب ٢٧٠/٢ عن علي، وابن عباس، وعدها من القراءات الشـاذة، وكذلك ذكرها الفراء ٦٠/٣.

ثم **قال تعالى: كمن هو خالدٌ في النار** [آية ١٥]

قال أبو جعفر: قد تقدم القول فيها.

وفيه قولٌ آخر، وهو أن المعنى: أمن يخلد في الجنة، وفي هذا النعيم المذكور، كمن هو خالد في النار؟ ثم حذف هذا، لعلم السامع، كما قال تعالى: **أمن هو قانتٌ آناءَ الليل ساجدا وقائما** [الزمر: ٩].

وإن كان قد قيل إن المعنى: يا من هو قانت.

١٧- وقوله ﷻ: ومنهم من يستمع إليك.. [آية: ١٦].

قال قتادة: هم المنافقون.

١٨- ثم **قال تعالى: حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قالَ آنفًا** [آية: ١٦].

أي إذا سمعوا النبي ﷺ يخطب، ثم خرجوا، قالوا للمسلمين استهزاءً: **ماذا قالَ آنفًا** ؟ أي لم نلتفت إلى ما قال.

والمعنى: ماذا قال الساعة، أي في أقرب الأوقات إلينا؟ من قولهم: استأنفت الشيء، وروضة أُنف: لم ترع.

١٩- وقوله ﷻ: والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم [آية: ١٧].

المعنى: زادهم الله هدى، فيكون الضمير يعود على قوله تعالى: **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم** [النحل: ١٠٨].

ويجوز أن يكون المعنى: وزادهم قول النبي هدى.

ويجوز أن يكون المعنى: وزادهم استهزاءُ المنافقين هدى.

ثم **قال تعالى: وآتاهم تقواهم** : أي ألهمهم.

ويجوز أن يكون المعنى: ثواب تقواهم.

٢٠- وقوله ﷻ: فهلْ ينظرونَ إلا الساعةَ أن تأتيهم بغتةً فقد جاءَ أشراطُها [آية: ١٨]. أي فهل ينتظرون إلا أن تأتيهم الساعة فجأة**؟**

فقد جاءَ أشراطُها .

قال الفراء: أي علامتها، الواحد شرطٌ.

٢١- ثم **قال ﷻ: فأنى لهم إذا جاءتهم ذِكْراهم ؟**[آية: ١٨].

قال قتادة: أي فأنى لهم أن يتذكروا؟

قال أبو جعفر: فالمعنى على هذا: فمن أين لهم منفعةُ الذكرى، إذا جاءت الساعة، وانقطعت التوبة؟

٢٢- ثم قال ﷻ: فَاعلَم أنه لا إلهَ إلا الله واستغفِر لِذَنبِك ولِلمؤمِنين والمؤمِناتِ [آية: ١٩]. والمخاطبة للنبي ﷺ مخاطبةٌ لأمته.

أي اثبتوا على هذا.

٢٣- وقوله ﷻ: ويقُولُ الذِين آمنوا لَولاَ نزلَت سورةٌ فَإذَا أُنزِلَت سورةٌ محكَمةٌ وذُكِر فِيها القِتالُ [آية: ٢٠].

قال قتادة: كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة.

قال أبو جعفر: وهذه آية مشكلةٌ، وفي قراءة عبد الله **وإذَا أُنزِلت سورةٌ محدِثَةٌ** (1).

والمعنى واحد، أي لم يقع عليها النسخ، وذُكر فيها القتال.

وإنما كان المسلمون يقولون هذا، لأنهم كانوا يأنسون بنزول الوحي.

رأَيت الذِين فِي قُلُوبِهم مرضٌ [آية ٢٠] أي ريب وشك **ينظُرونَ إِلَيك نظَر المغشِي عليهِ مِن الموتِ** [آية٢٠]. أي نظر مغتاظين مغمومين، كما قال تعالى: **وإن يكَاد الذِين كفَروا لَيزلِقُونك بِأبصارِهِم** [القلم: ٥١] وإنما كانوا يكرهون ذكر القتال، لأنهم إذا تأخروا عنه تبين نفاقهم، فخافوا القتل.

ثم **قال تعالى: فَأولَى لَهم** على التهديد.

وحقيقته: وليهم المكروه، أي أولى لهم المكروه، والعرب تقول لكل من قارب الهلكة ثم أفلت: «أولَى لَك» أي كِدت تهلِك.

كما روي أن أعرابياً كان يوالي رمي الصيد، فيفلت منه، فيقول: أولى لك، ثم رمى صيداً فقاربه، ثم أفلت منه، فقال:

فَلَو كَانَ «أولَى» يطعِم القَوم صِدتهم ... ولَكِن «أولَى» تترك الناس جوعا[2]

٢٤- ثم قال تعالى: طَاعةٌ وقَولٌ معروفٌ فَإذَا عزم الأمر فَلَو صدقُوا الله لَكَانَ

---

(١) هذه ليست من القراءات السبع، بل هي من القراءات الشذاة، ومعنى «محدثة» أي محدثة النزول، انظر القرطبي ٢٤٣/١٦ والطبري ٥٤/٢٦.

(٢) لم أعثر على قائله، وانظر القرطبي ٢٤٤/١٦.

خيرا لهم [آية: ٢١].

قال قتادة: أي طاعة الله، وقولٌ بالمعروف في حقائق الأمور.

أي سمع وطاعة خير لهم.

وقال الخليل وسيبويه: أي طاعة وقولٌ معروف أَمثلُ.

وفي المعنى **قول آخر:** وهو أنه حكى ما كانوا يقولون، قبل نزول القتال، وقبل الفرض.

فالمعنى **على هذا:** يقولون: منا طاعةٌ وقولٌ معروف.

ويدل على صحة هذا القول **فَإِذَا عزم الأمر** .

قال مجاهد: أي جد الأمر.

قال أبو جعفر: فالتقدير على هذا: فإذا جد الأمر بفرض القتال، كرهوا ذلك، ثم حذف.

٢٥- ثم **قال** ﷻ: **فَلو صدقُوا الله لَكَانَ خيرا لهم** [آية: ٢١].

قال قتادة: فلو صدقوا الله في الإيمان، والجهاد.

٢٦- وقوله ﷻ: **فَهلْ عسيتم إِن توليتم أن تفْسِدوا فِي الأَرض وتقَطعوا أرحامكُم** [آية: ٢٢].

قال بكر بن عبدالله المزني: هؤلاء الحرورية.

قال محمد بن كعب: أي فهل عسيتم إن توليتم الأمور، أن يقتل بعضكم بعضاً، كقتل قريش بني هاشم، وكقتل بني هاشم قريشاً.

وفي المعنى **قولٌ آخر:** وهو فهل تريدون، إن توليتم عن النبي ﷺ، وكفرتم بما جاءكم به، على أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه، من الكفر، فتفسدوا في الأرض بالكفر، وتقطعوا أرحامكم، بأن تئدوا بناتكم؟

وقرأ علي بن أبي **طالب عليه السلام** **فَهلْ عسيتم إِن توليتم** أي وُلّي عليكم.

٢٧- وقوله ﷻ: **إِن الذِين ارتدوا على أدبارِهِم من بعدِ ما تبين لَهم الْهدى الشيطَانُ سولَ لَهم وأملَى لَهم** [آية: ٢٥].

قال قتادة: هؤلاء أهل الكتاب، عندهم صفة محمد ﷺ، فأنكروها وكفروا، من بعد ما تبين لهم الهُدى.

وقال الضحاك: هم أهل النفاق.

الشيطَانُ سولَ لَهم قال قتادة: أي زين لهم.

ثم قال تعالى: **وأملى لهم** .

المعنى: وأملى الله لهم، أي مد الله لهم في آجالهم، ملاوةً[1] من الدهر، كما قال تعالى **وأملي لهم إن كيدي متينٌ** .

وقرأ مجاهد: الشيطانُ سولَ لهم وأملى لهم [2].

وهذه قراءةٌ حسنةٌ، والمعنى: وأنا أُملي لهم.

وحكى الفراء أنه قُرئ **وأملى لهم** وهي قراءة شيبةَ، وأبي عمرو.

٢٨- ثم **قال** ﷻ: **ذَلك بأنهم قالُوا للذِين كرِهوا ما نزلَ الله سنطِيعكُم في بعض الأمر** [آية: ٢٦]. أي في التضافر على عداوة محمد ﷺ.

وقال سفيان: يعني الفرائض.

قال قتادة: هم المنافقون.

٢٩- وقوله ﷻ **: أم حسِب الذِين في قُلوبهم مرضٌ أن لن يخرج الله أضغانهم** [آية: ٢٩]. أي عداو م.. أي يظهروا عداو م لأهل الإسلام.

٣٠- ثم **قال** ﷻ: **ولو نشاءُ لأريناكَهم فلَعرفْتهم بسِيماهم ولتعرفَنهم في لَحن القولِس** [آية: ٣٠]. أي لعرفناكهم، يقال: قد أريتك كذا أي عرفتكه.

فلَعرفْتهم بسِيماهم أي بعلامتهم.

٣١- ثم **قال تعالى: ولتعرِفَنهم في لَحن القَول** [آية: ٣٠].

أي فحواه، ومعناه،كما قال الشاعر:

منطِقٌ صائِبٌ وتلْحـن أحيانـاً وخير الحَدِيثِ ما كانَ لَحنـاً[3]

أي ما لم يصرح به، وما عرف بالمعنى، ونحو الكلام.

وقولهم: لحن فلان في هذا: إنما معناه: أخذ في ناحية غير الصواب.

٣٢- وقوله ﷻ : **والله معكُم ولن يتركُم أعمالَكُم** [آية: ٣٥].

---

(١) ملاوة: أي زمنا وحينا من الدهر، قال الجوهري: يقال: أقمت عنده ملاوة من الدهر أي حينا وبرهة.

(٢) هذه القراءة ليست من السبع، إنما هي من الشواذ، ذكرها الفراء في معانيه ٦٣/٣ وابن جني في المحتسب في شواذ القراءات ٢٧٢/٢.

(٣) البيت لمالك بن أسماء بن خارجة الفزاري، انظر الصحاح مادة (لحـن)، وانظـر القـرطبي ٢٥٣/١٦، والبحر المحيط ٧١/٨.

قال مجاهد : لن ينقصكم .

قال أبو جعفر: من هذا حديث النبي ﷺ: «من فاتته صلاةُ العصر، فكانما وتِر أهلَه».

٣٣-وقوله ﷻ: ﴿**إن يسألكُموها فَيحفِكُم تبخلُوا ويخرج أضغانكُم**﴾ [آية: ٣٧].

﴿**فَيحفِكُم**﴾ أي يجهدكم، ومنه حفِيت الدابةُ.

﴿**ويخرج أضغانكُم**﴾ قيل: أي عدواتكم.

وقال الضحاك: غش قلوبكم، إذا سئلتم أموالكم.

٣٤- وقوله ﷻ: ﴿**وإن تتولوا يستبدِلْ قَوما غَيركُم**﴾ [آية: ٣٨].

قال قتادة: أي إن تتولوا عن طاعة الله.

ثم **قال:** ﴿**يستبدِلْ قَوما غَيركُم ثُم لاَ يكُونوا أمثَالكُم**﴾ [آية ٣٨].

قال مجاهد: من شاء.

وروى العلاءُ عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: «قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدِلوا، ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب بيده على فخذ سلمان ﷺ، فقال: هم قوم هذا، لو كان الدِّين بالثريا لتناوله رجالٌ من الفُرس»[1].

«تمت سورة محمد ﷺ»

۞ ۞ ۞

---

(١) الحديث رواه الترمذي ٣٥٨/٥ وقال: هذا حديث غريب في إسناده مقال، وأخرجه ابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الدلائل، ورواه ابن جرير ٦٦/٢٦، والحافظ ابن كثير ٣٠٦/٧، وانظر الدر المنثور ٦٧/٦، والقرطبي ٢٥٨/١٦.

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَن الرَّحِيمِ

سورة الفتح وهي مدنية

مدنية في رواية مجاهد عن ابن عباس. وروى الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور ابن مخرمة، ومروان قالا: «نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة، كلها في شأن الحديبية».

١- من ذلك قوله ﷻ: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ [آية: ١].

روى قتادة عن أنس، قال: نزلت ﴿**إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ [آية: ١-٢]. بعد رجوع النبي ﷺ من الحديبية، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد نزلت علي آية أحب إلي من** جميع **الدنيا** ثم **تلاها، فقال رجلٌ من المسلمين: هنيئاً مريئاً، هذا لك يا رسول الله، فماذا لنا؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** [آية: ٥]»[1] إلى آخر الآية.

قال مجاهد في **قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾** قال: قضينا لك قضاءً بيّناً.

قال سفيان: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك﴾ أي ما كان في الجاهلية، ﴿**وما تأخر**﴾ قال: ما كان في الإسلام، مما لم تعمله بعد.

قال أبو جعفر: في **قوله ﷻ: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ ثلاثة أقوال متقاربة:**

أ- منها ما تقدم أنه فتح الحديبية، والحديبية بئر سمّي المكان باسمها.

قال أبو جعفر: «ولا أعرف أحداً من أهل اللغة يشدد الياء منها، وكان في فتحها أعظم الآيات، **لأن النبي** ﷺ **فيما روي ورد على هذه البئر، وقد نزف ماؤها، فتمضمض** ﷺ **وتفل فيها، فأقبل الماء،** حتى **شرب كل من كان معه،** ولم **يكن بينهم إلا تراءٍ،** حتى **كان الفتح**»[2] هذا قولٌ.

ب- وقيل المعنى**: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾** باجتناب الكبائر ﴿**ليغفر لك الله**﴾ الصغائر.

جـ- وقيل: ﴿إنا فتحنا لك فتحا﴾ بالهداية إلى الإسلام.

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب المغازي باب «غزوة الحديبية» ١٦٠/٥، ومسلم في كتـاب الجهاد «صلح الحديبية» ١٧٦/٥، ورواه أحمد في المسند ١٩٧/٣.

(٢) الحديث رواه البخاري بغير هذا اللفظ، وقد تقدم، وانظر ابن كثير ٣٠٧/٧، ومعاني القرآن للفراء ٦٤/٣.

فهذه الأقوال متقاربة، وقول مجاهدٍ يجمعها، لأن فتح الحديبية قضاءٌ من قضاء الله، وهدايةٌ من هدايته، يهدي ا من شاء، وكذلك اجتناب الكبائر.

وقد روي عن ابن عباس، ما يقويه، قال: ما كنت أدري ما معنى **ِإنا فَتحنا** حتى قالت لي ابنة مشرح: فَتح الله بيني وبينك.

وقوله تعالى: ربنا افْتح بيننا وبين قَومِنا ِبالْحق [الأعراف: ٨٩].

٢- وقد تكلم العلماء في **قوله تعالى: ِليغفِر لَك الله ما تقَدم ِمن ذَنِبك وما تأَخر** [آية: ٢].

فقال أبو حاتم: المعنى: ليغفرن لك الله.

وقال أبو الحسن بن كيسان: لا يجوز أن تكون إلا «لام كي» قال: قال الله ﷻ: **ِإذَا جاَء نصر الله والْفَتح. ورأيت الناس يدخلُونَ ِفي ِدِين الله أَفْواجا. فَسبح ِبحمِد ربك واستغِفره ِإنه كَانَ توابا** [النصر: ١إلى٣]. فأمر الله أن يستغفره إذا كان الفتح، ووعده بالمغفرة فكان قوله تعالى: **ِإنا فَتحنا لَك فَتحا مِبينا. ِليغِفر لَك الله** متعلقاً بذاك.

وقيل: ِليغفِر لَك الله ما تقَدم ِمن ذَنِبك وما تأَخر مما كان.. أي مما كان مقدماً ومؤخراً، وقد وقع ذلك كله.

وقيل: ِليغفِر لَك الله ما تقَدم ِمن ذَنِبك وما تأَخر كله للمستقبل، أي لتقع المغفرة في الاستقبال، فيما يكون من الذنوب أولاً وآخراً.

٣- ثم **قال ﷻ: ويِتم ِنعمته علَيك ويهِديك ِصراطًا مستِقيما * وينصرك الله نصرا عِزيزا** [آية: ٢- ٣]. أي نصراً ذا عزّ، لا ذُل معه.

٤- ثم **قال ﷻ: هو الَّذِي أَنزلَ السكِينةَ ِفي قُلُوِب الْمؤمِنين ِليزدادوا ِإيمانا مع ِإيمانِهم** [آية: ٤].

السكِينةَ : أي السكونُ والطمأنينة.

٥- وقوله ﷻ: ولِلهِ جنود السماواِت والأَرض وكَانَ الله عِليما حكِيما [آية: ٤]. أي كل ما فيها يدل على أن له خالقاً، وأنه واحد.

٦- ثم **قال ﷻ: ِليدخِلَ الْمؤمِنين والْمؤِمناِت جناٍت تجري ِمن تحِتها الأَنهار** [آية: ٥]. أي فتح بالإسلام والهداية ذا.

ويدل عليه أيضاً قوله سبحانه: ويعذب الْمنافِقين والْمنافِقَاِت والْمشرِكِين

والمشركاتِ الظانين بِاللهِ ظَنّ السوءِ [آية: ٦]. لأ م ظنوا أن النبي ﷺ لا يرجع **عليهم دائِرةُ السوءِ** [آية: ٦] أي الهلاك. ويقرأ: السوء، والفرق بينهما أن «السوءَ» الشيءُ بعينه، والسوءُ: الفعلُ.

٧- وقوله ﷻ: **إنا أرسلْناك شاهِدا ومبشرا ونذِيرا** [آية: ٨].

قال قتادة: أي شاهداً على أمتك **ومبشرا** المحسن منهم **ونذِيرا** المسيء.

قال أبو جعفر: هذا قولٌ حسن، وهذه حالٌ مقدرة.

حكى سيبويه: مررت برجلٍ معه صقر، صائداً به غداً.

فالمعنى: إنا أرسلناك مقدرين لشهادتك يوم القيامة، وعلى هذا تقول: رأيت عمرواً قائماً غداً.

٨- وقوله ﷻ: **لِتؤمنوا بِاللهِ ورسولِهِ وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكْرةً وأصِيلاً** [آية: ٩].

روى شعبة عن أبي بشرٍ عن عكرمة في قوله تعالى: وتعزروه قال: وتقاتلوا معه بالسيف.

قال قتادة: وتنصروه. **وقرأ جويبر:** أي وتفخموه.

وقرأ عاصم الجحدري وتعزروه (١).

وأصله في اللغة من التبجيل، والتطهير، ومنه «التعزير» الذي هو دون الحدّ.

وقرأ محمد اليماني وتعزّزوه (٢) بزاءين معجمتين، يقال: عززه: أي جعله عزيزاً وقواه، ومنه قوله تعالى: **فَعززنا بِثَالِثٍ**.

ويجوز أن يكون وتعزروه وتوقروه لله ﷻ وحده، ويجوز أن يكون للنبي ﷺ.

٩- فأما قوله تعالى: وتسبحوه بكْرةً وأصِيلاً [آية: ٩].

فلا يجوز أن تكون إلا لله ﷻ. لأنه ليس يخلو من أن يكون معناه كما قال جويبر: وتصلوا له. أو يكون معناه: وتعظموه وتنـزهوه.

١٠- وقوله ﷻ: **إن الذِين يبايِعونك إنما يبايِعونَ الله** [آية: ١٠].

أي عقدك عليهم البيعة، عقد لله ﷻ.

١١- ثم قال ﷻ: **يد الله فَوق أيدِيهم** [آية: ١٠]. أي يد الله في الثواب.

---

(١) هذه القراءة شاذة، انظر المحتسب في شواذ القراءات ٢٧٥/٢.

(٢) هذه من القراءات الشاذة، انظر المحتسب ٢٧٥/٢.

وقيل: في الوفاء. **وقيل:** في المنة عليهم بالهداية. **فَوق أيدِيهم** في الطاعة.

فَمن نكَثَ فَإِنما ينكُثُ على نفْسِهِ [آية: ١٠] يقال: نكث إذا نقض ما اعتقده.

١٢- وقوله ﷻ: سيقُولُ لَك المخلفُونَ مِن الأعرابِ شغلَتنا أموالُنا وأهلُونا فَاستغفِر لَنا [آية: ١١].

قال مجاهد: هم أعراب المدينة، وجهينة ومزينةُ.

ثم **قال تعالى: شغلَتنا أموالُنا وأهلُونا** أي ليس لنا من يحفظ أموالنا، ويقوم بأهالينا.

١٣- وقوله ﷻ: سيقُولُ المخلفُونَ إِذَا انطَلَقْتم إِلى مغانِم لِتأخذُوها ذَرونا نتبِعكُم [آية: ١٥].

قال مجاهد: دعاهم النبي ﷺ إلى الخروج إلى مكة، فأبوا وقالوا: كيف نخرج معه إلى قومٍ جاءوا إليه فقتلوا أصحابه؟ فلما خرج النبي ﷺ وأخذ قوماً على غفلة، ووجه م، قالوا: **ذَرونا نتبِعكُم** .

١٤- ثم **قال ﷻ: يريدونَ أن يبدلُوا كَلام الله** [آية: ١٥].

وهو على قول ابن زيد، قوله ﷻ: **فَقُل لن تخرجوا معِي أبدا ولَن تقَاتِلُوا معِي عدوا** [التوبة: ٨٣].

١٥- وقوله ﷻ: قُل للْمخلِفين مِن الأعرابِ ستدعونَ إِلى قَومٍ أولي بأسٍ شدِيدٍ تقَاتِلُونهم أو يسلِمونَ [آية: ١٦].

روى سفيان عن شعبة عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير، قال سفيان - أراه ابن عباس - **ستدعونَ إِلى قَومٍ أولي بأسٍ شدِيدٍ** قال: هوازنُ.

وقال عطاء: هم فارس. **وقال الحسن:** فارس والروم.

ومن أصح ما قيل فيه: أ م «بنو حنيفة» الذين قوتلوا في الردة، وكان مما يدل على صحة خلافة أبي بكر ﷺ من القرآن. ويدلك على ذلك قوله تعالى: **تقَاتِلُونهم أو يسلِمونَ** فليس هذا ممن تؤخذ منهم الجزية.

١٦- وقوله ﷻ: وإِن تتولوا كَما توليتم من قَبلُ يعذبكُم عذَابا أَلِيما [آية: ١٦].

أي كما توليتم مع النبي ﷺ.

١٧- قال عثمان بن المغيرة: سألت الحسن عن قوله تعالى: **لَيس على الأعمى حرجٌ ولاَ على الأعرجِ حرجٌ ولاَ على المرِيض حرجٌ** [آية: ١٧]. فقال: هذا في الجهاد.

١٨- وقوله ﷻ: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ [آية: ١٨]. **قال جويبر:** بايعوا على أن لا يفروا.

وقال قتادة: كانوا ألفاً وأربعمائة، وكانت الشجرة سمرة(١).

١٩- وقوله ﷻ: فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا [آية: ١٨]. **فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ** من الإخلاص.

فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ قال قتادة: الصبر، والوقار.

وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا قال ابن أبي ليلى: خيبر.

٢٠- وقوله ﷻ: وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ [آية: ٢٠].

قوله: فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ قال مجاهد: يعني خيبر.

ثم **قال تعالى: وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ**: لأنهم خلفوا عيالاتهم فزعين عليهم، فمنع الله منهم، وكف أيدي الناس عنهم.

٢١- وقوله ﷻ: وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا [آية: ٢١].

روى شعبة عن سماك الحنفي قال: سمعت ابن عباس يقول في قوله تعالى: **وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا**: هي الفتوح التي فتحت لكم.

وقال ابن أبي ليلى: هي فارس والروم.

وقال مجاهد: هو ما يكون بعد إلى يوم القيامة.

وقال قتادة: هو فتح مكة.

٢٢- ثم **قال ﷻ: وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** [آية: ٢٢].

قال قتادة: كفار قريش.

قال أبو جعفر: ولو قاتلكم من لم يقاتلكم منهم لانهزموا، لأن في سنة الله نصر أوليائه.

قال قتادة: يعني في قوله ﷻ: **ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** ولا يجدون لهم ولياً

---

(١) السمرة: شجرة الطلح.

ولا نصيراً من الله ﷻ.

٢٣- وقوله ﷻ: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾ [آية: ٢٤].

كف أيدي المشركين عمن خلفه المؤمنون، حين خرجوا إلى الحديبية.

قال قتادة في قوله تعالى: **﴿كف أيديهم عنكم﴾** «تطلع رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له: «زنيم» فرماه المشركون بسهم، فقتلوه، فبعث النبي ﷺ خيلاً، فأخذوا اثنى عشر فارساً، فأتوا بهم النبي ﷺ، فقال لهم: **ألكم عهدٌ أو ذمةٌ؟ قالوا: لا، فأطلقتهم**» فأنزل الله تعالى: **﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة﴾**.

قال قتادة: يعني الحديبية.

٢٤- وقوله ﷻ: ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله﴾ [آية: ٢٥].

قال قتادة: ﴿والهدي معكوفا﴾: محبوساً.

٢٥- وقوله ﷻ: ﴿أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرةٌ بغير علمٍ ليدخل الله في رحمته من يشاء﴾ [آية: ٢٥].

﴿أن تطؤوهم﴾ أي تقتلوهم **﴿فتصيبكم منهم معرةٌ﴾** أي عيب.

يقول المشركون: قتلوا أهل دينهم، ولو فعلتم لأدخلهم الله في رحمته.

٢٦- وقوله ﷻ: ﴿لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما﴾ [آية: ٢٥].

قال مجاهد: ﴿لعذبنا الذين كفروا﴾ بالسباء، والقتل.

٢٧- وقوله ﷻ: ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ [آية: ٢٦].

قال علي بن أبي طالب وابن عمر، وأبو هريرة: **﴿كلمة التقوى﴾**: لا إله إلا الله.

٢٨- ثم **قال تعالى: ﴿وكانوا أحق بها وأهلها﴾** [آية: ٢٦]. أي إن الله اختارهم لدينه.

٢٩- وقوله ﷻ: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون﴾ [آية: ٢٧].

قال مجاهد: رأى النبي ﷺ كأنه قد دخل مكة هو وأصحابه محلقين.

وقال قتادة: هي رؤيا رآها النبي ﷺ بالحديبية، كأنهم دخلوا مكة محلقين رءوسهم ومقصرين، فاستبطأوا الرؤيا، ثم دخلوا بعد ذلك.

فأما قوله تعالى: **﴿إن شاءَ الله﴾** ففيه أقوال:

أ - منها إن المعنى: إن شئت دخلتم آمنين.

ب- وقيل: هو حكاية لما قيل للنبي ﷺ.

جـ - وقيل: خوطب العباد على ما يجب أن يقولوه، كما قال تعالى: **﴿ولا تقولن لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غدا * إلا أن يشاءَ الله﴾** [الكهف: ٢٣-٢٤].

د- وقيل: الاستثناء لمن مات منهم، أو قتل.

٣٠- وقوله ﷻ: **﴿فعلم ما لم تعلموا فجعلَ من دون ذلك فتحا قريبا﴾** [آية: ٢٧].

قال مجاهد: رجعوا من الحديبية، ثم فتح الله عليهم خيبر.

٣١- وقوله ﷻ: **﴿محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشداءُ على الكفار رحماءُ بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغونَ فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾** [آية: ٢٩].

قال سعيد بن جبير: ذلك أثر الطهور، وثرى الأرض.

وقال عكرمة: هو أثر التراب.

قال ابن وهب: أخبرني مالك في قوله تعالى: **﴿سيماهم في وجوههم﴾** قال: هو ما يتعلق بالجبهة من تراب الأرض، فهذا قولٌ.

وقال مجاهد: إنما هو الخشوع والتواضع، وليس للمنافق هذا.

وقال الحسن: بياض يكون في الوجه يوم القيامة.

وقال عطية: موضع الجبهة يوم القيامة أشد بياضاً من سائر الوجه.

وقال الضحاك: هذا يوم القيامة، تبدو صلا م على وجوههم.

وقال شمر بن عطية: هو يج الوجه وصفرته من سهر الليل.

وقال قتادة: نعتوا بالصلاة، أي يعرفون بالصلاة.

٣٢- ثم قال ﷻ: **﴿ذلك مثلُهم في التوراة ومثلُهم في الإنجيل كزرعٍ أخرج شطأه﴾** [آية: ٢٩].

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس **﴿مثلُهم﴾** يعني نعتهم في **التوراة والإنجيل** أي مكتوب فيهما.

وقال قتادة: فيما تقدم مثلهم في التوراة، ولهم مثل آخر في الإنجيل وهو **﴿كزرعٍ أخرج شطأه﴾**.

قال الضحاك: هما مثلان، فالأول في التوراة، والثاني في الإنجيل.

وقال مجاهد: هما مثَلٌ واحد، والتمام على قول مجاهد: **﴿فِي الإِنجِيلِ﴾**.

٣٣- ثم قال ﷻ: **﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾** [آية: ٢٩].

﴿كَزَرْعٍ﴾ أي هم كزرع.

﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ روى حميد عن أنس قال: نباته، فروخه.

قال أبو عبيدة: يقال: أشطأ الزرع: إذا خرجت فراخه.

قال الفراء: الحَبةُ تخرج العشر، والسبع، والثماني، من السنبل.

ثم **قال تعالى: ﴿فَآزَرَهُ﴾**.

قال مجاهد: أي شدده، وأعانه.

وقال الضحاك: هم أصحاب النبي ﷺ، كانوا قليلاً فكثروا، وضعفاء فقووا.

٣٤- ثم قال ﷻ: **﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾** [آية: ٢٩].

جمع ساقٍ **﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾** تمثيل **﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾** [آية: ٢٩]. قال قتادة: أي ليغيظ محمد ﷺ وأصحابه الكفار.

٣٥- ثم قال ﷻ: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾** [آية: ٢٩].

يجوز أن تكون «مِن» هاهنا لبيان الجنس، كما قال تعالى: **﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾** [الحج: ٣٠].

ويجوز أن تكون للتبغيض أي وعد الله الذين ثبتوا على الإيمان منهم، مغفراً وأجراً عظيماً.

آخر السورة، والحمد لله وحده وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وعلى آله وصحبه وسلم

«انتهت سورة الفتح»

وهذا آخر ما عُثِرَ عليه من كتاب معاني القرآن للنحاس

والحمد لله رب العالمين

❁ ❁ ❁

الفهرس

صور المخطوطات

صورة غلاف نسخة دار الكتب المصرية

صورة الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة دار الكتب

صور المخطوطات

صورة الصفحة الأولى من نسخة معهد المخطوطات
المصورة عن نسخة أورخان غازي بتركيا

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة معهد المخطوطات
المصورة عن نسخة أورخان غازي بتركيا